سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٢٢٨)

ما قيل فيه غلط

في مصنفات التفاسير

تنبيهات واستدراكات للعلماء

أكثر من ١٤٥٠ مادة

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"لم يضع ابن عيينة شيئا. وسيل الشافعي عن تأويل ابن عيينة فقال: نحن أعلم بهذا، ولو أراد النبي صلى الله عليه وسلم الاستغناء لقال: من لم يستغن، ولكن قال" يتغن" علمنا أنه أراد التغني. قال الطبري: المعروف عندنا في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع. وقال الشاعر:

تغن بالشعر مهما كنت قائله ... إن الغناء بهذا الشعر مضمار

قال: وأما ادعاء الزاعم أن تغنيت بمعنى استغنيت فليس في كلام العرب وأشعارها، ولا نعلم أحد من أهل العلم قاله، وأما احتجاجه بقول الأعشى:

وكنت امرأ زمنا بالعراق ... عفيف المناخ طويل التغن

وزعم أنه أراد الاستغناء فإنه **غلط** منه، وإنما عنى الأعشى في هذا الموضع الإقامة، من قول العرب: غني فلان بمكان كذا أي أقام، ومنه قوله تعالى:" كأن لم يغنوا فيها «١» " وأما استشهاده بقوله:

ونحن إذا متنا أشد تغانيا

فإنه إغفال منه، وذلك أن التغاني تفاعل من نفسين إذا استغنى كل واحد منهما عن صاحبه، كما يقال: تضارب الرجلان، إذا ضرب كل واحد منهما صاحبه. ومن قال هذا في فعل الاثنين لم يجز أن يقول مثله في الواحد، فغير جائز أن يقال: تغانى زيد وتضارب عمرو، وكذلك غير جائز أن يقال: تغنى بمعنى استغنى. قلت: ما ادعاه الطبري من أنه لم يرد في كلام العرب تغنى بمعنى استغنى، فقد ذكره الجوهري كما ذكرنا، وذكره الهروي أيضا. وأما قوله: أن صيغة فاعل إنما تكون من اثنين فقد جاءت من واحد في ما ضيع كثيرة، منها قول ابن عمر: وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام. وتقول العرب: طارقت النعل وعاقبت اللص وداويت العليل، وهو كثير، فيكون تغانى منها. وإذا احتمل قوله عليه الصلاة والسلام:" يتغن" الغناء والاستغناء فليس حمله على أحدهما بأولى من الآخر، بل حمله على الاستغناء أولى لو لم يكن لنا تأويل غيره، لأنه مروي عن

---

(١). آية ٩٢ سورة الأعراف.". [1]

"فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (تدرون ما هذا) قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها). وروى البخاري عن أبي هريرة

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/١

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله عز وجل لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها (. وأخرجه مسلم «١» بمعناه. يقال: احتجت بمعنى تحتج، للحديث المتقدم حديث ابن مسعود «٢»، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أراهما في صلاة الكسوف، ورآهما أيضا في إسرائه ودخل الجنة، فلا معنى لما خالف ذلك. وبالله التوفيق. و" أعدت" يجوز أن يكون حالا للنار على معنى معدة، وأضمرت معه قد، كما قال:" أو جاؤكم حصرت صدورهم «٣» " [النساء: ٩٠] فمعناه قد حصرت صدورهم، فمع" حصرت" قد مضمرة لأن الماضي لا يكون حالا إلا مع قد، فعلى هذا لا يتم الوقف على" الحجارة". ويجوز أن يكون كلاما منقطعا عما قبله، كما قال:" وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم «٤» " [فصلت: ٢٣]. وقال السجستاني:" أعدت للكافرين" من صلة" التي" كما قال في آل عمران:" واتقوا النار التي أعدت للكافرين «٥» " [آل عمران: ١٣١]. ابن الأنباري: وهذا غلط، لأن التي في سورة البقرة قد وصلت بقوله:" وقودها الناس" فلا يجوز أن توصل بصلة ثانية، وفي آل عمران ليس لها صلة غير" أعدت".

[سورة البقرة (٢): آية ٢٥]

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون (٢٥)

---

(١). بمراجعة صحيحي البخاري ومسلم وجدنا أن الرواية لمسلم، وأخرجه البخاري بمعناه. [.....]

(٢). يلاحظ أن راوي الحديث المتقدم في صحيحي مسلم والبخاري أبو هريرة.

(٣). راجع ج ٥ ص ٣٠٩.

(٤). راجع ج ١٥ ص ٣٥٣.

(٥). راجع ج ٤ ص ٢٠٢.." [1]

"بني إسرائيل في أنه كان دون تكلف. روي أنه كان ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كالثلج فيأخذ الرجل ما يكفيه ليومه فإن ادخر منه شيئا فسد عليه إلا في يوم الجمعة فإنهم كانوا يدخرون

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٣٧/١

ليوم السبت فلا يفسد عليهم لأن يوم السبت يوم عبادة وما كان ينزل عليهم يوم السبت شي. الثالثة- لما نص عليه السلام على أن ماء الكمأة شفاء للعين قال بعض أهل العلم بالطب: إما لتبريد العين من بعض ما يكون فيها من الحرارة فتستعمل بنفسها مفردة وإما لغير ذلك فمركبة مع غيرها. وذهب أبو هريرة رضي الله عنه إلى استعمالها بحتا في جميع مرض العين. وهذا كما استعمل أبو وجزة العسل في جميع الأمراض كلها حتى في الكحل على ما يأتي بيانه في سورة" النحل" «١» إن شاء الله تعالى. وقال أهل اللغة: الكمء واحد وكمآن اثنان وأكمؤ ثلاثة فإذا زادوا قالوا- كمأة- بالتاء- على عكس شجرة وشجر. والمن اسم جنس لا واحد له من لفظه الخير والشر قاله الأخفش. الرابعة- قوله تعالى: (والسلوى) اختلف في السلوى فقيل هو السمانى بعينه قاله الضحاك. قال ابن عطية: السلوى طير بإجماع المفسرين وقد **غلط** الهذلي «٢» فقال:

وقاسمها بالله جهدا لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما نشورها

ظن السلوى العسل. قلت: ما ادعاه من الإجماع لا يصح وقد قال المؤرج «٣» أحد علماء اللغة والتفسير: إنه العسل واستدل ببيت الهذلي وذكر أنه كذلك بلغة كنانة سمي به لأنه يسلى به ومنه عين السلوان «٤»، وأنشد:

لو أشرب السلوان ما سليت ... ما بي غنى عنك وإن غنيت «٥»

---

(١). راجع ج ١٠ ص ١٣٦.

(٢). هو خالد بن زهير.

(٣). هو مؤرج بن عمر السدوسي ويكنى أبا فيد. كان من أصحاب الخليل بن أحمد مات سنة خمس وتسعين ومائة.

(٤). عين السلوان: عين نضاخة يتبرك بها ويستشفى منها بالبيت المقدس. (عن معجم ياقوت).

(٥). البيت لرؤبة.." [1]

"إلا أنه بغير ألف. وفي مصحف أبي" تشابهت" بتشديد الشين. قال أبو حاتم: وهو غلط، لأن التاء في هذا الباب لا تدغم إلا في المضارعة. وقرأ يحيى بن يعمر" إن الباقر يشابه" جعله فعلا مستقبلا، وذكر البقر وأدغم. ويجوز" إن البقر تشابه" بتخفيف الشين وضم الهاء، وحكاها الثعلبي عن الحسن. النحاس:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١/٤٠٧

ولا يجوز" يشابه" بتخفيف الشين والياء، وإنما جاز في التاء لأن الأصل تتشابه فحذفت لاجتماع. التائين. والبقر والباقر والبيقور والبقير لغات بمعنى، والعرب تذكره وتؤنثه، وإلى ذلك ترجع معاني القراءات في" تشابه". وقيل: إنما قالوا:" إن البقر تشابه علينا" لأن وجوه البقر تتشابه، ومنه حديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر (فتنا كقطع الليل تأتي كوجوه البقر). يريد أنها يشبه بعضها بعضا. ووجوه البقر تتشابه، ولذلك قالت بنو إسرائيل: إن البقر تشابه علينا. قوله تعالى: (وإنا إن شاء الله لمهتدون) استثناء منهم، وفي استثنائهم في هذا السؤال الأخير إنابة ما وانقياد، ودليل ندم على عدم موافقة الأمر. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لو ما استثنوا ما اهتدوا إليها أبدا) «١». وتقدير الكلام وإنا لمهتدون إن شاء الله. فقدم على ذكر الاهتداء اهتماما به. و" شاء" في موضع جزم بالشرط، وجوابه عند سيبويه الجملة" إن" وما عملت فيه. وعند أبي العباس المبرد محذوف.

[سورة البقرة (٢): آية ٧١]

قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون (٧١)

قوله تعالى: (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول) قرأ الجمهور" لا ذلول" بالرفع على الصفة لبقرة. قال الأخفش:" لا ذلول" نعته ولا يجوز نصبه. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي" لا ذلول" بالنصب على النفي والخبر مضمر. ويجوز لا هي ذلول، لا هي تسقي الحرث، هي مسلمة. ومعنى" لا ذلول" لم يذللها العمل، يقال: بقرة مذللة بينة الذل (بكسر الذال). ورجل ذليل بين الذل (بضم الذال). أي هي بقرة صعبة غير ريضة لم تذلل بالعمل.

---

(١). في نسخة من الأصل: (لولا) وروى الحديث من طرق بلفظ: (لو لم يستثنوا).." [(١)]

"وقراءة الجمهور بفتح الضاد. وقرأ ابن كثير بكسر الضاد، ورويت عن نافع، وهو **غلط** ممن رواه. قال بعض اللغويين: الكسر والفتح في الضاد لغتان في المصدر. قال الأخفش: الضيق والضيق مصدر ضاق يضيق. والمعنى: لا يضيق صدرك من كفرهم. وقال الفراء: الضيق ما ضاف عنه صدرك، والضيق ما يكون في الذي يتسع ويضيق، مثل الدار والثوب. وقال ابن السكيت: هما سواء، يقال: في صدره ضيق وضيق.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١/٤٥٢

القتبي: ضيق مخفف ضيق، أي لا تكن في أمر ضيق فخفف، مثل هين وهين. وقال ابن عرفة: يقال ضاق الرجل إذا بخل، وأضاق إذا افتقر. وقوله: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أي اتقوا الفواحش والكبائر بالنصر والمعونة والفضل والبر والتأييد. وتقدم معنى الإحسان. وقيل لهرم بن حبان «١» عند موته: أوصنا، فقال: أوصيكم بآيات الله وآخر سورة" ادع إلى سبيل ربك" إلى آخرها. تمت سورة النحل، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الإسراء

هذه السورة مكية، إلا ثلاث آيات: قوله عز وجل" وإن كادوا ليستفزونك «٢» " نزلت حين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف، وحين قالت اليهود: ليست هذه بأرض الأنبياء. وقوله عز وجل:" وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق". وقوله تعالى" إن ربك أحاط بالناس" الآية. وقال مقاتل: وقوله عز وجل" إن الذين أوتوا العلم من قبله" الآية. وقال ابن مسعود رضي الله عنه في بني إسرائيل والكهف [ومريم]: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي، يريد من قديم كسبه.

---

(١). في أسد الغابة: حيان. بالياء. وكذا في ج. وفى التاج وى: حبان. بالموحدة.

(٢). راجع ص ٣٠١، وص ٣٢١، وص ٢٨١ فما بعد، وص ٣٤٠ من هذا الجزء.." [1]

"والخطأ الاسم يقوم مقام الإخطاء، وهو ضد الصواب. وفيه لغتان: القصر وهو الجيد، والمد وهو قليل، وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما" خطأ" بفتح الخاء وسكون الطاء وهمزة. وقرأ ابن كثير بكسر الخاء وفتح الطاء ومد الهمزة. قال النحاس: ولا أعرف لهذه القراءة وجها، ولذلك جعلها أبو حاتم غلطا. قال أبو علي: هي مصدر من خاطأ يخاطئ، وإن كنا لا نجد خاطأ، ولكن وجدنا تخاطأ، وهو مطاوع خاطأ، فدلنا عليه، ومنه قول الشاعر:

تخاطأت النبل أحشاءه ... وأخر «١» يومى فلم أعجل

وقول الآخر في وصف مهاة:

تخاطأه القناص حتى وجدته ... وخرطومه في منقع الماء راسب

الجوهري: تخاطأه أي أخطأه، وقال أوفى بن مطر المازني:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٠٣/١٠

ألا أبلغا خلتي جابرا ... بأن خليلك لم يقتل

تخاطأت النبل أحشاءه ... وأخر «٢» يومي فلم يعجل

وقرأ الحسن" خطاء" بفتح الخاء والطاء والمد في الهمزة. قال أبو حاتم: لا يعرف هذا في اللغة وهي **غلط** غير جائز. وقال أبو الفتح: الخطأ من أخطأت بمنزلة العطاء من أعطيت، هو اسم بمعنى المصدر، وعن الحسن أيضا" خطى" بفتح الخاء والطاء منونة من غير همزة.

[سورة الإسراء (١٧): آية ٣٢]

ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا (٣٢)

فيه مسألة واحدة: قال العلماء: قوله تعالى (ولا تقربوا الزنى) أبلغ من أن يقول: ولا تزنوا، فإن معناه لا تدنوا من الزنى. والزنى يمد ويقصر، لغتان. قال الشاعر:

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناء فريضة الرجم

و (سبيلا) نصب على التمييز، التقدير: وساء سبيله سبيلا. أي لأنه يؤدى إلى النار. والزنى من الكبائر، ولا خلاف فيه وفي قبحه لا سيما بحليلة الجار. وينشأ عنه استخدام ولد الغير

---

(١). أخر: بعني يتأخر، ويجوز" أخر" بضم الهمزة وشد الخاء مع الكسر.

(٢). أخر: بعني يتأخر، ويجوز" أخر" بضم الهمزة وشد الخاء مع الكسر.." [١]

"وخير أملا في الآخرة لمن أحسن إليهن. يدل عليه ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علي امرأة مسكينة ... الحديث، وقد ذكرناه في سورة النحل في قوله:" يتوارى من القوم" الآية «١». وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لقد رأيت رجلا من أمتي أمر به إلى النار فتعلق به بناته وجعلن يصرخن ويقلن رب إنه كان يحسن إلينا في الدنيا فرحمه الله بهن". وقال قتادة في قوله تعالى:" فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما «٢» " قال: أبدلهما منه ابنة فتزوجها نبي فولدت له اثني عشر غلاما كلهم أنبياء.

[سورة الكهف (١٨): آية ٤٧]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠/٢٥٣

ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا (٤٧)

قوله تعالى: (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) قال بعض النحويين: التقدير والباقيات الصالحات خير عند ربك يوم نسير الجبال. قال النحاس: وهذا **غلط** من أجل الواو وقيل: المعنى واذكر يوم نسير الجبال، أي نزيلها من أماكنها من على وجه الأرض، ونسيرها كما نسير السحاب، كما قال في آية أخرى" وهي تمر مر السحاب «٣» " ثم تكسر فتعود إلى الأرض، كما قال:" وبست الجبال بسا. فكانت هباء منبثا «٤» ". وقرأ ابن كثير والحسن وأبو عمرو وابن عامر" ويوم تسير" بتاء مضمومة وفتح الياء. و" الجبال" رفعا على الفعل المجهول. وقرأ ابن محيصن ومجاهد" ويوم تسير الجبال" بفتح التاء مخففا من سار." الجبال" رفعا. دليل قراءة أبي عمرو" وإذا الجبال سيرت «٥» ". ودليل قراءة ابن محيصن" وتسير الجبال سيرا «٦» ". واختار أبو عبيد القراءة الأولى" نسير" بالنون لقوله" وحشرناهم". ومعنى" بارزة" ظاهرة، وليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان، أي قد اجتثت ثمارها وقلعت جبالها، وهدم بنيانها، فهي بارزة ظاهرة. وعلى هذا القول أهل التفسير. وقيل:" وترى الأرض بارزة" أي برز ما فيها من الكنوز والأموات، كما قال

---

(١). راجع ص ١١٧ من هذا الجزء.

(٢). راجع ج ١١ ص ٣٣ فما بعد.

(٣). راجع ج ١٣ ص ...

(٤). راجع ج ١٧ ص ١٩٤ فما بعد.

(٥). راجع ج ١٩ ص ٢٢٥ فما بعد. [.....]

(٦). راجع ج ١٧ ص ١٩٤ فما بعد.." [1]

"المتكلم التي في غلامي وفرسي، وكسر ما قبل الياء كما كسر في هذه. وقرأ أبو بكر عن عاصم" لدني" بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون. وروي عن عاصم" لدني" بضم اللام وسكون الدال، قال ابن مجاهد: وهي غلط، قال أبو علي: هذا التغليط يشبه أن يكون من جهة الرواية، فأما على قياس العربية فهي صحيحة. وقرأ الجمهور:" عذر". وقرأ عيسى:" عذرا" بضم الذال. وحكى الداني «١» أن أبيا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم" عذري" بكسر الراء وياء بعدها. مسألة: أسند الطبري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد بدأ بنفسه، فقال يوما:" رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤١٦/١٠

صاحبه لرأى العجب ولكنه قال:" فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا" (. والذي في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:) رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة ولو صبر لرأى العجب) ق ا ل: وكان إذا ذكر أحدا من الأنبياء بدأ بنفسه: رحمة الله علينا وعلى أخي كذا. وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما). الذمامة بالذال المعجمة المفتوحة، وهو بمعنى المذمة بفتح الذال وكسرها، وهي الرقة والعار من تلك «٢» الحرمة: يقال أخذتني منك مذمة ومذمة وذمامة. وكأنه استحيا من تكرار مخالفته، ومما صدر عنه من تغليظ الإنكار.

[سورة الكهف (١٨): الآيات ٧٧ الى ٧٨]

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا (٧٧) قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا (٧٨)

---

(١). كذا في ج وك وى. وفي ا: الداراني. وهو غلط.

(٢). في ج وك وى: ترك الحرمة.." [(١)]

"ظهر الأرض أحد) قال ابن عمر: فوهل «١» الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال [رسول الله «٢»] عليه الصلاة والسلام: (لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد) يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن. ورواه أيضا من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت بشهر: (تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة «٣» تأتي عليها مائة سنة) وفي أخرى قال سالم: تذاكرنا أنها (هي مخلوقة يومئذ). وفي أخرى: (ما من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ). وفسرها عبد الرحمن صاحب السقاية قال: نقص «٤» العمر. وعن أبي سعيد الخدري نحو هذا الحديث قال علماؤنا: وحاصل ما تضمنه هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام أخبر قبل موته بشهر أن كل من كان من بني آدم موجودا في ذلك لا يزيد عمره على مائة سنة، لقوله عليه الصلاة والسلام:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٣/١١

(ما من نفس منفوسة) وهذا اللفظ لا يتناول الملائكة ولا الجن إذ لم يصح عنهم أنهم كذلك، ولا الحيوان غير العاقل، لقوله: (ممن هو على ظهر الأرض أحد) وهذا إنما يقال بأصل وضعه على من يعقل، فتعين أن المراد بنو آدم. وقد بين ابن عمر هذا المعنى، فقال: يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن. ولا حجة لمن استدل به على بطلان قول من يقول: إن الخضر حي لعموم قوله: (ما من نفس منفوسة) لأن العموم وإن كان مؤكد الاستغراق فليس نصا فيه، بل هو قابل للتخصيص. فكما لم يتناول عيسى عليه السلام، فإنه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القرآن ومعناه، ولا يتناول الدجال مع أنه حي بدليل حديث الجساسة «٥»، فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام وليس مشاهد للناس، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضا، فمثل هذا العموم لا يتناوله. وقد قيل: إن أصحاب الكهف أحياء

(١). وهل إلى الشيء كضرب أي غلط وذهب وهمه إلى خلاف الصواب والمعنى أن الصحابة رضى الله عنهم غلطوا وذهب وهمهم إلى خلاف الصواب في تأويل مقالة النبي صلى الله عليه وسلم فكان بعضهم يقول: تقوم الساعة عند انقضاء مائة سنة فبين ابن عمر مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن. ويجوز وهل كتعب.

(٢). من ج وى.

(٣). منفوسة: مولودة.

(٤). في ج وى: بعض العمر.

(٥). الجساسة: دابة الأرض التي تخرج آخر الزمان وسميت جساسة لتجسسها الاخبار للدجال.." [(١)]

"" ثم لننزعن من كل شيعة" ثم لننزعن من كل فرقة الأعتى فالأعتى. كأنه يبتدأ بالتعذيب بأشدهم عتيا ثم الذي يليه وهذا نص كلام أبي إسحاق في معنى الآية. وقال يونس:" لننزعن" بمنزلة الأفعال التي تلغى ورفع" أيهم" على الابتداء. المهدوي: والفعل هو" لننزعن" عند يونس معلق قال أبو علي: معنى ذلك أنه يعمل في موضع" أيهم أشد" لا أنه ملغى. ولا يعلق عند الخليل وسيبويه مثل" لننزعن" إنما يعلق بأفعال الشك وشبهها ما لم يتحقق وقوعه. وقال سيبويه:" أيهم" مبني على الضم لأنها خالفت أخواتها في الحذف، لأنك لو قلت: رأيت الذي أفضل ومن أفضل كان قبيحا، حتى تقول من هو أفضل، والحذف في" أيهم" جائز. قال أبو جعفر: وما علمت أحدا من النحويين إلا وقد خطأ سيبويه في هذا وسمعت أبا إسحاق

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤٢/١١

يقول: ما يبين لي أن سيبويه **غلط** في كتابه إلا في موضعين هذا أحدهما، قال: وقد علمنا أن سيبويه أعرب أيا وهي مفردة لأنها تضاف، فكيف يبنيها وهي مضافة؟! ولم يذكر أبو إسحاق فيما علمت إلا هذه الثلاثة الأقوال. أبو علي: إنما وجب البناء على مذهب سيبويه لأنه حذف منه ما يتعرف به وهو الضمير مع افتقار إليه كما حذف في" من قبل ومن بعد ٣٠: ٤" «١» ما يتعرفان به مع افتقار المضاف إلى المضاف إليه لأن الصلة تبين الموصول وتوضحه كما أن المضاف إليه يبين المضاف ويخصصه. قال أبو جعفر: وفيه أربعة أقوال سوى هذه الثلاثة التي ذكرها أبو إسحاق قال الكسائي:" لننزعن" واقعة على المعنى كما تقول: لبست من الثياب وأكلت من الطعام ولم يقع" لننزعن" على" أيهم" فينصبها. زاد المهدوي: وإنما الفعل عنده واقع على موضع" من كل شيعة" وقوله:" أيهم أشد" جملة مستأنفة مرتفعة بالابتداء ولا يرى سيبويه زيادة" من" في الواجب. وقال الفراء: المعنى ثم لننزعن بالنداء ومعنى:" لننزعن" لننادين. المهدوي: ونادى فعل يعلق إذا كان بعده جملة كظننت فتعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ قال أبو جعفر وحكى أبو بكر بن شقير أن بعض الكوفيين يقول في" أيهم" معنى الشرط والمجازاة فلذلك لم يعمل فيها ما قبلها والمعنى: ثم لننزعن من كل فرقة إن تشايعوا أو لم يتشايعوا كما تقول: ضربت القوم أيهم غضب والمعنى إن غضبوا أو لم يغضبوا قال أبو جعفر فهذه ستة

---

(١). راجع ج ١٤ ص ١ فما بعد.." [1]

"وقراءة القرآن. (وهدوا إلى صراط الحميد) أي إلى صراط الله. وصراط الله: دينه وهو الإسلام. وقيل: هدوا في الآخرة إلى الطيب من القول، وهو الحمد لله، لأنهم يقولون غدا الحمد لله الذي هدانا لهذا، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، فليس في الجنة لغو ولا كذب فما يقولونه فهو طيب القول. وقد هدوا في الجنة إلى صراط الله، إذ ليس في الجنة شي من مخالفة أمر الله. وقيل: الطيب من القول ما يأتيهم من الله من البشارات الحسنة." وهدوا إلى صراط الحميد" أي إلى طريق الجنة.

[سورة الحج (٢٢): آية ٢٥]

إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٢٥)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١/١٣٤

فيه سبع مسائل: الأولى- قوله تعالى: (إن الذين كفروا ويصدون) أعاد الكلام إلى مشركي العرب حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام عام الحديبية، وذلك أنه لم يعلم لهم صد قبل ذلك الجمع، إلا أن يريد صدهم لأفراد من الناس، فقد وقع ذلك في صدر [من «١»] المبعث. والصد: المنع، أي وهم يصدون. وبهذا حسن عطف المستقبل على الماضي. وقيل: الواو زائدة" ويصدون" خبر" إن". وهذا مفسد للمعنى المقصود، وإنما الخبر محذوف مقدر عند قوله: (" والباد" تقديره: خسروا إذا هلكوا. وجاء" ويصدون" مستقبلا إذ هو فعل يديمونه، كما جاء قوله تعالى:" الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر «٢» الله" [الرعد: ٢٨]، فكأنه قال: إن الذين كفروا من شأنهم الصد. ولو قال إن الذين كفروا وصدروا لجاز. قال النحاس: وفي كتابي عن أبي إسحاق قال وجائز أن يكون- وهو الوجه- الخبر" نذقه من عذاب أليم". قال أبو جعفر: وهذا غلط، ولست أعرف ما الوجه فيه، لأنه جاء بخبر" إن" جزما، وأيضا

(١). من ك.

(٢). راجع ج ٩ ص ٣١٤.." [(١)]

"التاء وكسر اللام على الفعل المجهول. (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وهو الإسلام، كما قال تعالى:" ورضيت لكم الإسلام دينا" [المائدة: ٣] وقد تقدم «١». وروى سليم بن عامر عن المقداد ابن الأسود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما على ظهر الأرض بيت حجر ولا مدر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل أما بعزهم فيجعلهم من أهلها وأما بذلهم فيدينون بها (. ذكره الماوردي حجة لمن قال: إن المراد بالأرض بلاد العرب والعجم، وهو القول الثاني، على ما تقدم آنفا. (وليبدلنهم) قرأ ابن محيصن وابن كثير ويعقوب وأبو بكر بالتخفيف، من أبدل، وهي قراءة الحسن، واختيار أبي حاتم. الباقون بالتشديد، من بدل، وهي اختيار أبي عبيد، لأنها أكثر ما في القرآن، قال الله تعالى:" تبديل لكلمات

«٢» له" [يونس: ٦٤]. وقال:" وإذا بدلنا «٣» آية" [النحل: ١٠١] ونحوه، وهما لغتان. قال النحاس: وحكى محمد بن الجهم عن الفراء قال: قرأ عاصم والأعمش:" وليبدلنهم" مشددة، وهذا **غلط** عن عاصم، وقد ذكر بعده غلطا أشد منه، وهو أنه حكى عن سائر الناس التخفيف. قال النحاس: وزعم أحمد بن يحيى أن بين التثقيل والتخفيف فرقا، وأنه يقال: بدلته أي غيرته، وأبدلته أزلته وجعلت غيره. قال النحاس: وهذا

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٣١

القول صحيح، كما تقول: أبدل لي هذا الدرهم، أي أزله وأعطني غيره. وتقول: قد بدلت بعدنا، أي غيرت، غير أنه قد يستعمل أحدهما موضع الآخر، والذي ذكره أكثر. وقد مضى هذا في" النساء" «٤» والحمد لله، وذكرنا في سورة" إبراهيم" الدليل من السنة على أن بدل معناه إزالة العين، فتأمله هناك «٥». وقرى:" عسى ربنا أن يبدلنا «٦» " [القلم: ٣٢] مخففا ومثقلا (يعبدونني) هو في موضع الحال، أي في حال عبادتهم الله بالإخلاص. ويجوز أن يكون استئنافا على طريق الثناء عليهم. (لا يشركون بي شيئا) فيه أربعة أقوال: أحدها- لا يعبدون إلها غيري، حكاه النقاش. الثاني- لا يراءون بعبادتي أحدا. الثالث- لا يخافون غيري، قاله ابن عباس. الرابع- لا يحبون، غيري قاله مجاهد. (ومن كفر بعد ذلك) أي بهذه النعم. والمراد كفران النعمة لأنه، قال تعالى: (فأولئك هم الفاسقون) الكافر بالله فاسق بعد هذا الانعام وقبله.

---

(١). راجع ج ٦ ص ٦٣.

(٢). راجع ج ٨ ص ٣٥٨.

(٣). راجع ج ١٠ ص ١٧٦.

(٤). راجع ج ٥ ص ٤٢٥.

(٥). راجع ج ٩ ص ٣٨٢.

(٦). راجع ج ١٨ ص ٢٤٤.." [1]

"وقرأ عاصم في رواية أبي بكر:" يضاعف. ويخلد" بالرفع فيهما على العطف والاستئناف. وقرأ طلحة بن سليمان:" وتخلد" بالتاء على معنى مخاطبة الكافر. وروي عن أبي عمرو" ويخلد" بضم الياء من تحت وفتح اللام. قال أبو علي: وهي **غلط** من جهة الرواية. و" يضاعف" بالجزم بدل من" يلق" الذي هو جزاء الشرط. قال سيبويه: مضاعفة العذاب لقي الأثام. قال الشاعر: متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقال آخر: إن علي الله أن تبايعا «١» تؤخذ كرها أو تجئ طائعا وأما الرفع ففيه قولان: أحدهما أن تقطعه مما قبله. والآخر أن يكون محمولا على المعنى، كأن قائلا قال: ما لقي الاثام؟ فقيل له: يضاعف له العذاب. و (مهانا) معناه ذليلا خاسئا مبعدا مطرودا.

[سورة الفرقان (٢٥): آية ٧٠]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٣٠٠

إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما (٧٠) قوله تعالى: (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) لا خلاف بين العلماء أن الاستثناء عامل في الكافر والزاني. واختلفوا في القاتل من المسلمين على ما تقدم بيانه في" النساء" «٢» ومضى في" المائدة" «٣» القول في جواز التراخي في الاستثناء في اليمين، وهو مذهب ابن عباس مستدلا بهذه الآية. قوله تعالى: (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) قال النحاس: من أحسن ما قيل فيه أنه يكتب موضع كافر مؤمن، وموضع عاص مطيع. وقال مجاهد والضحاك: أن يبدلهم

---

(١). الشاهد في حمل يؤخذ غلى تبايع وإبداله منه. وأراد بقوله" الله" والمعنى إن على والله فلما حذف الجار النصب.

(٢). راجع ج ٥ ص ٣٣٢ وما بعدها طبعه أولى أو ثانية.

(٣). راجع ج ٦ ص ٢٧٣ طبعه أولى أو ثانية.." [1]

"وحمزة والكسائي وخلف" ويلقون" مخففة، واختاره الفراء، قال لأن العرب تقول: فلان يتلقى بالسلام وبالتحية وبالخير (بالتاء)، وقلما يقولون فلان يلقى السلامة. وقرأ الباقون" ويلقون" واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لقوله تعالى:" ولقاهم نضرة وسرورا". قال أبو جعفر النحاس: وما ذهب إليه الفراء واختاره غلط، لأنه يزعم أنها لو كانت" يلقون" كانت في العربية بتحية وسلام، وقال كما يقال: فلان يتلقى بالسلام وبالخير، فمن عجيب ما في هذا الباب أنه قال يتلقى والآية" يلقون" والفرق بينهما بين. لأنه يقال فلان يتلقى بالخير ولا يجوز حذف (الباء)، فكيف يشبه هذا ذاك! وأعجب من هذا أن في القرآن" ولقاهم نضرة وسرورا" ولا يجوز أن يقرأ بغيره. وهذا يبين أن الأولى على خلاف ما قال. والتحية من الله والسلام من الملائكة. وقيل: التحية البقاء الدائم والملك العظيم، والأظهر أنهما بمعنى واحد، وأنهما من قبل الله تعالى، دليله قوله تعالى:" تحيتهم يوم يلقونه سلام" وسيأتي. (خالدين) نصب على الحال (فيها حسنت مستقرا ومقاما). قوله تعالى: (قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم) هذه آية مشكلة تعلقت بها الملحدة. يقال: ما عبأت بفلان أي ما باليت به، أي ما كان له عندي وزن ولا قدر. وأصل يعبأ من العبء وهو الثقل. وقول الشاعر» : كأن بصدره وبجانبيه عبيرا بات يعبؤه عروس أي يجعل بعضه على بعض. فالعبء الحمل الثقيل، والجمع أعباء. والعبء المصدر. وما استفهامية، ظهر في أثناء كلام الزجاج، وصرح به الفراء. وليس يبعد أن تكون

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧٧/١٣

نافية، لأنك إذا حكمت بأنها استفهام فهو نفي خرج مخرج الاستفهام، كما قال تعالى:" هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" قال ابن الشجري: وحقيقة القول عندي أن موضع" ما" نصب، والتقدير: أي عبء يعبأ بكم، أي أي مبالاة يبالي ربي بكم لولا دعاؤكم، أي لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه، فالمصدر الذي هو الدعاء على هذا القول مضاف إلى

مفعوله، وهو اختيار

---

(١). هو أبو زبيد يصف أسدا، كما في اللسان مادة" عبأ". ورواه هكذا: كأن بنحره وبمنكبيه عبيرا بات يعبؤه عروس." (١)

"على أن المراد باللزام هنا ما نزل بهم يوم بدر، وهو قول عبد الله ابن مسعود وأبي بن كعب وأبي مالك ومجاهد ومقاتل وغيرهم. وفي صحيح مسلم عن عبد الله: وقد مضت البطشة والدخان واللزام. وسيأتي مبينا في سورة" الدخان" إن شاء الله تعالى. وقالت فرقة: هو توعد بعذاب الآخرة. وعن ابن مسعود أيضا: اللزام التكذيب نفسه، أي لا يعطون التوبة منه، ذكره الزهراوي، فدخل في هذا يوم بدر وغيره من العذاب الذي يلزمونه. وقال أبو عبيدة: لزاما فيصلا [أي] فسوف يكون فيصلا بينكم وبين المؤمنين. والجمهور من القراء على كسر اللام، وأنشد أبو عبيدة لصخر: فإما ينجوا من خسف أرض فقد لقيا حتوفهما لزاما ولزاما وملازمة واحد. وقال الطبري:" لزاما" يعني عذابا دائما لازما، وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم ببعض، كقول أبي ذؤيب: ففاجأه بعادية «١» لزام كما يتفجر الحوض اللقيف يعني باللزام الذي يتبع بعضه بعضا، وباللقيف المتساقط الحجارة المتهدم. النحاس: وحكى أبو حاتم عن أبي زيد قال سمعت قعنبا أبا السمال يقرأ:" لزاما" بفتح اللام. قال أبو جعفر: يكون مصدر لزم والكسر أولى، يكون مثل قتال ومقاتلة، كما أجمعوا على الكسر في قوله عز وجل:" ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى". قال غيره: اللزام بالكسر مصدر لازم لزاما مثل خاصم خصاما، واللزام بالفتح مصدر لزم مثل سلم سلاما أي سلامة، فاللزام بالفتح اللزوم، واللزام الملازمة، والمصدر في القراءتين وقع موقع اسم الفاعل، فاللزام وقع موقع ملازم، واللزام وقع موقع لازم. كما قال تعالى:" قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا" أي غائرا. قال النحاس: وللفراء قول في اسم يكون، قال: يكون مجهولا وهذا غلط، لأن المجهول لا يكون خبره إلا جملة، كما قال تعالى:" إنه من يتق ويصبر" وكما حكى النحويون كان زيد منطلق ويكون المبتدأ وخبره خبر المجهول، والتقدير:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٨٤

كان الحديث، فأما أن يقال كان منطلقا، ويكون في كان مجهول فلا يجوز عند أحد علمناه. وبالله التوفيق وهو المستعان والحمد لله رب العالمين.

---

(١). العادية: القوم يعدون على أرجلهم، أي فحملتهم لزام كأنهم لزموه لا يفارقون ما هم فيه. وشبه حملتهم بتهدم الحوض إذا تهدم. ويروي:

فلم ير غير عادية لزاما." (١)

"[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢١٠ الى ٢١٣]

وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢) فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣)

قوله تعالى: (وما تنزلت به الشياطين) يعني القرآن بل ينزل به الروح الأمين. (وما ينبغي لهم وما يستطيعون. إنهم عن السمع لمعزولون) أي برمي الشهب كما مضى في سورة" الحجر" «١» بيانه. وقرأ الحسن ومحمد بن السميقع:" وما تنزلت به الشياطين" قال المهدوي: وهو غير جائز في العربية ومخالف للخط. وقال النحاس: وهذا **غلط** عند جميع النحويين، وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول: هذا **غلط** عند العلماء، إنما يكون بدخول شبهة، لما رأى الحسن في آخره ياء ونونا وهو في موضع رفع اشتبه عليه بالجمع المسلم **فغلط**، وفي الحديث:" احذروا زلة العالم" وقد قرأ هو مع الناس" وإذا خلوا إلى شياطينهم" ولو كان هذا بالواو في موضع رفع لوجب حذف النون للإضافة. وقال الثعلبي: قال الفراء: **غلط** الشيخ- يعني الحسن- فقيل ذلك للنضر بن شميل فقال: إن جاز أن يحتج بقول رؤبة والعجاج وذويهما، جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ بذلك إلا وقد سمعا في ذلك شيئا، وقال المؤرج: إن كان الشيطان من شاط يشيط كان لقراءتهما وجه. وقال يونس بن حبيب: سمعت أعرابيا يقول دخلنا بساتين من ورائها بساتون، فقلت: ما أشبه هذا بقراءة الحسن. قوله تعالى: (فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) قيل: المعنى قل لمن كفرا هذا. وقيل: هو مخاطبة له عليه لسلام وإن كان لا يفعل هذا، لأنه معصوم مختار ولكنه خوطب بهذا والمقصود غيره. ودل على هذا قوله:" وأنذر عشيرتك الأقربين" أي لا يتكلون على نسبهم وقرابتهم فيدعون ما يجب عليهم.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٨٦/١٣

(١). راجع ج ١٠ ص ١٠ وما بعدها طبعه أولى أو ثانية. [.....]." [١]

"وعطاء وابن زيد وغيرهم. قال مجاهد: هما صيحتان أما الاولى فتميت كل شي بإذن الله، وأما الأخرى فتحيي كل شي بإذن الله. وقال عطاء:" الراجفة" القيامة و" الرادفة" البعث. وقال ابن زيد:" الراجفة" الموت و" الرادفة" الساعة. والله أعلم." إلا من شاء الله" ثم اختلف في هذا المستثنى من هم. ففي حديث أبي هريرة أنهم الشهداء عند ربهم يرزقون إنما يصل الفزع إلى الأحياء، وهو قول سعيد بن جبير أنهم الشهداء متقلدو السيوف حول العرش وقال القشيري: الأنبياء داخلون في جملتهم، لأن لهم الشهادة مع النبوة وقيل: الملائكة. قال الحسن: استثنى طوائف من الملائكة يموتون بين النفختين. قال مقاتل: يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. وقيل: الحور العين. وقيل: هم المؤمنون، لأن الله تعالى قال عقب هذا:" من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون". وقال بعض علمائنا: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل. قلت: خفي عليه حديث أبي هريرة وقد صححه القاضي أبو بكر العربي فليعول عليه، لأنه نص في التعيين وغيره اجتهاد. والله أعلم. وقيل غير هذا ما يأتي في" الزمر «١» ". وقوله" ففزع من في السماوات" ماض و" ينفخ" مستقبل فيقال: كيف عطف ماض على مستقبل؟ فزعم الفراء أن هذا محمول على المعنى، لأن المعنى: إذا نفخ في الصور ففزع." إلا من شاء الله" نصب على الاستثناء. (وكل أتوه داخرين) قرأ أبو عمر وعاصم والكسائي ونافع وابن عامر وابن كثير:" آتوه" جعلوه فعلا مستقبلا. وقرأ الأعمش ويحيى وحمزة وحفص عن عاصم:" وكل أتوه" مقصورا على الفعل الماضي، وكذلك قرأه ابن مسعود وعن قتادة" وكل أتاه داخرين" قال النحاس: وفي كتابي عن أبي إسحاق في القراءات من [قرأ] «٢» " وكل أتوه" وحده على لفظ" كل" ومن قرأ" أتوه" جمع على معناها، وهذا القول **غلط** قبيح، لأنه إذا قال:" وكل أتوه" فلم يوحد وإنما جمع،

---

(١). راجع ج ١٥ ص ٢٧٧ فما بعد.

(٢). الزيادة من" إعراب القرآن" للنحاس.." [٢]

---

(١) تفسير القرطبي ، شمس الدين القرطبي ١٤٢/١٣

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٤١/١٣

"قوله تعالى: (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) قال ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وأبو عمران الجوني وأبو عبيدة:" فارغا" أي خاليا من ذكر كل شي في الدنيا إلا من ذكر موسى وقال الحسن أيضا وابن إسحاق وابن زيد:" فارغا" من الوحي إذ أوحى إليها حين أمرت أن تلقيه في البحر" لا تخافي ولا تحزني" والعهد الذي عهده إليها أن يرده ويجعله من المرسلين، فقال لها الشيطان: يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فغرقتيه أنت! ثم بلغها أن ولدها وقع في يد فرعون فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها وقال أبو عبيدة:" فارغا" من الغم والحزن لعلمها أنه لم يغرق، وقاله الأخفش أيضا وقال العلاء بن زياد:" فارغا" نافرا الكسائي: ناسيا ذاهلا وقيل: والها، رواه سعيد بن جبير ابن القاسم عن مالك: هو ذهاب العقل، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والدهش، ونحوه قوله تعالى:" وأفئدتهم هواء" أي جوف لا عقول لها كما تقدم في سورة" إبراهيم" «١». وذلك أن القلوب مراكز العقول، ألا ترى إلى قوله تعالى:" فتكون لهم قلوب يعقلون بها" ويدل عليه قراءة من قرأ:" فزعا". النحاس: أصح هذه الأقوال الأول، والذين قالوه أعلم بكتاب الله عز وجل، فإذا كان فارغا من كل شي إلا من ذكر موسى فهو فارغ من الوحي. وقول أبي عبيدة فارغا من الغم **غلط** قبيح، لأن بعده" إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها". روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كادت تقول وا ابناه! وقرا فضالة ابن عبيد الأنصاري رضي الله عنه ومحمد بن السميقع وأبو العالية وابن محيصن" فزعا" بالفاء والعين المهملة من الفزع، أي خائفة عليه أن يقتل ابن عباس:" قرعا" بالقاف والراء والعين المهملتين، وهي راجعة إلى قراءة الجماعة" فارغا" ولذلك قيل للرأس الذي لا شعر عليه: أقرع، لفراغه من الشعر وحكى قطرب أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قرأ:" فرغا" بالفاء والراء والغين المعجمة من غير ألف، وهو كقولك: هدرا وباطلا، يقال:

---

(١). راجع ج ٩ ص ٣٧٧ وما بعدها طبعه أولى أو ثانية.." [1]

"(ومنهم من أخذته الصيحة) يعني ثمودا وأهل مدين. (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعني قارون (ومنهم من أغرقنا) قوم نوح وقوم فرعون. (وما كان الله ليظلمهم) لأنه أنذرهم وأمهلهم وبعث إليهم الرسل وأزاح العذر.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٢٥٥

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٣]
مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣)
قوله تعالى: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت) قال الأخفش:"كمثل العنكبوت" وقف تام، ثم قصتها فقال: (اتخذت بيتا) قال ابن الأنباري: وهذا غلط، لأن" اتخذت بيتا" صلة للعنكبوت، كأنه قال: كمثل التي اتخذت بيتا، فلا يحسن الوقف على الصلة دون الموصول، وهو بمنزلة قوله:"كمثل الحمار يحمل أسفارا" فيحمل صلة للحمار ولا يحسن الوقف على الحمار دون يحمل. قال الفراء: هو مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره، كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا. ولا يحسن الوقف على العنكبوت، لأنه لما قصد بالتشبيه لبيتها الذي لا يقيها من شي، فشبهت الآلهة التي لا تنفع ولا تضر به. (وإن أوهن البيوت) أي أضعف البيوت (لبيت العنكبوت). قال الضحاك: ضرب مثلا لضعف آلهتهم ووهنها فشبهها ببيت العنكبوت. (لو كانوا يعلمون) " لو" متعلقه ببيت العنكبوت. أي لو علموا أن عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيئا، وأن هذا مثلهم لما عبدوها، لا أنهم يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف. وقال النحاة: إن تاء العنكبوت في آخرها مزيدة، لأنها تسقط في التصغير والجمع وهي مؤنثة. وحكى الفراء تذكيرها وأنشد:
على هطالهم منهم بيوت ... كأن العنكبوت قد ابتناها." (١)

"صلى الله عليه وسلم ترجاه من ظهور دينه وشرع الله الذي بعثه به وغلبته على الأمم، وإرادة كفار مكة أن يرميه الله بملك يستأصله ويريحهم منه. وقيل: سرورهم إنما كان بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين، لأن جبريل أخبر بذلك النبي عليه السلام يوم بدر، حكاه القشيري. قلت: ويحتمل أن يكون سرورهم بالمجموع من ذلك، فسروا بظهورهم على عدوهم وبظهور الروم أيضا وبإنجاز وعد الله. وقرأ أبو حيوة الشامي ومحمد بن السميقع" من بعد غلبهم" بسكون اللام، وهما لغتان، مثل الظعن والظعن. وزعم الفراء أن الأصل" من بعد غلبتهم" فحذفت التاء كما حذفت في قوله عز وجل" وأقام الصلاة" وأصله وإقامة الصلاة. قال النحاس:" وهذا **غلط** لا يخيل «١» على كثير من أهل النحو، لأن" أقام الصلاة" مصدر قد حذف منه لاعتلال فعله، فجعلت التاء عوضا من المحذوف، و" غلب" ليس بمعتل ولا حذف

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٤٥/١٣

منه شي. وقد حكى الأصمعي: طرد طردا، وجلب جلبا، وحلب حلبا، وغلب غلبا، فأي حذف في هذا، وهل يجوز أن يقال في أكل أكلا وما أشبهه-: حذف منه"؟. (في بضع سنين) حذفت الهاء من" بضع" فرقا بين المذكر والمؤنث، وقد مضى الكلام فيه في" يوسف" «٢». وفتحت النون من" سنين" لأنه جمع مسلم. ومن العرب من يقول" في بضع سنين" كما يقول في" غسلين". وجاز أن يجمع سنة جمع من يعقل بالواو والنون والياء والنون، لأنه قد حذف منها شي فجعل هذا الجمع عوضا من النقص الذي في واحده، لأن أصل" سنة" سنهة أو سنوة، وكسرت السين منه دلالة على أن جمعه خارج عن قياسه ونمطه، هذا قول البصريين. ويلزم الفراء أن يضمها لأنه يقول: الضمة دليل على الواو وقد حذف من سنة واو في أحد القولين، ولا يضمها أحد علمناه. قوله تعالى: (لله الأمر من قبل ومن بعد) أخبر تعالى بانفراده بالقدرة وأن ما في العالم من غلبة وغيرها إنما هي منه وبإرادته وقدرته فقال" لله الأمر" أي إنفاذ الأحكام.

---

(١). أي لا يشكل وهو من أخال الشيء اشتبه.

(٢). راجع ج ٩ ص ١٩٧.." [١]

"عائشة، فدخل بغير إذن، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عيينة فأين الاستئذان)؟ فقال: يا رسول الله، ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت. قال: من هذه الحميراء إلى جنبك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذه عائشة أم المؤمنين) قال: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق. فقال: (يا عيينة، إن الله قد حرم ذلك). قال فلما خرج قالت عائشة: يا رسول الله، من هذا؟ قال: (أحمق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه). وقد أنكر الطبري والنحاس وغيرهما ما حكاه ابن زيد عن العرب، من أنها كانت تبادل بأزواجها. قال الطبري: وما فعلت العرب قط هذا. وما روي من حديث عيينة بن حصن من أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة ... الحديث، فليس بتبديل، ولا أراد ذلك، وإنما احتقر عائشة لأنها كانت صبية فقال هذا القول. قلت: وما ذكرناه من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة من أن البدل كان في الجاهلية يدل على خلاف ما أنكر من ذلك، والله أعلم. قال المبرد: وقرى" لا يحل" بالياء والتاء. فمن قرأ بالتاء فعلى معنى جماعة النساء، وبالياء من تحت على معنى جميع النساء. وزعم الفراء قال: اجتمعت القراء على أن القراءة بالياء، وهذا غلط، وكيف يقال: اجتمعت القراء وقد قرأ أبو عمرو بالتاء بلا اختلاف عنه! الثالثة- قوله تعالى: (ولو أعجبك حسنهن) قال ابن عباس: نزل ذلك بسبب

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٦

أسماء بنت عميس، أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات عنها جعفر بن أبي طالب، حسنها، فأراد أن يتزوجها، فنزلت الآية، وهذا حديث ضعيف قاله ابن العربي. الرابعة- في هذه الآية دليل على جواز أن ينظر الرجل إلى من يريد زواجها. وقد أراد المغيرة بن شعبة زواج امرأة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (انظر إليها فإنه أجدر أن يودم «١» بينكما). وقال عليه السلام لآخر: (انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا) أخرجه الصحيح. قال الحميدي وأبو الفرج الجوزي. يعني صفراء أو زرقاء. وقيل رمصاء «٢».

---

(١). أي أحرى أن تدوم المودة بينكما. يقال: أدم الله بينهما يأدم أدما أي ألف ووفق.

(٢). الرمص (بالتحريك): وسخ يجتمع في الموق فإن سال فهو غمص وإن جمد فهو رمص.." [1]

"ومريم، والفرقان" «١». و" من" في موضع نصب على الاستثناء المنقطع، أي لكن من آمن وعمل صالحا فإيمانه وعمله يقر بانه مني. وزعم الزجاج أنه في موضع نصب بالاستثناء على البدل من الكاف والميم التي في" تقربكم". النحاس: وهذا القول غلط، لأن الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل، ولو جاز هذا لجاز: رأيتك زيدا. وقول أبي إسحاق هذا هو قول الفراء. إلا أن الفراء لا يقول بدل لأنه ليس من لفظ الكوفيين، ولكن قوله يئول إلى ذلك، وزعم أن مثله" إلا من أتى الله بقلب سليم" «٢» يكون منصوبا عنده ب"- ينفع". وأجاز الفراء أن يكون" من" في موضع رفع بمعنى: ما هو إلا من آمن، كذا قال، ولست أحصل معناه. (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) يعني قوله:" من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها" «٣» [الانعام: ١٦٠] فالضعف الزيادة، أي لهم جزاء التضعيف، وهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول. وقيل: لهم جزاء الأضعاف، فالضعف في معنى الجمع، وإضافة الضعف إلى الجزاء كإضافة الشيء إلى نفسه، نحو: حق اليقين، وصلاة الأولى. أي لهم الجزاء المضعف، للواحد عشرة إلى ما يريد الله من الزيادة. وبهذه الآية استدل من فضل الغنى على الفقر. وقال محمد بن كعب: إن المؤمن إذا كان غنيا تقيا أتاه الله أجره مرتين بهذه الآية. (وهم في الغرفات آمنون) قراءة العامة" جزاء الضعف" بالإضافة. وقرأ الزهري ويعقوب ونصر بن عاصم" جزاء" منونا منصوبا" الضعف" رفعا، أي فأولئك لهم الضعف جزاء، على التقديم والتأخير. و" جزاء الضعف" على أن يجازوا الضعف. و" جزاء الضعف" مرفوعان، الضعف بدل من جزاء. وقرأ الجمهور أيضا" في الغرفات" على الجمع، وهو اختيار أبي عبيد، لقوله:" لنبوئنهم من الجنة غرفا" «٤»

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٢٢١

[العنكبوت: ٥٨]. الزمخشري: وقرى" في الغرفات" بضم الراء وفتحها وسكونها. وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة وخلف" في الغرفة" على التوحيد، لقوله تعالى:" أولئك يجزون «٥» الغرفة" [الفرقان: ٧٥]. والغرفة قد يراد بها اسم الجمع واسم الجنس. قال ابن عباس: هي غرف

---

(١). راجع ج ٤ ص ٧٢. [.....]

(٢). راجع ج ١١ ص ٨٠.

(٣). راجع ٧ ص ١٥٠

(٤). راجع ج ١٣ ص ٨٢.

(٥). راجع ج ٣ ص ١١٤١ و٣٥٩.." [1]

"أي قفوهم للحساب ثم سوقوهم إلى النار. وقيل: يساقون إلى النار أولا ثم يحشرون للسؤال إذا قربوا من النار." إنهم مسؤلون" عن أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم، قال القرظي والكلبي. الضحاك: عن خطاياهم. ابن عباس: عن لا إله إلا الله. وعنه أيضا: عن ظلم الخلق. وفي هذا كله دليل على أن الكافر يحاسب. وقد مضى في" الحجر" «١» الكلام فيه. وقيل سؤالهم أن يقال لهم:" لم يأتكم رسل منكم " [الأنعام: ١٣٠] إقامة الحجة. ويقال لهم:" ما لكم لا تناصرون" على جهة التقريع والتوبيخ، أي ينصر بعضكم بعضا فيمنعه من عذاب الله. وقيل: هو إشارة إلى قول أبي جهل يوم بدر:" نحن جميع منتصر" [القمر: ٤٤]. وأصله تتناصرون فطرحت إحدى التاءين تخفيفا. وشدد البزي التاء في الوصل. قوله تعالى:" بل هم اليوم مستسلمون" قال قتادة: مستسلمون في عذاب الله عز وجل. ابن عباس: خاضعون ذليلون. الحسن: منقادون. الأخفش: ملقون بأيديهم. والمعنى متقارب." وأقبل بعضهم على بعض" يعني الرؤساء والأتباع" يتساءلون" يتخاصمون. ويقال لا يتساءلون فسقطت لا. النحاس: وإنما **غلط** الجاهل باللغة فتوهم أن هذا من قوله:" فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون" [المؤمنون: ١٠١] إنما هو لا يتساءلون بالأرحام، فيقول أحدهم: أسألك بالرحم الذي بيني وبينك لما نفعتني، أو أسقطت لي حقا لك علي، أو وهبت لي حسنة. وهذا بين، لأن قبله" فلا أنساب بينهم" [المؤمنون: ١٠١]. أي ليس ينتفعون بالأنساب التي بينهم، كما جاء في الحديث:" إن الرجل ليسر بأن يصبح له على أبيه أو على ابنه حق فيأخذه منه لأنها الحسنات والسيئات"، وفي حديث آخر:" رحم الله امرأ كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فأتاه فاستحله قبل

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٣٠٦

أن يطالبه به فيأخذ من حسناته فإن لم تكن له حسنات زيد عليه من سيئات المطالب". و" يتساءلون" ها هنا إنما هو أن يسأل بعضهم بعضا ويوبخه في أنه أضله أو فتح ب١با من المعصية، يبين ذلك أن بعده" إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين" قال مجاهد: هو قول الكفار للشياطين. قتادة: هو قول الإنس للجن. وقيل: هو من قول

(١). راجع ج ١٠ ص ٦٠ طبعه أولى أو ثانيه.." (١)

"وإبراهيم صلوات الله عليهما، وكان أولى بالبيان من الفداء. وقال بعضهم: إن إبراهيم ما أمر بالذبح الحقيقي الذي هو فري الأوداج وإنهار الدم، وإنما رأى أنه أضجعه للذبح فتوهم أنه أمر بالذبح الحقيقي، فلما أتى بما أمر به من الإضجاع قيل له:" قد صدقت الرؤيا" وهذا كله خارج عن المفهوم. ولا يظن بالخليل والذبيح أن يفهما من هذا الأمر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم. وأيضا لو صحت هذه الأشياء لما احتيج إلى الفداء. الرابعة- قوله تعالى:" فانظر ماذا ترى " قرأ أهل الكوفة غير عاصم" ماذا تري" بضم التاء وكسر الراء من أري يري. قال الفراء: أي فانظر ماذا تري من صبرك وجزعك. قال الزجاج: لم يقل هذا أحد غيره، وإنما قال العلماء ماذا تشير، أي ما تريك نفسك من الرأي. وأنكر أبو عبيد" تري" وقال: إنما يكون هذا من رؤية العين خاصة. وكذلك قال أبو حاتم. النحاس: وهذا غلط، وهذا يكون من رؤية العين وغيرها وهو مشهور، يقال: أريت فلانا الصواب، وأريته رشده، وهذا ليس من رؤية العين. الباقون" ترى" مضارع رأيت. وقد روي عن الضحاك والأعمش" ترى" غير مسمى الفاعل. ولم يقل له ذلك على وجه المؤامرة في أمر الله، وإنما شاوره ليعلم صبره لأمر الله، أو لتقر عينه إذا رأى من ابنه طاعة في أمر الله. ف" قال يا أبت افعل ما تؤمر" أي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به

فوصل الفعل إلى الضمير فصار تؤمره ثم حذفت الهاء، كقوله:" وسلام على عباده الذين اصطفى " [النمل: ٥٩] أي اصطفاهم على ما تقدم «١». و" ما" بمعنى الذي." ستجدني إن شاء الله من الصابرين" قال بعض أهل الإشارة: لما استثنى وفقه الله للصبر. وقد مضى الكلام في" يا أبت" [يوسف: ٤] وكذلك في" يا بني" [يوسف: ٥] في" يوسف" «٢» وغيرها.

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧٤/١٥

(١). راجع ج ١٣ ص ٢٢ طبعه أولى أو ثانية.

(٢). راجع ج ٩ ص ١٢١ طبعه أولى أو ثانية. وج ٢ ص ١٣٦ طبعه ثانيه.." (١)

"قال ثعلب: اختلف الناس في قوله عز وجل ها هنا" بعلا" فقالت طائفة: البعل ها هنا الصنم. وقال طائفة: البعل ها هنا ملك. وقال ابن إسحاق: امرأة كانوا يعبدونها. والأول أكثر. وروى الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس:" أتدعون بعلا" قال: صنما. وروى عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس:" أتدعون بعلا" قال: ربا. النحاس: والقولان صحيحان، أي أتدعون صنما عملتموه ربا. يقال: هذا بعل الدار أي ربها. فالمعنى أتدعون ربا اختلقتموه، و" أتدعون" بمعنى أتسمون. حكى ذلك سيبويه. وقال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي: البعل الرب بلغة اليمن. وسمع ابن عباس رجلا من أهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال: من بعل هذه؟. أي من ربها، ومنه سمي الزوج بعلا. قال أبو دواد «١»:

ورأيت بعلك في الوغى ... ومتقلدا سيفا ورمحا

مقاتل: صنم كسره إلياس وهرب منهم. وقيل: كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا، وله أربعة أوجه، فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة، والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس، وهم أهل بعلبك من بلاد الشام. وبه سميت مدينتهم بعلبك كما ذكرنا." وتذرون أحسن الخالقين" أي أحسن من يقال له خالق. وقيل: المعنى أحسن الصانعين، لأن الناس يصنعون ولا يخلقون ن." الله ربكم ورب آبائكم الأولين" بالنصب في الأسماء الثلاثة قرأ الربيع بن خيثم والحسن وابن أبي إسحاق وابن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي. وإليها يذهب أبو عبيد وأبو حاتم. وحكى أبو عبيد أنها على النعت. النحاس: وهو **غلط** وإنما هو على البدل ولا يجوز النعت ها هنا، لأنه ليس بتخلية. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر وشيبة ونافع بالرفع. قال أبو حاتم: بمعنى هو الله ربكم. قال النحاس: وأولى مما قال أنه مبتدأ وخبر بغير إضمار ولا حذف. ورأيت علي بن سليمان يذهب إلى أن الرفع

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠٣/١٥

(١). هكذا في كل نسخ الأصل ونسبه في الكامل لعبد الله بن الزبعرى ورواء كما في المعاجم: يا ليت زوجك في الوغى إلخ وقد مضى للمصنف.." [١]

"كلمة واحدة، وإنما هي" لا" زيدت فيها التاء نحو رب وربت، وثم وثمت. قال أبو زبيد الطائي

طلبوا صلحنا ولات أوان ... وفأجبنا أن ليس حين بقاء

وقال آخر:

تذكر حب ليلى لات حينا ... ووأمسى الشيب فقطع القرينا

ومن العرب من يخفض بها، وأنشد الفراء:

فلتعرفن خلائقا مشمولة ... ولتندمن ولات ساعة مندم

وكان الكسائي والفراء والخليل وسيبويه والأخفش يذهبون إلى أن" ولات حين" التاء منقطعة من حين، ويقولون معناها وليست. وكذلك هو في المصاحف الجدد والعتق بقطع التاء من حين. وإلى هذا كان يذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى. وقال أبو عبيد القاسم ابن سلام: الوقف عندي على هذا الحرف" ولا" والابتداء" تحين مناص" فتكون التاء مع حين. وقال بعضهم:" لات" ثم يبتدئ فيقول:" حين مناص". قال المهدوي: وذكر أبو عبيد أن التاء في المصحف متصلة بحين وهو **غلط** عند النحويين، وهو خلاف قول المفسرين. ومن حجة أبي عبيد أن قال: إنا لم نجد العرب تزيد هذه التاء إلا في حين وأوان والآن، وأنشد لأبي وجزة السعدي

العاطفون تحين ما من عاطف ... ووالمطعمون زمان ابن المطعم

وأنشد لأبي زبيد الطائي

طلبوا صلحنا ولات أوان ... فأجبنا أن ليس حين بقاء

فأدخل التاء في أوان. قال أبو عبيد: ومن إدخالهم التاء في الآن، حديث ابن عمر وسأله رجل عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، فذكر مناقبه ثم قال: اذهب بها تلان معك. وكذلك قول الشاعر «١»:

نولي قبل نأي داري جمانا ... وصلينا كما زعمت تلانا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١٧/١٥

(١). هو جميل بن معمر وبعده:

إن خير الموصلين صفا ... - من يوافي خليله حيث كانا.." [(١)]

"ذهب به إلى المنة قال: من عليه، فإذا أخرجه مخرج الأمر أبرز النونين، لأنه كان مضاعفا فقال امنن. فيروى في الخبر أنه سخر له الشياطين، فمن شاء من عليه بالعتق والتخلية، ومن شاء أمسكه، قال قتادة والسدي. وعلى ما روى عكرمة عن ابن عباس: أي جامع من شئت من نسائك، واترك جماع من شئت منهن لا حساب عليك." وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب" أي إن أنعمنا عليه في الدنيا فله عندنا في الآخرة قربة وحسن مرجع.

[سورة ص (٣٨): الآيات ٤١ الى ٤٣]

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣)

قوله تعالى:" واذكر عبدنا أيوب" أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم في الصبر على المكاره." أيوب" بدل." إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب" وقرأ عيسى بن عمر" إني" بكسر الهمزة أي قال. قال الفراء: وأجمعت القراء على أن قرءوا" بنصب" بضم النون والتخفيف. النحاس: وهذا **غلط** وبعده مناقضة و**غلط** أيضا، لأنه قال: أجمعت القراء على هذا، وحكى بعده أنهم ذكروا عن يزيد بن القعقاع أنه قرأ:" بنصب" بفتح النون والصاد ف**غلط** على أبي جعفر، وإنما قرأ أبو جعفر:" بنصب" بضم النون والصاد، كذا حكاه أبو عبيد وغيره وهو مروي عن الحسن. فأما" بنصب" فقراءة عاصم الجحدري ويعقوب الحضرمي. وقد رويت هذه القراءة عن الحسن وقد حكي" بنصب" بفتح النون وسكون الصاد عن أبي جعفر. وهذا كله عند أكثر النحويين بمعنى النصب فنصب ونصب كحزن وحزن. وقد يجوزان يكون نصب جمع نصب كو، ثن ووثن. ويجوز أن يكون نصب بمعنى نصب حذفت منه الضمة، فأما" وما ذبح على النصب" [المائدة: ٣] فقيل: إنه جمع نصاب. وقال أبو عبيدة وغيره: النصب الشر والبلاء. والنصب التعب والإعياء. وقد قيل في معنى:" أني مسني الشيطان بنصب وعذاب" أي ما يلحقه من وسوسته لا غير. والله أعلم. ذكره." [(٢)]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤٧/١٥

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٠٧/١٥

"والسعادة: ألا إن فلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا، ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا. وهذا عند وزن الأعمال. وتنادي الملائكة أصحاب الجنة:" أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون" [الأعراف: ٤٣] وينادى حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت. وينادى كل قوم بإمامهم إلى غير ذلك من النداء. وقرأ الحسن وابن السميقع ويعقوب وابن كثير ومجاهد:" التناد" بإثبات الياء في الوصل والوقف على الأصل. وقرأ ابن عباس والضحاك وعكرمة" يوم التناد" بتشديد الدال. قال بعض أهل العربية: هذا لحن، لأنه من ند يند إذا مر على وجهه هاربا، كما قال الشاعر «١»:

وبرك هجود قد أثارت مخافتي ... نواديها أسعى بعضب مجرد

قال: فلا معنى لهذا في القيامة. قال أبو جعفر النحاس: وهذا غلط والقراءة بها حسنة على معنى يوم التنافر. قال الضحاك: ذلك إذا سمعوا زفير جهنم ندوا هربا، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا صفوفا من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله:" يوم التناد". وقوله:" يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض" [الرحمن: ٣٣] الآية. وقوله:" والملك على أرجائها" [الحاقة: ١٧] ذكره ابن المبارك بمعناه. قال: وأخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثنا عبد الجبار بن عبيد الله بن سلمان في قوله تعالى:" إني أخاف عليكم يوم التناد. يوم تولون مدبرين" ثم تستجيب لهم أعينهم بالدمع فيبكون حتى ينفد الدمع، ثم تستجيب لهم أعينهم بالدم فيبكون حتى ينفد الدم، ثم تستجيب لهم أعينهم بالقيح. قال: يرسل عليهم من الله أمر فيولون مدبرين، ثم تستجيب لهم أعينهم بالقيح، فيبكون حتى ينفد القيح فتغور أعينهم كالخرق في الطين. وقيل: إن هذا يكون عند نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور نفخة الفزع. ذكره علي بن معبد والطبري وغيرهما من حديث أبي هريرة، وفيه فتكون الأرض كالسفينة في البحر تضربها الأمواج فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل ما في بطونها وتشيب الولدان وتتطاير الشياطين

---

(١). هو طرفة. في اللسان: نواديه أمشى. يقول: إبل باركة نيام، ونواديها أي ما ند منها. ويروى هواديه أي أواثلها. أي أثارت مخافتي نوادي هذا البرك حال مشى إليه بالسيف.." [1]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١١/١٥

"كقوله تعالى: (فسئل به خبيرا) «١» أي فاسأل عنه. النحاس: قول قتادة أولى، وتكون (عن) على بابها، أي ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو بوحي من الله عز وجل، لأن بعده: (إن هو إلا وحي يوحى). الثانية- قد يحتج بهذه الآية من لا يجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في الحوادث. وفيها أيضا دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل. وقد تقدم في مقدمة الكتاب حديث المقدام بن معدي كرب «٢» في ذلك والحمد لله. قال السجستاني: إن شئت أبدلت (إن هو إلا وحي يوحى) من (ما ضل صاحبكم) قال ابن الأنباري: وهذا غلط، لأن (إن) الخفيفة لا تكون مبدلة من (ما) الدليل على هذا أنك لا تقول: والله ما قمت إن أنا لقاعد. قوله تعالى: (علمه شديد القوى) يعني جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين، سوى الحسن فإنه قال: هو الله عز وجل، ويكون قوله تعالى: (ذو مرة) على قول الحسن تمام الكلام، ومعناه ذو قوة والقوة من صفات الله تعالى، وأصله من شدة فتل الحبل، كأنه استمر به الفتل حتى بلغ إلى غاية يصعب معها الحل. ثم قال: (فاستوى) يعني الله عز وجل، أي استوى على العرش. روي معناه عن الحسن. وقال الربيع بن أنس والفراء: (فاستوى. وهو بالأفق الأعلى) أي استوى جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وهذا على العطف على المضمر المرفوع ب (هو). وأكثر العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أظهروا كناية المعطوف عليه، فيقولون: استوى هو وفلان، وقلما يقولون استوى وفلان، وأنشد الفراء:

ألم تر أن النبع يصلب عوده ... ولا يستوي والخروع المتقصف «٣»

أي لا يستوي هو والخروع، ونظير هذا: (أإذا كنا ترابا وآباؤنا) «٤» والمعنى أئذا كنا ترابا نحن وآباؤنا. ومعنى الآية: استوى جبريل هو ومحمد عليهما السلام ليلة الإسراء بالأفق الأعلى.

---

(١). راجع ج ١٣ ص ٦٣ وص (٢٢٨)

(٢). راجع ج ١ ص (٣٧)

(٣). النبع: شجر في الجبال تؤخذ منه القسي. والخروع معروف. والمتقصف: المتكسر.

(٤). راجع ج ١٣ ص ٦٣ وص (٢٢٨)." [1]

"الثالثة- قال القاضي أبو بكر في كتاب الأحكام له:" استدل به بعض من تعقد عليه الخناصر على وجوب نفقة الابن المسلم على أبيه الكافر. وهذه وهلة «١» عظيمة، إذ الإذن في الشيء أو ترك النهي عنه

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٧/٨٥

لا يدل على وجوبه، وإنما يعطيك الإباحة خاصة. وقد بينا أن إسماعيل بن إسحاق القاضي دخل عليه ذمي فأكرمه، فأخذ عليه الحاضرون في ذلك، فتلا هذه الآية عليهم".

[سورة الممتحنة (٦٠): آية ٩]

إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون (٩)

قوله تعالى: (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين) أي جاهدوكم على الدين (وأخرجوكم من دياركم) وهم عتاة أهل مكة. (وظاهروا) أي عاونوا على إخراجكم وهم مشركو أهل مكة (أن تولوهم) أن في موضع جر على البدل على ما تقدم في أن تبروهم. (ومن يتولهم) أي يتخذهم أولياء وأنصارا وأحبابا (فأولئك هم الظالمون).

[سورة الممتحنة (٦٠): آية ١٠]

يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم (١٠)

---

(١). وهل عن الشيء وفى الشيء- بالكسر-: إذا غلط فيه رمها.." [(١)]

"يطوف عليهم أي على الأبرار ولدان عاليا الأبرار ثياب سندس، أي يطوف عليهم في هذه الحال، والثاني: أن يكون حالا من الولدان، أي إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في حال علو الثياب أبدانهم. وقال أبو علي: العامل في الحال إما لقاهم نضرة وسرورا وإما جزاهم بما صبروا قال: ويجوز أن يكون ظرفا فصرف. المهدوي: ويجوز أن يكون اسم فاعل ظرفا، كقولك هو ناحية من الدار، وعلى أن عاليا لما كان بمعنى فوق أجري مجراه فجعل ظرفا. وقرأ ابن محيصن وابن كثير وأبو بكر عن عاصم خضر بالجر على نعت السندس وإستبرق بالرفع نسقا على الثياب، ومعناه عاليهم [ثياب «١»] سندس وإستبرق. وقرأ ابن عامر

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨/٦٠

وأبو عمرو ويعقوب خضر رفعا نعتا للثياب وإستبرق بالخفض نعتا للسندس، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لجودة معناه، لأن الخضر أحسن ما كانت نعتا للثياب فهي مرفوعة، وأحسن ما عطف الإستبرق على السندس عطف جنس على جنس، والمعنى: عاليهم ثياب خضر من سندس وإستبرق، أي من هذين النوعين. وقرأ نافع وحفص كلاهما بالرفع ويكون خضر نعتا للثياب، لأنهما جميعا بلفظ الجمع وإستبرق عطفا على الثياب. وقرأ الأعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي كلاهما بالخفض ويكون قوله: خضر نعتا للسندس، والسندس اسم جنس، وأجاز الأخفش وصف اسم الجنس بالجمع على استقباح له، وتقول: أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض، ولكنه مستبعد في الكلام. والمعنى على هذه القراءة: عاليهم ثياب سندس خضر وثياب إستبرق. وكلهم صرف الإستبرق إلا ابن محيصن، فإنه فتحه ولم يصرفه فقرأ (وإستبرق) نصبا في موضع الجر، على منع الصرف، لأنه أعجمي، وهو غلط، لأنه نكرة يدخله حرف التعريف، تقول الإستبرق إلا أن يزعم [ابن محيصن «٢»] أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب. وقرى (واستبرق) بوصل الهمزة والفتح على أنه سمي باستفعل من البريق، وليس بصحيح أيضا، لأنه معرب مشهور تعريبه، وأن أصله استبرك «٣» والسندس: ما رق من الديباج. والإستبرق: ما غلظ منه. وقد تقدم «٤».

---

(١). زيادة تقتضيها العبارة.

(٢). زيادة من ا، ح.

(٣). في الأصل إستبرق وهو تحريف والتصويب من القاموس الفارسي. وفي الألفاظ الفارسية وشرح القاموس أصله: (استبره). [.....]

(٤). راجع ج ١٠ ص ٣٩٧ وج ١٧ ص ١٧٩." [١]

"قوله تعالى: (وإذا الأرض مدت) أي بسطت ودكت جبالها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (تمد مد الأديم) لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وامتد واستوى. قال ابن عباس وابن مسعود: ويزاد وسعتها كذا وكذا، لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه، لكثرة الخلائق فيها. وقد مضى في سورة" إبراهيم" «١» أن الأرض تبدل بأرض أخرى وهي الساهرة في قول ابن عباس على ما تقدم عنه «٢». (وألقت ما فيها وتخلت) أي أخرجت أمواتها، وتخلت عنهم. وقال ابن جبير: ألقت ما في بطنها من الموتى، وتخلت ممن على ظهرها من الأحياء. وقيل: ألقت ما في بطنها من كنوزها

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤٦/١٩

ومعادنها، وتخلت منها. أي خلا جوفها، فليس في بطنها شي، وذلك يؤذن بعظم الأمر، كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة. وقيل: تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها. وقيل: ألقت ما استودعت، وتخلت مما استحفظت، لأن الله تعالى استودعها عباده أحياء وأمواتا، واستحفظها بلاده مزارعة وأقواتا. (وأذنت لربها) أي في إلقاء موتاها (وحقت) أي وحق لها أن تسمع أمره. واختلف في جواب إذا فقال الفراء: أذنت. والواو زائدة، وكذلك وألقت. ابن الأنباري: قال بعض المفسرين: جواب إذا السماء انشقت أذنت، وزعم أن الواو مقحمة وهذا غلط، لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع (حتى- إذا) كقوله تعالى: حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها [الزمر: ٧١] ومع (لما) كقوله تعالى: فلما أسلما وتله للجبين. وناديناه [الصافات: ١٠٣ - ١٠٤] معناه ناديناه والواو لا تقحم مع غير هذين. وقيل: الجواب فاء مضمرة كأنه قال: إذا السماء انشقت ف يا أيها الإنسان إنك كادح. وقيل: جوابها ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه إذا السماء انشقت. قاله المبرد. وعنه أيضا: الجواب فأما من أوتي كتابه بيمينه وهو قول الكسائي، أي إذا السماء انشقت فمن أوتي كتابه بيمينه فحكمه كذا. قال أبو جعفر النحاس: وهذا أصح

---

(١). راجع ج ٩ ص ٣٨٣.

(٢). راجع ص ١٩٦ من هذا الجزء.." [١]

"كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول عمل يوم كذا كذا وكذا. قال: فهذه أخبارها (. قال حديث حسن غريب صحيح. وقيل: الشاهد الخلق، شهدوا لله عز وجل بالوحدانية. والمشهود له بالتوحيد هو الله تعالى. وقيل: المشهود يوم الجمعة، كما روى أبو الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ...) وذكر الحديث. خرجه ابن ماجه وغيره. قلت: فعلى هذا يوم عرفة مشهود، لأن الملائكة تشهده، وتنزل فيه بالرحمة «١». وكذا يوم النحر إن شاء الله. وقال أبو بكر العطار: الشاهد الحجر الأسود، يشهد لمن لمسه بصدق وإخلاص ويقين. والمشهود الحاج. وقيل: الشاهد الأنبياء، والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم، بيانه: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة- إلى قوله تعالى: وأنا معكم من الشاهدين [آل عمران: ٨١].

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩/٢٧٠

[سورة البروج (٨٥): الآيات ٤ الى ٧]

قتل أصحاب الأخدود (٤) النار ذات الوقود (٥) إذ هم عليها قعود (٦) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (٧)

قوله تعالى: (قتل أصحاب الأخدود) أي لعن. قال ابن عباس: كل شي في القرآن قتل فهو لعن. وهذا جواب القسم- في قول الفراء- واللام فيه مضمرة، كقوله: والشمس وضحاها [الشمس: ١] ثم قال قد أفلح من زكاها [الشمس: ٩]: أي لقد أفلح. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج، قاله أبو حاتم السجستاني. ابن الأنباري: وهذا **غلط** لأنه لا يجوز لقائل أن يقول: والله قام زيد على معنى قام زيد والله. وقال قوم: جواب القسم إن بطش ربك لشديد وهذا قبيح، لأن الكلام قد طال بينهما. وقيل: إن الذين فتنوا. وقيل: جواب القسم محذوف، أي والسماء ذات البروج لتبعثن. وهذا اختيار ابن الأنباري. والأخدود: الشق العظيم

---

(١). راجع ج ٤ ص ١٢٤." [1]

"الثانية والعشرون- قوله تعالى:" فيتعلمون منهما" قال سيبويه: التقدير فهم يتعلمون، قال ومثله" كن فيكون". وقيل: هو معطوف على موضع" ما يعلمان"، لأن قوله:" وما يعلمان" وإن دخلت عليه ما النافية فمضمنه الإيجاب في التعليم. وقال الفراء: هي مردودة على قوله:" يعلمون الناس السحر" ... فيتعلمون، ويكون" فيتعلمون" متصلة بقول" إنما نحن فتنة" فيأتون فيتعلمون. قال السدي: كانا يقولان لمن جاءهما: إنما نحن فتنة فلا تكفر، فإن أبى أن يرجع قالا له: ائت هذا الرماد فبل فيه، فإذا بال فيه خرج منه نور يسطع إلى السماء، وهو الإيمان، ثم يخرج منه دخان أسود فيدخل في أذنيه وهو الكفر، فإذا أخبرهما بما رآه من ذلك علماه ما يفرقون به بين المرء وزوجه. ذهبت طائفة من العلماء إلى أن الساحر ليس يقدر على أكثر مما أخبر الله عنه من التفرقة، لأن الله ذكر ذلك في معرض الذم للسحر والغاية في تعليمه، فلو كان يقدر على أكثر من ذلك لذكره. وقالت طائفة: ذلك خرج على الأغلب، ولا ينكر أن السحر له تأثير في القلوب، بالحب والبغض وبإلقاء الشرور حتى يفرق الساحر بين المرء وزوجه، ويحول بين المرء وقلبه، وذلك بإدخال الآلام وعظيم الأسقام، وكل ذلك مدرك بالمشاهدة وإنكاره معاندة، وقد تقدم هذا، والحمد لله.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٨٦/١٩

الثالثة والعشرون- قوله تعالى:" وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله"" ما هم"، إشارة إلى السحرة. وقيل إلى اليهود، وقيل إلى الشياطين." بضارين به" أي بالسحر." من أحد" أي أحدا، ومن زائدة." إلا بإذن الله" بإرادته وقضائه لا بأمره، لأنه تعالى لا يأمر بالفحشاء ويقضي على الخلق بها. وقال الزجاج:" إلا بإذن الله" إلا بعلم الله. قال النحاس: وقول أبي إسحاق" إلا بإذن الله" إلا بعلم الله غلط، لأنه إنما يقال في العلم أذن، وقد أذنت أذنا. ولكن لما لم يحل فيما بينهم وبينه وظلوا يفعلونه كان كأنه أباحه مجازا. الرابعة والعشرون- قوله تعالى:" ويتعلمون ما يضرهم" يريد في الآخرة وإن أخذوا بها نفعا قليلا في الدنيا. وقيل: يضرهم في الدنيا، لأن ضرر السحر والتفريق يعود." [١]

"الأدم فاشربوا في كل وعاء غير ألا تشربوا مسكرا) ونحوه. ومنها- أن يذكر الراوي التاريخ، مثل أن يقول: سمعت عام الخندق، وكان المنسوخ معلوما قبله. أو يقول: نسخ حكم كذا بكذا. ومنها- أن تجمع الأمة على حكم أنه منسوخ وأن ناسخه متقدم. وهذا الباب مبسوط في أصول الفقه، نبهنا منه على ما فيه لمن اقتصر كفاية، والله الموفق للهداية. الثالثة عشرة- قرأ الجمهور" ما ننسخ" بفتح النون، من نسخ، وهو الظاهر المستعمل على معنى: ما نرفع من حكم آية ونبقي تلاوتها، كما تقدم. ويحتمل أن يكون المعنى: ما نرفع من حكم آية وتلاوتها، على ما ذكرناه. وقرأ ابن عامر" ننسخ" بضم النون، من أنسخت الكتاب، على معنى وجدته منسوخا. قال أبو حاتم: هو غلط: وقال الفارسي أبو علي: ليست لغة، لأنه لا يقال: نسخ وأنسخ بمعنى، إلا أن يكون المعنى ما نجده منسوخا، كما تقول: أحمدت الرجل وأبخلته، بمعنى وجدته محمودا وبخيلا. قال أبو علي: وليس نجده منسوخا إلا بأن ننسخه، فتتفق القراءتان في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ. وقيل:" ما ننسخ" ما نجعل لك نسخه، يقال: نسخت الكتاب إذا كتبته، وانتسخته غيري إذا جعلت نسخه له. قال مكي: ولا يجوز أن تكون الهمزة للتعدي، لأن المعنى يتغير، ويصير المعنى ما ننسخك من آية يا محمد، وإنساخه إياها إنزالها عليه، فيصير المعنى ما ننزل عليك من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها، فيؤول المعنى إلى أن كل آية أنزلت أتى بخير منها، فيصير القرآن كله منسوخا وهذا لا يمكن، لأنه لم ينسخ إلا اليسير من القرآن. فلما امتنع أن يكون أفعل وفعل بمعنى إذ لم يسمع، وامتنع أن تكون الهمزة للتعدي لفساد المعنى، لم يبق ممكن إلا أن يكون من باب أحمدته وأبخلته إذا وجدته محمودا أو بخيلا. الرابعة عشرة- قوله تعالى:" أو ننسها" قرأ أبو عمرو وابن كثير بفتح النون والسين والهمز، وبه قرأ عمر وابن عباس وعطاء ومجاهد وأبي بن كعب وعبيد بن عمير والنخعي وابن محيصن، من التأخير، أي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢/٥٥

نؤخر نسخ لفظها، أي نتركه في آخر «١» أم الكتاب فلا يكون «٢». وهذا قول عطاء. وقال غير عطاء: معنى أو ننسأها: نؤخرها عن النسخ إلى وقت معلوم، من قولهم:

---

(١). كذا في نسخة أوالذي في ب، ج، ح، ز:" في أم الكتاب".

(٢). في ح:" فلا تكن نسخا".." [١]

"فسألوه عمن يؤمن به من الأنبياء، فنزلت الآية. فلما جاء ذكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا من آمن به. قوله تعالى:" وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط" جمع إبراهيم براهيم، وإسماعيل سماعيل، قاله الخليل وسيبويه، وقاله الكوفيون، وحكوا براهمة وسماعلة، وحكوا براهم وسماعل. قال محمد بن يزيد: هذا غلط، لأن الهمزة ليس هذا موضع زيادتها، ولكن أقول: أباره وأسامع، ويجوز أباريه وأساميع. وأجاز أحمد بن يحيى براه، كما يقال في التصغير بريه. وجمع إسحاق أساحيق، وحكى الكوفيون أساحقة وأساحق، وكذا يعقوب ويعاقيب، ويعاقبة ويعاقب. قال النحاس: فأما إسرائيل فلا نعلم أحدا يجيز حذف الهمزة من أوله، وإنما يقال أساريل، وحكى الكوفيون أسارلة وأسارل. والباب في هذا كله أن يجمع مسلما فيقال: إبراهيمون وإسحاقون ويعقوبون، والمسلم لا عمل فيه. والأسباط: ولد يعقوب عليه السلام، وهم اثنا عشر ولدا، ولد لكل واحد منهم أمة من الناس، واحدهم سبط. والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل. وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون. وقيل: أصله من السبط (بالتحريك) وهو الشجر، أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر، الواحدة سبطة. قال أبو إسحاق الزجاج: ويبين لك هذا ما حدثنا به محمد بن جعفر الأنباري قال حدثنا أبو نجيد «١» الدقاق قال حدثنا الأسود بن عامر قال حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوحا وشعيبا وهودا وصالحا ولوطا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمدا صلى الله عليه وسلم. ولم يكن أحد له اسمان إلا عيسى ويعقوب. والسبط: الجماعة والقبيلة الراجعون إلى أصل واحد. وشعر سبط وسبط: غير جعد. لا نفرق بين أحد منهم" قال الفراء: أي لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦٧/٢

(١). كذا في ج وتفسير ابن كثير في هذا الموضع. وفى سائر الأصول:" أبو مجيد" بالميم.." [1]

"قال ابن عطية: ووهم في هذا، لأن أبا عبيدة وغيره قال: الممترون في البيت هم الذين يمرون الخيل بأرجلهم همزا لتجري كأنهم يحتلبون الجري منها، وليس في البيت معنى الشك كما قال الطبري. قلت: معنى الشك فيه موجود، لأنه يحتمل أن يختبر الفرس صاحبه هل هو على ما عهد من الجري أم لا، لئلا يكون أصابه شي، أو يكون هذا عند أول شرائه فيجريه ليعلم مقدار جريه. قال الجوهري: ومريت الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط أو غيره. والاسم المرية (بالكسر) وقد تضم. ومريت الناقة مريا: إذا مسحت ضرعها لتدر. وأمرت هي إذا در لبنها، والاسم المرية (بالكسر)، والضم غلط. والمرية: الشك، وقد تضم، وقرئ بهما.

[سورة البقرة (٢): آية ١٤٨]

ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير (١٤٨)

فيه أربع مسائل: الاولى- قوله تعالى:"- لكل وجهة

" الوجهة وزنها فعلة من المواجهة. والوجهة والجهة والوجه بمعنى واحد، والمراد القبلة، أي إنهم لا يتبعون قبلتك وأنت لا تتبع قبلتهم، ولكل وجهة إما بحق وإما بهوى. الثانية- قوله تعالى:"وموليها

"" هو" عائد على لفظ كل لا على معناه، لأنه لو كان على المعنى لقال: هم مولوها وجوههم، فالهاء والألف مفعول أول والمفعول الثاني محذوف، أي هو موليها وجهه ونفسه. والمعنى: ولكل صاحب ملة قبلة، صاحب القبلة موليها وجهه، على لفظ كل، وهو قول الربيع وعطاء وابن عباس. وقال علي بن سليمان:"وليها

" أي متوليها. وقرأ ابن عباس وابن عامر" مولاها" على ما لم يسم فاعله. والضمير على هذه القراءة لواحد، أي ولكل واحد من الناس قبلة، الواحد مولاها أي مصروف إليها، قاله الزجاج. ويحتمل أن يكون على قراءة الجماعة" هو" ضمير اسم الله عز وجل وإن لم يجر له ذكر، إذ." [2]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢/١٤١

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢/١٦٤

"فإن قيل: إنه يجوز أن يكون كل واحد منهم منهيا عن الكتمان ومأمورا بالبيان ليكثر المخبرون ويتواتر بهم الخبر. قلنا: هذا غلط، لأنهم لم ينهوا عن الكتمان إلا وهم ممن يجوز عليهم التواطؤ عليه، ومن جاز منهم التواطؤ على الكتمان فلا يكون خبرهم موجبا للعلم، والله تعالى أعلم. الرابعة- لما قال:" من البينات والهدى " دل على أن ما كان من غير ذلك جائز كتمه، لا سيما إن كان مع ذلك خوف فإن ذلك آكد في الكتمان. وقد ترك أبو هريرة ذلك حين خاف فقال: حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم. أخرجه البخاري. قال أبو عبد الله «١»: البلعوم مجرى الطعام. قال علماؤنا: وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن والنص على أعيان المرتدين والمنافقين، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبينات والهدى. والله تعالى أعلم. الخامسة- قوله تعالى:" من بعد ما بيناه" الكناية في" بيناه" ترجع إلى ما أنزل من البينات والهدى. والكتاب: اسم جنس، فالمراد جميع الكتب المنزلة. السادسة- قوله تعالى:" أولئك يلعنهم الله" أي يتبرأ منهم ويبعد هم من ثوابه ويقول لهم: عليكم لعنتي، كما قال للعين:" وإن عليك لعنتي". وأصل اللعن في اللغة الإبعاد والطرد، وقد تقدم «٢». السابعة- قوله تعالى:" ويلعنهم اللاعنون" قال قتادة والربيع: المراد ب" اللاعنون" الملائكة والمؤمنون. قال ابن عطية: وهذا واضح جار على مقتضى الكلام. وقال مجاهد وعكرمة: هم الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم. قال الزجاج: والصواب قول من قال:" اللاعنون" الملائكة والمؤمنون، فأما أن يكون ذلك لدواب الأرض فلا يوقف على حقيقته إلا بنص أو خبر لازم ولم نجد من ذينك شيئا.

---

(١). أبو عبد الله: كنية البخاري رضى الله عنه.

(٢). يراجع ص ٢٥ من هذا الجزء.." [1]

"فنصب على المدح. وأما الذم فقوله تعالى:" ملعونين أينما ثقفوا «١» " [الأحزاب: ٦١] الآية.

وقال عروة ابن الورد:

سقوني الخمر ثم تكنفوني ... عداة الله من كذب وزور

وهذا مهيع «٢» في النعوت، لا مطعن فيه من جهة الإعراب، موجود في كلام العرب كما بينا. وقال بعض

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢/١٨٦

من تعسف في كلامه: إن هذا غلط من الكتاب حين كتبوا مصحف الإمام، قال: والدليل على ذلك ما روي عن عثمان أنه نظر في المصحف فقال: أرى «٣» فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها. وهكذا قال في سورة النساء" والمقيمين الصلاة" [النساء: ١٦٢]، وفي سورة المائدة" والصابئون" [«٤» المائدة: ٦٩]. والجواب ما ذكرناه. وقيل:" الموفون" رفع على الابتداء والخبر محذوف، تقديره وهم الموفون. وقال الكسائي:" والصابرين" عطف على" ذوي القربى "كأنه قال: وآتى الصابرين. قال النحاس:" وهذا القول خطأ وغلط بين، لأنك إذا نصبت" والصابرين" ونسقته على" ذوي القربى " دخل في صلة" من" وإذا رفعت" والموفون" على أنه نسق على" من" فقد نسقت على" من" من قبل أن تتم الصلة، وفرقت بين الصلة والموصول بالمعطوف". وقال الكسائي: وفي قراءة عبد الله" والموفين، والصابرين". وقال النحاس:" يكونان منسوقين على" ذوي القربى " أو على المدح. قال الفراء: وفي قراءة عبد الله في النساء" والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة «٥» " [النساء: ١٦٢]. وقرأ يعقوب والأعمش" والموفون والصابرون" بالرفع فيهما. وقرا

---

(١). راجع ج ١٤ ص ٢٤٧. [.....]

(٢). المهيع: الطريق الواسع البين.

(٣). هذا القول من أخبث ما وضع الوضاعون على عثمان رضى الله عنه، وقد أنكر العلماء صحة نسبته إليه. على أن عثمان لم يستقل بجمع المصحف بل شاركه؟؟ الصحابة في جمعه وكتابته ولم ينشروه بين المسلمين حتى قابلوه على الصحف التي جمع القرآن فيها على عهد أبي بكر رضي الله عنه، فلم يتداوله المسلمون إلا وهو بإجماع الصحابة موافق تمام الموافقة للعرضة الأخيرة التي عرض فيها النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل عليه السلام. وهل يظن ظان أن عثمان رضى الله عنه وهو ثالث الخلفاء الراشدين يرى في المصحف لحنا يخالف ما أنزل الله ويتركه ويقول: ستقيمه العرب بألسنتها! وكيف يفعل أن يقول ذلك في حضرة الصحابة ولا يقفون في وجهه ويردون عليه قوله وهم أنصار الدين وحماته. وممن أنكر نسبة هذا القول إلى عثمان المصنف والزمخشري وأبو حيان والآلوسي في سورة" النساء" عند قوله تعالى:" والمقيمين الصلاة" آية ١٦٢، راجع ج ٦ ص ١٣.

(٤). راجع ج ٦ ص ٢٤٦.

(٥). كذا في كتاب" إعراب القرآن" للنحاس، وما يدل عليه سياق الكلام في البحر المحيط لابي حيان في سورة" النساء". وفى الأصول:" والمقيمين ... والمؤتين".." [١]

"مجاهد عن عبد الرحمن عن كعب بن عجرة أنه حدثه أنه كان أهل في ذي القعدة، وأنه قمل رأسه فأتى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوقد تحت قدر له، فقال له: (كأنك يؤذيك هوام رأسك). فقال أجل. قال: (احلق واهد هديا). فقال: ما أجد هديا. قال: (فأطعم ستة مساكين). فقال: ما أجد. قال: (صم ثلاثة أيام). قال أبو عمر: كان ظاهر هذا الحديث على الترتيب وليس كذلك، ولو صح هذا كان معناه الاختيار أولا فأولا، وعامة الآثار عن كعب بن عجرة وردت بلفظ التخيير، وهو نص القرآن، وعليه مضى عمل العلماء في كل الأمصار وفتواهم، وبالله التوفيق. الرابعة- اختلف العلماء في الإطعام في فدية الأذى، فقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم: الإطعام في ذلك مدان بمد «١» النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول أبي ثور وداود. وروي عن الثوري أنه قال في الفدية: من البر نصف صاع، ومن التمر والشعير والزبيب صاع. وروي عن أبي حنيفة أيضا مثله، جعل نصف صاع بر عدل صاع تمر. قال ابن المنذر: وهذا غلط، لأن في بعض أخبار كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (أن تصدق بثلاثة أصوع من تمر على ستة مساكين). وقال أحمد بن حنبل مرة كما قال مالك والشافعي، ومرة قال: إن أطعم برا فمد لكل مسكين، وإن أطعم تمرا فنصف صاع. الخامسة- ولا يجزي أن يغدي المساكين ويعشيهم في كفارة الأذى حتى يعطي كل مسكين مدين بمد النبي صلى الله عليه وسلم. وبذلك قال مالك والثوري والشافعي ومحمد بن الحسن. وقال أبو يوسف: يجزيه أن يغديهم ويعشيهم. السادسة- أجمع أهل العلم على أن المحرم ممنوع من حلق شعره وجزه وإتلافه بحلق أو نورة أو غير ذلك إلا في حالة العلة كما نص على ذلك القرآن. وأجمعوا على وجوب الفدية على من حلق وهو محرم بغير علة، واختلفوا فيما على من فعل ذلك، أو لبس أو تطيب بغير عذر عامدا، فقال مالك: بئس ما فعل! وعليه الفدية، وهو مخير فيها، وسواء عنده العمد في ذلك والخطأ، لضرورة وغير ضرورة. وقال أبو حنيفة والشافعي وأصحابهما وأبو ثور:

---

(١). في ب، ز:" مدان مدان بمد ... ".." [٢]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢/٢٤٠

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢/٣٨٤

"وقيل: وجدك فقيرا من الحجج والبراهين، فأغناك بها. وقيل: أغناك بما فتح لك من الفتوح، وأفاءه عليك من أموال الكفار. القشيري: وفي هذا نظر، لأن السورة مكية، وإنما فرض الجهاد بالمدينة. وقراءة العامة عائلا. وقرأ ابن السميقع" عيلا" بالتشديد، مثل طيب وهين.

[سورة الضحى (٩٣): الآيات ٩ الى ١١]

فأما اليتيم فلا تقهر (٩) وأما السائل فلا تنهر (١٠) وأما بنعمة ربك فحدث (١١)

فيه أربع مسائل: الأولى- قوله تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر) أي لا تسلط «١» عليه بالظلم، ادفع إليه حقه، واذكر يتمك، قاله الأخفش. وقيل: هما لغتان: بمعنى. وعن مجاهد فلا تقهر فلا تحتقر. وقرأ النخعي والأشهب العقيلي" تكهر" بالكاف، وكذا هو في مصحف ابن مسعود. فعلى هذا يحتمل أن يكون نهيا عن قهره، بظلمه وأخذ ماله. وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى، فغلظ في أمره، بتغليظ العقوبة على ظالمه. والعرب تعاقب بين الكاف والقاف. النحاس: وهذا غلط، إنما يقال كهره: إذا اشتد عليه وغلظ. وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي، حين تكلم في الصلاة برد السلام، قال: فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه- يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم- فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني ... الحديث. وقيل: القهر الغلبة. والكهر: الزجر. الثانية- ودلت الآية على اللطف باليتيم، وبره والإحسان إليه، حتى قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم. وروي عن أبي هريرة أن رجلا شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه، فقال: (إن أردت أن يلين، فامسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين). وفي الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين).

---

(١). في بعض نسخ الأصل: (لا تسطو).." [١]

"عليه وسلم: (لقد دخل قلب الأعرابي الإيمان). وقال الحسن: قدم صعصعة عم الفرزدق «١» على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما سمع فمن يعمل مثقال ذرة الآيات، قال: لا أبالي ألا أسمع من القرآن غيرها، حسبي، فقد انتهت الموعظة، ذكره الثعلبي. ولفظ الماوردي: وروى أن صعصعة ابن ناجية جد الفرزدق أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستقرئه، فقرأ عليه هذه الآية، فقال صعصعة: حسبي حسبي، إن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٠/١٠٠

عملت مثقال ذرة شرا رأيته. وروى معمر عن زيد ابن أسلم: أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علمني مما علمك الله. فدفعه إلى رجل يعلمه، فعلمه إذا زلزلت- حتى إذا بلغ- فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال: حسبي. فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (دعوه فإنه قد فقه). ويحكى أن أعرابيا أخر خيرا يره فقيل: قدمت وأخرت. فقال:

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق «٢»

[تفسير سورة والعاديات]

سورة" والعاديات" وهي مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء. ومدنية في قول ابن عباس وأنس ومالك وقتادة. وهي إحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة العاديات (١٠٠): الآيات ١ الى ٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا (١) فالموريات قدحا (٢)

قوله تعالى: (والعاديات ضبحا) أي الأفراس تعدو. كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة، أي تعدو في سبيل الله فتضبح. قال قتادة: تضبح إذا عدت، أي تحمحم. وقال

---

(١). قال أبو أحمد العسكري: (وقد وهم بعضهم في صعصعة بن معاوية عم الأحنف بن قيس فقال: صعصعة عم الفرزدق وهو غلط). والمعروف أن صعصعة بن ناجية هو جد الفرزدق وليس له عم يسمى صعصعة. راجع كتاب الإصابة وأسد الغابة في ترجمة صعصعة.

(٢). هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان فكل من سلك واحدا منهما أفضى به إلى موضع واحد. في معجم البلدان لياقوت: خذا أنف هرشى ... وفي اللسان: خذا جنب هرشى ...." (١)

"واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود لفرية، وجعلته النصارى ربا، فهدى الله المؤمنين بأن جعلوه عبد الله. وقال الفراء: هو من المقلوب- واختاره الطبري- قال: وتقديره فهدى الله الذين آمنوا للحق لما «١»

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥٣/٢٠

اختلفوا فيه. قال ابن عطية: ودعاه إلى هذا التقدير خوف أن يحتمل اللفظ أنهم اختلفوا في الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه، وعساه غير الحق في نفسه، نحا إلى هذا الطبري في حكايته عن الفراء، وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوء نظر، وذلك أن الكلام يتخرج على وجهه ووصفه، لأن قوله:" فهدى" يقتضي أنهم أصابوا الحق، وتم المعنى في قوله:" فيه" وتبين بقوله:" من الحق" جنس ما وقع الخلاف فيه، قال المهدوي: وقدم لفظ الاختلاف على لفظ الحق اهتماما، إذ العناية إنما هي بذكر الاختلاف. قال ابن عطية: وليس هذا عندي بقوي. وفي قراءة عبد الله بن مسعود" لما اختلفوا عنه من الحق" أي عن الإسلام. و (بإذنه) قال الزجاج: معناه بعلمه. قال النحاس: وهذا غلط، والمعنى بأمره، وإذا أذنت في الشيء فقد أمرت به، أي فهدى الله الذين آمنوا بأن أمرهم بما يجب أن يستعملوه. قوله تعالى: والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم رد على المعتزلة في قولهم: إن العبد يستبد بهداية نفسه.

[سورة البقرة (٢): آية ٢١٤]

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب (٢١٤)

قوله تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة" حسبتم" معناه ظننتم. قال قتادة والسدي وأكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدة، والحر والبرد، وسوء العيش، وأنواع الشدائد، وكان كما قال الله تعالى:" وبلغت القلوب الحناجر «٢» ". وقيل: نزلت في حرب أحد، نظيرها- في آل عمران-

---

(١). في ز، ج:" وما اختلفوا فيه" وفى تفسير الطبري:" فيما ... ".

(٢). آية ١٠ سورة الأحزاب.." [١]

"خاص والعام لا ينسخ الخاص باتفاق. وروى أبو الزبير عن جابر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاتل في الشهر الحرام إلا أن يغزى «١». الثالثة- قوله تعالى: (قتال فيه) " قتال" بدل عند سيبويه بدل اشتمال، لأن السؤال اشتمل على الشهر وعلى القتال، أي يسألك الكفار تعجبا من هتك حرمة الشهر،

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٣/٣

فسؤالهم عن الشهر إنما كان لأجل القتال فيه. قال الزجاج: المعنى يسألونك عن القتال في الشهر الحرام. وقال القتبي: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام هل يجوز؟ فأبدل قتالا من الشهر، وأنشد سيبويه:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما «٢»

وقرأ عكرمة" يسألونك عن الشهر الحرام قتل فيه قل قتل" بغير ألف فيهما. وقيل: المعنى يسألونك عن الشهر الحرام وعن قتال فيه، وهكذا قرأ ابن مسعود، فيكون مخفوضا بعن على التكرير، قاله الكسائي. وقال الفراء: هو مخفوض على نية عن. وقال أبو عبيدة: هو مخفوض على الجوار. قال النحاس: لا يجوز أن يعرب الشيء على الجوار في كتاب الله ولا في شي من الكلام، وإنما الجوار غلط، وإنما وقع في شي شاذ، وهو قولهم: هذا جحر ضب خرب، والدليل على أنه **غلط** قول العرب في التثنية: هذان: جحرا ضب خربان، وإنما هذا بمنزلة الإقواء، ولا يجوز أن يحمل شي من كتاب الله على هذا، ولا يكون إلا بأفصح اللغات وأصحها. قال ابن عطية: وقال أبو عبيدة: هو خفض على الجوار، وقوله هذا خطأ. قال النحاس: ولا يجوز إضمار عن، والقول فيه أنه بدل. وقرأ الأعرج" يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه" بالرفع. قال النحاس: وهو غامض في العربية، والمعنى فيه يسألونك عن الشهر الحرام أجائز قتال فيه؟ فقوله:" يسئلونك" يدل على الاستفهام، كما قال امرؤ القيس:

---

(١). كذا في تفسير الفخر الرازي وكثير من كتب التفسير، وفى الأصول:" إلا أن يغزى أو يغزو". وفى الطبري:" إلا أن يغزى أو يغزو حتى إذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ".

(٢). البيت لعبدة بن الطبيب، رثى فيه قيس بن عاصم المنقري، وكان سيد أهل الوبر من تميم. (عن كتاب سيبويه ج ١ ص ٧٧ طبع بولاق).." [1]

"عليه وسلم فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعتد بحيضة. قال الترمذي: حديث حسن غريب. وعن الربيع بنت معوذ بن عفراء أنها اختلعت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أو أمرت أن تعتد بحيضة. قال الترمذي: حديث الربيع الصحيح أنها أمرت أن تعتد بحيضة. قالوا: فهذا يدل على أن الخلع فسخ لا طلاق، وذلك أن الله تعالى قال:" والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء" ولو كانت هذه مطلقة لم يقتصر بها على قرء واحد. قلت: فمن طلق امرأته تطليقتين ثم خالعها ثم أراد أن يتزوجها فله ذلك- كما قال ابن عباس- وإن لم تنكح زوجا غيره، لأنه ليس له غير تطليقتين

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤٤/٣

والخلع لغو. ومن جعل الخلع طلاقا قال: لم يجز أن يرتجعها حتى تنكح زوجا غيره، لأنه بالخلع كملت الثلاث، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى. قال القاضي إسماعيل بن إسحاق: كيف يجوز القول في رجل قالت له امرأته: طلقني على م ا ل فطلقها إنه لا يكون طلاقا، وهو لو جعل أمرها بيدها من غير شي فطلقت نفسها كان طلاقا!. [قال «١»] وأما قوله تعالى:" فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره" فهو معطوف على قوله تعالى:" الطلاق مرتان"، لأن قوله:" أو تسريح بإحسان" إنما يعني به أو تطليق. فلو كان الخلع معطوفا على التطليقتين لكان لا يجوز الخلع أصلا إلا بعد تطليقتين وهذا لا يقوله أحد. وقال غيره: ما تأولوه في الآية **غلط** فإن قوله:" الطلاق مرتان" أفاد حكم الاثنتين إذا أوقعهما على غير وجه الخلع، وأثبت معهما الرجعة بقوله:" فإمساك بمعروف" ثم ذكر حكمهما إذا كان على وجه الخلع فعاد الخلع إلى الثنتين المتقدم ذكرهما، إذ المراد بذلك بيان الطلاق المطلق والطلاق بعوض، والطلاق الثالث بعوض كان أو بغير عوض فإنه يقطع الحل إلا بعد زوج. قلت: هذا الجواب عن الآية، وأما الحديث فقال أبو داود- لما ذكر حديث ابن عباس في الحـ يضة-: هذا الحديث رواه عبد الرزاق عن معمر عن عمرو بن مسلم عن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا. وحدثنا القعنبي عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال: عدة المختلعة عدة المطلقة. قال أبو داود: والعمل عندنا على هذا.

---

(١). في ب.." (١)

"الطلاق." والذين" أي والرجال الذين يموتون منكم. (ويذرون أزواجا) أي يتركون أزواجا، أي ولهم زوجات فالزوجات (يتربصن)، قال معناه الزجاج واختاره النحاس. وحذف المبتدإ في الكلام كثير، كقوله تعالى:" قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار «١» " أي هو النار. وقال أبو علي الفارسي: تقديره والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بعدهم، وهو كقولك: السمن منوان بدرهم، أي منوان منه بدرهم. وقيل: التقدير وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، فجاءت العبارة في غاية الإيجاز. وحكى المهدوي عن سيبويه أن المعنى: وفيما يتلى عليكم الذين يتوفون. وقال بعض نحاة الكوفة: الخبر عن" الذين" متروك، والقصد الإخبار عن أزواجهم بأنهن يتربصن، وهذا اللفظ معنا الخبر عن المشروعية في أحد الوجهين كما تقدم. الثانية- هذه الآية في عدة المتوفى عنها زوجها، وظاهرها العموم ومعناها الخصوص. وحكى المهدوي عن بعض العلماء أن الآيـة تناولت الحوامل ثم نسخ ذلك بقوله" وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/١٤٤

«٢» ". وأكثر العلماء على أن هذه الآية ناسخة لقوله عز وجل:" والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج" لأن الناس أقاموا برهة من الإسلام «٣» إذا توفي الرجل وخلف امرأته حاملا أوصى لها زوجها بنفقة سنة وبالسكنى ما لم تخرج فتتزوج، ثم نسخ ذلك بأربعة أشهر وعشر، وبالميراث. وقال قوم: ليس في هذا نسخ وإنما هو نقصان من الحول، كصلاة المسافر لما نقصت من الأربع إلى الاثنتين لم يكن هذا نسخا. وهذا **غلط** بين، لأنه إذا كان حكمها أن تعتد سنة إذا لم تخرج، فإن خرجت لم تمنع، ثم أزيل هذا ولزمتها العدة أربعة أشهر وعشرا. وهذا هو النسخ، وليست صلاة المسافر من هذا في شي. وقد قالت عائشة رضي الله عنها: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، فزيد في صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر بحالها، وسيأتي «٤». الثالثة: عدة الحامل المتوفى عنها زوجها وضع حملها عند جمهور العلماء. وروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس أن تمام عدتها آخر الأجلين، واختاره سحنون من علمائنا.

---

(١). راجع ج ١٢ ص ٩٥.

(٢). راجع ج ١٨ ص ١٦٢.

(٣). في هـ: برهة من الزمان.

(٤). راجع ج ٥ ص ٣٥١." [١]

"وأبو حنيفة وأصحابه «١» شهادتهم، لقوله تعالى:" من رجالكم" وقوله" ممن ترضون" وقوله" ذوي عدل «٢» منكم" وهذه الصفات ليست في الصبي. التاسعة والعشرون: لما جعل الله سبحانه شهادة امرأتين بدل شهادة رجل وجب أن يكون حكمهما حكمه، فكماله أن يحلف «٣» مع الشاهد عندنا، وعند الشافعي كذلك، يجب أن يحلف مع شهادة امرأتين بمطلق هذه العوضية. وخالف في هذا أبو حنيفة وأصحابه فلم يروا اليمين مع الشاهد وقالوا: إن الله سبحانه قسم الشهادة وعددها، ولم يذكر الشاهد واليمين، فلا يجوز القضاء به، لأنه يكون قسما زائدا «٤» على ما قسمه الله، وهذه زيادة على النص، وذلك نسخ. وممن قال بهذا القول الثوري والأوزاعي وعطاء والحكم بن عتيبة وطائفة. قال بعضهم: الحكم باليمين مع الشاهد منسوخ الملك بن مروان، وقال: الحكم: بالقرآن. وزعم عطاء أن أول من قضى به عبد القضاء باليمين والشاهد بدعة، وأول من حكم به معاوية. وهذا كله **غلط** وظن لا يغني من الحق شيئا، وليس

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/١٧٤

من نفى وجهل كمن أثبت وعلم! وليس في قول الله تعالى:" واستشهدوا شهيدين من رجالكم" الآية، ما يرد به قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليمين مع الشاهد، ولا أنه لا يتوصل إلى الحقوق ولا تستحق إلا بما ذكر فيها لأغير، فإن ذلك يبطل بنكول المطلوب ويمين الطالب، فإن ذلك يستحق به المال إجماعا وليس في كتاب الله تعالى، وهذا قاطع في الرد عليهم. قال مالك: فمن الحجة على من قال ذلك القول أن يقال له: أرأيت لو أن رجلا ادعى على رجل مالا أليس يحلف المطلوب ما ذلك الحق عليه؟ فإن حلف بطل ذلك الحق عنه، وإن نكل عن اليمين حلف صاحب الحق، أن حقه لحق، وثبت حقه على صاحبه. فهذا مما لا اختلاف فيه عند أحد من الناس ولا ببلد من البلدان، فبأي شي أخذ هذا وفي أي كتاب الله وجده؟ فمن أقر بهذا فليقر باليمين مع الشاهد. قال علماؤنا: ثم العجب مع شهرة الأحاديث وصحتها بدعوا من عمل بها حتى نقضوا حكمه واستقصروا رأيه «٥»، مع أنه قد عمل بذلك الخلفاء الأربعة وأبي بن كعب ومعاوية وشريح وعمر بن عبد العزيز- وكتب به إلى عماله-

---

(١). في هـ: أصحابهم.

(٢). راجع ج ١٨ ص ١٥٧.

(٣). في ط: اليمين.

(٤). في ح وهـ وج: قسما ثالثا.

(٥). في ط وج وهـ: علمه.." [١]

"ترونهم مثليهم ثلاثة أمثالهم. وهو بعيد غير معروف في اللغة. قال الزجاج: وهذا باب الغلط، فيه غلط في جميع المقاييس، لأنا إنما نعقل مثل الشيء مساويا له، ونعقل مثله ما يساويه مرتين. قال ابن كيسان: وقد بين الفراء قوله بأن قال: كما تقول وعندك عبد: أحتاج إلى مثله، فأنت محتاج إليه وإلى مثله. وتقول: أحتاج إلى مثليه، فأنت محتاج إلى ثلاثة. والمعنى على خلاف ما قال، واللغة. والذي أوقع الفراء في هذا أن المشركين كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين يوم بدر، فتوهم أنه لا يجوز أن يكونوا يرونهم إلا على عدتهم، وهذا بعيد وليس المعنى عليه. وإنما أراهم الله على غير عدتهم لجهتين: إحداهما أنه رأى الصلاح في ذلك، لأن المؤمنين تقوى قلوبهم بذلك. والأخرى أنه آية للنبي صلى الله عليه وسلم. وسيأتي ذكر وقعة «١» بدر إن شاء الله تعالى. وأما قراءة الياء فقال ابن كيسان: الهاء والميم في" يرونهم" عائدة على" وأخرى

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/٣٩٢

كافرة" والهاء والميم في" مثليهم" عائدة على" فئة تقاتل في سبيل الله" وهذا من الإضمار الذي يدل عليه سياق الكلام، وهو قوله:" يؤيد بنصره من يشاء". فدل ذلك على أن الكافرين كانوا مثلي المسلمين في رأي العين وثلاثة أمثالهم في العدد. قال: والرؤية هنا لليهود. وقال مكي: الرؤية للفئة المقاتلة في سبيل الله، والمرئية الفئة الكافرة، أي ترى الفئة المقاتلة في سبيل الله الفئة الكافرة مثلي الفئة المؤمنة، وقد كانت الفئة الكافرة ثلاثة أمثال المؤمنة فقللهم الله في أعينهم على ما تقدم. والخطاب في" لكم" لليهود. وقرأ ابن عباس وطلحة" ترونهم" بضم التاء، والسلمي بالتاء المضمومة على ما لم يسم فاعله. (والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) تقدم معناه والحمد لله.

[سورة آل عمران (٣): آية ١٤]

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب (١٤)

---

(١). في ص ١٩٠ فما بعد من هذا الجزء.." [1]

"كما ذكرنا. والأصل في القبول الضم، لأنه مصدر مثل الدخول والخروج، والفتح جاء في حروف قليلة، مثل الولوع والوزوع، هذه الثلاثة لا غير، قال أبو عمرو الكسائي والأئمة. وأجاز الزجاج" بقبول" بضم القاف على الأصل. قوله تعالى (وكفلها زكريا) أي صمها إليه. أبو عبيدة: ضمن القيام بها. وقرأ الكوفيون" وكفلها" بالتشديد، فهو يتعدى إلى مفعولين، والتقدير وكفلها ربها زكريا، أي ألزمه كفالتها وقدر ذلك عليه ويسره له. وفي مصحف أبي" وكفلها" والهمزة كالتشديد في التعدي، وأيضا فإن قبله" فتقبلها"،" وأنبتها" فأخبر تعالى عن نفسه بما فعل بها، فجاء" كفلها" بالتشديد على ذلك. وخففه الباقون على إسناد الفعل إلى زكريا. فأخبر الله تعالى أنه هو الذي تولى كفالتها والقيام بها، بدلالة قوله:" أيهم يكفل مريم" [آل عمران: ٤٤]. قال مكي: وهو الاختيار، لأن التشديد يرجع إلى التخفيف، لأن الله تعالى إذا كفلها زكريا كفلها بأمر الله، ولأن زكريا إذا كفلها فعن مشيئة الله وقدرته، فعلى ذلك فالقراءتان متداخلتان. وروى عمرو بن موسى عن عبد الله بن كثير وأبي عبد الله المزني" وكفلها" بكسر الفاء. قال الأخفش: يقال كفل يكفل وكفل يكفل ولم أسمع كفل، وقد ذكرت. وقرأ مجاهد" فتقبلها" بإسكان اللام على المسألة والطلب." ربها"

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٧/٤

بالنصب نداء مضاف." وأنبتها" بإسكان التاء" وكفلها" بإسكان اللام" زكرياء" بالمد والنصب. وقرأ حفص وحمزة والكسائي" زكريا" بغير مد ولا همز، ومده الباقون وهمزوه. وقال الفراء: أهل الحجاز يمدون" ز كرياء" ويقصرونه، وأهل نجد يحذفون منه الألف ويصرفونه فيقولون: زكري. قال الأخفش: فيه أربع لغات: المد والقصر، وزكري بتشديد الياء والصرف، وزكر ورأيت زكريا. قال أبو حاتم: زكري بلا صرف لأنه أعجمي وهذا غلط، لأن ما كان فيه" يا" مثل هذا انصرف مثل كرسي ويحيى، ولم ينصرف زكرياء في المد والقصر لأن فيه ألف تأنيث والعجمة والتعريف.." (١)

"[سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٠ الى ٥١]

ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون (٥٠) إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٥١)

قوله تعالى: ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون (٥٠) إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٥١) (ومصدقا) عطف على قوله:" ورسولا". وقيل: المعنى وجئتكم مصدقا. (لما بين يدي) لما قبلي. (ولأحل لكم) فيه حذف، أي ولا حل لكم جئتكم. (بعض الذي حرم عليكم) يعني من الأطعمة. قيل: إنما أحل لهم عيسى عليه السلام ما حرم عليهم بذنوبهم ولم يكن في التوراة، نحو أكل الشحوم وكل ذي ظفر. وقيل: إنما أحل لهم أشياء حرمتها عليهم الأحبار ولم تكن في التوراة محرمة عليهم. قال أبو عبيدة: يجوز أن يكون" بعض" بمعنى كل، وأنشد لبيد:

تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها

وهذا القول **غلط** عند أهل النظر من أهل اللغة، لأن البعض والجزء لا يكونان بمعنى الكل في هذا الموضع، لأن عيسى صلى الله عليه وسلم إنما أحل لهم أشياء مما حرمها عليهم موسى من أكل الشحوم وغيرها ولم يحل لهم القتل ولا السرقة ولا فاحشة. والدليل على هذا أنه «١» روي عن قتادة أنه قال: جاءهم عيسى بألين مما جاء به موسى صلى الله عليهما وعلى نبينا، لأن موسى جاءهم بتحريم الإبل وأشياء من الشحوم فجاءهم عيسى بتحليل بعضها. وقرأ النخعي" بعض الذي حرم عليكم" مثل كرم، أي صار حراما. وقد يوضع البعض بمعنى الكل إذا انضمت إليه قرينة تدل عليه، كما قال الشاعر «٢»:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧٠/٤

يريد بعض الشر أهون من كله. (وجئتكم بآية من ربكم) إنما وحد وهي آيات «٣» لأنها جنس واحد في الدلالة على رسالته.

---

(١). في د: ما روى. [.....]

(٢). هو طرفة بن العبد، خاطب به عمرو بن هند الملك، وكنيته أبو منذر حين أمر بقتله.

(٣). في د: آياته.." [١]

"على وقف الهاء، فقرءوا" يؤده إليك". قال النحاس: بإسكان الهاء لا يجوز إلا في الشعر عند بعض النحويين، وبعضهم لا يجيزه ألبتة ويرى أنه **غلط** ممن قرأ به، وإنه توهم أن الجزم يقع على الهاء، وأبو عمرو أجل من أن يجوز عليه مثل هذا. والصحيح عنه أنه كان يكسر الهاء، وهي قراءة يزيد بن القعقاع. وقال الفراء: مذهب بعض العرب يجزمون الهاء إذا تحرك ما قبلها، يقولون: ضربته ضربا شديدا، كما يسكنون ميم أنتم وقمتم وأصلها الرفع، كما قال الشاعر:

لما رأى ألا دعه ولا شبع ... مال إلى أرطاة حقف «١» فاضطجع

وقيل: إنما جاز إسكان الهاء في هذا الموضع لأنها وقعت في موضع الجزم وهي الياء الذاهبة. وقرأ أبو المنذر سلام والزهري" يؤده" بضم الهاء بغير واو. وقرأ قتادة وحميد ومجاهد" يؤدهو" بواو في الإدراج، اختير لها الواو لأن الواو من الشفة والهاء بعيدة المخرج. قال سيبويه: الواو في المذكر بمنزلة الألف في المؤنث ويبدل منها ياء لأن الياء أخف إذا كان قبلها كسرة أو ياء، وتحذف الياء وتبقى الكسرة لأن الياء قد كانت تحذف والفعل مرفوع فأثبتت بحالها. الثانية- أخبر تعالى أن في أهل الكتاب الخائن والأمين، والمؤمنون لا يميزون ذلك، فينبغي اجتناب جميعهم. وخص أهل الكتاب بالذكر وإن كان المؤمنون كذلك، لأن الخيانة فيهم أكثر، فخرج الكلام على الغالب. والله أعلم. وقد مضى تفسير القنطار. وأما الدينار فأربعة وعشرون قيراطا والقيراط ثلاث حبات من وسط الشعير، فمجموعه اثنتان وسبعون حبة، وهو مجمع عليه. ومن حفظ الكثير وأداه فالقليل أولى، ومن خان في اليسير أو منعه فذلك في الكثير أكثر. وهذا أدل دليل على القول بمفهوم الخطاب. وفيه بين العلماء خلاف [كثير] «٢» مذكور في أصول الفقه. وذكر تعالى قسمين: من يؤدي ومن لا يؤدي إلا بالملازمة عليه، وقد يكون من الناس من لا يؤدي وإن دمت عليه قائما. فذكر تعالى القسمين لأنه الغالب

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩٦/٤

(١). الأرطاة: واحدة الأرطى وهو شجر من شجر الرمل. والحقف بالكسر (: ما أعوج من الرمل. [.....
[
(٢). من د.." [1]

"وأشفى على الشيء أشرف عليه، ومنه أشفى المريض على الموت. وما بقي منه إلا شفا أي قليل قال ابن السكيت: يقال للرجل عند موته وللقمر عند إمحاقه وللشمس عند غروبها: ما بقي منه إلا شفا أي قليل. قال العجاج:

ومربأ عال لمن تشرفا ... أشرفته بلا شفى أو بشفى

قوله" بلا شفى" أي غابت الشمس." أو بشفى" وقد بقيت منها بقية. وهو من ذوات الياء، وفيه لغة أنه من الواو. وقال النحاس: الأصل في شفا شفو، ولهذا يكتب بالألف ولا يمال. وقال الأخفش: لما لم تجز فيه الإمالة عرف أنه من الواو، ولأن الإمالة بين الياء، وتثنيته شفوان. قال المهدوي: وهذا تمثيل يراد به خروجهم من الكفر إلى الايمان.

[سورة آل عمران (٣): آية ١٠٤]

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١٠٤)

قد مضى القول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه السورة «١». و" من" في قوله" منكم" للتبعيض، ومعناه أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء. وقيل: لبيان الجنس، والمعنى لتكونوا كلكم كذلك. قلت: القول الأول أصح، فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية، وقد عينهم الله تعالى بقوله:" الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة" [الحج: ٤١] «٢» الآية. وليس كل الناس مكنوا. وقرأ ابن الزبير:" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم" قال أبو بكر الأنباري: وهذه الزيادة تفسير من ابن الزبير، وكلام من كلامه **غلط** فيه بعض الناقلين «٣» فألحقه بألفاظ القرآن، يدل على صحة ما أصف الحديث الذي حدثنيه أبي حدثنا [حسن] «٤» بن عرفة حدثنا وكيع عن أبي عاصم عن أبي عون»

عن صبيح قال: سمعت عثمان بن عفان يقرأ" ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على

[1] تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١٦/٤

ما أصابهم" فما يشك عاقل في أن عثمان لا يعتقد «٦»

---

(١). راجع ص ٤٦.

(٢). راجع ج ١٢ ص ٧٢.

(٣). في هـ: الغافلين.

(٤). في ب، د، هـ وفيها: أبي عوف.

(٥). في ب، د، هـ وفيها: أبي عوف.

(٦). في ب، د، هـ: لا يعتد.." [١]

"وقيل: في الكلام حذف، والتقدير من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة، فترك الأخرى اكتفاء بالأولى، كقول أبي ذؤيب:

عصاني «١» إليها القلب إني لأمره ... مطيع فما أدري أرشد طلابها

أراد: أرشد أم غي، فحذف. قال الفراء:" أمة"" رفع ب" سواء، والتقدير: ليس يستوي أمة من أهل الكتاب قائمة يتلون آيات الله وأمة كافرة. قال النحاس: هذا قول خطأ من جهات: إحداها أنه يرفع" أمة" ب" سواء" فلا يعود على اسم ليس بشيء، ويرفع بما ليس جاريا على الفعل ويضمر ما لا يحتاج إليه، لأنه قد تقدم ذكر الكافر فليس لإضمار هذا وجه. وقال أبو عبيدة: هذا مثل قولهم: أكلوني البراغيث، وذهبوا أصحابك. قال النحاس: وهذا غلط، لأنه قد تقدم ذكرهم، وأكلوني البراغيث لم يتقدم لهم ذكر. و (آناء الليل) ساعاته. وأحدها إنى وأنى وإني، وهو منصوب على الظرف. و (يسجدون) يصلون، عن الفراء والزجاج، لأن التلاوة لا تكون في الركوع والسجود. نظيره قوله:" وله يسجدون" «٢» أي يصلون. وفي الفرقان:" وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن" [الفرقان: ٦٠] «٣» وفي النجم" فاسجدوا لله واعبدوا" [النجم: ٦٢] «٤». وقيل: يراد به السجود المعروف خاصة. وسبب النزول يرده، وأن المراد صلاة العتمة كما ذكرنا عن ابن مسعود، فعبدة الأوثان ناموا حيث جن عليهم الليل، والموحدون قيام بين يدي الله تعالى في صلاة العشاء يتلون آيات الله، ألا ترى لما ذكر قيامهم قال" وهم يسجدون" أي مع القيام أيضا. الثوري: هي الصلاة بين العشاءين. وقيل: هي في قيام الليل. وعن رجل من بني شيبة كان يدرس الكتب قال: إنا نجد كلاما من كلام الرب عز وجل: أيحسب راعي إبل أو راعي غنم إذا جنه الليل انخذل «٥» كمن هو قائم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/١٦٥

وساجد آناء الليل. (يؤمنون بالله) يعني يقرون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم. (ويأمرون بالمعروف) قيل: هو عموم. وقيل: يراد به الأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم. (وينهون عن المنكر) والنهي عن المنكر النهي عن مخالفته. (ويسارعون في الخيرات) التي يعملونها مبادرين غير متثاقلين

---

(١). في الأصول: عصيت إليها القلب إني لأمرها والتصويب عن ديوان أبى ذؤيب. يقول: عصاني القلب وذهب إليها فأنا اتبع ما يأمرني به.

(٢). راجع ج ٧ ص ٣٥٦.

(٣). راجع ج ١٣ ص ٦٤.

(٤). راجع ج ١٧ ص ١٢١.

(٥). انخذل: انفرد.." (١)

"الزكاة: (إنا آخذوها وشطر ماله، عزمة من عزمات الله تعالى) «١». وكما قال أبو هريرة في ضالة الإبل المكتومة: فيها غرامتها ومثله معها. وكما روى عبد الله بن عمرو بن العاص في الثمر المعلق غرامة مثليه وجلدات نكال. وهذا كله منسوخ، والله أعلم. الخامسة- فإذا غل الرجل في المغنم ووجد أخذ منه، وأدب وعوقب بالتعزير. وعند مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم والليث: لا يحرق متاعه. وقال الشافعي والليث وداود: إن كان عالما بالنهي عوقب. وقال الأوزاعي: يحرق متاع الغال كله إلا سلاحه وثيابه التي عليه وسرجه، ولا تنزع منه دابته، ولا يحرق الشيء الذي غل. وهذا قول أحمد وإسحاق، وقاله الحسن، إلا أن يكون حيوانا أو مصحفا. وقال ابن خويز منداد: وروي أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ضربا الغال وأحرقا متاعه. قال ابن عبد البر: وممن قال يحرق رحل الغال ومتاعه مكحول وسعيد بن عبد العزيز. وحجة من ذهب إلى هذا حديث صالح المذكور. وهو عندنا حديث لا يجب به انتهاك حرمة، ولا إنفاذ حكم، لما يعارضه من الآثار التي هي أقوى منه. وما ذهب إليه مالك ومن تابعه من هذه المسألة أصح من جهة النظر وصحيح الأثر. والله أعلم. السادسة- لم يختلف مذهب مالك في العقوبة على البدن، فأما في المال فقال في الذمي يبيع الخمر من المسلم: تراق الخمر على المسلم، وينزع الثمن من الذمي عقوبة له، لئلا يبيع الخمر من المسلمين. فعلى هذا يجوز أن يقال: تجوز العقوبة في المال. وقد أراق عمر رضي الله عنه لبنا شيب بماء. السابعة أجمع العلماء على أن للغال أن يرد جميع ما غل إلى صاحب المقاسم قبل أن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٧٦/٤

يفترق الناس إن وجد السبيل إلى ذلك، وإنه إذا فعل ذلك فهي توبة له، وخروج عن ذنبه.

---

(١). في نهاية ابن الأثير:" قال الحربي غلط الراوي في لفظ الرواية، إنما هو وشطر ماله شطرين، أي يجعل ماله شطرين، ويتخير عليه المصدق فيأخذ الصدقة من خير النصفين عقوبة لمنعه الزكاة فأما ما لا تلزمه فلا". وعزمة حق من حقوقه وواجب من واجباته.." [١]

"وصاحباه يعقوب ومحمد فيمن صلى مضطجعا ركعة ثم صح: أنه يستقبل الصلاة من أولها، ولو كان قاعدا يركع ويسجد ثم صح بنى في قول أبي حنيفة ولم يبن في قول محمد. وقال أبو حنيفة وأصحابه: إذا افتتح الصلاة قائما ثم صار إلى حد الإيماء فليبن، وروي عن أبي يوسف. وقال مالك في المريض الذي لا يستطيع الركوع ولا السجود وهو يستطيع القيام والجلوس: إنه يصلي قائما ويومئ إلى الركوع، فإذا أراد السجود جلس وأومأ إلى السجود، وهو قول أبي يوسف وقياس قول الشافعي وقال، أبو حنيفة وأصحابه: يصلي قاعدا. السابعة- وأما صلاة الراقد الصحيح فروي عن حديث عمران بن حصين زيادة ليست موجودة في غيره، وهي" صلاة الراقد مثل نصف صلاة القاعد". قال أبو عمر: وجمهور أهل العلم لا يجيزون النافل مضطجعا، وهو حديث لم يروه إلا حسين المعلم وهو حسين ابن ذكوان عن عبد الله بن بريدة عن عمران بن حصين، وقد اختلف على حسين في إسناده ومتنه اختلافا يوجب التوقف عنه، وإن صح فلا أدري ما وجهه، فإن كان أحد من أهل العلم قد أجاز النافلة مضطجعا لمن قدر على القعود أو على القيام فوجهه هذه الزيادة في هذا الخبر، وهي حجة لمن ذهب إلى ذلك. وإن أجمعوا على كراهة النافلة راقدا لمن قدر على القعود أو القيام، فحديث حسين هذا إما غلط وإما منسوخ. وقيل: المراد بالآية الذين يستدلون بخلق السموات والأرض على أن المتغير لا بد له من مغير، وذلك المغير يجب أن يكون قادرا على الكمال، وله أن يبعث الرسل، فإن بعث رسولا ودل على صدقه بمعجزة واحدة لم يبق لأحد عذر، فهؤلاء هم الذين يذكرون الله على كل حال. والله أعلم. الثامنة- قوله تعالى: (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض) قد بينا معنى" يذكرون" وهو إما ذكر باللسان وإما الصلاة فرضها ونفلها، فعطف تعالى عبادة أخرى على إحداهما «١» بعبادة أخرى، وهي التفكر في قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعبر الذي بث «٢»، ليكون ذلك أزيد بصائرهم:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/٢٦٠

(١). في اوج وب وه وى وط: بعبادة أخرى وهى الفكر.

(٢). كذا في ه وب ود وج وى. وفى أوح: نبه، وفى ز: ثبت.." [١]

"التاسعة- قوله تعالى: (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) الآية. فرض الله تعالى للواحدة النصف، وفرض لما فوق الثنتين الثلثين، ولم يفرض للثنتين «١» فرضا منصوصا في كتابه، فتكلم العلماء في الذليل الذي يوجب لهما الثلثين ما هو؟ فقيل: الإجماع وهو مردود، لأن الصحيح عن ابن عباس أنه أعطى البنتين النصف، لأن الله عز وجل قال: (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) وهذا شرط وجزاء. قال: فلا أعطي البنتين الثلثين. وقيل: أعطيتا الثلثين بالقياس على الأختين، فإن الله سبحانه لما قال في آخر السورة: (وله أخت فلها نصف ما ترك) وقال تعالى: (فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك «٢») فألحقت الابنتان بالأختين في الاشتراك في الثلثين، وألحقت الأخوات إذا زدن على اثنتين بالبنات في الاشتراك في الثلثين. واعترض هذا بأن ذلك منصوص عليه في الأخوات، والإجماع منعقد عليه فهو مسلم بذلك. وقيل: في الآية ما يدل على أن للبنتين الثلثين، وذلك أنه لما كان للواحدة مع أخيها الثلث إذا انفردت، علمنا أن للاثنتين «٣» الثلثين. احتج بهذه الحجة، وقال هذه المقالة إسماعيل القاضي وأبو العباس المبرد. قال النحاس: وهذا الاحتجاج عند أهل النظر غلط، لأن الاختلاف في البنتين وليس في الواحدة. فيقول مخالفه: إذا ترك بنتين وابنا فللبنتين النصف، فهذا دليل على أن هذا فرضهم. وقيل: (فوق) زائدة أي إن كن نساء اثنتين. كقوله تعالى: (فاضربوا فوق الأعناق «٤») أي الأعناق. ورد هذا القول النحاس وابن عطية وقالا: هو خطأ، لأن الظروف وجميع الأسماء لا يجوز في كلام العرب أن تزاد لغير معنى. قال ابن عطية: ولأن قوله تعالى: (فاضربوا فوق الأعناق) هو الفصيح، وليست فوق زائدة بل هي محكمة للمعنى، لأن ضربة العنق إنما يجب أن تكون فوق العظام في المفصل دون الدماغ. كما قال دريد بن الصمة: اخفض «٥» عن الدماغ وارفع عن العظم، فهكذا كنت أضرب أعنان الأبطال. وأقوى الاحتجاج في أن للبنتين الثلثين الحديث الصحيح المروي في سبب النزول. ولغة أهل الحجاز وبني أسد الثلث والربع إلى العشر.

(١). في ب ود وز وط وى: فوق ابنتين، للبنتين.

(٢). راجع ج ٦ ص ٢٨.

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/٣١٣

(٣). في ى: للابنتين.

(٤). راجع ج ٧ ص ٣٧٨.

(٥). الذي في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٥٢ ط أوربا: وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت أضرب الرجال.." [1]

"وقال آخر:

وإن أبا المرء أحمى له ... ومولى الكلالة لا يغضب «١»

وقيل: إن الكلالة مأخوذة من الكلال وهو الإعياء، فكأنه يصير الميراث إلى الوارث عن بعد وإعياء. قال الأعشى:

فآليت لا أرثي لها من كلالة ... ولا من وجى «٢» حتى تلاقي محمدا

وذكر أبو حاتم والأثرم عن أبي عبيدة قال: الكلالة كل من لم يرثه أب أو ابن أو أخ فهو عند العرب كلالة. قال أبو عمر: ذكر أبي عبيدة الأخ هنا مع الأب والابن في شرط الكلالة **غلط** لا وجه له، ولم يذكره في شرط الكلالة غيره. وروي عن عمر بن الخطاب أن الكلالة من لا ولد له خاصة، وروي عن أبي بكر ثم رجعا عنه. وقال ابن زيد: الكلالة الحي والميت جميعا. وعن عطاء: الكلالة المال. قال ابن العربي: وهذا قول طريف لا وجه له. قلت: له وجه يتبين بالإعراب [آنفا «٣»]. وروي عن ابن الأعرابي أن الكلالة بنو العم الأباعد. وعن السدي أن الكلالة الميت. وعنه مثل قول الجمهور. وهذه الأقوال تتبين وجوهها بالإعراب، فقرأ بعض الكوفيين (يورث كلالة) بكسر الراء وتشديدها. وقرأ الحسن وأيوب (يورث) بكسر الراء وتخفيفها، على اختلاف عنهما. وعلى هاتين القراءتين لا تكون الكلالة إلا الورثة أو المال. كذلك حكى أصحاب المعاني، فالأول من ورث، والثاني من أورث. و (كلالة) مفعوله و (كان) بمعنى وقع. ومن قرأ (يورث) بفتح الراء احتمل أن تكون الكلالة المال، والتقدير: يورث وراثة كلالة فتكون نعتا لمصدر محذوف. ويجوز أن تكون الكلالة اسما للورثة وهي خبر كان، فالتقدير: ذا ورثة. ويجوز أن تكون تامة بمعنى وقع، و (يورث) نعت لرجل، و (رجل) رفع بكان، و (كلالة) نصب على التفسير أو الحال، على أن الكلالة هو الميت، التقدير: وإن كان رجل يورث متكلل النسب إلى الميت.

---

(١). أراد أن أبا أغضب له أذا ظلم. وموالي الكلالة وهم الاخوة والأعمام وبنو الأعمام وسائر القرابات لا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦٣/٥

يغضبون للمرء غضب الأب.

(٢). الوجى: الحفي.

(٣). في د وى وط وز، وفى ج وه أيضا.." [(١)]

"وأبو حنيفة: لا يلزمه إلا خادم واحد، وذلك يكفيها خدمة نفسها، وليس في العالم امرأة إلا وخادم واحد يكفيها، وهذا كالمقاتل تكون له أفراس عدة فلا يسهم له إلا لفرس واحد، لأنه لا يمكنه القتال إلا على فرس [واحد «١»]. قال علماؤنا: وهذا غلط، لأن مثل بنات الملوك اللاتي لهن خدمة كثيرة لا يكفيها خادم واحد، لأنها تحتاج من غسل ثيابها وإصلاح مضجعها «٢» وغير ذلك إلى ما لا يقوم به الواحد، وهذا بين. والله أعلم. الثامنة- قوله تعالى: (فإن كرهتموهن) أي لدمامة أو سوء خلق من غير ارتكاب فاحشة أو نشوز، فهذا يندب فيه إلى الاحتمال، فعسى أن يول الأمر إلى أن يرزق الله منها أولادا صالحين. و (أن) رفع ب (عسى) وأن والفعل مصدر. قلت: ومن هذا المعنى ما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر) أو قال (غيره). المعنى: أي لا يبغضها بغضا كليا يحمله على فراقها. أي لا ينبغي له ذلك بل يغفر سيئتها لحسنتها ويتغاضى عما يكره لما يحب. وقال مكحول: سمعت ابن عمر يقول: إن الرجل ليستخير الله تعالى فيخار له، فيسخط على ربه عز وجل فلا يلبث أن ينظر في العاقبة فإذا هو قد خير له. وذكر ابن العربي قال أخبرني أبو القاسم بن حبيب بالمهدية، عن أبي القاسم السيوري عن أبي بكر بن عبد الرحمن حيث قال: كان الشيخ أبو محمد بن أبي زيد من العلم والدين في المنزلة والمعرفة. وكانت له زوجة سيئة العشرة وكانت تقصر في حقوقه وتؤذيه بلسانها، فيقال له في أمرها ويعذل بالصبر عليها، فكان يقول: أنا رجل قد أكمل الله علي النعمة في صحة بدني ومعرفتي وما ملكت يميني، فلعلها بعثت عقوبة على ذنبي فأخاف إن فارقتها أن تنزل بي عقوبة هي أشد منها. قال علماؤنا: في هذا دليل على كراهة الطلاق مع الإباحة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله لا يكره شيئا أباحه إلا الطلاق والأكل وإن الله ليبغض المعى إذا امتلأ).

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٧٧

(١). من ز.

(٢). في ج، هـ، ط، ى: مطبخها.." (١)

"أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

يريد أن أنسى. قال النحاس: وخطأ الزجاج هذا القول وقال: لو كانت اللام بمعنى (أن) لدخلت عليها لام أخرى، كما تقول: جئت كي تكرمني، ثم تقول جئت لكي تكرمني. وأنشدنا:

أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهود «١»

قال: والتقدير إرادته ليبين لكم. قال النحاس: وزاد الأمر على هذا حتى سماها بعض القراء لام أن، وقيل: المعنى يريد الله هذا من أجل أن يبين لكم. (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) أي من أهل الحق. وقيل: معنى (يهديكم) يبين لكم طرق الذين من قبلكم من أهل الحق وأهل الباطل. وقال بعض أهل النظر: في هذا دليل على أن كل ما حرم الله قبل هذه الآية علينا فقد حرم على من كان قبلنا. قال النحاس: وهذا غلط، لأنه يكون المعنى ويبين لكم أمر من كان قبلكم ممن كان يجتنب ما نهي عنه، وقد يكون ويبين لكم كما بين لمن كان قبلكم من الأنبياء فلا يومي به إلى هذا بعينه. ويقال: إن قوله (يريد الله) ابتداء القصة، أي يريد الله أن يبين لكم كيفية طاعته. (ويهديكم) يعرفكم (سنن الذين من قبلكم) أنهم لما تركوا أمري كيف عاقبتهم، وأنتم إذا فعلتم ذلك لا «٢» أعاقبكم ولكني أتوب عليكم. (والله عليم) بمن تاب (حكيم) بقبول التوبة.

[سورة النساء (٤): الآيات ٢٧ الى ٢٨]

والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما (٢٧) يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا (٢٨)

قوله تعالى: (والله يريد أن يتوب عليكم) ابتداء وخبر. و (أن) في موضع نصب ب (يريد) وكذلك (يريد الله أن يخفف عنكم)، ف (أن يخفف) في موضع نصب ب (يريد)

---

(١). البيت لقيس بن عبادة، وبعده:

وألا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عادى نمته ثمود

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٩٨

قال ابن سيده: بلغنا أن قيسا طاول روميا بين يدي معاوية أو غيره من الأمراء فتجرد قيس من سراويله وألقاها إلى الرومي ففضلت عنه، فقال هذين البيتين يعتذر من إلقاء سراويله في المشهد المجموع. (عن اللسان مادة سرل).

(٢). في ج: إذ فعلتم ذلك أعاقبكم. وفى ى: لا أكافيكم.) (." [١]

"[سورة النساء (٤): آية ٢٩]

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما (٢٩)

فيه تسع مسائل: الأولى- قوله تعالى: (بالباطل) أي بغير حق. ووجوه ذلك تكثر على ما بيناه، وقد قدمنا في البقرة «١». ومن أكل المال [بالباطل «٢»] بيع العربان، وهو أن يأخذ منك السلعة أو يكتري منك الدابة ويعطيك درهما فما فوقه، على أنه إن اشتراها أو ركب الدابة فهو من ثمن السلعة أو كراء الدابة، وإن ترك ابتياع السلعة أو كراء الدابة فما أعطاك فهو لك. فهذا لا يصلح ولا يجوز عند جماعة فقهاء الأمصار من الحجازيين والعراقيين، لأنه من باب بيع القمار والغرر والمخاطرة، وأكل المال بالباطل بغير عوض ولا هبة، وذلك باطل بإجماع. وبيع العربان مفسوخ «٣» إذا وقع على هذا الوجه قبل القبض وبعده، وترد السلعة إن كانت قائمة، فإن فاتت رد قيمتها يوم قبضها. وقد روي عن قوم منهم ابن سيرين ومجاهد ونافع ابن عبد الحارث وزيد بن أسلم أنهم أجازوا بيع العربان على ما وصفنا. وكان زيد بن أسلم يقول: أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو عمر: هذا لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه يصح، وإنما ذكره عبد الرزاق عن الأسلمي عن زيد بن أسلم مرسلا، وهذا ومثله ليس حجة. ويحتمل أن يكون بيع العربان الجائز على ما تأوله مالك والفقهاء معه، وذلك أن يعربنه ثم يحسب عربانه من الثمن إذا اختار تمام البيع. وهذا لا خلاف في جوازه عن مالك وغيره، وفي موطأ مالك عن الثقة عنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (نهى عن بيع العربان). قال أبو عمر: قد تكلم الناس في الثقة عنده في هذا الموضع، وأشبه ما قيل فيه: أنه أخذه عن ابن لهيعة أو عن ابن وهب عن ابن لهيعة، لأن ابن لهيعة سمعه من عمرو بن شعيب ورواه عنه. حدث به عن ابن لهيعة ابن وهب وغيره، وابن لهيعة أحد العلماء إلا أنه يقال: إنه احترقت كتبه فكان إذا حدث بعد ذلك من حفظه غلط. وما رواه عنه ابن المبارك وابن وهب فهو عند بعضهم صحيح. ومنهم من يضعف حديثه كله.، وكان عنده علم واسع وكان كثير الحديث،

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/١٤٨

إلا أن حال عندهم كما وصفنا.

---

(١). راجع ج ٢ ص ٣٣٨.

(٢). من ب وط وج ود.

(٣). كذا في ى وفي غيرها: منسوخ.." [1]

"الأديان، وحملوا السكر في هذه الآية على النوم. وقال القفال: يحتمل أنه كان أبيح لهم من الشراب ما يحرك الطبع إلى السخاء والشجاعة والحمية. قلت: وهذا المعنى موجود في أشعارهم، وقد قال حسان: ونشربها فتتركنا ملوكا

وقد أشبعنا هذا المعنى في (البقرة «١»). قال القفال: فأما ما يزيل العقل حتى يصير صاحبه في حد الجنون والإغماء فما أبيح قصده، بل لو اتفق من غير قصد فيكون مرفوعا عن صاحبه. قلت: هذا صحيح، وسيأتي بيانه في (المائدة) إن شاء الله تعالى في قصة حمزة «٢». وكان المسلمون لما نزلت هذه الآية يجتنبون الشرب أوقات الصلوات، فإذا صلوا العشاء شربوها، فلم يزالوا على ذلك حتى نزل تحريمها في (المائدة) في قوله تعالى: (فهل أنتم منتهون «٣»). السابعة- قوله تعالى: (حتى تعلموا ما تقولون) أي حتى تعلموه متيقنين فيه من غير غلط. والسكران لا يعلم ما يقول، ولذلك قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إن السكران لا يلزمه طلاقه. وروي عن ابن عباس وطاوس وعطاء والقاسم وربيعة، وهو قول الليث ابن سعد وإسحاق وأبي ثور والمزني، واختاره الطحاوي وقال: أجمع العلماء على أن طلاق المعتوه لا يجوز، والسكران معتوه كالموسوس معتوه بالوسواس. ولا يختلفون أن من شرب البنج فذهب عقله أن طلاقه غير جائز، فكذلك من سكر من الشراب. وأجازت طائفة طلاقه، وروي عن عمر بن الخطاب ومعاوية وجماعة من التابعين، وهو قول أبي حنيفة والثوري والأوزاعي، واختلف فيه قول الشافعي. وألزمه مالك الطلاق والقود في الجراح والقتل، ولم يلزمه النكاح والبيع. وقال أبو حنيفة: أفعال السكران وعقوده كلها ثابتة كأفعال الصاحي، إلا الردة فإنه إذا ارتد [فإنه «٤»] لا تبين منه امرأته إلا استحسانا. وقال أبو يوسف: يكون مرتدا في حال سكره، وهو قول الشافعي إلا أنه لا يقتله في حال سكره ولا يستتيبه.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/١٥٠

(١). راجع ج ٣ ص ٥٥ فما بعدها.

(٢). راجع ج ٦ ص ٢٨٧.

(٣). راجع ج ٦ ص ٢٨٧.

(٤). من ج وط وى.." [١]

"فيه خمس مسائل: الاولى- قوله تعالى: (ودوا لو تكفرون) أي تمنوا أن تكونوا كهم في الكفر والنفاق شرع سواء، فأمر الله تعالى بالبراءة منهم فقال: (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا)، كما قال تعالى: (ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا «١») والهجرة أنواع: منها الهجرة إلى المدينة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت هذه واجبة أول الإسلام حتى قال: (لا هجرة بعد الفتح). وكذلك هجرة المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوات، وهجرة من أسلم في دار الحرب فإنها واجبة. وهجرة المسلم ما حرم الله عليه، كما قال صلى الله عليه وسلم: (والمهاجر من هجر ما حرم الله عليه). وهاتان الهجرتان ثابتتان الآن. وهجرة أهل المعاصي حتى يرجعوا تأديبا لهم فلا يكلمون ولا يخالطون حتى يتوبوا، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع كعب وصاحبيه «٢». (فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم) يقول: إن أعرضوا عن التوحيد والهجرة فأسروهم واقتلوهم. (حيث وجدتموهم) عام في الأماكن من حل وحرم. والله أعلم. ثم استثنى وهي: الثانية- فقال: (إلا الذين يصلون) أي يتصلون بهم ويدخلون فيما بينهم من الجوار والحلف، المعنى: فلا تقتلوا قوما بينهم وبين من بينكم وبينهم عهد فإنهم على عهدهم ثم انتسخت العهود فانتسخ هذا. هذا قول مجاهد وابن زيد وغيرهم، وهو أصح ما قيل في معنى الآية. قال أبو عبيد: يصلون ينتسبون، ومنه قول الأعشى:

إذا اتصلت قالت لبكر بن وائل ... وبكر سبتها والأنوف رواغم

يريد إذا انتسبت. قال المهدوي: وأنكره العلماء، لأن النسب لا يمنع من قتال الكفار وقتلهم. وقال النحاس: وهذا غلط عظيم، لأنه يذهب إلى أن الله تعالى حظر أن يقاتل أحد بينه وبين المسلمين نسب، والمشركون قد كان بينهم وبين السابقين الأولين أنساب، وأشد من هذا الجهل بأنه كان ثم نسخ، لأن أهل التأويل مجمعون على أن الناسخ له (براءة) وإنما نزلت (براءة) بعد الفتح وبعد أن انقطعت الحروب. وقال معناه الطبري.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٢٠٣

(١). راجع ج ٨ ص ٥٥ وص ٢٨٢.

(٢). راجع ج ٨ ص ٢٨٢.." [1]

"في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة)

نزلت في الصلاة في السفر، ثم نزل (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) في الخوف بعدها بعام. فالآية على هذا تضمنت قضيتين «١» وحكمين. فقوله (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) يعني به في السفر، وتم الكلام، ثم ابتدأ فريضة أخرى فقدم الشرط، والتقدير: إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة. والواو زائدة، والجواب (فلتقم طائفة منهم معك). وقوله: (إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) اعتراض. وذهب قوم إلى أن ذكر الخوف منسوخ بالسنة، وهو حديث عمر إذ روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته). قال النحاس: من جعل قصر النبي صلى الله عليه وسلم في غير خوف وفعله في ذلك ناسخا للآية فقد غلط، لأنه ليس في الآية منع للقصر في الأمن، وإنما فيها إباحة القصر في الخوف فقط. العاشرة- قوله تعالى: (أن يفتنكم الذين كفروا) قال الفراء: أهل الحجاز يقولون فتنت الرجل. وربيعة وقيس وأسد وجميع أهل نجد يقولون أفتنت الرجل. وفرق الخليل وسيبويه بينهما فقالا: فتنته جعلت فيه فتنة مثل أكحلته، وأفتنته جعلته مفتتنا. وزعم الأصمعي أنه لا يعرف أفتنته. (إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) (عدوا) هاهنا بمعنى أعداء. والله أعلم.

[سورة النساء (٤): آية ١٠٢]

وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا (١٠٢)

---

(١). في ج وط: (قصمتين).." [2]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٠٨/٥

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٦٣/٥

"قلت: فالآية على هذا محكمة لا نسخ فيها. وقالت طائفة: الخطاب خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الغسيل «١»: إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء عند كل صلاة فشق ذلك عليه، فأمر بالسواك ورفع عنه الوضوء إلا من حدث. وقال علقمة بن الفغواء عن أبيه- وهو من الصحابة، وكان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك: نزلت هذه الآية رخصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه كان لا يعمل عملا إلا وهو على وضوء، ولا يكلم أحدا ولا يرد سلاما إلى غير ذلك، فأعلمه الله بهذه الآية أن الوضوء إنما هو للقيام إلى الصلاة فقط دون سائر الأعمال. وقالت طائفة: المراد بالآية الوضوء لكل صلاة طلبا للفضل، وحملوا الأمر على الندب، وكان كثير من الصحابة منهم ابن عمر يتوضئون لكل صلاة طلبا للفضل، وكان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك إلى أن جمع يوم الفتح بين الصلوات الخمس بوضوء واحد، إرادة البيان لأمته صلى الله عليه وسلم. قلت: وظاهر هذا القول أن الوضوء لكل صلاة قبل ورود الناسخ كان مستحبا لا إيجابا وليس كذلك، فإن الأمر إذا ورد، مقتضاه الوجوب، لا سيما عند الصحابة رضوان الله عليهم، على ما هو معروف من سيرتهم. وقال آخرون: إن الفرض في كل وضوء كان لكل صلاة ثم نسخ في فتح مكة، وهذا **غلط** لحديث أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة، وإن أمته كانت على خلاف ذلك، وسيأتي، ولحديث سويد ابن النعمان أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى وهو بالصهباء «٢» العصر والمغرب بوضوء واحد، وذلك في غزوة خيبر، وهي سنة ست، وقيل: سنة سبع، وفتح مكة كان في سنة ثمان، وهو حديث صحيح رواه مالك في موطئه، وأخرجه البخاري ومسلم، فبان بهذين الحديثين أن الفرض لم يكن قبل الفتح لكل صلاة. فإن قيل: فقد روى مسلم عن بريدة بن الحصيب «٣» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة، فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد، ومسح على خفيه، فقال عمر رضي الله عنه: لقد صنعت اليوم شيئا لم تكن

---

(١). كذا في الأصول. والغسيل هو حنظلة رضى الله عنه نفر حين سمع الهائعة وهو جنب فاستشهد فغسلته الملائكة.

(٢). الصهباء: موقع قرب خيبر.

(٣). في أسد الغابة: الحصيب بضم المهملة وفتح الصاد.." [١]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦/٨١

"وأما مالك فما روي عنه من الإنكار فهو منكر لا يصح، والصحيح ما قاله عند موته لابن نافع قال: إني كنت آخذ في خاصة نفسي بالطهور ولا أرى من مسح مقصرا فيما بجب عليه. وعلى هذا حمل أحمد بن حنبل ما رواه ابن وهب عنه أنه قال: لا أمسح في حضر ولا سفر. قال أحمد: كما روي عن ابن عمر أنه أمرهم أن يمسحوا خفافهم وخلع هو وتوضأ وقال: حبب إلي الوضوء، ونحوه عن أبي أيوب. وقال أحمد رضي الله عنه: فمن ترك ذلك على نحو ما تركه ابن عمر وأبو أيوب ومالك لم أنكره عليه، وصلينا خلفه ولم نعبه، إلا أن يترك ذلك ولا يراه كما صنع أهل البدع، فلا يصلى خلفه.] والله أعلم [«١» وقد قيل: إن قوله" وأرجلكم" معطوف على اللفظ دون المعنى، وهذا أيضا يدل على الغسل فإن المراعى المعنى لا اللفظ، وإنما خفض للجوار كما تفعل العرب، وقد جاء هذا في القرآن وغيره قال الله تعالى:" يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس" «٢»] الرحمن: ٣٥] بالجر لأن النحاس الدخان. وقال:" بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ" «٣»] البروج: ٢٢ - ٢١] بالجر. قال امرؤ القيس:

كبير أناس في بجاد مزمل «٤»

فخفض مزمل بالجوار، وإن المزمل الرجل وإعرابه الرفع، قال زهير:

لعب الزمان بها وغيرها ... بعدي سوافي «٥» المور والقطر

قال أبو حاتم: كان الوجه القطر بالرفع ولكنه جره على جوار المور، كما قالت العرب: هذا جحر ضب خرب، فجروه وإنما هو رفع. وهذا مذهب الأخفش وأبي عبيدة ورده النحاس وقال: هذا القول **غلط** عظيم، لأن الجوار لا يكون في الكلام أن يقاس عليه، وإنما هو **غلط** ونظيره الإقواء. قلت: والقاطع في الباب من أن فرض الرجلين الغسل ما قدمناه، وما ثبت من قوله عليه الصلاة والسلام (ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار) فخوفنا بذكر النار «٦» على

---

(١). من ك.

(٢). قراءة ابن كثير. راجع ج ١٧ ص ١٦٨.

(٣). راجع ج ١٩ ص ٢٩٦.

(٤). صدر البيت:

كان أبانا في أفانين دقه

والبجاد الكساء المخطط، والمزمل المدثر في الثياب. والمعنى أن ما ألبسه الخبل من المطر، وأحاط به إلى رأسه كشيخ في كساء مخطط.
(٥). السوافي جمع سافية وهي الريح الشديدة التي تسفى التراب أي تطيره، والمور التراب.
(٦). كذا في ج وز وك. وهي رواية أحمد.." (١)

"قلت: ولا تعارض بين هذا والأول، فإن ذلك الجبار الذي أخذهم في كمه- ويقال: في حجره- هو عوج «١» بن عناق وكان أطولهم قامة وأعظمهم خلقا، على ما يأتي من ذكره إن شاء الله تعالى. وكان طول سائرهم ستة أذرع ونصف في قول مقاتل. وقال الكلبي: كان طول كل رجل منهم ثمانين ذراعا، والله أعلم. فلما أذاعوا الخبر ما عدا يوشع وكالب ابن يوقنا، وامتنعت بنو إسرائيل من الجهاد عوقبوا بالتيه أربعين سنة إلى أن مات أولئك العصاة ونشأ أولادهم، فقاتلوا الجبارين وغلبوهم. قوله تعالى: (ولا ترتدوا على أدباركم) أي لا ترجعوا عن طاعتي وما أمرتكم به من قتال الجبارين. وقيل: لا ترجعوا عن طاعة الله إلى معصيته، والمعنى واحد. قوله تعالى: (قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين) أي عظام الأجسام طوال، وقد تقدم، يقال: نخلة جبارة أي طويلة. والجبار المتعظم الممتنع من الذل والفقر. وقال الزجاج: الجبار من الآدميين العاتي، وهو الذي يجبر الناس على ما يريد، فأصله على هذا من الإجبار وهو الإكراه، فإنه يجبر غيره على ما يريده، وأجبره أي أكرهه. وقيل: هو مأخوذ من جبر العظم، فأصل الجبار على هذا المصلح أمر نفسه، ثم استعمل في كل من جر لنفسه نفعا بحق أو باطل. وقيل: إن جبر العظم راجع إلى معنى الإكراه. قال الفراء: لم أسمع فعالا من أفعل إلا في حرفين، جبار من أجبر ودراك من أدرك. ثم قيل: كان هؤلاء من بقايا عاد. وقيل: هم من ولد عيصو بن إسحاق، وكانوا من الروم، وكان معهم عوج الأعنق، وكان طوله ثلاثة آلاف «٢» ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا، قاله ابن عمر، وكان يحتجن السحاب أي يجذبه بمحجنه ويشرب منه، ويتناول الحوت من قاع البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله. وحضر طوفان نوح عليه السلام ولم يجاوز ركبتيه وكان عمره ثلاثة آلاف

---

(١). عوج بن عناق: هكذا في الأصول. والذي ذكر في القاموس مادة (عوق) (وعوق كنوح والد عوج الطويل ومن قال: عوج بن عنق فقد أخطأ) وقال في شرحه: (هذا الذي خطأه هو المشهور على الألسنة

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦/٩٤

قال شيخنا: وزعم قوم من حفاظ التواريخ أن عنق هي أم عوج وعوق أبوه فلا خطأ ولا غلط، وفي شعر عرقلة الدمشقي المذكور في بدائع البداية المتوفى سنة ٥٦٧ (أعور الرجال يمشي: خلف عوج بن عناق) وهو ثقة عارف. (عن القاموس وشرحه).

(٢). في ج وه وك وز: ثلاثة آلاف وعشرون ألفا. إلخ. [.....]." [١]

"يستأنى بها إلى الوقت الذي يقول أهل المعرفة إنها لا تنبت، فإذا كان ذلك كان فيها قدرها تاما، على ظاهر الحديث، وإن نبتت رد الأرش. وأكثر من يحفظ عنه من أهل العلم يقولون: يستأنى بها سنة، روي ذلك عن علي وزيد وعمر بن عبد العزيز وشريح والنخعي وقتادة ومالك وأصحاب الرأي. ولم يجعل الشافع لهذا «١» مدة معلومة. السادسة عشرة- إذا قلع سن الكبير فأخذ ديتها ثم نبتت، فقال مالك لا يرد ما أخذ. وقال الكوفيون: يرد إذا نبتت. وللشافعي قولان: يرد ولا يرد، لان هذا نبات لم تجربه عادة، ولا يثبت الحكم بالنادر، هذا قول علمائنا. تمسك الكوفيون بأن عوضها قد نبت فيرد، أصله سن الصغير. قال الشافعي: ولو جنى عليها جان آخر وقد نبتت صحيحة كان فيها أرشها تاما. قال ابن المنذر: هذا أصح القولين، لأن كل واحد منهما قالع سن، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم في السن «٢» خمسا من الإبل. السابعة عشرة- فلو قلع رجل سن رجل فردها صاحبها فالتحمت فلا شي فيها عندنا. وقال الشافعي: ليس له أن يردها من قبل أنها نجسة، وقاله ابن المسيب وعطاء. ولو ردها أعاد كل صلاة صلاها لأنها ميتة، وكذلك لو قطعت أذنه فردها بحرارة الدم فالتزقت مثله. وقال عطاء: يجبره السلطان على قلعها لأنها ميتة ألصقها. قال ابن العربي: وهذا غلط، وقد جهل من خفي عليه أن ردها وعودها بصورتها لا يوجب عودها بحكمها، لأن النجاسة كانت فيها للانفصال، وقد عادت متصلة، وأحكام الشريعة ليست صفات للأعيان، وإنما هي أحكام تعود إلى قول الله سبحانه فيها وإخباره عنها. قلت: ما حكاه ابن العربي عن عطاء خلاف ما حكاه ابن المنذر عنه، قال ابن المنذر: واختلفوا في السن تقلع قودا ثم ترد مكانها فتنبت، فقال عطاء الخراساني وعطاء بن أبي رباح: لا بأس بذلك. وقال الثوري وأحمد وإسحاق: تقلع، لأن القصاص للشين. وقال الشافعي: ليس له أن يردها من قبل أنها نجسة، ويجبره السلطان على القلع.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦/١٢٦

(١). في ع وك: لها. [.....]

(٢). في ع: فيها.." (١)

"والنعمة والصلة، لأن الاشتراك يقع حينئذ بين وليه آدم وعدوه إبليس، ويبطل ما ذكر من تفضيله عليه، لبطلان معنى التخصيص، فلم يبق إلا أن تحمل «١» على صفتين تعلقتا بخلق آدم تشريفا له دون خلق إبليس تعلق القدرة بالمقدور، لا من طريق المباشرة ولا من حيث المماسة، ومثله ما روي أنه] عز اسمه وتعالى علاه وجد أنه [«٢» كتب التوراة بيده، وغرس دار الكرامة] بيده [«٣» لأهل الجنة، وغير ذلك تعلق الصفة بمقتضاها. قوله تعالى: (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) حذفت الضمة من الياء لثقلها، أي غلت في الآخرة، ويجوز أن يكون دعاء عليهم، وكذا" ولعنوا بما قالوا" والمقصود تعليمنا كما قال:" لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله" «٤»] الفتح: ٢٧]، علمنا الاستثناء كما علمنا الدعاء على أبي لهب بقوله:" تبت يدا أبي لهب" «٥»] المسد: ١] وقيل: المراد أنهم أبخل الخلق، فلا ترى يهوديا غير لئيم. وفي الكلام على هذا القول إضمار الواو، أي قالوا: يد الله مغلولة وغلت أيديهم. واللعن بالابعاد، وقد تقدم. قوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان) ابتداء وخبر، أي بل نعمته مبسوطة، فاليد بمعنى النعمة. قال بعضهم: هذا غلط، لقوله:" بل يداه مبسوطتان" فنعم الله تعالى أكثر من أن تحصى فكيف تكون بل نعمتاه مبسوطتان؟ وأجيب بأنه يجوز أن يكون هذا تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد، فيكون مثل قوله عليه السلام: (مثل المنافق كالشاة العائرة «٦») ٦ (بين الغنمين). فأحد الجنسين نعمة الدنيا، والثاني نعمة الآخرة. وقيل: نعمتا الدنيا النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة، كما قال:" وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة" «٧»] لقمان: ٢٠]. وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه: (النعمة الظاهرة ما حسن من خلقك، والباطنة ما ستر عليك من سيئ عملك). وقيل: نعمتاه المطر والنبات اللتان النعمة بهما ومنهما. وقيل: إن النعمة «٨» للمبالغة، كقول العرب: (لبيك وسعديك) وليس يريد الاقتصار على مرتين، وقد يقول القائل: ما لي بهذا الامر يد أو قوة. قال السدي، معنى قوله (يداه) قوتاه بالثواب

---

(١). كذا في الأصول إلا في ج، ز: تحملا. ولا وجه للتثنية هنا.

(٢). من ز. [.....]

(٣). من ع.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩٩/٦

(٤). راجع ج ١٦ ص ٢٨٩.

(٥). راجع ج ٢٠ ص ٢٣٤.

(٦). العائرة بين الغنمين: أي المترددة بين قطيعين، لا تدرى أيهما تتبع.

(٧). راجع ج ١٤ ص ٧٣.

(٨). تلك عبارة الأصول، أو صوابها ما في الجصاص: إن التثنية للمبالغة في صفة النعمة كقولك إلخ. راجع ج ٢ ص ٤٤٨.." [١]

"لا. قال: (لكن الله تعالى يدري وسيقضي بينهما) وهذا نص، وقد زدناه بيانا في كتاب (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة). والله أعلم.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٣٩ الى ٤١]

والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (٣٩) قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين (٤٠) بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون (٤١)

قوله تعالى: (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم) ابتداء وخبر، أي عدموا الانتفاع بأسماعهم وأبصارهم، فكل أمة من الدواب وغيرها تهتدي لمصالحها والكفار لا يهتدون. وقد تقدم في (البقرة) «١». (في الظلمات) أي ظلمات الكفر. وقال أبو علي: يجوز أن يكون المعنى (صم وبكم) في الآخرة، فيكون حقيقة دون مجاز اللغة. (من يشأ الله يضلله) دل على أنه شاء ضلال الكافر وأراده لينفذ فيه عدله. أل ا ترى أنه قال: (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي على دين الإسلام لينفذ فيه فضله. وفيه إبطال لمذهب القدرية. والمشيئة راجعة إلى الذين كذبوا، فمنهم من يضله ومنهم من يهديه. قوله تعالى:" قل أرأيتكم" وقرأ نافع بتخفيف الهمزتين، يلقي حركة الأولى على ما قبلها، ويأتي بالثانية بين بين. وحكى أبو عبيد عنه أنه يسقط الهمزة ويعوض منها ألفا. قال النحاس: وهذا عند أهل العربية **غلط** عليه، لأن الياء ساكنة والألف ساكنة ولا يجتمع ساكنان. قال مكي: وقد روي عن ورش أنه أبدل من الهمزة ألفا، لأن الرواية عنه أنه يمد الثانية، والمد لا يتمكن إلا مع البدل، والبدل فرع عن الأصول، والأصل أن تجعل

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٣٩/٦

(١). راجع ج ١ ص ٢١٤.." [١]

"وخالف في ذلك كثير من أصحاب مالك وأصحاب الشافعي والمعتزلة، لقول تعالى:" لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا «١» ". وهذا لا حجة فيه، لأنه يحتمل التقييد: إلا فيما قص عليكم من الأخبار عنهم مما لم يأت من كتابكم. وفي صحيح البخاري عن العوام قال: سألت مجاهدا عن سجدة" ص" فقال: سألت ابن عباس عن سجدة" ص" فقال: أو تقرأ" ومن ذريته داود وسليمان" إلى قوله" أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده"؟ وكان داود عليه السلام ممن أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم بالاقتداء به. الثانية- قرأ حمزة والكسائي" اقتد قل" بغير هاء في الوصل. وقرا ابن عامر" اقتد هي قل". قال النحاس: وهذا لحن، لأن الهاء لبيان الحركة في الوقف وليست بهاء إضمار ولا بعدها واو ولا ياء، وكذلك أيضا لا يجوز" فبهداهم اقتده قل". ومن اجتنب اللحن واتبع السواد قرأ" فبهداهم اقتده" فوقف ولم يصل، لأنه إن وصل بالهاء لحن وإن حذفها خالف السواد. وقرأ الجمهور بالهاء في الوصل على نية الوقف وعلى نية الإدراج اتباعا لثباتها في الخط. وقرأ ابن عياش وهشام" اقتده قل" بكسر الهاء، وهو **غلط** لا يجوز في العربية. قوله تعالى: (قل لا أسئلكم عليه أجرا) أي جعلا على القرآن. (إن هو) أي القرآن. (إلا ذكرى للعالمين) أي هو موعظة للخلق. وأضاف الهداية إليهم فقال:" فبهداهم اقتده" لوقوع الهداية بهم. وقال:" ذلك هدى الله" لأنه الخالق للهداية.

[سورة الأنعام (٦): آية ٩١]

وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (٩١)

(١). راجع ج ٦ ص ٢٠٩.." [٢]

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤٢٢/٦

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٦/٧

"أي لعلني «١». وهو في كلام العرب كثير" أن" بمعنى لعل. وحكى الكسائي أنه كذلك في مصحف أبي بن كعب" وما أدراكم لعلها". وقال الكسائي والفراء: أن" لا" زائدة، والمعنى: وما يشعركم أنها- أي الآيات- إذا جاءت المشركين يؤمنون، فزيدت" لا"، كما زيدت" لا" في قول تعالى:" حرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون «٢» ". لأن المعنى: وحرام على قرية مهلكة رجوعهم. وفي قول:" ما منعك ألا تسجد" «٣». والمعنى: ما منعك أن تسجد. وضعف الزجاج والنحاس وغيرهما زيادة" لا" وقالوا: هو غلط وخطأ، لأنها إنما تزاد فيما لا يشكل. وقيل: في الكلام حذف، والمعنى: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون، ثم حذف هذا لعلم السامع، ذكره النحاس وغيره.

[سورة الأنعام (٦): آية ١١٠]

ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٠)

هذه آية مشكلة، ولا سيما وفيها" ونذرهم في طغيانهم يعمهون". قيل: المعنى ونقلب أفئدتهم وأنظارهم يوم القيامة على لهب النار وحر الجمر، كما لم يؤمنوا في الدنيا." ونذرهم" في الدنيا، أي نمهلهم ولا نعاقبهم، فبعض الآية في الآخرة، وبعضها في الدنيا. ونظيرها" وجوه يومئذ خاشعة «٤» " فهذا في الآخرة." عاملة ناصبة" في الدنيا. وقيل: ونقلب في الدنيا، أي نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة، لما دعوتهم وأظهرت المعجزة. وفي التنزيل:" واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه". والمعنى: كان ينبغي أن يؤمنوا إذا جاءتهم الآية فرأوها بأبصارهم وعرفوها بقلوبهم، فإذا لم يؤمنوا كان ذلك بتقليب الله قلوبهم وأبصارهم. كما لم يؤمنوا به أول مرة ودخلت الكاف على محذوف، أي فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة، أي أول مرة أتتهم الآيات التي عجزوا عن معارضتها مثل القرآن وغيره. وقيل ونقلب أفئدة هؤلاء كيلا

---

(١). في هـ نخ ب، وز ما نصه: ذريني أطوف في البلاد لأنني إلخ.
(٢). راجع ج ١١ ص ٣٤٠.
(٣). راجع ص ١٦٥، وص ٣٩٠ من هذا الجزء.
(٤). راجع ج ٢٠ ص ٢٦.." [1]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦٥/٧

"فقد تودع منهم (. قال الزجاج: الواو ثقيلة، فلما كان" ترك" ليس فيه واو بمعنى ما فيه الواو ترك ما فيه الواو. وهذا معنى قول وليس بنصه.

[سورة الأنعام (٦): آية ١١٣]

ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون (١١٣)

قوله تعالى: (ولتصغى إليه أفئدة) تصغى تميل، يقال: صغوت أصغو صغوا وصغوا، وصغيت أصغى، وصغيت بالكسر أيضا. يقال منه: صغي يصغى صغى وصغيا، وأصغيت إليه إصغاء بمعنى قال الشاعر:

ترى السفيه به عن كل محكمة «١» ... زيغ وفيه إلى التشبيه إصغاء

ويقال: أصغيت الإناء إذا أملته ليجتمع ما فيه. وأصله الميل إلى الشيء لغرض من الأغراض. ومنه صغت النجوم: مالت للغروب. وفي التنزيل:" فقد صغت قلوبكما «٢» ". قال أبو زيد: يقال»

صغوه معك وصغوه، وصغاه معك، أي ميله. وفي الحديث: (فأصغى لها الإناء) يعني للهرة. وأكرموا فلانا في صاغيته، أي في قرابته الذين يميل ون إليه ويطلبون ما عنده. وأصغت الناقة إذا أمالت رأسها إلى الرجل كأنها تستمع شيئا حين يشد عليها الرحل. قال ذو الرمة:

تصغي إذا شدها بالكور جانحة ... حتى إذا ما استوى في غرزها تثب «٤»

واللام في" ولتصغى " لام كي، والعامل فيها" يوحي" تقديره: يوحي بعضهم إلى بعض ليغروهم ولتصغى. وزعم بعضهم أنها لام الأمر، وهو غلط، لأنه كان يجب" ولتصغ إليه" بحذف الألف، وإنما هي لام كي. وكذلك وليقترفوا إلا أن الحسن قرأ" وليرضوه

---

(١). من ا، ب، ز، ك وفى اللسان: مكرمة.

(٢). راجع ج ١٨ ص ١٨٨.

(٣). من ب، ز، ك.

(٤). الكور (بالضم): رحل الناقة بأداته وهو كالسرج وآلته للفرس قال ابن سيده: وكثير من الناس يفتح الكاف وهو خطأ وجانحة: مائلة لاصقة. والغرز: سير كالركاب توضيح فيه الرجل عند الركاب. صف ناقته بالفطانة وسرعة الحركة.." [1]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦٩/٧

"من المغرب فبهت الذي كفر «١» " وأن الملحدة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون: هو غير كائن، فيطلعها الله تعالى يوما من المغرب ليري المنكرين قدرته أن الشمس في ملكه، إن شاء أطلعها من المشرق وإن شاء أطلعها من المغرب. وعلى هذا يحتمل أن يكون رد التوبة والإيمان على من آمن وتاب من المنكرين لذلك المكذبين لخبر النبي صلى الله عليه وسلم بطلوعها، فأما المصدقون لذلك فإنه تقبل توبتهم وينفعهم إيمانهم قبل ذلك. وروي عن عبد الله بن عباس أنه قال: لا يقبل من كافر «٢» عمل ولا توبة إذا أسلم حين يراها، إلا من كان صغيرا يومئذ، فإنه لو أسلم بعد ذلك قبل ذلك منه. ومن كان مؤمنا مذنبا فتاب من الذنب قبل منه. وروي عن عمران بن حصين أنه قال: إنما لم تقبل (توبته «٣») وقت طلوع (الشمس «٤») حين تكون صيحة فيهلك فيها كثير من الناس، فمن أسلم أو تاب في ذلك الوقت وهلك لم تقبل توبته، ومن تاب بعد ذلك قبلت توبته، ذكره أبو الليث السمر قندي في تفسيره. وقال عبد الله بن عمر: يبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة حتى يغرسوا النحل. والله بغيبه أعلم. وقرأ ابن عمر وابن الزبير «٥» " يوم تأتي" بالتاء، مثل" تلقطه بعض السيارة «٦» ". وذهبت بعض أصابعه. وقال جرير:

لما أتى خبر الزبير تواضعت ... سور المدينة والجبال الخشع «٧»

قال المبرد: التأنيث على المجاورة لمؤنث لا على الأصل. وقرأ ابن سيرين" لا تنفع" بالتاء. قال أبو حاتم: يذكرون أن هذا غلط من ابن سيرين. قال النحاس: في هذا شي دقيق من النحو ذكره سيبويه، وذلك أن الإيمان والنفس كل واحد منهما مشتمل على الآخر فأنث الإيمان إذ هو من النفس وبها، وأنشد سيبويه:

مشين كما اهتزت رماح تسفهت ... أعاليها مر الرياح النواسم «٨»

---

(١). راجع ج ٣ ص ٢٨٣.

(٢). في ك: إيمانه ولا توبته ولا عمل.

(٣). من ك.

(٤). من ك.

(٥). في ك: ابن مسعود.

(٦). راجع ج ٩ ص ١٣١.

(٧). وصف مقتل الزبير بن العوام صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصراف يوم الجمل وقتل

في الطريق غيلة.

(٨). البيت لذي الرمة. وصف نساء، فيقول: إذا مشين اهتززن في مشين وتثنين فكأنهن رماح نصب فمرت عليها الرياح فاهتزت وتثنت.." (١)

"قوله تعالى: (ولكل أمة أجل) أي وقت مؤقت. (فإذا جاء أجلهم) أي الوقت المعلوم عند الله عز وجل. وقرأ ابن سيرين" جاء آجالهم" بالجمع لا يستأخرون عنه ساعة ولا أقل من ساعة، إلا أن الساعة خصت بالذكر لأنها أقل أسماء الأوقات، وهي ظرف زمان. ولا يستقدمون فدل بهذا على أن المقتول إنما يقتل بأجله. وأجل الموت هو وقت الموت، كما أن أجل الدين هو وقت حلوله. وكل شي وقت به شي فهو أجل له. وأجل الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله أنه يموت «١» الحي فيه لا محالة وهو وقت لا يجوز تأخير موته عنه، لأمن حيث إنه ليس مقدورا تأخيره. وقال كثير من المعتزلة إلا من شذ منهم: إن المقتول مات بغير أجله الذي ضرب له، وإنه لو لم يقتل لحيي. وهذا غلط، لأن المقتول لم يمت من أجل قتل غيره له، بل من أجل ما فعله الله من إزهاق نفسه عند الضرب له. فإن قيل: فإن مات بأجله فلم تقتلون ضاربه وتقتصون منه؟. قيل له: نقتله لتعديه وتصرفه فيما ليس له أن يتصرف فيه، لا لموته وخروج الروح إذ ليس ذلك من فعله. ولو ترك الناس والتعدي من غير قصاص لأدى ذلك إلى الفساد ودمار العباد. وهذا واضح.

[سورة الأعراف (٧): الآيات ٣٥ الى ٣٦]

يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٥) والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٦)

قوله تعالى: (يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم) شرط. ودخلت النون توكيدا لدخول" ما". وقيل: ما صلة، أي إن يأتكم. أخبر أنه يرسل إليهم الرسل منهم لتكون إجابتهم أقرب. والقصص إتباع الحديث بعضه بعضا. (آياتي) أي فرائضي وأحكامي. فمن اتقى وأصلح شرط، وما بعده جوابه، وهو جواب الأول. أي وأصلح منكم ما بيني وبينه. فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون دليل على أن المؤمنين يوم القيامة لا يخافون ولا يحزنون، ولا يلحقهم رعب ولا فزع. وقيل: قد يلحقهم أهوال يوم القيامة، ولكن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤٨/٧

(١). في ك: يميت.." (١)

"هذا أي تركوا العمل به وكذبوا به. و" ما" مصدرية، أي كنسيهم. (وما كانوا بآياتنا يجحدون) عطف عليه، وجحدهم.

[سورة الأعراف (٧): آية ٥٢]

ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٥٢)

قوله تعالى: (ولقد جئناهم بكتاب) يعني القرآن." فصلناه" أي بيناه حتى يعرفه من تدبره وقيل:" فصلناه" أنزلناه متفرقا. (على علم) منا به، لم يقع فيه سهو ولا غلط. (هدى ورحمة) قال الزجاج: أي هاديا وذا رحمة، فجعله حالا من الهاء التي في" فصلناه". قال ويجوز هدى ورحمة، بمعنى هو هدى ورحمة. وقيل: يجوز هدى ورحمة بالخفض على المن كتاب. وقال الكسائي والفراء: ويجوز هدى ورحمة بالخفض على النعت لكتاب. قال الفراء: مثل" وهذا كتاب أنزلناه مبارك «١» ". (لقوم يؤمنون) خص المؤمنون لأنهم المنتفعون به.

[سورة الأعراف (٧): آية ٥٣]

هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٥٣)

قوله تعالى: (هل ينظرون إلا تأويله) بالهمز، من آل. وأهل المدينة يخففون الهمزة. والنظر: الانتظار، أي هل ينتظرون إلا ما وعدوا به في القرآن من العقاب والحساب. وقيل:" ينظرون" من النظر إلى يوم القيامة. فالكناية في" تأويله" ترجع إلى الكتاب. وعاقبة «٢» الكتاب ما وعد الله فيه من البعث والحساب. وقال مجاهد:" تأويله"

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٠٢/٧

(١). راجع ص ١٤٢ من هذا الجزء.

(٢). كذا في الأصول ولعله بعد قول قتادة الآتي.." [١]

"[سورة الأعراف (٧): آية ٧٣]

وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم (٧٣)

وهو ثمود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح. وهو أخو جديس، وكانوا في سعة من معايشهم، فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره، وأفسدوا في الأرض. فبعث الله إليهم صالحا نبيا، وهو صالح بن عبيد بن آسف بن كاشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود. وكانوا قوما عربا. وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فدعاهم إلى الله تعالى حتى شمط «١» ولا يتبعه. منهم إلا قليل مستضعفون. ولم ينصرف" ثمود" لأنه جعل اسما للقبيلة. وقال أبو حاتم: لم ينصرف، لأنه اسم أعجمي. قال النحاس: وهذا غلط، لأنه مشتق من الثمد وهو الماء القليل. وقد قرأ القراء" ألا إن ثمود كفروا ربهم «٢» " على أنه اسم للحي. وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وهم من ولد سام بن نوح. وسميت ثمود لقلة مائها. وسيأتي بيانه في" الحجر «٣» " إن شاء الله تعالى. (هذه ناقة الله لكم آية) أخرج لهم الناقة حين سألوه من حجر صلد، فكان لها يوم تشرب فيه ماء الوادي كله، وتسقيهم مثله لبنا لم يشرب قط ألذ وأحلى منه. وكان بقدر حاجتهم على كرتهم، قال الله تعالى:" لها شرب ولكم شرب يوم معلوم «٤» ". وأضيفت الناقة إلى الله عز وجل على جهة إضافة الخلق إلى الخالق. وفيه معنى التشريف والتخصيص. (فذروها تأكل في أرض الله) أي ليس عليكم رزقها ومئونتها.

---

(١). الشمط، (بفتح الميم): شيب اللحية. وقيل: بياض شعر الرأس يخالط سواده.

(٢). راجع ج ٩ ص ٥٩. [.....]

(٣). راجع ج ١٠ ص ٤٥ فما بعد.

(٤). راجع ج ١٣ ص ١٢٧.." [٢]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٧/٧

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٣٨/٧

"الأولى- قوله تعالى: (ولوطا إذ قال لقومه) قال الفراء: لوط مشتق من قولهم: هذا أليط بقلبي، أي ألصق. وقال النحاس: قال الزجاج زعم بعض النحويين- يعني الفراء- أن لوطا يجوز أن يكون مشتقا من لطت إذا ملسته بالطين. قال: وهذا غلط، لأن الأسماء الأعجمية لا تشتق كإسحاق، فلا يقال: إنه من السحق وهو البعد. وإنما صرف لوط لخفته «١» لأنه على ثلاثة أحرف وهو ساكن الوسط. قال النقاش: لوط من الأسماء الأعجمية وليس من العربية. فأما لطت الحوض، وهذا أليط بقلبي من هذا، فصحيح. ولكن الاسم أعجمي كإبراهيم وإسحاق. قال سيبويه: نوح ولوط أسماء أعجمية، إلا أنها خفيفة فلذلك صرفت. بعثه الله تعالى إلى أمة تسمى سدوم، وكان ابن أخي إبراهيم. ونصبه إما ب" أرسلنا" المتقدمة فيكون معطوفا. ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى واذكر. الثانية- قوله تعالى: (أتأتون الفاحشة) يعني إتيان الذكور. ذكرها الله باسم الفاحشة ليبين أنها زنى، كما قال الله تعالى:" ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة «٢» ". واختلف العلماء فيما يجب على من فعل ذلك بعد إجماعهم على تحريمه، فقال مالك: يرجم، أحصن أو لم يحصن. وكذلك يرجم المفعول به إن كان محتلما. وروي عنه أيضا: يرجم إن كان محصنا، ويحبس ويؤدب إن كان غير محصن. وهو مذهب عطاء والنخعي وابن المسيب وغيرهم. وقال أبو حنيفة: يعزر المحصن وغيره، وروي عن مالك. وقال الشافعي: يحد حد الزنى قياسا عليه. احتج مالك بقول تعالى:" وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل". فكان ذلك عقوبة لهم وجزاء على فعلهم. فإن قيل: لا حجة فيها لوجهين، أحدهما- أن قوم لوط إنما عوقبوا على الكفر والتكذيب كسائر الأمم. الثاني- أن صغيرهم وكبيرهم دخل فيها، فدل على خروجها من باب الحدود. قيل: أما الأول فغلط، فإن الله سبحانه أخبر عنهم أنهم كانوا على معاصي فأخذهم بها، منها هذه. وأما الثاني فكان منهم فاعل وكان منهم راض، فعوقب الجميع لسكوت الجماهير عليه. وهي حكمة الله وسنته في عباده.

---

(١). من ب وج ك وى وز.

(٢). راجع ج ١٠ ص ٢٥٣ وص ٤٢ وج ٩ ص ٨١.." [1]

"همزة على لغة من قال في العالم العألم وفي الخاتم الخأتم. قال النحاس: وهذا غلط، والرواية عن الحسن" ولا أدرأتكم" بالهمزة، وأبو حاتم وغيره تكلم أنه بغير همز، ويجوز أن يكون من درأت أي دفعت، أي ولا أمرتكم أن تدفعوا فتتركوا الكفر بالقرآن. قوله تعالى: (فقد لبثت فيكم عمرا) ظرف، أي مقدارا من

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٤٣/٧

الزمان وهو أربعون سنة. (من قبله) أي من قبل القرآن، تعرفونني بالصدق والأمانة، لا أقرأ ولا أكتب، ثم جئتكم بالمعجزات. (أفلا تعقلون) أن هذا لا يكون إلا من عند الله لا من قبلي. وقيل: معنى (لبثت فيكم عمرا) أي لبثت فيكم مدة شبابي لم أعص الله أفتر يدون مني الآن وقد بلغت أربعين سنة أن أخالف أمر الله وأغير ما ينزله علي. قال قتادة: لبثت فيهم أربعين سنة وأقام سنتين يرى رؤيا الأنبياء وتوفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنتين وستين سنة.

[سورة يونس (١٠): آية ١٧]

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون (١٧)

هذا استفهام بمعنى الجحد، أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب، وبدل كلامه وأضاف شيئا إليه مما لم ينزله. وكذلك لا أحد أظلم منكم إذا أنكرتم القرآن وافتريتم على الله الكذب، وقلتم ليس هذا كلامه. وهذا مما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم. وقيل: هو من قول الله ابتداء. وقيل: المفتري المشرك، والمكذب بالآيات أهل الكتاب." إنه لا يفلح المجرمون".

[سورة يونس (١٠): آية ١٨]

ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون (١٨)." [١]

"قوله تعالى: (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) أخبر عن معاداة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ويظنون أنه تخفى على الله أحوالهم." يثنون صدورهم" أي يطوونها على عداوة المسلمين ففيه هذا الحذف، قال ابن عباس: يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة، ويظهرون خلافه. نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلا حلو الكلام حلو المنطق، يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يجب، وينطوي له بقلبه على ما يسوء. وقال مجاهد:" يثنون صدورهم" شكا وامتراء. وقال الحسن: يثنونها على ما فيها من الكفر. وقيل: نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مر بالنبي صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره، وطأطأ رأسه وغطى وجهه، لكيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فيدعوه إلى الإيمان، حكي معناه عن عبد الله بن شداد فالهاء في" منه" تعود على النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: قال المنافقون إذا غلقنا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٢١/٨

أبوابنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا صدورنا على عداوة محمد فمن يعلم بنا؟ فنزلت الآية. وقيل: إن قوما من المسلمين كانوا يتنسكون بستر أبدانهم ولا يكشفونها تحت السماء، فبين الله تعالى أن التنسك ما اشتملت قلوبهم قلوبهم من معتقد، وأظهروه من قول وعمل. وروى ابن جرير عن محمد ابن عباد بن جعفر قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول:" ألا أنهم تثنوي صدورهم ليستحفوا منه" «١» قال: كانوا لا يجامعون النساء، ولا يأتون الغائط وهم يفضون إلى السماء، فنزلت هذه الآية. وروى غير محمد بن عباد عن ابن عباس:" ألا إنهم تثنوي صدورهم" بغير نون بعد الواو، في وزن تنطوي، ومعنى" تثنوي" والقراءتين الأخريين متقارب، لأنها لا تثنوي حتى يثنوها. وقيل: كان بعضهم ينحني على بعض يساره في الطعن على المسلمين، وبلغ من جهلهم أن توهموا أن ذلك يخفى على الله تعالى:" ليستخفوا" أي ليتواروا عنه، أي عن محمد أو عن الله." ليستخفوا" أي ليتواروا عنه، أي عن محمد أو عن الله.

---

(١). في الأصل:" تثنوى" بغير نون بعد الواو في وزن تنطوي، وهو يخالف ما في صحيح البخاري وتفسير الطبري عن محمد عن بن عباد، فلذا صوبناه عنهما، وأما رواية" تثنوى" المذكورة بالأصل فقد نسبها ابن عطية إلى ابن عينية، ويعضده ما في (إعراب القرآن للنحاس) حيث قال: وروى غير محمد بن عباد عن ابن عباس" ألا إنهم تثنوي صدورهم" بغير نون بعد الواو في وزن تنطوى ...... إلخ، وهى العبارة الآتية بالأصل. وتعقب بعض المفسرين هذه القراءة بأنها غلط في النقل لا تتجه. راجع المعاني والبحر وتفسير ابن عطية.." [١]

"على غير الإسلام. وقال غيره: لو لم يكن فيها إلا مسلم واحد قضي للقيط بالإسلام تغليبا لحكم الإسلام الذي يعلو ولا يعلى عليه، وهو مقتضى قول أشهب، قال أشهب: هو مسلم أبدا، لأني أجعله مسلما على كل حال، كما أجعله حرا على كل حال. واختلف الفقهاء في المنبوذ تدل «١» البينة على أنه عبد، فقالت طائفة من أهل المدينة: لا يقبل قولها «٢» في ذلك، وإلى هذا ذهب أشهب لقول عمر: هو حر، ومن قضي بحريته لم تقبل البينة في أنه عبد. وقال ابن القاسم: تقبل البينة في ذلك وهو قول الشافعي والكوفي. السادسة- قال مالك في اللقيط: إذا أنفق عليه الملتقط ثم أقام رجل البينة أنه ابنه فإن الملتقط يرجع على الأب إن كان طرحه متعمدا، وإن لم يكن طرحه ولكنه ضل منه فلا شي على الأب، والملتقط متطوع بالنفقة. وقال أبو حنيفة: إذا أنفق على اللقيط فهو متطوع، إلا أن يأمره الحاكم. وقال الأوزاعي: كل

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٩

من أنفق على من لا تجب عليه نفقة رجع بما أنفق. وقال الشافعي: إن لم يكن للقيط مال وجبت نفقته في بيت المال، فإن لم يكن ففيه قولان: أحدهما- يستقرض له في ذمته. والثاني- يقسط على المسلمين من غير عوض. السابعة- وأما اللقطة والضوال فقد اختلف العلماء في حكمهما، فقالت طائفة من أهل العلم: اللقطة والضوال سواء في المعنى، والحكم فيهما سواء، وإلى هذا ذهب أبو جعفر الطحاوي «٣»، وأنكر قول أبي عبيد القاسم بن سلام- أن الضالة لا تكون إلا في الحيوان واللقطة غير الحيوان- وقال هذا غلط، واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الإفك للمسلمين:" إن أمكم ضلت قلادتها" فأطلق ذلك على القلادة. الثامنة- أجمع العلماء على أن اللقطة ما لم تكن تافها يسيرا أو شيئا لا بقاء لها فإنها تعرف حولا كاملا، وأجمعوا أن صاحبها إن جاء فهو أحق بها من ملتقطها إذا ثبت له أنه صاحبها، وأجمعوا أن ملتقطها إن أكلها بعد الحول وأراد صاحبه أن يضمنه فإن ذلك له، وإن تصدق بها فصاحبها مخير بين التضمين وبين أن ينزل على أجرها، فأي ذلك تخير كان

(١). في ع وك وووى: تشهد.
(٢). كذا في الأصول.
(٣). في ع: الطبري.." [1]

"نصبت، وشرح هذا- فيما قاله أحمد بن يحيى،- إنك إذا قلت: ما زيد بمنطلق، فموضع الباء موضع نصب، وهكذا سائر حروف الخفض، فلما حذفت الباء نصبت لتدل على محلها، قال: وهذا قول الفراء، قال: ولم تعمل" فلما" شيئا، فألزمهم البصريون أن يقولوا: زيد القمر، لأن المعنى كالقمر! فرد أحمد بن يحيى بأن قال: الباء أدخل في حروف الخفض من الكاف، لأن الكاف تكون اسما. قال النحاس: لا يصح إلا قول البصريين، وهذا القول يتناقض، لأن الفراء أجاز «١» نصا ما بمنطلق زيد، وأنشد:

أما والله أن لو كنت حرا ... وما بالحر أنت ولا العتيق

ومنع «٢» نصا النصب، ولا نعلم بين النحويين اختلافا أنه جائز: ما فيك براغب زيد، وما إليك بقاصد عمرو، ثم يحذفون الباء ويرفعون. وحكى البصريون والكوفيون ما زيد منطلق بالرفع، وحكى البصريون أنها لغة تميم، وأنشدوا:

أتيما تجعلون إلي ندا ... وما تيم لذي حسب نديد

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣٥/٩

الند والنديد والنديدة المثل والنظير. وحكى الكسائي أنها لغة تهامة ونجد. وزعم الفراء أن الرفع أقوى الوجهين: قال أبو إسحاق: وهذا غلط، كتاب الله عز وجل ولغة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوى وأولى. قلت: وفي مصحف حفصة رضي الله عنها" ما هذا ببشر" ذكره الغزنوي. قال القشيري أبو نصر: وذكرت النسوة أن [صورة] يوسف أحسن، من صورة «٣» البشر، بل هو في صورة ملك، وقال الله تعالى:" لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم «٤» " [التين: ٤] والجمع بين الآيتين أن قولهن:" حاش لله" تبرئة ليوسف عما رمته به امرأة العزيز من المراودة، أي بعد يوسف عن هذا، وقولهن:" لله" أي لخوفه، أي براءة لله من هذا، أي قد نجا يوسف من ذلك، فليس هذا من الصورة في شي، والمعنى: أنه في التبرئة عن المعاصي كالملائكة، فعلى هذا لا تناقض. وقيل: المراد تنزيهه عن مشابهة البشر في الصورة، لفرط جماله. وقوله:" لله" تأكيد لهذا المعنى، فعلى هذا المعنى قالت النسوة ذلك ظنا منهن أن صورة الملك أحسن، وما بلغهن قوله

---

(١). في ع: أجاز أيضا.

(٢). في ع: أجاز أيضا.

(٣). في ع: إن يوسف أحسن صورة من البشر.

(٤). راجع ج ٢٠ ص ١١٣.." [1]

"[سورة يوسف (١٢): آية ٣٥]

ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين (٣٥)

فيه أربع مسائل: الأولى- قوله تعالى: (ثم بدا لهم) أي ظهر للعزيز واهل مشورته" من بعد ما رأوا الآيات" أي علامات براءة يوسف- من قد القميص من دبر، وشهادة الشاهد، وحز الأيدي، وقلة صبرهن عن لقاء يوسف- أن يسجنوه كتمانا للقصة ألا تشيع في العامة، وللحيلولة بينه وبينها. وقيل: هي البركات التي كانت تنفتح عليهم ما دام يوسف فيهم، والأول أصح. قال مقاتل عن مجاهد عن ابن عباس في قول:" ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات" قال: القميص من الآيات، وشهادة الشاهد من الآيات، وقطع الأيدي من الآيات، وإعظام النساء إياه من الآيات. وقيل: ألجأها الخجل من الناس، والوجل من اليأس إلى أن رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب، لتشتفي إذا منعت من نظره، قال:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨٢/٩

وما صبابة مشتاق على أمل ... من اللقاء كمشتاق بلا أمل

أو كادته رجاء أن يمل حبسه فيبذل نفسه. قوله تعالى: (ليسجننه) " ليسجننه" في موضع الفاعل، أي ظهر لهم أن يسجنوه، هذا قول سيبويه. قال المبرد: وهذا غلط، لا يكون الفاعل جملة، ولكن الفاعل ما دل عليه" بدا" وهو مصدر، أي بدا لهم بداء، فحذف لأن الفعل يدل عليه، كما قال الشاعر:

وحق لمن أبو موسى أبوه ... يوفقه الذي نصب الجبالا

أي وحق الحق، فحذف. وقيل: المعنى ثم بدا لهم رأي لم يكونوا يعرفونه، وحذف هذا لأن في الكلام دليلا عليه، وحذف أيضا القول، أي قالوا: ليسجننه، واللام جواب ليمين مضمر، قاله الفراء، وهو فعل مذكر لا فعل مؤنث، ولو كان فعلا مؤنثا لكان يسجنانه،." (١)

"فاستعظم ذلك، فرجع إليه فأعلمه، فقال:" ارجع إليه فادعه" فرجع إليه وقد أصابته صاعقة، وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزل:" وهم يجادلون في الله". (وهو شديد المحال) قال ابن الأعرابي:" المحال" المكر، والمكر من الله عز وجل التدبير بالحق. النحاس: المكر من الله إيصال المكروه إلى من يستحقه من حيث لا يشعر. وروى ابن اليزيدي عن أبي زيد" وهو شديد المحال" أي النقمة. وقال الأزهري:" المحال" أي القوة والشدة. والمحل: الشدة، الميم أصلية، وما حلت فلانا محالا أي قاويته حتى يتبين أينا أشد. وقال أبو عبيد:" المحال" العقوبة والمكروه. وقال ابن عرفة:" المحال" الجدال، يقال: ما حل عن أمره أي جادل. وقال القتيبي: أي شديد الكيد، وأصله من الحيلة، جعل ميمه كميم المكان، وأصله من الكون، ثم يقال: تمكنت. وقال الأزهري: **غلط** ابن قتيبة أن الميم فيه زائدة، بل هي أصلية، وإذا رأيت الحرف على مثال فعال أوله ميم مكسورة فهي أصلية، مثل: مهاد وملاك ومراس، وغير ذلك من الحروف. ومفعل إذا كانت من بنات الثلاثة فإنه يجئ بإظهار الواو «١» مثل: مزود ومحول ومحور، وغيرها من الحروف، وقال «٢»: وقرأ الأعرج-" وهو شديد المحال" بفتح الميم، وجاء تفسيره على هذه القراءة عن ابن عباس أنه الحول، ذكر هذا كله أبو عبيد الهروي، إلا ما ذكرناه أولا عن ابن الأعرابي، وأقاويل الصحابة والتابعين بمعناها، وهي ثمانية: أولها- شديد العداوة، قاله ابن عباس. وثانيها- شديد الحول، قاله ابن عباس أيضا. وثالثها- شديد الأخذ، قاله علي بن أبي طالب. ورابعها- شديد الحقد، قاله ابن عباس. وخامسها- شديد القوة، قاله مجاهد. وسادسها- شديد الغضب، قاله وهب بن منبه. وسابعها- شديد الهلاك بالمحل، وهو القحط، قاله الحسن أيضا. وثامنها- شديد الحيلة، قاله قتادة. وقال أبو عبيدة معمر: المحال والمماحلة

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨٦/٩

المماكرة والمغالبة، وأنشد للأعشى:

فرع نبع يهتز في غصن المج ... د كثير الندى شديد المحال

---

(١). أي والياء في ذوات الياء كالمعير والمزيل. كما في اللسان.

(٢). أي الأزهري كما في اللسان مادة" محل".." [١]

"وقال ابن عطية: سبب نزول الآية أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن أربعة أشياء (منها: أنهم) سألوه عمن يجيئه من الملائكة بالوحي؟ فقال: جبريل. فقالوا: ذلك عدو لنا لأنه ملك الحروب والشدائد.

قال ابن عرفة: هدا جهل ومحض ومكابرة، ولقائل أن يقول: أن السبب غير مطابق للآية، لأنهم أخبروا أن جبريل عدو لهم، والآية اقتضت أنهم أعداء لجبريل، (ولا يلزم) من عداوة أحد الشخصين للاخر أن يكون الآخر عدوا له.

وأجيب بأن هذا خرج مخرج الوعيد لهم، لأن جبريل ذو قوة وسطوة، فإذا خالفوه ودافعوه مع علمهم بقوته فقد عادوه.

قال ابن عرفة؛ الظاهر أن «من» موصولة لأن الشرطية لا تقتضي وجود شرطها ولا إمكان وجوده، والعداوة ثابتة موجودة كما تقدم فهى موصولة.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف يصح قوله: ﴿فإنه نزله على قلبك﴾ جزاء للشرط؟

وأجاب بوجهين: أحدهما أنهم لو أنصفوا لشكروا جبريل على إنزاله كتابا ينفعهم ويصحح كتابهم.

الثاني إن عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم.

قال ابن عرفة: إنما احتاج إلى هذا (السؤال) لأنه فهم أن الارتباط بين الشرط والجزاء لا يكون إلا لزوميا، وهو عند الأصوليين يكون لزوميا. ويكون اتفاقيا، لكنه في محل الاستدلال لا يصح أن يكون الا لزوميا. وفي الخبر يصح فيه الأمران. (نعم لا بد من المناسبة وصحة ترتبه على الشرط) كقولك: إن تكرم زيدا فقد أكرمه غيرك. فإنه لا ارتباط بينهما إلا في الزمان أو في الذكر خاصة فهو اتفاقي.

قلت: ولما ذكر ابن عرفة في الختمة الأخرى هذين الجوابين قال: أو يقال: إن في هذا ردا على من زعم أن جبريل **غلط** في الرسالة، وهي مسألة العتبية في كتاب المرتدين والمحاربين في رسم (يدير)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٩٩/٩

ماله من سماع ابن القاسم. قال: فيمن قال: إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

ابن رشد: هذا كفر صريح فإن أعلنه استتيب، وأن أسره بلا استتابة كالزنديق.

قوله تعالى: ﴿فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه ... ﴾

قيل لابن عرفة: يؤخذ منه تسمية بعض القرآن قرآنا لأنه لم يكن حينئذ أنزل جميعه بل بعضه؟ فقال: يجاب إما بإيقاع الماضي موقع المستقبل أو بأن الضمير في «نزله»." [1]

"قوله تعالى: ﴿ويهلك الحرث والنسل ... ﴾.

من عطف الخاص على العام.

قوله تعالى: ﴿والله لا يحب الفساد﴾.

الصحيح أنه ليس المراد حقيقة المحبة بل الذم على ذلك والله يذم الفساد ويعاقب على فعله لقول العرب في المدح التام: حبذا زيد، وفي الذم التام: لا حبذا زيد، واحتجاج المعتزلة بها لا يتم.

والجواب عنه بما قلناه .. وكذلك احتجاجهم بقول الله تعالى ﴿ولا يرضى لعباده الكفر.﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾.

قال ابن عرفة: الآية لها منطوق ومفهوم والتقدير: لم يتق لأجل ما نالته (من العزة) بسبب الإثم واكتفى عن ذلك المفهوم فذكر علته. وفي كتاب الأقضية والشهادة فيمن قال له القاضي أو غيره: اتق الله فإنه يقول له: اللهم اجعلنا من المتقين، لئلا يدخل في ضمن هاته الآية. قال: ولا ينبغي أن يقول أحد لأحد: اتق الله، فإنه تعريض له لعدم التقوى.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغآء مرضات الله ... ﴾.

قيل: إنها خاصة بصهيب وقيل عامة في كل مجاهد أو في كل آمر بالمعروف وناه عن المنكر.

قال ابن عرفة: (يشري) على أنها خاصة (فعل حال وعلى العموم) مستقبل حقيقة و «الناس» إما المؤمنون فقط أو المؤمنون والكافرون لأنه إذا تعارض العموم في جنس أقرب أو فيه وفي أبعد منه فالأقرب (أولى).

«مرضات»: قال ابن عطية: وقف عليها حمزة بالتاء والباقون بالهاء. وتبعه أبو حيان وهو **غلط** إنما وقف عليها بالهاء الكسائي فقط. وعن ورش في إمالتها وجهان، والمشهور عدم الإمالة.

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ١/ ١٥٠

قال ابن عرفة: وهو عندي منتقد على الشاطبي لأنه ذكر أن ورشا يميل ذوات الياء ثم عدها من ذوات الياء فضاهره إنه يميلها.." [1]

"الكفر يغني عنه إذا لم يعين فيها شخص منهم بخصوص فهمها أسلم منهم أحد لم يكن من الذين كفروا.

قوله تعالى: ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة ... (١٣)﴾

قال ابن عرفة: فيها سؤال، وهو لم عبر في الأولى بالفعل وفي الجملة الثانية بالاسم، وهلا قيل فيه: مقاتلة في سبيل الله وأخرى كافرة، أو يقال فيه: تقاتل في سبيل الله وأخرى تكفر؟ والجواب: إما بأن القتال أمر فعلي فهو متحدد فلذلك عبر بالفعل، والكفر أمر اعتقادي قلبي فهو ثابت فناسب التعبير عنه بالاسم، وإما بأن الآية حذف التقابل أي [فئة*] مؤمنة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت.

قوله تعالى: (يرونهم مثليهم رأي العين).

فيها أوجه:

أحدها: يروا المشركين مثلي المشركين رأي العين، وقد يشكل لمخالفته سورة الأنفال، لأن فيها: (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا) وأجاب الزمخشري: بأن المشركين يرون المسلمين قبل الـقتال قليلين [فيجترءون ويحرصون*] على قتالهم، ثم يرونهم حين القتال كثيرين، [فينالهم*] الخوف والرعب الموجب لقتلهم وانهزامهم.

ابن عرفة: ويجيء هنا عكسه، وهو أن المسلمين يرون المشركين قبل القتال مثلهم ابتلاء من الله لهم، فإذا شرعوا في القتال يرونهم قليلين يذهب روعهم وخوفهم.

ابن عرفة: وهذه الرؤية [تغلط*] البصر، فيرى القليل كثيرا، والكثير قليلا، وإما بأن الله يخلق هناك ما مثل المشركين [أو يقلل بعض المشركين في أعين المؤمنين].

ابن عرفة: فعلى هذا أنه يكون من **غلط** البصر يكون المصدر، من قوله تعالى: (رأي العين) [ترشيحا*] للمجاز، كقول الشاعر:

بكى الحر من روح وأنكر جلده ... وعجت عجيجا من جذام المطارف." [2]

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢٥٠/١

(٢) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣٥٣/١

"نقص يمنع منه، والفاحشة لحساستها بالزنا هو الذي يطلب الشهادة عليه، وأما من لم يرم به فالستر في حقه أولى، ويستكشف الشهود في الزنا؛ لأن المقصود منها الستر يسألون على أي حال، وفي أي موضع وفي أي زمان، وكذلك القطع في السرقة؛ لأن أكثر الناس لا يفرقون بين السرقة والاختلاس والخديعة والتعدي والغصب والنهب والخيانة والغيلة والحرابة؛ لأن أحكامهما مختلفة، وقال أبو عمران: في النظائر شهود السرقة لا يستكشفون ابن عرفة وهو غلط، وكذلك اشتراط إيجادهم في زمن الأداء كشهود الزنا وهو **غلط** أيضا، ابن عرفة وقوله تعالى: (فإن شهدوا) إنما عبر بدون إذا؛ لأن المقصود عدم شهادتهم، وقوله تعالى: (حتى يتوفاهن الموت) عقبه لأن المتوفى أعم قال الله تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها).

قوله تعالى: (أو يجعل الله لهن سبيلا).

أو بمعنى إلا أن ولا يصلح أن يكون بمعنى إلى إلا إذا قررنا: أن ما بعد إلى داخل فيما قبلها، وقد قالوا في:

[وكنت إذا غمزت قناة قوم ... كسرت كعوبها أو تستقيما*]

قال ابن عطية: أما [البكر فلا خلاف أنه يجلد*] واختلفوا في نفيه وتغريبه، فقال الخلفاء الأربعة، ومالك والشافعي رحمهم الله: أنه لا ينفى، وقال جماعة: ينفى، وقيل: نفيه حجة، ولا تنفى المرأة ولا العبد هذا مذهب مالك وجماعة.

ابن عرفة: وهذا غلط؛ لأن في كتاب الرجم من التهذيب ما نصه ولا نفي على النساء ولا العبيد ولا تغريب ولا ينفي الرجل الحد إلا في الزنا، وفي حرابة فينفيان جميعا في الموضع الذي لا ينفيان إليه بسجن الزاني فيه والمحارب حتى تعرف توبته، فإن قلت: لم قال (من نسائكم)، قلنا: المراد بإخراج الذمية لقول مالك في كتاب الرجم في المدونة وإن زنا مسلم بذمية حد، وردت هي إلى الأصل في دينها فإن شاءوا رجمها فلم أمنعهم، فإن قلت لم قال: (فاستشهدوا) فأمر بطلب الشهادة مع أنه موضع يقصد فيه الستر شرعا، قلنا: المراد به الحاكم فهو إذا أخبر بأنهما زنيا؛ بحيث هل يشهدهما أحد أم لا؛ لأنه يأمر الشهود بالبحث عنهم ابتداء فإن لم يجد من يشهد عليهما كان من أخبره بذلك قادحا فنحده.

قوله تعالى: ﴿وأصلحا ... (١٦)﴾." (١)

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/١٥

"لأن كل واحد منها في حين فحدوث صفة تقوم بهما عند مقارنتها في الوجود إنما هو أمر عادي خلق الله تعالى لا أن أحدهما أوجب ذلك الأمر.

قوله تعالى: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ... (٨٦)﴾
هنا دليل على أن الأعراض ما يبقى [زمنين*] وإلا فإن يقول لنذهبن بمثل الذي أوحينا إليك قلنا لابن عرفة المراد بالذهاب منعه من استمداده بعد إعدامه بأعراض أخر؛ لأن العلم عرض من الأعراض أو هو صفة وليس بذات وقل معه عرض، قال: وعدم العصمة في حق الأشياء ممكن عقلا [...] فصار ذلك كالأمر الضروري فمن حمله قال: وليس شيئا [...] ممكن عقلا فلذلك علق به المسألة.

قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ... (٨٨)﴾
قال ابن عرفة عن بعض الشيوخ يقول الإنس علمت منهم بفصاحة؛ لأنهم عرب والجن فلم يعهد معهم شعر ولا فصاحة، فلا يتوهم معذور المعارضة منهم للقرآن، قال وكنا نحن نجيبه بوجهين الأول: أن الجن عهد منهم على ما يزعمون الاطلاع على بعض المغيبات [والقرآن*] يشتمل على [الإخبار*] بالغيوب فلو اجتمع الجن الذين [يجيئون*] ببعض الغيوب والإنس ليغيروه عن معانيه بألسنتهم لما أتوا بمثله، فوجه الجواب الثاني: أن من عادة العرب أنهم ينسبون الإعراب للجن، فصار [...] ينسبون للجن فقال المقري: قد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا عجبا عدوه من صفة الجن فلذلك قال: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن) [نقل ابن عطية*] كما في فصاحة العرب ومعارضة القرآن كلاما طويلا، ثم قال: وقد اختلف الناس في هذا الموضع فقيل: دعوا إلى السورة المماثلة في النظم والغيوب وغير ذلك من الأوصاف، وكان ذلك من [تكليف ما لا يطاق*]. [فلما عسر عليهم خفق بالدعوة إلى المفتريات*]، وقيل غير هذا.
قال ابن عرفة: هذا **غلط** من ابن عطية، وليس هذا من تكليف ما لا يطاق إنما هو تعجيز لا تكليف لأن التكليف بما لا يطاق إنما هو أمر شرعي يثاب على فعله، ومعاقب على تركه، وأما التحدي بهذا فإنما هو تعجيزي، لا تكليفي؛ لقوله تعالى: (قل كونوا حجارة أو حديدا) ولذلك **غلط** الشاطبي في قوله [ما لا يطاق هو تكليف*] بعجزه والإفضاء له قد أوضح العذر في الإخبار بالغيب وإن كان مما لا يطاق، وإنما هو تعجيزهم.." (١)

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٧٥/٣

"قوله تعالى: ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين (١١٢)﴾

قال ابن عرفة: كلام الشاطبي هنا مشكل؛ لأنه قال:

[وفي قال كم قل دون شك وبعده ... شفا وبها ياء لعلي عللا*]

فقوله: [وبعده*] يوهم بأن الخلاف في (قالوا) كما هو في (قال)، وإنما قرئ [(قالوا*] لبثنا يوما أو بعض يوم)، فأجيب: بأن لفظ قال يدل على أن الذي بعده مثله، فما هو إلا قال الثاني، فقال: هذا أمر مردود، لقوله في باب الإمالة: [وكيف الثلاثي غير زاغت بماضي ... أمل خاب خافوا طاب ضاقت فتجملا وحاق وزاغوا جاء شاء وزاد فز ... وجاء ابن ذكوان وفي شاء ميلا*] مع أن حمزة يميل [جاء*] مفردا أو مثنى أو مجموعا، قيل له: يستدل على هذا، بقوله: "وكيف الثلاثي" معناه كيف ما كان مفردا، أو مثنى، أو مجموعا، **وغلط** ابن عطية النسبة لابن عامر أنه قرأ كنافع وليس كذلك، وإنما قرأ كابن كثير ونسب البزي أنه قرأ وهي قراءة ابن كثير من طريق البزي، وقيل: وكذلك **غلط** أيضا، فقال: ادعم أبو عمرو والكسائي (لبثتم).

قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون (١١٥) فتعالى الله ... (١١٦)﴾ في ظاهرها حجة للمعتزلة [بوجوب*] الإعادة عقلا، فالجواب: إن معنى (أفحسبتم) بعد بعثنا الرسل إليكم أنا خلقناكم عبثا؛ بل جعلنا خلقكم مرتبطا بثوابكم أو عقابكم [بالشرط*] الشرعي العادي؛ [لا أن*] ذلك واجب على الله عقلا، بل هو واجب شرعا، وإعادتكم جائزة عقلا، وهي بالشرع واجبة، قيل لابن عرفة: فلم عطف عليه (وأنكم إلينا لا ترجعون)؟ فقال: لأن خلقهم عبثا يستلزم عدم إعادتهم، فلذلك عطف عليه قوله تعالى: (فتعالى الله) هو أبلغ من على الله.

قوله تعالى: (الملك الحق)، هو القادر على كل شيء، النافذ أمره في كل شيء. وصلى الله على مولانا وسيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى سائر إخوانه ساداتنا من الأنبياء والمرسلين والملائكة والمقربين، وعلى آلهم وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين، آمين.

* * *." (١)

"شأن، قيل لابن عرفة: [فقبل أن يخلق الزمان*]، فقال: الشؤون هي الحوادث، فقيل: خلق الزمان ثم [الشؤون*]، قال: وهذه المسألة **غلط** فيها الإمام فخر الدين في [المحصول*]، لأنه قال في الركن الثاني في تقسيم الموجودات ما نصه: قال المتكلمون: معنى كون الله قد [...] قدر لنا أزمنة لا نهاية لها

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣/٢١٩

لكان الله موجودا معها بأسرها، [ومما يعزز*] ذلك أنه لو اعتبر الزمان في ماهية الحديث وانعدم لكان ذلك الزمان إما قديما، أو حادثا، فإن كان قديما مع أنه ليس في زمان، فقد صار القدم معقولا من غير اعتبار الزمان، وإذا عقل تلك في موضع فلم يعقل في كل موضع، فإن كان حادثا لم يعتبر في حدوثه زمان آخر لاستحالة أن يكون للزمان زمان آخر، وإذا عقل الحدوث في نفس الزمان من غير اعتبار زمان قليل معه في سائر المواضع، انتهى، قال ابن عرفة: قوله لكان الله موجودا معها **غلط** فاحش، ولم يقل أحد من المتكلمين، بل قالوا: إن الله موجود قبلها، ولو قدر قبلها زمان فالله تعالى موجود قبله، وتسلسل الأمر إلى ما لا نهاية له، ونعوذ بالله من زلة العالم، وقوله: إذا عقل إذ [...] في كل موضع لا نسأله، ومن أين نأخذه، قال ابن عرفة: والصواب أنه لا يقارن الزمان لا في الوجود، ولا في التقدير بوجه، وما أحسن قول الإمام المهدي في عقيدته حيث قال: لا يقال: متى كان، ولا أين كان، ولا كيف كان، ولا مكان دبر الزمان، ولا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان، قال: ولذلك غلطه الفخر في المعالم في المسألة الخامسة من الباب الأول التي أولها حكم [صريح العقل*]، بأن كل موجود، إما واجب لذاته، أو ممكن لذاته [...]، ابن التلمساني: هنالك في شرحه، فقال: على أثناء كلامه، ولما اعتقد الفخر صحة الجملة التي ذكرها، أو استعمل نظرة المتقدمات في الاستدلال على إمكان كل ما سوى الله تعالى استشعر النقص بصفات الله تعالى، فقال: مرة هذا مما نستخير الله فيه، [وجزم أخرى*]، وصرح بكلمة لم يسبق إليها، فقال: هي ممكنة باعتبار ذاتها واجبة بوجوب ذاته، وهو ظاهر قول الفلاسفة: فالسر أن العالم ممكن باعتبار ذاته واجب بوجوب مقتضية، ونعوذ بالله من زلة العالم، انتهى. قال ابن عرفة: وقرر في علم المنطق أن الأسرار ثلاثة كل [كقولك*] كل أعضاء الإنسان بدون، وكلي كذلك إنسان نوع من أنواع الحيوان، وكلية كقولك: كل إنسان شخص موجود في زمان ما، وهذا في الآية كلية، ولما حكى الشاشي قضية امرأة عثمان، وأن عبد الرحمن استوثق من علي، ومن عثمان ثم بايع عثمان، فمد علي يده، وهو يقول (كل يوم هو في شأن).

قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيه الثقلان (٣١)﴾." (١)

"يمتنع في الآية وصفهم بابتداعها مجازا؛ إذ وصف الله تعالى بابتداعها حقيقة ولا يستحيل ذلك عند المعتزلة، والرهبانية لغة تعبد الراهب فهي من أفعال القلوب، وما ذكره المفسرون: أن معناها ما كان يفعله الرهبان من التزام الصوامع واعتزال النساء، وغير ذلك، إنما هي أشياء أحدثها الرهبان من عند أنفسهم، فسر

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤/ ١٢٧

بعضهم الرهبانية بالمعنى الذي ذكره المفسرون، وقدر حذف مضاف، وحب رهبانية، ولا يلزم على هذا أن يكون ما جعله الله في القلب موصوفا بأنهم ابتدعوه، وما ذكره أبو علي من حمل الآية على الاشتغال أولى، لأن حذف الفعل أولى من حذف المضاف، [إذ للفعل مفسر*]، ولا مفسر للمضاف في اللفظ، وأورد على أبي علي [أنه لا يفسر في الاشتغال إلا بما يعمل*]، والصفة لا تعمل في الموصوف، وأجاب الشلوبين: بأن مراده الصفة المعنوية، لا الصناعية، وهذا [المراد عنه*] غير لازم لأبي علي، لأنه لم يجعل ابتداعها صفة في حال نصب (رهبانية)، بفعل مضمر، بل على تقدير جعل (رهبانية) معطوفة على (رأفة)، ابن سلامة: البدعة إحداث على لم يكن ثابتا والتزام ما لم يلزم بدعة انتهى، إن قلت: هل يؤخذ أن من ابتداء النافلة قائما أنه لا يكون له إتمامها جالسا اختيارا لأن الله تعالى ذم هؤلاء على عدم الوفاء بالأمر الملتزم، قلت: لم يذمهم على ذلك، بل رتبه على أنهم مقصرون بفعلهم المرجوح دون الأرجح.

قوله تعالى: (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم).

إن أريد به الحكم الشرعي بالإيتاء فهو حقيقة، وإن أريد به نيلهم ذلك [بالعمل*]، فيكون في معنى المستقبل مثل أتى الله، فإن قلت: إيتاء الأجر يشمل الدنيا والآخرة، قلت: أوتوا في الدنيا بعض الأجر لا كله، وقد أخبر عنهم أنهم أتوا أجرهم كله، فلا بد من جعله في معنى المستقبل، فإن قلت: لم يؤتوا كل أجرهم؛ بل بعضه، [لأن ما*] في الآية إخبار عن قوم مضوا وانقطعوا، فقد [أوتوا*] أجرهم فيما مضى، قلت: لم يؤتوا كل أجرهم بل بعضه، لأنهم لم يدخلوا الجنة، بل نالوا أوائل النعيم، فلم يستكملوا أجرهم، وقول الزمخشري: إن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه السلام، فقاتلوهم ثلاث مرات، قد يقال: إنه **غلط** في قوله بعد موت عيسى، لكن وقع في أواخره في جامع العتبية في ترجمة ابن عيسى، قال مالك: كان عيسى عليه السلام يقول: يا ابن الثلاثين [مضت*] الثلاثون فما تنتظر، قال: فمات وهو ابن ثلاث وثلاثون سنة، ابن رشد: هذا مشكل مع قوله تعالى: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)، وقوله تعالى: (وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه)، قال: لكن يحتمل أن يكون لم يمت، [عندما رفع إلى السماء*]، ونسب إليه الموت باعتبار رفعه من الأرض، ويحتمل أنه مات حقيقة، ورفعت روحه،." (١)

"وأما الجواب الثاني ففيه نظر لا يصح أن يكون جوابا للشرط إذ ليس الأمر بالتبشير مشروطا بعجز الكافرين عن الإتيان بمثل القرآن. ويجاب: بأنهم قد علم أنهم غير المؤمنين، فكأنه قيل: فإن لم تفعلوا فبشر غيرهم بالجنات "، ومعنى هذا: فبشر هؤلاء المعاندين أنهم لا حظ لهم في الجنة.

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤/ ١٦٩

وقال السكاكي: الأمر معطوف على " قل ". مقدره قبل (يا أيها) وحذف القول كثير.
وقيل: " معطوف على أمر محذوف تقديره: " فأنذر ".
واستدلال أبي حيان بأن سيبويه: أجاز " جاءني زيد، ومن عمرو العاقلان "، على أن يكون العاقلان خبر المحذوف. غلط. إنما قال سيبويه: واعلم أنه لا يجوز: " من عبد الله، وهذا زيد الرجلين الصالحين " رفعت أو نصبت؛ لأنك لا تثني إلا على من أثبته، وعلمته، ولا يجوز أن تخلط من تعلم ومن لا تعلم فتجعلهما بمنزلة واحدة.." [1]

"- عز وجل -» (١).

قال: «فدل هذا على أن المقتول إنما يقتل بأجله، وأجل الموت هو وقت الموت كما أن أجل الدين هو وقت حلوله، وأجل الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله أنه يموت الحي فيه - لا محالة -، وهو وقت لا يجوز تأخير موته عنه، وقال كثير من المعتزلة - إلا من شذ منهم -: إن المقتول مات بغير أجله الذي ضرب له، وأنه لو لم يقتل لحيي» (٢).

قال: «وهذا غلط؛ لأن المقتول لم يمت من أجل قتل غيره له؛ بل من أجل ما فعله الله من إزهاق نفسه عند الضرب له» (٣).

وقال ابن حزم في موضع آخر: «صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تصحيح الطب والأمر بالعلاج، وأنه - عليه السلام - قال: «تداووا؛ فإن الله - تعالى - لم يخلق داء إلا خلق له دواء؛ إلا السام (٤)، والسام: الموت» (٥)».

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٠٢).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٠٢).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٠٢).

(٤) بتخفيف الميم.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥/ ٣١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٩١) عن أبي سعيد الخدري.

وأخرجه البغوي في «معجمه» (١/ ٢٢٣)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٢٣)، والطبراني

---

(١) التقييد الكبير للبسيلي، البسيلي ص/٢٥٤

في «الكبير» (١/ ١٧٩) عن أسامة بن شريك.

وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» (٤/ ٢٠٧).." (١)

"كابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم، ومن التابعين الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والأعمش والثوري، وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم.

وأحاديث الترك وإن كانت أصح. ولكن الإثبات أرجح مع كونه خارجا من مخرج صحيح فالأخذ به أوفى ولا سيما مع إمكان تأويل الترك، وهذا يقتضي الإثبات الذاتي أعني كونها قرآنا، والوصفي أعني الجهر بها عند الجهر بقراءة ما يفتتح بها من السور في الصلاة.

والحاصل أن البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور، وحكمها من الجهر والإسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية، ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية، وبهذا يحصل الجمع بين الروايات.

ولتنقيح البحث والكلام على أطرافه استدلالا وردا وتعقبا ودفعا، ورواية ودراية موضع غير هذا، وقد استوفاه الشوكاني في شرحه للمنتقى، وله جواب عن سؤال نظما ونثرا.

ومتعلق الباء محذوف وهو اقرأ أو اتلو، وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد إلا التخصيص، ويظهر رجحان تقدير الفعل متأخرا في مثل هذا المقام ولا يعارضه قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) لأن المقام مقام القراءة فكان الأمر بها أهم، وأما الخلاف بين أئمة النحو في كون المقدر اسما أو فعلا فلا يتعلق بذلك كثير فائدة، والباء للاستعانة أو للمصاحبة تبركا، ورجح الثاني الزمخشري، والإسم هو اللفظ الدال على المسمى، ومن زعم أن الإسم هو المسمى كما قاله أبو عبيدة وسيبويه والباقلاني وابن الفورك " وحكاه الرازي عن الحشوية والكرامية والأشعرية، فقد **غلط** غلطا بينا، وجاء بما لا يعقل مع عدم ورود ما يوجب المخالفة للعقل لا من الكتاب ولا من السنة ولا من لغة العرب، بل العلم الضروري حاصل بأن الإسم الذي هو أصوات منقطعة وحروف مؤلفة غير المسمى الذي هو مدلوله، والبحث مبسوط في علم الكلام.." (٢)

"ولا يتعقل شيئا منه فضلا أن يكون تبكيتا له وإلزاما للحجة إياه فإن ذلك هو أمر وراء الفهم مترتب عليه، ولم يفهم السامع هذا، ولا ذكر أهل العلم عن فرد من أفراد الجاهلية الذين وقع التحدي لهم بالقرآن أنه بلغ فهمه إلى بعض هذا فضلا عن كله.

---

(١) إتحاف ذوي الألباب، مرعي الكرمي ص/٩١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١/ ٤٠

ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التي تركبت لغة العرب منها، وذلك النصف مشتملا على أنصاف تلك الأنواع من الحروف المتصفة بتلك الأوصاف هو أمر لا تتعلق به فائدة لجاهلي ولا إسلامي، ولا مقر، ولا منكر، ولا مسلم ولا معارض، ولا يصلح أن يكون مقصدا من مقاصد الرب سبحانه الذي أنزل كتابه للإرشاد إلى شرائعه والهداية به.

وهب أن هذه صناعة عجيبة، ونكتة غريبة، فليس ذلك مما يتصف بفصاحة ولا بلاغة حتى يكون مفيدا أنه كلام بليغ أو فصيح، وذلك لأن هذه الحروف الواقعة في الفواتح ليست من جنس كلام العرب حتى تتصف بهذين الوصفين، وغاية ما هناك أنه، من جنس حروف كلامهم، ولا مدخل فيما ذكر.

وأيضا لو فرض أنها كلمات متركبة بتقدير شيء قبلها أو بعدها لم يصح وصفها بذلك لأنها تعمية غير مفهومة للسامع إلا بأن يأتي من يريد بيانها بمثل ما يأتي به من أراد بيان الألغاز والتعمية، وليس ذلك من الفصاحة والبلاغة في ورد ولا صدر، بل من عكسهما وضد رسمهما.

وإذا عرفت هذا فاعلم أن من تكلم في بيان معاني هذه الحروف جازما بأن ذلك هو ما أراده الله عز وجل فقد **غلط** أقبح الغلط، وركب في فهمه ودعواه أعظم الشطط، فإنه إن كان تفسيره لها بما فسرها به راجعا إلى لغة العرب وعلومها فهو كذب بحت، فإن العرب لم يتكلموا بشيء من ذلك، وإذا سمعه السامع منهم كان معدودا عنده من الرطانة، ولا ينافي ذلك أنهم قد يقتصرون على حرف أو حروف من الكلمة التي يريدون النطق بها، فإنهم لم." (١)

"(وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) الكتاب التوراة بالإجماع من المفسرين واختلفوا في الفرقان فقالت الفراء وقطرب المعنى آتينا موسى التوراة ومحمد الفرقان، وقد قيل أن هذا **غلط** أوقعهما فيه أن الفرقان مختص بالقرآن وليس كذلك فقد قال تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) قال الزجاج أن الفرقان هو الكتاب أعيد ذكره تأكيدا وقيل أن الواو صلة وهي قد تزاد في." (٢)

"وقع فيه النحر ليس هو من الحرم.

(فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) المراد بالمرض هنا ما يصدق عليه مسمى المرض لغة، والمراد بالأذى من الرأس ما فيه من قمل أو صداع أو جراح ونحو ذلك فمن حلق فعليه فدية.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٦٨/١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٦٩/١

وقد بينت السنة ما أطلق هنا من الصيام والصدقة والنسك فثبت في الصحيح أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأى كعب بن عجرة وهو محرم وقمله يتساقط على وجهه فقال: يؤذيك هوام رأسك قال نعم، فأمره أن يحلق ويطعم ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام (١).

وقد ذكر ابن عبد البر أنه لا خلاف بين العلماء أن النسك هنا هو شاة، وحكى عن الجمهور أن الصوم هنا ثلاثة أيام والإطعام لستة مساكين.

وروي عن الحسن وعكرمة ونافع أنهم قالوا: الصوم في فدية الأذى عشرة أيام والإطعام لعشرة مساكين، والحديث الصحيح المتقدم يرد عليهم ولبطل قولهم.

وقد ذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم وداود إلى أن الإطعام في ذلك مدان بمد النبي – صلى الله عليه وسلم – أي لكل مسكين، وقال الثوري: نصف صاع من بر أو صاع من غيره، وروي ذلك عن أبي حنيفة، قال ابن المنذر: وهذا **غلط** لأن في بعض أخبار كعب أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال له: تصدق بثلاثة آصع من تمر على ستة مساكين.

واختلفت الرواية عن أحمد فروي عنه مثل قول مالك والشافعي، وروي عنه أنه إن أطعم برا فمد لكل مسكين، وإن أطعم تمرا فنصف صاع.

واختلفوا في مكان هذه الفدية فقال عطاء ما كان من دم فبمكة وما كان

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.." [1]

"أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب (٢١٤) يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم (٢١٥)

وقال الفراء: إن في الآية قلبا وتقديره فهدى الذين آمنوا بالحق لما اختلفوا فيه، واختاره ابن جرير وضعفه ابن عطية (بإذنه) قال الزجاج: معناه بعلمه، وقال النحاس: هذا غلط، والمعنى بأمره وإرادته (والله يهدي من يشاء) من عباده (إلى صراط مستقيم) أي طريق سوي.." [2]

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٩٧/١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٢٩/١

"وعندى أنه لا تعارض بين القرآن والسنة فإن القرآن دل على أن الله فضل بعض أنبيائه على بعض، وذلك لا يستلزم أنه يجوز لنا أن نفضل بعضهم على بعض، فإن المزايا التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله تعالى لا يخفى على الله منها، خافية، وليست بمعلومة عند البشر، فقد يجهل أتباع نبي من الأنبياء بعض مزاياه وخصوصياته فضلا عن مزايا غيره، والتفضيل لا يجوز إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلا وهذا مفضولا لاقبل العلم ببعضها أو بأكثرها أو بأقلها، فإن ذلك تفضيل بالجهل وإقدام على أمر لا يعمله الفاعل له وهو ممنوع منه.

فلو فرضنا أنه لم يرد إلا القرآن بالإخبار لنا بأن الله فضل بعض أنبيائه على بعض، لم يكن فيه دليل على أنه يجوز للبشر أن يفضلوا بين الأنبياء، فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنهي عن ذلك.

وإذا عرفت هذا علمت أنه لا تعارض بين القرآن والسنة بوجه من الوجوه فالقرآن فيه الإخبار من الله بأنه فضل بعض أنبيائه على بعض، والسنة فيها النهي لعباده أن يفضلوا بين أنبيائه، فمن تعرض للجمع بينهما زاعما أنهما متعارضان فقد **غلط** غلطا بينا.

(منهم) تفصيل للتفضيل المذكور إجمالا (من كلم الله) أي بغير واسطة وهو موسى كلمه في الطور، ونبينا سلام الله عليهما كلمه ليلة الإسراء، وقد روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال في آدم نبي مكلم، وقد ثبت ما يفيد ذلك في صحيح ابن حبان من حديث أبي ذر، والإلتفات حيث لم يقل كلمنا لتربية المهابة بهذا الاسم الشريف والرمز إلى ما بين التكليمين ورفع الدرجات من التفاوت.

(ورفع بعضهم درجات) هذا البعض يحتمل أن يراد به من عظمت." (١)

"(ومصدقا) أي وجئتكم مصدقا (لما بين يدي من التوراة) وذلك لأن الأنبياء يصدق بعضهم بعضا وبين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة سنة وخمس وسبعون سنة (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) أي لأجل أحل لكم بعض الذي حرم عليكم من الأطعمة في التوراة كالشحوم وكل ذي ظفر كما في قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) الآية، وقوله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) وقيل إنما أحل لهم ما حرمته عليهم الأحبار ولم تحرمه التوراة.

وقال أبو عبيدة يجوز أن يكون بعض بمعنى كل، قال القرطبي: وهذا القول **غلط** عند أهل النظر من أهل اللغة لأن البعض والجزء لا يكونان بمعنى الكل، ولأن عيسى لم يحلل لهم جميع ما حرمته عليهم التوراة فإنه لم يحلل القتل ولا السرقة ولا الفاحشة وغير ذلك من المحرمات الثابتة في الإنجيل مع كونها ثابتة في

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢/٨٥

التوراة وهي كثيرة يعرف ذلك من يعرف الكتابين.

ولكنه قد يقع البعض موقع الكل مع القرينة، وعن وهب أن عيسى كان على شريعة موسى وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس. وقال لبني إسرائيل إني لم أدعكم إلى خلاف حرف مما في التوراة إلا لأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وأضع عنكم الآصار.." (١)

"وظاهر النظم القرآني أن الثلثين فريضة الثلاث من البنات فصاعدا، ولم يسم للأنثيين فريضة، ولهذا اختلف أهل العلم في فريضتهما، فذهب الجمهور إلى أن لهما إذا انفردتا عن البنين الثلثين، وذهب ابن عباس إلى أن فريضتهما النصف.

احتج الجمهور بالقياس على الأختين فإن الله سبحانه قال في شأنهما فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان فألحقوا البنتين بالأختين في استحقاقهما الثلثين كما ألحقوا الأخوات إذا زدن على اثنتين بالبنات في الاشتراك في الثلثين.

وقيل في الآية ما يدل على أن للبنتين الثلثين وذلك أنه لما كان للواحدة مع أخيها الثلث كان للإبنتين إذا انفردتا الثلثان، هكذا احتج بهذه الحجة إسماعيل بن عياش والمبرد، قال النحاس: وهذا الاحتجاج عند أهل النظر **غلط** لأن الاختلاف في البنتين إذا انفردتا عن البنين.

وأيضا للمخالف أن يقول إذا ترك بنتين وابنا فللبنتين النصف، فهذا دليل على أن هذا فرضهما ويمكن تأييد ما احتج به الجمهور بأن الله سبحانه لما فرض للبنت الواحدة النصف إذا انفردت بقوله (وإن كانت واحدة فلها النصف) كان فرض البنتين إذا انفردتا فوق فرض الواحدة، وأوجب القياس على الأختين الإقتصار للبنتين على الثلثين.

وقيل: إن فوق زائدة والمعنى إن كن نساء اثنتين كقوله تعالى (فاضربوا فوق الأعناق) أي الأعناق، ورد هذا النحاس وابن عطية فقالا: هو خطأ لأن الظروف وجميع الأسماء لا يجوز في كلام العرب أن تزاد لغير معنى وقال ابن عطية: ولأن قوله (فوق الأعناق) هو الفصيح، وليس فوق زائدة بل هي محكمة المعنى، لأن ضربة العنق إنما يجب أن يكون فوق العظام في المفصل دون الدماغ كما قال دريد بن الصمة: اخفض عن الدماغ وارفع عن العظم، فهكذا كنت أضرب أعناق الأبطال انتهى.." (٢)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢/٢٤٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣/٣٧

"يعني أن الواحدة من النساء لها الربع أو الثمن، وكذلك لو كن أربع زوجات فإنهن يشتركن مع الربع أو الثمن، واسم الولد يطلق على الذكر والأنثى ولا فرق بين الولد وولد الابن، وولد البنت في ذلك، وسواء كان الولد للرجل من الزوجة أو من غيرها (من بعد وصية توصون بها أو دين) أي من بعد أحد هذين منفردا أو مضموما إلى الآخر حال كونكم غير مضارين في الوصية، والكلام في الوصية والدين كما تقدم.

(وإن كان رجل) ميت (يورث) على البناء للمفعول من ورث لا من أورث (كلالة) مصدر من تكلله النسب أي أحاط به وبه سمي الإكليل لإحاطته بالرأس وهو الميت الذي لا ولد له ولا والد، هذا قول أبي بكر الصديق وعمر وعلي وجمهور أهل العلم، وبه قال صاحب كتاب العين وأبو منصور اللغوي وابن عرفة والقتيبي وأبو عبيد وابن الأنباري، وقد قيل إنها إجماع، وقال ابن كثير: وبه يقول أهل المدينة والكوفة والبصرة وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف بل جميعهم، وقد حكى الإجماع غير واحد وورد فيه حديث مرفوع انتهى. (١)

وقال في الجمل هذا أحسن ما قيل في تفسير الكلالة، ويدل على صحته أن اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان إذا تباعدت القرابة بينهما فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه.

وروى أبو حاتم والأثرم عن أبي عبيدة قال: الكلالة كل من لم يرثه أب أو ابن أو أخ فهو عند العرب كلالة، قال أبو عمرو بن عبد البر ذكر أبي عبيدة الأخ هنا مع الأب والابن في شرط الكلالة **غلط** لا وجه له ولم يذكره في شرط الكلالة غيره، وما يروى عن أبي بكر وعمر من أن الكلالة من لا ولد له خاصة فقد رجعا عنه.

---

(١) ابن كثير ١/ ٤٦٠.." [1]

"وزعم بعض النحويين أن القراءة الثانية **غلط** ولحن لأنه لا معنى للولاية هنا، قال النحاس: وغيره وليس يلزم هذا ولكن يكون تلوا بمعنى تلووا، والمعنى ما قال ابن عباس: يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها.

(أو تعرضوا) عن تأدية الشهادة من الأصل، وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة، وقيل هو خطاب مع الحكام أن يميلوا مع أحد الخصمين أو يعرضوا عنه بالكلية (فإن الله كان بما تعملون) من اللي والإعراض أو من كل عمل (خبيرا) وفي هذا وعيد شديد لمن لم يأت بالشهادة كما يجب عليه.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٣/٣

وقد روي أن هذه الآية تعم القاضي والشهود أما الشهود فظاهر، وأما القاضي فذلك بأن يعرض عن أحد الخصمين أو يلوي عن الكلام معه، وقيل هي خاصة باليهود، قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين أن يقولوا بالحق ولو على أنفسهم أو آبائهم أو أبنائهم لا يهابون غنيا لغنائه ولا يرحمون مسكينا لمسكنته، وقال الرجلان يجلسان عند القاضي فيكون لي القاضي وإعراضه لأحد الرجلين على الآخر (١).

---

(١) وروى ابن جرير ٩/ ٤٠٣ عن السدي " إن فقيرا وغنيا اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكان (ميله) مع الفقير، يرى أن الفقير لا يظلم الغني فنزلت هذه الآية.." [١]

"(يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) هم اليهود سألوه - صلى الله عليه وسلم - أن يرقى إلى السماء وهم يرونه فينزل عليهم كتابا مكتوبا فيما يدعيه يدل على صدقه دفعة واحدة كما أتى موسى بالتوراة، تعنتا منهم أبعدهم الله (فقد سألوا موسى) سؤالا (أكبر من ذلك) السؤال (فقالوا أرنا الله جهرة) أي عيانا، وقد تقدم معناه في البقرة، وجهرة نعت لمصدر محذوف أي رؤية جهرة.

(فأخذتهم الصاعقة) هي النار التي نزلت عليهم من السماء فأهلكتهم (بظلمهم) في سؤالهم الباطل لامتناع الرؤية عيانا في هذه الحالة، وذلك لا يستلزم امتناعها يوم القيامة، فقد جاءت بذلك الأحاديث المتواترة، ومن استدل بهذه الآية على امتناع الرؤية يوم القيامة فقد **غلط** غلطا بينا.

ثم لم يكتفوا بهذا السؤال الباطل الذي نشأ منهم بسبب ظلمهم بعد ما رأوا المعجزات بل ضموا إليه ما هو أقبح منه وهو عبادة العجل (ثم اتخذوا العجل) إلها، وفي الكلام تقدير أي فأحييناهم فاتخذوا العجل (من بعد ما جاءتهم البينات) البراهين والدلائل والمعجزات الواضحات من اليد والعصا وفلق البحر وغيرها لا التوراة لأنها لم تنزل عليهم بعد.

(فعفونا عن ذلك) أي عما كان منهم من التعنت وعبادة العجل، وفيه." [٢]

"(ولتصغى) اللام لام كي وقيل اللام للأمر وهو **غلط** فإنها لو كانت لام الأمر جزمت الفعل، والإصغاء الميل يقال صغوت أصغو وصغيت أصغي ويقال أصغيت الإناء إذا أملته ليجتمع ما فيه وأصله الميل إلى الشيء لغرض من الأغراض، ويقال صغت النجوم إذا مالت للغروب وأصغت الناقة إذا مالت برأسها.

والضمير في (إليه) لزخرف القول أو لما ذكر سابقا من زخرف القول وغيره أي أوحى بعضهم إلى بعض

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٦٣/٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٨٥/٣

زخرف القول ليغروهم ولتصغي إليه (أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) من الكفار والمعنى أن قلوب الكفار تميل إلى زخرف القول وباطله وتحبه وترضى به، وهو قوله (وليرضوه) لأنفسهم بعد الإصغاء إليه (وليقترفوا ما هم مقترفون) من الآثام والإقتراف والاكتساب، يقال خرج ليقترف لأهله أي ليكتسب لهم، وقارف فلان هذا الأمر إذا واقعه، وقرفه إذا رماه بالرمية واقترف كذب، وأصله اقتطاع قطعة من الشيء أي ليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ما هم م كتسبون.

وترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة لأنه أولا يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضا فيكون الفعل أي الإقتراف، فكل واحد مسبي عما قبله قاله أبو حيان.." (١)

"(قل) إنكارا على هؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة والذين يحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحم والدسم (من حرم زينة الله) الزينة ما يتزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة كالمعادن التي لم يرد نهي عن التزين بها والجواهر ونحوها وقيل الملبوس خاصة، ولا وجه له. بل هو من جملة ما تشمله الآية.

فلا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة إذا لم تكن مما حرمه الله ولا حرج على من تزين بشيء من الأشياء التي لها مدخل في الزينة ولم يمنع منها مانع شرعي، ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد **غلط** غلطا بينا وقد قدمنا في هذا ما يكفي.

قال الرازي: إنه يتناول جميع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلى، ولولا أن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخلا في هذا العموم.

(التي أخرج لعباده) أي أصلها يعني القطن والكتان من الأرض والقز من الدود، و ا للحاء من الشجر، والحرير والصوف من الحيوان والدروع والجواهر من المعادن، قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فأنزل الله هذه الآية وأمروا بالثياب أن يلبسوها.

(والطيبات من الرزق) أي وهكذا الطيبات المستلذات من المطاعم." (٢)

"وتقديم الجمع على الترجيح متفق عليه، وهو الحق.

وقد قابل هؤلاء بضد قولهم القدرية وهم معبد الجهني وأصحابه فإنهم قالوا: إن الأمر أنف أي مستأنف وقالوا: إن الله لا يعلم بالجزئيات إلا عند وقوعها تعالى الله عن ذلك، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤/٢٢٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤/٣٣٤

وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وإجماع المسلمين.

وقد تبرأ من مقالة معبد هذه وأصحابه من أدركهم من الصحابة منهم ابن عمر كما ثبت ذلك في الصحيح وقد **غلط** من ينسب مقالتهم هذه إلى المعتزلة فإنه لم يقل بها أحد منهم قط وكتبهم مصرحة بهذا ناطقة به، ولا حاجة لنا إلى نقل مقالات الرجال فقد قدمنا من أدلة الكتاب والسنة والجمع بينهما ما يكفي المنصف ويريحه من الأبحاث الطويلة العريضة الواقعة في هذه المسألة، ومن الإلزامات التي ألزم بها بعض القائلين البعض الآخر، ودين الله سبحانه بين المفرط والغالي وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية والله ولي التوفيق.." (١)

"(و) اذكر (لوطا إذ قال لقومه) أي وقت أن قال لقومه، قال الفراء: لوط مشتق من قولهم هذا أليط بقلبي أي ألصق، وقال الزجاج: ومن زعم أنه من لطت الحوض إذا ملسته بالطين فقد **غلط** لأن الأسماء العجمية لا تشتق، وقال سيبويه: نوح ولوط أسماء أعجمية إلا أنها خفيفة فلذلك صرفت.

ولوط هو ابن هاران بن تارخ فهو ابن أخي إبراهيم، وليس من أنبياء بني إسرائيل وكانا ببابل بالعراق فهاجرا إلى الشام فنزل إبراهيم أرض فلسطين، ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام وبعثه الله إلى أمة يقال لها سذوم بالذال المعجمة وهي بلد بحمص.

(أتأتون) الخصلة (الفاحشة) الخسيسة المتمادية في الفحش والقبح وهي أدبار الرجال قاله ابن عباس قال ذلك إنكارا عليهم وتوبيخا لهم (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أي لم يفعلها أحد من قبلكم، فإن اللواط لم يكن في أمة من الأمم قبل هذه الأمة، والباء للسببية وقال الزمخشري: للتعدية ومن مزيدة للتوكيد للعموم في النفي، وأنه مستغرق لما دخل عليه، والجملة مسوق لتأكيد النكير عليهم والتوبيخ لهم، قال عمرو بن دينار: ما نزى ذكر على ذكر في الدنيا إلا ما كان من قوم لوط.." (٢)

"المطهرة يوقع في التعصب، والمتعصب وإن كان بصره صحيحا فبصيرته عمياء وأذنه عن سماع الحق صماء، يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق غفلة منه وجهلا بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح، وتلقي ما جاء به الكتاب والسنة بالإذعان والتسليم.

وما أقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع، فإنه صار بها باب الحق مرتجا وطريق الإنصاف مستوعرة، والأمر لله سبحانه والهداية منه.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٥٢/٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٠٢/٤

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ... ومنهج الحق له واضح

ولم يقل لن أرى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لأخبر بأنه ليس بمرئي، إذ الحالة حالة الحاجة إلى البيان، وقد تمسك أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وقالوا لن للتأبيد والدوام، وهذا **غلط** إذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة العربية ولم يقل به أحد منهم.

والكتاب والسنة على خلاف ذلك فقد قال تعالى في حق اليهود (ولن يتمنوه أبدا) مع أنهم يتمنون الموت يوم القيامة كما قال تعالى (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) وقوله (يا ليتها كانت القاضية) والسنة أكثر من أن تحمى وعبر بلن تراني دون لن تنظر إلي مع أنه المطابق لقوله (أنظر إليك) لأن الرؤية هي المقصودة والنظر مقدمتها وقد يحصل دونها.

وأما المطابقة في الاستدراك بقوله (ولكن انظر إلى الجبل) فواضحة لأن المقصود منه تعظيم أمر الرؤية. ومعناه أنك لا تثبت لرؤيتي ولا يثبت لها ما هو أعظم منك جرما وصلابة وقوة وهو الجبل فانظر إليه (فإن استقر مكانه) وبقي على حاله ولم يتزلزل عند رؤيتي له (فسوف تراني) أي تثبت لرؤيتي، وإن ضعف عن ذلك فأنت منه أضعف، ولا طاقة لك، فهذا الكلام بمنزلة." (١)

"والحسن ولا أدرأتكم به قال أبو حاتم: أصله ولا أدريتكم به فأبدل من الياء ألفا، قال النحاس: وهذا غلط، والرواية عن الحسن ولا أدرأتكم به بالهمزة.

(فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) تعليل لكون ذلك بمشيئة الله ولم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم إلا التبليغ، أي أقمت فيما بينكم زمانا طويلا من قبل القرآن وهو أربعون سنة تعرفونني بالصدق والأمانة لست ممن يقرأ ولا ممن يكتب (أفلا تعقلون) الهمزة للتقريع والتوبيخ أي أفلا تجرون على ما يقتضيه العقل من عدم تكذيبي لما عرفتم من العادة المستمرة لي المدة الطويلة بالصدق والأمانة وعدم قراءتي للكتب المنزلة على الرسل وتعلمي لما عند أهلها من العلم ولا طلبي لشيء من هذا الشأن ولا حرصي عليه.

ثم جئتكم بهذا الكتاب الذي عجزتم عن الإتيان بسورة منه وقصرتم عن معارضته وأنتم العرب المشهود لهم بكمال الفصاحة، المعترف لهم بأنهم البالغون فيها إلى مبلغ لا يتعلق به غيركم.

أخرج ابن أبي شيبة والبخاري والترمذي عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة (١) وعن السدي نحوه.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥/١٠

قال النووي: ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات: إحداها أنه توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أصحها وأشهرها، رواه مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس، واتفق العلماء عليها؛ وتأولوا الباقي عليه، فرواية ستين سنة اقتصر فيها على العقود وترك الكسر، ورواية الخمس متأولة أيضا بأنها حصل فيها اشتباه.

---

(١) البخاري كتاب مناقب الأنصار باب ٤٥.." [١]

"(ثم بدا لهم) أي ظهر للعزيز وأصحابه الذين يدبرون الأمر معه ويشيرون عليه في الرأي وأما فاعل بدا فقال سيبويه: هو ليسجننه أي ظهر لهم أن يسجنوه قال المبرد: وهذا **غلط** لأن الفاعل لا يكون جملة ولكن الفاعل ما دل عليه بدا وهو المصدر فحذف الفاعل لدلالة الفعل عليه وقيل الفاعل المحذوف هو رأي أي وظهر لهم رأي لم يكونوا يعرفونه من قبل وهذا الفاعل حذف لدلالة ليسجننه عليه.

(من بعد ما رأوا الآيات) قيل هي القميص وشهادة الشاهد وقطع." [٢]

"النحاس: المكر من الله إيصال المكروه إلى من يستحقه من حيث لا يشعر، وقال الأزهري: المحال فعال من المحل بمعنى القوة والشدة والميم أصلية وماحلت فلانا محالا أينا أشد، وقال أبو عبيدة المحال العقوبة والمكروه.

قال الزجاج: يقال ماحلته محالا إذا قاويته حتى يتبين أيكما أشد والمحل في اللغة الشدة، قال ابن قتيبة: أي شديد الكيد وأصله مفعل من الحول أو الحيلة جعل الميم كميم المكان وأصله من الكون ثم يقال تمكنت فاعل على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال.

قال الأزهري: **غلط** ابن قتيبة إن الميم فيه زائدة بل هي أصلية وإذا رأيت الحرف على مثال فعال أوله ميم مكسورة فهي أصلية مثل مهاد وملاك ومراس وغير ذلك من الحروف، وفي القاموس المحال ككتاب الكيد وروم الأمر بالحيل والتدبير والقدرة والجدال والعذاب والعقاب والعداوة والمعادلة كالمماحلة والقوة والشدة وارهلاك والإهلاك.

ومحل به مثلث الحاء محلا ومحالا كاده بسعاية إلى السلطان وماحله مماحلة ومحالا قاواه حتى يتبين أيهما أشد انتهى. وللصحابة والتابعين في تفسير المحال هنا أقوال ثمانية:

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١/٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٣١/٦

الأول: العداوة.

الثاني: الحول.

الثالث: الأخذ، وبه قال ابن عباس.

الرابع: الحقد.

الخامس: القوة.

السادس: الغضب.

السابع: الهلاك.

الثامن: الحيلة.." (١)

"يذبح له ثم ذكر عليه اسم الله عند الذبح فهاهنا لا تترتب عليه الحلية أصلا، نعم أن يغير النية ويبدل الأمنية ويزيل قصد التقرب به إلى غير الله، ويرفع به الصوت خلاف ما رفع به أولا ويقول تبت عنه، ثم يذبح ويذكر عليه اسم الله تعالى يحل أكله.

وإذا تقرر لك أن الإهلال بمعنى رفع الصوت في اللغة لا بمعنى الذبح علمت أن الذي فسره بالذبح قد **غلط** غلطا بينا أو تجوز ولا يصار إلى المجاز إلا عند تعدد الحقيقة أو تأول رفع الصوت بالذبح بناء على سبب النزول وإنما العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقد فسرنا الإهلال في البقرة والمائدة والأنعام بما فسر به جمهور المفسرين وهو تسامح سبق به القلم، وإنما الحق في المقام تفسيره برفع الصوت وإلغاء قيد الذبح ليتناول النظم الكريم كل حيوان رفع به الصوت لغير الله سبحانه وتعالى سواء ذبح باسم الله أو باسم غيره، وعليه تدل اللغة العربية وهي الأصل المقدم في تفسير كلام الله العزيز على الجميع ما لم يعارضه نص مقدم أو ناقل مرجح أو دليل مساو، والذي فسرنا به الآية هنا قد فسرها به الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي رحمه الله في تفسيره وهو الصواب وبالله التوفيق.

ثم ذكر الله سبحانه الرخصة في تناول شيء مما ذكر فقال (فمن اضطر) أي دعته ضرورة المخمصة إلى تناول شيء من ذلك حال كونه (غير باغ) على مضطر آخر (ولا عاد) متعد قدر الضرورة وسد الرمق (فإن الله غفور رحيم) لا يؤاخذه بذلك، وقيل معناه غير باغ على الوالي ولا متعد على الناس بالخروج لقطع الطريق، فعلى هذا لا يباح تناول شيء من المحرمات في سفر المعصية.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٣/٧

ثم زيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفي النقصان عنها كتحليل الميتة والدم فقال:." [١]

"قال الواحدي: هذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت أن بعضهم قال هو أعظم الأيام حرمة وقال آخرون الأحد أفضل؛ وهذا **غلط** لأن اليهود لم يكونوا فرقتين في السبت وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بزمان طويل.

وعن مجاهد في الآية قال: أراد الجمعة فأخذوا السبت مكانها، وعن أبي مالك وسعيد بن جبير في الآية قالا باستحلالهم إياه، رأى موسى عليه السلام رجلا يحمل حطبا يوم السبت فضرب عنقه.

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم يعني الجمعة فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدا والنصارى بعد غد " (١) وأخرج مسلم وغيره من حديث حذيفة نحوه. (وإن ربك ليحكم بينهم) أي بين المختلفين فيه (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيجازى فيه كلا بما يستحقه ثوابا وعقابا كما وقع منه سبحانه من المسخ لطائفة منهم والتنجية لأخرى.

ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو أمته إلى الإسلام فقال

---

(١) مسلم ٨٥٥ – البخاري ١٧٧.." [٢]

"(ورفعناه مكانا عليا) فقيل إن الله رفعه إلى السماء الرابعة. وقيل إلى السادسة وقيل إلى الثانية. وقد روى البخاري في صحيحه من حديث الإسراء، وفيه: " ومنهم إدريس في الثانية " (١) وهو **غلط** من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر، والصحيح: " أنه في السماء الرابعة " كما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢).

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧/٣٣١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧/٣٣٩

(١) البخاري ١٦٨٤.

(٢) مسلم ١٦٢.." [١]

"والأخفش يذهبان إليه، وقال الزجاج المعنى أن هذان لهما ساحران وأنكره أبو علي الفارسي وأبو الفتح وابن جني، وقيل أن الألف في هذا مشبهة بالألف في يفعلان فلم تغير، وقيل إنه هذان لساحران، وبه قال قدماء النحاة، وقال ابن كيسان: إنه لما كان يقال. هذا بالألف في الرفع والنصب والجر على حال واحدة، وكانت التثنية لا تغير الواحد أجريت مجرى الواحد، فثبتت الألف في الرفع والنصب والجر، وقيل تقديره ما هذان إلا ساحران فهذه أقوال تتضمن توجيه هذه القراءة بوجه تصح به وتخرج به عن الخطأ وبذلك يندفع ما روي عن عثمان وعائشة أنه **غلط** من الكاتب للمصحف.

وحاصل القراءات السبعية التي في هذا التركيب أربعة واحدة لأبي عمرو، وهي التي بالياء، والثانية ألف بعدها نون مشددة ومخففة من ان، والأخريان تخفيف النون التي في هذان مع تشديد النون من ان وتخفيفها، وإثبات كل من الياء والألف في النطق وإن كان قراءة سبعية صحيحة متواترة لكنه مشكل من حيث مخالفته لخط الصحف الإمام فإنه ليس فيه ياء ولا ألف فإن رسمه كما في السمين هذن من غير ألف ولا ياء، ثم قال: وكم جاء في الرسم أشياء خارجة عن القياس، وقد نصوا على أنه لا نجوز القراءة بها فليكن هذا الموضع مما خرج عن القياس.

(يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) وهي أرض مصر (بسحرهما) الذي أظهراه (ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال الكسائي: أي بسنتكم، والمثلى نعت، كقولك: امرأة كبرى تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعنون على الهدى المستقيم، قال الفراء: العرب تقول هؤلاء طريقة قومهم وطرائق قومهم لأشرافهم ونحوه في القاموس والمثلى تأنيث الأمثل وهو الأفضل يقال: فلان أمثل قومه أي أفضلهم وهم الأماثل وإنما أتت باعتبار التعبير بالطريقة وإلا فباعتبار المعنى كأن يقال أماثل، والمعنى أنهما أن يغلبا بسحرهما مال إليهما السادة والأشراف منكم أو يذهبا بمذهبكم الذي هو أمثل المذاهب.." [٢]

"(يضاعف) وقرئ يضعف بالتشديد، وكل من القراءتين يجيء مع جزم الفعل، ورفعه فالقراءات أربع وكلها سبعية، وقرئ نضعف بضم النون، وكسر العين المشددة والجزم.

(له العذاب يوم القيامة) سبب المضاعفة أن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك، يضاعف له العذاب

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٧١/٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٤٩/٨

على شركه ومعصيته (ويخلد) وقرئ بالفوقية، خطابا للكافر، وقرئ يخلد بضم الياء وفتح اللام، قال أبو علي الفارسي: وهي **غلط** من جهة الرواية وضمير (فيه) راجع إلى العذاب المضاعف، وقرئ فيها بالإشباع مبالغة في الوعيد، والعرب تمد للمبالغة، مع أن الأصل في هاء الكناية الإشباع، (مهانا) ذليلا حقيرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني. قال ابن عباس: قرأناها على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سنين ثم نزلت.." (١)

"(وما تنزلت به) أي بالقرآن (الشياطين) وقرئ بالواو والنون إجراء له مجرى جمع السلامة. قال النحاس: وهذا **غلط** عند جميع النحويين، قال المبرد وهذا **غلط** من العلماء، وبه قال الفراء، وقال المؤرج: إن كان الشيطان من شاط يشيط كان لهذه القراءة وجه، وقال يونس بن حبيب سمعت أعرابيا يقول: دخلنا بساتين من ورائها بساتون، وهذا رد لما زعمه الكفرة في القرآن أنه من قبيل ما تلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الأمين، فلا يكون سحرا أو كهانة أو شعرا أو أضغاث أحلام كما يقولون.." (٢)

"ذلك الوقت لم يسبق له موت أو كان ميتا لكنه حي في قبره كالأنبياء والشهداء أي خافوا الخوف المفضي بهم إلى الموت كما في آية أخرى (فصعق من في السماوات) الخ وانزعجوا لشدة ما سمعوا وقيل المراد بالفزع هنا الإسراع والإجابة إلى النداء من قولهم فزعت إليك في كذا إذا أسرعت إلى أجابته، والأول أولى بمعنى الآية، وإنما عبر بالماضي مع كونه معطوفا على المضارع للدلالة على تحقيق الوقوع حسبما ذكره علماء البيان وقال الفراء: هو محمول على المعنى لأن المعنى إذا نفخ.

(إلا من شاء الله) أن لا يفزع عند تلك النفخة فهو لا يفزع واختلف في تعيين من وقع الاستثناء له، فقيل: هم الشهداء والأنبياء وقيل: الملائكة وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وقيل: الحور العين وخزنة النار وحملة العرش. وقيل: هم المؤمنون كافة بدليل قوله فيما بعد، من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون. ويمكن أن يكون الاستثناء شاملا لجميع المذكورين فلا مانع من ذلك، قال البيضاوي: ولعل المراد ما يعم ذلك لعدم قرينة الخصوص انتهى. فهؤلاء كلهم لا يفضي بهم الفزع إلى الغشي والإغماء بل هو أقل من ذلك.

(وكل أتوه) قرئ فعلا ماضيا، وكذا قرأ ابن مسعود، وقرأ قتادة (كل أتاه) وقرئ (آتوه) على اسم الفاعل مضافا

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٥٠/٩

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٢٣/٩

إلى الضمير الراجع إلى الله سبحانه، قال الزجاج: من قرأ على الفعل الماضي فقد وحد على لفظ كل، ومن قرأ على اسم الفاعل فقد جمع على معناه وهو **غلط** ظاهر فإن كلتا القراءتين لا توحيد فيهما بل التوحيد في قراءة قتادة فقط.

(داخرين) أي صاغرين ذليلين قاله ابن عباس. وقرئ (دخرين) بغير الألف والمعنى صغار ذل وهيبة من الجبار فيشمل هذا الطائعين والعاصين وقال الكرخي: المراد به ذل العبودية والرق لا ذل الذنوب والمعاصي وذلك يعم الخلق كلهم كما في قوله تعالى (إن كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا)، وفي القاموس: دخر الشخص كمنع وفرح دخرا ودخورا صغر وذل وادخرته بالألف للتعدية وقد مضى تفسير هذا في سورة النحل.." (١)

"(وأصبح) أي صار (فؤاد أم موسى فارغا) من كل شيء إلا من أمر موسى؛ كأنها لم تهتم بشيء سواه، قاله المفسرون. وقال أبو عبيدة: خاليا من ذكر كل من في الدنيا إلا من ذكر موسى، وقال الحسن، وابن إسحاق وابن زيد: فارغا مما أوحى الله إليها من قوله: ولا تخافي ولا تحزني، وذلك لما سول الشيطان لها من غرقه وهلاكه، وقال الأخفش: فارغا من الخوف والغم لعلمها أنه لم يغرق بسبب ما تقدم من الوحي إليها، وروي مثله عن أبي عبيدة أيضا، وقال الكسائي: ناسيا ذاهلا، وقيل صفرا من العقل، وقال العلاء ابن زياد: نافرا.

وقال سعيد ابن جبير: والها، كادت تقول واابناه من شدة الجزع.

وقال مقاتل: كادت تصيح شفقة عليه من الغرق.

وقيل: المعنى أنها لما سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والدهش.

قال النحاس: وأصح هذه الأقوال الأول والذين قالوه أعلم بكتاب الله فإذا كان فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى، فهو فارغ من الوحي. وقول من قال فارغا من الغم **غلط** قبيح. لأن بعده إن كادت لتبدي به، لولا أن ربطنا على قلبها، وقرئ فزعا مكان فارغا، من الفزع، أي خائفا وجلا وقرأ ابن عباس: قرعا من قرع رأسه إذا انحسر شعره.." (٢)

"فلا يقع، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لا طلاق فيما لا تملك، ولا عتق فيما لا تملك، ولا بيع فيما لا تملك، أخرجه أبو داود والترمذي بمعناه. وعن

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧٧/١٠

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٩٣/١٠

ابن عباس قال: جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري.
(فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) أي تحصونها بالاقراء والأشهر، أجمع العلماء على أنه إذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة، وذهب أحمد إلى أن الخلوة توجب العدة والصداق، وقد حكى ذلك الإجماع القرطبي وابن كثير، والمعنى: تستوفون عددها؛ من عددت الدراهم فأعتدها، وإسناد ذلك إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق لهم كما يفيده قوله: (فما لكم) وقرىء: تعتدونها بتشديد الدال وبتخفيفها، وفي هذه وجهان أحدهما: أن يكون بمعنى الأولى مأخوذ من الاعتداد أي تستوفون عددها ولكنهم تركوا التضعيف لقصد التخفيف، قال الرازي: ولو كان من الاعتداء الذي هو الظلم لضعف؛ لأن الاعتداء يتعدى بعلى، وقيل من الاعتداء بحذف حرف الجر أي تعتدون عليها أي على العدة مجازا.
والوجه الثاني: أن يكون المعنى تعتدون فيها والمراد بالاعتداء هذا هو ما في قوله: (ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا) فيكون معنى الآية على القراءة الأخرى: فما لكم عليهن من عدة تعتدون عليهن فيها بالمضارة وقد أنكر ابن عطية صحة هذه القراءة عن ابن كثير، وقال: إن البزي **غلط** عليه وهذه الآية مخصصة لعموم قوله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) ولقوله: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر).
(فمتعوهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به، والمتعة المذكورة هنا قد تقدم الكلام عليها في البقرة. وقال سعيد بن جبير: هذه المتعة المذكورة هنا منسوخة بالآية التي في البقرة، وهي في قوله: (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم)، وقيل المتعة هنا: هي أعم من أن تكون نصف الصداق، أو المتعة خاصة إن لم يكن قد سمي لها فمع التسمية." (١)
"(ومكر السيئ) أي ولأجل مكر العمل السيء، أو منكروا المكر السيىء والمكر هو الحيلة والخداع والعمل القبيح، وأضيف إلا صفته كقولهم: مسجد الجامع وصلاة الأولى قرأ الجمهور: ومكر السيء بخفض همزة السيء، وقرأ الأعمش وحمزة: بسكونها وصلا، وقد **غلط** كثير من النحاة هذه القراءة ونزهوا الأعمش على جلالته أن يقرأ بها. قالوا: وإنما كان يقف بالسكون ف**غلط** من روى عنه أنه كان يقرأ بالسكون وصلا، وتوجيه هذه القراءة ممكن بأن من قرأ بها أجرى الوصل مجرى الوقف، ومثله قراءة من قرأ: (ما يشعركم) بسكون الراء ومثل ذلك قراءة أبي عمر: (وإلى بارئكم) بسكون الهمزة. وغير ذلك كثير قال أبو

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠٩/١١

علي الفارسي: هذا على إجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا.

(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) أي لا تنزل عاقبة السوء إلا بمن أساء. قال الكلبي: يحيق بمعنى يحيط، والحوق الإحاطة. يقال: حاق به كذا أي أحاط به، وهذا هو الظاهر من معنى يحيق في لغة العرب ولكن قطرب فسره هنا بينزل.

(فهل ينظرون) أي ما ينتظرون (إلا سنة الأولين) أي سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل بأولئك (فلن تجد لسنة الله تبديلا) أي لا يقدر أحد أن يبدل سنة الله التي سنها بالأمم المكذبة من إنزال عذابه بهم، بأن يضع موضعه غيره بدلا عنه، والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب.

(ولن تجد لسنة الله تحويلا) بأن يحول أحد ما جرت به سنة الله من العذاب فيدفعه عنهم ويضعه على غيرهم ونفي وجدان التبديل والتحويل كناية عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني، وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما.." (١)

"(إني آمنت بربكم فاسمعون) وكسر النون، وهي نون الوقاية، وهي اللغة العالية وقرىء بفتحها، وهي غلط. قال المفسرون: أراد القوم قتله فأقبل هو على المرسلين فقال: إني آمنت بربكم أيها الرسل فاسمعوا إيماني، واشهدوا لي به.

وقيل: إنه خاطب بهذا الكلام قومه لما أرادوا قتله تصلبا في الدين، وتشددا في الحق وعدم المبالاة بالقتل، فلما قال هذا القول وصرح بالإيمان وثبوا عليه فقتلوه، وقيل وطؤوه بأرجلهم.

وقال الحسن: حرقوه حرقا وعلقوه في سور المدينة، وقبره في سور أنطاكية حكاه الثعلبي. وقيل: حفروا له حفيرة وألقوه فيها، وقيل: إنهم لم يقتلوه بل رفعه الله إلى السماء وهو في الجنة، وبه قال الحسن. وقال السدي: رموه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهد قومي، حتى قتلوه. وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه، فوالله ما خرجت روحه إلا في الجنة فدخلها فذلك قوله تعالى:." (٢)

"(قال الذين كفروا للذين آمنوا) استهزاء بهم وتهكما بقولهم.

(أنطعم من لو يشاء الله أطعمه)؟ أي من لو يشاء الله رزقه؟ وقد كانوا سمعوا المسلمين يقولون: إن الرازق هو الله، وإنه يغني من يشاء ويفقر من يشاء، فكأنهم حاولوا بهذا القول الإلزام للمسلمين، وقالوا: نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا **غلط** منهم ومكابرة ومجادلة بالباطل فإن الله سبحانه

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٦٣/١١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٨٤/١١

أغنى بعض خلقه وأفقر بعضا ابتلاء، فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا، وأعطى الدنيا للغني لا استحقاقا وأمر الغني أن يطعم الفقير وابتلاه به فيما فرض له من ماله من الصدقة ولا اعتراض لأحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه. والمؤمن يوافق أمر الله.

وقولهم: من لو يشاء الله أطعمه هو وإن كان كلاما صحيحا في نفسه ولكنهم لما قصدوا به الإنكار لقدرة الله وإنكار جواز الأمر بالإنفاق مع قدرة الله كان احتجاجهم من هذه الحيثية باطلا.

(إن أنتم) في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا (إلا في ضلال مبين) أي بين وهذا من تمام كلام الكفار، والمعنى أنكم أيها المسلمون في سؤال المال وأمرنا بإطعام الفقراء لفي ضلال في غاية الوضوح والظهور، وقيل: هو من كلام الله سبحانه جوابا على هذه المقالة التي قالها الكفار، وقيل: هو من قول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم:

وقال القشيري والماوردي: إن الآية نزلت في قوم من الزنادقة وقد كان في كفار قريش وغيرهم من سائر العرب قوم يتزندقون فلا يؤمنون بالصانع فقالوا هذه المقالة استهزاء بالمسلمين ومناقضة لهم، وحكى نحو هذا القرطبي عن ابن عباس ولهذا أظهر في مقام الإضمار قيل: كان العاص بن وائل السهمي إذا سأله المسكين قال له: اذهب إلى ربك فهو أولى مني بك، ويقول: قد منعه الله أفأطعمه أنا (١).

---

(١) ذكر هذا المعنى الخازن في تفسيره.." [1]

"(الله ربكم ورب آبائكم الأولين) على أنه بدل من أحسن هذا على قراءة حمزة والكسائي والربيع بن خيثم وابن أبي إسحق وغيرهم منهم قرأوا بنصب الثلاثة الأسماء، وقيل: النصب على المدح. وقيل: على عطف البيان، وحكى أبو عبيد: أن النصب على النعت. قال النحاس: وهو غلط، وإنما هو بدل ولا يجوز النعت لأنه ليس بتحلية، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وغيرهما بالرفع. قال أبو حاتم: بمعنى هو الله ربكم، قال النحاس وأولى ما قيل أنه مبتدأ وخبر بغير إضمار ولا حذف، وحكي عن الأخفش: أن الرفع أولى وأحسن. قال ابن الأنباري: من رفع أو نصب لم يقف على أحسن الخالقين على جهة التمام لأن الله مترجم عن أحسن الخالقين على الوجهين جميعا، والمعنى أنه خالقكم وخالق من قبلكم فهو الذي تحق له العبادة.." [2]

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠٢/١١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤١٩/١١

"(ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) قرأ الجمهور بتخفيف الدال وحذف الياء، والأصل التنادي، وهو التفاعل من النداء، يقال تنادى القوم أي نادى بعضهم بعضا وقرىء بإثبات الياء على الأصل وقرأ ابن عباس والضحاك وعكرمة بتشديد الدال، قال بعض أهل اللغة: هو لحن لأنه من ند يند إذا مر على وجهه هاربا، قال النحاس: وهذا **غلط** والقراءة حسنة على معنى التنافي قال الضحاك: في معناه أنهم إذا سمعوا بزفير جهنم ندوا هربا فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا صفوفا من
الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله يوم التناد وعلى قراءة الجمهور المعنى يوم ينادي بعضهم بعضا، أو ينادي أهل النار أهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار أو يوم ينادي فيه (كل أناس بإمامهم) ولا مانع من الحمل على جميع هذه المعاني، وهو ما حكى الله تعالى في سورة الأعراف:
(ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار)، (ونادى أصحاب النار." (١)

"صارت دار إسلام وأسلم جميع أهلها، وبدئ فتحها في السنة الثامنة، وقال الثعلبي: أنها مكية، وحكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير، وهو **غلط** من القول فالسورة مدنية كما لا يخفى.
قال ابن عباس: نزلت سورة القتال بالمدينة وعن ابن الزبير نزلت بالمدينة سورة الذين كفروا.
وعن ابن عمر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ بهم في المغرب الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أخرجه الطبراني في الأوسط.." (٢)

"السويق للحاج " أخرجه البخاري وغيره، والألف واللام في اللات زائدة لازمة، وقال أبو البقاء: ليست بزائدة وهو غلط، والعزى من العز وهي تأنيث الأعز، وهي اسم صنم لقريش وبني كنانة، قال مجاهد: هي شجرة كانت لغطفان وكانوا يعبدونها، فبعث إليها النبي صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فقطعها.
وقيل: كانت شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة، وقال سعيد بن جبير: العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه، وقال قتادة: هي بيت كان ببطن نخلة، وعن ابن عباس: أن العزى ببطن نخلة، وأن اللات كانت بالطائف وأن مناة كانت بقديد، ومناة صنم بني هلال، وقال ابن هشام: صنم هذيل وخزاعة وقال قتادة: كانت للأنصار وقرىء مناة بألف من دون همزة، وبالمد والهمزة فالأولى اشتقاقها من منى يمني أي صب لأن دماء النسائك كانت تصب عندها، يتقربون بذلك إليها وعلى الثانية فاشتقاقها من النوء وهو المطر، لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء، وقيل: هما لغتان للعرب ووقف عليها بالتاء اتباعا لرسم المصحف وبالهاء.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٢/١٨٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٣/٤٦

قال في الصحاح: ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة، والهاء للتأنيث، ويسكت عليها بالتاء، وهي لغة، والثالثة الأخرى وصف لمناة وصفها بأنها ثالثة، وبأنها أخرى، والثالثة لا تكون إلا أخرى، قال أبو البقاء: فالوصف بالأخرى للتأكيد، وقد استشكل وصف الثالثة بالأخرى، والعرب إنما تصف به الثانية فقال الخليل: إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي، كقوله: (مآرب أخرى) وقال حسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير، والتقدير: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة، وقيل: إن وصفها بالأخرى لقصد التعظيم، لأنها كانت عند المشركين عظيمة، وقيل: إن ذلك للتحقير والذم، وإن المراد: المتأخرة الوضيعة القدار، كما في قوله: (وقالت." [١]

"الشام فليقرأ هذه الآية، وأن النبي صلى الله عليه وسلم، قال لهم: أخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر، وعن ابن عباس مثله، قال ابن العربي: للحشر أول وأوسط وآخر، فالأول إجلاء بني النضير، والأوسط إجلاء أهل خيبر، والآخر حشر يوم القيامة. وقد أجمع المفسرون على أن هؤلاء المذكورين في الآية هم بنو النضير، ولم يخالف في ذلك إلا الحسن البصري فقال: هم بنو قريظة وهو غلط؛ فإن بني قريظة ما حشروا، بل قتلوا بحكم سعد بن معاذ لما رضوا بحكمه، فحكم عليهم بأن يقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتغنم أموالهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد: لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

وقد أخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

" عن عائشة قالت كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود، على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم ونخلهم في ناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة، يعني السلاح، فأنزل الله فيهم: (سبح لله) إلى قوله (لأول الحشر)، فقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الإجلاء وأجلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم ذلك، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبب " (١)، وأما قوله (لأول الحشر) فكان إجلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام.

وعن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٥٦/١٣

(١) رواه الحاكم.." (١)

"قال: نعم قال: تؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال: نعم، قال: ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال نعم، قال: وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها " الحديث (١) قال محمد بن إبراهيم الوزير في التنقيح ما لفظه: قال ابن حزم هذا موضوع لا شك في وضعه، والآفة فيه عن عكرمة بن عمار، قلت: قد رد الحفاظ على ابن حزم ما ذكره وجمع ابن كثير الحافظ جزءا مفردا في بيان ضعف كلامه، وفي الحديث **غلط** ووهم في اسم المخطوب لها النبي صلى الله عليه وسلم: وهي عزة أخت أم حبيبة خطب أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبته لها أختها أم حبيبة كما ثبت في الصحيحين فأخبرهما النبي صلى الله عليه وسلم بتحريم الجمع بين الأختين، وقد ذكر له تأويلات كثيرة هذا أقربها والموجب للتأويل ما علم من تزويج النبي صلى الله عليه وسلم لأم حبيبة قبل إسلام أبي سفيان. (والله قدير) أي بديع القدرة كثيرها على تقليب القلوب، وتحويل الأحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) أي بليغهما كثيرهما لمن أسلم من المشركين، ثم لما ذكر سبحانه ما ينبغي للمؤمنين من معاداة الكافرين وترك موادتهم فصل القول فيمن يجوز بره منهم، ومن لا يجوز فقال:

(١) رواه مسلم.." (٢)

"(إذا السماء انشقت) أي انصدعت وتفطرت، فيه حذف، والتقدير إذا انشقت السماء انشقت لأن إذا الشرطية يختص دخولها بالجمل الفعلية، وما جاء من هذا ونحوه فمؤول محافظة على قاعدة الاختصاص، فالسماء فاعل لفعل محذوف.

قال الواحدي قال المفسرون انشقاقها من علامات القيامة، ومعنى انشقاقها انفطارها بالغمام الأبيض كما في قوله (ويوم تشقق السماء بالغمام) وقيل تنشق من المجرة وبه قال علي بن أبي طالب والمجرة باب السماء، وأهل الهيئة يقولون أنها نجوم صغار مختلطة غير متميزة في الحس.

واختلف في جواب " إذا " فقال الفراء أنه أذنت، والواو زائدة. وكذلك ألقت. قال ابن الأنباري هذا **غلط** لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع حتى إذا كقوله (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها) ومع لما كقوله (فلما

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤/٣٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤/٨١

أسلما وتلة للجبين وناديناه) ولا تقحم مع غير هذين.

وقيل أن الجواب قوله (فملاقيه) أي فأنت ملاقيه. وبه قال الأخفش. وقال المبرد إن في الكلام تقديما وتأخيرا أي (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) إذا السماء انشقت.

وقال المبرد أيضا إن الجواب قوله (فأما من أوتي كتابه) وبه قال الكسائي، والتقدير إذا السماء انشقت فمن أوتي كتابه بيمينه فحكمه كذا، وقيل هو يا أيها الإنسان على إضمار الفاء أو على إضمار القول أي يقال له يا." (١)

"وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي، لأن الدين الجزاء.

قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف، وقيل ليست بمنسوخة لأنها إخبار، والإخبار لا يدخلها النسخ، وقيل السورة كلها منسوخة.

وقال القاضي: (ولي ديني) الذي أنا عليه لا أرفضه، فليس فيه إذن في الكفر، ولا منع عن الجهاد فلا يكون منسوخا بآية القتال، وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والعبادة.

وقال الحافظ بن القيم في البدائع: وقد **غلط** في السورة خلائق وظنوا أنها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم، وظن آخرون أنها خصوصة بمن يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب، وكلا القولين **غلط** محض فلا نسخ في السورة ولا تخصيص، بل هي محكمة عمومها نص محفوظ، وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ فيها.

وهذه السورة أخلصت للتوحيد، ولهذا تسمى سورة الإخلاص، والآية اقتضت البراءة المحضة وإن ما أنتم عليه من الدين لا أوافقكم عليه فإنه دين باطل، فهو مختص بكم لا نشرككم فيه، ولا تشركوننا في ديننا الحق، فهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم، فأين الإقرار حتى يدعى النسخ والتخصيص؟ أفترى إذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح أن يقال لهم لكم دينكم ولي دين.

بل هذه الآية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يطهر الله منهم بلاده وعباده وكذلك حكم هذه البراءة بين أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أهل سنته وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به الداعين إلى غير سنته إذ قال لهم خلفاء الرسول وذريته لكم دينكم ولنا ديننا هذا فلا يقتضي إقرارهم على

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤٣/١٥

بدعهم بل يقولون لهم هذا براءة منها وهم مع ذلك منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الإمكان انتهى حاصله.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة)

قال تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [النور:١٩].

كان الكلام الأول مع القذفة جهلا عن بلادة، وهذه تخص المنافقين، وتخص من لا يهمه دينه، فأشبه المنافقين والكافرين، فهؤلاء موقفهم أعظم من القاذف بلادة وغفله؛ لأن هؤلاء يقذفون ويحبون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين.

فقوله: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا﴾ [النور:١٩] أي: إن الأشخاص الذين يشيعون الفاحشة فيتهمون فلانا في دينه، وفلانة في شرفها، ويتهمون فلانا في صدق بنوته لأبيه، وفي صدق أبوته لأولاده، ثم هم يحبون أن يشيع ذلك، وأن يعلنوه على الملا، ظنا منهم أنهم بذلك يذلونه ويحقرونه، فهم يحبون هذا، ولا يفعلونه غفلة، ولا سذاجة، ولا بلادة، بل حقدا على المسلمين، ونشرا للفواحش بين المسلمين، وتشهيرا بهم وبإيمانهم وإسلامهم، ولا يفعل هذا مسلم، فإن فعله فيكون أقرب إلى الكافرين منه إلى المؤمنين، ويدخل تحت عموم قول النبي عليه الصلاة والسلام: (إن أحدكم لينطق بالكلمة لا يلقي لها بالا، فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفا).

وقوله: ﴿أن تشيع الفاحشة﴾ [النور:١٩] الإشاعة: الإذاعة، أي: يحب إشاعة الكلمة، يقولها في المجلس، ويقولها في السمر، ويقولها في السفر، ويقولها في الحضر، كما فعل ابن أبي المنافق؛ إشاعة للفساد، وإشاعة لانتهاك الأعراض، وأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وللمقدسات والمكرمات والعفيفات من أمهاتنا أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، وإشاعة للفواحش في المسلمات المؤمنات الغافلات المحصنات، فمن يكون هذا عمله وهذا حبه ورغبته فإن الله ينذرهم ويهددهم ويتوعدهم: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾ [النور:١٩].

العذاب الأليم بالضرب الغير الكاسر لعظم، ولا الشاق للحم، ولكنه مع الذل والمهانة، بأن يحضر عذابهم وضربهم ومذلتهم طائفة من المؤمنين، وبأن يكون ذلك عقب صلاة الجمعة، والناس تخرج من بيت الله؛ تأديبا لهذا، ووعظا له.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٥/٤٢٤

وإن كان الأدب لا يفضي إلى الموت فذاك زجر له لكي لا يعود، وزجر للآخرين الذين قد تحدثهم أنفسهم بأن يفعلوا مثل فعله، فإن كان كافرا فهو سيقتل، فيكون زجرا لأمثاله، وعقوبة لأمثاله، ويفضي هو إلى ربه إن شاء غفر وإن شاء عذب.

وإن كان من المعلوم في الفقه الإسلام وعند المذاهب أن الحدود كفارات، فمن أقيم عليه حد من الحدود يكون كفارة لعمله إن مات وهو غير مصر عليه، ومات وهو على التوحيد والإيمان.

قوله: ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ [النور:١٩].

وعذاب الله في الآخرة يكون بالنسبة للمنافق وللكافر، والعذاب هو الخلود في النار على كفره ونفاقه وعدم إيمانه.

﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [النور:١٩] الله يعلم الصادق منكم من الكاذب، ويعلم المؤمن من الكافر، ويعلم من قال كلمة عن **غلط** وعدم فهم، ومن قالها عن رغبة وحب لإشاعة الفاحشة بين المؤمنين؛ إذلالا للمؤمنين وللإسلام الذي تمسك به هؤلاء.

ومما يجري في عصرنا أن يشتم الصالحون شتما للإسلام، وأن يذم العلماء ذما للإسلام، وأن يذم العابدون والزاهدون والصالحون ذما للإسلام وطعنا في الإسلام، ومن يفعل ذلك يوشك أن يرتد وأن يخرج عن الإسلام؛ لأنه بذلك لم يطعن في شخص بعينه، وإنما طعن فيه لأنه رمز من رموز الإسلام، ومظهر من مظاهر الإسلام، ومن فعل ذلك يوشك أن يعذب في الدنيا بإقامة الحد، وفي الآخرة بعذاب الله الخالد في النار.." (١)

"﴿إن تكفروا ﴾ ، قال ابن عباس : خطاب للكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم. وعباده : هم المؤمنون ، ويؤيده قوله قبله : ﴿فأنى تصرفون﴾ ، وهذا للكفار ، فجاء ﴿إن تكفروا ﴾ خطابا لهم ، ﴿فإن الله غنى عنكم﴾ ، وعن عبادتكم ، إذ لا يرجع إليه تعالى منفعة بكم ولا بعبادتكم إذ هو الغني المطلق. قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون مخاطبا لجميع الناس ، لأنه تعالى غني عن جميعهم ، وهم فقراء إليه. انتهى. ولفظ عباده عام ، فقيل : المراد الخصوص ، وهم الملائكة ومؤمنو الإنس والجن. والرضا بمعنى الإرادة ، فعلى هذا صفة ذات. وقيل : المراد العموم ، كما دل عليه اللفظ ، والرضا مغاير للإرادة ، عبر به عن الشكر والإثابة ، أي لا يشكره لهم دينا ولا يثيبهم به خيرا ، فالرضا على هذا صفة فعل بمعنى القبول والأثابة. قال ابن عطية : وتأمل الإرادة ، فإن حقيقتها إنما هي فيما لم يقع بعد ، والرضا حقيقته إنما هو

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٧/٩٩

فيما قد وقع ، واعتبر هذا في آيات القرآن تجده ، وإن كانت العرب قد تستعمل في أشعارهم على جهة التجوز هذا بدل هذا. وقال الزمخشري : ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر ، فقال : هذا من العام الذى أريد به الخاص ، وما أراد إلا عباده الذين عناهم في قوله : ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ ، يريد المعصومين لقوله : ﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾ ، تعالى الله عما يقول الظالمون. انتهى. فسمى عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وأعلام أهل السنة بعض الغواة ، وأطلق عليهم اسم الظالمين ، وذلك من سفهه وجرأته ، كما قلت في قصيدتي التي ذكرت فيها ما ينقد عليه :

ويشتم أعلام الأئمة ضلةولا سيما إن أو لجوه المضايقا

﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ ، قال ابن عباس : يضاعف لكم ، وكأنه يريد ثواب الشكر ؛ وقيل : يقبله منكم. قال صاحب التحرير : قوة الكلام تدل على أن معنى تشكروا : تؤمنوا حتى يصير بإزاء الكفر ، والله تعالى قد سمى الأعمال الصالحة والطاعات شكرا في قوله : ﴿اعملوا ءال داواد شكرا ﴾ . انتهى. وتقدم الكلام على هذه الآية في سبأ. وقرأ النحويان ، وابن كثير : يرضه بوصل ضمة الهاء بواو ؛ وابن عامر وحفص : بضمة فقط ؛ وأبو بكر : بسكون الهاء ، قال أبو حاتم : وهو غلط لا يجوز. انتهى. وليس بغلط ، بل ذلك لغة لبني كلاب وبني عقيل. وقوله : ﴿ولا تزر﴾ إلى : ﴿بذات الصدور﴾ ، تقدم الكلام عليه.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤١٢

﴿مس الانسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيلها قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار * أمن هو قانت ءانآء اليل ساجدا وقآاما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربها قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمونا إنما يتذكر أولوا الالباب * قل ياعباد الذين ءامنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هاذه الدنيا حسنةا وأرض الله واسعةا إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ .

الظاهر أن الإنسان هنا جنس الكافر ، وقيل : معين ، كعتبة بن ربيعة. ويدخل في الضر جميع المكاره في جسم أو أهل أو مال. ﴿دعا ربه﴾ : استجار ربه وناداه ، ولم يؤمل في كشف الضر سواه ، ﴿منيبا إليه﴾ : أي راجعا إليه وحده في إزالة ذلك. ﴿ثم إذا خوله﴾ : أناله وأعطاه بعد كشف ذلك الضر عنه. وحقيقة خوله أن يكون من قولهم : هو خائله ، قال : إذا كان متعهدا حسن القيام عليه ، أو من خال يخول ، إذا إختال وافتخر ، وتقول العرب :

إن الغني طويل الذيل مياس

". (١)

"وقال الزجاج : هو بدل من الكاف والميم في تقربكم ، وقال النحاس : وهذا **غلط** لأن الكاف والميم للمخاطب ، فلا يجوز البدل ، ولو جاز هذا الجاز : رأيتك زيدا ؛ وقول أبي اسحق هذا قول الفراء. انتهى. ومذهب الأخفش والكوفيين أنه يجوز أن يبدل من ضمير المخاطب والمتكلم ، لكن البدل في الآية لا يصح. ألا ترى أنه لا يصح تفرغ الفعل الواقع صلة لما بعد إلا ؟ لو قلت : مازيد بالذي يضرب إلا خالدا ، لم يصح. وتخيل الزجاج أن الصلة ، وإن كانت من حيث المعنى منفية ، أنه يصح البدل ، وليس بجائز إلا فيما يصح التفريغ له. وقد اتبعه الزمخشري فقال : إلا من آمن استثناء من كم في تقربكم ، والمعنى : أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله ؛ والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقهم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة. انتهى ، وهو لا يجوز. كماذكرنا ، لا يجوز : ما زيد بالذي يخرج إلا أخوة ، ولا مازيد بالذي يضرب إلا عمرا ، ولا ما زيد بالذي يمر إلا ببكر. والتركيب الذي ركبه الزمخشري من قوله : لا يقرب أحدا إلا المؤمن ، غير موافق للقرآن ؛ ففي الذي ركبه يجوز ما قال ، وفي لفظ القرآن لا يجوز. وأجاز الفراء أن تكون من في موضع رفع ، وتقدير الكلام عنده ما هو المقرب ﴿ومآ أموالكم ولا﴾ . انتهى. وقوله كلام لا يتحصل منه معنى ، كأنه كان نائما حين قال ذلك.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٥٥

وقرأ الجمهور : ﴿جزآء الضعف﴾ على الإضافة ، أضيف فيه المصدر إلى المفعول ، وقدره الزمخشري مبنيا للمفعول الذي لم يسم فاعله ، فقال : أن يجازوا الضعف ، والمصدر في كونه يبني للمفعول الذي لم يسم فاعله فيه خلاف ، والصحيح المنع ، ويقدر هنا أن يجاوز الله بهم الضعف ، أي يضاعف لهم حسناتهم ، الحسنة بعشر أمثالها ، وبأكثر إلى سبعمائة لمن يشاء. وقرأ قتادة : جزاء الضعف برفعهما ؛ فالضعف بدل ، ويعقوب في رواية بنصب جزاء ورفع الضعف ، وحكى هذه القراءة الداني عن قتادة ، وانتصب جزاء على الحال ، كقولك : في الدار قائما زيد. وقرأ الجمهور : ﴿فى الغرفات﴾ جمعا مضموم الراء ؛ والحسن ، وعاصم : بخلاف عنه ؛ والأعمش ، ومحمد بن كعب : بإسكانها ؛ وبعض القراء : بفتحها ؛ وابن وثاب ، والأعمش ، وطلحة ، وحمزة : وأطلق في اختياره في الغرفة على التوحيد ساكنة الراء ؛ وابن وثاب أيضا : بفتحها على التوحيد. ولما ذكر جزاء من آمن ، ذكر عقاب من كفر ، ليظهر تباين الجزاءين ، وتقدم تفسير

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

نظير هذه الكلمة. ولما كان افتخارهم بكثرة الأموال والأولاد ، أخبروا أن ذلك على ما شاء الله كبر ، وذلك المعنى تأكيد أن ذلك جار على ما شاء الله ، إلا أن ذلك على حسب الاستحقاق ، لا التكرمة ، ولا الهوان. ومعنى ﴿فهو يخلفها﴾ : أي يأتي بالخلف والعوض منه ، وكان لفظ من عباده مشعرة بالمؤمنين ، وكذلك الخطاب في ﴿ومآ أنفقتم﴾ : يقصد هنا رزق المؤمنين ، فليس مساق.
﴿قل إن ربى يبسط﴾ : مساق ما قيل للكفار ، بل مساق الوعظ والتزهيد في الدنيا ، والحض على النفقة في طاعة الله ، وإخلاف ما أنفق ، إما منجزا في الدنيا ، وإما مؤجلا في الآخرة ، وهو مشروط بقصد وجه الله. وقال مجاهد : من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقصد ، وأن الرزق مقسوم ، ولعل ما قسم له قليل ، وهو ينفق نفقة الموسع عليه ، فينفق جميع ما في يده ، ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأتى. ﴿ومآ أنفقتم من شىء فهو يخلفها﴾ : في الآخرة ، ومعنى الآية : ما كان من خلف فهو منه. وجاء ﴿الرازقين﴾ جمعا ، وإن كان الرازق حقيقة هو الله وحده ، لأنه يقال : الرجل يرزق عياله ، والأمير جنده ، والسيد عبده ، والرازقون جمع بهذا الاعتبار ، لكن أولئك يرزقون مما رزقهم الله ، وملكهم فيه التصرف ، ولله تعلى يرزق من خزائن لا تفنى ، ومن إخراج من عدم إلى وجود.
جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٥٥
﴿ويوم يحشرهم جميعا﴾ : أي المكذبين ، من تقدم ومن تأخر. وقرأ الجمهور : نحشرهم ، نقول بالنون فيهما ، وحفص بالياء ، وتقدمت في الأنعام وخطاب الملائكة تقريع للكفار ، وقد علم تعالى أن الملائكة
٢٨٦
." (١)

"وحكمة هذا الالتفات وكونه بنون المعظم نفسه أنه صدر منه الأمر للملائكة بالسجود ، ووجب عليهم الامتثال ، فناسب أن يكون الأمر في غاية من التعظيم ، لأنه متى كان كذلك كان أدعى لامتثال المأمور فعل ما أمر به من غير بطء ولا تأول لشغل خاطره بورود ما صدر من المعظم. وقد جاء في القرآن نظائر لهذا ، ﴿وقلنا يادم﴾ ء﴿يادم اسكن﴾ ﴿وقلنا اهبطوا ﴾ ، ﴿ينار كونى بردا﴾ ، وقلنا من بعده لبني إسرائيل : ﴿اسكنوا الارض﴾ ، ﴿وقلنا لهم ادخلوا الباب﴾ ، ﴿وقلنا لهم لا تعدوا ﴾ . فأنت ترى هذا الأمر وهذا النهي كيف تقدمهما الفعل المسند إلى المتكلم المعظم نفسه ، لأن الآمر اقتضى الاستعلاء على المأمور ، فظهر للمأمور بصفة العظمة ، ولا أعظم من الله تعالى ، والمأمورون بالسجود ، قال السدي

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

: عامة الملائكة. وقال ابن عباس : الملائكة الذين يحكمون في الأرض. وقرأ الجمهور : للملائكة بجر التاء. وقرأ أبو جعفر يزيد ابن القعقاع وسليمان بن مهران : بضم التاء ، اتباعا لحركة الجيم ونقل أنها لغة أزدشنوءة. قال الزجاج : هذا **غلط** من أبي جعفر ، وقال الفارسي : هذا خطأ ، وقال ابن جني : لأن كسرة التاء كسرة إعراب ، وإنما يجوز هذا الذي ذهب إليه أبو جعفر ، إذا كان ما قبل الهمزة ساكنا صحيحا نحو : ﴿وقالت اخرج﴾ . وقال الزمخشري : لا يجوز لاستهلاك الحركة الإعرابية بحركة الاتباع إلا في لغة ضعيفة كقولهم : ﴿الحمد لله﴾ ، انتهى كلامه. وإذا كان ذلك في لغة ضعيفة ، وقد نقل أنها لغة أزدشنوءة ، فلا ينبغي أن يخطأ القارىء بها ولا ي**غلط** ، والقارىء بها أبو جعفر ، أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضا عن عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة ، وهو شيخ نافع بن أبي نعيم ، أحد القراء السبعة ، وقد علل ضم التاء لشبهها بألف الوصل ، ووجه الشبه أن الهمزة تسقط في الدرج لكونها ليست بأصل ، والتاء في الملائكة تسقط أيضا لأنها ليست بأصل. ألا تراهم قالوا : الملائك ؟ وقيل : ضمت لأن العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقلها.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٥١

﴿واسجدوا ﴾ : أمر ، وتقتضي هذه الصيغة طلب إيقاع الفعل في الزمان المطلق استقباله ، ولا تدل بالوضع على الفور ، وهذا مذهب الشافعي والقاضي أبي بكر بن الطيب ، واختاره الغزالي والرازي خلافا للمالكية من أهل بغداد ، وأبي حنيفة ومتبعيه. وهذه مسألة يبحث فيها في أصول الفقه ، وهذ الخلاف إنما هو حيث لا تدل قرينة على فور أو تأخير. وأما هنا فالعطف بالفاء يدل على تعقيب القول بالفعل من غير مهلة ، فتكون الملائكة قد فهموا الفور من شيء آخر غير موضوع اللفظ ، فلذلك بادروا بالفعل ولم يتأخروا. والسجود المأمور به والمفعول إيماء وخضوع ، قاله الجمهور ، أو وضع الجبهة على الأرض مع التذلل ، أو إقرارهم له بالفضل واعترافهم له بالمزية ، وهذا يرجع إلى معنى السجود اللغوي ، قال : فإن من أقر لك بالفضل فقد خضع لك. ﴿لادم﴾ : من قال بالسجود الشرعي قال : كان السجود تكرمة وتحية له ، وهو قول الجمهور : علي وابن مسعود وابن عباس ، كسجود أبوي يوسف ، لا سجود عبادة ، أو لله تعالى ، ونصبه الله قبلة لسجودهم كالكعبة ، فيكون المعنى إلى آدم ،

١٥٢

قاله الشعبي ، أو لله تعالى ، فسجد وسجدوا مؤتمين به ، وشرفه بأن جعله إماما يقتدون به. والمعنى في : ﴿لادم﴾ أي مع آدم. وقال قوم : إنما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه ، فالسجود امتثال

لأمر الله ، والسجود له ، قاله مقاتل ، والقرآن يرد هذا القول. وقال قوم : كان سجود الملائكة مرتين. قيل : والإجماع يرد هذا القول ، والظاهر أن السجود هو بالجبهة لقوله : ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ . وقيل : لا دليل في ذلك ، لأن الجاثي على ركبتيه واقع ، وأن السجود كان لآدم على سبيل التكرمة ، وقال بعضهم : السجود لله بوضع الجبهة ، وللبشر بالانحناء ، انتهى. ويجوز أن يكون السجود في ذلك الوقت للبشر غير محرم ، وقد نقل أن السجود كان في شريعة من قبلنا هو التحية ، ونسخ ذلك في الإسلام. وقيل : كان السجود لغير الله جائزا إلى زمن يعقوب ، ثم نسخ ، وقال الأكثرون : لم ينسخ إلى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال في حديث عرض عليه الصحابة أن يسجدوا له : "لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا لله رب العالمين" ، وأن معاذا سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فنهاه عن ذلك. قال ابن عطاء : لما استعظموا تسبيحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود لغيره ليريهم بذلك استغناءه عنهم وعن عبادتهم.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٥١

". (١)

"وقال الكسائي : السلوى واحدة ، وجمعها سلاوي. وقال الأخفش : جمعه وواحده بلفظ واحد. وقيل : جمع لا واحد له من لفظه. وقال مؤرخ السدوسي : السلوى هو العسل بلغة كنانة ، قال الشاعر :

وقاسمها بالله جهدا لأنتمألذ من السلوى إذا ما نشورها

وقال غيره : هو طائر. قال ابن عطية : وقد **غلط** الهذلي في قوله :

ألذ من السلوى إذا ما نشورها

فظن السلوى العسل. وعن هذا جوابان يبينان أن هذا ليس غلطا : أحدهما : ما نقلناه عن مؤرج من كونه العسل بلغة كنانة ، والثاني : أنه تجوز في قوله : نشورها لأجل القافية ، فعبر عن الأكل بالشور ، على سبيل المجاز ، قالوا : واشتقاق السلوى من السلوة ، لأنه لطيبه يسلي عن غيره. الطيب : فيعل من طاب يطيب ، وهو اللذيذ ، وتقدم الكلام في اختصاص هذا الوزن بالمعتل ، إلا ما شذ ، وفي تخفيف هذا النوع وبالمخفف منه سميت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٠٣

﴿وإذ قال موسى لقومها ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم﴾ : عد صاحب المنتخب هذا إنعاما خامسا ، وقيل :

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٢٧/١

هذه الآية وما بعدها منقطعة مما تقدم من التذكير بالنعم ، وذلك لأنه أمر بالقتل ، والقتل لا يكون نعمة ، وضعف بأن من أعظم النعم التنبيه على ما به يتخلصون من عقاب الذنب العظيم ، وذلك هو التوبة. وإذا كان قد عدد عليهم النعم الدنيوية ، فلأن يعدد عليهم النعم الدينية أولى. ولما لم يكمل وصف هذه النعمة إلا بمقدمة ما تسببت عنه ، قدم ذكر ذلك ، وهذا الخطاب هو محاورة موسى لقومه حين رجع من الميقات ووجدهم قد عبدوا العجل. واللام في قوله : لقومه ، للتبليغ ، وإقبال موسى عليه بالنداء ، ونداؤه بلفظ يا قوم ، مشعر بالتحنن عليهم ،

٢٠٥

وأنه منهم ، وهم منه ، ولذلك أضافهم إلى نفسه ، كما يقول الرجل : يا أخي ، ويا صديقي ، فيكون ذلك سببا لقبول ما يلقى إليه ، بخلاف أن لو ناداه باسمه ، أو بالوصف القبيح الصادر منه. وفي ذلك أيضا هزلهم لقبولهم الأمر بالتوبة ، بعد تقريعهم بأنهم ظلموا أنفسهم ، وأي ظلم أعظم من اتخاذ إله غيره ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ . ونص على أنهم ظلموا أنفسهم بذلك لأنه أفحش الظلم ، لأن نفس الإنسان أحب شيء إليه ، فإذا ظلمها ، كان ذلك أفحش من أن يظلم غيره. ويا قوم : منادى مضاف إلى ياء المتكلم ، وقد حذفت واجتزى بالكسرة عنها ، وهذه اللغة أكثر ما في القرآن. وقد جاء إثباتها كقراءة من قرأ : يا عبادي فاتقون ، بإثبات الياء ساكنة ، ويجوز فتحها ، فتقول : يا غلامي ، وفتح ما قبلها وقلب الياء ألفا ، فتقول : يا غلاما. وأجاز الأخفش حذف الألف والاجتزاء بالفتحة عنها ، فتقول : يا غلام ، وأجاز ضمه وهو على نية الإضافة فتقول : يا غلام ، تريد : يا غلامي. وعلى ذلك قراءة من قرأ : قل ﴿رب احكم بالحق﴾ ، ﴿قال رب السجن أحب إلى﴾ ، هكذا أطلقوا ، وفصل بعضهم بين أن يكون فعلا أو اسما ، إن كان فعلا فلا يجوز بناؤه على الضم ، ومثل الفعل بمثل : يا ضاربي ، فلا يجيز في هذا يا ضارب ، وظاهر الخطاب اختصاصه بمتخذي العجل. وقيل : يجوز أن يراد به : من عبد ومن لم يعبد جعلوا ظالمين ، لكونهم لم يمنعوهم ولم يقاتلوهم. والباء في ﴿باتخاذكم العجل﴾ سببية ، واحتمال الوجهين السابقين في قوله : ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ جاء هنا ، أي بعملكم العجل وعبادته ، أو ﴿باتخاذكم العجل﴾ . قال السلمي : عجل كل واحد نفسه ، فمن أسقط مراده وخالف هواه فقد بريء من ظلمه.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٠٣

﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ الفاء في فتوبوا معها التسبيب ، لأن الظلم سبب للتوبة ، ولما كان السامري قد عمل لهم من حليهم عجلا ، قيل لهم : توبوا إلى بارئكم ، أي منشئكم وموجدكم من العدم ، إذ موجد الأعيان

هو الموجد حقيقة. وأما عمل العجل واتخاذه فليس فيه إبراز الذوات من العدم ، إنما ذلك تأليف تركيبي لا خلق أعيان ، فنبهوا بلفظ الباري على الصانع ، أي الذي أوجدكم هو المستحق للعبادة ، لا الذي صنعه ، مصنوع مثله ، فلذلك ، والله أعلم ، كان ذكر الباري هنا. وقرأ الجمهور : بظهور حركة الإعراب في بارئكم ، وروي عن أبي عمرو : الاختلاس ، روي ذلك عنه سيبويه ، وروى عنه : الإسكان ، وذلك إجراء للمنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة ، فإنه يجوز تسكين مثل إبل ، فأجرى المكسوران في بارئكم مجرى إبل ، ومنع المبرد التسكين في حركة الإعراب ، وزعم أن قراءة أبي عمرو لحن ، وما ذهب إليه ليس بشيء ، لأن أبا عمرو لم يقرأ إلا بأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولغة العرب توافقه على ذلك ، فإنكار المبرد لذلك منكر ، وقال الشاعر :

فاليوم أشرب غير مستحقبإثما من الله ولا واغل

وقال آخر :

رحت وفي رجليك ما فيهماوقد بداهنك من المئزر

وقال آخر :

أو نهر تيرى فما تعرفكم العرب

." (١)

"السلم : بكسر السين وفتحها : الصلح ، ويذكر ويؤنث ، وأصله من الاستسلام ، وهو الانقياد. وحكى البصريون عن العرب : بنو فلان سلم وسلم بمعنى واحد ، ويطلق بالفتح والكسر على الإسلام ، قاله الكسائي وجماعة من أهل اللغة ، وأنشدوا بعض قول كندة :

دعوت عشيرتي للسلم لمارأيتهم تولوا مدبرينا

أي : للإسلام ، قال ذلك لما ارتدت كندة مع الأشعث بن قيس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخر في الفتح :

شرائع السلم قد بانت معالمهافما يرى الكفر إلا من به خبل

يريد : الإسلام ، لأنه قابله بالكفر ، وقيل بالكسر : الإسلام وبالفتح : الصلح.

كافة : هو اسم فاعل استعمل بمعنى : جميعا ، وأصل اشتقاقه من كف الشيء : منع من أخذه ، والكف المنع ، ومنه كفة القميص حاشيته ، ومنه الكف وهو طرف اليد لأنه يكف بها عن سائر البدن ، ورجل

(١) تفسير البحر ا لمحيط . (دار الفكر)، ١٧٣/١

مكفوف منع بصره أن ينظر ، ومنه كفة الميزان لأنها تمنع الموزون أن ينتشر ، وقال بعض اللغويين : كفة بالضم لكل مستطيل ، وبالكسر لكل مستدير ، وكافة : ممها لزم انتصابه على الحال نحو : قاطبة ، فإخراجها عن النصب حالا لحن.

التزيين : التحسين ، والزينة مما يتحسن به ويتجمل ، وفعل من الزين بمعنى الفعل المجرد ، والتضعيف فيه ليس للتعدية ، وكونه بمعنى المجرد وهو أحد المعاني التي جاءت لها فعل كقولهم : قدر الله ، وقدر. وميز وماز ، وبشر وبشر ، ويبنى من الزين افتعل افتعال : ازدان بإبدال التاء دالا ، وهو لازم.

﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ هذا رابع أمر بالذكر في هذه الآية ، والذكر هنا التكبير عند الجمرات وإدبار الصلاة وغير ذلك من أوقات الحج ، أو التكبير عقيب الصلوات المفروضة ، قولان. وعن عمر أنه كان يكبر بفسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق ، وفي الطواف ، والأيام المعدودات ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، وليس يوم النحر من المعدودات ، هذا مذهب الشافعي ، وأحمد ، ومالك وأبي حنيفة ، قاله : ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وإبراهيم ، وقتادة ، والسدي ، والربيع ، والضحاك. أو يوم النحر ويومان بعده ، قاله : ابن عمر ، وعلي ، وقال : إذبح في أيها شئت ، أو يوم النحر وثلاثة أيام التشريق ،

١٠٩

قاله : المروزي. أو أيام العشر ، رواه مجاهد عن ابن عباس ، قيل : وقولهم أيام العشر ، **غلط** من الرواة ، وقال ابن عطية : إما أن يكون من تصحيف النسخة ، وإما أن يريد العشر الذي بعد يوم النحر ، وفي ذلك بعد.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٠٧

وتكلم المفسرون هنا على قوله : ﴿فى أيام معلومات على ما رزقهم منا بهيمة الانعام﴾ ونحن نؤخر الكلام على ذلك إلى مكانه إن شاء الله.

واستدل ابن عطية للقول الأول وهو : أن الأيام المعدودات : أيام التشريق وهي الثلاثة بعد يوم النحر ، وليس يوم النحر منها. بأن قال : ودل على ذلك إجماع الناس على أنه لا ينفر أحد يوم القر. وهو ثاني يوم النحر ، ولو كان يوم النحر في المعدودات لساغ أن ينفر من شاء متعجلا يوم القر ، لأنه قد أخذ يومين من المعدودات انتهى كلامه.

ولا يلزم ما قاله : فمن تعجل في يومين ، لا يمكن حمله على ظاهره ، لأن الظرف المبني إذا عمل فيه

الفعل فلا بد من وقوعه في كل واحد من اليومين ، لو قلت : ضربت زيدا يومين ، فلا بد من وقوع الضرب به في كل واحد من اليومين ، وهنا لا يمكن ذلك ، لأن التعجيل بالنفر لم يقع في كل واحد من اليومين ، فلا بد من ارتكاب مجاز ، إما بأن يجعل وقوعه في أحدهما كأنه وقوع فيهما ، ويصير نظير : ﴿نسيا حوتهما﴾ ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ وإنما الناسي أحدهما ، وكذلك ، إنما يخرجان من أحدهما. أو بأن يجعل ذلك على حذف مضاف ، التقدير : فمن تعجل في ثاني يومين بعد يوم النحر ، فيكون اليوم الذي بعد يوم القر المتعجل فيه ، ويحتمل أن يكون المحذوف في : تمام يومين أو إكمال يومين ، فلا يلزم أن يقع التعجل في شيء من اليومين ، بل بعدهما. وعلى هذا يصح أن يعد يوم النحر من الأيام المعدودات ، ولا يلزم أن يكون النفر يوم القر ، كما ذكره ابن عطية.

وظاهر قوله ﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ الأمر بمطلق ذكر الله في أيام معدودات ، ولم يبين ما هذه الأيام ، لكن قوله : ﴿فمن تعجل فى يومين﴾ يشعر أن تلك الأيام هي التي ينفر فيها ، وهي أيام التشريق ، وقد قال في (ري الظمآن) : أجمع المفسرون على أن الأيام المعدودات أيام التشريق. انتهى.

وجعل الأيام ظرفا للذكر يدل على أنه متى ذكر الله في تلك الأيام فهو المطلوب ، ويشعر أنه عند رمي الجمار كون الرمي غير محصور بوقت ، فناسب وقوعه في أي وقت من الأيام ذكر الله فيه ، ويؤيده قوله : ﴿فمن تعجل فى يومين﴾ وأن الخطاب بقوله : واذكروا ، ظاهر أنه للحجاج ، إذ الكلام معهم ، والخطاب قبل لهم ، والإخبار بعد عنهم ، فلا يدخل غيرهم معهم في هذا الذكر المأمور به.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٠٧

". (١)

"وقال النحاس : سمعت علي بن سليمان يحكي عن أبي العباس أن التقدير : كراهة أن تضل ، قال أبو جعفر : وهذا غلط ، إذ يصير المعنى كراهة أن تذكر. ومعنى الضلال هنا هو عدم الاهتداء للشهادة لنسيان أو غفلة ، ولذلك قوبل بقوله : فتذكر ، وهو من الذكر ، وأما ما روي عن أبي عمرو بن العلاء ، وسفيان بن عيينة من أن قراءة التخفيف ، فتذكر ، معناه : تصيرها ذكرا في الشهادة ، لأن شهادة امرأة نصف شهادة ، فإذا شهدتا صار مجموع شهادتها كشهادة ذكر ، فقال الزمخشري : من بدع التفاسير.

وقال ابن عطية : هذا تأويل بعيد غير صحيح ، ولا يحسن في مقابله الضلال إلا الذكر. انتهى.

وما قالاه صحيح ، وينبو عنه اللفظ من جهة اللغة ومن جهة المعنى ، أما من جهة اللغة فإن المحفوظ أن

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦٩/٢

هذا الفعل لا يتعدى ، تقول : أذكرت المرأة فهي مذكر إذا ولدت الذكور ، وأما : أذكرت المرأة ، أي : صيرتها كالذكر ، فغير محفوظ. وأما من ﺟﻬة المعنى ، فإن لو سلم أن : أذكر ، بمعنى صيرها ذكرا فلا يصح ، لأن التصيير ذكرا شامل للمرأتين ، إذ ترك شهادتهما بمنزلة شهادة ذكر فليست إحداهما أذكرت الأخرى على هذا التأويل ، إذ لم تصير شهادتهما وحدها بمنزلة شهادة ذكر.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٤١

ولما أبهم الفاعل في : أن تضل ، بقوله : إحداهما ، أبهم الفاعل في : فتذكر ، بقوله : إحداهما ، إذ كل من المرأتين يجوز عليها الضلال ، والإذكار ، فلم يرد : بإحداهما ، معينة. والمعنى : إن ضلت هذه أذكرتها هذه ، وإن ضلت هذه أذكرتها هذه ، فدخل الكلام معنى العموم ، وكأنه قيل : من ضل منهما أذكرتها الأخرى ، ولو لم يذكر بعد : فتذكر ، الفاعل مظهرا للزم أن يكون أضمر المفعول ليكون عائدا على إحداهما الفاعل بتضل ، ويتعين أن يكون : الأخرى ، هو الفاعل ، فكان يكون التركيب : فتذكرها الأخرى. وأما على التركيب القرآني فالمتبادر إلى الذهن أن : إﺣداهما ، فاعل تذكر ، والأخرى هو المفعول ، ويراد به الضالة ، لأن كلا من الإسمين مقصور ، فالسابق هو الفاعل ، ويجوز أن يكون : إحداهما ،

٣٤٩

مفعولا ، والفاعل هو الأخرى لزوال اللبس ، إذ معلوم أن المذكرة ليست الناسية ، فجاز أن يتقدم المفعول ويتأخر الفاعل ، فيكون نحو : كسر العصا موسى ، وعلى هذا الوجه يكون قد وضع الظاهر موضع المضمر المفعول ، فيتعين إذ ذاك أن يكون الفاعل هو : الأخرى ، ومن قرأ : أن ، بفتح الهمزة و: فتذكر ، بالرفع على الاستئناف ، قيل : وقال : إن تضل إحداهما ، المعنى : أن النسيان غالب على طباع النساء لكثرة البرد والرطوبة ، واجتماع المرأتين على النسيان أبعد في العقل من صدور النسيان عن المرأة الواحدة ، فأقيمت المرأتان مقام الرجل ، حتى إن إحداهما لو نسيت ذكرتها الأخرى ، وفيه دلالة على تفضيل الرجل على المرأة.

و : تذكر ، يتعدى لمفعولين ، والثاني محذوف ، أي : فتذكر إحداهما الأخرى الشهادة ، وفي قوله ﴿فتذكر إحداهما الاخرى ﴾ دلالة على أن من شرط جواز إقامة الشهادة ذكر الشاهد لها ، وأنه لا يجوز الاقتصار فيها على الخط ، إذ الخط والكتابة مأمور ربه لتذكر الشهادة ، ويدل عليه قوله : ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ وإذا لم يذكرها فهو غير عالم بها.

وقال أبو حنيفة ، وأبو يوسف ، والشافعي : إذا كتب خطه بالشهادة فلا يشهد حتى يذكرها ، وقال محمد

بن أبي ليلى ، إذا عرف خطه وسعه أن يشهد عليها. وقال الثوري : إذا ذكر أنه شهد ، ولا يذكر عدد الدراهم ، فإنه لا يشهد.
﴿ولا يأب الشهدآء إذا ما دعوا ﴾ قال قتادة : سبب نزولها أن الرجل كان يطوف في الحراء العظيم ، فيه القوم ، فلا يتبعه منهم أحد ، فأنزلها الله.
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٤١
وظاهر الآية : أن المعنى : ولا يأب الشهداء من تحمل الشهادة إذا ما دعوا لها ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والربيع وغيرهم. وهذا النهي ليس نهي تحريم ، فله أن يشهد ، وله أن لا يشهد. قاله عطاء ، والحسن وقال الشعبي : إن لم يوجد غيره تعين عليه أن يشهد ، وإن وجد فهو مخير ، وقيل : المعنى : ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا لأداء الشهادة إذا كانوا قد شهدوا قبل ذلك ، قاله مجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والسدي ، وإبراهيم ، ولاحق بن حميد ، وابن زيد. وروى النقاش : هكذا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو صح هذا عنه ، عليه السلام ، لم يعدل عنه فيكون نهي تحريم.
." (١)

"وقرأ الجمهور : فرهان ، جمع رهن نحو : كعب وكعاب. وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : فرهن ، بضم الراء والهاء. وروي عنهما تسكين الهاء. وقرأ بكل واحدة منهما جماعة غيرهما ، فقيل : هو جمع رهان ، ورهان جمع رهن ، قاله الكسائي ، والفراء. وجمع الجمع لا يطرد عند سيبويه ، وقيل : هو جمع رهن ، كسقف ، ومن قرأ بسكون الهاء فهو تخفيف من رهن ، وهي لغة في هذا الباب ، نحو : كتب في كتب ، واختاره أبو عمرو بن العلاء وغيره ، وقال أبو عمرو بن العلاء : لا أعرف الرهان إلا في الخيل لا غير ، وقال يونس : الرهن والرهان عربيان ، والرهن في الرهن أكثر ، والرهان في الخيل أكثر. انتهى. وجمع فعل على فعل قليل ، ومما جاء فيه : رهن قول الأعشى :
آليت لا يعطيه من أبنائنارهنا فيفسدهم كرهن أفسدا
وقال بكسر : رهن ، على أقل العدد لم أعلمه جاء ، وقياسه : أفعل ، فكأنهم استغنوا بالكثير عن القليل. انتهى.
والظاهر من قوله : مقبوضة ، اشتراط القبض. وأجمع الناس على صحة قبض المرتهن ، وقبض وكيله ، وإما قبض عدل يوضع الرهن على يديه ، فقال الجمهور به وقال عطاء ، وقتادة ، والحكم ، وابن أبي ليلى :

---
(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢/٢٦٥

ليس بقبض ، فإن وقع الرهن بالإيجاب والقبول ، ولم يقع القبض ، فالظاهر من الآية أنه لا يصح إلا بالقبض ، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ، وقالت المالكية : يلزم الرهن بالعقد ، ويجبر الراهن على دفع الرهن ليحوزه المرتهن ، فالقبض عند مالك شرط في كمال فائدته ، وعند أبي حنيفة والشافعي شرط في صحته ، وأجمعوا على أنه لا يتم إلا بالقبض.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٤١

واختلفوا في استمراره ، فقال مالك : إذا رده بعارية أو غيرها بطل وقال أبو حنيفة : إن رده بعارية أو وديعة لم يبطل. وقال الشافعي : يبطل برجوعه إلى يد الراهن مطلقا.

والظاهر من اشتراط القبض أن يكون المرهون ذاتا متقومة يصح بيعها وشراؤها ، ويتهيأ فيها القبض أو التخلية. فقال الجمهور : لا يجوز رهن ما في الذمة. وقالت المالكية : يجوز ، وقال الجمهور : لا يصح رهن الغرر ، مثل : العبد الآبق ، والبعير الشارد ، والأجنة في بطون أمهاتها ، والسمك في الماء ، والثمرة قبل بدو صلاحها وقال مالك : لا بأس بذلك.

واختلفوا في رهن المشاع ، فقال مالك ، والشافعي : يصح فيما يقسم وفيما لا يقسم. وقال أبو حنيفة : لا يصح مطلقا. وقال الحسن بن صالح : يجوز فيما لا يقسم ، ولا يجوز فيما يقسم.

ومعنى : على سفر ، أي : مسافرين ، وقد تقدم الكلام على مثله في آية الصيام.

ويحتمل قوله : ولم تجدوا ، أن يكون معطوفا على فعل الشرط ، فتكون الجملة في موضع جزم ، ويحتمل أن تكون الواو للحال ، فتكون الجملة في موضع نصب. ويحتمل أن يكون معطوفا على خبر كان ، فتكون الجملة في موضع نصب ، لأن المعطوف على الخبر خبر ، وارتفاع : فرهان ، على أنه خبر مبتدأ محذوف ، التقدير :

٥٣٥

فالوثيقة رهان مقبوضة.

﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته﴾ أي : إن وثق رب الدين بأمانة الغريم ، فدفع إليه ماله بغير كتاب ولا إشهاد ولا رهن ، فليؤد الغريم أمانته ، أي ما ائتمنه عليه رب المال وقرأ أبي : فإن أومن ، رباعيا مبنيا للمفعول ، أي : آمنه الناس ، هكذا نقل هذه القراءة عن أبي الزمخشري ، وقال السجاوندي : وقرأ أبي : فإن ائتمن ، افتعل من الأمن ، أي : وثق بلا وثيقة صك ، ولا رهن.

والضمير في : أمانته ، يحتمل أن يعود إلى رب الدين ، ويحتمل أن يعود إلى الذي اؤتمن. والأمانة : هو

مصدر أطلق على الشيء الذي في الذمة ، ويحتمل أن يراد به نفس المصدر ، ويكون على حذف مضاف ، أي : فليؤد دين أمانته. واللام في : فليؤد ، للأمر ، وهو للوجوب. وأجمعوا على وجوب أداء الديون ، وثبوت حكم الحاكم به وجبره الغرماء عليه ، ويجوز إبدال همزة : فليؤد ، واوا نحو : يوجل ويوخر ويوا خذ ، لضمة ما قبلها.

وروى أبو بكر عن عاصم : الذي اؤتمن ، برفع الألف ، ويشير بالضمة إلى الهمزة. قال ابن مجاهد : وهذه الترجمة غلط. وروي سليم عن حمزة إشمام الهمزة الضم ، وفي الإشارة والإشمام المذكورين نظر.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٤١

وقرأ ابن محيصن ، وورش بإبدال الهمزة ياء ، كما أبدلت في بئر وذئب ، وأصل هذا الفعل : أؤتمن ، بهمزتين : الأولى همزة الوصل ، وهي مضمومة. والثاني : فالكلمة ، وهي ساكنة ، فتبدل هذه واوا لضمة ما قبلها ، ولاستثقال اجتماع الهمزتين ، فإذا اتصلت الكلمة بما قبلها رجعت الواو إلى أصلها من الهمزة ، لزوال ما أوجب إبدالها. وهي همزة الوصل ، فإذا كان قبلها كسرة جاز ، إبدالها ياء لذلك.

وقرأ عاصم في شاذه : اللذتمن ، بإدغام التاء المبدلة من الهمزة قياسا على : اتسر ، في الافتعال من اليسر قال الزمخشري : وليس بصحيح ، لأن التاء منقلبة عن الهمزة في حكم الهمزة ، واتزر عامي ، وكذلك ريا في رؤيا. انتهى. كلامه.

". (١)

"والإشارة في قوله : ومن يفعل ذلك ، الآية. أشار إلى انسلاخهم من ولاية الله.

والاختصاص في قوله : ما في صدوركم ، وفي قوله : ما في السموات وما في الأرض.

والتأنيس بعد الإيحاش في قوله : والله رؤوف بالعباد ، والحذف في عدة مواضع تقدم ذكرها في التفسير.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤١٥

نوح : اسم أعجمي مصروف عند الجمهور وإن كان فيه ما كان يقتضي منع صرفه وهو : العلمية والعجمة الشخصية ، وذلك لخفة البناء بكونه ثلاثيا ساكن الوسط لم يضف إليه سبب آخر ، ومن جوز فيه الوجهين فبالقياس على هذا لا بالسماع ، ومن ذهب إلى أنه مشتق من النواح فقوله ضعيف ، لأن العجمة لا يدخل فيها الاشتقاق العربي إلا ادعى أنه مما اتفقت فيه لغة العرب ولغة العجم ، فيمكن ذلك. ويسمى : آدم الثاني واسمه السكن ، قاله غير واحد ، وهو ابن لملك بن متوشلخ بن اخنوخ بن سارد بن مهلابيل بن

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢/٢٧٠

قينان بن انوش بن شيث بن آدم.

عمران : اسم أعجمي ممنوع الصرف للعلمية والعجمة ، ولو كان عربيا لامتنع أيضا للعلمية ، وزيادة الألف والنون إذ كان يكون اشتقاقه من العمر واضحا.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٣٢

محررا : اسم مفعول من حرر ، ويأتي اختلاف المفسرين في مدلوله في الآية ، والتحرير : العتق ، وهو تصيير المملوك حرا.

الوضع : الحط والإلقاء ، تقول : وضع يضع وضعا وضعة ، ومنه الموضع.

الأنثى والذكر : معروفان ، وألف أنثى للتأنيث ، وجمعت على إناث ، كربى ورباب ، وقياس الجمع : أناثى ، كحبلى وحبالى. وجمع الذكر : ذكور وذكران.

مريم : اسم عبراني ، وقيل عربي جاء شاذا : كمدين ، وقياسه : مرام كمنال ، ومعناه في العربية التي تغازل الفتيان ، قال الراجز :

٤٣٢

قلت لزيد لم تصله مريمه

عاذ بكذا : اعتصم به ، عوذا وعياذ أو معاذ أو معاذة ومعناه : التجأ واعتصم وقيل : اشتقاقه من العوذ وهو : عوذ يلجأ إليه الحشيش في مهب الريح.

رجم : رمى وقذف ، ومنه ﴿رجما بالغيب﴾ أي : رميا به من غير تيقن ، والحديث المرجم هو : المظنون ليس فيه يقين.

والرجيم : يحتمل أن يكون للمبالغة من فاعل ، أي إنه يرمي ويقذف بالشر والعصيان في قلب ابن آدم ، ويحتمل أن يكون بمعنى : مرجوم ، أي يرجم بالشهب أو يبعد ويطرد.

الكفالة : الضمان ، يقال : كفل يكفل فهو كافل وكفيل ، هذا أصله ثم يستعار للضم والقيام على الشيء.

زكريا : أعجمي شبه بما فيه الألف الممدودة والألف المقصورة فهو ممدود ومقصور ، ولذلك يمتنع صرفه نكرة ، وهاتان اللغتان فيه عند أهل الحجاز ، ولو كان امتناعه للعلمية والعجمة انصرف نكرة. وقد ذهب إلى ذلك أبو حاتم ، وهو غلط منه ، ويقال : ذكرى بحذف الألف ، وفي آخره ياء كياء بحتى ، منونة فهو منصرف ، وهي لغة نجد ، ووجهه فيما قال أبو علي ؛ إنه حذف ياءي الممدود والمقصور ، وألحقه ياءي النسب يدل على ذلك صرفه ، ولو كانت الياءان هما اللتين كانتا في زكريا لوجب أن لا يصرف

للعجمة والتعريف. انتهى كلامه. وقد حكي : ذكر على وزن : عمر ، وحكاها الأخفش.
المحراب : قال أبو عبيدة : سيد المجالس وأشرفها ومقدمها ، وكذلك هو من المسجد ، وقال الاصمعي : الغرفة وقال :
وماذا عليه إن ذكرت أوانساكغزلان رمل في محاريب أقتال
شرحه الشراح في غرف أقيال وقال الزجاج : الموضع العالي الشريف وقال أبو عمرو بن العلاء : القصر ، لشرفه وعلوه وقيل : المسجد وقيل : محرابه المعهود سمي بذلك لتحارب الناس عليه وتنافسهم فيه ، وهو مقام الإمام من المسجد.
هنا : اسم إشارة للمكان القريب ، والتزم فيه الظرفية إلا أنه يجر بحرف الجر ، فإن ألحقته كاف الخطاب دل على المكان البعيد. وبنو تميم تقول : هناك ، ويصح دخول حرف التنبيه عليه إذا لم تكن فيه اللام ، وقد يراد بها ظرف الزمان.
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٣٢
النداء : رفع الصوت ، وفلان أندى صوتا ، أي أرفع ، ودار الندوة لأنهم كانوا ترتفع أصواتهم بها ، والمنتدى والنادي مجتمع القوم منه ، ويقال : نادى مناداة ونداء ونداء ، بكسر النون وضمها قيل : فبالكسر المصدر ، وبالضم اسم ، وأكثر ما جاءت الأصوات على الضم : كالدعاء والرغاء والصراخ وقال يعقوب : يمد مع كسر النون ، ويقصر مع ضمها. والندي : المطر ، يقال منه ندى يندى ندى.
يحيي : اسم أعجمي امتنع الصرف للعجمة والعلمية ، وقيل : هو عربي ، وهو فعل مضارع من : حي ، سمي به فامتنع الصرف للعلمية ووزن الفعل ، وعلى القولين يجمع على : يحيون ، بحذف الألف وفتح ما قبلها على مذهب الخليل ، وسيبويه ونقل عن الكوفيين : إن كان عربيا فتحت الياء ، وإن كان أعجميا ضمت الياء.
سيد : فيعل من : ساد ، أي : فاق في الشرف ، وتقدم الكلام في نظير هذا ، وجمعه على : فعلة ، فقالوا : سادة ، شاذ وقال الراغب : هو السايس بسواد الناس ، أي : معظمهم ، ولهذا يقال : سيد العبد ، ولا يقال سيد الثوب. انتهى.
الحصور : فعول من الحصر ، وهو للمبالغة من حاصر وقيل : فعول بمعنى مفعول ، أي محصور ، وهو

في الآية بمعنى الذي لا يأتي النساء.
." (١)

"﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدها إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدها إليك إلا ما﴾ الجمهور على أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى أخبر الله تعالى بذم الخونة منهم ، فظاهره أن في اليهود والنصارى من يؤتمن فيفي ومن يؤتمن فيخون. وقيل : أهل الكتاب عنى به أهل القرآن ، قاله ابن جريج. وهذا
٤٩٨
ضعيف حدا لما يأتي بعده من قولهم : ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميان سبيل﴾ وقيل : المراد بأهل الكتاب : اليهود ، لأن هذا القول ﴿ليس علينا فى الاميان سبيل﴾ لم يقله ولا يعتقده إلا اليهود.
وقيل : ﴿من إن تأمنه بقنطار﴾ هم النصارى لغلبة الأمانة عليهم. و: ﴿من إن تأمنه بدينار﴾ هم اليهدو لغلبة الخيانة عليهم. وعين منهم كعب بن الأشرف وأصحابه. وقيل : ﴿من إن تأمنه بقنطار﴾ هم من أسلم من أهل الكتاب. و: ﴿من إن تأمنه بدينار﴾ من لم يسلم منهم.
وروي أنه بايع بعض العرب بعض اليهود وأودعوهم فخانوا من أسلم ، وقالوا : قد خرجتم عن دينكم الذي عليه بايعناكم ، وفي كتابنا : لا حرمة لأموالكم ، فكذبهم الله تعالى. قيل : وهذا سبب نزول هذه الآية.
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٩٧
وعن ابن عباس : ﴿من إن تأمنه بقنطار يؤده﴾ هو عبد الله بن سلام ، استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهبا ، فأداه إليه. و: ﴿من إن تأمنه بدينار﴾ فنحاص بن عازوراء ، استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه. انتهى. ولا ينحصر الشرط في ذينك المعينين ، بل كل منهما فرد ممن يندرج تحت : من. ألا ترى كيف جمع في قوله : ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا﴾ قالوا والمخاطب بقوله : تأمنه ، هو النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف ، ويحتمل أن يكون السامع من أهل الإسلام ، وبينه قولهم : ﴿ليس علينا فى الاميان سبيل﴾ فجمع الأميين وهم اتباع النبي الأمي.
وقرأ أبي بن كعب : تأمنه ، في الحرفين ، و: تئمنا ، في يوسف. وقرأ ابن مسعود ، والأشهب العقيلي ، وابن وثاب : تيمنه ، بتاء مكسورة وياء ساكنة بعدها ، قال الداني : وهي لغة تميم. وأما إبدال الهمزة ياء في : تئمنه ، فلكسرة ما قبلها كما أبدلوا في بئر.

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣٢٨/٢

وقد ذكرنا الكلام على حروف المضارعة من : ي فعل ، ومن : ما أوله همزة وصل عند الكلام على قوله ﴿نستعين﴾ فأغنى عن إعادته.

وقال : ابن عطية ، حين ذكر قراءة أبي : وما أراها إلا لغة : قرشية ، وهي كسر نون الجماعة : كنستعين ، وألف المتكلم ، كقول ابن عمر : لا إخاله ، وتاء الخاطب كهذه الآية ، ولا يكسرون الياء في الغائب ، وبها قرأ أبي في : تئمنه. انتهى. ولم يبين ما يكسر فيه حروف المضارعة بقانون كلي ، وما ظنه من أنها لغة قرشية ليس كما ظن. وقد بينا ذلك في ﴿نستعين﴾ وتقدم تفسير : القنطار ، في قوله : ﴿والقناطير المقنطرة﴾ .

وقرأ الجمهور : يؤده ، بكسر الهاء ووصلها بياء. وقرأ قالون باختلاس الحركة ، وقرأ أبو عمرو ، وأبو بكر ، وحمزة ، والأعمش بالسكون. قال أبو إسحاق : وهذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء **غلط** بين ، لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم ، وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن في الوصل. وأما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة ، **فغلطب** عليه كما **غلط** عليه في : بارئكم ، وقد حكى عنه سيبويه ، وهو ضابط لمثل هذا ، أنه كان يكسر كسرا خفيفا. انتهى كلام ابن إسحاق. وما ذهب إليه أبو إسحاق من أن الإسكان **غلط** ليس بشيء ، إذ هي قراءة في السبعة ، وهي متواترة ، وكفى أنها منقولة من إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء. فإنه عربي صريح ، وسامع لغة ، وإمام في النحو ، ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٩٧

وقد أجاز ذلك الفراء وهو إمام في النحو واللغة. وحكى ذلك لغة لبعض العرب تجزم في الوصل والقطع. وقد روى الكسائي أن لغة عقيل وكلاب : أنهم يختلسون الحركة في هذه الهاء إذا كانت بعد متحرك ، وأنهم يسكنون أيضا. قال الكسائي : سمعت أعراب عقيل وكلاب يقولون : ﴿لربها لكنود﴾ بالجزم ، و: لربه لكنود ، بغير تمام وله مال وغير عقيل وكلاب لا يوجد في كلامهم اختلاس ولا سكون في : له ، وشبهه إلا في ضرورة نحو قوله.

له زجل كأنه صوت حاد

وقال :

إلا لأن عيونه سيل واديها

ونص بعض أصحابنا على أن حركة هذه الهاء بعد الفعل الذاهب منه حرف لوقف أو جزم يجوز فيها الإشباع ، ويجوز الاختلاس ، ويجوز السكون. وأبو إسحاق الزجاج ، يقال عنه : إنه لم يكن إماما في اللغة ،

ولذلك أنكد على ثعلب في كتابه : (الفصيح) مواضع زعم أن العرب لا

٤٩٩

." (١)

"وذهب الزجاج إلى أن المعنى : لن يقبل من أحدهم إنفاقه وتقرباته في الدنيا ، ولو أنفق ملء الأرض ذهبا ، ولو افتدى أيضا به في الآخرة لم يقبل منه. قال : فأعلم الله أنه لا يثيبهم على أعمالهم من الخير ، ولا يقبل منهم الافتداء من العذاب. قال ابن عطية : وهذا قول حسن. انتهى.

وقال الزمخشري : ويجوز أن يراد : فلن يقبل من أحدهم ملء الأض ذهبا كان قد تصدق به ، ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه. انتهى. وهذا معنى قول الزجاج ، إلا أنه لم يقيد الافتداء بالآخرة.

وحكى صاحب (ري الظمآن) وغيره عن الزجاج أنه قال : معنى الآية : لو افتدى به في الدنيا مع إقامته على بالكفر لن يقبل منه ، والذي يظهر أن انتفاء القبول ، ولو على سبيل الفدية ، إنما يكون ذلك في الآخرة. وبينه ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يحاسب الكافر يوم القيامة ، فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : قد كنت سئلت أيسر من ذلك". وهذا الحديث يبين أن قوله : ﴿فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى بها﴾ هو على سبيل الفرض والتقدير أي : لو أن الكافر قدر على أعز الأشياء ، ثم قدر على بذله ، لعجز أن يتوسل بذلك إلى تخليص نفسه من عذا الله. والمعنى : أنهم آيسون من تخليص أنفسهم من العذاب. فهو نظير ﴿ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا﴾ الآيتين ، وعلى هذا يبعد ما قاله الزجاج من أن يكون المعنى : أنهم لو أنفقوا في الدنيا ملء الأرض ذهبا لم يقبل ذلك ، لأن الطاعة مع الكفر لا تكون مقبولة.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٥١٤

وافتدى : افتعل من الفدية. قيل : وهو بمعنى فعل ، كشوى واشتوى ، ومفعوله محذوف ، ويحتاج في تعدية افتدى إلى سماع من العرب ، والضمير في : به ، عائد على : ملء الأرض ، وهو : مقدار ما يملؤها ، ويوجد في بعض التفاسير أنه عائد على : الملء ، أو : على الذهب. فقيل : على الذهب غلط.

وقال الزمخشري : ويجوز أن يراد : ولو افتدى بمثله ، لقوله : ﴿فى ما كانوا فيه يختلفون * ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه﴾ والمثل يحذف كثيرا في كلامهم ، كقولك : ضربت ضرب زيد ،

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٨١/٢

تريد : مثل ضربه ، وأبو يوسف أبو حنيفة ، تريد : مثله.

ولا هيثم الليلة للمطي

و : قضية ولا أبا حسن لها تريد : ولا هيثم ، و: لا مثل أبي حسن ، كما أنه يراد في نحو قولهم : مثلك لا يفعل كذا ، تريد : أنت : وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر ، فكانا في حكم شيء واحد. انتهى كلامه.

ولا حاجة إلى تقدير : مثل ، في قوله ﴿ولو افتدى بها﴾ وكان الزمخشري تخيل أن ما نفي أن يقبل لا يمكن أن يفتدى به ، فاحتاج إلى إضمار : مثل ، حتى يغاير بين ما نفي قبوله وبين ما يفتدى به ، وليس كذلك ، لأن ذلك كما ذكرناه هو على سبيل الفرض ، والتقدير : إذ لا يمكن عادة أن أحدا يملك ملء الأرض ذهبا بحيث لو بذله على أي جهة بذله لم يقبل منه ، بل لو كان ذلك ممكنا لم يحتج إلى تقدير مثل ، لأنه نفي قبوله حتى في حالة الافتداء ، وليس ما قدر في الآية نظير ما مثل به ، لأن هذا التقدير لا يحتاج إليه ، ولا معنى له ، ولا في الفظ ولا المعنى ما يدل عليه ، فلا يقدر. وأما فيما مثل به من : ضربت ضرب زيد ، وأبو يوسف أبو حنيفة ، فبضرورة العقل نعلم أنه لا بد من تقدير : مثل ، إذ ضربك يستحيل أن يكون ضرب زيد ، وذات أبي يوسف يستحيل أن تكون ذات أبي حنيفة. وأما :

لا هيثم الليلة للمطي.

يدل على حذف : مثل ما تقرر في اللغة العربية أن : لا ، التي لنفي الجنس لا تدخل على الأعلام فتؤثر فيها ، فاحتاج إلى إضمار : مثل ، لتبقى على ما تقرر فيها ، إذ تقرر أنها لا تعمل إلا فى الجنس ، لأن العلمية تنافي عموم الجنس. وأما قوله : كما أن يزاد في : مثلك لا يفعل كذا ، تريد ، أنت ، فهذا قول قد قيل ، ولكن المختار عند حذاق النحويين أن الأسماء لا تزاد ، ولتقرير أن مثلك لا يفعل كذا ، ليست فيه مثل زائدة مكان غير هذا.

﴿أوالا ئك لهم عذاب أليم﴾ هذا إخبار ثان عمن مات وهو كافر ، لما بين تعالى في الإخبار الأول أنه لا يقبل منه شيء حتى يخلص به نفسه ، بين في هذا الإخبار ما له من العذاب الموصوف بالمبالغة في الآلام له ، إذ الافتداء ، وبذل الأموال إنما يكون لما يلحق المفتدى من الآلام حتى يبذل في الخلاص من ذلك أعز الأشياء. كما قال : ﴿يود المجرم لو يفتدي من عذاب يوماذا ببنيه﴾ الآية ، وارتفاع : عذاب ، على أنه فاعل بالجار والمجرور قبله ، لأنه قد اعتمد على أولئك ، لكونه خبرا عنه ويجوز ارتفاعه على الإبتداء.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٥١٤
." (١)

"ونقل الماوردي في يريد ثلاثة أقوال : أحدها : أنه يحكم بذلك. والثاني : يريد في الآخرة أن يحرمهم ثوابهم لإحباط أعمالهم بكفرهم. والثالث : يريد يحبط أعمالهم بما استحقوه من ذنوبهم قاله : ابن إسحاق. ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم﴾ هذا عام في الكفار كلهم. وقوله : ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر﴾ كان عاما ، فكرر هذا على سبيل التوكيد وإن كان خاصا بالمنافقين أو المرتدين أو كفار قريش ، فيكون ليس تكريرا على سبيل التأكيد ، بل حكم على العام بأنهم لن يضروا الله شيئا. ويندرج فيه ذلك الخاص أيضا ، فيكون الحكم في حقهم على سبيل التأكيد ، ويكون قد جمع للخاص العذاب بنوعية من العظم والألم ، وهو أبلغ في حقهم في العذاب. وجعل ذلك اشتراء. من حيث تمكنهم من قبول الخير والشر ، فآثروا الكفر على الإيمان. ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ﴾ معنى نملي : نمهل ونمد في العمر. والملاءة المدة من الدهر ، والملوان الليل والنهار. ويقال : ملاك الله نعمته ، أي منحكها عمرا طويلا ، وقرأ حمزة تحسين بتاء الخطاب ، فيكون الذين كفروا مفعولا أول. ولا يجوز أن يكون : إنما نملي لهم خير ، في موضع المفعول الثاني ، لأنه ينسبك منه مصدر المفعول الثاني في هذا الباب هو الأول من حيث المعنى ، والمصدر لا يكون الذات ، فخرج ذلك على حذف مضاف من الأول أي : ولا تحسبن شأن الذين كفروا. أو من الثاني أي : ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب ، أن الإملاء خير لأنفسهم حتى يصح كون الثاني هو الأول. وخرجه الأستاذ أبو الحسن بن الباذش والزمخشري : على أن يكون إنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل من الذين. قال ابن الباذش : ويكون المفعول الثاني حذف
١٢٢
لدلالة الكلام عليه ، ويكون التقدير : ولا تحسبن الذين كفروا خيرية إملائنا لهم كائنة أو واقعة. وقال الزمخشري : (فإن قلت) : كيف صح مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ، ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد ؟ (قلت) : صح ذلك من حيث أن التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحي ، ألا تراك تقول : جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك انتهى. كلامه وهذا التخريج الذي خرجه ابن الباذش والزمخشري سبقهما إليه الكسائي والفراء ، فالأوجه هذه القراءة

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣٩٩/٢

التكرير والتأكيد. التقدير : ولا تحسبن الذين كفروا ، ولا تحسبن إنما نملي لهم. قال الفراء ومثله : هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم ، أي ما ينظرون إلا أن تأتيهم انتهى. وقدر بعضهم قول الكسائي والفراء فقال : حذف المفعول الثاني من هذه الأفعال لا يجوز عند أحد ، فهو **غلط** منهما انتهى.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١١٥

وقد أشبعنا الكلام في حذف أحد مفعولي ظن اختصارا فيما تقدم من قول الزمخشري في قوله : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ﴾ إن تقديره : ولا تحسبنهم. وذكرنا هناك أن مذهب ابن ملكون أنه لا يجوز ذلك ، وأن مذهب الجمهور الجواز لكنه عزيز جدا بحيث لا يوجد في لسان العرب إلا نادرا وأن القرآن ينبغي أن ينزه عنه. وعلى البدل خرج هذه القراءة أبو إسحاق الزجاج ، لكن ظاهر كلامه أنها بنصب خير. قال : وقد قرأ بها خلق كثير ، وساق عليها مثالا قول الشاعر :

فما كان قيس هلكه هلك واحدولكنه بنيان قوم تهدما

بنصب هلك الثاني على أن الأول بدل ، وعلى هذا يكون : إنما نملي بدل ، وخيرا : المفعول الثاني أي إملائنا خيرا. وأنكر أبو بكر بن مجاهد هذه القراءة التي حكاها الزجاج ، وزعم أنه لم يقرأ بها أحد. وابن مجاهد في باب القراءات هو المرجوع إليه.

". (١)

"الاشتغال بالنكاح ، خلافا لأبي حنيفة ، إذ عكس. ووجه انتزاعه ذلك واستدلاله بالآية أنه تعالى خير بين تزوج الواحدة والتسري ، والتخيير بين الشيئين مشعر بالمساواة بينهما في الحكمة المطلوبة ، والحكمة سكون النفس بالأزواج ، وتحصين الدين ومصالح البيت ، وكل ذلك حاصل بالطريقين ، وأجمعنا على أن الاشتغال بالنوافل أفضل من التسري ، فوجب أن يكون أفضل من النكاح ، لأن الزائد على المتساويين يكون زائدا على المساوي الثاني لا محالة.

﴿ذلك أدنى أن﴾ الإشارة إلى اختيار الحرة الواحدة والأمة. أدنى من الدنو أي : أقرب أن لا تعولوا ، أي : أن لا تميلوا عن الحق. قاله : ابن عباس ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وأبو مالك ، والسدي. وقال مجاهد : لا تضلوا. وقال النخعي : لا تخونوا.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٥٠

وقالت فرقة منهم زيد بن أسلم وابن زيد والشافعي : معناه لا يكثر عيالكم. وقد رد على الشافعي في هذا

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٩٧/٣

القول من جهة المعنى ومن جهة اللفظ ، أما من جهة المعنى فقال أبو بكر بن داود والرازي ما معناه : **غلط** الشافعي ، لأن صاحب الإماء في العيال كصاحب الأزواج. وقال الزجاج : إن الله قد أباح كثرة السراري ، وفي ذلك تكثير العيال ، فكيف يكون أقرب إلى أن لا يكثروا ؟ وقال صاحب النظم : قال : أولا أن لا تعدلوا فيجب أن يكون ضد العدل هو الجور ، وأما من جهة اللفظ ويقتضي أيضا الرد من جهة المعنى ، فتفسير الشافعي تعولوا بتعيلوا. وقالوا : يقال أعال يعيل إذا كثر عياله ، فهو من ذوات الياء لا من ذوات الواو ، فقد اختلفا في المادة ، فليس معنى تعولوا تعيلوا. وقال الرازي أيضا عن الشافعي : أنه خالف المفسرين. وما قاله ليس بصحيح ، بل قد قال بمقالته زيد بن أسلم وابن زيد كما قدمناه وغيرهم. وأما تفسيره تعولوا بتعيلوا فليس فيه دليل على أنه أراد أن تعولوا وتعيلوا من مادة واحدة ، وأنهما يجمعهما اشتقاق واحد ، بل قد يكون اللفظان في معنى واحد ولا يجمعهما اشتقاق واحد ، نحو قولهم : دمت ودشير ، وسبط وسبطة ، فكذلك هذا.

وقد نقل عال الرجل يعول ، أي كثر عياله ابن الأعرابي ، كما ذكرناه في المفردات. ونقله أيضا الكسائي قال : وهي لغة فصيحة. قال الكسائي : العرب تقول : عال يعول ، وأعال يعيل كثر عياله ، ونقلها أيضا أبو عمرو الدوري المقري وكان إماما في اللغة غير مدافع قال : هي لغة حمير.

وأنشد أبو عمرو حجة لها :

وإن الموت يأخذ كل حيبلا شك وأن أمشي وعالا

أمشي كثرت ماشيته ، وعال كثر عياله. وجعل الزمخشري كلام الشافعي وتفسيره تعولوا تكثر عيالكم على أن جعله من قولك : عال الرجل عياله يعولهم. وقال : لا يظن به أنه حول تعيلوا إلى تعولوا ، وأثنى على الشافعي بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا.

قال : ولكن للعلماء طرقا وأساليب ، فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات. وأما ما رد به ابن داود والرازي والزجاج فقال ابن عطية : هذا القدح يشير إلى قدح الزجاج غير صحيح ، لأن السراري إنما هي مال يتصرف فيه بالبيع ، وإنما العيال القادح الحرائر ذوات الحقوق الواجبة.

وقال الزمخشري : الغرض بالتزوج التوالد والتناسل ، بخلاف التسري. ولذلك جاز العزل عن السراري بغير إذنهن ، فكان التسري مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج ، والواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع. وقال القفال : إذا كثرت الجواري فله أن يكلفهن الكسب فينفقن على أنفسهن وعلى مولاهن أيضا ، وتقل العيال. أما إذا كانت حرة فلا يكون الأمر كذلك انتهى. وروي عن الشافعي أيضا أنه فسر قوله تعالى : أن لا تعولوا

بمعنى أن لا تفتقروا ، ولا يريد أن تعولوا من مادة تعيلوا من عال يعيل إذا افتقر ، إنما يريد أيضا الكناية ، لأن كثرة العيال يتسبب عنها الفقر. والظاهر أن المعنى : أن اختيار الحرة الواحدة أو الأمة أقرب إلى انتفاء الجور ، إذا هو المحذور المعلق على خوفه الاختيار المذكور. أي : عبر عن قوله : أن لا تعولوا بأن لا يكثر عيالكم ، فإنه عبر عن المسبب بالسبب ، لأن كثرة العيال ينشأ عنه الجور.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٥٠

وقرأ طلحة أن لا تعيلوا بفتح التاء ، أي لا تفتقروا من العيلة كقوله : ﴿وإن خفتم﴾ وقال الشاعر :

١٦٥

فما يدري الفقير متى غناهولا يدري الغني متى يعيل

وقرأ طاوس : أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ، وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي من حيث المعنى الذي قصده. وأن تتعلق بأدنى وهي في موضع نصب أو جر على الخلاف ، إذ التقدير : أدنى إلى أن لا تعولوا. وافعل التفضيل إذا كان الفعل يتعدى بحرف جر يتعدى هو إليه. تقول : دنوت إلى كذا فلذلك كان التقدير أدنى إلى أن تعولوا. ويجوز أن يكون الحرف المحذوف لام الجر ، لأنك تقول : دنوت لكذا. ". (١)

"﴿فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا﴾ أي. فإن تولوا عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم الكفار يقتلون حيث

٣١٤

وجدوا في حل وحرم ، وجانبوهم مجانبة كلية ، ولو بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم.

﴿إلا الذين يصلون إلى قوما بينكم وبينهم ميثاق أو جآءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾ هذا استثناء من قوله : فخذوهم واقتلوهم ، والوصول هنا : البلوغ إلى قوم. وقيل : معناه ينتسبون قاله أبو عبيدة. وأنشد الأعشى :

إذا اتصلت قالت لبكر بن وائلوبكر سبتها والأنوف رواغم

وقال النحاس : هذا **غلط** عظيم ، لأنه ذهب إلى أنه تعالى حظر أن يقاتل أحد بينه وبين المسلمين نسب والمشركون قد كان بينهم وبين المسلمين السابقين أنساب. يعني : وقد قاتل الرسول ومن معه من انتسب إليهم بالنسب الحقيقي ، فضلا عن الانتساب. قال النحاس : وأشد من هذا الجهل قول من قال : إنه كان

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣/١٣٢

ثم نسخ ، لأن أهل التأويل مجمعون على أن الناسخ له براءة ، وإنما نزلت بعد الفتح ، وبعد أن انقطعت الحروب ، ووافقه على ذلك الطبري.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣١١

وقال القرطبي : حمل بعض أهل العلم معنى ينتسبون على الأمان ، أو أن ينتسب إلى أهل الأمان ، لا على معنى النسب الذي هو القرابة انتهى. قال عكرمة : إلى قوم هم قوم هلال بن عويمر الأسلمي ، وادع الرسول على أن لا يعينه ولا يعين عليه ، ومن لجأ إليهم فله مثل ما لهلال. وروي عن ابن عباس : أنهم بنو بكر بن زيد مناة. والجمهور على أنهم خزاعة وذو خزاعة. وقال مقاتل : خزاعة وبنو مدلج. وقال ابن عطية : كان هذا الحكم في أول الإسلام قبل أن يستحكم أمر الطاعة من الناس ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هادن من العرب قبائل كرهط هلال بن عويمر الأسلمي ، وسراقة بن مالك بني جعشم ، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف ، فقضت هذه الآية أنه من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلى هؤلاء أهل العهد ، ودخل في عدادهم ، وفعل فعلهم من الموادعة ، وفعل فعلهم من الموادعة ، فلا سبيل عليه. قال عكرمة والسدي وابن زيد : ثم لما تقوى الإسلام وكثرنا صره نسخت هذه الآية والتي بعدها بما في سورة براءة انتهى. وقيل : هم خزاعة وخزيمة بن عبد مناف. والذين حصرت صدورهم هم ، بنو مدلج ، اتصلوا بقريش. وبه وعن ابن عباس : إنهم قوم من الكفار اعتزلوا المسلمين يوم فتح مكة ، فلم يكونوا مع لكافرين ، ولا مع المسلمين ، ثم نسخ ذلك بآية القتال.

وأصل الاستثناء أن يكون متصلا ، وظاهر الآية وهذه الأقوال التي تقدمت : أنه استثناء متصل. والمعنى : إلا الكفار الذين يصلون إلى قوم معاندين ، أو يصلون إلى قوم جاؤوكم غير مقاتلين ولا مقاتلي قومهم. إن كان جاؤوكم عطفا على موضع صفة قوم ، وكلا العطفين جوز الزمخشري وابن عطية ، إلا أنهما اختار العطف على الصلة. قال ابن عطية بعد أن ذكر العطف على الصلة قال : ويحتمل أن يكون على قوله : بينكم وبينهم ميثاق ، والمعنى في العطفين مختلف انتهى. واختلافه أن المستثنى إما أن يكونا صنفين واصلا إلى معاهد ، وجائيا كافا عن القتال. أو صنفا واحدا يختلف باختلاف من وصل إليه من معاهد أو كاف. قال ابن عطية : وهذا أيضا حكم ، كان قبل أن يستحكم أمر الإسلام ، فكان المشرك إذا جاء إلى دار الإسلام مسالما كارها لقتال قومه مع المسلمين ولقتال المسلمين مع قومه ، لا سبيل عليه. وهذه نسخت أيضا بما في براءة انتهى.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣١١

وقال الزمخشري : الوجه العطف على العلة لقوله : ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم﴾ الآية بعد قوله : فخذوهم واقتلوهم ، فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم ، وترك الإيقاع بهم. (فإن قلت) : كل واحد من ال ا تصالين له تأثير في صحة الاستثناء ، واستحقاق ترك التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين ، فهلا

٣١٥

". (١)

"﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بها قبل موتها﴾ إن هنا نافية ، والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه ، التقدير : وما أحد من أهل الكتاب. كما حذف في قوله : ﴿وإن منكم إلا واردها ﴾ والمعنى : وما من اليهود. وقوله : ﴿وما منآ إلا له مقام معلوم﴾ أي : وما أحد منا إلا له مقام ، وما أحد منكم إلا واردها. قال الزجاج : وحذف أحد لأنه مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو : ما قام إلا زيد ، معناه ما قام أحد إلا زيد. وقال الزمخشري : ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه : وما منا إلا له مقام معلوم ، وإن منكم إلا واردها. والمعنى : وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن به انتهى.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٧٦

وهو **غلط** فاحش إذ زعم أن ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره ، وصفة أحد المحذوف إنما هو الجار والمجرور وهو من أهل الكتاب ، والتقدير كما ذكرناه : وإن أحد من أهل الكتاب. وأما قوله : ليؤمنن به ، فليست صفة لموصوف ، ولا هي جملة قسمية كما زعم ، إنما هي جملة جواب القسم ، والقسم محذوف ، والقسم وجوابه في موضع رفع خبر المبتدأ الذي هو أحد المحذوف ، إذ لا ينتظم من أحد. والمجرور إسناد لأنه لا يفيد ، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها ، فذلك هو محط الفائدة وكذلك أيضا الخبر هو إلا له مقام ، وكذلك إلا واردها ، إذ لا ينتظم مما قبل إلا تركيب إسنادي. والظاهر أن الضميرين في : به ، وموته ، عائدان أن على عيسى وهو سياق الكلام ، والمعنى : من أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله.

روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان ، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به ، حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام قاله : ابن عباس ، والحسن ، وأبو مالك. وقال ابن عباس أيضا وعكرمة ، والضحاك

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٥٦/٣

، والحسن ، أيضا ومجاهد ، وغيرهم : الضمير في به لعيسى ، وفي موته لكتابي وقالوا : وليس يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى ويعلم أنه نبي ، ولكن عند المعاينة للموت فهو إيمان لا
٣٩٢
ينفعه كما لم ينفع فرعون إيمانه وقت المعاينة. وبدأ بما يشبه هذا لقول الزمخشري. قال : والمعنى ما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى ، وبأنه عبد الله ورسوله ؟ يعني : إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف. ثم حكى عن شهر بن حوشب والحجاج حكاية فيها طول يمس بالتفسير منها : إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا : يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به ، فيقول : آمنت أنه نبي. وتقول للنصراني : أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله ، فيقول : أمنت أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه. وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة : فإن أتاه رجل فضرب عنقه ؟ قال : لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه. قال : وإن خرجت فوق بيت ، أو احترق ، أو أكله سبع ؟ قال : يتكلم بها في الهوى ، ولا تخرج روحه حتى يؤمن به. ويدل عليه قراءة أبي : إلا ليؤمنن به قبل موتهم ، بضم النون على معنى : وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم ، لأن أحدا يصلح للجمع. فإن قلت : فما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم ؟ قلت : فائدته الوعيد ، وليكن علمهم بأنهم لا بد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة ، وأن ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معالجة الإيمان به في أوان الانتفاع به ، وليكون إلزاما للحجة لهم. وكذلك قوله.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٧٦
﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ يشهد على اليهود بأنهم كذبوه ، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله انتهى كلامه. وقال أيضا : ويجوز أن يريد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به ، على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما نزل له ، ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم انتهى. وقال عكرمة : الضمير في به لمحمد عليه الصلاة والسلام ، وفي موته للكتابي. قال : وليس يخرج يهودي ولا نصراني من الدنيا حتى يؤمن بمحمد ، ولو غرق أو سقط عليه جدار فإنه يؤمن في ذلك الوقت. وقيل : يعود في به على الله ، وفي موته على أحد المقدر. قال ابن زيد : إذا نزل عيسى عليه السلام لقتل الدجال ، لم يبق يهودي ولا نصراني إلا آمن بالله حين يرون قتل الدجال ، وتصير الأمم كلها واحدة على ملة الإسلام ، ويعزى هذا القول أيضا إلى ابن عباس ، والحسن ، وقتادة.
وقال العباس بن غزوان : وإن من أهل الكتاب بتشديد النون ، وهي قراءة عسرة التخريج ، ويوم القيامة يكون

عليهم شهيدا أي : شهيدا على أهل الكتاب على اليهود بتكذيبهم إياه وطعنهم فيه ، وعلى النصارى بجعلهم إياه آلها مع الله أو ابنا له ، والضمير في يكون لعيسى. وقال عكرمة : لمحمد صلى الله عليه وسلم.
". (١)

"وقد طول المفسرون في سبب تقريب هذا القربان وملخصه : أن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثى ، وكان آدم يزوج ذكر هذا البطن أنثى ذلك البطن ، وأنثى هذا ذكر ذلك ، ولا يحل للذكر نكاح توءمته ، فولد مع قابيل أخت جميلة اسمها اقليميا ، وولد مع هابيل أخت دون تلك اسمها لبوذا ، فأبى قابيل إلا أن يتزوج توءمته لا توءمة هابيل وأن يخالف سنة النكاح إيثارا لجمالها ، ونازع قابيل هابيل في ذلك ، فقيل : أمرهما آدم بتقريب القربان. وقيل : تقربا من عند أنفسهما ، إذ كان آدم غائبا توجه إلى مكة لزيارة البيت بإذن ربه. والقربان الذي قرباه : هو زرع لقابيل ، وكان صاحب زرع ، وكبش هابل وكان صاحب غنم ، فتقبل من أحدهما وهو هابيل ، ولم يتقبل من الآخر وهو قابيل. أي : فتقبل القربان ، وكانت علامة التقبل أكل النار النازلة من السماء القربان المتقبل ، وترك غير المتقبل. وقال مجاهد : كانت النار تأكل المردود ، وترفع المقبول إلى السماء. وقال الزمخشري : يقال : قرب صدقة وتقرب بها ، لأن تقرب مطاوع قرب انتهى. وليس تقرب بصدقة مطاوع قرب صدقة ، لاتحاد فاعل الفعلين ، والمطاوعة يختلف فيها الفاعل ، فيكون من أحدهما فعل ، ومن الآخر انفعال نحو : كسرته فانكسر ، وفلقته فانفلق ، وليس قربت صدقة وتقربت بها من هذا الباب فهو غلط فاحش.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٥٩

﴿قال لاقتلنك﴾ هذا وعيد وتهديد شديد ، وقد أبرز هذا الخبر مؤكدا بالقسم المحذوف أي : لأقتلنك حسدا على تقبل قربانك ، وعلى فوزك باستحقاق الجميلة أختي. وقرأ زيد بن علي : لأقتلنك بالنون الخفيفة. ﴿قال إنما يتقبل الله من المتقين﴾ قال ابن عطية : قبله كلام محذوف تقديره : لم تقتلني وأنا لم أجن شيئا ولا ذنب لي في قبول الله قرباني ؟ أما أني أتقيه ؟ وكتب علي : لأحب الخلق إنما يتقبل الله من المتقين ، وخطب الزمخشري هنا فقال : (فإن قلت) : كيف كان قوله : إنما يتقبل الله من المتقين ، جوابا لقوله : لأقتلنك ؟ (قلت) : لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له : إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى ، لا من قبلي ، فلم تقتلني ؟ وما لك لا تعاقب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول ، فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان.

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣١٨/٣

وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق ، فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم. وعن عامر بن عبد الله : أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له : ما يبكيك فقد كنت وكنت : قال : إني أسمع الله يقول : ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ انتهى كلامه. ولم يخل من دسيسة الاعتزال على عادته ، يحتاج الكلام في فهمه إلى هذه التقديرات ، والذي قدرناه أولا كاف وهو : أن المعنى لأقتلنك حسدا على تقبل قربانك ، فعرض له بأن سبب قبول القربان هو التقوى ولىس متقيا ، وإنما عرض له بذلك لأنه لم يرض بسنة النكاح التي قررها الله تعالى ، وقصد خلافها ونازع ، ثم كانت نتيجة ذلك أن برزت في أكبر الكبائر بعد الشرك وهو قتل النفس التي حرمها الله. قال ابن عطية : وأجمع أهل السنة في معنى هذه الألفاظ أنها اتقاء الشرك ، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة.

٤٦١

وقال عدي بن ثابت وغيره : قربان هذه الأمة الصلاة. وقول من زعم أن قوله : إنما يتقبل الله من المتقين ، ليس من كلام المقتول ، بل هو من كلام الله تعالى للرسول اعتراضا بين كلام القاتل والمقتول ، والضمير عائد في قال على الله ليس بظاهر.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٥٩

." (١)

"والأذن بالأذن يقتضي وجوب القصاص إذا استوعب ، فإن قطع بعضها ففيه القصاص إذا عرف قدره. وقال الشافعي : في الأذنين الدية ، وفي إحداهما نصفها. وقال مالك : في الأذنين حكومة ، وإنما الدية في السمع ، ويقاس نقصانه كما يقاس في البصر. وفي إبطاله من إحداهما نصف الدية ولو لم يكن يسمع إلا بها.

والسن بالسن يتقضي أن القلع قصاص ، وهذا لا خلاف فيه ، ولو كسر بعضها. والأسنان كلها سواء : ثناياها ، وأنيابها ، وأضراسها ، ورباعياتها ، في كل واحدة خمس من الإبل من غير فضل. وبه قال : عروة ، وطاووس ، وقتادة ، والزهري ، والثوري ، وربيعة ، والأوزاعي ، وعثمان البتي ، ومالك ، وأبو حنيفة ، وأصحابه ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق. وروي عن علي ، وابن عباس ، ومعاوية. وروى ابن المسيب عن عمر : أنه قضى فيما أقبل من الفم بخمس فرائض وذلك خمسون دينارا ، كل فريضة عشر دنانير ، وفي الأضراس بعير بعير. قال ابن المسيب : فلو أصيب الفم كله في قضاء عمر نقصت الدية ، أو في

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٧١/٣

قضاء معاوية زادت ، ولو كنت إنا لجعلتها في الأضراس بعيرين بعيرين. قال عمر : الأضراس عشرون ، والأسنان اثنا عشر : أربع ثنايا ، وأربع رباعيات ، وأربع أنياب. والخلاف إنما هو في الأضراس لا في الأسنان ، ففي قضاء عمر الدية ثمانون ، وفي قضاء معاوية مائة وستون. وعلى قول ابن المسيب مائة ، وهي الدية كاملة من الإبل. وقال عطاء في الثنيتين والرباعيتين والنابين : خمس خمس ، وفيما بقي بعيران بعيران ، أعلى الفم وأسفله سواء. ولو قلعت سن صبي لم يثغر فنبتت فقال أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي : لا شيء على القالع. إلا أن مالكا والشافعي قالا : إذا نبتت ناقصة الطول عن التي تقاربها أخذ له من ارشها بقدر نقصها. وقالت طائفة : فيها حكومة ، وروي ذلك عن الشعبي ، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه. ولو قلعت سن كبير فأخذ ديتها ثم نبتت فقال م١لك : لا يرد ما أخذ. وقال

٤٩٦

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٨٥

أبو حنيفة وأصحابه : يرد ، والقولان عن الشافعي. ولو قلعت سن قودا فردها صاحبها فالتحمت فلا يجب قلعها عند أبي حنيفة ، وبه قال عطاء الخراساني وعطاء بن أبي رباح. وقال الشافعي وأحمد وإسحاق : يجبر على القلع ، به قال ابن المسيب ، ويعيد كل صلاة صلاها بها. وكذا لو قطعت أذنه فردها في حرارة الدم فالتزقت ، وروي هذا القول عن عطاء أبو بكر بن العربي قال : وهو غلط. ولو قلع سنا زائدة فقال الجمهور : فيها حكومة ، فإن كسر بعضها أعطى بحساب ما نقص منها ، وبه قال : مالك ، وأبو حنيفة ، والشافعي ، وأحمد. قال الأدفوي : وما علمت فيه خلافا. وقال زيد بن ثابت : في السن الزائدة ثلث السن ، ولو جنى على سن فاسودت ثم عقلها ، روي ذلك عن زيد ، وابن المسيب ، وبه قال : الزهري ، والحسن ، وابن سيرين ، وشريح ، والنخعي ، وعبد الملك بن مروان ، وأبو حنيفة ، ومالك ، والثوري. وروي عن عمران : فيها ثلث ديتها ، وبه قال : أحمد وإسحاق. وقال النخعي والشافعي وأبو ثور : فيها حكومة ، فإن طرحت بعد ذلك ففيها عقلها ، وبه قال الليث وعبد العزيز بن أبي سلمة ، وإن اسود بعضها كان بالحساب قاله : الثوري.

والجروح قصاص أي ذات قصاص. ولفظ الجروح عام ، والمراد به الخصوص ، وهو ما يمكن فيه القصاص. وتعرف المماثلة ولا يخاف فيها على النقص ، فإن خيف كالمأمومة وكسر الفخذ ونحو ذلك فلا قصاص فيها. ومدلول : والجروح قصاص ، يقتضي أن يكون الجرح بمثله ، فإن لم يكن بمثله فليس بقصاص. واختلفوا في القصاص بين الرجال والنساء ، وبين العبد والحر. وجميع ما عدا النفس هو من الجراحات التي

أشار إليها بقوله : والجروح قصاص ، لكنه فصل أول الآية وأجمل آخرها ليتناول ما نص عليه وما لم ينص ، فيحصل العموم. معنى : وإن لم يحصل لفظا. ومن جملة الجروح الشجاج فيما يمكن فيه القصاص ، فلا خلاف في وجوبها فيه ، وما فلا قصاص فيه كالمأمومة. وقال أبو عبيد : فليس في شيء من الشجاج قصاص إلا في الموضحة خاصة ، لأنه ليس شيء منها له حد ينتهي إليه سواها ، وأما غيرها من الشجاج ففيه ديته انتهى. وقال غيره : في الخارصة القصاص بمقدارها إذا لم يخش منها سراية ، وأقاد ابن الزبير من المأمومة ، وأنكر الناس عليه. قال عطاء : ما علمنا أحدا أقاد منها قبله. وأما الجروح في اللحم فقال : فقد ذكر بعض أهل العلم أن القصاص فيها ممكن بأن يقاس بمثل ، ويوضع بمقدار ذلك الجرح.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٨٥
." (١)

"﴿أو عدل ذالك صياما﴾ الأظهر أن يكون ذلك إشارة إلى أقرب مذكور وهو الطعام والطعام المذكور غير معين في الآية لا كيلا ولا وزنا فيلزم من ذلك أن يكون الصيام أيضا غير معين عددا والصيام مبني على الخلاف في الطعام أهو مد أو مدان. وبالمد قال ابن عباس ومالك وبالمدين قال الشافعي وعن أحمد القولان ، وجوزوا أن يكون ذلك إشارة إلى الصيد المقتول وفي الظبي ثلاثة أيام وفي الإبل عشرون يوما وفي النعامة وحمار الوحش ثلاثون يوما قاله ابن عباس ، وقال ابن جبير ثلاثة أيام إلى عشرة أيام والظاهر عدم تقييد الإطعام والصوم بمكان وبه قال جماعة من العلماء فحيث ما شاء كفر بهما ، وقال عطاء وغيره الهدي والإطعام بمكة والصوم حيث شاء ، وقرأ الجمهور ﴿أو عدل﴾ بفتح العين ، وقرأ ابن عباس وطلحة بن مصرف والجحدري بكسرها وتقدم تفسيرها في أوائل البقرة. والظاهر أن أو للتخيير أي ذلك فعل أجزأه موسرا كان أو معسرا وهو قول الجمهور ، وقال ابن عباس وإبراهيم وحماد بن سلمة لا ينتقل إلى الإطعام إلا إذا لم يجد هديا ولا إلى الصوم إلا إن لم يجد ما يطعم والظاهر أن التخيير راجع إلى قاتل الصيد وهو قول الجمهور ، وقال محمد بن الحسن الخيار إلى الحكمين والظاهر أن الواجب أحد هذه الثلاثة فلا يجمع بين الإطعام والصيام بأن يطعم عن يوم ويصوم في كفارة واحدة وأجاز ذلك أصحاب أبي حنيفة وانتصب ﴿صياما﴾ على التمييز على العدل كقولك على التمرة مثلها زبدا لأن المعنى أو قدر ذلك صياما.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢
﴿ليذوق وبال أمرها﴾ الذوق معروف واستعير هنا لما يؤر من غرامة وأتعاب النفس بالصوم والوبال سوء

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣/٣٩٨

عاقبة ما فعل وهو هتك حرمة الإحرام بقتل الصيد ، قال الزمخشري ليذوق متعلق بقوله ﴿فجزآء﴾ أي فعليه أن يجازى أو يكفر

٢١

ليذوق انتهى. وهذا لا يجوز إلا على قراءة من أضاف ﴿فجزآء﴾ أو نون ونصب ﴿مثل﴾ وأما على قراءة من نون ورفع ﴿مثل﴾ فلا يجوز أن تتعلق اللام به لأن ﴿مثل﴾ صفة لجزاء وإذا وصف المصدر لم يجز لمعموله أن يتأخر عن الصفة لو قلت أعجبني ضرب زيد الشديد عمرا لم يجز فإن تقدم المعمول على الوصف جاز ذلك والصواب أن تتعلق هذه القراءة بفعل محذوف التقدير جوزي بذلك ليذوق ووقع لبعض المعربين أنها تتعلق بعدل ذلك وهو غلط.

﴿عفا الله عما سلف﴾ أي في جاهليتكم من قتلكم الصيد في الحرم.

قال الزمخشري لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم ، وكان الصيد فيها محرما انتهى ، وقال ابن زيد : عما سلف لكم أيها المؤمنون من قتل الصيد قبل هذا النهي والتحريم.

﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾ أي ومن عاد في الإسلام إلى قتل الصيد فإن كان مستحلا فينتقم الله منه في الآخرة ويكفر أو ناسيا لإحرامه كفر بإحدى الخصال الثلاث أو عاصيا بأن يعود متعمدا عالما بإحرامه فلا كفارة عليه وينتقم الله منه بإلزام الكفارة فقط وكلما عاد فهو يكفر. وقال ابن عباس : إن كان متعمدا عالما بإحرامه فلا كفارة عليه وينتقم الله منه. وبه قال شريح والنخعي والحسن ومجاهد وابن زيد وداود وظاهر و﴿ومن عاد﴾ لعموم ألا ترى أن ﴿من﴾ شرطية أو موصولة تضمنت معنى الشرط فتعم خلافا لقوم إذ زعموا أنها مخصوصة بشخص بعينه وأسندوا إلى زيد بن العلاء أن رجلا أصاب صيدا وهو محرم فتجوز له ثم عاد فأرسل الله عليه نارا فأحرقته وذلك قوله تعالى : ﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾ وعلى تقدير صحة هذا الحديث لا تكون هذه القضية تخص عموم الآية إذ هذا الرجل فرد من أفراد العموم ظهر انتقام الله منه والفاء في ﴿فينتقم﴾ جواب الشرط أو الداخلة على الموصول المضمن معنى الشرط وهو على إضمار مبتدأ أي فهو ينتقم الله منه.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢

﴿والله عزيز ذو انتقام﴾ أي عزيز لا يغالب إذا أراد أن ينتقم لم يغالبه أحد ، وفي هذه الجملة تذكار بنقم الله وتخويفا.

﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة﴾ قال الكلبي : نزلت في بني مدلج وكانوا ينزلون في

أسياف البحر سألوا عما نضب عنه الماء من السمك فنزلت ، والبحر هنا الماء الكثير الواسع وسواء في ذلك النهر والوادي والبركة والعين لا يختلف

٢٢

." (١)

"﴿فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ الظاهر أن الضمير في ﴿بهآ﴾ عائد إلى النبوة لأنها أقرب مذكور ، وقال الزمخشري : ﴿بهآ﴾ بالكتاب والحكم والنبوة فجعل الضمير عائدا على الثلاثة وهو أيضا له ظهور ، والإشارة بهؤلاء إلى كفار قريش وكل كافر في ذلك العصر ، قاله ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم ، وقال الزمخشري : ﴿ها ؤلاء﴾ يعني أهل مكة انتهى وقال السدي ، وقال الحسن : أمة الرسول ومعنى ﴿وكلنا﴾ أرصدنا للإيمان بها والتوكيل هنا استعارة للتوفيق للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عله ، والقوم الموكلون بها هنا هم الملائكة قاله أبو رجاء ، أو مؤمنوا أهل المدينة قاله ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي ، وقال الزمخشري : ﴿قوما﴾ هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله ﴿أوائك الذين هدى الله﴾ انتهى. وهو قول الحسن وقتادة أيضا قالا : المراد بالقوم من تقدم ذكره من الأنبياء والمؤمنين ، وقيل : الأنبياء الثمانية عشر المتقدم ذكرهم واختاره الزجاج وابن جرير لقوله بعد ﴿أوائك الذين هدى الله﴾ . وقيل : المهاجرون والأنصار ، وقيل : كل من آمن بالرسول ، وقال مجاهدهم الفرس والآية وإن كان قد فسر بها مخصوصون فمعناها عام في الكفرة والمؤمنين إلى يوم القيامة.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٦١

﴿أوائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ الإشارة بأولئك إلى المشار إليهم بأولئك الأولى وهم الأنبياء السابق ذكرهم وأمره تعالى أن

١٧٥

يقتدى بهداهم ، والهداية السابقة هي توحيد الله تعالى وتقديسه عن الشريك ، فالمعنى فبطريقتهم في الإيمان بالله تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع ، فإنها مختلفة فلا يمكن أن يؤمر بالاقتداء بالمختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها كلها هدى أبدا. وقال تعالى : ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ . وقال ابن عطية : ويحتمل أن تكون الإشارة بأولئك إلى وذلك

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٦/٤

يترتب على بعض التأويلات في المراد بالقوم على بعضها انتهى ، ويعني أنه إذا فسر القوم بالأنبياء المذكورين أو بالملائكة فيمكن أن تكون الإشارة إلى قوم وإن فسروا بغير ذلك فلا يصح ، وقيل : الاقتداء في الصبر كما صبر من قبله ، وقيل : يحمل على كل هداهم إلا ما خصه الدليل ، وقيل : في الأخلاق الحميدة من الصبر على الأذى والعفو ، وقال : في ري الظمآن أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية بمكارم الأخلاق فأمر بتوبة آدم وشكر نوح ووفاء إبراهيم وصدق وعد إسماعيل وحلم إسحاق وحسن ظن يعقوب ؟ واحتمال يوسف وصبر أيوب وإثابة داود وتواضع سليمان وإخلاص موسى وعبادة زكريا وعصمة يحيى وزهد عيسى ، وهذه المكارم التي في جميع الأنبياء اجتمعت في الرسول صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ولذلك وصفه تعالى بقوله : ﴿ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم﴾ . وقال الزمخشري : ﴿فبهداهم اقتده﴾ فاختص هداهم بالاقتداء ولا يقتدى إلا بهم ، وهذا بمعنى تقديم المفعول وهذا على طريقته في أن تقديم المفعول يوجب الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك في الكلام على ﴿إياك نعبد﴾ . وقرأ الحرميان وأهل حرميهما وأبو عمرو اقتده بالهاء ساكنة وصلا ووقفا وهي هاء السكت أجر وهاء وصلا مجراها وقفا ، وقرأ الأخوان بحذفها وصلا وإثباتها وقفا وهذا هو القياس ، وقرأ هشام اقتده باختلاس الكسرة في الهاء وصلا وسكونها وقفا ، وقرأ ابن ذكوان بكسرها ووصلها بياء وصلا وسكونها وقفا ويؤول على أنها ضمير المصدر لا هاء السكت ، وتغليط ابن مجاهد قراءة الكسر **غلط** منه وتأويلها على أنهاها ، السكت ضعيف.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٦١

﴿قل لا أسالكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ أي على الدعاء إلى القرآن وهو الهدى والصراط المستقيم. ﴿أجرا﴾ أي أجرة أتكثر بها وأخص ب١٥ إن القرآن إلا ذكرى موعظة لجميع العالمين.

". (١)

"وغيرها ؛ انتهى. وقال ابن مسعود وابن عمر ومجاهد وقتادة والسدي : إنه طلوع الشمس من مغربها ورواه أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين عنه عليه السلام "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا". وقال ابن مسعود فيما روى عنه مسروق : طلوع الشمس والقمر من مغربهما. وقيل : إحدى الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدابة وفتح يأجوج ومأجوج رواه القاسم عن ابن مسعود. وقال أبو هريرة : طلوعها والدجال والدابة وفتح يأجوج ومأجوج. وقيل : العشر الآيات التي

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/١٤٠

في حديث البراء طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، ونزول عيسى وفتح يأجوج ومأجوج ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر. والظاهر أنهم توعدوا بالشيء العظيم من أشراط الساعة ليذهب الفكر في ذلك كل مذهب لكن أتى بعد ذلك الإخبار عنه عن هذا البعض بعدم قبول التوبة فيه إذا أتى ، وتصريح الرسول بأن طلوع الشمس من مغربها وقت لا تنفع فيه التوبة فيظهر أنه هذا البعض ويحتمل أن يكون هذا البعض غرغرة الإنسان عند الموت فإنها تكون في وقت لا تنفع فيه التوبة. قال تعالى :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٥٣

﴿وليست التوبة للذين يعملون السياات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الـاـان﴾ وفي الحديث أن توبة العبد تقبل ما لم يغرغر ويحتمل أن يكون قوله : ﴿يوم يأتى بعض ءايات ربك﴾ غير قوله : ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم﴾ فيكون هذا عبارة عن ما يقطع بوقوعه من أشراط الساعة ويكون قوله ﴿هل ينظرون إلا أن﴾ فيه وصف محذوف يدل عليه المعنى تقديره ﴿يوم يأتى بعض ءايات ربك﴾ التي يرتفع معها التوبة. وثبت بالحديث الصحيح أن طلوع الشمس من مغربها وقت لا تقبل فيه التوبة ويدل على التغاير إعادة آيات ربك إذ لو كانت هذه تلك لكان التركيب يوم يأتي بعضها أي بعض آيات ربك.

﴿يوم يأتى بعض ءايات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ﴾ منطوق الآية أنه إذا أتى هذا البعض ﴿لا ينفع نفسا﴾ كافرة إيمانها الذي أوقعته إذ ذاك و﴿لا ينفع نفسا﴾ سبق إيمانها وما كسبت فيه خيرا فعلق نفي الإيمان بأحد وصفين : إما نفي سبق الإيمان فقط وإما سبقه مع نفي كسب الخير ، ومفهومه أنه ينفع الإيمان السابق وحده أو السابق ومعه الخير ومفهوم الصفة قوي فيستدل بالآية لمذهب أهل السنة من أن الإيمان لا يشترط في صحته العمل. وقال الزمخشري : ﴿من قبل أو﴾ صفة لقوله : ﴿نفسا﴾ وقوله : ﴿أو كسبت فى إيمانها خيرا ﴾ عطف على ﴿ءامنت﴾ والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة إيمانها غير كاسبة خيرا في إيمانها ، فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم أن قوله : ﴿الذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد وإلا فالشقاوة والهلال ؛ انتهى. وهو جار على مذهبه الاعتزالي. وقرأ الأخوان : إلا أن يأتيهم بالياء. وقرأ ابن عمرو وابن سيرين وأبو العالية يوم تأتي بعض بالتاء مثل تلتقطه بعض

السيارة وابن سيرين لا تنفع نفسا. قال أبو حاتم : ذكروا أنها **غلط** منه. وقال النحاس : في هذا شيء دقيق ذكره سيبويه وذلك إن الإيمان والنفس كل منهما مشتمل على الآخر فأنث الإيمان إذ هو منن النفس وبها وأنشد سيبويه رحمه الله :

٢٥٩

مشين كما اهتزت رماح تسفهتأعاليها مر الرياح النواسم

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٥٣

انتهى.

وقال الزمخشري : وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه لقوله : ذهبت بعض أصابعه ؛ انهى. وهو **غلط** لأن الإيمان ليس بعضا للنفس ويحتمل أن يكون أنث على معنى الإيمان وهو المعرفة أو العقيدة ، فكان مثل جاءته كتابي فاحتقرها على معنى الصحيفة ونصب يوم تأتي بقوله : ﴿لا ينفع﴾ وفيه دليل على تقدم معمول الفعل المنفي بلا على لا خلافا لمن منع. وقرأ زهي القروي ﴿يوم يأتى﴾ بالرفع والخبر ﴿لا ينفع﴾ والعائد محذوف أي لا ينفع فيه وإن لم يكن صفة وجاز الفصل بالفاعل بين الموصوف وصفته لأنه ليس بأجنبي إذ قد اشترك الموصوف الذي هو المفعول والفاعل في العامل ، فعلى هذا يجوز ضرب هندا غلامها التميمية ومن جعل الجملة حالا أبعد ومن جعلها مستأنفة فهو أبعد.

". (١)

"المؤمنين وكان الذين استضعفوا قسما واحدا ومن آمن مفسرا للمستضعفين من قومه واللام في ﴿للذين﴾ للتبليغ والجملة المقولة استفهام على جهة الاستهزاء والاستخفاف وفي قولهم ﴿من ربها﴾ اختصاص بصالح ولم يقولوا من ربنا ولا من ربكم.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٤

﴿قالوا إنا بمآ أرسل بها مؤمنون﴾ جواب للمستضعفين وعدولهم عن قولهم هو مرسل إلى قولهم ﴿إنا بمآ أرسل بها مؤمنون﴾ في غاية الحسن إذ أمر رسالته معلوم واضح مسلم لا يدخله ريب لما أتى به من هذا المعجز الخارق العظيم فلا يحتاج أن يسأل عن رسالته ولا أن يستفهم عن العلم بإرساله فأخبروا بأنهم مؤمنون بما أرسل به لأنه لا يلزم بعد وضوح رسالته إلا التصديق بما جاء به وتضمن كلامهم العلم بأنه مرسل

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٤/٢١١

من الله تعالى.

﴿قال الذين استكبروا إنا بالذى ءامنتم بها كافرون﴾ فالذي آمنتم به هو من حيث المعنى بما أرسل به لكنه من حيث اللفظ أعم قصدوا الرد لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما.

﴿فعقروا الناقة﴾ نسب العقر إلى الجميع وإن كان صادرا عن بعضهم لما كان عقرها عن تمالىء واتفاق حتى روي أن قدارا لم يعقرها إلا عن مشاورة الرجال والنساء والصبيان فأجمعوا على ذلك وسبب عقرها أنها كانت إذا وقع الحر نصبت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تلبث ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وكانت تستوفي ماءهم شربا ويحلبونها ما شاء الله حتى ملوها وقالوا ما نصنع باللبن الماء أحب إلينا منه وقال لهم صالح يوما إن هذا الشهر يولد فيه مولود يكون هلاككم على يديه فولد لعشرة نفر فذبح التسعة أولادهم وبقي العاشر وهو سالف بن قدار وكان قدار أحمر أزرق قصيرا ولذلك قال بعض شعراء الجاهلية :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهمكأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

قال الشراح **غلط** وإنما هو أحمر ثمود وهو قدار وكان يشب في اليوم شباب غيره في السنة وكان التسعة إذا رأوه قالوا : لو عاش بنونا كانوا مثل هذا فأحفظهم أن قتلوا أولادهم بكلام صالح فأجمعوا على قتله فكمنوا له في غار ليبيتوه ، ويأتي خبر التبييت وما جرى لهم في سورة النمل إن شاء الله ، وروي أن السبب في عقرها أن امرأتين من ثمود من أعداء صالح وهما عنيزة بنت غنم أم مجلز زوجة ذؤاب بن عمرو وتكنى أم غنم عجوز ذات بنات حسان ومال من إبل وبقر وغنم وصدوف بنت المحيا جميلة غنية ذات مواش كثيرة فدعت عنيزة على عقرها قدارا على أن تعطيه أي بناتها شاء وكان عزيزا منيعا في قومه ودعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب إلى ذلك وعرضت نفسها عليه إن فعل فأبى فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا لذلك وجعلت له نفسها فأجاب قدار ومصدع واستغويا سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وكمن قدار في أصل صخرة ومصدع في أصل أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم عنيزة بابنتها وكانت من أحسن النساء فسفرت لقدار ثم مرت الناقة به فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة فطعن في لبتها ونحرها وخرج أهل البلدة فاقتسموا لحمها وطبخوه وذكروا لسبقها حكاية الله أعلم بصحتها ، وقيل سبب عقرها أن قدارا شرب الخمر وطلبوا ماء لمزجها فلم يجدوه لشرب الناقة فعزموا على عقرها وكمن لها فرماها بالحربة ثم سقطت فعقرها ، وقال بعض شعراء العرب وقد ذكر قصة الناقة :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٤

فأتاها أحيمر كأخي السهم بعضب فقال كوني عقيرا

٣٣٠

﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ أي استكبروا عن امتثال أمر ربهم وهو ما أمر به تعالى على لسان صالح من قوله ﴿فذروها تأكل فى أرض الله﴾ ولا تمسوها بسوء ومن اتباع أمر الله وهو دينه وشرعه ويجوز أن يكون المعنى صدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله ﴿وما فعلته عن أمرى ﴾ .

﴿وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنآ إن كنت من المرسلين﴾ أي من العذاب لأنه كان سبق منه ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم فاستعجلوا ما وعدهم به من ذلك إذ كانوا مكذبين له في الإخبار بذلك الوعيد وبغيره ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين ، وقرأ ورش والأعمش ﴿أن قالوا ائتنا﴾ وأبو عمرو إذا أدرج بإبدال همزة فاء ﴿ائتنا﴾ واو الضمة جاء صالح ، وقرأ باقي السبعة بإسكانها وفي كتاب ابن عطية قال أبو حاتم : قرأ عيسى وعاصم أوتنا بهمز وإشباع ضم انتهى ، فلعله عاصم الجحدري لا عاصم بن أبي النجود أحد قراء السبعة.

". (١)

"ومؤازرا أشاروا بإرجائهما ، وقرأ ابن كثير وهشام أرجئهو بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو ، وأبو عمرو كذلك إلا أنه لم يصل ، وروي هذا عن هشام وعن يحيى عن أبي بكر ، وقرأ ورش والكسائي أرجهي بغير همز وبكسر الهاء ووصلها بياء ، وقرأ عاصم وحمزة بغير همز وسكنا الهاء وقرأ قالون بغير همز ومختلس كسرة الهاء ، وقرأ ابن ذكوان في رواية كقراءة ورش والكسائي وفي المشهور عنه أرجئه بالهمز وكسر الهاء من غير صلة ، وقد قيل عنه أنه يصلها بياء ، قال ابن عطية وقرأ ابن عامر أرجئه بكسر الهاء بهمزة قبلها ، قال الفارسي : وهذا غلط انتهى ، ونسبة ابن عطية هذه القراءة لابن عامر ليس بجيد لأن الذي روى ذلك إنما هو ابن ذكوان لا هشام فكان ينبغي أن يقيد فيقول وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان وقال بعضهم : قال أبو علي ضم الهاء مع الهمز لا يجوز غيره قال : ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر غلط وقال ابن مجاهد بعد ه وهذا لا يجوز لأن الهاء لا تكسر إلا إذا وقع قبلها كسرة أو ياء ساكنة ، وقال الحوفي : ومن القراء من يكسر مع الهمز وليس بجيد ، وقال أبو البقاء : ويقرأ بكسر الهاء مع الهمز وهو ضعيف لأن الهمز

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/٢٦٨

حرف صحيح ساكن فليس قبل الهاء ما يقتضي الكسر ، ووجهه أنه أتبع الهاء كسرة الجيم والحاجز غير حصين ويخرج أيضا على توهم إبدال الهمز ياء أو على أن الهمز لما كان كثيرا ما يبدل بحرف العلة أجري مجرى حرف العلة في كسر ما بعده وما ذهب إليه الفارسي وغيره من **غلط** هذه القراءة ، وأنها لا تجوز قول فاسد لأنها قراءة ثابتة متواترة روتها الأكابر عن الأئمة وتلقتها الأمة بالقبول ولها توجيه في العربية وليست الهمزة كغيرها من الحروف الصحيحة لأنها قابلة للتغيير بالإبدال والحرف بالنقل وغيره فلا وجه لإنكار هذه القراءة.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٤١

﴿قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدآان حاشرين * يأتوك بكل ساحر عليم﴾ ﴿المدآان﴾ مدائن مصر وقراها والحاشرون ، قال ابن عباس هم أصحاب الشرط ، وقال محمد بن إسحاق لما رأى فرعون من آيات الله عز وجل ما رأى قال : لن نغالب موسى إلا بمن هو منه فاتخذ غلمانا وفي قوله ﴿سحروا أعين الناس﴾ دلالة على أن السحر لا يقلب عينا وإنما هو من باب التخيل واسترهبوهم أي أرهبوهم واستفعل هنا بمعنى افعل كأبل واستبل والرهبة الخوف والفزع ، وقال الزمخشري : ﴿واسترهبوهم﴾ وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم انتهى ، وقال ابن عطية ﴿واسترهبوهم﴾ بمعنى وأرهبوهم فكان فعلهم اقتضى واستدى الرهبة من الناس انتهى ولا يظهر ما قالا لأن الاستدعاء والطلب لا يلزم منه وقوع المستدعى والمطلوب والظاهر هنا حصول الرهبة فلذلك قلنا إن استفعل فيه موافق افعل وصرح أبو البقاء بأن معنى طلبوا منهم الرهبة ووصف السحر بعظيم لقوة ما خيل أو لكثرة آلاته من الحبال والعصي روي أنهم جاؤوا بحبال من أدم وأخشاب مجوفة مملوءة زنبقا وأوقدوا في الوادي نارا فحميت بالنار من تحت وبالشمس من فوق فتحركت وركب بعضها بعضا وهذا من باب الشعبذة والدك وروي غير هذا من حيلهم وفي الكلام حذف تقديره قال ألقوا فألقوا فلما ألقوا والفاء عاطفة على هذا المحذوف ، وقال الحوفي الفاء جواب الأمر انتهى ، وهو لا يعقل ما قال ونقول وصف بعظيم لما ظهر من تأثيره في الأعضاء الظاهرة التي هي الأعين بما لحقها من تخييل العصى والحبال حيات وفي الأعضاء الباطنة التي هي القلوب بما لحقها من الفزع والخوف ولما كانت الرهبة ناشئة عن رؤية الأعين تأخرت الجملة الدالة عليها.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٤١

٣٦٢

لقف الشيء لقفا ولقفانا أخذه بسرعة فأكله أو ابتلعه ورجل ثقف لقف سريع الأخذ ولقيف ثقيف بين

الثقافة واللقافة ولقم ولهم ولقف بمعنى ومنه التقفته وتلقفته تلقيفا. مهما اسم خلافا للسهيلي إذ زعم أنها قد تأتي حرف، وهي أداة شرط وندر الاستفهام بها في قوله :
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٦٢
مهما لي الليلة مهماليهأودي بنعلي وسرباليه
وزعم بعضهم أنها إذا كانت اسم شرط قد تأتي ظرف زمان وفي بساطتها وتركيبها من ماما أو من مه ما خلاف ذكر في النحو وينبغي أن يحمل قول الشاعر :
أما وي مه من يستمع في صديقهأقاويل هذا الناس ما وي يندم
على أنه لا تركيب فيها بل مه بمعنى أكفف ومن هي اسم الشرط ، الجراد معروف واحده جرادة بالتاء للذكر والأنثى ويميز بينهما الوصف وذكر التصريفيون أنه مشتق من الجراد قالوا والاشتقاق في أسماء الأجناس قليل جدا. القمل قال أبو عبيدة : هو الحمنان واحده حمنانة وهو ضرب من القردان وستأتي أقوال المفسرين فيه. الضفدع هو الحيوان المعروف وتكسر داله وتفتح وهو مؤنث وشذ جمعهم له بالألف والتاء قالوا : ضفدعات. النكث النقض. اليم البحر. قال ذو الرمة :
." (١)

"أي فكيف تلومونني على مدحهم ؟ واستغنى عن ذلك لأنه جرى في القصيدة ما دل على ما أضمر. وقدر أبو البقاء الفعل المحذوف بعد كيف بقوله : كيف تطمئنون إليهم ؟ وقدره غيره : كيف لا يقتلونهم ؟ والواو في "وإن يظهروا" واو الحال. وتقدم الكلام على وقوع جملة الشرط حالا في قوله : ﴿وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ ومعنى الظهور العلو والظفر ، تقول : ظهرت على فلان علوته. والمعنى : وإن يقدروا عليكم ويظفروا بكم. وقرأ زيد بن علي : وإن يظهروا مبنيا للمفعول. لا يرقبوا : لا يحفظوا ولا يرعوا إلا عهدا أو قرابة أو حلفا أو سياسة أو الله تعالى ، أو جؤارا أي : رفع صوت بالتضرع ، أقوال.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢
قال مجاهد وأبو مجلز : إن اسم الله بالسريانية وعرب. ومن ذلك قول أبي بكر حين سمع كلام مسيلمة ، فقال : هذا كلام لم يخرج من إل. وقرأت فرقة : ألا بفتح الهمزة ، وهو مصدر من فعل الأل الذي هو العهد. وقرأ عكرمة : إيلا بكسر الهمزة وياء بعدها ، فقيل : هو اسم الله تعالى. ويجوز أن يراد به إلى أبدل من أحد المضاعفين ياء ، كما قالوا في : إما إيما. قال الشاعر :

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/٢٩٢

يا ليتما أمنا سالت نعامتهاإيما إلى الجنة إيما إلى نار

قال ابن جني : ويجوز أن يكون مأخوذا من آل يؤول إذا ساس ، أبدل من الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، أي : لا يرقبون فيكم سياسة ولا مداراة ولا ذمة ، من رأى أن الإل هو العهد جعله والذمة لفظين لمعنى واحد أو متقاربين ، ومن رأى أن الإل غير العهد فهما لفظان متباينان. ولما ذكر حالهم مع المؤمنين أن ظهروا عليهم ذكر حالهم معهم ذا كانوا غير ظاهرين ، فقال : يرضونكم بأفواههم. واستأنف هذا الكلام أي : حالهم في الظاهر يخالف لباطنهم ، وهذا كله تقرير واستبعاد لثبات قلوبهم على العهد ، وإباء القلب مخالفته لما يجري على اللسان من القول الحسن. وقيل : يرضونكم بأفواههم في العدة بالإيمان ، وتأبى قلوبهم إلا الكفر. وقيل : يرضونكم في الطاعة ، وتأبى قلوبهم إلا المعصية. والظاهر بقاء الأكثر على حقيقته فقيل : وأكثرهم ، لأن منهم من قضى الله له بالإيمان. وقيل : لأن منهم من له حفظ لمراعاة الحال الحسنة من التعفف عما يثلم العرض ، ويجر أحدوثة السوء ، وأكثرهم خبثا لأنفس خريجون في الشر لا مروءة تردعهم ، ولا طباع مرضية تزعهم ، لا يحترزون عن كذب ولا مكر ولا خديعة ، ومن كان بهذا الوصف كان مذموما عند الناس وفي جميع الأديان. ألا ترى إلى أهل الجاهلية وهم كفار كيف يمدحون أنفسهم بالعفاف وبالصدق وبالوفاء بالعهد وبالأخلاق الحسنة. وقيل : معنى وأكثرهم وكلهم فاسقون ، قاله ابن عطية والكرماني.

﴿اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيلها إنهم سآء ما كانوا يعملون﴾

١٣

الظاهر عود الضمير على من قبله من المشركين المأمور بقتلهم ، ويكون المعنى : اشتروا بالقرآن وما يدعو إليه من الإسلام ثمنا قليلا ، وهو اتباع الشهوات والأهواء لما تركت دين الله وآثرت الكفر ، كان ذلك كالشراء والبيع. وقال مجاهد : هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه. وقال أبو صالح : هم قوم من اليهود ، وآيات الله التوراة. وقال ابن عباس : هم أهل الطائف كانوا يمدون الناس بالأموال يمنعونهم من الدخول في الإسلام ، فصدوا عن سبيله أي صرفوا أنفسهم عن دين الله وعدلوا عنه. والظاهر أن ساء هنا محولة إلى فعل. ومذهب بابها مذهب بئس ، ويجوز إقرارها على وصفها الأول ، فتكون متعدية أي : أنهم ساءهم ما كانوا يعملون ، فحذف المفهوم لفهم المعنى.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢

﴿لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمةا وأوائك هم المعتدون﴾ هذا تنبيه على الوصف الموجب للعداوة وهو

الإيمان ، ولما كان قوله : ﴿لا يرقبوا فيكم﴾ يتوهم أن ذلك مخصوص بالمخاطبين ، نبه على علة ذلك ، وأن سبب المنافاة هو الإيمان ، وأولئك أي الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة هم المعتدون المجاوزون الحد في الظلم والشر ونقض العهد.

﴿فإن تابوا وأقاموا الصلواة وءاتوا الزكواة فإخوانكم في الدين﴾ أي فإن تابوا عن الكفر ونقض العهد والتزموا أحكام الإسلام فإخوانكم ، أي : فهم إخوانكم ، والإخوان ، والإخوة جمع أخ من نسب أو دين. ومن زعم أن الإخوة تكون في النسب ، والإخوان في الصداقة ، فقد غلط. قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وقال : أو بيوت إخوانكم ، وعلق حصول الأخوة في الدين على الالتباس بمجموع الثلاثة ، ويظهر أن مفهوم الشرط غير مراد.

﴿ونفصل الايات لقوم يعلمون﴾ أي نبينها ونوضحها. وهذه الجملة اعتراض بين الشرطين ، بين قوله : فإن تابوا ، وقوله : وإن نكثوا ، بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل تعالى من الأحكام ، وقال لقوم يعلمون لأنه لا يتأمل تفصيلها إلا من كان من أهل العلم والفهم.

". (١)

"جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٤

ولم ولهم متعلقان بأذنت ، لكنه اختلف مدلول اللامين ، إذ لام لم للتعليل ، ولام لهم للتبليغ ، فجاز ذلك لاختلاف معنييهما. ومتعلق الإذن غير مذكور ، فما قدمناه يدل على أنه القعود أي : لم أذنت لهم في القعود والتخلف عن الغزو حتى تعرف ذوي العذر في التخلف ممن لا عذر له. وقيل : متعلق الإذن هو الخروج معه للغزو ، لما ترتب على خروجهم من المفاسد ، لأنهم كانوا عينا للكفار على المسلمين. ويدل عليه قوله : ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ وكانوا يخذلون المؤمنين ويتمنون أن تكون الدائرة عليهم فقيل : لم أذنت لهم في إخراجهم وهم على هذه الحالة السيئة ؟ وبين أن خروجهم معه ليس مصلحة بقوله : ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا﴾ . وحتى غاية لما تضمنه الاستفهام أي : ما كان أن تأذن لهم حتى يتبين من له العذر ، هكذا قدره الحوفي. وقال أبو البقاء : حتى يتبين متعلق بمحذوف دل عليه الكلام تقديره : هلا أخرتهم إلى أن يتبين أو ليتبين. وقوله : لم أذنت لهم يدل على المحذوف. ولا يجوز أن تتعلق حتى بأذنت ، لأن ذلك يوجب أن يكون أذن لهم إلى هذه الغاية ، أو لأجل التبيين ، وهذا لا يعاتب عليه انتهى. وكلام الزمخشري في تفسير قوله : عفا الله عنك لم أذنت لهم ، مما يجب اطراحه ، فضلا عن أن يذكر

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٩

فيرد عليه. وقوله : الذين صدقوا أي : في استئذانك. وأنك لو لم تأذن لهم خرجوا معك. وتعلم الكاذبين : تريد في أنهم استأذنوك يظهرون لك أنهم يقفون عند حدك وهم كذبة ، وقد عزموا على العصيان أذنت لهم أو لم تأذن. وقال الطبري : حتى نعلم الصادقين في أن لهم عذرا ، ونعلم الكاذبين في أن الأعذار لهم. وقال قتادة : نزلت بعد هذه الآية آية النور ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم. وهذا **غلط** ، لأن النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق في استئذان بعض المؤمنين الرسول في بعض شأنهم في بيوتهم في بعض الأوقات ، فأباح الله أن يأذن ، فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى.

﴿لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليما بالمتقين﴾ : ٤٧

قال ابن عباس : لا يستأذنك أي بعد غزوة تبوك. وقال الجمهور : ليس كذلك ، لأن ما قبل هذه الآية وما بعدها ورد في قصة تبوك ، والظاهر أن متعلق الاستئذان هو أن يجاهدوا أي : ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا ، وكان الخلص من المهاجرين والأنصار لا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم أبدا ، ويقولون : لنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا. وقيل : التقدير لا يستأذنك المؤمنون في الخروج ولا القعود كراهة أن يجاهدوا ، بل إذا أمرت بشيء ابتدروا إليه ، وكان الاستئذان في ذلك الوقت علامة على النفاق. وقوله : والله عليم بالمتقين ، شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين ، وعدة لهم بأجزل الثواب.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٤

﴿إنما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون﴾ : هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا. ومعنى ارتابت : شكت. ويترددون : يتحيرون ، لا يتجه لهم هدى فتارة يخطر لهم صحة أمر الرسول ، وتارة يخطر لهم خلاف ذلك.

". (١)

"والضحاك ، والأعرج ، وأبو صالح ، وعيسى بن هلال ، ويعقوب ، والكسائي ، في رواية المعذرون من أعذر. وقرأ مسلمة : المعذرون بتشديد العين والذال ، من تعذر بمعنى اعتذر. قال أبو حاتم : أراد المتعذرين ، والتاء لا تدغم في العين لبعد المخارج ، وهي **غلط** منه أو عليه. واختلف في هؤلاء المعذرين أهم مؤمنون أم كافرون ؟ فقال ابن عباس ومجاهد وجماعة : هو مؤمنون ، وأعذارهم صادقة. وقال قتادة وفرقة : هم كافرون وأعذارهم كذب. وكان ابن عباس يقول : رحم الله المعذرين ولعن المعذرين. قيل : هم

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٧/٥

أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وأن بنا جهدا ، فأذن لهم في التخلف. وقيل : هم رهط عامر بن الطفيل قالوا : إن غزونا معك غارات إعراب طي على أهالينا ومواشينا ، فقال صلى الله عليه وسلم : "سيعني الله عنكم" وعن مجاهد : نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى. قال ابن إسحاق : نفر من غفار منهم خفاف بن إيماء ، وهذا يقتضي أنهم مؤمنون ، والظاهر أن هؤلاء الجائين كانوا مؤمنين كما قال ابن عباس ، لأن التقسيم يقتضي ذلك. ألا ترى إلى قوله : ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسولها سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ فلو كان الجميع كفارا لم يكن لوصف الذين قعدوا بالكذب اختصاص ، وكان يكون التركيب سيصيبهم عذاب أليم. ويحتمل أن يكونوا كفارا كما قال قتادة ، فانقسموا إلى جاء معتذر وإلى قاعد ، واستؤنف إخبار بما يصيب الكافرين. ويكون الضمير في منهم عائدا على الإعراب ، أو يكون المعنى : سيصيب الذين يوافون على الكفر من هؤلاء عذاب أليم في الدنيا بالقتل والسبي ، وفي الآخرة بالنار. وقرأ الجمهور : كذبوا بالتخفيف أي : في إيمانهم فاظهروا ضد ما أخفوه. وقرأ أبي والحسن في المشهور عنه : ونوح وإسماعيل كذبوا بالتشديد أي لم يصدقوه تعالى ولا رسوله ، وردوا عليه أمره والتشديد أبلغ في الذم.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٧٢
﴿ليس على الضعفآء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسولها ما على المحسنين من سبيلا والله غفور رحيم * ولا على الذين إذا مآ أتوك لتحملهم قلت لا أجد مآ أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا﴾ :
٨٤
لما ذكر حال من تخلف عن الجهاد مع القدرة عليه ، ذكر حال من له عذر في تركه. والضعفاء جمع ضعيف وهو الهرم ، ومن خلق في أصل البنية شديد المخافة والضؤلة ، بحيث لا يمكنه الجهاد. والمريض من عرض له المرض ، أو كان زمنا ويدخل فيه العمى والعرج. والذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقراء. قيل : هم مزينة وجهينة وبنو عذرة ، ونفى الحرج عنهم في التخلف عن الغزو ، ونفي الحرج لا يتضمن المنع من الخروج إلى الغزو ، فلو خرج أحد هؤلاء ليعين المجاهدين بما يقدر عليه من حفظ متاعهم أو تكثير سوادهم ولا يكون كلا عليهم ، كان له في ذلك ثواب جزيل. فقد كان عمرو بن الجموح أعرج وهو من أتقياء الأنصار ، وهو في أول الجيش ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله قد عذرك" فقال : والله لأحقرن بعرجتي هذه في الجنة. وكان ابن أم مكتوم أعمى ، فخرج إلى أحد وطلب أن يعطي اللواء فأخذه ، فأصيبت يده التي فيها اللواء فأمسكه باليد الأخرى ، فضربت فأمسكه بصدره. وقرأ : ﴿وما محمد

إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ وشرط في انتفاء الحرج النصح لله ورسوله ، وهو أن يكون نياتهم وأقوالهم سرا وجهرا خالصة لله من الغش ، ساعية في إيصال الخير للمؤمنين ، داعية لهم بالنصر والتمكين. ففي سنن أبي داود "لقد تركتم بعدكم قوما ما سرتم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا إلا هم معكم فيه" قالوا : يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : "حبسهم العذر". وقرأ أبو حيوة : إذا نصحوا الله ورسوله بنصب الجلالة ، والمعطوف ما على المحسنين من سبيل أي : من لائمة تناط بهم أو عقوبة. ولفظ المحسنين عام يندرج فيه هؤلاء المعذورون الناصحون غيرهم ، وقيل : المحسنين هنا المعذورون الناصحون ، ويبعد الاستدلال بهذه الجملة على نفي القياس. وإن المحسن هو المسلم ، لانتفاء جميع السبيل ، فلا يتوجه عليه شيء من التكاليف إلا بدليل منفصل ، فيكون يخص هذا العام الدال على براءة الذمة. وقال الكرماني : المحسنين هم الذين أطاعوا الله ورسوله في أقوالهم ، ثم أكد الرجاء فقال : والله عفو رحيم ، وقراءة ابن عباس : والله لأهل الإساءة غفور رحيم على سبيل التفسير ، لا على أنه قرآن لمخالفته سواد المصحف. قيل : وقوله : ما على المحسنين من سبيل ، فيه نوع من أنواع البديع يسمى : التمليح ، وهو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر ، أو شعر نادر ، أو قصة مشهورة ، أو ما يجري مجرى المثل. ومنه قول يسار بن عدي حين بلغه قتل أخيه ، وهو يشرب الخمر :
." (١)

"﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنونا إنه عليما بذات الصدور﴾ : نزلت في الأخنس بن شريق ، كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحلف أنه ليحبه ويضمر خلاف ما يظهر قاله ابن عباس. وعنه أيضا : في ناس كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء. وقيل : في بعض المنافقين ، كان إذا مر بالرسول صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يرى الرسول قاله : عبد الله بن شداد. وقيل : في طائفة قالوا إذا أغلقنا أبوابنا ، وأرخينا ستورنا ، واستغشينا ثيابنا ، وثنينا صدورنا ، على عداوته كيف يعلم بنا ؟ ذكره الزجاج. وقيل : فعلوا ذلك ليبعد عليهم صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يدخل أسماعهم القرآن ذكره ابن الأنباري. ويثنون مضارع ثنى قراءة الجمهور. وقرأ سعيد بن جبير : يثنون بضم الياء مضارع أثنى صدوره م بالنصب. قال صاحب اللوامح : ولا يعرف الاثناء في هذا الباب إلا أن يراد به وجدتها مثنية مثل أحمدته وأمجدته ، ولعله فتح النون وهذا مما فعل بهم ، فيكون نصب صدورهم بنزع الجار ، ويجوز على

---

(١) تفسير البحر المحيط ــ (دار الفكر)، ٦٩/٥

ذلك أن يكون صدورهم رفعا على البدل بدل البعض من الكل. وقال أبو البقاء : ماضية أثنى ، ولا يعرف في اللغة إلا أن يقال معناه : عرضوها للاثناء ، كما يقال : أبعت الفرس إذا عرضته للبيع. وقرأ ابن عباس ، وعلي بن الحسين ، وابناه زيد ومحمد ، وابنه جعفر ، ومجاهد ، وابن يعمر ، ونصر بن عاصم ، وعبد الرحمن بن ابزي ، والجحدري ، وابن أبي إسحاق ، وأبو الأسود الدؤلي ، وأبو رزين ، والضحاك : تثنوني بالتاء مضارع اثنوني على وزن افعوعل نحو اعشوشب المكان صدورهم بالرفع ، بمعنى تنطوي صدورهم. وقرأ أيضا ابن عباس ، ومجاهد ، وابن يعمر ، وابن أبي إسحاق : يثنوني بالياء صدورهم بالرفع ، ذكر على معنى الجمع دون الجماعة. وقرأ ابن عباس أيضا ليثنون بلام التأكيد في خبر إن ، وحذف الياء تخفيفا وصدورهم رفع. وقرأ ابن عباس أيضا ، وعروة ، وابن أبي أبزي ، والأعشى : يثنون ووزنه يفعوعل من الثن ، بنى منه افعوعل وهو ما هش وضعف من الكلأ ، وأصله يثنونن يريد مطاوعة نفوسهم للشيء ، كما يثني الهش من النبات. أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم وصدورهم بالرفع. وقرأ عروة ومجاهد أيضا : كذلك إلا أنه همز فقرأ يثنئن مثل يطمئن ، وصدورهم رفع ، وهذه مما استثقل فيه الكسر على الواو كما قيل : أشاح. وقد قيل أن يثنئن يفعئل من الثن. المتقدم ، مثل تحمار وتصفار ، فحركت الألف لالتقائهما بالكسر ، فانقلبت همزة. وقرأ الأعشى : يثنؤون مثل يفعلون مهموز اللام ، صدورهم بالنصب. قال صاحب اللوامح : ولا أعرف وجهه لأنه يقال : ثنيت ، ولم أسمع ثنأت. ويجوز أنه قلب الياء ألفا على لغة من يقول : أعطأت في أعطيت ، ثم همز على لغة من يقول :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٩٨

﴿ولا الضآلين﴾ وقرأ ابن عباس : يثنوي بتقديم الثاء على النون ، وبغير نون بعد الواو على وزن ترعوي. قال أبو حاتم : وهذه القراءة **غلط** لا تتجه انتهى. وإنما قال ذلك لأنه لاحط الواو في هذا الفعل لا يقال : ثنوته فانثوى كما يقال : رعوته أي كففته فارعوى فانكف ، ووزنه أفعل. وقرأ نضير بن عاصم ، وابن يعمر ، وابن أبي إسحاق : يثنون بتقديم النون على الثاء ، فهذه عشر قراءات في هذه الكلمة. والضمير في أنهم عائد على بعض من بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار أي : يطوون صدورهم على عدوانه. قال الزمخشري :

٢٠٢

". (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/١٦٥

"وحديث النفس على ما عليه البشرية. وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين ، فما بال رسل الله الذين هم أعرف بربهم ، وأنه متعال عن خلف الميعاد ، منزه عن كل قبيح انتهى. وآخره مذهب الاعتزال. فقال أبو علي : إن ذهب ذاهب إلى أن المعنى ظن الرسل أن الذي وعد الله أممهم على لسانهم قد كذبوا فيه ، فقد أتى عظيما لا يجوز أن ينسب مثله إلى الأنبياء ، ولا إلى صالحي عباد الله قال : وكذلك من زعم أن ابن عباس ذهب إلى أن الرسل قد ضعفوا وظنوا أنهم قد أخلفوا ، لأن الله لا يخلف الميعاد ، ولا مبدل لكلماته. وقرأ ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : قد كذبوا بتخفيف الذال مبنيا للفاعل أي : وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما قالوا عن الله من العذاب والظن على بابه. وجواب إذ جاءهم نصرنا ، والظاهر أن الضمير في جاءهم عائد على الرسل. وقيل : عائد عليهم وعلى مِن آمن بهم. وقرأ عاصم ، وابن عامر : فنجى بنون واحدة وشد الجيم وفتح الياء مبنيا للمفعول. وقرأ مجاهد ، والحسن ، والجحدري ، وطلحة بن هرمز كذلك ، إلا أنهم سكنوا الياء ، وخرج على أنه مضارع أدغمت فيه النون في الجيم ، وهذا ليس بشيء ، لأنه لا تدغم النون في الجيم. وتخريجه على أنه ماض كالقراءة التي قبلها سكنت الياء فيه لغة من يستثقل الحركة صلة على الياء ، كقراءة من قرأ ﴿ما تطعمون﴾ بسكون الياء. ورويت هذه القراءة عن الكسائي ونافع ، وقرأهما في المشهور ، وباقي السبعة فننجي بنونين مضارع أنجي. وقرأت فرقة : كذلك إلا أنهم فتحوا الياء. قال ابن عطية : رواها هبيرة عن حفص عن عاصم ، وهي **غلط** من هبيرة انتهى. وليست غلطا ، ولها وجه في العربية وهو أن الشرط والجزاء يجوز أن يأتي بعدهما المضارع منصوبا بإضمار أن بعد الفاء ، كقراءة من قرأ : ﴿الارضا وإن تبدوا ما فيا أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم بِه الله فيغفر﴾ بنصب يغفر بإضمار أن بعد الفاء. ولا فرق في ذلك بين أن تكون أداة الشرط جازمة ، أو غير جازمة. وقرأ نصر بن عاصم ، والحسن ، وأبو حيوة ، وابن السميقع ، ومجاهد ، وعيسى ، وابن محيصن : فنجى ، جعلوه فعلا ماضيا مخفف الجيم. وقال أبو عمرو الداني : وقرأت لابن محيصن فنجى بشد الجيم فعلا ماضيا على معنى فنجى النصر. وذكر الداني أن المصاحف متفقة على كتبها بنون واحدة. وفي التحبير أن الحسن قرأ فنجى بنونين ، الثانية مفتوحة ، والجيم مشددة ، والياء ساكنة. وقرأ أبو حيوة : من يشاء بالياء أي : فنجى من يشاء الله نجاته. ومن يشا هم المؤمنون لقوله : ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ، والبأس هنا الهلاك. وقرأ الحسن : بأسه بضمير الغائب أي : بأس الله. وهذه الجملة فيها وعيد وتهديد لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٥٠

﴿يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ :
٣٥٥
الضمير في قصصهم عائد على الرسل ، أو على يوسف وأبويه وأخوته ، أو عليهم وعلى الرسل ثلاثة أقوال. الأول : اختاره الزمخشري قال : وينصره قراءة من قرأ قصصهم بكسر القاف انتهى. ولا ينصره إذ قصص يوسف وأبيه وأخوته مشتمل على قصص كثيرة وأنباء مختلفة. والذي قرأ بكسر القاف هو أحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي ، والقصبي عن عبد الوارث عن أبي عمر وجمع قصة. واختار ابن عطية الثالث ، بل لم يذكره غيره. والعبرة الدلالة التي يعبر بها عن العلم. وإذا عاد الضمير على يوسف عليه السلام وأبويه وأخوته ، فالاعتبار بقصصهم من وجوه إعزاز يوسف عليه السلام بعد إلقائه في الجب ، وإعلاؤه بعد حبسه في السجن ، وتملكه مصر بعد استعباده ، واجتماعه مع والديه وأخوته على ما أحب بعد الفرقة الطويلة. والإخبار بهذا القصص إخبارا عن الغيب ، والإعلام بالله تعالى من العلم والقدرة والـتصرف في الأشياء على ما لا يخطر على بال ولا يجول في فكر. وإنما خص أولو الألباب لأنهم هم الذين ينتفعون بالعبر ، ومن له لب وأجاد النظر ، ورأى ما فيها من امتحان ولطف وإحسان ، علم أنه أمر من الله تعالى ، ومن عنده تعالى. والظاهر أن اسم كان مضمر يعود على القصص أي : ما كان القصص حديثا مختلفا ، بل هو حديث صدق ناطق بالحق جاء به من لم يقرأ الكتب ، ولا تتلمذ لأحد ، ولا خالط العلماء ، فمحال أن يفتري هذه القصة بحيث تطابق ما ورد في التوراة من غير تفاوت. وقيل : يعود على القرآن أي : ما كان القرآن الذي تضمن قصص يوسف عليه السلام وغيره حديثا يختلق ، ولكن كان تصديق الكتب المتقدمة الإلهية ، وتفصيل كل شيء واقع ليوسف مع أبويه وأخوته إن كان الضمير عائدا على قصص يوسف ، أو كل شيء مما حتاج إلى تفصيله في الشريعة إن عاد على القرآن. وقرأ حمران بن أعين ، وعيسى الكوفي فيما ذكر صاحب اللوامح ، وعيسى الثقفي فيما ذكر ابن عطية : تصديق وتفصيل وهدى ورحمة برفع الأربعة أي : ولكن هو تصديق ، والجمهور بالنصب على إضمار كان أي : ولكن تصديق أي : كان هو ، أي الحديث ذا تصديق الذي بين يديه. وينشد قول ذي الرمة :
وما كان مالي من تراب ورثتهولا دية كانت ولا كسب ماثم ولكن عطاء الله من كل رحلةإلى كل محجوب السوارق خضرم بالرفع في عطاء ونصبه أي : ولكن هو عطاء الله ، أو ولكن كان عطاء الله. ومثله قول لوط بن عبيد العائي اللص :
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٥٠

وإني بحمد الله لا مال مسلمأخذت ولا معطي اليمين محالف ولكن عطاء الله من مال فاجرقصى المحل معور للمقارف وهدى أي سبب هداية في الدنيا ، ورحمة أي : سبب لحصول الرحمة في الآخرة. وخص المؤمنون بذلك لأنهم هم الذين ينتفعون بذلك كما قال تعالى : ﴿هدى للمتقين﴾ وتقدم أول الورة قوله تعالى : ﴿إنآ أنزلناه قرءانا عربيا﴾ وقوله تعالى : ﴿نحن نقص ءليك أحسن القصص﴾ وفي آخرها : ماكان حديثا يفتري إلى آخره ، فلذلك احتمل أن يعود الضمير على القرآن ، وأن يعود على القصص والله تعالى أعلم.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٥٠." (١)

"لما بين تعالى أنه هو المتكفل بأرزاق العباد حيث قال ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشآء ويقدر﴾ أتبعه بالنهي عن قتل الأولاد ، وتقدم تفسير نظير هذه الآية ، والفرق بين ﴿خشية إملاق﴾ ومن إملاق وبين قوله : ﴿نرزقهم﴾ ونرزقكم. وقرأ الأعمش وابن وثاب : ﴿ولا تقتلوا ﴾ بالتضعيف. وقرىء ﴿خشية﴾ بكسر الخاء ، وقرأ الجمهور بكسر الخاء وسكون الطاء. وقرأ ابن كثير بكسرها وفتح الطاء والمد ، وهي قراءة طلحة وشبل والأعمش ويحيى وخالد بن إلياس وقتادة والحسن والأعرج بخلاف عنهما. وقال النحاس : لا أعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها أبو حاتم غلطا. وقال الفارسي : هي مصدر من خاطأ يخاطىء وإن كنا لم نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ ، فدلنا عليه فمنه قول الشاعر :

تخاطأت النبل أخشاهوأخر يومي فلم يعجل

وقول الآخر في كمأة

تخاطأه القناص حتى وجدتهوخرطومه في منقع الماء راسب

فكان هؤلاء الذين يقتلون أورادهم يخاطئون الحق والعدل. وقرأ ابن ذكوان على وزن نبأ. وقرأ الحسن خطاء بفتحهما والمد جعله اسم مصدر من أخطأ كالعطاء من أعطى قاله ابن جني. وقال أبو حاتم : هي **غلط** غير جائز ولا ؛ يعرف هذا في اللغة ، وعنه أيضا خطى كهوى خفف الهمزة فانقلبت ألفا وذهبت لالتقائهما. وقرأ أبو رجاء والزهري كذلك إلا أنهما كسرا الخاء فصار مثل ربا وكلاهما من خطىء في الدين وأخطأ في الرأي ، لكنه قد يقام كل واحد منهما مقام الآخر وجاء عن ابن عامر بالفتح والقصر مع إسكان الطاء وهو مصدر ثالث من خطىء بالكسر.

﴿ولا تقربوا الزنى ا إنه كان فاحشة وسآء سبيلا * ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحقا ومن قتل مظلوما

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٢٩٠

فقد جعلنا لوليها سلطانا فلا يسرف فى القتل﴾ :

٣٢

لما نهى تعالى عن قتل الأولاد نهى عن التسبب في إيجاده من الطريق غير المشروعة ، فنهى عن قربان الزنا واستلزم ذلك النهي عن الزنا ، والزنا الأكثر فيه القصر ويمد لغة لا ضرورة ، هكذا نقل اللغويون. ومن المد قول الشاعر وهو الفرزدق :

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢

أبا حاضر من يزن يعرف زناؤهومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا ويروي أبا خالد. وقال آخر :

كانت فريضة ما تقول كماكان الزناء فريضة الرجم

وكان المعنى لم يزل أي لم يزل ﴿فاحشة﴾ أي معصية فاحشة أي قبيحة زائدة في القبح ﴿وسآء سبيلا﴾ أي وبئس طريقا طريقه لأنها سبيل تؤدي إلى النار. وقال ابن عطية : و﴿سبيلا﴾ نصب على التمييز التقدير ، وساء سبيله انتهى. وإذا كان ﴿سبيلا﴾ نصبا على التمييز فإنما هو تمييز للمضمر المستكن في ﴿سآء﴾ ، وهو من المضمر الذي يفسره ما بعده ، والمخصوص بالذم محذوف ، وإذا كان كذلك فلا يكون تقديره وساء سبيله سبيلا لأنه إذ ذاك لا يكون فاعله ضميرا يراد به الجنس مفسرا بالتمييز ، ويبقى التقدير أيضا عاريا عن المخصوص بالذم ، وتقدم تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾ في أواخر الأنعام قال الضحاك : هذه أول ما نزل من القرآن في شأن القتل انتهى.

ولما نهى عن قتل الأولاد وعن إيجادهم من الطريق غير المشروعة نهى عن قتل النفس فانتقل من الخاص إلى العام ، والظاهر أن هذه كلها منهيات مستقلة ليست مندرجة تحت قوله : ﴿وقضى ربك﴾ كاندراج ﴿أن لا تعبدوا ﴾ وانتصب ﴿مظلوما﴾ على الحال من الضمير المستكن في ﴿قتل﴾ والمعنى أنه قتل بغير حق ، ﴿فقد جعلنا لوليه﴾ وهو الطالب بدمه شرعا ، وعند أبي حنيفة وأصحابه اندراج من يرث من الرجال والنساء والصبيان في الولي على قدر مواريثهم ، لأن الولي عندهم هو الوارث هنا. وقال مالك : ليس للنساء شيء من القصاص ، وإنما القصاص للرجال. وعن ابن المسيب والحسن وقتادة والحكم : ليس إلى النساء شيء من العفو والدم وللسلطان التسلط على القاتل في الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه قاله الزمخشري. وقال ابن عطية : والسلطان الحجة والملك الذي جعل إليه من التخيير في قبول الدم أو العفو قاله ابن عباس والضحاك. وقال قتادة : السلطان القود وفي كتاب التحرير السلطان القوة والولاية. وقال ابن عباس : البينة في طلب القود. وقال الحسن القود. وقال مجاهد الحجة. وقال ابن زيد : الوالي أي واليا

ينصفه في حقه ، والظاهر عود الضمير في ﴿فلا يسرف﴾

٣٣

على الولي ، والإسراف المنهي عنه أن يقتل غير القاتل قاله ابن عباس والحسن ، أو يقتل اثنين بواحد قاله ابن جبير ، أو أشرف من الذي قتل قاله ابن زيد ، أو يمثل قاله قتادة ، أو يتولى القاتل دون السلطان ذكره الزجاج.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢

." (١)

"أي بعد طول اجتماع ومنه كتبته لثلاث خلون من شهر كذا. وقال الواحدي : اللام للسبب لأنها إنما تجب بزوال الشمس ، فيجب على المصلي إقامتها لأجل دلوك الشمس. قال ابن عطية : ﴿أقم الصلواة﴾ الآية هذه بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة. فقال ابن عمر وابن عباس وأبو بردة والحسن والجمهور : دلوك الشمس زوالها ، والإشارة إلى الظهر والعصر وغسق الليل إشارة إلى المغرب والعشاء ﴿أقم الصلواة﴾ أريد به صلاة الصبح ، فالآية على هذا تعم جميع الصلوات. وروي ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر". وروي جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس ، فقال : "أخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس". وقال ابن مسعود وابن عباس وزيد بن أسلم : دلوك الشمس غروبها والإشارة بذلك إلى المغرب ﴿قم اليل﴾ ظلمته فالإشارة إلى العتمة ﴿أقم الصلواة﴾ صلاة الصبح ، ولم تقع إشارة على هذا التأويل إلى الظهر والعصر انتهى. وعن علي أنه الغروب ، وتتعلق اللام وإلى بأقم ، فتكون إلى غاية للإقامة. وأجاز أبو البقاء أن تكون حالا من الصلاة قال : أي ممدودة ويعني بقرآن الفجر صلاة الصبح ، وخصت بالقرآن وهو القراءة لأنه عظمها إذ قراءتها طويلة مجهور بها ، وانتصب ﴿أقم الصلواة﴾ عطفا على ﴿الصلواة﴾ .

وقال الأخفش : انتصب بإضمار فعل تقديره وآثر ﴿أقم الصلواة﴾ أو عليك ﴿أقم الصلواة﴾ انتهى. وسميت صلاة الصبح ببعض ما يقع فيها. وقال الزمخشري : سميت صلاة الفجر قرآنا وهي القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة علي ابن أبي علية. والأضم في زعمهما أن القراءة ليست بركن انتهى. وقيل : إذا فسرنا الدلوك بزوال الشمس كان الوقت مشتركا بين الظهر والعصر إذا غييت الإقامة بغسق

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢١/٦

الليل ، ويكون الغسق وقتا مشتركا بين الغرب والعشاء ، ويكون المذكور ثلاثة أوقات : أول وقت الزوال ، وأول وقت المغرب ، وأول وقت الفجر انتهى ، والذي يدل عليه ظاهر اللفظ أنه أمر بإقامة الصلاة إما من أول الزوال إلى الغسق ، وبقرآن الفجر ، وإما من الغروب إلى الغسق وبقرآن الفجر ، فيكون المأمور به الصلاة في وقتين ولا تؤخذ أوقات الصلوات الخمس من هذا اللفظ بوجه.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦٧

وقال أبو عبد الله الرازي في قوله ﴿أقم الصلواة﴾ دلالة على أن الصلاة لا تتم إلا بالقراءة لأن الأمر على الوجوب ، ولا قراءة في ذلك الوقت واجبة إلا في الصلاة ومن قال معنى ﴿أقم الصلواة﴾ صلاة الفجر **غلط** لأنه صرف الكلام عن حقيقته إلى المجاز بغير دليل ، ولأن في نسق التلاوة ﴿ومن اليل فتهجد بها نافلة لك﴾ ويستحيل التهجد بصلاة الفجر ليلا. والهاء في ﴿به﴾ كناية عن ﴿أقم الصلواة﴾ المذكور قبله ، فثبت أن المراد حقيقة القرآن لا مكان التهجد بالقرآن المقروء في صلاة الفجر واستحالة التهجد في الليل بصلاة الفجر ، وعلى أنه لو صح أن يكون المراد ما ذكروا لكانت دلالته قائمة على وجوب القراءة في الصلاة لأنه لم تجعل القراءة عبارة عن الصلاة إلا وهي من أركانها انتهى. وفيه بعض تلخيص

٧٠

والظاهر ندبية إيقاع صلاة الصبح في أول الوقت لأنه مأمور بإيقاع قرآن الفجر ، فكان يقتضي الوجوب أول طلوع الفجر ، لكن الإجماع منع من ذلك فبقي الندب لوجود المطلوبية ، فإذا انتفى وجوبها بقي ندبها وأعاد ﴿أقم الصلواة﴾ في قوله ﴿أقم الصلواة لدلوك﴾ ولم يأت مضمرا فيكون أنه على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر ومعنى ﴿مشهودا﴾ تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جاء في الحديث : "إنهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر". وهذا قول الجمهور. وقيل يشهده الكثير من المصلين في العادة. وقيل : من حقه أن تشهده الجماعة الكثيرة. قال الزمخشري : ويجوز أن يكون ﴿أقم الصلواة﴾ حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ، ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة انتهى. ويعني بقوله حثا أن يكون التقدير وعليك ﴿أقم الصلواة﴾ أو والزم.

وقال محمد بن سهل بن عسكر : ﴿مشهودا﴾ يشهده الله وملائكته ، وذكر حديث أبي الدرداء أنه تعالى ينزل في آخر الليل ولأبي عبد الله الرازي كلام في قوله ﴿مشهودا﴾ على عادته في تفسير كتاب الله على ما لا تفهمه العرب ، والذي ينبغي بل لا يعدل عنه ما فسره به الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله فيه :

"يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار". وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦٧
." (١)

"ومعنى ﴿زكية﴾ طاهرة من الذنوب ، ووصفها بهذا الوصف لأنه لم يرها أذنبت ، قيل أو لأنها صغيره لم تبلغ الحنث. وقوله ﴿بغير نفس﴾ يرده ويدل على كبر الغلام وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس. وقرأ ابن عباس والأعرج وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن وحميد والزهري ونافع واليزيدي وابن مسلم وزيد وابن بكير عن يعقوب والتمار عن رويس عنه وأبو عبيد وابن جبير الأنطاكي وابن كثير وأبو عمرو زاكية بالألف. وقرأ زيد بن علي والحسن والجحدري وابن عامر والكوفيون ﴿زكية﴾ بغير ألف وبتشديد الياء وهي أبلغ من زاكية لأن فعيلا المحول من فاعل يدل على المبالغة.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٤٠
وقرأ الجمهور ﴿نكرا﴾ بإسكان الكاف. وقرأ نافع وأبو بكر وابن ذكوان وأبو جعفر وشيبة وطلحة ويعقوب وأبو حاتم برفع الكاف حيث كان منصوبا. والنكر قيل : أقل من الأمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إعراق أهل السفينة. وقيل :
١٥٠
معناه شيئا أنكر من الأول ، لأن الخرق يمكن سده والقتل لا سبيل إلى تدارك الحياة معه. وفي قوله ﴿لك﴾ زجر وإغلاظ ليس في الأول لأن موقعه التساؤل بأنه بعد التقدم إلى ترك السؤال واستعذار موسى بالنسيان أفظع وأفظع في المخالفة لما كان أخذ على نفسه من الصبر وانتفاء العصيان.
﴿قال إن سألتك عن شىءا بعدها﴾ أي بعد هذه القصة أو بعد هذه المسألة ﴿فلا تصاحبنى ﴾ أي فأوقع الفراق بيني وبينك. وقرأ الجمهور ﴿فلا تصاحبنى ﴾ من باب المفاعلة. وقرأ عيسى ويعقوب فلا تصحبني مضارع صحب وعيسى أيضا بضم التاء وكسر الحاء مضارع أصحب ، ورواها سهل عن أبي عمرو أي فلا تصحبني علمك وقدره بعضهم فلا تصحبني إياك وبعضهم نفسك. وقرأ الأعرج بفتح التاء والباء وشد النون. ومعنى ﴿قد بلغت من لدنى عذرا﴾ أي قد اعتذرت إلي وبلغت إلى العذر. وقرأ الجمهور ﴿من لدنى﴾ بإدغام نون لدن في نون الوقاية التي اتصلت بياء المتكلم. وقرأ نافع وعاصم بتخفيف النون وهي نون لدن اتصلت بياء المتكلم وهو القياس ، لأن أصل الاسماء إذا أضيفت إلى ياء المتكلم لم تلحق نون الوقاية نحو

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦/٥٠

غلامي وفرسي ، وأشم شعبة الضم في الدال ، وروي عن عاصم سكون الدال. قال ابن مجاهد : وهو **غلط** وكأنه يعني من جهة الرواية ، وأما من حيث اللغة فليست ب**غلط** لأن من لغاتها لد بفتح اللام وسكون الدال. وقرأ عيسى ﴿عذرا﴾ بضم الذال ورويت عن أبي عمرو وعن أبي عذري بكسر الراء مضافا إلى ياء المتكلم. وفي البخاري قال : "يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما" وأسند الطبري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد بدأ بنفسه فقال : "رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لرأي العجب" ولكنه قال ﴿فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا﴾ .

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٤٠

والقرية التي أتيا أهلها إنطاكية أو الأبله أو بجزيرة الأندلس وهي الجزيرة الخضراء ، أو برقة أو أبو حوران بنا حية أذربيجان ، أو ناصرة من أرض الروم أو قرية بأرمينية أقوال مضطربة بحسب اختلافهم في أي ناحية من الأرض كانت قصة والله أعلم بحقيقة ذلك. وفي الحديث أنهما كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله تعالى. وتكرر لفظ ﴿أهل﴾ على سبيل التوكيد ، وقد يظهر له فائدة عن التوكيد وهو أنهما حين ﴿أتيآ أهل قرية﴾ لم يأتيا جميع أهل القرية إنما أتيا بضعهم ، فلما قال ﴿استطعمآ﴾ احتمل أنهما لم يستطعما إلا ذلك البعض الذي أتياه فجيء بلفظ أهلها ليعم جميعهم وأنهم يتبعونهم واحدا واحدا بالاستطعام ، ولو كان التركيب استطعماهم لكان عائدا على البعض المأتي.

وقرأ الجمهور ﴿يضيفوهما﴾ بالتشديد من ضيف. وقرأ ابن الزبير والحسن وأبو رجاء وأبو رزين وابن محيصن وعاصم في رواية المفضل وأبان بكسر الضاد وإسكان الياء من أضاف ، كما تقول ميل وأمال ، وإسناد الإرادة إلى الجدار من المجاز البليغ والاستعارة البارعة وكثيرا ما يوجد في كلام العرب إسناد أشياء تكون من أفعال العقلاء إلى ما لا يعقل من الحيوان وإلى الجماد ، أو الحيوان الذي لا يعقل مكان العاقل لكان صادرا منه ذلك الفعل. وقد أكثر الزمخشري وغيره من إيراد الشواهد على ذلك ومن له أدنى مطالعة لكلام العرب لا يحتاج إلى شاهد في ذلك.

". (١)

"وقرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿جثيا﴾ و﴿عتيا﴾ و﴿صليا﴾ بكسر الجيم والعين والصاد والجمهور بضمها ﴿ثم لننزعن﴾ أي لنخرجن كقوله ﴿ونزع يده﴾ . وقيل : لنرمين من نزع القوس وهو الرمي بالسهم ، والشيعة الجماعة المرتبطة بمذهب. قال أبو الأحوص : يبدأ بالأكابر فالأكابر جرما. وقال الزمخشري :

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١١١/٦

يمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم ، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب فقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم ، والضمير في ﴿أيهم﴾ عائد على المحشورين المحضرين. وقرأ الجمهور ﴿أيهم﴾ بالرفع وهي حركة بناء على مذهب سيبويه ، فأيهم مفعول بننزعن وهي موصولة : و﴿أشد﴾ خبر مبتدأ محذوف ، والجملة صلة لأيهم وحركة إعراب على مذهب الخليل ويونس على اختلاف في التخريج. و﴿أيهم أشد﴾ مبتدأ وخبر محكي على مذهب الخليل أي الذين يقال فيهم ﴿أيهم أشد﴾ . وفي موضع نصب فيعلق عنه ﴿لننزعن﴾ على مذهب يونس ، والترجيح بين هذه المذاهب مذكور في علم النحو. وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ أي ﴿لننزعن﴾ بعض ﴿كل شيعة﴾ فكأن قائلا قال : من هم ؟ فقيل إنهم أشد ﴿عتيا﴾ انتهى. فتكون ﴿أيهم﴾ موصولة خبر مبتدأ محذوف ، وهذا تكلف وادعاء إضمار لا ضرورة تدعو إليه ، وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين ، وقرن الخليل تخريجه بقول الشاعر :

ولقد أبيت من الفتاة بمنزلفأبيت لا حرج ولا محروم

أي فأبيت يقال في لا حرج ولا محروم ، ورجح الزجاج قول الخليل وذكر عنه النحاس أنه **غلط** سيبويه في هذه المسألة. قال سيبويه : ويلزم على هذا أن يجوز اضرب السارق الخبيث الذي يقال له قبل ، وليس بلازم من حيث هذه أسماء مفردة والآية جملة وتسلط الفعل على المفرد أعظم منه على الجملة. ومذهب الكسائي أن معنى ﴿لننزعن﴾ لنناذين فعومل معاملته فلم تعمل في أي انتهى. ونقل هذا عن الفراء. قال المهدوي : ونادى تعلق إذا كان بعده جملة نصب فتعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ. وقال المبرد : ﴿أيهم﴾ متعلق بشيعة ، فلذلك ارتفع والمعنى من الذين تشايعوا ﴿أيهم أشد﴾ كأنهم يتبادرون إلى هذا ، ويلزم أن يقدر مفعولا ﴿لننزعن﴾ محذوفا وقدر أيضا في هذا المذهب من الذين تشايعوا ﴿أيهم﴾ أي من الذين تعاونوا فنظروا ﴿أيهم أشد﴾ . قال النحاس : وهذا قول حسن. وقد حكى الكسائي

٢٠٨

أن التشايع هو التعاون.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٩٢

وحكى أبو بكر بن شقير أن بعض الكوفيين يقول : في ﴿أيهم﴾ معنى الشرط ، تقول : ضربت القوم أيهم غضب ، والمعنى إن غضبوا أو لم يغضبوا فعلى هذا يكون التقدير إن اشتد عتوهم أو لم يشتد. وقرأ طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء وزائدة عن الأعمش ﴿أيهم﴾ بالنصب مفعولا بلننزعن ، وهاتان

القراءتان تدلان على أن مذهب سيبويه أنه لا يتحتم فيها البناء إذا أضيفت وحذف صدر صلتها ، وقد نقل عنه تحتم البناء وينبغي أن يكون فيه على مذهبه البناء والإعراب. قال أبو عمرو الجرمي : خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكة أحدا يقول لأضربن أيهم قائم بالضم بل بنصبها انتهى. وقال أبو جعفر النحاس : وما علمت أحدا من النحويين إلا وقد خطأ سيبويه ، وسمعت أبا إسحاق يعني الزجاج يقول : ما تبين أن سيبويه **غلط** في كتابه إلا في موضعين هذا أحدهما. قال : وقد أعرب سيبويه أيا وهي مفردة لأنها تضاف فكيف يبنيها وهي مضافة ؟.

و﴿على الرحمان﴾ متعلق بأشد. و﴿عتيا﴾ تمييز محول من المبتدأ تقديره ﴿أيهم﴾ هو عتوه ﴿أشد على الرحمان﴾ وفي الكلام حذف تقديره فيلقيه في أشد العذاب ، أو فيبدأ بعذابه ثم بمن دونه إلى آخرهم عذابا. وفي الحديث : "إنه تبدو عنق من النار فتقول : إني أمرت بكل جبار عنيد فتلتقطهم". وفي بعض الآثار : "يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الأكفر فالأكفر". قال ابن عباس : ﴿عتيا﴾ جراءة. وقال مجاهد : فجرا. وقيل : افتراء بلغة تميم. وقيل : ﴿عتيا﴾ جمع عات فانتصابه على الحال.

." (١)

"وجميع الخلائق إلا الثقلين وكدن أن يزلن منه تعظيما لله تعالى. وقيل : المعنى كادت القيامة أن تقوم فإن هذه الأشياء تكون حقيقة يوم القيامة. وقيل : ﴿تكاد السماوات يتفطرن﴾ أي تسقط عليهم ﴿وتنشق الارض﴾ أي تخسف بهم ﴿وتخر الجبال هدا﴾ أي تنطبق عليهم. وقال أبو مسلم : تكاد تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول ، وانتصب ﴿هدا﴾ عند النحاس على المصدر قال : لأن معنى تنهد انتهى. وهذا على أن يكون ﴿الجبال هدا﴾ مصدرا لهد الحائط يهد بالكسر هديدا وهدا وهو فعل لازم. وقيل ﴿هدا﴾ مصدر في موضع الحال أي مهدودة ، وهذا على أن يكون ﴿هدا﴾ مصدر هد الحائط إذا هدمه وهو فعل متعد ، وأجاز الزمخشري أن يكون مفعولا له أي لأنها تهد ، وأجاز الزمخشري في ﴿أن دعوا ﴾ ثلاثة أوجه. قال أن يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله :

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٩٢

على حالة لو أن في القوم حاتماعلى جوده لضن بالماء حاتم

وهذا فيه بعد لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه لجملتين ، قال : ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وإفضاء

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٥٣/٦

الفعل أي ﴿هدا﴾ لأن دعوا علل الخرور بالهد ، والهد بدعاء الولد للرحمن ، وهذا فيه بعد لأن الظاهر أن ﴿هدا﴾ لا يكون مفعولا بل مصدر من معنى ﴿وتخر﴾ أو في موضع الحال ، قال : ومرفوعا بأنه فاعل ﴿هدا﴾ أي هدها دعاء الولد للرحمن ، وهذا فيه بعد لأن ظاهر ﴿هدا﴾ أن يكون مصدرا توكيديا ، والمصدر التوكيدي لا يعمل ولو فرضناه غير توكيد لم يعمل بقياس إلا إن كان أمرا أو مستفهما عنه ، نحو ضرب زيدا ، واضربا زيدا على خلاف فيه. وأما إن كان خبرا كما قدره الزمخشري أي هدها دعاء الرحمن فلا ينقاس بل ما جاء من ذلك هو نادر كقوله.

وقوفا بها صحبي علي مطيهم

أي وقف صحبي.

وقال الحوفي وأبو البقاء ﴿أن دعوا ﴾ في موضع نصب مفعول له ، ولم يبينا العامل فيه. وقال أبو البقاء أيضا : هو في موضع جر على تقدير الل١م ، قال : وفي موضع رفع أي الموجب لذلك دعاؤهم ، ومعنى ﴿دعوا ﴾ سموا وهي تتعدى إلى اثنين حذف الأول منهما ، والتقدير سموا معبودهم ولدا للرحمن أي بولد لأن دعا هذه تتعدى لاثنين ، ويجوز دخول الباء على الثاني تقول : دعوت ولدي بزيد ، أو دعوت ولدي زيدا. وقال الشاعر :

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكنأخاها ولم أرضع لها بلبان وقال آخرألا رب من يدعي نصيحا وإن يغب تجده بغيب منك غير نصيحوقال الزمخشري : اقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والإحاطة بكل ما دعا له ولدا ، قال أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام : "من ادعى إلى غير مواليه". وقول الشاعر.

إنا بني نهشل لا ندعي لأب

أي لا ننتسب إليه انتهى. وكون ﴿دعوا ﴾ هنا بمعنى سموا هو قول الأكثرين. وقيل : ﴿دعوا ﴾ بمعنى جعلوا. و﴿ينابغى﴾ مطاوع لبغي بمعنى طلب ، أي وما يتأتى له إتخاذ الولد لأن التوالد مستحيل والتب٠ي لا يكون إلا فيما هو من جنس المتبنى ، وليس له تعالى جنس و﴿ينابغى﴾ ليس من الأفعال التي لا تتصرف بل سمع لها الماضي قالوا : أنبغى وقد عدها ابن مالك في التسهيل من الأفعال التي لا تتصرف وهو **غلط** و﴿من﴾ موصولة بمعنى الذي أي ما كل الذي في السموات وكل تدخل على الذي لأنها تأتي للجنس كقول تعالى ﴿والذى جآء بالصدق﴾ ونحو.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٩٢

وكل الذي حملتني أتحمل

وقال الزمخشري : ﴿من﴾ موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة

٢١٩

وقوعها بعد رب في قوله :

رب من أنضجت غيظا صدره

انتهى. والأولى جعلها موصولة لأن كونها موصوفة بالنسبة إلى الموصولة قليل. وقرأ عبد الله وابن الزبير وأبو حيوة وطلحة وأبو بحرية وابن أبي عبلة ويعقوب إلا آت بالتنوين ﴿الرحمان﴾ بالنصب والجمهور بالإضافة و﴿أتى ﴾ خبر ﴿كل﴾ وانتصب ﴿عبدا﴾ على الحال. وتكرر لفظ ﴿الرحمان﴾ تنبيها على أنه لا يستحق هذا الاسم غيره ، إذ أصول النعم وفروعها منه ومن في السموات والأرض يشمل من اتخذوه معبودا من الملائكة وعيسى وعزيرا بحكم ادعائهم صحة التوالد أو بحكم زعمهم ذلك فأشركوهم في العبادة إذ خدمة الأبناء خدمة الآباء ، فأخبر تعالى أنه ما من معبود لهم في السموات أو في الأرض إلا يأتي الرحمن عبدا منقادا لا يدعي لنفسه شيئا مما نسبوه إليه.

". (١)

"وتداعوا إلى الإتيان ﴿صفا﴾ لأنه أهيب في عيون الرائين ، وأظهر في التمويه وانتصب ﴿صفا﴾ على الحال أي مصطفين أو مفعولا به إذ هو المكان الذي يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم. وقرأ شبل بن عباد وابن كثير في رواية شبل عنه ثم ايتوا بكسر الميم وإبدال الهمزة ياء تخفيفا. قال أبو علي وهذا **غلط** ولا وجه لكسر الميم من ثم. وقال صاحب اللوامح : وذلك لالتقاء الساكنين كما كانت الفتحة في العامة كذلك ﴿وقد أفلح اليوم﴾ أي ظفر وفاز ببغيته من طلب العلو في أمره وسعى سعيه ، واختلفوا في عدد السحرة اختلافا مضطربا جدا فأقل ما قيل أنهم كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر عصي وحبال ، وأكثر ما قيل تسعمائة ألف.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٤٣

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٥٦

٢٥٦

﴿فأوجس فى نفسها خيفة موسى * قلنا لا تخف إنك أنت الاعلى * وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٦١/٦

إنما صنعوا كيد ساحرا ولا يفلح الساحر حيث أتى * فألقى السحرة سجدا قالوا ءامنا برب هارون وموسى * قال ءامنتم له قبل أن ءاذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحرا فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينآ أشد عذابا وأبقى ﴾ .

في الكلام حذف تقديره فجاؤوا مصطفين إلى مكان الموعد ، وبيد كل واحد منهم عصا وحبل ، وجاء موسى وأخوه ومعه عصاه فوقفوا و﴿قالوا يا أبانا﴾ وذكروا الإلقاء لأنهم علموا أن آية موسى في إلقاء العصا. قيل : خيروه ثقة منهم بالغلب لموسى ، وكانوا يعتقدون أن أحدا لا يقاومهم في السحر. وقال الزمخشري : وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح ، وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم ، وكان الله عز وجل ألهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار إلقائهم أولا مع ما فيه من مقابلة الأدب بأدب

٢٥٧

حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفذوا أقصى طرقهم ومجهودهم ، فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته ، وكانت آية بينة للناظرين بينة للمعتبرين انتهى. وهو تكثير وخطابة وإن ما بعده ينسبك بمصدر فإما أن يكون مرفوعا وإما أن يكون منصوبا والمعنى أنك تختار أحد الأمرين ، وقدر الزمخشري الرفع الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا فجعله خبر المبتدأ محذوف ، واختار أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره إلقاؤك أول ويدل عليه قوله ﴿وإمآ أن نكون أول من ألقى ﴾ فتحسن المقابلة من حيث المعنى وإن كان من حيث التركيب اللفظي لم تحصل المقابلة لأنا قدرنا إلقاؤك أول ، ومقابلة كونهم يكونون أول من يلقي لكنه يلزم من ذلك أن يكون إلقاؤهم أول فهي مقابلة معنوية. وفي تقدير الزمخشري الأمر إلقاؤك لا مقابلة فيه.

وقدر الزمخشري النصب اختر أحد الأمرين وهذا تفسير معنى لا تفسير إعراب ، وتفسير الإعراب ﴿إما﴾ نختار ﴿أن تلقى﴾ وتقدم نحو هذا التركيب في الأعراف.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٥٦

﴿قال بل ألقوا ﴾ لا يكون الأمر بالإلقاء من باب تجويز السحر والأمر به لأن الغرض في ذلك الفرق بين إلقائهم والمعجزة ، وتعين ذلك طريقا إلى كشف الشبهة إذ الأمر مقرون بشرط أي ألقوا إن كنتم محقين لقوله ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ ثم قال ﴿إن كنتم صادقين﴾ وفي الكلام حذف تقديره فألقوا فإذا.

قال أبو البقاء : ﴿فإذا حبالهم﴾ الفاء جواب ما حذف وتقديره فألقوا وإذا في هذا ظرف مكان ، والعامل

فيه ألقوا انتهى. فقوله ﴿فإذآ﴾ الفاء جواب ما حذف وتقديره فألقوا ليست هذه فاء جواب لأن فألقوا لا تجاب ، وإنما هي للعطف عطفت جملة المفاجأة على ذلك المحذوف. وقوله وإذا في هذا ظرف مكان يعني أن إذا التي للمفاجأة ظرف مكان

٢٥٨

وهو مذهب المبرد وظاهر كلام سيبويه ، وقوله : والعامل فيه ألقوا ليس بشيء لأن الفاء تمنع من العمل ولأن إذا هذه إنما هي معمولة لخبر المبتدأ الذي هو ﴿حبالهم وعصيهم﴾ إن لم يجعلها هي في موضع الخبر ، لأنه يجوز أن يكون الخبر يخيل ، ويجوز أن تكون إذا ويخيل في موضع الحال ، وهذا نظير : خرجت فإذا الأسد رابض ورابضا فإذا رفعنا رابضا كانت إذا معمولة ، والتقدير فبالحضرة الأسد رابض أو في المكان ، وإذا نصبتا كانت خبرا ولذلك تكتفي بها ، وبالمرفوع بعدها كلاما نحو خرجت فإذا الأسد.." (١)

"﴿وذكرى ﴾ : منصوب على الحال عند الكسائي ، وعلى المصدر عند الزجاج. فعلى الحال ، إما أن يقدر ذوي ذكرى ، أو مذكرين. وعلى المصدر ، فالعامل منذرون ، لأنه في معنى مذكرون ذكرى ، أي تذكرة. وأجاز الزمخشري في ذكرى أن يكون مفعولا له ، قال : على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة ، وأن تكون مرفوعة صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى ، أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها. وأجاز هو وابن عطية أن تكون مرفوعة على خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى ، والجملة اعتراضية. قال الزمخشري : ووجه آخر ، وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له ، والمعنى : وما أهلكنا من قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ، لتكون تذكرة وعبرة لغيرهم ، فلا يعصوا مثل عصيانهم. ﴿وما كنا ظالمين﴾ ، فنهلك قوما غير ظالمين ، وهذا الوجه

٤٤

عليه المعول. انتهى. وهذا لا معول عليه ، لأن مذهب الجمهور أن ما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها إلا أن يكون مستثنى ، أو مستثنى منه ، أو تابعا له غير معتمد على الأداة نحو : ما مررت بأحد إلا زيد خير من عمرو. والمفعول له ليس واحدا من هذه الثلاثة ، فلا يجوز أن يتعلق بأهلكنا. ويتخرج جواز ذلك على مذهب الكسائي والأخفش ، وإن كانا لم ينصا على المفعول له بخصوصيته.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٨

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٨٨/٦

﴿تنزلت به الشياطين * وما ينابغى لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون * فلا تدع مع الله إلاها ءاخر فتكون من المعذبين * وأنذر عشيرتك الاقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إنى برى ء مما تعملون * وتوكل على العزيز الرحيم * الذى يراك حين تقوم * وتقلبك فى الساجدين * إنه هو السميع العليم * هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون * والشعرآء يتبعهم الغاوان * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا منا بعد ما ظلموا ا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾ .

كان مشركو قريش يقولون : إن لمحمد تابعا من الجن يخبره كما يخبر الكهنة ، فنزلت ، والضمير في ﴿به﴾ يعود على القرآن ، بل ﴿نزل به الروح الامين﴾ . وقرأ الحسن : الشياطون ، وتقدمت في البقرة ، وقد ردها أبو حاتم والقراء ؛ قال أبو حاتم : هي **غلط** منه أو عليه. وقال النحاس : هو **غلط** عند جميع النحويين. وقال المهدوي : هو غير جائز في العربية. وقال الفراء : **غلط** الشيخ ، ظن أنها النون التي على هجائن. فقال النضر بن شميل : إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤية ، فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه ، يريد محمد بن السميفع ، مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ بها إلا وقد سمعا فيه ؟ وقال يونس بن حبيب : سمعت أعرابيا يقول : دخلت بساتين من ورائها بساتون ، فقلت : ما أشبه هذا بقراءة الحسن. انتهى. ووجهت هذه القراءة بأنه لما كان آخره كآخر يبرين وفلسطين ، فكما أجرى إعراب هذا على النون تارة وعلى ما قبله تارة فقالوا : يبرين ويبرون وفلسطين وفلسطون ؛ أجرى ذلك في الشياطين تشبيها به فقالوا : الشياطين والشياطون. وقال أبو فيد مؤرج السدوسي : إن كان اشتقاقه من شاط ، أي احترق ، يشيط شوطة ، كان لقراء تهما وجه. قيل : ووجهها أن بناء المبالغة منه شياط ، وجمعه الشياطون ، فخففا الياء ، وقد روي عنهما التشديد ، وقرأ به غيرهما. انتهى. وقرأ الأعمش : الشياطون ، كما قرأه الحسن وابن السميفع. فهؤلاء الثلاثة من نقلة القرآن ، قرؤوا ذلك ، ولا يمكن أن يقال غلطوا ، لأنهم من العلم ونقل القرآن بمكان. وما أحسن ما ترتب نفي هذه الجمل ؛ نفى أولا تنزيل الشياطين به ، والنفي في الغالب يكون في الممكن ، وإن كان هنا لا يمكن من الشياطين التنزل بالقرآن ، ثم نفى انبغاء ذلك والصلاحية ، أي ولو فرض الإمكان لم يكونوا أهلا له ، ثم نفى قدرتهم على ذلك وأنه مستحيل في حقهم التنزل به ، فارتقى من نفي الإمكان إلى نفي الصلاحية إلى نفي القدرة والاستطاعة ، وذلك مبالغة مترتبة في نفي تنزيلهم به ، ثم علل انتفاء ذلك عن استماع كلام أهل السماء مرجومون بالشهب.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٨
." (١)

"﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ في الكلام حذف تكون حتى غاية له ، تقديره : فعاش بعد ذلك ، أو استمرت حياته ؛ وتقدم الكلام في ﴿بلغ أشدها﴾ في سورة يوسف. والظاهر ضعف قول من قال : بلوغ الأشد أربعون ، لعطف ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ . والعطف يقتضي التغاير ، إلا إن ادعى أن ذلك توكيد لبلوغ الأشد فيمكن ؛ والتأسيس أولى من التأكيد ؛ وبلوغ الأربعين اكتمال العقل لظهور الفلاح. قيل : ولم يبعث نبي إلا بعد الأربعين. وفي الحديث : أن الشيطان يجر يده على وجه من زاد على الأربعين ولم يتب ويقول : يأتي وجه لا يفلح. ﴿قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضا هـ﴾ : وتقدم الكلام على هذا في سورة النمل. ﴿وأصلح لى فى ذريتى ﴾ : سأل أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له ، كأنه قال : هب لي الصلاح في ذريتي ، فأوقعه فيهم ، أو ضمن : وأصلح لي معنى : وألطف بي في ذريتي ، لأن أصلح يقتدي بنفسه لقوله : ﴿وأصلحنا له﴾ ، فلذلك احتج قوله : ﴿لى فى ذريتى ﴾ إلى التأويل. قيل : نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ، وتتناول من بعده ، وهو مشكل ، لأنها نزلت بمكة ، وأبوه أسلم عام الفتح. ولقوله : ﴿أوالا ك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ﴾ : فلم يقصد بذلك أبو بكر ولا غيره. والمراد بالإنسان الجنس ، ولذلك أشار يقوله : ﴿أوالا ك﴾ جمعا. وقرأ الجمهور : يتقبل مبنيا للمفعول ، أحسن رفعا ، وكذا ويتجاوز ؛ وزيد بن علي ، وابن وثاب ، وطلحة ، وأبو جعفر ، والأعمش : بخلاف عنه. وحمزة ، والكسائي ، وحفص : نتقبل أحسن نصبا ، ونتجاوز بالنون فيهما ؛ والحسن ، والأعمش ، وعيسى : بالياء فيهما مفتوحة ونصب أحسن.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٢

﴿فى أصحاب الجنة﴾ ، قيل : في بمعنى مع ؛ وقيل : هو نحو قولك : أكرمني الأمير في ناس من أصحابه ، يريد في جملة من أكرم منهم ، ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في أصحاب الجنة. وانتصب ﴿وعد الصدق﴾ على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة ، لأن قوله : ﴿أوالا ك الذين نتقبل﴾ ، وعد منه تعالى بالتقبل والتجاوز ، لما ذكر الإنسان البار بوالديه وما آل إليه من الخير ، ذكر العاق بوالديه وما آل إليه من الشر. والمراد بالذي : الجنس ، ولذلك جاء الخبر مجموعا في قوله : ﴿أوالا ك الذين حق عليهم القول﴾ . وقال الحسن : هو الكافر العاق بوالديه المنكر البعث. وقول مروان بن الحكم ، واتبعه

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٣/٧

قتادة : أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، قول خطأ ناشىء عن جور ، حين دعا مروان ، وهو أمير المدينة ، إلى مبايعة يزيد ، فقال عبد الرحمن : جعلتموها هرقلية ؟ كلما مات هرقل ولى ابنه ، وكلما مات قيصر ولى ابنه ؟ فقال مروان : خذوه ، فدخل بيت أخته عائشة رضي الله عنها ، وقد أنكرت ذلك عائشة فقالت ، وهي المصدوقة : لم ينزل في آل أبي بكر من القرآن غير براءتي ؛ وقالت : والله ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته. وصدت مروان وقالت : ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه ، فأنت فضض من لعنة الله. ويدل على فساد هذا القول أنه قال تعالى : ﴿أوالا ك الذين حق عليهم القول﴾ ، وهذه صفات الكفار أهل النار ، وكان عبد الرحمن من أفاضل الصحابة وسراتهم وأبطالهم ، وممن له في الإسلام غناء يوم اليمامة وغيره.

﴿أف لكمآ﴾ : تقدم الكلام على أف مدلولا ولغات وقراءة في سورة الإسراء ، واللام في لكما للبيان ، أي لكما ، أعني : التأفيف. وقرأ الجمهور : ﴿أتعدانني ﴾ ، بنونين ،

٦١

الأولى مكسورة ؛ والحسن ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وفي رواية ؛ وهشام : بإدغام نون الرفع في نون الوقاية. وقرأ نافع في رواية ، وجماعة : بنون واحدة. وقرأ الحسن ، . وشيبة ، وأبو جعفر : بخلاف عنه ؛ وعبد الوارث ، عن أبي عمرو ، وهارون بن موسى ، عن الجحدري ، وسام ، عن هشام : بفتح النون الأولى ، كأنهم فروا من الكسرتين ، والياء إلى الفتح طلبا للتخفيف ففتحوا ، كما فر من أدغم ومن حذف. وقال أبو حاتم : فتح النون باطل غلط. ﴿أن أخرج﴾ : أي أخرج من قبري للبعث والحساب. وقرأ الجمهور : أن أخرج ، مبنيا للمفعول ؛ والحسن ، وابن يعمر ، والأعمش ، وابن مصرف ، والضحاك : مبنيا للفاعل. جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٢." (١)

"﴿فأوحى ﴾ : أي الله ، ﴿إلى عبده﴾ : أي الرسول صلى الله عليه وسلم ، قاله ابن عباس. وقيل : ﴿إلى عبده﴾ جبريل ، ﴿مآ أوحى ﴾ : إبهام على جهة التعظيم والتفخيم ، والذي عرف من ذلك فرض الصلوات. وقال الحسن : فأوحى جبريل إلى عبد الله ، محمد صلى الله عليه وسلم ، ما أوحى ، كالأول في الإبهام. وقال ابن زيد : فأوحى جبريل إلى عبد الله ، محمد صلى الله عليه وسلم ، ما أوحاه الله تعالى إلى جبريل عليه السلام. وقال الزمخشري : ﴿مآ أوحى ﴾ : أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها ، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك. ﴿ما كذب﴾ فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤٧/٨

صورة جبريل : أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ، يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ، ولم يشك في أن ما رآه حق. انتهى. وقرأ الجمهور : ما كذب مخففا ، على معنى : لم يكذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم الشيء الذي رآه ، بل صدقه وتحققه نظرا ، وكذب يتعدى. وقال ابن عباس وأبو صالح : رأى محمد صلى الله عليه وسلم الله تعالى بفؤاده. وقيل : ما رأى بعينه لم يكذب ذلك قلبه ، بل صدقه وتحققه ، ويحتمل أن يكون التقدير فيما رأى.

وعن ابن عباس وعكرمة وكعب الأحبار : أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ، وأبت ذلك عائشة رضي الله تعالى عنها ، وقالت : أنا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآيات ، فقال لي : "هو جبريل عليه السلام فيها كلها". وقال الحسن : المعنى ما رأى من مقدورات الله تعالى وملكوته. وسأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : "نوراني أراه". وحديث عائشة قاطع لكل تأويل في اللفظ ، لأن قول غيرها إنما هو

١٥٨

منتزع من ألفاظ القرآن ، وليست نصا في الرؤية بالبصر ، بلا ولا بغيره. وقرأ أبو رجاء وأبو جعفر وقتادة والجحدري وخالد بن الياس وهشام عن ابن عامر : ما كذب مشددا. وقال كعب الأحبار : إن الله قسم الرؤية والكلام بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام ، فكلم موسى مرتين ، ورآه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : لقد وقف شعري من سماع هذا ، وقرأت : ﴿لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار﴾ ، وذهبت هي وابن مسعود وقتادة والجمهور إلى أن المرئي مرتين هو جبريل ، مرة في الأرض ، ومرة عند سدرة المنتهى.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٥٣

وقرأ الجمهور : ﴿أفتمارونه﴾ : أي أتجادلونه على شيء رآه ببصره وأبصره ، وعدى بعلى لما في الجدال من المغالبة ، وجاء يرى بصيغة المضارع ، وإن كانت الرؤية قد مضت ، إشارة إلى ما يمكن حدوثه بعد. وقرأ علي وعبد الله وابن عباس والجحدري ويعقوب وابن سعدان وحمزة والكسائي : بفتح التاء وسكون الميم ، مضارع مريت : أي جحدت ، يقال : مريته حقه ، إذا جحدته ، قال الشاعر :

لئن سخرت أخا صدق ومكرمةلقد مريت أخا ما كان يمريكا

وعدى بعلى على معنى التضمين. وكانت قريش حين أخبرهم صلى الله عليه وسلم بأمره في الإسراء ، كذبوا واستخفوا ، حتى وصف لهم بيت المقدس وأمر غيرهم ، وغير ذلك مما هو مستقصى في حديث الإسراء.

وقرأ عبد الله فيما حكى ابن خالويه ، والشعبي فيما ذكر شعبة : بضم التاء وسكون الميم ، مضارع أمريت. قال أبو حاتم : وهو غلط. ﴿ولقد رءاه﴾ : الضمير المنصوب عائد على جبريل عليه السلام ، قال ابن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع. ﴿نزلة أخرى ﴾ : أي مرة أخرى ، أي نزل عليه جبريل عليه السلام مرة أخرى في في صورة نفسه ، فرآه عليها ، وذلك ليلة المعراج. وأخرى تقتضي نزلة سابقة ، وهي المفهومة من قوله : ﴿ثم دنا﴾ جبريل ، ﴿فتدلى ﴾ : وهو الهبوط والنزول من علو. وقال ابن عباس وكعب الأحبار : الضمير عائد على الله ، على ما سبق من قولهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين. وانتصب نزلة ، قال الزمخشري : نصب الظرف الذي هو مرة ، لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل. وقال الحوفي وابن عطية : مصدر في موضع الحال. وقال أبو البقاء : مصدر ، أي مرة أخرى ، أو رؤية أخرى. ﴿عند سدرة المنتهى ﴾ ، قيل : هي شجرة نبق في السماء السابعة. وقيل : في السماء السادسة ، ثمرها كقلال هجر ، وورقها كآذان الفيلة. تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه ، يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها. والمنتهى موضع الانتهاء ، لأنه ينتهي إليها علم كل عالم ، ولا يعلم ما وراءها صعدا إلا الله تعالى عز وجل ؛ أو ينتهي إليها كل من مات على الإيمان من كل جيل ؛ أو ينتهي إليها ما نزل من أمر الله تعالى ، ولا تتجاوزها ملائكة العلو وما صعد من الأرض ، ولا تتجاوزها ملائكة السفل ؛ أو تنتهي إليها أرواح الشهداء ؛ أو كأنها في منتهى الجنة وآخرها ؛ أو تنتهي إليها الملائكة والأنبياء ويقفون عندها ؛ أو ينتهي إليها علم الأنبياء ويغرب علمهم عن ما وراءها ؛ أو تنتهي إليها الأعمال ؛ أو لانتهاء من رفع إليها في الكرامة ، أقوال تسعة.
." (١)

"وقرأ الجمهور : ﴿من تفاوت﴾ ، بألف مصدر تفاوت ؛ وعبد الله وعلقمة والأسود وابن جبير وطلحة والأعمش : بشد الواو ، مصدر تفوت. وحكى أبو زيد عن العربي : تفاوتا بضم الواو وفتحها وكسرها ، والفتح والكسر شاذان. والظاهر عموم خلق الرحمن من الأفلاك وغيرها ، فإنه لا تفوت فيه ولا فطور ، بل كل جار على الإتقان. وقيل : المراد في ﴿خلق الرحمان﴾ السموات فقط ، والظاهر أن قوله تعالى : ﴿ما ترى ﴾ استئناف أنه لا يدرك في خلقه تعالى تفاوت ، وجعل الزمخشري هذه الجملة صفة متابعة لقوله : ﴿طباقا﴾ ، أصلها ما ترى فيهن من تفاوت ، فوضع مكان الضمير قوله : ﴿خلق الرحمان﴾ تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت ، وهو أنه خلق الرحمن ، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٨/١١٩

ذلك الخلق المناسب. انتهى. والخطاب في ترى لكل مخاطب ، أو للرسول صلى الله عليه وسلم. ولما أخبر تعالى أنه لا تفاوت في خلقه ، أمر بترديد البصر في الخلق المناسب فقال : ﴿فارجع﴾ ، ففي الفاء معنى التسبب ، والمعنى : أن العيان يطابق الخبر. و، قال مجاهد : الشقوق ، فطر ناب البعير : شق اللحم وظهر ، قال الشاعر :

بنى لكم بلا عمد سماءوسواها فما فيها فطور

وقال أبو عبيدة : صدوع ، وأنشد قول عبيد بن مسعود :

شققت القلب ثم رددت فيههواك فليط فالتأم الفطور

وقال السدي : خروق. وقال قتادة : خلل ، ومنه التفطير والانفطار. وقال ابن عباس : وهن وهذه تفاسير متقاربة ، والجملة من قوله : ﴿البصر هل ترى من فطور﴾ في موضع نصب بفعل معلق محذوف ، أي فانظر هل ترى ، أو ضمن معنى ﴿فارجع البصر﴾ معنى فانظر ببصرك هل ترى ؟ فيكون معلقا. ﴿ثم ارجع البصر﴾ : أي ردده كرتين هي تثنية لا شفع الواحد ، بل يراد بها التكرار ، كأنه قال : كرة بعد كرة ، أي كرات كثيرة ، كقوله : لبيك ، يريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض ، وأريد بالتنثية التكثيِر ، كما أريد بما هو أصل لها التكثير ، وهو مفرد عطف على مفرد ، نحو قوله :

لو عد قبر وقبر كان أكرمهمبيتا وأبعدهم عن منزل الذام

٢٩٨

يريد : لوعدت قبور كثيرة. وقال ابن عطية وغيره : ﴿كرتين﴾ معناه مرتين ونصبها على المصدر. وقيل : أمر برجع البصر إلى السماء مرتين ، غلط في الأولى ، فيستدرك بالثانية. وقيل : الأولى ليرى حسنها واستواءها ، والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها. وقرأ الجمهور : ﴿ينقلب﴾ جزما على جواب الأمر ؛ والخوارزمي عن الكسائي : يرفع الباء ، أي فينقلب على حذف الفاء ، أو على أنه موضع حال مقدرة ، أي إن رجعت البصر وكررت النظر لتطلب فطور شقوق أو خللا أو عيبا ، رجع إليك مبعدا عما طلبته لانتفاء ذلك عنها ، وهو كال من كثرة النظر ، وكلاله يدل على أن المراد بالكرتين ليس شفع الواحد ، لأنه لا يكل البصر بالنظر مرتين اثنتين. والحسير : الكال ، قال الشاعر :

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٩٦

لهن الوجى لم كر عونا على النوبولا زال منها ظالع وحسير

يقال : حسر بعيره يحسر حسورا : أي كل وانقطع فهو حسير ومحسور ، قال الشاعر يصف ناقة :

فشطرها نظر العينين محسور

أي : ونحرها ، وقد جمع حسير بمعنى أعيا وكل ، قال الشاعر :

بها جيف الحسرى فأما عظامها

البيت.

﴿السمآء الدنيا﴾ : هي التي نشاهدها ، والدنو أمر نسبي وإلا فليست قريبة ، ﴿بمصابيح﴾ : أي بنجوم مضيئة كالمصابيح ، ومصابيح مطلق الأعلام ، فلا يدل على أن غير سماء الدنيا ليست فيها مصابيح. ﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾ : أي جعلنا منها ، لأن السماء ذاتها ليست يرجم بها الرجوم هذا إن عاد الضمير في قوله : ﴿وجعلناهآ﴾ على السماء. والظاهر عوده على مصابيح. ونسب الرجم إليها ، لأن الشهاب المتبع للمسترق منفصل من نارها ، والكواكب قار في ملكه على حاله. فالشهاب كقبس يؤخذ من النار ، والنار باقية لا تنقص. والظاهر أن الشياطين هم مسترقو السمع ، وأن الرجم هو حقيقة يرمون بالشهب ، كما تقدم في سورة الحجر وسورة والصافات. وقيل : معنى رجوما : ظنونا لشياطين الإنس ، وهم المنجمون ينسبون إلى النجوم أشياء على جهة الظن من جهالهم ، والتمويه والاختلاق من أزكيائهم ، ولهم في ذلك تصانيف تشتمل على خرافات يموهون بها على الملوك وضعفاء العقول ، ويعملون موالد يحكمون فيها بالأشياء لا يصح منها شيء. وقد وقفنا على أشياء من كذبهم في تلك الموالد ، وما يحكونه عن أبي معشر وغيره من شيوخ السوء كذب يغرون به الناس الجهال. وقال قتادة : خلق الله تعالى النجوم زينة للسماء ورجوما للشياطين ، وليهتدي بها في البر والبحر ؛ فمن قال غير هذه الخصال الثلاث فقد تكلف وأذهب حظه من الآخرة. والضمير في لهم عائد على الشياطين.

." (١)

"﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه﴾ ، قال قتادة نزلت مخبرة عن حال القيامة ، وأن الكفار يمشون فيها على وجوههم ، والمؤمنون يمشون على استقامة. وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : كيف يمشى الكافر على وجهه ؟ فقال : "إن الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادر أن يمشيه في الآخرة على وجهه". فالمشي على قول قتادة حقيقة. وقيل : هو مجاز ، ضرب مثلا للكافر والمؤمن في الدنيا. فقيل : عام ، وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك ، نزلت فيهما. وقال ابن عباس أيضا : نزلت في أبي جهل والرسول عليه الصلاة والسلام. وقيل : في أبي جهل وحمزة ، والمعنى أن الكافر في اضطرابه وتعسفه في عقيدته وتشابه

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٨/٢٢٤

الأمر عليه ، كالماضي في انخفاض وارتفاع ، كالأعمى يتعثر كل ساعة فيخر لوجهه. وأما المؤمن ، فإنه لطمأنينة قلبه بالإيمان ، وكونه قد وضح له الحق ، كالماشي صحيح البصر مستويا لا ينحرف على طريق واضح الاستقامة لا حزون فيها ، فآلة نظره صحيحة ومسلكه لا صعوبة فيه. و﴿مكبا﴾ : حال من أكب ، وهو لا يتعدى ، وكب متعد ، قال تعالى : ﴿فكبت وجوههم فى النار﴾ ، والهمزة فيه للدخول في الشيء أو للصيرورة ، ومطاوع كب انكب ، تقول : كببته فانكب. وقال الزمخشري : ولا شيء من بناء افعل مطوعا ، ولا يتقن نحو هذا إلا حملة كتاب سيبويه ، وهذا الرجل كثير التبجح بكتاب سيبويه ، وكم من نص في كتاب سيبويه عمى بصره وبصيرته حتى أن الإمام أبا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا يذكر فيه ما غلط فيه الزمخشري وما جهله من نصوص كتاب سيبويه. وأهدي : افعل تفضيل من الهدى في الظاهر ، وهو نظير : العسل أحلى أم الخل ؟ وهذا الاستفهام لا تراد حقيقته ، بل المراد منه أن كل سامع يجيب بأن الماشي سويا على صراط مستقيم أهدى. وانتصب ﴿قليلا﴾ على أنه نعت لمصدر محذوف ، وما زائدة ، وتشكرون مستأنف أو حال مقدرة ، أي تشكرون شكرا قليلا. وقال ابن عطية : ظاهر أنهم يشكرون قليلا ، وما عسى أن يكون للكافرين شكر ، وهو قليل غير نافع. وأما أن يريد به نفي الشكر جملة فعبر بالقلة ، كما تقول العرب : هذه أرض قل ما تنبت كذا ، وهي لا تنبته ألبتة. انتهى. وتقدم نظير قوله والرد عليه في ذلك. ﴿ذرأكم﴾ : بثكم ، والحشر : البعث ، والوعد المشار إليه هو وعد يوم القيامة ، أي متى إنجاز هذا الوعد ؟.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٩٦

﴿فلما رأوه زلفة﴾ : أي رأوا العذاب وهو الموعود به ، ﴿زلفة﴾ : أي قربا ، أي ذا قرب. وقال الحسن : عيانا. وقال ابن زيد : حاضرا. وقيل : التقدير مكانا ذا زلفة ، فانتصب على الظرف. ﴿سيائت﴾ : أي ساءت رؤيته وجوههم ، وظهر فيها السوء والكآبة ، وغشيها السواد كمن يساق إلى القتل. وأخلص الجمهور كسرة السين ، وأشمها الضم أبو جعفر والحسن وأبو رجاء وشيبة وابن وثاب وطلحة وابن عامر ونافع والكسائي. ﴿وقيل﴾ لهم ، أي تقول لهم الزبانية ومن يوبخهم. وقرأ الجمهور : ﴿تدعون﴾ بشد الدال مفتوحة ، فقيل : من

٣٠٣

الدعوى. قال الحسن : تدعون أنه لا جنة ولا نار. وقيل : تطلبون وتستعجلون ، وهو من الدعاء ، ويقوي هذا القول قراءة أبي رجاء والضحاك والحسن وقتادة وابن يسار عبد الله بن مسلم وسلام ويعقوب : تدعون

بسكون الدال ، وهي قراءة ابن أبي عبلة وأبي زيد وعصمة عن أبي بكر والأصمعي عن نافع. روي أن الكفار كانوا يدعون على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالهلاك. وقيل : كانوا يتآمرون بينهم بأن يهلكوهم بالقتل ونحوه ، فأمر أن يقول : ﴿إن أهلكنى الله﴾ كما تريدون ، ﴿أو رحمنا﴾ بالنصر عليكم ، فمن يحميكم من العذاب الذي سببه كفركم ؟ ولما قال : ﴿أو رحمنا﴾ قال : ﴿هو الرحمان﴾ ، ثم ذكر ما به النجاة وهو الإيمان والتفويض إلى الله تعالى. وقرأ الجمهور : ﴿فستعلمون﴾ بتاء الخطاب ، والكسائي : بياء الغيبة نظرا إلى قوله : ﴿فمن يجير الكافرين﴾ .

ولما ذكر العذاب ، وهو مطلق ، ذكر فقد ما به حياة النفوس وهو الماء ، وهو عذاب مخصوص. والغور مشروح في الكهف ، والمعين في قد أفلح ، وجواب ﴿إن أهلكنى﴾ : ﴿فمن يجير﴾ ، وجواب ﴿إن أصبح﴾ : ﴿فمن يأتيكم﴾ ، وتليت هذه الآية عند بعض المستهزئين فقال : تجيء به الفوس والمعاويل ، فذهب ماء عينيه.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٩٦." (١)

"وقرأ ابن محيصن : ﴿وإستبرق﴾ ، وتقدم ذلك والكلام عليه في الكهف. وقال الزمخشري : هنا وقرىء واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي ، وهو **غلط** لأنه نكرة يدخله حرف التعريف ، تقول : الاستبرق إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب. وقرىء : واستبرق ، بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق ، وليس بصحيح أيضا لأنه معرب مشهور تعريبه ، وأن أصله استبره. انتهى. ودل قوله : إلا أن يزعم ابن محيصن ، وقوله : بعد وقرىء واستبرق بوصل الألف والفتح ، أن قراءة ابن محيصن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف ؛ والمنقول عنه في كتب القرآآت أنه قرأ بوصل الألف وفتح القاف. وقال أبو حاتم : لا يجوز ، والصواب أنه اسم جنس لا ينبغي أن يحمل ضميرا ، ويومئذ ذلك دخول لام المعرفة عليه ، والصواب قطع الألف وإجراؤه على قراءة الجماعة. انتهى. ونقول : إن ابن محيصن قارىء جليل مشهور بمعرفة العربية ، وقد أخذ عن أكابر العلماء ، ويتطلب لقراءته وجه ، وذلك أنه يجعل استفعل من البريق. وتقول : برق واستبرق ، كعجب واستعجب.

ولما كان قوله : ﴿خضر﴾ يدل على الخضرة ، وهي لون ذلك السندس ، وكانت الخضرة مما يكون لشدتها دهمة وغبش ، أخبر أن في ذلك اللون بريقا وحسنا يزيل غبشته. فاستبرق فعل ماض ، والضمير فيه عائد على السندس أو على الاخضرار الدال عليه قوله : ﴿خضر﴾ . وهذا التخريج أولى من تلحين من يعرف

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٢٨/٨

العربية وتوهيم ضابط ثقة ﴿أساور من فضة﴾ ، وفي موضع آخر ﴿من ذهب﴾ ، أي يحلون منهما على التعاقب أو على الجمع بينهما ، كما يقع للنساء في الدنيا. قال الزمخشري وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران ، سوار من ذهب وسوار من فضة. انتهى. فقوله بالمعصم إما أن يكون مفعول أحسن ، وإما أن يكون بدلا منه ، وإما أن يكون مفعول أحسن ، وقد فصل بينهما بالجار والمجرور. فإن كان الأول ، فلا يجوز لأنه لم يعهد زيادة الباء في مفعول افعل للتعجب ، لا تقول : ما أحسن

٤٠٠

بزيد ، تريد : ما أحسن زيدا ، وإن كان الثاني ، ففي مثل هذا الفصل خلاف. والمنقول عن سيبويه أنه لا يجوز ، والمولد منا إذا تكلم ينبغي أن يتحرز في كلامه عما فيه الخلاف.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٩١

﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ ، طهور صفة مبالغة في الطهارة ، وهي من فعل لازم ؛ وطهارتها بكونها لم يؤمر باجتنابها ، وليست كخمر الدنيا التي هي في الشرع رجس ؛ أو لكونها لم تدس برجل دنسة ، ولم تمس بيد وضرة ، ولم توضع في إناء لم يعن بتنظيفه. ذكره بأبسط من هذا الزمخشري ثم قال : أو لأنه لا يؤول إلى النجاسة ، لأنه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك. انتهى. وهذا الآخر قاله أبو قلابة والنخعي وإبراهيم التيمي ، قالوا : لا تنقلب إلى البول ، بل تكون رشحا من الأبدان أطيب من المسك. ﴿إن هاذآ﴾ : أي النعيم السرمدي ، ﴿كان لكم جزآء﴾ : أي لأعمالكم الصالحة ، ﴿وكان سعيكم مشكورا﴾ : أي مقبولا مثابا. قال قتادة : لقد شكر الله سعيا قليلا ، وهذا على إضمار يقال لهم. وهذا القول لهم هو على سبيل التهنئة والسرور لهم بضد ما يقال للمعاقب : إن هذا بعملك الرديء ، فيزداد غما وحزنا.

ولما ذكر أولا حال الإنسان وقسمه إلى العاصي والطائع ، ذكر ما شرف به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرءان﴾ ، وأمره بالصبر بحكمه ، وجاء التوكيد بأن لمضمون الخبر ومدول المخبر عنه ، وأكد الفعل بالمصدر. ﴿ولا تطع منهم ءاثما أو كفورا﴾ ، قال قتادة : نزلت في أبي جهل ، قال : إن رأيت محمدا يصلي لأطأن على عنقه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ولا تطع﴾ الآية. والنهي عن طاعة كل واحد منهما أبلغ من النهي عن طاعتهما ، لأنه يستلزم النهي عن أحدهما ، لأن في طاعتهما طاعة أحدهما. ولو قال : لا تضرب زيدا وعمرا ، لجاز أن يكون نهيا عن ضربهما جميعا ، لا عن ضرب أحدهما. وقال أبو عبيدة : أو بمعنى الواو ، والكفور ، وإن كان إثما ، فإن فيه مبالغة في الكفر. ولما كان

وصف الكفور مباينا للموصوف لمجرد الإثم ، صلح التغاير فحسن العطف. وقيل : الآثم عتبة ، والكفور الوليد ، لأن عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لأنواع الفسوق ؛ وكان الوليد غالبا في الكفر ، شديد الشكيمة في العتو.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٩١

﴿واذكر اسم ربك بكرة﴾ : يعني صلاة الصبح ، ﴿وأصيلا﴾ : الظهر والعصر. ﴿ومن اليل﴾ : المغرب والعشاء. وقال ابن زيد وغيره : كان ذلك فرضا ونسخ ، فلا فرض إلا الخمس. وقال قوم : هو محكم على وجه الندب. ﴿إن ها ؤلاء﴾ : إشارة إلى الكفرة. ﴿يحبون العاجلة﴾ : يؤثرونها على الدنيا. ﴿ويذرون ورآءهم﴾ : أي أمامهم ، وهو ما يستقبلون من الزمان. ﴿يوما ثقيلا﴾ : استعير الثقل لليوم لشدته ، وهوله من ثقل الجرم الذي يتعب حامله. وتقدم شرح الأسر في سورة القتال. ﴿وإذا شئنا﴾ : أي تبديل أمثالهم بإهلاكهم ، ﴿بدلنآ أمثالهم﴾ ممن يطيع. وقال الزمخشري : وحقه أن يجيء بإن لا بإذا ، كقوله : ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم﴾ ، ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ . انتهى. يعني أنهم قالوا إن إذا للمحقق وإن للممكن ، وهو تعالى لم يشأ ، لكنه قد توضع إذا موضع إن ، وإن موضع إذا ، كقوله : ﴿وما جعلنا لبشر من﴾ .

﴿إن هاذه﴾ : أي السورة ، أو آيات القرآن ، أو جملة الشريعة ليس على جهة التخيير ، بل على جهة التحذير من اتخاذ غير سبيل الله. وقال الزمخشري : لمن شاء ممن اختار الخير لنفسه والعاقبة ، واتخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقرب إليه والتوسل بالطاعة. ﴿وما تشآءون﴾ : الطاعة ، ﴿إلا أن يشآء الله﴾ ، يقسرهم عليها. ﴿إن الله كان عليما﴾ بأحوالهم وما يكون منهم ، ﴿حكيما﴾ حيث خلقهم مع علمه بهم. انتهى ، وفيه دسيسة الاعتزال. وقرأ العربيان وابن كثير : وما يشاءون بياء الغيبة ؛ وباقي السبعة : بتاء الخطاب ؛ ومذهب أهل السنة أنه نفي لقدرتهم على الاختراع وإيجاد المعاني في أنفسهم ، ولا يرد هذا وجود ما لهم من الاكتساب. وقال الزمخشري : فإن قلت : ما محل ﴿أن يشآء الله﴾ ؟ قلت : النصب على الظرف ، وأصله : إلا وقت مشيئة الله ، وكذلك قرأ ابن مسعود : إلا ما يشاء الله ،

٤٠١

لأن ما مع الفعل كان معه. انتهى. ونصوا على أنه لا يقوم مقام الظرف إلا المصدر المصرح به ، كقولك : أجيئك صياح الديك ، ولا يجيزون : أجيئك أن يصيح الديك ، ولا ما يصيح الديك ؛ فعلى هذا لا يجوز ما قاله الزمخشري.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٩١

﴿يدخل من يشآء فى رحمتها﴾ : وهم المؤمنون. وقرأ الجمهور : ﴿والظالمين﴾ نصبا بإضمار فعل يفسره قوله : ﴿أعد لهم﴾ ، وتقديره : ويعذب الظالمين ، وهو من باب الاشتغال ، جملة عطف فعلية على جملة فعلية. وقرأ ابن الزبير وأبان بن عثم١ن وابن أبي عبلة : والظالمون ، عطف جملة اسمية على فعلية ، وهو جائز حسن. وقرأ عبد الله : وللظالمين بلام الجر ، وهو متعلق بأعد لهم توكيدا ، ولا يجوز أن يكون من باب الاشتغال ، ويقدر فعل يفسره الفعل الذي بعده ، فيكون التقدير : وأعد للظالمين أعد لهم ، وهذا مذهب الجمهور ، وفيه خلاف ضعيف مذكور في النحو ، فتقول : بزيد مررت به ، ويكون التقدير : مررت بزيد مررت به ، ويكون من باب الاشتغال. والمحفوظ المعروف عن العرب نصب الاسم وتفسير مررت المتأخر ، وما أشبهه من جهة المعنى فعلا ماضيا.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٩١." (١)

"﴿أما من استغنى ﴾ : ظاهره من كان ذا ثروة وغنى. وقال الكلبي : عن الله. وقيل : عن الإيمان بالله. قيل : وكونه بمعنى الثروة لا يليق بمنصب النبوة ، ويدل على ذلك أنه لو كان من الثروة لكان المقابل : وأما من جاءك فقيرا حقيرا. وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة والأعرج وعيسى والأعمش وجمهور السبعة : ﴿تصدى ﴾ بخف الصاد ، وأصله يتصدى فحذف ؛ والحرميان : بشدها ، أدغم التاء في الصاد ؛ وأبو جعفر : تصدى ، بضم التاء وتخفيف الصاد ، أي يصدك حرصك على إسلامه. يقال : تصدى الرجل وصديته ، وهذا المستغنى هو الوليد ، أو أمية ، أو عتبة وشيبة ، أو أمية وجميع المذكورين في سبب النزول ، أقوال. قال القرطبي : وهذا كله غلط من المفسرين ، لأنه أمية والوليد كانا بمكة ، وابن أم مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما ، وماتا كافرين ، أحدهما قبل الهجرة والآخر في بدر ، ولم يقصد قط أمية المدينة ، ولا حضر معه مفردا ولا مع أحد. انتهى. والغلط من القرطبي ، كيف ينفي حضور ابن أم مكتوم معهما ؟ وهو وهم منه ، وكلهم من قريش ، وكان ابن أم مكتوم بها : والسورة كلها مكية بالإجماع. وكيف يقول : وابن أم مكتوم بالمدينة ؟ كان أولا بمكة ، ثم هاجر إلى المدينة ، وكانوا جميعهم بمكة حين نزول هذه الآية. وابن أم مكتوم هو عبد الله بن سرح بن مالك بن ربيعة الفهري ، من بني عامر بن لؤي ، وأم مكتوم أم أبيه عاتكة ، وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها.

٤٢٧

﴿وما عليك ألا يزكى ﴾ : تحقير لأمر الكافر وحض على الإعراض عنه وترك الاهتمام به ، أي : وأي شيء

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٠١/٨

عليك في كونه لا يفلح ولا يتطهر من دنس الكفر ؟ ﴿وأما من جآءك يسعى ﴾ : أي يمشي بسرعة في أمر دينه ، ﴿وهو﴾ : أي يخاف الله ، أو يخاف الكفار وأذاهم ، أو يخاف العثار والسقوط لكونه أعمى ، وقد جاء بلا قائد يقوده. ﴿عنه تلهى ﴾ : تشتغل ، يقال : لها عن الشيء يلهى ، إذا اشتغل عنه. قيل : وليس من اللهو الذي هو من ذوات الواو. انتهى. ويمكن أن يكون منه ، لأن ما يبنى على فعل من ذوات الواو وتنقلب واوه ياء لكسرة ما قبلها ، نحو : شقي يشقى ، فإن كان مصدره جاء بالياء ، فيكون من مادة غير مادة اللهو. وقرأ الجمهور : ﴿تلهى ﴾ ؛ والبزي عن ابن كثير : عنه وتلهى ، بإدغام تاء المضارعة في تاء تفعل ؛ وأبو جعفر : بضمها مبنيا للمفعول ، أي يشغلك دعاء الكافر للإسلام ؛ وطلحة : بتاءين ؛ وعنه بتاء واحدة وسكون اللام.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٢٦

﴿كلا إنها﴾ : أي سورة القرآن والآيات ، ﴿تذكرة﴾ : عظة ينتفع بها. ﴿فمن شآء ذكره﴾ : أي فمن شاء أن يذكر هذه الموعظة ذكره ، أتى بالضمير مذكرا لأن التذكرة هي الذكر ، وهي جملة معترضة تتضمن الوعد والوعيد ، ﴿فمن شآء اتخذ إلى ربها سبيلا﴾ ، واعترضت بين تذكرة وبين صفته ، أي تذكرة : كائنة. ﴿فى صحف﴾ ، قيل : اللوح المحفوظ ، وقيل : صحف الأولياء المنزلة ، وقيل : صحف المسلمين ، فيكون إخبارا بمغيب ، إذ لم يكتب القرآن في صحف زمان ، كونه عليه السلام بمكة ينزل عليه القرآن ، مكرمة عند الله ، ومرفوعة في السماء السابعة ، قاله يحيى بن سلام ، أو مرفوعة عن الشبه والتناقض ، أو مرفوعة المقدار. ﴿مطهرة﴾ : أي منزهة عن كل دنس ، قاله الحسن. وقال أيضا : مطهرة من أن تنزل على المشركين. وقال الزمخشري : منزهة عن أيدي الشياطين ، لا تمسها إلا أيدي ملائكة مطهرة. ﴿سفرة﴾ : كتبة ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ. انتهى. ﴿بأيدى سفرة﴾ ، قال ابن عباس : هم الملائكة لأنهم كتبة. وقال أيضا : لأنهم يسفرون بين الله تعالى وأنبيائه. وقال قتادة : هم القراء ، وواحد السفرة سافر. وقال وهب : هم الصحابة ، لأن بعضهم يسفر إلى بعض في الخير والتعليم والعلم.

﴿قتل الانسان مآ أكفره﴾ ، قيل : نزلت في عتبة بن أبي لهب ، غاضب أباه فأسلم ، ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالا وجهزه إلى الشام ، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كافر برب النجم إذا هوى. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال : "اللهم ابعث عليه كلبك يأكله". فلما انتهى إلى الغاضرة ذكر الدعاء ، فجعل لمن معه ألف دينار إن أصبح حيا ، فجعلوه وسط الرفقة والمتاع حوله. فأقبل الأسد إلى الرجال ووثب ، فإذا هو فوقه فمزقه ، فكان أبوه يندبه ويبكي عليه ، وقال : ما قال محمد شيئا قط إلا كان ، والآية

، وإن نزلت في مخصوص ، فالإنسان يراد به الكافر. وقتل دعاء عليه ، والقتل أعظم شدائد الدنيا. ﴿مآ أكفره﴾ ، الظاهر أنه تعجب من إفراط كفره ، والتعجب بالنسبة للمخلوقين ، إذ هو مستحيل في حق الله تعالى ، أي هو ممن يقال فيه ما أكفره. وقيل : ما استفهام توقيف ، أي : أي شيء أكفره ؟ أي جعله كافرا ، بمعنى لأي شيء يسوغ له أن يكفر.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٢٦

." (١)

"ثم جاء الأمر ثانيا تأنيسا له ، كأنه قيل : امض لما أمرت به ، وربك ليس مثل هذه الأرباب ، بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص. والأكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم ، إذ كرمه يزيد على كل كرم ينعم بالنعم التي لا تحصى ، ويحلم على الجاني ، ويقبل التوبة ، ويتجاوز عن السيئة. وليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال : ﴿اقرأ وربك الاكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم﴾ ، فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبه على أفضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو. وما دونت العلوم ، ولا قيدت الحكم ، ولا ضبطت أخبار الأولين ولا مقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل إلا أمر الخط والقلم لكفى به. ولبعضهم في الأقلام :

٤٩٢

ورواقم رقش كمثل أراقمقطف الخطانيا له أقصى المدى

سود القوائم ما يجد مسيرهاإلا إذا لعبت بها بيض المدى

انتهى. من كلام الزمخشري. ومن غريب ما رأينا تسمية النصارى بهذه الصفة التي هي صفة لله تعالى : الأكرم ، والرشيد ، وفخر السعداء ، وسعيد السعداء ، والشيخ الرشيد ، فيا لها مخزية على من يدعوهم بها. يجدون عقباها يوم عرض الأقوال والأفعال ، ومفعولا علم محذوفان ، إذ المقصود إسناد التعليم إلى الله تعالى. وقدر بعضهم ﴿الذى علمكم﴾ الخط ، ﴿بالقلم﴾ : وهي قراءة تعزى لابن الزبير ، وهي عندي على سبيل التفسير ، لا على أنها قرآن لمخالفتها سواد المصحف. والظاهر أن المعلم كل من كتب بالقلم. وقال الضحاك : إدريس ، وقيل : آدم لأنه أول من كتب. والإنسان في قوله : ﴿علم الانسان﴾ ، الظاهر أنه اسم

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٢١/٨

الجنس ، عدد عليه اكتساب العلوم بعد الجهل بها. وقيل : الرسول عليه الصلاة والسلام.
﴿كلا إن الانسان ليطغى ﴾ : نزلت بعد مدة في أبي جهل ، ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة ، ونهاه عن الصلاة في المسجد ؛ فروي أنه قال : لئن رأيت محمدا يسجد عند الكعبة لأطأن على عنقه. فيروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليه وانتهره وتوعده ، فقال أبو جهل : أيتوعدني محمد والله ما بالوادي أعظم ناديا مني. ويروى أنه هم أن يمنعه من الصلاة ، فكف عنه. ﴿كلا﴾ : ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه ، وإن لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه ، ﴿إن الانسان ليطغى ﴾ : أي يجاوز الحد ، ﴿أن رءاه استغنى ﴾ : الفاعل ضمير الإنسان ، وضمير المفعول عائد عليه أيضا ، ورأى هنا من رؤية القلب ، يجوز أن يتحد فيها الضميران متصلين فتقول : رأيتني صديقك ، وفقد وعدم بخلاف غيرها ، فلا يجوز : زيد ضربه ، وهما ضميرا زيد. وقرأ الجمهور : ﴿أن رءاه﴾ بألف بعد الهمزة ، وهي لام الفعل ؛ وقيل : بخلاف عنه بحذف الألف ، وهي رواية ابن مجاهد عنه ، قال : وهو غلط لا يجوز ، وينبغي أن لا يغلطه ، بل يتطلب له وجها ، وقد حذفت الألف في نحو من هذا ، قال :
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٩٢
وصاني العجاج فيما وصني
يريد : وصاني ، فحذف الألف ، وهي لام الفعل ، وقد حذفت في مضارع رأى في قولهم : أصاب الناس جهد ولو تر أهل مكة ، وهو حذف لا ينقاس ؛ لكن إذا صحت الرواية به وجب قبوله ، والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها. ﴿إن إلى ربك الرجعى ﴾ : أي الرجوع ، مصدر على وزن فعلى ، الألف فيه للتأنيث ، وفيه وعيد للطاغي المستغني ، وتحقير لما هو فيه من حيث ما آله إلى البعث والحساب والجزاء على طغيانه. ﴿أرءيت الذى ينهى * عبدا إذا صلى ﴾ : تقدم أنه أبو جهل. قال ابن عطية : ولم يختلف أحد من المفسرين أن الناهي أبو جهل ، وأن العبد المصلي وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى. وفي الكشاف ، وقال الحسن : هو أمية بن خلف ، كان ينهى سلمان عن الصلاة. وقال التبريزي : المراد بالصلاة هنا صلاة الظهر. قيل : هي أول جماعة أقيمت في الإسلام ، كان معه أبو بكر وعلي وجماعة من السابقين ، فمر به أبو طالب ومعه ابنه جعفر ، فقال له : صل جناح ابن عمك وانصرف مسرورا ، وأنشأ أبو طالب يقول :
إن عليا وجعفرا ثقتيعند ملم الزمان والكرب
والله لا أخذل النبي ولايخذله من يكون من حسبي

لا تخذلا وانصرا ابن عمكماأخي لأمي من بينهم وأبي

ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. والخطاب في ﴿أرءيت﴾ الظاهر أنه للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذا ﴿أرءيت﴾ الثاني ، والتناسق في الضمائر هو الذي يقتضيه النظم. وقيل : ﴿أرءيت﴾ خطاب للكافر التفت إلى الكافر فقال : أرأيت يا كافر ، إن كانت صلاته هدى ودعاء إلى الله وأمرا

٤٩٣

." (١)

"١٤٣

ذكرهما الزجاج في كتابه وقال بعضهم " ليس البر " أي ليس البار من يولي وجهه إلى المشرق والمغرب ولكن البار من آمن بالله

ثم ذكر في هذه الآية خمسة أشياء وهي من الإيمان فمن لم يقر بواحدة منها فقد كفر أحدها الإيمان بالله تعالى أنه واحد لا شريك له وصدق باليوم الآخر وبالبعث الذي فيه جزاء الأعمال وأنه كائن وأن أهل الثواب يصلون إلى الثواب وأهل العقاب يصلون إلى العقاب وصدق بالكتاب أنه منزل من الله تعالى يعني القرآن وسائر الكتب التوراة والإنجيل والزبور ويقر بالملائكة أنهم عباده ويقر بالنبيين أنهم رسله وأنبياؤه فهذه الخمسة من الإيمان فمن جحد واحدة منها فقد كفر

ثم ذكر الفضائل فقال " وءاتى المال على حبه " يعني يعطي المال على شهوته وجوعه وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويؤمل العيش ويقال " على حبه " الإعطاء بطيبة من نفسه يعطي " ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " يعني اﻟضيف النازل " والسائلين " الذين يسألون الناس " وفي الرقاب " يعني المكاتبين وقد قيل " وابن السبيل " هو المنقطع من ماله

ثم ذكر الفرائض فقال " وأقام الصلاة " المكتوبة " وآتى الزكاة " المفروضة " والموفون بعهدهم إذا عاهدوا " فيما بينهم وبين الله تعالى وفيما بينهم وبين الناس " والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس " قال القتبي " البأساء " الفقر وهو من البؤس " والضراء " المرض والزمانة " وحين البأس " يعني يصبرون عند الحرب وقال القتبي " البأس " الشدة ومنه يقال لا بأس عليك يعني لا شدة عليك يقال فلهذا سمي الحرب البأس لأن فيه شدة

ثم قال تعالى " أولئك الذين صدقوا " يعني صدقوا في إيمانهم " وأولئك هم المتقون " عن نقض العهد

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٦٩/٨

فإن قيل أيش معنى قوله " والصابرين في البأساء والضراء " وموضعه موضع رفع ولم يقل والصابرون قيل له قد قال بعض من تعسف في كلامه إن هذا غلط الكاتب حين كتبوا مصحف الإمام والدليل على ذلك ما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه نظر في المصحف فقال أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها وهكذا قال في سورة النساء " والمقيمين الصلوة " النساء ١٦٢ وفي سورة المائدة " والصابئون ") لكن الجواب عند أهل العلم أن يقال إنما صار نصبا للمدح والكلام يصير نصبا على المدح أو الذم ألا ترى إلى قول القائل

(نحن بني ضبة أصحاب الجمل ٪)

(ننازل الموت إذ الموت نزل ٪)." [1]

"٣٨١

" وأخذهم الربا " يعني حرم عليهم الحلال بكفرهم وبصرف الناس عن دين الله تعالى وبأخذهم الربا " وقد نهوا عنه " يعني عن أخذ الربا في التوراة " وأكلهم أموال الناس بالباطل " وهو أخذ الرشوة في الحكم " وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما " يعني هيأنا لهم عذابا وجيعا دائما

سورة النساء ١٦٢

قوله تعالى " لكن الراسخون في العلم منهم " يعني المبالغون في العلم الذين أدركوا علم الحقيقة وهم مؤمنو أهل الكتاب وذلك أن اليهود أنكروا وقالوا هذه الأشياء كانت حراما في الأصل وأنت تحلها ولم تكن حرمت بظلمنا فنزل " لكن الراسخون في العلم منهم " يصدقون بما أنزل إليك أنه الحق ويقال إن مؤمني أهل الكتاب يعلمون أن الذي أنزل إليك من القرآن هو الحق وأنك نبي مبعوث وهو مكتوب عندهم

ثم قال " والمؤمنون " يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم " يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك " يعني يصدقون بالقرآن وبالكتب التي أنزلت قبل القرآن

ثم وصفهم فقال " والمقيمين الصلاة " قال بعض الجهال هذا غلط من الكاتب حين كتب مصحف الإمام كان ينبغي أن يكتب والمقيمون فأوهم وكتب والمقيمين واحتج بما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ثلاثة أحرف في المصحف غلط من الكاتب قوله " والمقيمين الصلاة " وقوله " والصابئون والنصارى " وقوله " إن هذان لساحران " وروي عن عثمان أنه نظر في المصحف فقال أرى فيه لحنا وستقيمه العرب

---

(١) بحر العلوم.، ١٤٣/١

بألسنتها ولكن هذا بعيد عند أهل العلم والخبر لم يثبت عن عثمان ولا عن عائشة لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا حماة الدين والقدوة في الشرائع والأحكام فلا يظن بهم أنهم تركوا في كتاب الله تصحيفا يصلحه غيرهم وهم أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى في قوله " والمقيمين الصلاة " قال بعضهم يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة يعني بالنبيين المقيمين الصلاة وقال بعضهم " لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون " ومن المقيمين الصلاة " يؤمنون بما أنزل إليك "

ثم قال تعالى " والمؤتون الزكاة " يعني الذين يعطون الزكاة المفروضة " والمؤمنون بالله واليوم الآخر " يعني المقرون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت ثم قال " أولئك " يعني أهل هذه الصفة " سنؤتيهم أجرا عظيما " يعني يعطيهم الله في الآخرة ثوابا عظيما هو الجنة قرأ حمزة " سيؤتيهم " بالياء وقرأ الباقون بالنون سورة النساء." (١)

"٥٦٨

يعني بالقرآن فهذا منة من الله تعالى حيث خاطبهم بلغتهم ليفهموه وقال القتبي في قوله " على بعض الأعجمين " يقال رجل أعجمي إذا كان في لسانه عجمة وإن كان من العرب ورجل عجمي بغير ألف إذا كان من العجم وإن كان فصيح اللسان

سورة الشعراء ٢٠٠ - ٢٠٧

ثم قال عز وجل "كذلك سلكناه " يعني جعلنا التكذيب بالقرآن " في قلوب المجرمين " يعني المشركين مجازاة لهم أي طبع على قلوبهم وسلك فيها التكذيب ويقال جعل حلاوة الكفر في قلوبهم " لا يؤمنون " يعني بالقرآن ويقال بمحمد صلى الله عليه وسلم " حتى يروا العذاب الأليم " في الدنيا والآخرة " فيأتيهم بغتة " يعني يأتيهم العذاب فجأة " وهم لا يشعرون " به فيتمنون الرجعة والنظرة " فيقولوا هل نحن منظرون " فلما وعدهم العذاب قالوا فأين العذاب تكذيبا به يقول الله تعالى " أفبعذابنا يستعجلون " يعني أبمثل عذابنا يستهزئون ثم قال " أفرأيت إن متعناهم سنىن " يعني سنين الدنيا كلها ويقال سنين كثيرة " ثم جاءهم ما كانوا يوعدون " من العذاب

قال عز وجل " ما أغنى عنهم " يعني ما ينفعهم " ما كانوا يمتعون " في الدنيا

سورة الشعراء ٢٠٨ - ٢١٣

ثم خوفهم فقال " وما أهلكنا من قرية " يعني من أهل قرية فيما خلا " إلا لها منذرون " يعني رسلا ينذرونهم

---

(١) بحر العلوم.، ٣٨١/١

" ذكرى " يعني العذاب تذكرة وتفكرا قال بعضهم إن " ذكرى " في موضع النصب وقال بعضهم في موضع رفع أما من قال في موضع النصب فيقول لها منذرون يذكرونهم ذكرى يعني يعظونهم عظة ومن قال إنه في موضع رفع فيقول لها منذرون هم ذكرى " وما كنا ظالمين " يعني بإهلاكنا إياهم

ثم قال عز وجل " وما تنزلت به الشياطين " روي عن الحسن أنه قرأ " وما تنزلت به الشياطنون " شبهه بقوله كافرون ومسلمون قال أبو عبيدة وهذا وهم لأن واحدها شيطان والنون فيه أصليه أما مسلمون وكافرون فالنون فيهما زائدة في الجمع لأن واحدهما مسلم وكافر وقال بعضهم هذا غلط على الحسن لأنه كان فصيحا لا يخفى عليه وإنما الغلط من الراوي ومعنى الآية أن المشركين كانوا يقولون إن الشيطان هو الذي يقرأ عليه قال الله." (١)

"٤

ذود فبايعه فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة إلى المدينة مهاجرا أتاه فلزمه فكفل له عبد الرحمن بن أبي بكر

فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه محمد بن أبي بكر فلزمه فأعطاه كفيلا ثم خرج إلى أحد فظهرت الروم على فارس عام الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين فذلك قوله " ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله "

وروى أسباط عن السدي عن أصحابه قال اقتتلت فارس والروم فغلبتهم فارس ففخر أبو سفيان بن حرب على المسلمين وقال الذين ليس لهم كتاب غلبوا على الذين لهم كتاب فشق ذلك على المسلمين فلقي أبو بكر رضي الله عنه أبا سفيان فقامره على أن الروم ستغلب فارس إلى ثلاث سنين فقامره على ثلاثة أبكار ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له (انطلق فزد في الجعل وزد في السنين)

فزايده إلى سبع سنين على سبعة أبكار

فالتقى الروم وفارس فغلبتهم الروم وظهر عليهم هرقل ، فجاءه جبريل عليه السلام بهزيمة فارس وظهور الروم عليهم ووافق ذلك يوم بدر وظهور النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين ففرح المؤمنون بظهورهم على المشركين وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك

ويقال عن أهل الروم كانوا أهل كتاب وكان المسلمون يرجون إسلامهم وأهل فارس كانوا مجوسا فكان المسلمون لا يرجون إسلامهم وكانوا يحزنون لغلبة فارس عليهم فنزل " الم غلبت الروم في أدنى الأرض "

---

(١) بحر العلوم ، ٢/٥٦٨

يعني أقرب الأرض إلى أرض فارس " وهم من بعد غلبهم سيغلبون " روي عن الفراء أنه قال يعني من بعد غلبتهم ولكن عند الإضافة سقطت الهاء كما قال " وإقام الصلوة " الأنبياء٧٣ ولم يقل وإقامة الصلاة

وقال الزجاج هذا غلط وإنا يجوز ذلك في المعتل خاصة والغلب والغلبة كلاهما مصدر

و " سيغلبون في بضع سنين " يعني إلى خمس سنين ويقال إلى سبع سنين

روي عن أبي عبيدة أنه قال البضع من واحد إلى أربعة

وقال القتبي البضع ما فوق الثلاثة إلى دون العشرة

وقال مجاهد البضع ما بين الثلاث إلى التسع ويقال " من بعد غلبهم " وهذا اللفظ يكون للغالبين وللمغلوبين كقولهم من بعد قتلهم ثم قال عز وجل " لله الأمر من قبل ومن بعد " يعني لله الأمر حين غلبت الروم فارس " ومن بعد " يعني حين غلبت الروم فارس

ولفظ القبل والبعد إذا كان في آخر الكلام يكون رفعا على معنى الإضافة للغاية ولو كان إضافة إلى شيء يكون خفضا كقولك من بعدهم ومن قبلهم." (١)

"١٥١

لتدارك كلام غلط فيه

تقول رأيت زيدا بل عمروا

والثاني أن يكون لترك شيء وأخذ غيره من الكلام كقوله " بل الذين كفروا في عزة وشقاق "

ثم خوفهم فقال عز وجل " كم أهلكنا من قبلهم من قرن " يعني من أمة " فنادوا " يعني فنادوا في الدنيا واستغاثوا " ولات حين مناص " يعني وليس تحين فرار

قال الكلبي وكانوا إذا قاتلوا قال بعضهم لبعض " ولات حين مناص " يقول احمل حملة واحدة فينجو من نجا ويهلك من هلك

فلما أتاهم العذاب قالوا " مناص " مثل ما كانوا يقولون

فقال الله تعالى لهم ليس بحين فرار وهي لغة اليمن

وقال القتبي النوص التأخر والبوص التقدم في كلام العرب

وروى معمر عن قتادة في قوله " فنادوا ولات حين مناص " قال نادوا على غير حين النداء

وقال عكرمة نادوا وليس تحين انفلات

---

(١) بحر العلوم . ، ٤/٣

وقال أبو عبيدة اختلفوا في الوقف فقال بعضهم يوقف عند قوله " ولات " يم يبتدئ " تحين مناص " على خط الكتاب

والذي عندن ا أن الوقف عند قوله ولا ثم يبتدأ حين مناص

لأنا لا نجد في اليوم شيء من كلام العرب ولات أما المعروف لا ولأن تفسير ابن عباس يشهد لها وذلك أنه قال ليس تحين فرار وليس هي أخت لا ولا بمعناها

قال أبو عبيدة ومع هذا تعمدت النظر في الذي يقال له مصحف الإمام وهو مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجدت التاء متصلة مع حين

سورة ص ٤ – ٧

ثم قال عز وجل " وعجبوا أن جاءهم منذر منهم " يعني مخوف منهم ورسول منهم يعني من العرب وهو محمد صلى الله عليه وسلم " وقال الكافرون هذا ساحر كذاب " يكذب على الله تعالى أنه رسوله " أجعل الآلهة إلها واحدا " يعني كيف يتسع لحاجتنا إله واحد " إن هذا لشيء عجاب " يعني لأمر عجيب والعرب تحول فعيلا إلى فعال وههنا أصله شيء عجيب كما قال في سورة ق " عجيب " [هود ٧٢ ، ق ٢] " وانطلق الملأ منهم " قال الفقيه أبو الليث رحمه الله أخبرنا الثقة بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما مرض أبو طالب دخل عليه نفر من قريش فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويقول ويقول ويفعل ويفعل فأرسل إليه فانهه عن ذلك فلما فأرسل إليه أبو طالب قام النبي صلى الله عليه وسلم وجاء إلى عمه أبي طالب وكان إلى جنب أبي طالب موضع رجل فخشي أبو جهل إن جاء النبي صلى الله عليه وسلم يجلس إلى جنب عمه أن يكون أرق له عليه فوثب أبو جهل فجلس في ذلك المجلس فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم لم يجد مجلسا إلا عند الباب

فلما دخل قال له أبو طالب يا ابن أخي إن قومك." (١)

"اعلم أن القصد إلى إيجاز العبارة قد يسوق المتكلم في التفسير إلى أن يقول خاطب الله بهذه الآية المؤمنين وشرف الله بالذكر الرجل المؤمن من آل فرعون وحكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت قصيه ووقف الله ذرية آدم على ربوبيته بقوله (ألست بربكم) الأعراف ١٧٢ ونحو هذا من إسناد أفعال إلى الله تعالى لم يأت إسنادها بتوقيف من الشرع

وقد استعمل هذه الطريقة المفسرون والمحدثون والفقهاء واستعملها أبو المعالي في الإرشاد وذكر بعض

---

(١) بحر العلوم. ، ١٥١/٣

الأصوليين أنه لا يجوز أن يقال حكى الله ولا ما جرى مجراه

قال القاضي أبو محمد عبد الحق وهذا على تقرير هذه الصفة له وثبوتها مستعملة كسائر أوصافه تبارك وتعالى وأما إذا استعمل ذلك في سياق الكلام والمراد منه حكت الآية أو اللفظ فذلك استعمال عربي شائع وعليه مشى الناس وأنا أتحفظ منه في هذا التعليق جهدي لكني قدمت هذا الباب لما عسى أن أقع فيه نادرا واعتذارا عما وقع فيه المفسرون من ذلك

وقد استعملت العرب أشياء في ذكر الله تعالى تنحمل على مجاز كلامها فمن ذلك قول أبي عامر يرتجز بالنبي صلى الله عليه وسلم فاغفر فداء لك ما اقتفينا

وقول أم سلمة فعزم الله لي في الحديث في موت أبي سلمة وإبدال الله لها منه رسول الله

ومن ذلك قولهم الله يدري كذا وكذا والدراية إنما هي التأتي للعلم بالشيء حتى يتيسر ذلك

قال أبو علي واحتج بعض أهل النظر على جواز هذا الإطلاق بقول الشاعر الجوهري

(لاهم لا أدري وأنت الداري

) " الرجز "

قال أبو علي وهذا لا ثبت فيه لأنه يجوز أن يكون من غلط الاعراب

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه وكذلك أقول إن الطريقة كلها عربية لا يثبت للنظر المنخول شيء منها

وقد أنشد بعض البغداديين

(لا هم إن كنت الذي بعهدي

ولم تغيرك الأمور بعدي) " الرجز "

وقد قال العجاج فارتاح ربي

وأراد رحمتي

وقال الآخر قد يصبح الله إمام الساري

٥٥

وقال الآخر

(يا فقعسي لم أكلته لمة

لو خافك الله عليه حرمه)

وقال أوس

(أبني لبينى لا أحبكم

وجد الإله بكم كما أجد)

وقال الآخر

(وإن الله ذاق عقول تيم

فلما راء خفتها قلاها)

ومن هذا الاستعمال الذي يبنى الباب عليه قول سعد بن معاذ عرق الله وجهك في النار يقول هذا للرامي الذي رماه وقال خذها وأنا ابن العرقة

وفي هذه الأمثلة كفاية فيما نحوناه إذ النظير لذلك كثير موجود وإن خرج شيء من هذه على حذف مضاف فذلك متوجه في الاستعمال الذي قصدنا الاعتذار عنه والله المستعان

٥٦

باب في تفسير أسماء القرآن وذكر السورة والآية

هو القرآن وهو الكتاب وهو الفرقان وهو الذكر فالقرآن مصدر من قولك قرأ الرجل إذا تلا يقرأ قرآنا وقراءة وحكى أبو زيد الأنصاري وقرءا

." (١)

"قال أبو علي كان أبو عمرو يفتح ياء الإضافة المكسور ما قبلها عند الهمزة المفتوحة والمكسورة إذا كانت متصلة باسم أو بفعل ما لم يطل الحرف فإنه يثقل فتحها نحو قوله تعالى " ولا تفتني ألا " التوبة ٤٩ وقوله تعالى " فاذكروني أذكركم " البقرة ١٥٢ والذي يخف " إني أرى " الأنفال ٤٨ يوسف٤٣ الصافات ١٠٢ و " أجري إلا على الله " يونس ٧٢ هود ٢٩ سبأ ٤٧

وقوله تعالى " أعلم غيب السموات والأرض " معناه ما غاب عنكم لأن الله لا غيب عنده من معلوماته وما في موضع نصب بأعلم

قال المهدوي ويجوز أن يكون قوله " أعلم " اسما بمعنى التفضيل في العلم فتكون " ما " في موضع خفض بالإضافة

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه فإذا قدر الأول اسما فلا بد بعده من إضمار فعل ينصب

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٠/١

" غيب " تقديره إني أعلم من كل أعلم غيب وكونها في الموضعين فعلا مضارعا أخصر وأبلغ

واختلف المفسرون في قوله تعالى " ما تبدون وما كنتم تكتمون " فقالت طائفة ذلك على معنى العموم في معرفة أسرارهم وظواهرهم وبواطنهم أجمع

وحكى مكي أن المراد بقول " ما تبدون " قولهم " أتجعل فيها " الآية

وحكى المهدوي أن " ما تبدون " قولهم ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق أعلم منا ولا أكرم عليه فجعل هذا مما أبدوه لما قالوه

وقال الزهراوي ما أبدوه هو بدارهم بالسجود لآدم

واختلف في المكتوم فقال ابن عباس وابن مسعود المراد ما كتمه إبليس في نفسه من الكبر والكفر ويتوجه قوله " تكتمون " للجماعة والكاتم واحد في هذا القول على تجوز العرب واتساعها كما يقال لقوم قد جنى سفيه منهم أنتم فعلتم كذا أي منكم فاعله

قال القاضي أبو محمد رحمه الله وهذا مع قصد تعنيف ومنه قوله تعالى " إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون " الحجرات ٤ وإنما ناداه منهم عيينة وقيل الأقرع وقال قتادة المكتوم هو ما أسره بعضهم إلى بعض من قولهم ليخلق ربنا ما شاء فجعل هذا فيما كتموه لما أسروه " وإذ " من قوله " وإذ قلنا " معطوف على " إذ " المتقدمة

وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرر قديم في الأزل بشرط وجودهم وفهمهم وهذا هو الباب كله في أوامر الله سبحانه ونواهيه ومخاطباته و " قلنا "كناية العظيم عن نفسه بلفظ الجمع وقوله للملائكة عموم فيهم

١٢٤

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع للملائكة اسجدوا برفع تاء للملائكة إتباعا لضمة ثالث المستقبل

قال أبو علي وهذا خطأ

وقال الزجاج أبو جعفر من رؤساء القرأة ولكنه **غلط** في هذا

". (١)

"قال الكسائي " السلوى " واحدة جمعها سلاوي " والسلوى " اسم مقصور لا يظهر فيه الإعراب لأن آخره ألف والألف حرف هوائي أشبه الحركة فاستحالت حركته ولو حرك لرجع حرفا آخر وقد **غلط**

---

(١) المحرر الوجيز ـ ، ١٠٧/١

الهذلي فقال
(وقاسمها بالله عهدا لأنتم
ألذ من السلوى إذا ما نشورها) " الطويل "
ظن السلوى العسل
وقوله تعالى "كلوا " الآية معناه وقلنا كلوا فحذف اختصارا لدلالة الظاهر عليه والطيبات هنا قد جمعت الحلال واللذيذ
وقوله تعالى " وما ظلمونا " يقدر قبله فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر والمعنى وما وضعوا فعلهم في موضع مضرة لنا ولكن وضعوه في موضع مضرة لهم حيث لا يجب
وقال بعض المفسرين " ما ظلمونا " ما نقصونا والمعنى يرجع إلى ما لخصناه و " القرية " المدينة تسمى بذلك لأنها تقرت أي اجتمعت ومنه قريت الماء في الحوض أي جمعته والإشارة بهذه إلى بيت المقدس في قول الجمهور وقيل إلى أريما
وهي قريب من بيت المقدس
قال عمر بن شبة كانت قاعدة ومسكن ملوك ولم خرج ذرية بني إسرائيل من التيه أمروا بدخول القرية المشار إليها
وأما الشيوخ فماتوا فيه وروي أن موسى صلى الله عليه وسلم مات في التيه وكذلك هارون عليه السلام
وحكى الزجاج عن بعضهم أن موسى وهارون لم يكونا في التيه لأنه عذاب والأول أكثر و "كلوا " إباحة
وقد تقدم معنى الرغد وهي أرض مباركة عظيمة الغلة فلذلك قال " رغدا "
و " الباب " قال مجاهد هو باب في مدينة بيت المقدس يعرف إلى اليوم بباب حطة وقيل هو باب
١٥٠
القبة التي كان يصلي إليها موسى صلى الله عليه وسلم
وروي عن مجاهد أيضا أنه باب في الجبل الذي كلم عليه موسى كالفرضة
و " سجدا " قال ابن عباس رضي الله عنه معناه ركوعا وقيل متواضعين خضوعا لا على هيئة معينة والسجود يعم هذا كله لأنه التواضع ومنه قول الشاعر
(ترى الأكم فيه سجدا للحوافر
) " الطويل "

وروي أن الباب خفض لهم ليقصر ويدخلوا عليه متواضعين و " حطة " فعلة من حط يحط ورفعه على خبر ابتداء كأنهم قالوا سؤالنا حطة لذنوبنا هذا تقدير الحسن بن أبي الحسن

وقال الطبري التقدير دخولنا الباب كما أمرنا حطة وقيل أمروا أن يقولوا مرفوعة على هذا اللفظ

وقال عكرمة وغيره أمروا أن يقولوا لا إله إلا الله لتحط بها ذنوبهم

وقال ابن عباس قيل لهم استغفروا وقولوا ما يحط ذنوبكم

وقال آخرون قيل لهم أن يقولوا هذا الأمر حق كما أعلمنا

وهذه الأقوال الثلاثة تقتضي النصب

وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة حطة بالنصب

وحكي عن ابن مسعود وغيره أنهم أمروا بالسجود وأن يقولوا " حطة " فدخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون حنطة حبة حمراء في شعرة ويروى غير هذا من الألفاظ

وقرأ نافع يغفر بالياء من تحت مضمومة

." (١)

"ثم ضعف أبو علي هذا القياس وقال إن سيبويه لا يرى جمع الجمع مطردا فينبغي أن لا يقدم عليه حتى يرد سماعا

وقوله عز وجل " مقبوضة " يقتضي بينونة المرتهن بالرهن وأجمع الناس على صحة قبض المرتهن وكذلك على قبض وكيله فيما علمت

واختلفوا في قبض عدل يوضع الرهن على يديه فقال مالك وجميع أصحابه وجمهور العلماء قبض العدل قبض وقال الحكم بن عتيبة وأبو الخطاب قتادة بن دعامة وغيرهما ليس قبض العدل بقبض وقول الجمهور أصح من جهة المعنى في الرهن

وقوله تعالى " فإن أمن " الآية شرط ربط به وصية الذي عليه الحق بالأداء وقوله " فليؤد " أمر بمعنى الوجوب بقرينة الإجماع على وجوب أداء الديون وثبوت حكم الحاكم به وجبره الغرماء عليه وبقرينة الأحاديث الصحاح في تحريم مال الغير وقوله " أمانته " مصدر سمي به الشيء الذي في الذمة وأضافها إلى الذي عليه الدين من حيث لها إليه نسبة ويحتمل أن يريد بالأمانة نفس المصدر كأنه قال فليحفظ مروءته فيجيء التقدير فليؤد ذا أمانته وقرأ عاصم فيما روى عنه أبو بكر الذي اؤتمن برفع الألف ويشير بالضم إلى الهمزة

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١/١٣٠

قال أحمد بن موسى وهذه الترجمة **غلط** وقرأ الباقون بالذال مكسورة وبعدها همزة ساكنة بغير إشمام وهذا هو الصواب الذي لا يجوز غيره وروى سليم عن حمزة إشمام الهمزة الضم وهذا خطأ أيضا لا يجوز وصوب أبو علي هذا القول كله الذي لأحمد بن موسى واحتج له وقرأ ابن محيصن الذي ايتمن بياء ساكنة مكان الهمزة وكذلك ما كان مثله

وقوله تعالى " ولا تكتموا الشهادة " نهي على الوجوب بعدة قرائن منها الوعيد وموضع النهي هو حيث يخاف الشاهد ضياع حق وقال ابن عباس على الشاهد أن يشهد حيثما استشهد ويخبر حيثما استخبر قال ولا تقل أخبر بها عند الأمير بل أخبره بها لعله يرجع ويرعوي

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه وهذا عندي بحسب قرينة حال الشاهد والمشهود فيه وان نازلة لا سيما مع فساد الزمن وأرذال الناس ونفاق

الحيلة وأعراض الدنيا عند الحكام فرب شهادة إن صرح بها في غير موضع النفوذ كانت سببا لتخدم باطلا بنطمس به الحق و " آثم " معناه قد تعلق به الحكم اللاحق عن المعصية في كتمان الشهادة وإعرابه أنه خبر إن و " قلبه " فاعل ب " آثم " ويجوز أن يكون ابتداء و " قلبه " فاعل يسد مسد الخبر والجملة خبر إن ويجوز أن يكون " قلبه " بدلا على بدل البعض من الكل

وخص الله تعالى ذكر القلب إذ الكتم من أفعاله وإذ هو المضغة التي بصلاحها يصلح الجسد كما قال عليه السلام وقرأ ابن أبي عبلة " فإنه آثم قلبه " بنصب الباء قال مكي هو على التفسير ثم ضعفه من أجل أنه معرفة

وفي قوله تعالى " والله بما تعملون عليم " توعد وإن كان لفظها يعم الوعيد والوعد

٣٨٩

". (١)

"قال أبو محمد وهذا الاستهام غير الأول هذا المراد منه دفعها والأول المراد منه أخذها ومضمن هذه الرواية أن زكرياء كفلها من لدن طفولتها دون استهام لكن أمها هلكت وقد كان أبوها هلك وهي في بطن أمها فضمها زكرياء إلى نفسه لقرابتها من امرأته وهكذا قال ابن إسحاق والذي عليه الناس أن زكرياء إنما كفل بالاستهام لتشاحهم حينئذ فيمن يكفل المحرر وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر " وكفلها زكرياء " مفتوحة الفاء خفيفة زكرياء مرفوعا ممدودا وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وكفلها مشدد الفاء ممدودا

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٨٧/١

منصوبا في جميع القرآن وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص كفلها مشددة الفاء مفتوحة زكريا مقصورا في جميع القرآن وفي رواية أبي بن كعب وأكفلها زكرياء بفتح الفاء على التعدية بالهمزة وقرأ مجاهد فتقبلها بسكون اللام على الدعاء ربها بنصب الباء على النداء وأنبتها بكسر الباء على الدعاء وكفلها بكسر الفاء وشدها على الدعاء زكرياء منصوبا ممدودا وروي عن عبد الله بن كثير وأبي عبد الله المزني وكفلها بكسر الفاء خفيفة وهي لغة يقال كفل يكفل بضم العين في المضارع وكفل بكسر العين يكفل بفتحها في المضارع زكرياء اسم أعجمي يمد ويقصر قال أبو علي لما عرب صادق العربية في بنائه فهو كالهيجاء تمد وتقصر قال الزجاج فأما ترك صرفه فلأن فيه في المد ألفي تأنيث وفي القصر ألف التأنيث قال أبو علي ألف زكرياء ألف تأنيث ولا يجوز أن تكون ألف إلحاق لأنه ليس في الأصول شيء على وزنه ولا يجوز أن تكون منقلبة ويقال في لغة زكرى منون معرب قال أبو علي هاتان ياءا نسب ولو كانتا اللتين في " زكريا " لوجب ألا ينصرف الاسم للعجمة والتعريف وإنما حذفت تلك وجلبت ياء النسب وحكى أبو حاتم زكرى بغير صرف وهو **غلط** عند النحاة ذكره مكي

وقوله تعالى "كلما " ظرف والعامل فيه " وجد " و " المحراب " المبنى الحسن كالغرف والعلالي ونحوه ومحراب القصر أشرف ما فيه ولذلك قيل

لأشرف ما في المصلى وهو موقف الإمام محراب وقال الشاعر وضاح اليمن

(ربة محراب إذا جئتها

لم ألقها أو أرتقي سلما) " السريع "

ومثل قول الآخر عدي بن زيد

(كدمى العاج في المحاريب أو كالبيض

في الروض زهره مستنير) " الخفيف "

". (١)

"قبل هذه الآية متروك به يتم اتساق الآيات تقديره فجاء عيسى عليه السلام كما بشر الله به فقال جميع ما ذكر لبني إسرائيل " فلما أحس " ومعنى أحس علم من جهة الحواس بما سمع من أقوالهم في تكذيبه ورأى من قرائن الأحوال وشدة العداوة والإعراض يقال أحسست بالشيء وحسيت به أصله حسست فأبدلت إحدى السينين ياء " والكفر " هو التكذيب به وروي أنه رأى منهم إرادة قتله فحينئذ طلب النصر

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١/٤٣٤

والضمير في " منهم " لبني إسرائيل وقوله تعالى " قال من أنصاري إلى الله " عبارة من حال عيسى في طلبه من يقوم بالدين ويؤمن بالشرع ويحميه كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل ويتعرض للأحياء في المواسم وهذه الأفعال كلها وما فيها من أقوال يعبر عنها يقال " من أنصاري إلى الله " ولا شك أن هذه الألفاظ كانت في جملة أقواله للناس والأنصار جمع نصير كشهيد وأشهاد وغير ذلك وقيل جمع ناصر كصاحب وأصحاب وقوله " إلى الله " يحتمل معنيين أحدهما من ينصرني في السبيل إلى الله فتكون " إلى " دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها والمعنى الثاني أن يكون التقدير من يضيف نصرته إلى نصرة الله لي فيكون بمنزلة قوله " ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم " النساء ١ فإذا تأملتها وجدت فيها معنى الغاية لأنها تضمنت إضافة شيء إلى شيء وقد عبر عنها ابن جريج والسدي بأنها بمعنى مع ونعم إن مع تسد في هذه المعاني مسد إلى لكن ليس يباح من هذا أن يقال إن " إلى " بمعنى مع حتى غلط في ذلك بعض الفقهاء في تأويل قوله تعالى " وأيديكم إلى المرافق " المائدة ٦ فقال " إلى " بمعنى مع وهذه عجمة بل " إلى " في هذه الآية غاية مجردة وينظر هل يدخل ما بعد إلى فيما قبلها من طريق آخر و " الحواريون " قوم مر بهم عيسى عليه السلام فدعاهم إلى نصره واتباع ملته فأجابوه وقاموا بذلك خير قيام وصبروا في ذات الله وروي أنه مر بهم وهم يصطادون السمك واختلف الناس لم قيل لهم " الحواريون "

فقال سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض ثيابهم ونقائها وقال أبو أرطأة سموا بذلك لأنهم كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها وقال قتادة الحواريون أصفياء الأنبياء الذين تصلح لهم الخلافة وقال الضحاك نحوه

قال الفقيه الإمام أبو محمد وهذا تقرير حال القوم وليس بتفسير اللفظة وعلى هذا الحد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته بهم في قوله وحواري الزبير والأقوال الأولى هي تفسير اللفظ إذ هي من الحور وهو البياض حورت الثوب بيضته ومنه الحواري وقد تسمي العرب النساء الساكنات في الأمصار الحواريات لغلبة البياض عليهن ومنه قول أبي جلدة اليشكري

(فقل للحواريات يبكين غيرنا

ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح)

". (١)

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١/٤٥٥

"ويكون قوله " هدى الله " بدلا من الهدى وهذا في المعنى قريب من الذي قبله وقال ابن جريج قوله تعالى " أن يؤتى " هو من قول محمد صلى الله عليه وسلم لليهود وتم الكلام في قوله " أوتيتم " قوله تعالى " أو يحاجوكم " متصل بقول الطائفة " ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم " ومنه وهذا القول يفسر معانيه ما تقدم في قول غيره من التقسيم والله المستعان

وقرأ ابن مسعود أن يحاجوكم بدل " أو " وهذه القراءة تلتئم مع بعض المعاني التي تقدمت ولا تلتئم مع بعضها وقوله " عند ربكم " يجيء في بعض المعاني على معنى عند ربكم في الآخرة ويجيء في بعضها على معنى عند كتب ربكم والعلم الذي جعل في العباد فأضاف ذلك إلى الرب تشريفا وكأن المعنى أو يحاجوكم عند الحق وقرأ الحسن إن يؤتى أحد بكسر الهمزة والتاء على إسناد الفعل إلى " أحد " والمعنى أن إنعام الله لا يشبه إنعام أحد من خلقه وأظهر ما في القراءة أن يكون خطابا من محمد صلى الله عليه وسلم لأمته والمفعول محذوف تقديره إن يؤتي أحد أحدا

سورة آل عمران ٧٣ - ٧٤

في قوله تعالى " قل إن الفضل بيد الله " إلى قوله " العظيم " تكذيب لليهود في قولهم نبوءة موسى مؤبدة ولن يؤتي الله أحدا مثل ما آتى بني إسرائيل من النبوة والشرف وسائر ما في الآية من لفظة " واسع " وغير ذلك قد تقدم نظيره

ثم أخبر تعالى عن أهل الكتاب أنهم قسمان في الأمانة ومقصد الآية ذم الخونة منهم والتفنيد لرأيهم وكذبهم على الله في استحلالهم أموال العرب وفي قراءة أبي بن كعب تيمنه بتاء وياء في الحرفين وكذلك تيمنا في يوسف قال أبو عمرو الداني وهي لغة تميم

قال القاضي وما أراها إلا لغة قرشية وهي كسر نون الجماعة كنستعين وألف المتكلم كقول ابن عمر لا إخاله وتاء المخاطب كهذه الآية ولا يكسرون الياء في الغائب وبها قرأ أبي بن كعب في تيمنا وابن مسعود والأشهب العقيلي وابن وثاب وقد تقدم القول في القنطار في صدر السورة وقرأ

جمهور الناس يؤده إليك بكسر الهاء التي هي ضمير القنطار وكذلك في الأخرى التي هي ضمير الدينار واتفق أبو عمرو وحمزة وعاصم والأعمش على إسكان الهاء وكذلك كل ما أشبهه في القرآن نحو " نصله جهنم " النساء ١١٥ و " نؤته " " نوله " إلا حرفا حكي عن أبي عمرو أنه كسره وهو قوله تعالى " فألقه إليهم " النمل ٢٨ قال أبو إسحاق وهذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بين لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن في الوصل وأما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة فغلط

٤٥٨

". (١)

"عليه كما غلط عليه في بارئكم وقد حكى عنه سيبويه وهو ضابط لمثل هذا أنه يكسر كسرا خفيفا

والقنطار في هذه الآية مثال للمال الكثير يدخل فيه أكثر من القنطار وأقل وأما الدينار فيحتمل أن يكون كذلك مثالا لما قل ويحتمل أن يريد طبقة لا تخون إلا في دينار فما زاد ولم يعن لذكر الخائنين في أقل إذا هم طغام حثالة وقرأ جمهور الناس دمت بضم الدال وقرأ ابن وثاب والأعمش وأبو عبد الرحمن السلمي وابن أبي ليلى والفياض بن غزوان وغيرهم دمت ودمتم بكسر الدال في جميع القرآن قال أبو إسحاق من قولهم دمت تدام نمت تنام وهي لغة ودام معناه ثبت على حال ما والتدويم على الشيء الاستدارة حول الشيء ومنه قول ذي الرمة

(والشمس حيرى لها في الجو تدويم

) " البسيط "

والدوام الدوار يأخذ في رأس الإنسان فيرى الأشياء تدور له وتدويم الطائر في السماء هو ثبوته إذا صف واستدار والماء الدائم وغيره هو الذي كأنه يستدير حول مركزه وقوله " قائما " يحتمل معنيين قال الزجاج وقتادة ومجاهد معناه قائما على اقتضاء دينك

قال الفقيه الإمام أبو محمد يريدون بأنواع الاقتضاء من الحفز والمرافعة إلى الحكام فعلى هذا التأويل لا تراعى هيئة هذا الدائم بل اللفظة من قيام المرء على أشغاله أي اجتهاده فيها وقال السدي وغيره " قائما " في هذه الآية معناه قائما على رأسه على الهيئة المعروفة وتلك نهاية الحفز لأن معنى ذلك أنه في صدر شغل آخر يريد أن يستقبله وذهب إلى هذا التأويل جماعة من الفقهاء وانتزعوا من الآيات جواز السجن لأن الذي يقوم عليه غريمه فهو يمنعه من تصرفاته في غير القضاء ولا فرق بين المنع من التصرفات وبين السجن وهذه الآية وما بعدها نزلت فيما روي بسبب أن جماعة من العرب كانت لهم ديون في ذمم قوم من أهل الكتاب فلما أسلم أولئك العرب قالت لهم اليهود نحن لا نؤدي إليكم شيئا حين فارقتم دينكم الذي كنتم عليه فنزلت الآية في ذلك وروي أن بني إسرائيل كانوا

يعتقدون استحلال أموال العرب لكونهم أهل أوثان فلما جاء الإسلام وأسلم من أسلم من العرب بقي اليهود فيهم على ذلك المعتقد فنزلت الآية حامية من ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا كل شيء

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤٧٣/١

من أمر الجاهلية فهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر)
سورة آل عمران ٧٥ - ٧٧
الإشارة ب " ذلك " إلى كونهم لا يؤدون الأمانة في دينار فما فوقه على أحد التأويلين والضمير في
٤٥٩
." (١)

"والمعنى الثالث أن يكون الفعل من أخاف والمعنى من الذين يخافون بأوامر الله ونواهيه ووعيده وزجره فيكون ذلك مدحا لهم على نحو المدح في قوله تعالى " أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى " وقوله تعالى " أنعم الله عليهما " صفة للرجلين والباب هو باب مدينة الجبارين فيما ذكر المفسرون والمعنى اجتهدوا وكافحوا حتى تدخلوا الباب وقوله " فإنكم غالبون " ظن منهما ورجاء وقياس أي إنكم بذلك تفتون في أعضادهم ويقع الرعب في قلوبهم فتغلبونهم وفي قراءة ابن مسعود عليهما ويلكم ادخلوا
وقولهما " وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين " يقتضي أنهما استرابا بإيمانهم حين رأياهم يعصون الرسول ويجبنون مع وعد الله تعالى لهم بالنصر
ثم إن بني إسرائيل لجوا في عصيانهم وسمعوا من العشرة النقباء الجواسيس الذين خوفوهم أمر الجبارين ووصفوا لهم قوة الجبارين وعظم خلقهم فصمموا على خلاف أمر الله تعالى و " قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا
هاهنا قاعدون " وهذه عبارة تقتضي كفرا وذهب بعض الناس إلى أن المعنى اذهب أنت وربك بعينك وأن الكلام معصية لا كفر
قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه وقولهم " فقاتلا " يقطع بهذا التأويل وذكر النقاش عن بعض المفسرين أن المراد بالرب هنا هارون لأنه كان اسن من موسى وكان معظما في بني إسرائيل محببا لسعة خلقه ورحب صدره فكأنهم قالوا اذهب أنت وكبيرك
قال القاضي أبو محمد وهذا تأويل بعيد وهارون إنما كان وزيرا لموسى وتابعا له في معنى الرسالة ولكنه تأويل يخلص بني إسرائيل من الكفر وذكر الطبري عن قتادة أنه قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عزم على قتال قريش في عام الحديبية جمع العسكر وكلم الناس في ذلك فقال له المقداد بن الأسود لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤٧٤/١

لكنا نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون

وذكر النقاش أن الأنصار قالت هذه المقالة للنبي صلى الله عليه وسلم

قال القاضي أبو محمد وجميع هذا وهم **غلط** قتادة رحمه الله في وقت النازلة **وغلط** النقاش في قائل المقالة والكلام إنما وقع في غزوة بدر حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذفران فكلم الناس

١٧٦

وقال لهم أشيروا علي أيها الناس فقال له المقداد هذه المقالة في كلام طويل ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره ثم تكلم من الأنصار سعد بن معاذ بنحو هذا المعنى ولكن سبقه المقداد إلى التمثيل بالآية

". (١)

"قال القاضي أبو محمد وهذا قياس ضعيف ولو ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى " وأقم الصلاة لذكري " على جهة التعليل لكانت الحجة به قوية ولا يصح أن يقال يصح عندنا نقل ما في الشرائع من جهة من أسلم منهم كعبد الله بن سلام وغيره صحة نقلها وكذلك ما شرعه الحواريون لا سبيل إلى صحة شرع عيسى عليه السلام له وقرأ ابن كثير وأهل مكة ونافع وأبو عمرو وأهل المدينة وعاصم اقتده بهاء السكت ثابتة في الوقف والوصل وقرأ حمزة والكسائي اقتد قال بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف وهذا هو القياس وهي تشبه ألف الوصل في أنها تقطع في الابتداء وتوصل غير مبتدأ بها فكذلك هذه تثبت في الوقف وتحذف في الوصل وقرأ ابن عامر اقتده بكسر الهاء دون بلوغ الياء قال ابن مجاهد وهذا **غلط** لأنها هاء وقف لا تعرب على حال قال أبو علي ووجه ذلك أن تكون ضمير المصدر كأنه قال اقتد الاقتداء وقرأ ابن ذكوان على هذه اقتده بإشباع الياء بعد الهاء وقالت فرقة إن كسر الهاء إنما هو في هاء السكت كما قد تسكن هاء الضمير أحيانا

٣٢٠

قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف ولا تجوز عليه القراءة بإشباع الياء وقوله تعالى " قل لا أسألكم " الآية المعنى قل يا محمد لهؤلاء الكفرة المعاندين لا أسألكم على دعائي إياكم بالقرآن إلى عبادة الله وتوحيده أستكثر بها وأختص بدنياها إن القرآن إلا موعظة وذكرى ودعاء لجميع العالمين

قوله عز وجل

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢٠٤/٢

سورة الأنعام ٩١
." (١)

"وحكي أنهم اقترحوا أن يعود الصفا ذهبا وأقسموا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في ذلك فجاءه جبريل فقال له إن شئت أصبح ذهبا فإن لم يؤمنوا هلكوا عن آخرهم معاجلة كما فعل بالأمم إذا لم تؤمن بالآيات المقترحة وإن شئت أخروا حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل حتى يتوب تائبهم ونزلت هذه الآية وقرأ ابن مصرف ليؤمنن بفتح الميم والنون وبالنون الخفيفة ثم قال تعالى قل لهم يا محمد على جهة الرد والتخطية إنما الآيات بيد الله وعنده ليست عندي فتقترح علي ثم قال " وما يشعركم " فاختلف المتأولون فمن المخاطب بقوله " وما يشعركم " ومن المستفهم ب ما التي يعود عليها الضمير الفاعل في يشعركم فقال مجاهد وابن زيد المخاطب بذلك الكفار وقال الفراء وغيره المخاطب بها المؤمنون " وما يشعركم " معناه وما يعلمكم وما يدريكم وقرأ قوم يشعركم بسكون الراء وهي على التخفيف ويحسنها أن الخروج من كسرة إلى ضمة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية دواد الايادي إنها بكسر الألف على القطع واستئناف الإخبار فمن قرأ تؤمنون بالتاء وهي قراءة ابن عامر وحمزة استقامت له المخاطبة أولا وآخرا للكفار ومن قرأ يؤمنون بالياء وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي فيحتمل أن يخاطب أولا وآخرا المؤمنين ويحتمل أن يخاطب بقوله " وما يشعركم " الكفار ثم يستأنف الإخبار عنهم للمؤمنين ومفعول " يشعركم
" الثاني محذوف ويختلف تقديره بحسب كل تأويل وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي وابن عامر أنها بفتح الألف فمنهم من جعلها أن التي تدخل على الجمل وتأتي بعد الأفعال كعلمت وظننت وأعمل فيها " يشعركم " والتزم بعضهم أن لا زائدة في قوله " لا يؤمنون " وأن معنى الكلام وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو تؤمنون فزيدت لا كما زيدت في قوله " وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون " لأن المعنى وحرام على قرية مهلكة رجوعهم وكما جاءت في قول الشاعر
(أبى جوده لا البخل واستعجلت به
نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله) " الطويل " قال الزجاج أراد أبي جوده البخل كما جاءت زائدة في قول الشاعر
(أفمنك لا برق كان وميضه

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٧٧/٢

غاب تسنمه ضرام مثقب)

ودعا إلى التزام هذا حفظ المعنى لأنها لو لم تكن زائدة لعاد الكلام عذرا للكفار وفسد المراد بالآية وضعف الزجاج وغيره زيادة لا وقال هذا **غلط** ومنهم من جعل أنها بمعنى لعلها وحكاها سيبويه عن الخليل وهو تأويل لا يحتاج معه إلى تقدير زيادة لا وحكى الكسائي أنه كذلك في مصحف أبي بن كعب وما أدراكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون ومن هذا المعنى قول الشاعر أبو النجم

٣٣٤

(قلت لشيبان ادن من لقائه

أنى تغذى القوم من شوائه) " الرجز "

." (١)

"تدخل طائفة منهم النار وذلك شقاء لا محالة فقالت طائفة إنه توزن أعمالهم دون التوحيد فتخف الحسنات فيدخلون النار ثم عند إخراجهم يوزن التوحيد فتثقل الحسنات فيدخلون الجنة وأيضا فمعرفة العاصي أنه غير مخلد فلاح وإن تقدمه شقاء على جهة التأديب

وقوله تعالى " ومن خفت موازينه " الآية المعنى من خفت كفه حسناته فشالت و " خسروا أنفسهم " أي بالهلاك والخلود في النار وتلك غاية الخسارة وقوله " بما كانوا " أي جزاء بذلك كما تقول أكرمتك بما أكرمتني وما في هذا الموضع مصدرية والآيات هنا البراهين والأوامر والنواهي و " يظلمون " أي يضعونها في غير مواضعها بالكفر والتكذيب

قوله عز وجل

سورة الأعراف ١٠ ١١

الخطاب لجميع الناس والمراد أن النوع بجملته ممكن في الأرض والمعايش جمع معيشة وهي لفظة تعم المأكول الذي يعاش به والتحرف الذي يؤدي إليه وقرأ الجمهور معايش بكسر الياء دون همز وقرأ الأعرج وغيره معائش بالهمز كمدائن وسفائن ورواه خارجة عن نافع وروي عن ورش معايش بإسكان الياء فمن قرأ معايش بتصحيح الياء فهو الأصوب لأنها جمع معيشة وزنها مفعلة ويحتمل أن تكون مفعلة بضم العين قالهما سيبويه وقال الفراء مفعلة بفتح العين فالياء في معيشة أصلية وأعلت معيشة لموافقتها الفعل الذي هو يعيش في الياء أي في المتحرك والساكن وصححت معايش في جمع التكسير لزوال الموافقة المذكورة في

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٩٣/٢

اللفظ ولأن التكسير معنى لا يكون في الفعل إنما تختص به الأسماء ومن قرأ معايش فعلى التخفيف من معايش ومن قرأ معائش فأعلها فذلك غلط وأما توجيهه فعلى تشبيه الأصل بالزائد لأن معيشة تشبه في اللفظ صحيفة فكما يقال صحائف قيل معائش وإنما همزت ياء صحائف ونظائرها مما الياء فيه زائدة لأنها لا أصل لها في الحركة وإنما وزنها فعيلة ساكنة فلما اضطر إلى تحريكها في الجمع بدلت بأجلد منها
و " قليلا " نصب ب " تشكرون " ويحتمل أن تكون " ما " زائدة ويحتمل أن تكون مع
الفعل بتأويل المصدر " قليلا " نعت لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا شكركم أو شكرا قليلا تشكرون ". (١)

"الله عليه وسلم أنه قال (من زعم أن الله تعالى جعل لأحد من العباد شيئا من الأمر فقد كفر بما أنزل الله لقوله تعالى " ألا له الخلق والأمر ") قال النقاش ذكر الله الإنسان في القرآن في ثمانية عشر موضعا في جميعها أنه مخلوق وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعا ليس في واحد منها إشارة إلى أنه مخلوق وقال الشعبي " الخلق " عبارة عن الدنيا و " الأمر " عبارة عن الآخرة و " تبارك " معناه عظم وتعالى وكثرت بركاته ولا يوصف بها إلا الله تعالى و " تبارك " لا يتصرف في كلام العرب لا يقال منه يتبارك وهذا منصوص عليه لأهل اللسان
قال القاضي أبو محمد وعلة ذلك أن " تبارك " لما لم يوصف بها غير الله تعالى لم تقتض مستقبلا إذ الله قد تبارك في الأزل وقد غلط بها أبو علي القالي فقيل له كيف المستقبل من تبارك فقال يتبارك فوقف على أن العرب لم تقله والرب السيد المصلح و " العالمين " جمع عالم
٤١٠
قوله عز وجل
سورة الأعراف ٥٥ ٥٦
هذا أمر بالدعاء وتعبد به ثم قرر عز وجل بالأمر به صفات تحسن معه وقوله " تضرعا " معناه بخشوع واستكانة والتضرع لفظة تقتضي الجهر لأن التضرع إنما يكون بإشارات جوارح وهيئات أعضاء تقترن بالطلب " وخفية " يريد في النفس خاصة وقد أثنى الله عز وجل على ذلك في قوله " إذ نادى ربه نداء خفيا " ونحو هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم (خير الذكر الخفي) والشريعة مقررة أن السر فيما لم يعترض من أعمال البر أعظم أجرا من الجهر وتأول بعض العلماء التضرع والخفية في معنى السر جميعا فكأن

---

(١) المحرر الوجيز .، ٢/٤٤١

التضرع فعل للقلب ذكر هذا المعنى الحسن بن أبي الحسن وقال لقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض عمل يقدرون أن يكون سرا فيكون جهرا أبدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول " ادعوا ربكم تضرعا وخفية " وذكر عبدا صالحا رضي فعله فقال " إذ نادى ربه نداء خفيا " وقال الزجاج " ادعوا ربكم " معناه اعبدوا ربكم " تضرعا وخفية " أي باستكانة واعتقاد ذلك في القلوب وقرأ جميع السبعة وخفية بضم الخاء وقرأ عاصم في رواية أبي بكر هنا وفي الأنعام وخفية بكسرها وهما لغتان وقد قيل إن خفية بكسر الخاء بمعنى الخوف والرهبة ويظهر ذلك من كلام أبي علي

". (١)

"قال القاضي أبو محمد وإنما سحر المطر الطين إذا أفسده حتى لا يمكن فيه عمل والسحر الآخذة التي تأخذ العين حتى ترى الأمر غير ما هو وربما سحر الذهن ومنه قول ذي الرمة

(وساحرة السراب من الموامي

يرقص في نواشزها الأروم) " الوافر " أراد أن يخيل نفسه ماء للعيون

ثم أشار الملأ على فرعون بأن يؤخر موسى وهارون ويدع النظر في أمرهما ويجمع السحرة من كل مكان حتى تكون غلبة موسى بحجة واضحة معلومة بينة وقرأ ابن كثير أرجئهو بواو بعد الهاء المضمومة وبالهمز قبل الهاء وقرأ أبو عمرو أرجئه بالهمز دون واو بعدها وقرأ نافع وحده في رواية قالون أرجه بكسر الهاء ويحتمل أن يكون المعنى أخره فسهل الهمزة ويحتمل من الرجا بمعنى أطعمه ورجه قاله المبرد وقرأ ورش عن نافع أرجهي بياء بعد كسرة الهاء وقرأ ابن عامر أرجئه بكسر

الهاء وبهمزة قبلها قال الفارسي وهذا **غلط** وقرأ عاصم والكسائي أرجه بضم الهاء دون همز وروى أبان عن عاصم أرجه بسكون الهاء وهي لغة تقف على هاء الكناية إذا تحرك ما قبلها ومنه قول الشاعر منظور بن حبة الأسدي

(أنحى علي الدهر رجلا ويدا

يقسم لا أصلح إلا أفسدا) فيصلح اليوم ويفسد غدا

٤٣٨

وقال الآخر

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢/٤٧٦

(لما رأى أن لا دعة ولا شبع
مال إلى أرطاة حقق فاضطجع)
وحكى النقاش أنه لم يكن يجالس فرعون ولد غية وإنما كانوا أشرافا ولذلك أشاروا بالإرجاء ولم يشيروا بالقتل وقالوا إن قتلته دخلت على الناس شبهة ولكن اغلبه بالحجة و " المدائن " جمع مدينة وزنها فعيلة من مدن أو مفعلة من دان يدين وعلى هذا يهمز مدائن أو لا يهمز و " حاشرين " معناه جامعين قال المفسرون وهم الشرط وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار على بناء المبالغة وكذلك في سورة يونس وأجمعوا على سحار في سورة الشعراء وقال قتادة معنى الإرجاء الذي أشاروا إليه السجن والحبس
وقوله تعالى " وجاء السحرة " الآية هنا محذوفات يقتضيها ظاهر الكلام وهي أنه بعث إلى السحرة وأمرهم بالمجيء وقال ابن عباس أنه بعث غلمانا فعلموا بالفرما وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية حفص أن لنا لأجرا على جهة الخبر وقرأوا في الشعراء " أن لنا " ممدودة مفتوحة الألف غير عاصم فإنه لا يمدها قال أبو علي ويجوز أن تكون على جهة الاستفهام وحذف ألفها وقد قيل ذلك في قوله " أن عبدت بني إسرائيل " ومنه قول الشاعر حضرمي بن عامر
(أفرح أن أرزأ الكرام
)
." (١)

"الطعم يقتضي تحليل الخمر والخنزير بل يراها مختصة فيما حلله الشرع ويرى الخبائث لفظا عاما في المحرمات بالشرع وفي المتقذرات فيحرم العقارب والخنافس والوزغ وما جرى هذا المجرى والناس على هذين القولين إلا أن في تعيين الخبائث اختلافا ليس هذا موضع تقصيه
وقوله تعالى " ويضع عنهم إصرهم " الآية " يضع "كأن قياسه أن يكون يضع بكسر الضاد لكن رده حرف الحلق إلى فتح الضاد قال أبو حاتم وأدغم أبو عمرو ويضع عنهم العين في العين وأشمها الرفع وأشبعها أبو جعفر وشيبة ونافع وطلحة ويذهب عنهم إصرهم والإصر الثقل وبه فسر هنا قتادة وابن جبير ومجاهد والإصر أيضا العهد وبه فسر ابن عباس والضحاك والحسن وغيرهم وقد جمعت هذه الآية المعنيين فإن بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال فوضع عنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك العهد وثقل

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٠٤/٢

تلك الأعمال وحكى أبو حاتم عن ابن جبير قال الإصر شدة العبادة
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي والناس إصرهم وقرأ ابن عامر وحده وأيوب
٤٦٤
السختياني ويعلى بن حكيم وأبو سراج الهذلي وأبو جعفر آصارهم بالجمع لما كانت الأعمال كثيرة كانت أثقالها متغايرة ومن وحد الإصر فإنما هو مفرد اسم جنس يراد به الجمع قال أبو حاتم في كتاب بعض العلماء أصرهم واحد مفتوح الهمزة عن نافع وعيسى والزيات وذلك **غلط** وذكرها مكي عن أبي بكر عن عاصم وقال هي لغة
" والأغلال التي كانت عليهم " عبارة مستعارة أيضا لتلك الأثقال كقطع الجلد من أثر البول وأن لا دية ولا بد من قتل للقاتل وترك الأشغال يوم السبت فإنه روي أن موسى عليه السلام رأى يوم للسبت رجلا يحمل قصبا فضرب عنقه هذا قول جمهور المفسرين وهذا مثل قولك طوق فلان كذا إذا ألزمه ومنه قول الشاعر
(إذهب بها إذهب بها
طوقتها طوق الحمامة) " مجزوء الكامل " أي لزمك عارها ومن هذا المعنى قول الهذلي
(فليس كعهد الدار يا أم مالك
ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل)
(وعاد الفتى كالكهل ليس بقابل
سوى الحق شيئا فاستراح العواذل)
يريد أوامر الإسلام ولوازم الإيمان الذي قيد الفتك كما قال صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد إنما المراد هنا ب " الأغلال " قول الله عز وجل في اليهود " غلت أيديهم " فمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم زالت عنه الدعوة وتغليلها
". (١)

"وظاهر كلام النحاس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في أربعة عشر ألفا وهذا **غلط** و " مدبرين " نصب على الحال المؤكدة كقوله " وهو الحق مصدقا " والمؤكدة هي التي يدل ما قبلها عليها كدلالة التولي على الإدبار وقوله تعالى " ثم أنزل الله سكينته " الآية " ثم " هاهنا على بابها من الترتيب والسكينة النصر الذي سكنت إليه ومعه النفوس والحال والإشارة بالمؤمنين إلى الأنصار على ما روي وذلك

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٣٣/٢

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى في ذلك اليوم يا معشر الأنصار فانصرفوا وهم ردوا الهزيمة والجنود الملائكة والرعب قال أبو حاجز يزيد بن عامر كان في أجوافنا مثل ضربة الحجر في الطست من الرعب وعذاب الذين كفروا هو القتل الذي استحر فيهم والأسر الذي تمكن في ذراريهم وكان مالك بن عوف النصري قد أخرج الناس بالعيال والذراري ليقاتلوا عليها فخطأه في ذلك دريد بن الصمة وقال لمالك بن عوف راعي ضأن وهل يرد المنهزم شيء وفي ذلك اليوم قتل دريد بن الصمة القتلة المشهورة قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان السلمي ويقال ابن الدغنة وقوله " ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء " إعلام بأن من أسلم وتاب من الكفار الذين نجوا ذلك اليوم فإنهم مقبولون مسلمون موعودون بالغفران والرحمة .

قوله عز وجل

التوبة ٢٨

قال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما صفة المشرك بالنجس إنما كانت لأنه جنب إذ غسله من الجنابة ليس بغسل وقال ابن عباس وغيره بل معنى الشرك هو الذي كنجاسة الخمر قال الحسن البصري من صافح مشركا فليتوضأ

قال القاضي أبو محمد فمن قال بسبب الجنابة أوجب الغسل على من يسلم من المشركين ومن قال بالقول الآخر لم يوجب الغسل والمذهب كله على القول بإيجاب الغسل إلا ابن عبد الحكم فإنه قال ليس بواجب وقرأ أبو حيوة نجس بكسر النون وسكون الجيم ونص الله تعالى في هذه الآية على المشركين وعلى المسجد الحرام فقاس مالك رحمه الله غيره جميع الكفار من أهل الكتاب

وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد وكذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله ونزع في كتابه بهذه الآية ويؤيد ذلك قوله تعالى " في بيوت أذن الله أن ترفع " وقال الشافعي هي عامة في الكفار خاصة في المسجد الحرام فأباح دخول اليهود والنصارى والوثنيين في سائر المساجد ومن حجته حديث ربط ثمامة بن أثال وقال أبو حنيفة هي خاصة في عبدة الأوثان وفي المسجد الحرام فأباح دخول اليهود والنصارى في المسجد الحرام وغيره ودخول عبدة الأوثان في سائر المساجد وقال عطاء وصف المسجد بالحرام ومنع القرب يقتضي منعهم من جميع الحرم

٢١

." (١)

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢٣/٣

"قال القاضي أبو محمد فهم على هذا عدة منهم نعيم وصفوان ومنهم ذرية القلمس حذيفة وغيرهم .
قال القاضي أبو محمد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا هامة ولا صفر فقال بعض الناس إنه يريد بقوله لا صفر هذا النسيء وقيل غير ذلك .

قوله عز وجل

التوبة ٣٨ - ٣٩

٣٤

هذه الآية هي بلا اختلاف نازلة عتابا على تخلف من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم في عشرين ألفا بين راكب وراجل وتخلف عنه قبائل من الناس ورجال من المؤمنين كثير ومنافقون فالعتاب في هذه الآية هو للقبائل وللمؤمنين الذين كانوا بالمدينة وخص الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية بذلك التذنيب الشديد بحسب مكانهم من الصحبة إذ هم من أهل بدر وممن يقتدى بهم وكان تخلفهم لغير علة حسب ما يأتي وقوله " ما لكم " استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ وقوله " قيل " يريد النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن صرفه الفعل لا يسمى فاعله يقتضي إغلاظا ومخاشنة ما والنفر هو التنقل بسرعة من مكان الى مكان لأمر يحدث يقال في ابن آدم نفر إلى الأمر ينفر نفيرا ونفرا ويقال في الدابة نفرت تنفر بضم الفاء نفورا وقوله " اثاقلتم " أصله تثاقلتم أدغمت التاء في الثاء فاحتيج إلى ألف الوصل كما قال " فادارأتم " وكما تقول ازين وكما قال الشاعر الكسائي

(تولي الضجيع إذا ما استافها خصرا

عذب المذاق إذا ما اتابع القبل) " البسيط "

وقرأ الأعمش فيما حكى المهدوي وغير تثاقلتم على الأصل وذكرها أبو حاتم تتثاقلتم بتاءين ثم ثاء مثلثة وقال هي خطا أو غلط وصوب تثاقلتم بتاء واحدة وثاء مثلثة أن لو قرئ بها وقوله " اثاقلتم إلى الأرض " عبارة عن تخلفهم ونكولهم وتركهم الغزو لسكنى ديارهم والتزام نخلهم وظلالهم وهو نحو من أخلد إلى الأرض وقوله " أرضيتم " تقرير يقول أرضيتم نزر الدنيا على خطير الآخرة وحظها الأسعد ثم أخبر فقال إن الدنيا بالإضافة إلى الآخرة قليل نزر فتعطي قوة الكلام التعجب من ضلال من يرضى النزر بدل الكثير الباقي وقوله " إلا تنفروا " الآية " إلا تنفروا يعذبكم " شرط وجواب وقوله " يعذبكم " لفظ عام يدخل تحته أنواع عذاب الدنيا والآخرة والتهديد بعمومه أشد

تخويفا وقالت فرقة يريد يعذبكم بإمساك المطر عنكم وروي عن ابن عباس أنه قال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة من القبائل فقعدت فأمسك الله عنها المطر وعذبها به و " أليم " بمعنى مؤلم بمنزلة قول عمرو بن معد يكرب

(أمن ريحانة الداعي السميع

) " الوافر "

." (١)

"هذه الآية في صنف مبالغ في النفاق واستأذنوا دون اعتذار منهم عبد الله بن ابي والجد بن قيس ورفاعة بن التابوت ومن اتبعهم فقال بعضهم إيذن لي ولا تفتني وقال بعضهم إيذن لنا في الإقامة فإذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم استيفاء منه صلى الله عليه وسلم وأخذا بالأسهل من الأمور وتوكلا على الله وقال مجاهد إن بعضهم قال نستأذنه فإن أذن في القعود قعدنا وإلا قعدنا فنزلت الآية في ذلك .

وقال فرقة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن

لهم دون أن يؤمر بذلك فعفي عنه ما يلحق من هذا وقدم له ذكر العفو قبل العتاب إكراما له صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن ميمون الأودي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدع برأيه في قصتين دون أن يؤمر فيهما بشيء .

هذه وأمر أسارى بدر فعاتبه الله فيهما وقالت فرقة بل قوله في هذه الآية " عفا الله عنك " استفتاح كلام كما تقول أصلحك الله وأعزك الله ولم يكن منه صلى الله عليه وسلم ذنب يعفى عنه لأن صورة الاستنفارة قبول الإعذار مصروفة إلى اجتهاده وأما قوله " لم أذنت " فهي على معنى التقرير وقوله " الذين "

٣٩

(صدقوا) يريد استئذانك وأنك لو لم تأذن لهم خرجوا معك وقوله " وتعلم الكاذبين " يريد في أنهم استأذنوك يظهرون لك انهم يقفون عند حدك وهم كذبة قد عزموا على العصيان أذنت لهم أو لم تأذن وقال الطبري معناه حتى تعلم الصادقين في أن لهم عذرا والكاذبين في أن لا عذر لهم .

قال القاضي أبو محمد وعلى هذا التأويل يختلط المتعذرون وقد قدمنا أن فيهم مؤمنين كالمستأذنين وهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والأول أصوب والله أعلم .

وأدخل الطبري أيضا في تفسير هذه الآية عن قتادة أن هذه الآية نزلت بعدها الآية الأخرى في سورة النور

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٨/٣

" فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم " .

قال القاضي أبو محمد وهذا **غلط** لأن آية النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق في استئذان بعض المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شأنهم في بيوتهم في بعض الأوقات فأباح الله له أن يأذن فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى وقوله " لا يستأذنك " الآية نفي عن المؤمنين ان يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف دون عذر كما فعل الصنف المذكور من المنافقين وقوله " أن يجاهدوا " يحتمل أن تكون " أن " في موضع نصب على معنى لا يستأذنون في التخلف كراهية أن يجاهدوا قال سيبويه ويحتمل أن تكون في موضع خفض .

قال القاضي أبو محمد على معنى لا يحتاجون إلا أن يستأذنوا في أن يجاهدوا بل يمضون قدما أي فهم أحرى ألا يستأذنوا في التخلف ثم أخبر بعلمه تعالى " بالمتقين " وفي ذلك تعيير للمنافقين وطعن عليهم بين .

قوله عز وجل

التوبة ٤٥ - ٤٧

". (١)

"هذه الآية تنص على أن المستأذنين إنما هم مخلصون للنفاق " وارتابت قلوبهم " معناه شكت والريب نحو الشك و " يترددون " أي يتحيرون لا يتجه لهم هدى ومن هذه الآية نزع أهل الكلام في حد الشك أنه تردد بين أمرين والصواب في حده أنه توقف بين أمرين والتردد في الآية إنما هو في ريب هؤلاء المنافقين إذ كانوا

تخطر لهم صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا وأنه غير صحيح أحيانا ولم يكونوا شاكين طالبين للحق لأنه كان يتضح لهم لو طلبوه بل كانوا مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كالشاة الحائرة بين الغنمين وأيضا فبين الشك والريب فرق ما وحقيقة الريب إنما هو الأمر يستريب به

٤٠

الناظر فيخلط عليه عقيدته فربما أدى إلى شك وحيرة وربما أدى إلى علم ما في النازلة التي هو فيها ألا ترى أن قول الهذلي

(كأني أريته بريب

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤٣/٣

)
لا يتجه أن يفسر بشك قال الطبري وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرنا في سورة النور وأسند عن الحسن وعكرمة أنهما قالا في قول " لا يستأذنك الذين يؤمنون " إلى قوله " فهم في ريبهم يترددون " نسختها الآية التي في النور " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله " إلى " إن الله غفور رحيم " .

قال القاضي أبو محمد وهذا **غلط** وقد تقدم ذكره وقوله تعالى " ولو أرادوا الخروج " الآية حجة على المنافقين أي ولو أرادوا الخروج بنياتهم لنظروا في ذلك واستعدوا له قبل كونه والعدة ما يعد للأمر ويروى له من الأشياء وقرأ جمهور الناس عدة بضم العين وتاء تأنيث وقرأ محمد بن عبد الملك بن مروان وابنه معاوية بن محمد عده بضم العين وهاء إضمار يريد عدته فحذفت تاء التأنيث لما أضاف كما قال وأقام الصلاة يريد وإقامة الصلاة هذا قول الفراء وضعفه أبو الفتح وقال إنما حذف تاء التأنيث وجعل هاء الضمير عوضا منها وقال أبو حاتم هو جمع عدة على عد كبرة وكبر ودرة ودر والوجه فيه عدد ولكن لا يوافق خط المصحف وقرأ عاصم فيما روى عنه أبان وزر بن حبيش عده بكسر العين وهاء إضمار وهو عندي اسم لما يعد كالريح والقتل لأن العدو سمي قتلا إذ حقه أن يقتل هذا في معتقد العرب حين سمته و " انبعاثهم " نفوذهم لهذه الغزوة والتثبيط التكسيل وكسر العزم وقوله " وقيل " يحتمل أن يكون حكاية عن الله تعالى أي قال الله في سابق قضائه " اقعدوا مع القاعدين " ويحتمل أن يكون حكاية عنهم اي كانت هذه مقالة بعضهم لبعض أما لفظا وإما معنى فحكي في هذه الألفاظ التي تقتضي لهم مذمة إذ القاعدون النساء والأطفال ويحتمل أن يكون عبارة عن إذن محمد صلى الله عليه وسلم لهم في القعود أي لما كره الله خروجهم
". (١)

"وقال قتادة وفرقة معه بل الذين جاءوا كفرة وقولهم وعذرهم كذب وكل هذه الفرقة قرأ المعذرون بشد الذال فمنهم من قال أصله المتعذرون نقلت حركة التاء إلى العين وأدغمت التاء في الذال والمعنى معتذرون بكذب ومنهم من قال هو من التعذير أي الذين يعذرون الغزو ويدفعون في وجه الشرع فالآية إلى آخرها في هذا القول إنما وصفت صنفا واحدا في الكفر ينقسم إلى أعرابي وحضري وعلى القول الأول وصفت صنفين مؤمنا وكافرا قال أبو حاتم وقال بعضهم سألت مسلمة فقال المعذرون بشد العين والذال قال أبو حاتم أراد

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣/٤٤

المعتذرين والتاء لا تدغم في العين لبعد المخارج وهي غلط عنه أو عليه قال أبو عمرو وقرأ سعيد بن جبير المعتذرون بزيادة تاء وقرأ الحسن بخلاف عنه وأبو عمرو ونافع والناس كذبوا بتخفيف الذال وقرأ الحسن وهو المشهور عنه وأبي بن كعب ونوح وإسماعيل كذبوا بتشديد الذال والمعنى لم يصدقوه تعالى ولا رسوله وردوا عليه أمره ثم توعد في آخر الآية الكافرين ب " عذاب أليم " فيحتمل أن يريد في الدنيا بالقتل والأسر .

ويحتمل أن يريد في الآخرة بالنار وقوله " منهم " يريد أن المعذرين كانوا مؤمنين ويرجحه بعض الترجيح فتأمله وضعف الطبري قول من قال إن المعذرين من التعذير وأنحى عليه والقول منصوص ووجهه بين والله المعين وقال ابن إسحاق المعذرون نفر من بني غفار منهم خفاف بن إيماء بن رحضة

قال القاضي أبو محمد وهذا يقتضي أنهم مؤمنين

قوله عز وجل

التوبة ٩١ - ٩٢

يقول تعالى ليس على أهل الأعذار الصحيحة من ضعف أبدان أو مرض أو زمانة أو عدم نفقة إثم والحرج الإثم وقوله " إذا نصحوا " يريد بنياتهم وأقوالهم سرا وجهرا وقرأ حيوة نصحوا الله ورسوله بغير لام وبنصب الهاء المكتوبة وقوله تعالى " ما على المحسنين من سبيل " الآية في لائمة تناط بهم أو تذنيب أو عقوبة ثم أكد الرجاء بقوله " والله غفور رحيم " وقرأ ابن عباس والله لأهل الإساءة غفور رحيم

قال القاضي أبو محمد وهذا على جهة التفسير أشبه منه على جهة التلاوة لخلافة المصحف واختلف فيمن المراد بقوله " الذين لا يجدون ما ينفقون " فقالت فرقة نزلت في بني مقرن

قال القاضي ابو محمد وبنو مقرن ستة إخوة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وليس في الصحابة ستة إخوة غيرهم وقيل كانوا سبعة وقيل نزلت في عبد الله بن مغفل المزني قاله ابن عباس وقوله

٧١

". (١)

"وقوله " لتعلموا " المعنى قدر هذين النيرين " منازل " لكي " تعلموا " بها " عدد السنين والحساب " رفقا بكم ورفعا للاتباس في معاشكم وتجركم وإجاراتكم وغير ذلك مما يضطر فيه إلى معرفة التواريخ وقوله " ما خلق الله ذلك إلا بالحق " أي للفائدة لا للعب والإهمال فهي إذا يحق أن تكون كما هي وقرأ ابن

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٧٨/٣

كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص يفصل الآيات وقرأ ابن كثير أيضا وعاصم والباقون والأعرج وأبو جعفر وشيبة وأهل مكة والحسن والأعمش نفصل بنون العظمة وقوله " لقوم يعلمون " إنما خصهم لأن نفع التفصيل فيهم ظهر وعليهم أضاء وإن كان التفصيل إنما وقع مجملا للكل معدا ليحصله الجميع وقرأ جمهور السبعة وقد رويت عن ابن كثير ضياء وقرأ ابن كثير وحده فيما روي أيضا عنه ضئاء بهمزتين وأصله ضياء فقلبت فجاءت ضئائا فقلبت الياء همزة لوقوعها بين ألفين قال أبو علي وهي **غلط** وقوله تعالى " إن في اختلاف الليل و النهار " الآية آية اعتبار وتنبيه ولفظه الإختلاف تعم تعاقب الليل والنهار وكونهما خلفه وما يتعاورانه من الزيادة والنقص وغير ذلك من لواحق سير الشمس وبحسب أقطار الأرض قوله " وما خلق الله في السماوات والأرض " لفظ عام لجميع المخلوقات والآيات العلامات والدلائل وخصص القوم المتقين تشريفا لهم إذ الاعتبار فيهم يقع ونسبتهم إلى هذه الأشياء المنظور فيها أفضل من نسبة من لم يهتد ولا اتقى .

قوله عز وجل

يونس ٧ - ١٠

قال أبو عبيدة وتابعه القتبي وغيره " يرجون " في هذه الآية بمعنى يخافون واحتجوا ببيت أبي ذؤيب

(إذ لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل) " الطويل "

وحكى المهدوي عن بعض أهل اللغة وقال ابن سيده والفراء إن لفظة الرجاء إذا جاءت منفية فإنها تكون بمعنى الخوف وحكي عن بعضهم أنها تكون بمعناها في كل موضع تدل عليه

قرائن ما قبله وما بعده فعلى هذا التأويل معنى الآية إن الذين لا يخافون لقاءنا وقال ابن زيد هذه الآية في الكفار وقال بعض أهل العلم الرجاء في هذه الآية على بابه وذلك أن الكافر المكذب بالبعث ليس يرجو رحمة في الآخرة ولا يحسن ظنا بأنه يلقى الله ولا له في الآخرة أمل فإنه لو كان له فيها أمل لقارنه لا محالة

١٠٧

". (١)

"يوسف يسيركم قال سفيان بن أبي الزعل كانوا يقرأون ينشركم فنظروا في مصحف ابن عفان فوجودها يسيركم فأول من كتبها كذلك الحجاج وقرأ ابن كثير في بعض طرقة يسيركم من أسار وقرأ ابن عامر وحده من السبعة ينشركم بفتح الياء وضم الشين من النشر والبث وهي قراءة زيد بن ثابت والحسن وأبي العالية

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٢٠/٣

وأبي جعفر وعبد الله بن جبير بن الفصيح وأبي عبد الرحمن وشيبة وروي عن الحسن انه قرأ ينشركم بضم الياء وكسر الشين وقال هي قراءة عبد الله قال أبو حاتم أظنه **غلط** و " الفلك " جمع فلك وليس باسم واحد للجميع والفرد ولكنه فعل جمع على فعل ومما يدل على ذلك قولهم فلكان في التثنية وقراءة أبي الدرداء وأم الدرداء في الفلكي على وزن فعلي بياء نسب وذلك كقولهم أشقري وكدواري في دور الدهر وكقول الصلتان أنا الصلتاني وقوله " وجرين " علامة قليل العدد وقوله " بهم " خروج من الحضور إلى الغيبة وحسن ذلك لأن قولهم "كنتم في الفلك " هو بالمعنى المعقول حتى إذا حصل بعضهم في السفن والريح إذا أفردت فعرفها أن تستعمل في العذاب والمكروه لكنها لا يحسن في البحر أن تكون إلا واحدة متصلة لا نشرا فقيدت المفردة بالطيب فخرجت عن ذلك العرف وبرع المعنى وقرأ ابن أبي عبلة جاءتهم ريح عاصف والعاصف الشديدة من الريح يقال عصفت الريح وقوله " وظنوا " على بابه في الظن لكنه ظن غالب مفزع بحسب أنه في محذور وقوله " دعوا الله " أي نسوا الأصنام والشركاء وجردوا الدعاء لله وذكر الطبري في ذلك عن بعض العلماء حكاية قول العجم هيا شراهيا ومعناه يا حي يا قيوم قال الطبري جواب قوله " حتى إذا كنتم في الفلك وجرين " " جاءتها ريح عاصف " وجواب قوله " وظنوا أنهم أحيط بهم " " دعوا الله مخلصين "

قوله عز وجل

يونس ٢٣

" يبغون " أي يفسدون ويكفرون والبغي التعدي والأعمال الفاسدة ووكد ذلك بقوله " بغير الحق " ثم ابتدأ بالرجز وذم البغي في أوجز لفظ وقوله متاع الحياة رفع وهذه قراءة

الجمهور وذلك على خبر الإبتداء والمبتدأ " بغيكم " ويصح أن يرتفع " متاع " على خبر ابتداء مضمر تقديره ذلك متاع أو هو متاع وخبر البغي قوله " على أنفسكم " وقرأ حفص عن عاصم وهارون عن ابن كثير وابن أبي إسحاق متاع بالنصب وهو مصدر في موضع الحال من البغي وخبر البغي على هذا محذوف تقديره مذموم أو مكروه ونحو هذا ولا يجوز أن يكون الخبر قوله " على أنفسكم " لأنه كان يحول بين المصدر وما عمل فيه بأجنبي ويصح أن ينتصب " متاع " بفعل مضمر تقديره تمتعون متاع الحياة الدنيا وقرأ ابن أبي إسحاق .

". (١)

---

(١) المحرر الوجيز ـ ، ١٢٨/٣

"قيل إن هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالمستتر وردوا إليه ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منه وكراهة للقائه وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه وعلى الله عز وجل فنزلت الآية في ذلك .

و " صدورهم " منصوبة على هذا ب " يثنون " .

وقيل هي استعارة للغل والحقد الذي كانوا ينطوون عليه كما تقول فلان يطوي كشحة على عداوته ويثني صدره عليها .

فمعنى الآية ألا إنهم يسرون العداوة ويتكتمون بها لتخفى في ظنهم عن الله وهو تعالى حين تغشيهم بثيابهم وإبلاغهم في التستر يعلم ما يسرون .

وقرأ سعيد بن جبير يثنون بضم الياء والنون من أثنى وقرأ ابن عباس ليثنوه وقرأ ابن عباس أيضا ومجاهد وابن يعمر وابن بزي ونصر بن عاصم والجحدري وابن إسحاق وابن رزين وعلي بن الحسين وأبو جعفر محمد بن علي ويزيد بن علي وجعفر بن محمد وأبو الأسود والضحاك .

تثنوني صدورهم برفع الصدور وهي تحتمل المعنيين المتقدمين في " يثنون " وزنها تفوعل على بناء مبالغة لتكرار الأمر كما .

١٥١

تقول اعشوشبت الأرض واحلولت الدنيا ونحو ذلك .

وحكى الطبري عن ابن عباس على هذه القراءة أن هذه الآية نزلت في أن قوما كانوا لا يأتون النساء والحدث إلا ويتغشون ثيابهم كراهية أن يفضوا بفروجهم إلى السماء .

وقرأ ابن عباس فيما روى ابن عيينة تثنوا بتقديم الثاء على النون وبغير نون بعد الواو وقال أبو حاتم هذه القراءة غلط لا تتجه وقرأ نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق ينثوي بتقديم النون على الثاء وقرأ عروة وابن أبي أبزى والأعشى تثنون بثاء مثلثة بعدها نون مفتوحة بعدها واو مكسورة وقرأ أيضا هما ومجاهد فيما روي عنه تثنان بهمزة بدل الواو وهاتان مشتقة من الثن وهي العشب المثني بسهولة فشبه صدورهم به إذ هي مجيبة إلى هذا الإنطواء على المكر والخدع وأصل تثنون تثنونن سكنت النون المكسورة ونقلت حركتها إلى الواو التي قبلها وأدغمت في النون التي بعدها وأما تثنان فأصلها تثنان مثل تحمار ثم قالوا اثنانت كما قالوا احمار وابياض والضمير في " منه " عائد على الله تعالى هذا هو الأفصح الأجزل في المعنى وعلى بعض التأويلات يمكن أن يعود على محمد صلى الله عليه وسلم و " يستغشون " معناه

يجعلونها أغشية وأغطية ومنه قول الخنساء

(أرعى النجوم وما كلفت رعيتها

وتارة أتغشى فضل أطماري) " البسيط "

وقرأ ابن عباس على حين يستغشون ومن هذا الإستعمال قول النابغة

(على حين عاتبت المشيب على الصبا

وقلت ألما أصحح والشيب وازع) " الطويل "

". (١)

"وأما القراءة الثالثة وهي فتح الكاف والذال فالضمير في " ظنوا " للمرسل إليهم والضمير في كذبوا للرسل ويحتمل أن يكون الضميران للرسل أي ظن الرسل أنهم قد كذبوا من حيث نقلوا الكذب وإن كانوا لم يتعمدوه فيرجع هذا التأويل إلى المعنى المردود الذي تقدم ذكره .

وقوله " جاءهم نصرنا " أي بتعذيب أممهم الكافرة ثم وصف حال مجيء العذاب في أنه ينجي الرسل وأتباعهم وهم الذين شاء رحمتهم ويحل بأسه بالمجرمين الكفرة .

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي فننجي بنونين من أنجى .

وقرأ الحسن فننجي النون الثانية مفتوحة وهو من نجى ينجي .

وقرأ أبو عمرو أيضا وقتادة فنجي بنون واحدة وشد الجيم وسكون الياء فقالت فرقة إنها كالأولى أدغمت النون الثانية في الجيم ومنع بعضهم أن

٢٨٩

يكون هذا موضع إدغام لتنافر النون والجيم في الصفات لا في المخارج وقال إنما حذفت النون في الكتاب لا في اللفظ وقد حكيت هذه القراءة عن الكسائي ونافع .

وقرأ عاصم وابن عامر فنجي بفتح الياء على وزن فعل وقرأت فرقة فننجي بنونين وفتح الياء رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي **غلط** من هبيرة .

وقرأ ابن محيصن ومجاهد فنجى فعل ماض بتخفيف الجيم وهي قراءة نصر بن عاصم والحسن بن أبي الحسن وابن السميفع وأبي حيوة قال أبو عمرو الداني وقرأت لابن محيصن فنجى بشد الجيم على معنى فنجى النصر .

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣/١٦٧

والبأس العذاب .
وقرأ أبو حيوة من يشاء بالياء وجاء الإخبار عن هلاك الكافرين بقوله " ولا يرد بأسنا " الآية إذ في هذه الألفاظ وعيد بين وتهديد لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم .
وقرأ الحسن بأسه بالهاء .
قوله عز وجل
سورة يوسف ١١١
الضمير في " قصصهم " عام ليوسف وأبويه وإخوته وسائر الرسل الذين ذكروا على الجملة ولما كان ذلك كله في القرآن قال عنه " ما كان حديثا يفترى " فإذا تأملت قصة يوسف ظهر أن في غرائبها وامتحان الله فيها لقوم في مواضع ولطفه لقوم في مواضع وإحسانه لقوم في مواضع معتبرا لمن له لب وأجاد النظر حتى يعلم أن كل أمر من عند الله وإليه .
وقوله " ما كان " صيغة منع وقرينة الحال تقتضي أن البرهان يقوم على ان ذلك لا يفترى وذلك بأدلة النبوءة وأدلة الإعجاز والحديث هنا واحد الأحاديث وليس للذي هو خلاف القديم ها هنا مدخل .
ونصب " تصديق " إما على إضمار معنى كان وإما على أن تكون " لكن " بمعنى لكن المشددة .
وقرأ عيسى الثقفي تصديق بالرفع وكذلك كل ما عطف عليه وهذا على حذف المبتدأ التقدير هو تصديق .
وقال أبو حاتم النصب على تقدير ولكن كان والرفع على ولكن هو .
وينشد بيت ذي الرمة بالوجهين .
(وما كان مالي من تراث ورثته
ولا دية كانت ولا كسي مأثم)
(ولكن عطاء الله من كل رحلة
." (١)

"قال القاضي أبو محمد ووقع في مسند ابن سنجر أن هذا الحديث إنما ورد في رجل زنا بامرأة رجل آخر ثم تمكن الآخر من زوجة الثاني بأن تركها عنده وسافر فاستشار الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك ويتقوى في أمر المال قول مالك رحمه الله لأن الخيانة لاحقة في ذلك وهي رذيلة لا انفكاك عنها ولا ينبغي للمرء أن يتأسى بغيره في الرذائل وإنما ينبغي

(١) المحرر الوجيز . ، ٢٩٥/٣

أن تتجنب لنفسها وأما الرجل يظلم في المال ثم يتمكن من الانتصاف دون أن يؤتمن فيشبه أن ذلك له جائز يرى أن الله حكم له كما لو تمكن له بالحكم من الحاكم وقوله " وأصبر وما صبرك إلا بالله " الآية هذه العزيمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر عن المجازاة في التمثيل بالقتلى قال ابن زيد هذه الآية منسوخة بالقتال وجمهور الناس على أنها محكمة ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أما أنا فأصبر كما أمرت فماذا تصنعون قالوا نصبر يا رسول الله كما ندبنا وقوله " وما صبرك إلا بالله " أي بمعونة الله وتأييده لك على ذلك والضمير في قوله " عليهم " قيل يعود على الكفار أي لا تتأسف على أن لم يسلموا وقالت فرقة بل يعود على القتلى حمزة وأصحابه الذين حزن عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والأول أصوب يكون عود الضمير على جهة واحدة وقرأ الجمهور في ضيق بفتح الضاد وقرأ ابن كثير في ضيق بكسر الضاد ورويت عن نافع وهو **غلط** ممن رواه قال بعض اللغويين الكسر والفتح في الضاد لغتان في المصدر وقال أبو عبيدة الضيق مصدر والضيق مخفف من ضيق كميت وميت وهين وهين قال أبو علي الفارسي والصواب أن يكون الضيق لغة في المصدر لأنه إن كان مخففا من ضيق لزم أن تقام الصفة مقام الموصوف وليس هذا موضع ذلك .

قال القاضي أبو محمد الصفة إنما تقوم مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف من نفس الصفة كما تقول رأيت ضاحكا فإنما تخصص الإنسان ولو قلت رأيت باردا لم

تحسن وببارد مثل سيبويه رحمه الله وضيق لا يخصص الموصوف وقال ابن عباس وابن زيد إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ وقوله " مع الذين " أي بالنصر والمعونة والتأييد و " اتقوا " يريد المعاصي و " محسنون " معناه يتزيدون فيما ندب إليه من فعل الخير .

كمل تفسير سورة النحل بعون الله وتأييده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

٤٣٤." [1]

"قرأ الأعمش وابن وثاب ولا تقتلوا بتضعيف الفعل وهذه الآية نهي عن الوأد الذي كانت العرب تفعله وهو قوله تعالى " وإذا الموءودة سئلت " ويقال كان جهلهم يبلغ أن يغذو أحدهم كلبه ويقتل ولده و " خشية " نصب على المفعول من أجله والإملاق الفقر وعدم الملك أملق الرجل لم يبق له إلا الملقات وهي الحجارة العظام الملس السود وقرأ الجمهور خطئا بكسر الخاء وسكون الطاء وبالهمز والقصر

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣/٤٤٠

وقرأ ابن عامر خطئا بفتح الخاء والطاء والهمزة مقصورة وهي قراءة أبي جعفر وهاتان قراءتان مأخوذتان من خطئ إذا أتى الذنب على عمد فهي كحذر وحذر ومثل ومثل وشبه وشبه اسم ومصدر ومنه قول الشاعر

(الخطء فاحشة والبر نافلة

كعجوة غرست في الأرض تؤتبر) " البسيط "

قال الزجاج يقال خطئ الرجل يخطأ خطأ مثل أثم إثما فهذا هو المصدر وخطأ اسم منه وقال بعض العلماء خطئ معناه واقع الذنب عامدا ومنه قوله تعالى " لا يأكله إلا الخاطئون " وأخطأ واقع الذنب عن غير تعمد ومنه قوله تعالى " إن نسينا أو أخطأنا " وقال أبو علي

٤٥٢

الفارسي وقد يقع هذا موضع هذا وهذا موضع هذا فأخطأ بمعنى تعمد في قول الشاعر

(عبادك يخطئون وأنت رب

كريم لا يليق بك الذموم) " الوافر "

وخطئ بمعنى لم يتعمد في قول الآخر

(والناس يلحون الأمير إذا هم

خطئوا الصواب ولا يلام المرشد) " الكامل "

وقد روي عن ابن عامر خطأ بفتح الخاء وسكون الطاء وهمزة وقرأ ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء ومد الهمزة وهي قراءة الأعرج بخلاف وطلحة وشبل والأعمش وعيسى وخالد بن إياس وقتادة والحسن بخلاف عنه قال النحاس ولا أعرف لهذه القراءة وجها وكذلك جعلها أبو حاتم علطا .

قال أبو علي الفارسي هي مصدر من خاطأ يخاطئ وإن كنا لم نجد خاطأ ولا كنا وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه فمنه قول الشاعر

(تخاطأت النبل احشاءه

وخر يومي فلم أعجل) " المتقارب "

وقول الآخر في صفة كماة

(تخاطأه القناص حتى وجدته

وخرطومه في منقع الماء راسب) " الطويل "

فكأن هؤلاء الذين يقتلون أولادهم يخاطئون الحق والعدل وقرأ الحسن فيما روي عنه خطاء بفتح الخاء

والطاء والمد في الهمزة قال أبو حاتم لا يعرف هذا في اللغة وهو **غلط** غير جائز وليس كما قال أبو حاتم قال أبو الفتح الخطاء من اخطأت بمنزلة العطاء من أعطيت هو اسم بمعنى المصدر وقرأ الحسن بخلاف خطا بفتح الخاء والطاء منونة من غير همز وقرأ أبو رجاء والزهري خطا بكسر الخاء وفتح الطاء كالتي قبلها وهاتان مخففتان من خطأ وخطاء وقوله " ولا تقربوا الزنى " تحريم .

و " الزنى " يمد ويقصر فمن قصره الآية وهي لغة جميع كتاب الله ومن مده قول الفرزدق

(أبا حاضر من يزن يعرف زناؤه

". (١)

"لدني بفتح اللام وضم الدال وشد النون ، وهي لدن اتصلت بها نون الكناية التي في ضربني ونحوه فوقع الإدغام وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وعاصم لدني كالأولى إلا أن النون مخففه فهي لدن اتصلت بها ياء المتكلم التي في غلامي وفرسي وكسر ما قبل الياء كما كسر في هذه وقرأ أبو بكر عن عاصم لدني بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون وهي تخفيف لدني التي ذكرناها قبل هذه وروي عن عاصم لدني بضم اللام وسكون الدال قال ابن مجاهد وهي **غلط** قال أبو علي هذا التغليط يشبه ان يكون من جهة الرواية فأما على قياس العربية فهي صحيحه وقرأ الحسن لدني بفتح اللام وسكون الدال وقرأ الجمهور عذرا وقرأ أبو عمرو وعيسى عذرا بضم الدال وحكي الداني إن أبي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عذري بكسر الراء وياء بعدها واسند الطبري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد بدأ بنفسه فقال يوما رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لرأى العجب ولكنه قال " فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا " وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله موسى لوددنا انه صبر حتى يقص علينا من أمرهما وروي في تفسير هذه الآية أن الله جعل هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى وعجبا له وذلك أنه لما أنكر أمر خرق السفينة نودي يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم فلما أنكر أمر الغلام قبل له أين إنكارك هذا من وكرك للقبطي وقضائك عليه فلما أنكر إقامة الجدار نودي أين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون اجر وقوله " فانطلقا " يريد انطلق الخضر وموسى يمشيان لارتياد الخضر أمرا ينفذ فيه ما عنده من علم الله فمرا بقرية فطلبا من أهلها أن يطعموهما فأبوا وفي حديث أنهما كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله واختلف الناس في القرية فقال محمد بن سيرين

---

(١) المحرر الوجيز ، ٣/٤٦٤

هي الأبلة .

وهي أبخل قرية وأبعدها من السماء وقالت فرقة هي أنطاكية وقالت فرقة هي برقة وقالت فرقة هي بجزيرة الأندلس روي ذلك عن أبي هريره وغيره ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وقالت فرقه هي أبو حوران وهي بناحية أذربيجان .

." (١)

"أصعب وجوهه والضمير في قوله " لنحشرنهم " عائد للكفار القائلين ما تقدم ثم أخبر أنه يقرن بهم " الشياطين " المغوين لهم وقوله " جثيا " جمع جاث كقاعد وقعود وجالس وجلوس وأصله جثووا وليس في كلام العرب واو متطرفة قبلها ضمة فوجب لذلك أن تعل ولم يعتد هاهنا بالساكن الذي بينهما لخفته وقلة حوله فقلبت ياء فجاء جثويا فاجتمع الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت ياء ثم أدغمت ثم كسرت التاء للتناسب بين الكسرة والياء وقرأ الجمهور جثيا وصليا بضم الجيم والصاد وقرأ ابن وثاب وطلحة والأعمش جثيا وصليا ذاته بكسر الجيم والصاد وأخبر الله تعالى أنه يحضر هؤلاء المنكرين للبعث مع الشياطين فيجثون حول جهنم وهي قعدة الخائف الذليل على ركبتيه كالأسير ونحوه قال قتادة " جثيا " معناه على ركبهم وقال ابن زيد الجثي شر الجلوس والشيعة الفرقة المرتبطة بمذهب واحد المتعاونة فيه كأن بعضهم يشيع بعضا أي ي‍نبه ومنه تشييع النار بالحطب وهو وقدها به شيئا بعد شيء ومنه قيل للشجاع مشيع القلب فأخبر الله أنه ينزع " من كل شيعة " أعتاها وأولاها بالعذاب فتكون تلك مقدمتها إلى النار قال أبو الأحوص المعنى نبدأ بالأكابر فالأكابر جرما ثم أخبر تعالى في الآية بعد أنه أعلم بمستحقي ذلك وأبصر لأنه لم تخف عليه حالهم من أولها إلى آخرها وقرأ بعض الكوفيين ومعاذ بن مسلم وهارون القاري أيهم بالنصب وقرأ الجمهور أيهم بالرفع إلا أن طلحة والأعمش سكنا ميم أيهم واختلف الناس في وجه رفع أي فقال الخليل رفعه على الحكاية بتقدير الذي يقال فيه من أجل عتوه أيهم أشد وقرنه بقول الشاعر " الكامل " .

(ولقد أبيت من الفتاة بمنزل

فأبيت لا حرج ولا محروم)

أي فأبيت يقال في لا حرج ولا محروم ورجح الزجاج قول الخليل وذكر عنه النحاس أنه غلط سيبويه في قوله في هذه المسألة قال سيبويه ويلزم على هذا أن يجوز أضرب السارق الخبيث أي الذي يقال له ع

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٦٢/٣

وليس بلازم من حيث هذه

". (١)

"مشبهة هنا بألف تفعلان وقال ابن كيسان لما كان هذا بحال واحدة في رفعه ونصبه وخفضه تركت تثنيته هنا كذلك وقالت جماعة منهم عائشة رضي الله عنها وأبو بكر هذا مما لحن الكاتب فيه وأقيم بالصواب وهو تخفيف النون من أن ع وهذه الأقوال معترضة إلا ما قيل من أنها لغة وإن بمعنى أجل ونعم أو إن في الكلام ضميرا وأما من قرأ إن خفيفة فهي عن سيبويه المخففة من الثقيلة ويرتفع بعدها الاسم ويقول الفراء هي بمعنى ما واللام بمعنى إلا ووجه سائر القراءات بين وعبر كثير من المفسرين عن الطريقة بالسادة وأنها يراد بها أهل العقل والسن والحجى وحكوا أن العرب تقول فلان طريقة قومه أي سيدهم والأظهر في الطريقة هنا أنها السيرة والمملكة والحال التي هي عليها و " المثلى " تأنيث أمثل أي الفاضلة الحسنة وقرأ جمهور القراء فأجمعوا بقطع الألف وكسر الميم على معنى أنقذوا وأعزموا وقرأ أبو عمرو وحده فأجمعوا من جمع أي ضموا سحركم بعضه إلى بعض وقرأ ابن كثير ثم بفتح الميم ايتوا بسكون الياء وقرأ ايضا في رواية شبل عنه بكسر الميم ثم ايتوا قال أبو علي وهذا **غلط** ولا وجه لكسر الميم من ثم وقرأ الجمهور ثم ائتوا بفتح الميم وبهمزة بعد الألف قوله " صفا " حال أي مصطفين وتداعوا إلى هذا لأنه أهيب وأظهر لهم و " أفلح " معناه ظفر ببغيته و " استعلى " معناه طلب العلو في أمره وسعى سعيه .

قوله عز وجل

سورة طه الآية ٦٥٦٩

خير السحرة موسى عليه السلام في أن يبتدىء بالإلقاء أو يتأخر بعدهم وروي أنهم كانوا سبعين ألف ساحر وروي أنهم كانوا ثلاثين ألف ساحر وروي أنهم كانوا خمسة عشر ألف وروي أنهم كانوا تسعمائة ثلاثمائة من الفيوم وثلاثمائة من الفرما وثلاثمائة من الإسكندرية وكان مع كل رجل منهم حبل وعصي قد استعمل فيها السحر وقوله " فإذا " هي للمفاجأة كما تقول خرجت فإذا زيد وهي التي تليها الأسماء وقرأت فرقة عصيهم بكسر العين وقرأت فرقة عصيهم بضمها وقرأت فرقة

". (٢)

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٢/٤

(٢) المحرر الوجيز . ، ٦٣/٤

"قال مجاهد وابن زيد الإشارة بهذه الآية إلى المنافقين عبد الله بن أبي ومن أشبهه وهي خاصة في أمر عائشة رضي الله عنها ع فحبهم شياع " الفاحشة " في المؤمنين متمكن على وجهه لعداوتهم في أهل الإيمان وعذابهم الأليم " في الدنيا " الحدود وفي " الآخرة " النار وقالت فرقة وقولها الأظهر الآية عامة في كل قاذف منافقا كان أو مؤمنا ع فالقاذف المؤمن لا يتصف بحب شياع " الفاحشة " في المؤمنين
١٧٢
جملة لكنه يحبها لمقذوفه وكذلك آخر لمقذوفه وآخر حتى " تشيع الفاحشة " من مجموع فعلهم فهم لها محبون بهذا الوجه من حيث أحب كل واحد جزءا من شياعها والعذاب الأليم " في الدنيا " الحدود وفي " الآخرة " يحتمل وجهين أحدهما أن يكون القاذف متوعدا من بين العصاة بعذاب الآخرة لا يزيله الحد حسب مقتضى حديث عبادة بن الصامت ويكون أمره كأمر المحاربين إذا صلبوا لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب والوجه الثاني أن يحكم بأن الحد مسقط عذاب الآخرة حسب حديث عبادة بن الصامت وأن قوله " والآخرة " لا يريد به عموم القذفة بل يريد إما المنافقين وإما من لم يتب وقال الطبري معناه إن مات مصرا غير تائب وقوله " والله يعلم " معناه البريء من المذنب وسائر الأمور وحجة الحكمة في ستركم والتغليظ في الوعيد والعذاب على قاذفيكم وقوله " ولولا فضل الله " الآية جواب " لولا " محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره لفضحكم بذنوبكم ولعذبكم فيما أفضتم فيه من قول الباطل والبهتان .
قوله عز وجل
سورة النور الآية ٢١
هذا الخطاب عام لجميع المؤمنين و " خطوات " جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي فكأن المعنى لا تمشوا في سبله وطرقه من الأفعال الخبيثة وقال منذر بن سعيد يجوز أن يكون " خطوات " جمع خطأ من الخبيثة وسهلت الهمزة فنطق بها " خطوات " وقرأ بضم الطاء من خطوات الجمهور وقرأ بسكونها عاصم والأعمش وقرأ الجمهور ما زكى بتخفيف الكاف أي ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشدا وقرأ أبو حيوة والحسن زكى بشد الكاف أي تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم وتحرزكم من المعاصي ثم ذكر تعالى أنه " يزكي من يشاء " ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح أمارة على سبق السعادة له ثم أخبر بأنه " سميع " لجميع أقوالهم وكلامهم من قذف وغيره " عليم " بحق ذلك من باطله لا يجوز عليه في ذلك وهم ولا **غلط** .
قوله عز وجل

سورة النور الآية ٢٢

المشهور

". (١)

"روي أن بعض الناس لما نزلت آية الاستئذان تعمق في الأمر فكان لا يأتي موضعا خربا ولا مسكونا إلا سلم واستأذن فنزلت هذه الآية أباح الله فيها رفع الاستئذان في كل بيت لا يسكنه أحد لأن العلة إنما هي في الاستئذان خوف الكشفة على الحرامات فإذا زالت العلة زال الحكم ومثل أهل التأويل من هذه البيوت أمثلة فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد هي الفنادق التي في طرق المسافرين قال مجاهد لا يسكنها أحد بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل و " فيها متاع " لهم أي استمتاع بمنفعتها ومثل عطاء في بيوت غير مسكونة بالحزب التي يدخلها الإنسان للبول والغائط ففي هذا ايضا متاع وقال ابن زيد والشعبي هي حوانيت القيساريات والسوق وقال الشعبي لأنهم جاؤوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس هلم ع هذا قول **غلط** قائله لفظ المتاع وذلك أن بيوت القيسارية محظورة بأموال الناس غير مباحة لكل من أراد دخولها بإجماع ولا يدخلها إلا من أذن له بها بل أربابها موكلون بدفع الناس عنها وقال محمد بن الحنفية أيضا اراد تعالى دور مكة وهذا على القول بأنها غير متملكة وأن الناس شركاء فيها وأن مكة أخذت عنوة وهذا هو في هذه المسألة القول الضعيف يرده قوله عليه السلام وهل ترك لنا عقيل منزلا وقوله من دخل دار أبي سفيان ومن دخل داره وغير ذلك من وجوه وباقي الآية بين ظاهره التوعد .

قوله عز وجل

سورة النور الآية ٣٠

قوله " قل للمؤمنين " بمنزلة قوله إنهم فقوله " يغضوا " جواب الأمر وقال المازني المعنى قل لهم غضوا " يغضوا " ويلحق هذين من الاعتراض أن الجواب خبر من الله وقد يوجد من لا يغض وينفصل بأن المراد يكونون في حكم من يغض وقوله " من أبصارهم " أظهر ما في " من " أن تكون للتبعيض وذلك أن أول نظرة لا يملكها الإنسان وإنما يغض فيما بعد ذلك فقد وقع التبعيض ويؤيد هذا التاويل ما روي من قوله عليه السلام لعلي بن أبي طالب لا تتبع

النظرة فإن الأولى لك وليست لك الثانية الحديث وقال جرير بن عبد الله سألت النبي عليه السلام عن نظرة الفجأة فقال اصرف بصرك ويصح أن تكون " من " لبيان الجنس ويصح أن تكون لابتداء الغاية والبصر هو

---

(١) المحرر الوجيز ، ٤/٢٠٨

الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه وحفظ الفروج يحتمل أن يريد في الزنى ويحتمل أن يريد في ستر العورة والأظهر أن الجميع مراد واللفظ عام وبهذه الآية حرم العلماء دخول

١٧٨

الحمام بغير مئزر وقال أبو العالية كل فرج ذكر في القرآن فهو من الزنا إلا هذه الآيتين فإنه يعني التستر (١) ".

"الإنفاق وجوز الفراء أن يكون اسمها قوله " بين ذلك " وقوله تعالى " والذين لا يدعون " الآية إخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادتهم الأوثان وقتلهم النفس بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات وبالزنا الذي كان عندهم مباحا وفي نحو هذه الآية قال عبد الله بن مسعود قلت يوما يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية .

قال الفقيه الإمام القاضي والقتل والزنا يدخل في هذه الآية العصاة من المؤمنين ولهم من الوعيد بقدر ذلك والحق الذي تقتل به النفس هو قتل النفس والكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان والكفر الذي لم يتقدمه إيمان في الحربيين والآثام في كلام العرب العقاب وبه فسر ابن زيد وقتادة هذه الآية ومنه قول الشاعر " الوافر "

(جزى الله ابن عروة حيث أمسى

عقوقا والعقوق له آثام)

أي جزاء وعقوبة وقال عكرمة وعبد الله بن عمرو ومجاهد إن " أثاما " واد في جهنم هذا اسمه وقد جعله الله عقابا للكفرة وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يضاعف ويخلد جزما وقرأ ابن كثير وأبو جعفر والحسن يضعف بشد العين وطرح الألف وبالجزم في يضعف ويخلد وقرأ طلحة بن سليمان

٢٢١

نضعف بضم النون وكسر العين المشددة العذاب نصب ويخلد جزم وهي قراءة أبي جعفر وشيبة وقرأ عاصم في رواية أبي بكر يضاعف ويخلد بالرفع فيهما وقرأ طلحة بن سليمان وتخلد بالتاء على معنمخاطبة الكافر بذلك وروي عن أبي عمرو ويخلد بضم الياء من تحت وفتح اللام قال أبو علي وهي **غلط** من جهة الرواية

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢١٥/٤

ويضاعف بالجزم بدل من " يلق " قال سيبويه مضاعفة العذاب هي الآثام قال الشاعر :

(متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا) البيت

". [1]

"الشياطين) لأنها قد عزلت عن السمع الذي كانت تأخذ له مقاعدها وقوله " وما ينبغي لهم " أي ما يمكنهم وقد تجيء هذه اللفظة عبارة عما لا يمكن وعبارة عما لا يليق وإن كان ممكنا ولما جاء الله بالإسلام حرس السماء بالشهب الجارية إثر الشياطين فلم يخلص شيطان بشيء يلقيه كما كان يتفق لهم في الجاهلية وقرأ الجمهور الشياطين وروي عن الحسن أنه قرأ الشياطون وهي قراءة مردودة قال أبو حاتم هي غلط منه أو عليه وحكاها الثعلبي ايضا عن ابن السميفع وذكر عن يونس بن حبيب أنه قال سمعت أعرابيا يقول دخلت بساتين من ورائها بساتون قال يونس فقلت ما أشبه هذه بقراءة الحسن ثم وصى عز وجل نبيه عليه السلام بالثبوت على توحيد الله تعالى وأمره بنذارة عشيرته تخصيصا لهم إذ العشيرة مظنة المقاربة والطواعية وإذ يمكنه معهم من الإغلاظ عليهم ما لا يحتمله غيرهم فإن البر بهم في مثل هذا الحمل عليهم والإنسان غير متهم على عشيرته وكان هذا التخصيص مع الأمر العام بنذارة العالم وروي عن ابن جريج أن المؤمنين من غير عشيرته في ذلك الوقت نالهم من هذا التخصيص وخروجهم منه فنزلت " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النذارة عظم موقع الأمر عليه وصعب ولكنه تلقاه بالجلد وصنع أشياء مختلفة كلها بحسب الأمر فمن ذلك أنه أمر عليا رضي الله عنه بأن يصنع طعاما وجمع عليه بني جده عبد المطلب وأراد نذارتهم ودعوتهم في ذلك الجمع وظهر منه عليه السلام بركة في الطعام قال علي وهم يومئذ أربعون رجلا ينقصون رجلا أو يزيدونه فرماه أبو لهب بالسحر فوجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وافترق جمعهم من غير شيء ثم جمعهم كذلك ثانية وأنذرهم ووعظهم فتضاحكوا ولم يجيبوا ومن ذلك أنه نادى عمه العباس وصفية عمته وفاطمة ابنته وقال لهم لا أغني عنكم من الله شيئا إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد في حديث مشهور ومن ذلك أنه صعد على الصفا أو أبي

قبيس ونادى يا بني عبد مناف واصباحاه فاجتمع إليه الناس من أهل مكة فقال يا بني فلان حتى أتى على بطون قريش جميعا فلما تكامل خلق كثير من كل بطن قال لهم أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد الغارة عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم فإنا لم نجرب عليك كذبا فقال لهم فإني لكم نذير بين

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤/٢٦٧

يدي عذاب شديد فقال له أبو لهب ألهذا جمعتنا تبا لك سائر اليوم فنزلت " تبت يدا أبي لهب " السورة والعشيرة قرابة الرجل وهي في الرتبة تحت الفخذ وفوق الفصيلة وخفض الجناح استعارة معناه لين الكلمة وبسط الوجه والبر والضمير في " عصوك " عائد على عشيرته من حيث جمعت رجالا فأمره الله بالتبري منهم وفي هذه الآية موادعة نسختها آية السيف .
". (١)

"وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي يرضه بضمة على الهاء مشبعة وقرأ ابن عامر وعاصم يرضه بضمة على الهاء غير مشبعة واختلف عن نافع وأبي عمرو وقرأ عاصم في رواية أبي بكر يرضه بسكون الهاء قال أبو حاتم وهو غلط لا يجوز قال تعالى " ولا تزر وازرة وزر أخرى " أي لا يحمل أحد ذنب أحد وأنث الوازرة والأخرى لأنه أراد الأنفس والوزر الثقل وهذا خبر مضمنه الحض على أن ينظر كل أحد في خاصة أمره وما ينوبه في ذاته

ثم أخبرهم تعالى بأن مرجعهم في الآخرة إلى ربهم أي إلى ثوابه أو عقابه فيوقف كل أحد على أعماله لأنه المطلع على نيات الصدور وسائر الأفئدة وذات الصدور ما فيه من خبيئة ومنه قولهم الذيب مغبوط بذي بطنه

قوله عز وجل في سورة الزمر من ٨

" الإنسان " في هذه الآية يراد به الكافر بدلالة ما وصفه به آخرا من اتخاذ الأنداد لله تعالى

وقوله " تمتع بكفرك قليلا " وهذه آية بين تعالى بها على الكفار أن٥م على كل حال يلجؤون في حال الضرورات إليه وإن كان ذلك عن غير يقين منهم ولا إيمان فلذلك ليس بمعتد به و " منيبا " معناه مقاربا مراجعا بصيرته

وقوله تعالى " ثم إذا خوله نعمة " يحتمل أن يريد النعمة في كشف الضر المذكور ويحتمل أن يريد نعمة أي نعمة كانت واللفظ يعم الوجهين و " خوله " معناه ملكه وحكمه فيها ابتداء لا مجازاة ولا يقال في الجزاء خول ومنه الخول ومنه قول زهير

٥٢٢

(هنالك أن يستخولوا المال يخولوا

)

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢٩٣/٤

هذه الرواية الواحدة ويروى يستخبلوا

وقوله تعالى " نسي ما كان يدعو إليه من قبل " قالت فرقة " ما " مصدرية والمعنى نسي دعاءه إليه في حال الضرر ورجع إلى كفره وقالت فرقة بمعنى الذي والمراد بها الله تعالى وهذا كنحو قوله " ولا أنتم عابدون ما أعبد " [الكافرون : ٣ - ٥] وقد تقع ما مكان من فيما لا يحصى كثرة من كلامهم ويحتمل أن تكون " ما " نافية ويكون قوله " نسي " كلاما تاما ثم نفى أن يكون دعاء هذا الكافر خالصا لله ومقصودا به من قبل النعمة أي في حال الضرر ويحتمل أن تكون " ما " نافية ويكون قوله " من قبل " يريد به من قبل الضرر فكأنه يقول ولم يكن هذا الكافر يدعو في سائر زمنه قبل الضرر بل ألجأه ضرره إلى الدعاء والأنداد الأضداد التي تضاد وتزاحم وتعارض بعضها بعضا قال مجاهد المراد من الرجال يطيعونهم في معصية الله تعالى وقال غيره المراد الأوثان

وقرأ الجمهور ليضل بضم الياء وقرأها الباقون أبو عمرو وعيسى وابن كثير وشبل بفتحها ثم أمر تعالى نبيه أن يقول لهم على جهة التهديد قولا يخاطب به واحدا منهم " تمتع بكفرك " أي تلذذ به واصنع ما شئت والقليل هو عمر هذا المخاطب ثم أخبره أنه " من أصحاب النار " أي من سكانها والمخلدين فيها ".[1]

"قال القاضي أبو محمد وذلك لأن الله تعالى يجعل لها في عين الرأي حسنا تابعا للإجلال الذي في نفسه ومتى اجل الإنسان امرا حسن عنده منظره ومن هذا

الحديث الذي في الشهاب (من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار)

قال القاضي أبو محمد وهذا حديث **غلط** فيه ثابت بن موسى الزاهد سمع شريك بن عبد الله يقول حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر ثم نزع شريك لما رأى ثابت الزاهد فقال يعنيه من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار فظن ثابت ان هذا الكلام متركب على السند المذكور فحدث به عن شريك

وقرأ الأعرج (من إثر) بسكون الثاء وكسر الهمزة قال أبو حاتم هما بمعنى

وقرا قتادة (من آثار) جمعا

١٤٢

وقوله تعالى " ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل " الاية المثل هنا الوصف او الصفة

وقال بعض المتأولين التقدير الأمر " ذلك " وتم الكلام

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤/٥٩١

ثم قال " مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع " وقال مجاهد وجماعة من المتأولين المعنى " ذلك " الوصف هو " مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل " وتم القول و "كزرع " ابتداء تمثيل يختص بالقرآن وقال الطبري وحكاه عن الضحاك المعنى " ذلك " الوصف هو " مثلهم في التوراة " وتم القول ثم ابتدأ " ومثلهم في الإنجيل كزرع " وقال آخرون المثلان جميعا هي في التوراة وهي في الإنجيل

وقوله تعالى "كزرع " هو على كل الأقوال وفي أي كتاب منزل فرض مثل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث وحده فكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل يقال أشطأت الشجرة إذا خرجت غصونها وأشطأ الزرع إذا خرج شطأه وقرا ابن كثير وابن ذكوان عن ابن عامر (شطأ) بفتح الطاء والهمز دون مد وقرأ الباقون بسكون الطاء وقرا عيسى بن عمر (شطاه) بفتح الطاء دون همز وقرا أبو جعفر (شطه) رمى بالهمزة وفتح الطاء ورويت عن نافع وشيبة

وروي عن عيسى (شطاءه) بالمد والهمز وقرا الجحدري (شطوه) بالواو

قال ابو الفتح هي لغة او بدل من الهمزة ولا يكون الشطو إلا في البر والشعير وهذه كلها لغات

وحكى النقاش عن ابن عباس انه قال الزرع النبي صلى الله عليه وسلم (فآزره) علي بن أبي طالب رضي الله عنه " فاستغلظ " بأبي بكر " فاستوى على سوقه " بعمر بن الخطاب

وقوله تعالى " فآزره " وزنه أفعله أبو الحسن ورجحه أبو علي وقرا ابن ذكوان عن ابن عامر (فأزره) على وزن فعله دون مد ولذلك كله معنيان احدهما ساواه طولا ومنه قول امرىء القيس

(بمحنية قد آزر الضال نبتها

بجر جيوش غانمين وخيب) " الطويل "

أي هو موضع لم يزرع فكمل نبته حتى

." (١)

"وقوله تعالى " ما كذب الفؤاد ما رأى " قرأ جمهور القراء بتخفيف الذال على معنى لم يكذب قلب محمد الشيء الذي رأى بل صدقه وتحققه نظرا و "كذب " يتعدى وقال أهل التأويل ومنهم ابن عباس وأبو صالح راى محمد الله تعالى بفؤاده

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (جعل الله نور بصري في فؤادي فنظرت اليه بفؤادي)

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٢٦/٥

وقال آخرون من المتأولين المعنى ما راى بعينه لم يكذب ذلك قلبه بل صدقه وتحققه ويحتمل ان يكون التقدير فيما رأى وقال ابن عباس فيما روي عنه وعكرمة وكعب الأحبار ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه

وبسط الزهراوي هذا الكلام عنهم وأبت ذلك عائشة وقالت انا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآيات فقال لي (هو جبريل فيها كلها)

وقال الحسن المعنى ما رأى من مقدورات الله وملكوته وسأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال هو نور إني أراه وهذا قول الجمهور وحديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قاطع بكل تاويل في اللفظ لأن قول غيرها إنما هو منتزع من ألفاظ

القرآن

وقرأ ابن عامر فيما روى عنه هشام (ما كذب) بشد الذال وهي قراءة أبي رجاء وابي جعفر وقتادة والجحدري وخالد ومعناه بين على بعض ما قلناه وقال كعب الأحبار إن الله تعالى قسم الكلام والرؤية بين موسى ومحمد فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقالت عائشة رضي الله عنها لقد وقف شعري من سماع هذا وتلت " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " الأنعام ١٠٣

وذهبت هي وابن مسعود وقتادة وجمهور العلماء الى ان المرئي هو جبريل عليه السلام في المرتين في الأرض وعند سدرة المنتهى ليلة الاسراء وقد ذكرتها في سورة (سبحان) وهي مشهورة في الكتب الصحاح

وقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر هذه السورة كلها بفتح اواخر آيها وامال عاصم في رواية أبي بكر (رأى) وقرأ نافع وابو عمرو بين الفتح

وامال حمزة و ا لكسائي جميع ما في السورة وامال أبو عمرو فيما روى عنه عبيد (الأعلى) و (تدلى)

١٩٩

قوله عز وجل

سوة النجم ١٢ - ١٨

قوله تعالى " أفتمارونه " خطاب لقريش وهو من الصراء والمعنى أتجادلونه في شيء رآه وأبصره وهذه قراءة الجمهور وأهل المدينة وقرا علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وحمزة والكسائي (أفتمرونه) بفتح التاء دون ألف بعد الميم والمعنى أفتجدونه وذلك ان قريشا لما اخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره في الإسراء مستقصي كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم بيت المقدس وأمر عيرهم وغير ذلك مما هو في

حديث الإسراء مستقصى ورواها سعيد عن النخعي (أفتمرونه) بضم التاء قال أبو حاتم وذلك غلط من سعيد

." (١)

"ورسول الله خبر محمد ورجح ابن عطية هذا والأول عندي أرجح لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصا بالصحابة دون النبي صلى الله عليه وسلم وما أحق النبي صلى الله عليه وسلم بالوصف بذلك لأن الله قال فيه بالمؤمنين رءوف رحيم وقال جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فهذه هي الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين سيماهم في وجوههم السيما العلامة وفيه ستة أقوال الأول أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود والثاني أنه أثر التراب في الوجه الثالث أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة والرابع حسن الوجه لما ورد في لحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وهذا الحديث غير صحيح بل وقع فيه غلط من الراوي فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير مروي عنه الخامس أنه الخشوع السادس أن ذلك يكون في الآخرة يجعل الله لهم نورا من أثر السجود كما يجعل غرة من أثر الوضوء وهذا بعيد لأن قوله تراهم ركعا سجدا وصف حالهم في الدنيا فكيف يكون سيماهم في وجوههم كذلك والأول أظهر وقد كان بوجه علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن عبدالله بن العباس أثر ظاهر من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة أي وصفهم فيها وتم الكلام ... ٦٥٠." (٢)

"المجال، وأحجم عن الزج بسية قوسي في هذا النضال. اتقاء ما عسى أن يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة، أو فلتات سهام الفهم وإن بلغ ساعد الذهن كمال الفتوة. فبقيت أسوف النفس مرة ومرة أسومها زجرا، فإن رأيت منها تصميما أحلتها على فرصة أخرى، وأنا آمل أن يمنح من التيسير، ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير. وفيما أنا بين إقدام وإحجام، أتخيل هذا الحقل مرة القتاد وأخرى الثمام. إذا أنا بأملي قد خيل إلي أنه تباعد أو انقضى، إذ قدر أن تسند إلي خطة القضا١. فبقيت متلهفا ولات حين مناص، وأضمرت تحقيق هاته الأمنية متى أجمل الله الخلاص، وكنت أحادث بذلك الأصحاب والإخوان، وأضرب المثل بأبي الوليد ابن رشد في كتاب "البيان"٢ ولم أزل كلما مضت مدة يزداد التمني وأرجو إنجازه، إلى أن أوشك أن تمضي عليه مدة الحيازة، فإذا الله قد من بالنقلة إلى خطة الفتيا٣. وأصبحت الهمة

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٧٩/٥

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٦٣/٣

مصروفة إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا، فتحول إلى الرجاء ذلك الياس، وطمعت أن أكون ممن أوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس٤. هنالك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته، واستعنت بالله تعالى واستخرته وعلمت أن ما يهول من توقع كلل أو غلط، لا ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط، إذا بذلت الوسع من الاجتهاد، وتوخيت طرق الصواب والسداد.
أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع، على وادي السباع٥؛ متوسطا في معترك أنظار

_

١ في ٢٦ رمضان ١٣٣١هـ والقضاء هنا بالقصر لمراعاة السجع.
٢ حيث ذكر أنه شرع فيه، ثم عاقه عنه تقليد خطة القضاء بقرطبة فعزم على الرجوع إليه إن أريح من القضاء وأنه عرض عزمه على أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين، فأجابه لذلك وأعفاه من القضاء ليعود إلى إكمال كتابه "البيان والتحصيل" وهذا الكتاب هو شرح جليل على كتاب "العتيبة" الذي جمع فيه العتبى سماع أصحاب مالك منه. وساع أصحاب ابن القاسم منه.
٣ في ٢٦ رجب ١٣٤١هـ
٤ أردت الإشارة إلى الحديث: "لا حسد إلى في اثنتين" لأنه يتعين أن لايكون المراد خصوص الجمع بين القضاء بها وتعليمها، بل يحصل المقصود ولو بأن يقضى بها مدة، ويعلمها الناس مدة أخرى.
٥ وادي السباع موضع بين مكة والبصرة وهو واد قفر من السكان تكثر به السباع قال سحيم بن وثيل:
مررت على وادي السباع ولا أرى ... كوادي السباع حين يظلم واديا
أقل به ركب أتوه تئية ... وأخوف إلا ما وقى الله ساريا." (١)

"ضعيفة لا ينبغي للعالم التعريج عليها وقد أنهى بعضهم جملة الأجوبة إلى خمسة وثلاثين جوابا.
وعندي أنه إن كان حديث عمر وهشام بن حكيم قد حسن إفصاح راويه عن مقصد عمر فيما حدث به بأن لا يكون مرويا بالمعنى مع إخلال بالمقصود أنه يحتمل أن يرجع إلى ترتيب آي السور بأن يكون هشام قرأ سورة الفرقان على غير الترتيب الذي قرأ به عمر فتكون تلك رخصة لهم في أن يحفظوا سور القرآن بدون تعيين ترتيب الآيات من السورة، وقد ذكر الباقلاني احتمال أن يكون ترتيب السور من اجتهاد الصحابة كما يأتي في المقدمة الثامنة. فعلى رأينا هذا تكون هذه رخصة. ثم لم يزل الناس يتوخون بقراءتهم موافقة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان ترتيب المصحف في زمن أبي بكر على نحو العرضة الأخيرة التي

---

(١) التحرير والتنوير، ٦/١

عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمع الصحابة في عهد أبي بكر على ذلك لعلمهم بزوال موجب الرخصة.

ومن الناس من يظن المراد بالسبع في الحديث ما يطابق القراءات السبع التي اشتهرت بين أهل فن القراءات، وذلك **غلط** ولم يقله أحد من أهل العلم، وأجمع العلماء على خلافه كما قال أبو شامة: فإن انحصار القراءات في سبع لم يدل عليه دليل، ولكنه أمر حصل إما بدون قصد أو بقصد التيمن بعدد السبعة أو بقصد إيهام أن هذه السبعة هي المرادة من الحديث تنويها بشأنها بين العامة، ونقل السيوطي عن أبي العباس ابن عمار أنه قال: لقد فعل جاعل عدد القراءات سبعا ما لا ينبغي، وأشكل به الأمر على العامة إذ أوهمهم أن هذه السبعة هي المرادة في الحديث، وليت جامعها نقص عن السبعة أو زاد عليها.

قال السيوطي: وقد صنف ابن جبير المكي وهو قبل ابن مجاهد كتابا في القراءات فاقتصر على خمسة أئمة من كل مصر إماما، وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار كانت إلى خمسة أمصار.

قال ابن العربي في العواصم: أول من جمع القراءات في سبع ابن مجاهد غير أنه عد قراءة يعقوب سابعا ثم عوضها بقراءة الكسائي، قال السيوطي وذلك على رأس الثلاثمائة: وقد اتفق الأئمة على أن قراءة يعقوب من القراءات الصحيحة مثل بقية السبعة، وكذلك قراءة أبي جعفر وشيبة، وإذ قد كان الاختلاف بين القراء سابقا على تدوين المصحف الإمام في زمن عثمان وكان هو الداعي لجمع المسلمين على مصحف واحد." (١)

"واختلفوا في قراءة البسملة في غير الشروع في قراءة سورة من أولها، أي في قراءة البسملة بين السورتين.

فورش عن نافع في أشهر الروايات عنه وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، ويعقوب، وخلف، لا يبسملون بين السورتين وذلك يعلل بأن التشبه بفعل كتاب المصحف خاص بالابتداء، وبحملهم رسم البسملة في المصحف على أنه علامة على ابتداء السورة لا على الفصل، إذ لو كانت البسملة علامة على الفصل بين السورة والتي تليها لما كتبت في أول سورة الفاتحة، فكان صنيعهم وجيها لأنهم جمعوا بين ما رووه عن سلفهم وبين دليل قصد التيمن، ودليل رأيهم أن البسملة ليست آية من أول كل سورة.

وقالون عن نافع وابن كثير وعاصم والكسائي وأبو جعفر يبسملون بين السورتين سوى ما بين الأنفال وبراءة،

---

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٥٨

وعدوه من سنة القراءة، وليس حظهم في ذلك إلا اتباع سلفهم، إذ ليس جميعهم من أهل الاجتهاد، ولعلهم طردوا قصد التيمن بمشابهة كتاب المصحف في الإشعار بابتداء السورة والإشعار بانتهاء التي قبلها.

واتفق المسلمون على ترك البسملة في أول سورة براءة وقد تبين وجه ذلك آنفا، ووجهه الأئمة بوجوه أخر تأتى في أول سورة براءة، وذكر الجاحظ في "البيان والتبيين"١ أن مؤرجا السدوسي البصري سمع رجلا يقول أمير المؤمنين يرد على المظلوم فرجع مؤرج إلى مصحفه فرد على براءة بسم الله الرحمن الرحيم، ويحمل هذا الذي صنعه مؤرج إن صح عنه إنما هو على التمليح والهزل وليس على الجد.

وفي هذا ما يدل على أن اختلاف مذاهب القراء في قراءة البسملة في مواضع من القرآن ابتداء ووصلا كما تقدم لا أثر له في الاختلاف في حكم قراءتها في الصلاة، فإن قراءتها في الصلاة تجري على إحكام النظر في الأدلة وليست مذاهب القراء بمعدودة من أدلة الفقه، وإنما قراءاتهم روايات وسنة متبعة في قراءة القرآن دون استناد إلى اعتبار أحكام رواية القرآن من تواتر ودونه، ولا إلى وجوب واستحباب وتخيير، فالقارئ يقرأ كما روى عن معلميه ولا ينظر في حكم ما يقرأه من لزوم كونه كما قرأ أو عدم اللزوم، تجري أعمالهم في صلاتهم على نزعاتهم في الفقه من اجتهاد وتقليد، ويوضح غلط من ظن أن خلاف الفقهاء في إثبات البسملة وعدمه مبني على خلاف القراء، كما يوضح

-

١ صفحة ١٣٠ جزء ٢ طبع الرحمانية- القاهرة.." (١)

"على ذلك. وهذه هي المسألة التي بسببها قال الحسن البصري لواصل وعمرو بن عبيد اعتزل مجلسنا.

ودرج على هذا جميعهم، لكنهم اضطربوا أو اضطرب النقل عنهم في مسمى المنزلة بين المنزلتين، فقال إمام الحرمين في الإرشاد إن جمهورهم قالوا إن الكبيرة تحبط ثواب الطاعات وإن كثرت، ومعناه لا محالة أنها توجب الخلود في النار وبذلك جزم التفتزاني في شرح الكشاف وفي المقاصد، وقال إن المنزلة بين المنزلتين هي موجبة للخلود وإنما أثبتوا المنزلة لعدم إطلاق اسم الكفر ولإجراء أحكام المؤمنين على صاحبها في ظاهر الحال في الدنيا بحيث لا يعتبر مرتكب المعصية كالمرتد فيقتل. وقال في المقاصد ومثله في الإرشاد: المختار عندهم خلاف المشتهر فإن أبا علي وابنه وكثيرا من محققيهم ومتأخريهم قالوا: إن الكبائر إنما توجب دخول النار إذا زاد عقابها على ثواب الطاعات فإن أربت الطاعات على السيئات درأت السيئات، وليس النظر إلى أعداد الطاعات ولا الزلات، وإنما النظر إلى مقدار الأجور والأوزار فرب كبيرة واحدة يغلب

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤٣/١

وزرها طاعات كثيرة العدد، ولا سبيل إلى ضبط هذه المقادير بل أمرها موكول إلى علم الله تعالى. فإن استوت الحسنات والسيئات فقد اضطربوا في ذلك فهذا محل المنزلة بين المنزلتين. ونقل ابن حزم في الفصل عن جماعة منهم، فيهم بشر المريسي والأصم أن من استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف ولهم وقفة لا يدخلون النار مدة ثم يدخلون الجنة ومن رجحت سيئاته فهو مجازي بقدر ما رجح له من الذنوب فمن لفحة واحدة إلى بقاء خمسين ألف سنة في النار ثم يخرجون منها بالشفاعة. وهذا يقتضي أن هؤلاء لا يرون الخلود. وقد نقل البعض عن المعتزلة أن المنزلة بين المنزلتين لا جنة ولا نار إلا أن التفتزاني في المقاصد غلط هذا البعض وكذلك قال في شرح الكشاف. وقد قرر صاحب الكشاف حقيقة المنزلة بين المنزلتين بكلام مجمل فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ [البقرة: ٢٦] والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلتي المؤمن والكافر. وقالوا إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلي عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة اه، فتراه مع إيضاحه لم يذكر فيه أنه خالد في النار وصرح في قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها﴾ [النساء: ٩٣] بما يعمم خلود أهل الكبائر دون توبة في النار.." (١)

"سورة ترجمت باسم يخصها، وأقل السور عدد آيات سورة الكوثر. وقد كان المشركون بالمدينة تبعا للمشركين بمكة وكان نزول هذه السورة في أول العهد بالهجرة إلى المدينة فكان المشركون كلهم ألبا على النبي صلى الله عليه وسلم يتداولون الإغراء بتكذيبه وصد الناس عن اتباعه، فأعيد لهم التحدي بإعجاز القرآن الذي كان قد سبق تحديهم به في سورة يونس وسورة هود وسورة الإسراء.

وقد كان التحدي أولا بالإتيان بكتاب مثل ما نزل منه ففي سورة الإسراء: ﴿قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ . فلما عجزوا استنزلوا إلى الإتيان بعشر سور مثله في سورة هود١. ثم استنزلوا إلى الإتيان بسورة مثله في سورة يونس٢.

والمثل أصله المثيل والمشابه تمام المشابهة فهو في الأصل صفة يتبع موصوفا ثم شاع إطلاقه على الشيء المشابه المكافئ.

والضمير في قوله: ﴿من مثله﴾ يجوز أن يعود إلى "ما نزلنا" أي من مثل القرآن، ويجوز أن يعود إلى:

---

(١) التحرير والتنوير، ١/٢٦٥

﴿عبدنا﴾ فإن أعيد إلى "ما نزلنا" أي من مثل القرآن فالأظهر أن من ابتدائية أي سورة مأخوذة من مثل القرآن أي كتاب مثل القرآن والجار والمجرور صفة لسورة، ويحتمل أن تكون "من" تبعيضية أو بيانية أو زائدة. وقد قيل بذلك كله، وهي وجوه مرجوحة، وعلى الجميع فالجار والمجرور صفة لسورة، أي هي بعض مثل ما نزلنا، ومثل اسم حينئذ بمعنى المماثل، أو سورة مثل ما نزلنا و"مثل" صفة على احتمالي كون من بيانية أو زائدة، وكل هذه الأوجه تقتضي أن المثل سواء كان صفة أو اسما فهو مثل مقدر بناء على اعتقادهم وفرضهم ولا يقتضي أن هذا المثل موجود لأن الكلام مسوق مساق التعجيز. وإن أعيد الضمير لعبدنا فمن لتعدية فعل ائتوا وهي ابتدائية وحينئذ فالجار والمجرور ظرف لغو غير مستقر. ويجوز كون الجار والمجرور صفة لسورة على أنه ظرف مستقر والمعنى فيهما ائتوا بسورة منتزعة من رجل مثل محمد في الأمية، ولفظ مثل إذن اسم.

وقد تبين لك أن لفظ مثل في الآية لا يحتمل أن يكون المراد به الكناية عن

ـ

١ في المطبوعة: "يونس" وهو **غلط** ففي التنزيل ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ [هود: من الآية١٣]

٢ في المطبوعة: "هود" وهو **غلط** ففي التنزيل ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ [يونس: ٣٨]." [(١)]

"اعتقاد مقرر في نفوسهم يشيعونه بين الناس بألسنتهم قد أنبأ بغرور عظيم من شأنه أن يقدموا على تلك الجريمة وغيرها إذ هم قد أمنوا من المؤاخذة إلا أياما معدودة تعادل أيام عبادة العجل أو أياما عن كل ألف سنة من العالم يوم وإن ذلك عذاب مكتوب على جميعهم فهم لا يتوقون الإقدام على المعاصي لأجل ذلك فبالعطف على أخبارهم حصلت فائدة الإخبار عن عقيدة من ضلالاتهم. ولموقع هذا العطف حصلت فائدة الاستئناف البياني إذ يعجب السامع من جرأتهم على هذا الإجرام.

وقوله: ﴿وقالوا﴾ أراد به أنهم قالوه عن اعتقاد لأن الأصل الصدق في القول حتى تقوم القرينة على أنه قول على خلاف الاعتقاد كما في قوله: ﴿قالوا آمنا﴾ [البقرة: ١٤] ولأجل أن أصل القول أن يكون على وفق الاعتقاد ساغ استعمال القول في معنى الظن والاعتقاد في نحو قولهم :قال مالك، وفي نحو قول عمرو بن معد يكرب

علام تقول الرمح يثقل عاتقي

والمس حقيقته اتصال اليد بجرم من الأجرام وكذلك اللمس قال تعالى: ﴿والذين كذبوا١ بآياتنا يمسهم

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٣٢/١

العذاب﴾ [الأنعام: ٤٩].
وعبر عن نفيهم بحرف لن الدال على تأييد النفي تأكيدا لانتفاء العذاب عنهم بعد تأكيد، ولدلالة لن على استغراق الأزمان تأتى الاستثناء من عموم الأزمنة بقوله: ﴿إلا أياما معدودة﴾ على وجه التفريع فهو منصوب على الظرفية.
والوصف بمعدودة مؤذن بالقلة لأن المراد بالمعدود الذي يعده الناس إذا رأوه أو تحدثوا عنه، وقد شاع في العرف والعوائد أن الناس لا يعمدون إلى عد الأشياء الكثيرة دفعا للملل أو لأجل الشغل سواء عرفوا الحساب أم لم يعرفوه لأن المراد العد بالعين واللسان لا العد بجمع الحسابات إذ ليس مقصودا هنا. وتأنيث "معدودة" وهو صفة "أياما" مراعى فيه تأويل الجمع بالجماعة وهي طريقة عربية مشهورة ولذلك كثر في صفة الجمع إذا أنثوها أن يأتوا بها بصيغة الأفراد إلا إذا أرادوا تأويل الجم ع بالجماعات، وسيأتي ذلك في قوله تعالى: ﴿أياما معدودات﴾ [البقرة: ١٨٤]

-

١ في المطبوعة ﴿كفروا ﴾ وهو غلط.." [١]

"جردت جملة "قل" من العاطف لوقوعها في مقام الحوار مجاوبة لقولهم: ﴿كونوا هودا أو نصارى تهتدوا﴾ على نحو ما تقدم أي بل لا اهتداء إلا باتباع ملة إبراهيم فإنها لما جاء بها الإسلام أبطل ما كان قبله من الأديان.
وانتصب "ملة" بإضمار تتبع لدلالة المقام لأن ﴿كونوا هودا﴾ بمعنى اتبعوا اليهودية، ويجوز أن ينصب عطفا على ﴿هودا﴾ والتقدير بل نكون ملة إبراهيم أي أهل ملته كقول عدي بن حاتم لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم: إني من دين أو من أهل دين يعني النصرانية،.
والحنيف فعيل بمعنى فاعل مشتق من الحنف بالتحريك وهو الميل في الرجل قالت أم الأحنف ابن قيس فيما ترقصه به:
والله لولا حنف برجله ... ما كان في فتيانكم من مثله
والمراد الميل في المذهب أن الذي به حنف يميل في مشيه عن الطريق المعتاد. وإنما كان هذا مدحا للملة لأن الناس يوم ظهور ملة إبراهيم كانوا في ضلالة عمياء فجاء دين إبراهيم مائلا عنهم فلقب بالحنيف ثم صار الحنيف لقب مدح بالغلبة. والوجه أن يجعل حنيفا حالا من إبراهيم وهذا من مواضع الاتفاق على

(١) التحرير والتنوير، ٥٦١/١

صحة مجيء الحال من المضاف إليه ولك أن تجعله حالا لملة إلا أن فعيلا بمعنى فاعل يطابق موصوفه إلا أن تؤول ملة بدين على حد: ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: من الآية٥٦] أي إحسانه أو تشبيه فعيل إلخ بمعنى فاعل بفعيل بمعنى مفعول.

وقد دلت هذه الآية على أن الدين الإسلامي من إسلام إبراهيم.

وقوله: ﴿وما كان من المشركين﴾ جملة هي حالة ثانية من إبراهيم وهو احتراس لئلا يغتر المشركون بقوله: ﴿بل ملة إبراهيم﴾ أي لا نكون هودا ولا نصارى فيتوهم المشركون أنه لم يبق من الأديان إلا ما هم عليه لأنهم يزعمون أنهم على ملة إبراهيم وإلا فليس ذلك من المدح له بعد ما تقدم من فضائله وهذا على حد قوله تعالى: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ **غلط** فيه صاحب الكشاف غلطا فاحشا كما سيأتي.

[١٣٦] ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾." [١]

"سيقوله، فإن قولك في الخطاب: اعلم إنباء بأهمية ما سيلقى للمخاطب وسيأتي بسط الكلام فيه عند قوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ [لأنفال:٢٤] في سورة الأنفال، والمعية هنا مجاز في الإعانة بالنصر والوقاية، ويجوز أن يكون المعنى: واتقوا الله في حرماته في غير أحوال الاضطرار: ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [البقرة:١٩٤] فهو يجعلهم بمحل عنايته.

[١٩٥] ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾

هذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ [البقرة:١٩٠] إلخ فإنهم لما أمروا بقتال عدوهم وكان العدو أوفر منهم عدة حرب أيقظهم إلى الاستعداد بإنفاق الأموال في سبيل الله، فالمخاطبون بالأمر بالإنفاق جميع المسلمين لا خصوص المقاتلين.

ووجه الحاجة إلى هذا الأمر – مع أن الاستعداد للحرب مركوز في الطباع تنبيه المسلمين فإنهم قد يقصرون في الإتيان على منتهى الاستعداد لعدو قوي، لأنهم قد ملئت قلوبهم إيمانا بالله وثقة به، وملئت أسماعهم بوعد الله إياهم النصر وأخيرا بقوله: ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [البقرة:١٩٤] نبهوا على أن تعهد الله لهم بالتأييد والنصر لا يسقط عنهم أخذ العدة المعروفة فلا يحسبوا أنهم غير مأمورين ببذل الوسع لوسائل النصر التي هي أسباب ناط الله تعالى بها مسبباتها على حسب الحكمة التي اقتضاها النظام الذي سنه الله في الأسباب ومسبباتها، فتطلب المسببات دون أسبابها **غلط** وسوء أدب مع خالق الأسباب ومسبباتها

---

(١) التحرير والتنوير، ٧١٧/١

كي لا يكونوا كالذين قالوا لموسى: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ [المائدة:٢٤] فالمسلمون إذا بذلوا وسعهم، ولم يفرطوا في شئ ثم ارتبكوا في أمر بعد ذلك فالله ناصرهم، ومؤيدهم فيما لا قبل لهم بتحصيله ولقد نصرهم الله ببدر وهم أذلة، إذ هم يومئذ جملة المسلمين وإذ لم يقصروا في شئ، فأما أقوام يتلفون أموال المسلمين في شهواتهم، ويفيتون الفرص وقت الأمن فلا يستعدون لشيء ثم يطلبون بعد ذلك من الله النصر والظفر فأولئك قوم مغرورون، ولذلك يسلط الله عليهم أعداءهم بتفريطهم. ولعله يتداركهم في خلال ذلك بلطفه فيما يرجع إلى استبقاء الدين، والإنفاق تقدم في قوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة: من الآية٣].

و "سبيل الله" طريقه، والطريق إذا أضيف إلى شئ فإنما يضاف إلى ما يوصل إليه،." (١)

"وتعويض وصف بوصف كقول أبي الشيص:

بدلت من برد الشباب ملاءة ... خلقا وبئس مثوبة المقتاض

فإنه أراد تبديل حالة الشباب بحالة الشيب، وكقول النابغة:

عهدت بها حيا فبدلت ... خناظيل آجال النعاج الجوافل

وليس قوله: ﴿نعمة الله﴾ من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير بأن يكون الأصل ومن يبدلها أي الآيات: ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ لظهور أن في لفظ "نعمة الله" معنى جامعا للآيات وغيرها من النعم.

وقوله: ﴿من بعد ما جاءته﴾ المجيء فيه كناية عن الوضوح والمشاهدة والتمكن ، لأنها من لوازم المجيء عرفا.

وإنما جعل العقاب مترتبا على التبديل بعد هذا التمكن للدلالة على أنه تبديل عن بصيرة لا عن جهل أو غلط كقوله تعالى فيما تقدم: ﴿ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ [البقرة:٧٥].وحذف ما بدل به النعمة ليشمل جميع أحوال التبديل من كتم بعضها والإعراض عن بعض وسوء التأويل. والعقاب ناشئ من تبديل تلك النعم في أوصافها أو في ذواتها، ولا يكون تبديل إلا لقصد مخالفتها، وإلا لكان غير تبديل بل تأييدا وتأويلا، بخلاف قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا﴾ [ابراهيم:٢٨] لأن تلك الآية لم يتقدم فيها ما يؤذن بأن النعمة ما هي ولا تؤذن بالمستبدل به هنالك فتعين التصريح بالمستبدل به، والمبدلون في تلك الآية غير المراد من المبدلين في هذه، لأن تلك في كفار قريش بدليل قوله بعدها: ﴿وجعلوا لله أندادا﴾ [ابراهيم:٣٠].

(١) التحرير والتنوير، ٢/٢٠٨

وقوله: ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ دليل جواب الشرط وهو علته، لأن جعل هذا الحكم العام جوابا للشرط يعلم منه أن من ثبت له فعل الشرط يدخل في عموم هذا الجواب، فكون الله شديد العقاب أمر محقق معلوم فذكره لم يقصد منه الفائدة، لأنها معلومة: بل التهديد، فعلم أن المقصود تهديد المبل فدل على معنى: فالله يعاقبه، لأن الله شديد العقاب، ومعنى شدة عقابه: أنه لا يفلت الجاني وذلك لأنه القادر على العقاب، وقد جوز أن يكون فإن الله شديد العقاب نفس جواب الشرط يجعل أل في العقاب عن الضمير المضاف إليه أي شديد معاقبته.

وإظهار اسم الجلالة هنا مع أن مقتضى الظاهر أن يقال: فإنه شديد العقاب، لإدخال." [1]

"وعدي ﴿تأمنه﴾ مع إن مثله يتعدى بعلى كقوله: ﴿هل آمنكم عليه﴾ [يوسف: ٦٤]، لتضمينه معنى تعامله بقنطار ليشمل الأمانة بالوديعة، والأمانة بالمعاملة على الاستيمان، وقيل الباء فيه بمعنى على كقول أبي ذر أو عباس بن مرداس:

أرب يبول الثعلبان برأسه

وهو محمل بعيد، لأن الباء في البيت للظرفية كقوله تعالى: ﴿ببطن مكة﴾ [الفتح: ٢٤].

وقرأ الجمهور ﴿يؤده﴾ إليك بكسر الهاء من يؤده على الأصل في الضمائر.

وقرأه أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم، وأبو جعفر: بإسكان هاء لا ضمير في يؤده فقال الزجاج: هذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بين لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تكسر في الوصل هكذا نقله ابن عطية ومعناه أن جزم الجواب لا يظهر على هاء الضمير بل على آخر حرف من الفعل ولا يجوز تسكينها في الوصل كما في أكثر الآيات التي سكنوا فيها الهاء. وقيل هو إجراء للوصل مجرى الوقف وهو قليل، قال الزجاج: وأما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسر فغلط عليه من نقله وكلام الزجاج مردود لأنه راعى فيه لا مشهور من الاستعمال المقيس، واللغة أوسع من ذلك، والقرآن حجة.

وقرأه هشام عن ابن عامر، ويعقوب باختلاس الكسر.

وحكى القرطبي عن الفراء: أن مذهب بعض العرب يجزمون الهاء إذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كما يسكنون ميم أنتم وقمتم وأصله لا رفع وهذا كما قال الراجز:

لما رأى ألا دعه ولا شبع ... مال إلى أرطاة حقف فاضطجع

والقنطار تقدم آنفا في قوله تعالى: ﴿والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾ [آل عمران: ١٤].

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/٢٧٦

والدينار اسم للمسكوك من الذهب الذي وزنه اثنتان وسبعون حبة من الشعير المتوسط وهو معرب دنار من الرومية.

وقد جعل القنطار والدينار مثلين للكثرة والقلة، والمقصود ما يفيده الفحوى من أداء الأمانة فيما هو دون القنطار، ووقوع الخيانة فيما هو فوق الدينار.

وقوله: ﴿إلا ما دمت عليه قائما﴾ أطلق القيام هنا على الحرص والمواظبة: كقوله." [١]

"الآية، وبه فسر محقق والمفسرين من السلف منهم علي بن أبي طالب، وابن عباس، وطاووس، والسدي.

ومن العلماء من استبعد أن يكون أخذ العهد على الأنبياء حقيقة نظرا إلى قوله: ﴿فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ توهموه متعينا لأن يكون المراد بمن تولى من النبيين المخاطبين، وستعلم أنه ليس كذلك فتأولوا الآية بأن المراد من أخذ العهد على أممهم، وسلكوا مسالك مختلفة من التأويل فمنهم من جعل إضافة الميثاق للنبيين إضافة تشبه إضافة المصدر إلى فاعله أي أخذ الله على الأمم ميثاق أنبياءهم منهم، ومنهم من قدر حذف المضاف أي أمم النبيين أو أولاد النبيين وإليه مال قول مجاهد والربيع، واحتجوا بقراءة أبي، وابن مسعود، وهذه الآية: وغذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لما آتيناكم من كتاب، ولم يقرأ ميثاق النبيئين، وزاد مجاهد فقال: إن قراءة أبي هي القرآن، وإن لفظ النبيين **غلط** من الكتاب، ورده ابن عطية وغيره بإجماع الصحابة والأمة على مصحف عثمان.

وقوله: ﴿لما آتيناكم﴾ قرأ الجمهور لما بفتح اللام وتخفيف الميم فاللام موطئة للقسم، ولأن أخذ الميثاق في معنى اليمين وما موصولة مبتدأ ﴿وآتيناكم﴾ صلته وحذف العائد المنصوب جرى على الغالب في مثله و من كتاب بيان للموصول وصلته، وعطف ﴿ثم جاءكم﴾ على ﴿آتيناكم﴾ أي الذي آتيناكموه وجاءكم بعده رسول. ولتؤمنن اللام فيه لام جواب القسم والجواب سد مسد خبر المبتدأ كما هو المعروف وضمير به عائد على الرسول وحذف ما يعود على ما آتيناكم لظهوره.

وقرأه حمزة: بكسر لام لما فتكون اللام للتعليل متعلقة بقوله: ﴿لتؤمنن به﴾ أي شكرا على ما آتيتكم وعلى أن بعثت إليكم رسولا مصدقا لما كنتم عليه من الدين ولا يضر عمل ما بعد لام القسم فيما قبلها فأخذ الميثاق عليهم مطلقا ثم علل جواب القسم بأنه من شكر نعمة الإيتاء والتصديق، ولا يصح من جهة المعنى

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/١٣٢

تعليق ﴿لما آتيناكم﴾ بفعل القسم المحذوف، لأن الشكر علة للجواب، لا لأخذ العهد.

ولام ﴿لتؤمنن﴾ لام جواب القسم، على الوجه الأول، وموطئة للقسم على الوجه الثاني.." (١)

"لأن تعدد الإماء يفضي إلى كثرة العيال في النفقة عليهن وعلى ما يتناسل منهن، ولذلك رد جماعة على الشافعي هذا الوجه بين مفرط ومقتصد.

وقد أغلظ في الرد أبو بكر الجصاص في أحكامه حتى زعم هذا **غلط** في اللغة، اشتبه به عال يعيل بعال يعول. واقتصد ابن العربي في رد هذا القول في كتاب الأحكام. وانتصر صاحب الكشاف للشافعي، وأورد عليهم أن ذلك لا يلاقي قوله تعالى ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ فإن تعدد الجواري مثل تعدد الحرائر فلا مفر من الإعالة على هذا التفسير. وأجيب عنه بجواب فيه تكلف.

وحكم هذه الآية مما أشار إليه قوله تعالى ﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ [النساء:١].

﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ [٤]. جانبان مستضعفا في الجاهلية: اليتيم، والمرأة. وحقان مغبون فيهما أصحابهما: مال الأيتام ، ومال النساء، فلذلك حرسهما القرآن أشد الحراسة فابتدأ بالوصاية بحق المرأة في مال ينجر إليها لا محالة، وكان توسط حكم النكاح بين الوصايتين أحسن مناسبة تهيئ لعطف هذا الكلام.

فقوله ﴿وآتوا النساء﴾ عطف على قوله ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ [النساء:٢] والقول في معنى الإيتاء فيه سواء. وزاده اتصالا بالكلام السابق أن ما قبله أن ما قبله جرى على وجوب القسط في يتامى النساء، فكان ذلك مناسبة الانتقال. والمخاطب بالأمر في أمثال هذا كل من له نصيب في العمل بذلك، فهو خطاب لعموم الأمة على معنى تناوله لكل من له فيه من الأزواج والأولياء ثم ولاة الأمور الذين إليهم المرجع في الضرب على أيدي ظلمة أربابها. والمقصود بالخطاب ابتداء هم الأزواج، لكيلا يتذرعوا بحياء النساء وضعفهن وطلبهن مرضاتهم إلى غمص حقوقهن في أكل مهورهم، أو يجعلوا حاجتهن للتزوج لأجل إيجاد كافل لهن ذريعة لإسقاط المهر في النكاح، فهذا ما يمكن في أكل مهورهن، وإلا فلهن أولياء يطالبون الأزوا ج بتعيين المهور، ولكن دون الوصول إلى ولاة الأمور متاعب وكلف قد يملها صاحب الحق فيترك طلبه، وخاصة النساء ذوات الأزواج. والى كون الخطاب للأزواج ذهب ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وابن

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤٤/٣

جريج، فالآية على هذا قررت دفع المهور وجعلته شرعا، فصار المهر ركنا من أركان النكاح في الإسلام،." (١)

"مغضبا يريد أن يقتل مؤمنا، قال: فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك. وكان ابن شهاب إذا سأله عن ذلك من يفهم منه أنه كان قتل نفسا يقول له توبتك مقبولة وإذا سأله من لم يقتل، وتوسم من حاله أنه يحاول قتل نفس، قال له: لا توبة للقاتل.

وأقول: هذا مقام قد اضطربت فيه كلمات المفسرين كما علمت، وملاكه أن ما ذكره الله هنا في وعيد قاتل النفس قد تجاوز فيه الحد المألوف من الإغلاظ، فرأى بضع السلف أن ذلك موجب لحمل الوعيد في الآية على ظاهره، دون تأويل، لشدة تأكيده تأكيدا يمنع من حمل الخلود على المجاز، فيثبت للقاتل الخلود حقيقة، بخلاف بقية آي الوعيد، وكأن هذا المعنى هو الذي جعلهم يخوضون في اعتبار هذه الآية محكمة أو منسوخة، لأنهم لم يجدوا ملجأ آخر يأوون إليه في حملها على ما حملت عليه آيات الوعيد: من محامل التأويل، أو الجمع بين المتعارضات، فآووا إلى دعوى نسخ نصها بقوله تعالى في سورة الفرقان [الفرقان:٦٨، ٦٩] ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ إلى قوله ﴿إلا من تاب﴾ لأن قوله ﴿ومن يفعل ذلك﴾ إما أن يراد به مجموع الذنوب المذكورة، فإذا كان فاعل مجموعها تنفعه التوبة ففاعل بعضها وهو القتل عمدا أجدر، وإما أن يراد فاعل واحدة منها فالقتل عمدا مما عد معها. ولذا قال ابن عباس لسعيد ابن جبير: إن آية النساء آخر آية نزلت وما نسخها شيء، ومن العجب أن يقال كلام مثل هذا، ثم أن يطال وتتناقله الناس وتمر عليه القرون، في حين لا تعارض بين هذه الآية التي هي وعيد لقاتل النفس وبين آيات قبول التوبة. وذهب فريق إلى الجواب بأنها نسخت بآية ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ، بناء على أن عموم ﴿من يشاء﴾ نسخ خصوص القتل. وذهب فريق إلى الجواب بأن الآية نزلت في مقيس بن صبابة، وهو كافر. فالخلود لأجل الكفر، وهو جواب مبني على **غلط** لأن لفظ الآية عام إذ هو بصيغة الشرط فتعين أن من شرطية وهي من صيغ العموم فلا تحمل على شخص معين؛ إلا عند من يرى أن سبب العام يخصصه بسببه لا غير، وهذا لا ينبغي الالتفات إليه. وهذه كلها ملاجئ لا حاجة إليها، لأن آيات التوبة ناهضة مجمع عليها متظاهرة ظواهرها، حتى بلغت حد النص المقطوع به، فيحمل عليها آيات وعيد الذنوب كلها حتى الكفر. على أن تأكيد الوعيد في الآية إنما يرفع احتمال المجاز في كونه وعيدا لا في تعيين المتوعد به وهو الخلود. إذ المؤكدات هنا مختلفة المعاني فلا يصح أن يعتبر أحدها مؤكدا لمدلول الآخر

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١/٤

بل إنما أكدت الغرض، وهو الوعيد، لا أنواعه، وهذا هو الجواب القاطع لهاته الحيرة، وهو الذي يتعين اللجأ إليه، والتعويل عليه.." (١)

"على صفة، لأن إنما المقصور، وهو هنا قصر إضافي، أي ليس الله بثلاثة.

وقوله سبحانه ﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾ إظهار لغلطهم في أفهامهم، وفي إطلاقاتهم لفظ الأب والابن كيفما كان محملهما لأنهما إما ضلالة وإما إيهامها، فكلمة سبحانه تفيد قوة التنزيه لله تعالى عن أن يكون له ولد، والدلالة على غلط مثبتيه، فإن الإلهية تنافي الكون أبا واتخاذ ابن، لاستحالة الفناء، والاحتياج، والانفصال، والمماثلة للمخلوقات عن الله تعالى. والبنوة تستلزم ثبوت هذه المستحيلات لأن النسل قانون كوني للموجودات لحكمة استبقاء النوع، والناس يتطلبونها لذلك، وللإعانة على لوازم الحياة، وفيها انفصال المولود عن أبيه، وفيها أن الابن مماثل لأبيه فأبوه مماثل له لا محالة.

وسبحان اسم مصدر سبح، وليس مصدرا، لأنه لم يسمع له فعل سالم. وجزم ابن جني بأنه علم على التسبيح، فهو من أعلام الأجناس، وهم ممنوع من الصرف للعلميـة والزيادة. وتقدم الكلام عليه عند قوله تعالى ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ في سورة البقرة [٣٢].

وقوله ﴿أن يكون له ولد﴾ متعلق بسبحان بحرف الجر، وهو حرف عن محذوفا.

وجملة ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ تعليل لقوله سبحانه ﴿أن يكون له ولد﴾ لأن الذي له ما في السماوات وما في الأرض قد استغنى عن الولد، ولأن من يزعم أنه ولد له هو مما في السماوات والأرض كالملائكة أو المسيح، فالكل عبيده وليس الابن بعبد.

وقوله ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ تذييل، والوكيل الحافظ، والمراد هنا حافظ ما في السماوات والأرض، أي الموجودات كلها. وحذف مفعول كفى للعموم، أي كفى كل أحد، أي فتوكلوا عليه، ولا تتوكلوا على من تزعمونه ابنا له. وتقدم الكلام على هذا التركيب عند قوله تعالى ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ في هذه السورة.

[١٧٢،١٧٣] ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ .." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢٤/٤

(٢) التحرير والتنوير، ٣٣٦/٤

"مبتدأ والخبر محذوف عند سيبويه.والتقدير:مما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما.وقال المبرد:الخبر هو جملة ﴿فاقطعوا أيديهما﴾ ، ودخلت الفاء في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط؛ لأن تقديره:والذي سرق والتي سرقت.والموصول إذا أريد منه التعميم ينزل منزلة الشرط أي يجعل "أل" فيها اسم موصول فيكون كقوله تعالى: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ [النساء:١٥]،وقوله: ﴿والذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾ [النساء:١٦].قال سيبويه: "وهذا إذا كان في الكلام ما يدل على أن المبتدأ ذكر في معرض القصص أو الحكم أو الفرائض نحو ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا﴾﴿والذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ إذ التقدير في جميع ذلك:وحكم اللاتي يأتين، أو وجزاء السارق والسارقة.

ولقد ذكرها ابن الحاجب في الكافية واختصرها بقوله:"والفاء لل‍شرط عند المبرد وجملتان عند سيبويه، يعني:وأما عند المبرد فهي جملة شرط وجوابه فكأنها جملة واحدة وإلا فالمختار النصب"أشار إلى قراءة عيسى بن عمر ﴿والسارق والسارقة﴾ بالنصب، وهي قراءة شاذة لا يعتد بها فلا يخرج القرآن عليها.وقد **غلط** ابن الحاجب في قوله:فالمختار النصب.

وقوله: ﴿فاقطعوا أيديهما﴾ ضمير الخطاب لولاة الأمور بقرينة المقام، كقوله :﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ [النور:٢].وليس الضمير عائدا على الذين آمنوا في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ [المائدة:٣٥].وجمع الأيدي باعتبار أفراد نوع السارق.وثني الضمير باعتبار الصنفين الذكر والأنثى؛ فالجمع هنا مراد منه التثنية كقوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم:٤]

ووجه ذكر السارقة مع السارق دفع توهم أن يكون صيغة التذكير في السارق قيدا بحيث لا يجرى حد السرقة إلا على الرجال، وقد كانت العرب لا يقيمون للمرأة وزنا فلا يجرون عليها الحدود، وهو الداعي إلى ذكر الأنثى في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ وقد سرقت المخزومية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقطع يدها وعظم ذلك على قريش، فقالوا: "من يشفع لها عند رسول الله إلا زيد بن حارثة، فلما شفع لها أنكر عليه وقال: "أتشفع في حد من حدود الله، وخطب فقال: "إنما أهلك الذين من فبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف قطعوه،." [١]

"كذلك في الأشهر الحرم، وكل فريق يكون كذلك في الحرم.

والكاف في ﴿كما يقاتلونكم﴾ أصلها كاف التشبيه استعيرت للتعليل بتشبيه الشيء المعلول بعلته، لأنه يقع

---

(١) التحرير والتنوير، ٩٩/٥

على مثالها ومنه قوله تعالى: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ [البقرة:١٩٧].
وجملة ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ . تأييد وضمان بالنصر عند قتالهم المشركين، لأن المعية هنا معية تأييد على العمل، وليست معية علم، إذ لا تختص معية العلم بالمتقين.
وابتدئت الجملة ب ﴿واعلموا﴾ للاهتمام بمضمونها كما تقدم في قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ [الأنفال:٤١] الآية، بحيث يجب أن يعلموه ويعوه.
والجملة بمنزلة التذييل لما قبلها من أجل ما فيها من العموم في المتقين، دون أن يقال واعلموا أن الله معكم ليحصل من ذكر الاسم الظاهر معنى العموم، فيفيد أن المتصفين بالحال المحكية في الكلام السابق معدودون من جملة المتقين، لئلا يكون ذكر جملة ﴿واعلموا أن اللہ مع المتقين﴾ غريبا عن السياق، فيحصل من ذلك كلام مستقل يجري مجرى المثل وإيجاز يفيد أنهم حينئذ من المتقين، وأن الله يؤيدهم لتقواهم، وأن القتال في الأشهر الحرم في تلك الحالة طاعة لله وتقوى، وأن المشركين حينئذ هم المعتدون على حرمة الأشهر، وهم الحاملون على المقابلة بالمثل للدفاع عن النفس.
[٣٧] ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [التوبة:٣٧].
استئناف بياني ناشئ عن قوله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله﴾ [التوبة:٣٦] الآية لأن ذلك كالمقدمة إلى المقصود وهو إبطال النسيء وتشنيعه.
والنسيء يطلق على الشهر الحرام الذي أرجئت حرمته وجعلت لشهر آخر فالنسيء فعيل بمعنى مفعول من نسأ المهموز اللام، ويطلق مصدرا بوزن فعيل مثل نذير من قوله: ﴿كيف نذير﴾ (١) [الملك:١٧]، ومثل النكير والعذر وفعله نسأ المهموز، أي أخر، فالنسيء -

-

(١) في المطبوعة (فكيف كان نذير) وهو غلط.." [1]

"[١١، ١٢] ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾.
قول الرسل ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ جواب بطريق القول بالموجب في علم آداب البحث، وهو تسليم

---

(١) التحرير والتنوير، ٨٧/١٠

الدليل مع بقاء الأنواع ببيان محل الاستدلال فير تام الإنتاج، وفيه إطماع في الموافقة. ثم كر على استدلالهم المقصود بالإبطال بتبيين خطئهم.

ونظيره قوله تعالى: ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [سورة المنافقون: ٨].

وهذا النوع من القوادح في علم الجدل شديد الوقع على المناظر، فليس قول الرسل ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ تقريرا للدليل ولكنه تمهيد لبيان **غلط** المستدل في الاستنتاج من دليله. ومحل البيان هو الاستدراك في قوله: ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ [سورة إبراهيم: ١١]. والمعنى: أن المماثلة في البشرية لا تقتضي المماثلة في زائد عليها فالبشر كلهم عباد الله والله يمن على من يشاء من عباده بنعم لم يعطها غيرهم.

فالاستدراك رفع لما توهموه من كون المماثلة في البشرية مقتضى الاستواء في كل خصلة.

وأورد الشيخ محمد بن عرفة في "التفسير" وجها للتفرقة بين هذه الآية إذ زيد فيها كلمة لهم في قوله: ﴿قالت لهم رسلهم﴾ وبين الآية التي قبلها إذ قال فيها ﴿قالت رسلهم﴾ [سورة إبراهيم: ١٠] بوجهين: أحدهما: أن هذه المقالة خاصة بالمكذبين من قومهم يقولونها لغيرهم إذ هو جواب عن كلام صدر منهم والمقالة الأولى يقولونها لهم ولغيرهم، أي لمصدقين والمكذبين.

وثانيهما: أن وجود الله أمر نظري، فكان كلام الرسل في شانه خطابا لعموم قومهم، وأما بعثة الرسل فهي أمر ضروري ظاهر لا يحتاج إلى نظر، فكانه قال: ما قالوا هذا إلا للمكذبين لغباوتهم وجهلهم لا لغيرهم. وأجاب الأبي أن ﴿أفي الله شك﴾ خطاب لمن عاند في أمر ضروري، فكأن." (١)

"أحدهما إلى الآخر. وهذه نكتة الإضافة البيانية كلما وقعت، أي كان ما نهى عنه من ذلك مكروها عند الله.

وينبغي أن يكون ﴿مكروها﴾ خبرا ثانيا ل(كان)لأنه المناسب للقراءتين.

[٣٩] ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾

﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾

عدل عن مخاطبة الأمة بضمائر جمع المخاطبين وضمائر المخاطب غير المعين إلى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ردا إلى ما سبق في أول هذه الآيات من قوله: ﴿وقضى ربك﴾ الخ[الإسراء:٢٣]. وهو

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٣٢/١٢

تذييل معترض بين جمل النهي. والإشارة إلى جميع ما ذكر من الأوامر والنواهي صراحة من قوله : ﴿وقضى ربك﴾ [الإسراء:٢٣].

وفي هذا التذييل تنبيه على أن ما اشتملت عليه الآيات السبع عشرة هو من الحكمة، تحريضا على اتباع ما فيها وأنه خير كثير. وفيه امتنان على النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله أوحى إليه، فذلك وجه قوله : ﴿مما أوحى إليك﴾ تنبيها على أن مثل ذلك لا يصل إليه الأميون لولا الوحي من الله، وأنه علمه ما لم يكن يعلم وأمره أن يعلمه الناس.

والحكمة: معرفة الحقائق على ما هي عليه دون **غلط** ولا اشتباه، وتطلق على الكلام الدال عليها، وتقدم في قوله تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ (البقرة:٢٦٩].

﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾

عطف على جمل النهي المتقدمة، وهذا تأكيد لمضمون جملة ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [الإسراء:٢٣]، أعيد لقصد الاهتمام بأمر التوحيد بتكرير مضمونه وبما رتب عليه من الوعيد بان يجازى بالخلود في النار مهانا. والخطاب لغير معين على طريقة المنهيات قبله، وبقرينة قوله عقبه :﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ الآية [.الإسراء:٤٠]

والإلقاء: رمي الجسم من أعلى إلى أسفل، وهو يؤذن بالإهانة.

والملوم: الذي ينكر عليه ما فعله.." (١)

"القسم لما في جواب القسم من مشابهة الجزاء لاسيما متى اقترن القسم بحرف شرط.

والاستفهام في قوله: ﴿أيعدكم﴾ للتعجب، وهو انتقال من تكذيبه في دعوى الرسالة إلى تكذيبه في المرسل به.

وقوله: ﴿أنكم إذا متم﴾ إلى آخره مفعول ﴿يعدكم﴾ أي يعدكم إخراج مخرج إياكم. والمعنى: يعدكم إخراجكم من القبور بعد موتكم وفناء أجسامكم.

وأما قوله: ﴿أنكم مخرجون﴾ فيجوز أن يكون إعادة لكلمة أنكم الأولى اقتضى إعادتها بعد ما بينها وبين خبرها. وتفيد إعادتها تأكيدا للمستفهم عنه استفهام استبعاد تأكيدا لاستبعاده. وهذا تأويل الجرمي والمبرد. ويجوز أن يكون ﴿أنكم مخرجون﴾ مبتدأ. ويكون قوله: ﴿إذا متم وكنتم ترابا وعظاما﴾ خبرا عنه مقدما عليه وتكون جملة ﴿إذا متم﴾ إلى قوله: ﴿مخرجون﴾ خبرا عن أن من قوله ﴿أنكم﴾ الأولى.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤/٨٥

وجعلوا موجب الاستبعاد هو حصول أحوال تنافي أنهم مبعوثون بحسب قصور عقولهم، وهي حال الموت المنافي لل حياة، وحال الكون ترابا وعظاما المنافي لإقامة الهيكل الإنسان ي بعد ذلك.

وأريد بالإخراج إخراجهم أحياء بهيكل إنساني كامل أي مخرجون للقيامة بقرينة السياق.

وجملة ﴿هيهات﴾ بيان لجملة ﴿يعدكم﴾ فلذلك فصلت ولم تعطف.

و ﴿هيهات﴾ كلمة مبنية على فتح الآخر وعلى كسره أيضا. وقرأها الجمهور بالفتح، وقرأها أبو جعفر بالكسر. وتدل على البعد. وأكثر ما تستعمل مكررة مرتين كما في هذه الآية أو ثلاثا كما جاء في شعر لحميد الأرقط وجرير يأتيان.

واختلف فيها أهي فعل أم اسم؛ فجمهور النحاة ذهبوا إلى أن هيهات اسم فعل للماضي من البعد، فمعنى هيهات كذا: بعد. فيكون ما يلي هيهات فاعلا. وقيل هي اسم للبعد، أي فهي مصدر جامد وهو الذي اختاره الزجاج في تفسيره. قال الراغب: قالب البعض: غلط الزجاج في تفسيره واستهواه اللام في قوله تعالى: ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ .." [1]

"بطلان الشرك فهو كالنتيجة لجملة ﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض﴾ .

والأمر في قوله: ﴿أروني﴾ مستعمل في التعجيز، وهو تعجيز للمشركين عن إبداء حجة لإشراكهم، وهو انتقال من الاحتجاج على بطلان إلهية الأصنام بدليل النظير في قوله: ﴿قل من يرزقكم﴾ إلى إبطال ذلك بدليل البداهة.

وقد سلك من طرق الجدل أن يكون الاستفسار، والمصطلح عليه عند أهل الجل أن يكونه الاستفسار مقدما على طرائق المناظرة وإنما أخر هنا لأن كان مفضيا إلى إبطال دعوى الخصم بحذافرها فأريد تأخيره لئلا يفوت افتضاح الخصم بالأدلة السابقة تبسيطا لبساط المجادلة حتى يكون كل دليل مناديا على غلط الخصوم وباطلهم. وافتضاح الخطأ من مقاصد المناظر الذي قامت حجته.

والإراءة هنا من الرؤية البصرية فيتعدى إلى مفعولين: أحدهما بالأصالة، والثاني بهمزة التعدية.

والمقصود: أروني شخوصهم لنبصر هل عليها ما يناسب صفة الإلهية، أي أن كل من ي شاهد الأصنام بادئ مرة يتبين له أنها خلية عن صفات الإلهية إذ يرى حجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه لأن انتفاء الإلهية عن الأصنام بديهي ولا يحتاج إلى أكثر من رؤية حالها كقول البحتري:

أن يرى مبصر ويسمع واع

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨/٤٤

والتعبير عن المرئي بطريق الموصلية لتنبيه المخاطبين على خطئهم في جعلهم إياهم شركاء لله تعالى في الربوبية على نحو قول عبدة بن الطيب:

إن الذين ترونهم إخوانكم ... يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا

وفي جعل الصلة ﴿ألحقتم﴾ إيماء إلى أن تلك الأصنام لم تكن موصوفة بالإلهية وصفا ذاتيا حقا ولكن المشركين ألحقوها بالله تعالى، فتلك خلعة خلعها عليهم أصحاب الأهواء.

وتلك حالة تخالف صفة الإلهية لأن الإلهية صفة ذاتية قديمة، وهذا الإلحاق اخترعه لهم عمرو بن لحي ولم يكن عند العرب من قبل، وضمير ﴿به﴾ عائد إلى أسم الجلالة من جملة ﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله﴾ [سبأ: ٢٤].." (١)

"عليه وفي أخذ ماله فدل على أنه خاص فيه".وقال في سورة آل عمران:"ومن الناس من يحتج بإلقاء الأقلام في كفالة مريم" على جواز القرعة في العبيد يعتقهم الرجل في مرضه ثم يموت ولا مال له غيرهم وليس هذا "أي إلقاء الأقلام" من عتق العبيد في شيء لأن الرضى بكفالة الواحد منهم مريم جائز في مثله ولا يجوز التراضي على استرقاق من حصلت له الحرية،وقد كان عتق الميت نافذا في الجميع فلا يجوز نقله بالقرعة عن أحد منهم إلى غيره كما لا يجوز التراضي على نقل الحرية عمن وقعت عليه.

والإدحاض:جعل المرء داحضا،أي زالقا غير ثابت الرجلين وهو هنا استعارة للخسران والمغلوبية.

والالتقام:البلع.والحوت الذي التقمه:حوت عظيم يبتلع الأشياء ولا يعض بأسنانه ويقال:إنه الحوت الذي يسمى "بالين" بالإفرنجية.

والمليم:اسم فاعل من ألام،إذا فعل ما يلومه عليه الناس لأنه جعلهم لائمين فهم ألامهم على نفسه.

وكان غرقه في البحر المسمى بحر الروم وهو الذي نسميه البحر البيض المتوسط، ولم يكن بنهر دجلة كما **غلط** فيه بعض المفسرين.

و ﴿كان من المسبحين﴾ بقوله: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ كما في سورة الأنبياء[٨٧]،فأنجاه الله بسبب تسبيحه وتوبته فقذفه الحوت من بطنه إلى البر بعد أن مكث في جوف الحوت ثلاث ليال،وقيل:يوما وليلة،وقيل:بضع ساعات.

ومعنى قوله: ﴿إلى يوم يبعثون﴾ التأبيد بأن يميت الله الحوت حين ابتلاعه ويبقيهما في قعر البحر،أو بأن يختطف الحوت في حجر في البحر أو نحوه فلا يطفو على الماء حتى يبعث يونس يوم القيامة من قعر

---

(١) التحرير والتنوير، ٦١/٢٢

البحر.

[١٤٥.١٤٦] ﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾

الفاء فصيحة لأنها تفصح عن كلام مقدر دل عليه قوله: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه﴾ [الصافات:١٤٤].فالتقدير:يسبح ربه في بطن الحوت أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجاب الله له ونجاه كما في سورة." (١)

"خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان اه.

وتبع ذلك من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم بأن الله هو الذي علمه القرآن ردا على مزاعم المشركين الذين ويقولون: ﴿إنما يعلمه بشر﴾ [النحل: ١٠٣]، وردا على مزاعمهم أن القرآن أساطير الأولين أو أنه سحر أو كلام كاهن أو شعر.

ثم التذكير بدلائل قدرة الله تعالى في ما أتقن صنعه مدمجا في ذلك التذكير بما في ذلك كله من نعم الله على الناس.

وخلق الجن وإثبات جزائهم.

والموعظة بالفناء وتخلص من ذلك إلى التذكير بيوم الحشر والجزاء. وختمت بتعظيم الله والثناء عليه.

وتخلل ذلك إدماج التنويه بشأن العدل، والأمر بتوفية أصحاب الحقوق حقوقهم، وحاجة الناس إلى رحمة الله فيما خلق لهم، ومن أهمها نعمة العلم ونعمة البيان، وما أعد من الجزاء للمجرمين ومن الثواب والكرامة للمتقين ووصف نعيم المتقين.

ومن بديع أسلوبها افتتاحها الباهر باسمه ﴿الرحمن﴾ وهي السورة الوحيدة المفتتحة باسم من أسماء الله لم يتقدمه غيره.

ومنه التعداد في مقام الامتنان والتعظيم بقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ إذ تكرر فيها إحدى وثلاثين مرة وذلك أسلوب عربي جليل كما سنبينه.

[١،٢] ﴿الرحمن﴾ [١] ﴿علم القرآن﴾ .

هذه آية واحدة عند جمهور العادين. ووقع في المصاحف التي برواية حفص عن عاصم علامة آية عقب كلمة ﴿الرحمن﴾ ، إذ عدها قراء الكوفة آية فلذلك عد أهل الكوفة آي هذه السورة ثمانا وسبعين. فإذا جعل اسم ﴿الرحمن﴾ آية تعين أن يكون اسم الرحمن : إما خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو الرحمن، أو

---

(١) التحرير والتنوير، ٨٦/٢٣

مبتدأ خبره محذوف يقدر بما يناسب المقام.

ويجوز أن يكون واقعا موقع الكلمات التي يراد لفظها للتنبيه على **غلط** المشركين إذ أنكروا هذا الاسم قال تعالى ﴿قالوا وما الرحمن﴾ كما تقدم في سورة الفرقان [٦٠]، فيكون موقعه شبيها بموقع الحروف المقطعة التي يتهجى بها في أوائل بعض السور على." (١)

"التعبير عنه بلفظ المثنى. وقال أبو حيان في البحر المحيط إن ابن مالك **غلط** في ذلك. قلت: وزعم الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ، أن قول القائل اشتر رأس كبشين يريد رأسي كبشين خطأ. قال: لأن ذلك لا يكون اه. وذلك يؤيد قول ابن عصفور بأن التعبير عن المضاف المثنى بلفظ الإفراد مقصور على السماع، أي فلا يصار إليه. وقيد الزمخشري في المفصل هذا التعبير بقيد أن لا يكون اللفظان متصلين. فقال: ويجعل الاثنان على لفظ جمع إذا كانا متصلين كقوله: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ ولم يقولوا في المنفصلين: أفراسهما ولا غلمانهما. وقد جاء وضعت رحالهما. فخالف إطلاق ابن مالك في التسهيل وطريقة صاحب المفصل أظهر.

وقوله: ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ هو ضد ﴿إن تتوبا﴾ أي وإن تصرا على العود إلى تألبكما عليه فإن الله مولاه الخ.

والمظاهرة: التعاون، يقال: ظاهره، أي أيده وأعانه. قال تعالى: ﴿ولم يظاهروا عليكم أحدا﴾ في سورة براءة [٤]. ولعل أفعال المظاهر ووصف ظهير كلها مشتقة من الاسم الجامد، وهو الظهر لأن المعين والمؤيد كأنه يشد ظهر من يعينه ولذلك لم يسمع لهذه الأفعال الفرعية والأوصاف المتفرعة عنها فعل مجرد. وقريب من هذا فعل عضد لأنهم قالوا: شد عضده.

وأصل ﴿تظاهرا﴾ تتظاهرا فقلبت التاء ظاء لقرب مخرجيها وأدغمت في ظاء الكلمة وهي قراءة الجمهور. وقرأه عاصم وحمزة والكسائي ﴿تظاهرا﴾ بتخفيف الظاء على حذف إحدى التاءين للتخفيف.

﴿وصالح﴾ مفرد أريد به معنى الفريق الصالح أو الجنس الصالح من المؤمنين كقوله تعالى: ﴿فمنهم مهتد﴾ [الحديد:٢٦]. والمراد ب ﴿صالح المؤمنين﴾ المؤمنون الخالصون من النفاق والتردد.

وجملة ﴿فإن الله هو مولاه﴾ قائمة من مقام جواب الشرط معنى لأنها تفيد معنى يتولى جزاءكما على المظاهرة عليه، لأن الله مول اه. وفي هذا الحذف مجال تذهب فيه نفس السامع كل مذهب من التهويل.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١٦/٢٧

وضمير الفصل في قوله ﴿هو مولاه﴾ يفيد القصر على تقدير حصول الشرط، أي إن تظاهرتما متناصرتين عليه فإن الله هو ناصره لا أنتما، أي وبطل نصركما الذي هو." [1]

"الحذر من تغلغلها في النفس.

وضمير ﴿رآه﴾ المستتر المرفوع على الفاعلية وضميره البارز المنصوب على المفعولية كلا هما عائد إلى الإنسان، أي أن رأى نفسه استغنى.

ولا يجتمع ضميران متحدا المعاد: أحدهما فاعل، والآخر مفعول في كلام العرب، إلا إذا كان العامل من باب ظن وأخواتها كما في الآية، ومنه قوله تعالى: ﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ في سورة الإسراء [٦٢]. قال الفراء: والعرب تطرح النفس من هذا الجنس "أي جنس أفعال الظن والحسبان" تقول: رأيتني وحسبتني، ومتى تراك خارجا، ومتى تظنك خارجا، وألحقت "رأى" البصرية ب"رأى" القلبية عند كير من النحاة كما في قوله قطري بن الفجاءة:

فلقد أراني للرماح دريئة ... من عن يميني مرة وأمامي

ومن النادر قول النمر بن تولب:

قد بت أحرسني وحدي ويمنعني ... صوت السباع به يضبحن والهام

وقرأ الجميع ﴿أن رآه﴾ بألف بعد الهمزة، وروى ابن مجاهد عن قنبل أنه قرأه عن أبن كثير "رأه" بدون ألف بعد الهمزة، قال ابن مجاهد: هذا **غلط** ولا يعبأ بكلام ابن مجاهد بعد أن جزم بأنه رواه عن قنبل، لكن هذا لم يروه غير ابن مجاهد عن قنبل فيكون وجها غريبا عن قنبل.

وألحق بهذه الأفعال: فعل فقد وفعل عدم، إذا استعملا في الدعاء نحو قول القائل: فقدتني وعدمتني.

وجملة ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ معترضة بين المقدمة والمقصد والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، أي مرجع الطاغي إلى الله، وهذا موعظة وتهديد على سبيل التعريض لمن يسمعه من الطغاة، وتعليم للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت له، أي لا يحزنك طغيان الطاغي فان مرجعه إلي، ومرجع الطاغي إلى العذاب قال تعالى: ﴿إن جهنم كانت مرصادا، للطاغين مآبا﴾ [النبأ:٢١-٢٢] وهو موعظة للطاغي بأن غناه لا يدفع عنه الموت، والموت: رجوع إلى الله كقوله: ﴿ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾ [الإنشقاق:٦].

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٨/٣٢٠

وفيه معنى آخر وهو أن استۓناءه غير حقيقي لأنه مفتقر إلى الله في أهم أموره ولا يدري ماذا يصيره إليه ربه من العواقب فلا يزده يغنى زائف في هذه الحياة فيكون:." [1]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ٣٠٨

يشعركم إيمانهم؟ لأنها إذا جاءت لا يؤمنون «١» ، أو لا صلة «٢» وفي الكلام حذف ، أي : وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون؟.

وقيل «٣» : معنى أنها لعلها.

وكسر إنها «٤» لتمام الكلام بقوله : قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم ، ثم قال : أنها إذا جاءت لا يؤمنون على الاستئناف «٥».

١١٠ ونقلب أفئدتهم في جهنم على لهب النار «٦» ، أو نقلبها في الدنيا

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي : (٣/ ٣٧٧ ، ٣٧٨) ، والكشف لمكي : ١/ ٤٤٥ ، وزاد المسير : ٣/ ١٠٤.

(٢) أي زائدة ، وهو قول الفراء في معاني القرآن : ١/ ٣٥٠ ، وقال : «كقوله : وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون المعنى : حرام عليهم أن يرجعوا ...».

ونسب النحاس في إعراب القرآن : ٢/ ٩٠ ، وكتابه معاني القرآن : ٢/ ٤٧٣ هذا القول إلى الكسائي ثم قال : «و هذا عند البصريين **غلط** ، لأن «لا» لا تكون زائدة في موضع تكون فيه نافية».

وقال الزجاج في معاني القرآن : ٢/ ٢٨٣ : «و الذي ذكر أن «لا» لغو غالط ، لأن ما كان لغوا لا يكون غير لغو في مكان آخر».

وانظر الحجة لأبي علي : (٣/ ٣٨٠ ، ٣٨١) ، والكشف لمكي : ١/ ٤٤٤.

(٣) نقله سيبويه في الكتاب : ٢/ ١٢٣ ، والزجاج في معاني القرآن : ٢/ ٢٨٢ ، والنحاس في إعراب القرآن : ٢/ ٩٠ ، وأبو علي الفارسي في الحجة : ٣/ ٣٨٠ عن الخليل ، ورجح الطبري هذا القول في تفسيره : ١٢/ ٤٣.

(٤) وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو.

السبعة لابن مجاهد : ٢٦٥ ، والتبصرة لمكي : ١٩٧.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٩٣/٣٠

(٥) الكتاب لسيبويه : ٣/ ١٢٣ عن الخليل.

وانظر هذا القول في تفسير الطبري : ١٢/ ٤٠ ، والحجة لأبي علي الفارسي : (٢/ ٣٧٦ ، ٣٧٧) ، والكشف لمكي : ١/ ٤٤٥ ، والبحر المحيط : ٤/ ٢٠١ ، والدر المصون : ٤/ ١٠١. [.....]

(٦) نص هذا القول في تفسير الفخر الرازي : ١٣/ ١٥٤ عن الجبائي.

ورده الفخر الرازي بقوله : «أما الوجه الذي ذكره الجبائي فمدفوع لأن الله تعالى قال :

و نقلب أفئدتهم وأبصارهم ثم عطف عليه فقال : ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولا شك أن قوله : ونذرهم إنما يحصل في الدنيا ، فلو قلنا : المراد من قوله : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم إنما يحصل في الآخرة ، كان هذا سوءا للنظم في كلام الله تعالى حيث - - قدم المؤخر وآخر المقدم من غير فائدة ...».." [1]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ٣٣٣

بالفاء «١» ، أو نرد : رفع بالعطف على تقدير : هل يشفع لنا شافع أو نرد «٢».

٥٤ ثم استوى على العرش : بين أنه مستو ، أي : مستول عليه.

يغشي الليل النهار : يلبسه «٣».

٥٥ إنه لا يحب المعتدين : الصائحين في الدعاء «٤».

٥٦ إن رحمت الله قريب : على المعنى ، أي : إنعامه وثوابه «٥» ، أو تقديره : مكان رحمة الله أو زمانها «٦».

---

(١) إعراب القرآن للنحاس : ٢/ ١٣٠ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي : ١/ ٢٩٣ ، وتفسير القرطبي : ٧/ ٢١٨ ، والدر المصون : ٥/ ٣٣٧.

(٢) نص هذا القول في معاني القرآن للزجاج : ٢/ ٣٤٢.

وانظر تفسير الطبري : ١٢/ ٤٨٢ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٢/ ١٣٠ ، وتفسير القرطبي : ٧/ ٢١٨.

(٣) قال الطبري في تفسيره : ١٢/ ٤٨٣ : «يورد الليل على النهار فيلبسه إياه ، حتى يذهب نضرته ونوره».

وقال الزجاج في معاني القرآن : ٢/ ٣٤٢ : «و المعنى أن الليل يأتي على النهار فيغطيه ، ولم يقل يغشى النهار الليل ، لأن في الكلام دليلا عليه ، وقد جاء في موضع آخر : يكور الليل على النهار ويكور النهار

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٣٠٨/١

على الليل.

(٤) تفسير الطبري : (١٢/ ٤٨٦ ، ٤٨٧) ، وتفسير القرطبي : ٧/ ٢٢٦.

(٥) ذكر الطبري هذا المعنى في تفسيره : (١٢/ ٤٨٧ ، ٤٨٨).

وقال الزجاج في معاني القرآن : ٢/ ٣٤٤ : «إنما قيل : قريب لأن الرحمة والغفران في معنى واحد ، كذلك كل تأنيث غير حقيقي».

وانظر إعراب القرآن للنحاس : ٢/ ١٣١ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي : ١/ ٢٩٤ ، وتفسير الماوردي : ٢/ ٣٤ ، والدر المصون : ٥/ ٣٤٤.

(٦) أي على الظرفية ، وهو قول الفراء في معاني القرآن : (١/ ٣٨٠ ، ٣٨١) ، وأبي عبيدة في مجاز القرآن : ١/ ٢١٦.

وانظر هذا القول عنهما في مشكل إعراب القرآن : ١/ ٢٩٤ ، وتفسير الماوردي : ٢/ ٣٤ ، والبحر المحيط : ٤/ ١٣١ ، والدر المصون : (٥/ ٣٤٥ ، ٣٤٦).

وخطأ الزجاج هذا القول في معاني القرآن : ٢/ ٣٤٥ بقوله : «و هذا **غلط** ، لأن كل ما قرب بين مكان أو نسب فهو جار على ما يصيبه من التأنيث والتذكير»..".[1]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ٤٣١

حذفت اجتزاء بالكسرة.

٨ أبانا لفي ضلال : **غلط** في تدبير أمر الدنيا «١» إذ نحن أنفع له منه.

١٥ فلما ذهبوا به : محذوف الجواب «٢» ، والكوفيون يجعلون أجمعوا جوابا «٣» ، والواو مقمحة «٤» ، وإقحامها لم يثبت بحجة ولا له وجه في القياس.

غيابت الجب : أسفله حيث يغيب عن الأبصار «٥».

١٧ نستبق : ننتضل ، من السباق في الرمي ، أو نستبق بالعدو./ أينا [٤٦/ ب] أسرع.

١٩ يا بشرى : موضع الألف فتح ، منادى مضاف «٦».

وأسروه بضاعة : المدلي ومن معه لئلا يسألوهم الشركة لرخص ثمنه «٧».

---

(١) قال القرطبي في تفسيره : ٩/ ١٣١ : «لم يريدوا ضلال الدين ، إذ لو أرادوا لكانوا كفارا ، بل أرادوا

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٣٣٣/١

لفي ذهاب عن وجه التدبير ، في إيثار اثنين على عشرة مع استوائهم في الانتساب إليه.
(٢) الكشاف : ٢/ ٣٠٦ ، والبيان لابن الأنباري : ٢/ ٣٥ ، والتبيان للعكبري : ٢/ ٧٢٥ ، والبحر المحيط : ٥/ ٢٨٧ ، والدر المصون : ٦/ ٤٥٣.
(٣) ذكره الطبري في تفسيره : ١٥/ ٥٧٥.
وينظر الإنصاف لابن الأنباري : ٢/ ٤٥٦ ، والبحر المحيط : ٥/ ٢٨٧.
(٤) في «ج» : وادعو أن الواو مقحمة ..
(٥) ينظر تفسير الطبري : ١٥/ ٥٦٦ ، ومعاني القرآن للزجاج : ٣/ ٩٣ ، ومعاني النحاس : ٣/ ٤٠٠ ، والمفردات للراغب : ٣٦٧.
(٦) هذا التوجيه على قراءة من أثبت الألف ، وهذه القراءة لابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر.
ينظر السبعة لابن مجاهد : ٣٤٧ ، وحجة القراءات : ٣٥٧ ، والكشف لمكي : ٢/ ٧ ، والبحر المحيط : ٥/ ٢٩٠ ، والدر المصون : ٦/ ٤٥٩.
(٧) أخرج الطبري هذا القول في تفسيره : (١٦/ ٤ ، ٥) عن مجاهد.
ونقله النحاس في معاني القرآن : ٣/ ٤٠٦ ، والماوردي في تفسيره : ٢/ ٢٥٣ عن مجاهد أيضا.." [١]

"وقرأ الجمهور : " الحمد لله " برفع وكسر لام الجر ، ورفعه على الابتداء ، والخبر الجار والمجرور بعده يتعلق بمحذوف وهو الخبر في الحقيقة.
ثم ذلك المحذوف إن شئت قدرته [اسما ، وهو المختار ، وإن شئت قدرته] فعلا أي : الحمد مستقر لله ، واستقر لله.
والدليل على اختيار القول الأول : أن ذلك يتعين في بعض الصور ، فلا أقل من

١٧٠

ترجيحه في غيرها ، وذلك أنك إذا قلت : " خرجت فإذا في الدار زيد " وأما في الدار فزيد " يتعين في هاتين الصورتين [أن يقدر بالاسم] ؛ لأن " إذا " الفجائية وأما الفجائية وأما التفصيلية لا يليهما إلا المبتدأ.
وقد عورض هذا اللفظ بأنه يتعين تقدير الفعل في بعض الصور ، وهو ما إذا وقع الجار والمجرور صلة لموصول ، نحو : الذي في الدار فليكن راجحا في غيره ؟ والجواب : أن ما رجحنا به من باب المبتدإ ، أو الخبر ، وليس أجنبيا ، فكان اعتباره أولى ، بخلاف وقوعه صلة ، [والأول غير أجنبي].

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٤٣١/١

ولا بد من ذكر قاعدة – ها هنا – لعموم فائدتها ، وهي أن الجار والمجرور والظرف إذا وقعا صلة أو صفة ، أو حالا ، أو خبرا تعلقا بمحذوف ، وذلك أن المحذوف لا يجوز ظهوره إذا كان كونا مطلقا : فأما قول الشاعر : [الطويل] ٤٠

– لك العز إن مولاك عز ، وإن يهن

فأنت لدى بحبوحة الهون كائن

وأما قوله تبارك وتعالى : ﴿فلما رآه مستقرا عنده﴾ [النمل : ٤٠] فلم يقصد جعل الظرف كائنا فلذلك ذكر المتعلق به ، ثم ذلك المحذوف يجوز تقديره باسم أو فعل إلا في الصلة ، فإنه يتعين أن يكون فعلا.

واختلفوا : أي التقديرين أولى فيما عدا الصور المستثناة ؟ فقوم رجحوا تقدير الفعل ، [وقوم رجحوا تقدير الاسم] ، وقد تقدم دليل الفريقين.

وقرىء شاذا بنصب الدال من " الحمد " ، وفيه وجهان : أظهرهما : انه منصوب على المصدرية ، ثم حذف العامل ، وناب المصدر منابه ؛ كقولهم في الأخبار : " حمدا ، وشكرا لا كفرا " والتقدير : " أحمد الله حمدا " ، فهو مصدر ناب عن جملة خبرية.

وقال الطبري – رحمه الله تعالى – : " إن في ضمنه أمر عباده أن يثنوا به عليه ، فكأنه

١٧١

قال : " قولوا : الحمد لله " وعلى هذا يجيء قولوا : إياك ".

فعلى هذه العبارة يكون من المصادر النائبة عن الطلب لا الخبر ، وهو محتمل للوجهين ، ولكن كونه خبريا أولى من كونه طلبيا ، ولا يجوز إظهار الناصب ، لئلا يجمع بين البدل والمبدل منه.

والثاني : أنه منصوب على المفعول به ، أي : اجمع ضبعا ، والأول أحسن ؛ للدلالة اللفظية.

وقراءة الرفع أمكن ، وأبلغ من قراءة النصب ، لأن الرفع في باب المصادر التي أصلها النيابة عن أفعالها يدل على الثبوت والاستقرار ، بخلاف النصب ، فإنه يدل على التجدد والحدوث ، ولذلك قال العلماء – رحمهم الله – : إن جواب إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – في قوله تعالى حكاية عنه : ﴿قال سلام﴾ [هود : ٦٩] أحسن من قول الملائكة : ﴿قالوا سلاما﴾ [هود : ٦٩] امتثالا لقوله تعالى : ﴿فحيوا بأحسن منهآ﴾ [النساء : ٨٦].

و " لله " على قراءة النصب يتعق بمحذوف لا بالمصدر ، لأنها للبيان ، تقديره : أعني لله ، كقولهم : " سقيا له ورعيا لك " تقديره : " أعني له ولك " ، ويدل على أن اللام تتعلق في هذا النوع بمحذوف لا

بنفس المصدر ، أنهم لم يعملوا المصدر المتعدي في المجرور باللام ، فينصبوه به فيقولوا : سقيا زيدا ، ولا رعيا عمرا ، فدل على أنه ليس معمولا للمصدر ، ولذلك **غلط** من جعل قوله تعالى : ﴿والذين كفروا فتعسا لهم﴾ [محمد : ٨] ، من باب الاشتغال ؛ لأن " لهم " لا يتعلق بـ " تعسا " كما مر.

ويحتمل أن يقال : إن اللام في " سقيا لك " ونحوه مقوية لتعدية العامل ؛ لكونه فرعا فيكون عاملا فيما بعده.

وقرىء : - أيضا - بكسر الدال ، وجهه : أنها حركة إتباع لكسرة لام الجر بعده ، وهي لغة " تميم " ، وبعض " غطفان " ، يتبعون الأول للثاني ؛ للتجانس.

ومنه : [الطويل] ٤١ - ....

اضرب الساقين أمك هابل

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٦٨

١٧٢

بضم نون التثنية لأجل ضمة الهمزة ، ومثله ، [البسيط] ٤٢

- ويلمها في هواء الجو طالبة." (١)

"وقيل : هو الميل ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿إنا هدنآ إليك﴾ [الأعراف : ١٥٦] والمعنى : بقلوبنا إليك ، وهذا **غلط** ؛ فإن تيك مادة أخرى من " هاد - يهود ".

وقال الراغب : الهداية : دلالة بلطف ، ومنه الهدية ، وخص ما كان دلالة ب ، " هديت " وما كان إعطاء بـ " أهديت ".

و " الصراط " : الطريق المستسهل ، وبعضهم لا يقيده بالمستسهل ؛ قال [الرجز]

٧١ - فضل عن نهج الطريق الواضح

ومثله : [الوافر] ٧٢ - أمير المؤمنين على صراط

إذا اعوج الموارد مستقيم

وقال آخر : [الوافر] ٧٣ - شحنا أرضهم بالخيل حتى

تركناهم أذل من الصراط

أي : الطريق.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣

وهو مشتق من " السرط " وهو : الابتلاع ؛ إما لأن سالكه يسترطه ، أو لأنه يسترط سالكه ؛ ألا ترى إلى قولهم : قتل أرضا عالمها ، وقتلت أرض جاهلها ؛ وبهذين الاعتبارين قال أبو تمام : [الطويل] ٧٤ - رعته الفيافي بعد ما كان حقبة

رعاها وماء المزن ينهل ساكبه

وعلى هذا سمي الطريق لقما وملتقما ؛ لأنه يلتقم سالكه ، أو يلتقمه سالكه.

٢٠٥

وأصله : السين : وقد قرأ به قنبل رحمه الله تعالى حيث ورد ، وإنما أبدلت صادا ؛ لأجل حرف الاستعلاء وإبدالها صادا مطرد عنده ؛ نحو : " صقر " في " سقر " ، و " صلخ " في " سلخ " ، و " أصبغ " في " أسبغ " ، و " مصيطر " في " مسيطر " لما بينهما من التقارب.

وقد تشم الصاد في " الصراط " ونحوه زايا ، وقرأ به خلف ، وحمزة حيث ورد ، وخلاد : الأول فقط ، وقد تقرأ زايا محضة ، ولم ترسم في المصحف إلا بالصاد ، مع اختلاف في قراءتهم فيها كما تقدم.

و " الصراط " يذكر ويؤنث : فالتذكير لغة تميم ، والتأنيث لغة " الحجاز " ، فإن استعمل مذكرا ، جمع على " أفعلة " في القلة ، وعلى " فعل " في الكثرة ، نحو : " حمار " ، و " أحمرة " و " حمر " ، وإن استعمل مؤنثا ، فقياسه أن يجمع على " افعل " : نحو : " ذراع " و " أذرع ".

و " المستقيم " اسم فاعل من استقام ، بمعنى المجرد ، ومعناه : السوي من غير

٢٠٦

اعوجاج ، واصله : " مستقوم " ثم أعل كإعلال " نستعين " وسيأتي الكلام [مستوفى] على مادته إن شاء الله - تعالى - عند قوله تعالى ﴿ويقيمون الصلاة﴾ [البقرة : ٣].

و " الصراط المستقيم " قال ابن عباس ، وجابر - رضي الله عنهما - : هو الإسلام ، وهو قول مقاتل ، وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما : هو القرآن الكريم ، وروي عن علي - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا : الصراط المستقيم : كتاب الله تعالى.

وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه " طريق الجنة ".

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : هو طريق السنة والجماعة.

وقال بكر بن عبد الله المزني : هو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢٠٧

وقال أبو العالية ، والحسن : رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه.

قال ابن الخطيب : الحكمة في قوله : " اهدنا " ولم يقل " اهدني " ؛ إما : لأن الدعاء مهما كان أعم ، كان إلى الإجابة أقرب.

وإما لقول النبي عليه الصلاة والسلام " ادعوا الله تعالى بألسنة ما عصيتموه بها " قالوا : يا رسول الله ، فمن لنا بتلك الألسنة ؟ قال : " يدعو بعضكم لبعض ؛ لأنك ما عصيت بلسانه ، وهو ما عصى بلسانك ".

الثالث : كان العبد يقول : سمعت رسولك يقول : " الجماعة رحمة " ، فلما أردت حمدك ، قلت : الحمد لله ، ولما ذكرت العبادة ، ذكر عبادة الجميع ، ولما ذكرت الاستعانة ، ذكرت استعانة الجميع ، فلا جرم لما طلبت الهداية ، طلبتها للجميع ، ولما طلبت الاقتداء بالصالحين ، طلبت اقتداء الجميع ؛ فقلت : " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ، فلما لم أفارق النبياء والصالحين في الدنيا ، فأرجو ألا أفارقهم في الآخرة ؛ كما قال تعالى : ﴿فأولائك مع الذين أنعم الله عليهم﴾ [النساء : ٦٩] الآية الكريمة.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٠٣." (١)

"ولا دليل فيه ، لجواز أن تكون موصوفة بـ " قنص " إما على المبالغة ، أو على حذف مضاف ، وتصلح للتثنية والجمع الواحد.

فالواحد كقوله : ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ [الأنعام : ٢٥] والجمع كقوله : ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ [يونس : ٤٢] ، والسبب فيه أنه موحد اللفظ مجموع المعنى.

و " من " في " من الناس " للتبعيض ، وقد زعم قوم أنها للبيان وهو **غلط** ؛ لعدم تقدم ما يتبين بها.

و " الناس " اسم جمع لا واحد له من لفظه ، ويرادفه " أناسي " جمع إنسان أو إنسي ، وهو حقيقة في الآدميين ، ويطلق على الجن مجازا.

واختلف النحويون في اشتقاقه : فمذهب سيبويه والفراء أن أصله همزة ونون وسين ، والأصل : أناس اشتقاقا من الأنس ، قال : [الطويل] ١٧١ - وما سمي الإنسان إلا لأنسه

ولا القلب إلا أنه يتقلب

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٢٧

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٧

لأنه أنس بـ " حواء ".
وقيل : بل أنس بربه ثم حذفت الهمزة تخفيفا ؛ يدل على ذلك قوله : [الكامل] ١٧٢ - إن المنايا يطلع
ـن على الأناس الآمنينا
وقال آخر : [الطويل] ١٧٣ - وكل أناس قاربوا قيد فحلهم
ونحن خلعنا قيده فهو سارب
٣٢٨
وقال آخر : [الطويل] ١٧٤ - وكل أناس سوف تدخل بينهم
دويهية تصفر منها الأنامل
وذهب الكسائي إلى أنه من " نون وواو وسين " والأصل : " نوس " فقلبت " الواو " " ألفا " لتحركها ، وانفتاح ما قبلها ، والنوس : الحركة.
وذهب بعضهم إلى أنه من " نون وسين وياء " ، والأصل " نسي " ، ثم قلبت " اللام " إلى موضع العين ، فصار : " نيس " ثم قلبت " الياء " " ألفا " لما تقدم في " نوس " ، قال : سموا بذلك لنسيانهم ؛ ومنه الإنسان لنسيانه ؛ قال : [البسيط] ٧٥١ - فإن نسيت عهودا منك سالفة
فاغفر فأول ناس أول الناس
ومثله : [الكامل] ١٧٦ - لا تنسين تلك العهود فإنما
سميت إنسانا لإنك ناسي
فوزنه على القول الأول : " عال " ، وعلى الثاني : " فعل " ، وعلى الثالث : " فلع " بالقلب ".
و " يقول " : فعل مضارع ، وفاعله ضمير عائد على : " من ".
والقول حقيقة : اللفظ الموضوع لمعنى ، ويطلق على اللفظ الدال على النسبة الإسنادية ، وعلى الكلام النفساني أيضا ، قال تعالى : ﴿ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ [المجادلة : ٨].
وتراكيبه الستة وهي : " القول " ، و " اللوق " و " الوقل " ، و " القلو " ، " و " اللقو " ، و " الولق " تدل على الخفة والسرعة ، وإن اختصت بعض هذه المواد بمعان أخر.
و " القول " أصل تعديته لواحد ـنحو : " قلت خطبة " ، وتحكي بعده الجمل ، وتكون في محل نصب مفعولا بها ، إلا أن يضمن معنى الظن ، فيعمل عمله بشروط عند غير " بني سليم " ؛ كقوله : [الرجز] ١٧٧ - متى تقول القلص الرواسما

يدنين أم قاسم وقاسما

٣٢٩

وبغير شرط عندهم ، كقوله : [الرجز] ١٧٨ - قالت وكنت رجلا فطينا

هذا لعمر الله إسرائينا

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٢٧

و " آمنا " فعل وفاعل ، و " بالله " متعلق به ، والجملة في محل نصب بالقول ، وكررت " الباء " في قوله : " وباليوم " ، للمعنى المتقدم في قوله : ﴿وعلى سمعهم وعلى أبصارهم﴾ [البقرة : ٧] فإن قيل : الخبر لا بد وأن يفيد غير ما أفاد المبتدأ ، ومعلوم أن الذي يقول كذا هو من الناس لا من غيرهم ؟ فالجواب : أن هذا تفصيل معنوي ، لأنه تقدم ذكر المؤمنين ، ثم ذكر الكافرين ، ثم عقب بذكر المنافقين ، فصار نظير التفصيل اللفظي ، نحو قوله : ﴿ومن الناس من يعجبك﴾ [البقرة : ٢٠٤] ، ﴿ومن الناس من يشتري﴾ [لقمان : ٦] ، فهو في قوة تفصيل الناس إلى مؤمن ، وكافر ، ومنافق.

وأحسن من هذا أن يقال : إن الخبر أفاد التبعيض المقصود ؛ لأن الناس كلهم لم يقولوا ذلك ، وهم غير مؤمنين ، فصار التقدير : وبعض الناس يقول كيت وكيت.

واعلم أن " من " وأخواتها لها لفظ ومعنى ، فلفظها مفرد مذكر ، . فإن أريد بها غير ذلك ، فلك أن تراعي لفظها مرة ، ومعناها أخرى ، فتقول : جاء من قام وقعدوا ، والآية الكريمة كذلك روعي اللفظ أولا فقيل : " من يقول " ، والمعنى ثانيا في " آمنا ".

وقال ابن عطية : جسن ذلك ؛ لأن الواحد قبل الجمع في الرتبة ، ولا يجوز أن يرجع متكلم من لفظ جمع إلى توحيد.

فلو قلت " " ومن الناس من يقومون " وتتكلم لم يجز.

وفي عبارة ابن عطية نظر ، وذلك لأنه منه من مراعاة اللفظ بعد مراعاة المعنى ، وذلك جائز ، إلا أن مراعاة اللفظ أولا أولى ، يرد عليه قول الشاعر : [الخفيف] ١٧٩ - لست ممن يكع أو يستكينو

(١) ".

"٢٥٨ - قد كاد من طول البلى أن يمحصا

لأنها لمقاربة الفعل ، و " أن " تخلص للاستقبال ، فتنافيا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٨

واعلم أن خبرها – إذا كانت هي مثبتة – منفي في المعنى ، لأنها للمقاربة.

فإذا قلت : "كاد زيد يفعل "كان معناه : قارب الفعل إلا أنه لم يفعل ، فإذا نفيت ، انتفى خبرها بطريق الأولى ؛ لأنه إذا انتفت مقاربة الفعل انتفى هو من باب أوبى ؛ ولهذا كان قوله تعالى : ﴿لم يكد يراها﴾ [النور : ٤٠] أبلغ من أن لو قيل : لم يرها ، لأنه لم يقارب الرؤية ، فكيف له بها ؟ وزعم جماعة منهم ابن جني ، وأبو البقاء ، وابن عطية أن نفيها إثبات ، وإثباتها نفي ؛ حتى ألغز بعضهم فيها ؛ فقال : [الطويل]

٢٥٩ – أنحوي هذا العصر ما هي لفظة

جرت في لساني جرهم وثمود

إذا نفيت – والله أعلم – أثبتت

وإن أثبتت قامت مقام جحود

وحكوا عن ذي الرمة أنه لما أنشد قوله : [الطويل] ٢٦٠ – إذا غير النأي المحبين لم يكد

رسيس الهوى من حب مية يبرح

عيب عليه ؛ لأنه قال : " لم يكد يبرح " ، فيكون قد برح ، فغيره إلى قوله : " لم يزل " أو ما هو بمعناه.

٣٩٥

والذي غر هؤلاء قوله تعالى : ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ [البقرة : ٧١] قالوا : " فهي هنا منفية " وخبرها مثبت في المعنى ؛ لأن الذبح وقع لقوله : " فذبحوها " ، والجواب عن هذه الآية من وجهين : أحدهما : أنه يحمل على اختلاف وقتين ، أي : ذبحوها في وقت ، وما كادوا يفعلون في وقت آخر.

والثاني : أنه عبر بنفي مقاربة الفعل عن شدة تعنتهم ، وعسرهم في الفعل.

وأما ما حكوه عن ذي الرمة ، فقد غلط الجمهور ذا الرمة في رجوعه عن قوله الأول ، وقالوا : " هو أبلغ وأحسن مما [غيره إليه].

واعلم أن خبر "كاد " وأخواتها – غير " عسى " – لا يكون فاعله إلا ضميرا عائدا على اسمها ؛ لأنها للمقاربة أو للشروع ، بخلاف " عسى " ، فإنها للترجي ؛ تقول : " عسى زيد أن يقوم أبوه " ، ولا يجوز ذلك في غيرها ، فأما قوله : [الطويل] ٢٦١ – وقفت على ربع لمية ناقتي

فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٨٤

وأسقيه حتى كاد مما أبثه

تكلمني أحجاره وملاعبه

فأتى بالفاعل ظاهرا ، فقد حمله بعضهم على الشذوذ ، ينبغي أن يقال : إنما جاز ذلك ؛ لأن الأحجار والملاعب هي عبارة عن الربع ، فهي هو ، فكأنه قيل : حتى كاد يكلمني ؛ ولكنه عبر [عنه] بمجموع أجزائه.

وأما قول الآخر : [البسيط] ٢٦٢ - وقد جعلت إذا ما قمت يثقلني

ثوبي فأنهض نهض الشارب السكر

وكنت أمشي على رجلين معتدلا

فصرت أمشي على أخرى من الشجر

٣٩٦

فأتى [بفاعل] [خبر] جعل ظاهرا ، فقد أجيب عنه بوجهين : أحدهما : أنه على حذف مضاف ، تقديره : وقد جعل ثوبي إذا ما قمت يثقلني.

والثاني : أنه من باب إقامة السبب مقام المسبب ، فإن نهوضه كذا متسبب عن إثقال ثوبه إياه ، والمعنى : وقد جعلت أنهض نهض الشارب الثمل لإثقال ثوبي إياي.

ووزن "كاد كود " بكسر العين ، وهي من ذوات الواو ؛ ك " خاف " يخاف ، وفيها لغة أخرى : فتح عينها ، فعلى هذه اللغة تضم فاؤها إذا أسندت إلى تاء التكلم وأخواتها ، فتقول : "كدت ، وكدنا " ؛ مثل : قلت ، وقلنا ، وقد تنقل كسر عينها إلى فائها مع الإسناد إلى ظاهر ، كقوله : [الطويل] ٢٦٣ - وكيد ضباع القف ◌ يأك ◌لن جثتي

وكيد خراش عند ذلك ييتم

ولا يجوز زيادتها خلافا [للأخفش] ، وسيأتي إن شاء الله هذا كله في "كاد " الناقصة.

أما "كاد " التامة بمعنى " مكر " فوزنها فعل بفتح العين من ذوات " الياء " ؛ بدليل قوله : ﴿إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا﴾ [الطارق : ١٥ ، ١٦].

و " البرق " اسمها ، و " يخطف " خبرها ويقال : خطف يخطف [بكسر عين الماضي ، وفتح المضارع ، وخطف يخطف] عكس اللغة الأولى وفيه تراكيب كثيرة ، والمشهور منها الأولى.

الثانية : يخطف بكسر الطاء ، قرأها مجاهد.

الثالثة : عن الحسن بفتح " الياء والخاء والطاء " ، مع تشديد " الطاء " ، والأصل : " يختطف " ،

فأبدلت " تاء " الافتعال " طاء " للإدغام.

٣٩٧

." (١)

"محمد أن تلك الخطابات ثابتة في حق من سيوجد بعد ذلك إلى قيام الساعة ؛ فلهذه الدلالة المنفصلة أوجبنا العموم.

فصل في المراد بالعبادة في القرآن قال ابن عباس رضي الله عنه : "كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد ".

وقال ابن الخطيب : قوله تعالى : ﴿يأيها الناس اعبدوا ربكم﴾ أمر كل واحد بالعبادة ، فهل يفيد أمر الكل بكل عبادة ؟ الحق لا ؛ لأن قوله : ﴿اعبدوا﴾ معناه : أدخلوا هذه الماهية في الوجود ، فإذا أتوا بفرد من أفراد هذه الماهية في الوجود فقد أدخلوا الماهية في الوجود ؛ لأن الفرد من أفراد الماهية مشتمل على الماهية ، لأن هذه العبادة عبارة عن العبادة مع قيد كونها هذه ، ومتى وجد المركب فقد وجد فيه قيده ، فالآتي بفرد من أفراد العبادة أتى بالعبادة ، وأتى بتمام ما اقتضاه قولنا : " اعبدوا " ، وإذا كان كذلك وجب خروجه عن العهدة.

فصل في قول منكري التكليف ذكر ابن الخطيب عن منكري التكليف أنهم لا يجوزون ورود الأمر من الله – تعالى – بالتكاليف لوجوه : منها أن الذي ورد به التكليف : إما أن يكون قد علم الله في الأزل وقوعه ، أو علم أنه لا يقع ، أو لم يعلم لا هذا ولا ذاك ، فإن كان الأول كان واجب الوقوع ، فلا فائدة في الأمر به ، وإن علم أنه لا يقع كان ممتنع الوقوع ، فكان الأمر به أمرا بإيقاع الممتنع ، وإن لم يعلم لا هذا ولا ذاك كان ذلك قولا بالجهل على الله ، وهو محال.

وأيضا فورود الأمر بالتكاليف إما أن يكون لفائدة ، أو لا لفائدة ، فإن كان لفائدة فإما أن يعود إلى المعبود ، أو إلى العابد ، أما إلى المعبود فمحال ؛ لأنه كامل لذاتهن والكامل لذاته لا يكون كاملا بغيره ، ولأنا نعلم بالضرورة أن الإله العالي على الدهر والزمان يستحيل أن ينتفع بركوع العبد وسجوده.

وإن كانت الفائءدة تعود إلى العابد فمحال ؛ لأن جميع الفوائد محصورة في حصول اللذة ودفع الألم ، وهو – سبحانه وتعالى – قادر على تحصيل كل ذلك للعبد ، من غير واسطة هذه المشاق ، فيكون توسطها عبثا ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٧٧

والعبث غير جائز على الحكيم.

وأيضا إن العبد غير موجد لأفعاله ؛ لأنه غير عالم بتفاصيلها ، ومن لا يعلم تفاصيل الشيء لا يكون موجدا له ، وإذا لم يكن العبد موجدا لأفعال نفسه ، فإن أمره بذلك الفعل حالة ما خلقه فيه فقد أمره بتحصيل الحاصل ، وإن أمره حالة ما لم يخلقه فيه فقد أمره بالمحال ، وكل ذلك باطل.

وأجاب ابن الخطيب بوجهين : أحدهما : أن أصحاب هذه الشبه ، أوجبوا بما ذكروه اعتقاد عدم التكليف ، فهذا التكليف ينفي التكليف ، وإنه متناقض.

والثاني : أن عندنا يحسن من الله كل شيء ، سواء كان ذلك تكليف ما لا يطاق أو غيره ؛ لأنه - تعالى - خالق مالك ، والمالك لا اعتراض عليه في فعله.

والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق ، وهذه الصفة ينفرد بها الباري تعالى ، ويطلق أيضا على التقدير " ؛ قال زهير : [الكامل] ٢٧٥ - ولأنت تفري ما خلقت وبع

ض القوم يخلق ثم لا يفري

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٠٥

وقال الحجاج : " ما خلقت إلا فريت ولا وعدت إلا وفيت " وهذه الصفة لا يختص بها الله تعالى ، وقد غلط أبو عبد الله البصري في أنه لا يطلق اسم " الخالق " على الله - تعالى ؛ قال : " لأنه محال ، وذلك أن التقدير والتسوية في حق الله ممتنعان ، لأنهما عبارة عن التفكر والزن " ، وكأنه لم يسمع قوله تعالى : ﴿هو الله الخالق البارىء﴾ [الحشر : ٢٤] ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الزمر : ٦٢] ، وكأنه لا يعلم أن الخلق يكون عبارة عن الإنشاء والاختراع.

قوله : ﴿والذين من قبلكم﴾ محله العطف على المنصوب في " خلقكم " و " من قبلكم " صلة " الذين " ، فيتعلق بمحذوف على ما تقرر.

و " من " لابتداء الغاية ، واستشكل بعضهم وقوع " من قبلكم " صلة من حيث إن كل ما جاز أن يخبر به جاز أن يقع صلة ، و " من قبلكم " ناقص ليس في الإخبار به عن الأعيان فائدة إلا بتأويل ، فكذلك الصلة.

قال : وتأويله أن ظرف الزمان إذا وصف صح الإخبار والوصل به تقول : " نحن في يوم طيب " ، فيكون التقدير هنا - والله أعلم - " والذين كانوا من زمان قبل زمانكم".

وقالأبو البقاء : والتقدير : والذين خلقهم من قبل خلقكم ، فحذف الخلق ، وأقام الضمير مقامه".
وقرأ زيد بن علي : "والذين من قبلكم " – بفتح الميم – .
٤١٠
قال الزمخشري : ووجهها على إشكالها أن يقال : أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدا ، كما أقحم جرير في قوله : [البسيط] ٢٧٦ – يا تيْم تيم عدي لا أبا لكم
....
." (١)

"ويمكن تأويل ذلك بأنه مما سكن فيه للضرورة.
قوله تعالى : ﴿فاتقوا النار﴾ هذا جواب الشرط كما تقدم ، والكثير في لغة العرب : " اتقى يتقي " على افتعل يفتعل ، ولغى " تميم " و " أسد " تقى يتقي : مثل : رمى يرمي ، فيسكنون ما بعد حرف المضارعة ؛ حكى هذه اللغة سيبويه ، ومنهم من يحرك ما بعد حرف المضارعة ؛ وأنشدوا : [الوافر] ٢٩٧ – تقوه أيها الفتيان إني
رأيت الله قد غلب الجدودا
وقال آخر : [الطويل] ٢٩٨ – ....
تق الله فينا والكتاب الذي تتلو
قوله تعالى : ﴿النار﴾ مفعول به ، و " التي " صفتها ، وفيها أربع اللغات المتقدمة ، كقوله : [الكامل] ٢٩٩ – شغفت بك اللت تيمتك فمثل ما
بك ما بها من لوعة وغرام
وقال آخر : [الوافر] ٣٠٠ – فقل للت تلومك إن نفسي
أراها لا تعوذ بالتميم
٤٣٩
و " وقودها الناس والحجارة " جملة من مبتدأ وخبر ، صلة وعائد ، والألف واللام في " النار " للعهد.
فإن قيل : الصلة مقررة ، فيجب أن تكون معلومة فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة ؟ والجواب : لا يمتنع أن يتقدم لهم بهذه الصلة معهودة عند السامع بدليل قوله تعالى : ﴿فأوحى إلى عبده

---
(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٨٢

مآ أوحى ﴾ [النجم : ١٠] وقوله : ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ [النجم : ١٦] وقوله : ﴿فغشاها ما غشى ﴾ [النجم : ٥٤] وقال : ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ [طه : ٧٨] إلا أنه خلاف المشهور أو لتقدم ذكرها في سورة التحريم - وهي مدينة بالاتفاق - وقد **غلط** الزمخشري في ذلك.

والمشهور فتح واو الوقود ، وهو اسم ما يوقد به.

وقيل : هو مصدر كالولوع والقبول والوضوء والطهور ، ولم يجيء مصدر على " فعول " غير هذه الألفاظ فيما حكاه سيبويه.

وزاد الكسائي : الوزوع.

وقرئ شاذا في سورة " ق " ﴿وما مسنا من لغوب﴾ [ق : ٣٨] فتصير سبعة ، وهناك ذكرت هذه القراءة ، ولكن المشهور أن الوقود والوضوء والطهور بالفتح اسم ، وبالضم مصدر.

وقرأ عيسى بن عمر بفتحها وهو مصدر.

وقال ابن عطية : وقد حكيا في المصدر.

انتهى.

فإن أريد اسم ما يوقد به فلا حاجة إلى تأويل ، وإن أريد بهما المصدر فلا بد من تأويل ، وهو إما المبالغة أي : جعلوا نفس التوقد مبالغة في وضعهم بالعذاب ، وإما حذف مضاف ، إما من الأول أي أصحاب توقدها ، وإما من الثاني أي : يوقدها إحراق الناس ، ثم حذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه.

والهاء في " الحجارة " لتأنيث الجمع.

فصل في تثنية " التي " وجمعه وفي تثنية " التي " بحذف النون ، و " اللتان " بتشديد النون ، وفي جمعها خمس

٤٤٠

لغات : " اللاتي " - وهي لغة القرآن - و " اللات " - بكسر التاء بلا ياء - و " اللواتي " ، و " اللوات " - بلا ياء ، وأنشد أبو عبيدة : [الرجز] ٣٠١ - من اللواتي والتي واللات

زعمن أني قد كبرت لداتي

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٢٩

و " اللواء " بإسقاط " التاء " حكاه الجوهري.

وزاد ابن الشجري : " اللائي " بالهمز وإثبات " الياء " ، و " اللاء " بكسر " الهمزة " وحذف " الياء "

و " اللا " بحذف الهمزة ، فإن جمعت الجمع ، قلت في " اللاتي " : " اللواتي " وفي " اللائي " : " اللوائي ".

قال الجوهري : وتصغير " التي " " اللتيا " بالفتح والتشديد ، قال الراجز : [الرجز] ٣٠٢ - بعد اللتيا واللتيا والتي

إذا علتها أنفس تردت

وبعض الشعراء أدخل على " التي " حرف النداء ، وحروف النداء لا تدخل على ما فيه الألف واللام إلا في قولنا : " يا ألله " وحده ، فكأنه شبهها به ؛ من حيث كانت الألف واللام غير مفارقتين لها ، وقال : [الوافر] ٣٠٣ - من أجلك يا التي تيمت قلبي

وأنت بخيلة بالود عني

ويقال : " وقع فلان في اللتيا والتي " وهما اسمان من أسماء الداهية.

فصل قال ابن الخطيب : انتفاء إتيانهم بالسورة واجب ، فهلا جيء بـ " إذا " الذي للوجوب دون " إن " الذي للشك ؟ والجواب : من وجهين : أحدهما : أنه ساق القول معهم على حسب حسابهم ، وأنهم لم يكونوا بعد جازمين بالعجز عن المعارضة ؛ لاتكالهم على فصاحتهم ، واقتدارهم على الكلام.

والثاني : أنه تهكم بهم كما يقزل الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة لمن هو دونه : " إن غلبتك لم أبق عليك " ، وهو عالم أنه غالبه تهكما به.

فإن قيل : ما معنى

٤٤١

." (١)

"والموصول بعده خبر عنه.

و " لكم " متعلق بـ " خلق " ، ومعناها السببية ، أي : لأجلكم ، وقيل : للملك والإباحة ، فيكون تميكا خاصا بما ينتفع به.

وقيل : للاختصاص ، و " ما " موصولة ، و " في الأرض " صلتها ، وهي في محل نصب مفعول به ، و " جميعا " حال من المفعول بمعنى "كل " ، ولا دلالة لها على الاجتماع في الزمان ، وهذا هو الفارق بين قولك : جاءوا جميعا و " جاءوا معا " فإن " مع " تقتضى المصاحبة في الزمان ، بخلاف " جميع " قيل

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٩٥

: وهي – هنا – حال مؤكدة ، لأن قوله : " ما في الأرض " عام.
فصل في بيان أن الأصل في المنافع الإباحة استدل الفقهاء بهذه الآية على أن الأصل في المنافع الإباحة.
وقيل : إنها تدل على حرمة أكل الطين ، لنه خلق لنا ما في الأرض دون نفس الأرض ، وفيه نظر ؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه ، وأيضا فالمعادن داخلة في ذلك ، وكذلك عروق الأرض ، وما يجري مجرى البعض لها.
وقد تقدم تفسير الخلق ، وتقديره الآية كأنه – سبحانه وتعالى – قال : كيف تكفرون بالله ، وكنتم أمواتا فأحياكم ؟ وكيف تكفرون بالله ، وقد خلق لكم ما في الأرض جميعا ؟ أو يقال : كيف تكفرون بقدرة الله على الإعادة ، وقد أحياكم بعج موتكم ، وقد خلق لكم كل ما في الأرض ، فكيف يعجز عن إعادتكم ؟
.
قوله : " ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات ".
أصل " ثم " أن تقتضي تراخيا زمانيا ، ولا زمان هنا ، فقيل : إشارة إلى التراخي بين رتبتي خلق الأرض والسماء.
وقيل : لما كان بين خلق الأرض والسماء أعمال أخر من جعل الجبال والبركة ، وتقدير الأقوات ، كما أشار إليه في الآية الأخرى عطف بـ " ثم " ؛ إذ بين خلق الأرض والاستواء إلى السماء تراخ.
و " استوى " : معناه لغة : استقام واعتدل ، من استوى العود.
وقيل : علا وارتفع ؛ قال الشاعر : [الطويل] ٣٤٥ – فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة
وقد حلق النجم اليماني فاستوى
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣
وقال تعالى : ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ [المؤمنون : ٢٨].
ومعناه هنا : قصد وعمل.
وفاعل " استوى " ضمير يعود على الله.
وقيل : يعود على الدخان نقله ابن عطية.
وهو غلط لوجهين : أحدهما : عدم ما يدل عليه.
والثاني : أنه يرده قوله تعالى : ﴿ثم استوى إلى السمآء وهي دخان﴾ [فصلت : ١١].
و " إلى " حرف انتهاء على بابها.

وقيل : هي بمعنى " على " ؛ فتكون في المعنى كقول الشاعر : [الرجز] ٣٤٦ - قد استوى بشر على العراق

من غير سيف ودم مهراق

ومثله قوله الآخر : [الطويل] ٣٤٧ - فلما علونا و ا ستوينا عليهم

تركناهم صرعى لنسر وكاسر

." (١)

"وأصل الدماء : " الادماو " أو " الدماي " فقلب حرف العلة همزة لوقوعه طرفا بعد ألف زائدة ، نحو : "كساء " و " رداء ".

فإن قيل : الملائكة لا يعلمون إلا بما عملوا ، ولا يسبقونه بالقول ، فكيف قالوا : " أتجعل فيها من يفسد فيها ".

فالجواب : اختلف العلماء فيه ، فمنهم من قال : إنهم ذكروا ذلك عن ظن قياسا على حال الجن الذين كانوا في الأرض قبل آدم عليه الصلاة والسلام ، قاله ابن عباس ، والكلبي وأحمد بن يحيى.

الثاني : أنهم عرفوا خلقة آدم ، وعرفوا أنه مركب من الأخلاط الأربعة فلا بد وأن يتولد منه المشهور بالغضب ، فيتولد الفساد من الشهوة ، وسفك الدماء من الغضب.

ومنهم من قال : إنهم قالوا ذلك على يقين ، وهو مروي عن " ابن معود " وناس من الصحابة ، وذكروا وجودها : أحدها : أنه – لما قال : " إني جاعل في الأرض خليفة " قالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة. قال : يكون له ذرية يفسدون في الأرض ، ويتحاسدون ، ويقتل بعضهم بعضا ، فعند ذلك قالوا : " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " ؟ إما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه ، أو من عصيان الله من يستخلفه في أرضه ، وينعم عليه بذلك ، وإما على طريق الاستعظام والاستكبار للفعلين جميعا الاستخلاف والعصيان.

وثانيها : أنه – تعالى – كان قد أعلم الملائكة أنه إذا كان في الأرض خلق عظيم أفسدوا فيها ، وسفكوا الدماء.

وثالثها : قال ابن زيد : لما خلق الله النار خافت الملائكة خوفا شديدا ، فقالوا : ربنا لمن خلقت هذه النار ؟ قال : لمن عصاني من خلقي ، ولم يكن لله يومئذ خلق سوى الملائكة ، ولم يكن في الأرض خلق

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١١٦

ألبتة ، فلما قال : " إني جاعل في الأرض خليفة " عرفوا أن المعصية تظهر منهم.

ورابعها : لما كتب القلم في اللوح [المحفوظ] ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فلعلهم طالعوا اللوح ، فعرفوا ذلك.

وخامسها : إذا كان معنى الخليفة من يكون نائبا لله في الحكم والقضاء ، والاحتياج إلى الحاكم والقاضي إنما يكون عند التنازع ، والتظالم ، فكان الإخبار عن وجود الخليفة إخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام.

وسادسها : قال قتادة : كان الله أعلمهم أنه إذا جعل في الأرض خليفة يفعل كذا وكذا ، قالوا : أتجعل فيها الذي علمناه أم غيره.

قوله : " ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " الواو : للحال ، و " نحن نسبح " : جملة من مبتدأ وخبر في محل النصب على الحال.

و " بحمدك " : متعلق بمحذوف ؛ لأنه حال أيضا ، و " الباء " فيه للمصاحبة أي : نسبح ملتبسين بحمدك ، نحو : جاء زيد بثيابه.

فهما حالان متداخلان ، أي حال في حال.

وقيل : " الباء " للسببية فتتعلق بالتسبيح ، قل " بن عطية " : ويحتمل ن يكون قولهم : " بحمدك " اعتراض بين الكلامين ، كأنهم قلوا : ونحن نسبح ونقدس ، ثم اعترضا على جهة التسليم ، أي : وأنت المحمود في بالهداية إلى ذلك وكأنه يحاول أنه تكون " الباء " فعلا محذوفا لائقا بالمعنى تقديره : حصل لنا التسبيح والتقديس بسبب حمدك.

و " الحمد " هنا : مصدر مضاف لمفعوله ، وفاعله محذوف تقديره بحمدنا إياك ، وزعم بعضهم أن الفاعل مضمر فيه ، وهو غلط ؛ لأن المصدر اسم جامد لا يضمر فيه على أنه قد حكي الخلاف في المصدر الواقع موقع الفعل ، نحو : " شريا زيدا " هل يتحمل ضمير أو لا وقد تقدم.

و " نقدس " عطف على " نسبح " فهو خير أيضا عن " نحن " ، ومفعوله محذوف أي : نقدس أنفسنا وأفعالنا لك.

و " لك " متعلق به ، أو بـ " نسبح " ومعناها العلة.

وقل : زائدة ، فإن ما قبلها م تعد بنفسه ، وهو ضعيف ، إذ لا تزاد " اللام " إلا مع تقديم المعمول ، أو يكون العامل فرعا.

وقيل : هي معدية : نحو : " سجدت لله ".

وقيل : للبيان كهي في قولك : " سقيا لك " فعل هذا تتعلق بمحذوف ، ويكون خبر مبتدأ مضمر أي : تقديسا لك.

وهذا التقدير أحسن من تقدير قولهم : أعني ؛ لأنه أليق بالموضع.

وأبعد من زعم أن جملة " ونحن نسبح " داخلة في حيز استفهام مقدر تقديره : وأنحن نسبح أم نتغير ؟ واستحسنه ابن عطية مع القول بالاستفهام المحض في قولهم : " أتجعل " وهذا يأباه الجمهور ، أعني : حذف همزة الاستفهام من غير ذكر " أم " المعادلة وهو رأي " الأخفش " وجعل من ذلك قوله تعالى : ﴿وتلك نعمة تمنها علي﴾ [الشعراء : ٢٢] أي : وأتلك نعمة.

وقول الآخر : [الطويل] ٣٦٢ - طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣

أي : وأذو الشيب ؟ وقول الآخر : [المنسرح] ٣٦٣ - أفرح أن أزرأ الكرام وأن

أورث ذودا شصائصا نبلا

أي : أأفرح ؟ .

فأما مع " أم " جائز لدلالتها عليه ؛ كقوله : [الطويل] ٣٦٤ - لعمرك ما أدري وإن كنت داريا

." (١)

"الفاء في قوله : " فتلقى " عاطفة لهذه الجملة على ما قبلها ، و " تلقى " " تفعل " من اللقاء بمعنى المجرد.

وله معان أخر : مطاوعة " فعل " نحو : "كسرته فتكسر ".

والتكلف نحو " تحلم.

والصيرورة : تألم.

واتخاذ : نحو : تبنيت الصبي ، أي : اتخذته ابنا.

ومواصلة العمل في مهلة نحو ، تجرع وتفهم.

وموافقة استفعل نحو : تكبر.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٢٥

والتوقع نحو : تخوف.

والطلب نحو : تنجز حاجته.

والتكثير نحو : تغطيت بالثياب.

والتلبس بالمسمى المشتق منه نحو : تقمص ، أو العمل فيه نحو : تسخر.

والختل : نحو : تغفلته.

وزعم بعضهم أن أصل " تلقى " : " تلقن " بالنون فأبدلت النون الفا ، وهذا **غلط** ؛ لأن ذلك إنما ورد في المضعف نحو " قصصت " و " تظننت " ، و " أمللت " فأحد الحرفين إنما يقلب ياء إذا تجانسا.

قال القفال : أصل التلقي هو التعرض للقاء ، ثم وضع في موضع الاستقبال للمتلقي ، ثم يوضع القبول والأخذ ، قال تعالى : ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ [النمل : ٦] ويقال : خرجنا نتلقى [الحاج] ، أي : نستقبلهم ، وكان - عليه الصلاة والسلام - يتلقى الوحي ، أي : يستقبله ويأخذه.

وإذا كان هذا أصل الكلمة ، وكان من تلقى رجلا فتلاقيا لقي كل واحد صاحبه ، فأضيف الاجتماع إليهما معا صلح أن يشتركا في الوصف بذلك ، تلقى آدم بالنصب على معنى جاءته عن الله - تعالى - كلمات ، و " من ربه " متعلق بـ " تلقى " ، و " من " لابتداء الغاية مجازا.

وأجاز أبو البقاء أن يكون في الأصل صفة لـ "كلمات " فلما قدم انتصب حالا ، فتصبح نسبة الفعل إلى كل واحد.

وقيل : لما كانت الكلمات سببا في توبته جعلت فاعلة ، ولم يؤنث أن من تلقاك فقد تلقيته ، فتصبح نسبة الفعل إلى كل واحد.

وقيل : لما كانت الكلمات سببا في توبته جعلت فاعلة ، ولم يؤنث الفعل على هذه القراءة وإن كان الفاعل مؤنثا ؛ لأنه غير حقيقي ، وللفصل أيضا ، وهذا سبيل كل فعل فصل بينه وبين فاعله المؤنث بشيء ، أو كان الفاعل مؤنثا مجازيا.

فصل في الكلمات التي دعا بها آدم ربه اختلفوا في تلك الكلمات ما هي ؟ فروى " سعيد بن جبير " رضي الله أن آدم - عليه الصلاة والسلام - قال : يا رب ألم تخلقني بيدك بلا واسطة ؟ قال : بلى ، قال : يا رب ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى.

قال : ألم تسكني جنتك ؟ قال : بلى.

قال : يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى.

قال يا رب إن تبت وأصلحت تردني إلى الجنة ؟ قال : بلى.

فهو قوله : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾.

وزاد السدى فيه : يا رب هل كنت كتبت علي ذنبا ؟ قال : نعم.

وقال النخعي : أتيت ابن عباس فقلت : ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه ؟ قال : علم الله آدم أمر الحج فحجا ، وهي الكلمات التي تقال في الحج ، فلما فرغا الحج أوحى الله – تعالى – إليهما قبلت توبتكما.

وروي عن ابن عباس ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، ومجاهد ، وقتادة في قوله تعالى : ﴿ربنا ظلمنآ أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف : ٢٣] ، وعن مجاهد أيضا : " سبحانك اللهم لا إله إلا أنت ظلمتني فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم ".

وقالت طائفة : رأي مكتوبا على ساق العرش : محمد رسول الله ، فشفع بذلك.

وعن ابن عباس ، ووهب بن منبه أن الكلمات سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت علمت سوءا ، وظلمت نفسي [فاغفر لي إنك خير الغافرين ، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا ، وظلمت نفسي] فتب علي إنك أنت التواب الرحيم ".

قالت عائشة رضي الله عنها : لما أراد الله أن يتوب على آدم ، وطاف بالبيت سبعا – والبيت حينئذ ربوة حمراء – فلما صلى ركعتين استقبل البيت ، وقال : " اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي ، فأقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي " فأوحى الله – تعالى – إلى آدم يا آدم قد غفرت لك ذنوبك ، ولن يأتي أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني إلا غفرت ذنبه ، وكشفت همومه وغمومه ، ونزعت الفقر من عينيه ، وجاءته الدنيا وهو لا يريدها ".

قوله : ﴿فتاب عليه﴾ عطف على ما قبله ، ولا بد من تقدير جملة قبلها أي : فقالها.

و " الكلمات " جمع " كلمة " وهي : اللفظ الدال على معنى مفرد ، وتطلق على الجمل المفيدة مجازا تسمية للكل باسم الجزء كقوله تعالى : ﴿إلى كلمة سوآء﴾ [آل عمران : ٦٤]ثم فسرها بقوله : ﴿ألا نعبد﴾ [آل عمران : ٦٤] إلى آخر الآية ، وقال : ﴿كلا إنها كلمة﴾ [المؤمنون : ١٠٠] يريد قوله : ﴿رب ارجعون﴾ [المؤمنون : ٩٩] إلى آخره ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "." [١]

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٥٧

"فإن قيل : هلا قيل : صفراء فاقعة ؟ وأي فائدة في ذلك اللون ؟ فالجواب : فائدته التأكيد ؛ لأن اللون اسم للهيئة ، وهي الصفرة ، فكأنه قال : شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك : جد جده.

وعن وهب : إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها ، فمعنى قوله : " تسر الناظرين " أي : يعجبهم حسنها وصفاء لونها ، لأن العين تسر بالنظر إلى الشيء الحسن.

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : من لبس نعلا صفراء قل همه ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿صفرآء فاقع لونها تسر الناظرين﴾.

قال الكسائي ؛ يقال : فقع لونها يفقع فقوعا ، إذا خلصت صفرته ، والإفقاع : سوء الحال ، وفواقع الدهر : بوائقه ، وفقع بأصابعه : إ ذا صوت ، ومنه حديث أبن عباس : " نهى عن التفقيع في الصلاة " ، وهي الفرقعة ، هي غمز الأصابع حتى تنقض ، قاله القرطبي.

واختلفوا هل كانت جميعها صفراء حتى قرونها وأظلآفها ، أو الصفرة المعتادة ؟ قولان.

وفي قوله " فاقع " لطيفة ، وهي أنه وصفها باسم الفاعل الذي هو نعت للدوام والاستمرار.

يعني : في الماضي والمستقبل.

وفي قوله : " تسر " لطيفة ، وهي أنه أتى بصيغة المضارع وهو يقتضي التجدد والحدوث ، بخلاف الماضي.

وفي قوله : " الناظرين " آية لطيفة ، وهي أنه أتى بصيغة الجمع المحلى بالألف واللام ، ليعم كل ناضر منفردين ومجتمعين.

وقيل : المراد بالنظر نظر البصر للمرء والمرأة أو المراد به النظر بعين اليقين ، وهو التفكر في المخلوقات.

قوله : ﴿تسر الناظرين﴾ جلمة في محل رفع صفة لـ " بقرة " أيضا ، وقد تقدم أنه يجوز أن تكون خبرا عن " لونها " بالتأويلين المذكورين.

و " السرور " لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه ، ومنه [السرير] الذي يجلس عليه إذا كان لأولي النعمة ، وسرير الميت تشبيها به في الصورة وتفاؤلا بذلك.

قوله : ﴿ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ تقرير للسؤال عن حالها وصفتها ، واستكشاف زائد ، ليزدادوا بيانا لوصفها ، وفي مصحف عبد الله : " سل لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ وما صفتها ".

قوله : ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ البقر : اسم إن ، وهو اسم جنس كما تقدم.

وقرأ محمد ذو الشامة الأموي : " إن الباقر " وهو جمع البقر كـ " الجامل " جماعة الجمل ؛ قال الشاعر

: [الكامل] ٥٨٤. مالي رأيتك بعد عهدك موحشا
خلقا كحوض الباقر المتهدم
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣
قال قطرب : " يقال لجمع البقرة : بقر وباقر وباقور وبيقور ".
وقال الأصمعي : " الباقر " جمع باقرة ، قال : ويجمع بقر على باقورة ، حكاه النحاس.
قال القرطبي : والباقر والبقر والبيقور والبقير لغات بمعنى واحد والعرب تذكره وتؤنثه ، وإلى ذلك ترجع معاني القراءات في " تشابه ".
و " تشابه " جملة فعلية في محل رفع خبر لـ " إن " ، وقرىء : " تشابه " مشددا ومخففا ، وهو مضارع الأصل : " تتشابه " بتاءين ، فأدغم تارة ، وحذف منه أخرى ، وكلا الوجهين مقيس.
وقرىء أيضا : " يشابه " بالياء من تحت ، [وأصله : يتشابه فأدغم أيضا ، وتذكير الفعل وتأنيثه جائزات ؛ لأن فاعله اسم جنس] وفيه لغتان : التذكير والتأنيث ، قال تعالى : ﴿أعجاز نخل خاوية﴾ [الحاقة : ٧] فأنث ، و ﴿أعجاز نخل منقعر﴾ [القمر : ٢٠] فذكر ، وقيل : ذكر الفعل لتذكير لفظ " البقرة " ؛ كقوله : ﴿أعجاز نخل منقعر﴾.
وقال المبرد : سئل سيبويه عن هذه الآية ، فقال : "كل جمع حروفه أقل من حروف واحده ، فإن العرب تذكره " ؛ واحتج بقول الأعشى : [البسيط] ٥٨٥. ودع هريرة إن الركب مرتحل
[وهل تطيق وداعا أيها الرجل]
ولم يقل : " مرتحلون ".
وفي " تشابه " قراءاتك " تشابه " بتخفيف الشين وفتح الباء والهاء ، وهي قراءة العامة.
و " تتشابه " بتاءين على الأصل.
و " تشبه " بتشديد الشين والباء من غير ألف ، والأصل : تتشبه.
و " تشابهت " على وزن " تفاعلت " وهو في مصحف أبي كذلك أنثه لتأنيث البقرة.
و " متشابهة " و " متشبهة " على اسم الفاعل من تشابه وتشبه.
وقرىء : " تشبه " ماضيا.
وقرأ ابن أبي إسحاق : " تشابهت " بتشديد الشين ، قال أبو حاتم : هذا **غلط** ، لأن التاء في هذا الباب لا تدغم إلا في المضارع..

وهو معذور في ذلك.

وقرىء : " تشابه "كذلك ، إلا أنه بطرح تاء التأنيث ، ووجهها على إشكالها أن يكون الأصل : إن القرة تشابهت ، فالتاء الأولى من البقرة و [التاء] الثانية من الفعل ، فلما اجتمع مثلان أدغم نحو : الشجرة تمايلت ، إلا أنه يشكل أيضا في تشابه من غير تاء ؛ لأنه كان يجب ثبوت علامة التأنيث.

وجوابه : أنه مثل : [المتقارب] ٥٨٦..................

ولا أرض أبقل إبقالها

." (١)

"قال القرطبي : " مصدق لما معهم " نعت للرسول ، ويجوز نصبه على الحال.

والعم أن معنى كون الرسول مصدقا لما معهم هو أنه كان معترفا بنبوة موسى . عليه الصلاة والسلام . وبصحة التوراة ، أو مصدقا لما معهم من حيث إن التوراة بشرت بمقدم محمد . عليه الصلاة والسلام . فإذا جاء محمد كان مجرد مجيئه مصدقا للتوراة.

وقوله : ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ فيه وجهان : أحدهما : أن المراد ممن أوتي علم الكتاب من يدرسه ويحفظه بدليل قوله تعالى : ﴿كأنهم لا يعلمون﴾.

والثاني : المراد من يدعي التمسك بالكتاب ، سواء علمه أم لم يعلمه ، وهذا كوصف المسلمين بأنهم من أهل [القرآن] لا يختص بذلك من يعرف علومه ، بل المراد من يؤمن به.

قوله تعالى : " الكتاب كتاب الله " : " الكتاب " مفعول ثان لـ " أوتوا " ؛ لأنه يتعدى في الأصل إلى اثنين ، فأقيم الأول مقام الفاعل ، وهو " الواو " ، وبقي الثاني منصوبا ، [وقد تقدم أنه عند السهيلي مفعول أول] و "كتاب الله " مفعول نبذ ، و " وراء " منصوب على الظرف وناصبه " نبذ " ، وهذا مثل لإهمالهم التوراة ؛ تقول العرب : " جعل هذا الأمر وراء ظهرهن ودبر أذنه " أي : أهمله ؛ قال الرزدق : [الطويل] ٦٩١. تميم ب مر لا تكونن حاجتي

بظهر فلا يعيا علي جوابها

والمراد بكتاب الله : القرآن.

وقيل : إنه التوراة لوجهين : الأول : أن النبذ لا يعقل إلا فيما تمسكوا به أولا ، وأما إذا لم يلتفتوا إليه فلا يقال : إنهم نبذوه.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٣٦

والثاني : أنه قال تعالى : ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب﴾ ولو كان المراد به : القرآن لم يكن لتخصيص الفريق معنى ؛ لأن جميعهم لا يصدقون بالقرآن.

فإن قيل : كيف يصح نبذهم التوراة ، وهم متمسكون بها ؟ قلنا : إنها لما كانت تدل على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ـ بنعته ، ووجوب الإيمان به ، ثم عدلوا عنه كانوا نابذين للتوراة.

قال السدي ـ رحمه الله تعالى ـ نبذوا التوراة ، وأخذوا بكمتاب " آصف " ، وسحر " هاروت وماروت ".

قوله : "كأنهم لا يعلمون " جلمة في محل نصب على الحال ، وصاحبها : فريق ، وإن نكرة لتخصيصه بالوصف ، والعامل فيها " نبذ " ، والتقدير : مشبهين للجهال ، ومتعلق العلم محذوف تقديره : أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك ، والمعنى : أنهم كفروا عنادا ؛ لأنهم نبذوه عن علم ومعرفة ؛ لأنه لا يقال ذلك إلا فيمن يعلم.

قال ابن الخطيب : ودلت الآية من هذه الجهة على أن هذا الفريق كانوا عالمين بصحة نبوته إلا أنهم جحدوا ما يعلمون وقد ثبت أن الجمع العظيم لا يصح الجحد عليهم ، فوجب القطع بأن أولئك الجاحدين كانوا في القلة بحيث تجوز المكابرة عليهم.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣

قوله : ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ : هذه الجملة معطوفة على مجموع الجملة السابقة من قوله : " ولما جاءهم " إلى آخرها.

وقال أبو البقاء : إنها معطوفة على " أشربوا " أوع لى " نبذ فريق " ، وهذا ليس بظاهر ؛ لأن عطفها على " نبذ " يقتضي كونها جوابا لقوله تعالى : ﴿ولمآ جآءهم رسول﴾.

واتباعهم لما تتلو الشياطين ليس مترتبا على مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام ـ بل كان اتباعهم لذلك قبله ، فالأولى أن تكون معطوفة على جملة " لما "كما تقدم ، و " ما " موصولة ، وعائدها محذوف ، والتقدير : تتلوه.

وقيل : " ما " نافية ، وهو غلط فاحش لا يقتضيه نظم الكلام ، [ذكره] ابن العربي.

و " يتلو " في معنى " تلت " فهو مضارع وقاع موقع الماضي ؛ كقوله : [الكامل] ٦٩٢. وإذا مررت بقبره فاعقر به

كوم الهجان وكل طرف سابح

واتضح جوانب قبر بدمائها

فلقد يكون أخا دم وذبائح

." (١)

"أي : فلقد كان.

وقال الكوفيون : الأصل : وما كانت تتلو الشياطين ، ولا يريدون بذلك أن صلة " ما " محذوفة ، وهي " كانت " و " تتلو " في موضع الخبر ، وإنما قصدوا تفسير المعنى ، وهو نظير : "كان زيد يقوم " المعنى على الإخبار ، وبقيامه في الزمن الماضي ، وقرأ الحسن والضحاك " الشياطون " إجراء له مجرى جمع السلامة ، قالوا : وهو غلط.

وقال بعضهم : لحن فاحش.

وحكى الأصمعي " بستان فلان حوله بساتون " وهو يقوي قراءة الحسن.

قوله تعالى : ﴿على ملك سليمان﴾ فيه قولان : أحدهما : أنه على معنى " في " ، أي : في زمن ملكه ، والملك هنا شرعه.

والثاني : أن يضمن تتلوا معنى تتقول أي : تقول على ملك سليمانن وتقول يتعدى بعلى ، قال تعالى : ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ [الحاقة : ٤٤].

وهذا الثاني أولى ، فإن التجوز في الأفعال أولى من التجوز في الحروف ، وهو مذهب البصريين .كما تقدم . وإنما أحوج إلى هذين التأويلين ؛ لأن تلا إذا تعدى بـ " على "كان المجرور بـ " على " شيئا يصح أن يتلى عليه نحو : تلوت على زيد القرآن ، والملك ليس كذلك.

قال أبو مسلم : " تتلو " أي : تكذب على ملك سليمان يقال : تلا عليه : إذا كذب وتلا عنه إذا صدق. وإذا أبهم جاز الأمران.

قال ابن الخطيب : أي يكون الذي كانوا يخبرون به عن سليمان مما يتلى ويقرأ فيجتمع فيه كل الأوصاف ، والتلاوة : الاتباع أو القراءة وهو قريب منه.

قال أبو العباس المقرىء : و " على " ترد على ثلاثة أوجه : الأول : بمعنى " في "كهذه الآية.

وبمعنى " اللام " ، قال تعالى ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن﴾ [الأنعام : ١٥٤] أي : للذي.

وبمعنى " " من " ، قال تعالى : ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ [المطففين : ٢] أي : من

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣١٧

الناس يستوفون.

و " سليمان " علم أعجمي ، فلذلك لم ينصرف.

وقال أبو البقاء رحمه الله تعالى : " وفيه ثلاثة أسباب : العجمة والتعريف والألف والنون " ، وهذا إنما يثبت بعد دخول الاشتقاق فيه ، والتصريف حتى تعرف زيادتها ، وقد تقدم أنهما لا يدخلان في الأسماء الأعجمية ، وكرر قوله : " وما كفر سليمان " بذكره ظاهرا ؛ تفخيما له ، وتعظيما ؛ كقوله : [الخفيف]

٦٩٣. لا أرى الموت يسبق الموت شيء

....

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣

وقد تقدم تحقيق ذلك.

فصل في المراد بقوله تعالى : واتبعوا " المراد بقوله : " واتبعوا " هم اليهود.

فقيل : هم الذين كانوا في زمن محمد عليه الصلاة والسلام.

وقيل : هم الذين كانوا في زمن سليمان صلى الله عليه وسلم من السحرة ؛ لأن أكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويعدونه من جملة الملوك في الدنيا ، وهؤلاء ربما اعتقدوا فيه أنه إنما وجد الملك العظيم بسبب السحر.

وقيل : إنه يتناول الكل وهو أولى.

قال السدي : لما جاءهم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ عارضوه بالتوراة فخاصموه بها ، فاتفقت التوراة والفرقان ، فنبذوا التوراة ، وأخذوا بكتاب " آصف " وسحر " هاروت وماروت " فلم يوافق القرآن ، فهذا هو قوله تعالى : ﴿ولمآ جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله ورآء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ أخبر عنهم بأنهم كتب السحر.

واختلفوا في المراد من الشياطين.

فقال المتكلمون من المعتزلة : هم شياطين الإنس ، وهم المتمردون في الضلال ؛ كقول جرير : [البسيط]

٩٤٦ـ أيام يدعونني الشيطان من غزلي

وكن يهوينني إذ كنت شيطانا." (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣١٨

"ورد هذا القول بشيئين : أحدهما : أنه يلزم خلو جملة الجزاء من ضمير يعود على اسم الشرط ، وهو غير جائز ، لما تقدم عند قوله : ﴿من كان عدوا لجبريل﴾ [البقرة : ٩٧].

والثاني : أن " من " لا تزاد في الموجب ، والشرط موجب ، [وهذا فيه خلاف لبعض] البصريين أجاز زيادتها في الشرط ؛ لأنه يشبه النفي ، ولكنه خلاف ضعيف.

وقرأ ابن عامر : " ننسخ " بضم النون ، وكسر السين من " أنسخ ".

قال ابو حاتم : " هو غلط " وهذه جرأة منه على عادته.

وقال أبو علي : " ليست لغة " ؛ لأنه لا يقال : نسخ وأنسخ بمعنى ، ولا هي للتعدية ؛ لأن المعنى يجي : ما نكتب من آية ، وما ننزل من آية ، فيجيء القرآن كله على هذا منسوخا ، وليس الأمر كذلك ، فلم يبق إلا أن يكون المعنى : ما نجده منسوخا كما يقال : أحمدته وأبخلته ، أي : وجدته كذلكن ثم قالك " وليس نجده منسوخا إلا بأن ننسخه ، فتتفق القراءتان في المعنى ، وإن اختلفتا في اللفظ ".

فالهمزة عنده ليست للتعدية.

وجعل الزمخشري ، وابن عطية الهمزة للتعدية ، إلا أنهما اختلفا في تقدير المفعول الأول المحذوف ، وفي معنى الإنساخ ، فجعل الزمخشري المفعول المحذوف جبريل عليه السلام ، الإنساخ هو الأمر بنسخها ، أي : الإعلام به.

وجعل ابن عطية المعفول ضمير النبي عليه السلام ، والإنساخ إباحة النسخ لنبيه ، كأنه لما نسخها أباح له تركها ، فسمى تلك الإباحة إنساخا.

وخرج ابن عطية القراءة على كون الهمزة للتعدية من وجه آخر ، وهو من نسخ الكتاب ، وهو نقله من غير إزالة له.

قال : ويكون المعنى : ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ ، أو ما نؤخر فيه ، ونتركه فلا ننزله ، أي ذلك فعلنا فإنا نأتي بخير من المؤخر المتروك أو بمثله ، فيجيء الضميران في " منها " و " بمثلها " عائدين على الضمير في " ننسأها ".

قال ابو حيان : وذهل عن القاعدة ، هي أنه لابد من ضمير يعود من الجزاء على اسم الشرط ، و " ما " في قوله : " ما ننسخ " شرطية ، وقوله : " أو ننسأها " عائد على الآية ، وإن كان المعنى ليس عائدا عليهما من حيث اللفظ والمعنى ، بل إنما يعود عليها من حيث اللفظ فقط نحو : عندي درهم ونصفه ، فهو في الحقيقة على إضمار " ما " الشرطية ، التقدير : أو ما ننسأ من آية ضرورة أن المنسوخ غير المنسوء ، ولكن

يبقى قوله : ما ننسخ من آية مفلتا من الجواب ؛ إذ لا رابط يعود منه إليه ، فبطل هذا المعنى الذى قاله ، .

والنسخ في اللغة هو الإزالة من غير بدل يعقبه ، يقال : نسخت الكتاب : إذا نقلته ، وتناسخ الأرواح ، وتناسخت القرون.

وتناسخ المواريث إنما هو التحول من واحد إلى آخر بدلا من الاول.

دليل الاول أنه إذا نسخه الأثر والظل ، فهو إعدامه ؛ لأنه قد لا يصحل الظل في مكان آخر حتى يظن أنه انتقل إليه.

وقال تعارى : ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ [الحج : ٥٢] أي : فيزيله ويبطله ، والأصل في الكلام الحقيقة.

وإذا ثبت كون اللفظ حقيقة في الإبطال وجب ألا يكون حقيقة في النقل دفعا للاشتراك.

فإن قيل : الريح والشمس ليسا مزيلين للأر والظل في الحقيقة ، وإنما المزيل في الحقيقة هو الله ـ تعالى ـ وإذا كان ذلك مجازا امتنع الاستدلال به على كون اللفظ حقيقة في مدلوله ، ثم نعارض ما ذكرتموه ، [ويقال] : النسخ هو النقل والتحويل ، [ومنه نسخه الكتاب إلى كتاب آخر ، كأنه ينقله إليه ، أو ينقل حكياته] كما قلنا في نسخ الكتاب والأرواح والقرون والمواريث ، فإنه تحويل من واحد إلى آخر.

وإذا كان كذلك فيكون حقيقة في النقل مجاز في الإبطال دفعا للشتراك.

[وأجيب] عن الأول من وجهين : أحدهما : أنه لا يتمنع أن يكون الله ـ تعالى ، هو الناسخ لذلك من حيث إنه فعل التشمس والريح والمؤثرتيں في تلك الإزالة ، ويكونان ناسخين لكونهما مختصين بذلك التأثير.

والثانيك أن أ÷ل اللغة إنما أخطئوا في إضافة النسخ إلى الشمس والريح ، فهب أنه لكن تمسكنا بإطلاقهم لفظ النسخ على الإزالة لإسنادهم هذا الفعل إلى الريح والشمس.

وعن الثاني : أن النقل أخص من الإبطال ، لأنه حيث وجد النقل ، فقد عدمت صفة ، وحصل عقيبها صفة أخرى ، فإن مطلق العدم أهم من عدمه يحصل عقيبه شيء آخر ، وإذا دار اللفظ بين الخاص والعام كان جعله حقيقة في العام أولى.

وقال آخر : [والنسخ : الإزالة ، وهو في الغة على ضربين : ضرب فيه إزالة شيء وإقامة غيره مقامه نحه : نسخت الشمس الظل ، إذا أزالته وقامت مقامه.

والثاني : أن يزيله كما تزيل الريح الأثر].
قوله : " من آية " " من " للتبعيض ، فهي متعلقة بمحذوف ؛ لأنها صفة لاسم الشرط ، ويضعف جعلها حالا ، والمعنى : أي شيء ننسخ من الآيات ، ف " آية : " مفرد وقع موقع الجمع ، وكذلك تخريج كل ما جاء من هذا التركيب : ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ [فاطر : ٢] ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [النحل : ٥٣] ، هذا المجرور هو المخصص والمبين لاسم الشرط ؛ وذلك أن فيه إبهاما من جهة عمومه ، ألا ترى أنك لو قلتك " من يكرم أكرم " تناول النساء والرجال.
فإذا قلت : " من." [١]

"على أن أوامر الله ـ تعالى ـ لازمة للظالمين ، كلزومها لغيرهم ثبت الوجه الآخر ، وهو أنهم غير مؤتمنين على أوامر الله ـ تعالى ـ وغير مقتدى بهم فيها ، فلا يكونون أئمة في الدين ، فثبت بدلالة الآية بطلان إمامة الفاسق ، قال عليه السلام : " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " ودل أيضا على أن الفاسق لا يكون حاكما ، وأن أحكامه لا تنفذ إذ ولي الحكم ، وكذلك لا تقبل شهادته ، ولا خبره [عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا فتياه إذا أفتى ، ولا يقدم للصلاة ، وإن كان هو بحيث لو اقتدى به ، فإنه لا تفسد صلاته].
وقال ابو بكر الرازيك " ومن الناس من يظن أن مذهب أبي حنيفة أن يجوز كون الفاسق إماما وخليفة ، ولا يجوز كون الفاسق قاضيا " ، قال : وهذا خطأ ، ولم يفرق أبو حنيفة بين الإمام والحاكم في أن شرط كل واحد منهما العدالة ، وكيف يكون خليفة ، وروايته غير مقبولة ، وأحكامه غير نافذة.
قال : وإنما غلط من غلط في هذه الرواية أن قول أبي حنفية : أن القاضي إذا كان عدلا في نفسه ، وتولى القضاء من إمام جائر فإن أحكامه نافذة ، والصلاة خلفه جائزة ؛ لأن القاضي إذا كان عدلا في نفسه ، ويمكنه تنفيذ الأحكام كانت أحكامه نافذة ، فلا اعتبار في ذلك بمن ولاه ؛ لأن الذي ولاه بمنزلة سائر أعوانه ، وليس شرط أعوان القاضي أن يكونوا عدولا ، ألا ترى أن أهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا أعوانا له على من امتنع من قبول أحكامه ولكان قضاؤه نافذا ، وإن لم يكن له ولاية من جهة إمام ولا سلطان.
والله أعلم.
فصل في أخذ الأرزاق من الأئمة الظلمة ونقل القرطبي رحمه الله تعالى عن أبن خويز منداد أنه قال : وأما

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٣٨

أخذ الأرزاق من الأئمة الظلمة فله ثلاثة أحوال : إن كان جميع ما في أيديهم مأخذا على موجب الشريعة ، فجائز أخذه ؛ وقد أخذت الصحابة والتابعون من يد الحجاج وغيره.
وإن كان مختلطا حالالا وظلما ، كما في أيدي الأمراء اليوم ، فالورع تركه ، ويجوز
٤٥٨
للمحتاج أخذه ، وهو كلص في يده مال مسروق ، ومال حلال ، [وقد وكله فيه رجل ، فجاء اللص يتصدق به على إنسان] ، فيجوز أن تؤخذ منه الصدقة ، وكذلك لو باع أو اشترى كان العقد صحيحا لازما ، وإن كان الورع التنزه عنه ، وذلك أن الأموال لا تحرم بأعيانها ، [وإنما تحرم لجهاتها ، وإن كان في أيديهم ظلما صراحا ، فلا يجوز أن يؤخذ من أيديهم] ، ولو كان ما في أيديهم من المال مغصوبا غير أنه لا يعرف له صاحب ، ولا مطالب ، فهو كما لو وجد في أيدي اللصوص وقطاع الطريق [ويجعل في بيت المال].
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٤١
" إذ " عطف على " إذ " قبلها ، وقد تقدم الكلام فيها ، و " جعلنا " يحتمل أن يكون بمعنى " خلق " و " وضع " فيتعدى لواحدن وهو " البيت " ، ويكون " مثابة " نصبا على الحال وأن يكون بمعنى " صير فيتعدى لاثنين ، فيكون " مثابة " هو المفعول الثاني.
والأصل في " مثابة " " مثوبة " فأعل بالنقل والقلب ، وهل هو مصدر أو اسم مكان قولان ؟ وهل الهاء فيه للمبالغة ك " علامة " و " نسابة " لكثكرة من يثوب إليه ، أي يرجعن أو لتأنيث المصدر ك " مقامة " أو لتأنيث البقعة ؟ ثلاثة أقوال ، وقد جاء حذف هذه الهاء ؛ قال ورقة بن نوفل : [الطويل] ٧٧٦. مثاب لأفناء القبائل كلها
تخب إليها اليعملات الذوامل
وقال : [الرمل] ٧٧٧. جعل البيت مثابا لهم
ليس منه الدهر يقضون الوطر
وهل معناه من ثاب يثوب أي : رجع أو من الثواب الذي هو الجزاء ؟ قولان : أظهرهما : أولهما قال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم : إنهم يثوبون إليه في كل عام.
وعن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما : [أنه لا ينصرف عنه أحد إلا وهو يتمنى

." (١)

"حجر لا تضر ولا تنفع ، وأن الله ربي ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ".

قوله تعالى : ﴿وعهدنآ إلى إبراهيم﴾ تقدم معنى العهد.

قيل : معناه ـ هاهنا ـ أمرنا وقيل : أوحينا.

قوله : " وإسماعيل " إسماعيل علم أعجمي ، وفيه لغتان : باللام والنون ؛ وعليه قول الشاعر : [الرجز]

٧٧٩. قال جواري الحي لما جينا

هذا ورب البيت إسماعينا

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٥٩

ويجمع على : " سماعلة " و " سماعيل " و " أساميع ".

ومن أغرب مانقل في التسمية أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما دعا لله أن يرزقه ولدا كان يقول : اسمع إيل اسمع إيل ، وإيل هو الله ـ تعالى ـ فسمى ولده بذلك.

قوله : " أن طهرا " يجوز في " أن " وجهان : أحدهما : أنها تفسيرية لجملة قوله : " عهدنا " ، فإنه يتضمن معنى القول ؛ لأنه بمعنى أمرنا أو وصينا ، فهي بمنزلة " أي " التي للتفسير ، وشرط " أن " التفسيرية أن تقع بعدما هو بمعنى القول لا حروفه.

وقال أبو البقاء : والمفسرة تقع بعد القول ، وما كان في معناه.

فقد غلط في ذلك ، وعلى هذا فلا محل لها من الإعراب.

والثاني : أن تكون مصدرية ، وخرجت على نظائرها في جواز وصلها بالجملة الأمرية ، قالوا : "كتبت إليه بإن قم " وفيها بحث ليس هذا موضعه ، والأصل : بأن ظهرا ، ثم حذفت الباء ، فيجيء فيها الخلاف المشهور من كونها في محل نصب ، أو خفض.

و " بيتي " معفول به أضيف إليه ـ تعالى ـ تشريفا وقرأ أهل " المدينة " وحفص " بيتي " بفتح الياء هاهنا ، وفي سورة " الحج " ، وزاد حفص في سورة " نوح " عليه الصلاة والسلام.

و " الطائف " اسم فاعل من : " طاف يطوف " ، ويقال : أطاف رباعيا ، قال : [الطويل] ٧٨٠. أطافت

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٣٧٩

به جيلان عند قطاعه

....

وهذا من باب " فعل وأفعل " بمعنى.

فصل في معنى تطهير البيت يجب أن يراد به تطهير البيت من كل أمر لا يليق به ، لأنه موضع الصلاة فيجب

٤٦٦

تطهيره من الشرك ، ومن كل ما لا يليق به ، وذكر المفسرون وجوها : أحدها : أن معنى " طهرا بيتي " ابنياه وطهراه من الشرك ، وأسساه على التقوى.

وثانيهما : عرفا الناس أن بيتي طهرة لهم متى حجوه ، وزاره وأقاموا به.

ومجازه : اجعلاه طاهرا عندهم ، كما يقال : فلان يطهر هذا ، وفلان ينجسه.

وثالثها : ابنياه ، ولا تدعا أحدا من أهل الريب أو الشرك يزاحم الطائفين فيه ، بل اقراه على طهارته من أهل الكفر والريب كما يقال : طهر الله الأرض من فلان ، وهذه التأويلات مبنية على أنه لم يكن هناك ما يوجب إيقاع تطهيره من الأوثان والشرك ، وهو كقوله تعالى : ﴿ولهم فيهآ أزواج مطهرة﴾ [البقرة : ٢٥] فمعلوم أنهن لم يطهرن عن نجس ، بل خلقن طاهرات ، وكذا البيت المأمور بتطهيره خلق طاهرا.

ورابعها : معناه : أن نظفا بيتي من الأوثان والشرك والمعاصي ، ليقتدي الناس بكما في ذلك.

وخامسها : قال بعضهم : إن موضع البيت قبل البناء كان يلقى فيه الجيف والأقذار ، فأمر الله ـ تعالى ـ إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بإزالة تلك القاذورات وبناء البيت هناك ، وهذا ضعيف ؛ لأن قيل البناء ما كان البيت موجودا ، فتطهير تلك العرصة لا يكون تطهيرا للبيت ، ويمكن أن يجاب عنه بأنه سماه بيتا ، لأنه علم أن مآله إلى أن يصير بيتا لكنه مجاز.

قوله تعالى : ﴿للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾.

الطائفين : الدائرين حوله والعاكفين المقيمين الملازمين.

والركع " ، وجمع " راكع ".

والعكوف لغة : اللزوم واللبثح قال : [الوافر] ٧٨١......................

عليه الطير ترقبه عكوفا

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٥٩

وقال : [الرجز]

٧٨٢. عكف النبيط يلعبون الفنزجا

٤٦٧

." (١)

"وقال بعضهم : هي هنا بصرية قلبية معا ؛ لأن الحج لا يتم إلا بأمور منها ما هو معلوم ومنها منا هو مبصر.

ويلزمه على هذا الجمع بين الحقيقة والمجاز ، أو استعهمال المشترك في معنييه معا.

وقرأ الجمهور : ﴿أرنا﴾ بإشباع كسر " الراء " هنا ، وفي [النساء : ١٥٣] وفي [الأعراف : ١٤٣] ﴿أرنى أنظر﴾ ، وفي [فصلت : ٢٩] ﴿أرنا اللذين﴾.

وقرأ ابن كثير بالإسكان في الجميع ، ووافقه في " فصلت " ابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم ، واختلف عن أبي عمرو ، فروي عن السوسي موافقة ابن كثير بالإسكان في الجميعن وروي عه الدوري اختلاس الكسر فيها.

أما اكسر فهو الأصل.

وأما الاختلاص فحسن مشهور.

وأما الإسكان فللتخفيف ، شبهوا المصتل بالمنفصل فسكنوا كسره ، كما قالوا في فخذ : فخذ ، وكتف : كتف.

وقد **غلط** قوم راوي هذه القراءة.

وقالوا : صار كسر الراء دليلا على الهمزة المحذوفة , فإن أصله : " أرئنا " ثم نقل.

قال الزمخشري تابعا لغيره : قال الفارسي : التغليط ليس بشيء لأنها قراءة متواترة ، وأما كسرة الراء فصارت كالاصل ؛ لأن الهمزة مرفوضة الاستعمال.

وقال ايضا : ألا تراهم أدغموا في ﴿لكن هو الله ربي﴾ [الكهف : ٣٨] ، والأصل " لكان أنا " نقولا الحركة ، وحذفوا ، ثم أدغموا ، فذهاب الحركة في " أرنا " ليس بدون ذهابها في الإدغام ، وأيضا فقد سمع الإسكان في هذا الحرف نصا عن العرب ؛ قال القائل : [البسيط] ٧٩١. أرنا إداوة عبد الله نملؤها

من ماء زمزم إن القوم قد ظمئوا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٨٣

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٧٧
وأصل أرنا : أرئنا ، فنقلت حركة " الهمزة " إلى " الراء " وحذفت هي ، وقد تقدم الكلام بأشبع من هذا عند قوله : ﴿حتى نرى الله جهرة﴾ [البقرة : ٥٥].
و " المناسك " واحدها : " منسك " بفتح العين وكسره١ ، وقد قرىء بهما والمفتوح هو المقيس لانضمام عين مضارعة.
٤٨٧
ويقال : المنسك بفتح السين بمعنى الفعل وبكسر السين بمعنى الموضع ، كالمسجد والمشرق والمغرب.
قال الله تعالى : ﴿لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه﴾ [الحج : ٦٧] قرىء بالفتح الكسر ، وظاهر الكلام يدل على الفعل ، وكذلك قوله عليه السلام " خذوا عني مناسككم " أمرهم بأن يتعلموا أفعاله في الحج ، لا أنه أراد : خذوا عني مواضع نسككم ، وبعض المفسرين حمل المناسك على الذبيحة فقط.
قال ابن الخطيب : وهو خطأ ، لأن الذبيحة إنما تسمى نسكا لدخولها تحت التعبد ، [لا لكونها مذبوحة] ولذلك لا يسمون ما يذبح للأكل بذلك.
قال القرطبي : [قوله تعالى : " مناسكنا " يقال] : إن أصل النسك في اللغة الغسل ، يقال منه نسك ثوبه إذا غسله.
وهو في الشرع اسم للعبادة ، يقال : رجل ناسك إذا كان عابدا.
فصل في تسمية عرفات وقال الحسن : إن جبريل ـ عليه السلام ـ أرى إبراهيم المناسك كلها حتى بلغ " عرفات " ، فقال : يا إبراهيم أعرفت ما رأيتك من النماسك ؟ قال : نعم [فسميت " عرفات "] فلما كان يوم النحر أراد أن يزور البيت فعرض له إبليس فسد عليه الطريق ، فأمره جبريل ـ عليه السلام ـ بأن يرميه بسبع حصيات ، ففعل فذهب الشيطان ، ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع كل ذلك يأمره جبريل ـ عليه السلام ـ برمي سبع حصيات.
فبعضهم حمل المناسك هنا على [شعائر] الحج ، وأعماله كالطواف والسعي والوقوف.
وبعضهم حمله على المواقف والمواضع التي يقام فيها شرائع الحج ، ثمل " منى " و " عرفات " و " المزدلفة " ونحوها.

٤٨٨

". (١)

"" قولوا " : في هذا الضمير قولان : أحدهما : أنه للمؤمنين ، والمراد بالمنزل إليهم القرآن على هذا.

والثاني : أنه يعود على القائلين كانوا هودا أو نصارى.

والمراد بالمنزل إليهم : إما القرآن ، وإما التوراة والإنجيل [قال الحسن رحمه الله تعالى : لما حكى الله ـ تعالى ـ عنهم أنهم قالوا : كونوا هودا أو نصارى ذكر في مقابلته للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قل : بل " ملة " إبراهيم ، قال : ﴿قولوا اا آمنا بالله﴾].

وجلمة " آمنا " في محل نصب بـ " قولوا " ، وكرر الموصول في قوله : ﴿ومآ أنزل إلى إبراهيم﴾ لاختلاف المنزل إلينا ، والمنزل إليه ، فلو لم يكرر لأوهم أن المنزل إلينا هو المنزل إليهم ، ولم يكرر في " عيسى " ؛ لأنه لم يخالف شريعة موسى إلا في نزر يسير ، فالذي أوتيه عيسى هو عين ما أوتيه موسى إلا يسيرا ، وقدم المنزل إلينا في الذكر ، وإن كان م تأخرا في الإنزال تشريفا له.

والأسباط جمع " سبط " وهم في ولد يعقوب كالقبائل في ولد إسماعيل والشعوب في العجم.

وقيل : هم بنو يعقوب لصلبه.

وقال الزمخشري : " السبط هو الحافد ".

واشتقاقهم من السبط وهو التتابع ، سموا بذلك ؛ لأنهم أمة متتابعون.

وقيل : من " السبط " بالتحريك جمع " سبطة " وهو الشجر الملتف.

وقيل لـ " الحسنين " : سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانتشار ذريتهم.

ثم قيل لكل ابن بنت : " سبط ".

قال القرطبي رحمه الله تعالى : جميع إبراهيم براهم ، وإسماعيع سماعيل ، قاله الخليل وسيبويه والكوفيون ، وحكوا : براهمة وسماعلة ، وحكوا براهم وسماعل.

قال محمد بن يزيد : هذا **غلط** ؛ لأنه الهمزة ليس هذا موضع زيادتها ، ولكن أقول : أباره وأسامع ، ويجوز أباريه وأساميع.

وأجاز أحمد بن يحيى " براه " ، كما يقال في التصغير " بريه ".

٥١٩

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٩٣

قوله : ﴿ومآ أوتي موسى ﴾ يجوز في " ما " وجهان : أحدهما : أن تكون في محل جر عطفا على المؤمن به ، وهو الظاهر.

والثاني : أنها في محل رفع بالابتداء ، ويكون ﴿وما أوتي النبيون﴾ عطفا عليها.

وفي الخبر وجهان : أحدهما : أن يكون " من ربهم ".

والثاني : أن يكون " لا نفرق " هكذا ذكر أبو حيان ، إلا أن في جعله " لا نفرق " خبرا عن " ما " نظر لا يخفى من حيث عدم عد الضمير عليها.

ويجوز أن تكون " ما " الأولى عطفا على المجرور ، و " ما " الثانية مبتدأه ، وفي خبرها الوجهان ، وللشيخ أن يجيب عن عدم عود الضمير بأنه محذوف تقديره : لا نفرق فيه ، وحذف العائد المجرور بـ " في " مطرد كما ذكر بعضهم ، وأنشد : [المتقارب] ٨١٢. فيوم علينا ويوم لنا

ويوم نساء ويوم نسر

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٥١٩

أي : نساء فيه ونسر فيه.

قوله : " من رب◌◌هم " فيه ثلاثة أوجه : أحدهما . وهو الظاهر . أنه في محل نصب ، و " من " لابتداء الغايةن ويتعلق بـ " أوتي " الثانية إن أعدنا الضمير على النبيين فقط دون موسى وعيسى ، أو بـ " أوتي " الأولى ، وتكون الثانية تكرارا لسقوطها في " آل عمران " إن أعدنا الضمير على موسى وعيسى عليهما السلام والنبيين.

الثاني : أن يكون في محل نصب على الحال من العائد على الموصول فيتعلق بمحذوف تقديره : وما أوتيه كائنا من ربهم.

الثالث : أنه في محل رفع لوقوعه خبرا إذا جعلنا " ما " مبتدأ.

قوله : " بين أحد " متعلق بـ " لا نفرق " ، وفي " أحد " قولان : أظهرهما : أنه الملازم للنفي الذي همزته أصلية ، فهو للعموم وتحته أفراد ، فلذلك صح دخول " بين : عليه من غير تقدير معطوف نحو : " المال بين الناس ".

والثاني : أنه الذي همزته بدل من " واو " بمعنى واحد ، وعلى هذا فلا بد من تقدير معطوف ليصح دخول " بين " على متعدد ، ولكنه حذف لفهم المعنى ، والتقدير : بين أحد منهم ؛ ونظيره ومثله قول النابغة : [الطويل]

٥٢٠

٨١٣. فما كان بين الخير لو جاء سالما

أبو حجر إلا ليال قلائل." (١)

"وقوله " والهدى " يدخل فيه الدلالة العقلية ، والنقلية ؛ لما تقدم في دليل قوله ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة : ٣] أن الهدى عبارة عن الدلائل ، فيعم الكل.

فإن قيل : فقد قال : ﴿والهدى من بعد ما بيناه للناس﴾ فعاد إلى الوجه الأول.

قلنا : الأول : هو التنزيل ، والثاني : ما يقتضيه التنزيل من الفوائد.

وهذه الآية الكريمة تدل على أن من أمكنه بيان أصول الدين بالدلائل العقلية لمن كان محتاجا إليها ، ثم تركها ، أو كتم شيئا من أحكام الشرع مع الحاجة إليه ، فقد لحقه هذا الوعيد.

قوله تعالى : ﴿من بعد ما بيناه للناس﴾ متعلق بـ " يكتمون " ، ولا يتعلق بـ " أنزلنا " لفساد المعنى ؛ لأن الإنزال لم يكن بعد التبيين ، وأما الكتمان فبعد التبيين ، والضمير في [" بيناه " يعود على " ما " الموصولة.

وقرأ الجمهور " بيناه " ، وقرأ طلحة بن مصرف " بينه " على ضمير الغائب ، وهو التفات من التكلم إلى الغيبة ، و " للناس " متعلق بالفعل قبله.

وقوله : " في الكتاب " يحتمل وجهين : أحدهما : أنه متعلق بقوله : " بيناه ".

والثاني : أنه يتعلق بمحذوف ؛ لأنه حال من الضمير المنصوب في] " بينه " أي : بيناه حال كونه مستقرا كائنا كائنا في الكتاب ، والمراد بالكتاب جميع الكتب المنزلة.

فصل في حكم هذا " البيان " قال بعضهم : هذا الإظهار فرض على الكفاية ، لأنه إذا أظهره البعض ، صار بحيث يتمكن كل أحد من الوصول إليه ، فلم يبق مكتوما ، وإذا خرج عن حد الكتمان ، لم يجب على البقاين إظهاره مرة أخرى ، والله أعلم.

فصل في الاحتجاج بقبول خبر الواحد من الناس من يحتج بهذه الآيات على قبول خبر الواحد ، لأن أظهار هذه الأحكام واجب ، [ولو لم يجب العمل] ، لم يكن إظهارها واجبا ، وتمام التقرير فيه قوله تعالى في آخر الآية : ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا﴾ [البقرة : ١٦٠] فحكم بوقوع البيان بخبرهم.

١٠٦

فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون كل واحد كان منهيا عن الكتمان ، ومأمورا بالبيان ؛ [ليكثر المخبرون] ؛

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٠٧

فيتواتر الخبر.

فالجواب : هذا غلط ؛ لأنهم ما نهوا عن الكتمان ، إلا وهم ممن يجوز عليهم الكتمان ، ومن جاز منهم التواطؤ على الكتمان ، جاز منهم التواطؤ على الوضع والافتراء ، فلا يكو خبرهم موجبا للعلم ، والمراد من [الكتاب] قيل : التوراة والإنجيل ، وقيل : القرآن ، وقيل : أراد بالمنزل الأول ما فيه كتب المتقدمين ، والثاني ما في القرآن.

قوله تعالى : " أولئك يلعنهم " يجوز في " أولئك " وجهان : أحدهما : أن يكون مبتدأ ، و " يلعنهم " الخبر ؛ ران قوله تعالى : ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ يحتمل أن يكون معطوفا على ما قبله ، وهو ﴿يلعنهم الله﴾ وأن يكون مستأنفا ، وأتى بصلة " الذين " فعلا مضارعا ، وكذلك بفعل اللعنة ؛ دلالة على التجدد والحدوث ، وأن هذا يتجدد وقتا فوقتا ، وكررت اللعنة ؛ تأكيدا في ذمهم.

وفي قوله " يلعنهم الله " التفات ؛ إذ لو جرى على سنن الكلام ، لقال : " نلعنهم " ؛ لقوله : " أنزلنا " ، ولكن في إظهار هذا الاسم الشريف ما ليس في الضمير.

فصل في معنى اللعنة ، والمراد باللاعنين اللعنة في أصل اللغة : هي الإبعاد ، وفي عرف الشرع ، الإبعاد من الثواب ، واختلفوا في اللاعنين ، من هم ؟ فقيل : دواب الأرض وهوامها ؛ فإنها تقول : منعنا القطر بمعاصي بني آدم ، قنله مجاهد ، عن عكرمة.

وقال : " اللاعنون " ، ولم يقل " اللاعنات " ؛ لأنه تعالى وصفها بصفة من يعقل ، فجمعها جمع من يعقل ؛ كقوله تعالى : ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف : ٤] و ﴿ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ [النمل : ١٨] ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ [فصلت : ٢١].

و ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ [يس : ٤٠] وقيل : "كل شيء إلا الإنس والجن " قاله ابن عباس.

فإن قيل : كيف يصح اللعن من البهائم ، والجمادات ؟ فالجواب من وجهين :

١٠٧

". (١)

"نصب ؛ لمصدر محذوف ، تقديره : " وما تفعلوا فعلا من خير " والهاء في " يعلمه " تعود إلى خير.

قال شهاب الدين : وهذا غلط فاحش ؛ لأنه من حيث علقه بالفعل قبله كيف يجعله نعت مصدر

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٦٨

محذوف ؟ ولأن جعله الهاء تعود إلى " خير " يلزم منه خلو جملة الجواب من ضمير يعود اسم الشرط ، وذلك لا يجوز ، أما لو كانت أداة الشرط حرفا ، فلا يشترط فيه ذلك ، فالصواب ما تقدم.

وإنما ذكرت لك هذا لئلا تراه فتتوهم صحته.

والهاء عائدة على " ما " التي هي اسم الشرط.

فصل اعلم أن الله تعالى يعلم كل شيء وإذا خص هنا الخير بأنه يعلمه لفوائد.

أحدها : إذا علمت منك الخير ، ذكرته وشهرته ، وإذا علمت منك الشر ، سترته وأخفيته ؛ لتعلم أنه إذا كانت رحمتي بك في الدنيا هكذا فكيف في العقبى ؟ وثانيها : قال بعض المفسرين في قوله : ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ [طه : ١٥] معناه : لو أمكنني أن أخفيها عن نفسي ، لفعلت ، فكذا – هاهنا – كأنه قيل للعبد : ما تفعله من الشر ، فلو أمكنني أن أخفيه عن نفسي لفعلت ذلك.

وثالثها : أن السلطان العظيم إذا قال لعبده المطيع : كل ما تتحمله من المشقة والخدمة في حقي ، فأنا عالم به ، ومطلع عليه ، كان هذا وعدا له بالثواب العظيم ، ولو قال ذلك لعبده المذنب ، كان توعدا له بالعقاب الشديد ، ولما كان سبحانه أكرم الأكرمين ؛ لا جرم ذكر ما يدل على الثواب ، ولم يذكر ما يدل على العقاب.

ورابعها : أن جبريل – عليه السلام – لما قال : " ما الإحسان " ؟ فقال : " الإحسان : أنْ تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك " ، فهاهنا بين للعبد أنه يراه ، ويعلم ما يفعله من الخيرات لتكون طاعة العبد للرب من الإحسان ، الذي هو أعلى درجات العبادة ، فإن الخادم متى علم أن مخدومه مطلع عليه ، ليس بغافل عن أحواله – كان أحرص على العمل.

فصل قال القرطبي : هذا شرط وجوابه ، والمعنى أن الله يجازيكم على أعمالكم ؛ لأن المجازاة إنما تقع من العالم بالشيء.

وقيل : هو تحريض وحث على حسن الكلام مكان الفحش ، وعلى البر والتقوى في الأخلاق مكان الفسوق والجدال.

٤٠٦

وقيل : جعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم ؛ حتى لا يوجد ما نهوا عنه.

قوله : ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ فيه قولان : أحدهما : أن المراد تزودوا من التقوى ؛ لقوله ﴿فإن خير الزاد التقوى ﴾ فتحقيق [الكلام فيه : أن] الإنسان له سفران ، سفر فى الدنيا ، وسفر من الدنيا.

فالسفر في الدنيا ، لا بد له من زاد ، وهو الطعام ، والشراب ، والمركب ، والمال والإعراض عما سواه ، وهذا الزاد خير من الزاد الأول لوجوه : أحدها : أن زاد الدنيا [يخلصك من عذاب منقطع ، وزاد الآخرة يخلصك من عذاب دائم ، وزاد الدنيا] يوصلك إلى لذة ممزوجة بالآلام ، والبلايا ، وزاد الآخرة يوصلك إلى لذات باقية خالصة عن شوائب المضرة ، وزاد الدنيا يوصلك إلى دنيا منقضية ، وزاد الآخرة يوصلك إلى الآخرة ، وهي كل ساعة من الإقبال ، والقرب ، والوصول غير منقضية وزاد الدنيا يوصلك إلى منصة الشهوة والنفس وزاد الآخرة يوصلك إلى حضرة الجلال والقدس ؛ فلهذا قال : ﴿خير الزاد التقوى﴾ فاشتغلوا بتقواي يا أولي الألباب ، يعني : إن كنتم من أولي الألباب الذين يعلمون حقائق الأمور فاشتغلوا بتحصيل هذا الزاد ؛ لما فيه من كثرة المنافع ؛ وفي هذا المعنى قال الأعشى : [الطويل] ٩٩٥ - إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى

ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٩٠

ندمت على ألا تكون كمثله

وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

والقول الثاني : أن هذه الآية الكريمة نزلت في أناس من أهل اليمن ، كانوا يحجون بغير زاد ، ويقولون إنا متوكلون وكانوا يسألون وربما ظلموا الناس وغصبوهم ، فأمرهم الله تعالى أن يتزودوا ما يبلغون به ، فإن خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال ، وأنفسكم عن الظلم.

وعن ابن زيد ، أن بعض قبائل العرب كانوا يحرمون الزاد على الحج ، والعمرة ؛ فنزلت الآية.

٤٠٧

." (١)

"وأنزل مقدرا مصاحبته غياهم ، وقدره أبو البقاء بقوله : " شاهدا لهم ومؤيدا " ، وهذا تفسير معنى لا إعراب.

والألف واللام في " الكتاب " يجوز أن تكون للعهد ، بمعنى أنه كتاب معين ؛ كالتوراة مثلا ، فإنها أنزلت على موسى ، وعلى النبيين بعده ؛ بمعنى أنهم حكموا بها ، واستداموا على ذلك ، وأن تكون للجنس ، أي : أنزل مع كل واحد منهم من هذا الجنس.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٦٢١

قال القاضي : ظاهر الآية يدل على أنه لا نبي إلا ومعه كتاب ، أنزل فيه بيان الحق : طال ذلك الكتاب ، أم قصر ، ودون ، أو لم يدون ، وكان ذلك الكتاب معجزا ، أم لم يكن.

وقيل : هو مفرد وضع موضع الجمع : أي وأنزل معهم الكتب ، وهو ضعيف.

وهذا الجملة معطوفة على قوله : " فبعث " ولا يقال : البشارة والنذارة ناشئة عن الإنزال فكيف قدم ا عليه ؟ لأنا لا نسلم أنهما إنما يكونان بإنزال كتاب ، بل قد يكونان بوحي من الله تعالى غير متلو ولا مكتوب. ولئن سلمنا ذلك ، فإنما قدما ، لأنهما حالان من " النبيين " فالأولى اتصالهم بهم.

قوله : " بالحق " فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكون متعلقا بمحذوف على أنه حال من الكتاب - أيضا - عند من يجوز تعدد الحال ، وهو الصحيح.

والثاني : أن يتعلق بنفس الكتاب ؛ لما فيه من معنى الفعل ، إذ المراد به المكتوب.

والثالث : أن يتعلق بأنزل ، وهذا أول ؛ لأن جعله حالا لا يستقيم إلا أن يكون حالا مؤكدة ، إذ كتب الله تعالى لا تكون ملتبسة بالحق ، الأصل فيها أن تكون مستقلة ولا ضرورة بنا إلى الخروج عن الأصل ، ولأن الكتاب جار مجرى الجوامد.

قوله : " ليحكم " هذا القول متعلق بـقوله : " أنزل " : واللام للعله ، وفي الفاعل المضمر في " ليحكم " ثلاثة أقوال : أحدها : وهو أظهرها ، أنه يعود على الله تعالى : لتقدمه في قوله : " فبعث الله " ولأن نسبة الحكم إليه حقيقة ، ويؤيده قراءة الجحدري فيما نقله عنه مكي " لنحكم " بنون العظمة ، وفيه التفات من الغيبة إلى التكلم.

وقد ظن ابن عطية أن مكيا غلط في نقل

٥٠٥

هذه القراءة عنه ، وقال : إن الناس رووا عن الجحدري : " ليحكم " على بناء الفعل للمفعول وفي " النور " موضعين هنا ، وفي " آل عمران " ولا ينبغي أن يغلطه ؛ لاحتمال أن يكون عنه قراءتان.

والثاني : أنه يعود على " الكتاب " أي : ليحكم الكتاب ، ونسبة الحكم إليه مجاز ؛ كنسبة النطق إليه في قوله تعالى : ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ [الجاثية : ٢٩].

وقوله : ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين﴾ [الإسراء : ٩].

ونسبة القضاء إليه في قوله : [الكامل] ١٠٣٧ - ضربت عليك العنكبوت بنسجها

وقضى عليك به الكتاب المنزل

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠٠." [١]

"فعلى هذا : إذا أريد به الحيض ، فلاجتماع الدم في الرحم ، وإن أريد به الطهر ، فلاجتماع الدم في البدن ، وهذا قول الأصمعي ، والفراء ، والكسائي.

قال شهاب الدين : وهو **غلط** ؛ لأن هذا من ذوات الياء ، والقرء مهموز.

وإذا تقرر ذلك فاختلف العلماء في إطلاقه على الحيض والطهر : هل هو من باب الاشتراك اللفظي ، ويكون ذلك من الأضداد أو من الاشتراك المعنوي ، فيكون من المتواطئ ؛ كما إذا أخذنا القدر المشترك : إما الاجتماع ، وإما الوقت ، وإما الخروج ، ونحو ذلك.

وقرء المرأة لوقت حيضها وطهرها ، ويقال فيهما : أقرأت المرأة ، أي : حاضت أو طهرت ، وقال الأخفش : أقرأت أي : صارت ذات حيض ، وقرأت بغير ألف أي : حاضت ، وقيل : القرء ، الحيض ، مع الطهر ، وقيل : ما بين الحيضتين.

والقائل

١١٣

بالاشتراك اللفظي وجعلهما من الأضداد هم جمهور أهل اللسان ؛ كأبي عمرو ويونس وأبي عبيدة.

ومن مجيء القرء والمراد به الطهر قول الأعشى : [الطويل]

١١٧٠ - أفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عظيم عزائكا مورثة عزا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٠٨

أراد : أنه كان يخرج من الغزو ولم يغش نساءه ، فيضيع أقراءهن ، وإنما كان يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض.

ومن مجيئه للحيض قوله : [الرجز]

١١٠٨ - يا رب ذي ضغن علي فارض له قروء كقروء الحائض

أي : طعنته فسال دمه كدم الحائض ، ويقال " قرء " بالضم نقله الأصمعي ، و " قرء " بالفتح نقله أبو زيد ، وهما بمعنى واحد.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٦٧٦

وقرأ الحسن : " ثلاثة قرو " بفتح القاف وسكون الراء وتخفيف الواو من غير همز ؛ ووجهها : أنه أضاف العدد لاسم الجنس ، والقرو لغة في القرء ، وقرأ الزهري – ويروى عن نافع – : " قرو " بتشديد الواو ، وهي كقراءة الجمهور ، إلا أنه خفف ، فأبدل الهمزة واوا ، وأدغم فيها الواو قبلها.

فصل مذهب الشافعي – رضي الله عنه – : أنها الأظهار ؛ وهو مروي عن ابن عمرو ، وزيد ، وعائشة ، والفقهاء السبعة ، ومالك وربيعة ، وأحمد في رواية.

وقال علي ، وعمر ، وابن مسعود : هي الحيض ؛ وهو قول أبي حنيفة والثوري والأوزاعي ، وابن أبي ليلى ، وابن شبرمة ، وإسحاق ، وأحمد في رواية – رضي الله عنهم – .

وفائدة الخلاف : أن مدة العدة عند الشافعي أقصر ، وعندهم أطول حتى لو طلقها في حال الطهر ، يحسب بقية الطهر قرءا ، وإن حاضت عقيبه في الحال ، فإذا شرعت في الحيضة الثالثة ، انقضت عدتها ، وإن طلقها في حال الحيض فإذا شرعت في الحيضة الرابعة ، انقضت عدتها.

١١٤

وعند أبي حنيفة : ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ، إن كان الطلاق في حال الطهر ومن الحيضة الرابعة إن كان الطلاق في حال الحيض ، لا يحكم بانقضاء عدتها ، ثم قال : إذا طهرت لأكثر الحيض ، تنقضي عدتها قبل الغسل ، وإن طهرت لأقل الحيض ، لم تنقض عدتها.

وحجة الشافعي من وجوه : أولها : قوله تعالى : ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق : ١] أي : في وقت عدتهن ؛ كقوله تعالى : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ [الأنبياء : ٤٧] ، أي : في يوم القيامة ، والطلاق في زمن الحيض منهي عنه ؛ فوجب أن يكون زمان العدة غير زمان الحيض.

أجاب صاحب " الكشاف " بأن معنى الآية : مستقبلات لعدتهن كما يقال : لثلاث بقين من الشهر ، يريد : مستقبلا لثلاث.

قال ابن الخطيب : وهذا يقوي استدلال الشافعي – رضي الله عنه – لأن قوله : " لثلاث بقين من الشهر " معناه : لزمان يقع الشروع في الثلاث عقيبه ، وإذا كان الإذن حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر ، وجب أن يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة ، وهو المطلوب.

وثانيها : روي عن عائشة – رضي الله عنها – ؛ أنها قالت : " هل تدرون ما الأقراء ؟ الأقراء الأطهار ".

قال الشافعي : والنساء بهذا أعلم ؛ لأن هذا إنما يبتلى به النساء.

وثالثها : وهو ما تقدم من أن " القرء " عبارة عن الجمع ، واجتماع الدم إنما هو زمان الطهر ؛ لأن الدم

يجتمع في ذلك الزمان في البدن.

فإن قيل : بل زمان الحيض أولى بهذا الاسم ؛ لأن الدم يجتمع في هذا الزمان في الرحم.

قلنا : لا يجتمع ألبتة في زمان الحيض في الرحم ، بل ينفصل قطرة قطرة ، وأما وقت الطهر ، فالكل مجتمع في البدن لم ينفصل منه شيء ، وكان معنى الاجتماع وقت الطهر أتم ؛ لأن الدم من أول الطهر يأخذ في الاجتماع والازدياد إلى آخره ، فكان آخر الطهر هو القرء في الحقيقة.

١١٥

." (١)

"لأجل الرجل وعلى فراشه ، وجب عليه رعاية مصالحه ، [فنبه على أن سبب النسب ، والالتحاق محدود بهذا القدر.

وثالثها : ذكر الوالد بلفظ " المولود [له] " تنبيها على أن نفقته عائدة إليه ، فيلزمه رعاية مصالحه] كما قيل : كله لك ، وكله عليك.

فإن قيل : فما الحكمة في قول موسى - عليه الصلاة والسلام - لأخيه : ﴿قال يبن أم﴾ [طه : ٩٤] ولم يذكر أباه.

فالجواب : أنه أراد بذكر الأم [أن] يذكر الشفقة فإن شفقة الأم أعظم من شفقة الأب.

فصل اعلم أن الله تعالى كما وصى الأم برعاية جانب الطفل ، في قوله : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ - وصى برعاية جانب الأم ، حتى تقوى على رعاية مصلحة الطفل ، فأمره برزقها ، وكسوتها بالمعروف ، وهذا المعروف قد يكون محدودا بشرط وعقد ، وقد يكون غير محدود إلا من جهة العرف لأنه إذا قام بما يكفيها من طعام وكسوتها ، فقد استغنى عن تقدير الأجرة فإنه إن لم يقم بما يكفيها من ذلكن تضررت وضررها يتعدى إلى الود ، ولما وصى الأم برعاية الطفل أولا ثم وصى الأب برعايته ثانيا ، دل على أن احتياج الطفل إلى رعاية الأم أشد من احتياجه إلى رعاية الأب ؛ لأنه ليس بين الطفل وبين رعاية الأم واسطة ألبتة ؛ ورعاية الأب إنما تصل إلى الطفل بواسطة ، فإنه يستأجر المرأة على رضاعته ، وحضانته بالنفقة ، والكسوة ، وذلك يدل على أن حق الأم أكثر من حق الأب ، والأخبار المطابقة لهذا المعنى كثيرة مشهورة.

قوله : ﴿لا تكلف نفس﴾ الجمهور على " تكلف " مبنيا للمفعول ، " نفس " قائم مقام الفاعل ، وهو

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٧٤١

الله تعالى ، ﴿وسعها﴾ مفعول ثان ، وهو استثناء مفرغ ؛ لأن " كلف " يتعدى لاثنين.

قال أبو البقاء : " ولو رفع الوسع هنا ، لم يجز ؛ لأنه ليس ببدل ".

وقرأ أبو جراء : " لا تكلف نفس " بفتح التاء ، والأصل : " تتكلف " فحذفت إحدى التاءين ؛ تخفيفا : إما الأولى ، أو الثانية على خلاف في ذلك تقدم ، فتكون " نفس " فاعلا ، و " وسعها " مفعول به ، استثناء مفرغا أيضا.

وروى أبو الأشهب عن أبي رجاء أيضا : " لا يكلف نفسا " بإسناد الفعل إلى ضمير الله تعالى ، فتكون " نفسا " و " وسعها " مفعولين.

١٧٥

والتكليف : الإلزام ، وأصله من الكلف ، وهو الأثر من السواد في الوجه ؛ قال : [البسيط] ١١٢٨ -

يهدي بها أكلف الخدين مختبر

من الجمال كثير اللحم عيثوم

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٦٨

فمعنى " تكلف الأمر " ، أي : اجتهد في إظهار أثره.

وفلان كلف بكذا : أي مغرى به.

و " الوسع " هنا ما يسع الإنسان فيطيق أخذه من سعة الملك أي الغرض ، ولو ضاق لعجز عنه ، فالسعة بمنزلة القدرة ، ولهذا قيل : الوسع فوق الطاقة ، والمراد منه : أن أبا الصبي لا يتكلف الإنفاق عليه ، وعلى أمه ، إلا ما تتسع له قدرته ، لأن الوسع ما تتسع له القدرة ، ولا يبلغ استغراق القدرة ؛ وهو نظير قوله تعالى : ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق ممآ آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا مآ آتاها﴾ [الطلاق : ٧].

فصل في احتجاج المعتزلة بالآية تمسك المعتزلة بهذه الآية في أن الله - تعالى - لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه.

وقوله : ﴿لا تضآر﴾ ابن كثير ، وأبو عمرو : " لا تضار " برفع الراء مشددة ، وتوجيهها واضح ، لأنه فعل مضارع لم يدخل عليه ناصب ولا جازم فرفع ، وهذه القراءة مناسبة لما قبلها ، من حيث إنه عطف جملة خبرية على خبرية مثلها من حيث اللفظ وإلا فالأولى خبرية لفظا ومعنى ، وهذه خبرية لفظا نهيية معنى ويدل عليه قراءة الباقين كما سيأتي.

قال الكسائي والفراء : هو نسق على قوله : " لا يكلف ".

قال عليين عيسى : هذا **غلط** ؛ لأن النسق بـ " لا " إنما هو إخراج على إخراج الثاني مما دخل فيه الأول نحو : " ضربت زيدا لا عمرا " فأما أن يقال : يقوم زيد لا يقعد عمرو ، فهو غير جائز على النسق ، بل الصواب أنه مرفوع على الاستئناف في النهي كما يقال : لا تضرب زيدا لا تقتل عمرا.

وقرأ باقي السبعة : بفتح الراء مشددة ، وتوجيهها أن " لا " ناهية ، فهي جازمة ، ١٧٦." (١)

"و ﴿من بعد موسى ﴾ متعلق بما تعلق [به] الجار الأول ، وهو الاستقرار ، ولا يضر اتحاد الحرفين لفظا لاختلافهما معنى ، فإن الأولى للتبعيض والثانية لابتداء الغاية.

وقال أبو البقاء : " من بعد " متعلق بالجار الأول ، أو بما تعلق به الأول يعني بالأول : " من بني " ، وجعله عاملا في " من بعد " لما تضمنه من الاستقرار ، فلذلك نسب العمل إليه ، وهذا على رأي بعضهم ، ينسب العمل للظرف والجار الواقعين خبرا أو صفة أو حالا أو صلة ، فتقول في نحو : " زيد في الدار أبوه " أبوه : فاعل بالجار ، والتحقيق أنه فاعل بالاستقرار الذي تعلق به الجار ، وهو الوجه الثاني.

وقدر أبو البقاء مضافا محذوفا.

تقديره : من بعد موسى ، ليصح المعنى بذلك.

قوله : ﴿إذ قالوا﴾ العامل في هذا الظرف أجازوا فيه وجهين : أحدهما : أنه العامل في " من بعد " لأنه بدل منه ، إذ هما زمانان ، قاله أبو البقاء : والثاني : أنه " ألم تر " قال شهاب الدين وكلاهما غير صحيح.

أما الأول فلوجهين : أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى.

فأما الذي من جهة اللفظ فإنه على تقدير إعادة " من " و " إذ " لا تجر بـ " من ".

الثاني : أنه ولو كانت " إذ " من الظروف التي تجر بـ " من "كوقت وحين لم يصح [ذلك أيضا لأن العامل في " من بعد " محذوف فإنه حال تقديره : كائنين من بعد ، ولو قلت : كائن من حين قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا لم يصح] هذا المعنى.

وأما الثاني فلأنه تقدم أن معنى " ألم تر " تقرير للنفي ، والمعنى : ألم ينته علمك ، أو قد نظرت إلى الملأ وليس انتهاء علمه إليهم ولا نظره إليهم كان في وقت قولهم ذلك ، وإذا لم تكن ظرفا للانتهاء ولا للنظر فكيف تكون معمولا لهما أو لأحدهما ؟ وإذ قد بطل هذان الوجهان فلا بد له من عامل يصح به المعنى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٧٧٠

وهو محذوف ، تقديره : ألم تر إلى قصة الملأ أو حديث الملأ ما في معناه ؛ وذلك لأن الذوات لا يتعجب منها ، إنما يتعجب من أحداثها ، فصار المعنى : ألم تر إلى ما جرى للملأ من بني إسرائيل إلى آخرها ، فالعامل هو ذلك المجرور ، ولا يصح المعنى إلا به لما تقدم.

٢٦٢

قوله تعالى : ﴿لنبي﴾ متعلق بـ " قالوا " واللام فيه للتبليغ ، و " لهم " متعلق بمحذوف لأنه صفة لنبي ، ومحله الجر ، و " ابعث " وما في حيزه في محل نصب بالقول.

و " لنا " الظاهر أنه متعلق بابعث ، واللام للتعليل أي : لأجلنا.

قوله : ﴿نقاتل﴾ الجمهور بالنون والجزم على جواب الأمر.

وقرئ بالياء والجزم على ما تقدم ، وابن أبي عبلة بالياء ورفع اللام على الصفة لم‍لكا ، فمحلها النصب أيضا.

[وقرئ بالنون ورفع اللام على أنها حال من " لنا " فمحلها النصب أيضا] أي : ابعثه لنا مقدرين القتال ، أو على أنها استئناف جواب لسؤال مقدر كأنه قال لهم : ما يصنعون بالملك ؟ فقالوا نقاتل.

قوله : ﴿هل عسيتم﴾ عسى واسمها ، وخبرها " أن لا تقاتلوا " والشرط معترض بينهما ، وجوابه محذوف للدلالة عليه ، وهذا كما توسط في قوله : ﴿وإنآ إن شآء الله لمهتدون﴾ [البقرة : ٧٠] ، وهذا على رأي من يجعل " عسى " داخلة على المبتدأ والخبر ، ويقول إن " أن " زائدة لئلا يخبر بالمعنى عن العين.

وأما من يرى أنها تضمن معنى فعل متعد فيقول : " عسيتم " فعل وفاعل ، و " أن " وما بعدها مفعول به تقديره : هل قاربتم عدم القتال ، فهي عنده ليست من النواسخ ، والأول هو المشهور.

وقر ا نافع " عسيتم " هنا وفي القتال : بكسر السين ، وهي لغة مع تاء الفاعل مطلقا ومع نا [ومع] نون الإناث نحو : عسينا وعسين ، وهي لغة الحجاز ، ولهذا **غلط** من قال : " عسى تكسر مع المضمر " وأطلق ، بل كان ينبغي له أن يقيد الضمير بما ذكرنا ، إذ لا يقال : الزيدان عسيا والزيدون عسيوا بالكسر البتة.

وقال الفارسي : " ووجه الكسر قول العرب : " هو عس بكذا " مثل : حر وشج ، وقد جاء فعل وفعل في نحو : نقم ونقم ، فكذلك عسيت وعسيت ، فإن أسند الفعل إلى ظاهر فقياس عسيتم - أي بالكسر - أن يقال : " عسي زيد " مثل : " رضي زيد ".

فإن قيل : فهو القياس ، وإن لم يقل فسائغ أن يؤخذ باللغتين ، فتستعمل إحداهما موضع الأخرى كما

فعل ذلك في غيره " فظاهر هذه العبارة أنه يجوز كسر سينها مع الظاهر بطريق القياس على المضمر ، وغيره من النحويين يمنع ذلك حتى مع المضمر مطلقا ، ولكن لا يلتفت إليه لوروده متواترا ، وظاهر قوله " قول العرب : عس " أنه مسموع منهم

٢٦٣

". (١)

"والثاني : أن يكون معمولا لآتاه ، ذكره أبو البقاء.

وفيه نظر من حيث إن وقت إيتاء الملك ليس وقت قول إبراهيم ، ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ ، إلا أن يتجوز في الظرف كما تقدم.

والثالث : أن يكون بدلا من ﴿أن آتاه الله الملك﴾ إذا جعل بمعنى الوقت ، أجازه الزمخشري بناء منه على أن " أن " واقعة موقع الظرف ، وقد تقدم ضعفه ، وأيضا فإن الظرفين مختلفان ، كما تقدم إلا بالتجوز المذكور.

وقال أبو البقاء رحمه الله " وذكر بعضهم أنه بدل من " أن آتاه الملك " وليس بشيء ؛ لأن الظرف غير المصدر ، فلو كان بدلا لكان غلطا إلا أن تجعل " إذ " بمعنى " أن " المصدرية ، وقد جاء ذلك " انتهى. وهذا بناء منه على أن " أن " مفعول من أجله ، وليست واقعة موقع الظرف ، أما إذا كانت " أن " واقعة موقع الظرف فلا تكون بدل غلط ، بل بدل كل من كل ، كما هو قول الزمخشري وفيه ما تقدم بجوابه ، مع أنه يجوز أن تكون بدلا من " أن آتاه " ، و " أن آتاه " مصدر مفعول من أجله بدل اشتمال ؛ لأن وقت القول لاتساعه مشتمل عليه وعلى غيره.

الرابع : أن العامل فيه " تر " منق وله : " ألم تر " ذكره مكي رحمه الله تعالى ، وهذا ليس بشيء ؛ لأن الرؤية على كلا المذكورين في نظيرها لم تكن في وقت قوله : ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾.

قوله : ﴿الذي يحيي﴾ مبتدأ في محل نصب بالقول.

فصل الظاهر أن هذا جواب سؤال سابق غير مذكور ؛ لأن الأنبياء بعثوا للدعوة ومتى ادعى الرسالة والدعوة ، فلا بد وأن يطالبه المنكر بإثبات أن للعالم إلها ؛ ألا ترى لما قال موسى - عليه الصلاة والسلام - ﴿إِنا رسول رب العالمين﴾ [الشعراء : ١٦] ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ [الشعراء : ٢٣] فاحتج موسى على إثبات الإله بقوله ﴿رب السماوات والأرض﴾ [الشعراء : ٢٤] فكذا ها هنا لما ادعى إبراهيم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٨١٥

– عليه الصلاة والسلام – الرسالة قال النمروذ من ربك ؟ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت.
وقرأ حمزة : ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ بإسكان الياء ، وكذلك ﴿حرم ربي الفواحش﴾ [الأعراف : ٣٣] ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض﴾ [الأعراف : ١٤٦] ، و ﴿قل لعبادي الذين﴾ [إبراهيم : ٣١] ، و ﴿آتاني الكتاب﴾ [مريم : ٣٠] و ﴿مسني الضر﴾ [الأنبياء : ٨٣] و ﴿مسني الشيطان﴾ [ص : ٤١] و ﴿عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ، و ﴿عبادي الشكور﴾ [سبأ : ١٣] و ﴿إن أرادني الله﴾ [الزمر : ٣٨] ، و ﴿إن أهلكني الله﴾
٣٣٩
". (١)

"أي : " مخافة أن تشتمونا " وهذا صحيح لو اقتصر عليه من غير أن يعطف عليه قوله " فتذكر " ؛ لأنه كان التقدير : فاستشهدوا رجلا وامرأتين ، مخافة أن تضل إحداهما ، ولكن عطف قوله : " فتذكر " يفسده ، إذا يصير التقدير : مخافة أن تذكر إحداهما الأخرى ، [وإذكار إحداهما الأخرى] ليس مخوفا منه ، بل هو المقصود ، وقال أبو جعفر : " سمعت علي بن سليمان يحكي عن أبي العباس أن التقدير كراهة أن تضل " قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " وهو **غلط** إذ يصير المعنى : كراهة أن تذكر إحداهما الأخرى ".

وذهب الفراء إلى أن تقدير الآية الكريمة : "كي تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت " ، فلما قدم الجزاء اتصل بما قبله ففتحت " أن " ، قال : ومثله من الكلام : " إنه ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى " معناه : إنه ليعجبني أن يعطى السائل إن سأل ؛ لأنه إنما يعجب الإعطاء لا السؤال ، فلما قدموا السؤال على العطية أصحبوه أن المفتوحة لينكشف المعنى ، فعنده " أن " في " أن تضل " للجزاء ، إلا أنه قدم وفتح ، وأصله التأخير.

ورد البصريون هذا القول أبلغ رد.

قال الزجاج : " لست أدري لم صار الجزاء [إذا تقدم] وهو في مكانه وغير مكانه يوجب فتح أن ".

وقال الفارسي : ما ذكره الفراء دعوى لا دلالة عليها ، والقياس يفسدها ، ألا ترى أنا نجد الحرف العامل ، إذا تغيرت حركته ؛ لم يوجب ذلك تغيرا في عمله ولا معناه ، كما روى أبو الحسن من فتح اللام الجارة مع المظهر عن يونس ، وأبي عبيدة ، وخلف الأحمر ، فكما أن هذه اللام لما فتحت لم يتغير من عملها

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٨٥٩

ومعناها شيء ، كذلك " إن " الجزائية ينبغي ، إذا فتحت ألا يتغير عملها ولا معناها ، ومما يبعده أيضا أنا نجد الحرف العامل لا يتغير عمله بالتقديم و [لا] بالتأخير ، تقول " مررت بزيد " وتقول : " بزيد مررت " فلم يتغير عمل الباء بتقديمها

٤٩١

من تأخير.

وأجاب ابن الخطيب فقال هاهنا غرضان : أحدهما : حصول الإشهاد وهذا لا يتأتى إلا بتذكير إحدى المرأتين.

والثاني : بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين أن إقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية ، وذلك لا يتأتى إلا بضلال إحدى المرأتين ، وإذا كان كل واحد من هذين أعني الإشهاد ، وبيان فضل الرجل على المرأة مقصود ، فلا سبيل إلى ذلك إلا بإضلال أحدهما وتذكر الأخرى ، لا جرم صار هذان الأمران مطلوبين.

فصل لما كان النسيان غالبا على طباع النساء لكثرة البرد والرطوبة في أمزجتهن ؛ أقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد ؛ لأن اجتماع المرأتين على النسيان أبعد في العقل من صدور النسيان عن المرأة الواحدة ؛ لأن إحداهما إذا نسيت ؛ ذكرتها الأخرى ، والمراد بالضلال هنا النسيان قال أبو عبيدة : الضلال عن الشهادة إنما هو نسيانها.

قوله : " فتذكر " وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : " فتذكر " بتخفيف الكاف ، ونصب الراء من أذكرته أي : جعله ذاكرا للشيء بعد نسيانه ، فإن المراد بالضلال هنا النسيان كقوله تعالى : ﴿قال فعلتهآ إذا وأنا من الضالين﴾ [الشعراء : ٢٠] وقال في ذلك الفرزدق : [الكامل] ١٢٨٤ - ولقد ضللت أباك يدعو دارما كضلال ملتمس طريق وبار

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٧٥

فالهمزة في " أذكرته " للنقل والتعدية ، والفعل قبلها متعد لواحد ؛ فلا بد من آخر ، وليس في الآية مفعول واحد ، فلا بد من اعتقاد حذف الثاني ، والتقدير فتذكر إحداهما الأخرى الشهادة بعد نسيانها إن نسيتها هذا مشهور قول المفسرين.

وقد شذ بعضهم قال : معنى فتذكر إحداهما الأخرى أي : فتجعلها ذكرا ، أي : تصير حكمها حكم الذكر في قبول الشهادة وروى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : " فتذكر إحداهما الأخرى بالتشديد

فهو من طريق التذكير بعد النسيان ، تقول لها : هل تذكرين إذ شهدنا كذا يوم كذا في مكان كذا على فلان ، أو فلانة ، ومن قرأ " فتذكر " بالتخفيف فقال : إذا شهدت المرأة ، ثم جاءت الأخرى ؛ فشهدت معها ، فقد أذكرتها لقيامها مقام ذكر " ولم يرتض المفسرون وأهل اللسان هذا من أبي عمرو ، بل لم يصححوا رواية ذلك عنه لمعرفتهم بمكانته في العلم ، وردوه على قائله من وجوه :

٤٩٢

." (١)

"هو تأنيث " أحد " يقابلونها به في : أحد عشر وإحدى عشرة وأحد وعشرين وإحدى وعشرين ، وتجمع " إحدى " على " إحد " نحو : كسرة وكسر.

قال أبو العباس : " جعلوا الألف في الإحدى بمنزلة التاء في " الكسرة " ، فقالوا في جمعها : " إحد " ؛ كما قالوا : كسرة وكسر ؛ كما جعلوا مثلها في الكبرى والكبر ، والعليا والعلى ، فكما جعلوا هذه كظلمة ، وظلم جعلوا الأول كسدرة وسدر " قال : " وكما جعلوا الألف المقصورة بمنزلة التاء فيما ذكر ؛ وجعلوا الممدودة أيضا بمنزلتها في قولهم " قاصعاء وقواصع " و " داماء ودوام " ، يعني : أن فاعلة نحو : ضاربة تجمع على ضوارب ، كذا فاعلاء ؛ نحو : قاصعاء ، وراهطاء تجمع على فواعل ؛ وأنشد ابن الأعرابي على إحدى وإحد قول الشاعر : [الرجز] ١٢٨٦ - حتى استثاروا بي إحدى الإحد

ليثا هزبرا ذا سلاح معتدي

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٧٥

قال : يقال : هو إحدى الإحد ، وأحد الأحدين ، وواحد الآحاد ، كما يقال : واحد لا مثل له ، وأنشد البيت.

واعلم أن " إحدى " لا تستعمل إلا مضافة إلى غيرها ؛ فيقال : إحدى الإحد وإحداهما ، ولا يقال : جاءتني إحدى ، ولا رأيت إحدى ، وهذا بخلاف مذكرها.

و " الأخرى " تأنيث " آخر " الذي هو : أفعل التفضيل ، وتكون بمعنى آخرة ؛ كقوله تعالى : ﴿قالت أخراهم لأولاهم﴾ [الأعراف : ٣٨] ، ويجمع كل منهما على " أخر " ، ولكن جمع الأولى ممتنع من الصرف ، وفي علته خلاف ، وجمع الثانية منصرف ، وبينهما فرق يأتي إيضاحه إن شاء الله تعالى في الأعراف.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٩٣٦

فصل أجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال ، حتى يثبت برجل وامرأتين ، واختلفوا في غير الأموال ، فقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي : تجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات.

وذهب جماعة إلى أن غير المال ، لا يثبت إلا برجلين عدلين وذهب الشافعي ، وأحمد إلى : أن ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع ، والثيوبة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين ، وبشهادة أربع نسوة.

وعن أحمد : يثبت بشهادة امرأة عدل ، واتفقوا على أن شهادة النساء لا تجوز في العقوبات.

٤٩٥

فصل قال القرطبي : لما جعل الله تعالى شهادة امرأتين بدل شهادة رجل ؛ وجب أن يكون حكمهما حكمه ، فكما له أن يخلف مع الشاهد عندنا ، وعند الشافعي ، كذلك يجب أن يحلف مع شهادة امرأتين بمطلق هذه العوضية ، وخالف في هذا أبو حنيفة ، وأصحابه ، فلم يروا اليمين مع الشاهد.

قالوا : لأن الله تعالى قسم الشهادة ، وعددها ، ولم يذكر الشاهد مع اليمين ، فلا يجوز القضاء به ؛ لأنه يكون قسما ثالثا على ما قسمه الله ، وهذه زيادة على النص ، فيكون نسخا ، وهذا قول الثوري ، والأوزاعي والحكم بن عتيبة وطائفة.

قال بعضهم : الحكم باليمين مع الشاهد منسوخ بالقرآن ، وزعم عطاء أن أول من قضى به عبد الملك بن مروان.

وقال الحكم : القضاء باليمين والشاهد بدعة ، وهو كله **غلط** ، وليس في قوله تعالى : ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ الآية ما يرد به قضاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باليمين ، والشاهد ؛ ولا أنه لا يتوصل إلى الحقوق إلا بما ذكر فيها لا غير ، فإن ذلك يبطل بنكول المطلوب ويمين الطالب ، فإن ذلك يستحق به المال إجماعا ، وليس هو في الآية ، مع أن الخلفاء الأربعة : قضوا بالشاهد واليمين ، وقضى به أبي بن كعب ، ومعاوية وشريح وعمر بن عبد العزيز ، وكتب به إلى عماله ، وإياس بن معاوية ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو الزناد وربيعة.

قال مالك : أترى هؤلاء تنقض أحكامهم ، ويحكم ببدعتهم مع ما روى ابن عباس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – : قضى بالشاهد مع اليمين.

قوله : ﴿ولا يأب الشهدآء﴾ مفعوله محذوف لفهم المعنى ، أي : لا يأبون إقامة الشهادة ، وقيل :

المحذوف مجرور لأن " أبى " بمعنى امتنع ، فيتعدى تعديته أي من إقامة الشهادة.
قوله : ﴿إذا ما دعوا﴾ ظرف لـ " يأب " أي : لا يمتنعون في وقت [دعوتهم] لأدائها ، أو لإقامتها ، ويجوز أن تكون [متمحضة للظرف ، ويجوز أن تكون] شرطية والجواب محذوف أي : إذا دعوا فلا يأبوا.
٤٩٦
." (١)

"ويقال : رهنت لساني بكذا ، ولا يقال فيه " أرهنت " ثم أطلق الرهن على المرهون من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول كقوله تعالى : ﴿هذا خلق الله﴾ [لقمان : ١١] ، و " درهم ضرب الأمير " ، فإذا قلت : " رهنت زيدا ثوبا رهنا " فرهنا هنا مصدر فقط ، وإذا قلت " رهنت زيدا رهنا " فهو هنا مفعول به ؛ لأن المراد به المرهون ، ويحتمل أن يكون هنا " رهنا " مصدرا مؤكدا أيضا ، ولم يذكر المفعول الثاني اقتصارا كقوله : ﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ [الضحى : ٤].
و " رهن " مما استغني فيه بجمع كثرته عن جمع قلته ، وذلك أن قياسه في القلة أفعل كفلس ، وأفلس ، فاستغني برهن ورهان عن أرهن.
وأصل الرهن : الثبوت والاستقرار يقال : رهن الشيء ، فهو راهن إذا دام واستقر ، ونعمة راهنة ، أي : دائمة ثابتة ، وأنشد ابن السكيت : [البسيط] ١٢٩٨ - لا يسفيقون منها وهي راهنة
إلا بهات وإن نهلوا
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٠٦
ويقال : " طعام راهن " أي : مقيم دائم ؛ قال : [البسيط] ١٢٩٩ - الخبز واللحم لهم راهن
....
أي : دائم مستقر ، ومنه سمي المرهون " رهنا " لدوامه واستقراره عند المرتهن.
فصل في إثبات الرهن في الحضر والسفر جمهور الفقهاء على أن الرهن في الحضر ، والسفر سواء ، وفي حال وجود الكاتب ، وعدمه ، وذهب مجاهد : إلى أن الرهن لا يجوز إلا في السقر ؛ لظاهر الآية ، ولا عمل عليه ، وإنما قيدت الآية بالسفر ؛ لأن الغالب في السفر عدم الكاتب ؛ فهو
٥٠٩
كقوله : ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم﴾ [النساء : ١٠١] وليس الخوف من شرط

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٩٣٨

جواز القصر ؛ ويدل عليه ما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي ولم يكن ذلك في سفر.

قوله : ﴿فإن أمن﴾ قرأ أبي فيما نقله عنه الزمخشري " أومنط مبنيا للمفعول ، قال الزمخشري : أي : " أمنه الناس ووصفوا المديون بالأمانة والوفاء " قلت : وعلام تنتصب بعضا ؟ والظاهر نصبه بإسقاط الخافض على حذف مضاف ، أي : فإن أومن بعضكم على متاع بعض ، أو على دين بعض.

وفي حرف أبي : " فإن اؤتمن " يعني : وإن كان الذي عليه الحق أمينا عند صاحب الحق ؛ فلم يرتهن منه شيئا ؛ لحسن ظنه به.

قوله : ﴿فليؤد الذي اؤتمن أمانته﴾ إذا وقف على الذي ، وابتدىء بما بعدها قيل : " اوتمن " بهمزة مضمومة ، بعدها واو ساكنة ، وذلك لأن أصله اؤتمن ؛ مثل اقتدر بهمزتين : الأو‍ى للوصل ، والثانية فاء الكلمة ، ووقعت الثانية ساكنة بعد أخرى مثلها مضمومة ؛ فوجب قلب الثانية لمجانس حركة الأولى ، فقلت : اوتمن ؛ فأما في الدرج ، فتذهب همزة الوصل ؛ فتعود الهمزة إلى حالها ؛ لزوال موجب قلبها واوا ، بل تقلب ياء صريحة في الوصل ؛ في رواية ورش.

وروي عن عاصم : " الذي اؤتمن " برفع الألف ويشير بالضمة إلى الهمزة ، قال ابن مجاهد : " وهذه الترجمة **غلط** " وروى سليم عن حمزة إشمام الهمزة الضم ، وفي الإشارة ، والإشمام المذكورين نظر.

وقرأ عاصم أيضا في شاذه : " الذي اتمن " بإدغام الياء المبدلة من الهمزة في تاء الافتعال ، قال الزمخشري : قياسا على : " اتسر " في الافتعال من اليسر ، وليس بصحيح ؛ لأن الياء منقلبة عن الهمزة ، فهي في حكم الهمزة ، واتزر عامي ، وكذلك " رِيا " في " رؤيا ".

قال أبو حيان : وما ذكره الزمخشري فيه : أنه ليس بصحيح ، وأن " اتزر " عامي – يعني أنه من إحداث العامة لا أصل له في اللغة – قد ذكره غيره أن بعضهم أبدل ، وأدغم : " اتمن واتزر " وأن لغة رديئة ، وكذلك " ريا " في رؤيا ، فهذا التشبيه إما أن يعود على قوله : " واتزر عامي " ، فيكون إدغام " ريا " عاميا ، وإما أن يعود إلى قوله " فليس بصحيح "

٥١٠." [1]

"والنوع بعض ، وأما قياسه على الباري تعالى ، فلا أدري ما الجامع بينهما ؟ وكان في كلام الزمخشري ما هو أولى بالاعتراض عليه.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٩٤٥

فإنه قال : وقرأ الأعمش : " يغفر " بغير فاء مجزوما على البدل من " يحاسبكم " ؛ كقوله : [الطويل]
١٣٠٣ - متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥١٤
وهذا فيه نظر ؛ لأنه لا يطابق ما ذكره بعد ذلك ؛ كما تقدم حكايته عنه ؛ لأن البيت قد أبدل فيه من فعل الشرط ، لا من جوابه ، والآية الكريمة قد أبدل فيها من نفس الجواب ، ولكن الجامع بينهما كون الثاني بدلا مما قبله وبيانا له.
وقرأ أبو عمرو بإدغام الراء في اللام ، والباقون بإظهارها ، وأظهر الباء قبل الميم هنا ابن كثير بخلاف [عنه] ، وورش عن نافع ، والباقون بالإدغام ، وقد طعن قوم على قراء ة أبي عمرو ؛ لأن إدغام الراء في اللام عندهم ضعيف.
قال الزمخشري : " فإن قلت : "كيف يقرأ الجازم " ؟ قلت : يظهر الراء ، ويدغم الباء ، ومدغم الراء في اللام لاحن مخطىء خطأ فاحشا ، وراويه عن أبي عمرو مخطىء مرتين ؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم ، والسبب في هذه الروايات قلة ضبط الرواة ، وسبب قلة الضبط قلة الدراية ، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو " قال شهاب الدين.
وهذا من أبي القاسم غير مرضي ؛ إذ القراء معتنون بهذا الشأن ؛ لأنهم تلقوا عن شيوخهم الحرف [بعد الحرف] ، فكيف يقل ضبطهم ؟ وهو أمر يدرك بالحس السمعي ، والمانع من إدغام الراء في اللام والنون هو تكرير الراء وقوتها ، والأقوى لا يدغم في الأضعف ، وهذا مذهب البصريين : الخليل وسيبويه ومن تبعهما ، وأجاز ذلك الفراء والكسائي والرؤاسي ويعقوب الحضرمي ورأس البصريين أبو عمرو ، وليس قوله : " إن هذه الرواية غلط عليه " بمسلم ، ثم ذكر أبو حيان نقولا عن القراء كثيرة ، وهي منصوصة في كتبهم ، فلم أر لذكرها هنا فائدة ؛ فإن مجموعها ملخص فيما ذكرته ، [وكيف] يقال : إن الراوي ذلك عن أبي عمرو مخطىء مرتين ، ومن جملة رواته اليزيدي إمام النحو واللغة ، وكان ينازع الكسائي رئاسته ، ومحله مشهور بين أهل هذا الشأن.
٥٢١
روى طاوس عن ابن عباس : " فيغفر لمن يشاء " الذنب العظيم " ويعذب من يشاء على الذنب الصغير ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، والله على كل شيء قدير ".

قوله : ﴿والله على كل شيء قدير﴾ قد بين بقوله تعالى : ﴿لله ما في السماوات۝ وما في الأرض﴾ أنه كامل الملك والملكوت ، وبين بقوله : ﴿إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ أنه كامل العلم والإحاطة ، ثم بين بقوله : ﴿والله على كل شيء قدير﴾ أنه كامل القدرة ، مستول على كل الممكنات بالقهر والقدرة والتكوين والإعدام ، ومن كان موصوفا بهذه الصفات ، يجب على كل عاقل أن يكون عبدا له منقادا خاضعا لأوامره ونواهيه.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥١٤

." (١)

"السادس : قال ابن كيسان : " ألف " اله " وكل ألف مع لام التعريف [ألف] قطع بمنزلة " قد " وحكمها حكم ألف القطع ؛ [لأنهما حرفان جاء لمعنى] ، وإنما وصلت لكثرة الاستعمال ، فمن حرك الميم ألقى عليها حركة الهمزة التي بمنزلة القاف من " قد " ففتحها بفتح الهمزة " ، نقله عنه مكي.

فعلى هذا هذه حركة نقل من همزة قطع ، وهذا المذهب مشهور عن الخليل بن أحمد ، حيث يعتقد أن التعريف حصل بمجموع " أل " ، كالاستفهام يحصل بمجموع " هل " ، وأن الهمزة ليست مزيدة ، لكنه مع اعتقاده ذلك يوافق على سقوطها في الدرج ؛ إجراء لها مجرى همزة الوصل ، لكثرة الاستعمال ، لذلك قد تثبت ضرورة ؛ لأن الضرورة ترد الأشياء إلى أصولها.

ولما نقل أبو البقاء هذا القول ولم يعزه ، قال : " وهذا يصح على قول من جعل أداة التعريف " أل " - يعني الخليل ؛ لأنه المشهور بهذه المقالة ".

وقد تقدم ا‌لنقل عن عاصم أنه يقرأ بالوقف على " ميم " ويبتدئ بـ ﴿الله لا اا إلاه إلا هو﴾ كما هو ظاهر عبارة الزمخشري عنه ، وغيره يحكي عنه أنه يسكن الميم ويقطع الهمزة - من غير وقف منه على الميم - كأنه يجري الوصل مجرى الوقف ، وهذا هو الموافق لغالب نقل القراء عنه.

وقرأ عمرو بن عبيد - فيما نقل الزمخشري - وأبو حيوة والرواسي فيما نقل ابن عطية " الم الله " - بكسر الميم - .

قال الزمخشري : " وما هي بمقبولة عنه " ، والعجب منه كيف تجرأ على عمرو بن عبيد وهو عنده معروف المنزلة ، وكأنه يريد : وما هي بمقبولة عنه ، أي : لم تصح عنه.

وكأن الأخفش لم يطلع على أنها قراءة فقال : " لو كسرت الميم ؛ لالتقاء الساكنين - فقيل : " الم الله "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٩٥١

- لجاز ".

قال الزجاج : وهذا **غلط** من أبي الحسن ، لأن قبل الميم ياء مكسورا ما قبلها فحقها الفتح ، لالتقاء الساكنين ، وذلك لثقل الكسر مع الياء.

وهذا - وإن كان كما قال -

٩

إلا أن الفارسي انتصر لأبي الحسن ، ورد على أبي إسحاق ردة فقال : "كسر الميم لو ورد بذلك سماع لم يدفعه قياس ، بل كان يثبته ويقويه - ؛ لأن الأصل في التحريك - لالتقاء الساكنين - الكسر ، وإنما يبدل إلى غير ذلك لما يعرض من علة وكراهة ، فإذا جاء الشيء على بابه فلا وجه لرده ، ولا مساغ لدفعه ، وقول أبي إسحاق ؛ إن ما قبل الميم ياء مكسورا ما قبلها ، فحقها الفتح منقوض بقولهم : جير ، حيث حرك الساكن - بعد الياء - بالكسر ، كما حرك بعدها بالفتح في أين ، ويدل على جواز التحريك لالتقاء الساكنين بالكسر - فيما كان قبله ياء ، - جواز تحريكه بالضم نحو قولهم : حيث ، وإذا جاز الضم كان الكسر أجوز وأسهل ".

فصل في بيان سبب النزول في سبب نزول هذه الآية قولان : الأول : أنها نزلت في اليهود ، وقد ذكرناه في تفسير قوله تعالى : ﴿الاما ذلك الكتاب﴾ [البقرة : ١ ، ٢].

الثاني : أنها من أولها إلى آية المباهلة في نصارى نجران.

قال الكلبي ، والربيع بن أنس - وهو قول محمد بن إسحاق - : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران - ستون راكبا - فيهم أربة عشر رجلا من أشرافهم ، وثلاثة منهم كانوا

١٠

أكابر القوم ، أحدهم أميرهم ، وصاحب مشورتهم ، يقال له : العاقب ، واسمه عبد المسيح ، والثاني مشيرهم ووزيرهم ، وكانوا يقولون له : السيد ، واسمه الأيهم ، والثالث حبرهم وأسقفهم ، وصاحب مدراسهم ، يقال له : أبو حارثة بن علقمة - أحد بني بكر بن وائل - وكان ملوك الروم قد أكرموه وشرفوه ، ومولوه ؛ لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم ، فلما قدموا من " نجران " ركب أبو حارثة بغلته ، وكان إلى جنبه أخوه كرز بن علقمة ، فبينما بغلة ابي حارثة تسير إذ عثرت ، فقال كرز : تعسا للأبعد - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال أبو حارثة : بل تعست أمك ، فقال : ولم يا أخي ؟ فقال : إنه - والله - النبي الذي كنا ننتظره ، فقال له أخوه كرز : فما يمنعك عنه وأنت تعلم هذا ؟ قال : لأن هؤلاء الملوك

أعطونا أموالا كثيرة ، وأكرمونا ، فلو آمنا بمحمد لأخذوا من كل هذه الأشياء ، فوقع ذلك في قلب أخيه كرز ، وكان يضمره إلى أن أسلم ؛ فكان يحدث بذلك ، ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر – عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية – ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا للصلاة [العاقب والسيد والحبر] في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : دعوهم ، فصلوا إلى المشرق ، ثم

١١

". (١)

"ونقل الزمخشري : قراءة يحبكم – بفتح الياء والإدغام – وهو ظاهر ، لأنه متى سكن المثلين جزما ، أو وقفا جاز فيه لغتان : الفك والإدغام.

وسيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله في المائدة.

والحب : الخابية – فارسي معرب – والجمع : حباب وحببة ، حكاه الجوهري.

وقرأ الجمهور " فاتبعوني " بتخفيف النون ، وهي للوقاية.

وقرأ الزهري بتشديدها ، وخرجت على أنه ألحق الفعل نون التأكيد ، وأدغمها في نون الوقاية وكان ينبغي له أن يحذف واو الضمير ؛ لالتقاء الساكنين ، إلا أنه شبه ذلك بقوله : ﴿أتحاجواني﴾ وهو توجيه ضعيف ولكن هو يصلح لتخريج هذا الشذوذ.

وطعن الزجاج على من روى عن أبي عمرو إدغام الراء من " يغفر " في لام " لكم ".

وقال : هو خطأ وغلط على أبي عمرو.

وقد تقدم تحقيقه ، وأنه لا خطأ ولا غلط ، بل هو لغة للعرب ، نقلها الناس ، وإن كان البصريون لا يجيزون ذلك كما يقول الزجاج.

فصل اعلم أنه – تعالى – لما دعاهم إلى الإيمان به وبرسوله على سبيل التهديد والوعيد دعاهم إلى ذلك بطريق آخر ، وهو أن اليهود كانوا يقولون : ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ [المائدة : ١٨] فنزلت هذه الآية.

وروي الضحاك – عن ابن عباس – أن النبي وقف على قريش – وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها السيوف.

– فقال : يا معشر قريش ، والله لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم ، فقالت قريش : إنما نعبدها حبا لله :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٩٦١

﴿ليقربونآ إلى الله زلفى ﴾ [الزمر : ٣] ، فقال الله – تعالى – : " قل " يا محمد ﴿إن كنتم تحبون الله﴾ فتعبدون الأصنام لتقربكم إليه ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ فأنا رسوله إليكم ، وحجته عليكم أي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله.

وقال القرطبي : " نزلت في وفد نجران ؛ إذ زعموا أن ما ادعوه في عيسى حب لله عز وجل ".

وروي أن المسلمين قالوا : يا رسول الله ، والله إنا لنحب ربنا ، فأنزل الله – عز وجل – ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ [آل عمران : ٣١].

١٥٧

قال ابن عرفة : المحبة – عند العرب – إرادة الشيء على قصد له.

وقال الأزهري : محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما ، واتباعه أمرهما ، قال تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ [آل عمران : ٣١] [ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران ، قال الله تعالى : ﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾ [آل عمران : ٣٢] ، أي : لا يغفر لهم].

قال سهل بن عبد الله : علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب القرآن حب النبي ، وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ، وعلامة حب السنة ، حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة ، أن لا يحب نفسه ، وعلامة أن لا يحب نفسه أن يبغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا الزاد والبلغة.

قوله : ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ الآية قيل : إنه لما نزلت هذه الآية ، قال عبد الله بن أبي لأصحابه : إن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ، ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى – عليه السلام – فنزل قوله : ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا﴾ أعرضوا عنها ﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾ لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم.

والمعنى : إنما أوجب الله عليكم طاعتي ، ومتابعتي – لا كما تقول النصارى في عيسى ، [بل لكوني رسولا من عند الله].

قوله : ﴿فإن تولوا﴾ يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون مضارعا ، والأصل " تتولوا " فحذف إحدى التاءين كما تقدم ، وعلى هذا ، فالكلام جار على نسق واحد ، وهو الخطاب.

والثاني : أن يكون فعلا ماضياص مسندا لضمير غيب ، فيجوز أن يكون من باب الالتفات ، ويكون المراد بالغيب المخاطبين في المعنى ، ونظيره قوله تعالى : ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ [يونس :

.[٢٢

فصل روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى
"

١٥٨

." (١)

"﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ [التوبة : ٦٧] ، أي : بسبب اشتراكهم في النفاق.

قوله : ﴿والله سميع عليم﴾ قال القفال : والله سميع لأقوال العباد ، عليم بضمائرهم ، وأفعالهم ، يصطفي من يعلم استقامته قولا وفعلا ، ونظيره قوله : ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [الأنعام : ١٢٤].

وقيل : إن اليهود كانوا يقولون : نحن من ولد إبراهيم ، وآل عمران ، فنحن أبناء الله ، والنصارى كانوا يقولون المسيح ابن الله ، وكان بعضهم عالما بأن هذا الكلام باطل ، إلا أنه بقي مصرا عليه ، ليطيب قلوب العوام ، فكأنه - تعالى - يقول : والله ﴿سميع﴾ لهذه الأقوال الباطلة منكم ، " عليم " بأغراضكم الفاسدة من هذه الأقولال ، فيجازيكم عليها ، فكان أول الآية بيانا لشرف الأنبياء والرسل وتهديدا لهؤلاء الكاذبين الذين يزعمون أنهم مستقرون على أديانهم.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٥٩

في الناصب لـ " إذ " أوجه : أحدها : أنه " اذكر " مقدرا ، فيكون مفعولا به لا ظرفا ، أي : اذكر لهم وقت قول امرأة عمران كيت وكيت وإليه ذهب ابو الحسن وأبو العباس.

الثاني : أن الناصب له معنى الاصطفاء ، أي : " اصطفى " مقدرا مدلولا عليه بـ " اصطفى " الأول والتقدير : واصطفى آل عمران - إذ قالت امرأة عمران.

وعلى هذا يكون قوله : ﴿وآل عمران﴾ [آل عمران : ٣٣] من باب عطف الجمل لا من باب عطف المفردات ؛ إذ لو جعل من عطف المفردات لزم أن يكون وقت اصطفاء آدم وقول امرأة عمران كيت وكيت ، وليس كذلك ؛ لتغاير الزمانين ، فلذلك اضطررنا إلى تقدير عامل غير هذا الملفوظ به ، وإلى هذا ذهب الزجاج وغيره.

الثالث : أنه منصوب بـ " سميع " وبه صرح ابن جرير الطبري ، وإليه نحا الزمخشري ؛ فإنه قال : سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها ، و " إذ " منصوب به.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٣٧

قال أبو حيان : ولا يصح ذلك ؛ لأن قوله : ﴿عليم﴾ إما أن يكون خبرا بعد خبر ، أو وصفا لقوله : " سميع " فإن كان خبرا فلا يجوز الفصل به بين العامل والمعمول ؛ لأنه أجنبي عنهما ، وإن كان وصفا فلا يجوز أن يعمل ﴿سميع﴾ في الظرف ؛ لأنه قد وصف ،
١٦٧
واسم الفاعل وما جرى مجراه إذا وصف قبل معموله لا يجوز له - إذ ذاك - أن يعمل ، على خلاف لبعض الكوفيين في ذلك ؛ لأن اتصافه تعالى بـ ﴿سميع عليم﴾ لا يتقيد بذلك الوقت.
قال شهاب الدين : " وهذا القدر غير مانع ؛ لأنه يتسع في الظرف وعديله ما لا يتسع في غيره ، ولذلك تقدم على ما في خبر " أل " الموصولة وما في خبر " أن " المصدرية ".
وأما كونه - تعالى - سميعا عليما لا يتقيد بذلك الوقت ، فإن سمعه لذلك الكلام مقيد بوجود ذلك الكلام ، وعلمه - تعالى - بأنها تذكر مقيد بذكرها لذلك ، والتغير في السمع والعلم ، إنما هو في النسب والتعلقات.
الرابع : أن تكون " إذ " زائدة ، وهو قول أبي عبيدة ، والتقدير : قالت امرأة عمران ، وهذا **غلط** من النحويين ، قال الزجاج لم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئا ؛ لأن إلغاء حرف من كتاب الله تعالى - من غير ضرورة لا يجوز ، وكان أبو عبيدة يضعف في النحو.
الخامس : قال الأخفش والمبرد : التقدير : " ألم تر إذ قالت امرأة عمران ، ومثله في كتاب الله كثير ".
فصل امرأة عمران هي حنة بنت فاقوذا أم مريم ، وهي حنة - بالحاء المهملة والنون - وجدة عيسى - عليه السلام - وليس باسم عربي.
قال القرطبي : " ولا يعرف في العربية " حنة " : اسم امرأة - وفي العرب أبو حنة البدري ، ويقال فيه أبو حبة - بالباء الموحدة - وهو أصح ، واسمه عامر ، ودير حنة بالشام ، ودير آخر أيضا يقال له كذلك.
قال أبو نواس : ١٤١٤ - يا دير حنة من ذات الأكيراح
من يصح عنك فإني لست بالصاحي
جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٦٧
وفي العرب كثير ، منهم أبو حبة الأنصاري وأبو السنابل بن بعكك - المذكور في حديث سبيعة الأسلمية ، ولا يعرف " خنة " - بالخاء المعجمة - إلا بنت يحيى بن أكثم ، وهي أم محمد بن نصر ، ولا يعرف " جنة " - بالجيم - إلا أبو جنة وهو خال ذي الرمة الشاعر ، نقل هذا كله ابن ماكولا ".

وعمران بن ماثان ، وليس بعمران أبي موسى ، وبينهما ألف وثمانمائة سنة ، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم.

وقيل : عمران بن أشهم ، وكان زكريا قد تزوج إيشاع بنت فاقوذ ، وهي أخت حنة

١٦٨

." (١)

"وكل نعيم - لا محالة - زائل

وهذا كما يسمون الشيء بجزئه في الأعيان ، لأنه المقصود منه ، قالوا لرئيس القوم - وهو الذي ينظر لهم ما يحتاجون إليه - : عين ، فأطلقوا عليه " عينا ".

وقال بعضهم : وضع المفرد موضع الجمع ، كما قال : [الطويل] ١٤٩٨ - بها جيف الحسرى ، فأما عظامها

فبيض ، وأما جلدها فصليب

وقيل : أطلقت الكلمة على الكلمات ؛ لارتباط بعضها ببعض ، فصارت في قوة الكلمة الواحدة - إذا اختل جزء منها اختلت الكلمة ؛ لأن كلمة التوحيد - لا إله إلا الله - هي كلمات لا تتم النسبة المقصودة فيها من حصر الإلهية في " الله " إلا بمجموعها.

وقرأ العامة " سواء " بالجر ؛ نعتا لـ " كلمة " بمعنى عدل ، ويدل عليه قراءة عبد الله : إلى كلمة عدل ، وهذا تفسير لا قراءة.

وسواء في الأصل - مصدر ، ففي الوصف التأويلات الثلاثة المعروفة ، ولذلك لم يؤنث كما لم تؤنث بـ " امرأة عدل " ؛ لأن المصادر لا تثنى ، ولا تجمع ، ولا تؤنث ، فإذا فتحت السين مددت ، وإذا كسرت أو ضممت قصرت ، كقوله : ﴿مكانا سوى﴾ [طه : ٥٨].

وقرأ الحسن " سواء " بالنصب ، وفيها وجهان : أحدهما : نصبها على المصدر.

قال الزمخشري : " بمعنى : استوت استواء " ، وكذا الحوفي.

والثاني : أنه منصوب على الحال ، وجاءت الحال من النكرة ، وقد نص عليه سيبويه.

قال أبو حيان : " ولكن المشهور غيره ، والذي حسن مجيئها من النكرة - هنا - كون الوصف بالمصدر على خلاف الأصل ، و الصفة والحال متلاقيان من حيث المعنى ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٤٢

وكأن أبا حيان غض من تخريج الزمخشري و الحوفي ، فقال : " والحال والصفة متلاقيان من حيث المعنى ، والمصدر يحتاج إلى إضمار عامل ، وإلى تأويل " سواء " بمعنى استواء ".

والأشهر استعمال " سواء " بمعنى اسم الفاعل – أي : مستو.

قال شهاب الدين : " وبذلك فسرها ابن عباس ، فقال : إلى كلمة مستوية ".

٢٩٥

قوله : ﴿ألا نعبد إلا الله﴾ فيه ستة أوجه : أحدها : أنه بدل من "كلمة " – بدل كل من كل.

الثاني : بدل من " سواء " جوزه أبو البقاء ؛ وليس بواضح ، لأن المقصود إنما هو الموصوف لا صفته فنسبة البدلية إلى الموصوف أولى ، وعلى الوجهين ف " أن " وما في حيزها في محل جر.

الثالث : أنه في محل رفع ؛ خبرا لمبتدأ مضمر ، والجملة استئناف ، جواب لسؤال مقدر ، كأنه لما قيل : ﴿تعالوا إلى كلمة﴾ قال قائل : ما هي ؟ فقيل : هي أن لا نعبد إلا الله ، وعلى هذا الأوجه الثلاثة ف " بين " منصوب بـ " سواء " ظرفا له ، أي : يقع الاستواء في هذه الجهة.

وقد صرح بذلك [الشاعر] ، حيث قال : [الوافر] ١٤٩٩ – أروني خطة لا عيب فيها

يسوي بيننا فيها السواء

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٩٤

والوقف التام – حينئذ – عند قوله : ﴿من دون الله﴾ ؛ لارتباط الكلام معنى وإعرابا.

الرابع : أن يكون " أن " وما في حيزها في محل رفع بالابتداء ، والخبر : الظرف قبله.

الخامس : جوز ابو البقاء أن يكون فاعلا بالظرف قبله ، وهذا إنما يتأتى على رأي الأخفش ؛ إذا لم يعتمد الظرف.

وحينئذ يكون الوقف على " سواء " ثم يبتدأ بقوله : ﴿بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله﴾ وهذا فيه بعد من حيث المعنى ، ثم إنهم جعلوا هذه الجملة صفة لـ "كلمة " ، وهذا **غلط** ؛ لعدم رابطة بين الصفة والموصوف ، وتقدير العائد ليس بالسهل.

وعلى هذا فقول أبي البقاء : وقيل : تم الكلام على " سواء " ، ثم استأنف ، فقال : ﴿بيننا وبينكم ألا نعبد﴾ ، أي : بيننا وبينكم التوحيد ، فعلى هذا يكون ﴿ألا نعبد﴾ مبتدأ ، والظرف خبره ، والجملة صفة لـ " الكلمة " ، غير واضح ؛ لأنه – من حيث جعلها صفة – كيف يحسن أن يقول : تم الكلام على " سواء " ثم استأنف ؟ بل كان الصواب – على هذا الإعراب – أن تكون الجملة استئنافية – كما تقدم.

السادس : أن يكون : ﴿ألا نعبد﴾ مرفوعا بالفاعلية بـ " سواء " ، وإلى هذا ذهب الرماني ؛ فإن التقدير – عنده – إلى كلمة مستو فيها بيننا وبينكم عدم عبادة غير الله تعالى : قال أبو حيان : " إلا أن فيه إضمار الرابط – وهو فيها – وهو ضعيف ".

فصل لما أورد صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران أنواع الدلائل ، دعاهم إلى المباهلة فخافوا ، وما

٢٩٦

". (١)

"إلا أن هذا يخصه بعضهم بضرورة الشعر ، وليس كما قال ، لما سيأتي.

وقد طعن بعضهم على هذه القراءة ، فقال الزجاج : هذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بين ؛ وأن الفاء لا ينبغي أن تجزم ، وإذا لم تجزم فلا تسكن في الوصل ، وأما ابو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة ، فغلط عليه كما غلط عليه في " باريكم ".

وقد حكى عنه سيبويه – وهو ضابط لمثل هذا – أنه كان يكسر كسرا خفيا ، يعني يكسر في ﴿بارئكم﴾ [البقرة : ٥٤] كسرا خفيا ، فظنه الراوي سكونا.

قال شهاب الدين : وهذا الرد من الزجاج ليس بشيء لوجوه : منها : أنه فر من السكون غلى الاختلاس ، والذي نص على أن السكون لا يجوز نص على أن الاختلاس – ايضا – لا يجوز إلا في ضرورة ، بل جعل الإسكان في الضرورة أحسن منه في الاختلاس ، قال : ليجرى الوصل مجرى الوقف إجراء كاملا ، وجعل قوله : [البسيط] ١٥١٨ – ....

إلا لأن عيونه سيل واديها

أحسن من قوله : [البسيط] ١٥١٩ – ....

ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمر

حيث سكن الأول ، واختلس الثاني.

٣٣١

ومنها أن هذه لغة ثابتة عن العرب حفظها الأئمة الأعلام كالكسائي والفراء – حكى الكسائي عن بني عقيل وبني كلاب ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ [العاديات : ٦] – بسكون الهاء وكسرها من غير إشباع – .

ويقولون : له مال ، وله مال – بالإسكان والاختلاس.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١١٠٩

قال الفراء : من العرب من يجزم الهاء - إذا تحرك ما قبلها - نحو ضربته ضربا شديدا ، فيسكنون الهاء كما يسكنون ميم " أنتم " و " قمتم " وأصلها الرفع.

وأنشد : [الرجز] ١٥٢٠ - لما رأى أن لا دعه ولا شبع

مال إلى أرطاة حقف فالطدع

قال شهاب الدين : وهذا عجي من الفراء ؛ كيف ينشد هذا البيت في هذا المعرض ؛ لأن هذه الفاء مبدلة من تاء التأنيث التي كانت ثابتة في الوصل ، فقلبها هاء ساكنة في الوصل ؛ إجراء له مجرى الوقف وكلامنا إنما هو في هاء الضمير لا في هاء التأنيث ؛ لأن هاء التانيث لا حظ لها في الحركة ألبتة ، ولذلك امتنع رومها وإشمامها في الوقف ، نصوا على ذلك ، وكان الزجاج يضعف في اللغة ، ولذلك رد على ثعلب - في فصيحه - أشياء أنكرها عن العرب ، فرد الناس عليه رده ، وقالوا : قالتها العرب ، فحفظها ثعلب ولم يحفظها الزجاج.

فليكن هذا منها.

وزعم بعضهم أن الفعل لما كان مجزوما ، وحلت الهاء محل لامه جرى عليها ما يجري على لام الفعل - من السكون للجزم - وهو غير سديد.

وأما قراءة قالون فأنشدوا عليها قول الشاعر : [الوافر] ١٥٢١ - له زجل كأنه صوت حاد

إذا طلب الوسيقة أو زمير

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٢٩

وقول الآخر : [الطويل] ١٥٢٢ - أنا ابن كلاب وابن أوس فمن يكن

قناعه مغطيا فإني لمجتلى

وقول الآخر : [البسيط] ١٥٢٣ - أو معبر الظهر ينبي عن وليته

ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمر

٣٣٢

." (١)

"قال الزمخشري : فإن قلت : كيف موقع قوله : " ولو افتدى به " ؟ قلت : هو كلام محمول على المعنى ، كأنه قيل : فلن يقبل من أحدهم فدية ، ولو افتدى بملء الأرض ذهبا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/١١٣٠

انتهى.

والذي ينبغي أن يحمل عليه : أن الله – تعالى – أخبر أن من مات كافرا لا يقبل منه ما يملأ الأرض من ذهب على كل حال يقصدها ، ولو في حال افتدائه من العذاب ، وذلك أن حالة الافتداء حالة لا يميز فيها المفتدي عن المفتدى منه ؛ إذ هي حالة قهر من المفتدى منه للمفتدي.

قال أبو حيان : وقد قررنا – في نحو هذا التركيب – أن " لو " تأتي منبهة على أن ما قبلها جاء على سبيل الاستقصاء ، وما بعدها جاء تنصيصا على الحالة التي يظن أنها لا تندرج فيما قبلها ، كقوله صلى الله عليه وسلم : " أعطوا السائل ولو جاء على فرس " وقوله : " ردوا السائل ولو بظلف محرق " كأن هذه الأشياء مما ينبغي أن يؤتى بها ؛ لأن كون السائل على فرس يشعر بغناه ، فلا يناسب أن يعطى ، وكذلك الظلف المحرق ، لا غناء فيه ، فكان يناسب أن لا يرد به السائل.

قيل : الواو – هنا – زائدة ، وقد يتأيد هذا بقراءة ابن أب يعبلة طلو افتدى به " – دون واو – معناه أنه جعل الافتداء شرطا في عدم القبول ، فلم يتعمم النفي وجود القبول.

و " لو " قيل : هي – هنا – شرطية ؛ بمعنى " إن " لا التي معناها لما كان سيقع لوقوع غيره ؛ لأنها متعلقة بمستقبل ، وهو قوله : " فلن تقبل " ، وتلك متعلقة بالماضي.

قال الزجاج : إنها للعطف ، والتقدير : لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهبا لن يقبل منه ، ولو افتدى به لم تقبل منه ، وهذا اختيار ابن الأنباري ، قال : وهذا آكد في التغليظ ؛ لأنه تصريح بنفي القبول من وجوه.

وقيل : دخلت الواو لبيان التفصيل بعد الإجمال ؛ لأن قوله : ﴿فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا﴾ يحتمل الوجوه الكثيرة ، فنص على نفي القبول بجهة الفدية.

وقال ابن الخطيب : إن من غضب على بعض عبيده ، فإذا أتحفه ذلك العبد بتحفة وهدية لم يقبلها البتة ، إلا أنه قد يقبل منه الفدية ، فأما إذا لم تقبل منه الفدية – أيضا – كان ذلك غاية الغضب ، والمبالغة إنما تحصل بذكر ما هو الغاية ، فحكمه – تعالى – بأنه لا يقبل منهم ملء الأرض ذهبا ، ولو كان واقعا على سبيل الفداء تنبيه على أنه إذا لم يكن مقبولا لا بالفدية فبأن لا يقبل منهم بسائر الطرق أولى.

وافتدى افتعل – من لفظ الفدية – وهو متعد لواحد ؛ لأنه بمعنى فدى ، فيكون افتعل فيه وفعل بمعنى ، نحو : شوى ، واشتوى ، ومفعوله محذوف ، تقديره : افتدى نفسه.

والهاء في " به " – فيها أقوال : أحدها : – وهو الأظهر – عودها على " ملء " ؛ لأنه مقدار يملأها ، أي : ولو افتدى بملء الأرض.

الثاني : أن يعود على " ذهبا " ، قاله أبو البقاء.

قال أبو حيان : ويوجد في بعض التفاسير أنها تعود على الملء ، أو على الذهب ، فقوله : " أو على الذهب " غلط.

قال شهاب الدين : "كأن وجه الغلط فيه أنه ليس محدثا عنه ، إنما جيء به بيانا وتفسيرا لغيره ، فضلة ".

الثالث : أن يعود على " مثل " محذوف.

قال الزمخشري : " ويجوز أن يراد : ولو افتدى بمثله ، كقوله : ﴿لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه﴾ [الرعد : ١٨] ، والمثل يحذف في كلامهم كثيرا ، كقولك : ضربت ضرب زيد – تريد : مثل ضربه – وقولك : أبو يوسف أبو حنيفة – أي : مثله – .

وقوله : [الرجز] ١٥٣٧ – لا هيثم الليلة للمطي

ولا فتى إلا ابن خيبري

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٨١

". (١)

"أي : صاروا.

و " إخوانا " خبرها ، وجوزوا فيها – هنا – أن تكون على بابها – من دلالتها على اتصاف الموصوف بالصفة في وقت الصباح ، وتكون بمعنى : " صار " – وأن تكون تامة ، أي : دخلتم في الصباح ، فإذا كانت ناقصة على بابها – فالأظهر أن يكون " إخنانا " خبرها ، و " بنعمته " متعلق به لما فيه من معنى الفعل ، أي : تآخيتم بنعمته ، والباء للسببية.

وجوز أبو حيان أن تتعلق بـ " أصبحتم " ، وقد عرف ما فيه من خلاف.

وجوز غيره أن تتعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل " أصبحتم " ، أي : فأصبحتم إخوانا ملتبسين بنعمته ، أو حال من " إخوانا " ؛ لأنه في الأصل – صفة له.

وجوزوا أن تكون " بنعمته " هو الخبر ، و " إخوانا " حال والباء بمعنى الظرفية ، وإذا كانت بمعنى : " صار " جرى فيها ما تقدم من جميع هذه الأوجه ، وإذا كانت تامة ، فإخوانا حال ، و " بنعمته " فيه ما

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١١٥٩

تقدم من الأوجه خلا الخبرية.

قال ابن عطية : " فأصبحتم " عبارة عن الاستمرار – وإن كانت اللفظة مخصوصة

٤٤٥

بوقت – وإنما خصت هذه اللفظة بهذا المعنى من حيث مبدأ النهار ، وفيه مبدأ الأعمال ، فالحال التي يحبها المرء من نفسه فيها هي التي يستمر عليها يومه في الأغلب.

ومنه قول الربيع بن ضبع : [المنسرح] ١٥٥٨ – أصبحت لا أحمل السلاح ولا

أملِ◌ رأس البعير إن نفرا

قال أبو حيان : وهذا الذي ذكره – من أن " أصبح " للاستمرار وعلله بما ذكره – لم أر أحدا من النحويين ذهب إليه ، إنما ذكروا أنها تستعمل بالوجهين اللذين ذكرناهما.

قال شهاب الدين : وهذا – الذي ذكره ابن عطية – معنى حسن ، وإذا لم ينص عليه النحويون لا يدفع ؛ لأن النحاة – غالبا – إنما يتحدثون بما يتعلق بالألفاظ ، وأما المعاني المفهومة من فحوى الكلام ، فلا حاجة إلى الكدام عليها غالبا.

والإخوان : جمع أخ ، وإخوة اسم جمع عند سيبويه ، وعند غيره هي جمع.

وقال بعضهم : إن الأخ في النسب – يجمع على : " إخوة " ، وفي الدين يجمع على : " إخوان " ، هذا أغلب استعمالهم ، وقال تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات : ١٠] ونفس هذه الآية ترد ما قاله ؛ لأن المراد – هنا – ليس أخوة النسب إنما المراد أخوة الدين والصداقة.

قال أبو حاتم : قال أهل البصرة : الإخوة في النسب ، والإخوان في الصداقة ، قال : وهذا **غلط** ؛ يقال للأصدقاء والأنسباء : إخوة ، وإخوان ، قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات : ١٠] ولم يعن النسب ، وقال تعالى : ﴿أو بيوت إخوانكم﴾ [النور : ٦١] وهذا في النسب.

وهذا الرد من أبي حاتم إنما يتجه على هذا النقل المطلق ، ولا يرد على النقل الأول ؛ لأنهم قيدوه بالأغلب في الاستعمال.

قال الزجاج : أصل الأخ – في اللغة – من التوخي – وهو الطلب ؛ فإن الأخ مقصده مقصد أخيه ، والصديق مأخوذ من أن يصدق كل واحد من الصديقين ما في قلبه ، ولا يخفي عنه شيئا.

قوله : ﴿وكنتم على شفا حفرة﴾ شفا الشيء : طرفه وحرفه ، وهو مقصور من ذوات الواو ، ويثنى بالواو نحو : شفوين ويكتب بالألف ، ويجمع على أشفاء ، ويستعمل مضافا

إلى أعلى الشيء وإلى أسفله ، فمن الأول : ﴿شفا جرف هار﴾ [التوبة : ١٠٩] ومن الثاني : هذه الآية.
وأشفى على كذا : قاربه ، ومنه : أشفى المريض على الموت.
قال يعقوب : يقال للرجل عند موته ، وللقمر عند محاقه ، وللشمس عند غروبها : ما بقي منه ، أو منها ، إلا شفا ، أي : إلا قليل.
وقال بعضهم : يقال لما بين الليل والنهار ، وعند غروب الشمس إذا غاب بعضها : شفا.
وأنشد : [الرجز] ١٥٥٩ - أدركته بلا شفا ، أو بشفا
والشمس قد كادت تكون دنفا
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٢٩
قوله بلا بشفا : أي : غابت الشمس ، وقوله : أو بشفا ، أي : بقيت منه بقية.
قال الراغب : والشفاء من المرض : موافاة شفا السلامة ، وصار اسما للبرء والشفاء.
قال البخاري : قال النحاس : " الأصل في شفا - شفو ، ولهذا يكتب بالألف ، ولا يمال ".
وقال الأخفش : " لما لم تجز فيه الإمالة عرف أنه من الواو " ؛ لأن الإمالة من الياء.
قال المهدوي : " وهذا تمثيل يراد به خروجهم من الكفر إلى الإيمان ".
قوله : ﴿فأنقذكم منها﴾ في عود هذا الضمير وجوه : أحدها : أنه عائد على " حفرة ".
والثاني : أنه عائد على " النار ".
قال الطبري : إن بعض الناس يعيده على الشفا ، وأنث من حيث كان الشفا مضافا إلى مؤنث ، كما قال جرير : [الوافر] ١٥٦٠ - أرى مر السنين أخذن مني
كما أخذ السرار من الهلال
." (١)

"ويجوز أن يكون " منكم " هو الخبر ، و " يدعون " صفة لـ " أمة " ، وفيه بعد.
وقرأ العامة : " ولتكن " بسكون اللام.
وقرأ الحسن والزهري والسلمي بكسرها ، وهو الأصل.
وقوله : ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ من باب ذكر الخاص بعد العام ؛ اعتناء به - كقوله :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/١١٩٣

﴿وملا ائكته ورسله وجبريل وميكال﴾ [البقرة : ٩٨] - ؛ لأن اسم " الخير " يقع عليهما ، بل هما أعظم الخيور.

فصل قال بعض العلماء : " من " - هنا - ليست للتبعيض ، لوجهين : الأول : أنه أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة.

الثاني : أنه يجب على كل مكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - إما بيده ، أو لسانه ، أو بقلبه - فيكون معنى الآية : كونوا أمة دعاة إلى الخير ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر.

وكلمة : " من " : إنما هي للتبيين ، كقوله : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ [الحج : ٣٠] ويقال : لفلان من أولاده جند ، وللأمير من غلمانه عسكر ، والمراد : جميع الأولاد والغلمان لا بعضهم - فكذا هنا.

ثم إذا قلنا بأنه يجب على الكل ، فيسقط بفعل البعض ، كقوله تعالى : ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ [التوبة : ٤١] ، وقوله : ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما﴾ [التوبة : ٣٩] فالأمر عام ، ثم إذا قام به من يكفي ، سقط التكليف عن الباقين والقائلون بالتبعيض اختلفوا على قولين : أحدهما : أن في القوم من لا يقدر على الدعوة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر - كالمرضى والعاجزين.

الثاني : أن هذا التكليف مختص بالعلماء ؛ لأن الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر مشروطة بالعلم بهم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة﴾ [الحج : ٤١] وليس كل الناس يمكنون.

وقوله : ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طآئفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اا إليهم﴾ [التوبة : ١٢٢] ، وأيضا الإجماع على أن ذلك واجب على الكفاية ، وإذا كان كذلك كان المعنى : ليقم بذلك بعضكم.

وقال الضحاك : المراد بهذه الآية : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم كاوا يتعلمون من الرسول صلى الله عليه وسلم ويعلمون الناس.

٤٥٠

قال القرطبي : " وقرأ ابن الزبير : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم ".

قال ابن الأنباري : " هذه الزيادة تفسير من ابن الزبير ، وكلام من كلامه ، **غلط** فيه بعض الناقلين ، فألحقه

بألفاظ القرآن ، يدل على ذلك أن عثمان بن عفان قرأ : ويأمرون ب ا لمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم.

فما يشك عاقل في أن عثمان لا يعتد هذه الزيادة من القرآن ؛ إذ لم يكتبها في مصحفه الذي هو إمام المسلمين ".

فصل قال المفسرون : الدعوة إلى الخير – أي : إلا الإسلام – والأمر بالمعروف ، وهو الترغيب في فعل ما ينبغي ، والنهي عن المنكر هو الترغيب في ترك ما لا ينبغي ، ﴿وأولـائك هم المفلحون﴾ أي : العاملون بهذه الأعمال هم المفلحون الفائزون ، وقد تقدم تفسيره.

قال – عليه السلام – : " من أمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، كان خليفة الله ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه " وقال – أيضا – : " والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم ".

قوله : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جآءهم البينات﴾.

قال أكثر المفسرين : هم اليهود والنصارى ، وقال بعضهم : هم المبتدعة من هذه الأمة.

٤٥١

." (١)

"الأول : أنه لما ذكر أنه لا يريد الظلم والقبائح ، استدل عليه بأن فاعل القبيح ، إنما يفعل القبيح إما للجهل ، أو للعجز ، أو للحاجة ، وكل ذلك – على الله – محال ؛ لأنه مالك لكل ما في السموات وما في الأرض وهذه المالكية تنافي العجز والجهل والحاجة ، فامتنع كونه فاعلا للقبيح.

الثاني : أنه لما ذكر أنه لا يريد الظلم بوجه من الوجوه ، كان لقائل أن يقول : إنا نشاهد وجود الظلم في العالم ، فإذا لم يكن وقوعه بإرادة الله – تعالى – ك ان على خلاف إرادته ، فيلزم منه كونه ضعيفا عاجزا مغلوبا ، وذلك محال.

فأجاب الله – تعالى – بقوله : ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي : أنه تعالى قادر على أن يمنع الظلم عن الظالم – على سبيل الإلجاء والقهر – وإذا كان قادرا على ذلك لا يكون عاجزا ، ضعيفا ؛ إلا أنه – تعالى – أراد منهم ترك المعصية – اختيارا – ليستحقوا الثواب ، فلو قهرهم على الترك لبطلت هذه الفائدة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١١٩٦

وأجيب بأن المراد من الآية أنه - تعالى - لا يريد أن يظلم أحدا من عباده.
وقوله : ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ يدل على كونه خالقا لأفعال العباد ؛ لأن أفعال العباد من جملة ما في السموات وما في الأرض.
وأجاب الجبائي : بأن قوله : " ولله " إضافة ملك ، لا إضافة فعل ، ألا ترى أنه يقال : هذا البناء لفلان. ويريدون أنه مملوكه ، لا أنه مفعوله ، وأيضا فالمقصود من الآية تعظيم الله - تعالى - لنفسه ، وتمدحه لإلهية نفسه ، ولا يجوز أن يتمدح بأن ينسب غلى نفسه الأفعال القبيحة ، وأيضا فقوله : ﴿ما في السماوات وما في الأرض﴾ ، إنما يتناول ما كان مظروفا في السموات والأرض ، وذلك من صفات الأجسام ، لا من صفات الأفعال التي هي أعراض.
وأجيب بأن هذه إضافة الفعل ؛ لأن القادر على الحسن والقبيح ، لا يرجح الحسن على القبيح إذا حصل في قلبه ما يدعوه إلى الفعل الحسن ، وتلك الداعية حاصلة بتخليق الله - تعالى - دفعا للتسلسل ، ولما كان المؤثر في حصول فعل العبد هي مجموع القدرة والداعية بخلق الله - تعالى - ثبت أن فعل العبد مخلوق لله تعالى.
وقوله : ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ المراد منه رجوع الخلق إلى حكمه وقضائه ، لا لحكم غيره.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٦٠
في " كان " هذه - ستة أقوال :
٤٦٢
أحدها : أنها ناقصة على بابها - وإذا كانت كذلك ، فلا دلالة لها على مضي وانقطاع ، بل تصلح للانقطاع نحو : كان زيد قائما ، وتصلح للدوام ، كقوله : ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ [النساء : ٩٦] ، وقوله : ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة﴾ [الإسراء : ٣٢] ، فهي - هنا - بمنزلة : لم يزل ، وهذا بحسب القرائن.
وقال الزمخشري : " كان عبارة عن وجود الشيء في زمن ماض ، على سبيل الإبهام ، وليس فيه دليل على عدم سابق ، ولا على انقطاع طارئ ، ومنه قوله تعالى : ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ ، وقوله : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران : ١١٠].
كأنه قيل : وجدتم خير أمة ".
قال أبو حيان : قوله : " لم يدل على عدم سابق " ، هذا إذا لم يكن بمعنى : " صار " ، فإذا كان بمعنى : " صار " دلت على عدم سابق ، فإذا قلت : كان زيد عالما - بمعنى : صار زيد عالما - دل على أنه

نقل من حالة الجهل إلى حالة العلم.

وقوله : ؛ " ولا على انقطاع طارئ " ، قد ذكرنا – قبل – أن الصحيح أنها كسائر الأفعال ، يدل لفظ المضي منها على الانقطاع ، ثم قد يستعمل حيث لا انقطاع ، وفرق بين الدلالة والاستعمال ؛ ألا ترى أنك تقول : " هذا اللفظ يدل على العموم " ثم قد يستعمل حيث لا يراد العموم ، بل يرا د الخصوص.

وقوله : كأنه قيل : " وجتم خير أمة " ، هذا يعارض قوله : إنها مثل قوله : ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ ؛ لأن تقديره : وجدتم خير أمة يدل على أنها التامة ، وأن ﴿خير أمة﴾ حال ، وقوله : ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ لا شك أنها – هنا – الناقصة ، فتعارضا.

قال شهاب الدين : " لا تعرض ؛ لأن هذا تفسير معنى ، لا إعراب ".

الثاني : أنها بمعنى : " صرتم " ، و "كان " تأتي بمعنى : " صار "كثيرا.

كقوله : [الطويل] ١٥٧١ – بتيهاء قفر والمطي كأنها

قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

أي : صارت فراخا.

الثالث : أنها تامة ، بمعنى : " وجدتم " ، و ﴿خير أمة﴾ – على هذا منصوب على الحال ، أي : وجدتم على هذه الحال.

الرابع : ؛ أنها زائدة ، والتقدير : أنتم خير أمة ، وهذا قول مرجوح ، أو **غلط** ، لوجهين : أحدهما : أنها لا تزاد أو،لا ، وقد نقل ابن مالك الاتفاق على ذلك.

٤٦٣

". (١)

"وكانت في موضع رفع ، و " قاتل " الخبر ، و " من " متعلقة بمعنى " الاستقرار " ، والتقدير الأول أوضح ؛ لحمل الكلام على اللفظ دون المعنى ، بما يجب من الخفض في " أي " ، وإذا كانت " أي " على بابها من معاملة اللفظ ، ف " من " متعلقة بما تعلقت به الكاف من الممعنى المدلول عليه " اهـ.

وهو كلام غريب.

واختار أبو حيان أن "كأين "كلمة بسيطة – غير مركبة – وأن آخرها نون – هي من نفس الكلمة – لا تنوين ؛ لأن هذه الدعاوى المتقدمة لا يقوم عليها دليل ، وهذه طريق سهلة ، والنحويون ذكروا هذه الأشياء

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٢٠٢

؛ محافظة على أصولهم ، مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد ، وتمرين الذهن.
هذا ما يتعلق بها من حيث التركيب ، فموضعها رفع بالابتداء ، وفي خبرها أربعة أوجه : أحدها : أنه " قاتل " فإن فيه ضميرا مرفوعا به ، يعود على المبتدأ ، والتقدير : كثير من الأنبياء قاتل.
قال ابو البقاء : والجيد أن يعود الضمير على لفظ "كأين " ، كما تقول : مائة نبي قتل ، فالضمير للمائة ؛ إذ هي المبتدأ.
فإن قيل : لو كان كذلك لأنثت ، فقلت : قتلت ؟ قيل : هذا محمول على المعنى ؛ لأن التقدير : كثير من الرجال قتل.
كأنه يعني بغير الجيد عوده على لفظ " نبي " ، فعلى هذا جملة ﴿معه ربيون﴾ جملة في محل نصب على الحال من الضمير في " قتل ".
ويجوز أن يرتفع " ربيون " على الفاعلية بالظرف ، ويكون الظرف هو الواقع حالا ، التقدير : استقر معه ربيون.
٥٨٣
وهو أولى ؛ لأنه من قبيل المفردات ، وأصل الحال والخبر والصفة أن تكون مفردة.
ويجوز أن يكون " معه " - وحده - هو الحال ، و " ربيون " فاعل به ، ولا يحتاج - هنا - إلى واو الحال ؛ لأن الضمير هو الرابط - أعني : الضمير في " معه ".
ويجوز أن يكون حالا من " نبي " - وإن كان نكرة - لتخصيصه بالصفة حينئذ ؛ ذكره مكي.
وعمل الظرف - هنا - لاعتماده على ذي الحال.
قال أبو حيان : وهي حال محكية ، فلذلك ارتفع " ربيون " بالظرف - وإن كان العامل ماضيا ، لأنه حكى الحال الماضية ، كقوله : ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ [الكهف : ١٨] ، وذلك على مذهب البصريين ، وأما الكسائي فيعمل اسم الفاعل العاري من " أل " مطلقا.
وفيه نظر ؛ لأنا لا نسلم أن الظرف يتعلق باسم فاعل ، حتى يلزم عليه ما قال من تأويله اسم الفاعل بحال ماضية ، بل يدعى تعلقه بفعل ، تقديره : استقر معه ربيون.
الوجه الثاني : أن يكون " قاتل " جملة في محل جر ؛ صفة لـ " نبي " ، و ﴿معه ربيون﴾ هو الخبر ، لكن الوجهان المتقدمان في جعله حالا - أعني : إن شئت أن تجعل " معه " خبرا مقدما ، و " ربيون " مبتدأ مرخرا ، والجملة خبر "كأين " ، وأن تجعل " معه " - وحده - هو الخبر ، و " ربيون " فاعل به ؛

لاعتماد الظرف على ذي خبر.
الوجه الثالث : أن يكون الخبر محذوفا ، تقديره : في الدنيا ، أو مضى ، أو : صابر ، وعلى هذا ، فقوله : " قاتل " في محل جر ؛ صفة لـ " نبي " ، و " معه ربيون " حال من الضمير في " قاتل " – على ما تقدم تقريره – ويجوز أن يكون " معه ربيون " صفة ثانية لـ " نبي " ، وصف بصفتين : بكونه قاتل ، وبكونه معه ربيون.
الوجه الرابع : أن يكون " قاتل " فارغا من الضمير ، مسندا إلى " ربيون " وفي هذه الجملة – حينئذ – احتمالان : أحدهما : أن تكون خبرا لـ "كأين ".
الثاني : ان تكون في محل جر لـ " نبي " والخبر محذوف – على ما تقدم – وادعاء حذف الخبر ضعيف لاستقلال الكلام بدونه.
وقال أبو البقاء : ويجوز أن يكون " قاتل " مسندا لـ " ربيون " ، فلا ضمير فيه على هذا ، والجملة صفة " نبي ".
ويجوز أن يكون خبرا ، فيصير في الخبر أربعة أوجه ، ويجوز أن يكون صفة لـ " نبي " والخبر محذوف على ما ذكرنا.
وقوله : صفة لـ " ربيون " يعني : أن القتل من صفتهم في المعنى ، وقوله : " فيصير في الخبر أربعة أوجه " يعني : ما تقدم له من أوجه ذكرها ، وقوله : فلا ضمير فيه – على هذا – والجملة صفة " نبي " **غلط** ؛ لأنه يبقى المبتدأ بلا خبر.
فإن قلت : إنما يزعم هذا لأنه يقدر خبرا محذوفا ؟ قلت : قد ذكر أوجها أخر ؛ حيث قال : " ويجوز أن تكون صفة لـ " نبي " والخبر محذوف – على ما ذكرنا ".
ورجح كون قاتل مسندا إلى ضمير النبي أن القصة بسبب غزوة أحد ، وتخاذل المؤمنين حين قيل : إن محمدا قد مات مقتولا ؛ ويؤيد هذا الترجيح قوله : ﴿أفإن مات أو قتل﴾ [آل عمران : ١٤٤] وإليه ذهب ابن عباس والطبري وجماعة.
وعن ابن عباس – في قوله : ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ [آل عمران : ١٦١] – قال : النبي يقتل فكيف لا يخان ؟

٥٨٤

". (١)

"ويؤيد كونها الاستئناف قراءة عبد الله ومصحفه : والله لا يضيع ، وقرأ باقي السبعة بالفتح ؛ عطفا على قوله : " بنعمة " لأنها بتأويل مصدر ، أي : يستبشرون بنعمة من الله وفضل منه وعدم إضاعة الله أجر المؤمنين.

فإن قيل : لم قال : " يستبشرون " من غير عطف ؟ فالجواب فيه أوجه : أحدها : أنه استئناف متعلق بهم أنفسهم ، دون " الذين لم يلحقوا بهم " لاختلاف متعلق البشارتين.

الثاني : أنه تأكيد الأول ؛ لأنه قصد بالنعمة والفضل متعلق الاستبشار الأول ، وإليه ذهب الزمخشري.

الثالث : انه بدل من الفعل الأول ، ومعنى كونه بدلا : أنه لما كان متعلقه بيانا لمتعلق الأول حسن أن يقال : بدل منه ، وإلا فكيف يبدل فعل من فعل موافق له لفظا ومعنى ؟ وهذا في المعنى يئول إلى وجه التأكيد.

الرابع : أنه حال من فاعل " يحزنون " و " يحزنون " عامل فيه ، أي : ولا هم يحزنون حال كونهم مستبشرين بنعمة.

وهو بعيد ، لوجهين : أحدهما : أن الظاهر اختلاف من نفي عنه الحزن ومن استبشر.

الثاني : أن نفي الحزن ليس مقيدا ليكون أبلغ في البشارة ، والحال قيد فيه ، فيفوت هذا المعنى.

فصل والمقصود – من هذا الكلام – أن أيصال الثواب العظيم إلى الشهداء ليس مخصوصا بهم ، بل كل مؤمن يستحق شيئا من الأجر والثواب ، فإن الله تعالى يوصل ثوابه إليه ، ولا يضيعه.

قوله : " الذين استجابوا " فيه ستة أوجه : أحدها : أنه مبتدأ ، وخبره قوله : ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾.

وقال مكي : ابتداء وخبره " من بعدما أصابهم القرح " وهذا **غلط** ؛ لأن هذا ليس بمفيد ألبتة ، بل " من بعد " متعلق بـ " استجابوا ".

الثاني : أنه خبر مبتدأ مضمر ، أي : هم الذين.

٥٤

الثالث : أنه منصوب بإضمار " أعني " وهذان الوجه ان يشملهما قولك : القطع.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٢٦٣

الرابع : أنه بدل من " المؤمنين ".

الخامس : أنه بدل من " الذين لم يلحقوا " قاله مكي.

السادس : أنه نعت لـ " المؤمنين " ويجوز فيه وجه سابع ، وهو أن يكون نعتا لقوله : " الذين لم يلحقوا " قياسا على جعله بدلا منهم عند مكي.

و " ما " في قوله : ﴿من بعد مآ أصابهم﴾ مصدرية ، و " الذين أحسنوا " خبر مقدم ، و " منهم " فيه وجهان : أحدهما : أنه حال من الضمير في " أحسنوا " وعلى هذا فـ " من " تكون تبعيضية.

الثاني : أنها لبيان الجنس.

قال الزمخشري : " مثلها في قوله تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة﴾ [الفتح : ٢٩] لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم لا بعضهم ".

و " أجر " مبتدأ مؤخر ، والجملة من هذا المبتدأ وخبره ، إما مستأنفة ، أو حال - إن لم يعرب " الذين استجابوا " مبتدأ – وإما خبر – إن أعربناه مبتدأ – كما تقدم تقريره.

والمراد : أحسنوا فما أتوا به من طاعة الرسول صلى الله واتقوا ارتكاب شيء من المنهيات.

فصل في بيان سبب النزول في سبب نزول هذه الآية وجهان : أحدهما – وهو الأصح – : أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد ، فلما بلغوا الروحاء ندموا وتلاوموا ، وقالوا : لا محمدا قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، قتلتموهم حتى لم يبق منهم إلا الشريد تركتموهم ، ارجعوا فاستأصلوهم ، فهموا بالرجوع فبلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهب الكفار ، ويريهم من نفسه وأصحابه قوة ، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان ، وقال : لا أريد أن يخرج الآن إلا من كان في القتال ، فانتدب عصابة منهم – ما بهم من ألم الجراح والقرح الذي أصابهم يوم أحد – ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا لا يخرجن معنا أحد ، إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبد الله ، فقال : يا رسول الله إن أبي كان قد خلفني على أخوات لي سبع ، وقال : يا بني لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ، ولست بالذي أوثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن.

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ، فيظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم ، فينصرفوا.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا ، منهم أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة

، والزبير ، وسعد ،

٥٥

." (١)

"القول بكيت وكيت إيمانا ، كقوله : ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [المائدة : ٨].

الثاني : أنه يعود على المقول – الذي هو ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ كأنه قيل : قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيمانا.

الثالث : أنه يعود على " الناس " إذا أريد به فرد واحد – كما نقل في سبب النزول – وهو نعيم بن مسعود الأشجعي.

واستضعف أبو حيان الوجهين الأخيرين ، قال : " وهما ضعيفان ؛ من حيث إن الأول لا يزيد إيمانا إلا النطق به ، لا هو في نفسه ، ومن حيث إن الثاني إذا أطلق على المفرد لفظ الجمع مجازا فإن الضمائر تجري على ذلك الجمع ، لا على المفرد.

تقول : مفارقة شابت – باعتبار الإخبار عن الجمع – ولا يجوز : مفارقة شاب – باعتبار : مفرقه شاب ".

قال شهاب الدين : " وفيما قاله نظر ؛ لأن المقول هو الذي في الحقيقة حصل به زيادة الإيمان – وأما قوله : تجري على الجمع ، لا على المفرد ، فغير مسلم ، ويعضده أنهم نصوا على أنه يجوز اعتبار لفظ الجمع الواقع موقع المثنى تارة ، ومعناه تارة أخرى ، فأجازوا : رؤوس الكبشين قطعتهن ، وقطعتهما ، وإذا ثبت ذلك في الجمع الواقع موقع المثنى ، فليجز في الواقع موقع المفرد.

ولقائل أن يفرق بينهما ، وهو أنه إنما جاز أن يراعى معنى التثنية – المعبر عنها بلفظ الجمع – لقربها منه ؛ من حيث إن كلا منهما فيه ضم شيء إلى مثله.

بخلاف المفرد ، فإنه بعيد من الجمع ؛ لعدم الضم ، فلا يلزم من مراعاة معنى التثنية في ذلك مراعاة معنى المفرد.

فصل قال أبو العباس المقرئ : لفظ " الوكيل " في القرآن على وجهين : الأول : بمعنى المانع – كهذه الآية – ومثله قوله : ﴿فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا﴾ [النساء : ١٠٩] أي : مانعا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٠٩

الثاني : بمعنى : الشاهد ، قال تعالى : ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ [النساء : ٨١ ، ١٣٢ ، ١٧١] أي : شهيدا ، ومثله قوله : ﴿إنمآ أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾ [هود : ١٢].

أي : شاهد ، ومثله : ﴿فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل﴾ [القصص : ٢٨] أي : شهيد.

قوله : ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ [آل عمران : ١٧٣] عطف " قالوا " على " فزادهم " والجملة بعد القول في محل نصب به.

قوله : ﴿ونعم الوكيل﴾ المخصوص بالمدح ، أي : الله تعالى.

قوله : ﴿فانقلبوا بنعمة﴾ في متعلق باء " بنعمة " وجهان :

٥٩

أحدهما : أنها متعلقة بنفس الفعل على أنها باء التعدية ؟ الثاني : أنها تتعلق بمحذوف ، على أنها حال من الضمير في " انقلبوا " والباء على هذه المصاحبة ، كأنه قيل : فانقلبوا ملتبسين بنعمة ومصاحبين لها.

والتقدير : وخرجوا فانقلبوا ، وحذف الخروج ؛ لأن الانقلاب يدل عليه ، كقول : ﴿أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ [الشعراء : ٦٣] أي : فضرب فتنفلق ومعنى الآية : " فانقلبوا " بعافية ، لم يلقوا عدوا " وفضل " تجارة وربح ، وهو ما أصابوا من السوق.

قوله : ﴿لم يمسسهم سواء﴾ هذه الجملة في محل نصب على الحال - أيضا - وفي ذي الحال وجهان : أحدهما : أنه فاعل " انقلبوا " أي : انقلبوا سالمين من السوء.

الثاني : أنه الضمير المستكن في " بنعمة " إذا كانت حالا ، والتقدير : فانقلبوا منعمين بريئين من السوء.

والعامل فيها : العامل في بنعمة فهما حالان متداخلان ، والحال إذا وقعت مضارعا منفيا بـ " لم " وفيها ضمير ذي الحال جاز دخول الواو وعدمه فمن الأول قوله تعالى : ﴿أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾ [الأنعام : ٩٣] وقول كعب : [البسيط] ١٦٩١ - لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم

أذنب ولو كثرت في الأقاويل

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٥٧

ومن الثاني هذه الآية ، وقوله : ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا﴾ [الأحزاب : ٢٥] وقول [قيس] بن الأسلت : ١٦٩٢ - وأضرب القونس يوم الوغى

بالسيف لم يقصر به باعي

وبهذا يعرف **غلط** الأستاذ ابن خروف ؛ حيث زعم أن الواو لازمة في مثل هذا ، سواء كان في الجملة

ضمير ، أو لم يكن.
قوله : ﴿واتبعوا﴾ يجوز في هذه الجملة وجهان : الأول : أنا عطف على " انقلبوا ".
الثاني : أنها حال من فاعل " انقلبوا " - أيضا - ويكون على إضمار " قد " أي : وقد اتبعوا.
فصل قال القرطبي : " وقد اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه على أقوال ، والعقيدة في هذا على أن نفس الإيمان - الذي هو تاج - واحد ، وتصديق واحد بشيء ما إنما هو
٦٠
." (١)

"والثاني - قاله أبو البقاء - : أنه توكيد ، وهو خطأ ؛ لأن المضمر لا يؤكد المظهر.
والمفعول الأول اسم مظهر ، ولكنه حذف - كما تقدم - وبعضهم يعبر عنه ، فيقول : أضمر المفعول الأول - يعني حذف فلا يعبر عنه بهذه العبارة.
و " هو " - في هذه المسألة - تتعين فصيلته لأنه لا يخلو إما أن يكون مبتدأ ، أو بدلا ، أو توكيدا ، والأول منتف ؛ لنصب ما بعده - وهو خير - وكذلك الثاني ؛ لأنه كان يلزم أن يوافق ما قبله في الإعراب ، فكان ينبغي أن يقال : إياه ، لا " هو " وكذلك الثالث - كما تقدم.
أما قراءة الجماعة ، فيجوز أن يكون الفعل مسندا إلى ضمير غائب - إما الرسول ، أو حاسب ما - ويجوز أن يكون مسندا إلى الذين فإن كان مسندا إلى ضمير غائب ، ف " الذين " مفعول أول ، على حذف مضاف ، ما تقدم في قراءة حمزة ، أي : بخل الذين ، والتقدير : ولا يحسبن الرسول - أو أحد - بخل الذين يبخلون خيرا لأنفسهم.
و " هو " فصل - كما تقدم - فتتحد القراءتان معنى وتخريجا.
وإن كان مسندا إلى " الذين " ففي المفعول الأول وجهان : أحدهما : أنه محذوف ؛ لدلالة " يبخلون " عليه ، كأنه قيل : ولا يحسبن الباخلون بخلهم هو خيرا لهم و " هو " فصل.
قال ابن عطية : " ودل على هذا البخل " يبخلون "كما دل " السفيه " على السفه في قول الشاعر :
١٧٠١ - إذا نهي السفيه جرى إليه
وخالف والسفيه إلى خلاف
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٨٢

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣١٢

أي : جرى إلى السفه.

قال أبو حيان : وليست الدلالة فيهما سواء ، لوجهين : أحدهما : أن الدال في الآية هو الفعل ، وفي البيت هو اسم الفاعل ، ودلالة الفعل على المصدر أقوى من دلالة اسم الفاعل ، ولذلك كثر إضمار المصدر ؛ لدلالة الفعل عليه – في القرآن وكلام العرب – ولم يؤثر دلالة اسم الفاعل على المصدر ، إنما جاء في هذا البيت ، أو في غيره أن وجد أن في الآية حذفا لظاهر ؛ إذ قدروا المحذوف " بخلهم " وأما فهو إضمار لا حذف.

الوجه الثاني : أن المفعول نفس " هو " وهو ضمير البخل الذي دل عليه " يبخلون " – كقوله : ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة : ٨] – قاله أبو البقاء.

وهو **غلط** أيضا ، لأنه كان ينبغي أن يأتي به بصيغة المنصوب ، فيقول : " إياه " لكونه منصوبا بـ " يحسبن " ولا ضرورة بنا إلى أن ندعي أنه من باب استعارة الرفع مكان النصب كقولهم : ما أنا كأنت ، ولا أنت كأنا.

٨٣

". (١)

"وشاهدة بان كل ممكن لذاته فإنه لا بد وأن ينتهي في رجحانه إلى الواجب لذاته ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون الخير والشر بقضاء الله ، وإذا كان كذلك امتنع أن يكون المراد من الآية تعليل أفعال الله – تعالى – بالمصالح وأما قوله : لو كان كذلك لكان قوله : ﴿سبحانك﴾ تنزيها عن فعل ما لا شدة فيه ولا صلابة ، وذلك باطل ، فجوابه : لم لا يجوز أن يكون المراد : ربنا ما خلقت هذا رخوا فاسد التركيب ، بل خلقته صلبا محكما ؟ وقوله : ﴿سبحانك﴾ معناه : أنك إن خلقت السموات والأرض صلبة ، شديدة ، باقية ، فأنت منزه عن الاحتياج إليه والانتفاع به.

وأما قولهم : إنما يحسن وصل قوله : ﴿فقنا عذاب النار﴾ به إذا فسرناه بقولنا ، فالجواب : لا نسلم بل وجه النظم أن قوله : ﴿سبحانك﴾ اعتراف بكونه غنيا عن كل ما سواه ، وإذا وصفه بالغنى يكون قد اعترف لنفسه بالعجز والحاجة إليه في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿فقنا عذاب النار﴾ وهذا الوجه أحسن في النظم.

وأما سائر الآيات التي ذكروها فهي دالة على أن أفعاله منزهة عن اتصافها بالعبث ، واللعب ، والبطلان ونحن نقول بموجبه ، وأن أفعاله كلها حكمة وصواب.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٢٤

وقوله : ﴿سبحانك﴾ إقرار بعجز العقول عن الإحاطة بآثار الله في خلق السموات والأرض.
يعني أن الخلق إذا تفكروا في هذه الأجسام العظيمة لم يعرفوا منها إلا هذا القدر.
والمقصود منه تعليم العباد كيفية الدعاء وآدابه ، وذلك أن من أراد الدعاء فليقدم الثناء ، ثم يذكر بعده الدعاء ، كهذه الآية.
قوله : ﴿ربنآ إنك من تدخل النار﴾ " من " شرطية ، مفعول مقدم ، واجب التقديم ، لأن له صدر الكلام ، و " تدخل " مجزوم بها ، و ﴿فقد أخزيته﴾ جواب لها.
وحكى أبو البقاء عن بعضهم قولين غريبين : الأول : أن تكون " من " منصوبة بفعل مقدر ، يفسره قوله : ﴿فقد أخزيته﴾.
وهذا **غلط** ؛ لأن من شرط الاشتغال صحة تسلط ما يفسر على ما هو منصوب ، والجواب لا يعمل فيما قبل فعل الشرط ؛ لأنه لا يتقدم على الشرط.
الثاني : أن تكون " من " مبتدأ ، والشرط وجوابه خبر هذا المبتدأ.
وهذان الوجهان **غلط** ، والله أعلم.
وعلى الأقوال كلها فهذه الجملة الشرطية في محل رفع ؛ خبرا ل " إن ".
ويقال : خزيته وأخزيته ثلاثيا ورباعيا - والأكثر الرباعي ، وخزي الرجل يخزى خزيا - إذا افتضح - وخزاية - إذا استحيا - فالفعل واحد ، وإنما يتميز بالمصدر.
قال الواحدي : الإخزاء - في اللغو - يرد على معان يقرب بعضها من بعض.
قال الزجاج : أخزى الله العدو : أي : أبعده.
١١٥
وقال غيره : أخزاه الله : أي : أهانه.
وقال شمر : أخزاه الله : أي : فضحه ، وفي القرآن : ﴿ولا تخزون في ضيفي﴾ [هود : ٧٨].
وقال المفضل : أخزاه الله : أي : أهلكه.
وقال ابن الأنباري : الخزي - في اللغة - الهلاك بتلف أو انقطاع حجة ، أو وقوع في بلاء ، وكل هذه الوجوه متقاربة.
وقال الزمخشري : " فقد أخزيته " أي : أبلغت في إخزائه.
فصل قالت المعتزلة : هذه الآية دالة على أن صاحب الكبيرة - من أهل الصلاة - ليس بمؤمن ؛ لأن

صاحب الكبيرة إذا دخل النار فقد أخزاه الله ؛ لدلالة هذه الآية ، والمؤمن لا يخزى ؛ لقوله تعالى : ﴿يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه﴾ [التحريم : ٨] فوجب من [مجموع هاتين] الآيتين ألا يكن صاحب الكبيرة مؤمنا.

والجواب أن قوله : ﴿إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ لا يقتضي نفي الإخزاء مطلقا ، وإنما يقتضي ألا يحصل الإخزاء في وقت آخ ِر.

وأجاب الواحدي في " البسيط " بثلاثة أجوبة أخر.

أحدها : أنه نقل عن سعيد بن المسيب ، والثوري ، وقتادة ، أن قوله : " فقد أخزيته " مخصوص بمن يدخل النار للخلود.

وهذا الجواب ضعيف ؛ لأن مذهب المعتزلة أن كل فاسق دخل النار ، فإنما يدخلها للخلود فيها.

وثانيها : أن المدخل في النار مخزى في حال دخوله ، وإن كان عاقبته أن يخرج منها.

وهذا - أيضا - ضعيف ؛ لأن نفي الخزي عن المؤمنين على الإطلاق ، وهذه الآية دلت على حصول الخزي لكل من دخل النار ، فحصل بحكم هاتين الآيتين - بين كونه مؤمنا ، وبين كونه كافرا - من يدخل النار - منافاة.

وثالثها : أن الإخزاء يحتمل وجهين " : أحدهما : الإهانة والإهلاك.

وثانيهما : التخجيل ، يقال : خزي خزاية : إذا استحيا ، وأخزاه غيره : إذا عمل به عملا يخجله ويستحيي منه.

قال ابن الخطيب : " واعلم أن حاصل هذا الجواب : أن لفظ الإخزاء مشترك بين التخجيل وبين الإهلاك ، واللفظ لا يمكن حمله في طرفي النفي والإثبات على

١١٦

." (١)

"وحكى ابن العرابي : عال الرجل يعول : كثر عياله ، وعال يعيل افتقر وصار له عائلة ، والحاصل أن " عال " يكون لازما ومتعديا ، فاللازم يكون بمعنى : مال وجار ، والمتعدي ومنه " عال الميزان ".

قال أبو طالب : [الطويل] ١٧٤٤ - بميزان قسط لا يغل شعيرة

ووزان صدق وزنه غير عائل

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٤٣

وعالت الفريضة إذا زارت سهامها ، ومعنى كثر عياله ، وبمعنى تفاقم الأمر ، والمضارع من هذا كله يعول ، وعال الرجل افتقر ، وعال في الأرض : ذهب فيها ، والمضارع من هذين يعيل ، والمتعدي يكون بمعنى أثقل ، وبمعنى مان من المؤونة ، وبمعنى غلب ومنه " عيل صبري " ، ومضارع هذا كله يعول ، وبمعنى أعجز ، تقول : أعجزني الأمر ، ومضارع هذا يعيل ، والمصدر " عيل " و " معيل " ، فقد تلخص من هذا أن " عال " اللازم يكون تارة من ذوات الواو ، وتارة مِن ذوات الياء ، باختلاف المعنى ، وكذلك عال المتعدي أيضا.

ومنه : [الطويل]

١٧٤٥ - ووزان صدق وزنه غير عائل

وفسر الشافعي رحمه الله ﴿تعولوا﴾ بمعنى يكثر عيالكم.

ورد هذا القول جماعة كأبي بكر بن داود الرازي والزجاج وصاحب النظم.

قال الرازي : " هذا غلط من جهة المعنى واللفظ ، أما المعنى فللإباحة السراري صح أنه مظنة كثرة العيال كالتزويج ، وأما اللفظ ؛ فلأن مادة عال بمعنى كثر عياله من ذوات الياء ؛ لأنه من العيلة ، وأما عال بمعنى " جار " فمن ذوات الواو ، واختلفت المادتان ، وأيضا فقد خالف المفسرين ".

وقال صاحب النظم : قال أولا " ألا تعدلوا " فوجب أن يكون ضده الجور.

وأجيب عن الأول وهو أن التسري أيضا يكثر معه العيال ، مع أنه مباح ممنوع ؛ لأن الأمة ليست كالزوجة ؛ لأنه يعزل عنها بغير إذنها ، ويؤجرها ويأخذ أجرتها ينفقها عليه وعلى أولاده وعليها.

قال الزمخشري : " وجهه أن يجعل من قولك : عال الرجل عياله يعولهم كقولك :

١٦٩

مانهم يمونهم أي : أنفق عليهم ؛ لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم ، وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة من كسب الحلال والأخذ من طيب الرزق " ثم أثنى على الشافعي ثناء جميلا ، وقال : ولكن للعلماء طرق وأساليب ، فسلك في تفسير هذه الآية مسلك الكنايات ، انتهى.

وأما قولهم : " خالف المفسرين " فليس بصحيح ، بل قاله زيد بن أسلم وابن زيد.

واما قولهم : " اختلفت المادتان " فليس بصحيح أيضا ؛ لأنه قد تقدم حكاية ابن الأعرابي عن العرب : عال الرجل يعول كثر عياله ، وحكاها الكسائي أيضا قال : يقال : عال الرجل يعول ، وأعال يعيل كثر

عياله.
قال أبو حاتم : كان الشافعي أعلم بلسان العرب مشنا ، ولعله لغة ، ويقال : هي لغة " حمير " ونقلها أيضا اردوري المقرئ لغة عن حمير وأنشد [الوافر] : ١٧٤٦ - وإن الموت يأخذ كل حي
بلا شك وإن أمشي وعالا
جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٥٦
أمشى : كثرت ماشيته ، وعال كثر عياله ، ولا حجة في هذا ؛ لاحتمال أن يكون " عال " من ذوات الياء ، وهم لا ينكرون أن " عال " يكون بمعنى كثر عياله ، وروي عنه أيضا أنه فسر تعولوا بمعنى تفتقروا ، ولا يريد به أن " تعولوا " وتعيلوا بمعنى ، بل قصد الكناية أيضا ؛ لأن كثرة العيال سبب للفقر.
وقرأ طلحة : " تعيلوا " بفتح تاء المضارعة من عال يعيل افتقر قال : [الوافر] ١٧٤٧ - فما يدري الفقير متى غناه
وما يدري الغني متى يعيل
وقرأ طاوس : " تعيلوا " بضمها من أعال : كثر عياله ، وهي تعضد تفسير الشافعي المتقدم من حيث المعنى.
وقال الراغب : عارہ ، وغاله يتقاربان ، لكن الغول : فيما يهلك والعول فيما يثقل.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٥٦
مفعول ثان ، وهي جمع " صدقة " بفتح الصاد وضم الدال بزنة " سمرة " ، والمراد
١٧٠
." (١)

"تفتدي منه إلا إذا زنت ، والقائلون بهذا منهم من قال بقي هذا الحكم ولم ينسخ ومنهم من قال : نسخ بآية الجلد.
الثالث : أنه مستثنى من العلة العامة تقديره : لا تعضلوهن لعلة من العلل إلا لإتيانهن بفاحشة.
وقال أبو البثاء بعد أن حكى فيه وجه الانقطاه : " والثاني : هو في موضع الحال تقديره : إلا في حال [إتيانهن بفاحشة ، وقيل : هو استثناء متصل ، تقديره : ولا تعضلوهن في حال إلا في حال] إتيان الفاحشة " انتهى.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٦٦

وهذان الوجهان هما في الحقيقة وجه واحد ، لأن القائل بكونه منصوبا على الحال لا بد أن يقدر شيئا عاما يجعل هذا الحال مستثناة منه.

وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم : " مبينة " اسم لمفعول بفتح الياء في جميع القرآن ، أي بينها في قوله : ﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني﴾ [إبراهيم : ٣٦] والباقون بكسر الياء من اسم الفاعل وفيه وجهان : أحدهما : أنه من بين المتعدي ، فعلى هذا [يكون] المفعول محذوفا تقديره [مبينة حال مرتكبها. والثاني : أنها من بين الازم ، فإن بين يكون متعديا ولازما يقال :] بان الشيء وأبان واستبان ، وبين تبين ، بمعنى واحد أي : أظهر ، وإذا ظهرت صارت أسبابا للبيان ، وإذا صارت سببا للبيان جاز إسناد البيان إليها ، كما انذ الأصنام لما كانت شسببا للضلال حسن إسناد الإضلال إليها لأن الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة.

وأيضا الفاحشة تتبين فإن يشهد عليها أربعة صارت مبينة.

وقرأ بعضهم " مبينة " بكسر الياء وسكون الياء اسم فاعل من " أبان " وهذان الوجهان [هما] المتقدمان في المشددة المكسورة ، لأن " أبان " أيضا يكون متعديا ولازما وأما " مبيناتط جمعا فقرأهن الاخوان وابن عامر وحفص عن عاصم بكسر

٢٦٠

الياء اسم فاعل ، والباقون بفتح١ه اسم مفعول ، وتقدم وجه ذلك.

فصل قال ابن مسعود وقتادة : الفاحشة هي النشوز ، وإيذاء الزوج ، والمعنى إذا كان سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويؤيده قول أبي بن كعب ، إلا أن يفحشن عليكم.

وقال الحسن ، وأبو قلابة والسدي : هي الزنى والمعنى ، إذا نشزت المرأة ، أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع.

وقال عطاء : كان الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها فنسخ الله ذلك.

قوله : ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾.

وقال الزجاج : وهو النصفة في المبيت والنفقة والإجمال في القول.

وقيل : أن يتصنع لها كما تتصنع له.

[قوله :] ﴿بالمعروف﴾ لها وجهان : أظهرهما : أنها باء الحالش ، أي : من الفاعل مصاحبين لهن بالمعروف ، أو من المفعول أي مصحوبات بالمعروف.

والث◌◌اني : أنها باء التعدية.

قال أبو البقاء : بالمعروف مفعول ، أو حال.

فصل قال القرطبي : استدل علماؤنا بقوله تعالى : ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ أن المرأة

٢٦١

إذا لم يكفيها خادم واحد أن عليه أن يكفيها قدر كفايتها كابنة الخليفة والملك وشبههما ممن لا يكفيها خادم واحد ، وأن ذلك هو المعاشرة بالمعروف.

وقال الشافعي وأبو حنيفة : لا يلزمه إلا خادم واحد ، وذلك يكفيها خدمة نفسها وليس في العالم امرأة إلا ويكفيها خادم واحد ، وهذا كالمقاتل تكون له أفراس فلا يسهم له إلا بفرس واحد ؛ لأنه لا يقاتل إلا على فرس واحد ، قال علماؤنا : وهذا التشبهي غلط ؛ لأن مثل بنات الملوك اللاتي لهن خدمة كثيرة لا يكفيها خادم واحد ، لأن إصلاح شأنها ومطبخها ، وغسيل ثيابها لا يكفيها خادم واحد يقوم بذلك.

قوله : ﴿فإن كرهتموهن [فعسى ﴾] أي إن كر ه تم عشرتهن بالمعروف وآثرتم فراقهن.

قوله : ﴿فعسى ﴾ الفاء جواب الشرط ، وإنما اقترنت بها عسى ؛ لأنها جامدة.

قال الزمخشري : فإن قلت من أي وجه صح أن يكون فعسى جزاء للشرط ؟ قلت : من حيث المعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكرامة ، فلعل لكم فيما تكرهون خيرا كثيرا ليس فيما تحبون.

ولهذا قال قتادة : فإنه فسر الخير الكثير بود يحصل فتنقلب الكراهة محبة ، فلعل لكم فيما تكرهون خيرا كثيرا ليس فيما تحبون.

وقيل : ولد صالح.

وقرئ ويجعل برفع اللام.

قال الزمخشري على أنه حال يعني : ويكون خبر المبتدأ محذوف لئلا يلزم دخول الواو على مضارع مثبت ، و " عسى " هنا تامة ؛ لأنها رفعت ان وما بعدها ، والتقدير : فقد قربت كراهيتكم فاستغنت عن تقدير خبر ، والضمير في " فيه " يعود على شيء ، أي : في ذلك الشيء المكروه.

وقيل : يعود على الكره المدلول ءليه بالفعل ، والمعنى ﴿فإن كرهتموهن﴾ ورغبتم في مفارقتهن ، فربما جعل في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا ، وذلك بأن تتزوج غيره خيرا منه.

ونظيره قوله : ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته﴾ [النساء : ١٣٠] وهذا قول

٢٦٢
." (١)

"الخلقة إذا كان ضعيف الدواعي إلى الطاعة صار في حكم الضعيف ، فالتأثير في هذا الباب لضعف الداعية وقوتها لا لضعف البدن.

قال طاوس والكلبي وغيرهما : في أمر النساء لا يصبر عنهن.

وقال ابن كيسان : خلق الله الإنسان ضعيفا أي بأن تستميله شهوته.

وقال الحسن : المراد ضعيف الخلقة وهو أنه [خلقه] من ماء مهين.

وقال تعالى ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ [الروم : ٥٤].

فصل وفي نصب ضعيفا أربعة أوجه : أظهرها : أنه حال من الإنسان وهي حال مؤكدة.

والثاني : - كأنه تمييز قالوا : لأنه يصلح لدخول " من " وهذا غلط.

الثالث : أنه على حذف حرف الجر ، والأصل : خلق من شيء ضعيف ، أي : من ماء مهين ، أو من نطفة ، فلما حذف الموصوف وحرف الجر وصل الفعل إليه بنفسه فنصبه.

الرابع : - وإليه أشار ابن عطية ، أنه منصوب على أنه مفعول ثان بـ " خلق " قالوا : ويصح أن يكون خلق بمعنى " جعل " فيكسبها ذلك قوة التعدي إلى المفعولين فيكون قوله " ضعيفا " مفعولا ثانيا ، وهذا الذي ذكره غريب لم نرهم نصوا على أن خلق يكون كـ " جعل " فيتعدى لاثنين مع حصرهم الأفعال المتعدية للاثنين ، ورأيناها يقولون : إن " جعل " إذا كان بمعنى " خلق " تعدت لواحد.

فصل روي عن ابن عباس أنه قال : ثماني آيات في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت قوله تعالى ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ [النساء : ٢٦] ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ و ﴿إن تجتنبوا كبآئر ما تنهون عنه﴾ [النساء :
٣٣٥
٣١] ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ [النساء : ٤٨] ﴿إن [الله لا يظلم] مثقال ذرة﴾ النساء : ٤٠] ، ﴿ومن يعمل سواءا أو يظلم نفسه﴾ [النساء : ١٠١] و ﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾ [النساء : ١٤٧].

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٣٤

في كيفية النظم وجهان : أحدهما : أنه تعالى لما ذكر كيفية التصرف في النفوس بسبب النكاح ذكر كيفية

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٤١٢

التصرف في الأموال.

الثاني : لما ذكر ابتغاء النكاح بالأموال وأمر بإبقاء المهور بين بعد ذلك كيفية التصرف في الأموال ، وخص الأكل بالذكر دون غيره من التصرفات لأنه المقصود الأعظم من الأموال ؛ لقوله تعالى ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ [النساء : ١٠] ، واختلفوا في تفسير الباطل فقيل هو الربا والغضب والقمار والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة ، وعلى هذا تكون الآية مجملة لأنه يصير التقدير : لا تأكلوا أموالكم التي حصلتموها بطريق غير مشروع ، ولم يذكر ههنا الطريقة المشروعة على التفصيل فصارت الآية مجملة.

وروي عن ابن عباس والحسن أن الباطل هو ما يؤخذ من الإنسان بغير عوض وعلى هذا لا تكون الآية مجملة لكن قال بعضهم : إنها منسوخة : قال لما نزلت هذه الآية تحرج الناس من أن يأكلوا عند أحد شيئا وشق ذلك على الخلق.

فنسخ الله تعالى ذلك بقوله في سورة النور ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبآئكم أو بيوت أمهاتكم﴾ [النور : ٦١] وأيضا إنما هو تخصيص ولهذا روى الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : هذه الآية محكمة ما نسخت ولا تنسخ إلى يوم القيامة.

٣٣٦

وقيل : المراد بالباطل [هو] العقود الفاسدة ، وقوله ﴿لا تأكلوا اا أموالكم بينكم بالباطل﴾ [يدخل فيه أكل مال الغير بالباطل] وأكل مال نفسه بالباطل فيدخل فيه القسمان معا كقوله : ﴿ولا تقتلوا اا أنفسكم﴾ يدل على النهي عن قتل غيره وقتل نفسه أما أكل مال نفسه بالباطل فهو إنفاقه في معاصي الله تعالى ، وأما أكل مال غيره بالباطل فقد عددناه.

قوله : ﴿إلا أن تكون تجارة﴾ في هذا الاستثناء قولان : أصحهما : أنه استثناء منقطع لوجهين : أحدهما : أن التجارة لم تندرج في الأموال المأكولة بالباطل حتى يستثنى عنها سواء فسرنا الباطل بغير عوض ، أو بغير طريق شرعي.

والثاني : أن المستثنى كون ، والكون ليس مالا من الأموال.

الثالث : أنه متصل قيل : لأن المعنى لا تأكلوها بسبب إلا أن تكون تجارة.

قال أبو البقاء : وهو ضعيف ؛ لأنه قال : بالباطل ، والتجارة ليست من جنس الباطل ، وفي الكلام حذف

مضاف تقديره ؛ إلا في حال كونها تجارة ، أو في وقت كونها تجارة انتهى.

ف " أن " تكون في محل نصب على الاستثناء وقد تقدم تحقيقه.

وقرا الكوفيون تجارة نصبا على أن كان ناقصة ، واسمها مستتر فيها يعود على الأموال ، ولا بد من حذف مضاف من " تجارة " تقديره : إلا أن تكون الأموال أموال تجارة ، ويجوز أن يفسر الضمير بالتجارة بعدها أي : إلا أن تكون التجارة تجارة كقوله : [الطويل] ١٧٩٠ - ....
". (١)

"والثاني : أنها في محل نصب بفعل محذوف ، أي : فكيف تكونون أو تصنعون ، ويجزي فيها الوجهان النصب على التشبيه بالحال ؛ كما هو مذهب سيبويه ، أو على التشبيه بالظرفية ؛ كما هو مذهب الأخفش ، وهو العامل في " إذا " أيضا.

والثالث : حكاه ابن عطية عن مكي أنها معمولة ل ﴿جئنا﴾ ، وهذا **غلط** فاحش.

قوله ﴿من كل﴾ فيه وجهان : أحدهما : أنه متعلق ب ﴿جئنا﴾.

والثاني : [أنه متعلق] بمحذوف على أنه حال من ﴿شهيدا﴾ ، وذلك على رأي من يجوز تقديم حال المجرور بالحرف عليه ، كما تقدم ، والمشهود محذوف ، أي : شهيد على أمته.

فصل : معنى ﴿فكيف إذا جئنا﴾ من عادى العرب أنهم يقولون في الشيء الذي يتوقعونه : كيف بك إذا كان كذا وكذا ، ومعنى الكلام : كيف يرون [يوم] القيامة : إذا استشهد الله على كل أمة برسولها يشهد عليهم بما عملوا ، ﴿وجئنا بك على هؤلاء ﴾ أي : شاهدا على جميع الأمم.

روى أبو مسعود ؛ " قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " اقرأ علي ".

فقلت : يا رسول الله ، اقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ قال : " نعم ، أحب أن أسمعه من غيري " ، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ، قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان ".

قوله ﴿وجئنا بك﴾ في هذه الجملة ثلاثة أوجه : أظهرها : أنها في محل جر عطفا على ﴿وجئنا﴾ الأولى ، أي : فكيف تصنعون في وقت المجيئين.

والثاني : أنها في محل نصب على الحال و " قد " مرادة معها ، والعامل فيها ﴿وجئنا﴾ [الأولى ، أي : جئنا] من كل أمة بشهيد وقد جئنا ؛ وفيه نظر.

٣٨٦

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٤٥٠

الثالث : أنها مستأنفة فلا محل لها قال أو البقاء ويجوز أن تكون مستأنفة ، ويكون الماضي بمعنى المستقبل انتهى.
وإنما احتاج [إلى ذلك] ؛ لأن المجيء بعد لم يقع فادعى ذلك ، والله أعلم.
قوله : ﴿على هؤلاء ﴾ متعلق بـ ﴿شهيدا﴾ و " على " على بابها ، وقيل : بمعنى اللام ، وفيه بعد [وأجيز أن يكون " على " متعلقة بمحذوف على أنها حال من ﴿شهيدا﴾ وفيه بعد] ، و ﴿شهيدا﴾ حال من الكاف في " بك ".
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٨٥
قوله : ﴿يومئذ﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه معمول لـ ﴿يود﴾ أي : يود الذين كفروا يوم إذ جئنا.
والثاني : أنه معمول لـ ﴿شهيدا﴾ ، قاله أبو البقاء ؛ قال وعلى هذا يكون " يود " صفة لـ " يوم " ، والعائد محذوف ، تقديره : فيه ، وقد ذكر ذلك في قوله : ﴿و ا تقوا يوما لا تجزي﴾ [البقرة : ٤٨] ، وفيما قاله نظر.
والثالث : أن " يوم " مبني ، لإضافته إلى " إذ " قاله الحوفي ، قال : لأن الظرف إذا ضيف إلى غير متمكن ، جاز بناؤه معه ، و " إذ " هنا اسم ؛ لأن الظروف إذا أضيف إليها ، خرجت إلى معنى الاسمية ، من أجل تخصيص المضاف إليها ، كما تخصص الأسماء مع استحقاقها الجر ، والجر ليس من علامات الظروف ، والتنوين في " إذ " تنوين عوض على الصحيح ، فقيل : عوض من الجملة الأولى ، في قوله : ﴿جئنا من كل﴾ أي : يومئذ جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ، و " الرسول " على هذا اسم جنس ، وقيل : عوض عن الجملة الأخيرة وهي ﴿وجئنا بك﴾ ، ويكون المراد بـ " الرسول " : محمد صلى الله عليه وسلم ، وكأن النظم وعصوك ، ولكن أبرز ظاهرا بضفة الرسالة تنويها بقدره وشرفه.
وقوله : ﴿وعصوا﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنها جملة معطوفة على ﴿كفروا﴾ فتكون صلة ، فيكونون جامعين بين كفر ومعصية ؛ لأن العطف يقتضي المغايرة ، وإذا كان ذلك ، فيجمل عصيان الرسول على
٣٨٧
المعاصي المغايرة للكفر ، وإذا ثبت ذلك ، فالآية دالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الإسلام.
وقيل : هي صلة لموصول أخر ، فيكون طائفتين ، وقيل : إنها في محل نصب على الحال من ﴿كفروا﴾ ، و " قد " مرادة ، أي : وقد عصوا.
قوله : ﴿لو تسوى ﴾ إن قيل إن " لو " على بابها كما هو قول الجمهور ، فمفعول ﴿يود﴾ محذوف ،

أي : يود الذين كفروا تسوية الأرض بهم ، ويدل عليه ﴿لو تسوى بهم الأرض﴾ ، وجوابها حينئذ محذوف ، أي : لسروا بذلك.
وإن قيل : إنها مصدرية ، كانت وهي وما بعدها في محل مفعول ﴿يود﴾ ، ولا جواب
٣٨٩
." (١)

"الأول : القرآن ، قال – تعالى – : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أراد بالفضل الإسلام ، وبالرحمة القرآن.
الثاني : بمعنى الإسلام ؛ قال – تعالى – : ﴿يدخل من يشآء في رحمته﴾ [الإنسان : ٣١] أي : في الإسلام [ومثله ﴿ولـاكن يدخل من يشآء في رحمته﴾ [الشورى : ٨] أي : في دين الإسلام].
الثالث : [بمعنى] : الجنة ؛ قال – تعالى – : ﴿أولـائك يئسوا من رحمتي﴾ [العنكبوت : ٢٣] أي : من جنتي.
الرابع : المطر ؛ قال – تعالى – : ﴿يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته﴾ [الأعراف : ٥٧ ، النمل : ٦٣].
الخامس : النعمة ؛ قال – تعالى – : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾.
السادس : النبوة ؛ قال – تعالى – : ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ [الزخرف : ٣٢] ، أي : النبوة.
السابع : الرزق ؛ قال – تعالى – : ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ [فاطر : ٢] : من الرزق ؛ ومثله ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغآء رحمة من ربك ترجوها﴾ [الإسراء : ٢٨] أي : رزقا.
فصل اعلم : أن ظاهر هذا الاستثناء يوهم أن ذلك القليل وقع لا بفضل الله ولا برحمته ، وذلك محال.
قوله : " إلا قليلا " ذكر المفسرون فيها عشرة أوجه : الأول : قال بعضهم : إنه مستثنى من فاعل " اتبعتم " أي : لاتبعتم الشيطان إلا قليلا منكم ، فإنه لم يتبع الشيطان ، على تقدير كون فضل الله لم يأته ، ويكون أراد بفضل الله الإسلام وإرسال محمد صلى الله عليه وسلم ، ويكون قوله : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان﴾ كلام تام ، [وذلك القليل ؛ كقس بن ساعدة الإيادي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وجماعة سواهم ممن كان على دين المسيح قبل بعثة الرسول].
وقال أبو مسلم : المراج بفضل الله ورحمته في هذه الآية : هو نصرته ومعونته اللذان تمناهما المنافقون ؛

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٤٧٤

بقولهم : ﴿فأفوز فوزا عظيما﴾ [النساء : ٧٣] بين – تعالى – أنضه لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع ، لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين إلا قليلا منكم ، وهم أهل البصائر النافذة ، والنيات القوية ، والعزائم المتمكنة من أفاضل

٥٢٤

المؤمنين ، الذين يعلمون أنه ليس من شرط كونه حقا هو الدولة في الدنيا ، فلأجل تواتر الفتح والظفر في الدنيا يدل على كونه حقا ؛ ولأجل تواتر الهزيمة والانكسار يدل على كونه باطلا ، بل ا لأمر في كونه حقا وباطلا على الدليل ، وهو أحسن الوجوه.

[وقيل : المراد من من لم يبلغ التكليف ، وعلى ذها التأويل قيل : فالاستثناء منقطع ؛ لأن المستثنى لم يدخل تحت الخطاب ، وفيه نظر يظهر في الوجه العاشر.

الثاني : أنه مستثنى من فاعل"أذاعوا " أي : أظهروا أمر الأمن أو الخوف إلا قليلا فأخرج بعض النافقين من هذه الاذاعة.

الثالث : أنه مستثنى من فاعل " علمه " أي : لعلمه المستنبطون منهم إلا قليلا].

قال الفراء والمبرد : [وأما] القول بأنه مستثنى من فاعل " أذاعوا " أولى من هذا ؛ لأن ما يعلم بالاستنباط ؛ فالأقل يعلمه والأكثر يجهله ، وصرف الاستثناء إلى المستنبطين يقتضي ضد ذلك.

قال الزجاج : هذا غلط ؛ لأنه ليس المراد من هذا الاستثناء شيئا يستخرجه بنظر دقيق وفكر غمض ، إنما هو استنباط خبر ، وإذا كان كذلك فالأكثرون يعرفونه إنما البالغ في البلادة والجهالة هو الذي لا يعرفه ، ويمكن أن يقال : كلام الزجاج إنما يصح لو حملنا الاستنباط على مجرد تعرف الأخبار والأراجيف ، [أما] إذا حملناه على الاستنباط في جميع الأحكام ، كان الحق ما ذكره الفراء والمبرد.

الرابع : أنه مستثنى من فاعل " لوجدوا " أي : لوجدوا فيما هو من عند غير الله التناقض إلا قليلا منهم ، وهو من لم يمعن النظر ، فيظن الباطل حقا والمتناقض موافقا.

الخامس : أنه مستثنى من الضمير المجرور في " عليكم " ، وتأويله كتأويل الوجه الأول.

السادس : أنه مستثنى من فاعل " يستنبطونه " ، وتأويله كتأويل الوجه الثالث.

السابع : أنه مستثنى من المصدر الدال عليه الفعل ، والتقدير : لاتبعتم الشيطان إلا اتباعا قليلا ؛ ذكر ذلك الزمخشري.

الثامن : أنه مستثنى من المتبع فيه ، والتقدير : لاتبعتم الشيطان كلكم إلا قليلا من الأمور كنتم لا تتبعون

الشيطان فيها ، فالمعنى : لاتبعتم الشيطان في كل شيء إلا في قليل

٥٢٥

" (١).

"لما ذكر فضائح اليهود وقبح أفعالهم ، وأنهم قصدوا قتل عيسى عليه الصلاة والسلام ، وأنه لم يحصل لهم ذلك المقصود ، وأن عيسى – عليه السلام – حصل له أعظم المناصب ، بين أن هؤلاء اليهود الذين بالغوا في عداوته ، لا يخرج أحد منهم من الدنيا إلا بعد أن يؤمن به ، فقال : ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ ، " إن " هنا نافية بمعنى " ما " ، و " من أهل " يجوز فيه وجهان : أحدهما : أنه صفة لمبتدأ محذوف ، والخبر الجملة القسمية المحذوفة وجوابها ، والتقدير : وما أحد من أهل الكتاب إلا والله ليؤمنن به ، فهو كقوله : ﴿وما منآ إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات : ١٦٤] ، أي : ما أحد منا ، وكقوله : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم : ٧١] أي : ما أحد منكم إلا واردها ، هذا هو الظاهر.

والثاني – وبه قال الزمخشري وأبو البقاء – : أنه في محل الخبر ، قال الزمخشري : " وجملة " ليؤمنن به " جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف ، تقديره : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ، ونحوه : ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ، والمعنى : " وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن " ، قال أبو حيان : " وهو غلط فاحش ؛ إذ زعم أن " ليؤمنن به " جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره ، وصفة " أحد " المحذوف إنما الجار والمجرور ؛ كما قدرناه ، وأما قوله : " ليؤمنن به " ، فليست صفة لموصوف ، ولا هي جملة قسمية ، إنما هي جملة جواب القسم ، والقسم محذوف ، والقسم وجوابه خبر للمبتدأ ، إذ لا ينتظم من " أحد " ، والمجرور إسناد ؛ لأنه لا يفيد ، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها ، فذلك هو محط الفائدة ، وكذلك أيضا الخبر هو ﴿إلا له مقام﴾ ، وكذلك " إلا واردها " ؛ إذ لا ينتظم مما قبل " إلا " تركيب

١١٧

إسنادي ".

[قال شهاب الدين] وهذا – كما ترى – قد أساء العبارة في حق الزمخشري ؛ بما زعم أنه غلط ، وهو صحيح مستقيم ، وليت شعري كيف لا ينتظم الإسناد من " أحد " الموصوف بالجملة التي بعده ، ومن الجار قبله ؟ ونظيره أن تقول : " ما في الدار رجل إلا صالح " فكما أن " في الدار " خبر مقدم ، و "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٥٤٦

رجل " مبتدأ مؤخر ، و " إلا صالح " صفته ، وهو كلام مفيد مستقيم ، فكذلك هذا ، غاية ما في الباب أن " إلا " دخلت على الصفة ؛ لتفيد الحصر ، وأما رده عليه حيث قال : جملة قسمية ، وإنما هي جواب القسم ، فلا يحتاج إلى الاعتذار عنه ، ويكفيه مثل هذه الاعتراضات.

واللام في " ليؤمنن " جواب قسم محذوف ، كما تقدم.

وقال أبو البقاء : " ليؤمنن جواب قسم محذوف ، وقيل : أكد بها في غير القسم ؛ كما جاء في النفي والاستفهام " ، فقوله : " وقيل...

إلى آخره " إنما يستقيم ذلك ، إذا أعدنا الخلاف إلى نون التوكيد ؛ لأن نون التوكيد قد عهد التأكيد بها في الاستفهام باطراد ، وفي النفي على خلاف فيه ، وأما التأكيد بلام الابتداء في النفي والاستفهام ، فلم يعهد ألبتة ، وقال أيضا قبل ذلك : وما من أهل الكتاب أحد ، وقيل : المحذوف " من " وقد مر نظيره ، إلا أن تقدير " من " هنا بعيد ، لأن الاستثناء يكون بعد تمام الاسم ، و " من " الموصولة والموصوفة غير تامة " ، يعني أن بعضهم جعل ذلك المحذوف لفظ " من " ، فيقدر : وإن من أهل من إلا ليؤمنن ، فجعل موضع " أحد " لفظ " من " ، وقوله : " وقد مر نظيره " ، يعني قوله تعالى : ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ [آل عمران : ١٩٩] ومعنى التنظير فيه أنه قد صرح بلفظ " من " المقدرة ههنا.

وقرأ أبي : " ليؤمنن به قبل موتهم " بضم النون الأولى مراعاة لمعنى " أحد " المحذوف ، وهو وإن كان لفظه مفردا ، فمعناه جمع ، والضمير في " به " لعيسى - عليه السلام - ، وقيل : لله تعالى ، وقيل : لمحمد - عليه السلام - ، وفي " موته " لعيسى ، ويروى في التفسير ؛ أنه حين ينزل إلى الأرض يؤمن به كل أحد ، حتى تصير الملة كلها إسلامية وهو قول قتادة ، وابن زيد وغيرهما ، وهو اختيار الطبري.

وقيل : يعود على " أحد " المقدر ، أي : لا يموت كتابي حتى يؤمن بعيسى قبل موته عند المعاينة حين لا ينفعه.

ونقل عن ابن عباس ذلك ، فقال له عكرمة ، أفرأيت إن خر بيت أو احترق أو أكله سبع ؟ قال : لا يموت حتى يحرك بها شفتيه ، أي : بالإيمان بعيسى.

١١٨

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٦٦٤

"والطيبون معاقد الأزر

١٢٢

على جواز القطع ، فرق هذا القائل بأن البيت لا عطف فيه ؛ لأنها قطعت " النازلين " فنصبته ، و " الطيبون " فرفعته عن قولها " قومي " ، وهذا الفرق لا أثر له ؛ لأنه في غير هذا البيت ثبت القطع مع حرف العطف ، أنشد سيبويه : [المتقارب] ١٩٠٢ - ويأوي إلى نسوة عطل

وشعثا مراضيع مثل السعالي

فنصب " شعثا " وهو معطوف.

الثاني : أن يكون معطوفا على الضمير في " منهم " ، أي : لكن الراسخون في العلم منهم ، ومن المقيمين الصلاة.

الثالث : أن يكون معطوفا على الكاف في " إليك " ، أي : يؤمنون بما أنزل إليك ، وإلى المقيمين الصلاة ، وهم الأنبياء.

الرابع : أن يكون معطوفا على " ما " في " بما أنزل " ، أي : يؤمنون بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وبالمقيمين ، ويعزى هذا للكسائي ، واختلفت عبارة هؤلاء في " المقيمين " ، فقيل : هم الملائكة ، قال مكي : ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم إقامة الصلاة ؛ كقوله : ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء : ٢٠] ، وقيل : هم الأنبياء ، وقيل : هم المسلمون ، ويكون على حذف مضاف ، أي : وبدين المقيمين : الخامس : أن يكون معطوفا على الكاف في " قبلك " أي : ومن قبل المقيمين ، ويعني بهم الأنبياء أيضا.

السادس : أن يكون معطوفا على نفس الظرف ، ويكون على حذف مضاف ، أي : ومن قبل المقيمين ، فحذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، فهذا نهاية القول في تخريج هذه القراءة.

وقد زعم قوم أنها لحن ، ونقلوا عن عائشة وأبان بن عثمان أنها خطأ من جهة غلط كاتب المصحف.

قالوا : وحكي عن عائشة وأبان بن عثمان ؛ أنه من غلط الكاتب ، وهذا يعني أن يكتب : " والمقيمون الصلاة " ، وكذلك في سورة " المائدة " : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾ [المائدة : ٦٩] ، وقوله : ﴿إن هاذان لساحران﴾ [طه : ٦٣] ، قالوا : هذا خطأ من الكاتب.

وقال عثمان : " إن في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها " فقيل له : إلا

١٢٣

تغيره ، فقال : دعوه ؛ فإنه لا يحل حراما ، ولا يحرم حلالا.
١٢٤
وقالوا : وأيضا فهي في مصحف ابن مسعود بالواو فقط نقله الفراء ، وفي مصحف
١٢٥
أبي كذلك وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي ، وهذا لا يصح عن عائشة ولا أبان ، وما أحسن قول الزمخشري رحمه الله : " ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف ، وربما التفت إليه من لم ينظر في ا‌ل‌كتاب ، ومن لم يعرف
١٢٨
." (١)

"أحدها : أنه حال من فاعل " اتل " أي : اتل ذلك حال كونك ملتبسا بالحق أي : بالصدق ، وموافقا لما في التوراة والإنجيل.

والثاني : أنه حال من مفعوله وهي " نبأ " ، أي : اتل نبأهما ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين لتثبت عليهم الحجة برسالتك.

الثالث : أنه صفة لمصدر " اتل " ، أي : اتل ذلك تلاوة ملتبسة بالحق والصد كافة.

والزمخشري به بدأ ، وعلى الأوجه الثلاثة ف " الباء " للمصاحبة وهي متعلقة بمحذوف.

وقرأ أبو عمرو بتسكين الميم من " آدم " قبل باء " بالحق " ، وكذا كل ميم قبلها متحرك ، وبعدها باء ، ومعنى الكلام : واتل عليهم نبأ ابني آدم بالغرض [الصحيح] ، وهو تقبيح الحسد ، والبغي وقيل : ليعتبرو به لا ليحملوه على اللعب ، كالأقاصيص التي ل‍ا فائدة فيها ، وهذا يدل على أن المقصود من ذكر القصص العبرة لا مجرد الحكاية ، لقوله تعالى : ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف : ١١١].

قوله تعالى : ﴿إذ قربا [قربانا]﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : وبه بدأ الزمخشري ، وأبو البقاء : أن يكون متعلقا بنفس النبأ ، أي : قصتهما ، وحديثهما في ذلك الوقت ، وهذا واضح.

والثاني : أنه بدل من " نبأ " على حذف مضاف ، تقديره : " واتل " عليهم النبأ ذلك الوقت ، كذا قدره الزمخشري.

قال أبو حيان : " ولا يجوز ما ذكر ؛ لأن " إذ " لا يضاف إليها إلا الزمان و " نبأ " ليس بزمان.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٦٦٧

الثالث : ذكره أبو البقاء [أنه حال من " نبأ " [وعلى هذا فيتعلق بمحذوف ، لكن هذا الوجه غير واضح.
قال أبو البقاء :] ولا يجوز أن يكون ظرفا لـ " اتل " ؛ قلت : لأن الفعل مستقبل ، و " إذ " وقت ماض ، فكيف يتلاقيان ؟ و " القربان " فيه احتمالان :

٢٨٥

أحدهما : وبه قال الزمخشري : " أنه اسم لما يتقرب به ، كما أن الحلوان اسم ما يحلى أو يعطى ".
يقال : " قرب صدقة وتقرب بها " ؛ لأن " تقرب " مطواع " قرب ".
قال الأصمعي : [تقربوا] " قرف القمع " فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى : قرب ، أي : فيكون قوله : ﴿إذ قربا قربانا﴾ يطلب مطاوعا له ، والتقدير إذ قرباه ، فتقربا به وفيه بعد.
قال أبو حيان : " وليس تقرب بصدقة مطاوع " قرب صدقة " لاتحاد فاعل الفعلين ، والمطاوعة يختلف فيها الفاعل يكون من أحدهما فعل ، ومن الآخر انفعال ، نحو : كسرته فانكسر ، وفلقته فانفلق ، فليس قرب صدقة ، وتقرب بها , من هذا الباب ، فهو **غلط** فاحش ".
قال شهاب الدين : وفيما قاله الشيخ نظر ؛ لأنا نسلم هذه القاعدة.
والاحتمال الثاني : أن يكون في الأصل مصدرا ، ثم أطلق على الشيء المتقرب به ، كقولهم " نسج اليمن " ، و " ضرب الأمير ".
ويؤيد ذلك أنه لم يثن ، والموضع موضع تثنية ؛ لأن كلا من قابيل وهابيل له قربان يخصه ، فالأصل : إذ قربا قربانين ولأنه لم يثن [لأنه مصدر في الأصل ، وللقائل بأنه اسم ما يتقرب به لا مصدر أن يقول : إنما لم يثن] ؛ لأن المعنى - كما قاله أبو علي الفارسي - : إذ قرب كل واحد منهما قربانا ، كقوله تعالى : ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ [النور : ٤] أي : كل واحد منهم.
قال ابن الخطيب : جمعها في الفعل ، وأفرد الاسم ليستدل بفعلهما على أن لكل واحد منهما قربانا.
وقيل : إن القربان اسم جنس فهو يصلح للواحد والعدد.
وقوله تعالى : ﴿فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر﴾.
قال أكثر المفسرين : كان علامة القبول أن تأكله النار ، وقال مجاهد : علامة الرد أن تأكله النار.

٢٨٦

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٧٤٣

"في بلد ليس بها أنيس

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٤٢

فأتى بـ " أنت " ، وهو ضمير رفع نسقا على الياء في " ليتني " ، وهل يجري غير العطف من التوابع مجراه في ذلك ؟ فذهب الفراء ويونس إلى جواز ذلك ، وجعلا منه قوله تعالى : ﴿قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب﴾ [سبأ : ٤٨] فرفع " علام " عندهما على النعت لـ

٤٤٤

" ربي " على المحل ، وحكوا " إنهم أجمعون ذاهبون " ، وغلط سيبويه من قال من العرب : " إنهم أجمعون ذاهبون " ، وأخذ الناس عليه في ذلك من حيث إنه غلط أهل اللسان ، وهم الواضعون أو المتلقون من الواضع ، وأجيب بأنهم بالنسبة إلى عامة العرب غالطون ، وفي الجملة : فالناس قد ردوا هذا المذهب ، أعني : جواز الرفع عطفا على محل اسم " إن " مطلقا ، أعني قبل الخبر وبعده ، خفي إعراب الاسم أو ظهر ، ونقل بعضهم الإجماع على جواز الرفع على المحل بعد الخبر ، وليس بشيء ، وفي الجملة : ففي المسألة أربعة مذاهب : مذهب المحققين : المنع مطلقا ، مذهب بعضهم : التفصيل قبل الخبر ؛ فيمتنع ، وبعده ؛ فيجوز ، ومذهب الفراء : إن خفي إعراب الاسم ، جاز ذلك ؛ لزوال الكراهية اللفظية ، وحكي من كلامهم : " إنك وزيد ذاهبان " ، الرابع : مذهب الكسائي : وهو الجواز مطلقا ؛ ويستدل بظاهر قوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ الآية ، وبقول ضابىء البرجمي : [الطويل] ٢٠١٤ - فمن يك أمسى بالمدينة رحله

فإني وقيار بها لغريب

وبقوله : [البسيط] ٢٠١٥ - يا ليتنا وهما نخلو بمنزلة

حتى يرى بعضنا بعضا ونأتلف

وبقوله : [الوافر] ٢٠١٦ - وإلا○○ فاعلموا أنا وأنتم

....

وبقوله : [الرجز]

٢٠١٧ - يا ليتني وأنت يا لميس

وبقولهم : " إنك وزيد ذاهبان " ، وكل هذه تصلح أن تكون دليلا للكسائي والفراء معا ، وينبغي أن يورد الكسائي دليلا على جواز ذلك مع ظهور إعراب الاسم ؛ نحو : " إن زيدا وعمرو قائمان " ، ورد الزمخشري

الرفع على المحل ؛ فقال : " فإن قلت : هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل " إن " واسمها ، قلت : لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر ، لا تقول : " إن زيدا وعمرو منطلقان " ، فإن قلت : لم لا يصح والنية به التأخير ، وكأنك قلت : إن زيدا منطلق وعمرو ؟ قلت : لأني إذا رفعته رفعته على محل " إن " واسمها ، والعامل في محلهما هو الابتداء ، فيجب أن يكون هو العامل في الخبر ؛ لأن الابتداء
٤٤٥
" (١).

"الثالث : أنه متعلق بالاستقرار المقدر قبل قوله : " فجزاء " ؛ إذ التقدير : فعليه جزاء ليذوق.

الرابع : أنه متعلق بـ " صيام " ، أي : صومه ليذوق.

الخامس : أنه متعلق بـ " طعام " ، أي : طعام ليذوق ، ذكر هذه الأوجه الثلاثة أبو البقاء ، وهي ضعيفة جدا ، وأجودها الأول.

السادس : أنها تتعلق بـ " عدل ذلك " ، نقله أبو حيان عن بعض المعربين ، قال : " **غلط** ".

والوبال : سوء العاقبة وما يخاف ضرره ، قال الراغب : والوابل : المطر الثقيل القطر ، ولمراعاة الثقل ، قيل للأمر الذي يخاف ضرره : وبال ، قال تعالى : ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ [الحشر : ١٥] ، ويقال : " طعام وبيل " ، و " كلأ وبيل " يخاف وباله ؛ قال تعالى : ﴿فأخذناه أخذا وبيلا﴾ [المزمل : ١٦] ، وقال غيره : " والوبال في اللغة ؛ ثقل الشيء في المكروه ، يقال : " مرعى وبيل " ، إذا كان يستوخم ، و " ماء وبيل " إذا كان لا يستمرأ ، واستوبلت الأرض : كرهتها خوفا من وبالها ".

والذوق هنا استعارة بليغة.

وإنما سمى الله تعالى ذلك وبالا ؛ لأنه خيره بين ثلاثة أشياء ، اثنان منها توجب تنقيص المال ، وهو ثقيل على الطبع ، وهما الجزاء بالمثل والإطعام ، والثالث يوجب إيلام البدن وهو الصوم ، وذلك أيضا يثقل على الطبع ، وذلك حتى يحترز عن قتل الصيد في الحرم ، وفي حال الإحرام.

قوله : ﴿عفا الله عما سلف﴾ يعني : قبل التحريم ، ونزول الآية وقال السدي : عما سلف في الجاهلية.

وقيل : هذا إبدال على قول من لا يوجب الجزاء ، إلا في المرة الأولى ، أما في المرة الثانية : فإنه لا يوجب الجزاء عليه ، ويقول : إنه أعظم من أن يكفره التصدق بالجزاء ، فعلى هذا المراد عفا الله عما سلف في المرة الأولى بسبب أداء الجزاء ، ومن عاد إليه مرة ثانية ، فلا كفارة لجرمه ، بل الله ينتقم منه ، وحجة

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٨٣٩

هذا القول : أن " الفاء " في قوله : ﴿فينتقم الله منه﴾ فاء الجزاء ، والجزاء هو الكافي ، فهذا يقتضي أن هذا الانتقام كما في هذا الذنب ، وكونه كافيا يمنع من وجوب شيء آخر ، فلا يجب عليه الجزاء.

٥٢٨

". (١)

"لكنه خفف ".

ثم ذكر تصريف الكلمة إلى آخره ، وقال أبو البقاء : " وقال الأخفش والفراء : أصل الكلمة " شيئ " مثل " هين " ، ثم خفف بالحذف " ، وذكر التصريف إلى آخره ، فهؤلاء نقلوا مذهبهما شيئا واحدا ، والحق ما ذكرته عنهما ؛ ويدل على ما قلته ما قاله الواحدي ؛ فإنه قال : " وذهب الفراء في هذ الحرف مذهب الأخفش " ، غير أنه خلط حين ادعى أنها كهين ولين حين جمعا على أهوناء وأليناء ، وهين تخفيف " هين " ؛ فلذلك جاز معه على أفعلاء ، وشيء ليس مخففا من " شيئ " حتى يجمع على أفعلاء ، وهذان المذهبان – أعني مذهب الفراء والأخفش – وإن سلما من منع الصرف بغير علة ، فقد ردهما الناس ، قال الزجاج : " وهذا القول **غلط** ؛ لأن " شيئا " فعل ، وفعل لا يجمع على أفعلاء ، فأما هين ولين ، فأصله : هيين وليين ، فجمع على أفعلاء ، كما يجمع فعيل على أفعلاء ؛ مثل : نصيب وأنصباء " قال شهاب الدين : وهذا غريب جدا ، أعني كونه جعل أن أصل " هين " " هيين " بزنة فعيل ، وكذا لين وليين ، ولذلك صرح بتشبيههما بنصيب ، والناس يقولون : إن هينا أصله هيون ، كميت أصله ميوت ، ثم أعل الإعلال المعروف ، وأصل لين : ليين بياءين ، الأولى ساكنة والثانية مكسورة ، فأدغمت الأولى ، والاشتقاق يساعدهم ؛ فإن الهين من هان يهون ، ولأنهم حين جمعوه على أفعلاء أظهروا الواو ، فقالوا : أهوناء.

وقال الزجاج : " إن المازني ناظر الأخفش في هذه المسألة ، فقال له : كيف تصغر أشياء ؟ قال : أقول فيها أشياء.

فقال المازني : لو كانت أفعالا ، لردت في التصغير إلى واحدها ، وقيل : شييئات ، مثل شعيعات ، وإجماع البصريين أن تصغير " أصدقاء " إن كان لمؤنث " صديقات " ، وإن كان لمذكر : " صديقون " فانقطع الأخفش " ، وبسط هذا أن الجمع المكسر ، إذا صغر : فإما أن يكون من جموع القلة ، وهي أربع على الصحيح : أفعلة وأفعل وأفعال وفعلة ، فيصغر على لفظه ، وإن كان من جموع الكثرة فلا يصغر على لفظه على الصحيح ، وإن ورد منه شيء ، عد شاذا ک " أصيلان " تصغير " أصلان " جمع " أصيل

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٩٠١

" ، بل يرد إلى واحده ؛ فإن كان من غير العقلاء ، صغر وجمع بالألف والتاء ، فتقول في تصغير حمر جمع حمار : " حميرات " ، وإن كان من العقلاء صغر وجمع بالواو والنون ، فتقول في تصغير " رجال " : " رجيلون " ، وإن كان اسم جمع ك " قوم " و " رهط " أو اسم جنس ، ك " قمر " و " شجر " صغر على لفظه كسائر المفردات ، رجعنا إلى " أشياء " ، فتصغيرهم لها على لفظها يدل على أنها اسم جمع ؛ لأن اسم الجمع يصغر على لفظه ، نحو : " رهيط " و " قويم " ، وليس بجمع تكسير ؛ إذ هي من جموع الكثرة ، ولم ترد إلى واحدها ، وهذا لازم للأخفش ؛ لأنه بصري ، والبصري لا بد وأن يفعل ذلك ، وأصيلان عنده شاذ ، فلا يقاس عليه ، وفي عبارة مكي قال : " وأيضا فإنه

٥٤٤

". (١)

"دون المعنوي ، يدل على ذلك مسألة " سراويل " في لغة من يمنعه ؛ فإن فيه تأويلين : أحدهما : أنه مفرد أعجمي ، حمل على موازنه في العربية ، أي صيغة مصابيح مثلا ؛ ويدل له أيضا أنهم أجروا ألف الإلحاق المقصورة مجرى ألف التأنيث المقصورة ، ولكن مع العلمية ، فاعتبروا مجرد الصورة.

المذهب الخامس : أن وزنها " أفعلاء " أيضا جمعا ل " شيىء " بزنة " ظريف " ، وفعيل يجمع على أفعلاء ، ك " نصيب وأنصباء " ، و " صديق وأصدقاء " ، ثم حذفت الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة ، وفتحت الياء ؛ لتسلم ألف الجمع ؛ فصارت أشياء ، ووزنها بعد الحذف أفعاء ، وجعله مكي في التصريف كتصريف [مذهب] الأخفش ؛ من حيث إنه تبدل الهمزة ياء ، ثم تحذف إحدى الياءين ، قال - رحمه الله - : " وحسن الحذف في الجمع حذفها في الواحد ، وإنما حذفت من الواحد ؛ تخفيفا لكثرة الاستعمال ؛ إذ " شيء " يقع على كل مسمى من عرض ، أو جوهر ، أو جسم ، فلم ينصرف لهمزة التأنيث في الجمع " ، قال : " وهذا قول حسن جار في الجمع ، وترك الصرف على القياس ، لولا أن التصغير يعترضه ، كما اعترض الأخفش ".

قال شهاب الدين : قوله " هذا قول حسن " ، فيه نظر ؛ لكثرة ما يرد عليه ، وهو ظاهر مما تقدم ، ولما ذكر أبو حيان هذا المذهب ، قال في تصريفه : " ثم حذفت الهمزة الأولى ، وفتحت ياء المد ؛ لكون ما بعدها ألفا " ، قال : " وزنها في هذا القول إلى " أفياء " ، وفي القول قبله إلى " أفلاء " ، كذا رأيته " أفياء " ، بالياء ، وهذا **غلط** فاحش ، ثم إني جوزت أن يكون هذا غلطا عليه من الكاتب ، وإنما كانت " أفعاء

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٩١٢

" بالعين ، فصحفها الكاتب إلى " أفياء " ، وقد رد الناس هذا القول : بأن أصل شيء : " شييء " بزنة " صديق " دعوى من غير دليل ، وبأنه كان ينبغي ألا يصغر على لفظه ، بل يرد إلى مفرده ؛ كما تقدم تحريره.

وقد تلخص القول في " أشياء " : أنها هل هي اسم جمع ، وأصلها " شيئاء " ؛ كطرفاء ، ثم قلبت لامها قبل فائها ، فصار وزنها " لفعاء " أو جمع صريح ؟ وإذا قيل بأنها جمع صريح ، فهل أصلها " أفعلاء " ثم تحذف ، فتصير إلى " أفعاء " أو " أفلاء " ، أو أن وزنها " أفعال " ؛ كأبيات.

قوله تعالى : " إن تبد " شرط ، وجوابه " تسؤكم " ، وهذه الجملة الشرطية في محل جر صفة لـ " أشياء " ، وكذا الشرطية المعطوفة أيضا ، وقرأ ابن عباس : " إن تبد لكم تسؤكم " ببناء الفعلين للفاعل ، مع كون حرف المضارعة تاء مثناة من فوق ، والفاعل ضمير " أشياء " ، وقرأ الشعبي - فيما نقله عنه أبو محمد بن عطية : " إن يبد " بفتح الياء من

٥٤٦

." (١)

"ورش ، والنحاة يستضعفون إبدال هذه الهمزة ألفا ، بل المشهور عندهم تسهيلها بين بين ، وهي الرواية المشهورة عن نافع ، لكنه قد نقل الإبدال المحض قطرب وغيره من اللغويين قال بعضهم " هذا غلط غلط عليه " ، أي : على نافع ، وسبب ذلك أنه يؤدي إلى الجمع بين ساكنين ، فإن " الياء " بعدها ساكنة.

ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي جعفر ونافع ، وغيرهما من أهل " المدينة " أنهم يسقطون الهمزة ، ويدعون أن الألف خلف منها.

قال شهاب الدين : وهذه العبارة تشعر بأن هذه الألف ليست بدلا من الهمزة ، بل جيء بها عوضا عن الهمزة الساقطة.

وقال مكي بن أبي طالب : " وقد روي عن ورش إبدال الهمزة ألفا ؛ لأن الرواية عنه أنه يمد الثانية ، والمد لا يتمكن إلا مع البدل ، وحسن جواز البدل في الهمزة وبعدها ساكن أن الأول حرف مد ولين ، فإن هذا الذي يحدث مع السكون يقوم مقام حركة يتوصل بها إلى النطق بالساكن ".

وقد تقدم شيء من هذا عند قوله : ﴿أأنذرتهم﴾ [البقرة : ٦].

ومنها : أن تنحذف الهمزة التي هي عين الكلمة ، وبها قرأ الكسائي ، وهي فاشية نظما ونثرا فمن النظم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/١٩١٤

قوله : [الرجز] ٢١٥٨ - أريت ما جاءت به أملودا

مرجلا ويلبس البرودا

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٣٣

أقائلن أحضروا الشهودا

وقال الآخر : [الطويل] ٢١٥٩ - أريتك إذ هنا عليك ألم تخف

ْ رقيبا وحولي من عدوك حضر

وأنشد الكسائي لأبي الأسود : [المتقارب] ٢١٦٠ - أريت امرأ كنت لم أبله

أتاني فقال : اتخذني خليلا

١٣٤

وزعم الفراء أن هذه اللغة لغة أكثر العرب.

قال : " في أرأيت لغتان ومعنيان : أحدهما : أن يسأل الرجل : أرأيت زيدا ، أي : أعلمت ، فهذه مهموزة.

وثانيهما : أن تقول : أرأيت بمعنى " أخبرني " ، فهاهنا تترك الهمزة إن شئت ، وهو أكثر كلام العرب بؤمئ إلى ترك الهمزة للفرق بين المعنيين ".

انتهى.

وفي كيفية حذف هذه الهمزة ثلاثة أوجه : أحدها : - وهو الظاهر - أنه استثقل الجمع بين همزتين في فعل اتصل به ضمير ، فخففه بإسقاط إحدى الهمزتين ، وكانت الثانية أولى ، لأنها حصل بها الثقل ؛ ولأن حذفها ثابت في مضارع هذا الفعل ، نحو : أرى ، ويرى ، ونرى ، وترى ، ولأن حذف الأولى يخل بالتفاهم ، إذ هي للاستفهام.

والثاني : أنه أبدل الهمزة ألفا ، كما فعل نافع في رواية ورش ، فالتقى ساكنان ، فحذف أولهما وهو الألف.

والثالث : أنه أبدلها ياء ، ثم سكنها ، ثم حذفها لالتقاء الساكنين ، قاله أبو البقاء ، وفيه بعد ، ثم قال : " وقرب ذلك فيها حذفها في مستقبل هذا الفعل " يعني في يرى وبابه ، ورجح بعضهم مذهب الكسائي بأن الهمزة قد اجترىء عليها بالحذف ، وأنشد : [الرجز]

٢١٦١ - إن لم أقاتل فالبسوني يرقعا

وأنشد لأبي الأسود : [الكامل] ٢١٦٢ - يا با المغيرة رب أمر معضل

فرجته بالمكر مني والدها

[وقولهم : " ويلمه "].

وقوله : [البسيط] ٢١٦٣ - ويلمها خلة قد سيط من دمها

فجع وولع وإخلاف وتبديل

وأنشد أيضا : [الوافر] ٢١٦٤ - ومن را مثل معدان بن سعد

إذا ما النسع طال على المطيه

أي : ومن رأى.

١٣٥

ومنها : أنه لا يدخلها تعليق ، ولا إلغاء ؛ لأنها [بمعنى] " أخبرني " لا يعلق عند الجمهور.

قال سيبويه : " وتقول : أرأيتك زيدا أبو من هو ؟ لا يحسن فيه إلا النصب في " زيد " ، الا ترى لو قلت : " أرأيت أبو من أنت ؟ " لم يحسن ؛ لأن فيه معنى أخبرني عن زيد ، وصار الاستفهام في موضع المفعول الثاني " وقد خالف سيبويه غيره من النحويين ، وقالوا : كثيرا ما تعلق " أرأيت " وفي القرآن من ذلك كثير ، واتدلوا بهذه الآية التي نحن فيها ، وبقوله : ﴿أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن﴾ [العلق : ١٣ ، ١٤] ، وبقوله :

٢١٦٥ - أريت ما جاءت به أملودا

." (١)

"وقال مجاهد : هم الفرس.

وقال ابن زيد : كل من لم يكفر ، فهو منهم ، سواء كان ملكا ، أو نبيا ، أو من الصحابة ، أو من التابعين.

قوله : ﴿أولئك الذين هدى الله﴾ " أولئك " مفعول مقدم لـ " هدى الله " ويضعف جعله مبتدأ على حذف العائد ، أي : هداهم الله كقوله : ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ [المائدة : ٥٠] برفع " حكم " [والإشارة بـ " أولئك " إلى الأنبياء المتقدم ذكرهم].

قوله : " فبهداهم أقتده " قرا الأخوان بحذف الهاء في الوصل والباقون أثبتوها وصلا ووقفا ، إلا أن ابن عامر بكسرها ، ونقل ابن ذكوان عنه وجهين : أحدهما : الكسر من غير وصل بمدة ، والباقون بسكونها.

أما في الوقف فإن القراء اتفقوا على إثباتها ساكنة واختلفوا في " ماليه " و " سلطانيه " في " الحاقة " وفي

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٠٤٣

" ماهيه " في " القارعة " بالنسبة إلى الحذف والإثبات ، واتفقوا على إثباتها في "كتابيه " و " حسابيه " فأما قراءة الأخوين ، فالهاء عندهما للسكت ، فلذلك حذفاها وصلا ؛ إذ محلها الوقف ، وأثبتاها وفقا إتباعا لرسم المصحفن وأما من أثبتها ساكنة ، فيحتمل عنده وجهين : أحدهما : هي هاء سكت ، ولكنها ثبت وصلا إجراء للوصل مجرى الوقف ، كقوله : ﴿لم يتسنه وانظر﴾ [البقرة : ٢٥٩] في أحد الأقوال كما تقدم.

والثاني : أنها ضمير المصدر سكنت وصلا إجراء للوصل مجرى الوقف ، نحو : ﴿نؤته﴾ [آل عمران : ١٤٥] ﴿فألقه﴾ [النمل : ٢٨] و ﴿أرجه﴾ [الأعراف : ١١١] ، ﴿نوله﴾ [النساء : ١١٥] ﴿ونصله﴾ [النساء : ١١٥].

واختلف في المصدر الذي تعود عليه هذه " الهاء " ، فقيل : الهدى ، أي اقتدى

٢٧٠

الهدى ، والمعنى اقتداء الهدى ، ويجوز أن يكون الهدى مفعولا لأجله ؛ أي : فبهداهم اقتد لأجل الهدى.

وقيل : الاقتداء ؛ أي : اقتد الاقتداء ، ومن إضمار المصدر قول الشاعر : [البسيط] ٢٢٣٠ - هذا سراقة للقرآن يدرسه

والمرء عند الرشا إن يلقها ذيب

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٦٩

أي : يدرس الدرس ، ولا يجوز أن يتكون " الهاء " ضمير القرآن ؛ لأن الفعل قد تعدى له ، وإنما زيدت " اللام " تقوية له ، حيث تقدم معموله ، وكذلك جعل النحاة نصب " زيدا " من " زيدا ضربته " بفعل مقدر ، خلافا للفراء.

قال ابن الأنباري : " إنها ضمير المصدر المؤكد النائب عن الفعل ، وإن الأصل : اقتد اقتد ، ثم جعل المصدر بدلا من الفعل الثاني ، ثم أضمر فاتصل بالأول ".

وأما قراءة ابن عامر فالظاهر فيها أنها ضمير ، وحركت بالكسر من غير وصل وهو الذي يسميه القراء الاختلاس تارة ، وبالصلة وهو المسمى إشباعا أخرى كمنا قرئ : ﴿أرجه﴾ [الأعراف : ١١١] ونحوه.

وإذا تقرر هذا فقول ابن مجاهد عن ابن عامر " يشم " الهاء من غير بلوغ ياء " وهذا غلط ؛ لأن هذه " الهاء " هاء وقف لا تعرب في حال من الأحوال ، أي : لا تحرك وإنما تدخل ليتبين بها حركة ما قبلها ليس بجيد لما تقرر من أنها ضمير المصدر ، وقد رد الفارسي قول ابن مجاهد بما تقدم.

والوجه الثاني : أنها هاء سكت أجريت مجرى الضمير ، كما أجريت هاء الضمير مجراها في السكون ، وهذا ليس بجيد ، ويروى قول المتنبي : [البسيط] ٢٢٣١ - واحر قلباه ممن قلبه شبم

....

بضم " الهاء " وكسرها على أنها " هاء " السكت ، شبهت بهاء الضمير فحركت ، والأحسن أن تجعل الكسر لالتقاء الساكنين لا لشبهها بالضمير ؛ لأن " هاء " الضمير لا تكسر بعد الألف ، فكيف بما يشبهها ؟ والاقتداء في الأصل طلب المواققة قاله الليث.

ويقال : قدوة وقدو وأصله من القدو وهو أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء.

٢٧١

". (١)

"و " الذي " في موضع نصب وإن لم يقدر حذف التنوين كان " مصدق " خبرا و " الذي في موضع خفض ، وهذا الذي قاله غلط فاحش ؛ لأن حذف التنوين إنما هو الإضافة اللفظية ، وإن كان اسم الفاعل في نية الانفصال ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين إنما كان في يضرورة أو ندور ؛ كقوله : [المتقارب] ٢٢٣٣ - ....

ولا ذاكر الله إلا قليلا

والنحوين كلهم يقولون في " هذا ضارب الرجل " : إن حذف التنوين للإضفاة تخفيفا ؛ ولا يقول أحد منهم في مثل هذا : إنه حذف التنوين لالتقاء الساكنين.

فصل في معنى التصديق في الآية معنى كونه " مصدقا لما قبله " من الكتب المنزلة قبله أنها [توافقنا في نفي الشرك وإثبات التوحيد].

قوله : " ولتنذر " قرأ الجنهور بتاء الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر عن عصام بياء الغيبة ، والضمير للقرآن الكريم ، وهو ظاهر أي : ينذر بمواعظه وزواجره ويجوز أن يعود على الرسول - عليه الصلاة والسلام - للعلم به.

وهذه " اللام " فيها وجهان : أحدهما : هي متعلقة بـ " أنزلنا " عطف على مقدر قدره أبو البقاء : " ليؤمنوا ولتنذر " ، وقدرها الزمخشري ، فقال : " ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب ، كمنا قيل : أنزلناه للبركات وليصدق ما تقدمه من الكتب والإنذار.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢١١٥

والثاني : أنها متعلقة بمحذوف متأخر ، أي ولتنذر أنزلناه.
قوله : " أم القرى " يجوز أن يكون من باب الحذف ، أي : أهل أم القرى ، وأن يكون من باب المجاز أطلق للحمل إلى المحل على الحال ، وإنهما أولى أعني المجاز والضمير في المسألة ثلاثة أقوال ، تقدم بيانها ، وهذا كقوله تعالى : ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف : ٨٢] وهناك وجه لا يمكن هنا ، وهو أنه يمكن أن يكون السؤال للقرية حقيقة ، ويكون ذلك معجزة للنبي ، وهنا لا يأتي ذلك وإن كانت القرية أيضا نفسها هنا تتكلم إلا أن الإنذار لا يقع لعدم فائدته.
٢٨٤
وقوله : " ومن حولها " عطف على " أهل " المحذوف ، أي : ولتنذر من حول أم القرى ، ولا يجوز أن يعطف على " أم القرى " ، إذ يلزم أن يكون معنى " ولتنذر " أهل من حولها ولا حاجة تدعو إلى ذلك ؛ لأن " من حولها " يقبلون الإنذار.
قال أبو حيان : ولم يحذف " من " ، فيعطف حول على " أم القرى " ، وإنه لا يصح من حيث المعنى ؛ لأن " حول " ظرف لا ينصرف ، فلو عطف على " أم القرى " لصار مفعولا به لعطفه على المعفول به ، وذلك لا يجوز ؛ لأن العرب لا تستعمله إلا ظرفا.
فصل في تسمية " مكة " اتفقوا على أن أم القرى " مكة " سميت بذلك ؛ قال ابن عباس : لأن الأرضين دحيت من تحتها ، فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل [النسل.
قال الأصم : سميت بذلك ؛ لأنها قبلة أهل الدنيا ، فصارت هي كالأصل] وسائر البلاد والقرى تابعة.
وأيضا من أصول عبادات أهل الدنيا الحج وهو إنما يكون في هذه البلدة ، فلهذا السبب يجتمع الخلق إليها ، كما يجتمع الأولاد إلى الأم.
وأيضا فلما كان أهل الدنيا يجتمعون هناك بسبب الحج لا جرم يحصل هناك أنواع من التجارات والمنافع ما لا يحصل في سائر البلاد ، ولا شك أن الكسب والتجارة من أصول المنافع ، فلهذا السبب سميت " مكة " بأم القرى.
وقيل : " مكة " المشرفة أول بلدة سكنت في الأرض.
قوله : " من حولها " يدخل في سائر البلدان والقرى.
قال المفسرون : المراد أهل الأرض شرقا وغربا.
قوله : " والذين يؤمنون بالآخرة " يجوز فيه وجهان : أحدهما : أنه مرفوع بالابتداء ، وخبره " يؤمنون "

ولم يتحد المبتدأ ولاخبر لتغاير متعلقيهما ، فلذلك جاز أن يقع الخبر بلفظ المبتدأ ، وإلا فيمتنع أن تقول : " الذي يقوم يقوم " ، و " الذين يؤمنون يؤمنون " ، وعلى هذا فذكر الفضلة هنا واجب ، ولم يتعرض النحويون لذلك ، ولكن تعرضوا لنظائره.

والثاني : أنه منصوب عطفا على " أم القرى " أي : لينذر الذين أمنوا ، فيكون

٢٨٥

." (١)

"فليس " الكاسب " هنا مقيدا بزمان ، و " إن " تقيد بزمان فإما أن يكون ماضيا دون " أل " فلا يعمل عند البصريين ، أو بـ " أل " أو حالا أو مستقبلا ، فعلم فيضاف على ما تقرر في النحو ".

ثم قال : وعلى تقدير تسليم أن الذي للاستمرار يعمل ، فلا يجوز العطف على محل مجروره ، بل مذهب سبيويه – رحمه الله – في " الذي " بمعنى الحال والاستقبال ألا‍‍ يجوز العطف على محل مجروره ، بل على النصب بفعل مقدر لو قلت : هذا ضارب زيد وعمرا [لم يكن نصب عمرا] على المحل [على الصحيح] وهو مذهب سيبويه ؛ لأن شرط العطف على الموضع مفقود ، وهو أن يكون للموضع محرز لا يتغير ، وهذا موضح في علم النحو.

قال شهاب الدين : وقد ذكر الزمخشري في أول الفاتحة في ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة : ٤] أنه لما لم يقصد به زمان صارت إضافته محضة ، فلذلك وقع صفة ـلمعارف فمن لازم قوله : إنه يترعف بالإضافة ألا يعمل ؛ لأن العالم في نية الانفصال عن الإضافة ، ومتى كان في نية الانفصال كان نكرة ومتى كان نكرة فلا يقع صفة للمعرفة ، وهذا حسن حيث يرد عليه بقوله : وقد تقدم تحقيق هذا في الفاتحة.

وقرأ أبو حيوة : " والشمس والقمر " جرا نسقا على اللفظ وقرا شاذا " والشمس والقمر " رفعا على الابتداء ، وكان من حقه أن يقرأ " حسبان " رفعا على الخبر ، وإنما قرأه نصبا فالخبر حينئذ محذوف ، تقديره مجعولان حسبانا ، أو مخلوقان حسبانا.

فإن قلت : لا يمكن في هذه القراءة رفع " حسبان " حتى تلزم القارئ بذلك ، لأن الشمس والقمر ليا نفس الحسبان.

فالجواب : أنهما في قراءة النصب إما مفعولان أولان ، و " حسبان " ثان ، وإما

٣١١

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢١٢٤

صاحبا حال ، و " حسبان " حال ، والمفعول الثاني هو الأول ، والحال لا بد وأن تكون صادقة على ذي الحال ، فمهما كان الجواب لكن كان لنا.

والجواب ظاهر مما تقدم.

والحسبان فيه قولان : أحدهما : انه جمعن فقيل : جمع " حساب " ك " ركاب " و " ركبان " و " شهاب " و " شهبان " ، وهذا قول أبي عبيد والأخفش وأبي الهيثم والمبرد.

وقال أبو البقاء : هو جمع " حسبانة " وهو **غلط** ؛ لأن الحسبانة : القطعة من النار ، وليس المراد ذلك قطعا.

وقيل : بل هو مصدر ك " الرجحضان " والنقصان و " الخسران " ، وأما الحساب فهو اسم لا مصدر وهذا قول ابن السكيت.

وقال الزمخشري : و " الحسبان " بالضم مصدر حسبت يعني بالفتح ، كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسبت يعني بالكسر ونظيره : الكفران والشكران.

وقيل : بل الحسبان والحسبان مصدران ، وهو ول أحمد بن يحيى ، وأنشد أبو عبيد عن أبي زيد في مجيء الحسبان مصدرا قوله : [الطويل] ٢٢٦٦ - على الله حسباني إذا النفس أشرفت

على طمع أو خاف شيئا ضميرها

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٠٧

وقال " حسبانا " على ما تقدم من المفعولية أو الحالية.

وقال ثعلب عن الأخفش : إنه منصوب على إسقاط الخافض ، والتقدير : يجريان بحسبان ؛ كقوله : ﴿لمن خلقت طينا﴾ [الإسراء : ٦١] أي : من طين.

وقوله : " ذلك " إشارة إلى ما تقدم من الفلق ، أو الجعل ، أو جميع ما تقدم من الأخبار في قوله " فالق الحب " إلى " حسبانا ".

ومعنى الآية الكريمة : جعل الشمس والقمر بحسببي معلوم لا يجوزانه حتى يتهيئان إلى أقصى منازلهما " ذلك تقدير العزيز العليم " ف " العزيز " إشارة إلى كمال قدرته ، " والعليم " إشارة إلى كمال علمه ، والمعنى : أن تقديري أجرام الأفلاك بصفاتها المخصوصة وهيئته ا المحدودة ، وحركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة في البطء والسرعة لا يمكن تحصيله إلا بقدرة كاملة متعلقة بجميع الممكنات ، وعلم نافذ في جميع المعلومات من الكليات والجزئيات ، وذلك مختص بالفاعل المختار سبحانه وتعالى.

٣١٢
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٠٧
." (١)

"وقيل الحمولة : كل ما حمل عليه من إبل وبقر وبغل وحمار.
والفرش هنا : ما اتخذ من صوفه ووبره وشعره ما يفترش ، وأنشدوا للنابعة : [الطويل] ٢٣٦٠ - وحلت بيوتي في يفاع ممنع
تخال به راعي الحمولة طائرا
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٧٤
وقال عنترة : [الكامل] ٢٣٦١ - ما راعني إلا حمولة أهلها
وسط الديار تسف حب الخمخم
قوله : ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾ يريد : ما أحلها لكم.
قالت المعتزلة : إنه - تبارك وتعالى - أمر بأكل الرزق ، ومنع من أكل الحرام ينتج أن الرزق ليس بحرام.
ثم قال - تعالى - : ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي : التخليل والتحريم من عند
٤٧٥
أنفسكم ، كما فعله أهل الجاهلية ، أي : لا تسلكوا طرائق الشيطان وأبان " أنه لكم عدو مبين " أيك بين العداوة أخرج آدم من الجنة ، وقوله : ﴿لأحتنكن ذريته إلا قليلا﴾ [الإسراء : ٦٢].
قال الزجاج : في خطوات الشيطان ثلاثة أوجه : ضم الطاء ، وفتحها ، وإسكانها.
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٧٤
قوله تعالى : ﴿ثمانية أزواج﴾ في نصبه ستة أوجه : أحسنها : أن يكون بدلا من " حملوة وفرشا لولا ما نقله الزجاج من الإجماع المتقدم ، ولكن ليس فيه أن ذلك محصول في الإبل ، والقول بالبدل هو قول الزجاج والفراء.
والثاني : أنه منصوب بـ "كلوا " الذي قبله أي : كلوا ثمانية أزواج ، ويكن قوله - تعالى - : ﴿ولا تتبعوا﴾ إلى آخره كالمعترض بين الفعل ومنصوبه ، وهو قول علي بن سليمان وقدره : كلوا لحم ثمانية.
وقال أبو البقاء - رحمها لله - : هو منصوب بـ "كلوا " تقديره : كلوا مما رزقكم الله ثمانية أزواج ، "

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢١٣٨

ولا تسرفوا " معترض بينهما.
قال شهاب الدين : صوابه أن يقولك " ولا تتبعوا " بدل " ولا تسرفوا " ؛ لأن كلوا – الذي يليه " ولا تسرفوا " – ليس منصبا على هذا ؛ لأنه بعيد منه ، ولأن بعده ما هو أولى منه بالعمل ، ويحتمل أن يكون الناسخ **غلط** عليه ، وإنما قال هو : " ولا تتبعوا " ؛ ويدل على ذلك أنه قال : " تقديره : كلوا مما رزقكم الله " و " كلوا " الأول ليس بعده " مما رزقكم " ، إنما هو بعد الثاني.
الثالث : أنه عطف على " جنات " أي : أنشا ثمانية أزواج ، ثم حذف الفعل وحرف العطف ؛ وهو مذهب الكسائي.
قال أبو البقاء : " وهو ضعيف ".
٤٧٦
قال شهاب الدين : الأمر كذلك وقد سمع ذلك في كلامهم نثرا ونظما : ففي النثر قوله : " أكلت لحما سمكا تمرا " وفي نظمهم قول الشاعر : [الخفيف] ٢٣٦٢ – كيف أصبحت كيف أمسيت مما يزرع الود في فؤاد الكريم
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٧٦
". (١)

"فإن قيل : قوله – تعالى – : ﴿أو يأتي ربك﴾ لا يمكن حمله على إثبات أثر من آثار قدرته ؛ لأن على هذا التقدير يصير هذا عين قوله : ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ مكرا ؛ فوجب حمله على أن المراد منه : إتيان الرب.
قلنا : الجواب المعتمد : أن هذا حكاية مذهب الكفار ؛ فلا يكون حجة.
وقيل : يأتي ربك بلا كيف ؛ لفصل القضاء يوم القيامة ؛ لقوله – سبحانه وتعالى – : ﴿وجآء ربك والملك صفا صفا﴾ [الفجر : ٢٢].
وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : " يأتي أمر ربك فيهم بالقتل أو غيره " ، وقيل : يأتي ربك بالعذاب.
وقيل : هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.
" أو يأتي بعض آيات ربك " : وهو المعجزات القاهرة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٢٣٨

قوله : ﴿يوم يأتي بعض آي ات ربك﴾.

الجمهور على نصب " يوم " ، وناصبه [ما] بعد " لا " ، وهذا على أحد الأقوال الثلاثة في " لا " وهي أنها يتقدم معمول ما بعدها عليها مطلقا ، ولا يتقدم مطلقا ، ويفصل في الثالث : بين أن يكون جواب قسم ، فيمتنع ؛ أو لا ، فيجوز.

وقرأ زهير الفرقبي : " يوم " بالرفع ، وهو مبتدأ ، وخبره الجملة بعده ، والعائد منها إليه محذوف ، أي : لا تنفع فيه.

وقرأ الجمهور " ينفع " بالياء من تحت ، وقرأ ابن سيرين : " تنفع " بالتاء من فوق.

قال أبو حاتم : " ذكروا أنه غلط ".

قال شهاب الدين : لأن الفعل مسند لمذكر ، وجوابه : أنه لما اكتسب بالإضافة التأنيث ، أجري عليه حكمه ؛ كقوله : [الطويل] ٢٣٩١ - وتشرق بالقول الذي قد أذعته

كما شرقت ص◌در القناة من الدم

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٢٥

وقد تقدم تحقيق هذا أول السورة ؛ وأنشد سيبويه : [الطويل] ٢٣٩٢ - مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مضر الرياح النواسم

وقيل : لأن الإيمان بمعنى : العقيدة ؛ فهو كقولهم : " أتته كتابي فاحتقرها " أي : صحيفتي ، ورسالتي.

٥٢٦

قال النحاس : " في هذا شيء دقيق ذكره سيبويه : وذلك أن الإيمان ، والنفس كل مشتمل على الآخر ، فأنث الإيمان ، إذ هو من النفس وبها " وأنشد سيبويه : [الطويل] ٢٣٩٣ - مشين كما اهتزت...

....

وقال الزمخشري : " في هذه القراءة ، يكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه ؛ كقوله : ذهبت بعض أصابعه ".

قال أبو حيان : " وهو غلط ؛ لأن الإيمان لي س بعضا من النفس ".

قال شهاب الدين : وقد تقدم آنفا ما يشهد لصحة هذه العبارة من كلام النحاس ، في قوله عن سيبويه : " وذلك أن الإيمان والنفس كل منهما مشتمل على الآخر ، فأنث الإيمان ، إذ هو من النفس وبها " فلا فرق بين هاتين العبارتين ، أي : لا فرق بين أن يقول : هو منها وبها ، أو هو بعضها ، والمراد في العبارتين

: المجاز.
فصل أجمعوا على أن المقصود بهذه الآية : علامة القيامة ، عن البرءا بن عازب رضي الله عنه قال : " كنا نتذكر الساعة [إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما تتذاكرون ؟ قلنا : نتذاكر الساعة] ؟ قال : إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات : الدخان ، ودابة الأرض ، وخسفا بالمشرق ، وخسفا بالمغرب ، وخسفا بجزيرة العرب ، والدجال ، وطلوع الشمس من مغربها ، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى – عليه السلام – ، ونار تخرج من عدن ".
وروى أبو هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ؛ فإذا طلعت ورآها الناس ، آمنوا أجمعين ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ".
٥٢٧
." (١)

"وقال – عليه أفضل الصلاة والسلام – وأتم حكاية عن الله – تبارك وتعالى سبحانه – : " إذا هم عبءدي بحسنة ، فاكتبوها وإن لم يعلملها ، فإن عملها ، فعشر أمثالهان وإن هم بسيئة ، فلا تكتبوها ، فإن عملها ، فسيئة واحدة.
وروى أبو هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا أحسن أحدكم إسلامه ، فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ، وكل سيئة يعملها ، تكتب بمثلها ، حتى يلقى الله – عز وجل – ".
ثم قال – تبارك وتعالى – : ﴿وهم لا يظلمون﴾.
أي : لا ينتقص من ثواب طاعتهم ، ولا يزاد علي عقاب سيئاتهم ، وهاهنا سؤالان : السؤال الأول : كفر ساعة كيف يوجب عقاب الأبد عل نهاية التغليظ فما وجه المماثلة ؟ فالجواب : أن الكافر كان على عزم أنه لو عاش أبدا لبقي على ذلك الاعتقاد فلما كان ذلك العزم مؤبدا عوقب بعقاب الأبد ؛ بخلاف المسلم المذنب ؛ فإنه يكون على عزم الإقلاع من ذلك الذنب ، فلا جرم كانت عقوبته منقطعة.
السؤال الثاني : اعتاق الرقبة الواجة تارة جعلها بدلا عن صيام ستين يوما في كفارة الظهار ، والجماع في نهار رضمان ، وتارة جعلها بدلا من صيام ثلاثة أيام ، فدل على أن المساواة غير معتبرة ؟ .

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٢٧٠

وجوابه : أن المساواة إنما تحصل بوضع الشرع وحكمه.

السؤال الثالث : إذا أوضح الإنسان موضحتين ، وجب فيها أرشان فإن رفع

٥٣٤

الحاجز بينهما ، صار الواجب أرش موضحة واحدة ؛ فههنا ازدادت الجناية وقل العقاب ، فالمساواة غير معتبرة.

وجوابه أن ذلك من قصد الشرع وتحكماته. السؤال الرابع : أنه يجب في مقابلة تفويت أكثر كل واحد من الأعضاء دية كاملة ثم إذا قلته وفوت كل الأعضاء وجب دية واحدة ، وذلك يمنع القول من رعاية المماثلة.

وجوابه : أن ذلك من باب تحكمات الشريعة.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٣١

لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم دلائل التوحيدن والرد على القائلين بالشركاء والأضداد ، وبالغ في تقرير إثبات القضاء والقدر ، ورد على أهل الجاهلية في أباطيلهم أمره – عليه الصلاة والسلام – أن يختم الكلام بقوله : " قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم " ، وذلك يدل على أن الهداية لا تحصل إلا بالله – تباك وتعالى سبحانه – .

وقال القرطبي – رحمه الله تعالى – : " لما بين أن الكفار تفرقوا ، بين أنه – تعالى – هداه إلى الصراط المستقيم ، وهو ملة إبراهيم – عليه الصلاة وأتم التسليم ".

قوله : " دنيا " : نصبه من أوجه : أحدها : من نصب على الحال ، قال قطرب وقيل : إنه مصدر على المعنى ، أي : هداني هداية دين قيم ، أو على إضمار : " عرفني دينا " أو الزموا دينا.

وقال أبوا لبقاء – رحمه الله عليه – : إنه مفعول ثان لـ " هداني " وهو **غلط** ؛ لأن المفعول الثاني هنا هو المجرور بـ " إلى " فاكتفي به.

وقال مكي – رحمه الله تعالى عليه – : " إنه منصوب على البدل من محل إلى صراط مستقيم ".

وقيل : بـ " هداني " مقدرة لدلالة " هداني " الأول عليها وهو كالذي قبله في المعنى.

قوله : " قيما " قرأ الكوفيون ، وابن عامر : بكسر القاف وفتح الياء خفيفة ، والباقون بفتحها ، وكسر الياء مشددة ، ومعناه : القويم المستقيم ، وتقدم توجيه إحدى القراءتين في النساء والمائدة.

٥٣٥

قال الزمخشري – رحمه الله عليه – : القيم : " فيعل " من " قام "كسيد من ساد ، وهو أبلغ من القائم.
وأما قراءة أهل الكوفة فقال الزجاج – رحمه الله عليه – : هو مصدر بمعنى : القيام ، كالصغر والكبر والجوع والشبع ، والتويل : دينا ذا قيم ، ووصف الدين بهذا المصدر مبالغة.
قوله تعالى : " ملة " بدلا من " دينا " أو منصوب بإضمار أعني ، و " حنيفا " قد ذكر في البقرة والنساء.
والمعنى : هداني وعرفني ملة إبراهيم حال كونها موصوفة بالحنيفية ، ثم وصف إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – بقوله : " وما كان من المشركين " والمقصود منه : الرد على المشركين.
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٣٥
." (١)

"هذه الآية تدل على أن أهل القيامة فريقان ، منهم من يزيد حسناته على سيئاته ، ومنهم من يزيد سيئاته على حسناته ، فأما القسم الثالث ، وهو الذين تكون حسناته وسيئاته متعادلة فإنه غير موجود.
قال أكثر المفسرين : المراد بـ ﴿من خفت موازينه﴾ الكافر لقوله تعالى : ﴿فأولائك الذين خسروا اا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ ، ولا معنى لكون النسان ظالما بآيات الله إلا كونه كافرا بها منكرا لها ، وهذا هو الكافر.
وروي أنه إذا خفت حسنات المؤمن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح ، فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم : " بأبي أنت وأمي ، ما أحسن وجهك وأحسن خلقك فمن أنت ؟ فيقول : " أنا نبيك محمد ، وهذه صلواتك التي كنت تصليها علي ، وقد وفيتك أحوج ما تكون إليها " رواه الواحدي في " البسيط ".
والخبر الذي تقدم أيضا من أنه تعالى يلقي في كفه الحسنات الكتاب المشتمل علشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأما قول ابن عباس ، وأكثر المفسرين حملوا هذه الآية على أهل الكفر.
وقال أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – حين حضره الموت لعمر بن الخطاب في وصيته : إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا ، وثقله عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا ، وخفته عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا.
قوله : " بما كانوا " متعلق بـ " خسروا " ، و " ما " مصدرية ، و " بآياتنا " متعلق بـ " يظلمون " قدم عليه

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٢٧٤

للفاصلة.
وتعدى " يظلمون " بالباء : إما لتضمنه معنى التكذيب نحو : ﴿كذبوا بأياتنا﴾ وإما لتضمنه معنى الجحد نحو ﴿وجحدوا بها﴾ [النمل : ١٤].
٢٤
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٤
لما أمر الخلق بمتابعة الأنبياء ، ثم خوفهم بعذاب الدنيا وهو قوله : ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ ، وبعذاب الآخرة وهو السؤال ووزن الأعمال رغبهم في دعوة الأنبياء في هذه الآية بطريق آخر ، وهو أن ذكر كثرة نعم الله عليهم ، وكثرة النعيم توجب الطاعة فقال : ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ أي : جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا ومكناكم ، والمراد بالتمكين التمليك والقوة والقدرة.
قوله " وجعلنا لكم " يجوز أن يكون " جعل " بمعنى " خلق " فيتعدى لواحد فيتعلق الجاران بـ " معايش " ، والثأني أحد الجارين ، والآخر : إما حال متعلقة بمحذوف ، وإما متعلقة بنفس الجعل وهو الظاهر.
و " معايش " جمع معيشة ، وفيها ثلاثة مذاهب : مذهب سيبويه والخليل : أن وزنها مفعلة بضم العين ، أو مفعلة بكسرها ، فعلى الأول جعلت الضمة كسرة ، ونقلت إلى فاء الكلمة.
وقياس قول الأخفش في هذا النحو أن يغير الحرف لا الحركة ، فـ " معيشة " عنده شاذة إذ كان ينبغي أن يقال فيها معوشة.
وأما على قولنا إن أصلها " معيشة " بكسر العين فلا شذوذ فيها ومذهب الفراء : أن وزنها مفعلة بفتح العين ، وليس بشيء.
والمعيشة اسم لما يعاش به أي : يحيا وقال الزجاج : المعيشة ما يتوصلون به إلى العيش وهي في الأصل مصدر لـ " عاش " يعيش عيشا ، وعيشة قال تعالى : ﴿فهو في عيشة راضية﴾ [الحاقة : ٢١] ، ومعاشا : قال تعالى : ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ [النبأ : ١١] ، ومعيشا قال رؤبة : [الرجز] ٢٤٠٦ - إليك أشكوا شدة المعيش
وجهد أعوام نتفن ريشي
والعامة على " معايش " بصريح الياء.
وقد خرج خارجة فروى عن نافع " معائش " بالهمز ، وقال النحويون : هذا **غلط** ؛ لأنه لا يهمز عندهم إلا ما كان فيه حرف المد زائدا نحو : صحائف ومدائن ، وأما " معايش " فالياء أصل ؛ لأنها من " العيش

."

٢٥

." (١)

"قال الفارسي – عن أبي عثمان – : " أصل أخذ هذه القراءة عن نافع " قال : " ولم يكن يدري ما العربية ".

قال شهاب الدين : وقد فعلت العرب مثل هذا ، فهمزوا " منائر ومصائب " جمع " منارة ومصيبة " والأصل " مناور ، ومصاوب " وقد **غلط** سيبويه من قال مصائب ، ويعني بذلك أنه غلطه بالنسبة إلى مخالفة الجادة ، وهذا كما تقدم عنه أنه قال : " واعلم أن بعضهم ي**غلط** فيقول : إنهم أجمعون ذاهبون " [قال] ومنهم من يأتي بها على الأصل فيقول : مصاوب ومناور ، وهذا كما قالوا في جمع " مقال " و " مقام " : " مقاول " و " مقاوم " في رجوعهم بالعين إلى أصلها قال : وأنشد النحويون على ذلك : [الطويل]

٢٤٠٧ – وإني لقوام مقاوم لم يكن

جرير ولا مولى جرير يقومها

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٥

ووجه همزه، أنهم شبهوا الاصلي بالزائد فتوهموا أن " معيشة " بزنة " صحيفة " فهمزوها كما همزا " تيك " قالوا : ونظير ذلك في تشبيههم الأصل بالزائد قولهم في جميع " مسيل " " مسلان " ، توهموه على أنه على زنة " قضيب وقضبان " وقالوا في جمعه " أمسلة " كأنهم توهموا أنه بزنة " رغيف ، وأرغفة " وإنما مسيل وزنه " مفعل " ؛ لأنه من سيلان الماء ، وأنشدوا على " مسيل ، وأمسلة " قول أبي ذؤيب الهذلي : [الوافر] ٢٤٠٨ – بواد لا أنيس به يباب

وأمسلة مذانبها خليف

وقال الزجاج : جميع نحاة البصرة يزعمون أن همزها خطأ ، ولا أعلم لها وجها إلا التشبيه بـ " صحيفة " و " صحائف " ، ولا ينبغي التعويل على هذه القراءة.

قال شهاب الدين : وهذه القراءة لم ينفرد بها نافع بل قرأها جماعة جل◌◌ة معه ؛ فإنها منقولة عن ابن عامر الذي قرأ على جماعة من الصحابة كـ " عثمان " و " أبي الدرداء " و " معاوية " ، وقد يبق ذلك في " الأنعام " ، فقد قرأ بها قبل ظهور اللحن ، وهو عربي فصيح وقرأ بها أيضا زيد بن علي ، وهو على جانب

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٢٩٠

من الفصاحة والعلم الذي لا يدانيه فيه إلا القليل ، وقرأ بها أيضا الأعمش والأعرج وكفى بهما في الإتقان والضبط.

وقد نقل الفراء أن قلب هذه الياء تشبيها لها بياء " صحيفة " قد جاء ، وإن كان قليلا.

وقوله : ﴿قليلا ما تشكرون﴾ كقوله : ﴿قليلا ما تذكرون﴾.

٢٦

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٥

لما ذكر كثرة نعم الله على العبد أتبعه بذكر أنه خلف أبانا [آدم] وجعله مسجود الملائكة ، والإنعام على الأب يجري مجرى الإنعام على الابن.

واختلف الناس في " ثم " في هذين الموضعين : فمنهم من لم يلتزم [فيها] ترتيبا ، وجعلها بمنزلة " الواو " فإن خلقنا وتصويرنا بعد قوله تعالى للملائكة " اسجدوا ".

ومنهم من قال : هي للترتيب لا في الزمان بل للترتيب في الإخبار ولا طائل في هذا.

ومنهم من قال : هي للترتيب الزماني ، وهذا هو موضوعها الأصلي.

ومنهم من قال : الأولى للترتيب الزماني والثانية للترتيب الإخباري.

واختلف عبارة القائلين بأنها للترتيب في الموضعين فقال بعضهم : أن ذلك على حذف مضافين ، والتقدير : ولقد خلقنا آباءكم ثم صورنا آباءكم ثم قلنا ، ويعني بأبينا آدم - عليه الصلاة والسلام - وإنما خاطبه بصيغة الجمع وهو واحد تعظيما له ، ولأنه أصل الجميع ، والترتيب أيضا واضح.

وقال مجاهد : المعنى خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم حين أخذنا عليكم الميثاق.

رواه عنه أبو جريج وابن أبي نجيح.

قال النحاس : وهذا أحسن الأقوال يذهب مجاهد إلى أنه خلقهم في ظهر آدم ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق ، ثم كان السجود [بعد ذلك] ويقوي هذا قوله تعالى : ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم﴾ [الأعراف : ١٧٢].

وفي الحديث أنه أخرجهم أمثال الذر ، فأخذ عليهم الميثاق.

وقال بعضهم : المخاطب بنو آدم ، والمراد بهم أبوهم وهذا من باب الخطاب لشخص ، والمراد به غيره كقوله : ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون﴾ [البقرة : ٤٩] ، وإنما المنجى والذي كان يسام سوء العذاب أسلافهم.

وهذا مستيض في لسانهم.

وأنشدوا على ذلك : [الطويل] ٢٤٠٩ - إذا افتخرت يوما تميم بقوسها

وزادت على ما وطدت من مناقب

٧٢

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم

عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٧

." (١)

"قوله : ﴿فتولى عنهم﴾.

قيل : إنه تولى عنهم بعد موتهم لقوله تعالى : ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى ﴾ و " الفاء " تقتضي التعقيب.

وقيل : تولى عنهم قبل موتهم لقوله : ﴿وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ فدل ذلك على كونهم أحياء من ثلاثة أوجه : [الأول] : قوله لهم " يا قوم " ، والأموات لا يوصفون بالقوم ، لاشتقاق لفظ القوم من القيام ، وهو مفقود في حق الميت.

والثاني : أن هذه الكلمات خطاب معهم ، وخطاب الميت لا يجوز.

والثالث : قوله : ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ يقتضي كونهم بحيث تصح حصول المحبة فيهم.

ويمكن الجواب : بأنه قد يقول الرجل لصاحبه الميت ، وقد كان نصحه فلم يقبل النصيحة ، حتى ألقى نفسه في الهلاك : يا أخي منذ كم نصحتك فلم تقبل ، وكمن منعتك فلم تمتنع ، فكذا هاهنا.

وفائدته : إما لأن يسمعه الحي فيعتبر به ، وينزجر عن مثل تلك الطريقة ، وإما لإحراق قلبه بسبب تلك الواقعة ، فإذا ذكر ذلك الكلام فرجت تلك القضية من قلبه.

وذكروا جوابا آخر ، وهو أن صالحا - عليه السلام - خاطبهم بعد كونهم " جاثمين " ، كما خاطب نبينا - عليه الصلاة والسلام - قتلى " بدر ".

فقيل : تتكلم مع هؤلاء الجيف ؟ فقال : " ما أنتم بأسمع منهم ، ولكن لا يقدرون على الجواب " وقيل : في الآية تقديم وتأخير ، تقديره : فتولى عنهم وقال : يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ، فأخذتهم الرجفة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٢٩١

جزء : ٩ رقم الصفحة : ١٩٧

قوله تعالى : ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ القصة.

في نصب " لوطا " وجهان : أحدهما : أنه منصوب بـ " أرسلنا " الأول ، و " إذ " ظرف الإرسال.

والثاني : أنه منصوب بإضمار " اذكر " ، وفي العامل في الظرف حينئذ وجهان : أحدهما – وهو قول الزمخشري أنه بدل من " لوطا " قال : " بمعنى : واذكر وقت إذ قال لقومه " وهذا على تسليم تصرف " إذ ".

٢٠٢

والثاني : أن العامل فيها مقدر تقديره : " واذكر رسالة لوط إذ قال " فـ " إذ " مصوبة بـ " رسالة ".

قاله أبو البقاء ، والبدل حينئذ بدل اشتمال.

وصرف نوح ولوط لخفته ، فإنه ساكن الوسط ، مركب من ثلاثة أحرف.

، لطت الحوض إذا ملسته بالطين ، وهذا **غلط** ؛ لأن الأسماء الأعجمية لا تشتق كإسحاق ، فلا يقال : إنه من السحق وهو البعد ؛ وإنما صرف لخفته ؛ لأنه على ثلاثة أحرف ساكن الوسط ، فأما لطت الحوض ، وهذا أليط فصحيح ، ولكن الاسم أعجمي كإبراهيم وإسحاق.

وهو : لوط بن هاران بن تارخ ابن أخير إبراهيم ، كان في أرض بابل مع عمه إبراهيم ، ، فهاجر إلى الشام ، فنزل إبراهيم إلى فلسطين ، وأنزل لوطا الأردن ، فأرسله الله عز وجل إلى أهل سدوم.

قوله : " أتأتون الفاحشة " أتفعلون السيئة المتناهية في القبح ، وذكرها باسم الفاحشة ليبين أنها زنا لقوله تعالى : ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة﴾ [الإسراء : ٣٢].

﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ في هذه الجملة وجهان : أحدهما : أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، وعلى الاستئناف يحتمل أن تكون جوابا لسؤال وألا تكون جوابا.

٢٠٣

قال الزمخشري : " فإن قلت : ما موقع هذه الجملة " ؟ قلت : لا محل لها لأنها مستأنفة ، أنكر عليهم أولا بقوله : " أتأتون الفاحشة " ثم وبخهم عليها فقال : أنتم أول من عملها.

أو تكون جوابا لسؤال مقدر ، كأنهم قالوا : لم لا تأتيها ؟ فقال : " ما سبقكم بها أحد ؛ فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به " وعلى هذا فتكون صفة للفاحشة ، كقوله تعالى : ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ [يس : ٣٧] وقال الشاعر : [الكامل] ٢٥١١ – ولقد أمر على اللئيم يسبني

....

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٠٢

". (١)

"المشهور المتواتر ، ولا التفات إلى من أنكر بعضها ولا لمن أنكر على روايها.

وضبط ذلك أن يقال : ثلاث مع الهمز وثلاث مع عدمه.

فأما الثلاث التي مع الهمزة فأولها قراءة ابن كثير ، وهشام عن ابن عامر : أرجئهو بهمزة ساكنة ، وهاء متصلة بواو.

والثانية : قراءة أبي عمرو : أرجئه كما تقدم إلا أنه لم يصلها بواو.

الثالثة : قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر : أرجئه بهمزة ساكنة وهاء مكسورة من غير صفة.

وأما الثلاث التي بلا همة فأولها : قراءة الأخوين : " أرجه " بكسر الجيم وسكون الهاء وصلا ووقفا.

الثانية : قراءة الكسائي ، وورش عن نافع : " أرجهي " بهاء متصلة بياء.

الثالثة : قراءة قالون بهاء مكسورة دون ياء.

فأما ضم الهاء وكسرها فقد عرف مما تقدم.

وأما الهمز وعدمه فلغتان مشهورتان يقال : أرجأته وأرجيته أي : أخرته ، وقد قرئ قوله تعالى : ﴿ترجي من تشآء﴾ [الأحزاب : ٥١] بالهمز وعدمه ، وهذا كقولم : توضأت وتوضيت ، وهل هما مادتان أصليتان أم المبدل فرع الهمز ؟ احتمالان.

وقد طعن قوم على قراءة ابن ذكوان فقال الفارسي : " ضم الهاء مع الهمزة لا يجوز [غيره] ، ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر غلط ".

وقال ابن مجاهد : " وهذا لا يجوز ؛ لأن الهاء لا تكسر إلا بعد كسرة أو ياء ساكنة ".

وقال الحوفي : " ومن القراء من يكسر مع الهمز وليس بجيد ".

وقال أبو البقاء : " ويقرأ بكسر الهاء مع الهمز وهو ضعيف ؛ لأن الهمزة حرف صحيح ساكن ، فليس قبل الهاء ما يقتضي الكسر ".

وقد اعتذر الناس عن هذه القراءة على سبيل التنازل بوجهين : أحدهما : أن الهمزة ساكنة والساكن حاجز غير حصين ، وله شواهد [مذكورة في موضعها] ، فكأن الهاء وليست الجيم المكسورة فلذلك كسرت.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٣٨٢

٢٥٣
[الثاني : أن الهمزة كثيرا ما يطرأ عيلها التغيير وهي هنا في معرض أن تبدل ياء ساكنة لسكونها بعد كسره فكأنها وليت ياء ساكنة فلذلك كسرت].

وقد اعترض أبو شامة على هذين الجوابين بثلاثة أوجه : الأول : أن الهمز حاجز معتد به بإجماع في ﴿أنبئهم﴾ [البقرة : ٣٣] ، ﴿ونبئهم﴾ [القمر : ٢٨] والحكم واحد في ضمير الجمع والمفرد فيما يرجع إلى الكسر والضم.

الثالث : أن الهمز لو قلب ياء لكان الوجه المختار ضم الهاء مع صريح الياء نظرا إلى أن أصلها همزة ، فما الظن بمن يكسر الهاء مع صريح الهمزة ، وسيأتي تحقيق ذلك في باب وقف حمزة وهشام ، فضم الهاء مع الهمزة هو الوجه.

وقد استضعف أبو البقاء قراءة ابن كثير وهشام فإنه قال : " وأرجئه " يقرأ بالهمزة وضم الهاء من غير إشابع وهو الجيد ، وبالإشباع وهو ضعيف ؛ لأن○○ الهاء خفية ، فكأن الواو التي بعدها تتلو الهمزة ، وهو قريب من الجمع بين الساكنين ومن هاهنا ضعف قولهم : " عليهمي مال " بالإشباع.

قال شهاب الدين : " وهذا التضعيف ليس بشيء ؛ لأنها لغة ثابتة عن العرب ، أعني إشباع حركة الهاء بعد ساكن مطلقا ، وقد تقدم أن هذا أصل لابن كثير ليس مختصا بهذه اللفظة ، بل قاعدته كل هاء كناية بعد ساكن أن تشبع حركتها حتى تتولد منها حرف مد نحو : " منهو ، وعنهو ، وأرجئهو " إلا قبل ساكن فإن المد يحذف لالتقاء الساكنين إلا في موضع واحد رواه عنه البزي وهو ﴿عنه تلهى ﴾ [عبس : ١٠] بتشديد التاء ، ولذلك استضعف الزجاج قراءة الأخوين قال بعد ما أنشد قول الشاعر : [الرجز] ٢٥٣٩ -

لما رأى أن لا دعه ولا شبع

مال إلى أرطاة حقف فالطجع

"

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥٢٢

هذا شعر لا يعرف قائله ولا هو بشيء ، ولو قاله شاعر مذكور لقيل له : أخطأت ؛ لأن الشاعر يجوز أن يخطئ مذهب لا يعرج عليه ".

قال شهاب الدين : " وقد تقدم أن تسكين هاء الكناية لغة ثابتة ، وتقدم شواهدها ، فلا حاجة إلى الإعادة ".

قوله : " وأخاه " الأحسن أن يكون نسقا على الهاء في " أرجه " ويضعف نصله على المعية لإمكان النسق من غير ضعف لفظي ولا معنوي.

٢٥٤

". (١)

"قالوا : يجب حمله على أنه يوجد الحق وبكونه ، والحق ليس إلا الدين والاعتقاد ، فدل على أن العقائد الحقة لا تحصل إلا بتكوين الله ، ولا يمكن حمل تحقيق الحق على إظهار آثاره ؛ لأن ذلك الظهور حصل بفعل العباد ، فامتنع إضافة ذلك الإظهار إلى الله تعالى ، ولا يمكن أن يقال : المراد من أظهاره وضع الدلائل عليها ، لأن هذا المعنى حاصل في حق الكافر والمسلم.

وقبل هذه الواقعة وبعدها فلا يبقى لتخصيص هذه الواقعة بهذا المعنى فائدة أصلا.

قالت المعتزلة : هذه الآية تدل على أنه يريد تحقيق الباطل وإبطال الحق ألبتة ، إنما يريد تحقيق الحق ، وإبطال الباطل ، وذلك يبطل قول من يقول إنه لا باطل ولا كفر إلا والله تعالى مريد له.

وأجيبوا : بأنه ثبت في أصول الفقة أن المفرد المحلى بالألف واللام ينصرف إلى المعهود السابق فهذه الآية دلّت على أنه تعالى أراد تحقيق الحق ، وإبطال الباطل في الصورة ، فلم قلتم إن الأمر كذلك في جميع الصور ؟ وقد بينا أيضا بالدليل أن هذه الآية تدل على صحة قولنا.

ثم قال تعالى : ﴿ولو كره المجرمون﴾ أي : المشركون.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٤٥٨

قوله : ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ الآية.

في " إذ " خمسة أوجه : أحدها : أنه منصوب بـ " اذكر " مضمرا ، ولذلك سماه الحوفي مستأنفا ، أي : إنه منقطع عما قبله.

والثاني : أنه منصوب بـ " يحق " أي : يحق الحق وقت استغاثتكم ، وهو قول ابن جرير وهو **غلط** ؛ لأن " ليحق " ، مستقبل ؛ لأنه منصوب بإضمار " أن " و " إذ " ظرف لما مضى ، فكيف يعمل المستقبل في الماضي ؟ .

الثالث : أنه بدل من " إذ " الأولى ، قاله الزمخشري ، وابن عطية ، وأبو البقاء وكانوا قد قدموا أن العامل في " إذ " الأولى " اذكر " مقدرا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢٤٠٦

الرابع : أنه منصوب بـ " يعدكم " قاله الحوفي ، وقبله الطبري.

الخامس : أنه منصوب بقوله " تودون " قاله أبو البقاء ، وفيه بعد لطول الفصل.

واستاث : يتعدى بنفسه ، وبالباء ، ولم يجىء في القرآن إلا متعديا بنفسه ، حتى نقم ابن مالك على النحويين قولهم : المستغاث له ، أو به ، والمستغاث من أجله ، وقد أنشدوا على تعديه بالحرف قول الشاعر : [البسيط]

٤٥٩

٢٦٧٤ - حتى استغاثت بماء لا رشاء له

من الأباطح في حافاته البرك

مكلل بأصول النجم تنسجه

ريح خريق لضاحي مائه حبك

كما استغاث بسيء فز غيطلة

خاف العيون ولم ينظر به الحشك

فدل هذا على أنه يتعدى بالحرف كما استعمله سيبويه وغيره.

فصل الاستغاثة : طلب الغوث ، وهو النصر والعون ، وقيل : الاستغاثة : سد الخلة وقت الحاجة ، وقيل : هي الاستجارة ، ويقال : غوث ، وغواث ، والغيث من المطر ، والغوث من النصرة ، فعلى هذا يكون " استغاث " مشتركا بينهما ، ولكن الفرق بينهما في الفعل ، فيقال : استغثته فأغاثني من الغوث ، وغاثني من الغيث ، وفي هذه الاستغاثة قولان : الأول : أن هذه الاستغاثة كانت من الرسول - عليه الصلاة والسلام - .

قال ابن عباس : حدثني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : " لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين ، وهم ألف وإلى أصحابه ، وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ، واستقبل القبلة ، ومد يده ، فجعل يهتف بربه : " اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض " فلم يزل كذلك حتضى سقط رداؤه عن منكبه ، ورده أبو بكر ثم التزمه ، ثم قال : كفاك يا نبي الله مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك " ؛ فأنزل الله الآية ، ولما اصطف القوم قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره.

الثاني : أن هذه الاستغاثة كانت من جماعة المؤمنين ؛ لأن الوجه الذي لأجله أقدم الرسول على الاستغاثة

كان حاصلا فيهم ، بل خوفهم كان أشد من خوف الرسول ، ويمكن الجمع بينهما بأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا وتضرع ، والمؤمنون كانوا يؤمنون على دعائه.

٤٦٠

". (١)

"الناصب لـ " إذ " يجوز أن يكون مضمرا ، أي : اذكر ، ويجوز أن يكون " عليم " ، وفيه بعد من حيث تقييد هذه الصفة بهذا الوقت ، ويجوز أن تكون " إذ " هذه بدلا من " إذ " قبلها ، والإراءة هنا حلمية.

واختلف فيها النحاة : هل تتعدى في الأصل لواحد كالبصرية ، أو لاثنين ، كالظنية ؟ .

فالجمهور على الأول.

فإذا دخلت همزة النقل أكسبتها ثانيا ، أو ثالثا على حسب القولين فعلى الأول تكون الكاف مفعولا أول ، و " هم " مفعول ثان ، و " قليلا " حال ، وعلى الثاني يكون " قليلا " نصبا على المفعول الثالث ، وهذا يبطل بجواز حذف الثالث في هذا الباب اقتصارا ، أي : من غير دليل تقول : أراني الله زيدا في منامي ، ورأيتك في النوم ، ولو كانت تتعدى لثلاثة ، لما حذف اقتصارا ؛ لأنه خبر في الأصل.

فصل المعنى : إذ يريك الله◌ يا محمد المشركين في منامك ، أي : نومك.

قال مجاهد : أرى الله النبي - عليه الصلاة والسلام - كفار قريش في منامه قليلا ، فأخبر بذلك أصحابه ، فقالوا : رؤيا النبي حق ، القوم قليل ، فصار ذلك سببا لقوة قلوبهم.

فإن قيل : رؤية الكثيرة قليلا **غلط** ، فكيف يجوز من الله تعالى أن يفعل ذلك ؟ .

فالجواب : أن الله تعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ولعله تعالى أراه البعض دون البعض فحكم الرسول - عليه الصلاة والسلام - على أولئك الذين رآهم بأنهم قليلون.

وقال الحسن : هذه الإراءة اكنت في اليقظة ، قال : والمراد من المنام : العين ؛ لانها موضع النوم.

﴿ولو أراكهم كثيرا لفشلتم﴾ لجبنتم " ولتنازعتم " اختلفتم " في الأمر " أي : في الإحجام والإقدام ﴿ولاكن الله سلم﴾ أي : سلمكم من المخالفة والفشل.

وقيل : سلمهم من الهزيمة يوم بدر.

﴿إنه عليم بذات الصدور﴾.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٥١٣

قال ابن عباس : عليم بما في صدوركم من الحب لله تعالى وقيل : يعلم ما في صدوركم من الجراءة ، والجبن والصبر والجزع.

قوله تعالى : ﴿إذ يريكهم﴾ الإراءة – هنا – بصرية ، والإتيان هنا بصلة ميم الجمع واجب ، لاتصالها بضمير ، ولا يجوز التسكين ، ولا الضم من غير واو ، وقد جوز

٥٣١

يونس ذلك فيقول : " أنتم ضربتمه " بتسكين الميم وضمها ، وقد يتقوى بما روي عن عثمان – رضي الله عنه – : " أراهمني الباطل شيطانا " وفي هذا الكلام شذوذ من وجه آخر ، وهو تقديم الضمير غير الأخص على الأخص مع الاتصال.

فصل قال مقاتل – رضي الله عنه – " إن النبي صلى الله عليه وسلم ، رأى في المنام أن العدد قليل قبل لقاء العدو ، وأخبر أصحابه بما رأى ، فلم التقوا ببدر قلل الله المشركين في أعين المؤمنين " قال ابن مسعود : " لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي : أتراهم سبعين ؟ قال أراهم مائة ، فأسرنا رجلا منهم فقلنا له : كم كنتم ؟ قال : ألفا ".

" ويقللكم " يا معشر المؤمنين " في أعينهم ".

قال السدي : " قال ناس من المشركين إن العير قد انصرفت ، فارجعوا ، فقال أبو جهل : الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه ؟ فلا ترجعوا ، حتى تستأصلوهم ، إنما محمد وأصحابه أكلة جزور ، فلا تقتلوهم واربطوهم بالحبال " ، والحكمة في تقليل عدد المشركين في أعين المؤمنين : تصديق رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولتقوى قلوبهم ، وتزداد جراءتهم على المشركين ، والحكمة في تقليل عدد المؤمنين في أعين المشركين : لئلا يبالغوا في الاستعداد والتأهب والحذر ، فيصير ذلك سببا لاستيلاء المؤمنين عليهم.

ثم قال : ﴿ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾.

فإن قيل : ذكرث هذا يفهم من الآية المتقدمة ، فكان ذكره – ههنا – محض التكرار.

فالجواب : أن المقصود من ذكره في الآية المتقدمة ، هو أنه تعالى فعل تلك الأفعال ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرسول وههنا المقصود من ذكره ، أنه إنما فعل ذلك ، لئلا يبالغ الكفار في الاستعداد والحذر فيصير ذلك سببا لانكسارهم.

ثم قال ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ والغرض منه التنبيه على أن أحوال الدنيا غير مقصودة لذاتها ، بل المراد منها ما يصلح أن يكون زادا ليوم المعاد.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥١٦
." (١)

"قوله تعالى : ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾.

لما بين تعالى حال من لا يرقب في الله إلا ولا ذمة ، وينقض العهد ، ويتعدى ما حد له.

بين بعده أنهم إن تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزماة ، فهم : ﴿فإخوانكم في الدين﴾.

فإن قيل : المعلق على الشيء بكلمة " إن " عدم عند عدم ذلك الشيء ، فهذا يقتضي أنه متى لم توجد هذه الثلاثة ، ولا تحصل الأخوة في الدين ، وهو مشكل ؛ لأنه ربما كان فقيرا ، أو كان غنيا ، لكن قبل انقضاء الحول ، لا تلزمه الزكاة.

فالجواب : أنه قد تقدم في تفسير قوله تعالى : ﴿إن تجتنبوا كبآئر ما تنهون عنه﴾ [النساء : ٣١] أن المعلق على الشيء بكلمة " إن " لا يلزم منه عدم ذلك الشيء ، كذلك ههنا ، ومن الناس من قال : إن المعلق على الشيء بكلمة " إن " عدم عند عدم ذلك الشيء ، فها هنا قال : المؤاخاة بين المسلمين موقوفة على فعل الصلاة والزكاة جميعا ، فإن الله شرطها في إثبات المؤاخاة ، ومن لم يكن أهلا لوجوب الزكاة عليه ؛ وجب عليه أن يقر بحكمها فإذا أقر بهذا الحكم دخل في الشرط الذي به تجب الأخوة.

قوله : فإخوانكم خبر مبتدأ محذوف ، أي : فهم إخوانكم ، والجملة الاسمية في محل جزم على جواب الشرط ، وفي الدين متعلق بـ " إخوانكم " لما فيه من معنى الفعل.

فصل قال أبو حاتم " قال أهل البصرة أجمعون : الإخوة في النسب ، والإخوان في الصداقة ".

وهذا **غلط** ، يقال للأصدقاء وغير الأصدقاء إخوة ، وإخوان ، قال الله تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات : ١٠] ولم يعن النسب ، وقال تعالى : ﴿أو بيوت إخوانكم﴾ [النور : ٦١] وهذا في النسب.

قال ابن عباس : " حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة " ومعنى قوله : " فإخوانكم "

٣١

أي : فهم إخوانكم " في الدين " لهم ما لكم ، وعليهم ما عليكم ، قال ابن مسعود " أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له ".

وروى أبو هريرة قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر ، وكفر من كفر من العرب فقال عمر : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٥٤٦

يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله " فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلهم على منعه ، قال عمر : " فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق ".

قوله ﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ قال الزمخشري : وهذا اعتراض واقع بين الكلامين ، والمقصود : الحث والتحريض على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها.

قوله ﴿وإن نكثوا اا أيمانهم﴾ نقضوا عهودهم ، " الأيمان " جمع " يمين " بمعنى : الحلف.

" من بعد عهدهم " عقدهم.

يعني : مشركي قريش.

قال الأكثرون : المراد : نكثهم لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل : المراد : حمل العهد على الإسلام ، ويؤيده قراءة من قرأ " وإن نكثوا إيمانهم " بكسر الهمزة والأول أولى ، للقراءة المشهورة ؛ ولأن الآية وردت في ناقضي العهد ، وقوله : ﴿وطعنوا في دينكم﴾ أي : عابوه ، وهذا دليل على أن الذمي إذا طعن في دين الإسلام ظاهرا لا يبقى له عهد.

قوله : ﴿فقاتلوا اا أئمة الكفر﴾ أي : متى فعلوا ذلك فافعلوا هذا.

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو " أئمة " بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين ، ولا ألف بينهما.

والكوفيون وابن ذكوان عن ابن عامر بتحقيقهما ، من غير إدخال ألف بينهما ، وهشام كذلك ، إلا أنه أدخل بينهما ألفا ، هذا هو المشهور بين القراء السبعة ، وفي بعضها كلام يأتي إن شاء الله تعالى ، ونقل أبو حيان عن نافع ومن معه ، أنهم يبدلون الثانية ياء صريحة ، وأنه قد نقل عن نافع المد بينهما ، أي : بين الهمزة والياء.

فأما قراءة التحقيق ، وبين بين ، فقد ضعفها جماعة من النحويين ، كأبي علي الفارسي ، وتابعيه ، ومن القراء أيضا من ضعف التحقيق مع روايته له وقراءته به لأصحابه ، ومنهم من أنكر التسهيل بين بين ، فلم يقرأ به لأصحاب التخفيف ، وقرءوا بياء خفيفة الكسر ، نصوا على ذلك في

٣٣

." (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٥٨٦

"وثانيها : قوله : ﴿وأولائك هم المفلحون﴾ ، والمراد منه : التخلص من العقاب.

وثالثها : قوله : ﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ يحتمل أن تكون هذه الجنات كالتفسير للخيرات والفلاح ، ويحتمل أن تحمل الجنات على ثواب الآخرة ، والفلاح على منافع الدنيا ، كالغزو ، والثروة ، والقدرة ، والغلبة ، و " الفوز العظيم " عبارة عن كون تلك الحالة مرتبة رفيعه ، ودرجة عالية.

قوله تعالى : ﴿وجآء المعذرون من الأعراب﴾ الآية.

لما شرح أحوال المنافقين الذين كانوا في المدينة ، شرح في هذه الآية أحوال المنافقين من الأعراب.

قرأ الجمهور " المعذرون " بفتح العين وتشديد الذال ، وهي تحتمل وجهين : أن يكون وزنه " فعل " مضعفا ، ومعنى التضعيف فيه التكليف ، والمعنى : أنه توهم أن له عذرا ، ولا عذر له.

والثاني : أن يكون وزنه " افتعل " ، والأصل : " اعتذر " ، فأدغمت التاء في الذال بأن قلبت تاء الافتعال ذالا ، ونقلت حركتها إلى الساكن قبلها ، وهو العين ، ويدل على هذا قراءة سعيد بن جبير " المعتذرون " على الأصل ، وإليه ذهب الأخفش ، والفراء وأبو عبيد ، وأبو حاتم ، والزجاج ، وابن الأنباري ، والاعتذار قد يكون بالكذب ، كما في قوله ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم﴾ [التوبة : ٩٤] ، وكان ذلك الاعتذار فاسدا ، لقوله : " لا تعتذروا " ، وقد يكون بالصدق ، كقول لبيد : [الطويل] ٢٨٢٨ - ....

ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١٦٦

يريد : فقد جاء بعذر.

وقرأ زيد بن علي ، والضحاك ، والأعرج ، وأبو صالح ، وعيسى بن هلال ، وهي قراءة ابن عباس ومجاهد أيضا ، ويعقوب ، والكسائي " المعذرون " بسكون العين وكسر الذال مخففة من أعذر ، يعذر ك " أكرم ، يكرم " ، وهم المبالغون في العذر.

وقرأ مسلمة " المعذرون " بتشديد العين والذال ، من " تعذر " بمعنى اعتذر.

١٦٨

قال أبو حاتم : أراد " المتعذرون " والتاء لا تدغم في العين ، لبعد المخارج وهي **غلط** منه ، أو عليه.

قوله : " ليؤذن " متعلق بـ " جاء " وحذف الفاعل ، وأقيم الجار مقامه ، للعلم به ، أي : ليأذن لهم الرسول.

فصل أما قراءة التخفيف فهم الكاذبون في العذر ، وأما قراءة التشديد ، فمحتملة لأن يكونوا صادقين ، وأن يكونوا كاذبين.

قال ابن عباس " هم الذين تخلفوا بعذر بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم " وهو قول بعض المفسرين أيضا ، قال : المعذرون ، كانوا صادقين ؛ لأنه تعالى لما ذكرهم قال بعدهم ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ ، فلما ميزهم عن الكاذبين دل على أنهم ليسوا كاذبين.

وقال الضحاك : هم رهط عامر بن الطفيل جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعا عن أنفسهم ، فقالوا : يا نبي الله : إن نحن غزونا معك أغارت أعراب طيىء على حلائلنا ، وأولادنا ، ومواشينا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نبأني الله من أخباركم ، وسيغنيني الله عنكم.

وروى الواحدي عن أبي عمرو : أنه لما قيل له هذا الكلام قال : إن أقواما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم بقوله : " وجآء المعذرون " ، وتخلف آخرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراءة على الله تعالى ؛ فهم المرادون بقوله ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ ، فأوعدهم بقوله : ﴿سيصيب الذين كفروا منهم﴾ في الدنيا بالقتل ، وفي الآخرة بالنار.

وإنما قال " منهم " ؛ لأنه تعالى كان عالما بأن بعضهم سيؤمن ، فذكر بلفظة " من " الدالة على التبعيض.

وقرأ الجمهور "كذبوا " بالتخفيف ، أي : كذبوا في أيمانهم.

وقرأ الحسن في المشهور عنه وأبي ، وإسماعيل "كذبوا " بالتشديد ، أي : لم يصدقوا ما جاء به الرسول عن ربه ولا امتثلوا أمره.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١٦٦

." (١)

"فصل دلت هذه الآية على أن الزكاة تتعلق بالأموال لا بالذمة ، لقوله ﴿خذ من أموالهم﴾ فلو مات أخذت من التركة.

وقال الشافعي : إنها تتعلق بالذمة ، فلو فرط حتى هلك النصاب ، وجبت الزكاة ؛ لأن الذي هلك ما كان محلا للحق.

ودلت الآية أيضا على أن الزكاة إنما وجبت طهرة للآثام ؛ فلا تجب إلا على البالغ.

وهو قول أبي حنيفة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٦١

وإذا قلنا : تتعلق بالمال وجبت في مال الصبي ، وفي مال المديون.

فصل معنى التطهر ما روي أن الصدقة أوساخ الناس ، فإذا أخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ ؛ فكان دفعها جاريا مجرى التطهر.

والتزكية : مبالغة في التطهر ، وقيل : التزكية بمعنى الإنماء ، وقيل : الصدقة تطهرهم من نجاسة الذنب والمعصية ، والرسول يزكيهم ، ويعظم شأنهم ويثني عليهم عند إخراجها إلى الفقراء.

ولذلك يقول الساعي له : آجرك الله فيما أعطيت ، وبارك لك فيما أبقيت ، وجعله لك طهورا.

قوله : ﴿وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم﴾.

قرأ الأخوان ، وحفص " إن صلاتك " ، وفي هود ﴿أصلواتك تأمرك﴾ [هود : ٨٧] بالتوحيد - والباقون " إن صلواتك " " ، " أصلواتك " بالجمع فيهما ، وهما واضحتان ، إلا أن الصلاة هنا : الدعاء ، وفي تيك : العبادة.

قال أبو عبيد : وقراءة الإفراد أولى ؛ لأن الصلاة أكثر ، قال تعالى : ﴿وأقيموا الصلاة﴾ [البقرة : ٤٣] والصلوات جمع قلة ، تقول : ثلاث صلوات ، وخمس صلوات.

قال أبو حاتم : وهذا **غلط** ، لأن بناء الصلوات ليس للقلة ، قال تعالى : ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ [لقمان : ٢٧] ولم يرد التقليل ، وقال : ﴿وهم في الغرفات﴾ [سبأ : ٣٧] ، وقال ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ [الأحزاب : ٥٣].

والسكن : الطمأنينة.

وقال ابن عباس : رحمة لهم.

وقال أبو عبيدة : تثبيتا لقلوبهم ؛ ومن الطمأنينة قوله : [البسيط] ٢٨٤٤ - يا جارة الحي ألا كنت لي سكنا

إذ ليس بعض من الجيران أسكنني

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١٩٣

ف " فعل " بمعنى " مفعول " ، كالقبض بمعنى : المقبوض ، والمعنى : يسكنون إليها.

قال أبو البقاء : " ولذلك لم يؤنثه ".

لكن الظاهر أنه هنا بمعنى " فاعل " ، لقوله : " لهم ".

ولو كان كما قال لكان التركيب " سكن إليها " أي : مسكون إليها ، فقد ظهر أن المعنى : مسكنة لهم.

فصل قال ابن عباس : معنى الصلاة عليهم : أن يدعو لهم.
وقال آخرون : معناه أن يقول لهم اللهم صل على فلان ، ونقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن آل أبي أوفى لما أتوه بالصدقة قال : " اللهم صل على آل أبي أوفى ".
واختلفوا في وجوب الدعاء من الإمام عند أخذ الصدقة ، قال بعضهم : يجب.
وقال بعضهم : يستحب.
وقال بعضهم : يجب في صدقة الفرض ، ويستحب في التطوع.
وقيل : يجب على الإمام ، ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي.
ثم قال : ﴿والله سميع عليم﴾.
قوله تعالى : ﴿ألم يعلموا اا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ الآية.
لما قال في الآية الأولى ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ [التوبة : ١٠٢] ولم يصرح في قبول توبتهم ، صرح في هذه الآية بأنه يقبل التوبة عن عباده ، وأنه يأخذ الصدقات ، أي : يقبلها.
قال أبو مسلم قوله : " ألم يعلموا اا " وإن كان بصيغة الاستفهام ، إلا أن المقصود منه التقدير في النفس ، ومن عادة العرب في إفهام المخاطب ، وإزالة الشك عنه أن يقولوا : أما علمت أن من علمك يجب عليك خدمته ، أما علمت أن من أحسن إليك يجب عليك شكره ، فبشر الله هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم.
ثم زاده تأكيدا بقوله : ﴿هو التواب الرحيم﴾.
وقرأ الحسن بخلاف عنه " ألم تعلموا " قال أبو حيان : " وفي مصحف أبي " ألم تعلموا " بالخطاب ، وفيه احتمالات ، أحدها : أن يكون خطابا للمتخلفين الذين قالوا : ما هذه الخاصية التي اختص بها هؤلاء ؟ وأن يكون التفاتا من غير إضمار قول ، والمراد : التائبون ، وأن يكون على إضمار قول ، أي : قل لهم يا محمد : ألم تعلموا ".
قوله : " هو يقبل " " هو " مبتدأ ، و " يقبل " خبره ، والجملة خبر " ان " ، و " أن " وما في حيزها سادة مسد المفعولين ، أو مسد الأول.
ولا يجوز أن يكون " هو " فصلا ، لأن ما بعده لا يوهم الوصفية ، وقد تقدم تحرير ذلك ، قوله : " عن عباده " معلق بـ " يقبل " وإنما تعدى بـ " عن " فقيل : لأن معنى " من " ومعنى " عن " متقاربان.

قال ابن عطية : " وكثيرا ما يتوصل في موضع واحد بهذه وبهذه ، نحو : " لا
١٩٦
." (١)

"قوله تعالى : ﴿هو الذي جعل الشمس ضيآء﴾ الآية.
لما ذكر الدلائل الدالة على الإلهية ، وهي التمسك بخلق السموات والأرض ، ثم فرع عليها صحة القول بالحشر والنشر ، عاد إلى ذكر الدلائل الدالة على الإلهية ، وهي التمسك بأحوال الشمس والقمر ، وهو إشارة إلى توكيد الدليل على الحشر والنشر ؛ لأنه – تعالى – أثبت القول بالحشر والنشر بناء على أنه لا بد من إيصال الثواب إلى أهل الطاعة ، والعقاب إلى الكفار ، وأنه يجب تمييز المحسن عن المسيء.
ثم ذكر في هذه الآية أنه جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل ، ليتوصل المكلف بذلك إلى معرفة السنين والحساب ، فيرتب مهمات معاشه وزراعته وحراثته ، ويعد مهمات الشتاء والصيف ، فكأنه تعالى يقول : تمييز المحسن على المسيء ، أوجب وأولى من تعليم أحوال السنين والش◌◌هور ، فلما اقتضت الحكمة بخلق الشمس والقمر لهذا المهم الذي لا نفع له فبأن تقتضي الحكمة والرحمة تمييز المحسن عن المسيء بعد الموت ، مع أنه يقتضي النفع الأبدي والسعادة السرمدية كان أولى ، فلما كان الاستدلال بأحوال الشمس والقمر من الوجه المذكور في هذه الآية مما يدل على التوحيد من وجه ، وعلى صحة القول بالمعاد من الوجه الذي ذكرناه ، لا جرم ذكر الله تعالى هذا الدليل بعد ذكر الدليل على صحة المعاد.
قوله : " ضياء " : إما مفعول ثان على أن الجعل للتصيير ، وإما حال على أنه بمعنى الإنشاء ، والجمهور على " ضياء " بصريح الياء قبل الألف ، وأصلها واو ؛ لأنه من الضوء.
وقرأ قنبل عن ابن كثير هنا وفي الأنبياء والقصص " ضئاء " بقلب الياء همزة ، فتصير
٢٦٥
ألف بين همزتين.
وأولت على أنه مقلوب قدمت لامه وأخرت عينه ، فوقعت الياء طرفا بعد ألف زائدة فقلبت همزة على حد " رداء " وأردية ، وإن شئت قلت : لما قلبت الكلمة صارت " ضياوا " بالواو ، عادت العين إلى أصلها من الواو لعدم موجب قلبها ياء وهو الكسر لسابقها ، ثم أبدلت الواو همزة على حد "كساء ".
وقال أبو البقاء : " إنها قلبت ألفا ، ثم قلبت الألف همزة ، لئلا تجتمع ألفان " ، واستبعدت هذه القراءة

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٧٧

من حيث إن اللغة مبنية على تسهيل الهمز فكيف يتخيلون في قلب الحرف الخفيف إلى أثقل منه ؟ لا غرو في ذلك ، فقد قلبوا حروف العلة الألف والواو والياء همزة في مواضع لا تحصر إلا بعسر ، إلا أنه هنا ثقيل ؛ لاجتماع همزتين.

وأكثر الناس على تغليط هذه القراءة ؛ لأن ياء " ضياء " منقلبة عن واو ، مثل : ياء قيام ، وصيام ، فلا وجه للهمزة فيها ، قال أبو شامة : " وهذه قراءة ضعيفة ، فإن قياس اللغة الفرار من اجتماع همزتين إلى تخفيف إحداهما ، فكيف يتخيل بتقديم وتأخير يؤدي إلى اجتماع همزتين لم يكونا في الأصل ؟ هذا خلاف حكم اللغة ".

وقال أبو بكر بن مجاهد – وهو ممن قرأ على قنبل – : " قرأ ابن كثير وحده " ضئاء " بهمزتين في كل القرآن الهمزة الأولى قبل الألف ، والثانية بعدها ، كذلك قرأت على قنبل وهو **غلط** ، وكان أصحاب البزي ، وابن فليح ينكرون هذا ويقرؤون " ضياء " مثل الناس ".

قال شهاب الدين : "كثيرا ما يتجرأ أبو بكر على شيخه ويغلطه ، وسيمر بك مواضع من ذلك ، وهذا لا ينبغي أن يكون ، فإن قنبلا بالمكان الذي يمنع أن يتكلم فيه أحد ".

وقوله في جانب الشمس : " ضياء " ؛ لأن الضوء أقوى من النور ، وقد تقدم ذلك أول البقرة و " ضياء ونورا " يحتمل أن يكونا مصدرين ، وجعلا نفس الكوكبين مبالغة ، كما يقال للكريم : إنه كرم وجود ، أو على حذف مضاف أي : ذات ضياء وذا نور ، و " ضياء " يحتمل أن يكون جمع " ضوء "كسوط وسياط ، وحوض وحياض.

قوله : " منازل " نصب على ظرف المكان ، وجعله الزمخشري على حذف مضاف : إما من الأول أي : قدر مسيره ، وإما من الثاني أي : قدره ذا منازل ، فعلى التقدير الأول يكون " منازل " ظرفا كما مر ، وعلى الثاني يكون مفعولا ثانيا على تضمين " قدر " معنى صيره ذا منازل بالتقدير ، وقال أبو حيان – بعد أن ذكر التقديرين ، ولم يعزهما للزمخشري : أو قدر له منازل ، فحذف وأوصل الفعل إليه ، فانتصب بحسب هذه التقادير على الظرف أو الحال أو المفعول ، كقوله : ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ [يس : ٣٩] وقد سبقه إلى ذلك أبو البقاء.

٢٦٦

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٧١٩

"نفسى ﴾ ، أمره بأن يقول : ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ فيما آمركم به ، وأنهاكم عنه ، وهذا يدل على أنه لم يحكم قط بالاجتهاد.

وتمسك نفاة القياس بهذه الآية ؛ لأنها تدل على أنه - عليه الصلاة والسلام - ، ما حكم إلا بالنص.

ثم قال : ﴿إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ قالت المعتزلة : هذا مشروط بعدم التوبة.

قوله تعالى : ﴿قل لو شآء الله ما تلوته عليكم﴾ الآية.

لما اتهموه بأنه أتى بهذا الكتاب من عند نفسه ، احتج عليهم بهذه الآية ؛ وذلك بأنهم كانوا عالمين بأحواله ، وأنه ما طالع كتابا ، ولا تتلمذ لأستاذ ، ثم بعد أربعين سنة ، أتى بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس علم الأصول ، ودقائق علم الأحكام ، ولطائف علم الأخلاق ، وأسرار قصص الأولين ، وعجز عن معارضته العلماء ، والفصحاء ، والبلغاء ، فكل من له عقل سليم يعرف أن مثل هذا ، لا يحصل إلا بالوحي ، والإلهام من الله - تعالى - ، والمعنى : لو شاء الله ما أنزل القرآن علي.

قوله : " ولا أدراكم به " أي ولا أعلمكم الله به ، من دريت ، أي : علمت.

ويقال : دريت بكذا وأدريتك بكذا ، أي : أحطت به بطريق الدراية ، وكذلك في " علمت به " ؛ فتضمن العلم معنى الإحاطة ، فتعدى تعديتها.

وقرأ ابن كثير - بخلاف عن البزي - " ولأدراكم " ، بلام داخلة على " أدراكم " مثبتا ، والمعنى : ولأعلمكم به من غير وساطتي : إما بواسطة ملك ، أو رسول غيري من البشر ، ولكنه خصني بهذه الفضيلة ، وقراءة الجمهور " لا " فيها مؤكدة ؛ لأن المعطوف على المنفي منفي ، وليست " لا " هذه هي التي ينفى بها الفعل ؛ لأنه لا يصح نفي الفعل بها إذا وقع جوابا ، والمعطوف على الجواب جواب ، ولو قلت : " ول كان كذا لا كان كذا " لم يجز ، بل تقول " ما كان كذا " ، وقرأ ابن عباس ، والحسن ، وابن سيرين ، وأبو رجاء : " ولا أدرأكم " بهمزة ساكنة بعد الراء ، وفي هذه القراءة تخريجان : أحدهما : أنها مبدلة من ألف ، والألف منقلبة عن ياء ، لانفتاح ما قبلها وهي لغة لعقيل حكاها قطرب ، يقولون في أعطيتك : أعطأتك.

وقال أبو حاتم : " قلب الحسن الياء ألفا ، كما في لغة بني الحرث ، يقولون : علاك وإلاك ، ثم همز على لغة من قال في العالم : العألم ".

٢٨٣

وقيل : أبدلت الهمزة من نفس الياء ، نحو : لبأت بالحج ، ورثأت فلانا ، أي : لبيت ورثيت.

والثاني : أن الهمزة أصلية ، وأن اشتقاقه من الدرء وهو الدفع ، كقوله : ﴿ويدرؤا عنها العذاب﴾ [النور : ٨] ، ويقال : أدرأته ، أي : جعلته دارئا ، والمعنى : ولأجعلنكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال ، قال أبو البقاء : " وقيل هو غلط ؛ لأن قارئها ظن أنها من الدرء وهو الدفع ؛ وقيل : ليس بغلط ، والمعنى : لو شاء الله لدفعكم عن الإيمان به ".

وقرأ شهر بن حوشب ، والأعمش : " ولاأنذرتكم " من الإنذار ، وكذلك هي في مصحف عبد الله.

قوله : " فقد لبثت فيكم عمرا " أي : حينا ، وهو أربعون سنة ، " من قبله " أي : من قبل نزول القرآن ، فقيل : الضمير في " قبله " يعود على النزول ، وقيل : على القرآن ، وقيل : على وقت النزول ، و " عمرا " مشبه بظرف الزمان ، فانتصب انتصابه ، أي : مدة متطاولة ، وقيل : هو على حذف مضاف ، أي : مقدار عمر ، وقرأ الأعمش : " عمرا " بسكون الميم ، كقولهم " عضد " في " عضد ".

ثم قال : " أفلا تعقلون " أن○○ه ليس من قبلي ، قال المفسرون : لبث النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم فيهم قبل الوحي أربعين سنة ، ثم أوحي إليه ، فأقام بمكة بعد الوحي ثلاثة عشرة سنة ، ثم هاجر إلى المدينة ، فأقام بها عشر سنين ، ثم توفي ، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وروى أنس – رضي الله عنه – : أنه أقام بمكة بعد الوحي عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، وتوفي وهو ابن ستين سنة ، والأول أشهر وأظهر.

قوله تعالى : ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ الآية.

قال القرطبي : " هذا استفهام بمعنى الجحد ، أي : لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب ، وبدل وأضاف شيئا إليه مما لم ينزل " ، والمعنى : أن هذا القرآن لو لم يكن من عند الله ، لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه مني ، حيث افتريته على الله ، ولما أقمت الدليل على أنه ليس ال أمر كذلك ، بل هو وحي من الله – تعالى – ، وجب أن يقال : إنه ليس في الدنيا أحد أجهل ، ولا أظلم على نفسه منكم.

والمقصود : نفي الكذب عن نفسه.

وقوله : "...

أو كذب بآياته " فالمراد : إلحاق الوعيد الشديد بهم ؛ حيث أنكروا

٢٨٤

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٧٣١

"أحدهما : أن فرعون لما كان عظيما عندهم ، عاد الضمير عليه جمعا ، كما يقول العظيم : نحن نأمر ، وهذا فيه نظر ؛ لأنه لو ورد ذلك من كلامهم محكيا عنهم ، لاحتمل ذلك.

الثاني : أن فرعون صار اسما لأتباعه ، كما أن ثمود اسم للقبيلة كلها.

وقال مكي وجهين آخرين قريبين من هذين ، ولكنهما أخلص منهما ، قال : إنما جمع الضمير في ملئهم ؛ لأنه إخبار عن جبار ، والجبار يخبر عنه بلفظ الجمع ، وقيل : لما ذكر فرعون ، علم أن معه غيره ، فرجع الضمير عليه ، وعلى من معه.

وقد تقدم نحو من هذا عند قوله : ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس﴾ [آل عمران : ١٧٣] والمراد بالقائل الأول : نعيم بن مسعود ؛ لأنه لا يخلو من مساعد له على ذلك القول.

الرابع : أن يعود على مضاف محذوف وهو آل ، تقديره : على خوف من آل فرعون ، وملئهم ، قاله الفراء ، كما حذف في قوله : ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف : ٨٢].

قال أبو البقاء بعد أن حكى هذا ولم يعزه لأحد : " وهذا عندنا **غلط** ؛ لأن المحذوف لا يعود إليه ضمير ، إذ لو جاز ذلك ، لجاز أن يقول : " زيد قاموا " وأنت تريد : غلمان زيد قاموا ".

قال شهاب الدين : قوله : " لأن المحذوف لا يعود إليه ضمير " ممنوع ، بل إذا حذف مضاف ، فللعرب فيه مذهبان : الالتفات إليه ، وعدمه وهو الأكثر ، ويدل على ذلك : أنه قد جمع بين الأمرين في قوله : ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ [الأعراف : ٤] أي : أهل قرية ، ثم قال : ﴿أو هم قآئلون﴾ [الأعراف : ٤] وقد حققت ذلك في موضعه المشار إليه ، وقوله : " لجاز زيد قاموا " ليس نظيره ، فإن فيه حذفا من غير دليل ، بخلاف الآية.

وقال أبو حيان - بعد أن حكى كلام الفراء - : ورد عليه : بأن الخوف يمكن من فرعون ، ولا يمكن سؤال القرية ، فلا يحذف إلا ما دل عليه الدليل ، وقد يقال : ويدل على هذا المحذوف جمع الضمير في " وملئهم ".

يعني أنهم ردوا على الفراء ، بالفرق بين ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف : ٨٢] وبين هذه الآية : بأن سؤال القرية غير ممكن ، فاضطررنا إلى تقدير المضاف ، بخلاف الآية فإن الخوف تمكن من فرعون ، فلا اضطرار بنا يدلنا على مضاف محذوف.

وجواب هذا : أن الحذف قد يكون لدليل عقلي أو لفظي ، على أنه قيل في ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف : ٨٢] إنه حقيقة ، إذ يمكن النبي أن يسأل القرية ؛ فتجيبه.

الخامس : أن ثم معطوفا محذوفا حذف للدلالة عليه ، والدليل عليه ؛ كون الملك لا

٣٩١

يكون وحده ، بل له حاشية ، وعساكر ، وجند ؛ فكان التقدير : على خوف من فرعون ، وقومه ، وملئهم ، أي : ملأ فرعون وقومه ، وهو منقول عن الفراء أيضا.

قال شهاب الدين : حذف المعطوف قليل في كلامهم ، ومنه عند بعضهم ، قوله - تعالى - : ﴿تقيكم الحر﴾ [النحل : ٨١] أي : والبرد ؛ وقول الآخر : [الطويل] ٢٩٢٥ - كأن الحصى من خلفها وأمامها

إذا حذفته رجلها حذف أعسرا

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٣٨٣

أي : ويدها.

قوله : " أن يفتنهم " أي : يصرفهم عن دينهم ، وفيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه في محل جر على البدل من " فرعون " ، وهو بدل اشتمال ، تقديره : على خوف من فرعون فتنة ، كقولك : " أعجبني زيد علمه ".

الثاني : أنه في موضع نصب على المفعول به بالمصدر ، أي : خوف فتنته ، وإعمال المصدر المنون كثير ؛ كقوله : ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما﴾ [البلد : ١٤ ، ١٥] ، وقول الآخر : [الطويل] ٢٩٢٦ - فلولا رجاء النصر منك ورهبة

عقابك قد كانوا لنا بالموارد

الثالث : أنه منصوب على المفعول من أجله بعد حذف اللام ، ويجري فيها الخلاف المشهور.

وقرأ الحسن ، ونبيح : " يفتنهم " بضم الياء من " أفتن " وقد تقدم ذلك [النساء : ١٠١].

قوله : ﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾ أي : متكبر ، أو ظالم ، أو قاهر ، و " في الأرض " متعلق بـ " عال " ؛ كقوله : [الكامل] ٢٩٢٧ - فاعمد لما تعلو فما لك بالذي

لا تستطيع من الأمور يدان

أي : لما تقهر ، ويجوز أن يكون " في الأرض " متعلقا بمحذوف ؛ لكونه صفة لـ " عال " فيكون مرفوع المحل ، ويرجح الأول قوله : ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ [القصص : ٤] ثم قال : ﴿وإنه لمن المسرفين﴾ : المجاوزين الحد ؛ لأنه كان عبدا ، فادعى الربوبية ، وقيل : لأنه كان كثير القتل والتعذيب لمن يخالفه ، والغرض منه : بيان السبب في كون أولئك المؤمنين خائفين.

٣٩٢

." (١)

"سورة هود

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٢٥

"كتاب " يجوز أن يكون خبرا لـ : " ألف لام راء " ، أخبر عن هذه الأحرف بأنها كتاب موصوف بكيت وكيت.

قال الزجاج : هذا **غلط** ؛ لأن " الر " ليس هو الموصوف بهذه الصفة وحده قال ابن الخطيب : وهذا اعتراض فاسد ؛ لأنه ليس من شرط كون الشيء مبتدأ أن يكون خبره محصورا فيه ، ويجوز أن يكون خبر ابتداء مضمر تقديره : ذلك كتاب.

قال ابن الخطيب : " وهذا عندي ضعيف لوجهين " : الأول : أنه على هذا التقدير يقع قوله : " الر " كلاما باطلا لا فائدة فيه.

والثاني : أنك إذا قلت : هذا كتاب ، فقولك : " هذا " يكون إشارة إلى الآيات المذكورات ، وذلك هو قوله : " الر " فيصير حينئذ " الر " مخبرا عنه بأنه ﴿كتاب أحكمت آياته﴾.

وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله : ﴿ذلك الكتاب﴾ [البقرة : ٢] قوله : ﴿أحكمت آياته﴾ في محل رفع صفة لـ "كتاب " ، والهمزة في " أحكمت " يجوز أن تكون للنقل من حكم بضم الكاف ، أي : صار حكيما بمعنى جعلت حكيمة ، كقوله : ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ [لقمان : ٢].

ويجوز أن يكون من قولهم : " أحكمت الدابة " إذا وضعت عليها الحكمة لمنعها من الجماح ؛ كقول جرير : [الكامل]

٤٢٧

٢٩٤١ - أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم

إني أخاف عليكم أن أغضبا

فالمعنى : أنها منعت من الفساد.

ويجوز أن يكون لغير النقل ، من الإحكام وهو الإتقان كالبناء المحكم المرصف ، والمعنى : أنها نظمت نظما رصينا متقنا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٧٩٨

ويجوز أن يكون قوله : " أحكمت " أي : لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع بها.
قاله ابن عباس – رضي الله عنهما – .
قوله : " ثم فصلت " " ثم " على بابها من التراخي ؛ لأنها أحكمت ثم فصلت بحسب أسباب النزول.
وقرأ عكرمة والضحاك والجحدري وزيد بن علي وابن كثير في رواية " فصلت " بفتحتين خفيفة العين.
قال أبو البقاء : والمعنى : فرقت ، كقوله : ﴿فلما فصل طالوت﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، أي : فارق وفسرها غيره ، بمعنى فصلت بين المحق والمبطل ، وهو أحسن.
وجعل الزمخشري " ثم " للترتيب في الإخبار لا لترتيب الوقوع في الزمان ، فقال : فإن قلت : ما معنى " ثم " ؟ قلت : ليس معناها التراخي في الوقت ، ولكن في الحال ، كما تقول : هي محكمة أحسن الإحكام ، مفصلة أحسن التفصيل ، وفلان كريم الأصل ، ثم كريم الفعل.
وقرىء أيضا : " أحكمت آياته ثم فصلت " بإسناد الفعلين إلى " تاء " المتكلم ، ونصب " آياته " مفعولا بها ، أي : أحكمت أنا آياته ، ثم فصلتها ، حكى هذه القراءة الزمخشري.
فصل قال الحسن : أحكمت بالأمر والنهي ، ثم فصلت بالوعد والوعيد وقال قتادة : أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض.
وقال مجاهد : " فصلت " أي : فسرت
٤٢٨
وقيل : " فصلت " أي : أنزلت شيئا فشيئا كقوله تعالى : ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾ [الأعراف : ١٣٣] ، وقيل : جعلت فصولا : حلالا ، وحراما ، وأمثالا ، وترغيبا وترهيبا ومواعظ وأمرا ونهيا.
فصل احتج الجبائي بهذه الآية على أن القرآن محدث مخلوق من ثلاثة أوجه : الأول : قال : المحكم هو الذي أتقنه فاعله ، ولولا أن الله – تعالى – خلق هذا القرآن ، لم يصح ذلك ؛ لأن الإحكام لا يكون إلا في الأفعال ، ولا يجوز أن يقال : كان موجودا غير محكم ، ثم جعله الله محكما ؛ لأن هذا يقتضي في بعضه الذي جعله محكما بأن يكون محدثا ، ولم يقل أحد بأن القرآن بعضه قديم وبعضه محدث.
الثاني : أن قوله : " فصلت " يدل على أنه حصل فيه انفصال وافتراق ، ويدل على أن ذلك الانفصال والافتراق إنما حصل بجعل جاعل.
الثالث : قوله تعالى : ﴿من لدن حكيم خبير﴾ ، والمراد من عنده ، والقديم لا يقال : إنه حصل من عند

قديم آخر ؛ لأنهما إن كانا قديمين ، لم يكن القول بأن أحدهما حصل من عند الآخر أولى من العكس.
وأجيب بأن النعوت عائدة إلى هذه الحروف والأصوات ، ونحن معترفون بأنها مخلوقة ؛ وإنما الذي يدعى قدمه أمر آخر سوى هذه الحروف والأصوات.
قوله : " من لدن " أي : من عند ، يجوز أن تكون صفة ثاينة لـ " كتاب " وأن تكون خبرا ثانيا عند من يرى جواز ذلك ، ويجوز أن تكون معمولة لأحد الفعلين المتقدمين يعني : " أحكمت " أو " فصلت " ويكون ذلك من باب التنازع ، ويكون من إعمال الثاني ، إذ لو أعمل الأول لأضمر في الثاني ، وإليه نحا الزمخشري فقال : وأن يكون صلة " أحكمت " " فصلت " ، أي : من عنده أحكامها وتفصيلها ، والمعنى : أحكمها حكيم وفصلها ، أي : شرحها وبينها خبير بكيفيات الأمور.
قال أبو حيان : لا يريد أن " من لدن " متعلق بالفعلين معا من حيث صناعة الإعراب ، بل يريد أن ذلك من باب الإعمال ، فهي متعلقة بهما من حيث المعنى ، وهو معنى قول أبي البقاء أيضا : ويجوز أن يكون مفعولا ، والعامل فيه فصلت.
قوله : " أن لا تعبدوا " فيه أوجه : أحدها : أن تكون أن المخففة من الثقيلة ، و " لا تعبدوا " جملة نهي في محل رفع خبرا لـ " أن " المخففة ، واسمها على ما تقرر ضمير الأمر والشأن محذوف.
والثاني : أنها المصدرية الناصبة ، ووصلت هنا بالنهي ، ويجوز أن تكون " لا " نافية ،
٤٢٩." (١)

"" صدورهم " بنزع الخافض ، ويجوز على ذلك أن يكون " صدورهم " رفعا على البدل بدل البعض من الكل يعني بقوله : ولعله فتح النون أي : ولعل ابن جبير قرأ ذلك بفتح نون " يثنون " فيكون مبنيا للمفعول ، وهو معنى قوله : وهذا مما فعل بهم أي وجدوا كذلك ، فعلى هذا يكون " صدورهم " منصوبا بنزع الخافض ، أي : في صدورهم ، أي يوجد الثني في صدورهم ، ولذلك جوز رفعه على البدل كقولك : ضرب زيد الظهر.

ومن جوز تعريف التمييز لا يبعد عنده أن ينتصب " صدورهم " على التمييز بهذا التقدير الذي قدره.

وقرأ ابن عباس ، وعلي بن الحسين ، وابناه زيد ، ومحمد ، وابنه جعفر ، ومجاهد ، وابن يعمر ، وعبد الرحمن بن أبزى ، وأبو الأسود " تثنوني " مضارع " اثنونى " على وزن " افعوعل " من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة ، " صدورهم " بالرفع على الفاعلية.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٨٢١

ونقل عن ابن عباس وابن يعمر ومجاهد وابن أبي إسحاق : " يثنونى صدورهم " بالياء والتاء ؛ لأن التأنيث مجازي ؛ فجاز تذكير الفعل باعتبار تأويل فاعله بالجمع وتأنيثه باعتبار تأويل فاعله بالجماعة.

وقرأ ابن عباس أيضا وعروة وابن أبزى والأعمش " تثنون " بفتح التاء وسكون الثاء وفتح النون وكسر الواو وتشديد النون الأخيرة ، والأصل : " تثنونن " بوزن " تفعوعل " من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ ، يريد مطاوعة نوفسهم للثني كما يثنى الهش من النبات ، أو أ راد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم.

و " صدورهم " بالرفع على الفاعلية.

وقرأ مجاهد وعروة أيضا كذلك ، إلا أنهما جعلا مكان الواو المسكورة همزة مكسورة فأخرجاها مثل " تطمئن ".

وفيها تخريجان : أحدهما : أن الواو قلبت همزة لاستثقال الكسرة عليها ، ومثله إعاء وإشاح في وعاء ووشاح ، لما استثقلوا الكسرة على الواو أبدلوها همزة.

والثاني : أن وكنه " تفعييل " من الثن وهو ما ضعف من النبات كما تقدم ، وذلك أنه مضارع لـ " اثنان " مثل احمار واصفار ، وقد تقدم [يونس : ٢٤] أن من العرب من يقلب مثل هذه الألف همزة ؛ كقوله :

[الطويل] ٢٩٤٣ - ....

....

بالعبيط ادهأمت

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٣٤

٤٣٥

فجاء مضارع " اثنأن " على ذلك كقولك احمأر يحمئر كاطمأن يطمئن.

وأما " صدورهم " فبالرفع على ما تقدم.

وقرأ الأعمش أيضا تثنؤون بفتح الياء وسكون المثلثة وفتح النون وهمزة مضمومة و واو ساكنة بزنة تفعلون كترهبون.

صدورهم بالنصب.

قال صاحب اللوامح : ولا أعرف وجهه يقال : " ثنيت " ولم أسمع " ثنأت " ، ويجوز أنه قلب الياء ألفا على لغة من يقول : " أعطات " في " أعطيت " ، ثم همز الألف على لغة من يقول : ﴿ولا الضألين﴾ [الفاتحة : ٧].

وقرأ ابن عباس أيضا – رضي الله عنهما – " تثنوى " بفتح التاء وسكون المثلثة ، وفتح النون وكسر الواو بعدها ياء ساكنة بزنة " ترعوى " وهي قراءة مشكلة جدا حتى قال أبو حاتم : وهذه القراءة **غلط** لا تتجه ، وإنما قال إنها **غلط** ؛ لأنه لا معنى للواو في هذا الفعل إذ لا يقال : ثنوته فانثوى كرعوته ، أي : كففته فارعوى ، أي : فانكف ، ووزنه افعل كاحمر.

وقرأ نصر بن عاصم وابن يعمر وابن أبي إسحاق " ينثون " بتقديم النون الساكنة على المثلثة.

وقرأ ابن عباس أيضا " لتثنون " بلام التأكيد في خبر " إن " وفتح التاء وسكون المثلثة وفتح النون وسكون الواو بعدها نون مكسورة وهي بزنة " تفعوعل " ، كما تقدم إلا أنها حذفت الياء ، التي هي لام الفعل تخفيفا كقولهم : لا أدر وما أدر.

و " صدورهم " ، فاعل كما تقدم.

وقرأ طائفة : " تثنؤن " بفتح التاء ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم نون مفتوحة ثم همزة مضمومة ثم نون مشددة ، مثل تقرؤن ، وهو من ثنيت ، إلا أنه قلب الياء واوا ؛ لأن الضمة تنافرها ، فجعلت الحركة على مجانسها ، فصار اللفظ " تثنوون " ثم قلبت الواو المضمومة همزة كقولهم : " أجوه " في " وجوه " و " أقتت " في " وقتت " فصار " تثنؤون " ، فلما أكد الفعل بنون التوكيد حذفت نون الرفع فالتقى ساكنان : وهما واو الضمير والنون الأولى من نون التوكيد ، فحذفت الواو وبقيت الضمة تدل عليها ؛ فصار " تثنؤن " كما ترى و " صدورهم " منصوب مفعولا به فهذه إحدى عشرة قراءة مضبوطة.

قوله تعالى : ﴿ليستخفوا منه﴾ فيه وجهان :

٤٣٦

". (١)

"إلى قوم لوط﴾ [هود : ٧٠] فدل على أنهم أمروا بالذهاب إلى قوم لوط بإيصال العذاب إليهم.

فإن قيل : لو كان كذلك ، لقال : " فلما جاء أمرنا ، جعلوا عاليها سافلها " ، لأن الفعل صدر عن المأمور.

فالجواب : أن فعل العبد فعل الله تعالى ، وأيضا : فالذي وقع إنما وقع بأمر الله ، وبأقداره ، فلا يمتنع إضافته إلى الله تعالى ؛ فكما يحسن إضافته إلى المباشرين ، يحسن إضافته إلى المسبب.

قوله : ﴿عاليها سافلها﴾ مفعولا الجعل الذي بمعنى التصيير ، و " سجيل " قيل : هو في الأصل مركب

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٨٢٥

من " سنك وكل " وهو بالفارسية حجر وطين فعرب ، وغيرت حروفه ، كما عربوا الديباج والد]وان والاستبرق.

وقيل : " سجيل " اسم للسماء ، وهو ضعيف أو غلط ، لوصفه بـ " منضود ".

وقيل : من أسجل ، أي : أرسل فيكون " فعيلا " ، وقيل : هو من التسجيل ، و ا لمعنى : أنه مما كتب الله وأسجل أن يعذب به قوم لوط ، وينصر الأول تفسير ابن عباس أنه حجر وطين كالآجر المطبوخ وعن أبي عبيدة هو الحجر الصلب.

وقيل : " سجيل " موضع الحجارة ، وهي جبال مخصوصة.

قال تعالى : ﴿من جبال فيها من برد﴾ [النور : ٤٣].

قال الحسن : كان أصل الحجر هو الطين فشددت.

و " منضود " صفة لـ " سجيل ".

والنضد : جعل بعضه فوق بعض ، ومنه ﴿وطلح منضود﴾ [الواقعة : ٢٩] أي : متراكب ، والمراد وصف الحجارة بالكثرة.

" مسومة " نعت لـ " حجارة " ، و حينئذ يلزم تقدم الوصف غير الصريح على الصريح لأن " من سجيل " صفة لـ " حجارة " ، والأولى أن يجعل حالا من " حجارة " ، وسوغ مجيئها من النكرة تخصص النكرة بالوصف.

والتسويم : العلامة.

قيل : علم على كل حجر اسم من يرمي به وتقدم ا شتقاقه في آل عمران [١٤] في قوله : ﴿والخيل المسومة﴾ وقال الحسن والسدي : كان عليها أمثال الخواتيم.

قال أبو صالح : رأيت منها عند أم هانيء ، وهي حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع.

وقال ابن جريج : كان عليها سيماء لا تشبه حجارة الأرض.

و " عند " إما منصوب بـ " مسومة " ، وإما بمحذوف على أنها صفة لـ " مسومة ".

وقله : " وما هي " الظاهر عود هذا الضمير على القرى المهلكة.

وقيل : يعود على الحجارة وهي أقرب مذكور.

وقيل : يعود على العقوبة المفهومة من السياق ، ولم يؤنث

٥٤١

" ببعيد " إما لأنه في الأصل نعت لمكان محذوف تقديره : وما هي بمكان بعيد بل هو قريب ، والمراد

به السماء أو القرى المهلكة ، أي : وما تلك القرى المهلكة من كفار مكة – ببعيد ؛ لأن تلك القرى في الشام ، وهي قريب من مكة ، وإما لأن العقوبة والعقاب واحد ، وإما لتأويل الحجارة بعذاب أو بشيء بعيد ، والمراد بالآية كفار مكة ، أي أنه تعالى يرميهم بهذه الحجارة.

قال أنس بن مالك سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عن هذا فقال : " ما من ظالم إلا وهو بمعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة ".

وقال قتادة وعكرمة : يعنى ظالمي هذه الأمة ، والله ما أجار الله منها ظالما.

روي : أن الحجر اتبع شذاذهم ومسافريهم أين كانوا في البلاد ، ودخل رجل منهم الحرم ، فكان الحجر معلقا بين السماء والأرض أربعين يوما حتى خرج ؛ فأصابه فأهلكه.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٣١." (١)

"قوله تعالى : ﴿ذلك من أنبآء الغيب﴾ الآية " ذلك " : مبتدأ و ﴿من أنبآء الغيب﴾ : خبره ، و " نوحيه " : حال ، ويجوز أن يكون خبرا ثانيا ، أو حالا من الضمير في الخبر ، وجوز الزمخشري : أن يكون موصولا بمعنى : الذي ، وتقدم نظيهر ، والمعنى : ذلك الذي ذكرت من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب ، ﴿إذ أجمعوا اا أمرهم﴾ أي عزموا على إلقاء يوسف في الجب ، وما كنت هناك ، ذكره على وجه التهكم ، وتقدم الكلام على هذا اللفظ عند قوله : ﴿فأجمعوا اا أمركم﴾ [يونس : ٧١] وقوله : ﴿وهم يمكرون﴾ أي : بيوسف والمقصود من هذا إخبار عن الغيبن فكيون معجزا ؛ لأن محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يطالع الكتب ، ولم يتلمذ لأحد ، ما كانت بلدته بلدة العلماء ؛ فإتيانه بهذه القصة الطويلة ، على وجه لم يقع فيها تحريف ، ولا غلط من غير مطالعة ، و لاتعلم ، كيف لا يكون معجزا ؟ .

روي أن اليهود وقريشا سألوا رسو الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف ؛ فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا ، فحزن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل : إنهم لا يؤمنون ، ولو حرصت على إيمانهم.

قوله ﴿وهم يمكرون﴾ : حال ، ﴿ولو حرصت﴾ معترض بين " ما " وخبرها ، وجواب مقدما عليها ، فلا يجوز أن يقال : " قمت لو قمت ".

وقال الفراء في " المصادر " : حرص يحرص حرصا ، وفي لغة أخرى : حرص يحرص حرصا ، ومعنى الحرص : طلب الشيء بأقصى ما يكون من الاجتهاد ، ﴿إلا وهم مشركون﴾ : حال.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢٨٨٦

قوله ﴿وما تسألهم﴾ على تبليغ الرسالة ، والدعاء إلى الله ـ عز وجل ـ " من أجر " جعلوا خبر " إن " هو " ما " أي : القرآن ، " إلا ذكر " : عظة وتذكير " للعالمين ".

ثم قال : " وكأين " : وكم ، " من آية " : عبرة ودلالة ، ﴿في السماوات والأرض يمرون عليها﴾ : لا يتفكرون فيها ولا يتعبرون.

واعلم : أن دلائل التوحيد ، والعلم ، والقدرة ، والحكمة والرحمة لا بد وأن تكون من أمور محسوسة ، وهي : إما الأجرام الفلكية ، وإما الأجرام العنصرية.

أما الأجرام الفلكية فهي قسمان : إما الأفلاك ، وإما الكواكب.

٢٢١

فأما الأفلاك فقد يستدل بمقاديرها المعينة على وجود الصانع ، وقد يستدل بكون بعضها فوق بعضه أو تحته ، وقد يستدل بحركتها ، إما بسرعة حركتها ، وإما باختلاف جهة تلك الحركات.

وأما الأجرام الكوكبية ، فتارة تدل على وجود الصانع بمقاديرها ، وأجرامها ، وحركاتها في سرعتها وبطئها ، وتارة بألوانها وأضوائها ، وتارة بتأثيراتها في حصول الأضواء والظلال.

وأما دلائل الأجرام العنصرية : فإما أن تكون مأخوذة من بسائطها ، وهو البر والبحر ، وإما مأخوذ من [المواليد] ، وهي أقسام : أحدها : العلوية كالرعد ، والبرق ، والسحاب ، والمطر ، والثلج ، والهواء ، وقوس قزح.

وثانيها : المعادن على اختلاف طابعئها وصفاتها ، وكيفياتها.

وثالثها : النبات وخاصية الخشب والورق بخصوصه.

ورابعها : اختلاف حال الحيوانت في أشكالها ، وطبائعها ، وأصواتها ، وخلقها.

وخامسها : تشريح أبدان الناس ، وتشريح القوى الإنسانية ، وبيان المنافع الحاصلة منها ، ومن هذا الباب أيضا قصص الأولين والملوك الذين استولوا على الأرض ، وقهروا العباد ، وخربوا البلاد.

ماتوا ولم يبق لهم في الدنيا خبر ، ثم بقي الوزر والعقاب عليهم ، قال ابن الخطيب : فلهذا ضبط أنواع هذه الدلائل.

فصل الجمهور على جر الأرض عطفا على السموات ، والضمير في " عليها " للآية ، فيكون " يمرون " صفة لآية ، وحالا لتخصصها بالوصف بالجر.

وقيل : يعود الضمير في " عليها " للأرض فيكون " يمرون عليها " حالا منها.

وقال أبو البقاء : وقيل : منها ومن السموات ، أي : يكون الحال من الشيئين جميعا ، وهذا لا يجوز ؛ إذا كان يجب أن يقال : عليهما ، وأيضا : فإنهم لا يمرون في السماوات إلا أن يراد : يمرون على آياتها ، فيعود المعنى على عود الضمير للآية ، وقد يجاب عن الأول بأنه من باب الحذف ؛ كقوله ـ تعالى ـ : ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة : ٦٢].
وقرأ السدي : " والأرض " بالنصب ، ووجهه أنه من باب الاشتغال ، ويفسر الفعل بما يوافقه معنى ، أي : يطوفون الأرض ، أو يسلكون الأرض.
٢٢٢
." (١)

"ونقل أبو البقاء : " أنه قرىء مشددا مبنيا للفاعل ، وأوله : بأن الرسل ظنوا أن الأمم قد كذبوهم ".
وقال الزمخشري بعد ما حكى قراءة المبني للفاعل : " ولو قرىء بها مشددة لكان معناه : وظن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما وعدوهم " فلم يحفظها قراة ، وهي غريبة ، وكان قد جوز في القراءة المتقدمة : أن الضمائر كلها تعود على الرسل ، وأن يعود الأول على المرسل إليهم وما بعده على الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة : إما على تأويل ابن عباس ، وإما على أن قومهم إذا لم يروا لموعدهم أثرا ، قالوا لهم : قد كذبتمونا ، فيكونون كاذبين عند قومهم ، أي : وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا ".
وقوله " جاءهم " : جواب الشرط ، وتقدم الكلام في " حتى " هذه ما هي ؟ .
أي : لما بلغ الحال إلى الحد المذكور ؛ جاءهم نصرنا.
فإن قيل : لم يجر ذكر المرسل إليهم فيما سبق ، فكيف يحسن عود الضمير إليهم ؟ .
فالجواب : ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل إليهم ، أو يقول : إن ذكرهم جرى في قولهم : ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ ويكون الضمير عائدا عل الذين من قبلهم ، من مكذبي الرسل.
قوله : ﴿فنجي من نشآء﴾ قرأ عاصم ، وابن عامر بنون واحدة ، وجيم مشددة ، وياء مفتوحة ؛ على أنه فعل ماضي مبني للمفعول ، و " من " : قائمة مقام الفاعل ، والباقون بنونين ثانيتهما ساكنة والجيم خفيفة ، والياء الساكنة على أنه مضارع أنجى ، و " من " مفعوله ، الفاعل ضمير المتكلم المعظم نفسه على الاستقبال ، على معنى : فنفعل بهم ذلك ، وهه حكاية حال ، ألا ترى أن القصة فيما مضى ، وإنما حكى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣٠٣٥

الحالح كقوله تعالى ﴿هذا من شيعته وهاذا من عدوه﴾ [القص : ١٥] إشارة إلى الحاضر ، والقصة ماضية.

وقرأ الحسن ، والجحدري ، ومجاهد في آخرين كقراءة عاصم ، إلا أنهم سكنوا الياء ، والأجود في تخريجها ما تقدم ، وسكنت الياء تخفيفا ، كقراءة : ﴿تطعمون أهليكم﴾ [المائدة : ٨٩] وقد سكن الماضي الصحيح ، فكيف بالمعتل ؟ كقوله : [مجزوء الرمل]

٢٢٩

.................٣١٥٧

قد خلط بجلجلان

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٢٢٥

وتقدم من أمثاله.

وقيل : الأصل " ننجي " بنونين ؛ فأدغم النون في الجيم ، وليس بشيء ؛ إذا النون لا تدغم في الجيم على أنه قد قيل بذلك في قوله : ﴿ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء : ٨٨] كما سيأتي بيانه . إن شاء الله تعالى ..

وقرأ جماعة كقراءة الباقين إلا أنهم فتحوا الياء ، قال ابن عطية : " رواها ابن عبيرة ، عن حفص ، عن عاصم ، وهي غلط من ابن هبيرة ".

قال شهاب الدين : " توهم ابن عطية أنه مضارع باق على رفعة ، فأنكر فتح لامه وغلط راويها ، وليس بغلط ؛ وذلك أنه إذا وقع بعد الشرط والجزاء معا مضارع مقرون بالفاء ، جاز فيه أوجه : أحدهما : نصبه بإضمار " أن " بعد الفاء ، وقد تقدم عند قوله : ﴿وإن تبدوا ما فى أنفسكم﴾ [البقرة : ٢٨٤] إلى أن قال : " فيغفر " قرىء بنصبه ، وقد تقدم توجيهه ، ولا فرق بين أن تكون أداة الشرط جازمة كآية البقرة ، أو غير جازمة كهذه الآية.

وقرأ الحسن أيضا " فننجي " بنونين ، والجيم مشددة ، والياء ساكنة مضارع " نجى " مشددة للتكثير ، وقرأ هو أيضا ونصر بن عاصم ، وأبو حيوة : " فنجا " فعلا ماضيا مخففا ، و " من " فاعله.

ونقل الداني : أنه قرأ لابن محيصن كذلك ، إلا أنه شدد الجيم ، والفاعل ضمير النصر ، و " من : مفعوله ، ورجح بعضهم قراءة عاصم ؛ بأن المصاحف اتفقت على كتبها " فنجي " بنون واحدة ، نقله الداني ، ونقل مكي : أن أكثر المصاحب عليها ، فأشعر هذا بوقوع الخلاف في الرسم ، ورجح أيضا : بأن فيها مناسبة لما قبلها من الأفعال الماضية ، وهي جارية على طريقة كلام الملوك والعظماء ، منحيث بناء الفعل

[للمعفول].

وقرأ أبو حيوة : " يشاء " بالياء ، وتقدم أنه قرأ " فنجا " ، أي : فنجا من يشاء الله نجاته ، وهم المؤمنون المطيعون.

٢٣٠

قوله : ﴿ولا يرد بأسنا﴾ : عذابنا ، وقرأ الحسن " بأسه " والضمير لله ، وفيها مخالفة للشواذ ، " عن القوم المجرمين " أي : المشركين.

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٢٢٥." [(١)]

"فصل قال ابن عباس ـ رضي اكلله عنه ـ : يريد علم ما غاب عن خلقه وما شاهدوه.

قال الواحدي : " فعلى هذا " الغيب " مصدر يراد به الغائب ، والشهادة أراد بها الشاهد ".

واختلفوا في المراد بالغائب ، والشاهد ؛ فقيل : المراد بالغائب : [المعدوم] ، وبالشاهد : الموجود.

وقيل : الغائب مالا يعرفه الخلق.

واعلم أن المعلومات قسمان : المعدمات ، والموجودات.

والمعدومات منهنا معدومات يمتنع وجودها ، ومعدومات لا يمتنع وجودها.

والموجودات قسمان : موجودات يمتنع عدمها ، وموجودات لا يمتنع عدمها ، وكل واحد من هذه الأقسام الأربعة له أحكام ، وخواص ، والكل معلوم لله ـ تعالى ..

قال إمام الحرمين : الله ـ تعالى ـ معلومات لا نهاية لها وله في كل واحد من تلك المعلومات معلومات أخرى لا نهاية لها ؛ لأن الجوهر الفرد يعلم الله تعالى من حاله أنه يمكن وقوعه في أحياز لا نهاية لها على البدل ، وموصوف بأوصاف لا نهاية لها على البدل ، وهو ـ تعالى ـ عالم بكل الأحوال على التفصيل وكل هذه الأقسام داخلة تحت قوله : ﴿عالم الغيب والشهادة﴾.

ثم قال : " الكبير المتعال " وهو ـ تعالى ـ يمتنع أن يكون كبيرا بحسب الجثة والمقدار ؛ فوجب أن يكون كبيرا بحسب القدرة الإلهية ، و " المتعال " المتنزه عن كل ما لا يجوز عليه في ذاته ، وصفاته.

قوله تعالى : ﴿سوآء منكم من أسر القول ومن جهر به﴾.

في " سواء " وجهان : أحدهما : أنه خبر مقدم ، و : " من اسر " ، و " من جهر " هو المبتدأ ، وإنما لم يثن الخبر ؛ لأنه في الأصل مصدر ، وهو ههنا بمعنى متسو ، و " منكم " على هذا حالش من الضمير

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣٠٣٩

المستتر في " سواء " ؛ لأنه بمعنى مستو.

قال أبو البقاء : " ويضعف أن يكون حالا من الضمير في " أسر " ، و " جهر " لوجهين : أحدهما : تقديم ما في الصلة على الموصول ، أو الصفة على الموصوف.

والثاني : تقديم الخبر على " منكم " وحقه أن يقع بعده ".

٢٦٢

قال شهاب الدين . رحمه الله . : " وحقه أ ، يقع بعده يعني : بعده ، وبعد المبتدأ ، ولا يصير كلامه لا معنى له ".

والثاني : أنه مبتدأ وجاز الابتداء به لوصفه بقوله : " منكم ".

وأعرب سيبويه : " سواء " عليه الجهر والسر كذلك ، وقول بن عطية : إن سيبويه ضعف ذلك بأنه ابتداء بنكرة **غلط** عليه.

قال ابن الخطيب : لفظ " سواء " يطلب اثنين ، تقول : " سواء زيد ، وعمرو " ، ثم فيه وجهان : الأول : أن " سواء " مصدر ، والمعنى : ذو سواء ، كما تقول : عدل زيد وعمرو ، أي : ذو عدل.

الثاني : أن يكون " سواء " بمعنى مستو ، وعلى هذا التقدير ، فلا حاجة إلى الإضمار ، إلا أن سيبويه يستقبح أن يقال : مستو زيد وعمرو ؛ لأن اسماء الفاعل إذا كانت نكرة لا يبتدأ بها.

ولقائل أن يقول : بل هذا الوجه أول ؛ لأن حمل الكلام عليه يغني عن التزام الإضمار الذي هو خلاف الأصل.

قوله : ﴿وسارب بالنهار﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكون معطوفا على " مستخف " ، ويراد بـ " من " حينئذ اثنان ، وحمل المبتدأ الذي هو لفظ " هو " على لفظها ، فأفرده ، والخبر على معناها فثناه.

والوجه الثاني : أن يكون عطفا على " من هو " في " ومن هو مستخف " لا على : مستخف " وحده.

ويوضح هذين الوجيهن ما قاله الزمخشري قال : " فإن قلت : كان حق العبارة أن يقال : ومن هو مستخف بالليل ، ومن هو سارب بالنهار حتى يتنول معنى الاستواء المستخفي ، والسارب ، وإلا فقد تناول واحد هو مستخف وسارب.

قلت : فيه وجهان : أحدهما : أن قوله : " سارب " عطف على : " من هو مستخف " [لا على : : مستخف ".

و ا لثاني : أنه عطف على : " مستخف " إلا أن : " من " في معنى الاثنين ؛ كقوله : [الطويل]

٢٦٣

٣١٦٦.................

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٢٥٨

كأنه قيل : سواء منكم اثنان مستخف بالليل ، وسارب بالنهار ".

قال شهاب الدين : وفي عبارته بقوله : كان حق العبارة كذا سوء أدب ، وقوله كقوله : " نكن مثل من يا ذئب " يشير إلى البيت المشهور في قصة بعضهم مع ذئب يخاطبه : [الطويل] ٣١٦٧. تعش فإن عاهدتني لا تخونني

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

." (١)

"وإذا عرفت هذا فنقول : ههنا قال الله تعالى : ﴿ليبين لهم﴾ ثم قال : ﴿فيضل الله من يشآء ويهدي من يشآء﴾ ذكر : " فيضل " بالرفع فدل على أنه مذكور على سبيل الاستئناف وأنه غير معطوف على ما قبله ، وتقديره من حيث المعنى كأنه قال ـ عز وجل ـ : وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليكون بيانه لهم الشرائع بلسانهم الذي ألفوه واعتادوه ، ثم قال : ومع أن الأمر كذلك فإنه ـ تعالى ـ يضل من يشء ، ويهدي من يشاء ، والغرض منه : التنبيه على أن تقوية البيان لا توجب حصول الهداية ، وإنما كان الأمر كذلك ؛ لأن الهداية ، والضلال لا يحصلان إلا من الله ـ تعالى ..

وأما قولهم : لو كان الضلال حاصلا بخلق الله ـ تعالى ـ لكان للكافر أن يقول : ما الفائدة في نبوتك ودعوتك ؟ فالخصم يسلم أن هذه الآيات إخبار عن كونه ضالا فيقول له الكافر : لم، أخبر إلهك عن كوني كافرا فإن آمنت صار إلهك كاذبا ، وهل أقدر على جعل علمه جهلا ؟ وإذا لم أقدر عليه ، فكيف يأمرني بهذا الإيمان ؟ فالسؤال وارد عليه.

وأما قولهم ثالثا : يلزم أن يكون الرضا بالكفر واجبا ؛ لأن الرضا بقضاء الله واجب قلنا : ويلزم أيضا على مذهبك أن يكون السعي في تكذيب الله وفي تجهيله واجبا ؛ لأنه ـ تعالى ـ لما أخبر عن كفره ، وعلم كفره ، فإزالته الكفر عن قلب علمه جهلا ، وخبره الصدق كذبا ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ فيلزمك على مذهبك ، وهذا أشد استحالة مما ألزمته علينا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٠٥٤

وأما قولهم رابعا : إن مقدمة الآية ، و هو قوله تعالى : ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم : ١] يدل على صحة الاعتزال.

فنقول : قد ذكرنا أن قوله : ﴿بإذن ربهم﴾ [إبراهيم : ١] يدل على صحة مذهب أهل السنة.

وأما قولهم خامسا : إنه ـ تعالى ـ وصف نفسه في آخر الآية بكونه حكيما ، وذلك ينافي كونه ـ تعالى ـ خالقا للكفر مريدا له ، فنقول : وصف نفسه بكونه عزيزا ، والعزيز : هو الغالب القاهر ، فلو أراد بالإيمان من الكافر مع أنه لا يحصل ، وأراد عدم الكفرمنهم ، وقد حصل لما بقي عزيزا غالبا ؛ فثبت أن الوجوه التي ذكروها صعيفة ، وقد تقدم البحث في هذه المسألة في البقرة عند قوله ـ جل ذكره ـ : ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا﴾ [البقرة : ٢٦].

قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنآ أن أخرج قومك من الظلمات إلى

٣٣٩

النور﴾ الآية لما بين أنه إنما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وذكر كمال نعمة الله عليه وعلى قومه بذلك الإرسال أتبع ذلك بشرح بعثة سائر الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ إلى أقوامهم ليكون ذلك تصبيراً للرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ على أذى قومه فقال : ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنآ﴾ قال الأصم : آيات موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهي العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وفلق البحر ، وانفجار العيون من الحجر ، وإظلال الجبل ، وإنزوال المن والسلوى.

وقال الجبائي آياته : دلائله وكتبه المنزلة عليه ، فقال في صفة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم : ١] وقال في حق موسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم : ٥] والمقصود من بعثة سائر الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ واحد وهو أن يسعو في أخراج الخلق من الضلالات إلى نور الهدايات.

قوله : " أن أخرج " يجوز أن تكون " أن " مصدرية , أي : بأن أخرج والباء في " بآياتنا " للحال ، وهذه للتعدية ، ويجوز أن تكون مفسرة للرسالة بمعنى أي ، ويكون المعنى : أي : أخرج قومك من الظلمات ، أي : قلنا له : أخرج قومك كقوله ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا﴾ [ص : ٦].

وقيل : بل هي زائدة ، وهو غلط.

قوله : " وذكرهم " يجحوز أن يكون منسوقا على " أخرج " فيكون من التفسير ، ويجوز أن لا يكون

منسوقا ؛ فيكون مستأنفا.

و " أيام : عبارة عن نعمة تعالى ؛ كقوله : [الوافر] ٣١٩٣. وأيام لنا غر طوال

عصينا الملك فيها أن ندينا

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٣٣٥

أو نقمه ؛ كقوله : [الطويل] ٣١٩٤. وأيامنا مشهورة في عدونا

....

ووجهه : أن العرب تتجوز فتسند الحدث إلى الزمان ، مجازا أو تضيفه إليها كقولهم : نهار صائم ، وليل قائم ، و ﴿مكر الليل﴾ [سبأ : ٣٣].

قال الواحدي : " أيام جمع يوم ، واليوم هو مقدار المدة من طلوع الشمس إلى غروبها ، وكان في الأصل : أيوام ، فاجتمعت الياء ، والواو ، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الراء ياء ، وأدغمت إحداهما في الأخرى فقلبت ياء ".

٣٤٠

." (١)

"قوله : ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا﴾ الأية ، " جعلنا " : يجوز أن يكون بمعنى " خلقنا " فيتعلق به الجار ، وأن يكون بمعنى صيرنا ؛ فيكون مفعلوه الأول : " بروجا " ومفعوله الثاني : الجار ، فيتعلق بمحذوف ، و " للناظرين " متعلق بـ " زيناها " ، والضمير لـ " السماء " أي : زيناها بالشمس ، والقمر ، والنجوم.

وقيل : للبروج : وهي الكواكب ، زناها بالضوء ، والنظر عيني.

وقيل : قلبي وحذف متعلقة ؛ ليعم.

فصل في دلائل التوحيد السماوية والأرضية لما أجاب عن منكري النبوة ، وقد ثبت أن القول بالنبوة فرع على القول بالتوحيد ، أتبعه ـ تعالى ـ بدلائل التوحيد وهي : منها سماوية ، ومنها أرضية ، فبدأ بذكر السماوية ، فقال ـ وعز وجل ـ : ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين﴾.

قال الليث ـ رحمه الله ـ : البروج واحدها برج من بروج الفلك ، والبروج : هي النجوم الكبار ، مأخوذة من الظهور ، يقال : برجت المرأة ، أي : ظهرت ، وأراد بها المنازل التي تنزلها الشمس ، والقمر ، والكواكب

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٣٠٩٦

السيارة.
والعرب تعد المعرفة بمواقع النجوم ، وأبوابها من أجل العلوم ، ويستدلون بها على الطرقات ، والأوقات ، والخصب ، والحدب ، وقالوا : الفلك : اثنا عشر برجا ، كل برج ميلان ، ونصر للقمر.
وقال ابن عطية : هي قصور في السماء ، وعليها الحرس.
﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ مرجوم ، وقيل : ملعون.
قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات ، وكانوا يدخلونها ، ويأتون بأخبارها ؛ فيلقون على الكهنة ، فلما ولد عيسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ منعوا من ثلاث سماوات ، فلما و لد محمد صلى الله عليه وسلم من السموات أجمع ، فما منهم من أحد يريد استراق السمع ، 'إلا رمي بشهاب.
٤٣٨
فلما منعوا من تلك المقاعد ، ذكروا ذلك لإبليس ، فقال : حدث في الأرض حدث ، قال : فبعثهم ، فوجد رسول الله ـ صلواتالله وسلامه عليه ـ يتلوا القرآن ، فقالوا والله حدث.
فإن قيل : ما معنى : ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ والشيطان لا قدرة له على هدم السماء ، فإي حاجة إلى حفظ السماء منه ؟ قلنا : لما منعه من القرب منها ، فقد حفظ السماء من مقاربة الشيطان ، فحفظ الله السماء منهم ، كما قد يحفظ منازلنا ممن يخشى منه الفساد.
والرمي في اللغة : الرمي بالحجارة ، والرجم أيضا : السب والشتم ؛ لأنه رمي بالقول القبيح ، والرجم : القول بالظن ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿رجما بالغيب﴾ [الكهف : ٢٢] ؛ لأنه يرميه بذلك الظن ، والرجم أيضا : اللعن ، والطرد.
قوله : ﴿إلا من استرق﴾ فيه خمسة أوجه : أحدهما في محل نصب على الاستثناء المتصل ، والمعنى : فإنها لم تحفظ منه ؛ قاله غير واحد.
الثاني : منقطع ومحله النصب أيضا ، أي : لكن من استرق السمع.
قال الزجاج ـ رحمه الله ..
موضع " من " نصب على التقدير ، قال : " وجاز أن يكون في موضع خفض ، والتقدير : إلا ممن ".
الثالث : أنه بدلا من "كل شيطان " فيكون محله الجر ، قاله الحوفي ، وأبو البقاء ، وتقدم عن الزجاج ، وفيه نظر ؛ لأن الكلام موجب.

الرابع : أنه نعت لـ "كل شيطان " فيكون محله الجر ، على خلاف في هذه المسألة.
الخامس : أنه في محل رفع بالابتداء ، وخبره الجملة من قوله تعالى : ﴿فأتبعه﴾ ، وإنما دخلت الفاء ؛ لأن " من " إما شرطية ، وإما موصولة ، مشبهة بالشرطية.
قاله أبو البقاء وحينئذ يكون من باب الاستثناء المنقطعه.
والشهاب : الشعلة من النار ، وسمي بها الكوكب ؛ لشدة ضوئه ، وبريقه ، وكذلك سمي السنان شهابا ، ويجمع على : " شهب " في الكثرة ، و " أشهب " في القلة ، والشهبة : بياض مختلط بسواد ؛ تشبيها بالشهاب ؛ لاختلاطه بالدخان ، ومنه : كتيبة شهباء لسواد القوم ، وبياض الحديد ، ومن ثم غلط الناس في إطلاقهم الشبهة على البياض الخالص.
وقال القرطبي : " أتبعه " : أدركه ولحقه ، شهاب مبين ، أي : كوكب مضيء ، وكذلك : ﴿بشهاب قبس﴾ [النمل : ٧] أي : شعلة نار في رأس عود ، قاله ابن عزيز ؛ وقال ذو الرمة : [البسيط]
٤٣٩
٣٢٧٠. كأنه كوكب في إثر عفرية
مسوم في سواد الليل منقضب
جزء : ١١ رقم الصفحة : ٤٣٨
" (١).

"واتصل الضميران هنا : لاختلافهما رتبة ، ولو فصل ثانيهما ، لجاز عند غير سيبويه وهذا كما تقدم في قوله تعالى : ﴿أنلزمكموها﴾ [هود : ٢٨].
قوله تعالى : ﴿ومآ أنتم له بخازنين﴾ جملة مستأنفة ، و " له " متعلق بـ " خازنين " ، والمعنى : أن المطر في خزائننا ، ولا في خزائنكم.
[وقال سفيان : لستم بمانعين].
قوله تعالى : ﴿وإنا لنحن نحيي ونميت﴾ الآية ، هاذ النوع السادس من دلائل التوحيد ، وهو الاستدلال بالإحياء ، والإماتة على وجود الإله القادر المختار.
قوله : " لنحن " يجوز أن يكون مبتدأ ، و " نحيي " خبره ، والجملة خبر " إنا " ويجحوز أن يكون تأكيدا لـ " إنا " ، ولا يجوز أ ، يكون فصلا ؛ لأ ، هـ لم يقع بين اسمين ، وقد تقدم نظيره [الحجر : ٩].

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣١٤٣

وقال أبو البقاء : لا يكون فصلا لوجهين : أحدهما : أن بعده فعلا.
والثاني : أن معه اللام.
قال شهاب الدين ـ رحمه الله ـ : " الوجه الثاني : **غلط** ؛ فشإن لام التوكيد لا يمنع دخولها على الفصل ، نص النحاة على ذلك ، ومنه قوله ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ [آل عمران : ٦٢] ، جوزوا فيه الفصل مع إقرانه باللام ".
فصل من العلماء من حمل الأحياء على القدر المشترك بين إحياء النبات والحيوان ، ومنهم من قال : وصف النبات بالإحياء مجاز ؛ فوجب تخصيصه بإحياء الحيوان ، وقوله ـ جل ذكره ـ : ﴿وإنا لنحن نحيي ونميت﴾ يفيد الحصر ، أي : لا قدرة على الإحياء والإماتة إلا لنا ، " ونحن الوارثون " إذا مات جميع الخلائق ، فحينئذ يزول الملك كل أحد ، ويكون الله ـ سبحانه ـ هو الباقي المالك لكل المملوكات ، وحده لا شريك له ، فكان شبيها بالإرث.
قوله تعالى : ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ المستقدمين : الأموات ، والمستأخرين : الأحياء.
وقال الشعبي ـ رضي الله عنه ـ : الأولين ، والآخرين.
وقال عكرمة : المستقدمون : من خلق الله ، والمستأخرون : من لم يخلق.
٤٤٨
وقيل : المستقدمين : القرون الأولى ، والمستأخرين : أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
وقال الحسن : المستقدمين : في الطاعة والخير ، والمستأخرين : في صف القتال.
وقال ابن عيينه : أراد من سلم ، ومن لم يسلم.
وقال الأوزاعي : أ راد المصلين في أول الوقت ، المؤخرين إلى آخره.
روى أبو الجوزاء ، عن ابن عباس : كانت امرأة حسناء تصلي خلق النبي صلى الله عليه وسلم فكان قوم يتقدمون إلى الصف الأول ؛ لئلا يرونها ، وآخرون يتأخرون ، ليرونها.
وفي رواية : أن النساء كن يخرجن إلى الجماعة ، فيقفن خلف الرجال ، من النساء من في قلبها ريبة ، فتقدم إلى أول صف النساء ؛ لتقرب من الرجال ؛ فنزلت الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " خير صفوف الرجال أولها وشرها أخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها ".
ورروي أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب في الصف الأول في الصلاة [فازدحم] النس عليه ؛ فأنزل الله

ـ تبارك وتعالى ـ هذه الآية.

والمعنى : إنا نجزيهم على قدر نياتهم.

فصل قال القرطبي : " الآية تدل على فضل أول الوقت في الصلاة ، وعلى فضل الصف الأول ، كما تدل على فضل الصف الأول في الصلاة ، كذلك تدل على فضل الصف الأول في القتال' فإن القيام في وجه العدو ، وبيع العبد نفسه من الله ـ تعالى لا يوازيه عمل ، ولا خلاف في ذلك ".

واعلم أن ظاهر الآية يدل على أنه لا يخفى على الله شيء من أحوالهم ؛ فيدخل فيه

٤٤٩

علمه بتقدمهم ، وتأخرهم ، في الحدوث ، الوجود في الطاعات وغيرها ؛ فلا ينبغي أن تخص بحالة دون حالة.

ثم قال تعالى : ﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾ على ما علم منهم ، وذلك تنبيه على أن الحشر ، والنشر ، البعث ، والقيامة ، أمر واجب ﴿إنه حكيم عليم﴾ أي : أن الحكمة تقتضي وجوب الحشر ، والنشر ، وعلى ما تقرر في أول سورة يونس ـ عليه السلام ..

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٤٣٨

". (١)

"أراد : صوت أجنحة أفراخها ، حين تطير ، أو أصوات أفراخها.

وقال الزمخشري : " الطين اليابس الذي يصلصل من غير طبخ ، فإذا طبخ ، فهو فخار ".

وقال أبو الهيثم : " هو صوت اللجام ، وما أشبهه ؛ كالقعقعة في الثوب ".

وقال الزمخشري ـ أيضا ـ : قالوا : إذا توهمت في صوته مدا ، فهو صليل ، وإن توهمت فيه خفاء ، فهو صلصلة ، وقيل : هو من تضعيف " صل " ، إذا أنتن أنتهى.

و " صلصال " هنا ، بمعنى مصلصل ؛ كزلزال ، بمعنى مزلزل ، ويكون " فعلال " ـ أيضا ـ مصدرا ، ويجوز كسره أيضا ، وفي هذا النوع ، أي : ما تكررت فاؤه ، وعينه خلاف.

فقيل : وزنه : فعفع ؛ كررت الفاء والعين ، ولا لام للكلمة ؛ قاله الفراء ، وغيره.

وهو غلط ؛ لأن أقل الأصول ثلاثة : فاء ، وعين ، ولام.

والثاني : أن وزنه " فعفل : ؛ وهو قول الفراء.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣١٤٨

الثالث : أنه " فعل " بتشديد العين ، وأسله " صلل " فلما اجتمع ثلاثة أميال ، أبدل الثاني من مجنس فاء الكلمة ، وهومذهب كوفي ، خص بعضهم هذا لخلاف بما إذا لم يختل المعنى ، بسقوط الثالث ، نحو " لملم " و " كبكب " فإنك تقول فيهما : " لم " ، و " كب " ، فول لم يصح المعنى بسقوطه ؛ نحو : سمسم " ، قال : فلا خلاف في أصالة الجميع.

قوله تعالى : ﴿من حمإ مسنون﴾ فيه وجهان : أحدهما أنه في محل جر صفة لـ " صلصال " ؛ فيتعلق بمحذوف.

والثاني : أ ، ه بدل من " صلصال " بإعادة الجار.

والحمأ : الطين الأسود المنتن.

٤٥٢

قال الليث . رحمه الله . : واحده " حمأة " بتحريك العين جمعله اسم جنس ؛ وقد غلط في ذلك ؛ فإن أهل اللغة قالوا : لا يقال إلا " حمأة " [بالإسكان] ، ولا يعرف التحريك ؛ نص عليه أبو عبيدة ، وجماعة ؛ وأنشدوا رأبي الأسود : [الوافر] ٣٢٧٦. تجيء بملئها طورا وطورا

تجيء بحمأة وقليل ماء

فلا يكون " الحمأة " واحدة " الحمأ " ؛ لاختلاف الوزنين.

والمسنون : المصبوب ؛ من قولهم : سننت الشراب ، كأنه لرطبته جعل مصبوبا ، كغيره من المائعات ، فكأن المعنى : أفرغ صورة إنسان ، كما تفرغ الجواهر المذابة.

قال الزمخشري : وحق " مسنون " بمعنى مصور : أن يكون صفة لـ " صلصال " ؛ كأنه أفرغ الحمأ ، فصور منه تمثال شخص.

يعني أنه يصير التقدير : من صلصال مصور ، ولكن يلزم تقديم الوصف المؤول على الصريح ؛ إذا جعلنا : " من حمأ " صفة لـ " صلصال " ، أما إذا جعلناه بدلا منه ؛ فلا.

وقيل : مسنون : مصور من سنة الوجه ، وهي صورته ؛ قال الشاعر : [البسيط] ٣٢٧٧. تريك سنة وجه غير مقرفة

....

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٤٥٠

وقال الزمخشري : والمسنون : المحكوك ، مأخوذ من سننت الحجر ، إذا حككته به ، فالذي يسيل بينهما

سنن ولا يكون إلا منتنا.

ومنه يسمى المسن مسنا ؛ لأن الحديد يحك عليه.

وقيل : المسنون : المنسوب إليه ، والمعنى ينسب إليه ذريته ، وكأن هذا القائد أخذه من الواقع ، وقيل : هو من أسن الماء إذا تغير ، وهذا **غلط** ؛ لاختلاف المادتين.

روي أن الله ـ تعالى ـ خمر طينة آدم ، وتركه حتى صار متغيرا أسود ، ثم خلق منه آدم ـ صلوات الله وسلامه عليه ..

قوله : ﴿والجآن خلقناه﴾ منصوب على الاشتغال ، ورجح نصبه ؛ لعطف جملة على جملة فعلية.

٤٥٣

" (١).

"على قدرها ، وكانت تغزل الغزل من الصوف أو الشعر والوبر هي وجواربها ، فكن يغزلن إلى نصف النهار ، فإذا انتصف النهار ، أمرتهن بنقض جميع ما غزلن ، فكان هذا دأبها.

والمعنى : أنها لم تكل عن العمل ، ولا حين عملت كفت عن النقض ، فكذلك أنتم إذا نقضتم العهد لا كفيتم عن العهد ، ولا حين [عهدتم] وفيتم به.

وقيل : المراد بالمثل : الوصف دو التعيين ؛ لأن القصد بالأمثال صرف المكلف عن الفعل إذا كان قبيحا ، والدعاء إليه إذا كان حسنا ، وذلك يتم دون التعيين.

قوله تعالى : " أنكاثا " فيه وجهان : أظهرهما : أنه حال من " غزلها " ، والأنكاث : جمع نكث بمعنى منكوث ، أي : منقوض.

والثاني : أنه مفعول ثان لتضمين " نقضت " معنى صيرت ؛ كما تقول : فرقته أجزاء.

وجوز الزجاج فيه وجها ثالثا ، وهو النصب على المصدرية ؛ لأن معنى نكثت : نقضت ، ومعنى نقضت : نكثت ؛ فهو ملاق لعامله في المعنى.

قيل : وهذا **غلط** منه ؛ لأن الأنكاث جمع نكث ، وهو اسم لا مصدر ، فكيف يكون قوله : " أنكاثا " بمعنى المصدر ؟ .

والأنكاث : الأنقاض ، واحدها نكث ؛ وهو ما نقض بعد الفتل غزلا كان أو حبلا.

فصل قال ابن قتيبة : هذه الآية متصلة بما قبلها ، والتقدير : وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٣١٥٠

الأيمان بعد توكيدها ، فإنكم إن فعلتم ذلك ، كنتم مثل امرأة غزلت غزلا وأحكمته ، فلما استحكم ، نقضته فجعلته أنكاثا.

قوله تعالى : ﴿تتخذون﴾ يجوز أن يكون الجملة حالا من واو " تكونوا " ، أو من الضمير المستتر في الجار ؛ إذ المعنى : تكونوا مشبهين كذا حال كونكم متخذين ، وهذا استفهام على سبيل الإنكار.

قوله : " دخلا بينكم " هو المفعول الثاني لـ " تتخذون " ، والدخل : الفساد والدغل.

وقيل : " دخلا " مفعول من أجله ، وقيل : الدخل : الداخل في الشيء ليس منه.

قال الواحدي - رحمه الله تعالى - : " الدخل والدغل : الغش والخيانة ".

وقيل : الدخل : ما أدخل في الشيء على فساد ، وقيل : الدخل والدغل : أن يظهر الوفاء به ويبطن الغدر والنقض.

١٤٩

وقوله تعالى : " أن تكون " أي : بسبب أن تكون ، أو مخافة أن تكون ، و " تكون " يجوز أن تكون تامة ؛ فتكون " أمة " فاعلها ، وأن تكون ناقصة ، فتكون " أمة " اسمها وهي مبتدأ ، و " أربى " خبره ، والجملة في محل نصب على الحال على الوجه الأول ، وفي موضع الجر على الوجه الثاني ، وجوز الكوفيون أن تكون " أمة " اسمها ، و " هي " عماد ، أي : ضمير فصل ، و " أربى " خبر " تكون " ، والبصريون لا يجيزون ذلك ؛ لأجل تنكير الاسم ، فلو كان الاسم معرفة ، لجاز ذلك عندهم.

فصل قال مجاهد - رحمه الله - : كانوا يحالفون الحلفاء ، فإذا وجدوا قوما أكثر منهم وأعز ، نقضوا حلف هؤلاء ، وحالفوا الأكثر ، فالمعنى : طلبتم العز بنقض العهد ؛ بأن كانت أمة أكثر من أمة ، فنهاهم الله - تعالى - عن ذلك.

ومعنى " أربى من أمة " ؛ أي : أزيد في العدد ، والقوة ، والشرف.

ثم قال - جل ذكره - : ﴿إنما يبلوكم الله به﴾ ، أي يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد.

والضمير في " به " يجوز أن يعود على المصدر المنسبك من " أن تكون " ، تقديره : إنما يبلوكم الله بكون أمة ، أي : يختبركم بذلك.

وقيل : يعود على الربا المدلول عليه بقوله : " هي أربى ".

وقيل : على الكثرة ؛ لأنها في معنى الكثير.

قال ابن الأنباري رحمه الله تعالى : ملا كان تأنيثها غير حقيقي ، حملت على معنى التذكير ؛ كما حملت

الصيحة على الصياح ولم يتقدم للكثرة للفظ ، وإنما هي مدلول عليها بالمعنى من قوله تعالى : ﴿هي أربى من أمة﴾.
ثم قال : ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا ، فيميز المحق من المبطل.
قوله – تعالى – : ﴿ولو شآء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ الآية لما أمر القوم بالوفاء بالعهد وتحريم نقضه ، أتبعه ببيان أنه – تعالى – قادر على أن يجمعهم على هذا الوفاء ، وعلى سائر أبواب الإيمان ، ولكنه – سبحانه وتعالى جل ذكره – بحكم الألوهية يضل من يشاء ويهدي من يشاء.
والمعتزلة حملوا ذلك على الإلجاء ، أي : لو أراد أن يلجئهم إلى الإيمان أو إلى
١٥٠
." (١)

"قوله " من لدنك " يجوز أن يتعلق بـ " هب " ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من " وليا " لأنه في الأصل صفة للنكرة ، فقدم عليها.
﴿يرثني ويرث﴾ : قرأ أبو عمرو ، والكسائي بجزم الفعلين على أنهما جواب للأمر ؛ إذ تقديره : إن يهب ، والباقون برفعهما ؛ على انهما صفة لـ " وليا ".
وقرأ علي – رضي الله عنه – وابن عباس ، والحسن ، ويحيى بن يعمر ، والجحدري ، وقتادة في آخرين : " يرثني " بياء الغيبة ، والرفع ، وأرث مسندا لضمير المتكلم.
فصل فيما قرئ به من قوله : ﴿يرثني ويرث﴾ قال صاحب " اللوامح " : " في الكلام تقديم وتأخير ؛ يرث نبوتي ، إن من قبله وأرث ماله ، إن مات قبلي ".
ونقل هذا عن الحسن.
وقرأ علي أيضا ، وابن عباس ، والجحدري " يرثني وارث " جعلوه اسم فاعل ، أي : يرثني به وارث ، ويسمى هذا " التجريد " في علم البيان.
وقرأ مجاهد " أويرث " وهو تصغير " وارث " والأصل : " وويرث " بواوين ، وجب قلب أولاهما همزة ؛ لاجتماعهما متحركين أول كلمة ، ونحو " أويصل " تصغير " واصل " والواو الثانية بدل عن ألف " فاعل " و " أويرث " مصروف ؛ لا يقال : ينبغي أن يكون غير مصروف ؛ لأن فيه علتين : الوصفية ، ووزن الفعل ، فإنه بزنة " أبيطر " مضارع " بيطر " وهذا مما يكون الاسم فيه منصرفا في التكبير ممتنعا في التصغير ،

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٢٥١

لا يقال ذلك لأنه غلط بين ؛ لأن " أويرثا " وزنه فويعل ، لا أفيعل ؛ بخلاف " أحيمر " تصغير " أحمر ".

وقرأ الزهري : " وارث " بكسر الواو ، ويعنون بها الإمالة.

قوله : " رضيا " مفعول ثان ، وهو فعيل بمعنى فاعل ، وأصله " رضيو " لأنه من الرضوان.

فصل معنى قوله : ﴿فهب لي من لدنك وليا﴾ أعطني من أبناء.

واعلم أن زكريا – عليه السلام – قدم السؤال ؛ لأمور ثلاثة : الأول : كونه ضعيفا.

١٠

والثاني : أن الله تعالى ما رد دعاءه.

والثالث : كون المطلوب سببا للمنفعة في الدين ، ثم بعد ذلك صرح بالسؤال.

أما كونه ضعيفا ، فالضعيف : إما أن يكون في الباطن ، أو في الظاهر ، والضعف في الباطن أقوى من ضعف الظاهر ، فلهذا ابتدأ ببيان ضعف الباطن ، فقال : ﴿وهن العظم مني﴾ وذلك لأن العظم أصلب أعضاء البدن ، وجعل كذلك المنتفعين : الأولى : ليكون أساسا وعمدا يعتمد عليها بقية الأعضاء ؛ لأنها موضوعة على العظام ، والحامل يجب أن يكون أقوى من المحمول عليه.

الثاني : أنها في بعض المواضع وقاية لغيرها.

واحتج أصحاب القول الأول أنه إذا...

أولا ، ثم رد بأنها تكون كغيرها من الأعضاء كعظام الصلف وقحف الرأس ، وما كان كذلك ، فيجب أن يكون صلبا ؛ ليصبر على ملاقاة الآفات ، ومتى كان العظم حامل لسائر الأعضاء ، فوصول الضعف إلى الحامل موجب لوصوله إلى المحمول ، فلهذا خص العظم بالوهن من بين سائر الأعضاء.

وأما ضعف الظاهر ، فلاستيلاء ضعف الباطن عليه ، وذلك مما يزيد الدعاء تأكيدا ؛ لما فيه من الارتكان على حول الله وقوته.

وأما كونه غير مردود الدعاء ، فوجه توسله به من وجهين : الأول : أنه إذا قبله أولا ، فلو رده ثانيا ، لكان الرد محبطا للإنعام الأول ، والمنعم لا يسعى في إحباط إنعامه.

والثاني : أن مخالفة العادة تشق على النفس ، فإذا تعود الإنسان إجابة الدعاء ، فلو رد بعد ذلك ، لكان ذلك في غاية المشقة ، والجفاء ممن يتوقع منه الإنعام يكون أشق ، فكأن زكريا – عليه السلام – قال : إنك إن رددتني بعدما عودتني القبول مع نهاية ضعفي ، كان ذلك بالغا إلى النهاية القصوى في [ألم]

القلب ، فقال : ﴿ولم أكن بدعآئك رب شقيا﴾.
تقول العرب : سعد فلان بحاجته : إذا ظفر بها ، وشقي بها : إذا خاب ، ولم [يبلغها].
وأما كون المطلوب منتفعا به في الدين ، فهو قوله : ﴿وإني خفت الموالي من ورآئي﴾.
فصل في اختلافهم في المراد من قوله : ﴿خفت الموالي﴾ قال ابن عباس والحسن : الموالي : الورثة وقد تقدم.

١١

." (١)

"وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين.
وحكى أبو البقاء عن الأخفش والكسائي أن مفعول " ننزعن " : " من كل شيعة " و " من " مزيدة ، قال : وهما يجيزان زيادة " من " " في الواجب " ، و " أيهم " استفهام أي : لننزعن كل شيعة.
وهذا مخالف في المعنى تخريج الجمهور ، فإن تخريجهم يؤدي إلى التبعيض ، وهذا يؤدي إلى العموم ، إلا أن يجعل " من " لابتداء الغاية لا للتبعيض فيتفق التخريجان ، وذهب الكسائي إلى أن معنى " لننزعن " لننادين ، فعومل معاملته ، فلم يعمل في " أي ".
قال المهدوي : " ونادى " يعلق إذا كان بعده جملة نصب ، فيعمل في المعنى ولا يعمل في اللفظ.
وقال المبرد : " أيهم " متعلق بـ " شيعة " فلذلك ارتفع ، والمعنى من الذين تسايعوا أيهم أشد ، كأنهم يتبادرون إلى هذا.
" ويلزمه على هذا " أن يقدر مفعولا لـ " ننزعن " محذوفا وقدر بعضهم في قول المبرد : من الذين تعاونوا فنظروا أيهم.
قال النحاس وهذا قول حسن.
وقد حكى الكسائي تشايعوا بمعنى

١١٣

تعاونوا قال شهاب الدين : وفي هذه العبارة المنسوبة للمبرد قلق ، ولا بين الناقل عنه وجه الرفع عن ماذا يكون ، وبينه أبو البقاء ، لكن جعل " أيهم " فاعلا لما تضمنه " شيعة " " من معنى الفعل ، قال : التقدير : لننزعن من كل " فريق يشيع أيهم.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٤٧٥

وهي على هذا بمعنى " الذي " ، ونقل الكوفيون أن " أيهم " في الآية بمعنى الشرط ، والتقدير : إن اشتد عتوهم أو لم يشتد ، كما تقول : ضرب القوم أيهم غضب.

المعنى : إن غضبوا أو لم يغضبوا.

وقرأ طلحة بن مصرف " ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء ، وزائدة " عن الأعمش " أيهم " نصبا.

فعلى هذه القراءة والتي قبلها ينبغي أن يكون مذهب سيبويه جواز إعرابها وبنائها ، وهو المشهور عند النقلة عنه ، " وقد نقل عنه " أنه يحتم بناءها.

قال النحاس : ما علمت أحدا من النحويين إلا وقد خطأ سيبويه ، " قال : وسمعت أبا إسحاق الزجاج يقول : ما يبين لي أن سيبويه " **غلط** في كتابه إلا في موضعين هذا أحدهما.

قال : وقد أعرب سيبويه " أيا " وهي مفردة ، لأنها تضاف فكيف يبينها مضافة.

وقال الجرمي : خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكة أحدا يقول : لأضربن أيهم قائم ، بالضم بل ينصب.

١١٤

قوله : " على الرحمن " متعلق بـ " أشد " ، و " عتيا " منصوب على التمييز وهو محول عن المبتدأ ، " إذ التقدير " : أيهم هو عتوه أشد.

ولا بد من محذوف يتم به الكلام ، التقدير : فيلقيه في العذاب ، أو فنبدأ بعذابه.

قال الزمخشري : فإن قلت : بم يتعلق " على " ، و " الباء " ، فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه.

قلت : هما للبيان لا للصلة ، أو يتعلقان بأفعل ، أي : عتوهم أشد علىٰ الرحمن ، وصليهم أولى بالنار ، كقولهم : هو أشد على خصمه ، وهو أولى بكذا.

يعني بـ " على " قوله : : على الرحمن " ، وبـ " الباء " قوله : " بالذين هم " وقوله : بالمصدرين.

يعني بهما " عتيا " و " صليا ".

" وأما كونه لا سبيل إليه " ، فلأن المصدر في نية الموصول ، ولا يتقدم معمول الموصول عليه " وجوز بعضهم " أن يكون " عتيا " ، و " صليا " في هذه الآية مصدرين كما تقدم وجوز أن يكون جمع عات وصال فانتصابهما على هذا الحال.

وعلى هذا يجوز أن يتعلق " على " و " الباء " بهما لزوال المحذوف المذكور.

قال المفسرون : معنى قوله : ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ أي أحق بدخول النار.

يقال : صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا ، وصلى يصلي صليا مثل مضى يمضي مضيا ، إذا دخل النار ، وقاسى حرها.

قوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ الآية.

الواو في " وإن " فيها وجهان : أحدهما : أنها عاطفة لهذه الجملة على ما قبلها.

وقال ابن عطية : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قسم ، والواو تقتضيه ، ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم " من مات له ثلاث من

١١٥

الولد لم تمسه النار إلا تحله القسم " وأراد بالقسم قوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾.

قال أبو حيان : " وذهل عن " قول النحويين : إنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا إذا كان الجواب باللام أو بـ " إن " ، والجواب هنا على زعمه بـ " إن " النافية ، فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا.

وقوله : والواو تقتضيه.

يدل على أنها عنده واو القسم ، ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو واو القسم ، لأنه يلزم عن ذلك حذف المجرور وإبقاء الجاء ، ولا يجوز بذلك إلا أن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه ، كما أولوا في قولهم : نعم السير على بئس العير.

أي : على عير بئس العير ، وقول الشاعر :

٣٦١٨ - والله ما ليلي بنام صاحبه

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٩٧

." (١)

"الثالث : أنه أفعل من الإيتاء ، كذا توهم وهو غلط.

قال ابن عطية : ولو كان آتينا : أعطينا لما تعدت بحرف جر ، ويوهن هذه لقراءة أن إبدال الواو المفتوحة همزة ليس بمعروف ، وإنما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة يعني : أنه كان من حق هذا القارئ أن يقرأ " وأتينا " مثل وأعطينا ، لأنها من المواتاة على الصحيح ، فأبدل هذا القارئ الواو المفتوحة همزة وهو قليل ومنه أحد وأناة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٥٢٥

قال أبو البقاء : ويقرأ بالمد بمعنى جازينا بها ، فهو يقرب من معنى أعطينا ، لأن الجزاء إعطاء ، وليس منقولا من أتينا ، لأن ذلك لم ينقل عنهم.

وقرأ حميد " أثبنا " من الثواب ، والضمير في " بها " عائد على المثقال وأنث ضميره لإضافته لمؤنث ، فهو كقوله :

٣٧٢٣ - كما شرقت صدر القناة من الدم

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٥٠٨

في اكتسابه التأنيث بالإضافة.

فصل زعم الجبائي أن من استحق مائة جزء من العقاب فأتى بطاعة يستحق بها خمسين جزءا من الثواب فهذا الأقل ينحبط بالأكثر ، فيبقى الأكثر كما كان.

وهذه الآية تبطل قوله ، لأن الله تعالى تمدح بأن اليسير من الطاعة لا يسقط ولو كان الأمر كما قال الجبائي لسقطت الطاعة من غير فائدة.

فإن قيل : الحبة أعظم من الخردلة فكيف قال : " حبة من خردل " ؟ فالوجه فيه أن تفرض الخردلة كالدينار ثم تعتبر الحبة من ذلك الدينار.

والغرض المبالغة في أن شيئا من الأعمال صغيرا كان أو كبيرا غير ضائع عند الله.

ثم قال : ﴿وكفى بنا حاسبين﴾.

قال السدي : محصين.

والحسب : معناه العد.

قال ابن عباس : عالمين

٥١٤

حافظين ، لأن من حسب شيئا علمه وحفظه.

والغرض منه التحذير فإن المحاسب إذا كان عالما بحيث لا يمكن أن يفوته شيء ، وكان في القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون شديد الخوف منه.

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٥٠٨

قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ الآية.

لما أمر رسوله أن يقول ﴿إنمآ أنذركم بالوحي﴾ [الأنبياء : ٤٥] أتبعه بأنه عادة الله في الأنبياء قبله.

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ يعني : الكتاب المفرق بين الحق والباطل ، وهو التوراة ، وكان " ضياء " لغاية وضوحه يتوصل به إلى طرق الهدى في معرفة الشرائع ، وكان " ذكرى " أي موعظة أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم.

وقال ابن زيد : الفرقان النصر على الأعداء كقوله تعالى : ﴿ومآ أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان﴾ [الأنفال : ٤١] يعني : يوم بدر حين فرق بين الحق والباطل.

وهو مروي عن ابن عباس ، ولأنه أدخل الواو في قوله " وضياء " أي : آتينا موسى النصر والضياء ، وهو التوراة ، لأن العطف يقتضي المغايرة.

وقيل : المراد بالفرقان : البرهان الذي فرق به بين الحق والباطل.

وقال الضحاك : الفرقان هو فلق البحر.

وقال محمد بن كعب : الفرقان الخروج عن الشبهات.

ومن قال المراد بالفرقان : التوراة قال : الواو في قوله : " وضياء " تكون من عطف الصفات ، والمراد به شيء واحد ، أي : آتيناه الجامع بين هذه الأشياء.

وقيل : الواو زائدة.

قال أبو البقاء ف " ضياء " حال على هذا.

وإنما خصص الذكر بالمتقين كما في قوله " هدى للمتقين ".

قوله : " الذين يخشون " في محله ثلاثة أوجه : (البحر على النعت أو البدل أو البيان ، والنصب والرفع على القطع).

وفي معنى " الغيب " وجوه :

٥١٥

الأول : " يخشون " أي : يخافون ربهم ولم يروه فيأتمرون بأوامره ، وينتهون عن نواهيه.

وثانيها : يخشون ربهم وهم غائبون عن الآخرة وأحكامها.

وثالثها : يخشون ربهم في الخلوات إذا غابوا عن الناس ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون.

ثم قال : ولما أنزلت عليه القرآن المنزل عليك وهو معنى قوله : ﴿وهاذا ذكر مبارك﴾ يعني : القرآن " ذكر " لمن تذكر به " مبارك " يتبرك به ، ويطلب منه الخير ، " أفأنتم " يا أهل مكة " له منكرون " جاحدون ، استفهام إنكار وتوبيخ ، والمعنى : لا إنكار في إنزاله وفي عجائب ما فيه.

". (١)

"هو غلط ، لأن " أن " نافية لا عمل لها.

ونقل أبو البقاء عن غيره أنه قال في تخريجها : أنه ألقي حركة الهمزة على الياء فتحركت ، وبقيت الهمزة ساكنة ، فأبدلت ألفا لانفتاح ما قبلها ، ثم أبدلت همزة متحركة ، لأنها في حكم المبتدأ بها ، والابتداء بالساكن محال.

وهذا تخريج متكلف لا حاجة إليه ، ونسبة راويها عن ابن عباس إلى الغلط أولى من هذا التكلف فإنها قراءة شاذة ، وهذا التخريج وإن وقع في الأولى فلا يجري في الثانية شيئا.

وسيأتي قريب من ادعاء قلب الهمزة ألفا ثم قلب الألف همزة في قوله : " منسأته " - إن شاء الله - ، وبذلك يسهل الخطب في التخريج المذكور والجملة الاستفهامية في محل نصب بـ " أدري " ، لأنها معلقة لها عن العملأ ، وأخر المستفهم عنه لكونه فاصلة ، ولو وسط لكان التركيب : أقريب ما توعدون أم بعيد ، ولكنه أخر مراعاة لرؤوس الآي.

و " ما توعدون " يجوز أن يكون مبتدأ وما قبله خبر عنه ومعطوف عليه ، وجوز أبو البقاء فيه أن يرتفع فاعلا بـ " قريب " قال : لأنه اعتمد على الهمزة.

قال : ويخرج على قول البصريين أن يرتفع بـ " بعيد " لأنه أقرب إليه.

يعني أنه يجوز أن تكون المسألة من التنازع فإن كلا من الوصفين يصح تسلطه على " ما توعدون " من حيث المعنى.

فصل المعنى : وما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون ، يعني : القيامة أو من عذاب الدنيا.

وقيل : الذي آذنهم به من الحرب لا يعلم هو قريب أم بعيد لئلا يقدر أن يتأخر ، وذلك أن السورة مكية ، وكان الأمر بالجهاد بعد الهجرة.

وقيل : ما يوعدون من غلبة المسلمين عليهم.

قوله : ﴿إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون﴾ والمقصود منه الأمر بالإخلاص وترك النفاق.

و " من القول " حال من الجهر.

قوله : " لعله فتنة " الظاهر أن هذه الجملة

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣٦٤٦

٦٢٦
متعلقة بـ " أدري " والكوفيون يجرون الترجي مجرى الاستفهام في ذلك ، إلا أن النحويين لم يعدوا من المعلقات (لعل) وهي ظاهرة في ذلك كهذه الآية ، وكقوله : ﴿وما يدريك لعله يزكى ﴾ [عبس : ٣] ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ [الشورى : ١٧].

فصل المعنى : وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم ، أو لعل إبهام الوقت الذي ينزل عليكم العذاب فتنة لكم أي : بلية واختبار لكم ليرى صنيعكم ، وهل يتوبوا عن الكفر أم لا وقيل : لعل ما أنتم فيه من الدنيا بلية لكم ، والفتنة البلوى والاختبار.

وقيل : لعل تأخير الجهاد فتنة لكم إذا أنتم دمتم على كفركم.

وقيل : " قال رب " خبرا عن الرسول – عليه السلام – والباقون : " قل " على الأمر.

وقرأ العامة بكسر الباء اجتزاء بالكسرة عن ياء الإضافة وهي الفصحى.

وقرأ أبو جعفر بضم الباء ، فقال صاحب اجتزاء بالكسرة عن ياء الإضافة وهي الفصحى.

وقرأ بضم الباء ، فقال صاحب اللوامح : إنه منادى
٦٢٧
مفرد ، ثم قال : وحذف حرف النداء فيما فيما يكون وصفا لـ (أي) بعيد بابه الشعر.

قال شهاب الدين : وليس هذا من المنادى المفرد ، بل نص بعضهم على أن بعض اللغات الجائزة في المضاف إلى ياء المتكلم حال ندائه.

وقرأ العامة " احكم " على صورة الأمر.

وقرأ ابن عباس وعكرمة وابن يعمر " ربي " بسكون الياء " أحكم " بفتح الميم كأكرم على أنه فعل ماض في محل خبر أيضا لـ " ربي " وقرأ العامة " تصفون " بالخطاب.

وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي – رضي الله عنه – " يصفون " بالياء من تحت وهي مروية أيضا عن عاصم وابن عامر ، والغيبة والخطاب واضحان فصل المعنى : رب اقض بيني وبين قومي بالحق أي : بالعذاب ، والحق ههنا العذاب ، نظيره : ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ [الأعراف : ٨٩] فلا جرم حكم الله تعالى عليهم بالقتل يوم بدر.

وقال أهل المعاني : رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأيم الحق مقامه.

والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب ، ومعنى الطلب : ظهور الرغبة من الطالب للحق.

وقيل : المعنى : افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع ، وهو أن تنصرني عليهم.
﴿وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون﴾ من الكذب والباطل.
وقيل : كانوا يطمعون أن يكون لهم الشوكة والغلبة ، فكذب الله ظنونهم ، وخيب آمالهم ، ونصر رسوله والمؤمنين.
فصل روي عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من قرأ سورة ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن ".
٦٢٨
جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٦٢٣." [1]
"وقوله : " عند ربه " أي : عند الله في الآخرة.
وقال الأصم : فهو خير له من التهاون.
قوله : ﴿وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ ووجه النظم أنه كان يجوز أن يظن أن الإحرام إذا حرم الصيد وغيره فالأنعام أيضا تحرم ، فبين تعالى أن الإحرام لا يؤثر فيها ، ثم استثنى منه ما يتلى في كتاب الله من المحرمات من النعم في سورة المائدة في قوله : ﴿غير محلي الصيد وأنتم حرم﴾ [المائدة : ١] ، وقوله : ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ [الأنعام : ١٢١].
قوله : ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ يجوز أن يكون استثناء متصلا ، ويصرف إلى ما يحرم من بهيمة الأنعام لسبب عارض كالموت ونحوه.
وأن يكون استثناء منقطعا ؛ إذ ليس فيها محرم وقد تقدم تقرير هذا أول المائدة.
قوله : " من الأوثان ".
في " من " ثلاثة أوجه : أحدها : أنها لبيان الجنس ، وهو مشهور قول المعربين ، ويقدر بقولك الرجس الذي هو الأوثان.
وقد تقدم أن شرط كونها بيانية ذلك ويجيء مواضع كثيرة لا يتأتى فيها ذلك ولا بعضه.
والثاني : أنها لابتداء الغاية.
٨٠
قال شهاب الدين : وقد خلط أبو البقاء القولين فجعلهما قولا واحدا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٦٨٨

فقال : و " من " لبيان الجنس ، أي : اجتنبوا الرجس من هذا القبيل وهو معنى ابتداء الغاية ههنا يعني أنه في المعنى يؤول إلى ذلك ولا يؤول إليه البتة.

الثالث : أنها للتبعيض.

وقد **غلط** ابن عطية القائل بكونها للتبعيض فقال : ومن قال إن " من " للتبعيض قلب معنى الآية فأفسده.

وقد يمكن التبعيض فيها بأن معنى الرجس عبادة الأوثان ، وبه قال ابن عباس وابن جريج فكأنه قال : فاجتنبوا من الأوثان الرجس وهو العبادة لأن المحرم من الأوثان إنما هو العبادة ، ألا ترى أنه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغيره مما لم يحرم الشرع استعماله ، فللوثن جهات منها عبادتها وهي بعض جهاتها.

قاله أبو حيان.

والأوثان جمع وثن ، والوثن يطلق على ما صور من نحاس وحديد وخشب ويطلق أيضا على الصليب ، قال عليه السلام لعدي بن حاتم وقد رأى في عنقه صليبا : " ألق هذا الوثن عنك " وقال الأعشى : ٣٧٦٣ - يطوف العفاة بأبوابه

كطوف النصارى ببيت الوثن

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٧٨

واشتقاقه من وثن الشيء ، أي أقام بمكانه وثبت فهو واثن ، وأنشد لرؤبة :

٣٧٦٤ - على أخلاء الصفاء الوثن

أي : المقيمين على العهد ، وقد تقدم الفرق بين الوثن والصنم.

فصل قال المفسرون : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ أي ؛ عبادتها ، أي كونوا على جانب منها فإنها رجس ، أي سبب رجس وهو العذاب ، والرجس بمعنى الرجز.

٨١

وقال الزجاج : " من " ههنا للتجنيس ، أي اجتنبوا الأوثان التي هي الرجس ﴿واجتنبوا قول الزور﴾.

واعلم أنه تعالى لما حث على تعظيم حرماته أتبعه بالأمر باجتناب الأوثان وقول الزور ، لأن توحيد الله وصدق القول أعظم الحرمات ، وإنما جمع الشرك وقول الزور في سلك واحد ، لأن الشرك من باب الزور ، لأن المشرك زاعم أن الوثن يحق له العبادة فكأنه قال : فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ، ولا تقربوا شيئا منه ، وما ظنك بشيء من قبيلة عبادة الأوثان.

وسمى الأوثان رجسا لا للنجاسة لكن لأن وجوب تجنبها أوكد من وجوب تجنب الرجس ، ولأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات.

قال الأصم : إنما وصفها بذلك لأن عادتهم في القربان أن يتعمدوا سقوط الدماء عليها.

وهذا بعيد ، وإنما وصفها بذلك استحقارا واستخفافا.

والزور من الازورار وهو الانحراف كما أن الإفك (من أفكه إذا صرفه) وذكر المفسرون في قول الزور وجوها : الأول : قولهم : هذا حلال وهذا حرام ، وما أشبه ذلك.

والثاني : شهادة الزور ؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – صلى الصبح فلما سلم قام قائما ، واستقبل الناس بوجهه ، وقال : " عدلت شهادة الزور الإشراك بالله " وتلا هذه الآية.

الثالث : الكذب والبهتان.

الرابع : قول أهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك.

قوله : " حنفاء لله " حال من فاعل " اجتنبوا " ، وكذلك " غير مشركين "

٨٢

." (١)

"والذي يظهر أن الأولى يشبه أن تكون للآلة.

" ومن عاقب " مبتدأ خبره " لينصرنه الله ".

فصل المعنى : الأمر ذلك الذي قصصناه عليك ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ أي قاتل من كان يقاتله ، ثم كان المقاتل مبغيا عليه بأن اضطر إلى الهجرة ومفارقة الوطن وابتدئ بالقتال.

قال مقاتل : نزلت في قوم من قريش أتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم ، وكره المسلمون قتالهم ، وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام ، فأبوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم ، وثبت المسلمون لهم فنصروا ، فوقع في أنفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام.

فأنزل الله هذه الآية ، وعفا عنهم وغفر لهم.

والعقاب الأول بمعنى الجزاء ، وأطلق اسم العقوبة على الأول للتعلق الذي بينه وبين الثاني كقوله تعالى : ﴿وجزآء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى : ٤٠] ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء : ١٤٢].

وهذه النصرة تقوي تأويل من تأول الآية على مجاهدة الكفار لا على القصاص لأن ظاهر النص لا يليق

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٧١٦

إلا بذلك.

وقال الضحاك : هذه الآية في القصاص والجراحات لأنها مدنية.

قال الشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه : من حرق حرقناه ، ومن غرق غرقناه لهذا الآية ، فإن الله تعالى جوز للمظلوم أن يعاقب بمثل ما عوقب به ووعده النصر.

وقال أبو حنيفة وأحمد في الرواية الأخرى : بل يقتل بالسيف.

فإن قيل : كيف تعلق الآية بما قبلها ؟ فالجواب : كأنه تعالى قال : مع إكرامي لهم في الآخرة بهذا الوعد لا أدع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم.

ثم قال : ﴿إن الله لعفو غفور﴾ أي إن الله ندب المعاقبين إلى العفو عن الجاني بقوله : ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ [الشورى : ٤٠] ﴿وأن تعفوا اا أقرب للتقوى ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ﴿ولمن صبر

وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى : ٤٣] فلما لم يأت بهذا المندوب فهو نوع إساءة فكأنه تعالى قال : إني عفوت عن هذه الإساءة وغفرتها.

وقيل : إنه تعالى وإن ضمن له النصر على الباغي لكنه عرض مع ذلك بما هو أولى وهو العفو والمغفرة ، فلوح بذكر هاتين الصفتين.

وفيه وجه آخر وهو أنه تعالى دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده.

قوله : ﴿ذالك بأن الله يولج الليل في النهار﴾ وفيه وجهان : الأول : أي : ذلك النصر بسبب أنه قادر ، ومن قدرته كونه خالقا لليل والنهار ومتصرفا فيهما ، فوجب أن يكون قادرا عالما بما يجري فيهما ، وإذا كان كذلك كان قادرا على النصر.

الثاني : المراد أنه مع ذلك النصر ينعم في الدنيا بما يفعله من تعاقب الليل والنهار وولوج أحدهما في الآخر.

ومعنى إيلاج أحدهما في الآخر أنه يحصل ظلمة هذا في ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذلك في ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده.

وقيل هو أن يزيد في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات.

و " ذلك " مبتدأ و " بأن الله " خبره ، ثم قال : ﴿وأن الله سميع بصير﴾ أي : أنه كما يقدر على ما لا

يقدر عليه غيره ، فكذلك يدرك المسموع والمبصر ، ولا يجوز المنع عليه ، وذلك كالتحذير من الإقدام على ما لا يجوز في المسموع والمبصر.

قوله : ﴿ذالك بأن الله هو الحق﴾ الآية.

قرأ العامة " وأن ما " عطفا على الأول.

والحسن بكسرها استئنافا.

وقوله : " هو الحق " يجوز أن يكون فصلا ومبتدأ.

وجوز أبو البقاء أن يكون توكيدا.

وهو **غلط** لأن المضمر لا يؤكد المظهر ، ولكان صيغة النصب أولى به من الرفع فيقال : إياه ، لأن المتبوع منصوب.

وقرأ الأخوان

١٣٤

وحفص وأبو عمرو هنا وفي لقمان " يدعون " بالياء من تحت.

والباقون بالتاء من فوق ، والفعل مبني للفاعل وقرأ مجاهد واليماني بالياء من تحت مبنيا للمفعول.

والواو التي هي ضمير تعود على معنى " ما " والمراد بها الأصنام أو الشياطين ، ومعنى الآية : أن ذلك الوصف الذي تقدم من القدرة على هذه الأمور لأجل أن الله هو الحق ، أي : هو الموجود الواجب لذاته الذي يمتنع عليه التغيير والزوال وأن ما يفعل من عبادته هو الحق وما يفعل من عبادة غيره فهو الباطل كقوله : ﴿ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾ [غافر : ٤٣].

﴿وأن الله هو العلي الكبير﴾ العلي القاهر المقتدر نبه بذلك على أنه القادر على الضر والنفع دون سائر من يعبد مرغبا بذلك في عبادته زاجرا عن عبادة غيره ، وأما الكبير فهو العظيم في قدرته وسلطانه ، وذلك يفيد كمال القدرة.

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ١٣٠

". (١)

"والقول الثاني : أن هذا الحكم صار منسوخا.

واختلفوا في ناسخه : فقال الجبائي : إن ناسخه هو الإجماع وعن سعيد بن المسيب أنه منسوخ بعموم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٧٣٧

قوله تعالى : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النسآء﴾ [النساء : ٣] ، ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ [النور : ٣٢].

قال المحققون : هذان الوجهان ضعيفان ، أما قول الجبائي فلأنه ثبت في أصول الفقه أن الإجماع لا ينسخ ولا ينسخ به ، وأيضا فالإجماع الحاصل عقيب الخلاف لا يكون حجة ، والإجماع في هذه المسألة مسبوق بمخالفة أبي بكر وعمر وعلي ، فكيف يصح ؟ وأما قوله : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النسآء﴾ [النساء : ٣] فلا يصلح أن يكون ناسخا ، لأنه لا بد من أن يشترط فيه ألا يكون هناك مانع من النكاح من سبب أو نسب أو غيرهما.

ولقائل أن يقول : لا يدخل فيه تزويج الزانية من المؤمنين ، كما لا يدخل فيه تزويجها من الأخ وابن الأخ ، وأن للزنا تأثيرا في الفرقة ما ليس لغيره ، ألا ترى أنه إذا قذفها يتبعها بالفرقة على بعض الوجوه ؟ ولا يجب مثل ذلك في سائر ما يوجب الحد ، ولأن الزنا يورث العار ، ويؤثر في الفراش ، ففارق غيره.

واحتج من ادعى النسخ بأن رجلا سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : " يا رسول الله إن امرأتي لا ترد يد لامس " ، قال : " طلقها ".

قال : " إني أحبها ، وهي جميلة " ، قال : " استمتع بها " وفي رواية : " فأمسكها إذن ".

وروي أن عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص أن يجمع بينهما ، فأبى الغلام.

وبأن ابن عباس سئل عن رجل زنا بامرأة فهل له أن يتزوجها ؟ فأجازه ابن عباس ، وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه.

وعن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه سئل عن ذلك فقال : " أوله سفاح وآخره نكاح ، والحرام لا يحرم الحلال ".

الوجه الرابع : أن يحمل النكاح على الوطء ، والمعنى : أن الزاني لا يطأ حين يزني إلا زانية أو مشركة ، وكذا الزانية ﴿وحرم ذالك على المؤمنين﴾ أي : وحرم الزنا على المؤمنين ، وهذا تأويل أبي مسلم ، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم ، ورواية الوالبي عن ابن عباس.

٢٨٨

قال الزجاج : " وهذا التأويل فاسد من وجهين : الأول : أنه ما ورد النكاح في كتاب الله إلا بمعنى التزوج ، ولم يرد البتة بمعنى الوطء.

الثاني : أن ذلك يخرج الكلام عن الفائدة ، لأنا لو قلنا : المراد أن الزاني لا يطأ إلا الزانية فالإشكال عائد

، لأنا نرى الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها ، ولو قلنا : المراد أن الزاني لا يطأ إلا الزانية حين يكون وطؤه زنا ، فهذا كلام لا فائدة فيه ".

فإن قيل : أي فرق بين قوله : ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾ وبين قوله : ﴿الزانية لا ينكحهآ إلا زان﴾ ؟ فالجواب أن الكلام الأول يدل على أن الزاني لا يرغب إلا في نكاح الزانية ، بخلاف الزانية فقد ترغب في نكاح غير الزاني ، فلا جرم بين ذلك بالكلام الثاني.

فإن قيل : لم قدم الزانية على الزاني في أول السورة وهاهنا بالعكس ؟ فالجواب : سبقت تلك الآية على عقوبتها لخيانتها ، فالمرأة هي المادة في الزنا ، وأما هاهنا فمسوقة لذكر النكاح ، والرجال أصل فيه ، لأنه هو الراغب الطالب.

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٢٨٦

قوله تعالى : ﴿والذين يرمون المحصنات..

﴾ الآية هي كقوله : ﴿الزانية والزاني فاجلدوا﴾ [النور : ٢] فيعود فيه ما تقدم بحاله ، وقوله : " المحصنات " فيه وجهان : أحدهما : أن المراد به النساء فقط ، وإنما خصهن بالذكر لأن قذفهن أشنع.

والثاني : أن المراد بهن النساء والرجال ، وعلى هذا فيقال : كيف غلب المؤنث على المذكر ؟ والجواب أنه صفة لشيء محذوف يعم الرجال والنساء ، أي : الأنفس المحصنات ، وهو بعيد أو تقول : ثم معطوف محذوف لفهم المعنى ، وللإجماع على أن حكمهم حكمهن أي : والمحصنين.

قوله : ﴿بأربعة شهدآء﴾ العامة على إضافة اسم العدد للمعدود ، وقرأ أبو زرعة

٢٨٩

وعبد الله بن مسلم بالتنوين في العدد ، واستفصح الناس هذه القراءة حتى تجاوز بعضهم الحد كابن جني ففضلها على قراءة العامة ، قال : لأن المعدود متى كان صفة فالأجود الإتباع دون الإضافة ، تقول : " عندي ثلاثة ضاربون " ، ويضعف " ثلاثة ضاربين " وهذا غلط ، لأن الصفة التي جرت مجرى الأسماء تعطى حكمها ، فيضاف إليها العدد ، و " شهداء " من ذلك ، فإنه كثر حذف موصوفه ، قال تعالى : ﴿من كل أمة بشهيد﴾ [النساء : ٤١].

و " استشهدوا شهيدين " ، وتقول : عندي ثلاثة أعبد ، وكل ذلك صفة في الأصل.

ونقل ابن عطية عن سيبويه أنه لا يجيز تنوين العدد إلا في شعر.

وليس كما نقله عنه ، إنما قال سيبويه ذلك في الأسماء نحو " ثلاثة رجال " وأما الصفات ففيها التفصيل

المتقدم.

وفي " شهداء " على هذه القراءة ثلاثة أوجه :

٢٩٠

." (١)

"ويجوز أن يريد بالقلة : الذلة ، لا قلة العدو ، أي : إنهم لقلتهم لا يبالى بهم.

قال ابن عباس : كان الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لا شاب فيهم دون عشرين سنة ، ولا شيخ يوفي على الستين سوى الحشم ، وفرعون يقللهم لكثرة من معه.

وهذا الوصف قد استعمل في الكثير عند الإضافة إلى ما هو أكثر منه ، فروي أن فرعون خرج على فرس أدهم حسان وفي عسكره على لون فرسه ثمانمائة ألف.

قوله : ﴿وإنهم لنا لغآئظون﴾.

يقال : غاظه وأغظه وغيظه : غذا أغضبه.

والغيظ ، الغضب.

والمعنى : أنهم يفعلون أفعالا تغيظنا.

واختلفوا في تلك الأفعال.

فقل : أخذهم الحلي وغيره.

وقيل : خروجهم عن عبوديته.

وقيل : خروجهم بغير إذنه ، وقيل : مخالفتهم له في الدين.

وقيل : لأنهم لم يتخذوا فرعون إلها.

وأما وصفه قومه فهو قوله : ﴿وإنا لجميع حاذرون﴾.

قرأ الكوفيون وابن ذكوان : " حاذرون " بألف.

والباقون : " حذرون " بدونها.

فقال أبو عبيدة والزجاج : هما بمعنى واحد ، يقال : رجل حذر وحاذر بمعنى.

وقيل : بل بينهما فرق ، فالحذر : المتيقظ.

والحاذر : الخائف.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٧٩٧

وقيل : الحذر : المخلوق مجبولا على الحذر.

والحاذر : ما عرض له ذلك.

وقيل : الحذر : المتسلح الذي له شوكة سلاح ، وأنشد سيبويه في إعمال " حذر " على أنه مثال مبالغة محول من حاذر قوله : ٣٩٠٥ - حذر أمورا لا تضير وآمن

ما ليس منجيه من الأقدار

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٢٨

٣٠

وزعم بعضهم أن سيبويه لما سأله : هل يحفظ شيئا في إعمال " فعل " ؟ صنع له هذا البيت ، فعيب على سيبويه : كيف يأخذ الشواهد الموضوعة ؟ وهذا غلط ، فإن هذا الشخص قد أقر على نفسه بالكذب ، فلا يقدح قوله في سيبويه.

والذي ادعى انه صنع البيت هو الأخفش.

و " حذر " يتعدى بنفسه ، قال تعالى : ﴿يحذر الآخرة﴾ [الزمر : ٩] ، وقال العباس بن مرداس : ٣٩٠٦ - وإني حاذر أنمي سلاحي

إلى أوصالش ذيال منيع

وقرأ ابن السميفع وابن أبي عمار : " حادرون " بالدال المهملة من قولهم عين حدرة ، أي : عظيمة ، كقولهم :

٣٩٠٧ - وعين لها حدرة بدرة

والمعنى : عظيما.

وقيل : الحادر : القوي الممتلىء ، وحكي : رجل حادر ، أي : ممتلىء غيظا ، ورجل حادر ، أي : أحمق ، كأنه ممتلىء من الحمق قال : ٣٩٠٨ - أحب الغلام السوء من أجل أمه

وأبغضه من بغضها وهو حادر

ويقال أيضا رجل [حدر بزنة يقظ مبالغة في (حادر) من هذا المعنى ، فصار يقال] حذر وحذر وحاذر بالذال المعجمة والمهملة والمعنى مختلف.

٣١

واعلم أن الصفة إذا كانت جارية على الفعل وهو اسم الفاعل واسم المفعول كالضارب والمضروب أفادت

الحديث.

وإذا لم تـ‍ك‍ن كذلك وهي المشبهة [أفادت الثبوت.

فمن قرأ " حذرون "] ذهب إلى معنى أنا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحزم ومن قرأ : " حاذرون " ذهب إلى معنى : إنا قوم ما عهدنا أن نحذر إلا عصرنا هذا.

ومن قرأ : " حادرون " بالدال المهملة ، فكأنه ذهب إلى نفي أصلا ، لأن الحادر هو السمين ، فأراد : إنا قوم أقوياء أشداء ، أو أراد : إنا شاكون في السلاح.

والغرض من هذه التقادير ألا يتوهم أهل المدائن أنه منكسر من قوم موسى ، أو خائف منهم.

قوله : " فأخرجناهم ".

أي : خلقنا في قلوبهم داعية الخروج ، فاستلزمت الداعية الفعل ، فكان الفعل مضافا إلى الله تعالى لا محالة.

وقوله : ﴿من جنات وعيون وكنوز﴾ أي : أخرجناهم من بساتينهم التي فيها عيون الماء وكنوز الذهب والفضة.

قال مجاهد : سماها كنوزا ، لأنه لم يعط حق الله منها ، وما لم يعط الله منه فهو كنز وإن كان ظ‍اهرا.

قوله : " ومقام ".

قرأ العامة بفتح الميم ، وهو مكان القيام.

وقتادة والأعرج بضمها وهو مكان الإقامة.

والمراد بـ " الكريم " : الحسن.

قال المفسرون : هي مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع.

وقيل : المواضع التي كانوا [يتنعمون فيها].

قوله : " كذلك ".

فيه ثلاثة أوجه : قال الزمخشري : يحتمل ثلاثة أوجه : النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه والجر على أنه وصف لـ " مقام " أي : ومقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم ، والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أي : الأمر كذلك.

قال أبو حيان : فالوجه الأول لا يسوغ ، لأنه يؤول إلى تشبيه الشيء بنفسه ، وكذلك الوجه الثاني ؛ لأن المقام الذي كان لهم هو المقام الكريم ، فلا

٣٢
." (١)

"توجه المدح والذم والأمر والنهي عليه ، (وليس لهذه) الآية في هذا المعنى خاصية أزيد مما ورد من الأمر والنهي والمدح والذم في قصة إبراهيم وموسى ونوح وسائر القصص ، فكيف خص هذه القصة بهذه الوجوه دون سائر القصص.

وإذا ثبت أن هذه الوجوه هي ذلك الوجه المشهور فالجواب عنها هما الجوابان المشهوران : الأول : أن الله تعالى لما علم وقوع هذه الأشياء فعدمها محال ، لأن عدمها يستلزم انقلاب العلم جهلا ، وهو محال ، والمفضي إلى المحال محال ، وإن كان عدمها محالا كان التكليف بالترك تكليفا بالمحال.

الثاني : أن القادر لما كان قادرا على الضدين امتنع أن يرجح أحد المقدورين على الآخر لا لمرجح ، والمرجح : هو الداعي والإرادة ، وذلك المرجح مرجح محدث ، فله مؤثر ، وذلك المؤثر إن كان هو العبد لزم التسلسل ، وهو محال ، وإن كان هو الله تعالى فذاك الجبر على قولك ، فثبت بهذين البرهانيين القاطعين سقوط ما قاله.

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٦٧

قوله تعالى : ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾.

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر : " ليكة " بلام واحدة وفتح التاء جعلوه اسما غير معرف بـ " أل " مضافا إليه " أصحاب " هنا وفي " ص " خاصة.

والباقون : " الأيكة " معرفا بـ " أل " موافقة لما أجمع عليه في الحجر وفي " ق ".

٧٠

وقد اضطربت أقوال الناس في القراءة الأولى ، وتجرأ بعضهم على قرائها.

ووجهها على ما قال أبو عبيد : أن (ليكة) اسم للقرية التي كانوا فيها و(الأيكة).

اسم للبلد كله.

قال أبو عبيد : لا أحب مفارقة الخط في شيء من القرآن إلا ما يخرج من كلام العرب وهذا ليس بخارج من كلامها مع صحة المعنى في هذه الحروف ، وذلك أنا وجدنا في بعض التفاسير الفرق بين " ليكة " ، و " الأيكة " ، فقيل : " ليكة " هو اسم للقرية التي كانوا فيها.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٩٢٠

والأيكة : البلاد كلها ، فصار الفرق بينهما شبيها بما بين (مكة ، وبكة) ورأيتهن مع هذا في الذي يقال : إنه الإمام – مصحف عثمان – مفترقان ، فوجدت التي في " الحجر " والتي في " ق " : " الأيكة " ، ووجدت التي في " الشعراء " والتي في " ص " " ليكة " ثم اجتمعت عليها مصاحف الأمصار بعد ، فلا نعلمها إذا اختلفت فيها ، وقرأ أهل المدينة على هذا اللفظ الذي قصصنا ، يعني : بغير ألف ولام ، ولا إجراء.

انتهى ما قاله أبو عبيدة.

قال أبو شامة بعد نقله كلام أبي عبيدة : هذه عبارته ، وليست سديدة ، فإن اللام موجودة في " ليكة " وصوابه : بغير ألف وهمزة.

قال شهاب الدين : بل هي سديدة ، فإنه يعني بغير ألف ولام معرفة لا مطلق لام في الجملة.

وقد تعقب قول أبي عبيد وأنكروا عليه ، فقال أبو جعفر : اجمع القراء على خفض التي في " الحجر " و " ق " فيجب أن يرد ما اختلف فيه إلى ما اتفق عليه إذ كان البلد كله ، فشيء لا يثبت ولا يعرف من قاله ولو عرف لكان فيه نظر ، لأن أهل العلم جميعا من المفسرين والعالمين بكلام العرب على خلافه ، ولا نعلم خلافا بين أهل اللغة أن " الأيكة " الشجر الملتف.

فأما احتجاج بعض من احتج لقراءة من قرأ في هذين الموضعين بالفتح ، لأنه في السواد " ليكة " فلا حجة فيه ، والقول فيه : إن أصله : " الأيكة " ثم خففت الهمزة ،

٧١

فألقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنت عن ألف الوصل ، لأن اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا إلا الخفض ، كما تقول : " مررت بالأحمر " على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول : " بلحمر " ، فإن شئت كتبته في الخط على كتبته أولا ، وإن شئت كتبته بالحذف ، ولم يجر إلا الخف ، فلذلك لا يجوز في " الأيكة " إلا الخ◌فض ، قال سيبويه : واعلم أن كل ما لم ينصرف إذا دخلته الألف واللام أو أضفته (انصرف).

ولا نعلم أحدا خالف سيبويه في هذا وقال المبرد في كتاب الخط : كتبوا في بعض المواضع : "كذب أصحاب ليكة﴾ بغير ألف ، لأن الألف تذهب في الوصل ، ولذلك غلط القارىء بالفتح فتوهم أن " ليكة " اسم شيء ، وأن اللام أصل فقرأ : " أصحاب ليكة ".

؟ وقال الفراء : نرى – والله أعلم – أنها كتبت في هذين الموضعين بترك الهمز ، فسقطت الألف لتحريك

اللام.

قال مكي : تعقب ابن قتيبة على أبي عبيدة فاختار " الأيكة " بالألف والهمزة والخفض ، وقال : إنما كتبت بغير ألف على تخفيف الهمزة ، قال : وقد أجمع الناس على ذلك ، يعني : في " الحجر " و " ق " فوجب أن يلحق ما في " الشعراء " و " ص " بما أجمعوا عليه ، فما أجمعوا عليه شاهد لما اختلفوا فيه.

وقال أبو إسحاق : القراءة بجر ليكة وأنت تريد " الأيكة " أجود من أن تجعلها " ليكه " وتفتحها ؛ لأنها لا تتصرف لأن " ليكة " لا تعرف ، وإنما هي " أيكة " للواحد ،

٧٢

". (١)

"قوله : ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾.

العامة على الياء ورفع النون ، وهو جمع تكسير.

وقرأ الحسن البصري وابن السميفع والأعمش بالواو مكان الياء والنون مفتوحة ، إجراء له مجرى جمع السلامة وهذه القراءة (قد ردها) جمع كثير من النحويين.

قال الفراء : غلط الشيخ ، ظن أنها النون التي على هجائين.

فقال النضر بن شميل : إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه – يعني : محمد بن السميفع – مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه.

وقال النحاس : هو غلط عند جميع النحويين.

وقال المهدوي : هو غير جائز في العربية.

وقال أبو حاتم : هي غلط منه أو عليه.

وقد أثبت هذه القراءة جماعة من أهل العلم ودفعوا عنها الغلط ، فإن القارىء بها من العلم بمكان مكين.

وأجابوا عنها بأجوبة صالحة.

فقال النضر بن شميل : قال يونس بن حبيب : سمعت أعرابيا يقول : دخلت بساتين من ورائها بساتون.

فقلت : ما أشبه هذا بقراءة الحسن.

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٩٣٣

وخرجها بعضهم على أنها جمع (شياط) بالتشديد ، مثال مبالغة.

مثل : (ضراب وقتال) على أن يكون مشتقا من : شاط يشيط ، أي : أحرق ، ثم جمع جمع سلامة مع تخفيف الياء ، فوزنه : (فعالون) مخففا من (فعالين) بتشديد العين.

ويدل على ذلك أنهما وغيرهما قرءوا بذلك ، أعني : بتشديد الياء ، وهذا منقول عن مؤرج السدوسي.

ووجهها آخرون بأن (آخره لما) كان يشبه يبرين ، وفلسطين ، أجري إعرابه تارة على النون ، وتارة بالحرف ، كما قالوا : هذه يبرين وفلسطين ويبرون وفلسطون ، وتقدم القول في ذلك في البقرة.

والهاء في " به " تعود على

٩١

القرآن.

وجاءت هذه الجمل الثلاثة منفية على أحسن ترتيب ، نفى أولا تنزيل الشياطين به ، لأن النفي في الغالب يكون في الممكن ، وإن كان ١لإمكان هنا منتفيا ثم نفى ثانيا ابتغاء ذلك ، أي : ولو فرض الإمكان لم يكونوا أهلا له.

ثم نفى ثالثا الاستطاعة والقدرة ، ثم ذكر علة ذلك وهي انعازلهم عن السماع من الملأ الأعلى ، لأنهم يرجمون بالشهب لو (تسمعوا).

فصل لما احتج على صدق محمد - عليه السلام - بكون القرآن تنزيل رب العالمين ، لوقوعه في الفصاحة القصوى ، ولاشتماله على قصص المتقدمين من غير تفاوت ، مع أنه - عليه السلام - لم يتعلم من أحد ، وكان الكفار يقولون : هذا من إلقاء الجن والشياطين كسائر ما ينزل به على الكهنة ، فأجاب الله تعالى بأن ذلك لا يستهل للشياطين ، لأنهم معزولون عن استماع كلام اهل السماء برجمهم بالشهب.

فإن قيل : العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك لا يحصل إلا بخبر النبي الصادق فإذا أثبتنا كون محمد - عليه السلام - صادقا بفصاحة القرآن ، وإخباره عن الغيب ، ولا يثبت كون الفصاحة والإخبار عن الغيب معجزا إلا إذا ثبت كون الشياطين ممنوعين عن ذلك.

(فلزم الدور.

فالجواب : لا نسلم أن العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك) لا يستفاد إلا من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنا نعلم بالضرورة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يلعن الشياطين ، ويأمر الناس بلعنهم ، فلو كان ذلك إنما حصل من إلقاء الشياطين لكان الكفار أولى بأن يحصل لهم مثل هذا العلم ،

فيجب أن يكون اقتار الكفار على مثله أولى.

ولما لم يكن كذلك علمنا أن الشياطين ممنوعون ، لأنهم معزولون عن تعرف الغيوب.

ثم إنه تعالى لما ذكر هذا الجواب خاطب الرسول – عليه السلام – فقال : ﴿فلا تدع مع الله إلاها آخر فتكون من المعذبين﴾.

قال ابن عباس : يحذر به غيره ، يقول : أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت إلها غيري لعذبتك.

وقوله : " فتكون " منصوب في جواب النهي.

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٩١

قوله تعالى : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾.

روى عبد الله بن عباس عن علي بن أبي

٩٢

". (١)

"قوله تعالى : ﴿والشعرآء يتبعهم الغاوون﴾.

قد تقدم أن نافعا بتخفيف التاء ساكنة وفتح الباء في سورة الأعراف عند قوله : " لا يتبعوكم " والفرق بين المخفف والمثقل.

وسكن الحسن العين ، ورويت عن أبي عمرو ، وليست ببعيدة عنه ك " ينصركم " وبابه وروى هارون عن بعضهم نصب العين ، وهي **غلط** ،

٩٧

والقول بأن الفتحة للإتباع خطأ ، والعامة على رفع " الشعراء " بالابتداء ، والجملة بعده الخبر.

وقرأ عيسى بالنصب على الاشتغال.

فصل لما قال الكفار : لم لا يجوز أن يقالك الشياطين تنزل بالقرآن على محمد ، كما أنهم ينزلون بالكهانة على الكهنة ، وعلى الشعراء بالشعر ؟ ثم إنه تعالى فرق بين محمد – عليه السلام – وبين الكهنة ، ذكر ههنا ما يدل على الفرق بينه وبين الشعراء : بأن الشعراء يتبعهم الغاوون ، وهم : الضالون : ثم بين أن ذلك لا يمكن القول به لأمرين : الأول : ﴿أنهم في كل واد يهيمون﴾ والمراد منه : الطرق المختلفة ، كقولك : أنا في يعظمونه بعدما يستحقرونه وبالعكس وذلك يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٩٤٢

بخلاف أمر محمد – عليه السلام – فإنه من أول أمره إلى آخره بقي على طريق واحدة ، وهو الدعوة إلى الله ، والترغيب في الآخرة ، والإعراض عن الدنيا.

والثاني : ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾.

وذلك أيضا من علامات الغواية ، فإنهم يرغبون في الجود ، ويرغبون عنه ، وينفرون عن البخل ويصيرون إليه ، ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم وعن واحد من أسلافهم.

ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش ، وذلك يدل على الغواية والضلالة ، وأما محمد – عليه السلام – فإنه بدأ بنفسه ﴿فلا تدع مع الله إلاها آخر فتكون من المعذبين﴾ [الشعراء : ٢١٣] ثم بالأقرب فالأقرب فقال : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء : ٢١٤] وكل ذلك خلاف طريقة الشعراء ، فظهر بهذا البيان أن حال محمد – عليه السلام – لم يشبه حال الشعراء.

قوله : " يهيمون ".

يجوز أن تكون هذه الجملة خبر " أن " وهذا هو الظاهر ، لأنه محط الفائدة ، و " في كل واد " متعلق به.

ويجوز أن يكون ﴿في كل واد﴾ هو الخبر ، أو نفس الجار كما تقدم في نظيره.

ويجوز أن تكون الجملة خبرا بعد خبر عند من يرى تعدد

٩٨

الخبر مطلقا.

وهذا من باب الاستعارة البليغة ، والتمثيل الرائع ، شبه جولانهم في أفانين القول ، وطرائق المدح والذم ، والتشبيب ، وأنواع الشعر بهيم الهائم في كل وجه وطريق.

وقيل : أراد بـ " كل واد " أي : على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون (القوافي).

والهائم : الذي : يخبط في سيره ولا يقصد موضعا معينا ، يقال هام على وجهه ، أي : ذهب والهائم : العاشق من ذلك ، والهيمان : العطشان والهيام داء يأخذ الإبل من العطش ، وجمل أهيم وناقة هيماء والجمع فيهما هيم قال تعالى : " شرب الهيم " من الرمل : اليابس ، فإنهم يخيلون فيه معنى العطش.

فصل قال المفسرون : أراد شعراء الكفار ، وكانوا يهجون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذكر مقاتل أسمائهم فقال : منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ، ومسافع بن عبد مناف ، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل ،

وقالوا : نحن نقول كما قال محمد ، وقالوا الشعر ، واجتمع إليهم غواة من قومهم يشمعون أشعارهم حين يهجون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ، ويروون عنهم ذلك فذلك قوله : " يتبعهم الغاوون " وهم الرواة الذين يريدون هجاء المسلمين.

وقال قتادة : هم الشياطين.

ثم إنه تعالى لما وصف شعراء الكفار بهذه الأوصاف استثنى شعراء المسلمين الذي كانوا يجيبون شعراء الجاهلية ، ويهجون الكفار ويكافحون عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه منهم حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، فقال : ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾.

روي عن كعب بن مالك أنه قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – " إن الله قد أنزل في الشعراء ما أنزل ، فقال : النبي صلى الله عليه وسلم – : " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نصح النبل " وفي رواية قال له : " اهجهم فالواذي نفسي بيده هو أشد عليهم من النبل " وكان يقول لحسان : " قل فإن روح القدس معك ".

٩٩

." (١)

"الجمع – لأنه قال : ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس﴾ [النمل : ٢٤] والمعنى : فألقه إلى الذين هذا دينهم.

قوله : ﴿ثم تول عنهم﴾ ، زعم أبو علي وغيره أن في الكلام تقديما ، وأن الأصل : فانظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم.

ولا حاجة إلى هذا ، لأن المعنى بدونه صحيح ، أي : قف قريبا منهم لتنظر ماذا يكون.

قوله : " ماذا يرجعون " إن جعلنا (انظر) بمعنى : تأمل وتفكر كانت " ما " استفهامية ، وفيها حينئذ وجهان : أحدهما : أن يجعل مع " ذا " بمنزلة اسم واحد ، وتكون مفعولة بـ " يرجعون " تقديره : أي شيء ترجعون.

والثاني : أن يجعل " ما " مبتدأ ، و " ذا " بمعنى الذي ، و " يرجعون " صلتها ، وعائدها محذوف تقديره : أي شيء الذي يرجعونه ، وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة لـ " انظر " فمحلها النصب على إقاط ا لخافض أي : انظر في كذا وفكر فيه وإن جعلناه بمعنى انتظر

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٩٤٥

من قوله ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ [الحديد : ١٣] كانت " ماذا " بمعنى الذي ، (و " يرجعون " صلتها وعائدها محذوف) ، والعائد مقدر كما تقرر وهذا الموصول مفعول به ، أي : انتظر الذي يرجعون.

قال أبو حيان : و " ماذا " إن كان معنى " فانظر " معنى التأمل بالفكر كان انظر معلقا ، و " ماذا " إما أن يكون كلمة استفهام في موضع نصب ، وإما أن يكون " ما " استفهاما ، و " ذا " موصولة بمعنى الذي ، فعلى الأول يكون " يرجعون " خبرا عن " ماذا " ، وعلى الثاني يكون " ذا " هو الخبر ، و " يرجعون " صلة انتهى.

وهذا **غلط** إما من الكاتب ، وإما من غيره ؛ وذلك أن قوله : " فعلى الأول " يعني به أن " ماذا " كلمة استفهام في موضع نصب يمنع قوله : " يرجعون " خبرا عن " ماذا " ، كيف يكون خبرا عنه وهو منصوب به كما تقرر ، وقد صرح هو بأنه منصوب يعني

١٥١

بما بعده ولا يعمل فيه ما قبله ، وهذا نظير ما تقدم في آخر السورة قبلها في قوله : ﴿وسيعلم الذين ظلموا اا أي منقلب ينقلبون﴾ [الشعراء : ٢٢٧] في كون اسم الاستفهام معمولا لما بعده ، وهو معلق لما قبله ، فكما حكمت على الجملة من " ينقلبون " وما اشتملت عليه من اسم الاستفهام المعمول لها بالنصب على سبيل التعليق ، كذلك يحكم على " يرجعون " فكيف تقول : إنها خبر ؟

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ١٤٩

قوله : ﴿إنه من سليمان وإنه﴾ العامة على كسر الهمزتين على الاستئناف جوابا لسؤال قومها ، كأنهم قالوا : ممن الكتاب ؟ وما فيه ؟ فأجابتهم بالجوابين.

وقرأ عبد الله : ﴿وإنه من سليمان﴾ بزيادة واو عاطفة ﴿إنه من سليمان﴾ على قوله : ﴿إنى ألقي إلي﴾ [النمل : ٢٩].

وقرأ عكرمة وابن أبي عبلة بفتح الهمزتين ، صرح بذلك الزمخشري وغيره.

ولم يذكر أبو البقاء إلا الكسر في ﴿إنه من سليمان﴾ وكأنه سكت عن الثانية ، لأنها معطوفة على الأولى ، وفي تخريج الفتح فيهما أوجه : أحدهما : أنه بدل من "كتاب " بدل اشتمال ، أو بدل كل من كل ، كأنه قيل : ألقي إلي أنه من سليمان ، وأنه كذا وكذا ، وهذا هو الأصح.

والثاني : أنه مرفوع بـ "كريم " ذكره أبو البقاء.

الثالث : أنه على إسقاط حرف العلة.

قال الزمخشري : ويجوز أن يريد لأنه من سليمان ولأنه ، كأنها عللت كرمه بكونه
١٥٢
من سليمان وتصديره باسم الله.
وقال مكي : وأجاز الفراء الفتح فيهما في الكلام ، كأنه لم يطلع على أنها قراءة وقرأ أبي : أن من سليمان وأن بسم الله بسكون النون فيهما ، وفيها وجهان : أظهرهما : أنها " أن " المفسرة ، لتقدم ما هو بمعنى القول.
والثاني : أنها المخففة واسمها محذوف ، وهذا لا يتمشى على أصول البصريين ؛ لأن اسمها لا يكون إلا ضمير شأن وضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة مصرح بجزئيها.
فصل قال المفسرون : أخذ الهدهد هذا الكتاب ، وأتى به إلى بلقيس ، وكان بأرض يقال لها : " مأرب " من صنعاء ، فرمى بالكتاب إليها ، فأخذته بلقيس ، وكانت قارئة ، ومن ثم اتخذ الناس البطائق ، فلما رأت الخاتم أرعدت وخضعت ، لأن ملك سليمان كان في خاتمه ، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها ، لطاعة الطير وهيبة الخاتم ، فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ، فقعدت على سرير ملكها ، وجمعت الملأ من قومها ، وقالت لهم : ﴿إنى ألقي إلي كتاب كريم﴾ [النمل : ٢٩] قال عطاء والضحاك : سمته كريما ، لأنه كان مختوما.
وروى ابن عباس عن النبي – صلى الله عليه وسلم – : " كرمه ختمه " وقال مقاتل والزجاج : كريم أي : حسن ما فيه ، وروي عن ابن عباس أي : شريف لشرف صاحبه.
وقيل سمته كريما ، لأنه مصدر بـ " بسم الله الرحمن الرحيم " ، ثم بينت ممن الكتاب ، فقالت : ﴿إنه من سليمان﴾ ، وبينت المكتوب فقالت : ﴿وإنه بسم الله الرحمان الرحيم﴾.
فإن قيل : لم قد سليمان اسمه على قوله : ﴿بسم الله الرحمان الرحيم﴾ ؟
." (١)

"وهو إضمار القول ، وفي هذه الآية دليل على أن تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح ، لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح بكلمة " ثم " وهي للتراخي حتى (و) لو قال لأجنبية : إذا نكحتك فأنت طالق ، أو كل امرأة أتزوجها فهي طالق فنكح ، لا يقع الطلاق ، وهو قول علي ، وابن مسعود ، وجابر ، ومعاذ ، وعائشة.

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٩٦٦

وبه قال سعيد بن أبي المسيب ، وعروة ، وشريح ، وسعيد بن جبير ، والقاسم ، وطاوس والحسن ، وعكرمة ، وعطاء بن يسار ، والشعبي ، وقتادة ، وأكثر أهل العلم.

وبه قال الشافعي ، وأحمد.

وروى عن ابن مسعود أنه قال : يقع الطلاق وهو قول إبراهيم النخعي وأصحاب الرأي ، وقال ربيعة ومالك والأوزاعي : إن عين امرأة يقع ، وإن عم فلا يقع ، وري عكرمة عن ابن عباس قال : كذبوا على ابن مسعود إن كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول : إن تزوجت فلانة فهي طالق ، يقول الله تعالى : ﴿إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن﴾ ولم يقل : " إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن " وروى عطاء عن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " لا طلاق قبل النكاح " قوله : ﴿من قبل أن تمسوهن﴾ تجامعوهن ﴿فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ أي تحصونها وتستوفونها بالأقراء والأشهر ، " فتعتدونها " صفة لعدة " وتعتدونها تفتعلونها إما من العدد ، وإما من الاعتداد أي تحتسبونها أو تستوفون عددها من قولك : عد الدراهم فاعتدها أي استوفى عددها ، نحو : كلته فاكتاله ، ووزنته فاتزنه ، وقرأ ابن

٥٦٥

كثير - في رواية - وأهل مكة بتخفيف الدال وفيها وجهان : أحدهما : أنها من الاعتداد وإنما كرهوا تضعيفه فخففوه ؛ قاله الرازي ، قال : ولو كان من الاعتداء الذي هو الظلم لضعف ، لأن الاعتداء يتعدى " بعلى ".

قيل : ويجوز أن يكون من الاعتداء وحذف حرف الجر أي تعتدون عليها أي على العدة مجازا ، ثم تعتدونها كقوله : ٤٠٩٨ - تحن فتبدي ما بها من صبابة

وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

أي لقضى علي ، وقال الزمخشري : وقرىء تعتدونها مخففا أي تعتدون فيها كقوله : ٤٠٩٩ - ويوم شهدناه سليمى وعامرا

قليل سوى الطعن النهال نوافله

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٥٦٣

وقيل : معنى تعتدونها أي تعتدون عليهن فيها ، وقد أنكر ابن عطية القراءة عن ابن كثير وقال : **غلط** ابن أبي بزة عنه ، وليس كما قال.

والثاني : أنها من العدوان (والاعتداء) وقد تقدم شرحه ، واعتراض أبي الفضل عليه بأنه كان ينبغي أن

يتعدى " بعلى " وتقدم جوابه ، وقرأ الحسن " تعتدونها " – بسكون العين وتشديد الدال – وهو جمع بين ساكنين على (غير) حديهما.

٥٦٦

". (١)

"فصل قال ابن عباس ووهب وغيرهما : كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم ، فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسكت ما بين الجبلين بالصخور وجعلت له أبوابا على عدة أنهار هم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا سدوا فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى يفتح فجرى ماؤه في البركة فكانوا يسقون من بالباب الأعلى (ثم) من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقتسمثه بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جنانهم وخرب أرضهم.

قوله : ﴿بجنتيهم جنتين﴾ قد تقدم في البقرة أن المجرور بالباء هو الخارج ، والمنصوب هو الداخل ؛ ولهذا **غلط** من قال من الفقهاء : فلو أبدل ضادا بظاء بطلت صلاته بل الصواب أن يقول : ظاء بضاد.

قوله : ﴿أكل خمط﴾ قرأ أبو عمرو بإضافة " أكل " إلى " خمط " والباقاون بتنوينه غير مضاف ، وقد تقدم في البقرة أن ابن عامر ، وأبا عمرو والكوفيين يضمون كاف " أكل " غير المضاف لضمير المؤنثة وأن نافعا وابن كثير يسكنونها بتفصيل هناك تقدم تحريره فيكون القراء هنا على ثلاث مراتب ، الأولى لأبي عمرو أكل خمط بضم كاف أكل مضافا " لخمط ".

الثانية : لنافع وابن كثير بتسكين كافة وتنوينه.

الثالثة : للباقين ضم كافة وتنوينه فمن أضاف جعل الأكل بمعنى الجنى والثمر.

٤٤

والخمط قيل : شجر الأراك وثمره يقال له : البرير.

(و) هذا قول أكثر المفسرين وقيل : كل شجر ذي شوك وقال المبرد والزجاج : كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله فهو خمط وقال ابن الأعرابي : الخمط ثمرة شجرة يقال لها : فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينفتع به.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٣٨

قال البغوي : من جعل الخمط اسما للمأكول فالتنوين في " أكل " حسن ومن جعله أصلا وجعل " الأكل " ثمرة فالإضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ تقول العرب في بستان فلان أعناب كرم وأعناب كرم يترجم الأعناب بالكرم لأنها منه.

قوله : ﴿وأثل وشيء من سدر﴾ معطوفان على " أكل " لا على " خمط " لأن المخط لا أكل له ، وقال مكي : لما لم يجز أن يكون الخمط نعتا للأكل ؛ لأن الخمط اسم شجر بعينه ولا بدلا ؛ لأنه ليس الأول ولا بعضه وكان الجنى والثمر من الشجر أضيف على تقدير " من "كقولك : " هذا ثوب خز ".

ومن نون فيحتمل أوجها : الأول : أنه جعل " خمطا " وما بعده إما صفة " لأكل " قال الزمخشري : أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل : ذواتى أكل بشيع.

قال أبو حيان : والوصف بالأسماء لا يطرد وإن كان قد جاء منه شيء نحو قولهم : " مررت بقاع عرفج كله ".

الثاني : البدل من " أكل " قال أبو البقاء : وجعل خمطا أكلا لمجاورته إياه ، وكونه سبباط له إلا أن الفارسي رد كونه بدلا قال : لأن الخمط ليس بالأكل نفسه ، وقد تقدم جواب أبي البقاء ، وقد أجاب بعضهم عنه وهو منتزع من كلام الزمخشري أي أنه

٤٥

على حذف مضاف تقديره ذواتي أكل خمط قال : والمحذوف هو الأول في الحقيقة.

الثالث : أنه عطف بيان وجعله أبو علي أحسن ما في الباب ، قال : كأنه بين أن الأكل هذه الشجرة ، إلا أن عطف البيان لا يجيزه البصريون في النكرات إنما يخصونه بالمعارف والأثل هو الطرفاء.

قويل : شجر يشبه الطرفاء وقيل : نوع من الطرفاء ولا يكون على ثمرة إلا في بعض الأوقات يكون عليه شيء كالعفص أصغر منه في طعمه وطبعه ، والسدر شجر معروف وهو شجر النبق ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء ، وقال بعضهم : السدر سدران سدر له ثمرة عفءصة لا يؤكل ولا ينتفع بورقه.

والمراد بالآية الأول.

وقال قتادة : كان شجرهم خير الشجر فصيره الله من شر الشجر بأعمالهم.

قوله : " قليل " نعت لـ " سدر " وقيل : نعت " لأكل " وقال أبو البقاء : ويجوز أن يكون نعتا " لخمط " و " أثل " و " سدر " وقرئ " وأثلا وشيئا " بنصبهما عطفا على " جنتين " ثم بين (الله) تعالى أن ذلك (كان) مجازاة لهم على كفرانهم فقال :

٤٦

". (١)

"فيكون مصدرا مضافا لمرفوعه ، وإما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به فيكون مضافا لمنصوبه وهذا أحسن من قول من قال : إن الإضافة بمعنى " في " أي في الليل ، لأن ذلك لم يثبت في (غير) محل النزاع ، وقيل : مكر الليل والنهار طول السلامة وطول الأمل فيهما كقوله تعالى : ﴿فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ [الحديد : ١٦] وقرأ العامة مكر بتخفيف الراء ساكن الكاف مضافا لما بعد ، وابن يعمر وقتادة بتنوين : " مكر " وانتصاب الليل والنهار ظرفين.

وقرآ أيضا وسعيد بن جبير وأبو رزين بفتح الكاف وتشديد الراء مضافا لما بعده أي كرور الليل والنهار ، واختلافهما ، من كر يكر إذا جاء وذهب ، وقرأ ابن جبير أيضا وطلحة وراشد القاري – وهو الذي كان يصحح المصاحف أيام الحجاج بأمره – كذلك إلا أنه ينصب الراء وفيها أوجه : أظهرها : ما قاله الزمخشري وهو الانتصاب على المصدر قال : " بل تكرون الإغواء مكرا دائما لا تفترون عنه ".

الثاني : النصب على الظرف بإضمار فعل اي بل صددتمونا مكر الليل والنهار أي دائما.

الثالث : أنه منصوب " بتأمروننا " قاله أبو الفضل الرازي وهو **غلط** ؛ لأن ما بعد المضاف لا يعمل فيما قبله إلا في مسألة وهي " غير " إذا كانت بمعنى " لا " كقوله :

٧٠

٤١٤١ – إن امرءا خصني عمدا مودته

على التنائي لعندي غير مكفور

وتقدم تقريرهذا آخر الفاتحة ، وجاء قوله : ﴿قال الذين استكبروا﴾ بغير عاطف ؛ لأنه جواب لقول الضعفة فاستؤنف بخلاف قوله : ﴿وقال الذين استضعفوا﴾ فإنه لم يكن جوابا لعطف ، والضمير في " وأسروا الندامة " للجميع للإتباع والمتبوعين.

فصل لما اعترف المستضعفون وقالوا بل مكر الليل والنهار منعنا ثم قالوا لهم إنكم وإن كنتم ما أتيتم بالصارف القطعي والمانع القوي ولكن انضم أمركم إيانا بالكفر إلى طول الأمد وامتداد المدد فكفرنا فكان قولكم جزءا لسبب وقولهم " إذ تأمروننا أن نكفر بالله " أي ننكره " ونجعل له أندادا " هذا يبين أن المشرك بالله مع أنه في الصورة مثبت لكنه في الحقيقة منكر لوجود الله لأن من يساويه بالمخلوق المنحوت لا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٧٠

يكون مؤمنا به.

فصل قوله أولا يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل وقوله في الآيتين الآخيرتين : " وقال الذين استكبروا ، وقال الذين استضعفوا " بلفظ الماضي مع أن السؤال والمراجعة في القول لم يقع إشارة إلى أن ذلك لا بد من وقوعه فإن الأمر الواجب الوقوع كأنه وقع كقوله تعالى : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر : ٣٠] وأما الاستقابل فعلى الأصل.

قوله : ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي أنهم يتراجعون القول ثم إذا جاءهم العذاب الشاغل يسرون ذلك التراجع الدال على الندامة ، وقيل : معنى الإسراء الإظهار وهو من الأضداد أي أظهروا الندامة ويحتمل أن يقال : بأنهم لما تراجعوا في القول رجعوا إلى الله بقولهم أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا وأجيبوا بأن لا مرد لكم فأسروا ذلك القول ، وقوله : ﴿وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا﴾ أي الأتباع والمتبوعين جميعا في النار ، وهذا إشارة إلى كيفية عذابهم ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ من الكفر والمعاصي في الدنيا.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٦٧

". (١)

"قوله : " أو لم نعمركم " (أي فيقول لهم توبيخا : أو لم نعمركم أي عمرناكم مقدارا يمكن التذكر فيه.

قوله : ﴿ما يتذكر﴾ جوزوا في " ما " هذه وجهين : أحدهما : ولم يحك أبو حيان غيره - : أنها مصدرية طرفية قال : أي مدة تذكر ، وهذه **غلط** لأن الضمير (في) يمنع ذلك لعوده على " ما " ولم يقل باسمية ما المصدرية إلا الأخفش وابن السراج.

والثاني : أنها نكرة موصوفة أي تعمرا يتذكر فيه أو زمانا يتذكر فيه.

وقرأ الأعمش ما يذكر بالإدغام من " اذكر " قال أبو حيان : بالإدغام واجتلاب همزة الوصل ملفوظا بها في الدرج وهذا غريب حيث أثبت همزة الوصل مع الاستغناء عنها إلا أن يكون حافظ على سكون " من " وبيان ما بعدها.

فصل معنى قوله : ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ قيل : هو البلوغ.

وقال قتادة وعطاء والكلبي : ثماني عشرة سنة وقال الحسن : أربعون سنة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٨٠

وقال ابن عباس : ستون سنة.

روي ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم.

قال – عليه (الصلاة و) السلام – : " أعذر الله إلى آدم امرىء أخر أجله حتى بلغ ستين سنة " وقال عليه (الصلاة و) السلام – : " أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك ".

قوله : ﴿وجآءكم﴾ عطف على " أو لم نعمركم " ؛ لأنه في معنى قد عمرناكم

١٤٨

كقوله : ﴿ألم نربك﴾ [الشعراء : ١٨] ثم قال : ولبثت ﴿ألم نشرح لك﴾ [الشرح : ١] ثم قال : ﴿ووضعنا﴾ [الشرح : ٢] إذ هما في معنى ربيناك وشرحنا ، والمراد بالنذير محمد – صلى الله عليه وسلم – في قول أكثر المفسرين.

قويل : القرآن.

وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع : هو الشيب والمعنى أو لم نعركم حتى شبتم.

ويقال : الشيب نذير الموت.

وفي الأثر : ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها : استعد] فقد قرب الموت وقرئ : النذر جمعا.

قوله : ﴿فذوقوا﴾ أمر إهانة " فما " للظالمين " الذين وضعوا أعمالهم وأقوالهم في غير موضعها.

" من نصير " في وقت الحاجة ينصرهم ، و " من نصير " يجوز أن يكون فاعلا بالجار لاعتماده وأن يكون مبتدأ مخبرا عنه بالجار قبله.

قوله : ﴿إن الله عالم غيب السماوات والأرض﴾ قرأ العامة عالم غيب على الإضافة تخفيفا وجناح بن جبيش بتنوين عالم ونصبب (غيب) إنه عليم بذات الصدور.

وهذا تقرير لدوامهم في العذاب وذلك من حيث إن الله تعالى لما أعلم أن جزاء السيئة سيئة مثلها ولا يزاد عليها فلو قال (قائل) : الكافر ما كفر بالله إلا أياما معدودة فينبغي أن لا يعذب إلا مثل تلك الأيام فقال : غن اله لا يخفى عليه غيب السموات والأرض فلا يخفى عليه ما في الصدور وكان يعلم من الكافر أن في قلبه تمكن الكفر لو دام إلى الإبد لما أطاع الله.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ١٢٨

قوله : ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي خلف بعضكم بضعا وقيل : جعلكم أمة واحدة خلت من قبلها ما ينبغي أن يعتبر به فجعلكم خلائف في الأرض أي خليفة بعد خليفة تعلمون حال الماضين

وترضون بحالهم ، فمن كفر بعد هذا كله " فعليه كفره " أي وبال كفره " ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا " أي عضبا لأن الكافر (و) السابق كان ممقوتا " ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا " أي الكفر لا ينفع عن الله حيث لاي يزد إلا المقت ولا ينفهم في أنفسهم حيث لا يفيدهم إلا الخسار لأنه العمر كرأس (مال) من اشترى به رضى الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر.

قوله : ﴿أرأيتم﴾ فيها وجهان : أحدهما : أنها ألف استفهام على بابها ولم تتضمن هذه الكملة معنى أخبروني بل هو استفهام حقيقي وقوله : " أروني " أمر تعجيز.

والثاني : أن الاستفهام غير مراد وأنها ضمنت معنى أخبروني.

فعلى هذا يتعدى لاثنين : أحدهم : شركاءكم والثاني : الجملة الاستفهامية من قوله " ماذا خلقوا " و " أروين " يحتمل أن تكون جملة اعتراضية.

والثاني : أن تكون المسألة من باب الإعمال فإن " أرأيتم " يطلب " ماذا خلقوا " مفعولا ثانيا و " أ روني " أيضا يطلبه معلقا له وتكون المسألة من باب إعمال الثاني على مختار البصرين ، و " أروني " هنا بصرية تعدت للثاني بهمزة النقل والبصرية قبل النقل تعلق بالاستفهام كقولهم : " أما ترى أي برق ههنا " وقد تقدم الكلام على (أن) " أرأيتم "

١٥٠

". (١)

"هذه في الأنعام وقال ابن عطية هنا : " أرأيتم " ينزل عند سيبويه منزلة أخبروني ولذلك لا يحتاج إلى مفعولين.

وهو **غلط** بل يحتاج كما تقدم تقريره.

وجعل الزمخشري الجملة من قوله " أروني " بدلا من قوله : " أرأيتم " قال : لأن المعنى أرأيتم أخبروني ورده أبو حيان بأن البدل إذا دخلت عليه أداة الاستفهام (لا) يلزم إعادتها في المبدل ولم تعد هنا وأيضا فإبدال جملة من جملة لم يعهد في لسانهم قال شهاب الدين : والجواب عن الأول أن الاستفهام فيه غير مراد قطعا فلم تعد أداته ، وأما قوله : لم يوجد في لسانهم فقد وجد ومنه : ٤١٦٣ - متى تأتنا تلمم بنا... ....

)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٢١١

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ١٥٠

و) : ٤٤١٦ – إن علي الله أن تبايعا

تؤخذ كرها وتجيب طائعا

وقد نص النحويون على أنه متى كانت الجملة في معنى الأول ومبينة لها أبدلت منها.

فصل هذه الآية تقرير للتوحيد وإبطال للإشراك والمعنى جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني الأصنام " أروني " أخبروني " ماذا خلقوا من الأرض " فقال : " شركاءكم " فأضافهم إليهم

١٥١

من حيث إن الأصنام في الحقيقة لم تكن شركاء لله وإنما هم الذين جعلوها شركاء فقال شركاءكم أي الشركاء بجعلكم.

ويحتمل أن يقال : معنى شركاءكم أي ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء : ٩٨] ويحتمل أن يكون معنى " أرأيتم " أي أعلمتم هذه الأصنام التي تدعونها هل لها قدرة أم لا ؟ فإن كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها ؟ وإن كنتم تعلمن أن لها قدرة فأروني قدرتها في أي شيء أهي في الأرض قال بعضهم : إن الله إله المساء وهؤلاء آلهة الأرض وهم الذين قالوا : أمور الأرض من الكواكب والأصنام صورها أم هي في السموات كما قال بعضهم : إن السموات خلقت باستعانة الملائكة شكراء في خلق السموات وهذه الأصنام صورها أم قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم : " إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى " فهل معهم كتاب من الله ؟ قال مقاتل : هل أعطينا كفار مكة كتابا فهم على بينة منه ؟ قوله : ﴿آتيناهم كتابا فهم﴾ الأحسن في هذا الضمير أن يعود على " الشركاء " ليتناسق الضمائر وقيل : يعود على المشركين كقول مقاتل فيكون التفاتا من خطاب إلى غيبة وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن كثير وحفص بينة بالإفراد والباقون بينات بالجمع أي دلائل واضحة منه مما في ذلك الكتاب من ضروب البيان.

قوله : ﴿بل إن يعد﴾ " إن " نافية والمعنى مايعد الظالمون ﴿بعضهم بعضا إلا غرورا﴾ غرهم الشيطان وزين لهم عبادة الأصنام.

والغرورو ما يغر الإنسان ما لا أصل له ، قال مقاتل : يعين ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة في الآخرة غرور باطل.

قوله تعالى : ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ لما بين أنه لا خلق للأصنام ولا قدرة لها بين أن الله قادر بقوله : إن الله يمسك السموات والأرض.

ويحتمل أن يقال : لما بين شركهم قال : مقتضى شركهم زوال السموات والأرض كقوله تعالى : ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمان ولدا﴾ [مريم : ٩٠ - ٩١] ويؤيد هذا قوله في آخر الآية " إن الله كان حليما غفورا " حليما ما ترك تعذيبهم إلا حلما منه وإلا كانوا يستحقون إسقاط السماء وانطباق الأرض عليهم.

وإنما أخر إزالة

١٥٢

". (١)

"بفتحها وليست إلا **غلط** (على عاصم) ، إذ لا وجه (لها) وقد وقع لابن عطية وهم فاحش في ذلك فقال : وقرأ الجمهور بفتح النون وقال أبو حاتم : هذا خطأ فلا يجوز لأنه أمر فإما حذف النون وإما كسرها على جهة الياء عين ياء المتكلم ، وقد يكون قوله : " الجمهور " سبق قلم منه أو من النساخ وكان الأصل : وقرأ غير الجمهور فسقط لفظة " غيره " (و) قال ابن عطية حذف من الكلام ما تواترت الأخبار والروايات به وهو أنهم قتلوه فقيل له عند موته : ادخل الجنة بعد القتل وقيل : قوله : (قيل) ادخل الجنة عطف على قوله : ﴿آمنت بربكم﴾ فعلى الأول يكون قوله : ﴿يا ليت قومي يعلمون﴾ بعد موته والله أخبر بقوله ، وعلى الثاني قال ذلك في حياته وكان يسمع الرسل يقولون إنه من الداخلين الجنة وصدقهم وقعطع به.

قوله : (قال) يا ليت قومي يعلمون "كما علمت فيؤمنون كما آمنت وقال الحسن خرقوا خرقا في حلقه وعلقوه في سرو المدينة وقره بأنطاكية فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق ، فذلك قوله عز وجل : " قيل ادخل الجنة " فلما أقضى إلى الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي أي بغرانربي لي وجعلين من المكرمين.

قوله : ﴿بما غفر لي﴾ يجوز في (ما) هذه ثلاثة أوجه : المصدرية كما تقدم والثاني : أنها بمعنى الذي والعائد محذوف أي بالذي غفره لي ربي واستضعف هذا من حيث إنه يبقى معناه أنه تمنى أن يعمل قومه بذنبوه المغفورة.

ولي المعنى على ذلك إنما المعنى على تمني علمهم بغفران ربه ذنوبه والثالث : أنها استفهامية وإليه ذهب الفراء ورده الكسائي بأنه كان

١٩٦

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٢١٢

ينبغي حذف ألها لكونها مجرورة وهو رد صحيح وقال الزمخشري الأجود وطرح الألف والمشهور من مذهب البصريين وجوب حذف ألها كقوله : ٤١٧٣ - (علام يقول الرمح يثقلِ عاتقي

إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ١٩٠

إلا في ضرورة كقول الشاعر).

٤١٧٤ - على ما قام يشتمني لئيم

كخنزير تمرغ في رماد

وقرئ من المكرمين بتشديد الراء.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ١٩٠

قوله (تعالى) : ﴿ومآ أنزلنا على قومه من بعده من جند من السمآء﴾ لما تمنى أن

١٩٧

يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله وعجل لهم النقمة وأمر جبريل - عليه (الصلاة و) السلام - فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله : ﴿ومآ أنزلنا على قومه من بعده من جند من السمآء﴾ يعني الملائكة.

قوله : " وما كنا منولين " في (ما) هذه ثلاثة أوجه : أحدهما : أنها ناقية كالتي قبلها فتكون الجملة الثانية جارية مجرى التأكيد للأولى.

والثاني : أنها مزيدة قال أبو البقاء : اي وقد كنا منزلين وهذا لا يجوز البتة لفساده لفظا ومعنى.

الثالث : أنها اسم معطوف على " جند " قال ابن عطية : أي من جند من الذين كنا منزلين ورده أبو حيان بأن " من " مزيدة ، وهذا التقدير يؤدي إلى زيادتها في الموجب جار لمعرفة ومذهب البصريين غير الأخفش أن يكون الكلام غير موجب وأن يكون المجرور نكرة ، قال شهاب الدين : فالذي ينبغي عند من يقول بذلك (أن) يقدرها بنكرة أي : ومن عذاب كنا منزليه والجملة بعضها صفة لها وأما قوله إن هذا التقدير يؤدي إلى زيادتها في الموجب فليس بصحيح البتة وتعجبت كيف يلزم ذلك ؟ !.

فصل قال ههنا " وما أنزلنا " بإسناد الفعل إلى النفس ، وقال في بيان حال المؤمن : " قيل ادخل الجنة " بإسناد القول إلى غير مذكور لأن العذاب من الهيئة فقال بلفظ التعظيم وأما إدخال الجنة فقال : قيل : (ليكون كالمهنأ بقول الملائكة وبقول كل صلاح يراه ادخل الجنة خالدا كالتهنئة له ، وكثيرا ما ورد) في

القرآن قوله تعالى : " وقيل ادخلوا " إشارة إلى أن الدخول يكون دخولا بإكرام.

فإن قيل : لم أضاف القوم إليه مع أن الرسل أولى بكون الجمع قوما لهم لأن الرسول لكونه مرسلا يكون جميع الخلق أو جميع من أرسل إليهم قوما لهم ؟ .

١٩٨

". (١)

"أحدهما : أن تكون الزينة مصدرا وفاعله محذوف بأن زين الله الكواكب في كونها مضيئة حسنة في أنفسها.

والثاني : أن الزينة اسم لما يزان به كالليقة اسم لما يلاق به الدواة فتكون الكواكب على هذا منصوبة بإضمار أعني أو يكون بدلا من (ال)سماء الدنيا بدل اشتمال أي كواكبها أو من محل " بزينة " وحمزة وحفص كذلك إلا أنهما خفضا الكواكب على أن يراد بزينة ما يزان به ، والكواكب بدل أو بيان للزينة وهي قراءة مسروق بن الأجدع قال الفراء : وهو رد معرفة على نكرة كقوله : " بالناصية ناصية كاذبة " فرد نكرة على معرفة وقال الزجاج : الكواكب بدل من الزينة لأنها هي كقولك : " مررت بأبي عبد الله زيد " والباقون بإضالة زينة إلى الكواكب وهي تحتمل ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكون إضافة أعم إلى أخص فتكون للبيان نحو : ثوب خز.

الثاني : أنها مصدر مضاف لفاعله أي بأن زينت الكواكب السماء بضوئها.

والثالث : أنه مضاف لمفعوله أي بأن زينها الله بأن جعلها مشرقة مضئية في نفسها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بتنوينها وبرفع الكواكب فإن جعلتها مصدرا

٢٧٦

ارتفع الكواكب به ، وإن جعلتها اسما لما يزان به فعلى هذا ترفتع " الكواكب " بإضمار مبتدأ أي هي الكواكب.

وهي في قوة البدل ومنع الفراء إعمال المصدر المنون ورغم أنه لم يسمع وهو **غلط** لقوله تعالى : ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ [البلد : ١٤] كما سيأتي إن شاء الله.

قوله : " وحفظا " منصوب على المصدر ، بإضمار فعل أي حفظناها حفظا ، وإما على المفعول من أجله على زيادة الواو والعامل فيه زينا أو على أن يكون العامل مقدرا أي لحفظها زينا أو على الحمل على المعنى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٢٣١

المتقدم أي : إنا خلقنا السماء الدينا زينة وحفظا ، و " من كل " ويجوز أن يكون صفة " لحفظا " قال المبرد : إذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصرد فعل آخر نصبت المصدر لأنه قد دل على فعله كقولك : أفعل وكرامة لما قال أفعل علم أن الأسماء لا تعطف فكان المعنى أفعل ذاك واكرمك كرامة.

فصل قال ابن عباس " زينا السماء الدينا " بضوء الكواكب " وحفظناها من كل شيطان مارد " متمرد يرمون بها ، وتقدم الكلام على المارد عن قوله : ﴿مردوا على النفاق﴾ [التوبة : ١٠١] واعمل أنه تعالى بين أنه زين السماء لمنفعتين : إحداهما : تحصل الزينة.

والثانية : الحفظ من الشيطان المارد.

فإن قيل : ثبت في علم الهيئة أن هذه الكواكب الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وأن السيارات مركوزة في الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ؟ .

٢٧٧

." (١)

"غالب أوقاتهم يقولون : منصوب " باذكر " مقدرا ، أو لا يكون حينئذ إلا مفعولا به لاستحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي.

وجوز أن يكون منصوبا باذكر مقدرا ، أي اذكر لهم وقت الإغلال ؛ ليخالفوا وينزجروا ، فهذه ثلاثة أوجه خيرها أوسطها.

قوله : " والسلاسل " العامة على رفعها ، وفيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه معطوف على الأغلال.

وأخبر عن النوعين بالجار ، فالجال في نية التأخير والتقدير : إذ الأغلال والسلاسل في أعنقاهم.

الثاني : أنه مبتدأ ، والخبر محذوف لدلالة خبر الأول عليه.

الثالث : أنه مبتدأ أيضا ، وخبره الجملة من قوله : " يسحبون " ولا بد من ذكر ضمير يعود عليه منها ، والتقدير : والسلاسل يسحبون بها ، حذف لقوة الدلالة عليه.

" فيسحبون " مرفوع المحل على هذا الوجه.

وأما الوجهيه المقتدمين فيجوز فيه النصب على الحال من الضمير المنوي في الجار ، ويجوز أن يكون مستأنفا.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود وزيد بن علي وابن وثاب ، والحسن في اختياره " والسلاسل " نصبا . يسحبون

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٢٦٤

بفتح الياء ، مبنيا للفاعل ، فيكون السلاسل مفعولا مقدما ، ويكون قد عطف جملة فعلية على جملة اسمية.

قال ابن عباس في معنى هذه القراءة : إذا كانوا يجرونها فهو أشد عليهم يكلفون ذلك ولا يطيقونه.

وقرأ ابن عباس وجماعة " والسلاسل " بالجر يسحبون مبنيا للمفعول وفيها ثلاثة تأويلات : أحدها : الحمل على المعنى وتقديره إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل فلما كان

٨٣

معنى الكلام على ذلك حمل عليه في العطف.

قال الزمخري : ووجه إنه لو قيل : " إذ أعناقهم في الأغلال مكان قوله : إذ الأغلال في أعناقهم " لكان صحيحا مستقيما ، فلما كانتا عبارتين معتقبتين ، حمل قوله : " والسلاسل " (عليه) على العبارة الأخرى.

ونظيره : ٤٣٤٧. مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة

ولا ناعب إلا ببين غرابها

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٨١

كأنه قيل : بمصليحن.

وقرىء : بالسلاسل.

وقال ابن عطية : تقديره : إذا أعناقهم في الأغعلال والسلاسل فعطف على المراد من لكلام لا على ترتيب اللفظ ؛ إذ ترتيبه فيه قل ، وهو على حد قول العرب : أدخلت القلنسوة في رأسي.

وفي مصحف أبي : وفي السلاسل يسحبونها.

قال أبو حيان بعد قول ابن عطية والزمخشري المتقدم : ويمسى هذا العطف على التوهم ، إلا أن قولهم : إدخال حرف الجر على مصلحين أقرب من تغيير تركيب الجملة بأسرها ، والقراءة من تغيير تركيب الجملة السابقة بأسرها ، ونظير ذلك قوله : ٤٣٤٨. أجدك لن ترى بثعيلبات

ولا بيداء ناجية ذمولا

ولا متدارك والليل طفل

ببعض نواشغ الوادي حصولا

التقدير : لست براء ولا بمتدارك.

٨٤
وهذا الذي قالاه سبقهما إليه الفراء فإنه قال : " من جر السلاسل حمله على المعنى " ، إذ المعنى أعناقهم في الأغلال والسلاسل.
الوجه الثاني : أنه عطف على " الحميم " ، فقدم على المعطوف عليه وسيأتي تقرير ذلك.
الثالث : أن الجر على تقدير إضمار الخافض ويؤيده قراءة أبي : " وفي السلاسل " وقرأ غيره : وبالسلاسل وإلى هذا نحا الزجاج ، إلا أن الأنباري رده وقال : لو قلت : " زيد في الدار " لم يحسن أن تضمر " في " فتقول : زيد (في) الدار ثم ذكر تأويل الفراء وخرج القراءة عليه.
ثم قال : كما تقول : " خاصم عبد الله زيدا العاقلين " ، بنصب " العاقلين " ورفعه ؛ لأن أحدهما إذا خاصم صاحبه فقد خاصمه الآخر.
وهذه المسألة ليست جارية على أصول البصريين ، ونصوا على منعها وإنما قال بها من الكوفيين ابن (س)عدان.
وقال مكي : وقد قرئ : والسلاسل بالخفض على العطف على الأعناق ، وهو **غلط** ؛ لأنه يصير الأغلال في الأعناق وفي السلاسل ولا معنى للأغلال في السلاسل ؟ قال شهاب الدين : وقوله : على العطف على الأعناق ممنوع بل خفضه على ما تقدم.
وقال أيضا : وقيل : هو معطوف على " الحميم " وهو أيضا لا يجوز ؛ لأن المعطوف المخفوض ، لا يتقدم على المعطوف عليه لو قلت : " مررت وزيد بعمرو " لم يجز ، وفي المرفوع يجوز ، نحو : قام وزيد عمر ، ويبعد في المنصوب لا يحسن رأيت وزيدا عمرا ، ولم يجزه في المخفوض أحد.
قال شهاب الدين : وظاهر كلامه أنهن يجوز في المرفوع منعه ، وقد نصوا أنه لا يجوز إلا ضرورة بثلاثة شروط :
٨٥
أن لا يقع حرف العطف صدرا ، وأن يكون العامل متصرفا ، وأن لا يكون المعطوف عليه مجرورا وأنشدوا :
٤٣٤٩.........................
عليك ورحمة الله السلام

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٨١
." (١)

"سورة الطور
مكية وهي تسع وأربعون آية ، واثنتي عشرة كلمة ، وألف وخمسمائة حرف.
جزء : ١٨ رقم الصفحة : ١١٢
قوله تعالى : ﴿والطور﴾ وما بعده أقسام جوابها ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ والواوات التي بعد الأولى عواطف لا حروف قسم كما تقدم في أول هذا الكتاب عن الخليل.
ونكر الكتاب تفخيما وتعظيما.
فصل مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما ، وأول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها ، لأن في آخرها قوله تعالى : ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ [الذاريات : ٦٠] وفي أول هذه السورة ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ [الطور : ١١] وفي آخر تلك السورة قوله : ﴿فإن للذين ظلموا ذنوبا﴾ [الذاريات : ٥٩] ؛ وذلك إشارة إلى العذاب ، وقال ههنا : إن عذاب ربك لواقع.
فصل قيل : المراد بالطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى - عليه الصلاة والسلام - بالأرض المقدسة ، أقسم الله به.
وقيل : هو الجبل الذي قال الله تعالى : ﴿وطور سينين﴾
١١٣
[التين : ٢].
وقيل : هو اسم جنس ، والمراد بالكتاب المسطور كتاب موسى عليه الصلاة والسلام ، وهو التوراة.
وقيل : الكتاب الذي في السماء ، وقيل : صحائف أعمال الخلق ، وقال تعالى : ﴿ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾ [الإسراء : ١٣].
وقيل : الفرقان.
والمراد بالمسطور المكتوب.
قوله : في رق يجوز أن يتعلق " بمسطور " ؛ أي مكتوب في رق.
وجوز أبو البقاء أن يكون نعتا آخر لكتاب وفيه نظر ؛ لأنه يشبه تهيئة العامل للعمل وقطعه منه.

---
(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤١٧

والرق – بالفتح – الجلد الرقيق يكتب فيه.

وقال الراغب : الرق ما يكتب فيه شبه كاغد.

انتهى فهو أعم من كونه جلدا أو غيره.

ويقال فيه : رقٌ بالكسر.

فأما ملك العبيد فلا يقال إلا رق بالكسر.

وقال الزمخشري : والرق الصحيفة.

وقيل : الجلد الذي يكتب فيه.

انتهى.

وقد غلط بعضهم من يقول : كتبت في الرق بالكسر ؛ وليس بغلط لثبوته به لغة.

وقد قرأ أبو السمال : في رق ، بالكسر.

فإن قيل : ما الفائدة في قوله تعالى : ﴿في رق منشور﴾ وعظمة الكتاب بلفظه ومعناه لا بخطه ورقه ؟ !.

فالجواب : أن هذا إشارة إلى الوضع لأن الكتاب المطوي لا يعلم ما فيه فقال : في رق منشور أي ليس كالكتب المطوية أي منشور لكم لا يمنعكم أحد من مطالعته.

(قوله : " والبيت المعمور " قيل : هو بيت في السماء العليا تحت العرش بحيال الكعبة يقال له : الصراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ، ثم لا يعودون إليه أبدا.

ووصفه بالعمارة لكثرة الطائفين به من الملائكة.

وقيل : هو بيت الله الحرام وهو معمور بالحجاج الطائفين به.

١١٤

وقيل : اللام في " البيت المعمور " لتعريف جنس كأنه يقسم بالبيوت المعمورة والعمائر المشهورة).

قوله : " والسقف المرفوع " يعني السماء.

ونظيره : ﴿وجعلنا السمآء سقفا محفوظا﴾ [الأنبياء : ٣٢].

قوله : " والبحر المسجور " قيل : هو من الأضداد ، يقال : بحر مسجور أي مملوء ، وبحر مسجور أي فارغ.

وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس – (رضي الله عنهما) – أنه قال : خرجت أمة لتستقي فقالت : إن

الحوض مسجور ؛ أي فارغ.
ويؤيد هذا أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة.
وقيل : المسجور الممسوك ، ومنه ساجور الكلب لأنه يمسكه ويحبسه.
وقال محمد بن كعب القرظي والضحاك : يعني الموقد المحمى بمنزلة التنور المحمى ، وهو قول ابن عباس (- رضي الله عنهما -) ؛ لما روى أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى : ﴿وإذا البحار سجرت﴾ [التكوير : ٦].
وروى عبد الله بن عمر - (رضي الله عنهما) - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا يركبن رجل بحرا إلا غازيا أو معتمرا أو حاجا ، فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا " وقال الربيع بن أنس : المسجور المختلط العذب بالمالح.
وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي أنه قال : البحر المسجور : هو بحر تحت العرش ، كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ ، يقال له : بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحا فينبتون في قبورهم.
وهذا قول مقاتل.
فصل قيل : الحكمة في القسم بهذه الثلاثة أشياء أن هذه الأماكن الثلاثة وهي : الطور ، والبيت المعمور ، والبحر المسجور كانت لثلاثة أنبياء للخلوة بربهم والخلاص من الخلق
١١٥." (١)

"قال : ويحتمل أن يكون المراد معنى قوله " ما ضل " أي ما جن فإن المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله : ﴿والقلم وما يسطرون مآ أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ [القلم : ١ و ٢].
ومعنى صاحبكم إما سيدكم أو وصاحبكم (ما غوى) أي ما تكلم بالباطل.
وقيل : ما خاب والغي الخيبة.
قوله : ﴿وما ينطق عن الهوى ﴾ أي ما يصدر عن الهوى نطقه (فعن) على بابها.
وقيل : بمعنى الباء ، أي ما ينطق بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل ، وذلك أنهم قالوا : إن محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه.
وفي فاعل (ينطق) وجهان : أحدهما : هو ضمير النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو الظاهر.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٦٧٤

والثاني : أنه ضمير القرآن كقوله تعالى : ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ [الجاثية : ٢٩].

واعلم أن في قوله تعالى : ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ بصيغة الماضية وفي قوله : " وما ينطق " بصيغة المستقبل ترتيب في غاية الحسن أي ما ضل حين اعتزلكم وما تبعدون في صغره " وما غوى " حين اختلى بنفسه ورأى في منامه ما رأى وما ينطق عن الهوى الآن يحث أرسل إليكم وجعل رسولا شاهدا عليكم فلم يكن أولا ضالا ولا غاويا وصار الآن منقذا من الضلالة مرشدا وهاديا.

قوله تعالى : ﴿إن هو إلا وحي يوحى ﴾ إن هو أي إن الذي ينطق به.

وقيل : إن القرآن إلا وحي من الله.

وقوله : " يوحى " صفة لوحي.

وفائدة المجيء بهذا الوصف أنه ينفي المجاز أي هو وحي حقيقة لا بمجرد تسمية كقولك : هذا قول يقال.

وقيل : تقديره يوحى إليه.

ففيه مزيد فائدة.

نقل القرطبي عن السجستاني أنه قال : إن شئت أبدلت ﴿إن هو إلا وحي يوحى ﴾ من ﴿ما ضل صاحبكم﴾.

قال ابن الأنباري : وهذا **غلط** ، لأن " إن " الحقيقية لا تكون مبدلة من " ما " ؛ بدليل أنك لا تقول والله ما قمت إن أنا لقاعد.

١٥٧

فصل والوحي قد يكون اسما ومعناه الكتاب ، وقد يكون مصدرا وله معان منها الإرسال والإلهام والكتابة والكلام والإشارة والإفهام ، وهذه الآية تدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يجتهد ، وهو خلاف الظاهر فإنه اجتهد في الحروب وأيضا حرم في قوله تعالى : ﴿لم تحرم﴾ [التحريم : ١] وأذن قال تعالى : ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ [التوبة : ٤٣].

قوله " علمه " يجوز أن تكون هذه الهاء للرسول وهو الظاهر فيكون المفعول الثاني محذوفا أي علم الرسول الوحي أي الموحى ، ويجوز أن يكون للقرآن والوحي فيكون المفعول الأول محذوفا أي علمه الرسول ، والوحي إن كان هو الكتاب فظاهر وإن كان الإلهام فهو كقوله تعالى : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ [الشعراء : ١٩٣ و ١٩٤].

وقوله : " شديد القوى " قيل : هو جبريل : وهو الظاهر.

وقيل : الباري تعالى لقوله : ﴿الرحمان علم القرآن﴾ [الرحمن : ١ و ٢] و " شديد القوى " من إضافة الصفة المشبهة لمرفوعها فهي غير حقيقية.

والقوى جمع القوة.

قوله : " ذو مرة " المرة القوة والشدة.

ومنه : أمررت الحبل أي أحكمت فتله.

والمرير : الحبل ، وكذلك الممر كأنه كرر فتله مرة بعد أخرى.

وقال قطرب - (رحمه الله) - : " العرب تقول لكل جزل الرأي حصيف العقل : ذو مرة " وأنشد - (رحمه الله) - : ٤٥٤٥ - وإني لذو مرة مرة

إذا ركبت خالة خالها

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ١٥٢

وقال : ٤٥٤٦ - قد كنت قبل لقائكم ذو مرة

عندي لكل مخاصم ميزانه

١٥٨

وقال الجوهري : والمرة أحد الطبائع الأربع.

والمرة : القوة وشدة العقل أيضا.

ورجل مرير أي قريب ذو مرة قال : ٤٥٤٧ - ترى الرجل النحيف فتزدريه

وحشو ثيابه أسد مرير

وقال لقيط : ٤٥٤٨ - حتى استمرت على شزر مريرته

مر العزيمة لا رتا ولا ضرعا

." (١)

"قال ابن الخطيب : في " الكبرى " وجهان : أحدهما : أنها صفة لمحذوف تقديره لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى.

ثانيهما : صفة لآيات ربه فيكون مفعول رأى محذوفا تقديره رأى من آيات ربه الكبرى آية أو شيئا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٤٦٩٣

فصل قال بعض المفسرين : آيات ربه الكبرى هي أنه رأى جبريل – عليه الصلاة والسلام – في صورته.
قال ابن الخطيب : والظاهر أن هذه الآيات غير تيك ، لأن جبريل – عليه الصلاة والسلام – وإن كان عظيما ، لكن ورد في الأخبار أن لله ملائكة أعظم منه.
و " الكبرى " تأنيث الأكبر فكأنه تعالى قال : رأى من آيات ربه آيات هي أكبر الآيات.
فصل قال المفسرون : رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء.
قال البيهقي : الرفرف جبريل – عليه الصلاة والسلام – في صورته على رفرف ، والرفرف البساط.
وقيل : ثوب كان يلبسه.
وقال القرطبي : وروى ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى : ﴿دنا فتدلى ﴾ [النجم : ٨] أنه على التقديم والتأخير ، أي تدلى الرفرف لمحمد – عليه الصلاة والسلام – ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال : فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت كلام ربي.
فعلى هذا الرفرف ما يجلس عليه كالبساط ونحوه.
فصل قال ابن الخطيب (هذه الآية) تدل على أن محمدا – عليه الصلاة والسلام – لم ير الله ليلة المعراج وإنما رأى آيات الله.
وفيه خلاف.
ووجه الدلالة أنه ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا﴾ [الإسراء : ١] إلى أن قال : ﴿لنريه من آياتنآ﴾ [الإسراء : ١] ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن فكان أكبر شيء هو الرؤية ، فكان الأمر للرؤية.
جزء : ١٨ رقم الصفحة : ١٦٩
قوله : ﴿أفرأيتم اللات والعزى ﴾ لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي أن يبتدئ به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الإشراك ، فقوله : " أفرايتم " إشارة إلى إبطال قولهم بنفس القول كما إذا ادعى ضعيف الملك ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقولون : انظروا إلى هذا الذي يدعي الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل لظهور أمره فكذلك قال : ﴿أفرأيتم اللات والعزى ﴾ أي كما هما فكيف تشركونهما بالله ؟ فصل والألف واللام في (اللات) زائدة لازمة ، فأما قوله : ٤٥٥٥ – ....
إلى لاتها.......................
فحذفت للإضافة.

وقيل : هي والعزى علمان بالوضع ، أو صفتان غالبتان ؟ خلاف.

ويترتب على ذلك جواز صدق " أل " وعدمه.

فإن قلنا : إنهما ليسا وصفين في الأصل فلا تحذف منهما " أل ".

وإن قلنا : إنهما صفتان وإن " أل " للمح الصفة جاز ، وبالتقديرين " فأل " زائدة.

وقال أبو البقاء : وقيل : هما صفتان غالبتان مثل الحارث والعباس فلا تكون أل زائدة.

انتهى.

قال شهاب الدين : وهو **غلط** ، لأن التي للمح الصفة منصوص على زيادتها بمعنى أنها لم تؤثر تعريفا.

واختلف في تاء اللات ، فقيل : أصل وأصله من لات يليت فألفها عن ياء ، فإن مادة " ل ي ت " موجودة.

وقيل : زائدة وهي من لوى يلوي ، لأنهم

١٧٧

كانوا يلوون أعناقهم إليها ، أو يلتوون أي يعتكفون عليها.

وأصلها لوية فحذفت لامها ، فألفها على هذا (بدل) من واو.

قال الزمخشري : هي فعلة من لوى يلوي ، وعلى هذا فأصلها لوية فسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين ، بقيت لوة فقلبت الواو ألفا لفتح ما قبلها فصارت " لات ".

واختلف القراء في الوقف على تائها فوقف الكسائي عليها بالهاء.

والباقون بالتاء.

وهو مبني على القولين المتقدمين.

فمن اعتقد تاءها أصلية أقرها في الوقت كتاء بنت ، ومن اعتقد زيادتها وقف عليها هاء.

قال ابن الخطيب : والتاء في اللات تاء تأنيث كما في المناة لكنها تكتب ممطوطة لئلا يوقف عليها فتصير هاء فتشبه باسم (الله) فإن الهاء في (الله) أصلية ليست تاء تأنيث ووقف عليها فانقلبت هاء.

واللات اسم صنم.

وقيل : كان لثقيف بالطائف.

قاله قتادة.

وقيل : بعكاظ.

وقال زيد : بيت بنخلة.

وقيل : صنم.

ورجح ابن عطية الأول لقول الشاعر : ٤٥٥٦ – وفرت ثقيف إلى لاتها

بمنقلب الخائب الخاسر

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ١٧٧

والعامة على تخفيف تائها.

وقرأ ابن عباس ، ومجاهد ، ومنصور بن المعتمر ، وأبو الجوزاء ، وأبو صالح وابن كثير – في رواية – بتشديد التاء.

فقيل : هو رجل كان يلت السويق ، ويطعمه الحاج ، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه ، فهو اسم فاعل في الأصل غلب على هذا الرجل وكان يجلس عند حجر ، فلما

١٧٨

." (١)

"قال الماردي : أظنها بعد فصل القضاء ، ثم يعطون نورا يمشون فيه.

قال المفسرون : يعطي الله كل أحد يوم القيامة نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ، ويعطي المنافقين [نورا خديعة لهم ، بدليل قوله تعالى : ﴿وهو خادعهم﴾ [النساء : ١٤٢].

وقيل : إنما يعطون النور ؛ لأن جميعهم أهل دعوة] دون الكافر ، ثم يسلب المنافق نوره لنفاقه.

قاله ابن عباس.

وقال أبو أمامة : يعطى المؤمن النور ، ويترك الكافر والمنافق بلا نور.

وقال الكلبي : بل يستضيء المنافق بنور المؤمنين ، [فبينما هم يمشون إذ بعث الله ريحا وظلمة فأطفأ بذلك نور المنافقين ، فذلك قول المؤمنين] : ﴿ربنآ أتمم لنا نورنا﴾ [التحريم : ٨] خشية أن يسلبوه كما سلبه المنافقون ، فإذا بقي المنافقون في الظلمة ، فإنهم لا يبصرون مواضع أقدامهم ، قالوا للمؤمنين : ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾.

قيل : ارجعوا " وراءكم " ، أي : إلى المواضع التي أخذنا منها النور ، فاطلبوا هناك نورا لأنفسكم ، فإنكم لا تقتبسون من نورنا ، فلما رجعوا وانعزلوا في طلب النور ﴿ضرب بينهم بسور﴾.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٧٠١

وقيل : معناه هلا طلبتم النور من الدنيا بأن تؤمنوا ؟ .

قوله : " وراءكم " فيه وجهان : أظهرهما : أنه منصوب بـ " ارجعوا " على معنى ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور ، فالتمسوا هناك ممن يقتبس ، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه ، وهو الإيمان ، أو يكون معناه : فارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر ، فلا سبيل لكم إلى هذا النور.

والثاني : أن " وراءكم " اسم للفعل فيه ضمير فاعل ، أي : ارجعوا " رجوعا " قاله أبو البقاء.

ومنع أن يكون ظرفا لـ " ارجعوا ".

قال : لقلة فائدته ؛ لأن الرجوع لا يكون إلا إلى وراء.

قال شهاب الدين : " وهذا فاسد ؛ لأن الفائدة جليلة كما تقدم شرحها ".

٤٧٢

قوله : ﴿فضرب بينهم بسور﴾.

العامة على بنائه للمفعول ، والقائم مقام الفاعل يجوز أن يكون " بسور " وهو الظاهر ، وأن يكون الظرف.

وقال مكي : " الباء " مزيدة ، أي : ضرب سور.

ثم قال : " والباء متعلقة بالمصدر أي : ضربا بسور ".

وهذا متناقض ، إلا أن يكون قد غلط عليه من النساخ ، والأصل : والباء متعلقة بالمصدر ، والقائم مقام الفاعل الظرف ، وعلى الجملة هو ضعيف ، والسور : البناء المحيط وتقدم اشتقاقه في أول البقرة.

قوله : " له باب ".

مبتدأ وخبر في موضع جر صفة لـ " سور ".

وقوله : ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ هذه الجملة يجوز أن تكون في موضع جر صفة ثانية لـ " سور " ، ويجوز أن تكون في موضع رفع صفة لـ " باب " ، وهو أولى لقربه ، والضمير إنما يعود إلى الأقرب إلا بقرينة.

وقرأ زيد بن علي ، وعمرو بن عبيد : " فضرب " مبنيا للفاعل ، وهو الله أو الملك.

فصل في المراد بالسور " السور " : حاجز بين الجنة والنار.

قال القرطبي : " روي أن ذلك السور بـ " بيت المقدس " عند موضع يعرف بـ " وادي جهنم " فيه الرحمة يعني : ما يلي منه المؤمنين ، وظاهره من قبله العذاب يعني : ما يلي المنافقين ".

قال كعب الأحبار رضي الله عنه : هو الباب الذي بـ " بيت المقدس " المعروف بـ " باب الرحمة ".

وقال عبد الله بن عمرو : إنه سور بـ " بيت المقدس " الشرقي ، باطنه فيه المسجد ، وظاهره من قبله العذاب ، يعني : جهنم ونحوه عن ابن عباس.

٤٧٣

وقال زياد بن أبي سوادة : قام عبادة بن الصامت على سور بـ " بيت المقدس " الشرقي فبكى ، وقال : من هاهنا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جهنم.

وقال قتادة : هو حائط بين الجنة والنار ، ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ يعني : الجنة ، ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ يعني : جهنم.

وقال مجاهد : إنه حجاب.

كما في " الأعراف " وقد مضى القول فيه.

وقد قيل : إن الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين ، والعذاب الذي هو في ظاهره ظلمة المنافقين.

وقيل : السور عبارة عن منع المنافقين عن طلب المؤمنين.

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٤٦٥٤

قوله : ﴿ينادونهم﴾ يجوز أن يكون حالا من الضمير في " بينهم ".

قاله أبو البقاء.

وهو ضعيف لمجيء الحال من المضاف إليه في غير المواضع المستثناة.

٤٧٤

." (١)

"قوله تعالى : ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾.

خفف الصاد منهما ابن كثير ، وثقلها باقي السبعة.

فقراءة ابن كثير من التصديق ، أي : صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ، كقوله : ﴿والذي جآء بالصدق وصدق به﴾ [الزمر : ٣٣] ، وقراءة الباقين من الصدقة وهو مناسب لقوله : " وأقرضوا " والأصل : المتصدقين والمتصدقات ، فأدغم ، وبها قرأ أبي.

وقد يرجح الأول بأن الإقراض مغن عن ذكر الصدقة.

قوله : " وأقرضوا " فيه ثلاثة أوجه : [أحدها] : أنه معطوف على اسم الفاعل في " المصدقين " ؛ لأنه

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٨٢٤

لما وقع صلة لـ " ال " حل محل الفعل ، كأنه قيل : إن الذين صدقوا وأقرضوا ، وعليه جمهور المعربين ، وإليه ذهب الفارسي ، والزمخشري ، وأبو البقاء.

وهو فاسد ؛ لأنه يلزم الفصل بين أبعاض الصلة بأجنبي ، ألا ترى أن " المصدقات " عطف على " المصدقين " قبل تمام الصلة ، ولا يجوز أن يكون عطفا على " المصدقات " لتغاير الضمائر تذكيرا وتأنيثا.

الثاني : أنه معترض بين اسم " إن " وخبرها ، وهو " يضاعف ".

قال أبو البقاء : " وإنما قيل ذلك لئلا يعطف الماضي على اسم الفاعل ".

قال شهاب الدين : " ولا أدري ما هذا المانع ؛ لأن اسم الفاعل متى وقع صلة لـ " ال " صلح للأزمنة الثلاثة ، ولو منع بما ذكرته من الفصل بأجنبي لأصاب ، ولكن خفي عليه كما خفي على الفارسي والزمخشري ".

٤٨٣

الثالث : أنه صلة لموصول محذوف لدلالة الأول عليه ، كأنه قيل : " الذين أقرضوا " ؛ كقوله : [الوافر]

٤٧٢٢ - أمن يهجو رسول الله منكم

وينصره ويمدحه سواء ؟

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٤٨٣

أي : ومن ينصره ، واختاره أبو حيان.

قال ابن الخطيب : وفي الآية إشكال ، وهو أن عطفه الفعل على الاسم قبيح ، فما فائدة التزامه هنا ؟ .

وأجاب بأن الزمخشري قال : " وأقرضوا " معطوف على معنى الفعل في التصديق ؛ لأن " اللام " بمعنى " الذين " ، واسم الفاعل بمعنى " صدقوا وأقرضوا ".

قال : وهذا لا يزيل الإشكال ، فإنه ليس فيه بيان أنه لم عدل عن ذلك اللفظ [إلى هذا اللفظ].

والذي عندي فيه أن الألف واللام في " المصدقين والمصدقات " للمعهود ، فكأنه ذكر جماعة معينين بهذ الموصف ، ثم قبل ذكر الخبر أخبر عنهم بأنهم أتوا بأحسن أنواع الصدقة ، وهو القرض ، ثم ذكر الخبر بعد ذلك فقال : " يضاعف لهم ".

فقوله : " وأقرضوا " ؛ كقوله : [السريع] ٤٧٢٣ - إن الثمانين وبلغتها

....

قوله : ﴿يضاعف لهم﴾ في القائم مقام الفاعل وجهان : أظهرهما : أنه الجار بعده.

والثاني : أنه ضمير التصديق ، ولا بد من حذف المضاف ، أي : ثواب التصديق.

وقرأ الأعمش ؛ " يضاعفه " بكسر العين ، وزيادة هاء.

وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب : " يضعف " بتشديد العين وفتحها.

﴿ولهم أجر كريم﴾ يعني : الجنة.

قوله : ﴿والذين آمنوا﴾ مبتدأ ، و " أولئك " مبتدأ ثان ، و " هم " يجوز أن يكون مبتدأ ثالثا ، و " الصديقون " خبره ، وهو مع خبره خبر الثاني ، والثاني وخبره خبر الأول ، ويجوز أن يكون " هم " فصلا ، و " أولئك " وخبره خبر الأول.

٤٨٤

" والصديق " : هو الكثير الصدق.

وقال مجاهد : من آمن بالله ورسوله فهو صديق ، وتلا هذه الآية.

وقال الضحاك : هم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام : أبو بكر ، وعلي ، وزيد ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وحمزة ، وتاسعهم عمر بن الخطاب ، ألحقه بهم لما عرف من صدق نيته.

قوله : ﴿والشهدآء﴾.

يجوز فيه وجهان : أحدهما : أنه معطوف على ما قبله ، ويكون الوقف على " الشهداء " تاما ، أخبر عن " الذين آمنوا " أنهم صديقون شهداء.

فإن قيل : الشهداء مخصوصون بأوصاف أخر زائدة على ذلك كالتسعة المذكورين.

أجيب : بأن تخصيصهم بالذكر لشرفهم على غيرهم لا للحصر.

والثاني : أنه مبتدأ ، وفي خبره وجهان : أحدهما : أنه الظرف بعده.

والثاني : أنه قوله " ولهم أجرهم " ، إما الجملة ، وإما الجار وحده ، والمرفوع فاعل به ، والوقف لا يخفى على ما ذكرناه من الإعراب.

والصديق : مثال مبالغة ، ولا يجيء إلا من ثلاثي غالبا.

قال بعضهم : وقد جاء " مسيك " من " أمسك " ، وهو **غلط** ؛ لأنه يقال : " مسك " ثلاثيا ، ف " مسيك " منه.

فصل في المراد بالصديقين والشهداء قال مجاهد وزيد بن أسلم : إن الشهداء والصديقين هم المؤمنون ،

وأنه متصل ، وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول ابن مسعود في تأويل الآية.
قال القشيري : قال الله تعالى : ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾.
ف " الصديقون " هم الذين يلون الأنبياء.
٤٨٥
." (١)

"وثالثها : الأخوة بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم.
فقالوا لليهود : ﴿لئن أخرجتم﴾ من المدينة ﴿لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم﴾.
وقيل : هذا من قول بني النضير لقريظة ، وقولهم : ﴿ولا نطيع فيكم أحدا أبدا﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا : لا نطيعه في قتالكم.
وفيه دليل على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من جهة الغيب ؛ لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا معهم ، وقوتلوا فلم ينصروهم كما قال سبحانه وتعالى : ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ في قولهم وفعلهم.
فقولهم : ﴿ولا نطيع فيكم أحدا أبدا﴾ أي : في قتالكم أو في خذلانكم.
قوله تعالى : ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم﴾.
أجيب القسم المقدر ، لأن قبل " إن " لام موطئة حذفت للعلم بمكانها ، فإن الأكثر الإتيان بها ، ومثله قوله : ﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن﴾ [المائدة : ٧٣] وقد تقدم.
قوله تعالى : ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون﴾.
أجيب القسم لسبقه ، ولذلك رفعت الأفعال ولم تجزم ، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه ، ولذلك كان فعل الشرط ماضيا.
وقال أبو البقاء رحمه الله : قوله تعالى : ﴿لا ينصرونهم﴾ لما كان الشرط ماضيا ترك جزم الجواب انتهى.
وهو **غلط** ؛ لأن ﴿لا ينصرونهم﴾ ليس جوابا للشرط بل جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف كما تقدم وكأنه توهم أنه من باب قوله : [البسيط] ٤٧٥١ - وإن أتاه خليل يوم مسألة

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٨٢٨

يقول : لا غائب مالي ولا حرم

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٥٩٥

وقد سبق أبا البقاء ابن عطية إلى ما يوهم شيئا من ذلك ، ولكنه صرح بأنه جواب القسم ، فقال : " جاءت الأفعال غير مجزومة في " لا يخرجون ولا ينصرون " ؛ لأنها راجعة على حكم القسم لا على حكم الشرط ، وفي هذا نظر ".

فقوله : " وفي هذا نظر " يوهم أنه جاء على خلاف ما يقتضيه القياس وليس كذلك ، بل جاء على ما يقتضيه القياس.

٥٩٩

وفي هذه الضمائر قولان : أحدها : أنها كلها للمنافقين.

والثاني : أنها مختلفة بعضها لهؤلاء ، وبعضها لهؤلاء.

فصل اعلم أنه - تعالى - عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها ، وقد أخبر تعالى أن هؤلاء اليهود لئن أخرجوا ، فهؤلاء المنافقون لا يخرجون معهم ، وكان الأمر كذلك ؛ لأن بني النضير لما خرجوا لم يخرج معهم المنافقون ، وقاتلوا أيضا فما نصروهم ، وهذا كما يقول المعترض الطاعن في كلام الغير : لا نسلم أن الأمر كما تقول ، ولئن سلمنا أن الأمر كما تقول إلا أنه لا يفيد ذلك فائدة فكذا هاهنا ذكر تعالى أنهم لا يخرجون معهم ، وبتقدير أن ينصروهم إلا أنهم لا بد وأن يتركوا النصرة وينهزموا ، ويتركوا أولئك المنصورين في أيدي أعدائهم ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ [الأنفال : ٢٣].

[وقيل : معنى لا ينصرونهم : لا يدومون على نصرهم ، هذا على أن الضميرين متفقان على اختلاف الضميرين ، فالمعنى : لئن أخرج اليهود لا يخرج معهم المنافقون ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ﴿ولئن نصروهم﴾ أي : ولئن نصر اليهود المنافقين ليولن الأدبار].

قوله تعالى : ﴿لأنتم أشد رهبة﴾.

مصدر من " رهب " المبني للمفعول ، فالرهبة واقعة من المنافقين لا من المخاطبين ، كأنه قيل : لأنتم أشد رهوبية في صدورهم من الله ، فالمخاطبون مرهبون وهو قول كعب بن زهير - رضي الله عنه - في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم : [البسيط] ٤٧٥٢ - فلهو أخوف عندي إذ أكلمه

وقيل إنك محبوس ومقتول

من ضيغم بثراء الأرض مخدره

ببطن عثر غيل دونه غيل

و " رهبة " تمييز.

٦٠٠

." (١)

"وفي صحيح مسلم : وقوله : ﴿كأنهم خشب مسندة﴾.

كانوا رجالا [أجمل] شيء كأنهم خشب مسندة شببهم بخشب مسندة إلى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون أباح بلا أرواح ، وأجسام بلا أحلام.

وقيل : شبههم بالخشب التي قد تآكلت فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطنوها.

قال الزمخشري : شبهوا في استنادهم بالخشب المسندة إلى حائط ؛ لأنهم أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط ، لأأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار ، أو غيرهما من مظان الانتفاع ، وما دام متروكا فارغا غير به فأسند إلى الحائط ، فشبهوا به في عدم الانتفاع ، ويجوز أن يراد بها الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان.

فصل في قراءة الخشب قرأ قنبل وأبو عمرو والكسائي : " خشب " بإسكان الشين.

وهي قراءة البراء بن عازب ، واختيار عبيد.

لأن واحدتها خشبة كما تقول : بدنة وبدن.

قاله الزمخشري.

وقال أبو البقاء : و " خشب " - بالإسكان والضم - جمع خشب ، مثل : أسد وأسد.

قال القرطبي : وليس في اللغة : " فعلة " يجمع على " فعل " ، ويلزم من ثثقلها أن تقول : " البدن " فتقرأ : " والبدون " ، وذكر اليزيدي أنه جمع الخشباء ، كقوله تعالى : ﴿وحدآئق غلبا﴾ [عبس : ٣٠] واحدتها ، حديقة غلباء.

وقرأ الباقون من السبعة : بضمتين.

وقرأ سعيد بن جبير ، وابن المسيب : بفتحتين.

ونسبها الزمخشري لابن عباس ، ولم يذكر غيره.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٨٧٩

١٠٧
فأما القراء – بضمتين – فقيل : يجوز أن تكون جمع خشبة ، نحو : ثمرة وثمر.
قاله الزمخشري.
وفيه نظر ؛ لأن هذه الصيغة محفوظة في " فعلة " لا ينقاس نحو : ثمرة وثمر.
ونقل الفارسي عن الزبيد : " أنه جمع : خشباء ، وأخشبة " **غلط** عليه ؛ لأنه قد يكون قال : " خشب " – بالسكون – جمع " خشباء " نحو : " حمراء وحمر " لأن " فعلاء " الصفة لا تجمع على " فعل " بضمتين ، بل بضمة وسكون.
وقوله : الزبيدي ، تصحيف ، إما منه ، وإما من الناسخ ، إنما هو اليزيدي تلميذ أبي عمرو بن العلاء ، ونقل ذلك الزمخشري.
وأما القراء بضمة وسكون.
فقيل : هي تخفيف الأولى.
وقيل : هي جمع خشباء ، كما تقدم.
وهي الخشبة التي نخر جوفها ، أي : فرغ ، شبهوا بها لفراغ بواطنهم مما ينتفع به.
وأما القراءة – بفتحتين – فهو اسم جنس ، وأنثت صفته ، كقوله : ﴿نخل خاوية﴾ [الحاقة : ٧] وهو أحد الجائزين.
وقول : " مسندة ".
تنبيه على أنه لا ينتفع بها كما ينتفع بالخشب في سقف وغيره ، أو شبهوا بالأصنام ؛ لأنهم كانوا يسندونها إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم.
وقيل : شبهوا بالخشب المسندة إلى الحائط ، لأن الخشبة المسندة إلى الحائط أحد طرفيها إلى جهة ، والآخر إلى جهة أخرى.
والمنافق كذلك لأن أحد طرفيه وهو الباطن إلى جهة أهل الكفر ، والطرف الآخر وهو الظاهر إلى جهة أهل الإسلام.
ونقل القرطبي عن سيبويه أنه يقال : " خشبة وخشاب وخشب " مثل : ثمرة وثمار وثمر ، والإسناد : الإمالة ، تقول : أسندت الشيء أي : أملته ، و " مسندة " للتكثير ، أي : استندوا إلى الإيمان لحقن دمائهم.

١٠٨

قوله : ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾.

فيه وجهان : أظهرهما : أن " عليهم " هو المفعول الثاني للحسبان ، أي واقعة وكائنة عليهم ويكون قوله : ﴿هم العدو﴾ جملة مستأنفة ، أخبر الله عنهم بذلك.

والثاني : أن يكون " عليهم " متعلقا بـ " صيحة " و " هم العدو " جملة في موضع المفعول الثاني للحسبان.

قال الزمخشري : " ويجوز أن يكون " هم العدو " هو المفعول الثاني كام لو طرحت الضمير.

فإن قلت : فحقه أن يقال : هي ١لعدو ، قلت : منظور فيه إلى الخبر كما في قوله : ﴿هذا ربي﴾ [الأنعام : ٧٧] ، وأن يقدر مضاف محذوف أي : يحسبون كل أهل صيحة " انتهى.

وفي الثاني بعد بعيد.

فصل وصفهم الله تعالى بالجبن والخور.

قال مقاتل والسدي : إذا نادى مناد في العسكر أن أنفلتت دابة ، أو أنشدت ضالة ظنوا أنهم هم المرادون ، لما في قلوبهم من الرعب.

كما قال الأخطل : [الكامل] ٤٧٧٣ - ما زلت تحسب كل شيء بعدهم

خيلا تكر عليهم ورجالا

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ١٠٠

وقيل : ﴿يحسبون كل صيحة﴾ ، أنهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم ؛ لأن للريبة خوفا ، استأنف الله خطاب نبيه - عليه الصلاة والسلام - فقال : " هم العدو " وهذا معنى قول الضحاك.

وقيل : يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد أنها عليهم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر فيها بقتلهم ، فهم أبدا◌ وجلون من أن ينزل الله فيهم أمرا يبيح به دماءهم ، ويهتك به أستارهم ، ثم وصفهم الله بقوله ﴿هم العدو فاحذرهم﴾ حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

١٠٩

." (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٤٩٣٣

"﴿وأعرض عن بعض﴾ ، تكرما منه وحلما ، واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم يدل عليه قوله تعالى : ﴿وأعرض عن بعض﴾ ، أي : لم يعرفها إياه ، ولو كانت مخففة لقال في ضده : وأنكر بعضا.

وأما التخفيف : فمعناه جازى على بعضه ، وأعرض عن بعض.

قال الفراء : وتأويل قوله - عز وجل - : " عرف " بالتخفيف ، أي : غضب فيه ، وجازى عليه ، كقولك لمن أساء إليك " لأعرفن لك ما فعلت " أي : لأجازينك عليه.

فصل في نزول الآية قال المفسرون : إنه أسر إلى حفصة شيئا فحدثت به غيرها ، فطلقها مجازاة على بعضه ، ولم يؤاخذها بالباقي ، وهو من قبيل قوله تعالى : ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ [البقرة : ١٩٧] أي : يجازيكم عليه ، وقوله : ﴿أولائك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ [النساء : ٦٣] ، وإنما اضطررنا إلى هذا التأويل ؛ لأن الله - تعالى - أطلعه على جميع ما أنبأت به غيرها ؛ لقوله تعالى : ﴿وأظهره الله عليه﴾.

وقرأ عكرمة : " عراف " بألف بعد الراء.

وخرجت على الإشباع ، كقوله : [الرجز]

٤٧٨٥ - أعوذ بالله من العقراب

وقيل : هي لغة يمانية ، يقولون : " عراف زيد عمرا ".

وإذا ضمنت هذه الأفعال الخمسة معنى " أعلم " تعدت لثلاثة.

وقال الفارسي : " تعدت بالهمزة أو التضعيف ".

وهو **غلط** ، إذا يقتضي ذلك أنها قبل التضعيف ، والهمزة كانت متعدية لاثنين ، فاكتسبت بالهمزة ، أو التضعيف ثالثا ، والأمر ليس اتفاقا.

فصل في تفسير الآية قال السدي : عرف بعضه ، وأعرض عن بعض تكرما.

وقال الحسن : ما استقصى كريم قط ، قال الله تعالى : ﴿عرف بعضه وأعرض عن بعض﴾.

١٩٥

وقال مقاتل : يعني أخبرها ببعض ما قالت لعائشة : وهو قول حفصة لعائشة : إن أبا بكر وعمر سيملكان بعده.

قال المفسرون : إن النبي صل الله عليه وسلم جازى حفصة ، بأن طلقها طلقة واحدة ، فلما بلغ ذلك عمر ، فقال عمر : لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك ، فأمر

جبريل بمراجعتها ، وشفع فيها ، واعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا ، وقعد في مشربه مارية أم إبراهيم ، حتى نزلت آية التخيير كما تقدم.

وقيل : هم بطلاقها ، حتى قال له جبريل : لا تطلقها ، فإنها صوامة قوامة ، وإنها من نسائك في الجنة ، فلم يطلقها.

قوله : ﴿إن تتوبآ إلى الله﴾ ، أي : " أخبر حفصة بما أظهره الله عليه ، قالت : " من أنبأك هذا " يا رسول الله عني ، فظنت أن عائشة أخبرته ، فقال – عليه السلام – : " نبأني العليم الخبير " الذي لا يخفى عليه شيء " وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الكراهية في وجه حفصة حين رأته مع مارية أراد أن يتراضاها فاسر إليها شيئين : تحريم الأمة على نفسه ، وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر ، فأخبرت حفصة بذلك عائشة ، وأطلع الله نبيه عليه فعرف حفصة ، وأخبرها بما أخبرت به عائشة ، وهو تحريم الأمة ﴿وأعرض عن بعض﴾ يعني عن ذكر الخلافة ، كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينشر ذلك بين الناس ، ﴿فلما نبأت به﴾ أي : أخبر حفصة بما أظهره الله عليه ، قالت حفصة : ﴿من أنبأك هاذا﴾ أي : من أخبرك بأني أفشيت السر ؟ " قال : ﴿نبأني العليم الخبير﴾.

قال ابن الخطيب : وصفه بكونه خبيرا بعدما وصفه بكونه عليما لما أن في الخبير من المبالغة ما ليس في العليم.

قوله : ﴿إن تتوبآ إلى الله﴾.

شرط في جوابه وجهان : أحدهما : هو قوله : ﴿فقد صغت﴾.

والمعنى : إن تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة ، وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حب ما يحبه ، وكراهة ما يكره.

و " صغت " مالت وزاغت عن الحق.

ويدل له قراءة ابن مسعود : " فقد زاغت ".

١٩٦

قال القرطبي : " وليس قوله ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ جزاء للشرط ، لأن هذا الصغو كان سابقا ، فجواب الشرط محذوف للعلم به ، أي : إن تتوبا كان خيرا لكما ؛ إذ قد صغت قلوبكما ".

والثاني : أن الجواب محذوف ، وتقديره : فذلك واجب عليكما ، أو فتاب الله عليكما قاله أبو البقاء ، ودل على المحذوف ﴿فقد صغت﴾ ؛ لأن إصغاء القلب إلى ذلك ذنب.

قال شهاب الدين : " وكأنه زعم أن ميل القلب ذنب ، وكيف يحسن أن يكون جوابا وقد غفر عن المعنى المصحح لكونه جوابا ".

وقوله : ﴿قلوبكما﴾ من أفصح الكلام حيث أوقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمجيء تثنيتين لو قيل : " قلبكما " ، ومن شأن العرب إذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما ؛ لأنه لا يشكل.

وقد تقدم هذا في آية السرقة في المائدة.

ومن مجيء التثنية قوله : [الكامل] ٤٧٨٦ – فتخالسا نفسيهما بنوافذ

كنوافذ العبط التي لا ترقع

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ١٩٣

". (١)

"قوله : ﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى ﴾.

" مكبا " حال من فاعل " يمشي ".

قال الواحدي : " أكب " ، مطاوع كبه ، يقال : كببته فأكب.

قال الزمخشري : هو من الغرائب والشواذ ، ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع ، وما هو كذلك ولا شيء من بناء " أفعل " مطاوع ، بل قولك : أكب ، من باب " أنفض ، وألأم " ومعناه : دخل في اكب ، وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب دخل في القشع.

ومطاوع "كب ، وقشع " انكب وانقشع.

قال أبو حيان : " ومكبا " حال من " أكب " وهو لا يتعدى ، و "كب " متعد ، قال تعالى ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ [النمل : ٩٠] والهمزة فيه للدخول في الشيء أو للصيرورة ، ومطاوع كب انكب ، تقول : كببته فانكب.

قال الزمخشري : " ولا شيء من بناء " أفعل " مطاوعا ولا يتقن نحو هذا إلا حمله كتاب سيبويه " انتهى.

وهذا الرجل يتبجح بكتاب سيبويه ، وكم من نص في كتاب سيبويه عمي بصره وبصيرته عنه حتى إن الإمام أبا الحجاج يوسف بن معزوز سنف كتابا يذكر فيه ما **غلط** الزمخشري فيه ، وما جهله من كتاب سيبويه.

انتهى.

قال شهاب الدين : انظر إلى هذا الرجل كيف أخذ كلام الزمخشري الذي أسلفته عنه طرز به عبارته حرفا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٩٦٩

بحرف ثم أخذ ينحي عليه بإساءة الأدب جزاء ما لقنه تلك الكلمات الرائقة ، وجعل يقولك إن مطاوع " كب " " انكب " لا " أكب " وأن الهمزة للصيرورة ، أو للدخول في الشيء ، وبالله لو بقي دهره غير ملقن إياها لما قالها أبدا ، ثم أخذ يذكر عن إنسان مع أبي القاسم كالسها مع القمر أنه غلطه في نصوص من كتاب سيبويه ، والله أعلم بصحتها : [الوافر] ٤٨٠٤ - وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهءم السقيم

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٢٥٠

وعلى تقدير التسليم ، فالفاضل من عدت سقاطته.

قال القرطبي : يقال : أكب الرجل على وجهه فيما لا يتعدى بالألف ، فإذا تعدى قيل : كبه الله على وجهه بغير ألف ، وقوله : " أفمن يمشي " هو المعادل لـ " ﴿أفمن يمشي مكبا﴾.

٢٥٤

وقال أبو البقاء : " وأهدى " خبر " من يمشي " وخبر " من " الثانية محذوف.

يعني أن الأصل : أم من يمشي سويا أهدى ، ولا حاجة إلى ذلك ؛ لأن قولك : أزيد قائم ، أم عمرو لا يحتاج فيه من حيث الصناعة إلى حذف الخبر ، نقول : هو معطوف على " زيد " عطف المفردات ، ووحد الخبر لأن " أم " لأحد الشيئين.

فصل قال المفسرون : ﴿أفمن يمشي مكبا﴾ منكسا رأسه لا ينظر أمامه ، ولا يمينه ، ولا شماله ، فهو لا يأمن من العثور والانكباب على وجهه ﴿كمن يمشي سويا﴾ معتدلا ناظرا ما بين يديه ، وعن يمينه وعن شماله.

قال ابن عباس : هذا في الدنيا ، ويجوز أن يريد به الأعمى الذي لا يهتدي إلى طريق ، فلا يزال ينكسه على وجهه ، وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصير الماشي في الطريق المهتدي له.

قال قتادة : هو الكافر أكب على معاصي الله في الدنيا ، يحشره الله يوم القيامة على وجهه.

وقال ابن عباس والكلبي : عنى بالذي يمشي على وجهه أبا جهل ، وبالذي يمشي سويا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل : أبو بكر.

وقيل : حمزة.

وقيل : عمار بن ياسر.

قال عكرمة : وقيل : هو عام في الكافر والمؤمن ، أي : إن الكافر لا يدري أعلى حق هو ، أم على باطل ، أي : هذا الكافر أهدى ، أم المسلم الذي يمشي سويا معتدلا يبصر الطريق ، وهو على صراط مستقيم وهو الإسلام.

قوله ﴿قل هو الذى أنشأكم﴾.

أمر نبيه أن يعرفهم قبح شركهم مع اعترافهم أن الله خلقهم ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ يعني القلوب.

قول " قليلا ".

نعت مصدر محذوف ، أو حال من ضمير المصدر كما هو رأي سيوبيه و " ما " مزيدة أي : تشكرون قليلا ، والجملة من " تشكرون " إما مستأنفة ، وهو الظاهر ، وإما حال مقدرة ؛ لأنهم حال الجعل غير شاكرين.

٢٥٥

." (١)

"يقال : ربا الشيء يربوا إذا زاد ، ومنه الربا إذا أخذ في الذهب والفضة أكثر مما أعطي.

والمعنى : أنها كانت زائدة في الشدة على عقوبات سائر الكفار ، كما أن أفعالهم كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفار.

وقيل : إن عقوبة آل فرعون في الدنيا متعلقة بعذاب الآخرة ، لقوله : ﴿أغرقوا فأدخلوا نارا﴾ [نوح : ٢٥] وعقوبة الآخرة أشد من عقوبة الدنيا ، فتلك العقوبة كأنها كانت تنمو وتربو.

ثم ذكر قصة قوم نوح ، وهي قوله : ﴿إنا لما طغا المآء حملناكم في الجارية﴾ ، أي : ارتفع وعلا.

وقال علي رضي الله عنه : طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه ، فلم يقدروا على حبسه.

قال المفسرون : زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعا.

وقال ابن عباس رضي الله عنه : طغى الماء زمن نوح على خزانه ، فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج ، وليس من الماء قطرة تنزل قبله ، ولا بعده إلا بكيل معلوم غير ذلك اليوم ، وقد تقدم مرفوعا أول السورة ، والمقصود من ذكر قصص هذه الأمم ، وذكر ما حل بهم من العذاب ، زجر هذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول ، ثم من عليهم بأن جعلهم ذرية من نجا من الغرق بقوله : " حملناكم " أي : حملنا آباءكم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٩٩٣

، وأنتم في أصلابهم ، " في الجارية " أي : في السفن الجارية ، والمحمول في الجارية إنما هو نوح وأولاده ، وكل من على وجه الأرض من نسل أولئك.
والجارية من أسماء السفينة ، ومنه قوله تعالى : ﴿وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام﴾ [الرحمن : ٢٤] ، وغلب استعمال الجارية في السفينة ؛ كقوله في بعض الألغاز : [البسيط] ٤٨٤٤ - رأيت جارية في بطن جارية
في بطنها رجل في بطنه جمل
قوله : ﴿لنجعلها لكم تذكرة﴾ ، أي : سفينة نوح - عليه الصلاة والسلام - جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الأمة حتى أدركها أوائلهم.
في قول قتادة.
قال ابن جريج : كانت ألواحها على الجودي ، والمعنى : أبقيت لكم الخشبات حتى تذكروا ما حل بقوم نوح ، وأنجى الله أباكم ، وكم من سفينة هلكت وصارت ترابا ، ولم يبق منها شيء ، وهذا قول الفراء.
قال ابن الخطيب : وهذا ضعيف ، بل الصواب ما قاله الزجاج : أن الضمير في قوله : "
٣٢١
لنجعلها " يعود إلى " الواقعة " التي هي معلومة ، وإن كانت هنا ير مذكورة ، والتقدير : لنجعل نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عظة ، وعبرة ، ويدل على صحته قوله : ﴿وتعيهآ أذن واعية﴾ فالضمير في قوله : " وتعيها " لا يمكن عوده إلى السفينة ، فكذا الضمير الأول.
قوله : " وتعيها " العامة : على كسر العين وتخفيف التاء ، وهو مضارع " وعى " منصوب عطفا على " لنجعلها ".
وابن مصرف و أبو عمرو في رواية هارون عنه وقنبل ، قال القرطبي : وحميد والأعرج بإسكانها تشبيها له بـ " رحم ، وشهد " وإن لم يكن منه ، ولكن صار في اللفظ بمنزلة الفعل الحلقي العين.
قال ابن الخطيب : وروي عن ابن كثير إسكان العين ، جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة واحدة ، فحذف وأسكن كما أسكن الحرف المتوسط من " فخذ وكبد وكتف " ، وإنما فعل ذلك ؛ لأن حرف المضارعة لا ينفصل من الفعل ، فأشبه ما هو من نفس الكلمة ، وصار كقول من قال : وهو وهي ، ومثل ذلك ﴿ويتقه﴾ [النور : ٥٢] في قراءة من سكن القاف.
وروي عن حمزة : إخفاء الكسرة.

وروي عن عاصم وحمزة : بتشديد " الياء ".

وهو غلط عليهما ، وإنما سمعهما الراوي يثبتان حركة الياء ، فظنها شدة.

وقيل : أجريا الوصل مجرى الوقف فضعف الحرف ، وهذا لا ينبغي أن يلتفت غليه.

وروي عن حمزة أيضا ، وموسى بن عبد الله العبسى : " وتعِيها " بسكون " الياء " ز وفيه وجهان : الاستئناف ، والعطف على المنصوب ، وإنما سكنا " الياء " استثقالا للحركة على حرف العلة ، كقراءة : ﴿تطعمون أهليكم﴾ [المائدة : ٨٩].

فصل في " وعى " قال الزجاج : يقال : وعيت كذا ، أي : حفظته في نفسي ، أعيه وعيا ووعيت العلم ، ووعيت ما قلته كله بمعنى ، وأوعيت المتاع في الوعاء.

قال الزجاجث : يقال لكل ما حفظته في غير نفسك : أوعيته – بالألف – ولما حفظته في نفسك : وعيته ، بغير ألف.

٣٢٢

". (١)

"للكافرين ، أو بالفعل أي دعا للكافرين بعذاب واقع أو بواقع ، أي : بعذاب نازل لأجلهم.

وعلى الثاني : هو كلام مبتدأ جواب للسائل ، أي : هو للكافرين انتهى.

قال أبو حيان : وقال الزمخشري : أو بالفعل ، أي : دعا للكافرين ، ثم قال : وعلى الثاني : وهو ثاني ما ذكر في توجيهه للكافرين ، قال : هو كلام مبتدأ ، وقع جوابا للسائل ، أي : هو للكافرين ، وكان قد قرر أن " سأل " في معنى " دعا " فعدي تعديته ، كأنه قال : دعا داع بعذاب ، من قولك : دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه ، ومنه قوله تعالى : ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ [الدخان : ٥٥] انتهى ، فعلى ما قرره ، أنه متعلق بـ " دعا " يعني " بسأل " ، فكيف يكون كلاما مبتدأ جوابا للسائل ، أي : هو للكافرين ، هذا لا يصح.

قال شهاب الدين : وقد غلط أبو حيان في فهمه عن أبي القاسم قوله : وعلى الثاني إلى آخره ، فمن ثم جاء التخليط الذي ذكره الزمخشري ، إنما عنى بالثاني قوله عن قتادة : سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع ، فنزلت ، و " سأل " على هذا الوجه مضمن معنى " عني واهتم " ، فهذا هو الوجه الثاني المقابل للوجه الأول ، وهو أن " سأل " يتضمن معنى " دعا " ، ولا أدري كيف تخبط حتى وقع ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٠٢١

ونسب الزمخشري إلى الغلط ، وأنه أخذ قول قتادة والحسن وأفسده ، والترتيب الذي رتبه الزمخشري ، في تعلق " اللام " من أحسن ما يكون صناعة ومعنى.

قال القرطبي : وقال الحسن : أنزل الله تعالى : ﴿سأل سآئل بعذاب واقع﴾ ، وقال : لمن هو ؟ فقال : " للكافرين " ، فاللام في " للكافرين " متعلقة بـ " واقع ".

وقال الفراء : التقدير : بعذاب للكافرين واقع ، فالواقع من نعت العذاب ، فاللام دخلت للعذاب لا للواقع.

أي : هذا العذاب للكافرين في الآخرة ، لا يدفعه عنهم أحد.

وقيل : إن اللام بمعنى " على " أي : واقع على الكافرين كما في قراءة أبي المتقدمة.

وقيل : بمعنى " عن " أي : ليس له دافع عن الكافرين.

قوله : ﴿ليس له دافع﴾.

يجوز أن يكون نعتا آخر لـ " عذاب " ، وأن يكون مستأنفا ، والأول أظهر.

ون يكون حالا من " عذاب " لتخصصه ، إما بالعمل وإما بالصفة ، وأن يكون حالا من الضمير في " للكافرين " إن جعلناه نعتا لـ " عذاب ".

٣٥٢

قوله : ﴿من الله﴾ يجوز أن يتعلق بـ " دافع " بمعنى ليس له دافع من جهته ، إذا جاء وقته ، وأن يتعلق بـ " واقع " ، وبه بدأ الزمخشري ، أي : واقع من عنده.

وقال أبو البقاء : ولم يمنع النفي من ذلك ؛ لأن " ليس " فعل.

كأنه استشعر أن ما قبل النفي لا يعمل فيما بعده.

وأجاب : بأن النفي لما كان فعلا ساغ ذلك.

قال أبو حيان : والأجود أن يكون " من الله " متعلقا بـ " واقع " ، و " ليس له دافع " جملة اعتراض بين العامل ومعموله ".

انتهى.

وهذا إنما يأتي على البدل ، بأن الجملة مستأنفة ، لا صفة لـ " عذاب " ، وهو غير الظاهر كما تقدم لأخذ الكلام بعضه بحجزة بعض.

قوله : " ذي " صفة لله ، ومعنى : " ذي المعارج " ، أي : ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم ؛ لأنها تصل إلى الناس على مراتب مختلفة ، قاله ابن عباس وقتادة.

" فالمعارج " ، مراتب إنعامه على الخلق.
وقيل : ذي العظمة والعلو.
وقال مجاهد : هي معارج السماء.
وقيل : هي السموات.
قال ابن عباس : أي : ذي السموات ، سماها معارج الملائكة ، لأن الملائكة تعجر إلى السماء ، فوصف نفسه بذلك.
وقيل : " المعارج " الغرف ، أي : أنه ذو الغرف ، أي : جعل لأوليائه في الجنة غرفا.
وقرأ عبد الله : " ذي المعاريج " بالياء.
يقال : معرج ، ومعراج ، ومعارج ، ومعاريج مثل مفتاح ومفاتيح.
والمعارج : الدرجات ومنه : ﴿ومعارِج عليها يظهرون﴾ [الزخرف : ٣٣] وتقدم الكلام على المعارج في " الزخرف ".
قوله : ﴿﴾.
العامة : بالتاء من فوق.
وقرأ ابن مسعود ، وأصحابه ، والسلمي ، والكسائي : بالياء من تحت.
٣٥٣
." (١)

"الأول : أن ظاهر الآية يقتضي وجوب تأخير البيان عن وقت الخطاب ، وأنتم لا تقولون به.
الثاني : أن عندنا الواجب أن يقرن باللفظ إشعارا بأنه ليس المراد في اللفظ ما يقتضيه ظاهره.
فأما البيان التفصيلي فيجوز تأخيره فتحمل الآية على تأخير البيان التفصيلي.
وذكر القفال وجها ثالثا ، وهو قوله تعالى : ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ فيحمل على الترتيب ، ونظيره قوله تعالى : ﴿فك رقبة﴾ [البلد : ١٣] إلى قوله ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ [البلد : ١٧].
قال ابن الخطيب : والجواب عن الأول : أن اللفظ لا يقتضي وجوب تأخير البيان ، بل يقتضي تأخير وجوب البيان ، فيكون الجواب بالمنع لأن وجوب البيان لا يتحقق إلا عند الحاجة ، وعن الثاني : أن كلمة " ثم " دخلت على مطلق البيان المجمل والمفصل ، فالتخصيص بأحدهما تحكم بغير دليل.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٠٣٥

وجواب القفال : بأنه ترك للظاهر بغير دليل.
فصل فيمن جوز الذنوب على الأنبياء أورد من جوز الذنوب على الأنبياء ، بأن هذا الاستعجال إن كان بإذن ، فكيف نهي عنه وإن كان بغير إذن فهو ذنب.
قال ابن الخطيب : والجواب : لعله كان مأذونا فيه إلى وقت النهي.
جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٥٥٨
قوله : ﴿كلا﴾.
قال الزمخشري : " كلا " ردع للنبي صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وحث على الأناة.
وقال جماعة من المفسرين : " كلا " معناه " حقا " أي : حقا تحبون العاجلة ، وهو اختيار أبي حاتم ؛ لأن الإنسان بمعنى الناس.
وقال ابن عباس رضي الله عنهما : " كلا " أي : أن أبا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن وبيانه.
وقيل : " كلا " لا يصلون ولا يزكون ، يريد كفار " مكة ".
٥٦١
" بل تحبن ".
قرأ ابن كثير وأبو عمرو : " يحبون ، ويذرون " بيان اليغبة حملا على لفظة الإنسان المذكور أولا لأن المراد به الجنس ، وهو اختيار أبي حاتم ؛ لأن " الإنسان " بمعنى الناس والباقون : بالخطاب فيهما ، إما خطابا لكفار قريش أي : بل تحبون يا كفار قريش العاجلة ، أي : ألدار الدنيا والحياة فيها ﴿وتذرون الآخرة﴾ أي تدعون الآخرة والعمل لها ، وإما التفاتا عن الإخبار عن الجنس المتقدم والإقبال عليه بالخطاب.
واختار الخطاب أبو عبيد ، قال : ولولا الكراهة لخلاف هؤلاء القراء لقرأتها بالياء ، لذكر الإنسان قبل ذلك.
قوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ فيه أوجه : أحدها : أن يكون " وجوه " مبتدأ ، و " ناضرة " نعت له ، و " يومئذ " منصوب بـ " ناضرة " و " ناظرة " خبره ، و " إلى ربها " متعلق بالخبر.
والمعنى : أن الوجوه الحسنة يوم القيامة ناظرة إلى الله تعالى ، وهذا معنى صحيح ، والناضرة : من النضرة وهي التنعم ، ومنه غصن ناضر.
الثاني : أن تكون " وجوه " مبتدأ أيضا ، و " ناضرة " خبره ، و " يومئذ " منصوب الخبر - كما تقدم - وسوغ الابتداء هنا بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل ، كقوله : [المتقارب] ٤٩٩٦ - ....

فثوب لبست وثوب أجر

وتكون " ناضرة " نعتا لـ " وجوه " أو خبرا ثانيا او خبرا لمبتدأ محذوف ، و " إلى ربها " متعلق بـ " ناظرة " كما تقدم.

وقال ابن عطية : وابتدأ بالنكرة ؛ لأنها تخصصت بقوله : " يومئذ ".

وقال أبوالبقاء : وجاز الابتداء هنا بالنكرة لحصول الفائدة.

وفي كلا قوليهما نظر أما قول ابن عطية : فلأن قوله " تخصصت " بقوله : " يومئذ " هو التخصيص إما لكوناه عاملة فيه ، وهو محال ؛ لأنها جامدة ، وإما لأنها موصوفة به ، وهو محال أيضا ؛ لأن الجثة لا توصف بالزمان كما لا يخبر به عنها.

وأما قول أبي البقاء : فإن أراد بحصول الفائدة ما تقدم من التفصيل فصحيح ، وإن عنى ما عناه ابن عطية فليس بصحيح لما تقدم.

الثالث : أن يكون " وجوه " مبتدأ ، و " يومئذ " خبره.

قاله أبو البقاء.

وهذا غلط من حيث المعنى ومن حيث الصناعة.

٥٦٢

". (١)

"الطفل الذين﴾ [النور : ٣١] فلأن يوجد ذلك في أسماء الجموع أو أسماء الأجناس الفارق بينها وبين واحدها تاء التأنيث بطريق الأولى ، وجر " إستبرق " نسقا على " سندس " ، لأن المعنى ثياب من سندس ، وثياب من إستبرق.

وما القراءة الثالثة : فرفع " خضر " نعتا لـ " ثياب " وجر " إستبرق " نسقا على سندس أي : ثياب خضر من سندس ، ومن إستبرق ، فعلى هذا يكون الإستبرق أيضا أخضر.

وأما القراءة الرابعة : فجر " خضر " على أنه نعت لـ " سندس " ورفع " إستبرق " على النسق على " ثياب " بحذف مضاف ، أي : وثياب استبرق.

وتقدم الكلام على مادة السندس والإستبرق في سورة الكهف.

وقرأ ابن محيصن : " وإستبرق " بفتح القاف ، ثم اضطرب النقل عنه في الهمزة ، فبعضهم ينقل عنه أنه

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥١٢٨

قطعها ، وبعضهم ينقل أنه وصلها.

قال الزمخشري : " وقرئ : " وإستبرق " نصبا في موضع الجر على منع الصرف ، لأنه أعجمي ، وهو **غلط** ؛ لأنه نكرة يدخله حرف التعريف ، تقول الإستبرق ، إلا أنه يزعم ابن محيصن أنه قد جعل علما لهذا الضرب من الثياب ، وقرأ : " واستبرق " بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى بـ " استفعل من البريق ، وهو ليس بصحيح – أيضا – لأنه معرب مشهور تعريبه وأصله استبره ".

وقال أبو حيان : ودل قوله : إلا أن يزعم ابن محيصن ، وقوله بعد : وقرئ " واستبرق " بوصل الألف والفتح ، أن قراءة ابن محيصن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف ؟ والمنقول عنه في كتب القراءات : أنه قرأ بوصل الألف وفتح القاف.

قال شهاب الدين : قد سبق الزمخشري إلى هذا مكي ، فإنه قال : وقد قرأ ابن محيصن بغير صرف ؟ وهو وهم إن جعله اسما ؛ لأنه نكرة منصرفة.

وقيل : بل جعله فعلا ماضيا من " برق " فهو جائز في اللفظ بعيد في المعنى.

وقيل : إنه في الأصل فعل ماض على " استفعل " من " برق " ، فهو عربي من البريق ، فلما سمي به قطعت ألفه ؛ لأنه ليس من أصل الأسماء أن يدخلها ألف الوصل ، وإنما دخلت معتلة مغيرة عن أصلها ، معدودة ، لا يقاس عليها ؛ انتهى ، فدل قوله " قطعت ألفه " إلى آخره ، أنه قرأ بقطع الهمزة وفتح القاف ، ودل قوله أولا : وقيل : بل جعله فعلا ماضيا من " برق " ، أنه قرأ بوصل الألف ، لأنه لا يتصور أن يحكم عليه بالفعلية غير منقول إلى

٤٥

الأسماء ، ويترك ألفه ألف قطع ألبتة ، وهذا جهل باللغة ، فيكون قد روي عنه قراءتا قطع الألف ووصلها ، فظهر أن الزمخشري لم ينفرد بالنقل عن ابن محيصن بقطع الهمزة.

وقال أبو حاتم في قراءة ابن محيصن : لا يجوز ، والصواب : أنه اسم جنس لا ينبغي أن يحمل ضميرا ويؤيد ذلك دخول لام المعرفة عليه ، والصواب قطع الألف ؟ وإجراؤه على قراءة الجماعة.

قال أبو حيان : نقول : إن ابن محيصن قارئ جليل مشهور بمعرفة العربية ، وقد أخذ عن أكابر العلماء ، فيتطلب لقراءته وجه ، وذلك أنه يجعل " استفعل " من البريق ؟ تقول : برق واستبرق ، كـ " عجب واستجب " ، ولما كان قوله : " خضر " يدل على الخضرة ، وهي لون ذلك السندس ، وكانت الخضرة مما يكون فيها لشدتها دهمة وغبش ، أخبر أن في ذلك بريقا وحسنا يزيل غبشيته ، فـ " استبرق " فعل ماض ، والضمير

فيه عائد على السندس ، أو على الأخضر الدال عليه خضر ، وهاذ التخريج أولى من تلحين من يعرف بالعربية ، وتوهيم ضابط ثقة.

وهذا هو الذي ذكره مكي.

وهذه القراءة قد تقدمت في سورة الكهف.

قوله تعالى : ﴿وحلوا ا ا أساور من فضة﴾ عطف على " ويطوف " عطف ماضيا لفظا مستقبلا معنى ، وأبرزه بلفظ الماضي لتحققه.

وقال الزمخشري بعد سؤال وجواب من حيث المعنى : وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران : سوار من ذهب وسوار من فضة.

وناقشه أبو حيان في قوله : " بالمعصم " ، فقال : قوله : " بالمعصم " إما أن يكون مفعول " أحسن " وإما أن يكون بلا منه ، وقد فصل بينهما بالجار والمجرورن فإن كان الأول فلا يجوز ؛ لأنه لم يعهد زيادة الباء في مفعول " أفعل " التعجب ، لا تقول : ما أحسن بزيد ، تريد : ك أحسن زيدا ، وإن كان الثاني ففي هذا الفصل خلاف ، والمنقول عن بعضهم أنه لا يجوز ، والمولد منا إذا تكلم ينبغي أن يتحرز في كلامه فيما فيه خلاف.

قال شهاب الدين : وأي غرض له في تتبع كلام هذا الرجل حتى في الشيء اليسير على أن الصحيحي جوازه ، وهو المسموع من العرب نثرا ، قال عمرو بن معديكرب : لله در بني مجاشع ما أكثر في الهيجاء لقاءها ، وأثبت في المكرمات بقاءها ، وأحسن في اللزبات عطاءها ، والتشاغل بغير هذا أولى.

فصل في المراد بالأساور قال هنا : " أساور من فضة " وفي سورة " فاطر " : ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾

٤٦

." (١)

"تطمس الآثار ، فتكون الريح طامسة ، والأثر طامس بمعنى مطموس.

قال ابن الخطيب : ويحتمل ان تكون محقت ذواتها ، وهو موافق لقوله تعالى : ﴿نشرت﴾.

و " النجوم " مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين غير الأخفش ، وبالابتداء عن الكوفيين والأخفش.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٥١٥٥

وفي جواب " إذا " قولان : أحدهما : محذوف ، تقديره : فإذا طمست النجوم وقع ما توعدون ، لدلالة قوله إنما توعدون لواقع أو بن الأمر.

والثاني : أنه " لأي○○ يوم أجلت " على إضمار القول ، أي يقال : لأي يوم أجلت ، فالفعل في الحقيقة هو الجواب.

وقيل : الجواب : " ويل يومئذ ".

نقله مكي ، وهو **غلط** ؛ لأنه لو كان جوابا للزمته الفاء لكونه جملة اسمية.

قوله تعالى : ﴿وإذا السمآء فرجت﴾.

أي : فتحت وشقت ، ومنه قوله تعالى : ﴿وفتحت السمآء فكانت أبوابا﴾ [النبأ : ١٩] ، والفرج : الشق ، ونظيره : ﴿إذا السمآء انشقت﴾ [الانشقاق : ١] ، ﴿ويوم تشقق السمآء بالغمام﴾ [الفرقان : ٢٥].

وروى الضحاك عن ابن عباس : - رضي الله عنهم - قال : فرجت للطي.

قوله تعالى : ﴿وإذا الجبال نسفت﴾ أي : ذهب بها كلها بسرعة ، من أنسفت الشيء إذا اختطفته ، وقيل : تنشق كالحب المغلق إذا نسف بالمنسف ، ومنه قوله تعالى : ﴿لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا﴾ [طه : ٩٧] ، ونظيره : ﴿وبست الجبال بسا﴾ [الواقعة : ٥] ، ﴿وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ [المزمل : ١٤] ، ﴿فقل ينسفها ربي نسفا﴾ [طه : ١٠٥].

وقرئ : " طمست ، وفرجت ، ونسفت " مشددة.

وكان ابن عباس يقول : سويت بالأرض ، والعرب تقول : فرس نسوف ، إذا كان يؤخر الحزام بمرفقيه ؛ قال بشر : [الوافر] ٥٠٥٥ - نسوف للحزام بمرفقيها

....

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٦٧

٦٨

ونسفت الناقة الكلأ إذا رعته.

قوله : ﴿وإذا الرسل أقتت﴾.

قرأ أبو عمرو : " وقتت " بالواو ، والباقون : بهمزة بدل الواو.

قالوا : والواو هي الأصل ؛ لأنه من الوقت ، والهمزة بدل منها لأنها مضمومة ضمة لازمة ، وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة تبدل على الاطراد همزة أولا ، تقول : صلى القوم إحدانا ، تريد : وحدانا ،

وهذه أجوه حسان ؛ لأن ضمة الواو ثقيلة وبعدها واو فالجمع بينهما يجري مجرى المثلين فيكون ثقيلا ، ولم يجز البدل في قوله تعالى ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ [البقرة : ٢٣٧] ؛ لأن الضمة غير لازمة ، قال الفراء.

وقد تقدم ذكر ذلك أول الكتاب.

فصل في المراد بالتأقيت قال مجاهد والزجاج : المراد بهذا التأقيت تبيين الوقت الذي تحضرون فيه للشهادة على أممكم ، أي : جمعت لوقتها ليوم القيامة , والوقت : الأجل الذي يكون عنده الشيء المؤخر إليه ، فالمعنى : جعل لها وقت وأجل للفصل والقضاء بينهم وبين الأمم ، كقوله تعالى : ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ [المائدة : ١٠٩].

قيل : المراد بهذا التأقيت تحصيل الوقت وتكوينه ، وليس في اللفظ بيان أنه يحصل لوقت أي شيء ، ولم يبينه ليذهب الوهم إلى كل جانب ، فيكون التهويل فيه أشد ، فيحتمل أن يكون المراد تكوين وقت جمعهم للفوز بالثواب ، وأن يكون وقت سؤال الرسل عما أجيبوا به ، وسؤال الأمم عما أجابوا هم لقوله تعالى : ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ [الأعراف : ٦] ، وأن يكون وقت مشاهدة الجنة والنار وسائر أحوال القيامة ، وقيل : " أقتت " أي : أرسلت لأوقات معلومة على ما علمه الله وأراده.

فصل في قراءات الآية قرأ أبو جعفر وشيبة : بالواو وتخفيف القاف ، وهو " فعلت " من الوقت ، ومنه ﴿كتابا موقوتا﴾ [النساء : ١٠٣].

وقرئ – أيضا – : " ووقتت " – بواوين – ، وهو " فوعلت " من الوقت أيضا مثل : عوهدت.

قال القرطبي : " ولو قلبت الواو في هاتين القراءتين ألفا لجاز ، وقد قرأ يحيى

٦٩

." (١)

"قوله تعالى : ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ منصوب بفعل مقدر ، وهو جواب القسم : تقديره : لتبعثن ، لدلالة ما بعده عليه.

قال الفراء : ويدل عليه قوله تعالى : ﴿أإذا كنا عظاما نخرة﴾ ألست ترى أنه كالجواب لقولهم : ﴿أإذا كنا عظاما نخرة﴾ نبعث ؟ فاكتفى بقوله : ﴿أإذا كنا عظاما نخرة﴾ ؟ .

وقال الخفش والزجاج : ينفخن في الصور نفختين ، بدليل ذكر " الرادفة " و " الراجفة " ، وهما النفختان.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥١٦٦

قال الزمخشري : فإن قلت : كيف جعلت " يوم ترجف " ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ، ولا يبعثون عند النفخة الأولى ؟ .

قلت : المعنى : لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان ، وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع ، وهو وقت النفخة الأخرى ودل على ذلك أن قوله : ﴿تتبعها الرادفة﴾ جعل حالا عن " الراجفة ".

وقيل : العامل مقدر ، أي : اذكر يوم ترجف.

وفي الجواب على هذا التقدير وجوه : أحدها : قوله : ﴿إن في ذلك لعبرة﴾ [النازعات : ٢٦].

واستقبحه أبو بكر بن الأنباري ، لطول الفصل.

الثاني : أنه قوله : ﴿هل أتاك حديث موسى ﴾ [النازعات : ١٥] ؛ لأن " هل " بمعنى : " قد ".

وهذا **غلط** ؛ لأنه كما تقدم في " هل أتى " أنها لا تكون بمعنى " قد " إلا في الاستفهام على ما قاله الزمخشري.

الثالث : أن الجواب : " تتبعها " وإنما حذفت " اللام " ، والأصل : " اليوم ترجف الراجفة تتبعها " ، فحذفت " اللام " ، ولم تدخل نون التوكيد على تتبعها للفصل بين " اللام " المقدرة ، وبين الفعل المقسم عليه بالظرف ، ومثله : ﴿لإلى الله تحشرون﴾ [آل عمران : ١٥٨].

وقيل : في الكلام تقديم ، وتأخير ، أي : يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة والنازعات.

١٢٧

وقال أبو حاتم : هو على التقديم ، والتأخير ، كأنه قال : فإذا هم بالساهرة والنازعات.

قال ابن الأنباري : وهذا خطأ ؛ لأن الفاء لا يفتتح بها الكلام.

وقيل : " يوم " منصوب بما دل عليه " راجفة " ، أي : يوم ترجف رجفت.

وقيل : بما دل عليه " خاشعة " أي : يوم ترجف خشعت ، وقوله : " تتبعها الرادفة " يجوز أن يكون حالا من " الراجفة " ، وأن يكون مستأنفا.

فصل في تفسير الآية قال عبد الرحمن بن زيد : " الراجفة " أي : المضطربة ، ومعناه : أن الأرض تضطرب ، و " الرادفة " الساعة.

وقال مجاهد : الزلزلة تتبعها الرادفة ، أي : الصيحة.

وعنه - أيضا - ، وابن عباس والحسن وقتادة : هما الصيحتان ، أي : النفختان ، أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله تعالى ، وأما الثانية فتحيي كل شيء بإذن الله تعالى.

قال صلى الله عليه وسلم : " بين النفختين أربعون سنة ".
وقال مجاهد : " الراجفة " الرجفة حين تنشق السماء ، وتحمل الأرض والجبال ، فتدك دكة واحدة [وذلك بعد الزلزلة وقيل : الرجفة تحرك الأرض والرادفة زلزلة أخرى تفني الأرضين].
وأصل " الرجفة " الحركة ، قال تعالى : ﴿يوم ترجف الأرض﴾ [المزمل : ١٤] ، وليست الرجفة هناك من الحركة فقط ، بل من قولهم : رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا ، أي : أظهرت الصوت والحركة ، ومنه سميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها ، وإفاضة الناس فيها.
وقيل : الرجفة هذه منكرة في السحاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ [الأعراف : ٧٨].
وأما الرادفة : فكل شيء جاء بعد شيء آخر ، يقال : ردفه : أي : جاء بعده.
قوله : ﴿قلوب﴾ مبتدأ ، و " يومئذ " منصوب بـ " واجفة " ، و " واجفة " صفة القلوب ،
١٢٨
وهو المسوغ للابتداء بالنكرة ، و " أبصارها " مبتدأ ثان ، و " خاشعة " خبره ، وهو وخبره خبر الأول ، وفي الكلام حذف مضاف ، تقديره : أبصار أصحاب القلوب.
قال ابن عطية : وجاز ذلك ، أي : الابتداء بـ " قلوب " ؛ لأنها تخصصت بقوله : " يومئذ ".
ورد عليه أبو حيان : بأن ظرف الزمان لا يخصص الجثث ، يعني : لا يوصف به الجثث.
و " الواجفة " : الخائفة الوجلة ، قاله ابن عباس ، يقال : وجف يجف وجيفا ، وأصله : اضطراب القلب.
قال قيس بن الخطيم : [المنسرح] ٥٠٨٨ - إن بني جحجبى وأسرتهم
أكبادنا من ورائهم تجف
جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ١٢٧
." (١)

"" روى ابن عباس - رضي الله عنهما - : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يبقى في السماء يومئذ نجم إلا سقط في الأرض ".
وروى ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور بأيدي الملائكة ، فإذا مات من في السموات ، ومن في الأرض تساقطت تلك الكواكب من أيدي الملائكة ؛ لأنه مات من كان يمسكها.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥١٩٢

قال القرطبي : " ويحتمل أن يكون " انكدارها " : طمس آثارها ، وسميت النجوم نجوما لزهورها في السماء بضوئها.

وعن ابن عباس – أيضا – : " انكدرت " : تغيرت ، فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها ، والمعنى متقارب.

قوله : ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ ، يعني : قطعت عن وجه الأرض وسيرت في الهواء ، لقوله تعالى : ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾ [الكهف : ٤٧] ، وقوله تعالى : ﴿وسيرِت الجبال فكانت سرابا﴾ [النبأ : ٢٠] في الهواء ، لقوله تعالى : ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ [النمل : ٨٨].

وقيل : سيرها أن تحول عن صفة الجبال للحجارة ، فتكون كثيبا مهيلا ، أي : رملا سائلا ، وتكون كالعهن ، وتكون هباء منبثا ، وتكون مثل السراب الذي ليس بشيء ، وعادت الأرض قاعا صفصفا ، ﴿لا ترى فيها عوجا ولا اا أمتا﴾ [طه : ١٠٧].

قوله تعالى : ﴿وإذا العشار عطلت﴾.

العشار : جمع عشراء ، وهي : الناقة التي مر لحملها عشرة أشهر ، ثم هو اسمها إلى أن تضع في تمام السنة وكذلك يقال في جمع نفساء.

قال القرطبي : وهو اسمها بعد ما تضع أيضا ، ومن عادة العرب أن يسموا الشيء باسمه المتقدم ، وإن كان قد جاوز ذلك ، يقول الرجل لفرسه وقد قرح : قربوا مهري يسميه بمتقدم اسمه ، وإنما خص العشار بالذكر ؛ لأنها أعز ما يكون عند العرب ، وهذا على وجه المثل ؛ لأن في القيامة لا تكون ناقة عشراء ، أو المعنى : أن يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها ، واشتغل بنفسه ، يقال : ناقة عشراء ، وناقتان عشراوتان ، ونوق عشار وعشراوات ، يبدلون من همزة التأنيث واوا.

١٧٦

وقد عشرت الناقة تعشيرا : أي : صارت عشراء.

وقيل : " العشار " : السحاب ، و " عطلت " : أي : لا تمطر.

والعرب تشبه السحاب بالحامل ، قال تعالى : ﴿فالحاملات وقرا﴾ [الذاريات : ٢].

وقيل : الأرض تعطل زرعها.

والتعطيل : الإهمال ، ومنه قيل للمرأة : عاطل إذا لم يكن عليها حلي.

وتقدم في " بئر معطلة ".

قال امرؤ القيس : [الطويل] ٥١٢٠ - وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش

إذا هي نصته ولا بمعطل

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ١٧٤

وقرأ ابن كثير في رواية : " عطلا " بتخفيف الطاء.

قال الرازي : هو **غلط** ، إنما هو بفتحتين ، بمعنى : " تعطلت " ؛ لأن التشديد فيه للتعدي ، يقال : عطلت الشيء ، وأعطله فعطل.

قوله تعالى : ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ ، الوحوش : ما لم يتأنس به من حيوان البر ، والوحش أيضا : المكان الذي لا أنس فيه ، ومنه : لقيته بوحش أيك ببلد قفر ، والوحش : الذي يبيت وجوفه خاليا من طعام ، وجمعه : أوحاش ، وسمي به المنسوب إلى المكان الوحشي : وحشي ، وعبر بالوحشي عن الجانب الذي يضاد الإنسي ، والإنسي : ما يقبل من الإنسان وعلى هذا وحشي الفرس وإنسيه.

وقوله تعالى : ﴿حشرت﴾.

أي : جمعت ، والحشر : الجمع قاله الحسن وقتادة وغيرهما.

وقال ابن عباس رضي الله عنهام : حشرها موتها ، رواه عكرمة ، وحشر كل شيء : الموت لغير الجن والإنس ، فإنهما يوافيان يوم القيامة.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : يحشر كل شيء حتى الذباب.

وعن ابن عباس - أيضا - : يحشر الوحوش غدا ، أي : تجمع ، حتى يقتص لبعضها من بعض ، فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها : كوني ترابا فتموت.

١٧٧

". (١)

"سورة الانشقاق

مكية ، وهي ثلاث وعشرون آية ، ومائة وسبع كلمات ، وأربعمائةوثلاثون حرفا.

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٢٢٥

قوله تعالى : ﴿إذا السمآء انشقت﴾ كقوله تعالى : ﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكوير : ١] في إضمار الفعل وعدمه ، وفي " إذا " هذه احتمالات : أحدها : أن تكون شرطية.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٥٢١٣

والثاني : أن تكون غير شرطية.

فعلى الأول في جوابها خمسة أوجه : أحدها : أنها ﴿أذنت﴾ [الانشقاق : ٢ ، ٥] والواو مزيدة.

قال ابن الأنباري : وهذا **غلط** ؛ لأن العرب لا تقتحم الواو إلا مع " حتى إذا "كقوله تعالى : ﴿حتى إذا جآءوها وفتحت أبوابها﴾ [الزمر : ٧٣] ، أو مع " لما "كقوله تعالى : ﴿فلما أسلما وتله للجبين وناديناه﴾ [الصافات : ١٠٣ ، ١٠٤] ، أي : ناديناه ، والواو لا تقحم مع غير هذين.

الثاني : أنه " فملاقيه " أي فأنت ملاقيه وإليه ذهب الأخفش.

والثالث : أنه " يا أيها الإنسان " أيضا ، ولكن على حذف الفاء.

والرابع : أنه "يا أيها الإنسان"أيضا ، ولكن على إضمار القول : أي : يقال : " يا أيها الإنسان ".

والخامس : أنه مقدر ، تقديره : بعثتم.

وقيل : تقديره : لاقى كل إنسان كدحه وهو قوله : " فملاقيه " ويكون قوله : " يا أيها الإنسان " معترض ، كقولك : إذا كان كذا وكذا - يا أيها الإنسان - ترى عند ذلك ما علمت من خير أو شر.

٢٢٦

ونقل القرطبي عن المبرد ، إنه قال : فيه تقديم وتأخير ، أي : يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه إذا السماء انشقت.

وقيل : هو ما صرح به في سورتي " التكوير " و " الانفطار " ، وهو قوله تعالى : ﴿علمت نفس﴾ [الانفطار : ٥] ، قاله الزمخشري ، وهو حسن.

ونقل ابن الخطيب عن الكسائي ، أنه قال : إن الجواب هو قوله : ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ [الانشقاق : ٧] ، واعترض في الكلام على قوله : ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا﴾ [الانشقاق : ٦].

قال النحاس : وهذا أصح ما قيل فيه وأحسنه.

وعلى الاحتمال الثاني : فيه وجهان : أحدهما : أنها منصوبة مفعولا بها بإضمار " واذكر ".

والثاني : أنها مبتدأ ، وخبرها " إذا " الثانية ، و " الواو " مزيدة ، تقديره : وقت انشقاق السماء وقت مد الأرض ، أي : يقع الأمران في وقت.

قاله الأخفش أيضا.

والعامل فيها إذا كانت ظرفا - عند الجمهور - جوابها ، إما الملفوظ به ، وإما المقدر.

وقال مكي : وقيل : العامل " انشقت ".
وقال ابن عطية : قال بعض النحاة : العامل " انشقت " وأبي ذلك كثير من أئمتهم ؛ لأن " إذا " مضافة إلى " انشقت " ، ومن يجيز ذلك تضعف عنده الإضافة ، ويقوى معنى الجزاء.
وقرأ العامة : " انشقت " بتاء التأنيث ساكنة ، وكذلك ما بعده.
وقرأ أبو عمرو في رواية عبيد بن عقيل : بإشمام الكسر في الوقف خاصة ، وفي الوصل خاصة بالسكون المحض.
قال أبو الفضل : وهذا من التغييرات التي تلحق الروي في القوافي ، وفي هذا
٢٢٧
الإشمام بيان أن هذه " التاء " من علامة تأنيث الفعل للإناث ، وليست مما ينقلب في الأسماء ، فصار ذلك فارقا بين الاسم والفعل ، فيمن وقف على باقي الأسماء بالتاء ، وذلك لغة طيئ ، وقد حمل في المصاحف بعض التاءات على ذلك.
وقال ابن عطية : قال بعض النحاة : وقرأ أبو عمرو " انشقت " يقف على القاف ، كأنه يشمها شيئا من الجر ، وكذلك في أخواتها.
قال أبو حاتم : سمعت أعرابيا فصيحا في بلاد قيس يكسر هذه التاءات.
وقال ابن خالويه : " انشقت " – بكسر التاء – عبيد عن أبي عمرو.
قال شهاب الدين : كأنه يريد إشمام الكسر ، وأنه في الوقف دون الوصل ؛ لأنه مطلق ، وغيره مقيد ، والمقيد يقضي على المطلق.
وقال أبو حيان : وذلك أن الفواصل تجري مجرى القوافي ، فكما أن هذه التاء تكسر في القوافي تكسر في الفواصل ؛ ومثال كسرها في القوافي ؛ قول كثير عزة : [الطويل] ٥١٣٣ – وما أنا بالداعي لعزة بالردى ولا شامت إن نعل عزة زلت
جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٢٢٦." (١)

"وحكى القشيري عن ابن عمر وابن لزبير : أن الشاهد يوم الأضحى.

وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية ، والمشهود : يوم عرفة.

[وروي عن علي – رضي الله عنه – الشاهد يوم عرفة ، والمشهود يوم النحر] وعن ابن عباس والحسين بن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٢٣٣

علي – رضي الله عنهم – : المشهود : يوم القيامة ، لقوله تعالى : ﴿ذالك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذالك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ [هود : ١٠٣] وعلى هذا فقيل : الشاهد هو الله تعالى ، وهو مروي عن ابن عباس ، والحسن ، وسعيد بن جبير لقوله تعالى : ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ [النساء : ٧٩] وقوله تعالى : ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ [الأنعام : ١٩].

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – : الشاهد : محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : ﴿إنآ أرسلناك ش اهدا﴾ [الأحزاب : ٤٥] ، وقوله تعالى : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ [النساء : ٤١] وقوله تعالى : ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة : ١٤٣].

وقيل : الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – يشهدون على أممهم ؛ لقوله تعالى : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ [النساء : ٤١].

وقيل : آدم عليه الصلاة والسلام.

وقيل : عيسى ابن مريم – عليه الصلاة والسلام – لقوله تعالى : ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم﴾ [المائدة : ١١٧] والمشهود أمته.

وعن ابن عباس ومحمد بن كعب : الشاهد : الإنسان ، لقوله تعالى : ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ [النور : ٢٤].

وقال الحسين بن الفضل : الشاهد هذه الأمة ، لقوله تعالى : ﴿وكذ لك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس﴾ [البقرة : ١٤٣] ، والمشهود بنو آدم.

٢٤٦

قوله تعالى : ﴿قتل﴾.

هذا جواب القسم على غالمختار ، وإنما حذفت اللام ، والأصل : " لقتل ؛ كقوله : [الطويل] ٥١٥٣ –

حلفت لها بالله حلفة فاجر

لناموا فما إن من حديث ولا صالي

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٢٤٤

وإنما حسن حذفها للطول كما سيأتي – إن شاء الله تعالى – في قوله : ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس : ٩].

وقيل : تقديره ، لقد قتل ، فحذف " اللام وقد " ، وعلى هذا فقوله " قتل " خبر ، لا دعاء.

وقيل : هي دعاء ، فلا يكون جوابا.

وفي الجواب حينئذ أوجه : أحدها : أنهق وله تعالى : ﴿إن الذين فتنوا﴾ [البروج : ١٠].

الثاني : قوله : ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ [البروج : ١٢] قاله المبرد.

الثالث : أنه مقدر ، فقال الزمخشري ولم يذكر غيره : هو محذوف يدل عليه قوله : ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ كأنه قيل : أقسم بهذه الأشياء أن كفار قريش ملعونون ، كما لعن أصحاب الأخدود ثم قال : " قتل " دعاء عليهم كقوله تعالى : ﴿قتل الإنسان مآ أكفره﴾ [عبس : ١٧].

وقيل : التقدير : لتبعثن.

وقيل : فيه تقديم وتأخير ، قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج ، قاله أبو حاتم.

قال ابن الأنباري : وهذا **غلط** ؛ لأنه لا يجوز لقائل أن يقول : والله قام زيد ، على معنى : قام زيد والله.

وقرأ الحسن وابن مقسم : " قتل " بتشديد الناء مبالغة أو تكثيرا.

قوله : ﴿أصحاب الأخدود﴾ ، أي : لعن أصحاب الأخدود.

قال ابن عباس : كل شيء في القرآن " قتل " فهو : لعن ، والأخدود الشق العظيم المستطيل الغائص في الأرض.

قال الزمخشري : والأخدود : الخد في الأرض وهو : الشق ، ونحوهما بناء ومعنى : الخق والأخقوق ، ومنه : " فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان " انتهى.

فالخد : في الأصل مصدر ، وقد يقع على المفعول ، وهو الشق نفسه ، وأما الأخدود فاسم له فقط.

٢٤٧

". (١)

"وقال الحسن بن الفضل : هو تيسير القرآن ، وتخفيف الشرائع.

وقال أبو بكر بن عياش ويمان بن رئاب هو كثرة الأصحاب والتباع والأمة.

وحكى الماوردي : أنه رفعة الذكر.

وقيل : [الشفاعة : وقال هلال بن يساف : هو لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقيل : الصلوات الخمس.

وقيل الفقه في الدين.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٢٤١

وقيل غير ذلك].

قال القرطبي : وأصح الأقوال : الأول ، والثاني ؛ لأنه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نصا في الكوثر.

فصل في الكلام على هذه السورة قال ابن الخطيب : هذه السورة كالمقابلة للتي قبلها ، فإنه ذكر في الأول البخل ، وترك الصلاة ، والرياء ، ومنع الماعون ، وذكر هنا في مقابلة البخل : ﴿إنآ أعطيناك الكوثر﴾ وفي مقابلة ترك الصلاة : قوله : " فصل " أي : دم على الصلاة ، وفي مقابلة الرياء قوله تعالى : ﴿لربك﴾ أي : لرضاه خالصا ، وفي مقابلة منع الماعون قوله : " وانحر " ، أي : تصدق بلحم الأضاحي ، ثم ختم السورة سبحانه وتعالى بقوله : ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ ، أي : أن المنافق الذي أتى بتلك الأفعال القبيحة سيموت ولا يبقى له أثر ، وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل ، في الآخرة الثواب الجزيل.

قوله : ﴿فصل لربك وانحر﴾.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - أقم الصلاة المفروضة عليك.

وقال قتادة ، وعطاء ، وعكرمة : فصل لربك صلاة العيد يوم النحر ، " وانحر " نسكك.

وقال أنس : كان النبي صلى الله عليه وسلم ينحر ، ثم يصلي ، فأمر أن يصلي ثم ينحر.

٥٢١

قال سعيد بن جبير : نزلت في " الحديبية " حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت ، فأمره الله تعالى ، أن يصلي ، وينحر البدن ، وينصرف ، ففعل ذلك.

قال ابن العربي : " أما من قال : إن المراد بقوله تعالى : ﴿فصل﴾ الصلوات الخمس ، فلأنها ركن العبادات ، وقاعدة الإسلام ، وأعظم دعائم الدين.

وأما من قال : إنها صلاة الصبح بالمزدلفة ، فلأنها مقرونة بالنحر ، وهو في ذلك اليوم ، ولا صلاة فيه قبل النحر غيرها ، فخصها بالذكر من جملة الصلوات لاقترانها بالنحر ".

قال القرطبي : وأما من قال : إنها صلاة العيد ، فذلك بغير " مكة " ، إذ ليس بـ " مكة " صلاة عيد بإجماع ، فيما حكاه أبو بكر رضي الله عنه.

فصل الفاء في قوله : " فصل " للتعقيب والتسبب ، أي : تسبب هذه المنة العظيمة وعقبها أمرك بالتخلي لعبادة المنعم عليك ، وقصدك إيله بالنحر لا كما تفعل قريش من صلاتها ، ونحرها لأضيافها ، وأما قوله تعالى : ﴿وانحر﴾ ، قال علي - رضي الله عنه - ومحمد بن كعب القرظي : المعنى ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة.

وعن علي – رضي الله عنه – أن يرفع يديه في التكبير إلى نحره ، وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : استقبل القبلة مكة بنحرك ، وهو قول الفراء ، والكلبي وأبي الأحوص.

قال الفراء : سمعت بعض العرب يقولك منازلنا تتناحر أي تتقابل نحر هذا بنحر هذا.

وقال ابن الأعرابي : هو انتصاب الرجل في الصلاة بإزاء المحراب ، من قولهم : منازلهم تتناحر ، أي : تتقابل.

[وعن عطاء : أنه أمره أن يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره.

وقال محمد بن كعب القرظي : يقول : إن ناسا يصلون لغير الله ، وينحرون لغير الله – تعالى – فقد أعطيناك الكوثر ، فلا تكن صلاتك ولا نحرك إلا لله تعالى.

والنحر في الإبل بمنزلة الذبح في البقر والغنم].

٥٢٢

قوله : ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾.

يجوز أن يكون " هو " مبتدأ و " الأبتر " خبره ، والجملة خبر " إن " ، وأن يكون فصلا.

وقال أبو البقاء : " أو توكيد " ، وهو **غلط** ؛ لأن المظهر لا يؤكد بالمضمر.

والأبتر : الذي لا عقب له ، وهو في الأصل : الشيء المقطوع ، من بتره ، أي : قطعه.

وحمار أبتر : لا ذنب له ، ورجل أباتر – بضم الهمزة – : الذي يقطع رحمه.

قال : [الطويل] ٥٣٢٧ – لئيم نزت في أنفه خنزوانة

على قطع ذي القربى أحذ أباتر

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٥١٩

". (١)

"" صفحة رقم ٣٤٣ "

) ومآ أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين (

الشعراء : (٢٠٨) وما أهلكنا من . . . . .

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٣٥٤

) منذرون (رسل ينذرونهم) ذكرى (منصوبة بمعنى تذكرة . إما لأن (أنذر ، وذكر) متقاربان ، فكأنه قيل : مذكرون تذكرة . وإما لأنها حال من الضمير في منذرون أي ، ينذرونهم ذوي تذكرة . وإما لأنها مفعول له ؛ على معنى : أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة . أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف ، بمعنى : هذه ذكرى . والجملة اعتراضية . أو صفة بمعنى : منذرون ذوو ذكرى . أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها . ووجه آخر ؛ وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له . والمعنى : وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ، ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم ، فلا يعصوا مثل عصيانهم) وما كنا ظالمين (فنهلك قوما غير ظالمين . وهذا الوجه عليه المعول . فإن قلت : كيف عزلت الواو عن الجملة بعد (إلا) ولم تعزل عنها في قوله :) ومآ أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ((الحجر : ٤) ؟

قلت : الأصل : عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية ، وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله :) سبعة وثامنهم كلبهم ((الكهف : ٢٢) .

) وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون (

الشعراء : (٢١٠) وما تنزلت به . . . . .

كانوا يقولون : إن محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة ، فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه ؛ لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء . وقرأ الحسن : (الشياطون) . ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين ، فتخير بين أن يجري الإعراب على النون ، وبين أن يجريه على ما قبله ، فيقول : الشياطين والشياطون . كما تخيرت العرب بين أن يقولوا . هذه يبرون ويبرين ، وفلسطون وفلسطين . وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل . وعن الفراء : **غلط** الشيخ في قراءته (الشياطون) ظن أنها النون التي على هجاءين ، فقال النضر بن شميل : إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة ، فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد : محمد ابن السميقع مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه .

) فلا تدع مع الله إلاها ءاخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الا قربين (

الشعراء : (٢١٣) فلا تدع مع . . . . .

قد علم أن ذلك لا يكون ، ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الإخلاص والتقوى .." [١]

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٣٤٣/٣

في) حسبتهم (أي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب . أو حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب . ويجوز أن يراد : رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب . وعاليتهم : بالرفع والنصب على ذلك . وعليهم . وخضر وإستبرق : بالرفع ، حملا على الثياب بالجر على السندس . وقرىء (وإستبرق) نصبا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي ، وهو **غلط** لأنه نكرة يدخله حرف التعريف ؛ تقول : الإستبرق ، إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب . وقرىء (واستبرق) ، بوصل الهمزة والفتح : على أنه مسمى باستفعل من البريق ، وليس بصحيح أيضا : لأنه معرب مشهور تعريبه ، وأن أصله : استبره) وحلوا (عطف على) ويطوف عليهم ((الإنسان : ١٥) . فإن قلت : ذكر ههنا أن أساورهم من فضة ، وفي موضع آخر أنها من ذهب . قلت : هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة ، وهذا صحيح لا إشكال فيه ، على أنهم يسورون بالجنسين : إما على المعاقبة ، وإما على الجمع ، كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلى وتجمع بينها ، وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران : سوار من ذهب ، وسوار من فضة) شرابا طهورا (ليس برجس كخمر الدنيا ؛ لأن كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ، وليست الدار دار تكليف . أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدي الوضرة ، وتدوسه الأقدام الدنسة ، ولم يجعل في الدنان والأباريق التي لم يعن بتنظيفها . أو لأنه لا يئول إلى النجاسة لأنه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك . أي : يقال لأهل الجنة) إن هاذا (وهذا إشارة إلى ما تقدم من عطاء الله لهم : ما جوزيتم به على أعمالكم وشكر به سعيكم ، والشكر مجاز .

) إنا نحن نزلنا عليك القرءان تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم ءاثما أو كفورا واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن اليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا (

الإنسان : (٢٣) إنا نحن نزلنا . . . . . .

تكرير الضمير بعد إيقاعه إسما لان : تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ، ليتقرر في نفس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمة وصوابا ، كأنه قيل : ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما إلا أنا لا غيري ، وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما أفعله بدواعي الحكمة ؛ ولقد دعتني حكمة بالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالمكافة والمصابرة ، وسأنزل

عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين) فاصبر لحكم ربك (الصادر عن الحكمة وتعليقه الأمور بالمصالح ، وتأخيره نصرتك." (١)

" صفحة رقم ٥٠٧

رقدتك هذه) قال (لنظره إلى سلامة طعامه وشرابه) لبثت يوما (ثم تغير ظنه بحسب الشمس أو غيرها فقال : أو بعض يوم (وكأنه استعجل بهذا الجواب - كما هي عادة الإنسان - قبل النظر إلى حماره) قال) أي الذي خاطبه مضربا عن جوابه بيانا لأنه غلط ظاهر) بل لبثت مائة عام (معبرا عن الحول بلفظ يدور على معنى السعة والامتداد والطول ودله على ذلك وعلى كمال القدرة بقوله : (فانظر إلى طعامك وشرابك) أي الذي كان معك لما رقدت وهو أسرع الأشياء فسادا تين وعصير) لم يتسنه (من السنة أي يتغير بمر السنين على طول مرورها وقوة تقلباتها وتأثيرها ، ومعنى القراءة بهاء السكت أن الخبر بذلك أمر جازم مقنع لا مرية فيه ولا تردد أصلا) وانظر إلى ( ) حمارك (باليا رميما ، فجمع الله له سبحانه وتعالى بين آيتي الرطب في حفظه واليابس في نقضه .

ولما كان التقدير : فعلنا ذلك لنجعله آية لك عرى كمال القدرة أو لتعلم أنت قدرتنا ، عطف عليه قوله : (ولنجعلك) أي في مجموع خبرك) آية للناس) أي كافة فكان أمره إبقاء وتثبيتا آية في موجود الدنيا على ما سيكون في أمر الآخرة قيام ساعة وبعثا ونشورا - قاله الحرالي .

ولما أمره بالنظر إلى ما جعله له آية على لبثه ذلك الزمن الطويل أمره بالنظر إلى ما جعله له آية على اقتداره على الإحياء كيف ما أراد فقال : (وانظر إلى العظام) أي من حمارك وهي جمع عظم وهو عماد البدن الذي عليه مقوم صورته) كيف ننشزها (قال الحرالي : بالراء من النشر وهو عود الفاني إلى صورته الأولى وبالضم جعل وتصيير إليه ، وبالزاي من النشز وهو إظهار الشيء وإعلاؤه ، من نشز الأرض وهو ما ارتفع منها وظهر - انتهى .

وضم بعضها إلى بعض على ما كانت عليه ينظم ذلك كله) ثم نكسوها لحما (قال الحرالي : جعل حياته بعثا وحياة حماره نشورا وأراه النشر ، واللحم الذي لحم بين العظام حتى صارت صورة واحدة ليتبين أمر الساعة عيانا فيكون حجة على الكافر والمستبعد) فلما تبين له) أي هذا الأمر الخارق الباهر الدال على ما وصف سبحانه وتعالى به نفسه المقدسة في بية الكرسي .

قال الحرالي : وفي صيغة تفعل إشعار بتردده في النظر بين الآيتين حتى استقر عنده أمر ما أعلم به واضمحل

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٦٧٤/٤

عنده ما قدره) قال أعلم (بصيغة الفعل بناء على نفسه وبصيغة الأمر إفادة لغيره ما علم لتدل القراءتان على أنه علم وعلم لأن العلم إنما يتم حين يصل إلى غير العالم فيجمع فضل العلم والتعليم – انتهى .

ويجوز أن يدل التعبير بالمضارع في أعلم على أنه لم يزل متصفا بهذا العلم من غير نظر إلى حال ولا استقبال ويكون ذلك اعتذارا عن تعبيره في التعجيب بما." [١]

" صفحة رقم ٦٧

وخفيت نورانيته في موجود صفي الله سبحانه وتعالى من وجود كلية ذلك هذا الخلق الآدمي فكان صفي الله ، فأنبأ الخطاب عن تصييره إلى الصفاء بالافتعال ؛ انتهى – فقال سبحانه وتعالى : (إن الله) أي بجلال وعظمته وكماله في إحاطته وقدرته) اصطفى) أي للعلم والرسالة عنه سبحانه وتعالى إلى خلقه والخلافة له في ملكه) آدم (أباكم الأول الذي لا تشكون في أنه خلقه من تراب ، وهو تنبيه لمن **غلط** في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام على أن أعظم ما اسغربوا من عيسى كونه من غير ذكر ، وآدم أغرب حالا منه بأنه ليس من ذكر ولا أنثى ولا من جنس الأحياء – كما سيأتي ذلك صريحا بعد هذا التلويح لذي الفهم الصحيح .

قال الحرالي : فاصفطاه من كلية مخلوقه الذي أبداه ملكا وملكوتا خلقا وأمرا ، وأجرى اسمه من أظهر ظاهره الأرضي وأدنى أدناه ، فسماه آدم من أديم الأرض ، على صيغة أفعل ، التي هي نهاية كمال الآدمية والأديمية .

فكان ما أظهر تعالى في اصطفاه آدم ما ذكر جوامعه علي رضي الله عنه في قوله : لما خلق الله سبحانه وتعالى أبان فضله للملائكة وأراهم ما اختصه به من سابق العلم من حيث علمه عند استنبائه إياه أسماء الأشياء فجعل الله سبحانه وتعالى آدم محرابا وكعبة وبابا وقبلة ، أسجد له الأبرار والروحانيين الأنوار ، ثم نبه آدم على مستودعه وكشف له خطر ما ائتمنه عليه بعد أن سماه عند الملائكة إماما ، فكان تنبيهه على خطر أمانته ثمرة اصطفائه – انتهى) ونوحا (أباكم الثاني الذي أخرجه من بين أبوين شابين على عادتكم المستمرة فيكم .

وقال الحرالي : أنبأ تعالى أنه عطف لنوح عليه الصلاة والسلام اصطفاه على اصطفاء آدم ترقيا إلى كمال الوجود الآدمي وتعاليا إلى الوجود الروحي العيسوي ، فاصطفى نوحا عليه الصلاة والسلام بما جعله أول رسول بتوحيده من حيث دحض الشرك وأقام كلمة الإيمان بقول (لا إله إلا الله) ، لما تقدم بين آدم ونوح

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٥٠٧

من عبادة الأصنام والأوثان ، فكان هذا الاصطفاء اصطفاء باطنا لذلك الاصطفاء الظاهر فتأكد الاصطفاء وجرى من أهلكته طامة الطوفان مع نوح عليه الصلاة والسلام من الذر الآدمي مجرى تخليص الصفاوات من خثارتها ، وكما صفي آدم من الكون كله صفي نوحا عليه السلام وولده الناجين معه من مطرح الخلق الآدمي الكافرين الذين لا يلدون إلا فاجرا كفارا ، فلم يكن فيهم ولا في مستودع ذراريهم صفاوة تصلح لمزية الإخلاص الذي اختص بصفوته نوح عليه الصلاة والسلام

٧٧ ( ) وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ( ) ٧

[الأحزاب : ٧] فكان ميثاق نوح عليه السلام ما قام به من كلمة التوحيد ورفض الأصنام والطاغوت التي اتخذها الظلمانيون من ذر آدم ، فتصفى بكلمة التوحيد النوارانيون منه ، فكان نوح عليه الصلاة والسلام ومن نجا معه صفوة زمانه ، كما كان آدم صفوة حينه - انتهى .." [1]

" صفحة رقم ٣٤١

طال عذابهم ، تهذيبا لهم من المعاصي بما أشار إليه لفظ (سوف)) أجرا عظيما) أي بالخلود في الجنة التي لا ينقضي نعيمها ، ولا يتكدر يوما نزيلها ، فيشاركهم من كان معهم ، لأنهم القول لا يشقى بهم جليسهم .

ولما كان معنى الاستثناء أنه لا يعذبهم ، وأنهم يجدون الشفيع بإذنه ؛ قال مؤكدا لذلك على وجه الاستنتاج منكرا على من ظن أنه لا يقبلهم بعد الإغراق في المهالك : (من يفعل الله) أي وهو المتصف بصفات الكمال التي منها الغنى المطلق) بعذابكم) أي أياه الناس ، فإنه لا يجلب له نفعا ولا يدفع عنه ضرا ولما كان الخطاب مع الذين آمنوا قال : (إن شكرتم) أي نعمه التي من أعظمها إنزال الكتاب الهادي إلى الرشاد ، المنقذ من كل ضلال ، المبين لجميع ما يحتاج إليه العباد ، فأداكم التفكر في حالها إلى معرفة مسديها ، فأذعنتم له وهرعتم إلى طاعته بالإخلاص في عبادته وأبعدتم عن معصية .

ولما كان الشرك هو الحامل على الإيمان قدمه عليه ، ولما كان لا يقبل إلا به قال : (وآمنتم) أي به إيمانا خالصا موافقا فيه القلب ما أظهره اللسان ؛ ولما كان معنى الإنكار أنه لا يعذبكم ، بل يشكر ذلك قال عاطفا عليه : (وكان الله) أي ذو الجلال والإكرام أزلا وأبدا) شاكرا (لمن كشره بإثابته على طاعته فوق ما يستحقه) عليما (بمن عمل له شيئا وإن دق ، لا يجوز عليه سهو ولا غلط ولا اشتباه .

النساء : (١٤٨ - ١٥١) لا يحب الله. .. . .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٧/٢

) لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (( )

ولما أتم سبحانه وتعالى ما أراد من تقبيح حال المجالسين الخائضين في آياته بما هي منزهة عنه ، ومما يتبعه من وصفهم وبيان قصدهم بتلك المجالسة من النهي عن مثل حالهم ، ومن جزاء من فعل مثل فعلهم – إلى أن ختم بأشد عذاب المنافقين ، وحث على التوبة بما خمته بصفتي الشكر والعلم ؛ أخبر أنه يبغض خوض الكافرين الذين قبح مجالستهم حال التلبس به ، وكذا كل جهر بسوء إلا ما استثناءه ، فمن أقدم على ما لا يحبه لم يقم بحق عبوديته ، فقال معللا ما مضى قبل افتتاح أمر المنافقين من الأمر بإحسانه التحية : (لا يحب الله) أي المختص بصفات الكمال) الجهر) أي ما يظهر." [1]

" صفحة رقم ١٢

خسروا أنفسهم والحال أنا أنعمنا عليهم بنعمة التمكن بعد أن أشأناهم على الصورة المذكورة بعد أت كانوا عدما واسجدنا ملائكتنا لأبيهم وطردنا من تكبر عليه طردا لا طرد مثله وابعدناه عن محل قدسنا بعدا لا قرب معه ، وأسكنا أباهم الجنة دارحمتنا وقربنا فقال تعال مترجما عن ذلك : (ثم قلنا) أي على ما لنا من الاختصاص بالعظمة) للملائكة) أي الموجودينفي ذلك الوقت من أهل السماوات والرض كلهم ، بما دلت عليه (ال) سواء قلنا : إنها للاستغراق أو الجنس) اسجدوالآدم) أي بعد كونه رجلا قائما سويا روح كما هو معروف من التسمية ؛ ثم سبب عن هذا الأمر قوله : لإخراجه ممن سجد أنه لم يسجد صرح به فقال : (لم يكن من الساجدين) أي لآدم

الأعراف : (١٢ – ١٦) قال ما منعك. .. . .

) قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فبمآ أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (( )

ولما كان مخالف الملك في محل العقاب ، تشوف السامع إلى خبره فاجيب بقوله : (قال (أب إبليس إنكارا عليه توبيخا له استخراجا لكفره الذي كان يخفيه بما يبدي من جوابه ليعلم الخلق سبب طرده) ما

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٤١/٢

منعك (ولما كانت العبارة قد صرحت بعدم سجوده فكان المعنى لإبليس بإدخال (لا) في قوله : (ألا تسجد (أتى بها لتنفيد التأكد بالدلالة على اللوم على الامتناع من الفعل والإقدام على الترك ، فيكون كانه قيل : ما منعك من السجود وحملك على تركه) إذ (اي حين) أمرتك) أي حين حضر الوقت الذي يكون فيه أداء المأمور به) قال) أي إبليس ناسا ربه سبحانه إلى الجور أو عدم العلم بالحق) أنا خير (اي فلا يليق لي السجود لمن هو دوني ولا أمري بذلك لأنه مناف للحكمة ؛ ثم بين وجه الخيرية التي تصورها بسوء فهمه أو بما قاده إليه سوء طبعة بقوله : (وخلقته من طين) أي عو أغلب أجزائه وهو كدر مظلم سافل مغلوب ، وقد غلط غلطا فاحشا فإن الإيجاد خير من الإعدام بلا نزاع ، والنار سبب الإعدام والمحق لما خالطته والطين سبب النماء والتربية لما خالطة ، هذا لو كان الأمر في الفضل باعتبار العناصر والمبادئ وليس كذلك ، بل هو باعتبار الغايات .

ولما كان هذا امرا ظاهرا وكان مجرد التكبر على الله كفرا على أي وجه كانن ، أعرض عن جوابه بغير الطرد الذي معناه نزوله المنزلة الذي موضع ما طلب من علوها." (١)

" صفحة رقم ١٤٧

الطور – كما في البقرة – لأن السياق لبيان نكدهم بإسراعهم في المعاصي الدالة على غلط القلب ولما كان مستغفرا لجميع الجهة الموزية لعساكرهم ، حذف الجار فقال : (فوقهم (ثم بين أنه كان أكبر منهم بقوله : (كأنه ظلة) أي سقف ، وحقق أنه صار عليهم موازيا لهم من جهة الفوق كالسقف بقوله : (وظنوا (هو على حقيقة) أنه واقع (ولما كان ما تقدم قد حقق العلو ، لم يحتج إلى حرف الاستعلاء ، فقال مشيرا إلى السرعة واللصوف : (بهم) أي إن لم يأخذوا عهود التوارة ، قالوا : ولما رأوا ذلك خر كل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر ، وصار ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فزعا من سقوطه ، وهي سنة في سجودهم إلى الآن ، يقولون : هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما كان كأنه قيل : فقالوا : أخذنا يارب عهودك ، قال مشيرا إلى عظمته ليشتد إقبالهم عليه إشارة إلى أنه علة رفع الجبل : (خذوا ما آتيناكم) أي بعظمتنا ، فهو جدير بالإقبال عليه وإن يعتقد فيه الكمال ، وأكد ذلك بقوله : (بقوة) أي عزم عظيم على احتمال مشاقة ؛ ولما كان الأخذ للشيء بقوة ربما نسبة في وقت ، قال : (واذكروا فيه) أي من الأوامر والنواهي وغيرهما – فلا تنسوه) بقوة) أي عزم عظيم على احتمال مشاقة ؛ ولما كان الأخذ للشيء بقوة ربما نسبة في وقت ، قال : (واذكروا فيه (اي من الأوامر والنواهي وغيرها – فلا تنسوه) لعلكم تتقون)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٢/٣

أي ليكون حالكم حال من يرجى تقواه ، فدل سبحانه بهذا على تأكيد المواثيق عليهم في أخذ جميع مافي الكتاب الذي من جملته ألا تقولوا على الله إلا الحق ولا تكتموا شيئا منه ، قالوا : ولما قرأة موسى عليه السلام الأولواح وفيها كتاب الله لم يبق على الأرض شجر ولا جبل ولا حجر إلا اهتز ، فلذلك لا ترى يهوديا يسمع التوارة إلا اهتز وأنقض راسه ولما ذكر أنه ألزمهم أحكام الكتاب على هذه الهيئة القاهرة الملجئة القاسرة التي هي من أعظم المواثيق عند أهل الأخذ وأنه أكد عليهم المواثيق في كثير من فصول الكتاب ، وكان ذلك كله خاصا بهم ؛ أمره أن يذكر لهم أنه ركب لهم في عموم هذا النوع الآدمي من العقول ونصب من الأدلة الوضحة للأمر إيضاح المشهود للشاهد ما لو عذب تاركه والمتهاون به لكان تعذيبه جاريا على المناهج ملائما للعقول ، ولكنه لسبق رحمته وغلبة رأفته لم يؤاخذ بذلك حتى ضم إليه الرسل ، وأنزل معهم الكتب وأكثر فيها من المواثيق ، وزاد في الكشف والبيان ، وإلى ذلك الإشارة باسم الرب ، فكأن من عنده علم أشد ملامة من الجاهل ، فقال : (وإذ) أي واذكر لهم إذ) أخذ) أي خلق بقوله وقدرته) ربك) أي المحسن إليك بالتمهيد لرسالتك كما يؤخذ القمل بالمشط من الرأي." [١]

" صفحة رقم ٤٤٥

كأنه قيل : فقال لهم ذلك فلم يأتوا لقومهم بشبهة شكا فضلا عن مصدق ، لأنه معجز لكونه كلاما في أعلى طبقات البلاغة بحسن النظام والجزالة منزلا من عند الله المحيط علما وقدرة ، فهو مشتمل من كل معنى على ما علا كل العلو عن مدان) بل (وأحسن من ذلك أنه لما أقام الدليل على أن القرآن كلامه ، وكان الدليل إنما من شأنه أن يقام على من عرض له غلط أو شبهة ، وكان قولهم) افتراه (لا عن شبهة وإنما هو مجرد عناد ، نبه سبحانه على ذلك وعلى أنه إنما أقام الدليل لإظهار عنادهم لا لأن عندهم شبهة في كونه حقا بالإضراب عن قولهم فقال : (بل) أي لم يقولوا) افتراه (عن اعتقاد منهم لذلك بل) كذبوا) أي أوقعوا التكذيب الذي لا تكذيب أشنع منه مسرعين في ذلك من غير ان يتفهموه مستهينين) بما لم يحيطوا بعلمه (اي في نظمه أو معناه من غير شبهة أصلا بل عنادا وطغيانا ونفورا مما يخالف دينهم وشرادا ، فهو من باب (من جهل شيئا عاداه) والإحاطة : إرادة ما هو كالحائط حول الشيء ، فإحاطة العلم بالشيءالعلم به من جميع وجوهه .

ولما كان لا بد من وقوع تأويله ، وهو إتيان ما فيه من الإخبار بالمغيبات على ما هي عليه ، قال : (ولما يأتهم (اي غلى زمن تكذيبهم) تأويله) أي ترجيعنا لأخباره إلى مراجعها وغاياتها حتى يعلموا أصدق هي

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣/١٤٧

أم كذب ، فإنه معجز من جهة نظمه ومن جهة صدقه في أخباره ؛ والتأويل : المعنى الذي يؤول التفسير ، وهو منتهى التصريح من التضمين .

ولما كان كأنه قيل : إن فعلهم هذا لعجب ، فما حملهم على التمادي فيه ؟ فقيل : تبعوا في ذلك من قبلهم لموافقتهم في سوء الطبع ، قا مهددا ومسليا له (صلى الله عليه وسلم) : (كذلك) أي مثل تكذيبهم العظيم في الشناعة قبل تدبير المعجز)كذب الذين (ولما كان المكذبون بعض السافلين ، أثبت الجار افقال : (من قبلهم) أي من كف ار الأمم الخالية فظلموا فأهلكناهم بظلمهم ؛ ولما كان التكذيب خطرا لما يثير من السرور ، سبب عنه – تحذيرامنه – النظر في عاقبة امره فقال : (فانظر (اي بعينك ديارهم وبقلبك أخبارهم .

ولما كان من نظر هذا النظر وجد فيه أجل معتبر وأعلى مزدجر ، وجه السؤال إليه بقوله : (كيف كان عاقبة) أي آخر أمر) الظالمين) أي الذين رسخت أقدامهم في وضع الأشياء في غير مواضعها حتى كذبوا من ايجوز عليه الكذب بوجه ، ومن المقطوع به به أن هذا المسؤول يقول من غير تعلثم ولا تردد : عاقبة وخيمة قاصمة ذميمة ؛ والعاقبة سبب تؤدي غليه البادئة ، فالذي أدى إلى إلى هلاكهم بعذاب الاستئصال ما تقدم من ظلمهم لأنفسهم وعتوهم في كفرهم .." (١)

" صفحة رقم ٤٣

يوسف : (٤١ – ٤٢) يا صاحبي السجن. .. . .

) يصاحبي السجن أمآ أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين (( )

ولما تم نصحه وعلا قدحه بإلقائه إليهما ما كان أهم لهما لو علما لمآله إلى الحياة الأبدية والرفعة السرمدية .

أقبل على حاجتهما تمكينا لما ذكره وتأكيدا للذي قرره ، فناداهما بالأداة الدالة على أن ما بعدها كلام له موقع عظيم لتجتمع أنفسهما لسماع ما يلقى إليهما من التعبير ، فقال : (ياصاحبي السجن) أي الذي تزول فيه الحظوظ ويحصل الانكسار للنفس والرقة في القلب فتتخلص فيه المودة .

ولما كان في الجواب ما يسوء الخباز ، أبهم ليجوز كل واحد أنه الفائز ، فإن ألجأه إلى التعيين كان ذلك

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٤٥/٣

عذرا له في الخروج عن الأليق فقال : (أما أحدكما (وهو الساقي فيلخص ويقرب) فيسقي ربه) أي سيده الذي في خدمته) خمرا (كما كان) وأما الآخر (وهو الخباز .

ولما كان الذي له قوة أن يصلب إنما هو الملك ، بنى للمفعول قوله : (فيصلب (ويعطب) فتأكل) أي فيتسبب عن صلبه أنه تأكل) الطير من رأسه (والآية من الاحتباك : ذكر ملزوم السلامة والقرب أولا دليلا على العطب ثانيا أولا ، وسيأتي شرح تعبيره من التوراة ، فكأنه قيل : انظر جيدا ما الذي دليلا على السلامة أولا ، وسيأتي شرح تعبيره من التوراة ، فكأنه قيل : انظر جيدا ما الذي تقول وروى أنهما قالا : ما رأينا شيئا ، إنما كنا نلعب ، فقال مشيرا بصيغة البناء للمفعول إلى عظمة الله وسهولة الأمور عليه : (قضي الأمر (وبينه بقوله : (الذي فيه) أي لا في غيره) تستفتيان) أي تطلبان الإفتاء فيه عملا بالفتوة ، فسألتما عن تأويله ، وهو تعبير رؤياكما كذبتما أو صدقتما ، لم أقله ع‍ن جهل ولا **غلط** .

وما أحسن إيلاء هذا العلم الثابت لختم الآية السالفة بنفي العلم عن الأكثر ، والأحد : المختص من المضاف إليه بمبهم له مثل صفة المضاف ، ولا كذلك (البعض) فلا يصدق : رأيت أحد الرجلين – ألا برجل منهما ، بخلاف (بعض) والفتيا : الجواب بحكم المعنى ، وهو غير الجواب بعلته – ذكره الرماني .

ولعل رؤيتهما تشيران إلى ما تشير إليه رؤيا الملك ، فالعصير يشير إلى السنابل الخضر والبقر السمان ، لأنه لا يكون إلا عن فضل ، والخبز – الذي طارت به الأطيار ، وسارت بروح صاحبه الأقدار – يشير إلى اليابسة والعجاف – والله أعلم .

ولما كان كل علم بالنسبة إلى علم الله عدما ، عبر عن علمه بالظن ، ويمكن أن يكون الظن على بابه لكونه قال ما مضى اجتهادا بقرائن فيؤخذ منه أنه يسوغ الجزم بما." (١)

" صفحة رقم ٩٩

فلما تلاها عليها قالت منكرة لتوقفها في الخبر : أفي هذا أستأمر أبوي ، فإني أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم عرض ذلك على جميع أزواجه فاقتدين كلهن بعائشة رضي الله عنهن فكانت لهن إماما فنالت إلى أجرها مثل أجورهن – روى ذلك البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها ، وسبب ذلك أنه (صلى الله عليه وسلم) وجد على نسائه رضي الله عنهن فآلى منهن شهرا ، فلما انقضى الشهر نزل إليهن من غرفة كان اعتزل فيها وقد أنزل الله عليه الآيات .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٣/٤

فخيرهن فاخترنه رضي الله عنهن ، وسبب ذلك أن منهن من سأل التوسع في النفقة ، وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يحب التوسع في الدنيا ، روى الشيخان رضي الله عنهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع آل محمد (صلى الله عليه وسلم) ، من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، (صلى الله عليه وسلم)

١٥٤٨ ؛ وروى الحديث البيهقي ولفظه : قالت : ما شبع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا لشبعنا ، ولكنه كان يؤثر على نفسه ، وروى الطبراني في الأوسط عنها أيضا رضي الله عنها قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (من سأل عني أو سره أن ينظر إلي فلينظر إلي أشعث شاحب لم يضع لبنة على لبنة وا قصبة على قصبة ، رفع له علم فشمر إليه ، اليوم المضمار وغدا السباق ، والغاية الجنة أو النار) ولما كان الله سبحانه قد أمضى حكمته في هذه الدار في أنه لا يقبل قول إلا ببيان ، قال سبحانه متهددا على ما قد أعاذهن الله منه ، فالمراد منه بيان أنه رفع مقاديرهن ، ولذلك ذكر الأفعال المسندة إليهن اعتبارا بلفظ (من) والتنبيه على **غلط** من جعل صحبه الأشراف دافعة للعقاب على الإسراف ، ومعلمة بأنها إنما تكون سببا للإضعاف : (يا نساء النبي) أي المختارات له لما بينه وبين الله مما يظهر شرفه) من يأت (قراءة شاذة نقلها وكذا (يقنت)) منكن فاحشة) أي من قول أو فعل كالنشوز وسوء الخلق باختيار الحياة الدنيا وزينتها على الله ورسوله أو غير ذلك) مبينة) أي واضحة ظاهرة في نفسها تكاد تنادي بذلك من سوء خلق ونشوز أو غير ذلك) يضاعف لها." [١]

" صفحة رقم ٣٥٢

الصافات : (١٧٢ - ١٧٨) إنهم لهم المنصورون

) إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم فسآء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين (( )

ولما آذنت اللام بعلوهم ، أوضح ذلك ببيان ما سماه كلمة لانتظامه في معنى واحد بقوله : (إنهم (وزاد في تأكيده في نظير ما عنده الكفرة على ما تدل أعمالهم أنه في غاية البعد فقال : (لهم) أي خاصة) المنصورون) أي الثابت نصرهم في الجدال والجلاد وإن وقع للكفار عليهم في الثاني ظهور ما .

ولما خص بذلك المرسلين ، عم فقال : (وإن جندنا) أي من المرسلين وأتباعهم ، ولما كان مدلول الجند في اللغة العسكر والأعوان والمدينة وصنفا من الخلق على حدة ، قال جامعا على المعنى دون اللفظ نصا

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٩٩

على المراد : (لهم) أي لا غيرهم) الغالبون) أي وإن رئي أنهم مغلوبون لأن العاقبة لهم إن لم يكن في هذه الدار فهو في دار القرار ، وقد جمع لهذا النبي الكريم فيهما ، وسمى هذا كله كلمة لانتظامه معنى واحدا ، ولا يضر انهزام في بعض المواطن من بعضهم ولا وهن قد يقع ، وكفى دليلا على هذا سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الثلاثة بعده رضي الله عنهم .

ولما ثبت لا محالة بهذا أنه (صلى الله عليه وسلم) هو المنصور لأنه من المرسلين ومن جند الله ، بل هو أعلاهم ، سبب عن ذلك قوله : (فتول) أي فكلف نفسك الإعراض) عنهم) أي عن ردهم عن الضلال قسرا) حتى حين) أي مبهم ، وهو الوقت الذي عيناه لنصرك في الأزل) وأبصرهم) أي ببصرك وبصيرتك عند الحين الذي ضربناه لك وقبله : كيف تؤديهم أحوالهم وتقلباتهم كلما تقلبوا إلى سفول .

ولما كانوا قبل الإسلام عميا صما لأنهم لا يصدقون وعدا ولا وعيدا ، ولا يفكرون في عاقبة ، حذف المفعول من فعلهم فقال متوعدا محققا بالتوسيف لا مبعدا : (فسوف يبصرون) أي يحصل لهم الإبصار الذي لا غلط فيه بالعين والقلب بعد ما هم فيه من العمى ، وهذا الحين واضح في يوم بدر وما كان من أمثاله قبل الفتح ، فإنهم كان لهم في تلك الأوقات نوع من القوة ، فلذلك أثبتهم نوع إثبات في أبصرهم .

ولما كانت عادتهم الاستعجال بما يهددون به استهزاء ، كلما ورد عليهم تهديد ، سبب عن ذلك الإنكار عليهم على وجه تهديد آخر لهم فقال : (أفبعذابنا) أي على ما علم من العظمة بإضافته إلينا) يستعجلون) أي يطلبون أن يعجل لهم فيأتيهم قبل أوانه الذي ضربناه له .

ولما علم من هذا أنه لا بشرى لهم يوم حلوله ، ولا قرار عند نزوله ، صرح بذلك في قوله : (فإذا) أي هددناهم وأنكرنا عليهم بسبب أنه إذا) نزل." (١)

" صفحة رقم ٤١٥

ينبغي أن تفرده بالطاعة ، ولأنه إذا عبده أحد مخلصا كفاه كل شيء ، وأما غيره فلو أخلص له أحد لم يمكن أن يكفيه شيئا من الأشياء فضلا عن كل شيء والدين الذي هو أهل للإخلاص هو الإسلام الذي كان في كل ملة المنبني على القواعد الخمس المثبتة بالإخلاص المحض الناشئ من المراقبة في الأوامر والنواهي وجميع ما يرضي الشارع للدين أو يسخطه ، فتكون جملته لله من غير شهوة ظاهرة أو باطنة في شهرة ولا غيرها ، وإنما استحقه سبحانه دون غيره لأنه هو الذي شرعه ولا أمر لأحد معه فكيف يشركه من لا أمر له بوجه من الوجوه ، وأما ما كان فيه أدنى شرك فهو رد على عامله والله غني حميد ، وهذه كما ترى

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٥٢/٦

مناداة لعمري تخضع لها الأعناق فتنكس الرؤوس ولا يوجد لها جواب إلا بنعم وعزته وأي وكبريائه وعظمته ، قال القشيري : وما للعبد فيه نصيب فهو عن الإخلاص بعيد اللهم إلا أن يكون بأمره فإنه إذا أمر العبد أن يحتسب الأجر على طاعته فأطاعه لا يخرج عن الاحتساب باحتسابه أمره فيه ، ولولا هذا لما صح أن يكون في العالم مخلص ، قال ابن برجان : وذلك أي ترك الإخلاص كله مولد عن حب البقاء في الدنيا ونسيان لقاء الله تعالى ، ثم قال ما معناه : إن ذلك من الشرك ، وهو ثلاثة أنواع : شرك في الإلهية وهو أن يرى مع الله إلها آخر ، وهو شرك المجوس والمجسمة : والوثنية ، ويضاهيه غلط القدرية ، الثاني شرك في العبادة بالرياء وإضافة العمل إلى النفس ، والثالث الشرك الخفي وهو الشهوة الخفية ، وهو أن يخفي العمل ويخاف من إظهار ويحب لو اطلع عليه ومدح بأسراره ، ومن أحسن العون على الإخلاص الحياء من الله أن تتزين لغيره بعمل إلهمك إياه وقواك عليه وخلت فيه وزعمت تطلب التقرب إليه فأتاك عدوه إبليس الذي عاداه فيك فتطيعه فيما يضرك ولا ينفعك ، فاستعن على عبادتك بالستر فاستر حسناتك كما تستر سيئاتك ، فإن عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفا ، وذلك كالشجرة إذا ظهرت عروقها ضعف شربها ، وأضر بها حرارة الهواء وبرده ، وتعرضت للآفات من قطع ويبس وغير ذلك ولم تحسن فروعها وخف ورقها فقل نفعها ، وإذا غاصت عروقها غابت عن الآفات وأمنت القطع من أيدي الناس ، فكثر شربها فجرى ماؤها فيها ، فتزايدت لذلك فروعها واخضر ورقها وكثر خيرها وطاب ثمرها لجانيها ، فكذلك العمل إذا كانت له أصول في القلب مستورة زكا في نفسه وطهر من الأدناس وكثر خيره وطاب ثوابه لعامله ، وإذا بدا لم يؤمن عليه من أبصار الناظرين ، وإذا خفي لم يبق ما يخاف منه إلا العجب ومحبة أن يطلع عليه ، وهي الشهوة الخفية ، ومن قولهم (من عرف الله بعد الضلالة وعرف الإخلاص بعد الرياء وأنزل الموت حق منزلته لم يغفل عن الموت والاستعداد له بما أمكنه) انتهى .." (١)

" صفحة رقم ٢٣٩

المخاطبون بهذه الآية المعاتبون بها ، قال أبو حيان : قال مجاهد : نزلت في بني أسد بن خزيمة - انتهى .

فلذلك اختار أبو عمرو القراءة بها ، وعدل عن لغة الحجاز) من أعمالكم شيئا (فلا حاجة إلى إخباركم عن إيمانكم بغير ما يدل عليه من الأقوال والأفعال ، قال ابن برجان : فعموم الناس وأكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين ، فإن يعلموا علم ما شهدوا وعقدوا عليه عقدا علما ويقينا لهم المؤمنون .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٤١٥

وفي الآية احتباك من وجه آخر : ذكر عدم الإيمان أولا دليلا على إثباته ثانيا ، وذكر توفير الأعمال ثانيا دليلا على بخسها أو إحباطها أولا ، وسره أنه نفى أساس الخير أولا ورغب في الطاعة بحفظ ما تعبوا عليه من الأعما ثانيا .

ولما كان الإنسان مبنيا على النقصان ، فلو وكل إلى عمله هلك ، ولذهب عمله فيما يعتريه من النقص ، قال مستعطفا لهم إلى التوبة ، مؤكدا تنبيها على أنه مما حيق تأكيده لأن الخلائق لا يفعلون مثله : (إن الله) أي الذي له صفات الكمال) غفور) أي ستور للهفوات والزلات لمن تاب وصحت نيته ، ولغيره إذا أراد ، فلا عتاب ولا عقاب) رحيم) أي يزيد على الستر عظيم الإكرام .

الحجرات : (١٥ - ١٨) إنما المؤمنون الذين. .. . .

) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون (( )

ولما نفى عنهم الإيمان ، وكان ربما **غلط** شخص في نفسه فظن أنه مؤمن ، وليس كذلك ، أخبر بالمؤمن على سبيل الحصر ذاكرا أمارته الظاهرة الباطنة ، وهي أمهات الفضائل : العلم والعفة والشج اعة ، فقال جوابا لمن قال : فمن الذي آمن ؟ عادلا عن جوابه إلى وصف الراسخ ترغيبا في الاتصاف بوصفه وإيذانا بأن المخبر عن نفسه بآية إيمانه لا يريد إلا أنه راسخ : (إنما المؤمنون) أي العريقون في الإيمان الذي هو حياة القلوب ، قال القشيري : والقلوب لا تحيا إلا بعد ذبح النفوس ، والنفوس لا تموت ولكنها تعيش) الذين آمنوا) أي صدقوا معترفين) بالله (معتقدين جميع ما له من صفات الكمال) ورسوله (شاهدين برسالته ، وهذا هو المعرفة التي هي العلم ، وغياتها الحكمة ، وهذا الإثبات هنا يدل على أن المنفي فيما قيل الكمال لا المطلق ، وإلا لقال (إنما الذين آمنوا) .." [١]

"فائدة

نفي التساوي في كتاب الله، قد يأتي بين الفعلين، كقوله تعالى: ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ﴾ الآية.

وقد يأتي بين الفاعلين كقوله: ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٣٩/٧

الله ﴾.

وقد يأتي بين الجزائين كقوله ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴾.

وقد جمع الله بين الثلاثة في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ﴾ الآيات. فائدة

في ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور:

التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للعقل، كنسبة المحسوس إلى الحس.

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر، وإبطال أمر. فائدة

السياق يرشد إلى بيان المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم (١) احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله **غلط** في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله: ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير. فائدة

إخبار الرب عن المحسوس الواقع له عدة فوائد:

منها: أن يكون توطئة وتقدمة لإبطال ما بعده.

ومنها: أن يكون موعظة وتذكرة.

ومنها: أن يكون شاهدا على ما أخبر به من توحيده، وصدق رسوله، وإحياء الموتى.

ومنها: أن يذكر في معرض الامتنان.

ومنها: أن يذكر في معرض اللوم والتوبيخ.

ومنها: أن يذكر في معرض المدح والذم.

ومنها: أن يذكر في معرض الإخبار عن اطلاع الرب عليه. وغير ذلك من الفوائد.

انتهى كلامه رحمه الله.، وهو في غاية النفاسة، والاشتمال على كثير من القواعد والضوابط المتعلقة بتفسير القرآن، فجزاه الله خيرا.

قلت: وقد اشتمل القرآن على عدة علوم قد ثنيت فيه وأعيدت:

فمنها: ضرب الأمثال، وقد ذكر ابن القيم فيما تقدم فوائدها.

ومنها ذكر صفات أهل السعادة والشقاوة، وفي ذلك فوائد عديدة:

(١) كذا في ب، وفي أ: بعد.." (١)

"﴿ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون * ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ﴾ .

﴿ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ فهم وإن أسروا ما يعتقدونه فيما بينهم، وزعموا أنهم بإسرارهم لا يتطرق عليهم حجة للمؤمنين، فإن هذا **غلط** منهم وجهل كبير، فإن الله يعلم سرهم وعلنهم، فيظهر لعباده ما أنتم عليه.

﴿ ومنهم ﴾ أي: من أهل الكتاب ﴿ أميون ﴾ أي: عوام، ليسوا من أهل العلم، ﴿ لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ أي: ليس لهم حظ من كتاب الله إلا التلاوة فقط، وليس عندهم خبر بما عند الأولين الذين يعلمون حق المعرفة حالهم، وهؤلاء إنما معهم ظنون وتقاليد لأهل العلم منهم.

فذكر في هذه الآيات علماءهم، وعوامهم، ومنافقيهم، ومن لم ينافق منهم، فالعلماء منهم متمسكون بما هم عليه من الضلال، والعوام مقلدون لهم، لا بصيرة عندهم فلا مطمع لكم في الطائفتين.." (٢)

"﴿ ٧٩ - ٨٠ ﴾ ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم * استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ .

وهذا أيضا من مخازي المنافقين، فكانوا -قبحهم الله- لا يدعون شيئا من أمور الإسلام والمسلمين يرون لهم مقالا إلا قالوا وطعنوا بغيا وعدوانا، فلما حث الله ورسوله على الصدقة، بادر المسلمون إلى ذلك، وبذلوا من أموالهم كل على حسب حاله، منهم المكثر، ومنهم المقل، فيلمزون المكثر منهم، بأن قصده بنفقته الرياء والسمعة، وقالوا [ص ٣٤٦] للمقل الفقير: إن الله غني عن صدقة هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿ الذين يلمزون ﴾ أي: يعيبون ويطعنون ﴿ المطوعين من المؤمنين في الصدقات ﴾ فيقولون: مراءون، قصدهم الفخر والرياء.

﴿ و ﴾ يلمزون ﴿ الذين لا يجدون إلا جهدهم ﴾ فيخرجون ما استطاعوا ويقولون: الله غني عن صدقاتهم

(١) تفسير السعدي، ص/٣٤

(٢) تفسير السعدي، ص/٥٦

﴿ فيسخرون منهم ﴾ .
فقابلهم الله على صنيعهم بأن ﴿ سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ فإنهم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة محاذير.
منها: تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالا يقولونه فيهم، والله يقول: ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ﴾.
ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين.
ومنها: أن اللمز محرم، بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللمز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح.
ومنها: أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي[هو] إعانته، وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثبيطهم بما قالوا فيهم، وعابوهم عليه.
ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالا كثيرا بأنه مراء، **غلط** فاحش، وحكم على الغيب، ورجم بالظن، وأي شر أكبر من هذا؟!!
ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: "الله غني عن صدقة هذا" كلام مقصوده باطل، فإن الله غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله -وإن كان غنيا عنهم- فهم فقراء إليه ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ وفي هذا القول من التثبيط عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم.." (١)
"﴿ ١١٣ - ١١٤ ﴾ ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ .
يعني: ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به ﴿ أن يستغفروا للمشركين ﴾ أي: لمن كفر به، وعبد معه غيره ﴿ ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ فإن الاستغفار لهم في هذه الحال **غلط** غير مفيد، فلا يليق بالنبي والمؤمنين، لأنهم إذا ماتوا على الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٤٥

وأيضا فإن النبي والذين آمنوا معه، عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه الله، ويعادوا من عاداه الله، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك، مناقض له، ولئن وجد الاستغفار من خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه فإنه ﴿ عن موعدة وعدها إياه ﴾ في قوله ﴿ سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا ﴾ وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه.

فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، سيموت على الكفر، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير ﴿ تبرأ منه ﴾ موافقة لربه وتأدبا معه.

﴿ إن إبراهيم لأواه ﴾ أي: رجاع إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء، والاستغفار والإنابة إلى ربه.

﴿ حليم ﴾ أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه، من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه قال له: ﴿ لأرجمنك ﴾ وهو يقول له: ﴿ سلام عليك سأستغفر لك ربي ﴾.

فعليكم أن تقتدوا به، وتتبعوا ملة إبراهيم في كل شيء ﴿ إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ كما نبهكم الله عليها وعلى غيرها، ولهذا قال:." (١)

"﴿ ١-٩ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم * عسق * كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم * له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم * تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم * والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل * وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير * ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير * أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴾ . [ص ٧٥٣]

يخبر تعالى أنه أوحى هذا القرآن العظيم إلى النبي الكريم، كما أوحى إلى من قبله من الأنبياء والمرسلين، ففيه بيان فضله، بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، سابقا ولاحقا، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس ببدع من الرسل، وأن طريقته طريقة من قبله، وأحواله تناسب أحوال من قبله من المرسلين. وما جاء به يشابه ما جاءوا به، لأن الجميع حق وصدق، وهو تنزيل من اتصف بالألوهية والعزة العظيمة والحكمة البالغة، وأن

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٥٣

جميع العالم العلوي والسفلي ملكه وتحت تدبيره القدري والشرعي.
وأنه ﴿ العلي ﴾ بذاته وقدره وقهره. ﴿ العظيم ﴾ الذي من عظمته
﴿ تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن ﴾ على عظمها وكونها جمادا، ﴿ والملائكة ﴾ الكرام المقربون خاضعون لعظمته، مستكينون لعزته، مذعنون بربوبيته. ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ ويعظمونه عن كل نقص، ويصفونه بكل كمال، ﴿ ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ عما يصدر منهم، مما لا يليق بعظمة ربهم وكبريائه، مع أنه تعالى هو ﴿ الغفور الرحيم ﴾ الذي لولا مغفرته ورحمته، لعاجل الخلق بالعقوبة المستأصلة.
وفي وصفه تعالى بهذه الأوصاف، بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل كلهم عموما، وإلى محمد – صلى الله عليهم أجمعين– خصوصا، إشارة إلى أن هذا القرآن الكريم، فيه من الأدلة والبراهين، والآيات الدالة على كمال الباري تعالى، ووصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، وصرف جميع أنواع العبودية الظاهرة والباطنة له تعالى، وأن من أكبر الظلم وأفحش القول، اتخاذ أنداد لله من دونه، ليس بيدهم نفع ولا ضرر، بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله في جميع أحوالهم، ولهذا عقبه بقوله: ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾
يتولونهم بالعبادة والطاعة، كما يعبدون الله ويطيعونه، فإنما اتخذوا الباطل، وليسوا بأولياء على الحقيقة. ﴿ الله حفيظ عليهم ﴾ يحفظ عليهم أعمالهم، فيجازيهم بخيرها وشرها. ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ فتسأل عن أعمالهم، وإنما أنت مبلغ أديت وظيفتك.
ثم ذكر منته على رسوله وعلى الناس، حيث أنزل الله ﴿ قرآنا عربيا ﴾ بين الألفاظ والمعاني ﴿ لتنذر أم القرى ﴾ وهي مكة المكرمة ﴿ ومن حولها ﴾ من قرى العرب، ثم يسري هذا الإنذار إلى سائر الخلق. ﴿ وتنذر ﴾ الناس ﴿ يوم الجمع ﴾ الذي يجمع الله به الأولين والآخرين، وتخبرهم أنه ﴿ لا ريب فيه ﴾ وأن الخلق ينقسمون فيه فريقين ﴿ فريق في الجنة ﴾ وهم الذين آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين، ﴿ وفريق في السعير ﴾ وهم أصناف الكفرة المكذبين.
﴿ و ﴾ مع هذا ﴿ لو شاء الله ﴾ لجعل الناس، أي: جعل الناس ﴿ أمة واحدة ﴾ على الهدى، لأنه القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، ولكنه أراد أن يدخل في رحمته من شاء من خواص خلقه.
وأما الظالمون الذين لا يصلحون لصالح، فإنهم محرومون من الرحمة، ف ﴿ ما لهم ﴾ من دون الله ﴿ من ولي ﴾ يتولاهم، فيحصل لهم المحبوب ﴿ ولا نصير ﴾ يدفع عنهم المكروه.
والذين ﴿ اتخذوا من دونه أولياء ﴾ يتولونهم بعبادتهم إياهم، فقد غلطوا أقبح غلط. فالله هو الولي الذي

يتولاه عبده بعبادته وطاعته، والتقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات، ويتولى عباده عموما بتدبيره، ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصا، بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتربيتهم بلطفه، وإعانتهم في جميع أمورهم.

﴿ وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴾ أي: هو المتصرف بالإحياء والإماتة، ونفوذ المشيئة والقدرة، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.." (١)

"فصل

ولهذا كان أول من أظهر إنكار التكليم والمخالة الجعد بن درهم، في أوائل المائة الثانية، وأمر علماء الإسلام ـ كالحسن البصري وغيره ـ / بقتله؛ فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق بـ [واسط] . فقال : أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما ! تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا . ثم نزل فذبحه . وأخذ ذلك عنه الجهم بن صفوان، فأنكر أن يكون الله يتكلم، ثم نافق المسلمين فأقر بلفظ الكلام، وقال : كلامه يخلق في محل كالهواء وورق الشجر .

ودخل بعض أهل الكلام والجدل من المنتسبين إلى الإسلام من المعتزلة ونحوهم إلى بعض مقالة الصابئة والمشركين، متابعة للجعد والجهم . وكان مبدأ ذلك أن الصابئة في [الخلق] على قولين : منهم من يقول : إن السموات مخلوقة بعد أن لم تكن، كما أخبرت بذلك الرسل، وكتب الله ـ تعالى ـ ومنهم من ابتدع فقال : بل هي قديمة أزلية، لم تزل موجودة بوجود الأول، واجب الوجود بنفسه، ومنهم من قد ينكر الصانع بالكلية، ولهم مقالات كثيرة الاضطراب في الخلق والبعث، والمبدأ والمعاد؛ لأنهم لم يكونوا معتصمين بحبل الله ـ تعالى ـ فيجمعهم . والظنون لا تجمع الناس في مثل هذه الأمور التي تعجز الآراء عن إدراك حقائقها إلا بوحي من الله ـ تعالى .

وهم إنما يناظر بعضهم بعضا بالقياس المأخوذ مقدماته من الأمور الطبيعية السفلية، وقوى الطبائع الموجودة في التراب والماء، والهواء / والحيوان، والمعدن والنبات، ويريدون بهذه المقدمات السفلية أن ينالوا معرفة الله وعلم ما فوق السموات، وأول الأمر وآخره؛ وهذا **غلط** بين اعترف به أساطينهم بأن هذا غير ممكن، وأنهم لا سبيل لهم إلى إدراك اليقين، وأنهم إن يتبعون إلا الظن .." (٢)

---

(١) تفسير السعدي، ص/٧٥٢

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١/ ٢٤

"/ وهذا الأصل هو مما أنكره الإمام أحمد على ابن كلاب وأصحابه، حتى على الحارث المحاسبي مع جلالة قدر الحارث، وأمر أحمد بهجره وهجر الكلابية، وقال : احذروا من حارث، الآفة كلها من حارث، فمات الحارث وما صلى عليه إلا نفر قليل بسبب تحذير الإمام أحمد عنه، ومع أن فيه من العلم والدين ما هو أفضل من عامة من وافق ابن كلاب على هذا الأصل، وقد قيل : إن الحارث رجع عن ذلك وأقر بأن الله يتكلم بصوت، كما حكى عنه ذلك صاحب [التعرف لمذهب التصوف] أبو بكر محمد ابن إسحاق الكلاباذي .

وكثير من المتأخرين من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، وافقوا ابن كلاب على هذا الأصل، كما قد بسط الكلام على ذلك في مواضع أخر .

واختلف كلام ابن عقيل في هذا الأصل، فتارة يقول بقول ابن كلاب، وتارة يقول بمذهب السلف وأهل الحديث : أن الله تقوم به الأمور الاختيارية، ويقول : إنه قام به أبصار متجددة حين تجدد المرئيات لم تكن قبل ذلك، وقام به علم بأن كل شيء وجد غير العلم الذي كان أولا أنه سيوجد، كما دل على ذلك عدة آيات في القرآن، كقوله تعالى : ﴿ لنعلم من يتبع الرسول ﴾ [البقرة : ١٤٣] وغير ذلك، وكلامه في هذا الأصل وغيره يختلف، تارة يقول بهذا، وتارة يقول بهذا؛ فإن هذه المواضع مواضع / مشكلة كثر فيها غلط الناس؛ لما فيها من الاشتباه والالتباس .

." (١)

"فنص أحمد على ما جاء به الكتاب والسنة أنا نقرأ القرآن بأصواتنا، والقرآن كلام الله كله، لفظه ومعناه، سمعه جبريل من الله وبلغه إلى محمد صلى الله عليه وسلم وسمعه محمد منه، وبلغه محمد إلى الخلق، والخلق يبلغه بعضهم إلى بعض، ويسمعه بعضهم من بعض، ومعلوم أنهم إذا سمعوا كلام النبي صلى الله عليه وسلم وغيره فبلغوه عنه، كما قال : (نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه) [كلهم عن عبد الله بن مسعود . وقوله : (نضر) : من النضارة، وهي حسن الوجه والبريق وإنما أراد : حسن الله خلقه وقدره] ، فهم سمعوا اللفظ من الرسول بصوت نفسه بالحروف التي تكلم بها وبلغوا لفظه بأصوات أنفسهم، وقد علم الفرق بين من يروي الحديث بالمعنى لا باللفظ، واللفظ المبلغ هو لفظ الرسول وهو كلام الرسول؛ فإنه كان صوت / المبلغ ليس صوت الرسول، وليس ما قام بالرسول من الصفات والأعراض فارقته وما قامت بغيره، بل ولا تقوم الصفة والعرض بغير محله، وإذا كان هذا معقولا في صفات المخلوقين فصفات الخالق

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٨١/١

أولى بكل صفة كمال، وأبعد عن كل صفة نقص، والتباين الذي بين صفة الخالق والمخلوق أعظم من التباين الذي بين صفة مخلوق ومخلوق، وامتناع الاتحاد والحلول بالذات للخالق وصفاته في المخلوق أعظم من الاتحاد والحلول بالذات للمخلوق وصفاته في المخلوق، وهذه جمل قد بسطت في مواضع أخر .

هذا مع أن احتجاج الجهمية والمعتزلة بأن كلام المخلوق بقوله : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ [مريم : ١٢] مثل كلام الخالق، **غلط** باتفاق الناس حتى عندهم؛ فإن الذين يقولون : هو مخلوق يقولون : إنه خلقه في بعض الأجسام، إما الهواء أو غيره، كما يقولون : إنه خلق الكلام في نفس الشجرة فسمعه موسى .

". (١)

"ولا يوجد قط في الكتاب والسنة وكلام العرب لفظ [الكلمة] إلا / والمراد به الجملة التامة . فكثير من النحاة أو أكثرهم لا يعرفون ذلك، بل يظنون أن اصطلاحهم في مسمى الكلمة ينقسم إلى اسم وفعل وحرف هو لغة العرب، والفاضل منهم يقول :

وكلمة بها كلام قد يؤم

ويقولون : العرب قد تستعمل الكلمة في الجملة التامة وتستعملها في المفرد، وهذا **غلط** لا يوجد قط في كلام العرب لفظ الكلمة إلا للجملة التامة .

". (٢)

"ثم إن جمهور هؤلاء لا يقولون : إن تلك الأصوات هي المسموعة من القارئين، بل يفرقون بين هذا وهذا . ومنهم طائفة وهم أهل . . . /يقولون : إن الصوت القديم يسمع من القارئ . ثم قد يقولون تارة : إن القديم نفس الصوت المسموع من القارئ، وتارة يقولون : إنه يسمع من القارئ صوتين، قديما ومحدثا . وكثير منهم ـ أو أكثرهم ـ لا يقولون بحلول القديم في المحدث، بل يقولون : ظهر فيه كما يظهر الوجه في المرآة .

ومنهم من يقول بحلول القديم في المحدث، وليس هذا القول ولا الأقوال قبله قول أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، ولم يقل ذلك لا الإمام أحمد، ولا أئمة أصحابه، ولا غيره من الأئمة، بل هم متفقون على الإنكار

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٨٥/١

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٩٢/١

على من قال : إن لفظي بالقرآن غير مخلوق، فكيف بمن قال : صوتي غير مخلوق ؟ فكيف بمن قال : صوتي قديم ؟ !

وأما القول بأن المداد الذي في المصحف قديم، فهذا ما رأيناه في كتاب أحد من طوائف الإسلام، ولا نقله أحد عن رجل معروف من العلماء أنه سمعه منه، ولكن طائفة يسكتون عن التكلم في المداد بنفي أو إثبات، ويقولون : لا نقول : إنه قديم، ولكن نسكت سدا للذريعة . وقد حكاه طائفة عمن سموهم الحشوية القول بقدم المداد، وقالوا : إنهم يقولون : إن المداد الذي في المصحف قديم، وأنه لما كان في المحبرة كان محدثا، فلما صار في الورق صار قديما .

/ ورأينا طوائف يكذبون هؤلاء في النقل، وكأن حقيقة الأمر أن أولئك يقولون قول غيرهم بمجرد ما بلغهم من إطلاق قولهم، أو لما ظنوه لازما لهم، أو لما سمعوه ممن يجازف في النقل ولا يحرره، وربما سمعوه من بعض عوامهم إن كان ذلك قد وقع .

وهذا الباب وقع فيه غلط بهذا السبب، حتى غلط الناس على من يعظمونه؛ وبهذا السبب غلط أبا طالب الإمام أحمد فيما نقله عنه، فإنه قرأ عليه : ﴿ قل هو الله أحد ﴾

". [1]

"ثم منهم من يقول : هو ظاهر فيه، ليس بحال، ومنهم من يقول هو حال . وفي كلام بعضهم ما يقتضي أن يكون ذلك هو الشكل؛ شكل الحرف وصورته، لا مادته التي هي مداده، وهذا القول . أيضا . باطل، كما أن القول بأن شيئا من أصوات الآدميين قديم هو قول باطل، وهو قول قاله طائفة من أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، وجمهور هؤلاء ينكرون هذا القول . وكلام الإمام أحمد وجمهور أصحابه في إنكار هذا القول كثير مشهور .

ولا ريب أن من قال : إن أصوات العباد قديمة فهو مفتر مبتدع، له حكم أمثاله، كما أن من قال : إن هذا القرآن ليس هو كلام الله فهو مفتر مبتدع، له حكم أمثاله .

ومن قال : إن القرآن العربي ليس هو كلام الله، بل بعضه كلام / الله وبعضه ليس كلام الله فهو مفتر مبتدع، له حكم أمثاله . ومن قال : إن معنى آية الكرسي، وآية الدين، و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ معنى واحد فهو مفتر مبتدع، له حكم أمثاله .

وأما التكفير، فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقصد الحق، فأخطأ لم يكفر،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١/١٤٥

بل يغفر له خطؤه . ومن تبين له ما جاء به الرسول، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين، فهو كافر . ومن اتبع هواه، وقصر في طلب الحق، وتكلم بلا علم، فهو عاص مذنب، ثم قد يكون فاسقا، وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته .

فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص، فليس كل مخطئ ولا مبتدع، ولا جاهل ولا ضال، يكون كافرا، بل ولا فاسقا، بل ولاعاصيا، لا سيما في مثل [مسألة القرآن] ، وقد **غلط** فيها خلق من أئمة الطوائف، المعروفين عند الناس بالعلم والدين .

وغالبهم يقصد وجها من الحق فيتبعه، ويعزب عن وجه آخر لا يحققه، فيبقى عارفا ببعض الحق جاهلا ببعضه، بل منكرا له .

". (١)

"والشبهة تنشأ في مثل هذا من جهة : أن بعض الناس لا يفرق بين المطلق من الكلام والمقيد . مثال ذلك : أن الإنسان يقول : رأيت الشمس والقمر والهلال، إذا رآه بغير واسطة، وهذه [الرؤية المطلقة] . وقد يراه في ماء أو مرآة، فهذه [رؤية مقيدة] ، فإذا أطلق قوله : رأيته، أو ما رأيته، حمل على مفهوم اللفظ المطلق، وإذا قال : لقد رأيت الشمس في الماء والمرآة، فهو كلام صحيح مع التقييد، واللفظ يختلف معناه بالإطلاق /والتقييد، فإذا وصل بالكلام ما يغير معناه كالشرط والاستثناء ونحوهما من التخصيصات المتصلة كقوله : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ﴾ [العنكبوت : ١٤] كان هذا المجموع دالا على تسعمائة وخمسين سنة بطريق الحقيقة عند جماهير الناس .

ومن قال : إن هذا مجاز فقد غلط؛ فإن هذا المجموع لم يستعمل في غير موضعه وما يقترن باللفظ من القرائن اللفظية الموضوعة هي من تمام الكلام؛ ولهذا لا يحتمل الكلام معها معنيين، ولا يجوز نفي مفهومهما، بخلاف استعمال لفظ الأسد في الرجل الشجاع، مع أن قول القائل : هذا اللفظ حقيقة، وهذا مجاز، نزاع لفظي، وهو مستند من أنكر المجاز في اللغة أو في القرآن، ولم ينطق بهذا أحد من السلف والأئمة، ولم يعرف لفظ المجاز في كلام أحد من الأئمة إلا في كلام الإمام أحمد، فإنه قال فيما كتبه من [الرد على الزنادقة والجهمية] هذا من مجاز القرآن . وأول من قال ذلك مطلقا أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه الذي صنفه في [مجاز القرآن] ، ثم إن هذا كان معناه عند الأولين مما يجوز في اللغة ويسوغ، فهو مشتق عندهم من الجواز كما يقول الفقهاء : عقد لازم وجائز، وكثير من المتأخرين جعله من الجواز

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١/١٥٥

الذي هو العبور من معنى الحقيقة إلى معنى المجاز، ثم إنه لا ريب أن المجاز قد يشيع ويشتهر حتى يصير حقيقة .

". (١)

"ومن هنا **غلط** من غلط، فظن أن القرآن في المصحف كالأعيان في الورق، فظن أن قوله : ﴿ إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون ﴾ [الواقعة : ٧٧، ٧٨] كقوله : ﴿ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الأعراف : ١٥٧] فجعل إثبات القرآن الذي هو كلام الله في المصاحف كإثبات الرسول في المصاحف، وهذا غلط؛ إثبات القرآن كإثبات اسم الرسول هذا كلام وهذا كلام، وأما إثبات اسم الرسول فهذا كإثبات الأعمال، أو كإثبات القرآن في /زبر الأولين، قال تعالى : ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ [القمر : ٥٢] وقال تعالى : ﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ [الشعراء : ١٩٦] فثبوت الأعمال في الزبر وثبوت القرآن في زبر الأولين هو مثل كون الرسول مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل؛ ولهذا قيد ـ سبحانه ـ هذا بلفظ [الزبر] و [الكتب] زبر . يقال : زبرت الكتاب : إذا كتبته، والزبور بمعنى المزبور أي المكتوب، فالقرآن نفسه ليس عند بني إسرائيل ولكن ذكره،كما أن محمدا نفسه ليس عندهم ولكن ذكره، فثبوت الرسول في كتبهم كثبوت القرآن في كتبهم، بخلاف ثبوت القرآن في اللوح المحفوظ وفي المصاحف؛ فإن نفس القرآن أثبت فيها، فمن جعل هذا مثل هذا كان ضلاله بينا، وهذا مبسوط في موضعه .

". (٢)

"وقد بسطت الكلام في هذه المواضع، التي هي محارات العقول، التي اضطربت فيها الخلائق في الموضع الذي يليق به؛ فإن هذا جواب فتيا لا يليق به إلا التنبيه على جمل الأمور، وإثبات وجوب نسبة الكلام إلى من بدأ منه لفظه ومعناه دون من بلغه عنه وأداه، وأنه كلام المتصف به مبتدئا حقيقة، سواء سمع منه أو سمع ممن بلغه وأداه بفعله وصوته، مع العلم بأن أفعال العباد وصفاتهم مخلوقة، وأن قول الله ورسوله والمؤمنين : هذا كلام الله، وما بين اللوحين كلام الله حقيقة لا ريب فيه، وأن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه ويحفظونه هو كلام الله ـ تعالى ـ وكلام الله حيث تصرف غير مخلوق . وأما ما اقترن بتبليغه وقراءته من أفعال العباد، وصفاتهم فإنه مخلوق .

لكن هذا الموضع فيه اشتباه وإشكال لا تحتمل تحريره وبسطه هذه الفتوى؛ لأن صاحبها مستوفز عجلان

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢٣٣/١

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢٤٤/١

يريد أخذها؛ ولأن في / ذلك من الدقة والغموض ما يحتاج إلى ذكر النصوص، وبيان معانيها، وضرب الأمثال التي توضح حقيقة الأمر، وليس هذا موضعه .

بل الذي يعلم من حيث الجملة، أن الإمام أحمد والأئمة الكبار الذين لهم في الأمة لسان صدق عام، لم يتنازعوا في شيء من هذا الباب، بل كان بعضهم أعظم علما به وقياما بواجبه من بعض . وقد **غلط** في بعض ذلك من أكابر الناس جماعات . وقد رد الإمام أحمد عامة البدع في هذا الباب هو والأئمة .

فأول ما ابتدع الجهمية القول بخلق القرآن و نفي الصفات، فأنكرها من كان في ذلك الوقت من التابعين ثم تابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة وكفروا قائلها . ثم ابتدع بعض أهل الحديث والكلام ـ الذين ناظروا الجهمية ـ القول بأن القرآن المنزل مخلوق، أو أنه ليس بكلام الله، أو أنه ليس في المصاحف ولا في الصدور، وأنكر بعضهم أن تكون حروف القرآن كلام الله، أو أن يكون الله تكلم بالصوت، وأنكر الإمام أحمد وأئمة وقته ذلك .

". (١)

"هو كلام لبيد كيفما أنشده الناس وكتبوه، فهذا الشعر الذي ينشده هو شعر لبيد بعينه . فإذا قيل : الشعر الذي قام بنا هو الذي قام بلبيد . قيل : إن أريد بذلك أن الشعر من حيث هو هو، إن أريد : أن نفس ما قام بذاته فارق ذاته وانتقل إلينا، فليس كذلك، وكذلك إن أريد : أن عين الصفة المختصة بذلك الشخص كحركته وصوته هي عين الصفة المختصة بنا، كحركتنا وصوتنا فليس كذلك .

فقولك : هذا هو هذا، لفظ فيه إجمال يبينه السياق . فإذا قلت : هذا الكلام هو ذاك، أو هذا الشعر هو ذاك، كنت صادقا . وإذا قلت : هذا الصوت هو ذاك، كان كذبا .

والناس لا يقصدون، إذا قالوا : هذا شعر لبيد، إلا القدر المتحد، / وهي الحقيقة من حيث هي، مع قصر النظر عما اختص به أحدهما .

فإن قيل : القدر المتحد كلى مطلق، والكليات إنما توجد في الأذهان لا في الأعيان . قيل : ذكر هذا هنا غلط، فإن هذا إنما يقال لو كان رجل قد قال شعر لبيد من غير أن يعلم بشعره . فنقول : هذان شيئان اشتركا في النوع الكلي، وامتاز أحدهما عن الآخر بما يخصه، والكلى إنما يوجد كليا في الذهن لا في الخارج، وأما هنا فنفس شعره كان له وجود في الخارج، والمقصود من الحقيقة الكلامية ـ مع قطع النظر عن صوت زيد وصوت عمرو ـ موجود لما تكلم به لبيد، وموجود إذا أنشده غير لبيد، وتلك الحقيقة المتحدة

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٥٦/١

موجودة هنا وهنا، ليست مثل وجود الإنسانية في زيد وعمرو وخالد؛ فإن إنسانية زيد ليست إنسانية عمرو بل مثلها، والمشترك بينهما لا يوجد في الخارج، وهنا نفس الكلام الذي تكلم به لبيد تكلم به المنشد عنه، ولا يقال : إنه أنشأ مثله، ولا أنشد مثله، بل يقال : أنشد شعره بعينه .

". (١)

"فإن القرآن كلام، والكلام نفسه يكتب في المصحف، بخلاف الأعيان؛ فإنه إنما يكتب اسمها وذكرها،فالرسول مكتوب في التوراة والإنجيل ذكره ونعته، كما أن القرآن في زبر الأولين، وكما أن أعمالنا في الزبر، قال تعالى : ﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ [الشعراء : ١٩٦] ، وقال تعالى : ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ [القمر : ٥٢] ، ومحمد مكتوب في التوراة والإنجيل، كما أن القرآن في تلك الكتب، وكما أن أعمالنا في الكتب، وأما القرآن فهو نفسه مكتوب في المصاحف، ليس المكتوب ذكره والخبر عنه، كما يكتب اسم الله في الورق، ومن لم يفرق بين كتابة الأسماء والكلام، وكتابة المسميات والأعيان . كما جرى لطائفة من الناس . فقد غلط غلطا سوى فيه بين الحقائق المختلفة، كما قد /يجعل مثل هؤلاء الحقائق المختلفة شيئا واحدا، كما قد جعلوا جميع أنواع الكلام معنى واحدا .

وكلام المتكلم يسمع تارة منه، وتارة من المبلغ، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال : (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه) . فهذا الكلام قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه؛ فلفظه لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعناه معنى الرسول، فإذا بلغه المبلغ عنه بلغ كلام الرسول بلفظه ومعناه؛ ولكن صوت الصحابي المبلغ ليس هو صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالقرآن كلام الله، لفظه ومعناه، سمعه منه جبريل، وبلغه عن الله إلى محمد، ومحمد سمعه من جبريل وبلغه إلى أمته، فهو كلام الله حيث سمع وكتب وقرئ، كما قال تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ [التوبة : ٦] .

". (٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٦٤/١

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٧٧/١

"وأما التلاوة في نفسها، التي هي حروف القرآن وألفاظه، فهي غير مخلوقة، والعبد إنما يقرأ كلام الله بصوته، كما أنه إذا قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنيات) فهذا الكلام لفظه ومعناه إنما هو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قد بلغه بحركته وصوته، كذلك القرآن لفظه ومعناه كلام الله ـ تعالى ـ ليس للمخلوق فيه إلا تبليغه وتأديته وصوته، وما يخفى على لبيب الفرق بين التلاوة في نفسها، قبل أن يتكلم بها الخلق، وبعد أن يتكلموا بها، وبين ما للعبد في تلاوة القرآن من عمل وكسب، وإنما **غلط** بعض الموافقين والمخالفين، فجعلوا البابين بابا واحدا، وأرادوا أن يستدلوا على نفس حدوث حروف القرآن بما دل على حدوث أفعال العباد وما تولد عنها، وهذا من أقبح الغلط، وليس في الحجج العقلية، ولا السمعية، ما يدل على حدوث نفس حروف القرآن، إلا من جنس ما يحتج به على حدوث معانيه . والجواب عن الحجج مثل الجواب عن هذه لمن استهدى الله فهداه .

وأما ما ذكره من آيات الصفات وأحاديثها، فمذهب سلف الأمة ـ من الصحابة والتابعين، وسائر الأئمة المتبوعين ـ الإقرار والإمرار . قال / أبو سليمان الخطابي [هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب) له مصنفات كثيرة منها : [معالم السنن] في شرح سنن أبي داود، و [بيان إعجاز القرآن] ، توفى سنة ٣٨٨هـ] ، وأبو بكر الخطيب : مذهب السلف في آيات الصفات، وأحاديث الصفات، إجراؤها على ظاهرها مع نفي الكيفية، والتشبيه عنها . وقالا في ذلك : إن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يحتذى فيه حذوه، ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات ذاته إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إثبات وجود لا إثبات كيفية، فلا نقول : إن معنى اليد القدرة، ولا إن معنى السمع العلم، هذا كلامهما .

". (١)

"وأيضا، فمن وجب عليه الحج والزكاة أو الجهاد يجب عليه من الإيمان أن يعلم ما أمر به ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره إلا مجملا، وهذا يجب عليه فيه الإيمان المفصل، وكذلك الرجل أول ما يسلم إنما يجب عليه الإقرار المجمل، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤديها، فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الإيمان، وهذا من أصول **غلط** المرجئة؛ فإنهم ظنوا أنه شيء واحد وأنه يستوى فيه جميع المكلفين، فقالوا : إيمان الملائكة والأنبياء وأفسق الناس سواء؛ كما أنه إذا تلفظ الفاسق

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١/٤٨٣

بالشهادتين أو قرأ فاتحة الكتاب كان لفظه كلفظ غيره من الناس .
فيقال لهم : قد تبين أن الإيمان الذي أوجبه الله على عباده يتنوع ويتفاضل ويتباينون فيه تباينا عظيما، فيجب على الملائكة من الإيمان ما لا يجب على البشر، ويجب على الأنبياء من الإيمان ما لا يجب على غيرهم،ويجب على العلماء ما لا يجب على غيرهم، ويجب على الأمراء ما لا يجب على غيرهم، وليس المراد أنه يجب عليهم من العمل فقط، بل ومن التصديق والإقرار .
فإن الناس . وإن كان يجب عليهم الإقرار المجمل بكل ما جاء به الرسول . فأكثرهم لا يعرفون تفصيل كل ما أخبر به، وما لم يعلموه كيف يؤمرون بالإقرار به مفصلا، وما لم يؤمر به العبد من الأعمال لا يجب عليه معرفته ومعرفة الأمر به، فمن أمر بحج وجب عليه معرفة ما أمر به من أعمال الحج والإيمان بها، فيجب عليه من الإيمان والعمل ما لا يجب على غيره، وكذلك من أمر بالزكاة يجب عليه معرفة ما أمر الله به من الزكاة، ومن الإيمان بذلك والعمل به ما لا يجب على غيره، فيجب عليه من العلم والإيمان والعمل مالا يجب على غيره إذا جعل العلم والعمل ليسا من الإيمان،وإن جعل جميع ذلك داخلا في مسمى الإيمان كان أبلغ، فبكل حال قد وجب عليه من الإيمان ما لا يجب على غيره .
". (١)

"وأصل هؤلاء : أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل، بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع العباد فيما أوجبه الرب من الإيمان، وفيما يفعله العبد من الأعمال، فغلطوا في هذا وهذا ثم تفرقوا، كما تقدم .
وصارت المرجئة على ثلاثة أقوال : فعلماؤهم وأئمتهم أحسنهم قولا؛ وهو أن قالوا : الإيمان تصديق القلب وقول اللسان .
وقالت الجهمية : هو تصديق القلب فقط .
وقالت الكرامية : هو القول فقط، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، لكن إن كان مقرا بقلبه كان من أهل الجنة، وإن كان مكذبا بقلبه كان منافقا مؤمنا من أهل النار . وهذا القول هو الذي اختصت به الكرامية وابتدعته، ولم يسبقها أحد إلى هذا القول، وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان . وبعض الناس يحكي عنهم أن من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة، وهو **غلط** عليهم، بل يقولون : إنه مؤمن كامل الإيمان، وأنه من أهل النار، فيلزمهم أن يكون المؤمن ال كامل الإيمان معذبا في النار، بل يكون مخلدا فيها . وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه : (يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢/٤٥

إيمان) .

وإن قالوا : لا يخلد وهو منافق، لزمهم أن يكون المنافقون يخرجون من النار، والمنافقون قد قال الله فيهم : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾ [النساء : ١٤٥] ،وقد نهى الله نبيه عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم،وقال له : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله ﴾ [التوبة : ٨٠] ،وقال : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ [التوبة : ٨٤] ، وقد أخبر أنهم كفروا بالله ورسوله .

". (١)

"فهؤلاء يحتاجون إلى الفرقان الإيماني القرآني النبوي الشرعي أعظم من حاجة غيرهم، وهؤلاء لهم حسيات يرونها ويسمعونها، والحسيات يضطر إليها الإنسان بغير اختياره،كما قد يرى الإنسان أشياء ويسمع أشياء بغير اختياره،كما أن النظار لهم قياس ومعقول، وأهل السمع لهم أخبار منقولات، وهذه الأنواع الثلاثة هي طرق العلم : الحس والخبر والنظر، وكل إنسان يستدل من هذه الثلاثة في بعض الأمور، لكن يكون بعض الأنواع أغلب على بعض الناس في الدين وغير الدين، كالطب فإنه تجربات وقياسات، وأهله منهم من تغلب عليه التجربة ومنهم من يغلب عليه القياس، والقياس أصله التجربة، والتجربة لابد فيها من قياس، لكن مثل قياس العاديات لا تعرف فيه العلة والمناسبة، وصاحب القياس من يستخرج العلة المناسبة ويعلق الحكم بها، والعقل خاصة القياس والاعتبار والقضايا الكلية، فلا بد له من الحسيات التي هي الأصل ليعتبر بها، و الحس إن لم يكن مع صاحبه عقل وإلا فقد **يغلط** .

والناس يقولون : **غلط** الحس . **والغلط** تارة من الحس، وتارة من صاحبه؛ فإن الحس يرى أمرا معينا، فيظن صاحبه فيه شيئا آخر فيؤتي من ظنه، فلابد له من العقل .

". (٢)

"وهؤلاء الذين لهم مكاشفات ومخاطبات يرون ويسمعون ما له وجود في الخارج، وما لا يكون موجودا إلا في أنفسهم كحال النائم، وهذا يعرفه كل أحد، ولكن قد يرون في الخارج أشخاصا يرونها عيانا، وما في خيال الإنسان لا يراه غيره ويخاطبهم أولئك الأشخاص، ويحملونهم ويذهبون بهم إلى عرفات فيقفون بها، وإما إلى غير عرفات، ويأتونهم بذهب وفضة، وطعام ولباس، وسلاح وغير ذلك، ويخرجون إلى الناس

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٨/٢

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٦٥/٢

ويأتونهم أيضا بمن يطلبونه، مثل من يكون له إرادة في امرأة أو صبي، فيأتونه بذلك إما محمولا في الهواء وإما بسعي شديد، ويخبر أنه وجد في نفسه من الباعث القوي ما لم يمكنه المقام معه أو يخبر أنه سمع خطابا، وقد يقتلون له من يريد قتله من أعدائه أو يمرضونه . فهذا كله موجود كثيرا، لكن من الناس من يعلم أن هذا من الشيطان، وأنه من السحر، وأن ذلك حصل بما قاله وعمله من السحر .

ومنهم من يعلم أن ذلك من الجن، ويقول : هذا كرامة أكرمنا بتسخير الجن لنا، ومنهم من لا يظن أولئك الأشخاص إلا آدميين أو ملائكة، فإن كانوا غير معروفين قال : هؤلاء رجال الغيب، وإن تسموا فقالوا : هذا هو الخضر، وهذا هو إلياس، وهذا هو أبو بكر وعمر، وهذا هو الشيخ عبد القادر أو الشيخ عدي أو الشيخ أحمد الرفاعي أو غير ذلك، ظن أن الأمر كذلك .

فهنا لم يغلط لكن غلط عقله حيث لم يعرف أن هذه شياطين تمثلت على صور هؤلاء، وكثير من هؤلاء يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أو غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة، ومن يرى ذلك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الشيخ وهو صادق في أنه إياه من قال : إنه النبي، أو الشيخ، أو قيل له ذلك فيه، لكن غلط حيث ظن صدق أولئك .

". (١)

"كما جرى مثل هذا لي . كنت في مصر في قلعتها، وجرى مثل هذا إلى كثير من الترك من ناحية المشرق، وقال له ذلك الشخص : أنا ابن تيمية، فلم يشك ذلك الأمير أني أنا هو، وأخبر بذلك ملك ماردين، وأرسل بذلك ملك ماردين إلى ملك مصر رسولا وكنت في الحبس، فاستعظموا ذلك وأنا لم أخرج من الحبس، ولكن كان هذا جنيا يحبنا فيصنع بالترك التتر مثل ما كنت أصنع بهم؛ لما جاؤوا إلى دمشق : كنت أدعوهم إلى الإسلام، فإذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ما تيسر، فعمل معهم مثل ما كنت أعمل، وأراد بذلك إكرامي ليظن ذاك أني أنا الذي فعلت ذلك .

قال لي طائفة من الناس : فلم لا يجوز أن يكون ملكا ؟ قلت : لا . إن الملك لا يكذب، وهذا قد قال : أنا ابن تيمية، وهو يعلم أنه كاذب في ذلك .

وكثير من الناس رأى من قال : إني أنا الخضر، وإنما كان جنيا .

ثم صار من الناس من يكذب بهذه الحكايات إنكارا لموت الخضر، والذين قد عرفوا صدقها يقطعون بحياة الخضر، وكلا الطائفتين مخطئ، فإن الذين رأوا من قال : إني أنا الخضر، هم كثيرون صادقون،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢/٦٧

والحكايات متواترات، لكن أخطؤوا في ظنهم أنه الخضر، وإنما كان جنيا؛ ولهذا يجري مثل هذا لليهود والنصارى، فكثيرا ما يأتيهم في كنائسهم من يقول : إنه الخضر، وكذلك اليهود يأتيهم في كنائسهم من يقول : إنه الخضر، وفي ذلك من الحكايات الصادقة ما يضيق عنه هذا الموضع، يبين صدق من رأى شخصا وظن أنه الخضر، وأنه **غلط** في ظنه أنه الخضر، وإنما كان جنيا، وقد يقول : أنا المسيح، أو موسى، أو محمد، أو أبو بكر، أو عمر، أو الشيخ فلان، فكل هذا قد وقع، والنبي صلى الله عليه وسلم قال : (من رآني في المنام فقد رآني حقا،فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي) . قال ابن عباس : في صورته التي كان عليها في حياته . وهذه رؤية في المنام، وأما في اليقظة فمن ظن أن أحدا من الموتى يجيء بنفسه للناس عيانا قبل يوم القيامة، فمن جهله أتي .

". (١)

"وكذلك اعتقاد من اعتقد منهم أنه جاء بعد الرفع وكلمهم هو، مثل اعتقاد كثير من مشايخ المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في اليقظة، فإنهم لا يكفرون بذلك، بل هذا كان يعتقده من هو من أكثر الناس اتباعا للسنة واتباعا له، وكان في الزهد والعبادة أعظم من غيره . وكان يأتيه من يظن أنه رسول الله، فهذا **غلط** منه لا يوجب كفره، فكذلك ظن من ظن من الحواريين أن ذلك هو المسيح لا يوجب خروجهم عن الإيمان بالمسيح، ولا يقدح فيما نقلوه عنه، وعمر لما كان يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى، وأنه لا يموت حتى يموت أصحابه . لم يكن هذا قادحا في إيمانه، وإنما كان غلطا ورجع عنه .." (٢)

"ثم لو قدر أن هذا هو الخالق فهذا غير الأعيان الموجودة المخلوقة، فقد ثبت وجودان أحدهما غير الآخر، وأحدهما محدث مخلوق، فيكون الآخر الخالق غير المخلوق، ولا يمكن جحد وجود الأعيان المعينة، ولكن الواحد من هؤلاء قد يغيب عن شهود المغيبات كما يغيب عن شهود نفسه، فيظن أن ما لم يشهده قد عدم في نفسه وفنى وليس كذلك، فإن ما عدم وفنى شهوده له وعلمه به ونظره إليه، فالمعدوم الفاني صفة هذا الشخص، وإلا فالموجودات في نفسها باقية على حالها لم تتغير، وعدم العلم ليس علما بالمعدوم، وعدم المشهود ليس شهودا للعدم، ولكن هذه الحال يعترى كثيرا من السالكين يغيب أحدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات، وقد يسمون هذا فناء واصطلاما، وهذا فناء عن شهود تلك

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢/٨٠

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢/٩٤

المخلوقات، لا أنها في نفسها فنيت، ومن قال : فنى ما لم يكن وبقى مالم يزل، فالتحقيق - إذا كان صادقا - أنه فني شهوده لما لم يكن، وبقى شهوده لما لم يزل . لا أن ما لم يكن فني في نفسه، فإنه باق موجود، ولكن يتوهمون إذا لم يشهدوه أنه قد عدم في نفسه .

ومن هنا دخلت طائفة في الاتحاد والحلول، فأحدهم قد يذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله ويستغرق في ذلك فلا يبقى له مذكور مشهود لقلبه إلا الله، ويفنى ذكره وشهوده لما سواه، فيتوهم أن الأشياء قد فنيت، وأن نفسه فنيت حتى يتوهم أنه هو الله، وأن الوجود هو الله .

ومن هذا الباب **غلط** أبي يزيد ونحوه حيث قال : ما في الجبة إلا الله .

وقد بسط هذا في غير هذا الموضع، وبين أنه يعبر بالفناء عن ثلاثة أمور :

". (١)

"وقد **غلط** طائفة من أهل الكلام فظنوا أن [الإله] بمعنى الفاعل، وجعلوا الإلهية هي القدرة والربوبية، فالإله هو القادر وهو الرب، وجعلوا العباد مألوهين كما أنهم مربوبون .

فالذين يقولون بوحدة الوجود متنازعون في أمور، لكن إمامهم ابن عربي يقول : الأعيان ثابتة في العدم ووجود الحق فاض عليها؛ فلهذا قال : فنحن جعلناه بمألوهيتنا إلها . فزعم أن المخلوقات جعلت الرب إلها لها حيث كانوا مألوهين . ومعنى مألوهين ـ عنده ـ مربوبين، وكونهم مألوهين حيث كانت أعيانهم ثابتة في العدم . وفي كلامهم من هذا وأمثاله مما فيه تنقص بالربوبية ما لا يحصى، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

". (٢)

"وقد جمع أبو الفضل الفلكي [هو علي بن الحسين الهمذاني، عرف بالفلكي، جمع الحديث وصنف كتبا منها : المنتهى في معرفة الرجال ـ في ألف جزء، وكان صوفيا، توفى بنيسابور سنة سبع وعشرين وأربعمائة] كتابا من كلام أبي يزيد البسطامي سماه [النور من كلام طيفور] فيه شيء كثير لا ريب أنه كذب على أبي يزيد البسطامي، وفيه أشياء من **غلط** أبي يزيد ـ رحمة الله عليه ـ وفيه أشياء حسنة من كلام أبي يزيد، وكل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن قيل له عن أبي يزيد أو غيره من المشائخ : إنه قال لمريديه : إن تركتم أحدا من أمة محمد يدخل النار

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١٦٩/٢

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١٧٤/٢

فأنا منكم بريء، فعارضه الآخر وقال : قلت لمريدي : إن تركتم أحدا من أمة محمد يدخل النار فأنا منكم بريء، فصدق هذا النقل عنه، ثم جعل هذا المصدق لهذا عن أبي يزيد أو غيره يستحسنه ويستعظم حاله، فقد دل على عظيم جهله أو نفاقه؛ فإنه إن كان قد علم ما أخبر به الرسول من دخول من يدخل النار من أهل الكبائر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من يشفع فيهم بعد أن تطلب الشفاعة من الرسل الكبار؛ كنوح وإبراهيم، وموسى وعيسى، فيمتنعون ويعتذرون ، ثم صدق أن مريدي أبي يزيد أو غيره يمنعون أحدا من الأمة من دخول النار، أو يخرجون هم كل من دخلها . كان ذلك كفرا منه بما أخبر به الصادق المصدوق بحكاية منقولة، كذب ناقلها، أو أخطأ قائلها، إن لم يكن تعمد الكذب، وإن كان لا يعلم ما أخبر به الرسول كان من أجهل الناس بأصول الإيمان .

". (١)

"والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته، ومن هنا **غلط** من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض، كما يقولون في قوله : ﴿ لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ﴾ [ص : ٢٤] أي : مع نعاجه و ﴿ من أنصاري إلى الله ﴾ [الصف : ١٤] أي : مع الله ونحو ذلك . والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين، فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه، وكذلك قوله : ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك ﴾ [الإسراء : ٧٣] ضمن معنى يزيغونك ويصدونك، وكذلك قوله : ﴿ ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ [الأنبياء : ٧٧] ، ضمن معنى نجيناه وخلصناه، وكذلك قوله : ﴿ يشرب بها عباد الله ﴾ [الإنسان : ٦] ضمن يروى بها، ونظائره كثيرة .

ومن قال : ﴿ لاريب ﴾ : لا شك، فهذا تقريب، وإلا فالريب فيه اضطراب وحركة، كما قال : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) ، وفي الحديث أنه مر بظبي حاقف [أي : نائم قد انحنى في نومه] فقال : (لا يريبه أحد) ، فكما أن اليقين ضمن السكون والطمأنينة فالريب ضده ضمن الاضطراب والحركة . ولفظ [الشك] وإن قيل : إنه يستلزم هذا المعنى، لكن لفظه لا يدل عليه .

". (٢)

"ولهذا إذا روى الحديث الذي يتأتى فيه ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين، مع العلم بأن أحدهما لم يأخذه عن الآخر، جزم بأنه حق، لا سيما إذا علم أن نقلته ليسوا ممن يتعمد الكذب، وإنما

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢/٢٢٢

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢/٢٩٤

يخاف على أحدهم النسيان والغلط؛ فإن من عرف الصحابة ـ كابن مسعود وأبي بن كعب، وابن عمر، و جابر، وأبي سعيد، وأبي هريرة وغيرهم ـ علم يقينا أن الواحد من هؤلاء لم يكن ممن يتعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضلا عمن هو فوقهم، كما يعلم الرجل من حال من جربه وخبره خبرة باطنة طويلة أنه ليس ممن يسرق أموال الناس، ويقطع الطريق، ويشهد بالزور ونحو ذلك .

وكذلك التابعون بالمدينة ومكة، والشام والبصرة، فإن من عرف مثل أبي صالح السمان، والأعرج، وسليمان بن يسار، وزيد بن أسلم وأمثالهم، علم قطعا أنهم لم يكونوا ممن يتعمد الكذب في الحديث،فضلا عمن هو فوقهم، مثل محمد بن سيرين، والقاسم بن محمد، أو سعيد بن المسيب، أو عبيدة السلماني، أو علقمة، أو الأسود أو نحوهم . وإنما يخاف على الواحد من الغلط؛ فإن الغلط والنسيان كثيرا ما يعرض للإنسان، ومن الحفاظ من قد عرف الناس بعده عن ذلك جدا، كما عرفوا حال الشعبي والزهري وعروة وقتادة والثوري وأمثالهم، لا سيما الزهري في زمانه، والثوري في زمانه، فإنه قد يقول القائل : إن ابن شهاب الزهري لا يعرف له غلط، مع كثرة حديثه وسعة حفظه .

والمقصود أن الحديث الطويل إذا روي ـ مثلا ـ من وجهين مختلفين، من غير مواطأة امتنع عليه أن يكون غلطا، كما امتنع أن يكون كذبا؛ فإن الغلط لا يكون في قصة طويلة متنوعة، وإنما يكون في بعضها، فإذا روى هذا قصة طويلة متنوعة ورواها الآخر مثلما رواها الأول من غير مواطأة امتنع الغلط في جميعها، كما امتنع الكذب في جميعها من غير مواطأة .

". (١)

"ولهذا إنما يقع في مثل ذلك غلط في بعض ما جرى في القصة، مثل حديث اشتراء النبي صلى الله عليه وسلم البعير من جابر؛ فإن من تأمل طرقه علم قطعا أن الحديث صحيح، وإن كانوا قد اختلفوا في مقدار الثمن . وقد بين ذلك البخاري في صحيحه، فإن جمهور ما في البخاري ومسلم مما يقطع بأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله؛ لأن غالبه من هذا النحو؛ ولأنه قد تلقاه أهل العلم بالقبول والتصديق، والأمة لا تجتمع على خطأ، فلو كان الحديث كذبا في نفس الأمر، والأمة مصدقة له قابلة له، لكانوا قد أجمعوا على تصديق ما هو في نفس الأمر كذب، وهذا إجماع على الخطأ وذلك ممتنع، وإن كنا نحن ـ بدون الإجماع ـ نجوز الخطأ أو الكذب على الخبر، فهو كتجويزنا قبل أن نعلم الإجماع على العلم الذي ثبت بظاهر أو

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢/٣٠٠

قياس ظني أن يكون الحق في الباطن، بخلاف ما اعتقدناه، فإذا أجمعوا على الحكم جزمنا بأن الحكم ثابت باطنا وظاهرا .

." (١)

"ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن (خبر الواحد) إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له أو عملا به أنه يوجب العلم، وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه، من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك، ولكن كثيرا من أهل الكلام - أو أكثرهم - يوافقون الفقهاء، وأهل الحديث والسلف على ذلك، وهو قول أكثر الأشعرية، كأبي إسحاق وابن فورك، وأما ابن الباقلاني فهو الذي أنكر ذلك، وتبعه مثل أبي المعالي وأبي حامد وابن عقيل وابن الجوزي وابن الخطيب والآمدي ونحو هؤلاء، والأول هو الذي ذكره الشيخ أبوحامد وأبو الطيب وأبو إسحاق وأمثاله من أئمة الشافعية، وهو الذي ذكره القاضي عبد الوهاب وأمثاله من المالكية، وهو الذي ذكره أبو يعلي وأبو الخطاب، وأبو الحسن ابن الزاغوني، وأمثالهم من الحنبلية، وهو الذي ذكره شمس الدين السرخسي وأمثاله من الحنفية، وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجبا للقطع به، فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم بالحديث، كما أن الاعتبار في الإجماع على الأحكام بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة .

والمقصود هنا أن تعدد الطرق مع عدم التشاعر أو الاتفاق في العادة، يوجب العلم بمضمون المنقول، لكن هذا ينتفع به كثيرا في علم أحوال الناقلين . وفي مثل هذا ينتفع برواية المجهول والسيئ الحفظ، وبالحديث المرسل ونحو ذلك؛ ولهذا كان أهل العلم يكتبون مثل هذه الأحاديث، ويقولون : إنه يصلح للشواهد والاعتبار ما لا يصلح لغيره . قال أحمد : قد أكتب حديث الرجل لأعتبره، ومثل هذا بعبد الله بن لهيعة قاضي مصر؛ فإنه كان من أكثر الناس حديثا ومن خيار الناس، لكن بسبب احتراق كتبه وقع في حديثه المتأخر غلط، فصار يعتبر بذلك ويستشهد به، وكثيرا ما يقترن هو والليث بن سعد والليث حجة ثبت إمام

.

." (٢)

(١) م جموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٠١/٢

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٠٢/٢

"وكما أنهم يستشهدون ويعتبرون بحديث الذي فيه سوء حفظ، فإنهم أيضا يضعفون من حديث الثقة الصدوق الضابط أشياء تبين لهم أنه غلط فيها بأمور يستدلون بها، ويسمون هذا (علم علل الحديث) ، وهو من أشرف علومهم، بحيث يكون الحديث قد رواه ثقة ضابط وغلط فيه، وغلطه فيه عرف؛ إما بسبب ظاهر، كما عرفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال . وأنه صلى في البيت ركعتين . وجعلوا رواية ابن عباس لتزوجها حراما؛ ولكونه لم يصل مما وقع فيه الغلط، وكذلك أنه اعتمر أربع عمر . وعلموا أن قول ابن عمر : إنه اعتمر في رجب، مما وقع فيه الغلط، وعلموا أنه تمتع وهو آمن في حجة الوداع، وأن قول عثمان لعلي : كنا يومئذ خائفين، مما وقع فيه الغلط، وأن ما وقع في بعض طرق البخاري (أن النار لا تمتلئ حتى ينشئ الله لها خلقا آخر) مما وقع فيه الغلط وهذا كثير .

والناس في هذا الباب طرفان :

طرف من أهل الكلام ونحوهم، ممن هو بعيد عن معرفة الحديث وأهله، لا يميز بين الصحيح والضعيف، فيشك في صحة أحاديث، أو في القطع بها، مع كونها معلومة مقطوعا بها عند أهل العلم به .

وطرف ممن يدعي اتباع الحديث والعمل به كلما وجد لفظا في حديث قد رواه ثقة أو رأى حديثا بإسناد ظاهره الصحة، يريد أن يجعل ذلك من جنس ما جزم أهل العلم بصحته، حتى إذا عارض الصحيح المعروف أخذ يتكلف له التأويلات الباردة، أو يجعله دليلا له في مسائل العلم، مع أن أهل العلم بالحديث يعرفون أن مثل هذا غلط .

وكما أن على الحديث أدلة يعلم بها أنه صدق وقد يقطع بذلك، فعليه أدلة يعلم بها أنه كذب ويقطع بذلك، مثل ما يقطع بكذب ما يرويه الوضاعون من أهل البدع والغلو في الفضائل، مثل حديث يوم عاشوراء وأمثاله مما فيه أن من صلى ركعتين كان له كأجر كذا وكذا نبيا .

وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة، مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم .

والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، والواحدي ـ صاحبه ـ كان أبصر منه بالعربية، لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف، والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة .

والموضوعات في كتب التفسير كثيرة، مثل الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة، وحديث على

الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم،ومثل ما روى في قوله : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ [الرعد : ٧] أنه علي ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ [الحاقة : ١٢] أذنك يا علي .." [١]

"إذ من الناس من ادعى فيها الاشتراك،ومنهم من ادعى المجاز، بناء على كونها منقولة من المعنى اللغوى، أو مزيدة، أو على غير ذلك، وليس الأمر كذلك، بل اسم الجنس العام المتواطئ المطلق إذا دل على نوع أو عين، كقولك : هذا الإنسان وهذا الحيوان، أو قولك : هات الحيوان الذى عندك وهى غنم، فهنا اللفظ قد دل على شيئين : على المعنى المشترك الموجود فى جميع الموارد وعلى ما يختص به هذا النوع أو العين، فاللفظ المشترك الموجود في جميع التصاريف على القدر المشترك، وما قرن باللفظ من لام التعريف مثلا أو غيرها دل على الخصوص والتعيين، وكما أن المعنى الكلى المطلق لا وجود له فى الخارج، فكذلك لا يوجد فى الاستعمال لفظ مطلق مجرد عن جميع الأمور المعينة .

فإن الكلام إنما يفيد بعد العقد والتركيب، وذلك تقييد وتخصيص كقولك : أكرم الإنسان أو الإنسان خير من الفرس . ومثله قوله : ﴿ أقم الصلاة ﴾ [الإسراء : ٧٨] ، ونحو ذلك . ومن هنا **غلط** كثير من الناس فى المعانى الكلية، حيث ظنوا وجودها فى الخارج مجردة عن القيود، وفي اللفظ المتواطئ حيث ظنوا تجرده فى الاستعمال عن القيود . والتحقيق : أنه لا يوجد المعنى الكلي المطلق في الخارج إلا معينا مقيدا، ولا يوجد اللفظ الدال عليه في الاستعمال إلا مقيدا مخصصا، وإذا قدر المعنى مجردا كان محله الذهن، وحينئذ يقدر له لفظ مجرد غير موجود فى الاستعمال مجردا .

والمقصود هنا أن اسم الصلاة فيه عموم وإطلاق، ولكن لا يستعمل إلا مقرونا بقيد إنما يختص ببعض موارده كصلواتنا، وصلاة الملائكة، والصلاة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإنما ي**غلط** الناس فى مثل هذا، حيث يظنون أن صلاة هذا الصنف مثل صلاة هذا، مع علمهم بأن هذا ليس مثل هذا، فإذا لم يكن مثله لم يجب أن تكون صلاته مثل صلاته، وإن كان بينهما قدر متشابه، كما قد حققنا هذا فى الرد على الاتحادية والجهمية والمتفلسفة ونحوهم .

." [٢]

"وقد **غلط** فيه طائفة من المصنفين، فقالوا : (حق ما قال العبد) ، وهذا ليس لفظ الرسول . وليس هو بقول سديد؛ فإن العبد يقول الحق والباطل، بل حق ما يقوله الرب، كما قال تعالى : ﴿ فالحق والحق

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٠٣/٢

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢٣/٣

أقول ﴾ [ص : ٨٤] .
ولكن لفظه : (أحق ما قال العبد) خبر مبتدأ محذوف، أي الحمد أحق ما قال العبد، أو هذا ـ وهو الحمد ـ أحق ما قال العبد .
ففيه بيان : أن الحمد لله أحق ما قاله العباد؛ ولهذا أوجب قوله في كل صلاة، وأن تفتتح به الفاتحة، وأوجب قوله في كل خطبة، وفى كل أمر ذي بال .
والحمد ضد الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود، مع المحبة له، كما أن الذم يكون على مساويه، مع البغض له .
فإذا قيل : إنه ـ سبحانه ـ يفعل الخير والحسنات، وهو حكيم رحيم بعباده، أرحم بعباده من الوالدة بولدها ـ أوجب ذلك أن يحبه عباده ويحمدوه .
وأما إذا قيل : بل يخلق ما هو شر محض، لا نفع فيه، ولا رحمة، ولا حكمة لأحد، وإنما يتصف بإرادة ترجح مثلا على مثل، لا فرق عنده بين أن يرحم أو يعذب، وليست نفسه ولا إرادته مرجحة للإحسان إلى الخلق، بل تعذيبهم وتنعيمهم سواء عنده، وهو ـ مع هذا ـ يخلق ما يخلق لمجرد العذاب والشر، ويفعل ما يفعل لا لحكمة ـ ونحو ذلك، مما يقوله الجهمية ـ لم يكن هذا موجبا لأن يحبه العباد ويحمدوه، بل هو موجب للعكس .
ولهذا فإن كثيرا من هؤلاء ينطقون بالذم والشتم والطعن، ويذكرون ذلك نظما ونثرا .
وكثير من شيوخ هؤلاء وعلمائهم من يذكر فى كلامه ما يقتضي هذا، ومن لم يقله بلسانه فقلبه ممتلئ به، لكن يرى أن ليس فى ذكره منفعة، أو يخاف من عموم المسلمين .
وفي شعر طائفة من الشيوخ ذكر نحو هذا .
وهؤلاء يقيمون حجج إبليس وأتباعه على الله، ويجعلون الرب ظالما لهم .
" (١) .

"قال طائفة من السلف : كان أقوام يعبدون المسيح والعزير والملائكة، فبين الله أنهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله، كما بين أنهم لا يملكون الشفاعة، وهذا لا استثناء فيه، وإن كان الله يجيب دعاءهم، ثم قال : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ ، فبين أن هؤلاء المزعومين، الذين يدعونهم من دون الله كانوا يرجون

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣/٩٤

رحمة الله تعالى ويخافون عذابه، ويتقربون إليه بالأعمال الصالحة، كسائر عباده المؤمنين وقد قال تعالى : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ٨٠] .

وللناس فى الشفاعة أنواع من الضلال، قد بسطت في غير هذا الموضع .

فكثير منهم يظن أن الشفاعة هى بسبب اتصال روح الشافع بروح المشفوع له، كما ذكر ذلك أبو حامد الغزالى وغيره، ويقولون : من كان أكثر صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، كان أحق بالشفاعة من غيره،وكذلك من كان أحسن ظنا بشخص، وأكثر تعظيما له، كان أحق بشفاعته .

وهذا غلط، بل هذا هو قول المشركين الذين قالوا : نتولى الملائكة ليشفعوا لنا، يظنون أن من أحب أحدا، من الملائكة والأنبياء والصالحين وتولاه، كان ذلك سببا لشفاعته له . وليس الأمر كذلك بل الشفاعة سببها توحيد الله وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له، فكل من كان أعظم إخلاصا كان أحق بالشفاعة، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة؛ فإن الشفاعة من الله مبدؤها، وعلى الله تعالى تمامها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذى يأذن للشافع، وهو الذى يقبل شفاعته فى المشفوع له .

" (١).

"فهو صلى الله عليه وسلم يتعلق به أمران عظيمان :

أحدهما : إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله، وهذا مختص به .

والثاني : تصديقه فيما جاء به، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه، وهذا يجب عليه وعلى كل أحد، فإنه قد يوجد فيمن يرسله المخلوق من يصدق في رسالته، لكنه لا يتبعها، إما لطعنه في المرسل، وإما لكونه يعصه، وإن كان قد أرسل بحق، فالملوك كثيرا ما يرسلون رسولا بكتب وغيرها يبلغ الرسل رسالتهم، فيصدقون بها . ثم قد يكون الرسول أكثر مخالفة لمرسله من غيره من المرسل إليهم؛ ولهذا ظن طائفة ـ منهم القاضي أبو بكر ـ أن مجرد كونه رسولا لله لا يستلزم المدح، ثم قال : إن هذا قد يقال فيمن قبل الرسالة وبلغها، وفيمن لم يقبل،لكن هذا غلط، فإن الله لا يرسل رسولا إلا وقد اصطفاه، فيبلغ رسالات ربه . ورسل الله /هم أطوع الخلق لله وأعظم إيمانا بما بعثوا به،بخلاف المخلوق فإنه يرسل من يكذب عليه، ومن يعصيه، ومن لا يعتقد وجوب طاعته والخالق منزه عن ذلك .

لكن هؤلاء الذين قالوا هذا، يجوزون على الرب أن يرسل كل أحد بكل شيء، ليس في العقل عندهم ما

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١٦٨/٣

يمنع ذلك، وإنما ينزهون الرسل عما أجمع المسلمون على تنزيههم عنه عندهم، مما ثبت بالسمع لا من جهة كونه رسولا، كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع، وبين أن هذا الأصل خطأ .

ولما كان هو صلي الله عليه وسلم يتعلق به الأمران : في الأول : يقال : آمنت له، كما قال تعالي : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ﴾ [يونس : ٨٣] ، وقوله : ﴿ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾ [التوبة : ٦١] ، ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ [يوسف : ١٧] .

". (١)

"وهذا يبين أن المصاحف التي نسخت كانت مصاحف متعددة، وهذا معروف مشهور، وهذا مما يبين غلط من قال في بعض الألفاظ : إنه غلط من الكاتب، أو نقل ذلك عن عثمان، فإن هذا ممتنع لوجوه :

منها : تعدد المصاحف، واجتماع جماعة على كل مصحف، ثم وصول كل مصحف إلى بلد كبير فيه كثير من الصحابة والتابعين يقرؤون القرآن ويعتبرون ذلك بحفظهم، والإنسان إذا نسخ مصحفا غلط في بعضه عرف غلطه بمخالفة حفظه القرآن وسائر المصاحف، فلو قدر أنه / كتب كاتب مصحفا ثم نسخ سائر الناس منه من غير اعتبار للأول والثاني، أمكن وقوع الغلط في هذا، وهنا كل مصحف إنما كتبه جماعة ووقف عليه خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقل منهم، ولو قدر أن الصحيفة كان فيها لحن فقد كتب منها جماعة لا يكتبون إلا بلسان قريش، ولم يكن لحنا، فامتنعوا أن يكتبوه إلا بلسان قريش، فكيف يتفقون كلهم على أن يكتبوا : ﴿ إن هذان ﴾ ، وهم يعلمون أن ذلك لحن لا يجوز في شيء من لغاتهم، أو : ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ ، وهم يعلمون أن ذلك لحن، كما زعم بعضهم .

قال الزجاج في قوله : ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ : قول من قال : إنه خطأ . بعيد جدا، لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والقدوة، فكيف يتركون شيئا يصلحه غيرهم، فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم، وقال ابن الأنباري : حديث عثمان لا يصح؛ لأنه غير متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيئا ليصلحه من بعده .

". (٢)

"/ وحينئذ، فالذي يجب أن يقال : إنه لم يثبت أنه لغة قريش، بل ولا لغة سائر العرب : أنهم ينطقون في الأسماء المبهمة إذا ثنيت بالياء، وإنما قال ذلك من قاله من النحاة قياسا، جعلوا باب التثنية في الأسماء

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢٩٤/٣

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤١٧/٣

المبهمة كما هو في سائر الأسماء، وإلا فليس في القرآن شاهد يدل على ما قالوه، وليس في القرآن اسم مبهم مبني في موضع نصب أو خفض إلا هذا، ولفظه : ﴿ هذان ﴾ ، فهذا نقل ثابت متواتر لفظا ورسما

.

ومن زعم أن الكاتب غلط فهو الغالط غلطا منكرا، كما قد بسط في غير هذا الموضع، فإن المصحف منقول بالتواتر، وقد كتبت عدة مصاحف، وكلها مكتوبة بالألف، فكيف يتصور في هذا غلط .

وأيضا، فإن القراء إنما قرؤوا بما سمعوه من غيرهم، والمسلمون كانوا يقرؤون (سورة طه) ، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وهي من أول ما نزل من القرآن، قال ابن مسعود : بنو إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول، وهن من تلادي . رواه البخاري عنه . وهي مكية باتفاق الناس، قال أبو الفرج وغيره : هي مكية بإجماعهم، بل هي من أول ما نزل، وقد روي : أنها كانت مكتوبة عند أخت عمر، وأن سبب إسلام عمر كان لما بلغه إسلام أخته، وكانت السورة تقرأ عندها

.

". (١)

"/ فالصحابة لابد أن قد قرؤوا هذا الحرف، ومن الممتنع أن يكونوا كلهم قرؤوه بالياء كأبي عمرو، فإنه لو كان كذلك لم يقرأها أحد إلا بالياء، ولم تكتب إلا بالياء، فعلم أنهم أو غالبهم كانوا يقرؤونها بالألف كما قرأها الجمهور، وكان الصحابة بمكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة يقرؤون هذه السورة في الصلاة وخارج الصلاة، ومنهم سمعها التابعون، ومن التابعين سمعها تابعوهم، فيمتنع أن يكون الصحابة كلهم قرؤوها بالياء مع أن جمهور القراء لم يقرؤوها إلا بالألف، وهم أخذوا قراءتهم عن الصحابة، أو عن التابعين عن الصحابة، فهذا مما يعلم به قطعا أن عامة الصحابة إنما قرؤوها بالألف كما قرأ الجمهور، وكما هو مكتوب

.

وحينئذ، فقد علم أن الصحابة إنما قرؤوا كما علمهم الرسول، وكما هو لغة للعرب، ثم لغة قريش، فعلم أن هذه اللغة الفصيحة المعروفة عندهم في الأسماء المبهمة تقول : إن هذان، ومررت بهذان : تقولها في الرفع والنصب والخفض بالألف، ومن قال : إن لغتهم أنها تكون في الرفع بالألف، طولب بالشاهد على ذلك والنقل عن لغتهم المسموعة منهم نثرا ونظما، وليس في القرآن ما يشهد له، ولكن عمدته القياس .

وحينئذ، فنقول :

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤١٩/٣

/ قياس (هذا) بغيرها من الأسماء غلط،فإن الفرق بينهما ثابت عقلا وسماعا : أما النقل والسماع فكما ذكرناه، وأما العقل والقياس فقد تفطن للفرق غير واحد من حذاق النحاة، فحكي ابن الأنباري وغيره عن الفراء قال : ألف التثنية في (هذان) هي ألف هذا، والنون فرقت بين الواحد والاثنين، كما فرقت بين الواحد والجمع نون الذين، وحكاه المهدوي وغيره عن الفراء، ولفظه قال : إنه ذكر أن الألف ليست علامة التثنية، بل هي ألف هذا، فزدت عليها نونا، ولم أغيرها، كما زدت على الياء من الذي، فقلت : الذين في كل حال، قال : وقال بعض الكوفيين : الألف في هذا مشبهة يفعلان، فلم تغير كما لم تغير .

". (١)

"وكذلك روي عن أبي هريرة وابن عباس قالا : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال في خطبته : (من نكح امرأة في دبرها / أو غلاما ، أو رجلا : حشر يوم القيامة أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتي يدخله الله نار جهنم، ويحبط الله عمله، ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا، ويجعل في تابوت من نار، ويسمر عليه بمسامير من حديد، فتشك تلك المسامير في وجهه وجسده) قال أبو هريرة : هذا لمن لم يتب، وذلك أن تارك اللواط متطهر كما دل عليه القرآن، ففاعله غير متطهر من ذلك فيكون متنجسا، فإن ضد الطهارة النجاسة، لكن النجاسة أنواع مختلفة تختلف أحكامها .

ومن هاهنا **غلط** بعض الناس من الفقهاء، فإنهم لما رأوا ما دل عليه القرآن من طلب طهارة الجنب بقوله : ﴿ وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ [المائدة : ٦] ، قالوا : فيكون الجنب نجسا، وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن المؤمن لا ينجس) . لما انخنس منه وهو جنب، وكره أن يجالسه، فهذه النجاسة التي نفاها النبي صلى الله عليه وسلم هي نجاسة الطهارة بالماء التي ظنها أبو هريرة، والجنابة تمنع الملائكة أن تدخل بيتا فيه جنب، وقال أحمد : إذا وضع الجنب يده في ماء قليل أنجس الماء، فظن بعض أصحابه أنه أراد النجاسة الحسية، وإنما أراد الحكمية، فإن الفرع لا يكون أقوي من الأصل، ولا يكون الماء أعظم من البدن، بل غايته أن يقوم به المانع الذي قام بالبدن، والجنب ظاهره ممنوع من الصلاة، فيكون الماء كذلك طاهرا لا يتوضأ به للصلاة .

". (٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٢٠/٣

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٧/٤

"فبهذا وأمثاله يصححون قول فرعون : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ ، وينكرون أن يكون الله عاليا، فضلا عن أن يكون هو الأعلى، ويقولون : على من يكون أعلي، أو : عما ذا يكون أعلي ؟

وهكذا سائر الجهمية يصفون بالعلو ـ على وجه المدح ـ ما هو عال من المخلوقات، كالسماء، والجنة، والكواكب، ونحو ذلك . ويعلمون أن العالي أفضل من السافل، وهم لا يصفون ربهم بأنه الأعلى، ولا العلي، بل يجعلونه في السافلات كما هو في العاليات .

والجهمية الذين يقولون : ليس هو داخل العالم ولا خارجه، ولا يشار إليه البتة، هم أقرب إلى التعطيل والعدم، كما أن أولئك أقرب إلى الحلول والاتحاد بالمخلوقات . فهؤلاء يثبتون موجودا لكنه في الحقيقة المخلوق لا الخالق، وأولئك ينفون فلا يثبتون وجودا البتة، لكنهم / يثبتون وجود المخلوقات، ويقولون : إنهم يثبتون وجود الخالق .

وإذا قالوا : نحن نقول : هو عال بالقدرة أو بالقدر، قيل : هذا فرع ثبوت ذاته وأنتم لم تثبتوا موجودا يعرف وجوده فضلا عن أن يكون قادرا أو عظيم القدر .

وإذا قالوا : كان الله قبل خلق الأمكنة والمخلوقات موجودا، وهو الآن على ما عليه كان لم يتغير، ولم يكن هناك فوق شيء ولا عاليا على شيء فذلك هو الآن، قيل : هذا غلط، ويظهر فساده بالمعارضة ثم بالحل وبيان فساده .

أما الأول : فيلزمهم ألا يكون الآن عاليا بالقدرة ولا بالقدر كما كان في الأزل . فإنه إذا قدر وجوده وحده فليس هناك موجود يكون قادرا عليه ولا قاهرا له ولا مستوليا عليه، ولا موجودا يكون هو أعظم قدرا منه .

فإن كان مع وجود المخلوقات لم يتجدد له علو عليها كما زعموا، فيجب أن يكون بعدها ليس قاهرا لشيء ولا مستوليا عليه، ولا قاهرا لعباده، ولا قدره أعظم من قدرها . وإذا كانوا يقولون ـ هم وجميع العقلاء ـ إنه مع وجود المخلوق يوصف بأمور إضافية لا يوصف / بها إذا قدر موجودا وحده علم أن التسوية بين الحالين خطأ منهم .

." (١)

"/ وحكى الماوردي [هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى أقضى قضاة عصره، ولد بالبصرة عام ٣٦٤هـ، وانتقل إلى بغداد، وولى القضاء في أيام القائم بأمر الله العباسى، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، ووفاته ببغداد عام ٤٥٠هـ، من كتبه : [أدب الدنيا والدين] و [الأحكام السلطانية]

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١٧٠/٤

وغيرها] أنها بمعنى [ما] . وهذه تكون [ما] المصدرية، وهي بمعنى الظرف، أي : ذكر ما نفعت، ما دامت تنفع . ومعناها قريب من معنى الشرطية .

وأما إن ظن ظان أنها نافية فهذا **غلط** بين . فإن الله لا ينفي نفع الذكرى مطلقا وهو القائل : ﴿ فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ [الذاريات : ٥٤، ٥٥] ثم قال : ﴿ المؤمنين ﴾ . . . .

وعن . . . ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ : إن قبلت الذكرى . وعن مقاتل : فذكر وقد نفعت الذكرى .

وقيل : ذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع . قاله طائفة، أولهم الفراء، واتبءه جماعة، منهم النحاس، والزهراوى، والواحدى، والبغوى ولم يذكر غيره . قالوا : وإنما لم يذكر الحال الثانية كقوله : ﴿ سرابيل تقيكم الحر ﴾ [النحل : ٨١] ، وأراد الحر والبرد .

وإنما قالوا هذا؛ لأنهم قد علموا أنه يجب عليه تبليغ جميع الخلق وتذكيرهم سواء آمنوا أو كفروا . فلم يكن وجوب التذكير مختصا بمن / تنفعه الذكرى، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر ﴾ [الغاشية : ٢١، ٢٢] ، وقال : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ [الزخرف : ٤٤] ،وقال : ﴿ ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ [القلم : ٥١، ٥٢] ، وقال : ﴿ ليكون للعالمين نذيرا ﴾ [الفرقان : ١] .

". (١)

"ثم الكلام في علمه بما يفعله هل هو العلم المتقدم بما سيفعله ؟ وعلمه بأن قد فعله هل هو الأول ؟ فيه قولان معروفان . والعقل والقرآن يدل على أنه قدر زائد، كما قال : ﴿ لنعلم ﴾ في بضعة عشر موضعا، وقال ابن عباس : إلا لنرى .

وحينئذ، فإرادة المعين تترجح لعلمه بما في المعين من المعنى المرجح لإرادته . فالإرادة تتبع العلم .

وكون ذلك المعين متصفا بتلك الصفات المرجحة، إنما هو في العلم والتصور، ليس في الخارج شيء .

ومن هنا **غلط** من قال : [المعدوم شيء] ، حيث أثبتوا ذلك المراد في الخارج . ومن لم يثبته شيئا في العلم، أو كان ليس عنده إلا إرادة / واحدة وعلم واحد، ليس للمعلومات والمرادات صورة علمية عند هؤلاء . فهؤلاء نفوا كونه شيئا في العلم والإرادة، وأولئك أثبتوا كونه شيئا في الخارج .

وتلك الصورة العلمية الإرادية حدثت بعد أن لم تكن . وهي حادثة بمشيئته وقدرته، كما يحدث الحوادث

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٢٠٦

ا،منفصلة بمشيئته وقدرته . فيقدر ما يفعله، ثم يفعله .

فتخصيصها بصفة دون صفة، وقدر دون قدر هو للأمور المقتضية لذلك في نفسه . فلا يريد إلا ما تقتضى نفسه إرادته بمعنى يقتضي ذلك، ولا يرجح مرادا على مراد إلا لذلك .

ولا يجوز أن يرجح شيئا لمجرد كونه قادرا . فإنه كان قادرا قبل إرادته، وهو قادر على غيره . فتخصيص هذا بالإرادة لا يكون بالقدرة المشتركة بينه وبين غيره .

ولا يجوز ـ أيضا ـ أن تكون الإرادة تخصص ـ مثلا ـ على مثل بلا مخصص، بل إنما يريد المريد أحد الشيئين دون الآخر لمعنى في المريد والمراد، لابد أن يكون المريد إلى ذلك أميل، وأن يكون في المراد ما أوجب رجحان ذلك الميل .

/ والقرآن والسنة تثبت القدر، وتقدير الأمور قبل أن يخلقها، وأن ذلك في كتاب، وهذا أصل عظيم يثبت العلم والإرادة لكل ما سيكون ويزيل إشكالات كثيرة ضل بسببها طوائف في هذا المكان ـ في مسائل العلم والإرادة .

." (١)

"وكذلك هو أول ما بلغ هذه السورة، فكان المبلغون مخاطبين بهذه الآية قبل كل شيء ولم يؤمروا فيها بالنظر والاستدلال .

وقد ذهب كثير من أهل الكلام إلى أن اعتراف النفس بالخالق وإثباتها له، لا يحصل إلا بالنظر .

/ ثم كثير منهم جعلوا ذلك نظرا مخصوصا، وهو النظر في الأعراض، وأنها لازمة للأجسام، فيمتنع وجود الأجسام بدونها .

قالوا : وما لا يخلو عن الحوادث، أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث .

ثم منهم من اعتقد أن هذه المقدمة بينة بنفسها، بل ضرورية، ولم يميز بين الحادث المعين والمحدود وبين الجنس المتصل شيئا بعد شيء؛ إما لظنه أن هذا ممتنع، أو لعدم خطوره بقلبه . لكن، وإن قيل هو ممتنع، فليس العلم بذلك بديهيا .

وإنما العلم البديهي أن الحادث الذي له مبدأ محدود كالحادث والحوادث المقدرة من حين محدود فتلك ما لايسبقها فهو حادث . وما لا يخلو منها لم يسبقها فهو حادث . فإنه إذا لم يسبقها كا،ن معها أو متأخرا عنها . وعلى التقديرين فهو حادث .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣١١/٤

وأما إذا قدر حوادث دائمة شيئا بعد شيء، فهذا إما أن يقال : هو ممكن، وإما أن يقال : هو ممتنع . لكن العلم بامتناعه يحتاج إلى دليل، ولم تعلم طائفة معروفة من العقلاء قالوا : إن العلم بامتناع هذا بديهي ضروري، ولا يفتقر إلى دليل .

/ بل كثير من الناس لا يتصور هذا تصورا تاما، بل متى تصور الحادث قدر في ذهنه مبدأ، ثم يتقدم في ذهنه شيء قبل ذلك، ثم شيء قبل ذلك، لكن إلى غايات محدودة بحسب تقدير ذهنه، كما يقدر الذهن عددا بعد عدد، ولكن كل ما يقدره الذهن فهو منته .

ومن الناس من إذا قيل له : [الأزل] أو : [كان هذا موجودا في الأزل] ، تصور ذلك . وهذا غلط، بل [الأزل] ما ليس له أول، كما أن [الأبد] ليس له آخر، وكل ما يومئ إليه الذهن من غاية فـ [الأزل] وراءها . وهذا لبسطه موضع آخر .

." (١)

"والمقصود ـ هنا ـ أن هؤلاء الذين قالوا : معرفة الرب لا تحصل إلا بالنظر، ثم قالوا : لا تحصل إلا بهذا النظر، هم من أهل الكلام ـ الجهمية القدرية ومن تبعهم . وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وجمهور العلماء من المتكلمين وغيرهم على خطأ هؤلاء في إيجابهم هذا النظر المعين، وفي دعواهم أن المعرفة موقوفة عليه . إذ قد علم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لم يوجب هذا على الأمة ولا أمرهم به، بل ولا سلكه هو ولا أحد من سلف الأمة في تحصيل هذه المعرفة .

ثم هذا النظر ـ هذا الدليل ـ للناس فيه ثلاثة أقوال :

/ قيل : إنه واجب، وإن المعرفة موقوفة عليه، كما يقوله هؤلاء .

وقيل : بل يمكن حصول المعرفة بدونه،لكنه طريق آخر إلى المعرفة . وهذا يقوله كثير من هؤلاء ممن يقول بصحة هذه الطريقة لكن لا يوجبها؛ كالخطأبي والقاضى أبي يعلى، وأبي جعفر السمنانى ـ قاضى الموصل شيخ أبي الوليد الباجي ـ وكان يقول : إيجاب النظر بقية بقيت على الشيخ أبي الحسن الأشعري من الاعتزال . وهؤلاء الذين لا يوجبون هذا النظر .

ومنهم من لا يوجب النظر مطلقا كالسمناني، وابن حزم وغيرهما .

ومنهم من يوجبه في الجملة، كالخطأبي، وأبي الفرج المقدسي .

والقاضى أبو يعلى يقول بهذا تارة، وبهذا تارة، بل ويقول تارة بإيجاب النظر المعين، كما يقوله أبو المعالى

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٢٧/٤

وغيره .

ثم من الموجبين للنظر من يقول : هو أول الواجبات، ومنهم من يقول : بل المعرفة الواجبة به، وهو نزاع لفظي . كما أن بعضهم قال : أول الواجبات القصد إلى النظر، كعبارة أبي المعالى . ومن هؤلاء من قال : بل الشك المتقدم كما قاله أبو هاشم .

وقد بسط الكلام على هذه الأقوال وغيرها في موضع آخر، / وبين أنها كلها **غلط** مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، بل وباطلة في العقل ـ أيضا .

". (١)

"وقد بسطنا الكلام على هذا في غير موضع، وبينا أن قولا ثالثا هو الصواب الذي عليه أئمة العلم .

وهو أن التأثير التام، يستلزم وجود الأثر عقبه ؛ لا معه في الزمان،ولا متراخيا عنه .

فمن قال بالتراخي من أهل الكلام فقد غلط، ومن قال بالاقتران ـ كالمتفلسفة ـ فهم أعظم غلطا . ويلزم قولهم من المحالات ما قد بيناه في مواضع .

وأما هذا القول فعليه يدل السمع والعقل . قال الله تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس : ٨٢] ، والعقلاء يقولون : [قطعته فانقطع، وكسرته فانكسر] ، و [طلق المرأة فطلقت، وأعتق العبد فعتق] . فالعتق والطلاق يقعان عقب الإعتاق والتطليق ـ لا يتراخي الأثر، ولا يقارن . وكذلك الانكسار والانقطاع مع القطع والكسر .

وهذا مما يبين أنه إذا وجد الخلق، لزم وجود المخلوق عقبه، كما يقال : كون الله الشيء فتكون . فتكونه عقب تكوين الله ـ لا مع التكوين، ولا متراخيا .

/ وكذلك الإرادة التامة مع القدرة تستلزم وجود المراد المقدور .

فهو يريد أن يخلق، فيوجد الخلق بإرادته وقدرته . ثم الخلق يستلزم وجود المخلوق، وإن كان ذلك الخلق حادثا بسبب آخر يكون هذا عقبه . فإنما في ذلك وجود الأثر عقب المؤثر التام، والتسلسل في الآثار .

وكلاهما حق، والله أعلم .

وأما المخلوق، فلا يكون إلا بائنا عنه ـ لا يقوم به مخلوق .

بل نفس الإرادة مع القدرة تقتضي وجود الخلق، كما تقتضي وجود الكلام .

ولا يفتقر الخلقإلى خلق آخر، بل يفتقرإلى ما به يحصل ـ وهو الإرادة المتقدمة وإذا خلق شيئا أراد خلق

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/ ٣٢٨

شيء آخر . وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن .
ومن قال : إن الخلق حادث ـ كالهشامية والكرامية ـ قال : نحن نقول بقيام الحوادث .
ولا دليل على بطلان ذلك . بل العقل والنقل، والكتاب والسنة وإجماع السلف، يدل على تحقيق ذلك، كما قد بسط في موضعه .
". (١)

"قلت : هذا الذي ذكره القاضي وغيره أن حنبلا نقله عن / أحمد في كتاب : [المحنة] ؛ أنه قال ذلك في المناظرة لهم يوم المحنة لما احتجوا عليه بقوله : (تجيء البقرة وآل عمران) ، قالوا : والمجيء لا يكون إلا لمخلوق . فعارضهم أحمد بقوله : ﴿ وجاء ربك ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ﴿ أو يأتي ربك ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، وقال : المراد بقوله : (تجيء البقرة وآل عمران) : ثوابهما، كما في قوله : ﴿ وجاء ربك ﴾ : أمره وقدرته .
وقد اختلف أصحاب أحمد فيما نقله حنبل . فإنه لا ريب أنه خلاف النصوص المتواترة عن أحمد في منعه من تأويل هذا، وتأويل النزول، والاستواء، ونحو ذلك من الأفعال .
ولهم ثلاثة أقوال :
قيل : إن هذا غلط من حنبل ، انفرد به دون الذين ذكروا عنه المناظرة، مثل صالح، وعبد الله، والمروذي، وغيرهم . فإنهم لم يذكروا هذا . وحنبل ينفرد بروايات يغلطه فيها طائفة، كالخلال [هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، مفسر عالم بالحديث واللغة، من كبار الحنابلة، من أهل بغداد، قال الذهبي : جامع علم أحمد ومرتبه، من كتبه : [تفسير الغريب] ، و [طبقات أصحاب ابن حنبل] وغيرهما] وصاحبه . قال أبو إسحاق ابن شاقلا : هذا غلط من حنبل لا شك فيه .
وكذلك نقل عن مالك رواية أنه تأول : (ينزل إلى السماء الدنيا) : أنه ينزل أمره . لكن هذا من رواية حبيب كاتبه وهو كذاب باتفاقهم . وقد رويت من وجه آخر لكن الإسناد مجهول .
والقول الثاني : قال طائفة من أصحاب أحمد : هذا قاله إلزاما للخصم / على مذهبه لأنهم في يوم المحنة لما احتجوا عليه بقوله : (تأتي البقرة وآل عمران) أجابهم بأن معناه : يأتي ثواب البقرة وآل عمران، كقوله

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٣٦١

: ﴿ أن يأتيهم الله ﴾ ، أي : أمره وقدرته، على تأويلهم، لا أنه يقول بذلك . فإن مذهبه ترك التأويل .
". (١)

"فالذي ينفي عنه وينزه عنه، إما أن يكون مناقضا لما علم من صفاته الكاملة، فهذا ينفي عنه جنسه، كما قال : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقال : ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ [الفرقان : ٥٨] ، فجنس السنة،والنوم، والموت، ممتنع عليه، لا يجوز أن يقال في شيء من هذا : (إنه يجوز عليه كما يليق بشأنه) ؛ لأن هذا الجنس يوجب نقصا في كماله .

/ وكذلك لا يجوز أن يقال : هو يكون في السفل، لا في العلو، وهو سفول يليق بجلاله، فإنه ـ سبحانه ـ العلي الأعلى لا يكون ـ قط ـ إلا عاليا، والسفول نقص هو منزه عنه .

وقوله : (وأنت الباطن فليس دونك شيء) ، لا يقتضي السفول إلا عند جاهل لا يعلم حقيقة العلو والسفول، فيظن أن السموات – وما فيها – قد تكون تحت الأرض إما بالليل وإما بالنهار . وهذا غلط . كمن يظن أن ما في السماء من المشرق يكون تحت ما فيه، مما في المغرب . فهذا ـ أيضا ـ غلط . بل السماء لا تكون قط إلا عالية على الأرض وإن كان الفلك مستديرا محيطا بالأرض فهو العالي على الأرض علوا حقيقيا من كل جهة . وهذا مبسوط في مواضع .

والنوع الثاني : أنه منزه عن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته، فالألفاظ التي جاء بها الكتاب والسنة في الإثبات تثبت . والتي جاءت بالنفي تنفي . والألفاظ المجملة كلفظ [الحركة] و [النزول] و [الانتقال] يجب أن يقال فيها : إنه منزه عن مماثلة المخلوقين من كل وجه، لا يماثل المخلوق ـ لا في نزول، ولا في حركة، ولا انتقال ولا زوال، ولا غير ذلك .

وأما إثبات هذا الجنس، كلفظ [النزول] ، أو نفي/مطلقا كلفظ [النوم] و [الموت] ، فقد يسلك كلاهما طائفة تنتسب إلى السنة .

والمثبتة يقولون : نثبت حركة، أو حركة وانتقالا، أو حركة وزوالا، تليق به، كالنزول والإتيان اللائق به .
". (٢)

"وقد ذكرنا في جواب [المسائل التدمرية] الملقب بـ [تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وبيان حقيقة الجمع بين القدر والشرع] ؛ أنه لا يجوز الاكتفاء ـ فيما ينزه الرب عنه ـ على عدم ورود السمع

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٧٥/٤

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٨٩/٤

والخبر به فيقال : كل ماورد به الخبر أثبتناه، وما لم يرد به لم نثبته بل ننفيه . وتكون عمدتنا في النفي على عدم الخبر . / بل هذا **غلط** لوجهين :

أحدهما : أن عدم الخبر هو عدم دليل معين، والدليل لا ينعكس، فلا يلزم إذا لم يخبر هو بالشيء أن يكون منتفيا في نفس الأمر . ولله أسماء سمى بها نفسه واستأثر بها في علم الغيب عنده . فكما لا يجوز الإثبات إلا بدليل لا يجوز النفي إلا بدليل . ولكن إذا لم يرد به الخبر ولم يعلم ثبوته يسكت عنه فلا يتكلم في الله بلا علم .

الثانى : أن أشياء لم يرد الخبر بتنزيهه عنها، ولا بأنه منزه عنها، لكن دل الخبر على اتصافه بنقائضها فعلم انتفاؤها . فالأصل أنه منزه عن كل ما يناقض صفات كماله وهذا مما دل عليه السمع والعقل .

وما لم يرد به الخبر إن علم انتفاؤه نفيناه، وإلا سكتنا عنه . فلا نثبت إلا بعلم ولا ننفي إلا بعلم .

ونفي الشيء من الصفات وغيرها كنفي دليله طريقة طائفة من أهل النظر والخبر . وهي **غلط** إلا إذا كان الدليل لازما له . فإذا عدم اللازم، عدم الملزوم .

وأما جنس الدليل، فيجب فيه الطرد، لا العكس . فيلزم من وجود الدليل وجود المدلول عليه، ولا ينعكس .

/ فالأقسام ثلاثة : ما علم ثبوته أثبت، وما علم انتفاؤه نفي، وما لم يعلم نفيه ولا إثباته سكت عنه . هذا هو الواجب . والسكوت عن الشيء غير الجزم بنفيه أو ثبوته .

ومن لم يثبت ما أثبته إلا بالألفاظ الشرعية التي أثبتها، وإذا تكلم بغيرها استفسر واستفصل، فإن وافق المعنى الذي أثبته الشرع أثبته باللفظ الشرعى، فقد اعتصم بالشرع لفظا ومعنى . وهذه سبيل من اعتصم بالعروة الوثقى .

". (١)

"قال : وقال أكثر أهل المعاني : نزل بلسان العرب على مجاري خطابهم . ومن مذاهبهم التكرار إرادة للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار للتخفيف والإيجاز .

قلت : ومن المفسرين من لم يذكر غير الثاني - منهم المهدوي وابن عطية . قال ابن عطية : لما كان قوله : ﴿ لا أعبد ﴾ محتملا أن يراد به الآن، ويبقى المستأنف منتظرا ما يكون فيه من عبادته، جاء البيان بقوله : ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ ، أي : أبدا ما حييت . ثم جاء قوله : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ ،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٣٩٢

الثاني ـ حتما عليهم ـ أنهم لا يؤمنون أبدا، كالذين كشف الغيب عنهم، كما قيل لنوح : ﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴾ [هود : ٣٦] ، أما إن هذا فخطاب لمعينين، وقوم نوح قد عموا بذلك .

قال : فهذا معنى الترديد الذي في السورة، وهو بارع الفصاحة . وليس هو بتكرار فقط، بل فيه ما ذكرته، مع الإبلاغ والتوكيد، وزيادة الأمر بيانا وتبريا منهم .

قلت : هذا القول أجود من الذي قبله من جهة بيانهم لمعنى / زائد على التكرير . لكن فيه نقص من جهة أخري . وهو جعلهم هذا خطابا لمعينين،فنقصوا معنى السورة من هذا الوجه .

وهذا غلط، فإن قوله : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، خطاب لكل كافر، وكان يقرأ بها في المدينة بعد موت أولئك المعينين، ويأمر بها ويقول : هي براءة من الشرك . فلو كانت خطابا لأولئك المعينين، أو لمن علم منهم أنه يموت كافرا، لم يخاطب بها من لم يعلم ذلك منه .

وأيضا، فأولئك المعينون ـ إن صح أنه إنما خاطبهم ـ فلم يكن إذ ذاك علم أنهم يموتون على الكفر .

والقول بأنه إنما خاطب بها معينين، قول لم يقله من يعتمد عليه . ولكن قد قال مقاتل ابن سليمان : إنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين . ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد . ونقل مقاتل وحده مما لا يعتمد عليه باتفاق أهل الحديث، كنقل الكلبي .

." (١)

"وقوله : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، يتناول كل كافر . فهو لا يعبد ما يعبده أحد من الكفار، ولا مشركي العرب، ولا غيرهم من المشركين / والكفار أهل الكتاب . لا اليهود ولا النصارى، ولا غيرهم من أصناف الكفار . وذلك أنه قال : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ . فذكر لفظ [ما] ، ولم يقل : [من تعبدون] . و [ما] تدل على الصفة كما تقدم وما ذكره المهدوي وغيره من أنه قال : ﴿ ما أعبد ﴾ ولم يقل : [من أعبد] . يقابل به ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ الذي يراد به الأصنام، فضعيف جدا يغير اللغة ويخص عموم القرآن . وهو عموم مقصود . ويزيل المعنى الذي به تعلقت هذه البراءة .

فإن [ما] في اللغة إما لما لا يعلم، ولصفات ما يعلم، كما في قوله : ﴿ فانكحوا ما طاب ﴾ [النساء : ٣] ﴿ وما سواها ﴾ [الشمس : ٧] ، ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ [الليل : ٣] ، وفي التسبيح المأثور أنه يقال عند سماع الرعد : [سبحان ما سبحت له] ومثله كثير . فقوله : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ ، جار على أصل اللغة .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٦٨/٤

وأيضا، فقوله : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ ، خطاب للكفار مطلقا، فهو لا يعبد الملائكة، ولا غير ذلك مما عبد من دون الله . وإن كان ما عبد أهل العلم والعقل . فعبر عن ذواتهم بـ [من] فتخصيص البراءة من الشرك بشرك مشركي العرب **غلط** عظيم، وإنما هي براءة من كل شرك .

وكون الرب يتصف بما تتصف به الأصنام من عدم العلم ما لا / يجوز عليه، ولا تصح المقابلة في مثل ذلك، بل المقصود ذكر الصفات والإخبار بمعبود الرسول والمؤمنين ليتبرأ من معبدوهم ويبرئهم من معبوده .

". (١)

"وعلى هذا فقوله : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ ، خطاب لجميع الكفار كما دلت عليه الآية . وبهذا يظهر خطأ من قال : إنه خطاب للمشركين والنصارى دون اليهود، كما في قول ابن زيد : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ ، قال : للمشركين والنصارى، واليهود، لا يعبدون إلا الله، ولا يشركون، إلا أنهم يكفرون ببعض الأنبياء بما جاؤوا به من عند الله، ويكفرون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وقتلوا طوائف الأنبياء . ظلما . وعدوانا . قال : إلا العصابة التي تقول حيث خرج بخت نصر، وقيل : من سموا عزيرا [ابن الله] ولم يعبدوه . ولم يفعلوا كما فعلت النصارى . قالت : المسيح ابن الله، وعبدته .

فهذا الذي ذكره من أن اليهود لا تشرك كما أشركت العرب والنصارى صحيح، لكنهم مع هذا لا يعبدون الله، بل يستكبرون عن عبادته، ويعبدون الشيطان، لا يعبدون الله . ومن قال : إن اليهود / تعبد الله فقد **غلط** غلطا قبيحا . فكل من عبد الله، كان سعيدا من أهل الجنة، وكان من عباد الله الصالحين . قال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ [يس : ٦٠، ٦١]

وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : (إنك تأتي قوما هم أهل كتاب، فأول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) . وفي رواية : (فادعهم إلى عبادة الله فإذا عرفوا الله فأعلمهم . . .)

فلا يعبد إلا الله بعد أن أرسل محمدا وعرفت رسالته وبلغت؛ ولهذا اتفق العلماء على أن أعمالهم حابطة .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٤٨٥

ولو عبدوا الله لم تحبط أعمالهم . فإن الله لا يظلم أحدا .

". (١)

"والوجه الثاني : قوله : ﴿ إلها واحدا ﴾ نصب على الحال، لكنها حال لازمة فإنه لا يكون إلا إلها واحدا . كقوله : ﴿ وهو الحق مصدقا ﴾ [البقرة : ٩١] ، وهو لا يكون إلا مصدقا . ومنه : ﴿ ملة إبراهيم حنيفا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ [آل عمران : ٢١] . فمن عبد معه غيره، فما عبده إلها واحدا، ومن أشرك به فما عبده . وهو لا يكون إلا إلها واحدا . فإذا لم يعبده في الحال اللازمة له، لم تكن له حال أخرى يعبده فيها، فما عبده .

فإن قيل : المشرك يجعل معه آلهة أخرى، فهو يعبد في حال ليس هو فيها الواحد، قيل : هذا **غلط** منشؤه أن لفظ [الإله] يراد به المستحق للإلهية، ويراد به ما اتخذه الناس إلها وإن لم يكن إلها في نفس الأمر، بل هي أسماء سموها هم وآباؤهم . فتلك ليست في نفسها آلهة، وإنما هي آلهة في أنفس العابدين . فإلهيتها أمر قدره المشركون، وجعلوه في أنفسهم من غير أن يكون مطابقا للخارج، كالذي يجعل من ليس بعالم عالما، ومن ليس بحي حيا، ومن ليس بصادق ولا عدل صادقا وعدلا فيقال : هذا عندك صادق، وعادل، وعالم، وتلك اعتقادات غير مطابقة، وأقوال كاذبة غير لائقة .

". (٢)

"فإن كان التقدير هذا الثاني، امتنع أن يكون المشرك عابدا له . فإنه لا يعبده في هذه الحال، وهو -سبحانه- ليست له حال أخرى نعبده فيها . وإن كان التقدير الأول، فقد يمكن أن نعبده في حال أخرى نتخذ معه آلهة أخرى في أنفسنا .

لكن قوله : ﴿ إلها واحدا ﴾ دليل على أنها حال من المعبود، بخلاف ما إذا قيل : نعبده مخلصين له الدين، فإن هذه حال من الفاعل .

ولهذا يأتي هذا في القرآن كثيرا، كقوله : ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ [الزمر : ٢] ، وقوله : ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني ﴾ [الزمر : ١٤] . فهذا حال من الفاعل / فإنه يكون تارة مخلصا، وتارة مشركا . وأما الرب - تعالى - فإنه لا يكون إلا إلها واحدا .

والحال - وإن كانت صفة للمفعول فهي - أيضا - حال للفاعل . فإنهم قالوا : نعبده في هذه الحال .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٤٨٧

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٤٩٦

فلزم أن عبادتهم له ليست في غير هذا الحال . وبين أن قوله : ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك . . . إلهاً واحدا ﴾ [البقرة : ١٣٣] ، هي حال متعلقة بالفاعل والمفعول جميعا - بالعابد والمعبود . فإن العامل فيها - المتعلق بها - العبادة، وهي فعل العابد، والذي يقال له المفعول في العربية هو المعبود .
كما قيل في الجملة : ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٣] قيل : هي واو العطف . وقيل : واو الحال . أى : نعبده في هذه الحال . قالوا : وهي حال من فاعل [نعبد] أو مفعوله لرجوع الهاء إليه في [له] . وهذا التقدير غلط؛ إذ هي حال منهما جميعا . فإنهم إذا عبدوه وهم مسلمون فهم مسلمون حال كونهم عابدين، وحال كونه معبودا؛ إذ كونهم عابدين وكونه معبودا ليس مختصا بمقارنة أحدهما دون الآخر .
." (١)

"وأيضا، فالخبر يتضمن العلم بالمخبر به، والأمر يتضمن طلبا وإرادة للمأمور به وإن لم يكن ذلك إرادة فعل الأمر، والله ـ تعالى ـ أمر العباد بما أمرهم به، ولكن أعان أهل الطاعة، فصار مريدا لأن يخلق أفعالهم، ولم يعن أهل المعصية، فلم يرد أن يخلق أفعالهم . فهذه الإرادة الخلقية القدرية لا تستلزم الأمر، وأما الإرادة ـ بمعنى أنه يحب فعل ما أمر به ويرضاه إذا فعل، ويريد من المأمور أن يفعله من حيث هو مأمور- فهذه لابد منها في الأمر؛ ولهذا أثبت الله هذه الإرادة في الأمر دون الأولى، ولكن في الناس من غلط فنفي الإرادة مطلقا، وكلا الفريقين لم يميز بين الإرادة الخلقية والإرادة الأمرية . والقرآن فرق بين الإرادتين، فقال في الأولى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾ [الأنعام : ١٢٥] ، وقال نوح : ﴿ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ﴾ [هود : ٣٤] ، وقال : ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقال : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ [الكهف : ٣٩] ؛ ولهذا قال المسلمون : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقال في الثانية : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، وقال : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، وقال : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ﴾ [المائدة : ٦] ، /وقال : ﴿ يريد الله ليبين لكم." (٢)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٤٩٩

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٥/٧٦

"وسبب ذلك : أن لفظ [الغير] مجمل، يراد بالغير : المباين المنفصل، ويراد بالغير : ما ليس هو عين الشيء . وقد يعبر عن الأول بأن الغيرين ما جاز وجود أحدهما وعدمه، أو ما جاز مفارقة أحدهما الآخر بزمان أو مكان أو وجود، ويعبر عن الثاني بأنه ما جاز العلم بأحدهما مع عدم /العلم بالآخر . وبين هذا وهذا فرق ظاهر؛ فصفات الرب اللازمة له لا تفارقه البتة، فلا تكون غيرا بالمعنى الأول، ويجوز أن تعلم بعض الصفات دون بعض، وتعلم الذات دون الصفة، فتكون غيرا باعتبار الثاني؛ ولهذا أطلق كثير من مثبتة الصفات عليها أغيارا للذات . ومنهم من قال : نقول : إنها غير الذات، ولا نقول : إنها غير الله؛ فإن لفظ الذات لا يتضمن الصفات بخلاف اسم الله فإنه يتناول الصفات؛ ولهذا كان الصواب ـ على قول أهل السنة ـ ألا يقال في الصفات : إنها زائدة على مسمى اسم الله، بل من قال ذلك، فقد غلط عليهم .
". (١)

"وهذا فيه نظر؛ فإن ابن أبي حاتم روى بالإسناد الثابت عن عطاء ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ : أما ما نسخ فهو ما ترك من القرآن [بالكاف] وكأنه تصحف على من ظنه نزل من النزول، فإن لفظ ترك فيه إبهام . ولذلك قال ابن أبي حاتم : يعني ترك لم ينزل على محمد، وليس مراد عطاء هذا، وإنما مراده أنه ترك مكتوبا متلوا ونسخ حكمه كما تقدم عن غيره، وما أنسأه هو ما أخره لم ينزله : وسعيد وعطاء من أعلم التابعين لا يخفى عليهما هذا . وقد قرأ ابن عامر : [ما ننسخ من آية] وزعم أبو حاتم أنه غلط، وليس كما قال، بل فسرها بعضهم بهذا المعنى فقال : ما ننسخ : نجعلكم تنسخونها كما يقال : أكتبته هذا . وقيل : أنسخ جعله منسوخا، كما يقال : قبره إذا أراد دفنه، وأقبره، أي : جعل له قبرا . وطرده : إذا نفاه، وأطرده : إذا جعله طريدا . وهذا أشبه بقراءة الجمهور .
والصواب : قول من فسر [أو ننسأها] ، أي : نؤخرها عندنا فلا ننزلها . والمعنى : أن ما ننسخه من الآيات التي أنزلناها . أو نؤخر نزوله من الآيات التي لم ننزلها بعد ﴿ نأت بخير منها أو مثلها ﴾ ، فكما أنه يعوضهم من المرفوع يعوضهم من المنتظر الذي لم ينزله بعد إلى أن ينزله، /فإن الحكمة اقتضت تأخير نزوله فيعوضهم بمثله أو خير منه في ذلك الوقت إلى أن يجيء وقت نزوله فينزله ـ أيضا ـ مع ما تقدم ويكون ما عوضه مثله أو خيرا منه قبل نزوله . وأما ما أنزله إليهم ولم ينسخه، فهذا لا يحتاج إلى بدل، ولو كان كل

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٥/١٧٧

ما لم ينسخه الله يأت بخير منه أو مثله، لزم إنزال مالا نهاية له .
". (١)

"ولهذا كانت سورة الأنعام أفضل من غيرها، وكذلك سورة يس ونحوها من السور التي فيها أصول الدين التي اتفق عليها الرسل كلهم – صلوات الله عليهم – ولهذا كانت ﴿ قل هو الله أحد ﴾ . مع قلة حروفها . تعدل ثلث القرآن؛ لأن فيها التوحيد، فعلم أن آيات التوحيد أفضل من غيرها، وفاتحة الكتاب نزلت بمكة بلا ريب، كما دل عليه قوله/ تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ [الحجر : ٨٧] ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته) ، وسورة الحجر مكية بلا ريب، وفيها كلام مشركي مكة وحاله معهم، فدل ذلك على أن ما كان الله ينسأه فيؤخر نزوله من القرآن، كان ينزل قبله ما هو أفضل منه، و ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾
مكية بلا ريب، وهو قول الجمهور . وقد قيل : إنها مدنية، وهو غلط ظاهر .
وكذلك قول من قال : الفاتحة لم تنزل إلا بالمدينة غلط بلا ريب . ولو لم تكن معنا أدلة صحيحة تدلنا على ذلك لكان من قال : إنها مكية معه زيادة علم . وسورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾
، أكثرهم على أنها مكية . وقد ذكر في أسباب نزولها سؤال المشركين بمكة وسؤال الكفار من أهل الكتاب اليهود بالمدينة، ولا منافاة، فإن الله أنزلها بمكة أولا، ثم لما سئل نحو ذلك أنزلها مرة أخري . وهذا مما ذكره طائفة من العلماء وقالوا : إن الآية أو السورة قد تنزل مرتين وأكثر من ذلك .
فما يذكر من أسباب النزول المتعددة قد يكون جميعه حقا . والمراد بذلك أنه إذا حدث سبب يناسبها، نزل جبريل فقرأها عليه ليعلمه أنها تتضمن جواب ذلك السبب، وإن كان الرسول يحفظها قبل ذلك .
/والواحد منا قد يسأل عن مسألة فيذكر له الآية أو الحديث، ليبين له دلالة النص على تلك المسألة وهو حافظ لذلك، لكن يتلى عليه ذلك النص ليتبين وجه دلالته على المطلوب .
". (٢)

"والقول الثاني : أن بعض القرآن أفضل من بعض، وهذا قول الأكثرين من الخلف والسلف، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح في الفاتحة : (إنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٥/٢٠٣

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٥/٢٠٥

الزبور ولا القرآن مثلها) ، فنفي أن يكون لها مثل، فكيف يجوز أن يقال : إنه متماثل ؟ وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال لأبي بن كعب : (يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، فضرب بيده في صدره وقال له : (ليهنك العلم أبا المنذر) ، فقد بين أن هذه الآية أعظم آية في القرآن، وهذا بين أن بعض الآيات أعظم من بعض .

وأيضا، فإن القرآن كلام الله والكلام يشرف بالمتكلم به، سواء كان خبرا أو أمرا، فالخبر يشرف بشرف المخبر وبشرف المخبر عنه، والأمر يشرف بشرف الآمر، وبشرف المأمور به، فالقرآن وإن كان/كله مشتركا، فإن الله تكلم به، لكن منه ما أخبر الله به عن نفسه، ومنه ما أخبر به عن خلقه، ومنه ما أمرهم به . فمنه ما أمرهم فيه بالإيمان، ونهاهم فيه عن الشرك، ومنه ما أمرهم به بكتابة الدين، ونهاهم فيه عن الربا .

ومعلوم أن ما أخبر به عن نفسه ك ﴿ قل هو الله أحد ﴾ أعظم مما أخبر به عن خلقه ك ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ وما أمر فيه بالإيمان، وما نهي فيه عن الشرك أعظم مما أمر فيه بكتابة الدين ونهي فيه عن الربا؛ ولهذا كان كلام العبد مشتركا بالنسبة إلى العبد، وهو كلام لمتكلم واحد، ثم إنه يتفاضل بحسب المتكلم فيه . فكلام العبد الذي يذكر به ربه ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر أفضل من كلامه الذي يذكر فيه خلقه، ويأمر فيه بمباح أو محظور . وإنما **غلط** من قال بالأول؛ لأنه نظر إلى إحدى جهتي الكلام، وهي جهة المتكلم به، وأعرض عن الجهة الأخرى، وهي جهة المتكلم فيه، وكلاهما للكلام به تعلق يحصل به التفاضل والتماثل .

". (١)

"قال الله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ ، فأدخل اللام في الصمد، ولم يدخلها في أحد؛ لأنه ليس في الموجودات ما يسمي أحدا في الإثبات مفردا غير مضاف إلا الله ـ تعالى ـ بخلاف النفي وما في معناه، كالشرط والاستفهام، فإنه يقال : هل عندك أحد ؟ وإن جاءني أحد من جهتك أكرمته، وإنما استعمل في العدد المطلق، يقال : أحد، اثنان . ويقال : أحد عشر . وفي أول الأيام يقال : يوم الأحد، فإن فيه ـ على أصح القولين ـ ابتدأ الله خلق السموات والأرض وما بينهما . كما دل عليه القرآن والأحاديث الصحيحة، فإن القرآن أخبر في غير موضع : أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام . وقد ثبت في الحديث الصحيح المتفق على صحته : أن آخر المخلوقات كان آدم، خلق يوم الجمعة . وإذا كان آخر الخلق كان يوم الجمعة دل على أن أوله كان يوم الأحد؛ لأنها ستة .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٥/٢٢١

وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله : (خلق الله التربة يوم السبت) فهو حديث معلول، قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره، /قال البخاري : الصحيح أنه موقوف على كعب، وقد ذكر تعليله البيهقي أيضا . وبينوا أنه **غلط** ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مما أنكر الحذاق على مسلم إخراجه إياه، كما أنكروا عليه إخراج أشياء يسيرة . وقد بسط هذا في مواضع أخر، وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في قوله تعالى : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ [فصلت : ٩] ، قال ابن عباس : خلق الأرض في يوم الأحد والإثنين، وبه قال عبد الله بن سلام والضحاك ومجاهد وابن جريج والسدي والأكثرون . وقال مقاتل : في يوم الثلاثاء والأربعاء .

". (١)

"قال : وقد أخرج مسلم حديث أبي هريرة : (خلق الله التربة يوم السبت) قال : وهذا الحديث مخالف لما تقدم، وهو أصح، فصحح هذا لظنه صحة الحديث، إذ رواه مسلم، ولكن هذا له نظائر روي مسلم أحاديث قد عرف أنها غلط، مثل قول أبي سفيان لما أسلم : أريد أن أزوجك أم حبيبة، ولا خلاف بين الناس أنه تزوجها قبل إسلام أبي سفيان، ولكن هذا قليل جدا . ومثل ما روي في بعض طرق حديث صلاة الكسوف أنه صلاها بثلاث ركوعات وأربع، والصواب أنه لم يصلها إلا مرة واحد بركوعين؛ ولهذا لم يخرج البخاري إلا هذا، وكذلك الشافعي، وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، وغيرهما، والبخاري سلم من مثل هذا؛ فإنه إذا وقع في بعض/ الروايات **غلط** ذكر الروايات المحفوظة التي تبين **غلط** الغالط، فإنه كان أعرف بالحديث وعلله، وأفقه في معانيه من مسلم ونحوه . وذكر ابن الجوزي في موضع آخر أن هذا قول ابن إسحاق قال : وقال ابن الأنباري : وهذا إجماع أهل العلم .

وذكر قولا ثالثا في ابتداء الخلق : أنه يوم الإثنين، وقاله ابن إسحاق، وهذا تناقض . وذكر أن هذا قول أهل الإنجيل، والابتداء بيوم الأحد قول أهل التوراة . وهذا النقل **غلط** على أهل الإنجيل، كما **غلط** من جعل الأول إجماع أهل العلم من المسلمين . وكأن هؤلاء ظنوا أن كل أمة تجعل اجتماعها في اليوم السابع من الأيام السبعة التي خلق الله فيها العالم، وهذا غلط؛ فإن المسلمين إنما اجتماعهم في آخر يوم خلق الله فيه العالم، وهو يوم الجمعة، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة .

". (٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢٤١/٥

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢٤٢/٥

"وأما سائره فعدم، فيعاد من المادة التي استحال إليها، فإذا استحال في القبر الواحد ألف ميت، وصاروا كلهم ترابا؛ فإنهم يعادون ويقومون من ذلك القبر، وينشئهم الله ـ تعالى ـ بعد أن كانوا عدما محضا، كما أنشأهم أولا بعد أن كانوا عدما محضا، وإذا صار ألف إنسان ترابا في قبر، أنشأ هؤلاء من ذلك القبر من غير أن يحتاج أن يخلقهم كما خلقهم في النشأة الأولى التي خلقهم منها من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، وجعل نشأتهم بما يستحيل إلى أبدانهم من الطعام والشراب، كما يستحيل إلى بدن أحدهم ما يأكله من نبات وحيوان . وكذلك لو أكل إنسانا، أو أكل حيوانا قد أكل إنسانا، فالنشأة/الثانية لا يخلقهم فيها بمثل هذه الاستحالة، بل يعيد الأجساد من غير أن ينقلهم من نطفة إلى علقة إلى مضغة، ومن غير أن يغذوها بدم الطمث ومن غير أن يغذوها بلبن الأم وبسائر ما يأكله من الطعام والشراب، فمن ظن أن الإعادة تحتاج إلى إعادة الأغذية التي استحالت إلى أبدانهم فقد **غلط** .
" (١).

"فصل
والمقصود هنا أن التولد لابد له من أصلين، وإن ظن ظان أن نفس الهواء الذي بين الزنادين يستحيل نارا بسخونته من غير مادة تخرج منهما تنقلب نارا فقد غلط؛ وذلك لأنه لا تخرج نار إن لم يخرج منهما مادة بالحك، ولا تخرج النار بمجرد الحك .
وأيضا، فإنهم يقدحون على شيء أسفل من الزنادين كالصوفان والحراق فتنزل النار عليه، وإنما ينزل الثقيل، فلولا أن هناك جزءا ثقيلا من الزناد الحديد والحجر لما نزلت النار، ولو كان الهواء وحده انقلب نارا لم ينزل؛ لأن الهواء طبعه الصعود لا الهبوط، لكن بعد أن تنقلب المادة الخارجة نارا قد ينقلب الهواء القريب منها نارا، إما دخانا وإما لهيبا .
/والمقصود أن المتولدات خلقت من أصلين، كما خلق آدم من التراب والماء، وإلا فالتراب المحض الذي لم يختلط به ماء لا يخلق منه شيء، لا حيوان ولا نبات، والنبات جميعه إنما يتولد من أصلين ـ أيضا ـ والمسيح خلق من مريم ونفخة جبريل، كما قال تعالى : ﴿ ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ﴾ [التحريم : ٢١] ، وقال : ﴿ والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ﴾ [الأنبياء

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٥/٢٦١

: ٩١] ، وقال : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ﴾ [مريم : ١٧ : ١٩] .." (١)

"فإنه يقال : ما الموجب لحدوث تلك التصورات دائما ؟ ثم إن النفس عندهم لابد أن تكون متصلة بالجسم، فيمتنع وجود نفس بدون جسم .

/وأيضا، فالذي علم بالاضطرار من دين الرسل : أن كل ما سوى الله مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن

.

وأيضا، فما تثبته الفلاسفة من الجواهر العقلية إنما يوجد في الذهن لا في الخارج، وأما أكثر المتكلمين فقالوا : انتفاء هذه معلوم بضرورة العقل . وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع، وبين أن ما تدعى الفلاسفة إثباته من الجواهر العقلية التي هي العقل والنفس والمادة والصورة فلا حقيقة لها في الخارج، وإنما هي أمور معقولة في الذهن يجردها العقل من الأمور المعينة كما يجرد العقل الكليات المشتركة بين الأصناف، كالحيوانية الكلية، والإنسانية الكلية، والكليات إنما تكون كليات في الأذهان لا في الأعيان .

ومن هؤلاء من يظن أنها تكون في الخارج كليات، وأن في الخارج ماهيات كلية مقارنة للأعيان غير الموجودات المعينة، وكذلك منهم من يثبت كليات مجردة عن الأعيان يسمونها : [المثل الأفلاطونية] ، ومنهم من يثبت دهرا مجردا عن المتحرك والحركة، ويثبت خلاءا مجردا ليس هو متحيزا ولا قائما بمتحيز، ويثبت هيولى مجردة عن جميع الصور، والهيولى في لغتهم بمعنى المحل . يقال : الفضة هيولى الخاتم، والدرهم والخشب هيولى الكرسي، أى : هذا المحل الذي تصنع فيه هذه الصورة، وهذه الصورة الصناعية عرض من الأعراض، ويدعون أن للجسم هيولي محل/ الصورة الجسمية غير نفس الجسم القائم بنفسه، وهذا غلط؛ وإنما هذا يقدر في النفس كما يقدر امتداد مجرد عن كل ممتد، وعدد مجرد عن كل معدود، ومقدار مجرد عن كل مقدر، وهذه كلها أمور مقدرة في الأذهان، لا وجود لها في الأعيان . وقد اعترف بذلك من عادته نصر الفلاسفة من أهل النظر . كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع .

." (٢)

"وهذا كما أن الكفار من اليهود والنصارى إذا لبسوا ثوب الغيار من أصفر وأزرق نهي عن لباسه لما فيه من التشبه بهم، وإن كان لو خلا عن ذلك لم يكره، وفي بلاد لا يلبس هذه الملابس عندهم إلا الكفار

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢٦٦/٥

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٢٨/٥

فنهي عن لبسها، والذين اعتادوا ذلك من المسلمين لا مفسدة عندهم في لبسها .

ولهذا كره أحمد وغيره لباس السواد لما كان في لباسه تشبه بمن يظلم أو يعين على الظلم، وكره بيعه لمن يستعين بلبسه على الظلم، فأما إذا لم يكن فيه مفسدة لم ينه عنه .

وكره من كره من الصحابة والتابعين بيع الأرض الخراجية؛ لأن/ المسلم المشترى لها إذا أدى الخراج عنها أشبه أهل الذمة في التزام الجزية، فإن الخراج جزية الأرض، وإن لم يؤدها ظلم المسلمين بإسقاط حقهم من الأرض، لم يكرهوا بيعها لكونها وقفا، فإن الوقف إنما منع من بيعه لأن ذلك يبطل الوقف؛ ولهذا لا يباع ولا يوهب ولا يورث، والأرض الخراجية تنتقل إلى الوارث باتفاق العلماء، وتجوز هبتها، والمتهب المشترى يقوم فيها مقام البائع فيؤدى ما كان عليه من الخراج، وليس في بيعها مضرة لمستحقى الخراج، كما في بيع الوقف . وقد غلط كثير من الفقهاء فظنوا أنهم كرهوا بيعها لكونها وقفا، واشتبه عليهم الأمر؛ لأنهم رأوا الآثار مروية في كراهة بيعها، وقد عرفوا أن عمر جعلها فيء ا لم يقسمها قط، وذلك في معنى الوقف، فظنوا أن بيعها مكروه لهذا المعنى، ولم يتأملوا حق التأمل، فيرون أن هذا البيع ليس هو من جنس البيع المنهي عنه في الوقف، فإن هذه يصرف مغلها إلى مستحقها قبل البيع وبعده، وعلى حد واحد، ليست كالدار التي إذا بيعت تعطل نفعها عن أهل الوقف وصارت للمشتري .

". (١)

"ص : ٨

١٢ – أبو العباس محمد بن علي بن أحمد الكرجي ، المتوفى سنة ٣٤٣ هـ.

١٣ – أبو رجاء ، محمد بن حامد بن الحارث البغدادي ، المتوفى سنة ٣٤٣ هـ.

مؤلفات ابن قتيبة

ذكر أصحاب كتب التراجم لابن قتيبة الكثير من المصنفات ، وهي :

١ – آداب العشرة.

٢ – آداب القراءة.

٣ – أدب الكاتب.

٤ – اختلاف الحديث.

٥ – استماع الغناء بالألحان.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٥/٤٧٤

٦ – إصلاح **غلط** أبي عبيدة.

٧ – إعراب القرآن.

٨ – تأويل الرؤيا.

٩ – تأويل مختلف الحديث.

١٠ – تأويل مشكل القرآن (و هو الكتاب الذي بين أيدينا).

١١ – تقويم اللسان.

١٢ – تفسير القرآن.

١٣ – جامع الفقه.

١٤ – جامع النحو الكبير.

١٥ – جامع النحو الصغير.

١٦ – الجوابات الحاضرة.

١٧ – حكم الأمثال.

١٨ – خلق الإنسان.

١٩ – دلائل النبوة.." (١)

"ص : ١٩

ومن رواه «رفعا» انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش : أنه لا يرتد منها أحد عن الإسلام فيستحق القتل.

أفما ترى الإعراب كيف فرق بين هذين المعنيين.

وقد يفرقون بحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين.

فيقولون : رجل لعنة ، إذا كان يلعنه الناس. فإن كان هو الذي يلعن الناس ، قالوا :

رجل لعنة فحركوا العين بالفتح.

ورجل سبة إذا كان يسبه الناس ، فإن كان هو يسب الناس قالوا : رجل سببة.

وكذلك : هزأة ، وهزأة وسخرة ، وسخرة وضحكة ، وضحكة وخدعة ، وخدعة.

وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف في الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين ، كتقارب ما بين المعنيين.

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٨

كقولهم للماء الملح الذي لا يشرب إلا عند الضرورة : شروب ، ولما كان دونه مما قد يتجوز به : شريب.
وكقولهم لما ارفض على الثوب من البول إذ كان مثل رؤوس الإبر : نضح ، ورش الماء عليه يجزىء من الغسل ، فإن زاد على ذلك قليلا قيل له : نضخ ولم يجزىء فيه إلا الغسل.
وكقولهم للقبض بأطراف الأصابع : قبض وبالكف : قبض وللأكل بأطراف الأسنان : قضم وبالفم : خضم.
ولما ارتفع من الأرض : حزن فإن زاد قليلا قيل : حزم.
وللذي يجد البرد : خصر فإن كان مع ذلك جوع قيل : خرص.
وللنار إذا طفئت : هامدة فإن سكن اللهب وبقي من جمرها شيء قيل : خامدة.
وللقائم من الخيل : صائم فإن كان ذلك من حفى أو وجى ، قيل : صائن.
وللعطاء : شكد فإن كان مكافأة قيل : شكم.
وللخطأ من غير التعمد : **غلط** فإن كان في الحساب قيل : غلت.
وللضيق في العين : خوص فإن كان ذلك في مؤخرها قيل : حوص.." [١]
"ص : ٢٩
باب الرد عليهم في وجوه القراءات
أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات من الاختلاف ، فإنا نحتج عليهم فيه
بقول النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم : «نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، فاقرؤوا كيف شئتم» «١».
وقد **غلط** في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا : السبعة الأحرف : وعد ، ووعيد ، وحلال ، وحرام ، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج.
وقال آخرون : هي سبع لغات في الكلمة.
وقال قوم : حلال ، وحرام ، وأمر ، ونهي ، وخبر ما كان قبل ، وخبر ما هو كائن بعد ، وأمثال.
وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل.
ومن قال : فلان يقرأ بحرف أبي عمرو «٢» أو بحرف عاصم «٣» فإنه لا يريد شيئا

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند ٢/ ٣٠٠ ، ٤/ ٢٠٤ ، ٥/ ١٦ ، ٦/ ٤٣٣ ، ٤٦٣ ، والهيثمي

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/١٩

في مجمع الزوائد ٧/ ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، والسيوطي في الدر المنثور ٢/ ٦ ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١١/ ٢٦ ، والربيع بن حبيب في مسنده ١/ ٨ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ٥١٦ ، والألباني في السلسلة الصحيحة ١٥٢٢.

وأخرجه بلفظ : «أنزل القرآن على سبعة أحرف» ، النسائي في الافتتاح باب ٢٦ ، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٢ ، ٥/ ١١٤ ، ٣٩١ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، وابن حجر في المطالب العالية ٣٤٨٩ ، والبخاري في التاريخ الكبير ٧/ ٢٦٢ ، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٩ ، والسيوطي في الدر المنثور ٢/ ٧ ، ٥/ ٣٤٦ ، والشجري في الأمالي ١/ ١١٢ ، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ١٨٥ ، ١٠/ ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٨٢ ، والهيثمي في موارد الظمآن ١٧٧٩ ، ١٧٨٠ ، ١٧٨١ ، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٣٨ ، والطحاوي في مشكل الآثار ٤/ ١٧٢ ، ١٨٢ ، والسيوطي في جمع الجوامع ٤٥٣٤ ، ٤٥٤٣ ، ٤٥٤٤ ، ٤٥٤٥ ، ٤٥٤٦ ، ٤٥٤٧ ، ٤٥٤٩ ، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٠٨٣ ، ٣٠٨٥ ، ٣٠٨٦ ، ٣٠٩٣ ، ٣٠٩٤ ، ٣٠٩٥ ، ٣٠٩٦ ، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ١/ ٢١٣ ، والعجلوني في كشف الخفا ١/ ٢٤١ ، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٢/ ٦٧٩ ، وابن عبد البر في التمهيد ٤/ ٢٧٨ ، ٨/ ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢.

(٢) أبو عمرو : هو أبو عمرو بن العلاء ، زبان بن العلاء بن عمار بن الريان المازني البصري ، أكثر القراء السبعة شيوخا ، أخذ القراءة عن أنس بن مالك ، وحميد بن قيس الأعرج ، وسعيد بن جبير ، وشيبة بن نصاح ، وأبي العالية ، وعاصم بن أبي النجود ، وعبد الله بن كثير المكي ، وعطاء ، ومجاهد ، وابن محيصن ، وغيرهم. وروى عنه كثير ، منهم : عبد الله بن المبارك ، ويحيى بن المبارك اليزيدي وغيرهما ، ولد بمكة سنة ٦٨ هـ ، وتوفي سنة ١٥٤ هـ. (شذرات الذهب ١/ ٢٣٧ ، غاية النهاية ١/ ٢٨٨).

(٣) عاصم : هو عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي ، أبو بكر ، أحد القراء السبعة ، من التابعين. أخذ القراءة عرضا عن زر بن حبيش ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وروى عنه شعبة بن عياش وحفص بن سليمان ، وخلق لا يحصون ، توفي سنة ١٢٧ هـ. (غاية النهاية ١/ ٣٤٦).." (١)

"ص : ٣٦

ولو أن رجلا كتب في المصحف سورا وترك سورا لم يكتبها ، لم نر عليه في ذلك وكفا «١» إن شاء الله تعالى.

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٢٩

وأما ما تعلقوا به من حديث عائشة رضي الله عنها في **غلط** الكاتب ، وحديث عثمان رضي الله عنه : أرى فيه لحنا - فقد تكلم النحويون في هذه الحروف ، واعتلوا لكل حرف منها ، واستشهدوا الشعر :

فقالوا : في قوله سبحانه : إن هذان لساحران [طه : ٦٣] وهي لغة بلحرث بن كعب يقولون : مررت برجلان ، وقبضت منه درهمان ، وجلست بين يداه ، وركبت علاه. وأنشدوا «٢» :

تزود منا بين أذناه ضربة دعته إلى هابي التراب عقيم

أي موضع كثير التراب لا ينبت.

وأنشدوا «٣» :

أي قلوص راكب تراها طاروا علاهن فطر علاها

---

(١) الوكف : الإثم والعيب.

(٢) يروى صدر البيت بلفظ :

تزود منا بين أذناه طعنة والبيت من الطويل ، وهو لهوبر الحارثي في لسان العرب (صرع) ، (شظى) ، (هبا) ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٠٧ ، وخزانة الأدب ٧/ ٤٥٣ ، والدرر ١/ ١١٦ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٠٤ ، وشرح شذور الذهب ص ٦١ ، وشرح المفصل ٣/ ١٢٨ ، ١٣٣ ، والصاحبي في فقه اللغة ص ٤٩ ، وهمع الهوامع ١/ ٤٠.

(٣) يروى الشطر الأول من الرجز :

أي قلوص راكب تراها ناجية وناجيا أباها

والرجز بلا نسبة في تاج العروس (قلص) ، (نجا) ، ولسان العرب (علا) ، (نجا) ، ويروى أيضا بلفظ :

أي قلوص راكب تراها فاشدد بمثني حقب حقواها

وهو بلا نسبة في لسان العرب (علا) ، وتاج العروس (قلص) ، ويروى الشطر الثاني بلفظ :

نادية وناديا أباها طاروا علاهن فطر علاها

والرجز لرؤبة في ديوانه ص ١٦٨ ، وله أو لأبي النجم أو لبعض أهل اليمن في المقاصد النحوية ١/ ١٣٣ ، ولبعض أهل اليمن في خزانة الأدب ٧/ ١٣٣ ، ١١٥ ، وشرح شواهد المغني ١/ ١٢٨ ، وبلا نسبة في

لسان العرب (طير) ، (علا) ، (نجا) ، وخزانة الأدب ٤/ ١٠٥ ، والخصائص ٢/ ٢٦٩ ، وشرح شواهد الشافية ص ٣٥٥ ، وشرح المفصل ٣/ ٣٤ ، ١٢٩ ، وتاج العروس (قلص).." [1]

"ص : ٣٧

على أن القراء قد اختلفوا في قراءة هذا الحرف : فقرأه أبو عمرو بن العلاء «١» ، وعيسى بن عمر «٢» : «إن هذين لساحران» وذهبا إلى أنه **غلط** من الكاتب كما قالت عائشة.

وكان عاصم الجحدري «٣» يكتب هذه الأحرف الثلاثة في مصحفه على مثالها في الإمام ، فإذا قرأها ، قرأ : «إن هذين لساحران» ، وقرأ المقيمون الصلاة [النساء : ١٦٢] ، وقرأ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين [الحج : ١٧].

وكان يقرأ أيضا في سورة البقرة : والصابرون فى البأساء والضراء [البقرة : ١٧٧] ويكتبها : الصابرين.

وإنما فرق بين القراءة والكتاب لقول عثمان رحمة الله : أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها فأقامه بلسانه ، وترك الرسم على حاله.

وكان الحجاج «٤» وكل عاصما «٥» وناجية بن رمح وعلي بن أصمع بتتبع المصاحف ، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفا لمصحف عثمان ، ويعطوا صاحبه ستين درهما.

خبرني بذلك أبو حاتم «٦» عن الأصمعي «٧» قال : وفي ذلك يقول الشاعر :

---

(١) أبو عمرو بن العلاء : هو زبان بن العلاء بن عمار بن الريان المازني البصري ، تقدمت ترجمته قبل قليل.

(٢) عيسى بن عمر : هو أبو عمرو عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصري ، مولى خالد بن الوليد ، توفي سنة ١٤٩ ه ، صنف «الإكمال في النحو» ، «جامع في النحو». (كشف الظنون ٥/ ٨٠٥).

(٣) عاصم الجحدري : هو عاصم بن أبي الصباح ، أبو المجشر الجحدري ، البصري ، المقرئ المفسر ، قرأ على الحسن البصري ، توفي سنة ١٢٨. (لسان الميزان ٣/ ٢٢٠).

(٤) الحجاج : هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن قيس الثقفي ، ولاه عبد الملك بن مروان العراق ، وكان له في القتل وسفك الدماء غرائب لم يسمع بمثلها ، بنى مدينة واسط ، وتوفي سنة ٩٥ ه. (انظر أخباره في مروج الذهب ٣/ ١٥١ - ١٩١ ، والكامل في اللغة ١/ ١٥٨ ، ٢٢٤ ، ٢/ ٢٦٢ ،

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٣٦

٢٦٨ ، ٢٨٨ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩ - ٥٤ ، والأعلام ٢/ ١٦٨).
(٥) عاصم : هو عاصم الجحدري. تقدمت ترجمته.
(٦) أبو حاتم : هو أبو حاتم السجستاني البصري. سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي الإمام. توفي سنة ٢٥٠ هـ. وقيل : سنة ٢٤٨ هـ ، له العديد من التصانيف ، منها : «إعراب القرآن» ، «كتاب الإدغام» ، «كتاب الأضداد» في اللغة ، «كتاب الفصاحة» ، «كتاب القراءات» ، «كتاب المذكر والمؤنث» ، «كتاب المقصور والممدود» ، «ما يلحن به العامة» وغيرها الكثير (كشف الظنون ٥/ ٤١١).
[.....]
(٧) الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب (بالتصغير) ابن عبد الملك بن علي بن أصمع الأصمعي." [١]
"ص : ٦٦

ونحو منه : ذهب منه الأطيبان ، يراد : الأكل والنكاح.

وقال أيضا : لا أدري ما معنى قول رؤبة في صفة الثور «١» :

كأنه حامل جنب أخذعا وقال ابن الأعرابي : أراد : كأنه ضرب بالسيف ضربة فتعلقت جنبه وهو حاملها ، وذلك لميله من بغيه على أحد جانبيه. والخذع : الميل.

ومثل هذا كثير ، وفيما ذكرنا منه ما أقنع ودل على ما أردناه ، إن شاء الله تعالى.

ولسنا ممن يزعم : أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم.

وهذا **غلط** من متأوليه على اللغة والمعنى.

ولم ينزل الله شيئا من القرآن إلا لينفع به عباده ، ويدل به على معنى أراده.

فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال ، وتعلق علينا بعلة.

وهل يجوز لأحد أن يقول : إن رسول ، الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يعرف المتشابه ؟ !.

وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى : وما يعلم تأويله إلا اللہ [آل عمران : ٧] جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته ، فقد علم عليا التفسير.

ودعا لابن عباس فقال : «اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين» «٢».

وروى عبد الرزاق «٣» ، عن إسرائيل»

، عن سماك بن حرب «٥» ، عن عكرمة ،

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٣٧

المتوفى سنة ٢٣١ ، له من المصنفات : «تاريخ القبائل» ، «كتاب الألفاظ» ، «كتاب الأنواء» ، «كتاب تفسير الأمثال» ، «كتاب الخيل» ، «كتاب الذياب» ، «كتاب صفة الزرع» ، «كتاب كرامات الأولياء» ، «كتاب معاني الشعر» ، «كتاب النبات» ، «كتاب النوادر» وغيرها. (كشف الظنون ٦/ ١٢).

(١) يليه : من بغيه والرفق حتى أكنعا والرجز في ديوان رؤبة ص ٩١ ، وتاج العروس (خذع) ، وتهذيب اللغة ١/ ١٦١ ، والرجز بلا نسبة في لسان العرب (خدع) ، وكتاب العين ١/ ٢٠٤ ، وهو للعجاج في لسان العرب (كنع) ، وتاج العروس (كنع) ، وتهذيب اللغة ١/ ٣١٩ ، وليس في ديوانه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٣٦ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢٩٣ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ٢٩٦.

(٣) عبد الرزاق : تقدمت ترجمته.

(٤) إسرائيل : هو إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، أبو يوسف الكوفي ، محدث ثقة ، ولد سنة ١٠٠ هـ ، وتوفي سنة ١٦٢ هـ ، (تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٩).

(٥) سماك بن حرب : من كبار تابعي أهل الكوفة. توفي سنة ١٢٣ هـ. (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٣٣ - ٢٣٤).." (١)

"ص : ٦٧

عن ابن عباس أنه قال : كل القرآن أعلم إلا أربعا : غسلين ، وحنانا ، والأواه ، والرقيم.

وكان هذا من قول ابن عباس في وقت ، ثم علم ذلك بعد.

حدثني محمد بن عبد العزيز ، عن موسى بن مسعود ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : تعلمونه وتقولون : آمنا به.

ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ في المتشابه إلا أن يقولوا : آمنا به كل من عند ربنا [آل عمران : ٧] - لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين ، بل على جهلة المسلمين ، لأنهم جميعا يقولون : آمنا به كل من عند ربنا.

وبعد :

فإنا لم نر المفسرين توقفوا عن شيء من القرآن فقالوا : هذا متشابه لا يعلمه إلا الله ، بل أمروه كله على

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٦٦

التفسير ، حتى فسروا (الحروف المقطعة) في أوائل السور ، مثل : الر ، وحم ، وطه ، وأشباه ذلك. وسترى ذلك في الحروف المشكلة ، إن شاء الله.

فإن قال قائل : كيف يجوز في اللغة أن يعلمه الراسخون في العلم ، والله تعالى يقول : وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، [آل عمران : ٧] وأنت إذا أشركت الراسخين في العلم انقطعوا عن (يقولون) ، وليست هاهنا واو نسق توجب للراسخين فعلين. وهذا مذهب كثير من النحويين في هذه الآية ، ومن جهته **غلط** قوم من المتأولين ؟ .

قلنا له : إن (يقولون) هاهنا في معنى الحال ، كأنه قال : الراسخون في العلم قائلين : آمنا به. ومثله في الكلام : لا يأتيك إلا عبد الله ، وزيد يقول : أنا مسرور بزيارتك. يريد : لا يأتيك إلا عبد الله وزيد قائلا : أنا مسرور بزيارتك.

ومثله لابن مفرغ الحميري يرثي رجلا في قصيدة أولها «١» :

أصرمت حبلك من أمامه من بعد أيام برامه

والريح تبكي شجوها والبرق يلمع في غمامه

أراد : والبرق لا معا في غمامة تبكي شجوه أيضا ، ولو لم يكن البرق يشرك الريح في البكاء ، لم يكن لذكره البرق ولمعه معنى.

---

(١) البيتان من مجزوء الكامل ، وهما في ديوان ابن مفرغ ص ٢٠٨ ، والبيت الثاني في لسان العرب (درك).." (١)

"ص : ٦٨

وأصل (التشابه) : أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر ، والمعنيان مختلفان. قال الله جل وعز في وصف ثمر الجنة : وأتوا به متشابها [البقرة : ٢٥] ، أي متفق المناظر ، مختلف الطعوم. وقال : تشابهت قلوبهم [البقرة : ١١٨] أي يشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة.

ومنه يقال : اشتبه علي الأمر ، إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما ، وشبهت علي :

إذا لبست الحق بالباطل ، ومنه قيل لأصحاب المخاريق أصحاب الشبه ، لأنهم يشبهون الباطل بالحق.

ثم قد يقال لكل ما غمض ودق متشابه ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره ، ألا ترى أنه قد قيل

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٦٧

للحروف المقطعة في أوائل السور : متشابه ، وليس الشك فيها ، والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها ، والتباسها بها.

ومثل المتشابه (المشكل). وسمي مشكلا : لأنه أشكل ، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله.

ثم قد يقال لما غمض – وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة – : مشكل.

وقد بينت ما غمض من معناه لا لتباسه بغيره ، واستتار المعاني المختلفة تحت لفظه ، وتفسير (المشكل) الذي ادعي على القرآن فساد النظم فيه.

وقدمت قبل ذلك (أبواب المجاز) : إذ كان أكثر **غلط** المتأولين من جهته.

وأرجو أن يكون في ذلك ما شفي مرض القلوب ، وهدى من الحيرة ، إن شاء الله.." [1]

"ص : ٦٩

باب القول في المجاز

وأما (المجاز) فمن جهته **غلط** كثير من الناس في التأويل ، وتشعبت بهم الطرق ، واختلفت النحل : فالنصارى تذهب في قول المسيح عليه السلام في الإنجيل : (أدعوا أبي ، وأذهب إلى أبي) وأشباه هذا ، إلى أبوة الولادة.

ولو كان المسيح قال هذا في نفسه خاصة دون غيره ، ما جاز لهم أن يتأولوه هذا التأويل في الله – تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا – مع سعة المجاز ، فكيف وهو يقوله في كثير من المواضع لغيره ؟ كقوله حين فتح فاه بالوحي : إذا تصدقت فلا تعلم شمالك بما فعلت يمينك ، فإن أباك الذي يرى الخفيات يجزيك به علانية ، وإذا صليتم فقولوا : يا أبانا الذي في السماء ليتقدس اسمك ، وإذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير أبيك.

وقد قرؤوا في (الزبور) أن الله تبارك وتعالى قال لداود عليه السلام : سيولد لك غلام يسمى لي ابنا وأسمى له أبا.

وفي (التوراة) أنه قال ليعقوب عليه السلام : أنت بكري.

وتأويل هذا أنه في رحمته وبره وعطفه على عباده الصالحين ، كالأب الرحيم لولده.

وكذلك قال المسيح للماء : (هذا أبي) ، وللخبز : (هذا أمي) ، لأن قوام الأبدان بهما ، وبقاء الروح عليهما ، فهما كالأبوين اللذين منهما النشأة ، وبحضانتهما النماء.

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٦٨

وكانت العرب تسمي الأرض أما ، لأنها مبتدأ الخلق ، وإليها مرجعهم ، ومنها أقواتهم ، وفيها كفايتهم.

وقال أمية بن أبي الصلت «١» :

---

(١) البيت من الكامل ، وهو في ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٢٣ ، والمخصص ١٣/ ١٨٠ ، والحيوان ٥/ ٤٣٧ ، وتفسير القرطبي ١/ ١١٢ ، والبيت بلا نسبة في المذكر والمؤنث للأنباري ص ١٨٧.." [(١)]

"ص : ١٧٥

إن العواذل ليس لي بأمير وقال آخر «١» :

المال هدي والنساء طوالق

ومنه أن يوصف الواحد بالجمع :

نحو قولهم : برمة أعشار وثوب أهدام وأسمال ، ونعل أسماط ، أي غير مطبقة.

قال الشاعر «٢» :

جاء الشتاء وقميصي أخلاق

ومنه أن يجتمع شيئان ولأحدهما فعل فيجعل الفعل لهما :

كقوله سبحانه : فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما [الكهف : ٦١].

روي في التفسير : أن الناسي كان يوشع بن نون ويدلك قوله لموسى ، صلى الله عليه وسلم : فإني نسيت الحوت [الكهف : ٦٣].

وقوله : ا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون

[الأنعام : ١٣٠] والرسل من الإنس دون الجن.

وقوله : مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) [الرحمن : ١٩ ، ٢٠] ثم قال : يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢٢) [الرحمن : ٢٢]. واللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من الماء الملح لا من العذب.

وكذلك قوله : ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها [فاطر : ١٢].

وقد **غلط** في هذا المعنى أبو ذؤيب الهذلي ولا أدري أمن جهة هذه الآيات غلط

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٦٩

(١) الشطر من الكامل ، وهو بلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة ص ١٨١ ، ٣٥١.

(٢) يليه :

شراذم يعجب منه التواق والرجز بلا نسبة في الأزهية ص ٣٠ ، وجمهرة اللغة ص ٦١٩ ، وخزانة الأدب ١/ ٢٣٤ ، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢١٣ ، ولسان العرب (توق) ، (خلق) ، (شرذم) ، وتهذيب اللغة ٧/ ٣٠ ، ٩/ ٢٥٦ ، وتاج العروس (خلق) ، (شرذم) ، وجمهرة اللغة ص ٦١٩ ، وكتاب العين ٦/ ٣٠٢ ، والاقتضاب ص ١٢ ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٤ ، ١٩/ ٤٧ ، والجمهرة ٢/ ٢٤٠ ، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٤٢٧.." [١]

"تفسير قوله تعالى: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ [الجاثية:٢٤].

قوله سبحانه وتعالى: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا) أي: ما الحياة، أو الحال غير حياتنا هذه التي نحن فيها.

(نموت) أي: بالموت البدني الطبيعي.

(ونحيا) أي: الحياة الجثمانية الحسية، لا موت ولا حياة غيرهما.

(وما يهلكنا إلا الدهر) أي: مر الليالي والأيام وطول العمر.

(وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) أي: وما يقولون ذلك عن علم، ولكن عن ظن وتخمين.

وفي تفسير قوله: (نموت ونحيا) أقوال: منها: في الآية تقديم وتأخير، فيكون الأصل: (نحيا) حياة ثم نموت بعدها، فقدم (نموت) وأخر (نحيا)، وهذا نوع من أنواع علوم القرآن (المقدم والمؤخر).

قول آخر: (نموت ونحيا) يعني: يحيا البعض ويموت البعض.

قول ثالث: (نموت ونحيا) على الترتيب كما هي بدون تقديم وتأخير، لكن المقصود: أن هذا كلام من يقول بتناسخ الأرواح، بعدما يموت الإنسان فإن روحه تخرج ثم تحل في جسد آخر.

يقول القاسمي رحمه الله تعالى: وفي قوله: (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)، إشارة إلى نسبة الحوادث إلى الدهر، أو إلى إنكار البعث، أو إلى كليهما، (وما لهم بذلك من علم).

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/١٧٥

قال الزمخشري: كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت، وقبضه الأرواح بأمر الله، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان، وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر) أي: فإن الله هو الآتي بالحوادث وليس الدهر.

انتهى كلام الزمخشري.

وقال الخطابي: معناه: أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي تنسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها.

والدهر ظرف زمان، والفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى، فإنما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الأمور، وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر، فقالوا: بؤسا للدهر أو سبا للدهر.

قال ابن كثير: وقد **غلط** ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذا من هذا الحديث.

يعني: لا يصح أبدا أن يقال: إن من الأسماء الحسنى الدهر، اعتمادا على هذا الحديث: (أنا الدهر)؛ لأن معناه: أنا خالق الدهر، وأنا مصرف الأحداث ومدبر الوقائع.

وفي هذه الآيات رد على الدهرية وهم المعطلة، لأن متمسكهم ظن وتخييل، لم يشم رائحة اليقين، وما هذا سبيله فالقبول في وجهه مسدود: ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ [يونس:٣٦].

قال الشهرستاني في معطلة العرب: فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني.

يعني: الطبيعة هي التي تحيي الناس، وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ [الجاثية:٢٤].

(نموت ونحيا) إشارة إلى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي، وقصر الحياة والموت على تركبها وتحللها، فالجامع هو الطبع، والمهلك هو الدهر.

فاستدل الله عليهم بضرورات فكرية وآيات فطرية في كثير من الآيات، فقال تعالى: ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾ [الأعراف:١٨٤]، يأمرهم بالتفكر، وقال: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ [الأعراف:١٨٥]، ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله﴾ [النحل:٤٨]، وقال: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ [فصلت:٩]، وقال عز وجل: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم

الذي خلقكم﴾ [النساء:١].

فأثبت في الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق، فإنه قادر على الكمال إبداء وإعادة.

انتهى كلام الشهرستاني.

يقول القاسمي رحمه الله: ولي في الرد على الدهريين -وهم الماديون والطبيعيون- كتاب (دلائل التوحيد) فليرجع إليه المريد؛ فليس وراءه بحمده تعالى من مزيد.." (١)

"إعراب قوله تعالى: (إذ أنذر قومه)

(إذ أنذر) إعرابها: بدل اشتمال من (أخا عاد) وهو هود عليه السلام.

(إذ أنذر قومه)، أي: وقت إنذاره إياهم، فالبدل إما بدل كل من كل، ويكون مطابقا للمبدل منه ومساو له في المعنى، كما تقول: مررت بأخيك زيد، أو زره خالدا.

هذا بدل كل من كل.

وهناك بدل بعض من كل، كما تقول: أكلت الرغيف ثلثه.

هذا بدل بعض من كل.

وهناك بدل مباين للمبدل منه، وهو إما أن يكون على سبيل الإضراب أو ال**غلط** والنسيان.

الإضراب مثل أن تقول: أكلت خبزا لحما.

وبدل ال**غلط** والنسيان مثل أن يكون الإنسان يتكلم ثم يخطئ في الكلام، ثم يأتي بالكلام الصحيح عقب ما أخطأ فيه، فهو كان يقصد البدل فقط، وإنما **غلط** فذكر المبدل منه، كما يقول مثلا: رأيت رجلا حمارا، أخطأ ثم استدرك وقال: رأيت حمارا، فأتى بها على نسق واحد، رأيت رجلا حمارا.

أما البدل الذي هنا في قوله: (إذ أنذر قومه) فهو بدل الاشتمال، وبدل الاشتمال يدل على المعنى في متبوعه، كما تقول: أعجبني زيد علمه، فهذا بدل اشتمال، ومثاله في القرآن الكريم: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ [البقرة:٢١٧]، أي: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام، و (قتال فيه) بدل اشتمال من الشهر الحرام.

كذلك قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا﴾ [مريم:١٦] يعني: أن شأن

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٠٨/٥

مريم يشتمل على أمور كثيرة، فأنت تذكر انتباذها مكانا شرقيا، فكذلك هنا (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه) أي: اذكر وقت إنذاره قومه، فهذا بدل اشتمال من هود.." (١)

"بين يدي سورة محمد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد النبي، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فنشرع بإذن الله تعالى في تفسير سورة القتال، وهي المسماة بسورة محمد صلى الله عليه وسلم، وتسمى سورة الذين كفروا، جاء في الأسباب إنها بدأت بقوله تعالى: ﴿والذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾ [محمد:١].

أما تسميتها باسم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فلما فيها من أن الإيمان بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم متفرقا أعظم من الإيمان بما نزل مجموعا على جميع الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، وهذا من أعظم مقاصد القرآن.

وتسمى بسورة القتال؛ لدلالتها على ارتفاع حرمة نفوس الكفار المانعة من قتالهم، فلا حرمة لهم عن قتالهم، وأيضا سميت بسورة القتال لما ذكر فيها من أحكام القتال، وكثرة فوائده.

وهي مدنية في قول ابن عباس ذكره النحاس، وقال الماوردي: مدنية في قول الجميع إلا ابن عباس وقتادة، فإنهما قالا: إنها مدنية إلا آية منها نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكة، وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزنا عليه، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ [محمد:١٣].

وقد **غلط** الثعلبي حيث قال: إنها -أي: السورة- مكية، فهذا قول غريب.

وروى ابن مردويه عن ابن الزبير قال: نزلت في المدينة سورة الذين كفروا، أي: سورة محمد صلى الله عليه

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٣/١١١

وسلم.
وروى الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهم في المغرب: ((الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم))).
وآيها ثمان وثلاثون آية، وقيل: تسع وثلاثون، ومثل هذا الاختلاف في عدد الآيات لا يعني اختلافا في ألفاظ الآيات، فهي نفس الألفاظ، فبعض الآيات قد يرى بعض العلماء مثلا أنها آية كاملة، والبعض يرى أنها جزء آية، وليس يمنع هذا الاختلاف في عدد ألفاظ السورة، وإنما في موضع الآية.." [1]

"صاحب البردة وغلوه في رسول الله صلى الله عليه وسلم

الغلو في الدين والغلو في النبي صلى الله عليه وسلم أمر وقع المسلمون فيه مع الأسف، واتبعوا سنن أهل الكتاب، فقال قائلهم: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم هذا كلام البوصيري في قصيدته المشهورة المشحونة ببعض الشركيات الشنيعة، فهو يقول: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم فهل يرضى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يأتي رجل من أمته ويقول له: مالي من ألوذ به سواك؟! هل أنت تقرأ: قل أعوذ برسول الله! من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، أم تتعوذ بالله وحده؟! فهذا يتعوذ بالرسول عليه الصلاة والسلام ويقول: لا يوجد أحد غيره أعوذ به.
فالرسول عليه الصلاة السلام لا يرضى بأقل من هذا، فكيف بهذا الضلال المبين؟! ويقول أيضا: وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم يعني: لولا الرسول عليه الصلاة والسلام لم تخلق الدنيا، فكأن الآية عندهم: وما خلقت الجن والإنس إلا من أجل محمد عليه الصلاة والسلام! ما هذا الغلو؟! ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات:٥٦] أيضا يقول البوصيري: فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم يعني: من جود الرسول عليه الصلاة والسلام الدنيا وضرتها التي هي الآخرة، فهما من كرمه وجوده! وعلم اللوح والقلم من علومه! وأيضا يقول البوصيري معتمدا على فهم مغلوط لهذا الحديث: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله): دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم ففهم أن الحديث ينهى عن أن نقول: محمد ابن الله أو ثالث ثلاثة، فيقول: دع هذه، وقل بعد ذلك ما شئت، وامدحه بأي شيء، ففهم الحديث فهما عجيبا جدا، فكان المفهوم عنده: اطروني بما شئتم ما عدا قولكم: محمد ثالث ثلاثة أو محمد ابن الله ونحو ذلك، وهذا الشاعر يعظمه كثير من المسلمين، وقصيدة البردة للأسف الشديد أعرف من يحفظها

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٢/١١٢

ولا يحفظ شيئا من القرآن، وهذه لها وضع مميز عند الصوفية، وكأنها شيء من الوحي، فهم يحفظونها ويهتمون بها اهتماما شديدا جدا، ويتبركون بها، وينشدونها في الموالد وبعض مجالس الوعظ والعلم، ويعدون ذلك قربة إلى الله عز وجل، ودليلا على محبتهم النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذا الشاعر قد ظن النهي الوارد في الحديث منصبا على الادعاء بأن محمدا صلى الله عليه وسلم ابن الله، فنهى عن هذه المقولة، ودعا إلى قول أي شيء آخر مهما كان، ولا شك أن هذا **غلط** بالغ، وضلال مبين؛ ذلك لأن الإطراء المنهي عنه في الحديث له معنيان اثنان: الأول: (لا تطروني) هذا نهي عن مطلق المدح، يعني: لا تمدحوني أبدا؛ لأنكم لن تقووا على مدحي بأعظم مما مدحني به الله عز وجل، من أني رسول الله، وأني على خلق عظيم وغير ذلك مما امتدحه الله سبحانه وتعالى به.

الاحتمال الثاني: النهي عن مجاوزة الحق في المدح، والمراد المدح بالصور الموجودة الآن، فهي صناعة لم تكن معروفة عند السلف؛ لأن السلف رحمهم الله كانوا مشغولين بالاجتهاد في اتباع رسول الله عليه السلام، وإحياء سنته، وتجديد دينه، ولم يشتغلوا كما اشتغل هؤلاء بهذه المدائح.

إذا: يمكن أن يكون المراد من الحديث النهي عن مدحه صلى الله عليه وسلم مطلقا من باب سد الذريعة، واكتفاء باصطفاء الله تعالى له نبيا ورسولا وحبيبا وخليلا، وبما أثنى سبحانه وتعالى عليه في قوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم:٤] إذ ماذا يمكن للبشر أن يقولوا فيه بعد قول الله تبارك وتعالى هذا؟! وما قيمة أي كلام يقولونه أمام شهادة الله تعالى هذه؟! وإن أعظم مدح له صلى الله عليه وسلم أن نقول فيه ما قال ربنا عز وجل: إنه عبد له ورسول، فهذه أكبر تزكية له صلى الله عليه وسلم.

والصوفية يغضبون جدا إلا لم تقل: (سيدنا رسول الله)، ويعتقدون أنك مقصر، والمفروض عندهم أن تقول: سيدنا محمد! فنقول: هل قول القائل: (سيدنا محمد) مثل قوله: (محمد رسول الله أو نبي الله؟ ف (سيد) تطلق على أناس من البشر، لكن رسول الله لا تطلق إلا على من اصطفاه الله لذلك؛ لكن بعضهم يتشبث بها، ويرى أن من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولها حتى داخل الصلاة، ونسمع بعض العوام في الصلاة يقول: اللهم صل على سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم إلى آخره، فنقول لهذا: هل ينفع أن تقرأ القرآن وتقول مثلا: (وآمنوا بما نزل على سيدنا محمد)؟ الله يقول: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ [آل عمران:١٤٤]، فهل يجعلها: (وما سيدنا محمد إلا رسول)؟ بلا شك الرسول صلى الله عليه وسلم له هذه السيادة على البشر أجمعين؛ لأنه قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) لا شك في ذلك، فنحن لا نتشدد كثيرا في ذلك، لكن الأذكار المأثورة ينبغي أن نحافظ عليها، ولكنهم يعتبرون التنازل عن هذا تنازل عن

تشريف كبير جدا للرسول عليه الصلاة والسلام، وإنما التشريف للرسول عليه الصلاة والسلام أن تمدحه بالرسالة فتقول: (رسول الله) عليه الصلاة والسلام، و (نبي الله)، فأعظم مدح للرسول عليه السلام أن نقول فيه ما قال ربنا عز وجل: إنه عبد له ورسول، هذه أكبر تزكية له صلى الله عليه وسلم، وليس فيها إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وقد وصفه الله سبحانه وتعالى وهو في أعلى درجات وأرفع تكريم من الله تعالى له بصفة العبودية، فقال في المعراج والإسراء: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ [الإسراء:١] وأيضا قال ذلك في مقام التحدي ومقام الدعوة كما سبق ذكره.

ويمكن أن يكون المراد من الحديث: (لا تطروني) أي: لا تبالغوا في مدحي، وعلى هذا يفتح الباب في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لكن لا تبالغوا في مدحي فتصفوني بأكثر مما أستحقه من بعض خصائص الله تبارك وتعالى، والأقرب -والله تعالى أعلم- هو المعنى الأول، وهو أن هذا نهي عن مطلق المدح الخارج عما مدحه الله سبحانه وتعالى، بدليل تمام الحديث: (إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)، يعني: اكتفوا بما وصفني به الله عز وجل من جعلي عبدا له ورسولا صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام الترمذي ذكر هذا الحديث تحت ترجمة باب: تواضع النبي صلى الله عليه وسلم، فحمل الحديث على النهي عن المدح المطلق، وهذا هو الذي ينسجم مع معنى التواضع، وعن أنس قال: (جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا خير البرية! فقال عليه الصلاة والسلام: ذاك إبراهيم) رواه مسلم، وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الآخر: (لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)؛ لأنه بلا شك حتى في هذه الجزئيات قد قطع الوحي، وبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء على الإطلاق، وأنه خير الأنبياء وسيد ولد آدم أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وسلم.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (والسماء بينيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون)

قال تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾ [الذاريات:٤٨].

قوله: ((والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون)) يقول العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة: قوله تعالى: ((والسماء بنيناها بأييد)) ليس من آيات الصفات المعروفة بهذا الاسم؛ لأن قوله: ((بأييد)) ليس جمع يد، وإنما الأيد القوة، فوزن قوله هنا (بأييد) فعل، ووزن الأيدي أفعل، فالهمزة في قوله: ((بأييد)) في مكان الفاء، والياء في مكان العين، والدال في مكان اللام.

ولو كان قوله تعالى: ((بأييد)) جمع يد لكان وزنه أفعلا، فتكون الهمزة زائدة، والياء في مكان الفاء، والدال

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٨/١٢٦

في مكان العين، والياء المحذوفة لكونه منقوصا هي اللام.

والأيد والآد في لغة العرب بمعنى القوة، ورجل أيد قوي، ومنه قوله تعالى: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ [البقرة:٨٧] أي: قويناه به.

فمن ظن أنها جمع يد في هذه الآية فقد **غلط** غلطا فاحشا، والمعنى: والسماء بنيناها بقوة.

قوله: ((والسماء بنيناها بأييد)) يقول القاسمي رحمه الله تعالى: أي: رفعناها بقوة، قوله: ((وإنا لموسعون)) أي: قادرون على الإيساع كما أوسعنا بناءها.

هذه الآية الكريمة لو أتينا بواحد مختص في علوم الفلك لحدثنا حولها بالعجائب، من عملية التمدد المستمر للكون، وهناك صور لأجزاء في الفضاء تدل على استمرار تمدد الكون واتساعه بصورة مدهشة، فهذا مما يقر به الكفار.

علماء الكفار الذين يهتمون بهذه العلوم لهم في ذلك بحوث كثيرة جدا، كلها تثبت هذه الحقيقة المعروفة عندهم بتمدد الكون.

والقاسمي فسر الإيساع بالقدرة، أي: كما أوسعنا بناءها فإنا قادرون على إيساعها أكثر من ذلك، أما ما اكتشف حديثا من التمدد الفعلي للكون فإنه يؤيد ذلك.

قوله تعالى: ((والأرض فرشناها)) أي: مهدناها ليتمتعوا بها.

((فنعم الماهدون)) أي: لهم.." [1]

"كلام القاسمي في أول سورة الطور

يقول القاسمي رحمه الله تعالى: ﴿والطور﴾ [الطور:١] أي: وطور سينين، جبل بمدين، سمع فيه موسى صلوات الله عليه كلام الله تعالى، واندك بنور تجليه تعالى.

﴿وكتاب مسطور﴾ [الطور:٢] مكتوب، والمراد به القرآن، أو ما يعم الكتب المنزلة.

﴿في رق منشور﴾ [الطور:٣] يعني: أن الكتاب مسطور في رق منشور.

إذا: قوله: ((في رق منشور)) متعلق بقوله: ((مسطور)) أي: وكتاب سطر في رق منشور يقرأ على الناس جهارا، والرق: الصحيفة أو الجلد الذي يكتب فيه.

و**غلط** الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى من قال إن الكتاب المسطور في رق منشور هو: اللوح المحفوظ، قال: لأن اللوح المحفوظ ليس برق.

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٤٢/٣٧

يعني: ليس عبارة عن جلد معد للكتابة عليه، فلا يطلق عليه وصف الرق.

أيضا غلط بعض العلماء قول من قال: إن قوله تعالى: ((وكتاب مسطور)) المقصود به التوراة؛ لأن التوراة كانت في ألواح، كما قال تعالى: ﴿وألقى الألواح﴾ [الأعراف:١٥٠]، ولم تكن في رق.

فبالتالي لا يصح تفسير قوله: ((وكتاب مسطور)) بأنه التوارة.

ومما أيد به التفسير الذي ذكرناه وأنه هو الراجح -وهو أن الكتاب المسطور المقصود به القرآن الكريم- الربط دائما بين موسى عليه السلام وبين محمد عليه الصلاة والسلام، وبين الأمة المحمدية وأمة بني اسرائيل، وبين التوراة وبين القرآن الكريم، وهذا كثير في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى﴾ [الأحقاف:٣٠].

والكتاب الأساسي هو التوارة، أما الإنجيل فجاء مكملا فقط للتوراة، لذلك قالت الجن كما حكى الله عنهم: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى﴾ [الأحقاف:٢٩ - ٣٠]، فهنا حصل الربط بين القرآن وبين موسى عليه السلام.

كذلك لما اصطحبت خديجة رضي الله تعالى عنها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل، قال له: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، فربط بين موسى وبين محمد عليه الصلاة والسلام.

كذلك قول النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.

كذلك في صدر سورة الإسراء، نلاحظ هذا الربط بين موسى وبين محمد عليهما الصلاة والسلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام﴾ [الإسراء:١] إلى قوله تعالى: ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ [الإسراء:٢].

فيلاحظ في القرآن الكريم: التشابه الشديد بين موسى وبين محمد صلى الله عليهما وسلم، سواء في النشأة أو أطوار الرسالة، وهذا كله مصداق ما جاء من البشارة في التوراة.

وقد ذكرت الملائكة لـ هاجر أن الله سبحانه وتعالى سوف يجعل من نسلها ولدا مباركا، وهو إسماعيل عليه السلام، وهذه البشارة ما زالت موجودة بين أيدي اليهود والنصارى إلى اليوم، وفيها: (وأقيم لهم من إخوتك نبيا مثلك) أي: مثل موسى، فهذه المثلية هي التي نشير إليها؛ لوجود صور كثيرة من التشابه بينهما، ولا يوجد هذا التشابه الكبير بين المسيح وبين محمد عليه الصلاة والسلام، وإنما دائما التشابه يكون بين

موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وهذا كله مصداق هذه البشارة التي فيها: (أقيم لهم من إخوتك نبيا مثلك).

يعني: مثل موسى عليه السلام.

فمما يرجح أن الكتاب المسطور المراد به القرآن؛ هذا المبدأ الذي أشرنا إليه، وهو الربط والارتباط الوثيق بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وبين التوراة وبين القرآن، ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين﴾ [التين:١ - ٣]، حلف الله تعالى وأقسم بالمواضع الثلاثة التي أنزل فيها الوحي على الأنبياء.

فقوله: ((والتين والزيتون))، هذا إقسام ببلاد الشام، حيث ينبت التين والزيتون.

وقوله: ((وطور سينين))، حيث كلم الله موسى عليه السلام.

وقوله: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ [التين:٣]، يعني: مكة، حيث أنزل الوحي على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وكذلك هنا قرن بين الطور الذي هو مهبط كلام الله على موسى، وبين القرآن الكريم.." (١)

"تفسير الإمام ابن القيم لقوله تعالى: (والنجم إذا هوى)

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة في كتابه (التبيان في أقسام القرآن): ومن ذلك قوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى﴾ [النجم:١ - ٣]، أقسم سبحانه بالنجم عند هويه على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه إليه أعداؤه من الضلال والغي.

واختلف الناس في المراد بالنجم، فقال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أقسم بالقرآن إذا نزل منجما على رسوله صلى الله عليه وسلم، يعني: أن النجم هنا هو القرآن، حينما كان ينزل منجما، يعني: متفرقا؛ وذلك بأن تنزل أربع آيات، وثلاث آيات، وتنزل سورة كاملة، وكان بين نزول أوله وآخره ثلاث وعشرون سنة.

وكذلك روى عطاء عنه، وهو قول مقاتل والضحاك ومجاهد، واختاره الفراء، وعلى هذا فسمي القرآن نجما لتفرقه في النزول.

فيكون أحد أسماء القرآن الكريم نجما، لقوله: (والنجم إذا هوى)، يعني: والقرآن الكريم؛ لتفرقه في النزول. والعرب تسمي التفرق تنجما، والمفرق نجما، ونجوم الكتاب أقساطها، ويقال: جعلت مالي على فلان

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٥/١٤٣

نجوما ومنجما، كل نجم كذا وكذا.

هذا هو الاستعمال اللغوي لهذا التعبير، فقول القائل: جعلت مالي على فلان نجوما، يعني: أقساطا، وقوله: كل نجم كذا وكذا، يعني: كل قسط كذا وكذا.

وأصل هذا أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وآجالها، فيقولون: إذا طلع النجم -يريدون بذلك الثريا- حل عليك الدين.

ومنه قول زهير في دية جعلت نجوما على العاقلة: ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهرقوا ما بينهم ملء محجم يعني: أنهم عدلوا عن الثأر وعن القصاص والقتل بأن قبلوا أن تدفع عاقلة الجاني الدية منجمة مقسطة، ولم يسفكوا دما ولو قليلا.

ثم جعل كل تنجم تقسيطا وإن لم يكن مؤقتا بطلوع نجم، فشاع استعمال كلمة (التنجم) على أنها تساوي التفريق، ولم يشترط أن تكون مرتبطة بالفعل بطلوع النجم.

وقوله: (والنجم إذا هوى) إذا كان النجم إذا هوى هو: القرآن الكريم؛ لنزوله منجما أو على نجوم، فما معنى: (هوى) على هذا القول؟

A معناه: نزل من علو إلى سفل، أي: والقرآن المنزل المقسط أو الذي جزئ أجزاء وتفرق إنزاله.

قال أبو زيد: هوت العقاب تهوي هويا -بفتح الهاء- إذا انقضت على صيد أو غيره.

وكذلك قال ابن الأعرابي، وفرق بين الهوي لقوله: والدلو في إقعادها عجل الهوي وقال الليث: العامة تقول: الهوي -بضم الهاء- في لفظة: هوى يهوي.

وكذلك قال الأصمعي: هوى يهوي هو بفتح الهاء إذا سقط إلى أسفل، قال: وكذلك الهوي في السير إذا مضى.

وهاهنا أمر يجب التنبيه عليه **غلط** فيه أبو محمد بن حزم أقبح غلط، فإنه ذكر في ضمن أسماء الرب تبارك وتعالى الهوي، واحتج بما في الصحيح من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول في سجوده: (سبحان ربي الأعلى الهوي)، وهذا -والله تعالى أعلم- لأن ابن حزم لم يخالط العلماء مخالطة كاملة كما ينبغي لمن يسلك هذا الطريق، فربما كانت هذه إحدى سقطاته التي تنشأ من مثل هذا، وهذا من الوهم في فهم بعض الأحاديث؛ لعدم التلقي على الشيوخ؛ لأنه ربما لو تلقى هذا عن شيخ ما كان يقع في هذا الفهم الذي استبد به وأوقعه في الخطأ الفاحش، ف عائشة تقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: (سبحان ربي الأعلى الهوي)، فظن أبو

محمد أن (الهوي) صفة للرب، وليس كذلك؛ فإنه يقال: مضى هوي من الليل على وزن فعيل، ومضى هزيع من الليل أي: طرف وجانب، والمقصود بالحديث: أنه كان يقول في سجوده: (سبحان ربي الأعلى) في قطعة من الليل وجانب منه، فالهوي هو قطعة ووقت طويل من الليل، فكان يقول ذلك صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المدة، ويفسر ذلك ما صرحت به أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها في اللفظ الآخر حيث قالت: (كان يقول: سبحان ربي الأعلى، الهوي من الليل).

إذا: إعراب (الهوي) أنه ظرف زمان.

يقول الحافظ الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾ [النجم:١]: وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية علي بن أبي طلحة وعطية: يعني: الثريا إذا سقطت وغابت.

وهذه هي الراوية الأخرى عن مجاهد، والعرب إذا أطلقت النجم تعني به الثريا، قال الراعي: فباتت تعد النجم في مستحيرة سريع بأيدي الآكلين جمودها وقال أبو حمزة اليماني: (والنجم إذا هوى) يعني: النجوم إذا انتثرت أو إذا انتشرت يوم القيامة.

وقال ابن عباس في رواية عكرمة: يعني: النجوم التي ترمى بها الشياطين إذا سقطت في آثارها عند استراق السمع.

يقول ابن القيم: وهذا قول الحسن، وهو أظهر الأقوال.

فالإمام ابن القيم يرجح قول الحسن، وهو أيضا قول ابن عباس في رواية عكرمة عنه.

يقول ابن القيم: ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها سبحانه آية وحفظا للوحي من استراق الشياطين له على أن ما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وصدق.

يعني: كقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون﴾ [الشعراء:٢١١ - ٢١٢]، وذلك بعدما ذكر صفات القرآن الكريم وأنه تنزيل من الله تبارك وتعالى، وفي هذا ربط بين رجم الشياطين بالنجوم وبين حفظ القرآن؛ كما قالت الجن أيضا: ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ [الجن:٨ - ٩]، فحرست السماء إرهاصا لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأجل صيانة القرآن الذي كان ينزل.

فبين الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى معللا سبب ترجيحه هذا القول أن المقسم عليه مرتبط ارتباطا وثيقا بهذا القسم: ﴿والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي

يوحى﴾ [النجم:١ - ٤]، يعني: أن المقصود أنه وحي محفوظ، وليس للشياطين أبدا طريق إليه.
يقول ابن القيم: ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله سبحانه وتعالى آية وحفظا للوحي من استراق الشياطين له على أن ما أتى به رسوله حق وصدق، لا سبيل للشيطان ولا طريق له إليه، بل قد حرس بالنجم إذا هوى إرهاصا بين يدي الوحي -مقدمة بين يدي الوحي-، وحرسا له، وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور، وفي المقسم به دليل على المقسم عليه.
فالمقسم به هو: ﴿والنجم إذا هوى﴾، والمقسم عليه هو ما ضل صاحبكم وما غوى: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم:٣ - ٤].
يقول ابن القيم: وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى.
يعني: أن هذا معنى غير واضح، فهو يرى أن هذا القول مرجوح.
وكذلك يقول: وليس بالبين أيضا تسمية نزوله هويا، ولا عهد في القرآن ذلك، فيحمل هذا اللفظ عليه.
أي: أن القرآن يوصف بأنه نزل أو أنزل، لكن لا يصح أن يقال: إن القرآن هوى، بمعنى: أن القرآن نزل.
يقول ابن القيم: وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها إذا غابت، وليس بالبين أيضا القسم بالنجم أو بالنجوم عند انتشارها يوم القيامة، بل هذا مما يقسم الرب عليه، ويدل عليه بآياته، فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين.
أي: أن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى يستبعد أيضا القول بأن المعنى: والنجوم إذا انتثرت أو إذا انتشرت يوم القيامة، يقول: لأن العادة في القرآن أن الله سبحانه وتعالى يقسم بالآيات الظاهرة البينة للناس.
أي: يبعد أن يكون المقصود: والنجوم إذا انتثرت وانتشرت يوم القيامة، ويقول: لأن هذا مما يقسم الرب عليه، والله سبحانه وتعالى يقسم على أن النجوم سوف تنتثر، ولا يحلف بالنجوم إذا انتثرت.
ويقول ابن القيم: بل هذا مما يقسم الرب عليه، ويدل عليه بآياته، فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين، ولا سيما منكرو البعث، فإنه سبحانه إنما استدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه، فأظهر الأقوال قول الحسن.
والله تبارك وتعالى أعلم.
هذا فيما يتعلق بتحقيق الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى للقول الراجح في تفسير هذه الآية.." (١)

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٤٥/٥

"وجه تفسير قوله تعالى: (لا تنفذون إلا بسلطان) على أن السلطان العلم والرد عليه

هنا تنبيه أخير قبل أن نختم الكلام فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾، يقول صاحب كتاب (خواطر دينية): كثير من أهل العلم يدعي في قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ أنه يشير إلى الطائرات وسفن الفضاء، ويقولون: إن معنى: ((لا تنفذون إلا بسلطان)) يعني: إلا بعلم، ففيه الإشارة إلى أن العلم سيصل إلى اختراع ما ذكر، وقد حصل ذلك أخيرا كما هو مشاهد، وهذا غلط؛ لأن سياق الآية لا يفيد ذلك ولا يساعد عليه، بل الخطاب فيها لتعجيز الثقلين وإعلامهم أنهم لا يقدرون على الخروج من نواحي السماوات والأرض هربا من يوم الحساب. ((إلا بسلطان)) أي: بقوة، ولا قوة لهم على ذلك، وهذه الطائرات وسفن الفضاء لم تخرج عن أقطار السماوات والأرض، ولا يمكن أن تخرج عنها أبدا، وإنما هي تطير داخلها مهما أبعدت في طيرانها، وحتى لو خرجت خارج المجرة أو خارج كل المجرات القريبة مثلا فهم ما زالوا في داخل أقطار السماوات، حتى إنهم إلى الآن لا يعرفون حدود سماء الدنيا.

ولم يخرج أحد عن أقطار السماوات إلا النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج حيث تجاوز السماوات السبع إلى سدرة المنتهى وإلى الجنة، وكان ذلك إكراما خاصا به صلى الله عليه وآله وسلم، فهل تجاوزت طائرة أو سفينة فضاء السماء الدنيا؟ بل هل هي وصلت أصلا إلى حدود السماء الدنيا؟ نعم أشار القرآن إلى الطائرات بأنواعها بإشارة صريحة في قوله تعالى وهو يذكر نعمته علينا في خلق المواصلات حيث قال: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل:٨] يعني: من وسائل المواصلات التي سوف تصنعونها وتخترعونها وتكون سريعة جدا، وهذا أشرنا إليه من قبل في تفسير سورة يس، وتكلمنا في بحث مفصل عن إخبار القرآن في عدة آيات وكذلك السنة في بعض الأحاديث عن هذه المواصلات الحديثة من السيارات والطائرات ونحوها.

أما قوله تعالى: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب﴾ [الحج:١٥] أي: بحبل، ﴿إلى السماء﴾ [الحج:١٥] يعني: إلى سقف الحجرة، ﴿ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ [الحج:١٥] فالشاهد أن السماء تطلق لغة على السقف وغيره، والسحاب يطلق عليه سماء، قال عز وجل: ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ [المؤمنون:١٨] السماء هنا المقصود بها: السحاب؛ لأنه يعلونا، أيضا الغلاف الجوي سماء: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾ [الأنبياء:٣٢] فالغلاف الجوي سقف محفوظ

يحفظ الأرض والكائنات الحية من الإشعاعات الضارة التي قد تبيد الحياة، والكواكب يطلق عليها سماء؛ لأنها تعلونا، فقول الجن: ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ [الجن:٨] يعني: أن الجن لا ينفذون إلى ما فوق السماء الدنيا.

ثم قال تعالى: ﴿فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا﴾ [الجن:٨] أي: حراسة السماء لنزول القرآن، وهذه كانت من إرهاصات بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن أمرا عظيما سوف يحدث، لذلك حرست السماء حتى لا يختطف الجن الوحي فيخلطوه بالكذب كما هو معلوم في الأحاديث.

﴿وأنا لمسنا السماء﴾ [الجن:٨] لا تعني أبدا أنهم قد اخترقوا أو نفذوا من أقطار السماوات والأرض، خاصة وأن الله سبحانه وتعالى يقول: ((يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا)) تهديد، ((لا تنفذون إلا بسلطان)) أي: لابد لكم من قوة وقدرة على الاختراق، وأنى لكم هذه القدرة التي تمكنكم من أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)

قال تعالى: ((كتب الله لأغلبن أنا ورسلي))، فالرسل غالبون لكل من غالبهم، والغلبة نوعان: غلبة بالحجة والبيان وهي ثابتة لجميع الرسل، وغلبة بالسيف والسنان، وهي ثابتة لمن أمر بالقتال منهم دون من لم يؤمر بها.

وقد دلت هذه الآية الكريمة وأمثالها كقوله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [الصافات:١٧١ - ١٧٣]، على أنه لم يقتل نبي في جهاد قط على الإطلاق؛ لأن المقتول ليس بغالب، فالقتل في جانب والغلبة في جانب آخر، بدليل قوله تعالى: ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب﴾ [النساء:٧٤]، هي واحدة من الاثنتين فقط: إما أن يقتل وإما أن يغلب، فدل على أن القتل غلبة.

وقال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [غافر:٥١]، وقد نفى الله عن الشخص المنصور أن يكون مغلوبا نفيا باتا في قوله تعالى: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ [آل عمران:١٦٠]، وبهذا تعلم أن الرسل الذين جاء في القرآن أنهم قتلوا كقوله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾ [البقرة:٨٧] وقوله تعالى: ﴿قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ [آل عمران:١٨٣] لم يقتلوا في جهاد، وإنما

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٥/١٥٠

قتلوا صبرا كما حصل لزكريا وغيره من الأنبياء الذين قتلتهم بنو إسرائيل.

وقد بين العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى هذا المعنى بصورة مفصلة في أثناء تفسير سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا﴾ [آل عمران:١٤٦].

يقول: هذه الآية الكريمة على قراءة من قرأ (قتل) للمفعول: ((وكأين من نبي قاتل معه))، لا تدل على أن النبي قد يقتل، لكن على قراءة أخرى يحتمل ذلك، فالآية: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير﴾ [آل عمران:١٤٦].

فعلى قراءة من قرأ: (قتل معه) بالبناء للمفعول يحتمل أن نائب الفاعل يكون لفظة: (ربيون)، يعني: قتل ربيون معه، وعليه فليس في (قتل) ضمير أصلا؛ لأن نائب الفاعل اسم ظاهر.

وهناك احتمال آخر: أن يكون نائب الفاعل ضميرا عائدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (وكأين من نبي قتل)، وفي هذه الحالة تعرب جملة: ((معه ربيون كثير)) بأن (ربيون) مبتدأ مؤخر مرفوع بالواو، و (معه): شبه جملة في محل رفع خبر مقدم.

أما بالنسبة للفعل: (قتل)، فنائب الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود إلى النبي.

يقول: ويحتمل أن يكون نائب الفاعل ضميرا عائدا إلى النبي، وعليه فمعه خبر مقدم، و (ربيون): مبتدأ مؤخر سوغ الابتداء به اعتماده على الظرف قبله ووصله بما بعده، والجملة حالية والرابط الضمير، وسوغ إتيان الحال من النكرة التي هي نبي وصفه بالقتل ظلما، وهذا هو أجود الأعاريب المذكورة في الآية على هذا القول.

يقول: وبهذين الاحتمالين في نائب الفاعل المذكور يظهر أن في الآية إجمالا، والآيات القرآنية مبينة أن النبي المقاتل غير مغلوب بل هو غالب، كما صرح تعالى بذلك في قوله: ((كتب الله لأغلبن أنا ورسلي))، وقال قبل ذلك: ((أولئك في الأذلين))، ثم قال: ((إن الله قوي عزيز)).

وأغلب معاني الغلبة في القرآن: الغلبة بالسيف والسنان، كقوله تعالى: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا﴾ [الأنفال:٦٥]، وقال تعالى بعدها: ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين﴾ [الأنفال:٦٦]، وقال تعالى: ﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين﴾ [الروم:١ - ٤]، وهذه الغلبة بالسيف والسنان في القتال، وقال تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾

[البقرة:٢٤٩] أي: بالسيف والسنان، وقال تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾ [آل عمران:١٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

يقول: وبين تعالى: أن المقتول ليس بغالب بل هو قسم مقابل للغالب بقوله: ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب﴾ [النساء:٧٤]، فاتضح من هذه الآيات أن القتل ليس واقعا على النبي المقاتل؛ لأن الله كتب وقضى له في أجله أنه غالب، وصرح بأن المقتول غير غالب.

وقد حقق العلماء أن غلبة الأنبياء على قسمين: غلبة بالحجة والبيان، وهي ثابتة لجميعهم.

وغلبة بالسيف والسنان، وهي ثابتة لخصوص الذين أمروا منهم بالقتال في سبيل الله.

قال: وتصريحه تعالى بأنه كتب أن رسله غالبون شامل لغلبتهم لمن غالبهم بالسيف، كما بين أن ذلك معنى الغلبة في القرآن، وشامل أيضا لغلبتهم بالحجة والبيان، فهو مبين أن نصر الرسل المذكور في قوله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [غافر:٥١] وقوله: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون﴾ [الصافات:١٧١ - ١٧٢]، نصر غلبة بالسيف والسنان للذين أمروا منهم بالجهاد؛ لأن الغلبة التي بين أنه كتبها لهم أخص من مطلق النصر؛ لأنها نصر خاص، والغلبة لغة الثقل، والنصر لغة إعانة المظلوم، فيجب بيان هذا الأعم بذلك الأخص.

وبهذا تعلم أن ما قاله الإمام الكبير الحافظ ابن جرير رحمه الله تعالى ومن تبعه في تفسير قوله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا﴾ [غافر:٥١] إلى آخره، من أنه لا مانع من قتل الرسول المأمور بالجهاد، وأن نصرة المنصوص في الآية حينئذ يحمل على أحد أمرين: أحدهما: أن الله ينصره بعد الموت، بأن يسلط على من قتله من ينتقم منه، كما فعل بالذين قتلوا يحيى وزكريا وشعيبا من تسليط بختنصر عليهم ونحو ذلك.

إما أن يسلط الله على من قتل النبي في الجهاد بأن يقتل وينكل به انتقاما.

الثاني: حمل الرسل في قوله تعالى: ((إنا لننصر رسلنا))، على خصوص نبينا صلى الله عليه وسلم.

لا يجوز حمل القرآن عليه لأمرين: أحدهما: أنه خروج بكتاب الله عن ظاهره المتبادر منه بغير دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع، والحكم بأن المقتول من المتقاتلين هو المنصور بعيد جدا غير معروف في لسان العرب، فحمل القرآن عليه بلا دليل **غلط** ظاهر، وكذلك حمل الرسل على نبينا وحده صلى الله عليه وسلم بعيد جدا أيضا، والآيات الدالة على عموم الوعد بالنصر لجميع الرسل كثيرة لا نزاع فيها.

أيضا الله سبحانه وتعالى لم يقتصر في كتابه على مطلق النصر الذي هو في اللغة: إعانة المظلوم؛ لأن النصر كما قلنا في اللغة: هو إعانة المظلوم، أما الغلبة لغة فهي القهر.

فالله سبحانه وتعالى لم يقتصر على مطلق النصر الذي هو في اللغة: إعانة المظلوم بل صرح بأن ذلك النصر المذكور هو للرسل هو نصر غلبة وقهر، وليس النصر بمعنى إعانة المظلوم؛ لأن الله قال: ((كتب الله لأغلبن أنا ورسلي))، فلابد أن يحمل النصر على هذه الغلبة والقهر كما ذكرنا.

يقول: (وقد رأيت معنى الغلبة في القرآن، ومر عليك أن الله جعل المقتول قسما مقابلا للغالب في قوله: ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب﴾ [النساء:٧٤]، وصرح تعالى: بأن ما وعد به رسله لا يمكن تبديله بقوله جل وعلا: ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين﴾ [الأنعام:٣٤]، ((ولا مبدل لكلمات الله)) ومن كلمات الله الكونية القدرية: أن الرسول لا يمكن أن يقتل في الجهاد أبدا، ولا شك أن قوله تعالى: ((كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)) من كلماته التي صرح بأنها لا مبدل لها، وقد نفى الله جل وعلا عن المنصور أن يكون مغلوبا نفيا باتا بقوله: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ [آل عمران:١٦٠].

وذكر مقاتل: أن سبب نزول قوله تعالى: ((كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)): أن بعض الناس قال: أيظن محمدا وأصحابه أن يغلبوا الروم وفارس كما غلبوا العرب، زاعما أن الروم وفارس لا يغلبهم النبي صلى الله عليه وسلم لكثرتهم وقوتهم فأنزل الله الآية، وهو يدل على أن الغلبة المذكورة فيها غلبة بالسيف والسنان؛ لأن صورة السبب لا يمكن إخراجها).

وسبب النزول يكون دخولا في حكم الآية قطعيا، ويدل له قوله قبله: ((أولئك في الأذلين))، وقوله بعده: ((إن الله قوي عزيز)).

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: (أضواء البيان) أننا نستشهد للبيان بالقراءة السبعية بقراءة شاذة فيشهد للبيان الذي بينا به أن نائب الفاعل: (ربي." [١]

"كلام الشيخ عطية سالم في قوله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله)

يقول العلامة الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ((وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)): وهذا لا يستوجب التفرق في أمره صلى الله عليه وسلم، وقد بين القرآن العظيم أن هذا الأمر موجود في كل كتبه يقول تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى:١٣].

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٦/١٦٢

وقال تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون﴾ [البقرة:٤٠ – ٤١] إلى آخر الآيات.

فهذه الأوامر سواء كانت في كتبهم أو في القرآن فإنها لا تقتضي التفرق، بل تستوجب الاجتماع والوحدة.

قوله تعالى: ((وذلك دين القيمة)) القيمة: فيعلة من القوامة، وهي غاية الاستقامة، وجاء بعده قوله: ﴿فيها كتب قيمة﴾ [البينة:٣] أي: مستقيمة بتعاليمها.

وبين الله سبحانه وتعالى أن القرآن الكريم هو أقوم الكتب وأعدلها على الإطلاق في قوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ [الإسراء:٩]، وقال تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيما﴾ [الكهف:١ – ٢] فنفى عنه العوج، وأثبت له الاستقامة، فهذه غاية القيام، فإن المستقيم قد يكون فيه انحناء كالطريق المعبد المستقيم عن المرتفعات والمنخفضات، لكنه قد ينحرف تارة يمينا وشمالا مع أنه مستقيم، إذن فقد يكون الشيء مستقيما لكن لا يخلو من العوج، لكن أكمل الأحوال أن ينتفي عنه العوج وتثبت له الاستقامة، فهو الطريق الذي يمتد في اتجاه واحد بدون أي اعوجاج إلى أي الجانبين، مع استقامته في سطحه، وهكذا هو القرآن، فهو الصراط المستقيم، ولذلك قال تعالى: ((وذلك دين القيمة)) أي: دين الملة القيمة، فهي قيمة في ذاتها، وقيمة على غيرها ومهيمنة عليه، قال تعالى: ﴿ذلك الدين القيم﴾ [الروم:٣٠]، وقال تعالى: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين * قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام:١٦١ – ١٦٣].

وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ [البينة:٥] يقول الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى فيها: إن في هذه الآية ردا صريحا على أولئك الذين ينادون بدون علم إلى دعوة لا تخلو من تشكيك، حيث لم تسلم من لبس، وهي دعوة وحدة الأديان، ومحل اللبس فيها أن هذا القول منه حق ومنه باطل.

أقول: والصواب أن نقول: وحدة الأديان بالكسر أي: أن الدين واحد، وأما وحدة الأديان بالفتح فمعناها أن هناك أديان مختلفة ثم توحدت مع بعضها، وهذا غلط.

فالحق أن هذه الدعوة فيها شيء من الحق، وفيها تلبيس وباطل، فأما الحق فهو أن هذه الأديان كلها في الأصل دين واحد، فوحدة الأديان أي: وحدة أصولها، كما قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين

له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ [البينة:٥] فهذا جوهر جميع الرسالات السماوية.

لذلك، فالصواب أن يقال: الرسالات السماوية، ولا يقال: الديانات السماوية؛ لأن الدين واحد، فجميع الأنبياء دعوا إلى دين واحد ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران:١٩] فهو دين واحد، وإلا فكيف تكون كلها سماوية وهي يضرب بعضها بعضا؟ فكيف تكون الأديان متضاربة ومتناقضة وقد نزلت من مصدر واحد؟! فجميع الأنبياء دعوا إلى دين واحد، وهو دين الإسلام، ودين الإسلام مكون من جملتين: لا إله إلا الله، فلان رسول الله، فجميع الأنبياء من آدم عليه السلام وحتى خاتمهم وهو محمد عليه الصلاة والسلام كلهم دعو إلى: (لا إله إلا الله) نفس الإله، وأمروا بعبادته وبالإيمان وبالقضاء والقدر، والإيمان بالملائكة، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالبعث والنشور، فهذه أمور ثابتة في جميع رسالات الأنبياء عليهم السلام.

والشق الثاني: نوح رسول الله مثلا، وهذا في عهد نوح عليه السلام، ففي عهد نوح كانت النجاة بأن يشهدوا هاتين الشهادتين أي: لا إله إلا الله نوح رسول الله، وفي عهد موسى: لا إله إلا الله موسى رسول الله.

فلا يصح أن تؤمن وتعبده دون أن تؤمن بالرسالات؛ لأن معرفة ما يرضي الله، وما يقرب من الله، وما يبعد عن الله لا يصل إليها العقل بمفرده، بل لا بد فيها من الوحي، فهو الذي يبين ذلك؛ لأن العقل لا يدرك المعاني التعبدية في كثير من الأحيان، فالبتالي فكلمة النجاة ألا تعبد إلا الله وفق ما يشرعه لك على لسان نبيه ورسوله، فإن معنى: محمد رسول الله، أو نوح رسول الله، أو عيسى رسول الله معنى ذلك: أن تتبع هؤلاء الرسل لا أن تتبعوا وتخترعوا من تلقاء أنفسكم.

فهذه كانت كلمة النجاة، وأما الفرق بين الأديان فهو اختلاف في بعض الشرائع: في أحكام الطلاق والزواج، وتفاصيل بعض العبادات، وأما التوحيد فهو جوهر جميع الرسالات، وكل الأنبياء دعوا إليه، وهذه الحقيقة هي أنصع وأطهر وأهم حقيقة في الوجود كله وهي: لا إله إلا الله، فما خلق الخلق كلهم إلا من أجل لا إله إلا الله، وما بعث الأنبياء إلا من أجل لا إله إلا الله، وما خلقت الجنة والنار إلا من أجلها، وما شرعت فريضة الجهاد إلا من أجلها، وما شرع الحلال والحرام إلا من أجلها، وما قسم الناس إلى أهل الجنة وأهل النار إلا على أساسها وهكذا، فهي إذن محور الحياة كلها، ولذلك ذكرت في مناسبة سابقة أن التفسير الوحيد الصحيح للتاريخ هو أن يفسر على أنه صراع بين أهل التوحيد وبين مناوئيهم من المشركين والكفار، فهذا هو التفسير الحقيقي، وليس كما يقولون: إن الصراع إنما هو بين طبقات حاقدة من الفقراء وبين

البرجوازيين، كما هو معروف من خرافات الشيوعية، أو أنه من أجل صراع سياسي، أو صراع من أجل الشهوات كما ذهب إليه بعضهم.

فالشاهد: أن المحور الحقيقي للتاريخ منذ أن خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إنما هو صراع بين الإسلام والكفر، فهذا هو التفسير الوحيد المقبول في التاريخ، ويجب أن ينظر إلى الموضوع من هذا المحور، وليس كما يقول بعضهم: إن أحداث الدنيا كلها من أجل الدنيا، وفي هذا الزمان الذي نعيش فيه نرى الصراع واضحا بين الإسلام والكفر، فمن الخداع أن يصور بصورة أخرى خلاف ذلك، بل من العدوان على الحق وغمطه أن يسوى بين الكفر والإسلام، ولو زال الحد الفاصل بين الإسلام والكفر: ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ [الأنفال:٧٣] لاختلت الموازين، فهذا ياسر عرفات يقول لزوجته لما أرادت أن تدخل في الإسلام وقد كانت نصرانية: لا، ليس هناك داع، فالكل شيء واحد، فلتبق على النصرانية؛ فإنها والإسلام سواء، فعنده أن كل الأديان شيء واحد.

فالشاهد هذا تشويش على الإسلام وخصوصا إذا صدر من أناس لهم ثقلهم في العلم أو في الإسلام، فهذه القضية لا تحتمل مساومة على الإطلاق.

فهذا الذي يدعون إليه يعتبر جناية في حق البشرية، فطالما قررت أن أعظم حق، وأول حق، وأهم حق من حقوق الإنسان -لمن عقل- هو ألا يحال بينه وبين الإسلام كما أنزله الله، وأعظم جريمة ترتكب في حق الإنسان ليست أن يستعبد، ولا أن يعذب، ولا أن تؤخذ أمواله، لا، بل هي أن يحال بينه وبين الدخول في الإسلام بالتشويش على الإسلام، ووصف المسلمين بالإرهابيين، ووصف الإسلام بأنه دين التطرف، وغيرها من عبارات التنفير، فهذه أكبر جريمة في حق البشرية كلها وخصوصا الكفار؛ لأنهم إذا حرموا من هذه النعمة فسوف يخلدون أبد الآباد في نار جهنم، فأي جريمة في حق الإنسان أكثر من أن يحال بينه وبين سعادة الدارين في الدنيا والآخرة؟! إذا: فأصحاب هذه الدعوى يتسترون ويقولون: الأديان الإبراهيمية، وهي كلمة حق، لكننا لا نسميها أديانا، بل إن ملة إبراهيم عليه السلام دين واحد، وهو دين الإسلام.

فكأنه من هذه الآية: ((وما أمروا)) أي: كل هؤلاء الكفار، وما أمروا سواء كان في كتبهم أو جاء به نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا الأمر لا يقبل التصرف ولا الاختراع ((إلا ليعبدوا الله)) وحده ((مخلصين له الدين)) بلا شرك ولا ند، ((حنفاء)) كما كان إبراهيم، ((ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة))

وأما الباطل في دعوة الأديان الإبراهيمية أو توحيد الأديان فهو الإبهام بأن هذا ينجر على الفروع مع الجزم عند الجميع؛ لأن فروع الإسلام قد لا تتفق كلها مع فروع الدين الآخر، كالصلاة والصيام إلى آخره.

فالذي جاء به القرآن هو دين القيمة ((وذلك دين القيمة)) فالإسلام هو الدين القيم، والقرآن يهدي للتي هي أقوم، وليست كلمة (أقوم) أفعل تفضيل، فلا يمكن أن يص." (١)

"حكمة تخصيص الغراب بأنه دابة المواراة

أما حكمة تخصيص الغراب بكونه دابة المواراة فقد قال أبو مسلم: عادة الغراب دفن الأشياء.

فهذه عادة عند الغراب أنه يدفن الأشياء في الأرض، فجاء غراب فدفن شيئا فتعلم ذلك منه، وهذا غير الكلام الذي سبق من قبل، وهو أن الله سبحانه وتعالى بعث غرابين اقتتلا فقتل واحد منهما صاحبه فواراه في التراب.

فهناك قول آخر أنه ما كان الغراب يدفن غرابا آخر، وإنما عادته أنه دائما يدفن الأشياء في الأرض، فرآه يبحث في الأرض ويحفر فيها بمنقاره ورجله عميقا كي يدفن فيها شيئا ما لا يشترط فيه أن يكون غرابا.

والغراب هو الطائر الأسود المعروف، وقسموه إلى أنواع، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله لما فيه من الفسق، ولأنه من أخبث الطيور، والعرب تقول: (أفسق من غراب) أي: أشد في الخبث والفسق من الغراب.

وتقول أيضا: (أحذر من غراب) باعتباره يتصف بالحذر و (أده ى من غراب) و (أصفى عيشا من غراب) و (أشد سوادا من غراب)، و (هذا بأبيه أشبه من الغراب بالغراب) لأن الغربان تتشابه بشكل عجيب، والناس الذين يعيشون في الصحراء يدركون ذلك، وإذا نعتوا أرضا بالخصب قالوا: (وقع في أرض لا يطير غرابها).

ويقولون: (وجد تمرة الغراب) يعني: الشيء الذي ليس أحسن منه؛ لأن الغراب ينتقي أطايب التمر وأجود أنواعه ويتتبعه.

ويقولون: (أسأم من غراب)، ويقولون: (أفسق من غراب)، ويقولون: (طار غراب فلان)، إذا شاب رأسه؛ لأن الغراب أسود، وإذا أراد شخص أن يعلق شيئا على فعل لا يقع يقول مثلا: أزورك حين يشيب الغراب. أي: حين يتحول لون الغراب إلى اللون الأبيض، وهذا لا يقع، أو: لا آتيك حتى يبيض الغراب.

فيقولون: (طار غراب فلان) أي: رحل السواد وحل محله الشيب و (غراب غارب) على سبيل المبالغة، كما قالوا: (شعر مشاعر) و (موت مائت) وقال رؤبة: فازجر من الطير الغراب الغارب.

قالوا: وليس شيء في الأرض يتشاءم به إلا والغراب أشأم منه، وللبديع الهمذاني فصل بديع في وصفه،

---

(١) تفسير القرآن الكريم – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٨/١٩٩

ذكره صاحب المضاف والمنسوب، من مثل قوله: (ما أعرف لفلان مثلا إلا الغراب، ولا يقع إلا مذموما على أي جنب وقع، إن طار فمقسم الضمير، وإن وقع فمروع بالنذير، وإن حجل فمشية الأمير، وإن شحج فصوت الحمير، وإن أكل فدبرة البعير.

يعني: قرحته.

والأبيات في غراب البين كثيرة ملئت بها الدفاتر، فغراب البين يشيع كثيرا استعماله في الأدب العربي، حيث يتشاءمون من الغراب بأنه رمز البعد والسفر عن الأحباب والأصحاب وغير ذلك.

إلا أن هذا الأمر الشائع من أن (غراب البين) المقصود به الغراب الطائر في حقيقته كلام غير صحيح، وإنما (غراب البين) هو الإبل، فقد حقق الإمام أبو عبد الله الشريف الغرناطي قاضي غرناطة في شرحه على مقصورة حازم أن غراب البين في الحقيقة هو الإبل؛ لأن الإبل هي رمز السفر عند العرب؛ لأنها تنقل الأحباب من بلد إلى بلد، فلذلك اعتبر الغراب رمزا للفراق والبين، وإذا قالوا: (غراب البين) فالمقصود به الإبل التي تغترب بالناس وتنقلهم من بلاد إلى بلاد.

وأنشد في ذلك مقاطيع منها: **غلط** الذين رأيتهم بجهالة يلحون كلهم غرابا ينعق ما الذنب إلا للأباعر إنها ممن يشتت جمعهم ويفرق إن الغراب بيمنه تدنو النوى وتشتت الشمل الجميع الأينق فهنا هو يرد على هؤلاء الذين يعتبرون أن غراب البين هو الطائر، فيقول: هذا جهل وهذا خطأ.

فقوله: **غلط** الذين رأيتهم بجهالة يلحون كلهم غرابا ينعق يعني: ينحون باللائمة، ويذمون هذا الغراب الطائر الذي ينعق، ويتشاءمون منه باعتباره غراب البين، ويقول: (ما الذنب إلا للأباعر) أي: الذنب في البين والفراق هو للجمال وليس لهذه الطيور (إنها مما يشتت جمعهم ويفرق)، أي: الإبل هي التي تشتت جمعهم وتفرقهم بالأسفار.

وقوله: (إن الغراب بيمنه تدنو النوى) يعني: هو ليس مشئوما، ولكنه له يمن.

فبيمنه تدنو النوى، أي: يقترب البعاد (وتشتت الشمل الجميع الأينق) النوق أو الجمال أو الإبل هي التي تشتت المجتمع وتفرق الناس وتسافر بهم.

وأنشد ابن المسناوي لـ ابن عبد ربه: زعق الغراب فقلت أكذب طائر إن لم يصدقه رغاء بعير فقوله: (زعق الغراب فقلت أكذب طائر) لأن الناس يتشاءمون من صوت الغراب، فيقول: قلت أكذب طائر) فلم يقل: إنه علامة على مفارقة الأحباب؛ لأن صوت الغراب إذا لم يقترن به رغاء البعير الذي يحمل الأحباب ويسافر

بهم فإنه يكون كذبا ولا شؤم فيه.

فهذا كله مما يؤيد أن غراب البين المقصود به الإبل وليس الطائر.." (١)

"القول بأن الحروف المقطعة من المتشابه

وقد قسم العلماء آيات الذكر الحكيم إلى قسمين: قسم المحكم والمتشابه، وهذا التقسيم قائم على أساس قوله تبارك وتعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [آل عمران:٧].

أما فيما يتعلق بالحروف المقطعة فقد انقسم العلماء في ذلك إلى فريقين: فريق توقفوا عن أن يدلوا فيها بأي رأي اجتهادي تورعا، وفوضوا العلم بها إلى الله سبحانه وتعالى.

أما الفريق الآخر: فحاولوا أن يؤولوا ليدركوا معانيها، ومع ذلك فلم تتفق كلمتهم على رأي قاطع في هذه المسألة، بل تعددت أقوالهم.

فالفريق الأول اعتبروا هذه الفواتح من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فعلى هذا الأساس تكون هذه الفواتح من الأسرار المحجوبة التي لم يطلع الله عليها أحدا من خلقه، فهي: كالساعة والغيث وعلم ما في الأرحام وغير ذلك، فواجب المؤمن التصديق بها حتى ولو غاب عنه تأويلها، يقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (عجزت العلماء عن إدراكها)، أي: عن إدراك سر هذه الحروف المقطعة في أوائل كتاب الله عز وجل، فهي لها معنى بلا شك، وهناك حكمة من إيرادها، لكن العلم بالمراد منها موكول إلى الله سبحانه وتعالى.

قال الشعبي والثوري وجماعة من المحدثين: هي -أي الفواتح- سر الله في القرآن، ولله في كل كتاب من كتبه سر، فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن نؤمن بها ونقرأ كما جاءت؛ ولذلك لما سئل الشعبي عنها قال: (سر الله عز وجل فلا تطلبوه).

وقال أبو حاتم: (لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله عز وجل بها).

وبعض العلماء جمع هذه الحروف، وحذف منها المكرر، وكون منها جملة مفيدة، فخرجت هذه الجملة: (نص حكيم قاطع له سر!!).

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٥/٤١

وهذه ليست طريقة علمية في الاستنباط، لكن هذا مما يستأنس به، ومما يستملح.

وقال الربيع بن خثيم: (إن الله تعالى أنزل هذا القرآن، فاستأثر منه بعلم ما شاء، وأطلعكم على ما شاء، فأما ما استأثر به لنفسه فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به، وما كل القرآن تعلمون، ولا بكل ما تعلمون تعملون).

وعلق أبو بكر الأنباري على مقولة الربيع قائلا: (فهذا يوضح أن حروفا من القرآن سترت معانيها عن جميع العالم، اختبارا من الله وامتحانا، فمن آمن بها أثيب وسعد، ومن كفر وشك أثم وبعد).

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى: (من تكلم في بيان معاني هذه الحروف، جازما بأن ذلك هو ما أراده الله عز وجل فقد غلط أقبح الغلط، وركب في فہمه ودعواه أعظم الشطط، فإنه إن كان تفسيره لها بما فسره به راجعا إلى لغة العرب وعلومها فهو كذب بحت، فإن العرب لم يتكلموا بشيء من ذلك)، فهذا هو الاحتمال الأول الذي ذكره الشوكاني في حق من يدلي بدلوه في هذه القضية.

أنه: إن كان يزعم أن له سلفا من العرب في هذا الفهم وهذا التفكير لهذه الحروف المقطعة، فنقول: هذا كذب بحت وافتراء محض؛ لأن العرب لم تعرف هذا الأسلوب على الإطلاق في الكلام من قبل.." [١]

"تفسير قوله تعالى: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم)

ثم بين تبارك وتعالى أن نصرهم يوم بدر مع قلتهم كان بحوله تعالى وقوته، فقال عز وجل: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم﴾ [الأنفال:١٧].

قوله: ((فلم تقتلوهم)) أي: بقوتكم.

يعني: ما وقع من النصر يوم بدر مع قلتكم ليس بفعلكم أنتم.

وقوله: ((ولكن الله قتلهم)) يعني: سبب في قتلهم بنصرتكم وخذلانهم، وألقى الرعب في قلوبهم، وقوى قلوبكم، وأمدكم بالملائكة، وأذهب عنكم الفزع والجزع.

وقوله: ((وما رميت))، يعني: أنت يا خاتم النبيين ما رميت، أي: ما بلغت رمية الحصباء إلى وجوه المشركين، ((إذ رميت)) بالحصباء؛ لأنك أتيت بالسبب، وهو أنه صلى الله عليه وسلم أخذ كفا من الحصباء وألقاه وقال: (شاهت الوجوه)، فابتداء الرمي هو من فعل النبي عليه الصلاة والسلام؛ بدليل أن الله نسب إليه الرمي فقال: ((إذ رميت))، لكن هذه كانت معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، فإن مثل هذا الإلقاء من

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٦١/٤

كف واحدة ليس من شأنه في العادة أن يصل إلى عيون الكفار واحدا واحدا؛ فالله هو الذي أوصل هذه الحصباء إلى عين كل واحد منهم، فأشغله بنفسه.

فهذه معجزة كانت من فعل الله سبحانه وتعالى في الحقيقة، وإن كان تسبب بها ابتداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقوله: ((وما رميت))، يعني: ما بلغت رمية الحصباء إلى وجوه المشركين، فالرمي المنفي غير الرمي المثبت، فالرمي المنفي هو نفي إيصاله إلى وجوه المشركين؛ لأن هذا النوع من الرمي الذي أدى إلى وصول الحصباء إلى عيون المشركين واحدا واحدا هو فعل الله تعالى، وهو المراد بقوله: ((ولكن الله رمى)).

وأما رمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو رمي مثبت ذو حدود، أما الرمي المنفي عن الرسول فإنه من فعل الله سبحانه وتعالى، فقوله: ((وما رميت إذ رمیت)) يعني: ما بلغت رمية الحصباء إلى وجوه المشركين إذ رميت بالحصباء؛ لأن كفا منها لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر، ولذا قال سبحانه: ((ولكن الله رمى))، يعني: بلغ في إيصال ذلك إليهم؛ ليقهرهم.

وقال أبو مسلم في معنى الآية: أي: ما أصبت إذ رميت ولكن الله أصاب، والرمي لا يطلق إلا عند الإصابة، وذلك ظاهر في أشعارهم، وقد روى غير واحد أنها نزلت في شأن القبضة من التراب التي حصب بها النبي صلى الله عليه وسلم وجوه المشركين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته، فرماهم بها وقال: (شاهت الوجوه)، ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها، أي: أن يكونوا صادقين في الحملة على المشركين عقب هذه الرمية مباشرة، ففعلوا، فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله، فانهزموا.

يقول الجشمي: تدل الآية على أن فعل العبد يضاف إليه تعالى إذا كان بنصرته ومعونته وتمكينه، فما دام الذي أعان ومكن هو الله سبحانه وتعالى، فينسب الفعل إلى الله عز وجل؛ إذ معلوم أنهم قتلوا، وأنه رمى، ولذلك قال: ((وما رميت إذ رميت))، ولذلك يضاف إلى السيد ما يأتيه غلامه، وتدل على أن الإضافة بالمعونة والأمر صارت أقوى، فلذلك قال: ((فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم))؛ لأن الله هو الذي أعانكم على قتلهم؛ سبحانه وتعالى.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد ظنت طائفة أن الآية دلت على نفي الفعل عن العبد وإثباته لله، وأنه هو الفاعل حقيقة.

وهذا **غلط** من وجوه عديدة مذكورة في غير هذا الموضع، ومعنى الآية: أن الله سبحانه وتعالى أثبت لرسوله

ابتداء الرمي، ونفى عنه الإيصال الذي لم يحصل برميه، فالرمي يراد به الحذف والإيصال، فأثبت لنبيه الحذف، ونفى عنه الإيصال؛ لأنه لا يقال في لغة العرب: رمى، إلا إذا حصل أنه ضرب بالسهم، والسهم أصاب الهدف، ولا تطلق كلمة الرمي على الحذف الذي لا يترتب عليه الإصابة، يعني: قبل الإصابة لا يطلق عليه رميا، إنما يطلق العرب الرمي على أن يوجه السهم أو الضربة وأن تصيب، فإن لم تصب فلا يطلق عليه رمي، ولذلك قال تعالى: ((وما رميت إذ رميت))، فقوله: ((وما رميت)) يعني: ما وصلت وبلغت، وقوله: ((إذ رميت)) أي: حذفت.

وقوله تعالى: ((وليبلي المؤمنين منه)) أي: ليمنحهم من فضله ((بلاء حسنا))، أي: منحا جميلا بالنصر والغنيمة والفتح، ثم بالأجر والمثوبة، غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره، فيعرفوا حقه سبحانه وتعالى ويشكروه.

وقوله: ((إن الله سميع عليم))، أي: سميع لدعائهم واستغاثتهم، عليم بمن يستحق النصر والغلب.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون)

قال سبحانه: ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ [الشعراء:٢٢٥] أي: أن هؤلاء الشعراء يهيمون في كل واد، ولا يتركون شيئا إلا وتكلموا فيه، فهم يتكلمون في الأرض وفي السماء، وفي المشرق وفي المغرب، وفي الرجال وفي النساء، وفي الصغار وفي الكبار، وفي كل شيء، ويصفون أي شيء، وأكثر الشعراء على ذلك، ولا يوجد شيء يمنعهم أو يردعهم فيقولون أي كلام، فيمدحون الخمر أو غيرها من المحرمات، ثم يعتذرون بعد ذلك.

فهنا معنى قوله تعالى: ﴿في كل واد يهيمون﴾ [الشعراء:٢٢٥] أي: في أي شيء: من إثم أو ذنب أو معصية أو طاعة.

والذي يهيم هو الذي يمشي تائها ولا يشعر أين هو، ولذلك لا تسم ابنتك هيام، فهذه التسمية غلط، والناس يسمون أبناءهم بأسماء لا يفهمون معناها، فالهائم هو الذي يهيم، يقال: فلان في الظلام يهيم، أو إني أراك في الظلال تهيم، يعني: تمشي ولا تعرف هل أنت مشرق أم مغرب؟ وتمشي في الضلال وفي التيه وعقلك ليس حاضرا.

فالهيام هو طيش العقل فترى الإنسان يمشي ولا يدري إلى أين يذهب؟ قال تعالى: ﴿ألم تر أنهم في كل

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٧/٦٨

واد يهيمون﴾ [الشعراء:٢٢٥]، فالشعراء أهل الغواية هم الذين يمدحون بحق أو بباطل، وكذلك يذمون بحق أو بباطل، فهم في كل واد يهيمون.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ومن الناس من يجادل في الله)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

قال الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾ [الحج:٣].

أخبرنا الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾ [الحج:٣] أي: من الناس من يجادل في أمر الله سبحانه، وفي أمر دين رب العالمين، وفي أمر خلق الله سبحانه وتعالى؛ كـ النضر بن الحارث الذي أنكر أن يحيي الله عز وجل الموتى بعد أن يصيروا ترابا وعظاما، فربنا يخبر عن هذا وأمثاله، أنهم يجادلون بغير علم، ولو أنهم تعلموا لعرفوا الحق في ذلك، ولو أنهم نظروا في هذا الكون واطلعوا على كتب الله سبحانه لوجدوا الموافقة بين الكون وهو كتاب الله الذي ينظر الإنسان إليه في كل يوم في آياته، وبين ما نزل من عند الله من السماء وهو كتاب الله القرآن العظيم الذي إذا قرأه وتأمل الواقع عرف الحق وتعلم ما يكون من أمر ربه سبحانه، ولكن العجيب ممن يجادل بجهل ويتكلم بغير علم ويرد كلام النبي صلوات الله وسلامه عليه، فيعجبنا الله عز وجل من أمثال هؤلاء الذين يجادلون بغير علم.

فالذي ينبغي على الإنسان المؤمن ألا يعرض نفسه أبدا لأمر الجدل، إلا في الدفاع عن دين الله سبحانه إن احتاج إلى ذلك، وإذا جادل لا يجادل إلا بعلم، يقول الله عز وجل: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ [العنكبوت:٤٦] أي: إذا جادلت إنسانا لتدعوه إلى الحق فينبغي أن تتعلم ما هو الحق قبل أن تجادل، ولذلك قالوا: إن الإنسان الذي لا يتعلم ويتكلم بغير علم، يرى هذا الإنسان في لغط مضل أو **غلط** مذل، فهذا الإنسان الجاهل حين يجادل إما أنه كثير اللغط الذي يؤدي به إلى الضلال، أو أنه يظن نفسه عالما فيتكلم في أشياء لا يفهمها ولا يعرفها أمام من يعلم، فيذلونه بجهله ويقولون له: إنك جاهل ولست بفاهم، ما هذا الذي تقوله؟! إذا: على الإنسان المؤمن أن يتعلم العلم الشرعي قبل أن يتكلم في دين الله سبحانه وتعالى، ولا يكون كأمثال هؤلاء الجهلة بأمر ربهم سبحانه وتعالى، فكفروا وأشركوا وجادلوا بالباطل.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٣١/١٤٢

وهذا الذي يجادل بالباطل يأخذ الشيطان بناصيته يوم القيامة إلى نار جهنم والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾ [الحج:٤] أي: الله عز وجل كتب وقدر أنه من يتولى الشيطان من دون الله سبحانه فإن الشيطان يضله، وهنا الذي يهدي والذي يضل هو الله سبحانه وتعالى، ولكن أسباب الهداية وأسباب الضلالة يجعلها الله عز وجل على يد من يشاء سبحانه، فالشيطان خلقه الله عز وجل بصفاته، وقد علم أنه يضل عباده ويبعدهم عن أمر دينه، ويدفعهم إلى المعصية، ويسول لهم الشبهات ويزين لهم الشهوات، ويصرفهم إلى المنكرات، فهذه أسباب.

فالله عز وجل يقدر فهو يهدي ويضل بتقديره سبحانه وتعالى، والشيطان يضل العباد ويبعدهم عن طاعة الله كسبب من الأسباب، قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ [الأنعام:١١٢] قوله: ((ولو شاء)) أي: هذا قضاء الله سبحانه وتعالى، فهو إذا قضى بالهداية لا يمكن أن يكون العكس، وإذا قضى بالضلالة لن يكون العكس، وورد في الحديث: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) فهذا ينقلب ويعمل بعمل أهل النار، وذاك ينقلب فيعمل بعمل أهل الجنة كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فالشيطان يضل الإنسان الذي يطيعه والذي يعصي الله سبحانه، ويأخذ به إلى طريق عذاب السعير والعياذ بالله.." (١)

"حكم قراءة آية فيها سجدة في صلاة لا يجهر فيها

قراءة سورة السجدة في صلاة لا يجهر فيها، بعض أهل العلم كرهوا ذلك، كرهوا أن يقرأ الإمام سورة السجدة في صلاة الظهر أو في صلاة العصر؛ لأنه يربك المأمومين بذلك، والبعض الآخر رأى أنه فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فقد قرأ بسورة الانشقاق في صلاة الظهر صلوات الله وسلامه عليه.

إذا: يجوز للإمام أن يفعل ذلك ولكن لا يربك الناس، فلو أراد قراءة سورة فيها سجدة فلينبه الناس قبل الصلاة أنه سيقرأ هذه السورة وفيها سجدة وأنه سيسجد فيها مثلا، أو أنه إذا وصل إلى هذه الآية فليرفع صوته حتى يسمع الناس وراءه أنه قرأ آية فيها سجدة وليسجد بعد تنبيههم أنه يسجد لسجود التلاوة.

ولو فرضنا أنه لم يفعل ذلك جاز له، ولو أن الناس لم يدروا أن الإمام سجد سجود تلاوة، بل ظنوا أنه **غلط**

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/١٧

الإمام، فعلى ذلك لو أنهم لم يتابعوه فلا شيء عليهم، أو أنهم ظنوا أن ،الإمام أخطأ فنزل إلى السجود بدلا من الركوع فلا شيء عليهم في ذلك، هذه بعض الأحكام التي تتعلق بسجود التلاوة.." [1]

"معنى قوله تعالى (إن الله كان غفورا رحيما)

ويبين الله سبحانه سبب هذا التجاوز وهذا الكرم، فيقول الله عز وجل: ﴿إن الله كان غفورا رحيما﴾ [الأحزاب:٢٤]، من صفات الله سبحانه، ومن أسمائه الحسنى: أنه الغفور وأنه الرحيم، فهو يتوب على خلقه؛ لأن التوبة بيده سبحانه، ويرزق من يشاء توبة نصوحا ثم يتوب عليه، ولا يسأل عما يفعل سبحانه، فهو يتوب على من يشاء بفضله ورحمته، فنحن نفرح بكرمه، ونفرح بتوبته على عباده سبحانه وتعالى، وانظروا كيف أنه يدخل الله عز وجل الجنة رجلين أحدهما قاتل لصاحبه، ولا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى.

فهذا مؤمن يخرج للجهاد في سبيل الله عز وجل فيقتله الكافر، ثم أدركت الكافر رحمة رب العالمين سبحانه، فأسلم ومات على الإسلام فدخل الاثنان -القاتل والمقتول- الجنة برحمة منه سبحانه، يغفر لمن يشاء ويتوب على من يشاء، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وقوله تعالى: ﴿كان غفورا رحيما﴾ [الأحزاب:٢٤] هذا التعبير الوحيد الذي يفيد أن الغفران والرحمة صفتان من صفاته سبحانه كانت وما زالت دائمة، سأل رجل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن ذلك، فقال: قال الله تعالى: ﴿إن الله كان غفورا رحيما﴾ [الأحزاب:٢٤]، يعني: كان وانتهى على ذلك في الماضي؟ فتعجب ابن عباس من غلط هذا الإنسان ومن جهله باللغة العربية، فأخبره أن معنى: ﴿كان غفورا رحيما﴾ [الأحزاب:٢٤]: أنه كان ولا يزال على ذلك أبدا سبحانه وتعالى، ولا ينتهي منه ذلك، فهو في الماضي غفور رحيم، والآن غفور رحيم، ويوم الدين غفور رحيم، فهي صفة دائمة أبدية له سبحانه وتعالى، يعبر عنها بهذا التعبير الذي يفيد جميع الأزمان: الماضي والحاضر والمستقبل.

وقوله: ﴿إن الله﴾ [الأحزاب:٢٤]، (إن)، للتحقيق ولتأكيد ذلك، وقوله: ﴿غفورا رحيما﴾ [الأحزاب:٢٤] صفة ثابتة لازمة له سبحانه وتعالى، وكذلك جميع صفاته سبحانه لازمة له عز وجل لا تزول منه أبدا.

والغفر: المحو والستر، فالله يغفر، أي: يمحو الذنب ويستره، رحيم: يرحم العباد سبحانه وتعالى في الدنيا وفي الآخرة، وصفة الرحيم لله عز وجل تختص بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب:٤٣] يرحم المؤمنين، هو الرحيم وهو الرحمن، والرحمن صفة عظيمة لجميع خلقه سبحانه، وهي

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٣/٢٤٦

رحمة دائمة، والرحيم: رحمة تختص بالمؤمنين فيرحمهم يوم القيامة سبحانه وتعالى، ولا يغفر لمن مات على الكفر والشرك بالله عز وجل.." (١)

"قصة تخيير النبي لنسائه وهجره لهن

روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: (دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، فأذن لـ أبي بكر فدخله، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا) صلوات الله وسلامه عليه.

إذا: هنا دخل عمر على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد حول النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت واجم، هيئته هيئة الغضبان عليه الصلاة والسلام فقال: (والله لأقولن شيئا أضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم).

هذا عمر لقي النبي صلى الله عليه وسلم غضبان حزينا فقال: سأقول له مقالة أضحكه بها، قال: (فقال: يا رسول الله! لو رأيت بنت خارجة -زوجة عمر - حين سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها؛ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعني: جاء على المقصود والمطلوب، فـ عمر بن الخطاب قال هذه الكلمة ولم يعرف ما هو الأمر، ولكن وافق ما عند النبي صلى الله عليه وسلم، والمقصود من أنه عمر أدبها وضربها رضي الله تبارك وتعالى عنه، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (هن حولي كما ترى يسألنني النفقة) أي: كلهن قاعدات يسألنني النفقة.

قال: (فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها) هنا التأديب الآن من أبي بكر لـ عائشة.

وقام عمر يضرب حفصة ابنته كلاهما يقول: (تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده؟ فقلن: والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده) يعني: لا نطلب منه حاجة ليست عنده، وإنما نطلب من المال الذي عنده.

وهنا اعتزلهن النبي صلى الله عليه وسلم شهرا يعني: بعد هذا الأمر قام واعتزلهن النبي صلى الله عليه وسلم في غرفة له صلى الله عليه وسلم مرتفعة، ثم نزلت هذه الآية بعد ذلك: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا﴾ [الأحزاب:٢٨] فبدأ بـ عائشة فقال: (يا عائشة! إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك).

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٦/٢٦٥

السيدة عائشة تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وكان عمرها سبع سنوات، ودخل بها في المدينة صلى الله عليه وسلم وعمرها تسع سنوات، ومات عنها صلى الله عليه وسلم وهي بنت ثماني عشرة سنة.

إذا: كانت صغيرة في غزوة الأحزاب، فقد كانت في سنة خمس من الهجرة، يعني: كان عمرها حوالي أربع عشرة سنة تقريبا.

كونه يقول لها صلى الله عليه وسلم: (أخيرك) هنا راعى النبي صلى الله عليه وسلم أنها صغيرة في السن، ممكن يكون فيها نوع من الاندفاع والتهور لا تفهم شيئا، فلذلك قال لها: أنا سأقول لك شيئا لا تعجلي فيه واستشيري أبويك في ذلك.

فقالت: (وما هو يا رسول الله؟! فتلا عليها هذه الآية) وهنا ظهرت رجاحة عقلها رضي الله عنها، وأنها وإن كانت صغيرة السن لكنها كبيرة في القلب والعلم والعقل رضي الله تبارك وتعالى عنها، فقالت لرسول صلى الله عليه وسلم: (أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك ألا تخبر أحدا من نسائك).

وهذه فرصة لـ عائشة أنها تطلب الدار الآخرة وتريد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن حظ نفسها أنها لا تريده أن يقول لأحد من نسائه أنها قالت هذا القول، فقال النبي صلوات الله وسلامه عليه: (لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا) عليه الصلاة والسلام.

النبي صلى الله عليه وسلم مقامه مقام عظيم، مقام المعلم، مقام التيسير على الناس، فلا معنى لأن تسأله نساؤه عن قول السيدة عائشة فيكتم عنهن، فالدين ليس فيه أغلوطات، نهينا عن الأغلوطات في المسائل، كأن تطرح المسألة بصورة **غلط** حتى لا يعرف الصواب، وخاصة إذا كان ذلك في القرآن.

فبعض الناس لما يسمع القرآن يتحير عندما يقول له أحد: الآية كذا أو كذا؟ حتى يخبطه في الإجابة فهذا ليس تعليما، ولكن إن شئت فحفظ الإنسان واسمع منه هذا الذي يقرأ وتسأل وهو يجيب عليك، أما أن تغلطه في الشيء بحيث إنه يقول في القرآن أو في السنة خطأ فهذا لا ينبغي.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث متعنتا، ولا معنفا عليه الصلاة والسلام، وإنما كان بالمؤمنين رءوفا رحيما، فقال هنا: (إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا) هذه الرواية هنا.

وفي رواية للترمذي أن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (إني أريد الله ورسوله والدار الآخرة).

ثم مضى على نسائه عليه الصلاة والسلام وكل امرأة من نسائه قالت كما قالت عائشة رضي الله عن الجميع، فاخترن الدار الآخرة، واخترن الله ورسوله، ولم يطلبن شيئا من الدنيا.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (فنظر نظرة في النجوم)

قال الله تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ [الصافات:٨٨] عليه الصلاة والسلام، وكان قومه أهل نجوم ينظرون في النجوم ويتكلمون بالطالع أنه يحصل كذا وسيحصل لنا كذا وإبراهيم عليه الصلاة والسلام يتعامل مع قومه بشيء من الذكاء العظيم الذي وهبه الله عز وجل له، فيوهمهم بالشيء الذي يقصد خلافه حتى ينفذ ما يريد عليه الصلاة والسلام، لما كان مع عباد الكواكب والنجوم دعاهم إلى الله سبحانه تبارك وتعالى ليعبدوه، فإذا بهؤلاء يعبدون الكواكب والنجوم من دون الله سبحانه، فقال لهم: ما الذي تعبدونه؟ قالوا: نعبد هذه الآلهة، فنظر إلى هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله فظهر كوكب فقال: ﴿هذا ربي﴾ [الأنعام:٧٦] هو هذا الإله الذي تعبدونه من دون الله وتدعونني إلى عبادته؟! ﴿هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ [الأنعام:٧٦] الذي يطلع ويختفي هذا لا ينفع أن يكون إلها، فلما بدأ القمر بعد ذلك بارزا ومنيرا ﴿قال هذا ربي﴾ [الأنعام:٧٧] في زعمكم، فهذا أكبر من الأول، فيكون هذا هو الرب ﴿هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي﴾ [الأنعام:٧٧] الحقيقي ﴿لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر﴾ [الأنعام:٧٧ - ٧٨] هي أكبر شيء، إذا هذا ربي، وهذا ليس اعتقادا من إبراهيم، فالمقام ليس مقام نظر أي: أنه يفكر ويبحث عن إله، لا، وإنما المقام مقام مناظرة، وفي المناظرة يتنزل الخصم مع خصمه، كما تجادل شخصا فتقول: لو فرضنا أن الذي تقوله صحيح، وأنت معتقد تماما أن الكلام الذي يقوله غلط، فهذا تنزل في المناظرة، فهذا كان من إبراهيم مناظرة وليس نظرا، يتنزل معهم حتى يقنعهم بأنهم على باطل، فقال: ﴿هذا ربي هذا أكبر﴾ [الأنعام:٧٨] يعني: بزعمكم الذي تقولونه، ﴿فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ [الأنعام:٧٨].

إذا: تدرج معهم بشيء وراء شيء، فلو قال لهم من البداية: هذا كله باطل لا يسمعون منه، ولكن أحب أن يستدرجهم حتى يصلوا في النهاية أنه فعلا لماذا اختفى الأول والثاني والثالث؟ إذا: لا تنفع هذه الآلهة، فهذا من إبراهيم مناظرة لقومه، وكم له في ذلك من أشياء.

وانظروا إلى مناظرته مع النمرود عندما قال: إنه الرب، وهو الذي يحيي ويميت، إبراهيم يقول: ربي الذي يحيي ويميت، قال: وأنا كذلك أحيي وأميت، قال: ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٦/٢٦٧

المغرب﴾ [البقرة:٢٥٨] أعطى خصمه أدلة أمام الأعين لا أحد يقدر يجادل فيها، فهو لما قال: أنا أحيي وأميت أحكم على اثنين بالإعدام فأقول لأحدهما: عفوت عنك وأقتل الثاني، فأنا أحييت هذا وأمت هذا، فالناس سيصدقونه فيما يقول من كلام فارغ، فإبراهيم أعطاه الشيء الذي لا يعرف كيف يناقش فيه، فقال له: أنت تدعي هذا الشيء فهذه الشمس تطلع من هنا فائت بها من هنا، ﴿فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [البقرة:٢٥٨].

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام آتاه الله عز وجل ما يجادل به قومه، ويقنع بكلامه، وإن كان كفرهم يطمس على قلوبهم فلا يعقلون ولا يهتدون.

قال تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ [الصافات:٨٨] كهيئة المتفكر، وكأنه ينظر الأمر وهو يريد حيلة ليقعد في دار الأصنام فيكسرها، فهم لن يتركوا إبراهيم وهو على خلاف ما يقولون، إذا دبر حيلة مع هؤلاء، فنظر في النجوم كهيئة المتفكر ثم عندما قال: (إني سقيم) فظنوا أنه نظر في النجوم فتنبأ أنه سيمرض غدا قال: ﴿فقال إني سقيم﴾ [الصافات:٨٩]، فأوهمهم أنه سيأتيه مرض معدي فيخافون ويتركونه ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ [الصافات:٩٠]، لئلا يعدينا بمرضه، فهم كانوا خارجين إلى عيد لهم وأرادوا أخذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام معهم في عيدهم لعله يقتنع بما هم فيه، ويترك ما يدعوهم إليه، وأراد هو أن يمكث في يوم العيد وهم يخرجون فيأتون بطعامهم ليجعلوه في دار الأصنام لأجل أن تأتيها البركة من هذه الأصنام، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام قال: ﴿إني سقيم * فتولوا عنه مدبرين * فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ [الصافات:٨٩ - ٩١] يستهزئ ويستهين بهذه الآلهة، الأكل متروك أمامكم لماذا لا تأكلون من هذا الطعام؟ وضعوا الطعام أمام الآلهة وهم يعرفون أن الآلهة لا تأكل ولا تشرب، وأنها كذب وزور، يفترون على الله الكذب! وقوله: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات:٨٩] هذه واحدة من ثلاث كذبات كذبها إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حياته كلها، ومن من الناس لا يكذب في حياته إلا هذا العدد؟! وإبراهيم معصوم عليه الصلاة والسلام، والله أذن له في ذلك، وكلامه كان تعريضا، وظاهر الكلام أنه كذب، قال: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات:٨٩] وليس مريضا، ولكن الإنسان عندما يقول: إني مريض يحتمل أنه مريض مرضا عضويا أو مرضا نفسيا أو أن بقلبه علة من شؤم هؤلاء وكفرهم، إذا: ضاقت نفسه وقلبه عن ذلك، أو ﴿إني سقيم﴾ [الصافات:٨٩] كقوله الله سبحانه: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر:٣٠]، لما كان الموت آت آت وأتى أمر الله قال لنبيه وهو على الحياة: ﴿إنك ميت﴾ [الزمر:٣٠] يعني: إنك ستموت، وقال إبراهيم: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات:٨٩] يعني: سأمرض، ومن الأمراض التي يبتلى بها الإنسان مرض الموت، فينزل في كل

إنسان قبل موته ذلك أو بحسب ما يريد الله سبحانه، فكأنه قال: إني سأمرض موهما لهم بأنه نظر في النجوم فأخبرته بذلك، ﴿فقال إني سقيم﴾ [الصافات:٨٩].

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم -كما في الصحيحين وهذا لفظ مسلم - أنه قال: (لم يكذب إبراهيم عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتان في ذات الله قوله: (إني سقيم)، وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا)، وواحدة في شأن سارة) أي: زوجته.

وحقيقة هذا الذي فعله كان تعريضا أذن الله عز وجل له في ذلك، فعرض في الكلام فأوهمهم بالشيء الذي هو خلاف الواقع، فلما قال: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات:٨٩] أي: إني سأمرض، سينزل بي الموت، فظنوا أنه سيمرض بالطاعون ففروا منه مدبرين وتركوه ومرضه عليه الصلاة والسلام.

والمرة ثانية: لما كسر الأصنام وسيأتي ذلك ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ [الأنبياء:٦٣]؛ ليعرض عليهم إن كانوا هؤلاء ينطقون، ويأكلون ويشربون، إذا الذي فعل هذا الشيء هو كبيرهم، ولكن أنتم تعرفون أنهم لا يأكلون ولا يشربون فلم يفعل الكبير شيئا، ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [الأنبياء:٦٣]، وهذا الذي قاله إبراهيم كان في ذات الله عز وجل.

المرة الثالثة: وإن كانت في ذات الله ولكن لنفسه فيها حظ وشأن، وهي في سارة زوجته.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (قدم إبراهيم أرض جبار ومعه سارة)، قدم إبراهيم أرض في مصر مهاجرا، قال: (وكانت أحسن الناس) يعني: كانت سارة أجمل النساء، (فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك).

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام خاف من الجبار، وهو فر من الجبابرة الذين أرادوا إحراقه وجاء إلى مصر، فإذا بالجبار يعلم أن معه امرأة من أجمل النساء فأراد أن يأخذ امرأته، فلو قال: هي زوجتي لقتله وأخذها، فكأنه دافع عن نفسه بهذا الذي قاله معرضا: أختي، ويعني: أختي في الإسلام، فهي زوجته وأخته في دين الله سبحانه تبارك وتعالى، (فلما دخل أرض هذا الجبار رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك) هؤلاء وزراء السوء! قالوا له: امرأة دخلت الديار ما ينبغي في جمالها إلا أن تكون لك أنت (فأرسل إليها فأتي بها، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة فلما دخلت عليه -على هذا الجبار- لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة).

إبراهيم قائم يصلي يدعو ربه ويستغيث به، وهي قامت تتوضأ وتصلي وتدعو ربها سبحانه، فإذا بالجبار

يبسط يده إليها فيشل الله عز وجل يده وتقبض قبضة شديدة (فإذا به يستجير بها) هذا الملك يستجير بـ سارة ويقول لها: (ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت) ما صدق (فعاد مرة ثانية وأراد أن يأخذها فقبضت يده أشد من القبضة الأولى فإذا بالله عز وجل يرسل عليه ما يصعقه ويغط برجله) ليقع على الأرض صريعا يخبط برجله، وتقبض يده قبضة شديدة لا يقدر على تحريكها، (فقال لها مثل ذلك مرة ثانية ومرة ثالثة فعلم أنه لن يقدر عليها فقال ونادى من معه: إنك إنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان)، قال للذين نصحوه بها: ما أعطيتم لي إنسانا، أعطيتم لي شيطانا، وكأنه من خوفه منها أهدى لها هاجر، فأعطاها هاجر فكانت هاجر من مصر، وكانت لهذا الجبار فوهبها لها فكانت أمة لـ سارة وسارة وهبتها بعد ذلك لإبراهيم، فجامعها إبراهيم عليه الصلاة والسلام فكان منها إسماعيل، وكان منها أبناء إسماعيل، وكان م." (١)

"معنى الإيمان عند أهل السنة وغيرهم

قال تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة:٣].

قال المؤلف رحمه الله: [قال أبو جعفر الرازي عن العلاء بن المسيب بن رافع عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: الإيمان التصديق.

وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يؤمنون﴾ [البقرة:٣]: يصدقون.

وقال معمر عن الزهري: الإيمان: العمل.

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس: ﴿يؤمنون﴾ [البقرة:٣]: يخشون.

قال ابن جرير: والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولا واعتقادا وعملا، وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل].

الحق كما قال ابن جرير رحمه الله، وهو الإيمان يشمل القول والعمل والاعتقاد.

وأصل الإيمان هو التصديق بالقلب، ثم يتبعه العمل، وخلاصته الخشية لله عز وجل، فالإيمان أصله التصديق، ويدخل فيه قول القلب وهو التصديق، وعمل القلب، وهو النية والإخلاص، وعمل الجوارح، وأقوال اللسان، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، أي: أن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالقلب والجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، كما قال ابن جرير رحمة الله عليه: الإيمان قول واعتقاد وعمل، فلهذا يقال: الإيمان عمل ونية، فعمل القلب: النية والإخلاص والصدق والمحبة والرغبة والرهبة،

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٥/٣٢٦

وعمل الجوارح معلوم، وأقوال اللسان والقلب كل ذلك داخل في مسمى الإيمان، خلافا للمرجئة القائلين بأن الإيمان هو تصديق القلب، وأما الأعمال فيخرجونها من مسمى الإيمان، وهذا غلط، وقد قال بهذا المرجئة المحضة، وهم الجهمية، وقال به مرجئة الفقهاء، وهم أبو حنيفة وأصحابه من أهل الكوفة، فأهل الكوفة قالوا: الإيمان التصديق، والعمل لا يدخل في مسمى الإيمان، لكنه مطلوب.

وقال أهل السنة والجماعة قاطبة ما عدا مرجئة الفقهاء: الإيمان التصديق والعمل، وكلاهما داخل في مسمى الإيمان، وكلاهما واجب.

وقال الأحناف: العمل واجب آخر، فالإيمان شيء والعمل شيء آخر، وكلاهما واجبان.

وأما المرجئة المحضة وهم الجهمية فيقولون: إذا عرف الإنسان ربه بقلبه كفى.

وهذا من أبطل الباطل، فهم ما قالوا: الإيمان التصديق، وإنما قالوا: الإيمان المعرفة، وعلى هذا ألزمهم أهل السنة والجماعة بأنه يدخل جميع الكفرة المعترفين بهذا في الإيمان، فإبليس عارف بربه، وفرعون عارف بربه، واليهود عارفون بربهم، وأبو طالب عارف بربه، وهؤلاء كفار بالإجماع، نسأل الله السلامة والعافية.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال: وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل، والإيمان كلمة جامعة للإيمان بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل.

قلت: أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك، كما قال تعالى: ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ [التوبة:٦١]، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ [يوسف:١٧].

وكذلك إذا استعمل مقرونا مع الأعمال، كقوله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [الشعراء:٢٢٧]، فأما إذا استعمل مطلقا فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادا وقولا وعملا، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعا].

أبو عبيد هو القاسم بن سلام الفقيه صاحب كتاب (الأموال)، وأما أبو عبيدة -بالتاء- فهو معمر بن المثنى اللغوي المعروف.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعا: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص].

وهذا هو الذي عليه عامة أهل السنة، وهو الصواب، وإن كان الإيمان أصله في اللغة التصديق، لكن الإيمان الشرعي لابد فيه من أعمال القلوب والجوارح مع اعتقاد القلب وتصديقه وإقراره واعترافه، وهو يزيد بالطاعة

وينقص بالمعصية.
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري، ولله الحمد والمنة].
الحافظ ابن كثير رحمه الله له شرح على البخاري، وما أدري هل وجد منه شيء أم لا.
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ومنهم من فسره بالخشية، كقوله تعالى: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ [الأنبياء:٤٩].
وقوله: ﴿من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾ [ق:٣٣].
والخشية: خلاصة الإيمان والعلم، كما قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر:٢٨].
وقال بعضهم: يؤمنون بالغيب كما يؤمنون بالشهادة، وليسوا كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ [البقرة:١٤].
وقال: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون:١].
فعلى هذا يكون قوله: (بالغيب) حالا، أي: في حال كونهم غيبا عن الناس].
الخشية هي: خوف مع علم، فهي أبلغ من الخوف، ولهذا قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر:٢٨]؛ لأن الخشية الكاملة تكون للعلماء، وإلا فكل مؤمن يخاف الله عنده أصل الخشية، والخشية الكاملة هي خشية العلماء، وفي مقدمة العلماء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.." (١)
"حقيقة السجود لآدم
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ [البقرة:٣٤] فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن يسجد له ملائكته، وقال بعض الناس: كان هذا سجود تحية وسلام وإكرام كما قال تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا﴾ [يوسف:١٠٠] وقد كان هذا مشروعا في الأمم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا].
كان في شريعة يعقوب ويوسف تجوز التحية، ولهذا لما قدم يعقوب عليه الصلاة والسلام وأبناؤه من فلسطين إلى مصر على يوسف رفعهم على العرش وخروا له سجدا سجود تحية لا سجود عبادة، وكان هذا تأويلا

---

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٣/١٥

للرؤيا؛ لأنه لما رأى وهو صغير: ﴿إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف:٤] قال بعد مدة طويلة: ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ [يوسف:١٠٠] وذلك حين سجدوا له، وكان هذا جائزا في شريعة من سبقنا، أما في شريعتنا التي هي أكمل الشرائع فلا يجوز لغير الله سجود لا تحية ولا سجود إكرام.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال معاذ: (قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم فأنت يا رسول الله أحق أن يسجد لك، فقال: لو كنت آمرا بشرا أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها) ورجحه الرازي.

وقال بعضهم: بل كانت السجدة لله وآدم قبلة فيها كما قال تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ [الإسراء:٧٨]].

وهذا غلط؛ لأنه مخالف للنص، قال الله تعالى: ﴿اسجدوا لآدم﴾ [البقرة:٣٤] فالسجود لآدم، لكنه عبادة لله، فالله تعالى أمرهم أن يسجدوا لآدم تعبدا له سبحانه، وإذا أمر الله بأمر وجب امتثال أمره.

ومن ذلك أمر الله أن نقبل الحجر الأسود تعبدا له، وأن نطوف بالبيت تعبدا له لا للكعبة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال بعضهم: بل كانت السجدة لله وآدم قبلة فيها كما قال تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ [الإسراء:٧٨] وفي هذا التنظير نظر، والأظهر أن القول الأول أولى، والسجدة لآدم إكراما وإعظاما واحتراما وسلاما، وهي طاعة لله عز وجل؛ لأنها امتثال لأمره تعالى، وقد قواه الرازي في تفيسره وضعف ما عداه من القولين الآخرين، وهما كونه جعل قبلة؛ إذ لا يظهر فيه شرف، والآخر أن المراد بالسجود الخضوع لا الانحناء ووضع الجبهة على الأرض، وهو ضعيف كما قال].

الصواب: أن هذا سجود صحيح وحقيقي، وهو سجود إكرام لآدم، وعبادة لله عز وجل؛ لأنه الآمر بذلك.." (١)

"ذكر أقوال العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج

إن رؤية الله تعالى في الآخرة حق، ولا يلزم من هذا التشبيه، وكل يرى ربه على حسب اعتقاده، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس اعتقادا وأصحهم علما وعملا رأى ربه في أحسن صورة، كما في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري، فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله، فعلمت، فقلت: يا رب! في

---

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٤/٢٨

الكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة)، فهذا حديث اختصام الملأ الأعلى، وقد أفرده بعض العلماء بالشرح ومنهم: الحافظ ابن رجب فقد شرح هذا الحديث في مؤلف مستقل.

فقوله: (رأيت ربي في أحسن صورة) هذا في المنام، أما في اليقظة فلم ير ربه، وإنما كلمه الله من وراء حجاب، وفرض عليه الصلوات الخمس من وراء حجاب، وهو صلى الله عليه وسلم داخل في قوله صلى الله عليه وسلم: (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) وهو من خلقه، ولا يتحمل، وداخل في قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب﴾ [الشورى:٥١]، فهذا هو الصواب.

قال بعض الصحابة وبعض العلماء: إنه رآه بعين رأسه، والصواب أنه رآه بعين قلبه ولم يره بعين رأسه، وهذا هو الجمع الصحيح بين الآثار والنصوص، وما جاء من النصوص ومن الآثار ومن أقوال الصحابة والسلف على أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه، فيحمل على أنه رآه بعين قلبه، وما جاء من النصوص والآثار أنه لم يره، فيحمل على أنه لم يره بعين رأسه.

وجاء عن عائشة أنها أنكرت ذلك لما سألها مسروق: (هل رأى محمد ربه؟ قالت: لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب).

وزعم ابن عباس: (أنه رأى ربه)، ورواية عن الإمام أحمد، لكن ما جاء عن ابن عباس وعن الإمام أحمد مطلق ويقيد برؤية الفؤاد، فيحمل المطلق على المقيد.

وذهب بعض العلماء إلى أنه رآه بعين رأسه، وقالوا: إن هذا من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إن التكليم لموسى، والرؤية لمحمد، والخلة لإبراهيم، وهو ما ذهب إلى هذا القاضي عياض والنووي في شرح صحيح مسلم، وأبو إسماعيل الهروي وجماعة، لكن هذا القول مرجوح، والصواب أن نبينا صلى الله عليه وسلم شارك موسى في التكليم وشارك إبراهيم في الخلة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير: لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم لبعض كما أمرهم الله به، أمر الله موسى أن يأتيه في كل أناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، وواعدهم موسى، فاختار موسى سبعين رجلا على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا، وساق البقية، وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه إلى بني إسرائيل في قوله: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ [البقرة:٥٥]، والمراد السبعون المختارون منهم، ولم يحك كثير من المفسرين سواه، وقد أغرب الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين: أنهم بعد

إحيائهم قالوا: يا موسى! إنك لا تطلب من الله شيئا إلا أعطاك، فادعه أن يجعلنا أنبياء، فدعا بذلك فأجاب الله دعوته.

وهذا غريب جدا؛ إذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هارون ثم يوشع بن نون، وقد **غلط** أهل الكتاب أيضا في دعواهم أن هؤلاء رأوا الله عز وجل، فإن موسى الكليم عليه السلام قد سأل ذلك فمنع منه، فكيف يناله هؤلاء السبعون؟].

لا شك أن القول بأنهم رأوا ربهم غلط، وقولهم: إنهم أنبياء هذا من أشد الأغلاط التي نقلها الرازي رحمه الله.." (١)

"أقوال المفسرين في حقيقة السلوى

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأما السلوى فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: السلوى طائر يشبه بالسمانى، كانوا يأكلون منه.

وقال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة: السلوى طائر يشبه السمانى.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عبد الصمد بن الوارث حدثنا قرة بن خالد عن جهضم عن ابن عباس قال: السلوى هو السمانى، وكذا قال مجاهد والشعبي والضحاك والحسن وعكرمة والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى.

وعن عكرمة: أما السلوى فطير كطير يكون بالجنة أكبر من العصفور أو نحو ذلك.

وقال قتادة: السلوى كان من طير أقرب إلى الحمرة، تحشرها عليهم الريح الجنوب، وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدى فسد ولم يبق عنده، حتى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه؛ لأنه كان يوم عبادة لا يشخص فيه لشيء ولا يطلبه.

وقال وهب بن منبه: السلوى طير سمين مثل الحمامة، كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت، وفي رواية عن وهب قال: سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام لحما، فقال الله: لأطعمنهم من أقل لحم يعلم في الأرض، فأرسل عليهم ريحا فأذرت عند مساكنهم السلوى -وهو السمانى- مثل ميل في ميل قيد رمح في السماء، فخبئوا للغد، فنتن اللحم، وخنز الخبز.

وقال السدي: لما دخل بنو إسرائيل التيه قالوا لموسى عليه السلام: كيف لنا بما هاهنا أين الطعام؟ فأنزل

---

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٦/٣٣

الله عليهم المن، فكان ينزل على شجر الزنجبيل، والسلوى وهو طائر يشبه السمانى أكبر منه، فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير، فإن كان سمينا ذبحه وإلا أرسله، فإذا سمن أتاه، فقالوا: هذا الطعام فأين الشراب؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، فشرب كل سبط من عين، فقالوا: هذا الشراب فأين الظل؟ فظلل عليهم الغمام، فقالوا: هذا الظل فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما يطول الصبيان، ولا يتخرق لهم ثوب، فذلك قوله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ [البقرة:٥٧].

وقوله: ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ [البقرة:٦٠]].

الحاصل أن الله سبحانه وتعالى امتن على بني إسرائيل في التيه بنعم عظيمة، ذكر الله بها أحفادهم وأولادهم الموجودين في المدينة في زمن نزول الوحي، فقال تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة:٥٧]، فهذه من نعم الله عليهم، وهم معاقبون في التيه لما امتنعوا من فتح بيت المقدس، وقال لهم موسى: احملوا عليهم حملة واحدة فقد وعدني الله بالنصر، ﴿ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾ [المائدة:٢١]، قاتلوا هؤلاء الكفرة العماليق، فأبوا ورفضوا وامتنعوا، وقالوا لنبيهم قولا سيئا قالوا: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ [المائدة:٢٤]، فعاقبهم الله بالتيه، قال الله: ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ [المائدة:٢٦]، والتيه هي الصحراء التي بين فلسطين وبين مصر، كانوا يسيرون فيها ولا يهتدون إلى البلد، فقد حرمها الله عليهم تحريما قدريا، ﴿قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة﴾ [المائدة:٢٦]، والتحريم يكون شرعيا ويكون قدريا، فالتحريم القدري، مثل قوله تعالى: ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ [القصص:١٢]، فتحريم المراضع على موسى تحريم قدري، وأما التحريم الشرعي فمثل قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم﴾ [المائدة:٣] وقوله: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ [النساء:٢٣]، فهذا تحريم شرعي.

فحرم الله عليهم دخول البلد أربعين سنة يتيهون في الأرض، ومع ذلك لما صاروا في التيه أنعم الله عليهم بهذه النعم، ولكنهم قوم عتاة عصاة، فأنعم الله عليهم بالمن وهو ينزل عليهم كالزنجبيل، وهو إذا جعل مع غيره صار شرابا وصار فاكهة، والسلوى هو طائر يشبه السمانى، وهذا كالإجماع عند المفسرين، أو قول جماهير المفسرين؛ لأن هناك من يرى أنه غير اللحم، والصواب: أن السلوى طائر، وأن الزنجبيل غذاء.

وجعل الله الغمام مظللا عليهم من حر الشمس، وهذه من نعمه عليهم، وكانوا يحملون معهم حجرا فيضربه

موسى بعصاه فتنفجر منه اثنا عشر عينا، لكل قبيلة ولكل سبط عين، حتى لا يتنازعوا، فهذه من نعم الله عليهم، ولهذا قال: ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ [البقرة:٦٠].

ومع ذلك حصل منهم ما حصل من العتو والعناد، ولما انتهت الأربعون السنة وسار بأحفادهم يوشع بن نون الذي كان نبيا، وهو فتى موسى، فدخلوا بيت المقدس وقاتلوا العماليق، وكاد أن يتم الفتح قرب غروب الشمس من يوم الجمعة ليلة السبت، ويوم السبت هو يوم عيدهم، فحبس الله الشمس ليوشع بن نون فقال: (اللهم إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبسها عليهم، ووقفت حتى تم الفتح قبل أن يدخل يوم السبت)، وهذا الحديث ثابت في الصحيح، فلم تحبس الشمس لأحد إلا ليوشع بن نون، وهذه يلغز بها مسألة فقهية: من الذي حبست له الشمس؟ فلم تحبس الشمس لأحد إلا ليوشع بن نون، وجاء في أحاديث ضعيفة لا تصح أنها حبست لـ علي رضي الله عنه، لكنها لا تصح.

فدخلوا بيت المقدس، ومع ذلك لما دخلوا بيت المقدس قال الله تعالى: ﴿ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة﴾ [البقرة:٥٨] كما سيأتي، فغيروا بالقول وبالفعل، فدخلوا على أستاهم يزحفون على أدبارهم، ﴿وقولوا حطة﴾ [البقرة:٥٨] يعني: حط يا الله عنا ذنوبنا واغفر لنا، فغيروا وقالوا: حنطة، فزادوا فيها نونا، فهذا من تغييرهم بالقول وبالفعل، ولهذا قال: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا﴾ [البقرة:٥٩] يعني: عذابا ﴿من السماء بما كانوا يفسقون﴾ [البقرة:٥٩]، فهذا من عتوهم وتمردهم وعنادهم لأنبيائهم، نسأل الله السلامة والعافية.

وأما أصحاب نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فإنهم خير أصحاب الأنبياء؛ فإنهم صبروا رضي الله عنهم، وجاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك في ساعة العسرة، وكانوا في شدة عظيمة، وجوع شديد، ومفازة عظيمة، وأصابهم جهد من قلة الطعام، ولم يتعنتوا كما تعنت بنو إسرائيل، بل قالوا: (يا رسول الله! لو جمعنا ما عندنا من الطعام فدعوت لنا، فجمعوا ما عندهم من الطعام، فدعا وبرك، وبارك الله فيه وملئوا كل وعاء)، وكذلك لما قل الماء أتي النبي صلى الله عليه وسلم بماء قليل فوضع أصابعه فيه فنبع الماء من بين أصابعه، فتوضئوا واغتسلوا وملئوا كل وعاء رضي الله عنهم وأرضاهم.

وفي يوم بدر قالوا لنبيهم: (لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ [المائدة:٢٤] ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وأمامك ومن خلفك، فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وروي عن وهب بن منبه وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السدي.

وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: خلق لهم في التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن].

قوله: (لا تخرق ولا تدرن) يعني: لا تتقطع ولا تتدنس، والدرن هو الدنس، وهذا من أخبار بني إسرائيل.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [قال ابن جريج: فكان الرجل إذا أخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد، إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت، فلا يصبح فاسدا.

قال ابن عطية: السلوى طير بإجماع المفسرين، وقد غلط الهذلي في قوله: إنه العسل].

يعني: قول الأكثر؛ لأن هناك اختلافا كما سيأتي؛ فالمقصود بالإجماع قول الأكثرين، والصواب أن السلوى طائر.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وأنشد في ذلك مستشهدا: وقاسمها بالله جهدا لأنتم ألذ من السلوى إذا ما أشورها].

في القرطبي: إذا ما نشورها.

أنشد الهذلي هذا البيت على أن السلوى طعام وليس طائرا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [قال: فظن أن السلوى عسل.

قال القرطبي: دعوى الإجماع لا تصح؛ لأن المؤرج بن عمرو السدوسي أحد علماء اللغة والتفسير قال: إنه العسل، واستدل ببيت الهذلي هذا، وذكر أنه كذلك في لغة كنانة؛ لأنه يسلى به، ومنه عين سلوان.

وقال الجوهري: السلوى العسل، واستشهد ببيت الهذلي أيضا، والسلوانة بالضم خرزة كانوا يقول." (١)

"تابع ما ورد في فضل سورة الفاتحة

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [حديث آخر: قال البخاري في فضائل القرآن: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا وهب حدثنا هشام عن محمد عن معبد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية)].

(سليم) يعني: لديغ، وهذا من باب التفاؤل له بالسلامة.

(وإن نفرنا غيب) أي: ما عندنا أحد من الرجال، فهي تطلب منهم أن يعالجوه.

(فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية) أي: ما كان يعرف أنه قارئ، أو ما يعرفون أنه يحفظ شيئا من القرآن.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [(فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبنا، فلما رجع قلنا له: أكنت

---

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٥/٣٤

تحسن رقية أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئا حتى نأتي ونسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: وما كان يدريه أنها رقية؟! اقسموا واضربوا لي بسهم)].

يعني: فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من باب تطييب خواطرهم نفوسهم؛ ليعلموا أنها حل وأنها مباح، فقد شكوا وتوقفوا، فبين لهم أن هذا لا بأس به.

وفيه أيضا دليل على أنه لا بأس بأخذ الأجرة على القراءة في الرقية، وهنا أمر مهم وهو أنه لا ينبغي التوسع في هذا؛ لأن الأصل هو أن يقرأ على المريض وينفث، أو يقرأ في ماء كما جاء في سنن أبي داود، وأما ما يفعله بعض القراء من قراءته في زجاجات الصحة ويأخذ عليها أجرة كبيرة أو ما أشبه ذلك فهذا غلط، وبعضهم يقرأ في خزان وهذا توسع لا وجه له.

لكن إذا قرأ على المريض وأخذ أجرة معقولة فهذا لا بأس به إن احتاج إلى ذلك، وأما كونه يستغل حاجة الناس ويقرأ في زجاجات، أو خزان، أو يقرأ على جماعة كثيرين، أو يقرأ بمكبرات الصوت فكل هذا توسع لا أصل له.

فإن قيل: هل يشترط على القارئ ألا يأخذ أجرة على القراءة حتى يشفى المريض الذي قرأ عليه، ويستدل على ذلك بهذا الحديث؟ أقول: لا أعرف في هذا مانعا، لكن هذا الحديث ليس فيه أنهم اشترطوا أن يشفى.

وكذلك التمائم التي تكتب في ورقة ثم يصورها من يكتبها ويبيعها، فهذا من الشرك ولو كانت من القرآن؛ لحديث: (من تعلق تميمة فلا أتم الله)، إذا: فالصواب أن التميمة ممنوعة حتى ولو كانت من القرآن؛ لعموم النصوص.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال أبو معمر: حدثنا عبد الوارث حدثنا هشام حدثنا محمد بن سيرين حدثني معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري بهذا، وهكذا رواه مسلم وأبو داود من رواية هشام، وهو ابن حسان عن ابن سيرين به، وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث: أن أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم -يعني: اللديغ- يسمونه بذلك تفاؤلا.

حديث آخر: روى مسلم في صحيحه والنسائي في سننه من حديث أبي الأحوص سلام بن سليم عن عمار بن زريق عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرائيل إذ سمع نقيضا فوقه، فرفع جبريل بصره

إلى السماء فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفا منها إلا أوتيته)، وهذا لفظ النسائي ول مسلم نحوه]. ." [1]

"الأمر بصحبة الأخيار

والآية فيها: الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء، فإن في صحبتهم من الفوائد مالا يحصى، لأن الجليس الصالح يرغبك في الخير ويحثك عليه ويزهدك في الشر، أما الجليس السوء فإنه يزهدك في الخير ويرغبك في الشر، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة).

يعني: أنك مستفيد منه على كل حال فهو إما أن يرغبك في الخير ويدعوك إليه، أو يزهدك في الشر.

قال صلى الله عليه وسلم: (ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا كريهة) أي: أنك متضرر على كل حال من جليس السوء.

فهو يحسن لك الشر ويزهدك في الخير فأنت متضرر منه على كل حال، ولا شك أن مصاحبة الأخيار ولو كانوا فقراء ولزومهم فيها فوائد عظيمة.

وجملة: ﴿يريدون وجهه﴾ [الكهف:٢٨]، في موضع الحال ومن قال: إن وجه الله هنا مجاز، وهو كناية على إقباله على العبد ك الأشعري فقوله **غلط** فإن الآية فيها: إثبات الوجه لله عز وجل وهي مثل قوله: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن:٢٧] فيها إثبات الوجه وإثبات الذات جميعا، والصواب: أنه ليس في القرآن مجاز ولا في السنة.

فإن المجاز لم يعرف إلا بعد الأئمة الأربعة، وحتى الأئمة الأربعة لم يتكلموا في المجاز ولم يكن العرب يعرفون المجاز، ولم يعرفه الصحابة، ولا الأئمة الأربعة وإنما تعلق المتأخرون بكلمة قالها الإمام أحمد، عندما قال: المجاز عن كذا.

وهو لا يريد بها المجاز، وإنمان يريد بها جواز الشيء، والمقصود: أن لله وجها حقيقيا والذين أولوه هم الأشاعرة وغيرهم من أهل الكلام.

فالآية فيها إثبات الوجه والذات جميعا كما قال تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن:٢٧] والذين ينكرون

---

(١) شرح تفسير ابن كثير – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٤/ ١٠

الصفات أو يتأولونها يقولون: ويبقى ذاته.
وقصدهم من ذلك إنكار الوجه ونفيه.
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [هكذا رواه أبو أحمد عن عمرو بن ثابت عن علي بن الأقمر عن الأغر مرسلا، وحدثنا يحيى بن المعلى عن منصور حدثنا محمد بن الصلت حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الأقمر عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا (جاء رسول الله ورجل يقرأ سورة الحجر أو سورة الكهف فسكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم).
وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون المرئي حدثنا ميمون بن سياه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء: أن قوموا مغفورا لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات).
تفرد به أحمد رحمه الله].
والحديث الأول الذي فيه الرجل الذي يقرأ وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أصبر نفسي مع هذا)، دليل على: أن حلق الذكر والحلق العلمية تدخل في هذه الآية دخولا أوليا؛ لأن القرآن هو منبع العلوم وأصلها.
والذكر هنا عام يشمل: ذكر المصلي والصائم وقارئ القرآن ومتعلم العلم ومعلمه وهكذا.
والذكر في المسجد أفضل؛ لحديث: (إن لله ملائكة سياحين يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوها قالوا: هذه طلبتكم).
فلا شك في أن المساجد أفضل.
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال الطبراني: حدثنا إسماعيل بن الحسن حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبي حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: (نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بعض أبياته: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ [الكهف:٢٨]، الآية.
فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله، منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني الله أن أصبر نفسي معهم).
عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر بن أبي داود في الصحابة، وأما أبوه فمن سادات الصحابة رضي الله عنهم].
قال في الحاشية: [وتعقبه ابن الأثير بقوله: ولا يصح.

وإنما الصحبة لأبيه ولأخيه أبي أمامة، وله رؤية].
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قوله: ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف:٢٨]، قال ابن عباس: ولا تجاوزهم إلى غيرهم، يعني: تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة.
﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ [الكهف:٢٨] أي: شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿وكان أمره فرطا﴾ [الكهف:٢٨]، أي: أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ولا تكن مطيعا له ولا محبا لطريقته ولا تغبطه بما هو فيه، كما قال تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه:١٣١] ﴿وقل الحق من ربكم﴾ [الكهف:٢٩]].
وهذا إرشاد للنبي صلى الله عليه وسلم وهو إرشاد لأمته في أنه ينبغي للإنسان أن يصحب الأخيار ويصاحبهم ويجالسهم ويصبر نفسه معهم، وأنه لا ينبغي له أن يركن إلى أصحاب الدنيا والذين غفلوا عن الآخرة، والذين صار أمرهم فرطا، وصارت أهواءهم تبعا للدنيا وإنما يلزم الأخيار ويصاحبهم، ويصاحب أهل الذكر والعلم؛ حتى يستفيد منهم وألا يطع أهل الدنيا والمغفلين، والذين ركنوا إلى الدنيا واطمأنوا إليها، وكانت أمورهم فرطا، وأهواؤهم تبعا للدنيا.
ولكن إذا زارهم للتذكير وللدعوة فلا بأس، وأما كونه يصحبهم ويركن إليهم ويكون واحدا منهم فهذا معناه أنه يكون كأمثالهم فيغفل عن الآخرة ويركن إلى الدنيا، فيؤثرون عليه.." (١)

"ضعف أثر أمر جبريل النبي بالاستعاذة عند أول نزول القرآن
وقد روي أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالاستعاذة كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمارة حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال: يا محمد استعذ، قال أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قال: قل بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق:١]).
قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل، وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف فإن في إسناده ضعفا وانقطاعا، والله أعلم].
هذا الأثر ضعيف، لكن كون أول ما نزل من القرآن هو (اقرأ) فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة، وبها صار نبيا عليه الصلاة والسلام، ثم فتر الوحي ونزل عليه بعد ذلك: ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر:١]، وبها صار

---

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٥/٥٦

رسولا، نبئ باقرأ وأرسل بالمدثر، لكن الغرابة في قوله: استعذ بالله من الشيطان الرجيم، وقل: بسم الله الرحمن الرحيم، فهذا غلط، وأما كون جبريل نزل عليه وقال: (اقرأ) فهذا ثابت في الأحاديث الصحيحة ليس فيه إشكال.

وسند هذا الحديث فيه بشر بن عمارة ضعيف، والانقطاع بين الضحاك وابن عباس.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا)

قال الله تعالى: ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا * الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا * أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ [الكهف:١٠٠ - ١٠٢].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [يقول تعالى مخبرا عما يفعله بالكفار يوم القيامة أنه يعرض عليهم جهنم، أي: يبرزها لهم ويظهرها؛ ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها؛ ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم].

إن النار في أسفل سافلين في الأرض السفلى، لكنها تبرز يوم القيامة والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ [النازعات:٣٦]، وتسجر البحار، وتكون جزءا من النار والعياذ بالله، ونسأل الله السلامة والعافية.

وجاء في الحديث: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) فجهنم تبرز وتسجر البحار فتكون جزءا منها.

والجنة في أعلى عليين، وينصب الصراط على متن جهنم، ويجتاز الناس هذا الصراط، فمن اجتازه وصل إلى الجنة، والجنة في السماء وأعلاها الفردوس، والفردوس سقفها عرش الرحمن، وأعلى منزلة في الفردوس منزل نبينا صلى الله عليه وسلم، وهي منزلة تسمى الوسيلة، كما جاء في الحديث: (اللهم آت محمدا الوسيلة والفضيلة)، فالوسيلة منزلة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أعلى منزلة في الجنة.

وقول بعض العامة: (آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة) هو غلط؛ لأن الوسيلة هي الدرجة الرفيعة.

ويتخاطب أهل الجنة وأهل النار، وقال تعالى: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ [الأعراف:٤٤]، ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ [الأعراف:٥٠] فهم يتخاطبون مع البعد العظيم بينهم، فالمؤمنون في الجنة في أعلى عليين،

---

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٥/٦

والكفار في النار في أسفل سافلين، ومع ذلك يتخاطبون ويسمع بعضهم أصوات بعض، وليس ذلك بغريب على الله تعالى، فقد أرانا في الدنيا أن نجد الإنسان يتكلم في الهاتف وهو في المشرق ويسمعه من في المغرب، وكذلك المؤمنون ينظرون إلى الكفار وهم يعذبون في نار جهنم، فالمؤمنون في أعلى عليين، والكفار في أسفل سافلين، كما أخبر الله في سورة الصافات، في قصة الرجل من أهل الجنة له قريب من أهل النار وكان قرينه في الدنيا، فقال له في الدنيا: أتصدق أن الإنسان إذا مات وبليت عظامه وصارت نخرة يبعث؟ فالمؤمن في الجنة يرى قرينه الكافر وهو في النار فيقول: ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون﴾ [الصافات:٥١ - ٥٣] يعني: مبعوثون ومدينون ومحاسبون، ﴿قال هل أنتم مطلعون * فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ [الصافات:٥٤ - ٥٥] أي: اطلع المؤمن من الجنة فرأى قرينه الكافر الذي كان ينكر البعث في الدنيا في وسط الجحيم يتقلب فيها، فقال له: ﴿تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾ [الصافات:٥٦ - ٥٩] فالآن بعثت وعذبت.

فلا مانع -إذا- من أن يكون من في الجنة في أعلى عليين يرى من في النار وهم في أسفل سافلين على بعد عظيم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك).

ثم قال مخبرا عنهم: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ أي: تغافلوا وتعاموا وتصامموا عن قبول الهدى واتباع الحق].

هذا غطاء معنوي حادث، وإلا فليس فيها غطاء حسي؛ لأن الكفار ينظرون ويشاهدون أمور دنياهم ويسمعون، لكن هذا غطاء معنوي يمنعهم من رؤية الحق وقبول الحق واستماع الحق، ولهم عقول، لكن لم ينتفعوا بها والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله﴾ [الأحقاف:٢٦] يعني: لهم أسماع لكن لا يسمعون بها الحق، ولهم عقول وقلوب لا يعقلون بها الحق، ولهم أعين لا يبصرون بها الحق، نسأل الله السلامة والعافية.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [كما قال: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ [الزخرف:٣٦]، وقال هاهنا: ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ أي: لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، ثم قال:

﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ أي: اعتقدوا أنهم يصح لهم ذلك وينتفعون به، ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾ [مريم:٨٢] ولهذا أخبر الله تعالى أنه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة نزلا].

هؤلاء الكفار تصامموا عن قبول الهدى واتباع الحق، كما قال: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ [الزخرف:٣٦]، وقال هنا: ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ [الكهف:١٠١] أي: لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، يعني: لا يستطيعون سماع الحق وقبوله، وإلا فهم يسمعون أمور دنياهم ومعاشهم، نسأل الله السلامة والعافية.." (١)

"موقف العاقل من سفك الدماء

فالعاقل هنا إذا استذكر هذا كله يعرف أن رفع السيف على أهل الإسلام من أعظم كبائر الذنوب، ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه، ومن كمال نصح المسلم لدين الله ولرسوله ولكتابه وللأئمة المسلمين وعامتهم ألا يرفع سيفا على الأمة، ولا يتجرأ على أن يتسبب في سفك دمائها، ولهذا كان عثمان رضي الله تعالى عنه مظلوما، واجتمع الخوارج على داره، وهب كثير من الصحابة وأبناء الصحابة للدفاع عنه، ومع ذلك أمرهم بأن يتركوا الدار ويخلوا بينه وبين أعدائه خوفا من أن يسفك دم بسببه رضي الله تعالى عنه وأرضاه؛ لعلمه أن سفك الدماء شيء شديد **غلط** الشرع فيه، فالعاقل يسمع ويطيع ولا يرغب عن جماعة المسلمين، ويكون فردا منهم له ما لهم وعليه ما عليهم.." (٢)

"ﷺذكر بعض الأخبار التي **غلط** في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن." (٣)

"وقد روي عن ابن عباس خلاف هذه الرواية، وهو ما حدثني به، موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: " ﷺلما فرغ الله من خلق ما أحب، استوى على العرش فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن؛ وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة. وكان إبليس مع ملكه خازنا، فوقع في صدره كبر وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي، هكذا قال موسى بن هارون، وقد حدثني به غيره وقال: لمزية لي على

---

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٥/٦٥

(٢) سلسلة محاسن التأويل - المغامسي، صالح المغامسي ٩/٣١

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٧٨/١

الملائكة، فلما وقع -[٤٨٧]- ذلك الكبر في نفسه، اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا ﴿قالوا﴾ [البقرة: ٣٠] ربنا ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ٣٠] يعني من شأن إبليس. فبعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني. فرجع ولم يأخذ وقال: رب إنها عاذت بك فأعذتها. فبعث الله ميكائيل، فعاذت منه فأعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل. فبعث ملك الموت، فعاذت منه فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره. فأخذ من وجه الأرض وخلط، فلم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء؛ فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به فبل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب: هو الذي يلتزق بعضه ببعض، ثم ترك حتى أنتن وتغير، وذلك حين يقول: ﴿من حمأ مسنون﴾ قال: منتن، ثم قال للملائكة ﴿إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [ص: ٧٢] فخلقه الله بيديه لكيلا يتكبر إبليس عليه ليقول له: تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه؟ فخلقه بشرا، فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة. فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فزعا إبليس، فكان يمر فيضربه، فيصوت الجسد كما يصوت الفخار وتكون له صلصلة، فذلك حين يقول: ﴿من صلصال كالفخار﴾ [الرحمن: ١٤] ويقول لأمر ما خلقت. ودخل فيه فخرج من دبره، فقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا، فإن ربكم صمد وهذا أجوف، -[٤٨٨]- لئن سلطت عليه لأهلكنه. فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له. فلما نفخ فيه الروح، فدخل الروح في رأسه عطس، فقالت له الملائكة: قل الحمد لله. فقال: الحمد لله، فقال له الله: رحمك ربك. فلما دخل الروح في عينيه، نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء: ٣٧] فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين أي استكبر وكان من الكافرين، قال الله له: ﴿ما منعك أن تسجد﴾ [ص: ٧٥] إذ أمرتك ﴿لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥] ﴿قال أنا خير منه﴾ [الأعراف: ١٢] لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين، قال الله له: اخرج منها ﴿فما يكون لك﴾ [الأعراف: ١٣] يعني ما ينبغي لك ﴿أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ [الأعراف: ١٣] والصغار هو الذل. قال: وعلم آدم الأسماء كلها، ثم عرض الخلق على الملائكة فقال: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن

كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٣١] أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فقالوا له: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ [البقرة: ٣٢] قال الله: ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ قال: قولهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ [البقرة: ٣٠] فهذا الذي أبدوا، وأعلم ما كنتم تكتمون، يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر " -[٤٨٩]- قال أبو جعفر: فهذا الخبر أوله مخالف معناه معنى الرواية التي رويت عن ابن عباس من رواية الضحاك التي قد قدمنا ذكرها قبل، وموافق معنى آخره معناها؛ وذلك أنه ذكر في أوله أن الملائكة سألت ربها: ما ذاك الخليفة؟ حين قال لها: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] فأجابها أنه تكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا. فقالت الملائكة حينئذ: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠] ، فكان قول الملائكة ما قالت من ذلك لربها بعد إعلام الله إياها أن ذلك كائن من ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض، فذلك معنى خلاف أوله معنى خبر الضحاك الذي ذكرناه. وأما موافقته إياه في آخره، فهو قولهم في تأويل قوله: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٣١] أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء. وأن الملائكة قالت إذ قال لها ربها ذلك، تبريا من علم الغيب: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ [البقرة: ٣٢] وهذا إذا تدبره ذو الفهم، علم أن أوله يفسد آخره، وأن آخره يبطل معنى أوله؛ وذلك أن الله جل ثناؤه إن كان أخبر الملائكة أن ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض تفسد فيها وتسفك الدماء، فقالت الملائكة لربها: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠] فلا وجه لتوبيخها على أن أخبرت عمن أخبرها الله عنه أنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء بمثل الذي أخبرها عنهم ربها، فيجوز أن يقال لها فيما طوي عنها من العلوم: إن كنتم صادقين فيما علمتم بخبر الله إياكم أنه كائن من الأمور، فأخبرتم به فأخبرونا بالذي قد طوى الله عنكم علمه، كما قد أخبرتمونا بالذي قد أطلعكم الله عليه. بل ذلك خلف من التأويل، ودعوى على الله -[٤٩٠]- ما لا يجوز أن يكون له صفة. وأخشى أن يكون بعض نقلة هذا الخبر هو الذي غلط على من رواه عنه من الصحابة، وأن يكون التأويل منهم كان على ذلك: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فيما ظننتم أنكم أدركتموه من العلم بخبري إياكم أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، حتى استجزتم أن تقولوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠] ، فيكون التوبيخ حينئذ واقعا على ما ظنوا أنهم قد أدركوا بقول الله لهم: إنه يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، لا على إخبارهم بما أخبرهم الله به أنه كائن. وذلك أن الله جل

ثناؤه وإن كان أخبرهم عما يكون من بعض ذرية خليفته في الأرض ما يكون منه فيها من الفساد وسفك الدماء، فقد كان طوى عنهم الخبر عما يكون من كثير منهم ما يكون من طاعتهم ربهم وإصلاحهم في أرضه وحقن الدماء ورفعه منزلتهم وكرامتهم عليه، فلم يخبرهم بذلك، فقالت الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠] على ظن منها على تأويل هذين الخبرين اللذين ذكرت، وظاهرهما أن جميع ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء. فقال الله لهم إذ علم آدم الأسماء كلها: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٣١] أنكم تعلمون أن جميع بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء على ما -[٤٩١]- ظننتم في أنفسكم، إنكارا منه جل ثناؤه لقيلهم ما قالوا من ذلك على الجميع والعموم، وهو من صفة خاص ذرية الخليفة منهم. وهذا الذي ذكرناه هو صفة منا لتأويل الخبر لا القول الذي نختاره في تأويل الآية." (١)

"حدثنا الحسين بن يزيد السبيعي، قال: ثنا ابن إدريس، عن محمد بن عبد الرحمن، عن محمد بن عمرو بن الحسن، عن جابر، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في سفره قد ظلل عليه، وعليه جماعة، فقال: «من هذا؟» قالوا: صائم، قال: «ﷺليس من البر الصوم في السفر» قال أبو جعفر: أخشى أن يكون هذا الشيخ **غلط** وبين ابن إدريس ومحمد بن عبد الرحمن شعبة." (٢)

": ﴿لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾ [آل عمران: ٨١] بمعنى إسقاط «من» غلط؛ لأن «من» التي تدخل وتخرج لا تقع مواقع الأسماء، قال: ولا تقع في الخبر أيضا، إنما تقع في الجحد والاستفهام والجزاء. وأولى الأقوال في تأويل هذه الآية على قراءة من قرأ ذلك بفتح اللام بالصواب أن يكون قوله: ﴿لما﴾ [البقرة: ٤١] بمعنى: لمهما، وأن تكون «ما» حرف جزاء أدخلت عليها اللام، وصير الفعل معها على «فعل» ثم أجيبت بما تجاب به الأيمان، فصارت اللام الأولى يمينا إذ تلقيت بجواب اليمين. وقرأ ذلك آخرون: (لما آتيتكم) بكسر اللام من «لما» ، وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة ثم اختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله، فقال بعضهم: معناه إذا قرئ كذلك: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتيتكم، فما على هذه القراءة بمعنى: الذي عندهم. وكان تأويل الكلام: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول: يعني: ثم إن جاءكم رسول، يعني ذكر محمد في التوراة، لتؤمنن به، أي ليكونن إيمانكم به للذي عندكم في التوراة من ذكره. وقال آخرون منهم: تأويل ذلك إذا قرئ بكسر اللام

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٨٦/١

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢١٦/٣

من «لما» ، وإذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتاهم من الحكمة، ثم جعل قوله: لتؤمنن به من الأخذ، أخذ الميثاق، كما يقال في الكلام: أخذت ميثاقك لتفعلن لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف، فكان تأويل الكلام عند قائل هذا القول: وإذا استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة، متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه.." (١)

"حدثني هذا الحديث عبد الله بن محمد الزهري ، فقال: ثنا سفيان ، قال: ثنا أبو معاوية النخعي ، وكان على السجن سمعه من أبي عمرو ، عن عبد الله بن مسعود: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت: ﷺأي العمل شر؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، وأن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك ، وأن تزني بجارتك» وقرأ علي: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ [الفرقان: ٦٨] قال أبو جعفر: وأولى ما قيل في تأويل الكبائر بالصحة ، ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما قاله غيره ، وإن كان كل قائل فيها قولا من الذين ذكرنا أقوالهم ، قد اجتهد وبالغ في نفسه ، ولقوله في الصحة مذهب. فالكبائر إذن: الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس المحرم قتلها ، وقول الزور ، وقد يدخل في قول الزور ، شهادة الزور ، وقذف المحصنة ، واليمين الغموس ، والسحر. ويدخل في قتل النفس المحرم قتلها: قتل الرجل ولده من أجل أن يطعم معه ، والفرار من الزحف ، والزنا بحليلة الجار وإذ كان ذلك كذلك صح كل خبر روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في معنى الكبائر ، وكان بعضه مصدقا بعضا ، وذلك أن الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هي سبع» يكون معنى قوله حينئذ «هي سبع» على التفصيل ، ويكون معنى قوله في الخبر الذي روي عنه أنه قال: «هي الإشراك بالله ، وقتل -[٦٥٨]- النفس ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور» على الإجمال ، إذ كان قوله: «وقول الزور» يحتمل معاني شتى ، وأن يجمع جميع ذلك: قول الزور. وأما خبر ابن مسعود الذي حدثني به الفريابي على ما ذكرت ، فإنه عندي **غلط** من عبيد الله بن محمد ، لأن الأخبار المتظاهرة من الأوجه الصحيحة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو الرواية التي رواها الزهري عن ابن عيينة ، ولم يقل أحد منهم في حديثه عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر؛ فنقلهم ما نقلوا من ذلك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أولى بالصحة من نقل الفريابي. فمن اجتنب الكبائر التي وعد الله مجتنبها تكفير ما عداها من سيئاته ، وإدخاله مدخلا كريما ، وأدى فرائضه التي فرضها الله عليه ، وجد الله لما وعده من وعد منجزا ، وعلى الوفاء به دائبا. وأما قوله: ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ [النساء: ٣١]

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥/٥٣٧

فإنه يعني به: نكفر عنكم أيها المؤمنون باجتنابكم كبائر ما ينهاكم عنه ربكم صغائر سيئاتكم ، يعني: صغائر ذنوبكم. كما:." (١)

"الإحصاء ، يقال منه: حاسبت فلانا على كذا وكذا ، وفلان حاسبه على كذا وهو حسيبه ، وذلك إذا كان صاحب حسابه. وقد زعم بعض أهل البصرة من أهل اللغة أن معنى الحسيب في هذا الموضع: الكافي ، يقال منه: أحسبني الشيء يحسبني إحسابا ، بمعنى: كفاني ، من قولهم: حسبي كذا وكذا. وهذا **غلط** من القول وخطأ ، وذلك أنه لا يقال في أحسبت الشيء: أحسبت على الشيء فهو حسيب عليه ، وإنما يقال: هو حسبه وحسيبه ، والله يقول: ﴿إن الله كان على كل شيء حسيبا﴾ [النساء: ٨٦]." (٢)

"حدثنا بشر بن معاذ ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله: ﴿ﷺلكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ [النساء: ١٦٢] استثنى الله ثنية من أهل الكتاب ، وكان منهم من يؤمن بالله ، وما أنزل -[٦٨٠]- عليهم ، وما أنزل على نبي الله ، يؤمنون به ويصدقون به ، ويعلمون أنه الحق من ربهم " ثم اختلف في المقيمين الصلاة ، أهم الراسخون في العلم ، أم هم غيرهم؟ فقال بعضهم: هم هم. ثم اختلف قائلو ذلك في سبب مخالفة إعرابهم إعراب الراسخون في العلم ، وهما من صفة نوع من الناس ، فقال بعضهم: ذلك **غلط** من الكاتب ، وإنما هو: لكن الراسخون في العلم منهم ، والمقيمون الصلاة." (٣)

"ذكر من قال ذلك حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ولباس التقوى﴾ [الأعراف: ٢٦] : «ﷺيتقي الله فيواري عورته، ذلك لباس التقوى» واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المكيين والكوفيين والبصريين: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ [الأعراف: ٢٦] برفع (ولباس) . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة: (ولباس التقوى) بنصب اللباس، وهي قراءة بعض قراء الكوفيين. فمن نصب: (ولباس) فإنه نصبه عطفا على (الريش) بمعنى: قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا، وأنزلنا لباس التقوى. وأما الرفع، فإن أهل العربية مختلفون في المعنى الذي ارتفع به اللباس، فكان بعض نحويي البصرة يقول: هو مرفوع على الابتداء، وخبره في قوله: ﴿ذلك خير﴾ [الأعراف: ٢٦] ، وقد استخطأه بعض أهل العربية في ذلك وقال: هذا غلط، لأنه لم يعد على اللباس في الجملة عائد، فيكون

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٥٧/٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٧٩/٧

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٧٩/٧

اللباس إذا رفع على الابتداء، وجعل (ذلك خير) خبرا. -[١٢٩]- وقال بعض نحويي الكوفة: ﴿ولباس﴾ [الأعراف: ٢٦] يرفع بقوله: (ولباس التقوى خير) ، ويجعل ذلك من نعته. ب (خير) لم يكن في ذلك وجه إلا أن يجعل اللباس نعتا، لا أنه عائد على اللباس من ذكره في قوله: ﴿ذلك خير﴾ [الأعراف: ٢٦] ، فيكون (خير) مرفوعا بذلك وذلك به. فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام إذن: رفع لباس التقوى، ولباس التقوى ذلك الذي قد علمتموه خير لكم يا بني آدم من لباس الثياب التي تواري سوآتكم، ومن الرياش التي أنزلناها إليكم فالبسوه. وأما تأويل من قرأه نصبا، فإنه: يا بني آدم، قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم، وريشا، ولباس التقوى هذا الذي أنزلنا عليكم، من اللباس الذي يواري سوآتكم والريش، ولباس التقوى خير لكم من التعري والتجرد من الثياب في طوافكم بالبيت، فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش، ولا تطيعوا الشيطان بالتجرد والتعري من الثياب، فإن ذلك سخرية منه بكم وخدعة، كما فعل بأبويكم آدم وحواء فخدعهما حتى جردهما من لباس الله الذي كان ألبسهما بطاعتهما له في أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التي عصياه بأكلها. -[١٣٠]- وهذه القراءة أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، أعني نصب قوله: (ولباس التقوى) لصحة معناه في التأويل على ما بينت، وأن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذي يواري سوآتنا والرياش توبيخا للمشركين الذين كانوا يتجردون في حال طوافهم بالبيت، ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها في كل حال مع الإيمان به واتباع طاعته، ويعلمهم أن كل ذلك خير من كل ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتعريهم، لا أنه أعلمهم أن بعض ما أنزل إليهم خير من بعض. وما يدل على صحة ما قلنا في ذلك الآيات التي بعد هذه الآية، وذلك قوله: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما﴾ ، وما بعد ذلك من الآيات إلى قوله: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ١٦٩] ، فإنه جل ثناؤه يأمر في كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب واستعمال اللباس وترك التجرد والتعري، وبالإيمان به واتباع أمره والعمل بطاعته، وينهى عن الشرك به واتباع أمر الشيطان، مؤكدا في كل ذلك ما قد أجمله في قوله: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير﴾ . وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: (ولباس التقوى) استشعار النفوس تقوى الله في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه والعمل بما أمر به من طاعته، وذلك يجمع الإيمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسمت -[١٣١]- الحسن، لأن من اتقى الله كان به مؤمنا وبما أمره به عاملا ومنه خائفا وله مراقبا، ومن أن يرى عند ما يكرهه من عباده مستحييا. ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه، فحسن سمته وهديه، ورؤيت عليه بهجة الإيمان ونوره. وإنما قلنا: عني بلباس التقوى

استشعار النفس والقلب ذلك، لأن اللباس إنما هو ادراع ما يلبس واحتباء ما يكتسى، أو تغطية بدنه أو بعضه به، فكل من ادرع شيئا أو احتبى به حتى يرى هو أو أثره عليه، فهو له لابس، ولذلك جعل جل ثناؤه الرجال للنساء لباسا، وهن لهم لباسا، وجعل الليل لعباده لباسا. ذكر من تأول ذلك بالمعنى الذي ذكرنا من تأويله إذا قرئ قوله: ﴿ولباس التقوى﴾ [الأعراف: ٢٦] رفعا." (١)

"حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك، يقول في قوله: " ﴿ﷺولا أدراكم به﴾ [يونس: ١٦] يقول: ولا أشعركم الله به " وهذه القراءة التي حكيت عن الحسن عند أهل العربية غلط، وكان الفراء يقول في ذلك قد ذكر عن الحسن أنه قال: «ولا أدرأتكم به» ، قال: فإن يكن فيها لغة سوى «دريت» و «أدريت» ، فلعل الحسن ذهب إليها، وأما أن يصلح من «دريت» أو «أدريت» فلا، لأن الياء والوا إذا انفتح ما قبلهما وسكنتا صحتا ولم تنقلبا إلى ألف مثل قضيت ودعوت، ولعل الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته فهمزها، لأنها تضارع «درأت الحد» وشبهه. وربما غلطت العرب في الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز، فيهمزون غير المهموز. وسمعت امرأة من طيئ تقول: رثأت زوجي بأبيات، ويقولون: لبأت بالحج وحلأت السويق؛ يتغلطون، لأن «حلأت» قد يقال في دفع العطاش، من الإبل، و «لبأت» : ذهبت به إلى اللبأ، لبأ الشاة، و «رثأت زوجي» : ذهبت به إلى رثأت اللبن إذا أنت حلبت الحليب على الرائب، فتلك الرثيئة.." (٢)

"حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ﷺتفتأ﴾ [يوسف: ٨٥] " ما تفتر من حبه. كذا قال الحسن في حديثه، وهو غلط، إنما هو: تفتر من حبه، تزال تذكر يوسف." (٣)

"حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن منصور يعني ابن عبد الرحمن، عن الشعبي، قال: ثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود: «ﷺإن معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا» فقلت في نفسي: **غلط** أبو عبد الرحمن، إنما قال الله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله﴾ [النحل: ١٢٠] فقال: تدري ما الأمة

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٢٨/١٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٣٩/١٢

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٩٨/١٣

وما القانت؟ قلت: الله أعلم، قال: الأمة: الذي يعلم الخير، والقانت: المطيع لله ولرسوله، وكذلك كان معاذ بن جبل يعلم الخير، وكان مطيعا لله ولرسوله "." (١)

"حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿اهتزت وربت﴾ [الحج: ٥] قال: «ﷺحسنت، وعرف الغيث في ربوها» وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت. ويوجه المعنى إلى الزرع، وإن كان الكلام مخرجه على الخبر عن الأرض. وقرأت قراء الأمصار: ﴿وربت﴾ [الحج: ٥] بمعنى: الربو، الذي هو النماء والزيادة، -[٤٦٧]- وكان أبو جعفر القارئ يقرأ ذلك: (وربأت) بالهمز، حدثت عن الفراء، عن أبي عبد الله التميمي، عنه. وذلك غلط، لأنه لا وجه للرب ههنا، وإنما يقال: ربأ بالهمز ، بمعنى: حرس من الربيئة، ولا معنى للحراسة في هذا الموضع والصحيح من القراءة ما عليه قراء الأمصار." (٢)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: " ﴿ﷺوتلك نعمة تمنها علي﴾ [الشعراء: ٢٢] قال: يقول موسى لفرعون: أتمن علي أن اتخذت أنت بني إسرائيل عبيدا ". واختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعض نحويي البصرة: وتلك نعمة تمنها علي، فيقال: هذا استفهام كأنه قال: أتمنها علي؟ ثم فسر فقال: ﴿أن -[٥٦٢]- عبدت بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ٢٢] وجعله بدلا من النعمة. وكان بعض أهل العربية ينكر هذا القول، ويقول: هو **غلط** من قائله لا يجوز أن يكون همز الاستفهام يلقى وهو يطلب، فيكون الاستفهام كالخبر، قال: وقد استقبح ومعه أم، وهي دليل على الاستفهام واستقبحوا:

[البحر المتقارب]

تروح من الحي أم تبتكر ... وماذا يضرك لو تنتظر؟

قال: وقال بعضهم: هو أتروح من الحي وحذف الاستفهام أولا اكتفاء بأم. وقال أكثرهم: بل الأول خبر، والثاني استفهام، وكأن «أم» إذا جاءت بعد الكلام فهي الألف، فأما وليس معه أم، فلم يقله إنسان. وقال بعض نحويي الكوفة في ذلك ما قلنا. وقال: معنى الكلام: وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتي: أي لنعمة تربيتي لك، فأجابه فقال: نعم هي نعمة علي أن عبدت الناس ولم تستعبدني." (٣)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٩٤/١٤

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٦٦/١٦

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٦١/١٧

"فيجوز توجيه قوله: ﴿ولات حين﴾ [ص: ٣] إلى ذلك، لأنها تستعمل الكلمة في موضع، ثم تستعملها في موضع آخر بخلاف ذلك، وليس ذلك بأبعد في القياس من الصحة من قولهم: رأيت بالهمز، ثم قالوا: فأنا أراه بترك الهمز لما جرى به استعمالهم، وما أشبه ذلك من الحروف التي تأتي في موضع على صورة، ثم تأتي بخلاف ذلك في موضع آخر للجاري من استعمال العرب ذلك بينها. وأما ما استشهد به من قول الشاعر: وكما زعمت تلانا، فإن ذلك منه **غلط** في تأويل الكلمة؛ وإنما أراد الشاعر بقوله:

[البحر الكامل]

وصلينا كما زعمت تلانا ... وصلينا كما زعمت أنت الآن،

فأسقط الهمزة من أنت، فلقيت التاء من زعمت النون من أنت وهي ساكنة، فسقطت من اللفظ، وبقيت التاء من أنت، ثم حذفت الهمزة من الآن، فصارت الكلمة في اللفظ كهيئة تلان، والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من الآن، لأنها تاء أنت وأما زعمه أنه رأى في المصحف الذي يقال له الإمام التاء متصلة بحين، فإن الذي جاءت به مصاحف المسلمين في أمصارها هو الحجة على أهل الإسلام، والتاء في جميعها منفصلة عن حين، فلذلك اخترنا أن يكون الوقف على الهاء في قوله: ﴿ولات حين﴾ [ص: ٣]." (١)

"ذكر من قال ذلك: حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا ابن علية قال: ثنا أيوب قال: قرأت في كتاب أبي قلابة قال: نزلت: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [الزلزلة: ٨] وأبو بكر رضي الله عنه يأكل، فأمسك فقال: يا رسول الله إني لراء ما عملت من خير أو شر؟ فقال: «ﷺأرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر، وتدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة» قال: قال أبو إدريس: فأرى مصداقها في كتاب الله قال: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ [الشورى: ٣٠] قال أبو جعفر: حدث هذا الحديث الهيثم بن الربيع، فقال فيه أيوب عن أبي قلابة، عن أنس، أن أبا بكر رضي الله عنه كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر الحديث، وهو غلط، والصواب عن أبي إدريس." (٢)

"حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد -[١٧٣]- في قول الله: ﴿ﷺبحسبان﴾ [الرحمن: ٥] قال: «كحسبان الرحا» وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: الشمس والقمر يجريان

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٧/٢٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥١٣/٢٠

بحساب ومنازل، لأن الحسبان مصدر من قول القائل: حسبته حسابا وحسبانا، مثل قولهم: كفرته كفرانا، وغفرته غفرانا وقد قيل: إنه جمع حساب، كما الشهبان: جمع شهاب. واختلف أهل العربية فيما رفع به الشمس والقمر، فقال بعضهم: رفعا بحسبان: أي بحساب، وأضمر الخبر، وقال: وأظن والله أعلم أنه قال: يجريان بحساب، وقال بعض من أنكر هذا القول منهم: هذا غلط، بحسبان يرافع الشمس والقمر: أي هما بحساب قال: والبيان يأتي على هذا: علمه البيان أن الشمس والقمر بحسبان؛ قال: فلا يحذف الفعل ويضمر إلا شاذا في الكلام." (١)

"حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد﴾ [الفجر: ٢٦] قال: قد ﷺعلم الله أن في الدنيا عذابا ووثاقا، فقال: فيومئذ لا يعذب عذابه أحد في الدنيا، ولا يوثق وثاقه أحد في الدنيا -[٣٩٣]- وأما الذي قرأ ذلك بالفتح، فإنه وجه تأويله إلى: فيومئذ لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ، ولا يوثق أحد في الدنيا كوثاقه يومئذ. وقد تأول ذلك بعض من قرأ ذلك كذلك بالفتح من المتأخرين: فيومئذ لا يعذب عذاب الكافر أحد ولا يوثق وثاق الكافر أحد. وقال: كيف يجوز الكسر، ولا معذب يومئذ سوى الله وهذا من التأويل غلط. لأن أهل التأويل تأولوه بخلاف ذلك. مع إجماع الحجة من القراء على قراءته بالمعنى الذي جاء به تأويل أهل التأويل، وما أحسبه دعاه إلى قراءة ذلك كذلك، إلا ذهابه عن وجه صحته في التأويل." (٢)

"فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكرروا السؤال.

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها محل (ما) رفع بالابتداء ولونها خبر، وقرأ الضحاك لونها نصبا كانه عمل فيه لسببين وجعل ما صلة.

قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها.

قال ابن عباس: شديد الصفرة وقال عدي بن زيد:

واني لأسقي الشرب صفرا فاقعا ... كأن ذكي المسك فيها يعبق

قتادة وأبو العالية والربيع: صاف.

سعيد بن جبير: صفراء اللون والظلف.

الحسن: السوداء، والعرب تسمي الأسود أصفر. قال الأعشى:

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٧٢/٢٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٩٢/٢٤

تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هن صفر أولادها كالزبيب «١»

قال القتيبي: غلط من قال الصفراء هاهنا السوداء لأن هذا غلط في نعوت البقر.

وإنما هو في نعوت الإبل وذلك أن السوداء من الإبل شربت سوادها صفرة، والآخرة إنه لو أراد السوداء لما أكده بالفقوع لأن الفاقع المبالغ في الصفرة. كما يقال: أبيض يفق وأسود حالك وأحمر قاني وأخضر ناضر.

تسر الناظرين إليها وتعجبهم من حسنها وصفاء لونها لأن العين تسر وتولع بالنظر إلى الشيء.

الحسن قال: من لبس نعلا صفراء قل همه «٢» لأن الله يقول: صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أسائمة أم عاملة.

إن البقر هذه قراءة العامة، قرأ محمد ذو الشامة الأموي إن الباقر وهو جمع البقر كالجامل لجماعة الجمل وقال الشاعر:

مالي رأيتك بعد عهدك موحشا ... خلقا كحوض الباقر المتهدم

قال قطرب: تجمع البقرة- بقر، وباقر، وبقير، وبقور، وباقور. فأن قيل: لما قال تشابه والبقر جمع فلم يقل تشابهت؟ قيل فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: إنه ذكر لتذكير بلفظ البقر، كقوله كأنهم أعجاز نخل منقعر «٣» .

---

(١) لسان العرب: ١/ ٣٥٥.

(٢) نسبه في تذكرة الموضوعات لابن عباس: ١٥٨.

(٣) سورة القمر: ٢٠.." [1]

"وقال المبرد: سئل سيبويه عن هذه الآية؟

[فقال:] كل جمع حروفه أقل من حروف واحد فإن العرب تذكره، واحتج بقول الأعشى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل

ولم يقل مرتحلون، وقال الزجاج: معناه إن جنس البقر تشابه علينا.

تشابه علينا وفي تشابه سبع قراءات:

تشابه: بفتح التاء والهاء وتخفيف الشين وهي قراءة العامة وهو فعل ماض ويذكر موحد.

وقرأ الحسن: تشابه: بتاء مفتوحة وهاء مضمومة وتخفيف الشين أراد تشابه.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢١٧/١

وقرأ الأعرج: تشابه: بفتح التاء وتشديد الشين وضم الهاء على معنى يتشابه.

وقرأ مجاهد: تشبه، كقراءة الأعرج إلا إنه بغير ألف لقولهم: تحمل وتحامل.

وفي مصحف أبي: تشابهت على وزن تفاعلت [فالتاء] لتأنيث البقر.

وقرأ ابن أبي إسحاق: تشابهت بتشديد الشين قال أبو حاتم: هذا **غلط** لأن التاء لا تدغم في هذا الباب إلا في المضارعة «١» .

وقرأ الأعمش: متشابه علينا- جعله اسما.

ومعنى الآية: التبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه.

وإنا إن شاء الله لمهتدون إلى وصفها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأيم الله لئن لم يستبينوا لما تبينت لهم آخر الأبد» [٩٠] .

قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل- يقال: رجل ذليل بين الذل، ودابة ذلولة بينة الذل.

تثير الأرض أي مثلها للزراعة.

ولا تسقي الحرث مسلمة بريئة من العيوب، وقال الحسن: مسلمة القوائم ليس فيها أثر العمل.

لا شية فيها قال عطاء: لا عيب فيها.

قال قتادة: لا بياض فيها أصلا.

مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد.

---

(١) راجع تفسير القرطبي: ١/ ٤٥٢.." [١]

"أحدهما: إن يثبت خط الآية، وينسخ علمها والعمل بها. كقول ابن عباس في قوله ما ننسخ من آية قال: ثبت خطها وتبدل حكمها. ومنها رفع تلاوتها وبقاء حكمها مثل آية الرجم.

الثاني: أن ترفع الآية أصلا أي تلاوتها وحكمها معا فتكون خارجة من خط الكتاب، وبعضها من قلوب الرجال أيضا، والشاهد له ما

روي أبو أمامة سهل بن حنيف في مجلس سعيد ابن المسيب: إن رجلا كانت معه سور فقام يقرأها من الليل فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها.

فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها فلم يقدر عليها. فأصبحوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢١٨/١

بعضهم:

يا رسول الله قمت البارحة لأقرأ سورة كذا وكذا فلم أقدر عليها، وقال الآخر: يا رسول الله ما جئت إلا لذلك، وقال الآخر: وأنا يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها نسخت البارحة» [٩٨] «١» .

ثم اعلم أن النسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار إذا نسخ صار المخبر كذابا، وإن اليهود حاولوا نسخ الشرائع وزعموا إنه بداء فيقال لهم: أليس قد أباح الله تزويج الاخت من الأخ ثم حظره وكذلك بنت الأخ وبنت الأخت؟ أليس قد أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه، ثم قال له لا تذبحه؟

أليس قد أمر موسى بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد العجل منهم وأمرهم برفع السيف عنهم؟

أليست نبوة موسى غير متعبد بها، ثم تعبد بذلك؟ أليس قد أمر حزقيل النبي بالختان، ثم نهاه عنه؟ فلما لم يلحقه بهذه الأشياء بداء فكذلك في نسخ الشرائع لم يلحقه بداء بل هو نقل العباد من عبادة إلى عبادة، وحكم إلى حكم لضرب من المصلحة إظهار لحكمته وكمال مملكته وله ذلك وبه التوفيق.

فهذه من علم النسخ وهو نوع كثير من علوم القرآن، لا يسع جهله لمن شرع إلى التفسير.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي: إن عليا عليه السلام مر بقاص يقص في جامع الكوفة بباب كندة فقال: هل تعلم الناسخ من المنسوخ؟

قال: لا. قال: هلكت وأهلكت «٢» .

وأما معنى الآية لقوله ما ننسخ من آية قرأت العامة بفتح النون والسين من النسخ.

وقرأ ابن عامر: بضم النون وكسر السين.

قال أبو حاتم: هو **غلط** وقال: بعضهم له وجهان، أحدهما نجعله نسخه من قولك نسخت الكتاب إذا كتبته وأ نسخته غيري إذا جعلته نسخة له ومعناها ما مسختك.

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٣٤، والدر المنثور: ١/ ١٠٥.

(٢) المصنف لعبد الرزاق: ٣/ ٢٢١ ح ٥٤٠٧، والناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥.." (١)

"بردة بن سهل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشربوا في الظروف ولا تسكروا»

[١٢١] قال أبو عبد الرحمن السدي الحديث منكر، **غلط** فيه أبو الأحوص سلام بن سليم، لا نعلم أحدا

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١/٢٥٤

كان يعول عليه من أصحاب سماك، وسماك أيضا ليس بقوي، وكان يقبل التلقين «١» .
قال أحمد: قيل: كان أبو الأحوص غلى في هذا الحديث. خالفه شريك في إسناده ولفظه، رواه شريك عن سماك بن حرب عن أبي بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الديا والحنتم والنقير والمزفت، وأجمعوا أيضا بما أسندوا إلى سماك عن قرصافة امرأة منهم عن عائشة قال: اشربوا ولا تسكروا.
قال الإمام أبو عبد الرحمن هذا غير ثابت، وقرصافة لا ندري من هي «٢» ، والمشهور عن عائشة ما روى سويد بن نصر عن عبد الله عن قدامة العامري أن جسرة بنت دجاجة العامرية حدثتنا قالت: سمعت عائشة سألها أياس عن النبيذ قالوا: ننبذ الخمر غدوة ونشربه عشيا، وننبذه عشيا ونشربه غدوة، قالت: لا أحل مسكرا وإن كان خبزا، قالوا: قالته ثلاث مرات «٣» .
واعتلوا بما روى هشيم عن ابن شبرمة قال: حدثني الثقة عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال: حرمت الخمر منها، قليلها وكثيرها، والمسكر من كل شراب.
وهذا أولى بالصواب لما روى سفيان عن أبي الجويرية الجرمي قال: سألت ابن عباس عن الباذق قال: ما أسكر فهو حرام، وعن شعبة عن سلمة بن كميل قال: سمعت أبا الحكم يحدث قال: قال ابن عباس: من سره أن يحرم ما حرم الله ورسوله فليحرم النبيذ.
واعتلوا أيضا بما
أسندوه إلى عبد الملك بن نافع قال: رأيت ابن عمر رأيت رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيها نبيذ وهو عند الركن، فدفع إليه القدح فرفعه إلى فيه فوجده شديدا فرده الى صاحبه، فقال له رجل من القوم: يا رسول الله أحرام هو؟ قال، علي بالرجل فأتي به فأخذ منه القدح، ثم دعاهما فصبه فيه ثم رفعه إلى فيه فصبه، ثم دعاهما أيضا فصبه فيه ثم قال: أما إذا عملت فيكم هذه الأوعية فاكسروا متونها بالماء.
قال أبو عبد الرحمن: عبد الملك بن رافع هو مشهور ولكن حدثنيه
وأخبرنا عن الزبير خلاف حكاية ما روى وهب بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مسكر حرام، وكل مسكر خمر» [١٢٢] «٤» .

---

(١) انظر: سنن النسائي: ٣/ ٢٣٢.
(٢) راجع المحلى لابن حزم: ٧/ ٤٨٦.

(٣) سنن النسائي: ٨/ ٣٢٠. ٣٢١.

(٤) مسند أحمد: ٢/ ٢٩.." [١]

"قرأ أبي بن كعب وعبد الله بن عامر والأعمش وحمزة والكسائي وخلف: ننشزها بالزاء وضم النون وكسر الشين.

وروى أبو العالية عن زيد بن ثابت قال: إنما هي راء قرؤها زاء أي أنقطها. وكذلك روى معاوية بن قرة عن ابن عباس بالزاي واختاره أبو عبيدة.

وانشاز الشيء: رفعه ونقله وإزعاجه، فقال: أنشزته فنشز، أي رفعته فارتفع، ومنه نشز المرأة على زوجها ونشز الغلام، أي ارتفع، فمعنى الآية: كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض.

قال ابن عباس والسدي: نخرجها، والكسائي: فننبتها ونعظمها.

قتادة وعطاء وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأيوب: ننشرها بالراء وضم النون وكسر الشين، وأختاره أبو حاتم، ومعناه: نحييها.

فقال: أنشر الله الميت إنشارا فينشر هو نشورا، قال الله تعالى: ثم إذا شاء أنشره.

وقال: هم ينشرون «١» ، وقال: بل كانوا لا يرجون نشورا «٢» وقال: كذلك النشور «٣» .

وإليه النشور «٤» . وقال حارثة بن بدر الغداني:

فأنشر موتاها وأقسط بينها ... فبان وقد ثابت إليها عقولها

وقال الأعشى في اللازم:

حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجبا للميت الناشر «٥»

وقرأ الحسن والمفضل ننشرها بالراء وفتح النون وضم الشين.

قال الفراء: ذهب إلى النشر والطي.

وقال بعضهم: هو من الإحياء أيضا، يقال: أنشر الله الميت ونشره إذا أحياه، قال أبو حاتم: وليس بالمعروف.

وقرأ النخعي بالزاء وفتح النون وضم الشين.

قال أبو حاتم ذلك غلط، وقال غيره: يقال نشزه [ونشطه] وأنشزه بمعنى واحد.

ثم نكسوها لحما أي نكسوها ونواريها به كما نواري الجسد بالثوب، واختلفوا في معنى الآية، فقال بعضهم:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢/١٤٥

أراد به عظام حماره وذلك أن الله تعالى أمات حماره ثم أحياه خلقا

---

(١) سورة الأنبياء: ٢١.

(٢) سورة الفرقان: ٤٠.

(٣) سورة فاطر: ٩.

(٤) سورة الملك: ١٥.

(٥) لسان العرب: ٥/ ٠٦٢.." (١)

"ولا جنبا نصب على الحال، يعني ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب، وقرأ إبراهيم النخعي: (جنبا) بسكون النون، يقال: رجل جنب، ورجلان وامرأتان جنب، ورجال ونساء جنب، والفعل منه أجنب. يجنب، وأصل الجنابة البعد، فقيل له: جنب لأنه يجتنب حتى يتطهر، ثم استثنى فقال: إلا عابري سبيل واختلفوا في معناها،

فقال: بعضهم: الا إن يكونوا مسافرين ولا يجدون الماء فيتيمموا، وهذا قول علي وابن عباس وابن جبير وابن زيد ومجاهد والحكم والحسن بن مسلم وابن كثير.

وقال الآخرون: معناه إلا مجتازين فيه للخروج منه مثل أن ينام في المسجد، فيجنب، أو يكون الماء فيه، أو يكون طريقه عليه، فرخص له أن يمر عليه ولا يقيم، وعلى هذا القول تكون الصلاة بمعنى المصلى والمسجد كقوله صلوات «١» اي موضع الصلوات، وهذا قول عبد الله وابن المسيب وابن يسار والضحاك والحسن وعكرمة وإبراهيم وعطاء الخراساني والنخعي والزيدي، يدل عليه ما روى الليث عن يزيد بن أبي حبيب أن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، فيصيبهم الجنابة، ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرا للماء إلا في المسجد، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وأصل العبور: القطع يقال: عبر الطريق والنهر إذا قطعهما وجال فيهما «٢» .

وإن كنتم مرضى جمع مريض.

إسماعيل عن أبيه عن الحسين عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن مسجدي حرام على كل حائض من النساء، وعلى كل جنب من الرجال إلا على محمد وأهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام» «٣» [٣٢٦] .

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٤٨/٢

وأراد به مرضا يضره مساس الماء كالجدري والجروح والقروح، أو كسر قد وضع عليه الجبائر، فإنه رخص له في التيمم، هذا قول جماعة من الفقهاء، إلا ما ذهب [إليه] »

عطاء والحسن أنه لا يتيمم مع وجود الماء، واحتجا بقوله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا «٥» ، وهذا واجد الماء.

وهذا غلط، لما

روى عطاء عن جابر قال: خرجنا في سفر وأصاب رجلا معنا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل، فمات، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك، فقال:

---

(١) سورة البقرة: ١٥٧.

(٢) كذا في المخطوط.

(٣) السنن الكبرى: ٧/ ٦٥.

(٤) في المخطوط: عليه.

(٥) سورة النساء: ٤٣.." [١]

"كانت حلالا لهم، يدل عليه قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر «١» وو على الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل «٢» .

نكتة قال لهم: حرمنا عليهم طيبات وقال لنا: ويحل لهم الطيبات، وقال:

وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فلم يحرم علينا شيئا بذنوبنا فكما أمننا من تحريم الطيبات التي ذكر في هذه الآية نرجو أن يؤمننا في الآخرة من العذاب الأليم وقال الله تعالى وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما لأنه جمع بينهما في الذكر.

نكتة اطلق في تحريم الطيبات اللفظ في العذاب، لأن التحريم شيء قد مضى له العذاب مستقبل، وقد علم ان منهم من يؤمن فيأمن من العذاب، فقال وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ثم استثنى مؤمني أهل الكتاب فقال: لكن الراسخون في العلم منهم يعني ليس أهل الكتاب كلهم كما ذكرنا لكن الراسخون التائبون المناجون، في العلم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/٣١٣

واختلفوا في وجه انتصابه.

فقالت عائشة وأبان بن عثمان: هو غلط من الكاتب، ونظيره قوله: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى «٣» وقوله تعالى: إن هذان لساحران «٤» وقال بعض النحويين: هو نصب على المدح والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد إذا تطاولت بمدح أو ذم خالفوا من اعراب أوله وأوسطه، نظيره قوله والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء «٥» وقيل: نصب على فعل، تقديره: اعني المقيمين، على معنى: أذكر النازلين وهم الطيبون.

وقال قوم: موضعه خفض، واختلفوا في وصفه، قال بعضهم: معناه: لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة، وقيل معناه: يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة، وقال بعضهم: يؤمنون بما أنزل إليك من الكتاب والمقيمين الصلاة.

ثم اختلفوا فيهم من هم؟ فقيل: هم الملائكة، وقيل: هم الأنبياء، وقيل: هم المؤمنون، وقيل: مؤمنوا أهل الكتاب وهم الراسخون.

قوله تعالى إنا أوحينا إليك الآية، نزلت في اليهود وذلك لما أنزل الله تعالى قوله

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٦.

(٢) سورة النحل: ١١٨.

(٣) سورة المائدة: ٦٩. [.....]

(٤) سورة طه: ٦٣.

(٥) سورة البقرة: ١٧٧.." [١]

"وأجراه بعضهم على الظاهر، فقالوا: غلط قوم وكانوا مشوا، فقال لهم عيسى عند الغلط استعظاما لقولهم: هل يستطيع ربك ... اتقوا الله إن كنتم مؤمنين أي أن تشكوا في قدرة الله تعالى أو تنسبوه إلى عجز أو نقصان ولستم بمؤمنين والمائدة هي الخوان الذي عليه الطعام وهي فاعلة إذا أعطاه وأطعمه، كقولهم: ماد يميد، وغار يغير، وامتاد افتعل ومنه قول روبة:

تهدى رؤس المترفين الأنداد ... إلى أمير المؤمنين الممتاد

أي المستعطي.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/٤١٤

قال رؤبة: والمائدة هي المطعمة المعطية الآكلين الطعام وسمي الطعام أيضا مائدة على الخوان لأنه يؤكل على المائدة كقولهم للمطر سماء، وللشحم ثرى.

وقال أهل الكوفة: سميت مائدة لأنها تميد الآكلون أي تميل ومنه قوله وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم «١» .

قال الشاعر:

وأقلقني قتل الكناني بعده ... وكادت بي الأرض الفضاء تميد «٢»

فقال أهل البصرة: هي فاعلة بمعنى المفعول أي تميد ب الآكلين إليها، كقوله عيشة راضية أي مرضية، قال عيسى مجيبا لهم اتقوا الله إن كنتم مؤمنين فلا تشكوا في قدرته. وقيل:

اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم يسأله الأمم قبلكم قالوا إنما سألنا لأنا نريد أن نأكل منها نستيقن قدرته وتطمئن تسكن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا بأنك رسول الله.

ونكون عليها من الشاهدين لله بالوحدانية والقدرة ولك بالنبوة والرسالة، وقيل: ونكون عليها من الشاهدين لك عند بني إسرائيل، إذا رجعنا إليهم، قال عيسى عند ذلك اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون حال رد إلى الاستقبال أي كائنة وذلك كقوله فهب لي من لدنك وليا يرثني «٣» يعني يصدقني في قراءة من رفع.

وقرأ عبد الله والأعمش: تكن لنا بالجزم على جواب الدعاء.

عيدا لأولنا وآخرنا أي عائدا من علينا وحجة وبرهانا والعيد اسم لما أعتد به وعاد إليك من كل شيء ومنه قيل: أيام الفطر والأضحى عيد لأنهما يعودان كل سنة.

ويقال: لطيف الخيال عيد.

---

(١) سورة النحل: ١٥

. (٢) تفسير القرطبي: ٦/ ٣٦٧

. (٣) سورة مريم: ٦

.." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٢٥/٤

"وقرأ مسلمة بن محارب: تطهرهم وتزكيهم بالجزم على الجواب، وقرأ الحسن: تطهرهم خفيفة من أطهر تطهير وتزكيهم أي تطهرهم، وقيل: تصلحهم، وقيل: ترفعهم من منازل المنافقين الى منازل المخلصين، وقيل: هي أموالهم.

وصل عليهم أي استغفر لهم وادع لهم، وقيل: هو قول الوالي إذا أخذ الصدقة: آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت، والصلاة في اللغة الدعاء ومنه

قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا دعي أحدكم الى طعام فليجبه فإن كان مفطرا فليأكل وإن كان صائما فليصل»

[٥٥] «١» أي فليدع، وقال الأعشى:

وقابلها الريح في دنها ... وصلي على دنها وارتسم «٢»

أي دعا لها بالسلامة والبركة.

وقال أيضا:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا ... يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نوما فإن لجنب المرء مضطجعا «٣»

إن صلاتك قرأ أهل الكوفة: صلاتك على الواحد «٤» هاهنا وفي سورة هود «٥» والمؤمنين ب إضماره.

أبو عبيد قال: لأن الصلاة هي من الصلوات، وروى ذلك عن ابن عباس، ألا تسمع الله يقول: أقيموا الصلاة فهذه صلاة الأبد، والصلوات للجمع كقوله: صليت صلوات أربع وخمس صلوات، وقرأ الباقون كلها بالجمع واختاره أبو حاتم، قال: ومن زعم أن الصلوات من الصلاة لأن الجمع بالتاء قليل فقد غلط، لأن الله تعالى قال: ما نفدت كلمات الله «٦» وصدقت بكلمات ربها «٧» لم يرد القليل.

سكن لهم قال ابن عباس: رحمة لهم، وقال قتادة: وقار لهم، وقال الكلبي: طمأنينة لهم إن الله قد قبل منهم «٨» ، وقال معاذ: تزكية لهم منك، أبو عبيدة: تثبيت.

---

(١) مسند أحمد: ٢/ ٥٠٧.

(٢) الصحاح للجوهري: ٥/ ١٩٣٣.

(٣) معاني للقرآن للنحاس: ١/ ٨٤.

(٤) في تفسير القرطبي: التوحيد.

(٥) قوله تعالى: (أصلاتك)
. (٦) سورة لقمان/ ٢٧.
(٧) سورة التحريم/ ١٢.
(٨) في زاد المسير: ٣/ ٣٣٧ نسبه لأبي صالح عن ابن عباس.." [١]
"نصر قال: كذبت بخت نصر أمرني أن أقتل أول من يخرج فضربه فقتله «١» .

وأما محمد بن إسحاق بن يسار فإنه قال: في هلاك بخت نصر غير ما قال السدي، وذلك أنه قال بإسناده: لما أراد الله [......] ليبعث فقال لمن كان في [......] «٢» وكان يعذبه من بني إسرائيل: أن أتتم هذا البيت الذي خربته وهؤلاء الناس الذين قلت من هم وما هذا البيت، فقالوا: هذا بيت الله ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله، كانوا من [ذراري الأنبياء] وظلموا [وتعذروا] «٣» وعصوا عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السماوات والأرض ورب الخلق كلهم يكرههم ويمنعهم [ويحرمهم] ، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم.

قال: فأخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء العليا لعلي أطلع عليها فأقبل من فيها واتخذها ملكا فإني قد [فرغت] من الأرض ومن فيها، قالوا: ما يقدر عليه أحد من الخلائق، قال: لتفعلن [أو لأقتلنكم عن آخركم] «٤» فبكوا إلى الله وتضرعوا إليه، فبعث الله عليه بقدرته بعوضة ليرى ضعفه وهو انه فدخلت في منخره ثم سلفت في منخره حتى عضت بأم الدماغ، فما كان [يقر ولا يسكن] «٥» حتى توجأ له رأسه على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله: إذا مت فشقوا رأسي وانظروا ما هذا الذي قتلني، فلما مات شق رأسه فوجد البعوضة عاضة بأم دماغه، ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ويحيى الله من كان بقي في يديه من بني إسرائيل وترحم عليهم وردهم إلى إيليا والشام فبنوا فيها وأربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه.

ويزعمون أن الله تعالى اختار توليت الموتى الذين قتلوا ولحقوا بهم، ثم إنهم لما رجعوا إلى الشام وقد أحرق التوراة [وليس معهم عهد] من الله جدد الله توراته وردها عليهم على لسان عزيز (عليه السلام) وقد مضت القصة، فهذا الذي ذكرت جميع أمر بخت نصر على ما جاء في التفسير المعتمد في أخبار الأنبياء، إلا أن رواية من روى أن بخت نصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند [قتلهم] يحيى بن زكريا **غلط** [أهل السير] والأخبار والعلم بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين، ذلك أنهم مجمعون على أن بخت نصر غزا

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٥/ ٩٠

بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعياء وفي عهد أورميا بن حلفيا (عليه السلام) وهي الوقعة الأولى التي قال الله فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد يعني بخت نصر وجنوده، قالوا ومن عهد أروميا

---

(١) بتمامه في تفسير الطبري مع تفاوت: ١٥/ ٤٥.

(٢) كلام غير مقروء.

(٣) هكذا في الأصل.

(٤) هكذا في الأصل.

(٥) هكذا في الأصل.." (١)

"وحتى رأينا أحسن الود بيننا ... مساكنة لا يقرف الشر قارف «١»

ينشد رفعا وجزما، ومن الجزم قول الراجز:

لطال ما حلأتماها لا ترد ... فخلياها والسجال تبترد «٢»

حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم قراءة العامة بالياء يعنون العذاب.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حنش قال: أخبرنا أبو العباس عبد الرحمن بن محمد ابن حماد الطهراني قال: أخبرنا أبو زكريا يحيى بن الفضل الحرمي قال: حدثنا وهب بن عمرو النمري قال: أخبرنا هارون بن موسى العتكي قال: حدثنا الحسام عن الحسن أنه قرأ فيأتيهم بغتة بالتاء فقال له رجل: يا أبا سعيد إنما يأتيهم العذاب بغتة فانتهره الحسن وقال: إنما هي الساعة.

وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون.

قال مقاتل: فقال المشركون: يا محمد إلى متى توعدنا بالعذاب؟ فأنزل الله عز وجل أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين في الدنيا ولم نهلكهم ثم جاءهم ما كانوا يوعدون يعني العذاب ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون رسل ينذرونهم ذكرى أي ينذرونهم تذكرة محلها نصب، وقيل رفع أي تلك ذكرى.

وما كنا ظالمين في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.

وما تنزلت به الشياطين بل نزل به الروح الأمين، وقراءة العامة الشياطين بالياء في جميع القرآن لأن نونه

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/ ٨٠

سنخية وهجاؤه واحد كالدهاقين والبساتين.

وقرأ الحسن البصري ومحمد بن السميدح اليماني: الشياطون بالواو وقال الفراء: **غلط** الشيخ يعني الحسن فقيل: ذلك النضر بن شميل فقيل: إن جاز أن يحتج يقول العجاج ورؤبة ودونهما فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه؟ مع إنا نعلم أنهما لم يقرءا ذلك إلا وقد سمعا فيه.

وقال المؤرخ: إن كان اشتقاق الشياطين من شاط يشيط كان لقراءتهما وجه.

وأخبرني عمر بن شبه قال: سمعت أبا عبيد يقول: لم نعب على الحسن في قراءته إلا قوله: وما تنزلت به الشياطون.

وبإسناده عن عمر بن شبه قال: حدثنا أبو حرب البابي من ولد باب قال: جاء أعرابي إلى

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢٣/ ٤٨.

(٢) لسان العرب: ١/ ٥٩.." [(١)]

"ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني والغرائب والمشكل. انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر مؤلفة من علوم القرآن مشهورة مروية.

أسأل الله ذا الفضل والمن ألا يحرمنا أجره، وأن يبارك لنا في ذكره، وأن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه لا إله إلا هو.

فواجب على كل ذي دين ومروءة كتب كتابنا هذا أو قرأه أن يغمض عن زلل كاتب أو وهم ناسخ إن وجده فيه، ويشكر الله على ما يستفيده منه ويسمح في وهم أو **غلط** إن وقع منا فيه، فالعصمة لا يدعيها أحد بعد الأنبياء صلوات الله عليهم.

أسأل الله التوفيق لما يزلف لديه ويقرب منه، وأرغب إليه جل ذكره أن يجعله [لوجهه خالصا] (٧)، وأن يغفر لمن ترحم علينا ودعا لنا بالمغفرة.

فما أخرجت/ هذا الكتاب وبذلته للناس بعد أن كنت عملته في صدر العمر وجمام الفهم لنفسي خاصة ولمذاكرتي مفردا، إلا طمعا أن يترحم علينا مع طول الزمان مترحم، أو يستغفر لنا من أجله مستغفر، أو يذكرنا بالخير عليه ذاكر، مع ما." [(٢)]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٨١/٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٥/١

"روي في قوله، ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ [المائدة: ١٠٥].

وقرأ الضحاك بن مزاحم " أو تنسها " - بالتاء مضمومة وفتح السين - على ما لم يسم فاعله، أي: " ينسكها الله أو الشيطان " بدلالة قوله: ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾ [الأنعام: ٦٨].

/ وقوله: ﴿نأت بخير منها﴾.

معناه عند أبي إسحاق وقطرب: / " نأت منها بخير " وهو **غلط** عند النحويين. لأن من حقها أن تكون بعد " أفعل " لا قبله " وخير " أفعل فإن جعلت " خيرا " فعلا الذي هو ضد الشر، ولم تجعله أفعل، جاز ذلك.

وقيل: المعنى: نأت بخير منها لكم، إما في تخفيف وإما في زيادة أجر في الآخرة.

وقيل: معنى ﴿نأت بخير منها﴾ أي: بأنفع لكم منها في زيادة الأجر إذا صح من الأصل إذا [عملتم بها].

وقوله: ﴿أو مثلها﴾.

أي: مثلها في الآخرة، لكنها أحب إليكم من المنسوخة نحو نسخ القبلة إلى بيت المقدس، نسخت بالتوجه إلى الكعبة فهي مثلها، وهو أحب إليهم من بيت المقدس." (١)

"أيضا: قاتل زيد عمرو برفعهما. وفي كتاب الزجاج أن التقدير في جواز خفض السلاسل وفي السلاسل يسحبون والحميم على تقدير: يسحبون في الحميم والسلاسل. ثم يقدم المعطوف على المخفوض. وهو **غلط** لأن المعطوف على ما فيه حرف الجر لا يقدم. لم يجز أحد مررت وزيد بعمرو. إنما أجازوا هذا / في المرفوع، نحو: قام وزيد عمرو. استقبحوه في المنصوب، نحو: رايت وزيدا عمرا، ولم يجيزوه في المخفوض البتة لأن الفعل غير دال عليه.

ثم قال تعالى ﴿ثم في النار يسجرون﴾، قال السدي: يسجرون، يحرقون. وقال ابن زيد: توقد عليهم.

وأصله من الملء، يقال: سجرت الشيء إذا ملأته ومنه ﴿والبحر المسجور﴾ [الطور: ٦].." (٢)

"لجميع الخلق.

وقال عكرمة: " وقدر فيها أقواتها "، معناه: قدر في كل بلد منها ما لم يجعله في الآخر منها ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد، ينقل من بلد إلى بلد ما ليس في أحدهما من المتاع والطعام وغيره.

وروي مثل هذا عن مجاهد أيضا، وهو قول الضحاك.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٩٠/١

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٤٦٤/١٠

وقوله: ﴿في أربعة أيام﴾، أي: خلق (ذا وذلك) في أربعة أيام؛ أي: خلق الأرض والجبال، وبارك في الأرض وقدر فيها أقواتها، كل ذلك خلقه في أربعة أياك، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الأربعاء.

وقد **غلط** قوم فأضافوا أربعة أيام كاملة إلى اليومين المتقدمين. وهذا." (١)

"قال الشعبي: " وما تأخر ": يعني إلى أن يموت، وقد **غلط** قوم فظنوا أن الفتح هنا فتح مكة، والصحيح أنه فتح الحديبية كذلك قال ابن عباس والبراء بن عازب وأنس بن مالك.

قال الطبري الفتح هنا: الهدنة التي جرت بين النبي عليه السلام وبين مشركي قريش بالحديبية ونزلت هذه السورة في منصرف النبي عليه السلام عن الحديبية [بعد الهدنة التي جرت بينه وبين قومه.

قال أنس: " لما رجعنا ن غزوة الحديبية] وقد حيل بيننا وبين منسكنا قال: / فنحن بين الحزن والكآبة قال فأنزل الله جل ذكره عليه: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ إلى." (٢)

"قال تعالى /: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾.

أي اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ولينظر أحدكم ما قدم لمماته من العمل الصالح والعمل السيء.

قال قتادة: ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعله كغد، فغد يوم القيامة.

وقاله الضحاك وابن زيد وقالا: الأمس الدنيا، وغدا الآخرة.

ثم قال: ﴿واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ أي وخافوه بإداء فرائضه واجتناب معاصيه، إنه خبر بجميع أعمالكم، فيجازيكم عليها، وكرر هذا اللفظ للتأكيد.

قال: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ أي تتركوا أمره ونهيه، فتعدوا حدوده.

﴿فأنساهم أنفسهم﴾ أي أنساهم حظوظ أنفسهم / من عمل الخيرات، فعلى هذا القول الأول يكون النسيان الأول من الترك، والثاني من النسيان المعروف، وقيل مما من الترك، والمعنى تركوا أمر الله فتركه ثوابهم، وهو عند بعض أهل اللغة غلط، لا يقال أنسي عن الترك، وإنما يصح مثل هذا في قوله ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ [التوبة: ٦٧].

وقيل معنى فأنساهم (وجدهم كذلك)، كما يقال أحمدته، فيكون " أنفسهم "." (٣)

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٤٨٩/١٠

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٩٢٩/١١

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٤٠٦/١١

"الحديث ذكر الفسخ إذا وقعا؟! إما فيه النهي عن ذلك كما في الآية النهي عن البيع، فكما لا اختلاف في فسخ النكاح - وإن كان الحديث لم يتضمن ذكر الفسخ - كذلك هذا. وقد ذهب قوم إلى أن البيع جائز في ذلك الوقت، وتأولوا أن الآية على الترغيب لا على الإلزام، واستدلوا (على ذلك) بقوله بعد ذلك: ﴿ذلكم خير لكم﴾. فلما قال ﴿خير لكم﴾ دل على أنه على الترغيب. وهذا غلط، لو جاز هذا لكان قوله: ﴿ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم﴾ [النساء: ١٧١] على الترغيب لا على الإلزام، وهذا كفر من قائله.

فإن أعتق أو أنكح بعد الأذان يوم الجمعة لم يفسخ، لأنه ليس من البيع الذي نص الله [عليه]، [ولأنه] أمر نادر غير دائم كالبيع الذي هو دائم." (١)

"وروي أن الأعمش قرأ بفتح الواو. وهو غلط؛ لأن الوجد بالفتح إنما هو في الغضب.

وقرأ يعقوب الحضرمي بسر الواو لغاية فيه.

أمر الله الرجال أن يسكنوا المطلقات مما يجدون حتى يقضين عدتهن.

قال السدي: ﴿من وجدكم﴾: من ملككم ومقدرتكم.

- ثم قال تعالى: ﴿ولا تضآروهن لتضيقوا عليهن. . .﴾.

أي: لا تضاروهن في المسكن الذي [تسكنوهن] فيه وأنتم تجدون سعة من." (٢)

"" لا " لا تزاد (" لا " في النفي)، وخالفه غيره فأجاز زيادتها في غير النفي. وقيل: [إن] " لا " من قوله: ﴿لا [أقسم]﴾: جواب، ثم استأنف فقال: أقسم بيوم القيامة. وكذلك هي زائدة [بلا] اختلاف في قوله: ﴿ولا أقسم بالنفس﴾، لانها متوسطة بلا اختلاف، ولأنها بعد نفي. هذا على قول من جعله أيضا قسما ثانيا. ومن جعله غير قسم جعل " لا " نافية. وهو قول الحسن. وقد قرأ قنبل عن ابن كثير: " لأقسم " بغير ألف بعد اللام، وهو غلط عند الخليل وسيبويه، لأنها لام عند." (٣)

"يديه ورجليه ليتناول بها ويفضي إذا شاء، هذا معنى قول ابن عباس وغيره من المفسرين. ونصب ﴿قادرين﴾ على الحال، أي: نجمعها في حال قدرة على تسوية بنانه. هذا قول سيبويه.

وقيل: التقدير: بل نقدر، فلما وقع ﴿[قادرين]﴾ في موضع " نقدر "، نصب على الحال.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٤٦٩/١٢

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٥٤٧/١٢

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٨٥٦/١٢

وهذا غلط، لأنه يلزم أن يقول: " قائما زيد " [بنصب] " قائم " إذا رفع " زيدا " بفعله، لأنه في موض " يقوم ". وقال الفراء: تقديره: بلى، نقوى على ذلك." (١)

"ولا حجراء، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم - D -/ ليس بأعور، وإنكم لن تروا ربكم - جل ذكره - حتى تموتوا ".

وقد (استدل) من أنكر النظر بإضافة النظر إلى الوجه، قال: والعين لا تسمى وجها. وقد [أضاف] النظر إلى الوجه. وهذا **غلط** ظاهر، لأن العرب من لغتها أن تسمي الشيء (باسم﴾ الشيء إذا قرب منه وجاوره، وقد قال الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية﴾ [الغاشية: ٨ - ٩]، والسعي للأقدام، وقد أضاف السعي [للوجوه]، وهو أبعد من الأقدام من العين إلى الوجه، فإذا جاز أن يضاف سعي." (٢)

"معناه: لا تراه، فقد [غلط]: لأنه يلزم أن يكون (معنى): ﴿حتى إذآ أدركه الغرق﴾ [يونس: ٩٠]: إذا رآه، وذلك محال! إنما معناه: إذا أحاط به. وكذلك يلزمه أن يكون معنى ﴿إنا لمدركون﴾ [الشعراء: ٦١]: إنا [المرئيون]، ولم يخافوا أن يراهم قوم فرعون، إنما خافوا أن يحيطوا بهم، فالمعنى: إنا لمحاط بنا، وكذلك يلزمهم أن يكون معنى:

﴿لا تخاف دركا﴾ [طه: ٧٧]: (لا تخاف) رؤية، وهذا محال، لم يؤمنه الله من رؤية آل فرعون له، إنما أمنه من إحادتهم به وبمن معه واستعلائهم عليهم، فالمعنى في الآية: لا تحيط به الأبصار في الدنيا ولا في الآخرة.." (٣)

"قال قتادة: " كان يقول: سبحانك، وبلى ".

وأجاز الفراء الإدغام في ﴿يحيي﴾، وهو **غلط** عن الخليل وسيبويه، لئلا يلتقي ساكنان.." (٤)

"وقال مجاهد: ﴿سلسبيلا﴾ أي " [سلسة] الجرية ".

وقيل: هو اسم للعين، ويلزم من قال هذا ألا يصرفه.

قال النحاس: هي فعليل من [السلاسة].

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٨٦١/١٢

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٨٨١/١٢

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٨٨٣/١٢

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٨٩٩/١٢

وهذا غلط، لأنه كان يجب أن يقال: [سلسليل]، ولا يكون فيه [باء].

[و] حكى سيبويه أن نظيره قفشليل.." (١)

"قوله: ﴿في أي صورة ما شآء ركبك﴾. و ﴿في﴾ متعلقة ب ﴿ركبك﴾، ولا يحسن أن تتعلق ب (عدلك) لأنك أنما تقول: عدلت إلى كذا، ولا تقول عدلته في كذا.

وقد **غلط** الفراء فمنع قراءة التخفيف واستبعادها لإتيان ﴿في﴾ بعد (عدلك)، فظن أن ﴿في﴾ متعلقة ب (عدلك)، وليست كما ظن.

وقد قيل: إن القراءة بالتشديد هي من هذا المعنى على التكثير، أي: صرفك مرة بعد مرة إلى أي صورة شاء. وقيل: معنى التخفيف: (أمالك إلى) ما شاء من حسن وقبح وصحة." (٢)

"إلى فهمنا وعلمنا، ففوق كل ذي علم علم عليم، حتى يبلغ الغاية في العلم إلى العالم القدير عالم الخفيات، لا إله إلا هو العليم الحكيم. وقد تعمدنا الأختصار في ذلك الإعراب على ما شرطنا لئلا يطول الكتاب وكنا قد ألفنا كتابا في شرح مشكل الإعراب، فلم نحتج إلى تكريره في هذا الكتاب إلا الشيء اليسير النادر لم يمكن إلا ذكره فذكرناه مختصرا.

فرحم الله عبدا ترحم علينا وعلى جميع المسلمين، ودعا لنا بالمغفرة. وأنا أرغب إلى الله ذي القدرة والعزة والجبروت والعظمة (أن ينفع بذلك) ويجزل عليه الأجر، وأن يجعله لوجهه خالصا وأن يجيرنا ويعيذنا – فيما سعينا فيه– من الرياء والسمعة والتزين به عند الناس وأن يغفر لنا ما وقع من ذلك في أنفسنا، وأن لا يؤاخذنا بخطيئة قبح عندنا [فعلها] وكرهنا العودة إلى مثلها وأن لا يؤثمنا لما وقع منا من **غلط** أو سهو في هذا الكتاب، فهو القادر على ذلك لا إله إلا الله. ثم صلى الله جل ذكره أولا وآخرا على محمد النبي وعلى أهله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة كلهم أجميعن، ثم إليه جل ذكره أرغب في المغفرة والعفو لنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات.." (٣)

"كالجلوس، ولكن أتى بالفتح فلا نظير له عند سيبويه.

وقال غيره، قد أتى منه الولوع والوجود والسعوط كل مصدر على فعول بالفتح.

قوله: ﴿وكفلها زكريا﴾ المد في زكرياء لغة، وزكري لغة، وزكر، وحكى أبو حاتم بغير صرف، وهو **غلط** عند

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٩٣٠/١٢

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٨١٠٣/١٢

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٨٥٢٢/١٢

النحويين لأن ما كانت في هذه الياء. والتخفيف في كفلها على أن زكريا الفاعل. ومن شدد فمعناه كفلها الله زكرياء لأنه تعالى أخرج قلمه إذ ساهم مع أحبار بني إسرائيل عليها من يكفلها.

وكان زكريا زوج خالتها.

وقيل زوج أختها كان.

وامرأة زكريا بني امرأة عمران، فهي أخت مريم.." (١)

"والفراء يقدره بمعنى ليست تستوي أمة من أهل الكتاب قائمة من حالها كذا وأمة على غير ذلك، وهو **غلط** من وجوه: أحدها أنه يقدر محذوفا ولا يحل التمام سواء، وترتفع أمة بسواء، وإذا فعل ذلك لم يعد على اسم ليس ذكر وساء ليس بجار على الفعل فيرفع الظاهر، والمضمر الذي يضمر لا يدل على شيء من الكلام.

وأبو عبيدة يجعل ﴿ليسوا﴾ على لغة من قال: أكلوني البراغيث، ويجعل ﴿أمة﴾ اسم ليس و ﴿سوآء﴾ الخبر ويقدر محذوفا، وهو ذكر الكفار من أهل الكتاب، وهو بعيد لأن ذكر أهل الكتاب قد تقدم، فليس [هو] مثل أكلوني البراغيث لأنه لم يتقدم [له] ذكر.

وتصغير ﴿آنآء﴾ أوينا تبدل من الألف التي هي فاء الفعل واوا كما تقول: أويد في آدم، ومعنى الآية: أنه تعالى أعلمنا أنه ليس أهل الإيمان من أهل الكتاب والكفر سواء، والضمير في ﴿ليسوا﴾ يعود على ما تقدم من ذكر المؤمنين والفاسقين (من أهل الكتاب فقال): من أهل الكتاب ﴿أمة﴾ شأنها بالمدح والثناء هذا." (٢)

"قال النحاس: هو مصدر، وهو **غلط** منه، وهذا نهي من الله D للمؤمنين أن يأكلوا الربا بعد إسلامهم.

ومعنى ﴿أضعافا﴾ أي: تضعفون الدين إذا أخرتم الأجل، كان الذي عليه الدين يقول: أخرني، وأزيدك فإذا حان قال: أخرني وأزيدك، فيتضاعف الدين عليه.

﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ أي: تنجون. والمفلح الذي أدرك ما أمل ونجا مما خاف.

﴿وأطيعوا الله والرسول﴾ أي: أطيعوه فيما نهاكم عنه من أكل الربا، وأطيعوا الرسول أن تخالفوه كما خالفتموه يوم أحد فهذه معاتبة من الله D للذين عصوا يوم أحد، قال ابن عباس.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢/٩٩٨

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢/١٠٩٨

قوله: ﴿سارعوا إلى مغفرة﴾ الآية. معناه: بادروا بالأعمال الصالحات، أي: إلى ستر ذنوبكم من ربكم، والمغفرة الستر - ومنها المغفر. وسارعوا أيضا إلى جنة هذه صفتها.

ومعنى ﴿عرضها السماوات والأرض﴾.: أي عرضها كعرض السماوات السبع، والآراضين السبع إذا ضم بعضها إلى بعض. قال ابن عباس: تقرن السماوات السبع، والآرضون السبع كما تقرن الثياب بعضها إلى بعض، فذلك عرض الجنة ولا يصف أحد طولها لاتساعه، والله أعلم بذلك. وعن ابن عباس أيضا أنه قال: لو أن السماوات بسطن، ثم وصل بعضها إلى بعض ما كن في سعة خلق الله إلا بمنزلة." (١)

"معنى لفتح " أن " على هذا. وقال الزجاج: " إن " بدل من ﴿الذين كفروا﴾ وهي تسد مسد المفعولين كأنه قال: ولا تحسبن يا محمد أن إملاءنا للذين كفروا [خير لهم. والكسائي الفراء يقدران الكلام على حد كأنه: ولا تحسبن الذين كفروا] لا تحسبن أن ما نملي لهم، وحذف المفعول الثاني من هذه الأفعال لا يجوز عند أحد فهو **غلط** منهما.

وقد قرأ يحيى بن وثاب بكسر إن والياء كأنه ليبطل عمل حسب مع أن كما أبطلها مع اللام وهو قبيح.

وتأويل قول النحاس فيها يدل على أن يحيى قرأه بالتاء وكسر إن وذلك قبيح." (٢)

"خليلا لذلك.

قوله: ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي له ما فيهن، فلم يتخذه خليلا لحاجة إليه، لأن له ما في السموات وما في الأرض، ولكنه اتخذه خليلا لمسارعته إلى رضاه فكذلك سارعوا أنتم إلى ذلك فيتخذكم أولياء.

﴿وكان الله بكل شيء محيطا﴾ أي: يحيط بما يعمله الخلق، لا يخفى عليه شيء.

قوله: ﴿ويستفتونك في النسآء قل الله يفتيكم فيهن. . .﴾ الآية.

" ما " في قوله: ﴿وما يتلى عليكم﴾ في موضع رفع عطف على اسم الله D.

" وما " هو القرآن. أي الله يفتيكم فيهن، والقرآن يفتيكم فيهن أيضا، وهو قول ابن عباس وغيره.

وقال الفراء، ﴿ما﴾ في موضع خفض عطف على الضمير في ﴿فيهن﴾ أي: الله يفتيكم في النساء، وفيما

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١١٢٦/٢

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١١٨٥/٢

يتلى عليكم يفتيكم، وهو **غلط** عند البصريين لأنه عطف ظاهر على مضمر مخفوض.

وقيل ﴿ما﴾ في موضع رفع بالابتداء، و ﴿ما﴾ القرآن أيضا على معنى: (ما." [١]

"النبي A، وقد أخذ عليهم ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم﴾ [آل عمران: ١٨٧]

وكفرهم بآيات الله أي: بإعلامه وأدلته وب ﴿وقتلهم الأنبيآء بغير حق﴾ وب ﴿وقولهم قلوبنا غلف﴾ أي: عليها غشاوة وأغطية عما يقول، فلا نفهمه عنك، فأخبر الله D بكذبهم في قولهم، وقال ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ أي: ليست بغلف، ولكن طبع الله عليها طابعا من أجل كفرهم بالله ﴿فلا يؤمنون إلا قليلا﴾ لأنهم إنما صدقوا ببعض الأنبياء، فإيمانهم قليل لأنهم قد كذبوا بأكثر الأنبياء فيما جاءوا به، ومن كذب بالبعض، فهو مكذب بالكل من جهة أن الذي صدق به من نبي وكتاب يصدق ما كذب به هو ويقرب بصحته وهذا كلام متصل بما قبله.

والمعنى: فبنقضهم ميثاقهم وبكفرهم، وبكذا وبكذا أخذتهم الصعقة.

قال الطبري: هذا **غلط** لأن الذين أخذتهم الصاعقة قوم موسى A، والذين رموا مريم بالبهتان بعدهم بدهر طويل، فهؤلاء غير هؤلاء.

و الذي قال الطبري لا يلزم، لأن اليهود قد تأخروا، وهم الذين طالبوا عيسى A بالصاعقة، وإن لم تأخذهم بأعيانهم، فقد أخذت آباءهم. فالمراد آباؤهم على ما مضى في البقرة وفي غيرها لأنهم راضون بما كان عليه آباؤهم من الكفر فلهم من الحكم ما لآبائهم إذ هم على مذهبهم.

وقال قتادة: ﴿لعناهم﴾ محذوف من الكلام كأنه: فبنقضهم ميثاقهم وفعلهم." [٢]

"وقيل: هو معطوف على الراسخين.

ومعنى الآية: إن الله تعالى أخبر عن أهل الكتاب أنهم سألوا محمد A أن ينزل عليهم كتابا من السماء، ثم بين أنهم ليسوا كلهم قالوا ذلك، فأخبر أن الراسخين في العلم منهم أي: من أهل الكتاب والمؤمنون أي منهم أيضا يؤمنون بالقرآن، والتوراة والإنجيل، وجميع كتب الله، وهو ما أنزل من قبل محمد A فهم لا يسألون ما سأل أولئك.

وقوله: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ هم من أهل الكتاب أيضا.

قال أبان بن عثمان: هو **غلط** من الكاتب يعني كونه بالياء وإنما حقه الرفع بالواو وهي قراءة ابن مسعود.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢/١٤٨١

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢/١٥١٦

وقالت عائشة Bها لعروة إذ سألها عن اختلاف الإعراب في ﴿والمقيمين الصلاة﴾ وفي ﴿والصابئون﴾ [المائدة: ٧١] في المائدة وفي ﴿إن هذان لساحران﴾ [طه: ٦٣] في طه، يا ابن أختي، هذا عمل." (١)

"وكذلك روي عن عبد الرحمن الأعرج – ولا يجوز ذلك عند جماعة النحويين، لأن الياء أصلية، وإنما تهمز الزائدة. وروى الأصبهاني عن أصحابه عن ورش: ﴿معايش﴾ الياء ساكنة – وهو غلط؛ لأنها غير " مفاعل " والميم زائدة؛." (٢)

"اعترض بعض الملحدين بهذه الآية على حديث النبي، عليه السلام، في قوله: " لا يدخل الجنة أحد بعمله، وإنما يدخلها برحمة الله " هذا **غلط** منهم؛ لأن رحمة الله لا تدرك إلا بالعمل الصالح. وإذا كانت الرحمة لا تدرك إلا بالعمل الصالح فالعمل الصالح الذي يدرك الرحمة يدخل الجنة.

ويجوز أن يكون معنى: ﴿أورثتموها بما كنتم تعملون﴾، يعني المنازل في الجنة، فيكون الدخول برحمة الله، كما قال النبي، عليه السلام،: " والمنازل بالأعمال "." (٣)

"منها شيء عن شيء.

وقوله: ﴿ومقام كريم﴾، يعني المنابر. كان بها ألف منبر.

وقوله: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها﴾، قل الطبري: لا يجوز أن تكون: ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ نصبا على الظرف؛ لأن بني إسرائيل لم يكن يستضعفهم (أحدا) يؤمئذ إلا فرعون بمصر، فغير جائر أن يقال: ﴿يستضعفون﴾ في مشارق الأرض وفي مغاربها.

وقد **غلط** الطبري على الفراء؛ لأن الفراء لم يرد أنه ظرف: ﴿يستضعفون﴾، إنما." (٤)

"ومن قرأ: بـ: " الياء " فأكثر أهل العربية يقولون: [﴿أن تقولوا﴾ متعلقة بـ: ﴿وأشهدهم﴾، والمعنى: وأشهدهم على أنفسهمه كراهة] ﴿أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا/ غافلين﴾، فالتمام (على هذا): ﴿المبطلون﴾.

وقال ابن الأنباري والسجستاني ﴿بلى شهدنآ﴾، التمام، وهو غلط؛ لأن ﴿أن﴾ متعلقة بـ: ﴿أشهدهم﴾ أو

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١٥٢٩/٢

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢٢٨٩/٤

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢٣٧١/٤

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢٥٢٥/٤

بـ: ﴿شهدنآ﴾ على قراءة من قرأ بـ: " الياء ".

فأما على تفسير ابن عباس: أن المعنى: [و] شهد بعضهم على بعض، فالتمام: ﴿المبطلون﴾ لأن ﴿شهدنآ﴾، من قول الذين قالوا: ﴿بلى﴾.." (١)

"كنت قد انتحلته أيام شبابي وحداثتي قبل الوقت الذي تلوت فيه عليكم هذا القرآن.

قال ابن عباس: ﴿ولا أدراكم به﴾: أي: ولا أعلمكم به.

وقال ابن جريج: ولا حذرتكم به.

وقال الضحاك: ولا أشعركم به.

وقرأ الحسن: " ولا أدرأتكم به بالألف والتاء: وهي **غلط** عند النحويين، غير أن أبا حاتم، قال: يريد الحسن: ولا أدريتكم به، ثم أبدل من." (٢)

"ليلا أو نهارا ما يستعجل من نزول العذاب المجرمون، وهم لا يقدرون على دفعه.

فمعنى الكلام: الإنكار عليهم لاستعجالهم بأمر، لا يقدرون على دفعه إذا حل بهم. ثم قال تعالى: ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به﴾.

قال الطبري: " أثم " بمعنى " هنالك " إذا وقع العذاب بكم آمنتم بالله D. وليست عنده، ثم التي للعطف وهو **غلط** منه. وإنما التي تكون بمعنى " هنالك " هي المفتوحة / الثاء بمنزلة قوله: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيما﴾ [الإنسان: ٢٠]. والتقدير عند غيره أنها " ثم " التي للعطف. وفي الكلام حذف. والتقدير: أتأمنون إذا نزل بكم العذاب، فتؤمنون ثم يقال لكم: الآن آمنتم، وقد كنتم تريدون استعجاله، وحلوله بكم، فلما عاينتم حلوله آمنتم حين لا ينفعكم الإيمان، وهو مثل قوله: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾ [غافر: ٨٤] إلى قوله ﴿بأسنا﴾ [غافر: ٨٥]: أي: لم ينفعهم الإيمان." (٣)

"نصب، كما تقول: أزيدا مررت به، أو في موضع رفع بالابتداء. و " جئتم به ": الخبر، ومعناه: التوبيخ والتقصير لما جاؤوا به. السحر على إضمار مبتدأ: أي: هو السحر، أو على إضمار خبر، أي: أسحر هو.

ومن قرأ بغير استفهام " فما " بمعنى: " الذي " في موضع رفع بالابتداء.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢٦٣٢/٤

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٢٣٥/٥

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية م كي بن أبي طالب ٣٢٧٩/٥

والسحر: الخبر. وهو خبر عن قول موسى لهم، وهو الاختيار. لأن موسى قد علم أنهم لا شيء عندهم إلا السحر، وأن فرعون بعث وراء السحرة في سائر البلدان. فاستفهام موسى عما أتوا به، هل هو من سحر لا معنى له: وقد احتج اليزيدي بقراءة أبي عمرو بالمد بقوله: " آسحر " هذا وهذا منه غلط عند." (١)

"للتميمي يا أخا تميم.

قال ابن جبير: كان هارون منهم رجلا فاسقا، فنسبوها إليه، وقد غلط بعض المؤلفين في هذا فقال: كان لها أخ صالح يسمى بهارون.

وما علمت أحدا من المفسيرين وأهل التاريخ قال هذا.

" وقال المغيرة بن شعبة: بعثني رسول الله A إلى أهل نجران فقالوا: ألستم تقرأون يا أخت هارون؟ قلت: بلى، قالوا: وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟ قال: فرجعت إلى النبي A. فأخبرته، فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم ".

فهذا يدل على أن هارون المذكور في الآية كان رجلا صالحا وكانوا يسمون أولادهم بهارون لمحبتهم في ذلك الصالح الذي كان اسمه هارون.." (٢)

"وقيل: ب ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾. أي: لتثاب كل نفس من المكلفين بما تعمل من خير وشر.

و" السعي " العمل. وأجاز أبو حاتم الوقف على " أخفيها ". ويبتدئ بلام ﴿لتجزى﴾ بجعلها لام قسم. وذلك غلط ظاهر.

قوله تعالى ذكره: ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها﴾ إلى قوله: ﴿سيرتها الأولى﴾.

أي: فلا يردنك عن العمل للساعة من لا يؤمن بها. أي: من لا يؤمن بالبعث. ﴿واتبع هواه﴾ أي: هوى نفسه، وخالف أمر الله.

﴿فتردى﴾ أي: فتهلك إن فعلت ذلك.

وقيل المعنى: فلا يصدنك يا موسى، عن الإيمان بالساعة من لا يؤمن بها، وهذا خطاب لموسى عليه السلام، والمراد به الجميع.

ثم قال تعالى: ﴿وما تلك بيمينك ياموسى﴾.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٣٠٦/٥

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٥٣٠/٧

" ما " لفظها، لفظ الاستفهام، ومعناها [معنى] التنبيه والتثبيت والتقرير لما يريد الله منها من إحالتها عما هي عليه. فإذا نبهه وقرره على حقيقتها، لم يقدر بعد استحالتها وكونها حية أن تقول: كذا كانت.." [١]

"الفعل، فزدت عليها نونا ولم أغيرها، كما قلت " الذي " ثم زدت عليه نونا، ولم أغيرها، فقلت " الذين " في الرفع والنصب والجر.

والقول الرابع: يحكى عن بعض الكوفيين أن الألف في هذان مشبهة بألف يفعلان، فلم تغير كما لا يغير ألف يفعلان.

والقول الخامس: حكاه الزجاج. قال: القدماء يقولون: الهاء مضمرة ها هنا، والمعنى: أنه هذان لساحران، ويعترض هذا القول دخول اللام في الخبر.

والقول السادس: قاله ابن كيسان، قال: سألني إسماعيل ابن إسحاق عنها، فقلت: القول عندي، أنه لما كان يقال هذا في موضع الرفع والنصب والجر، وكانت التثنية يجب ألا تغير، أجريت التثنية مجرى الواحد. فقال إسماعيل: ما أحسن هذا، لو تقدمك أحد بالقول به، حتى تؤنس به. فقلت: فيقول القاضي به حتى يؤنس به، فتبسم.

والقول السابع: حكاه أبو عمرو وغيره، أنه من غلط الكاتب.." [٢]

"روي أن عثمان وعائشة/ Bهما قالا: إن في الكتاب غلطا ستقيمه العرب بألسنتها.

وعنهما: إن في الكتاب لحنا ستقيمه العرب بألسنتها. وهذا القول قد طعن فيه، لأن أصحاب النبي A قد أجمعوا على صحة ما بين اللوحين، فلا يمكن أن يجتمعوا على غلط.

فأما من خفف " إن " فإنه رفع ما بعدها، لنقصها عن وزن الفعل ويجوز أن يكون أعملها مخففة على الثقيلة، كما يعمل الفعل محذوفا عمله وهو غير محذوف، وإلا أنه أتى بـ " هذان "، على الوجوه التي ذكرنا، فأتى بالألف في النصب.

فأما من شدد نون " هذان "، فإنه جعل التشديد عوضا مما حذف من هذا في التثنية.

وعن الكسائي والفراء في: " إن هذان " قولان تركنا ذكرهما لبعد تأويلهما في ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾.." [٣]

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٦٢٥/٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٦٦٢/٧

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٦٦٣/٧

"وأجاز الفراء أن يكون معطوفا على ﴿لا تخاف﴾ وثبتت الألف في الجزم كما ثبتت الياء والواو وهذا **غلط** عند جميع البصريين لأن الألف لا تتحرك فيقدر فيها حركة. والياء والواو يتحركان فيجوز أن تقدر فيهما حركة محذوفة. وأيضا فإن ذلك لا يجوز في الياؤ والواو إلا الشعر.

قوله تعالى ذكره: ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ إلى قوله: ﴿ثم اهتدى﴾.

في الكلام حذف، والتقدير: فسرى موسى بهم فاتبعهم فرعون بجنوده.

والسرى، سير الليل. وكان فرعون ظن أن موسى ومن معه لا يفوتونه لأن البحر بين أيديهم. فلما أتى موسى البحر، ضربه بعصاه، فانفلق منه اثني عشر طريقا. وبين الطريق والطريق الماء قائما كالجبال فأخذ كل سبط طريقا، فلما أقبل فرعون، ورأى الطريق في البحر، أوهم من معه أن البحر فعل ذلك لمشيئته. فدخل هو وأصحابه فانطبق البحر عليهم.

وروي أنهم لما تراءوا وطمع فرعون في موسى ومن معه أرسل الله ضبابة فسترت بعضهم من بعض حتى دخل موسى وقومه في البحر فلما أمنعوا في البحر، انجلت الضبابة، فنظر أصحاب فرعون فلم يروا منهم أحدا، فتقربوا حتى أتوا البحر،." (١)

"فرجع إليه فسأله، فأنز الله تعالى: ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ إلى آخر الآية، ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾.

وروى أن الحسن بن علي خطب على الناس إذ سلم الأمر إلى معاوية، وقال في خطبته وهو يلتفت إلى معاوية: قال الله جل ذكره: ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾.

ثم قال تعالى: ﴿قال رب احكم بالحق﴾ أي: قل يا محمد: رب افصل بيني وبين من كذبني بإحلال عذابك بهم ونقمتك، وهو الحق الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأله إياه ومثله ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ [الأعراف: ٨٩].

وروى قتادة " أن النبي A كان إذا شهد قتالا يقول: يا رب احكم بالحق ".

وقرأ أبو جعفر يزيد: ﴿قال رب﴾ بالرفع، وهو **غلط** عند النحويين لا يجوز عندهم رجل أقبل، لأنهم جعلوا يا عوضا عن المحذوف والأصل يا أيها الرجل.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٦٧٦/٧

وقرأ عكرمة والضحاك: ﴿قال رب﴾ بفتح الياء ﴿احكم﴾ بالرفع والهمز على الابتداء. أو الخبر. واحتجا في ذلك بأن الله تعالى لا يحكم إلا بالحق، فكيف يأمره أن." (١)

"وبالسلام والتحية التي يبعثها الله إليهم مع الملائكة. كما قال: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.

ومعنى: ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾. أي: إذا صاروا إلى الآخرة، وهدروا إلى صراط الجنة، وطريقها، فهو صراط الله D، يسلكه المؤمنون إلى الجنة ويعدل عنه الكافرون والمنافقون إلى طريق النار.

والحميد هو الله. بمعنى المحمود. أي: أن يحمد على نعمه، على عباده.

وقيل: معناه: وهدوا إلى صراط الحميد، أي: وهداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الرب الحميد، وهو دين الإسلام. والحميد بمعنى المحمود عند أوليائه وخلقه. فحميد: فعيل بمعنى: مفعول. وصراط العزيز الحميد: الإسلام.

وقيل: " إن قوله: لا إله إلا هو " هدوا إلى ذلك في الدنيا.

ثم قال: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾.

أي: إن الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسله ومنعوا الناس الدخول في دين الله وصدوهم عن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس المؤمنين كافة لم يخصص به بعض دون بعض، هلكوا. وهذا خبر أن، محذوف من الكلام.

وقيل: الخبر: يصدون. فالواو زائدة.

قال أبو إسحاق: الخبر: نذقه من عذاب أليم. وهذا غلط، لأنه جواب الشرط.

ثم قال: ﴿سوآء العاكف فيه والباد﴾.

أي: معتدل في النزول فيه، المقيم والبادي. فالبادي [المنتاب إليه من غيره].." (٢)

"على النبي عليه السلام زلة أو غلطا يطعنون بذلك عليه. فإذا **غلط** في قراءته أو سهى، تلقوا ذلكك بالقبول، وقالو: رجع عن بعض ما قرأ، فأنزل الله تعالى هذه الآية يبين فيها أن ال**غلط** والسهو لا حجة فيهما على النبي A، ولا طعن، لأنه شيء يجوز على جميع الخلق، ولا يمتنع من ذلك أحد إلا رب العالمين، فأخبرهم أن الأنبياء قبل محمد والرسل هكذ كانوا، فلا نقص في ذلك على محمد A.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٨٣١/٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٨٦٦/٧

وقد استدل بعض الناس على أن كل نبي رسول وكل رسول نبي بهذه الآية، لأنه قال في النبي والرسول: إذا تمنى، أي قرأ ما أرسل به إلى قومه، فكلاهما مرسل ونبي، وقال: إن الأنبياء إنما يصيرون أنبياء إذا أرسلهم الله إلى عباده، ومن لم يرسله الله إلى عبده فليس بنبي، كما لا يكون رسولا. والذي عليه أكثر الناس، أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا. والرسل قليلون، والأنبياء كثيرون. وقد ذكرنا عدة هؤلاء وهؤلاء في غير هذ الموضع، وعلى هذا دلائل كثيرة تدل على صحته بطول ذكرها.

ومعنى: " إذا تمنى " إذا تحدث في نفسه.

وقال ابن عباس: " إذا تمنى " إذ حدث.

وقال الضحاك إذا قال.." (١)

"﴿أو نرى ربنا﴾، فيخبرنا بذلك. قاله ابن جريج وغيره.

غلطوا في صفات الله جل ثناؤه، ولم يعلموا أنه لا يرى في الدنيا فسألوا ما لا يمكن كونه، كما **غلط** اليهود إذ قالوا ﴿أرنا الله جهرة﴾ [النساء: ١٥٣] وهذا مثل قولهم في سورة " سبحان " ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلا﴾ [الإسراء: ٩٢] ثم قال جل ذكره: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ أي: تعظموا إذ سألوا مثل هذا الأمر الجليل وقوله ﴿ويقولون حجرا محجورا﴾، أي: تقول الملائكة لهؤلاء المشركين: حراما محراما عليكم اليوم البشرى، قاله الضاحك وقتادة. وأصل الحجر المنع، ومنه حجر القاضي على فلان، ومنه حجر الكعبة لأنه لا يدخل إليه في الطواف.." (٢)

"القرآن ذكرى للمتذكرين، لم تنزل به الشياطين ﴿وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾ [الشعراء: ٢١١].

أي: ما تنزلت الشياطين بهذا القرآن على محمد A، ولكن نزل به عليه الروح الأمين وهو جبريل A. وقرأ الحسن: الشياطون بالواو وهو **غلط** لأنه جمع مكسر إعرابه في آخره.

أي: وما يتأتى للشياطين أن ينزلوا بالقرآن، ولا يصلح لهم ذلك ولا يستطيعون أن ينزلوا به، لأنهم لا يصلون إلى استماعه في المكان الذي هو به من السماء.

أي: إن الشياطين عن سمع القرآن في المكان الذي هو به لمعزلون، فكيف يستطيعون ان ينزلوا به، والسمع مصدر في موضع الاستماع.." (٣)

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٩١٦/٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥١٩٨/٨

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٣٥٧/٨

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الروم

مكية

قوله تعالى: ﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ إلى قوله ﴿بلقآء ربهم لكافرون﴾ قد ذكر تقدم ذكر " ألم ".

قال الفراء: في قوله " غلبهم ": الأصل غلبتهم ثم حذفت التاء كما حذفت من " وإقام الصلوات " والأصل وإقامة الصلاة وهذا **غلط** عند البصريين لأن التاء في وإقامة عوض من الحذف الذي وقع في المصدر لأن أصله إقوام مثل إكرام ثم أعل وحذف، فدخلت التاء عوضا من المحذوف. وليس في غلبهم حذف فيجب أن يكون أصله التاء، يقال غلبته غلبا حكاه الأصمعي وغيره.." [١]

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب مدنية.

قوله تعالى ذكره: ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ إلى قوله: ﴿وهو يهدي السبيل﴾.

النبي عند جميع النحويين نعت لأي، إلا الأخفش فإنه جعله صلة لأي. وهو **غلط** لأن الصلة لا تكون إلا في جملة.

وأكثر النحويين على منع جواز النصب في ﴿النبي﴾ لأنه نعت لا بد منه، فهو المقصود بالنداء.." [٢]

"وقيل: التقدير: ولا يأتون البأس إلا قليلا، يأتونه أشحة، أي أشحة على الفقراء بالغنيمة جبناء.

وقال الطبري: التقدير هلم إلينا أشحة.

وقال السدي بنصبه على الحال، والتقدير: ولا يأتون البأس إلا قليلا بخلا عليهم بالظفر والغنيمة.

ومن جعل العامل في أشحة " المعوقين " أو " القائلين " فقد **غلط** لأنه تفريق بين الصلة والموصول.

قال قتادة: معنا أشحة عليكم في الغنيمة.

وقال مجاهد: أشحة عليكم في الخير.

وقيل: التقدير: أشحة عليكم بالنفقة على الضعفاء منكم.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٦٥١/٩

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٧٧٩/٩

والتأويل: جبناء عند الناس أشحاء عند قسم الغنيمة.

وقال يزيد بن رومان: أشحة عليكم للضغن الذي في أنفسهم.." (١)

"الأموال والأولاد مما تقربكم إلى الله، إنما يقرب من الله تعالى الإيمان والعمل الصالح، فلا فائدة لكم في احتجاجكم أنكم أكثر أموالا وأولادا من الرسل.

وقوله: ﴿إلا من آمن﴾ نصب الاستثناء.

وقال الزجاج: من في موضع نصب على البدل من الكاف والميم في تقربكم. وهو **غلط** لأن الغائب لا يبدل من المخاطب. لو قلت: رأيتك زيدا، لم يجز. وهو معنى قول الفراء.

وأجاز الفراء أن تكون " من " في موضع رفع بمعنى ما هو إلا من آمن. وهو بعيد في المعنى، وإنما وحد " التي " وقد تقدم ذكر أموال وأولاد لأنه على حذف، والتقدير: وما أموالكم بالتي تقربكم ولا أولادكم بالتي تقربكم، ثم حذف الأول لدلالة الثاني.

وقال الفراء: التي تكون للأموال والأولاد جميعا.." (٢)

"وقال بعض أهل اللغة: قوله: ﴿من عبادنا﴾ عام في النساء والرجال، وقوله: ﴿يحلون فيها﴾ يعني به النساء خاصة، وهو **غلط** لأنه كان يجب أن يقول يحلين، ولكن هو للرجال.

ويجوز أن يكون لها جميعا فيغلب المذكر على المؤنث.

ثم قال: ﴿ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾ من خفض فعلى العطف على " أساور ". ومن نصب فعلى موضع " أساور ".

وروي أن كل واحد يحلى في يده ثلاث أسورة: واحد من فضة، وآخر من ذهب، وآخر من لؤلؤ، والذهب في الوسط في كل يد.

ثم قال تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾.

قال ابن عباس: الحزن: حزن دخول النار، وهو قول الحسن. وقال عطية الحزن: الموت.

وقال شمر: الحزن: حزن الخبر.." (٣)

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٨١١/٩

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٩٣١/٩

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٩٨٢/٩

"ولا يحسن الوقف على ﴿المرسلين﴾ لأن ما بعده متعلق به.

و (قد) أجازه أبو حاتم. وهو غلط.

ثم قال (تعالى): ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ من رفعه جعله خبرا ثانيا لإن. ويجوز رفعه على إضمار مبتدأ، أي: هذا القرآن تنزيل المنيع بسلطانه وقدرته، الشديد في انقامه ممن كفر به الرحيم بخلقه.

ومن نصب " تنزيل " فعلى المصدر، أي: نزله تنزيلا.." (١)

"٢ - الوقف والابتداء:

أحد علوم القرآن الهامة وبه يعرف كيف أداء القرآن، وبه تتضح معاني الآيات (١). قال الزركشي: "وهذا الفن معرفته تحتاج إلى علوم كثيرة، قال أبو بكر ابن مجاهد: لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوي عالم بالقراءات، عالم بالتفسير والقصص، وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن .. (٢).

كان للواحدي عناية بهذا العلم يظهر ذلك من خلال تفسيره "البسيط" حيث يذكر الوقف في مواضع من كتابه، من ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ [البقرة: ٧] فبعد أن فسر قوله (وعلى سمعهم) قال: وتم الكلام هاهنا، ثم قال: "وعلى أبصارهم غشاوة" .. (٣).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض﴾ الآية [البقرة: ٧١] قال ناقلا عن ابن الأنباري: قال ابن الأنباري: **غلط** أبو حاتم في هذا؛ لأنه قال: الوقف جيد على قوله ﴿ذلول﴾ ثم يبتدأ بـ ﴿تثير الأرض﴾ وقال: إن الله وصف هذه البقرة بما لا يعرفه الناس وصفا لغيرها من البقر، فجعلها تثير الأرض ولا تسقي الحرث على خلاف ما نشاهده من بقرنا. وقد أبطل الفراء وغيره من كبار النحويين هذا الوقف ..

وفي سورة "يونس" عند تفسير قوله تعال: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين﴾ [يونس: ٢] قال: .. تم الكلام عند قوله ﴿عند ربهم﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿قال الكافرون إن

---

(١) انظر: "البرهان" ١/ ٣٤٢.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٠٠١/٩

(٢) "البرهان" ١/ ٣٤٣.

(٣) "البسيط" ص ٤٨٥.." [١]

"قالوا: و (١) لا يصح مذهب الكوفيين في هذا الحرف، لأنه لا يعرف شيء حذفت منه فاء الفعل، فدخلت عليه ألف الوصل كالعدة والزنة.

وأيضا فلو كان من الوسم لكان تصغيره (وسيما)، كما يقول: (وعيدة) و (وصيلة) في تصغير: صلة وعدة (٢).

وأما معنى (الاسم) ففيه مذهبان (٣):

---

(١) (الواو) ساقطة من (ج).

(٢) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ١/ ٢، "اشتقاق أسماء الله" ص ٢٥٥ - ٢٥٧، "المخصص" ١٧/ ١٣٤، "تفسير ابن عطية" ١/ ٨٤، "الإنصاف" لابن الأنباري وقد ذكر خمسة وجوه في (بيان فساد مذهب الكوفيين) ص ٤، "تهذيب اللغة" (سما) ٢/ ١٧٤٧.

(٣) ذكر الرازي وابن كثير فيه ثلاثة مذاهب وهي:

١ - الاسم نفس المسمى وغير التسمية.

٢ - الاسم غير المسمى ونفس التسمية.

٣ - الاسم غير المسمى وغير التسمية. "التفسير الكبير" للرازي ١/ ١٠٨، "تفسير ابن كثير" ١/ ٢٠، وقد كثر الخوض في هذه المسألة، وجعل بعضهم كثرة الحديث فيها من باب العبث الذي لا طائل تحته. انظر: "تفسير الرازي" ١/ ١٠٩.

قال الطبري: (وليس هذا هو الموضع من مواضع الإكثار في الإبانة عن الاسم: أهو المسمى أم غيره، أم هو صفة له؟ فنطيل الكتابة، وإنما هذا موضع من مواضع الإنابة عن الاسم المضاف إلى الله، أهو اسم أم مصدر بمعنى التسمية؟ ..) ثم أخذ ابن جرير يرد على أبي عبيدة قوله: إن الاسم هو المسمى بتقريع مرير. وقد علق الأستاذ (محمود شاكر) على كلام الطبري بكلام جيد. انظر: "تفسير الطبري" ١/ ١٨٨ - ١٢٢. (تحقيق محمود شاكر) كما تكلم عن هذا ابن عطية في تفسير "المحرر الوجيز" ١/ ٨٥. وقد أوضح العلامة ابن أبي العز في شرح "العقيدة الطحاوية" المنهج الصحيح في هذا حيث قال: قولهم: الاسم عين

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١/٢٩٣

المسمى أو غيره؟ وطالما غلط كثير من الناس في ذلك، وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك. فهذا المراد به المسمى=." [١]

"قال الحسين (١) بن الفضل: غلط الراوي؛ لأن الرقة في صفة الباري لا تصح. وإنما هما أسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر (٢). يدل على هذا ما روي في الخبر: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي (٣) على الرفق مالا يعطي على العنف" (٤)، وسمعت من يقول (٥): معنى قول ابن عباس (اسمان رقيقان) أي يدلان فينا على الرقة.

وقال بعضهم: الرحمن خاص اللفظ عام المعنى، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى (٦).

= عليه) في سنده ضعف. انظر الطبري ١/ ٥٧، "تفسير ابن أبي حاتم" (رسالة دكتوراه) ١/ ١٤٨، وابن كثير في "تفسيره" ١/ ٢٣، "المفسر عبد الله بن عباس والمروي عنه" (رسالة ماجستير) ١/ ١٣٠.

(١) في (ب): (الحسن).

(٢) ذكره القرطبي، وذكر نحوه عن الخطابي ١/ ٩٢، وذكره ابن كثير في "تفسيره" في القرطبي ١/ ٢٢.

(٣) (الواو) ساقطة من (ب).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) كتاب البر، باب: فضل الرفق، وأبو داود (٨٠٧٤) كتاب الأدب، باب: في الرفق، وأحمد في "مسنده" عن علي ١/ ١١٢، وعن عبد الله بن مغفل ٤/ ٨٧، وأخرج البخاري عن عائشة وفيه: (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله (٦٩٢٧) كتاب استتابة المرتدين، باب: إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي - صلى الله عليه وسلم -.

(٥) في (ج): (تقول).

(٦) الثعلبي في "تفسيره" ١/ ١٩/ أ. ومعنى أن (الرحمن) خاص اللفظ لأنه لا يطلق إلا على الله، عام المعنى؛ لأنه لجميع الخلق في الدنيا والآخرة، و (الرحيم) عام اللفظ لأنه يطلق على الله بما يليق به، ويطلق على غيره بما يليق به، وخاص المعنى: لأنه خاص بالمؤمنين، أو بالآخرة. انظر الطبري في "تفسيره" ١/ ٥٦ - ٥٨، وابن كثير في "تفسيره" ١/ ٢٢ - ٢٣.." [٢]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٤١/١

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٤٦٢/١

"ويجوز (النصب) على ضربين: على الحال، والاستثناء (١)، أما الاستثناء: فكأنك قلت: إلا المغضوب عليهم، وهو (٢) استثناء الشيء من غير جنسه، وحق (غير) في الاستثناء النصب إذا كان ما بعد (إلا) منصوبا (٣).

وأما الحال: فكأنك قلت: (صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوبا عليهم).

قال ابن السراج (٤): ويجوز عندي النصب على (٥) (أعنى). وقد حكي عن الخليل نحو هذا، أنه أجازه على وجه (٦) القطع من الأول، كما يجيء المدح. ولمن نصب أن يقول (٧): (غير) نكرة وكرهت أن أصف بها المعرفة.

= لأنه عام. انظر؛ "معاني القرآن" للفراء ١/ ٧، "معاني القرآن" للزجاج ١/ ١٦، "البحر" ١/ ٢٩.

(١) نسب ابن مجاهد (القول بالنصب على الاستثناء) إلى الأخفش، وقال: هذا غلط. ابن مجاهد ص ١١٢، وانظر: "إعراب القرآن" للنحاس ١/ ١٢٥، "البحر" ١/ ٢٩.

(٢) قوله: (وهو استثناء الشيء ... إلى قوله إذا كان ما بعد (إلا) منصوبا) ليس من كلام ابن السراج وما قبله وما بعده كله لابن السراج، انظر: "الحجة" ١/ ١٤٢.

(٣) انظر: "الأصول" لابن السراج ١/ ٢٨٤، "إعراب القرآن" للنحاس ١/ ١٢٥، "البحر" ١/ ٢٩.

(٤) هذا وما قبله بنصه مما نسبه أبو علي الفارسي في "الحجة"، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج، فالكلام كله لابن السراج، نقل الواحدي أوله بدون عزو ثم عزا آخره له، وهذا يلاحظ على منهج الواحدي في العزو. انظر: "الحجة" ١/ ١٤٢، ١٤٣.

(٥) في "الحجة": (قال: ويجوز عندي النصب أيضا على (أعني) ....) فذكر: (أيضا) لأنه عطفه على كلام قبله، ذكر فيه وجوها أخرى للنصب. انظر ١/ ١٤٣.

(٦) في "الحجة": (.. على وجه الصفة والقطع من الأول ...) ١/ ١٤٣.

(٧) في "الحجة": (.. ومما يحتج به لمن يفتح أن يقال: (غير) تكره، فكره أن يوصف به المعرفة) ١/ ١٤٣.." (١)

"وقول من قال: إن هذه الآية ناسخة للآية التي قبلها، ليس بشيء، وهذا يروى عن الحسن وعكرمة (١)، وقال أهل العلم وأصحاب المعاني: هذا غلط؛ لأن الخبر لا ينسخ (٢).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١/٥٤٥

وذكر أبو إسحاق الزجاج معنى آخر لهذه الآية هو أليق بما قبلها وهو أنه قال في قوله: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾: المعنى: وأي شيء لهم في ترك العذاب، أي في دفعه عنهم ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ (٣).

ومعنى هذا الكلام: وأي شيء لهم في ترك عذابهم، أي: إنا وإن تركنا عذابهم يكفيهم من الخسارة في حالتهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام، وأنهم حرموا موالاة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولو أراد الله بهم خيرا ما فعلوا ذلك (٤).

---

(١) أخرجه عنهما ابن جرير ٩/ ٢٣٨، ورواه عن الحسن جمع من المفسرين منهم النحاس في: "الناسخ والمنسوخ" ٢/ ٣٨١، والثعلبي ٦/ ٥٨ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٤.

(٢) انظر: "تفسير ابن جرير" ٩/ ٢٣٨، و"الناسخ والمنسوخ" للنحاس ٢/ ٣٨١، و"المحرر الوجيز" ٦/ ٢٨٦.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٤١٢.

(٤) هذا فهم الواحدي لعبارة الزجاج، والذي أراه أن الزجاج لم يقصد هذا المعنى، وإنما مراده: وأي شيء يدفع عنهم العذاب وهم يصدون عن المسجد الحرام. ويدل على هذا المعنى كلامه اللاحق، فقد قال بعد تفسير الآية: فأعلم الله النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه لم يكن ليعذبهم بالعذاب الذي وقع بهم من القتل والسبي وهو بين أظهرهم، ولا ليوقع ذل العذاب بمن يؤول أمره إلى الإسلام منهم، وأعلمه أنه يدفع العذاب من جملتهم الذي أوقعه بهم. "معانى القرآن وإعرابه" ٢/ ٤١٢، فالجملة الأخيرة تفسير لقوله السابق الذي ذكره الواحدي.." [١]

"نغالي اللحم للأضياف نيئا ... ونرخصه إلا نضج القدور

المعنى نغالى باللحم (١)، فحذف الباء هاهنا فكذلك حذف (على)، قال الزجاج: " ﴿كل مرصد﴾ ظرف، كقولك: ذهبت مذهبا، وذهبت طريقا، وذهبت كل طريق، فلست تحتاج أن تقول في هذا إلا بما تقوله في الظروف نحو: خلف وأمام وقدام" (٢).

قال أبو علي: "ذهب أبو الحسن إلى أن المرصد اسم للطريق كما فسره أبو عبيدة، وإذا (٣) كان اسما (٤) للطريق كان مخصوصا، وإذا كان مخصوصا وجب ألا يصل الفعل الذي لا يتعدى إليه إلا بحرف جر (٥)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٣٢/١٠

نحو: ذهبت إلى زيد، وقعدت على الطريق، إلا أن يجيء في ذلك اتساع فيكون الحرف معه محذوفا كما حكاه سيبويه (٦) من قولهم: ذهبت الشام ودخلت البيت فالأسماء المخصوصة إذا تعدت إليها الأفعال التي لا تتعدى فإنما هو على الاتساع، والحكم في تعديها إليها والأصل أن يكون بالحرف، وقد **غلط** أبو إسحاق في قوله (٧): ﴿كل مرصد﴾ ظرف كقولك ذهبت مذهبا في أن جعل الطريق ظرفا كالمذهب وليس الطريق بظرف، ألا ترى [أن الطريق] (٨) مكان مخصوص كما أن البيت والمسجد مخصوصان، وقد نص

---

(١) اهـ كلام الأخفش، انظر: "معاني القرآن" له ١/ ٣٥٣.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٤٣١.

(٣) في (ح): (فإذا)، وما أثبته موافق لما في "الإغفال".

(٤) في (ح): (اسم).

(٥) كلمة (جر) ليست موجودة في "الإغفال".

(٦) انظر: "كتاب سيبويه" ١/ ٤١٤.

(٧) في "الإغفال": قوله -عز وجل-.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و (ي)، وفي "الإغفال": إلا أنه مكان ... إلخ.." [١]

"﴿تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين﴾ [الأحزاب: ٥] أي: فهم إخوانكم" (١).

قال أبو حاتم: "قال أهل البصرة أجمعون: "الإخوة" في النسب، و"الإخوان" في الصداقة، قال: وهذا غلط، يقال للأصدقاء وغير الأصدقاء: إخوة وإخوان قال الله سبحانه (٢) وتعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] لم يعن (٣) النسب، وقال -عز وجل-: ﴿أو بيوت إخوانكم﴾ [النور: ٦١] وهذا في النسب" (٤).

قال ابن عباس: "حرمت هذا الآية دماء أهل القبلة" (٥).

﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [أي: نبينها، يعني آيات القرآن ﴿لقوم يعلمون﴾] (٦) أنها من عند الله.

١٢ - قوله تعالى: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم﴾ يقال: نكث فلان عهده: إذا نقضه بعد إحكامه

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٠/٢٩٥

كما ينكث خيط الصوف بعد إبرامه (٧)، وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم وينسج، فإذا أخلقت (٨) النسيجة قطعت ونكثت (٩) خيوطها المبرمة وخلطت بالصوف وميشت (١٠)، ثم غزل ثانية،

---

(١) "معاني القرآن" ١/ ٤٢٥.

(٢) في (ح): (قال الله تعالى)، وفي "تهذيب اللغة": قال الله جل وعز.

(٣) في (ى): (يعني).

(٤) "تهذيب اللغة" ١/ ١٢٨ بنحوه.

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٧ وفي سنده رجل لم يسم.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) في (م): (انبرامه).

(٨) في (ى): (اختلفت)، وما أثبته موافق لما في "تهذيب اللغة" (نكث) ٤/ ٣٦٥٨، وفي "مجمل اللغة" (نكث) ٤/ ٨٨٤: النكث: أن تنقض أخلاق الأكسية، وتغزل ثانية.

(٩) في (م): (ونكث).

(١٠) الميش: خلط الشعر بالصوف، انظر: "تهذيب اللغة" (ماش) ٤/ ٣٣٢٦، و"القاموس المحيط"، فصل الميم، باب الشين ص ٦٠٦.." [1]

"وقوله تعالى: ﴿أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾، قال: موضع (أن) نصب، المعنى: لا يستأذنك هؤلاء في أن يجاهدوا (١)، ولكن (في) حذفت فأفضى الفعل فنصب (أن) (٢). قال سيبويه: ويجوز أن يكون موضعه (٣) جرا لأن حذفها هاهنا جاز من ظهور (أن) فلو أظهرت المصدر لم تحذف (في)، لا يجوز: لا يستأذنك القوم الجهاد (٤) [حتى تقول: في الجهاد، ويجوز: لا يستأذنك القوم أن يجاهدوا] (٥) (٦).

---

(١) ذكر النحاس في "إعراب القرآن" ٢/ ٢١ هذا التقدير عن الزجاج ثم قال: قال غيره: هذا غلط، وإنما المعنى ضد هذا، ولكن التقدير: (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) في التخلف لئلا يجاهدوا، وحقيقته في العربية: كراهة أن يجاهدوا كما قال جل وعز: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ [النساء:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣١٢/١٠

١٧٦]. وانظر: "الكشاف" ٢/ ١٩٢ وحاشيته، فقد جوز الزمخشري ما ذهب إليه الزجاج، وزاده إيضاحا ابن المنير، واعتبره أدبا إسلاميا يجب أن يقتفى فلا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه أن يسدي إليه معروفا. وأقول: إن أسباب النزول وسياق الآيات لا سيما قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ يدل على ضعف هذا القول، فما كان الله ليعاتب نبيه على إذنه لهم بالجهاد، بل على إذنه بالتخلف عن الجهاد، وهذا يدل على أنهم استأذنوه القعود لا في الجهاد.

(٢) القول للزجاج في "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٤٥٠.

(٣) في "معاني القرآن وإعرابه": موضعها.

(٤) في (ج): (أن يجاهدوا)، والصواب ما أثبته وهو موافق لـ"معاني القرآن وإعرابه".

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٦) انظر قول سيبويه في "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢/ ٤٥٠ ولم أجده في مظانه في كتاب سيبويه، كما أن الأستاذين د/ محمد عبد الخالق عضيمة، وعبد السلام هارون لم يذكرا هذه الآية في فهرسيهما لكتاب سيبويه، وقد ذكر سيبويه النصب على نزع الخافض في عدة مواضع في كتابه منها: ١/ ٣٨، ١٥٩، ٣/ ١٢٧، ١٣٥، ١٣٧ ومن أقواله في كتابه ٣/ ١٥٤: واعلم أن اللام ونحوها من حروف =." [١]

"وقال أبو حاتم: (من زعم أن الجمع بالتاء تقليل فقد غلط؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ [لقمان: ٢٧]، لم يرد القليل) (١).

قال أبو علي الفارسي: (الصلاة مصدر يقع على الجميع والمفرد بلفظ واحد كقوله سبحانه: ﴿لصوت الحمير﴾ [لقمان: ١٩] [فإذا اختلفت جاز أن يجمع لاختلاف ضروبه كما قال: ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾] (٢) [لقمان: ١٩] ومن المفرد الذي يراد به الجميع قوله تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ [الأنفال: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ (٣) والمصدر إذا سمي به صار (٤) بالتسمية وكثرة الاستعمال كالخارجة (٥) عن حكم المصادر، وإذا (٦) جمعت (٧) المصادر إذا اختلفت نحو قوله تعالى: ﴿إن أنكر الأصوات﴾ [لقمان: ١٩] فأن يجمع ما صار بالتسمية كالخارج عن حكم المصادر أجدر) (٨).

---

(١) انظر: المصدر السابق، نفس الموضوع.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٥٧/١٠

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠، النساء: ٧٧، يونس: ٨٧، النور: ٥٦، الروم: ٣١، المزمل: ٢٠].

(٤) في (ى): (جاز)، وهو خطأ.

(٥) هكذا في جميع النسخ، والسياق يقتضي التذكير، وقد تصرف الواحدي في عبارة أبي علي ونصها: (وحسن ذلك جمعها حيث جمعت لأنه صار بالتسمية بها وكثرة الاستعمال لها كالخارجة عن ..) الخ.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) في (ح): (اجتمعت)، وهو خطأ.

(٨) "الحجة للقراء السبعة" ٤/ ٢١٤، ٢١٥ باختصار وتصرف.." [1]

"التباين والافتراق، والزيال بمعنى الفراق (فعال) من المزايلة.

وقال ابن قتيبة في هذه الآية: هو من زال يزول وأزلته أنا (١).

قال الأزهري: هذا **غلط** وأراه لم يميز بين زال يزول، وزال يزيل، وبينهما بنون بعيد، والقول ما قال الفراء، وكان القتيبي قليل البصر بمقاييس النحو والتصريف وهو مع ذلك ذو بيان عذب (٢).

قال المفسرون: فرقنا بين المشركين وبين شركائهم من الآلهة

---

(١) "تفسير غريب القرآن" ص ٢٠٣.

(٢) "تهذيب اللغة" (زول) ٢/ ١٥٧٧ - ١٥٧٨، وقد لطف الواحدي عبارة الأزهري ونصها: إلا أنه منحوس الحظ من النحو والصرف ومقاييسهما. اهـ. والأزهرى متأثر بالهجمة الشرسة الموجهة ضد ابن قتيبة بغير حق والتي قادها جمع من الأدباء والعلماء وفي مقدمتهم أبو بكر ابن الأنباري.

انظر: "مقدمة تأويل مشكل القرآن" ص٧٠، "مقدمة تهذيب اللغة" ١/ ٥٠، ولعل الأزهري -رحمه الله- نسي ثناءه العطر على ابن قتيبة حيث قال في صدد التعريف به وبأبي تراب: وكانا من المعرفة والإتقان بحيث تثنى بهما الخناصر، وهما من الشهرة وذهاب الصيت والتأليف الحسن بحيث يعفى لهما عن خطيئة غلط، ونبذ زلة تقع في كتبهما.

"تهذيب اللغة" ١/ ٥٢، كما أن ابن قتيبة ليس وحده قال هذا القول، فأبو البقاء العكبري جزم بصوابه حيث قال: قوله: (فزيلنا) عين الكلمة واو؛ لأنه من زال يزول، وإنما قلبت ياء؛ لأن وزن الكلمة (فعيل) أي: زيولنا،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٧/١١

مثل: بيطر وبيقر، فلما اجتمعت الياء والواو على الشرط المعروف قلبت ياء، وقيل: هو من زلت ... إلخ. "التبيان في إعراب القرآن" ص ٤٣٧ - ٤٣٨، وإلى ذلك ذهب أيضا السمرقندي في "تفسيره" ٢/ ٩٦، واعتبر الجوهري قول القائل: زلت الشيء من مكانه أزيله زيلا، لغة في أزلته، ورد عليه ابن بري، انظر: "لسان العرب" (زيل) ٣/ ١٨٩١.

وبذلك يتبين أن المسألة موضع نظر، ومحل اجتهاد، فلا يشنع على من خالف غيره، ولو لم يحالفه الصواب.." (١)

"وقال أبو إسحاق: ومنهم من يقبل إليك بالنظر وهو كالأعمى من بغضه لك، وكراهته ما يراه من آياتك (١)، هذا على القول الأول في الآية الأولى (٢)، وعلى القول الثاني (٣) معناه: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ فيبصرك ويراك ولا يؤمن بك، وأنت (٤) لا تقدر على أن توفقه للإيمان كما لا تقدر أن تخلق للأعمى بصرا يهتدي به، وذكر ابن قتيبة: أن الله فضل السمع على البصر حيث قرن بذهاب السمع ذهاب العقل، ولم يقرن بذهاب النظر إلا ذهاب البصر (٥).

قال ابن الأنباري: وهذا عندي غلط؛ لأن الذي نفاه الله مع السمع بمنزلة الذي نفاه مع البصر؛ إذ كان الله -عز وجل- أراد إبصار القلوب، ولم يرد إبصار العيون، فالذي يبصره القلب هو الذي يعقله. وهذا الذي ذكره أبو بكر يكون على القول الأول في الآيتين، وعلى القول الثاني: يقال: إن الله تعالى نفى العقل [عن (٦) الصم لا من حيث أن فقد السمع يوجب فقد العقل، ولكنه زاد نفي العقل] (٧) تأكيدا؛ يقول: لا تقدر أن تسمع الصم الذين لا يعقلون؛ لأن الأصم إذا كان غير عاقل كان أبعد من الانتفاع بما يقال له، فإنه لا يفهم الإشارة أيضا، وإذا كان عاقلا فهم الإشارة، فقامت له مقام

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٢.

(٢) وهو أنهم لشدة بغضهم لمحمد بمنزلة الصم.

(٣) وهو أنهم يستمعون القرآن وهم بمنزلة الصم لعدم التوفيق.

(٤) في (ح) و (ز): (وإنك).

(٥) "تأويل مشكل القرآن" ص ٧.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٨٢/١١

(٦) في (ى): (على)، وهو خطأ.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و (ز).." [1]

"نصب الرمح بضمير (١) الحمل (٢).

قال الزجاج: الذي قاله الفراء **غلط** في إضمار (وادعوا)؛ لأن الكلام لا فائدة فيه (٣)؛ لأنهم إن كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم، فالمعنى: فأجمعوا أمركم مع شركائكم، [وإن كان الدعاء لغير شيء فلا فائدة فيه (٤)] (٥)، قال: والواو بمعنى (مع) كقولك: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها (٦)، وذكر أبو علي القولين جميعا فقال: وقول الفراء انتصاب الشركاء بإضمار فعل آخر كأنه: فأجمعوا أمركم وأجمعوا شركاءكم، فدل المنصوب على الناصب كقول الشاعر:

علفتها تبنا وماء باردا (٧)

---

(١) في (م): (ضمير). وما أثبته موافق للمصدر، والمعنى: نصب الرمح بإضمار لفظ مناسب والتقدير: وحاملا رمحا.

(٢) "معاني القرآن" ١/ ٤٧٣.

(٣) ساقط من (م).

(٤) ساقط من (م).

(٥) ما بين المعقوفين غير موجود في "المعاني القرآن" للزجاج ٣/ ٢٨، وقد ذكره عنه النحاس في "معاني القرآن" ٣/ ٣٠٥، ولفظه: وإن كان يذهب إلى الدعاء فقط فلا معنى لدعائهم لغير شيء.

قلت: يمكن حمل كلام الفراء على معنى مستقيم تقديره: فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ليجمعوا أمرهم، وهذا يفيد أن الشركاء لن يجمعوا أمرهم إلا بدعوة منهم، وهذه النكتة لا يؤديها تقدير الزجاج فلا وجه للاعتراض.

ولقد كان لكفار العرب شركاء عقلاء تمكن دعوتهم كما قال تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾، وقال تعالى: ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ [الأنعام:١٣٧].

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١١/٢٠٧

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٧، ٢٨.

(٧) البيت من الرجز، وبعده: حتى شتت همالة عيناها." (١)

"الأسعار وكثر الناس واتسعت الأموال يراد بمن معه (١)، وهذا معنى قول الزجاج: لأن فرعون (٢) ذو أصحاب يأتمرون له، قال الفراء وابن الأنباري: وقد يكون هذا من باب حذف المضاف؛ كأنه أريد بفرعون آل فرعون (٣)، وعلى القول الذي يقول الكناية [في ﴿قومه﴾] (٤) تعود إلى فرعون جاز أن تعود الكناية في ﴿وملئهم﴾ إلى القوم.

وقوله (٥) تعالى: ﴿أن يفتنهم﴾ أي: يصرفهم عن دينهم بمحنة وبلية يوقعهم فيها، وهو إخبار عن فرعون؛ لأن الملأ كانوا على مثل ما كان عليه، ﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾، قال ابن عباس: يريد: متطاول في أرض مصر (٦).

﴿وإنه لمن المسرفين﴾ الإسراف: الإبعاد في مجاوزة الحد، قال المفسرون: وإسرافه أنه كان عبدا فادعى الربوبية (٧).

---

(١) "معاني القرآن" ١/ ٤٧٦ بمعناه.

(٢) في "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٣٠: جاز أن يقال: (وملئهم) لأن فرعون .. إلخ.

(٣) انظر قول الفراء في "معاني القرآن" ١/ ٤٧٧، وانظر القول غير منسوب في "تفسير الرازي" ١٧/ ١٤٤ - ١٤٥، "التبيان" للعكبري ص ٤٤٣، قال العكبري: وهذا عندنا غلط؛ لأن المحذوف لا يعود إليه ضمير؛ إذ لو جاز ذلك لجاز أن تقول: زيد قاموا، وأنت تريد غلمان زيد قاموا، وانظر رد هذا القول أيضا: "إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ٧١ - ٧٢، "المحرر الوجيز" ٧/ ١٩٩.

(٤) ساقط من (ى).

(٥) بياض في (م).

(٦) "الوسيط" ٢/ ٥٥٦، "زاد المسير" ٤/ ٥٣.

(٧) انظر: "تفسير الثعلبي" ٧/ ٢٣ ب، والبغوي ٤/ ١٤٧، وابن الجوزي ٤/ ٥٣، ومعناه في "تفسير ابن جرير" ١١/ ١٥١.." (٢)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٦٢/١١

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٢٨٥/١١

"ونحوهما من المضاعف، إلا أنه حذف الأولى (١) من المثلين، كما أبدلوا الأولى في نحو قيراط ودينار (٢)، ولزم ذلك في هذا الموضع؛ لأن الحذف لو لحق الثانية للزم التقاء الساكنين على غير ما يستعمل في الأمر الشائع، **وغلط** بعضهم فزعم أن هذا على مذهب يونس فإنه يجيز (٣) إدخال النون الخفيفة في فعل الاثنين وفعل جماعة النساء (٤)، وهذا غلط؛ لأن تلك النون الخفيفة ساكنة غير متحركة، وأجاز يونس في ذلك الجمع بين ساكنين، وابن عامر يقرأ بالتخفيف والتحريك (٥) وجميع أهل النحو خالفوا يونس في ذلك الوجه (٦).

الثاني: أن قوله (لا تتبعان) على هذه القراءة على لفظ الخبر، ومعناه الأمر، كقوله: ﴿يتربصن بأنفسهن﴾ [البقرة: ٢٢٨، ٢٣٤]، و ﴿لا تضار والدة﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي: لا ينبغي ذلك.

---

(١) في (ح): (للأولى)، وفي "الحجة" الأول، وكذا في الموضع التالي، وهو أولى.

(٢) أجل قيراط: قراط، بتشديد الراء، ثم قبلت إحدى الراءين ياء، وكذلك أصل دينار: دنار فقلبت إحدى النونين ياء وذلك لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على وزن فعال ككذاب. انظر: "لسان العرب" (دنر) و (قرط).

(٣) في (ح) و (ز): (يجوز).

(٤) انظر قول يونس ورد سيبويه عليه في: "كتاب سيبويه" ٣/ ٥٢٧، "الإنصاف" ص ٥٢٣، "ائتلاف النصرة" ص ١٣١.

(٥) انظر: "النشر" ٢/ ٢٨٦، "إتحاف فضلاء البشر" ص ٢٥٣.

(٦) انظر: "كتاب سيبويه" ٣/ ٥٢٧، "الأصول في النحو" لابن السراج ٢/ ٢٠٣، "الحجة" ٣/ ٤٤١، "الإيضاح العضدي" ١/ ٣٣٥، "أوضح المسالك" ٣/ ١٣٦، وقول المؤلف: وجميع أهل النحو خالفوا يونس غير صحيح، فقد وافقه جميع الكوفيين، انظر: "الإنصاف" ص ٥٢٣، "ائتلاف النصرة" ص ١٣١.." [١]

"وقوله تعالى ﴿كتاب﴾، قال الفراء (١): رفعت بالهجاء الذي قبله. قال الزجاج (٢): وهذا **غلط** (٣)؛ لأنه جعل كتاب خبر ﴿الر﴾ و ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت﴾ ليس هو ﴿الر﴾ وحدها، قال الفراء: وإن شئت أضمرت له ما يرفعه، كأنك قلت: هذا كتاب، ووافقه الزجاج على هذا القول.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١١/٣٠٠

وقول تعالى: ﴿أحكمت آياته﴾، ذكرنا أن معنى الإحكام في اللغة منع الفعل من الفساد (٤)، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أحكمت آياته: أي لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع بها، وقال قتادة (٥) ومقاتل (٦): أحكمت آياته من الباطل.

قال ابن الأنباري (٧): فعلى قول الكلبي: المعنى أحكمت بعض آياته بأن جعل ناسخا غير منسوخ، وما نسخ من القرآن لا يدخل في هذا الإحكام، وأوقعت الآيات على بعضها على مذهب العرب في إيقاع اسم

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٣.

(٢) "معاني القرآن إعرابه" للزجاج ٣/ ٣٧.

(٣) وتعقب هذا القول أيضا الطبري ١١/ ١٧٩ فقال: "فأما قول من زعم أن قوله ﴿الر﴾ مراد به سائر حروف المعجم التي نزل بها القرآن، وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها، وأن معنى الكلام: "هذه الحروف كتاب أحكمت آياته" فإن الكتاب على قوله ينبغي أن يكون مرفوعا بقوله: ﴿الر﴾ اهـ.

(٤) انظر: "تهذيب اللغة" ١/ ٨٨٦ (حكم)، "مقاييس اللغة" ٢/ ٩١، "لسان العرب" ٢/ ٩٥٢ (حكم).

(٥) الطبري ١١/ ١٨٠، وعبد الرزاق ٢/ ٣٠١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٥، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في "الدر" ٣/ ٥٧٨، و"زاد المسير" ٤/ ٧٣، والبغوي ٤/ ١٥٩.

(٦) تفسير مقاتل ١٤٣ ب، الثعلبي ٧/ ٣٢ ب، "زاد المسير" ٤/ ٧٣.

(٧) انظر: "زاد المسير" ٤/ ٧٤.." [1]

"(في الدار زيد). الثاني مما ذكره أبو إسحاق أنه مرفوع بالفعل الذي يعمل في (١) ﴿من وراء﴾؛ كأنه قال: ويثبت لها من وراء إسحاق يعقوب، وقرأ ابن عامر وحمزة ﴿يعقوب﴾ (٢) بفتح الباء، قال [الفراء (٣): من قرأ ذلك نوى به الخفض يريد: ومن وراء] (٤) إسحاق بيعقوب قال: ولايجوز هذا إلا بإظهار الباء.

قال أبو بكر (٥): من قال: إن (يعقوب) على قراءة حمزة في موضع خفض بالباء فقد **غلط** عند الفراء (٦) وسيبويه (٧)؛ لأن واو النسق لا يفصل بينها وبين المنسوق بالصفات ولا غيرها، فلا يقال: مررت بأخيك ومن بعده أبيك؛ لأن الواو مع الأب بمنزلة الشيء الواحد فلا تدخل بينهما الصفة، ولا يجوز أن يضمر بعد الواو في الآية تبشير آخر معه باء؛ لأنه لا يصلح ضمير شيئين على هذه الشريطة، ولا تعمل الباء

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٤٢/١١

مضمرة إذا كانت صلة لفعل يتصل به ضمير، كما لا تعمل إلا مظهرة حتى يظهر الفعل معها، ألا ترى أن الذي يقول مررت أبيك لا يضمر الباء هاهنا ويخفض بها، فامتناعها هناك من أن تظهر وتعمل كامتناعها هاهنا، قال: والصحيح في

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) قرأ حفص وابن عامر وحمزة بفتح الباء، والباقون بالرفع، انظر: "السبعة" ص ٣٣٨، "إتحاف" ٢٥٨، "الكشف" ١/ ٥٣٤، "الحجة" ٤/ ٣٦٤.

(٣) "معاني القرآن" ٢/ ٢٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) "تهذيب اللغة" (عقب) ٣/ ٢٥٠٨، "اللسان" (عقب) ٥/ ٣٠٣٠.

(٦) "معاني القرآن" ٢/ ٢٢.

(٧) "إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ١٠١، وانظر: "الكتاب" ١/ ٤٨ - ٤٩.." [١]

"وقال آخر (١):

يا أبتا ويا أبه ... خشنت إلا الرقبة

فلما كثرت هذه الكلمة في كلامهم هذه الكثرة ألزموها القلب والحذف، على أن أبا عثمان قدر (٢) هذا مطردا في جميع هذا الباب، فأجازوا وضع الألف مكان الياء في الإضافة في النداء إجازة مطردة، فأجاز: يا زيدا أقبل، إذا أردت الإضافة، وهذا الوجه الثاني في فتح التاء من (يا أبت) هو اختيار الزجاج (٣) وهو مذهب البصريين.

قال ابن الأنباري: وهذا غلط؛ لأن مبناه على لغة شاذة، وهو على لغة من يقول: قام غلاما، وهذا ثوبا، يعني غلامي وثوبي، وكقراءة من قرأ: (وأقم الصلاة لذكرا) (٤) أي لذكري، ولا يحمل كتاب الله على هذه اللغة، والعلة في فتح التاء أنهم أرادوا: (يا أبتاه) فأسقطوا الألف والهاء، وأقروا ما قبلها على الفتح، اختصاصا لما أكثروا استعمال (٥) الحرف، وهذا أيضا قول قطرب، وأنكر البصريون هذا، قال الزجاج (يا أبتاه) للندبه، والندبة هاهنا لا معنى لها، وقال أبو عثمان: من قال: يا أبتاه، فهو نداء على جهة الندبة، فإذا حذفت الألف والهاء صار نداء على غير جهة الندبة فلا يجوز فتح التاء، وذكر قطرب قولا آخر في فتح التاء وهو

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٨٠/١١

أنه قال: أراد يا أبة، ثم حذف التنوين كما قال الطرماح:

---

(١) الرجز لجارية من العرب تخاطب أباها، و"جمهرة اللغة" ١/ ١٧٦، و"مقاييس اللغة" ٢/ ٢٧، و"اللسان" ١/ ٥٣٣.

(٢) في "الحجة" ٤/ ٣٩٢ (قد رأى أن ذلك مطردا).

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٨٩.

(٤) طه: ١٤.

(٥) في (ب): (الاستعمال).." [١]

"الكلبي (١) وغيره من المفسرين (٢)، وقال مقاتل بن سليمان (٣): الضلال هاهنا يعني الشقاء، وتلخيصه: إن أبانا لفي شقاء واضح، واحتج بقوله عز وجل ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ [القمر: ٤٧] يعني في شقاء، قال أبو بكر: فكان مقاتل ذهب إلى أن الضلال عني به شقاء الدنيا؛ لأنه لما آثر ولدين صغيرين على عشرة ذوي أسنان عالية، عاد من ذلك عليه إيغار صدور الجماعة وحملهم على العقوق. وقال أهل المعاني (٤): إن أبانا في ذهاب عن طريق الصواب الذي فيه التعديل بيننا في المحبة، وقيل معناه: إنه في **غلط** في تدبير (٥) أمر الدنيا، إذ كنا أنفع له في القيام بمواشيه وأمواله من يوسف وأخيه، وهذا هو معنى القول، وليسوا يريدون الضلال في الدين، قال الزجاج (٦): ولو وصفوه بالضلال (٧) في الدين كانوا كفارا.

٩ - قوله تعالى ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا﴾ قال النحويون (٨): انتصاب الأرض بإسقاط الخافض، يراد واطرحوه في أرض، فلما سقط الخافض وصل الفعل إليها فنصبها؛ لأن أرضا ليست من الظروف المبهمة.

---

(١) "تنوير المقباس" ص ١٤٧.

(٢) الطبري ١٢/ ١٥٥، والبغوي ٤/ ٢١٧ - ٢١٨، و"زاد المسير" ٤/ ١٨٣.

(٣) نقل عنه "زاد المسير" ٤/ ١٨٣، انظر "تفسر مقاتل" ١٥١ أ.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥/١٢

(٤) "زاد المسير" ٤/ ١٨٣، الثعلبي ٧/ ٦٤ ب.

(٥) في (ب): (تدبر).

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٩٣.

(٧) في (ج): (بالضلالة).

(٨) "إعراب القرآن" للنحاس ص ١٢٥، و"معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٩٣.." [١]

"ألا ترى أن قولهم: بدا لهم بدو، بمنزلة ظهر لهم رأي، كما أن قولهم: قيل فيه قول كذلك، فلهذا أقيم المصدر فيه مقام الفاعل، وأما قوله (ليسجننه) فحمله أبو عثمان على أنه حكاية، تقديره: بدا لهم أمر قالوا ليسجننه، فأضمر القول كما قال ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم﴾ [الزمر: ٣] أي قالوا، ومثله كثير في التنزيل (١).

وقوله تعالى: ﴿حتى حين﴾ قال أهل اللغة (٢): الحين وقت من الزمان غير محدود يقع على القصير منه والطويل.

قال ابن عباس (٣) في رواية عطاء: يريد إلى انقطاع القالة وما شاع في المدينة من الفاحشة، وقال في رواية الكلبي (٤): الحين هاهنا خمس سنين.

وقال سفيان وعكرمة (٥): سبع سنين.

---

(١) في هذه المسأله ثلاثة أقوال:

١ - مذهب سيبويه أن ليسجننه في موضع الفاعل أي: ظهر لهم أن يسجنوه، وقال محمد بن يزيد: هذا **غلط** لا يكون من الفاعل جملة ولكن.

٢ - الفاعل ما دل عليه بدا أي بدا لهم بداء، فحذف الفاعل لأن الفعل يدل عليه.

٣ - أن معنى (بدا له) في اللغة ظهر له ما لم يكن يعرفه، فالمعنى ثم بدا لهم أي لم يكونوا يعرفونه، وحذف هذا لأن في الكلام عليه دليلا، وحذف أيضا القول أي قالوا: (ليسجننه) انظر: "الكتاب" ١/ ٤٥٦، و"إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ١٤١.

(٢) "تهذيب اللغة" (حين) ١/ ٧١٤، و"لسان العرب" (حين) ٢/ ١٠٧٣.

(٣) القرطبي ٩/ ١٨٧، وفي البغوي ٤/ ٢٣٩، و"زاد المسير" ٤/ ٢٢٢ ونسبوه إلى عطاء.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٩/١٢

(٤) البغوي ٤/ ٢٣٩، "زاد المسير" ٤/ ٢٢٢، القرطبي ٩/ ٨٧، الثعلبي ٧/ ٨١ أ.

(٥) الطبري ١٢/ ٢١٣، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٤١ وابن المنذر وأبو الشيخ كما في "الدر" ٤/ ٣٢، والبغوي ٤/ ٢٣٩، وابن عطية ٩/ ٢٩٧، و"زاد المسير" ٤/ ٢٢٢، القرطبي ٩/ ١٨٧، عن عكرمة (تسع سنين).." [1]

"الدنيا ما يحب، ويغيب عنه ما أعد له في الآخرة من العذاب، فشاكلت مماحلة الله مماحلة المخلوق، من جهة أن المماحل من المخلوق يضمر لصاحبه من الشر غير الذي يظهر، فمن هذه الجهة سميت باسمها، وإن كانت مخالفها في المعنى (١)، هذا كلام أبي بكر.

وروى عباد بن منصور عن الحسن (٢) في قوله: ﴿شديد المحال﴾ قال: شديد الحقد، قال أبو بكر: وهذا على ما بينا من أن غضب الله لما استسر (٣) عن المغضوب عليه المعد له، أشبه حقد المخلوق الذي يستر في نفسه، إلى أن المخلوق ينزعج ويتأذى (٤) عند الحقد والغضب، والله قد علا عن جميع هذا علوا كبيرا.

قال الأزهري (٥): قول القتبي (٦): أصل المحال الحيلة، **غلط** فاحش، وأحسبه توهم أن ميم المحال ميم مفعل، وأنها زائدة، وليس الأمر كما توهمه؛ لأن (٧) مفعلا إذا كان من بنات الثلاثة، فإنه يجيء بإظهار الياء الواو مثل: المزود، والمجول، والمحور، والمزيل، وما شاكلها، وإذا رأيت الحروف على مثال فعال، أوله ميم مكسورة فهي أصلية، مثل: ميم مهاد وملاك ومراس، وما أشبهها.

---

(١) انظر: منهجه في آيات العقيدة، وقوله: (وإن كانت مخالفها) كذا في جميع النسخ ولعلها: مخالفتها.

(٢) "زاد المسير" ٤/ ٣١٦، وأخرجه أبو الشيخ عن عكرمة كما في "الدر" ٤/ ١٠٠.

(٣) في (ج): (استتر).

(٤) في (ب)، (ج): (وينادي).

(٥) "تهذيب اللغة" (محل) ٤/ ٣٣٥٣.

(٦) (أ)، (ج): (القيس).

(٧) في (أ)، (ج): (أن).." [2]

---

[1] التفسير البسيط الواحدي ١٢/١١٠

[2] التفسير البسيط الواحدي ١٢/٣١٩

"قال أبو إسحاق: ﴿أنكاثا﴾ منصوب؛ لأنه بمعنى المصدر؛ لأن معنى: نكثت نقضت، ومعنى نقضت: نكثت (١)، وهذا **غلط** منه لأن الأنكاث جمع نكث، وهو (٢) اسم لا مصدر، فكيف يكون الأنكاث بمعنى المصدر، ولو كان (٣) نكثا لصح ما قال، ولكن أنكاثا مفعول ثان، كما تقول: كسره أقطاعا، وفرقه أجزاء على معنى جعله أقطاعا وأجزاء (٤)، وهاهنا تم الكلام، والآية متصلة بما قبلها، والمعنى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ فتكونوا إن فعلتم كامرأة غزلت غزلا وقوت مرته فلما استحكم نقضته فجعلته أنكاثا، وهذا كلام [ابن] (٥) قتيبة (٦)، ثم قال: ﴿تتخذون أيمانكم دخلا بينكم﴾ الدخل والدغل: الغش والخيانة (٧)، قال الليث: ويخفف الدخل ويثقل (٨)، قال الفراء: يعني دغلا وخديعة (٩).

(وقال الزجاج: أي غشا وغلا، وكل ما دخله عيب قيل: هو مدخول، وفيه دخل، قال: و ﴿دخلا﴾ منصوب (١٠)؛ لأنه مفعول له،

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢١٧، بنصه.

(٢) في (د): (وهم).

(٣) (كان) ساقطة من (د).

(٤) نقله الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٨، وعزاه للواحدي.

(٥) ساقطة من جميع النسخ.

(٦) "تأويل مشكل القرآن" ص ٣٨٦، بنصه تقريبا.

(٧) ورد في "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٦٢ ب، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٢١، بنحوه، ونقله الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٨، بنصه وعزاه للواحدي. وانظر: (دخل) في "تهذيب اللغة" ٢/ ١١٥٩، و"الصحاح" ٤/ ١٦٩٦، و"اللسان" / ١٣٤٢.

(٨) ورد في "تهذيب اللغة" (دخل) ٢/ ١١٥٩، بنحوه.

(٩) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ١١٣، بنصه.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (د).." [1]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٨١/١٣

"اليهود غدا والنصارى بعد غد" (١) (٢).

وعلى هذا القول معنى قوله: ﴿على الذين اختلفوا فيه﴾، أي: اختلفوا فيه على نبيهم موسى؛ حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت، فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم (٣)، أي لأجله لأنهم اختاروه ولم يختلفوا في اختياره، وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم: معنى الاختلاف في السبت أن بعضهم قال هو أعظم الأيام حرمة؛ لأن الله فرغ فيه من خلق الأشياء، وقال آخرون: لا بل الأحد؛ لأن الله ابتدأ خلق الأشياء فيه (٤)، وهذا غلط؛ لأن اليهود لم يكونوا فريقين في يوم السبت، وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بزمان طويل.

وقال بعض المفسرين أيضا: أكثر اليهود قالوا: نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق الأشياء، وكان شرذمة منهم يرغبون في الجمعة، فهذا

---

(١) في جميع النسخ: (غدا)، وهو خطأ نحوي ظاهر.

(٢) ورد في جميع المصادر بزيادة، وطرفه: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة" أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٩، ٢٧٤، ٢٤١)، البخاري (٨٧٦) كتاب: الجمعة، باب: فرض الجمعة، ومسلم (٨٥٥) كتاب: الجمعة، باب: هداية هذه الأمة، والدارقطني (٢/ ٣)، والثعلبي ٢/ ١٦٦ ب، والبيهقي: الطهارة/ الغسل على من أراد الجمعة (١/ ٢٩٧، والبيهقي في "الدلائل" ٥/ ٤٧٥، والبغوي ٥/ ٥٢، والبغوي في شرح السنة: الجمعة/ فرض الجمعة ٤/ ٢٠٠، وورد في "تفسير السمرقندي" ٢/ ٢٥٥، وهود الهواري ٢/ ٣٩٥، والخازن ٣/ ١٤١، وابن كثير ٢/ ٦٥٢.

(٣) ورد بنحوه في "تفسير مقاتل" ١/ ٢٠٩ أ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٥.

(٤) ورد في "تفسير الطبري" ١٤/ ١٩٣، بنصه، والثعلبي ٢/ ١٦٦ أ، بنصه، و"تفسير الماوردى" ٣/ ٢٢٠، بنصه، والطوسي ٦/ ٤٣٨، بنصه.." [١]

"المماثلة فيه لم يحذف في الكلام، وإنما جاء الحذف في بيت الكتاب. وأما قوله: (ولدن أثقل من مني، فلذلك حذف) فليس بشيء أيضا، ألا ترى أنه قد حذف من قد وهو مثل: من في أنه على حرفين، فليس الحذف في هذه الحروف معتبرا به لثقلها ولخفتها، وإنما الإثبات في هذه الحروف لما ذكرت من أنه ليسلم السكون أو الحركة، والحذف للضرورة إلا عند اجتماع الأمثال نحو: كأن، وأن، أو المتقاربة:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٣٠/١٣

كلعل، فإن هذا يجوز في الكلام، والأحسن فى لدن ألا يحذف في الكلام ويلحق بباب قد) (١).

وروى أبو عبيدة عن الكسائي عن أبي بكر عن عاصم: (من لدن بضم اللام وتسكين الدال) (٢). قال ابن مجاهد: (وهو غلط) (٣).

قال أبو علي: (يشبه أن يكون التغليط منه في وجه الرواية، فأما من جهة اللغة ومقاييسها فهو صحيح، ألا ترى أن عضد إذا خفف فتخفيفه على ضربين أحدهما: أن تحذف الضمة وتبقى فتحة الفاء على حالها، فيقال: عضد. والآخر: أن تلقى الحركة التي هي الضمة على الفاء، وتحذف الفتحة فيقال: عضد (٤). وكذلك (٥): أرني، ولدني، إلا أن التخفيف في لدني مستقبح من حيث أنه امتناع بعد الحذف والنون، وإن كسرت من أجل مجاورة الياء في نية سكون، فكما أنه إذا سكنت النون لم يجز الإسكان في

---

(١) "الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني" ص ٩٧٢ - ٩٩٠.

(٢) "السبعة" ص ٣٩٧، "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ١٦٢، "المبسوط في القراءات" ٢٣٧.

(٣) "السبعة" ص ٣٩٧.

(٤) "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ١٦٢.

(٥) في (ص): (ولذلك).." [١]

"[المدثر:٢٢] فإذا جعلتها صلة لما بعدها لم تقف عليها كقوله: ﴿كلا والقمر﴾ والوقف على ﴿كلا﴾ قبيح؛ لأنها صلة لليمين) (١).

وقال الأخفش: (﴿كلا﴾ ردع وزجر) (٢). وهذا مذهب سيبويه (٣)، وإليه ذهب الزجاج -صلى الله عليه وسلم- في جميع القرآن (٤). قال أبو حاتم: (وتجيء ﴿كلا﴾ بمعنى "ألا" التي هي للتنبيه يستفتح بها الكلام كما يستفتح بألا) (٥)، واحتج بقول الأعشى (٦):

كلا زعمتم بأنا لا نقاتلكم ... إنا لأمثالكم يا قومنا قتل

قال ابن الأنباري: (هذا **غلط** منه ﴿كلا﴾ لا تكون افتتاح الكلام، والذي في البيت بمعنى "لا"، أي: ليس الأمر على ما يقولون) (٧). واحتج أيضا بقوله تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ [العلق: ٦]، قال معناه: (ألا أن الإنسان ليطغى) (٨).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩٧/١٤

(١) "تهذيب اللغة" (كلا) ٤/ ٣١٧٩، "الإيضاح في الوقف والابتداء" ٢/ ٧٧٦، "القطع والائتناف" ص ٤٥٨، "المكتفى في الوقف والابتداء" ص ٣٧٧، "شرح وكلا وبلى ونعم" ص ١٩.

(٢) "تهذيب اللغة" (كلا) ٤/ ٣١٧٩، "شرح كلا وبلى ونعم" ص ٢٨.

(٣) "الكتاب" لسيبويه ٢/ ٣١٢.

(٤) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٤٥.

(٥) "تهذيب اللغة" (كلا) ٤/ ٣١٧٩، "القطع والائتناف" ص ٤٥٨، "المكتفى في الوقف والابتداء" ص ٣٧٧، "شرح كلا وبلى ونعم" ص ٢٥.

(٦) البيت للأعشى.

انظر: "شرح القصائد" للتبريزي ص ٣٤٧، "شعراء النصرانية" ص ٣٦٩، "تهذيب اللغة" (كلا) ٤/ ٣١٧٩، "لسان العرب" (كلا) ٧/ ٣٩٢٦.

(٧) انظر: "تهذيب اللغة" (كلا) ٤/ ٣١٧٩، "لسان العرب" (كلا) ٧/ ٣٩٢٦.

(٨) انظر: المراجع السابقة، "شرح كلا وبلى ونعم" ص ٢٦.." [١]

"وحكى ابن الأنباري قولا آخر للفراء وهو: (أن الألف في هذان شبهت بالألف في: تفعلان ويفعلان، فلما كانت تلك الألف لا تتغير في تثنية الفعل لم يغيروا هذه الألف في شبه الاسم) (١). وذكر علي بن عيسى النحوي (٢) قولا آخر فقال: (إنما جاز ﴿إن هذان﴾ لضعف عمل ﴿إن﴾ وذلك أنها تعمل بالشبه للفعل وليست بأصل في العمل، ألا ترى أنها لما خففت لم تعمل، فلما ضعف عملها لم تعمل في هذان) (٣).

هذا الذي ذكرنا كله وجه قراءة العامة. وقرا أبو عمرو: إن هذين بالياء (٤). بخلاف المصحف، واحتجاجه في ذلك أنه روي: أنه **غلط** من الكتاب، وإن في الكتاب غلطا ستقيمه العرب بألسنتها. يروي ذلك عن عثمان، وعائشة -رضي الله عنهما- (٥).

---

(١) ذكره نحوه الثعلبي في "الكشف والبيان" بلا نسبة ٣/ ٢٠ ب، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ٢١٩.

(٢) علي بن عيسى بن علي أبو الحسن النحوي، المعروف بالرماني، تقدمت ترجمته.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤/٣١٥

(٣) ذكره الألوسي في "روح المعاني" ١٦/ ٢٢٣.
(٤) قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وعاصم: (إن هذان لساحران). وقرا أبو عمرو البصري: (إن هذين لساحران). انظر: "السبعة" ص ٤١٩، "الحجة" ٥/ ٢٢٩، "التبصرة" ص ٢٦٠، "النشر" ٢/ ٣٢١.
(٥) "الكشف والبيان" ٣/ ٢٠ ب، "معالم التنزيل" ٥/ ٢٨٠، "المحرر الوجيز" ١٠/ ٢٩٧، "زاد المسير" ٥/ ٢٩٧، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ٢١٦، "البحر المحيط" ٦/ ٢٥٥، "الإتقان" ١/ ١٨٢.
وقد رد العلماء هذا الأثر المروي عن عائشة وعثمان -رضي الله عنهما- من جهة إسناده ومتنه، فلا يصح الاحتجاج به على رد القراءة المتواترة الثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في "الفتاوى" ٢/ ٢٥٢: وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ: ﴿إن هذان لساحران﴾ لحن وأن عثمان -رضي الله عنه- قال: إن في المصحف =." [1]

"وهذه القراءة هي قراءة عيسى بن عمر (١).

قال أبو إسحاق: (ولا أجيزها؛ لأنها خلاف المصحف، ولا أجيز مخالفته؛ لأن إتباعه سنة) (٢).

= المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها. وهذا خبر باطل لا يصح.
وقال في "تفسيره" ٥/ ٢٠٩: ومن زعم أن الكتاب **غلط** فهو الغالط غلطا منكرا، فإن المصحف منقول بالتواتر وقد كتبت عدة مصاحف وكلها مكتوبة بالألف فكيف يتصور في هذا غلط.
وقال الألوسي في "روح المعاني" ١٦/ ٢٢٤: والذي أجنح إليه تضعيف جميع ما ورد مما فيه طعن بالمتواتر، ولم يقبل تأويلا ينشرح له الصدر ويقبله الذوق، وإن صححه من صححه، والطعن في الرواية أهون بكثير من الطعن بالأئمة الذين تلقوا القرآن الذي وصل إلينا بالتواتر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يألوا جهدا في إتقانه وحفظه. وقال الدكتور عبد الحي الفرماوي في كتابه "رسم المصحف" ص ١٣١ بعد أن ضعف هذه الرواية: وقد ذكر بعض العلماء هذه الرواية في كتبهم بحسن قصد من غير تحر ولا دقة فاتخذها أعداء الإسلام من المارقين والمستشرقين للطعن في الإسلام وفي القرآن، لتوهين فقه المسلمين بكتاب ربهم - .. ثم قال-: ويجاب عن تصحيح السيوطي: بأن هذه الرواية على فرض صحتها، فهي رواية آحادية لا يثبت بها قرآن، وهي معارضة للقطعي الثابت بالتواتر فهي باطلة مردودة، فإن من قواعد المحدثين

---

(١) التفسير البسيط ا لواحدي ٤٤٦/١٤

أن مما يدرك به وضع الخبر ما يؤخذ من حال المروي كأن يكون مناقضا لنص القرآن أو السنة أو الإجماع أو صريح العقل، حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل أو لم يحتمل سقوط شيء منه يزول به المحذور، وهذه الرواية مخالفة للمتواتر القطعي الذي تلقته الأمة بالقبول فيها باطلة لا محالة.
انظر: "معاني القرآن" للفراء ١/ ١٠٦، "جامع البيان" ١٦/ ١٨٠، "الجامع لأحكام القرآن" ٦/ ١٤، "دقائق التفسير" ٥/ ٢٠٢، "الإتقان" ١/ ١٨٢، "مناهل العرفان" ١/ ١٨٦، "رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين" ص ١٣١.
(١) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٦١، "إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ٣٤٣، "البحر المحيط" ٦/ ٢٥٥، "التفسير الكبير" ٢٢/ ٧٤.
(٢) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٦٤.." [1]
"بالتأنيث (١).
قال الأخفش: وهذا على لغة الذين يقولون (٢): "أكلوني البراغيت"، و"ضربوني (٣) قومك" (٤).
وقال المبرد: الذي قالوه يجوز، ولكنه بعيد لا يختار في القرآن (٥).
قال صاحب النظم (٦): لأنه ليس من مذهب العرب أن يظهروا العدد في

---

(١) انظر: "الكتاب" لسيبويه ٢/ ٤٠.
(٢) في (ت): (يقولوني)، وهو خطأ.
(٣) في (ع): (وضربني)، وهو خطأ.
(٤) "معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٤٧٥، ٦٣٢.
(٥) ذكره عن المبرد: الطوسي في "التبيان" ٧/ ٢٠٤. وذكر أبو حيان في "البحر" ٦/ ٢٩٧ أنه قيل: إنها لغة شاذة. ولم ينص على أحد. وكذا ذكر السمين في "الدر المصون" ٨/ ١٣٣ أن بعضهم ضعف هذه اللغة.
ثم قال أبو حيان: وقيل: والصحيح أنها لغة حسنة، وهي من لغة أزد شنوءه، وخرج عليه قوله: "ثم عموا وصموا كثير منهم" [المائدة: ٧١].
(٦) تنبيه: ذهب د. جودة المهدي في كتابه "الواحدي ومنهجه في التفسير" ص ٤١١ إلى أن صاحب

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٤٧/١٤

النظم الذي ينقل عنه الواحدي هو الحسين بن علي بن نصر بن منصور الطوسي؛ لأن الداودي ذكر له في "طبقات المفسرين" ١/ ١٤١ - ١٤٢ كتاب نظم القرآن. والصواب خلاف ما قال، وأن صاحب النظم هو الحسن بن يحيى الجرجاني، ولو أن د. المهدي رجع إلى كتاب "تاريخ جرجان" للسهمي لرجح هذا، مع أنه نقل عن ابن قاضي شهبة في كتابه طبقات النحاة قوله -وهو يتناول مصادر تفسير البسيط في ترجمته للواحدي- وكتاب "نظم القرآن" للجرجاني، وليس هو عبد القاهر الجرجاني كما **غلط** فيه الإمام فخر الدين الرازي إنما هذا تأليف شخص ذكره حمزة السهمي في "تاريخ جرجان". ومما يدل على أن مؤلف النظم الذي ينقل عنه الواحدي هو الحسن بن يحيى الجرجاني لا الحسن بن علي الطوسي أن الثعلبي - شيخ الواحدي- ذكر الجرجاني وذكر كتابه "النظم"، فقال في مقدمة تفسيره "الكشف والبيان" ١/ ٨ أ - وهو يذكر مصادره-: كتاب "النظم" =." [1]

"﴿وهو السميع﴾ لما تكلموا به (١) ﴿العليم﴾ بما قولوا وبما في قلوبهم.

٥ - قوله تعالى: ﴿بل قالوا﴾ قال المبرد: "بل" لها موضعان في الكلام يجمعهما (٢) شيء واحد وهو التنقل من خبر إلى خبر، ومن أمر إلى أمر، وقد يكون الانتقال رغبة عن الأول، إما **غلط** القائل فاستثبت (٣) وترك الأول وإما نسي فذكر. وقد يكون لما فرغ من خبر انتقل إلى آخر على أن الأول (٤) مصحح مفروغ منه، والذي يأتي من عند الله [لا يكون] (٥) إلا الانتقال من خبر إلى خبر، وكلاهما محكم (٦). قال صاحب النظم: فقوله -عز وجل-: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ خبر (٧) من الله -عز وجل- معطوف على قوله: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي أنهم قد قالوهما (٨) جميعا، إلا أنهم خلطوا من جهة الحيرة التي دخلتهم في أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- فلم يدروا ما قصته، فقالوا: ﴿بل افتراه بل هو شاعر﴾ فأعلم الله -عز وجل- أنهم قالوا هذه الأقوال علىٰ حيرة منهم في أمره.

---

(١) في (أ): (أنه)، وهو خطأ.

(٢) في (أ): (مجمعهما).

(٣) في (أ)، (ت): (فاستب)، مهملة الآخر.

(٤) في (د)، (ع): (إلى آخر عن الأول).

---

[1] ال تفسير البسيط الواحدي ١٥/١٤

(٥) ساقط من (ع).

(٦) في "المقتضب" ٣/ ٣٠٥ نحو هذا القول باختصار. وانظر: "حروف المعاني والصفات" للزجاجي ص ٢٩، "الأزهية في علم الحروف" للهروي ص ٢٢٩ - ٢٣٠، "رصف المباني في شرح حروف المعاني" للمالقي ص٢٣٠، "مغني اللبيب" لابن هشام ١/ ١٣٠ - ١٣١.

(٧) في (أ)، (ت): (وخير).

(٨) في (أ)، (ت): (قالوا هما)، وهو خطأ.." [١]

". . . . .

= يظنون أن دليل التمانع الذي تقدم ذكره هو الدليل المذكور في القرآن في قوله "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"، وليس الأمر كذلك، فإن هؤلاء -كما يقول ابن أبي العز- في "شرحه" للطحاوية ص ٨٦ - ٨٧: "غفلوا عن مضمون الآية، فإنه سبحانه أخبر أنه لو كان فيهما آلهة غيره، ولم يقل أرباب، وأيضا فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما وهما موجودتان آلهة سواه لفسدتا، وأيضا فإنه قال: "لفسدتا" ولم يقل: لم يوجدا. ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة، بل لا يكون الإله إلا واحدا، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى، وأن فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره، فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه، فإن قيامه إنما هو بالعدل وبه قامت السموات والأرض، وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد". اهـ. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم" ص ٤٦١: "هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من يقوله من أهل الكلام من ذكر دليل التمانع على وحدانية الرب تعالى، فإن التمانع يمنع وجود المفعول لا يمنع وجوده بعد فساده". ويقول في كتابه "منهاج السنة النبوية" ٣/ ٣٣٤ - ٣٣٥ بعد ذكره لدليل التمانع وبيان أنه دليل عقلي صحيح، ثم تنبيه على **غلط** من ظن أن هذا الدليل هو المقصود من قوله "لو كان فيهما آلهة إلا الله" يقول: والمقصود هنا أن من هذه الآية بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشئ من عبادة ما سوى الله تعالى؛ لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم، وما سوى الله لا يصلح، فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة، فإنه سبحانه هو المعبود المحبوب

---

[١] التفسير البسيط الواحدي ١٧/١٥

لذاته، كما أنه هو الرب الخالق بمشيئته. وهذا معني قول النبي -صلي الله عليه وسلم -: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

ولهذا قال الله في فاتحة الكتاب: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وقدم اسم الله على اسم الرب في أولها حيث قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فالمعبود هو المقصود المطلوب المحبوب لذاته، وهو الغاية والمعين، وهو البارئ المبدع الخالق، ومنه ابتداء كل شيء، والغايات تحصل بالبدايات، والبدايات بطلب =." (١)

"وهذا وجه قول من أجاز هذه القراءة.

والذين لم يجيزوها أبطلوا هذا، قال الزجاج: لا يجوز ضرب زيدا. تريد: ضرب الضرب؛ لأنك إذا قلت: ضرب زيد، فقد علم أن (١) الذي ضربه ضرب، فلا فائدة من إضماره وإقامته مقام (٢) الفاعل (٣).

وقال أبو علي: قول من قال إنه يسند الفعل إلى المصدر ويضمره لأن الفعل دل عليه فذلك مما يجوز في ضرورة الشعر والبيت الذي أنشد (٤):

ولو ولدت قفيره ...

لا يكون حجة في هذه القراءة (٥).

وأما ما ذكره أبو عبيد (٦) أنه (ننجي) من التنجيه فادغم النون في الجيم [هذا لا وجه له؛ لأنه لا يجوز إدغام النون في الجيم] (٧) سيما والنون متحركة والجيم مشددة بالتضعيف (٨).

= ويتعاطين أي: يناول بعضهن بعضا. والورق: الدراهم وفي التنزيل ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾ [الكهف: ١٩]. أهـ وقال المرتضى في "أماليه" ١/ ٥٦١: شبه حذف منا سمهن له بحذف جوار يلعبن بدراهم، وخص الجواري لأنهن أخف يدا من النساء.

(١) عند الزجاج: أنه.

(٢) عند الزجاج: مع الفاعل.

(٣) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٤٠٣.

(٤) في (د)، (ع): (أنشدوا)، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما في الحجة.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٩/١٥

(٥) "الحجة" لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٦٠.

(٦) في (د)، (ع): (أبو علي)، وهو خطأ.

(٧) ساقط من (د)، (ع).

(٨) وضعفه أيضا النحاس في "إعراب القرآن" ٣/ ٧٨، وقال عنه ابن خالويه في "إعراب القراءات السبع وعللها" ٢/ ٦٧ إنه غلط، وضعفه جدا السمين الحلبي في "الدر المصون" ٨/ ١٩٣.." [١]

"وحمل أبو علي وجه هذه القراءة على أن الراوي عن (١) عاصم **غلط** في (٢) روايته وأن ال**غلط** جاءه (٣) من جهة الراوي لا من جهة عاصم، فقال إن عاصما ينبغي أن يكون قرأ (ننجي المؤمنين) بنونين وأخفى (٤) الثانية؛ لأن هذه النون (٥) تخفى مع حروف الفم وتبيينها لحن، فلما أخفى عاصم ظن السامع أنه إدغام، فالتبس على السامع الإخفاء بالإدغام من حيث كان كل (٦) واحد غير مبين (٧) ويدل على هذا إسكانه الياء من (نجي) والفعل إذا

---

(١) في (ع): (من).

(٢) في (أ): (لي).

(٣) في (أ): (جاءه).

(٤) في (أ)، (ت): (واخفاء).

(٥) في (أ)، (ت): (النونين).

(٦) (كل): ساقطة من (أ)، (ت).

(٧) هذه دعوى لا دليل عليها، فإنه الراوي عن عاصم هو أبو بكر بن عياش، وهو إمام ضابط القراءة حتى قال ابن مجاهد في "السبعة" (ص ٧١) - في سياق كلامه عن سبب عدم غلبة قراءة عاصم على أهل الكوفة: وإلى قراءه عاصم صار بعض أهل الكوفة، وليست بالغالبة عليهم؛ لأن أضبط من أخذ عن عاصم أبو بكر بن عياش -فيما يقال- لأنه تعلمها منه تعلما: خمسا خمسا. وكان أهل الكوفة لا يأتمون في قراءة عاصم بأحد ممن يثبتونه في القراءة عليه إلا بأبي بكر بن عياش، وكان أبو بكر لا يكاد يمكن من نفسه من أرادها منه، فقلت بالكوفة من أجل ذلك وقل من يحسنها. أهـ.

ثم إن هذه القراءة هي الموافقة لرسم المصحف ولذلك اختارها أبو عبيد، وقد بين العلماء وجهها من العربية.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥/١٧٦

فلا مجال بعد ذلك للطعن فيها وتغليط رواته، لا سيما وقد قرأ بها ابن عامر أيضا كما تقدم تخريج القراءه، ولم ينفرد بها أبو بكر، أفيقال أيضا إن ابن عامر أو الرواة عنه غلطوا فظنوا أنه إدغام فالتبس عليهم الإخفاء بالإدغام؟!.." [1]

"وقال نصير الرازي: دروء الكوكب طلوعه، يقال: درأ علينا (١).

وهذا القول في الكوكب الدري غير الأول.

وقال شمر: يقال: درأت النار إذا أضاءت (٢). وهذا قول ثالث.

وقرأ حمزة (دريء) بضم الدال مهموزا (٣).

قال الفراء: ولا تعرف [جهة] (٤) ضم أوله وهمزه؛ لأنه لا يكون في الكلام فعيل إلا عجميا (٥).

وقال أبو إسحاق: لا يجوز أن يضم الدال ويهمز؛ لأنه ليس في الكلام فعيل، [والنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا؛ لأنه ليس في كلام العرب شيء على فعيل] (٦) (٧).

وحكى أبو بكر، عن أبي العباس (٨) أنه قال: **غلط** من قرأ (دريء)؛ لأنه بناه على فعيل، وليس في كلام العرب فعيل، غير أن سيبويه (٩) قال عن أبي الخطاب: وكوب دريء، وهذه أضعف اللغات، قال: وهو في معنى (دري) مأخوذ من الضوء والتلألؤ وليس بمنسوب إلى الدر.

قال أبو علي: وجه هذه القراءة معروف، وهو أنه (فعيل) من الدرء

---

(١) قول نصير في "تهذيب اللغة" للأزهري ١٤/ ١٥٩ (دري).

(٢) قول شمر في "تهذيب اللغة" للأزهري ١٤/ ١٥٨ (دري).

(٣) وهي أيضا قراءة عاصم في رواية أبي بكر. "السبعة" ص ٤٥٦، "التبصرة" ص ٢٧٣، "التيسير" ص ١٦٢.

(٤) زيادة من "معاني الفراء" يستقيم بها المعنى.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٥٢.

(٦) ساقط من (ظ).

(٧) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٤٤ مع تقديم وتأخير.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧٧/١٥

(٨) هو: المبرد.

(٩) انظر: "الكتاب" ٤/ ٢٦٨.." [١]

"فكما (١) أن ما (٢) بعد (٣) الياء في هذه الفصول لا مات، كذلك ما بعد الياء في (دري) لام، وقد ثبت الضم مع الهمز بحكاية سيبويه وإثبات أبي الحسن (٤) وغيره، وقول من زعم أن ذلك ليس في كلامهم مع ما حكيناه غلط، ومما يثبت ما حكيناه ويقويه قولهم: العلية (٥)، وهو فعيلة من [العلو إلا أن اللام انقلبت للياء الساكنة قبلها (٦)، ولا يجوز أن يكون فعيلة من] (٧) مضاعف (٨) العين واللام، لأن معنى العلو قائم فيه، فلا يحمل اللفظ إلى (٩) غير العلو مع وجود هذا المعنى فيه، وهذا قول الأخفش، ومثله: السرية (١٠) وهي فعيلة من السرو (١١)، ولأن صاحبها إذا أراد استيلادها لم يمتهنها ولم يبتذلها [كما يتبذل] (١٢) من لا يراد للاستيلاد ولا يكون فعيلة من السر لأن السر لا يتجه فيها إلا أن يريد: [أن] (١٣) المولى قد يسر بها

---

(١) في (أ): (وكما).

(٢) ما: ساقطة من (أ).

(٣) في ، ع): (بعده).

(٤) هو الأخفش. انظر: "الإغفال" ل ١١٧ ب.

(٥) العلية: الغرفة. "لسان العرب" ١٥/ ٨٦ (علا).

(٦) قال الجوهري في "الصحاح" ٦/ ٢٤٣٧: وأصله عليوة، فأبدلت الواو ياء وأدغمت، لأن هذه الواو إذا سكن ما قبلها صحت، ... ، وهو من علوت.

(٧) ساقط من (ظ).

(٨) في (ظ)، (ع): (تضاعف)، والمثبت من (أ) هو الموافق لما في "الإغفال".

(٩) في (ع): (على).

(١٠) السرية: هي الجارية المتخذة للملك والجماع. "لسان العرب" ٤/ ٣٥٨ (سرر).

(١١) السرو: الشرف والمروءة. "لسان العرب" ٤/ ٣٧٧ (سرا).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٦٧/١٦

(١٢) ساقط من (ظ)، (ع).

(١٣) زيادة من الحجة يستقيم بها المعنى.." [1]

"قال: أراد: أأفرح؛ لأنه ينكر ذلك ولا يقبله. ومنها:

بسبع رمين الجمر .. (١)

وهذا الذي ذكره هو قول الأخفش؛ قال: هذا استفهام كأنه قال: أو تلك نعمة تمنها؛ ثم فسر فقال: ﴿أن عبدت بني إسرائيل﴾ فجعله بدلا من النعمة (٢). قال أبو العباس: وهذا **غلط** لا يجوز أن يلقى الاستفهام، وهو يطلب فيكون الاستفهام كالخبر، وقد استقبح ومعه (أم)، وهي دليل على الاستفهام، واستقبحوا قول امرئ القيس:

تروح من الحي أم تبتكر (٣)

= ابن عيسى، عن القاسم بن معن: أن رجلا من العرب توفي فورثه أخوه، فعيره رجل بأنه فرح بموت أخيه لما ورثه؛ فقال:

أفرح أن أرزأ الكرام وأن ... أورث ذودا شصائصا نبلا

قال: والنبل في هذا الموضع: الصغار الأجسام. وفي "اللسان" ١١/ ٦٤١ (نبل): "يقول: أأفرح بصغار الإبل، وقد رزئت بكبار الكرام قال ابن بري: الشعر لحضرمي بني عامر".

(١) أنشده منسوبا لابن أبي ربيعة، سيبويه ٣/ ١٧٥، وفي الحاشية: الشاهد فيه: حذف ألف الاستفهام ضرورة لدلالة أم عليها، وأنشده كذلك المبرد، في "المقتضب" ٣/ ٢٩٤، والبيت بتمامه عندهما:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا ... بسبع رمين الجمر أم بثمان

عند سيبويه والمبرد بالنون: رمين. ورواية اليت في الديوان ٣٩٩: فوالله ما أدري وإني لحاسب بسبع رميت الجمر أم بثمان

ورميت أولى؛ لأن يصور ذهوله عند رؤية عائشة بنت طلحة، وقد رآها في الحج.

(٢) "معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٦٤٦.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٦/٢٦٩

(٣) ديوان امرئ القيس ٢٢، وعجزه:
وماذا عليك بأن تنتظر." [١]

"موسى إلى ذلك من قوله، وأشاع تعظيم ملك ربه فقال: ﴿قال رب المشرق والمغرب﴾ الآية.
والجواب الثاني: أن موسى علم أن قصده في السؤال معرفة من سأل عنه فأجاب بما يعلم من صفاته؛ لأن الذي يجب على المسؤول أن يخبر بما يعلم، فكأن موسى أجاب عن معنى السؤال بما يعرف، ولم يلتفت إلى ظاهره.
وقيل: إن موسى علم أن فرعون يعلم أن الله ربه؛ وإن أظهر غير ما يعلم، فلما قال له: ﴿وما رب العالمين﴾ لم يقع في نفسه أنه يسأل عن ربه ليحدده، بل قدر أنه يسأله عن ملك ربه؛ فكأن التقدير: وما ملك رب العالمين؟ فقال: ﴿رب السماوات﴾ الآية. وغير ممتنع في اللغة أن يجاب السائل في قوله (١) ما ملك ربك؟ بأن يقال: ربك ملك العراق وخراسان، ومالك أكثر الأرض. انتهى كلامه (٢).
قال الكلبي: ﴿إن كنتم موقنين﴾ أنه خلق ذلك (٣).
وقال أهل المعاني: ﴿إن كنتم موقنين﴾ أن ما تعاينونه كما تعاينونه (٤). يعني: إن كنتم تثبتون المشاهدات والمعقولات؛ لأن من أثبت المعقول لا يكاد يخفى عليه الخالق إذا شاهد المخلوق.

---

(١) (في قوله) من نسخة (أ).
(٢) قال ابن كثير ٦/ ١٣٨: "ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط، فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر".
(٣) "تنوير المقباس" ٣٠٧. و"تفسير الثعلبي" ٨/ ١٠٩ ب، منسوبا للكلبي. وذكره في "الوسيط" ٣/ ٣٥٢، ولم ينسبه.
(٤) "تفسير ابن جرير" ١٩/ ٦٩. وهو بنصه، في "تفسير الثعلبي" ٨/ ١٠٩ ب.." [٢]

"﴿قال يا موسى إن الملأ﴾ يريد: الأشراف، يعني: أشراف قوم فرعون (١) ﴿يأتمرون بك﴾ قال أبو عبيدة: يتشاورون فيك ليقتلوك. واحتج بقول ربيعة بن جعشم النمري (٢):
أحار بن عمرو كأني خمر ... ويعدو على المرء ما يأتمر (٣)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٩/١٧
(٢) التفسير البسيط الواحدي ٤٤/١٧

قال ابن قتيبة: وهذا غلط بين لمن تدبر، ومضادة للمعنى، كيف يعدو على المرء ما شاور فيه، والمشاورة بركة وخير؟ وإنما أراد: يعدو عليه بما يهم به من الشر. قال: وقوله تعالى: ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ أي: يهمون بك. يدلك على ذلك قول النمر بن تولب (٤):

اعلمن أن كل مؤتمر ... مخطئ في الرأي أحيانا (٥)

---

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ٣٣٠، و"معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١٣٨.

(٢) في النسخ الثلاث: النميري.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ١٠٠. ونسب البيت لربيعة بن جعشم النمري. وعنه ابن قتيبة، "غريب القرآن" ٣٣٠، والأزهري، "تهذيب اللغة" ١٥/ ٢٩٤ (أمر). وأنشده البغدادي ١/ ٣٧٤، ونسبه لامرئ القيس، وهو في ديوانه ١١١، قال البغدادي: وأثبت هذه القصيدة له أبو عمرو الشيباني، والمفضل وغيرهما، وزعم الأصمعي في روايته عن أبي عمرو بن العلاء أنها لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له: ربيعة بن جعشم. وفيه: أحار: مرخم: يا حارث، كأني خمر: الخمار بقية السكر. وهو قول ابن جرير ٢٠/ ٥٢، قال: يتآمرون بقتلك، ويتشاورون، ويرتئون فيك. وذكر هذا القول دون البيت النيسابوري، في "وضح البرهان" ٢/ ١٤٩.

(٤) النمر بن تولب بن زهير، شاعر جواد، كان يسمى: الكيس لحسن شعره، قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأسلم. "الإصابة في معرفة الصحابة" ٢٥٣، و"الشعر والشعراء" ١٩٥

(٥) أنشده ونسبه ابن قتيبة، "غريب القرآن" ٣٣٠، وذكر بعده بيتا آخر، هو:

فإذا لم يصب رشدا ... كان بعض اللوم ثنيانا

وعن ابن قتيبة ذكره الأزهري، "تهذيب اللغة" ١٥/ ٢٩٤، ولم ينسبه.." [١]

"قال الكلبي: مالت أبصارهم إلا من النظر إليهم (١).

وقال الفراء: زاغت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها (٢). متحيرة تنظر إلى عدوها، وهذا الذي ذكره شرح شاف.

قوله تعالى: ﴿وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾ االحنجرة: جوف الحلقوم، وكذلك الحنجور. قال قتادة: شخصت من مكانها فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت (٣). قال عكرمة: لو أن

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧/٣٦٤

القلوب تحركت أر زالت لخرجت نفسه، ولكن إنما هو الفزع (٤).

قال ابن قتيبة: معناه وكادت القلوب تبلغ الحناجر (٥). و (كاد) مضمر في الآية.

قال ابن الأنباري: وهو غلط؛ لأن كاد لا يضمر ولا يعرف معناه إذا لم يوجد مظهر (٦). فإنه ولو جاز هذا لجاز: قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم، فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله، والمعنى ما ذهب إليه الفراء، وهو أنهم جبنوا وجزع أكثرهم. وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن

---

(١) لم أجد من نسب هذا القول للكلبي، وذكر نحوه الطرسي في "مجمع البيان" ٨/ ٥٣٢، ولم ينسبه لأحد، كما ذكره ابن الجوزي في "زاد المسير" ٦/ ٣٥٨، ولم ينسبه لأحد.

(٢) "معاني القرآن" ٢/ ٣٣٦.

(٣) "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ١١٣، وذكره السيوطي في "الدر" ٦/ ٥٧٦ عنه وقال: أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) "تفسير الطبري" ٢١/ ١٣١، وذكره السيوطي في "الدر" ٦/ ٥٧٦ عنه، وقال: أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر.

(٥) "تفسير غريب القرآن" ص ٣٤٨.

(٦) ذكره ابن الجوزي في "زاد المسير" ٦/ ٣٥٨ عن ابن الأنباري.." [١]

"قال: ويحتمل وجها آخر، وهو أنه خفف لاجتماع الكسرتين واليائين، كما خففوا الباء من إبل لتوالي الكسرتين، ونزل حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب كما فعلوا في قولهم:

فاليوم فاشرب غير مستحقب (١) ... .

.... وقد بدا هنك من المئزر (٢)

فإذا شاع ما ذكرنا في هذه القراءة من التأويل، لم يسغ لقائل أن يقول إنه لحن، للزمه أن يقول: إن قول من قال: افعوا في الوصل لحن، فإذا كان من قرأ به على قياس ما استعملوه في كلامهم المنثور لم يكن لحنا، ولم يكن لقادح في ذلك قدح. وهذه القرآة وإن كان لها مخلص من الطعن، فالوجه قراءة الحرف على ما عليه الجمهور في الدرج) (٣).

وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على ومكر السيئ، فيترك الحركة، وهو وقف حسن؛ لأنه تمام

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٨٧/١٨

الكلام، ثم **غلط** الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الإدراج (٤)، فيحتمل أن يكون حمزة قد ذهب إلى قراءته ولم يعلم أنه إنما كانت يترك الحركة في همز الوقف؛ لأنه في

---

(١) صدر بيت لامرئ القيس سبق معنا.

(٢) عجز بيت من السريع، وصدره:

رحت وفي رجليك ما فيهما.

وهو مختلف في نسبته، فهو في ديوان الأقيشة الأسدي ومنسوب إليه في "شرح أبيات سبويه" ٢/ ٣٩١، و"حزانة الأدب" ٤/ ٤٨٤، ونسبه ابن قتيبة كما في "الشعر والشعراء" للفرزدق. والشاهد فيه: إسكان النون في هناك ضرورة، وهو مرفوع لأنه فاعل بدا.

(٣) "الحجة" ٦/ ٣١ - ٣٣.

(٤) "القطع والائتناف" ص ٥٩٣.." [١]

"ومع أوان، فيقال: كان هذا تحين كان ذلك، وكذلك تاوان، ويقال اذهب ثلاث إن شئت فاهمز تلأن وإن شئت فلا تهمز، قال: وقد وجدنا ذلك في أشعارهم وفي كلامهم، فمن ذلك قول وجزة:

العاطفون تحين ما من عاطف ... والمطعمون زمان ما من مطعم (١)

قال: وقد كان بعض النحويين يجعلون الهاء موصولة بالنون فتقول العاطفونه، وهذا **غلط** بين؛ لأن الهاء إنما تقحم مع النون في مواضح القطع والسكوت، فأما مع الاتصال فإنه غير موجود، ومن إدخالهم التاء في أوان قول أبي زبيد (٢):

طلبوا صلحنا ولات أوان) (٣).

ومن إدخالهم التاء في الآن حديث أبي (٤) عمر وسأله رجل عن عثمان فذكر [يبين لك أن التاء لم تكن زيادة مع لا] (٥). مع أني تعمدت النظر في

---

(١) البيت من الكامل، وهو لأبي وجزة السعدي في: "الأزهية" ص ٢٦٤، "خزانة الأدب" ٤/ ١٧٦، "اللسان" ٩/ ٢٥١ (عطف).

والشاهد فيه قوله: (العاطفون تحين) حين زاد التاء على حين، وخرج على أن هذه التاء في الأصل هاء

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٤٢/١٨

السكت، وقيل: الشاهد حذف لا وإبقاء التاء لأن الحين مضافة في التقدير، والتقدير: العاطفون حين لات حين ما من عاطف، فحذف حين مع لا.
(٢) في النسخ كتب: أبو عبيد، ثم علق في الهامش: زبيد. ولعله وهم من الناسخ ثم صححه من اطلع على الكتاب. البيت لأبي زبيد كما سبق تخريجه.
(٣) انظر قول أبي عبيد في: "اللسان" ٢/ ٨٧ (ليت).
(٤) هكذا في النسخ، والصواب: (ابن).
(٥) هكذا جاءت في النسخ، والذي ورد عند القرطبي ١٥/ ١٤٧ حينما نقل كلام أبي عبيد قال: قال أبو عبيد: ومن إدخالهم التاء في الآن حديث ابن عمر وسأله رجل عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، فذكر مناقبه ثم قال: اذهب بها تلان فعك.." [1]

"قال: جمع الملك: أملاك (١).

وحكي عن العرب (مالك الموت) في (ملك الموت) فلولا أنهم عرفوا أن الأصل فيه (م ل ك) ما عبروا عن (ملك) بمالك.

قال رويشد بن حنظلة (٢):

غدا مالك يبغي نسائي كأنما ... نسائي لسهمي مالك غرضان

فيارب فاترك لي جهيمة (٣) أعصرا ... فمالك موت بالفراق دهاني (٤)

= سمع من ثعلب والمبرد، كان ثقة، توفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة، انظر ترجمته في: "تاريخ بغداد" ١١/ ٤٣٣، "إنباه الرواة" ٢/ ٢٧٦، "معجم الأدباء" ٤/ ١٢٦.
(١) انظر كلام الأخفش في "الزينة" ٢/ ١٦٢.
(٢) خطأ الأكثرون هذا الشاعر، قال ابن سيده: (ورأيت في بعض الأشعار: مالك الموت في ملك الموت ...) ثم ذكر البيت، ثم قال: (وهذا عندي خطأ، وقد يجوز أن يكون من جفاء الأعراب وجهلهم، لأن ملك الموت مخفف عن (ملأك) ...) "المحكم" ٧/ ٤٧. وقال في موضع آخر: (فإنه ظن ملك الموت من (م ل ك) فصاغ (مالكا) من ذلك، وهو **غلط** منه، وقد **غلط** بذلك في غير موضع من شعره ... وذلك أنه رآهم يقولون: (ملك) بغير همز، وهم يريدون: (ملأك) فتوهم أن الميم أصل، وأن مثال ملك (فعل): كفلك،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤٧/١٩

وسمك، وإنما مثال (ملك): (مفل) والعين محذوفة ألزمت التخفيف إلا الشاذ .. ومثل **غلط** رويشد كثير في شعر الأعراب الجفاة) "المحكم" ٧/ ٦٩. وعقد ابن جني في "الخصائص" بابا في أغلاط العرب، وذكر أبيات رويشد، ثم قال: (وحقيقة لفظه **غلط** وفساد ..)، "الخصائص" ٣/ ٢٧٣، ٢٧٤، انظر: "اللسان" (لأك) ٧/ ٣٩٧٥. وروشيد بن حنظلة لم أجد له ترجمة.

(٣) في (ب): (جهينة) وهي رواية في البيت.

(٤) ورد البيتان في "المحكم" ٧/ ٤٧،٧/ ٦٩، "الخصائص" ٢/ ٧٢، ٣/ ٢٧٣، "اللسان" (لأك) ٧/ ٣٩٧٥.." [1]

"الأصمعي: تلقت الرحم ماء الفحل، إذا قبلته وارتجت عليه (١).

فمعنى قوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ أي: أخذها عنه وتلقنها (٢). والرجل يلقى الكلام فيتلقاه، أي يلقنه فيتلقنه (٣).

وبعض الناس يقولون: تلقى هاهنا: تلقن فجعل النون (ياء) كما قالوا تظنى من الظن (٤)، وذلك **غلط** لأن النون إنما يجوز إبدالها بالياء إذا اجتمع نونان، وكذلك هذا الباب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد جاز إبدال الثاني بالياء. كقول العجاج:

تقضي البازي إذا (٥) البازي كسره (٦)

بمعنى تقضض، فأما إذا لم يجتمع (٧) حرفان، فلا يجوز الإبدال، لا يجوز أن تقول: تقبى بمعنى تقبل، وهذا ظاهر (٨). وتفسير التلقي (٩) بالتلقن

---

(١) "تهذيب اللغة" (لقي) ٤/ ٣٢٩١، "اللسان" (لقا) ٧/ ٤٠٦٦.

(٢) انظر: "تفسير الطبري" ١/ ٢٤٢ - ٢٤٣، "غريب القرآن" لابن قتيبة ١/ ٣٨، "تفسير ابن عطية" ١/ ٢٦٠، "تهذيب اللغة" (لقى) ٤/ ٣٢٩١.

(٣) انظر: "تهذيب اللغة" (لقي) ٤/ ٣٢٩١، "اللسان" (لقا) ٧/ ٤٠٦٦.

(٤) في "تفسير القرطبي": (تظني من تطنن) ١/ ٢٧٦، وكذا في "البحر" ١/ ١٦٥.

(٥) (إذا البازى) ساقط من (ب).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢/٣١٣

(٦) من أرجوزة يمدح فيها عمر بن عبيد الله بن معمر، يقول: انقض انقاض البازي ضم جناحيه، فهو في سرعته سرعة انقاض البازي إذا كسر، أي ضم جناحيه، وهذا أسرع ما يكون في انقضاضه، ورد البيت في "الخصائص" ٢/ ٩٠، "همع الهوامع" ٥/ ٣٤٠، "اللسان" (قضض) ٦/ ٣٦٦١، "المشوف المعلم" ٢/ ٦٤٦، "ديوان العجاج" ص ٢٨.

(٧) في (أ)، (ج): (تجتمع) والصحيح بالياء.

(٨) انظر: "تفسير القرطبي" ١/ ٢٧٦، "البحر" ١/ ١٦٥، "الدر المصون" ١/ ٢٩٥.

(٩) في (ب): (الثاني).." [1]

"قال أبو علي الفارسي: قرئ على أبي إسحاق في مصنف القاسم (١): السلوى: العسل، مع بيت خالد بن زهير. فقال لنا أبو إسحاق: السلوى طائر، وغلط خالد بن زهير، وظن أنه العسل (٢)، قال أبو علي: والذي عندي في ذلك: أن السلوى كأنه ما يسلي عن غيره لفضيلة [فيه، من فرط طيبه، أو قلة علاج ومعاناة، العسل (٣) لا يمتنع أن يسمى سلوى لجمعه الأمرين كما يسمى الطائر] (٤) الذي كان يسقط مع المن به. قلت: والسلوى بمعنى العسل صحيح في اللغة (٥)، وإن أنكره أبو إسحاق، ولكن الذي في

= حول امرأة كانا يترددان عليها، ذكرها السكري في "شرح أشعار الهذليين". و (السلوى) هاهنا: العسل، و (الشور): أخذ العسل من مكانه. ورد البيت في "شرح أشعار الهذليين" ١/ ٢١٥، "تهذيب اللغة" (سلا) ٢/ ١٧٢٦، "تفسير الطبري" ٨/ ١٤١، "الصحاح" (سلا) ٦/ ٢٣٨١، "تفسير الثعلبي" ١/ ٧٥ أ، "المخصص" ٥/ ١٥، ١٤/ ٢٤١، "اللسان" (سلا) ٤/ ٢٠٨٦، "تفسير القرطبي" ١/ ٣٤٧، "البحر المحيط" ١/ ٢٠٥، ٤/ ٢٧٩، "الدر المصون" ١/ ٣٧٠، "فتح القدير" ١/ ١٣٨، "الخزانة" ٥/ ٨٢، "زاد المسير" ١/ ٨٤.

(١) في (ب): (بالقسيم). والقاسم: هو أبو عبيد القاسم بن سلام، وكتابه هو (الغريب المصنف) من أجل كتب اللغة. انظر: "طبقات النحويين واللغويين" ص ٢٠١، "إنباه الرواة" ٣/ ١٤.

(٢) وقد غلط كذلك ابن عطية في "تفسيره" ١/ ٣٠٦، وانظر "تفسير القرطبي" ١/ ٣٤٨.

(٣) كذا ورد في (ب)، ولعل الصواب (والعسل ..).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢/٤٠٣

(٥) ونحوه قال القرطبي في "تفسيره" في معرض رده على ابن عطية في تخطئته للهذلي: (وما ادعاه من الإجماع لا يصح، وقد قال المؤرج أحد علماء اللغة والتفسير: إنه العسل ... وقال الجوهري: السلوى: العسل، وذكر بيت الهذلي ...) القرطبي ١/ ٣٤٧ - ٣٤٨، وقد مر قريبا كلام المؤرج وأبي عبيد أنه بمعنى: العسل، انظر "الصحاح" (سلا) ٦/ ٢٣٨١.." [1]

"قال المبرد: (ما) في قوله: ﴿فيما﴾ بمنزلة (الذي)، و (إن) بمنزلة (ما) وتقديره: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه (١)، ونحو هذا قال الكسائي والفراء (٢)، والزجاج وزاد بيانا فقال: (إن) في النفي مع (ما) التي في معنى (الذي) أحسن اللفظ من (ما) لاختلاف اللفظين (٣).

وقال ابن قتيبة: معنى الآية: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ فزيدت (أن) (٤)، فقال ابن الأنباري (٥): وهذا **غلط** لأن كتاب الله -عز وجل- ليس فيه حرف لا معنى له، بل كل حرف يفيد فائدة ويزيد معنى، والعرب لا تزيد (إن) على (ما) إذا كانت بمعنى (الذي) والاستفهام والتعجب، بل يزيدونها عليها إذا كانت جحدا على جهة التوكيد بها، فيقولون: ما إن قمت، وما إن لقيت عبد الله، يؤكدون الجحد "بإن" قال دريد ابن الصمة:

ما إن رأيت ولا سمعت به ... كاليوم طالي أينق صهب (٦)

أراد: ما رأيت، وقال لبيد:

غودرت بعدهم وكنت بطول صحبتهم ضنيnا ... ما إن رأيت ولا سمعت بمثلهم في العالمينا (٧)

---

(١) انظر: "الدر المصون" ٦/ ١٤٢، و"تفسير الفخر الرازي" ٢٨/ ٢٩.

(٢) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٦/ ٥٦، و"إعراب القرآن" للنحاس ٤/ ١٧٠.

(٣) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٤٤٦.

(٤) انظر: "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ٢/ ١٣٠، و"تفسير غريب القرآن" ص ٤٠٨.

(٥) ذكر في "كتاب الاضداد" حول هذه الآية ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ معناه: في الذي قد مكناكم فيه. انظر: "كتاب الأضداد" ص ١٨٩.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٤٩/٢

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لم أقف عليه.." [١]

"هو على دينهم إذ كانوا مختلطين بهم، فهذه المعرة التي صان الله المؤمنين عنها هي غرم الديات ومسبة الكفار إياهم، انتهى كلامه (١)، أما غرم الدية فهو قول محمد بن إسحاق بن يسار (٢)، وهو **غلط** لأن الله تعالى لم يوجب على قاتل المؤمن خطأ في دار الحرب الدية، وإنما أوجب الكفارة في قوله: ﴿فإن كان من قوم عدو لكم﴾ [النساء: ٩٢]، فالصحيح أن يقال: غرم الكفارة (٣)، وأما المسبة فهو اختيار أبي إسحاق (٤).

قوله: ﴿بغير علم﴾ مقدم في المعنى، كأن التقدير: لولا أن تطؤوهم بغير علم (٥)، وهذه الآية دليل على أن القرية من قرى المشركين إذا كان فيها طائفة من المسلمين لا يجوز البيات عليهم ولا تعميمهم بالحرق والغرق والمجانيق، وفي هذه الآية ضروب من النظم.

قال صاحب النظم: التأويل: ولولا تطؤوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعرفون إيمانهم فتوقعون، فلما قدم ذكر الرجال والنساء، والمراد في التقديم. الوطأة بنى عليه الوطاة (٦) كالتكرير في ذكره، وهذا معنى ما ذكره أبو إسحاق أن قوله: أن ﴿تطئوهم﴾ بدل من قوله: (رجال) (٧).

واختلفوا في جواب قوله: (ولولا رجال) فذهب قوم إلى أنه محذوف

---

(١) انظر قولي النضر وشمر في "تهذيب اللغة" (عر) ١/ ٩٩ - ١٠٠.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ١٠٢ عن ابن إسحاق، وذكره الثعلبي ١٠/ ١٥١ أ، والماوردي ٥/ ٣٢٠، والبغوي ٧/ ٣٢٠، وابن الجوزي ٧/ ٤٤٠، والقرطبي ١٦/ ٢٨٦.

(٣) وهذا اختيار الطبري ١٣/ ١٠٢، وأورده الثعلبي ١٠/ ١٥١أ، والبغوي ٧/ ٣٢٠.

(٤) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٥/ ٢٧.

(٥) انظر: "تفسير الوسيط" ٤/ ١٤٣.

(٦) كذا رسمها في الأصل ولم أقف عليه.

(٧) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٥/ ٢٧.." [٢]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٩٦/٢٠

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٣١٦/٢٠

"قال ابن عباس في قوله: ﴿وعبقري حسان﴾ يريد البسط والطنافس (١)، وقال الكلبي: هي الطنافس المخملة (٢).

وقال قتادة: هي عتاق الزرابي (٣)، وهو قول سعيد بن جبير (٤).

وقال مجاهد: الديباج الغليظ (٥).

وعبقري هاهنا: جمع، واحده عبقرية، لذلك قال: ﴿حسان﴾ فجمع وأما قراءة من قرأ عباقري حسان وهي تروى عن عاصم الجحدري (٦) ورويت أيضا مرفوعة (٧)، قال أبو عبيدة: وهذا وجه لا إسناد له ولا أراه محفوظا ولو كان له أصل لكان على ترك الإجراء؛ لأنه وجه الإعراب (٨).

---

(١) ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٢/ ٤٩ أولم ينسبه لقائل.

(٢) انظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٣٢٣.

(٣) انظر: "معالم التنزيل" ٤/ ٢٧٨.

(٤) انظر: "جامع البيان" ٢٧/ ٩٥، و"تفسير مجاهد" ٢/ ٦٤٤، ومعنى "عتاق الزرابي" أي كرام الوسائد.

(٥) انظر: "جامع البيان" ٢٧/ ٩٥، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ١٩٢.

(٦) هو عاصم بن أبي الصباح الجحدري الضري، أخذ القراءة عرضا عن سليمان بن قته عن ابن عباس، وقرأ أيضا على نصر بن عاصم، والحسن، ويحيى بن يعمر، وقراءته في الكامل والإفصاح فيها مناكير، ولا يثبت سندها، والسند إليه صحيح في قراءة يعقوب من قراءة على سلام عنه، مات قبل الثلاثين ومائة. انظر: "غاية الرواية" ١/ ٣٤٩.

(٧) انظر: "المحتسب" ٢/ ٣٠٥ "مختصر ابن خالويه" ص ١٥، و"الكشاف" ٤/ ٥٥، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ١٩١، و"البحر المحيط" ٨/ ١٩٩.

(٨) قال النحاس: (وإسنادها ليس بالصحيح، وزعم أبو عبيد أنها لو صحت لكانت وعبقري بغير إجراء، وزعم أنه هكذا يجب في العربية، وهذا **غلط** بين عند جميع النحويين؛ لأنهم قد أجمعوا جميعا أنه يقال: رجل مدائني، بالصرف.

انظر: "إعراب القرآن" ٣/ ٣١٧، و"معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٩.." [١]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢١/٢٠٥

"وقال الفراء: جزم ﴿يغفر لكم﴾ بهل، وتأويل ﴿هل أدلكم﴾ أمر كقولك: هل أنت ساكت، معناه: اسكت (١).

قال أبو إسحاق: وهذا **غلط** بين، ليس إذا دلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- على ما ينفعهم غفر الله لهم، إنما يغفر الله لهم إذا آمنوا وجاهدوا، وهو جواب ﴿تؤمنون﴾ و ﴿وتجاهدون﴾ (٢) على ما ذكرنا في سورة براءة.

وإدغام الراء في اللام في ﴿يغفر لكم﴾ وغيره غير جائز عند النحويين لقوة الراء (٣)، والأضعف يدغم في الأقوى لا الأقوى في الأضعف، والدليل على قراءة الراء أنه حرف متكرر، ولذلك غلب المطبق والمستعلي، وهو أنه لا يقال ما في أوله الصاد والضاد والطاء والظاء، نحو صالح، وضابط، وطالب، وظالم، ويقال نحو ضارب وصارم وطارد مكان الراء. وجاز ذلك لأن الكسر كأنه تكرر في الكلمة، وكذلك لا يمال نحو خالد. ويقال نحو خارج وحارب لما ذكرنا (٤).

---

(١) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٤.

(٢) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٥/ ١٦٦، وقد وجه قول الفراء بأن يحمل على المعنى. قال المهروي: وهو أن يكون (تؤمنون) و (تجاهدون) عطف بيان على قوله (هل أدلكم) كأن التجارة لم يدر ما هي فبينت بالإيمان والجهاد، فهي هما في المعنى، فكأنه قال: هل تؤمنون وتجاهدون، قال: فإن لم تقدر هذا التقدير لم يصح. لأنه يصير إن دللتم يغفر لكم، والغفران إنما يجب بالقبول والإيمان لا بالدلالة. انظر: "البحر المحيط" ٨/ ٢٦٣، وبنحوه قال الزمخشري و"الكشاف" ٤/ ٩٤، قال الألوسي: والإنصاف أن تخريج الفراء لا يخلو عن بعد. "روح المعاني" ٢٨/ ٨٩.

(٣) قرأ أبو عمرو (يغفر لكم) بإدغام الراء في اللام. "النشر" ٢/ ١٣,١٢.

(٤) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٥/ ١٦٧، ومما قال عن أبي عمرو، وهو إمام =." [١]

"مأخوذ من هاء. ومنهم من يقول: هاوي، غير مهموز، ومهاواة. وهذا أكثر في استعمال الفقهاء (١)، وهو يحتمل وجهين: أحدهما: إبدال الهمزة ياء. والآخر: أن يكون بناء من (ها) غير مهموز.

قوله: ﴿كتابيه﴾ (القراء مختلفون في إثبات هذه الهاء (٢)، وكذلك التي في ﴿ماليه﴾، و ﴿سلطانيه﴾ فمنهم (٣): من يثبتها وصلا ووقفا. ومنهم (٤): من يحذف في الوصل، ويثبت في الوقف. ووجه إثباتها

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٣٧/٢١

في

(١) أى أن تكون "ها" بدون همز. قال الخطابي: "أصحاب الحديث يروونه ها وها، ساكنة الألف، والصواب مدها وفتحها؛ لأن أصلها هاك، أي: خذ، فحذفت الكاف، وعوضت منها المدة والهمزة" انظر: "غريب الحديث" ٣/ ٢٤١، و"إصلاح غلط المحدثين" للخطابي: ١٠٦.

وغير الخطابي يجيز فيها السكون على حذف العوض، وتتنزل منزلة (ها) التي للتنبيه. نقلا عن حاشية "تهذيب اللغة" ٦/ ٤٨٠.

(٢) إن الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف مرجعه إلى النقل واللغة العربية لتسويغ الشارع لهم القراءة بذلك؛ إذ ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه؛ بل القراءة سنة متبعة؛ قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" ١٣/ ٣٩٩ وقال الشيخ الدكتور عبد العزيز إسماعيل -حول ما كتب في اختلاف القراءة في إثبات الهاء في موضع دون آخر- قال: إثبات الهاء في موضع دون الآخر يعلل بأن القراءة سنة متبعة، يأخذها الآخر عن الأول، لا مجال فيها للرأي أو القياس. كتب تعليقه هذا عند عرضي عليه ما كنت حققته حول هذه الآية من سورة الحاقة.

(٣) وهؤلاء هم: ابن عامر، وابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، ونافع، والكسائي، وخلف، وأبو جعفر. انظر: "الحجة" ٢/ ٣٧٤، و"المبسوط" ٣٧٩، و"الكشف عن وجوه القراءات السبع" ١/ ٣٠٧ - ٣٠٨ فقرة: ١٧١ - ١٧٢ من سورة البقرة، و"النشر" ٢/ ١٤٢، و"إتحاف فضلاء الشر" ٤٢٢ - ٤٢٣.

(٤) قرأ حمزة، ويعقوب بحذف الهاء في الوصل في قوله: ﴿ماليه﴾ و ﴿سلطانيه﴾ كله، أما في ﴿كتابيه﴾ فحذف يعقوب وحده الهاء إذا وصل. انظر المراجع السابقة.." [١]

"ينشد بالفتح. قال الأخفش: وعسى أن يكون (الضم) لغة في اسم الصنم، قال: وسمعت هذا البيت:

حياك ود فإنا لا يحل لنا ... لهو النساء وإن الدين قد عزما (١)

بضم الواو) (٢).

وقال الليث: الود كان لقوم نوح، وكان لقريش صنم يدعونه ودا، وبه سمي عمرو بن عبد ود (٣).

وعلى هذا فلعل من قرأ بالضم غلط، فظن صنم قوم نوح صنم قريش، وأبو عبيد يختار الفتح، وإنما يقال: (ود) اسم صنم، ألا تراهم كانوا يتسمون بـ: (عبد ود) (٤)؟.

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٦٨/٢٢

قوله: ﴿وقد أضلوا كثيرا﴾، من المفسرين من يجعل الإضلال من فعل كبرائهم، وهو الظاهر لقوله: ﴿ومكروا مكرا كبارا (٢٢) وقالوا لا تذرن﴾.
قال مقاتل: أضل كبراؤهم كثيرا من الناس (٥).

= العرب" ٣/ ٤٣١، و"تاج العروس" ٢/ ٥٤٣، وجميعها برواية: "ذي طوالة". وانظر أيضا: "الغريب المصنف" لأبي عبيد: ٢/ ٤٠٠ برواية: "وهداك"، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٣٧٦ برواية: "فضالة"، و"الحجة": ٦/ ٣٢٨.

(١) البيت للشاعر النابغة الذبياني، وقد ورد البيت في: "ديوانه" ١٠١ ط دار بيروت برواية: "حياك ربي"، كما ورد غير منسوب في: "المحرر الوجيز" ٥/ ٣٧٦، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٨/ ٣٠٩، و"البحر المحيط" ٨/ ٣٤٢، و"فتح القدير" ٥/ ٣٠١، برواية: "غربا" بدلا، من: "عزما"، و"الدر المصون" ٦/ ٣٨٥. الدين هنا: الحج، عزم: أي عزمنا عليه، وهو من باب القلب. انظر: "ديوانه".

(٢) ما بين القوسين نقله الواحدي عن أبي علي من الحجة: ٦/ ٣٢٧ - ٣٢٨ بتصرف.

(٣) تهذيب اللغة: ١٤/ ٢٣٥ بتصرف يسير جدا.

(٤) لم أعثر على مصدر قول أبي عبيد.

(٥) "تفسير مقاتل" ٢١٠/ ب، و"معالم التنزيل" ٤/ ٤٠٠.." [1]

"سنام البعير إذا انفرش في ظهره، وناقة دكاء إذا كانت كذلك، ومنه الدكان لاستوائه في الفرش، وكذلك الأرض إذا دكت استوت في الانفراش، فذهبت دورها، وقصورها، وسائر أبنيتها حتى تصير كالصخرة الملساء (١) (٢). وهذا معنى قول ابن عباس: تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم (٣).
وقوله: ﴿وجاء ربك﴾ معنى هذا (٤) كمعنى قوله: ﴿إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ [البقرة: ٢١٠] وقد مر (٥).

---

(١) في (أ): (الملساة).

(٢) "التفسير الكبير" ٣١/ ١٧٤.

والدك لغة قال الأزهري: الدك يطلق على الهدم، والدكك: الهضاب المفسخة، والدكك: النوق المنفضخة

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٦٩/٢٢

الأسمنة، والدك: كسر الحائط، والجبل، والدكاوات من الأرض الواحدة دكاء وهي رواب مشرفة من طين فيها شيء من غلط، "تهذيب اللغة" ٩/ ٤٣٦ - ٤٣٧، وانظر: "لسان العرب" ١٠/ ٤٢٤ وما بعدها وكلاهما تحت (دك).

وفي الغريب: الدك الأرض اللينة والسهلة، وقد دكه د كا ثم قال وأرض دكاء مسواة والجمع الدك، وناقة دكاء لاسنام لها تشبيها بالأرض الدكاء. "المفردات في غريب القرآن" ١٧١، انظر: "تحفة الأريب" ١٢٤.

(٣) "جامع البيان" ٣٠/ ١٨٥ من حديث طويل، "الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٥٤.

(٤) في (أ): (هداك).

(٥) ومما جاء في تفسيرها: قال الواحدي في قوله: ﴿إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾. وجهان: أحدهما: أن هذا من باب حذف المضاف: أن يأتيهم عذاب الله، أو أمر الله أو آيات الله فجعل الآيات والعذاب مجيئا له تفخيما لشأن العذاب وتعظيما له.

والثاني: المعنى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب فحذف ما يأتي به وتهويلا عليهم إذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب =." [١]

"قال أبو عبيد: قد علم المسلمون أنه ليس يوم القيامة معذب سوى الله، (فكيف يكون) (١) لا يعذب أحد مثل عذابه (٢)؟. فزيف (٣) أبو عبيد هذا القول كما ترى (٤).

وقال أبو إسحاق: المعنى لا يتولى يوم القيامة عذاب الله أحد، أي الأمر يومئذ أمره، ولا أمر لغيره (٥).

وقال الحسن: لا يعذب عذابه في السماء أحد، ولا يوثق وثاقه في الدنيا أحد (٦)، وتقدير هذا القول: لا يعذب أحد في الدنيا عذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق أحد في الدنيا وثاق الله الكافر يومئذ، والمعنى: مثل عذابه ووثاقه في الشدة والمبالغة.

وذكر الفراء (٧)، والزجاج (٨) هذا القول، (وقرأ الكسائي: "لا

---

(١) في (أ): (فيكون).

(٢) "التفسير الكبير" ٣١/ ١٧٦، وعزاه إلى أبي عبيدة وهو تصحيف في الاسم.

(٣) غير مقروءة في (أ).

(٤) كما رد الإمام الطبري على أبي عبيدة في ما ذهب إليه في تفسيره من إنكاره لقراءة الكسر، فقال:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥١٧/٢٣

وهذا من التأويل غلط، لأن أهل التأويل تأولوه بخلاف ذلك، مع إجماع الحجة من القراء على قراءته بالمعنى الذي جاء به تأويل أهل التأويل، وما أحسبه دعاه إلى قراءات ذلك أي بالفتح كذلك إلا ذهابه عن وجه صحته في التأويل."جامع البيان" ٣٠/ ١٨٩ - ١٩٠.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٣٢٤، ويعتبر قول أبي إسحاق أحد الأوجه عند الفخر في الرد على أبي عبيدة. انظر "التفسير الكبير" ٣١/ ١٧٦.

(٦) "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ٢٧١ - ٢٧٢، "جامع البيان" ٣٠/ ١٨٩ وبمعناه في "النكت والعيون" ٦/ ٢٧١، "الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٥٦، "تفسير الحسن البصري" ٢/ ٤١٨.

(٧) "معاني القرآن" ٣/ ٢٦٢

(٨) "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٣٤.." [١]

"قال ابن الأنباري (١): **غلط** أبو حاتم في هذا (٢)، لأنه قال: الوقف جيد على قوله: (ذلول) (٣)، ثم يبدأ بـ (تثير (٤) الأرض)، وقال: إن الله تعالى وصف هذه البقرة بما لا يعرفه الناس وصفا لغيرها من البقر، فجعلها تثير الأرض ولا تسقي الحرث على خلاف ما نشاهد من بقرنا.

وقد أبطل (٥) الفراء وغيره من كبار النحويين هذا الوقف (٦)، ورد عليه هذا الاختيار بأن البقرة متى أثارت سقت، وغير جائز أن يدعى أعجوبة في حرف من القرآن لم تؤثر (٧) عن أهل العلم ما ادعاه، فلا يقبل (٨) عنه ذلك، مع ما ذكرنا أنه لا يصح من (٩) طريق النحو أن المراد منه الإثبات. وموضع (تثير) رفع في التأويل لأنه نعت لذلول، والمعنى: أنها بقرة لا ذلول مثيرة للأرض، أي: ليست كذا ولا كذا، أي: لا توصف بالتذليل ولا بإثارة الأرض، كما تقول في (١٠) الكلام: عبد الله ليس بعاقل حازم، وزيد ليس

---

(١) انظر: "إيضاح الوقف والابتداء" ١/ ٥٢١.

(٢) في (ب): (في هذه الآية) بدل (في هذا لأنه).

(٣) قال النحاس (ليس بقطع طاف وزعم الفراء: أنه ليس بقطع). "القطع والائتناف" ص١٤٨، وانظر: "تفسير القرطبي" ١/ ٣٨٤.

(٤) قوله: (بـ (تثير) ساقط من (ب).

(٥) (أبطل): ساقط من (ج).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٢٣/٢٣

(٦) انظر: "إيضاح الوقف والابتداء" ١/ ٥٢١، "القطع والائتناف" ص ١٤٨، "تفسير القرطبي" ١/ ٣٨٥.

(٧) في (ب): (يؤثر).

(٨) في (ج): (فلا يقبل).

(٩) (من): ساقط من (ب).

(١٠) (في الكلام): ساقط من (ب).." [1]

"قال ابن الأنباري: وصلح إضمار يأبون هنا كما صلح إضمار الفعل في قوله: ﴿أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ [الشعراء: ٦٣]، والعرب تحمل على المعنى كثيرا، من ذلك قول الفرزدق:

فكيف بليلة لا نجم فيها ... ولا قمر لساريها منير (١)

عطف (ولا قمر) على مقدر في المعنى، كأنه قال: فكيف بليلة ليست بليلة نجم ولا قمر.

قال أبو إسحاق: والأجود في هذا أن يكون عطفا على ﴿يعلمان﴾ ﴿فيتعلمون﴾، ويستغنى (٢) عن ذكر ﴿يعلمان﴾؛ لما (٣) في الكلام من الدليل عليه (٤). وقال الفراء: هي مردودة على قوله: ﴿يعلمون الناس السحر﴾ فيتعلمون (٥).

قال الزجاج: هذا خطأ؛ لأن قوله: (منهما) دليل هاهنا على التعلم من الملكين خاصة (٦).

---

(١) ورد البيت هكذا:

فكيف بليلة لا نوم فيها ... ولا ضوء لصاحبها منير

والبيت للفرزدق، ينظر: "ديوانه" ص ٢٢١.

(٢) في "معاني القرآن" للزجاج: واستغنى.

(٣) في "معاني القرآن" للزجاج: بما.

(٤) "معاني القرآن" للزجاج ١/ ١٨٥، وينظر: "التبيان" للعكبري ص ٨١.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ١/ ٦٤، وقد جود الوجه الأول، ورد عليه النحاس هذا الوجه في "إعراب القرآن" ١/ ٢٠٤، فقال: غلط؛ لأنه لو كان كذا لوجب أن يكون فيتعلمون منهم، فقوله. منهما، يمنع أن يكون التقدير: ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر فيتعلمون، إلا على قول من قال الشياطين هاروت وماروت.

---

[1] التفسير البسيط الواحدي ٣٩/٣

(٦) "معاني القرآن" للزجاج ١/ ١٨٥، وقد أطال أبو علي في "الإغفال" ص ٣٣٥ - ٣٤٩ النفس في مناقشة كلام الزجاج.." [١]

"معناه. إليه القصد، وعلى هذا القول معنى قوله: ﴿فثم وجه الله﴾ أي: جهة الله (١) التي تعبدكم بالتوجه إليها (٢)، والإضافة تكون للتخصيص

= هذا البيت من شواهد سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها. ينظر: "الكتاب" ١/ ٣٧، و"الخزانة" ٣/ ١١١، و"أدب الكاتب" ٤١٩، و"الفراء" ١/ ٢٣٣، القرطبي ٢/ ٧٥ و"مجموع الفتاوى" ٢/ ٤٢٨ والرازي في "تفسيره" ٤/ ٢٢، "البحر المحيط" ١/ ٣٦١، "لسان العرب" ٦/ ٣٢٧٤ (ماده: غفر). "المعجم المفصل" ٦/ ٢٧٩.

والذنب هنا اسم جنس بمعنى الجمع؛ فلذا قال: لست محصيه، وأراد: من ذنب. والوجه: القصد والمراد.

(١) ساقطة من (أ)، (م).

(٢) هذه الآية مما تنازع فيه الناس، هل هي من آيات الصفات أو لا؟ قولان: فمنهم من عدها في آيات الصفات وجعلها من الآيات الدالة على إثبات صفة الوجه لله واستدلوا على ذلك بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه" رواه البخاري (٤٠٦) كتاب الصلاة، باب: حك البزاق باليد ومسلم (٥٤٧) كتاب المساجد، باب: النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، وبقوله "لا يزال الله مقبلا على عبده بوجهه ما دام مقبلا عليه، فإذا انصرف صرف وجهه عنه". وممن قرر ذلك: "ابن خزيمة" كما في "مجموع الفتاوى" ٦/ ١٦ وبهذا فسرها السعدي في "تفسيره" ص ٤٥ وابن عثيمين في "شرح العقيدة الواسطية" ١/ ٢٨٩ (ط. ابن الجوزي).

وقال آخرون: إن المراد بالوجه هنا الجهة كما نقل عن مجاهد والشافعي ونصره شيخ الإسلام في "الفتاوى" ٦/ ١٦، ٣/ ١٩٣و ٢/ ٤٢٨ بل قال في ٣/ ١٩٣: من عدها في آيات الصفات فقد **غلط** كما فعل طائفة، فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ والمشرق والمغرب الجهات، والوجه هو الجهة، يقال: أي وجه تريده؟ أي: أي جهة .. ولهذا قال: ﴿فأينما

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣/٢٠٦

تولوا فثم وجه اللہ﴾ أي: تستقبلوا وتتوجهوا والله أعلم. اهـ. وقال في ٦/ ١٦: ولكن من الناس من يسلم أن المراد بذلك وجه الله: أي قبلة الله، ولكن يقول: هذه =." [1]

"وأنشد أيضا:

أظليم إن مصابكم رجلا ... أهدى السلام تحية ظلم (١)

ومعنى المصيبة: هي التي تصيب بالنكبة، ولا يقال فيما يصيب بخير: مصيبة (٢)، وياؤها منقلبة عن واو، هي عين الفعل.

فأما جمعها: فحكى سيبويه: أن بعضهم قال في جمع مصيبة: مصائب فهمز، وهو غلط، وإنما هو مفعلة فتوهموها فعيلة.

قال: ومنهم من يقول: مصاوب، فجيء به عن الأصل والقياس. هذا كلامه (٣)، ومثل هذا الغلط في جمع مصيبة على مصائب بالهمزة: قراءة من قرأ (معائش) بالهمز، وقد شرحنا ذلك مستقصى.

قال أبو علي الفارسي: قول سيبويه: وتوهموها فعيلة، أي: توهموا

---

(١) البيت للحارث بن خالد المخزومي في "ديوانه" ص ٩١، "الاشتقاق" ص ٩٩، و ١٥١، "الأغاني" ٩/ ٢٢٥، "خزانة الأدب" ١/ ٤٥٤، "إنباه الرواة" ١/ ٢٤٩، "اللسان" ٤/ ٢٥١٩، (صوب) "المقاصد النحوية" ٣/ ٥٠٢، "المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية" ٧/ ١٩٠.

وظليم: ترخيم ظليمة، ويروى: أظلوم، وظليم: هي أم عمران زوجة عبد الله بن مطيع وكان الحارث ينسب بها، ولما مات زوجها تزوجها.

ورجلا منصوب بمصاب، يعني: إن إصابتكم رجلا، وظلم: خبر إن.

(٢) ينظر: "البحر المحيط" ١/ ٤٥١.

(٣) بمعناه من "الكتاب" لسيبويه ١/ ٣٥٦، وقال الزجاج فيما نقله الأزهري في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٩٥٦ "صاب": أجمع النحويون على أن حكوا مصائب في جمع: مصيبة، بالهمز، وأجمعوا على أن الاختيار: مصاوب، ومصائب عندهم بالهمز من الشاذ، قال: وهذا عندي إنما هو بدل من الواو المكسورة، كما قالوا: وسادة وإسادة.." [2]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣/٢٥٩

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٣/٤٢٨

"ولأن في قوله: فعله لزيد، تضمينا، كأنه قال: فعله لإكرام ولسبب زيد، وما أشبه هذا مما يكون داعيا إلى الفعل، فلم يحتمل الكلام حذفين كما احتمل حذفا واحدا (١).

والمرضاة: الرضى، يقال: رضي رضا ومرضاة (٢).

وكان الكسائي يقرأها ممالة (٣)، ليدل على أن الألف فيها منقلبة عن الباء، ولم يمنعها المستعلي وهو (الضاد) (٤) من الإمالة، كما لم يمنع من إمالة نحو: صار وخاف وطاب (٥).

وكان حمزة يقف عليها بالتاء (٦)، وحجته ما حكاه سيبويه عن أبي الخطاب (٧)، أنه كان يقول: طلحت (٨).

---

(١) ينظر: "الكتاب" لسيبويه ١/ ٣٦٧ - ٣٧٠، ٣/ ١٢٦، ١٥٤.

(٢) ينظر: "اللسان" ٣/ ١٦٦٣ - ١٦٦٤ "رضى".

(٣) قرأ الكسائي وحده: مرضاة الله، ممالة، وقرأ الباقون: مرضاة الله، بالفتح، أي بلا إمالة. ينظر: "السبعة" ١٨٠، "الحجة للقراء السبعة" ٢/ ٢٩٩.

(٤) في (ي) و (أ): الميم ثم ذكر في تصحيح نسخة [أ] أن ذكر الميم **غلط** لأنها ليست من حروف الاستعلاء.

(٥) "الحجة" ٢/ ٢٩٩ - ٣٠٠ بمعناه، وحروف الاستعلاء هي حروف التفخيم، وهي سبعة مجموعة في قولك: خص ضغط قظ.

(٦) وقف حمزة على مرضات، بالتاء المفتوحة، والباقون يقفون عليها بالهاء. ينظر: "السبعة" ص ١٨٠، "الحجة" ٢/ ٢٩٩، وفي "التيسير" ص ٦٠، أن الكسائي وأبا عمرو كانا يقفان على هاء تأنيث رسمت في المصاحف تاء بالهاء، وهو قياس مذهب ابن كثير.

(٧) أبو الخطاب، هو: عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الأكبر، تقدمت ترجمته [البقرة: ٣٢].

(٨) "الكتاب" لسيبويه ٤/ ١٦٧.." (١)

"التقديم والتأخير، تقديره: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام، وتم الكلام عند قوله: (قتال فيه كبير) (١).

ثم ابتدأ فقال: ﴿وصد عن سبيل الله﴾، وهو رفع على الابتداء، وما بعده من قوله: ﴿وكفر به والمسجد

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤/٨٣

الحرام وإخراج أهله﴾ مرتفع بالعطف على الابتداء (٢) وخبره قوله تعالى: ﴿أكبر عند الله﴾ هذا قول الزجاج (٣)، وهو الصحيح (٤)، وذكر الفراء في ارتفاع الصد وجهين آخرين (٥)، **غلط** فيهما:
أحدهما: أنه عطف على قوله: ﴿كبير﴾ يريد: قل القتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به، يعني: أن القتال قد جمع أنه كبير وأنه صد وأنه كفر، وهذا القول يؤدي إلى (٦) أن يكون القتال في الشهر الحرام كفرا

---

(١) ينظر في إعراب هذه الآية: "معاني القرآن" للفراء ١/ ١٤١، "إعراب القرآن" للنحاس ١/ ٣٠٧، "مشكل إعراب القرآن" ١/ ١٢٧، "التبيان" ص ١٣٢، "البحر المحيط" ١/ ١٤٥، وقد أعرض المؤلف عن وجه ذكره أبو عبيدة في "مجاز القرآن" ١/ ٧٢، وهو الخفض على الجوار، قال النحاس: لا يجوز أن يعرب شيء على الجوار في كتاب الله عز وجل، ولا في شيء من الكلام، وإنما الجوار غلط، وإنما وقع في شيء شاذ وقال: وإن كان أبو عبيدة عنى الخفض على الجوار أنه تابع لمخفوض، فخفضه بكونه جاور مخفوضا، أي: صار تابعا له، ولا نعني به المصطلح عليه جاز ذلك ولم يكن خطأ، وكان موافقا لقول الجمهور، إلا أنه أغمض في العبارة وألبس في المصطلح.
(٢) من قوله: (وما بعده من ..) ساقطة من (ي).
(٣) ذكره الزجاج في "تفسيره" ١/ ٢٩٠.
(٤) ينظر في إعراب الآية: المصادر السابقة.
(٥) "معاني القرآن" للفراء ١/ ١٤١.
(٦) ساقطة من (ش).." [1]

"صرت نظره لو صادفت جوز (١) دارع ... عدا والعواصي من دم الجوف (٢) تنعر (٣)
وأنشد أيضا:
يقولون: إن الشأم يقتل أهله ... فمن لي إن لم آته بخلود
تعرب آبائي فما إن صراهم ... عن الموت إذ لم يذهبوا وجدودي (٤)
فالإمالة والقطع يقال في كل واحد من القراءتين (٥).
وقوله تعالى: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا﴾ قال المفسرون: إن الله تعالى أمره أن يذبح تلك

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤/١٣٩

الطيور، وينتف ريشها، ويقطعها، ويفرق أجزاءها، ويخلط ريشها ودماءها ولحومها، بعضها ببعض، ففعل ذلك، ثم

---

(١) في (م): (جوز)، وكما أثبت في (أ) "معاني القرآن" للفراء ١/ ١٧٤ "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٥٤٩.

(٢) في (ش): (القوم).

(٣) البيت بلا نسبة في "لسان العرب" ٧/ ٤٤٧٢ (مادة: نعر)، ٥/ ٢٩٨١ (مادة: عصا).

(٤) البيت بلا نسبة في "معاني القرآن" للفراء ١/ ١٧٤، "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٥٥٠، وفي "لسان العرب" ٤/ ٢١٧٧ مادة: شأم، وورد البيت الثاني في "معاني القرآن" هكذا:

تعرب آبائي فهلا صراهم ... من الموت إن لم يذهبوا وجدودي

"الأمالي" للقالي ٢/ ٥٢، وقال في "التنبيه" ص ٩٣: هذا ما اتبع فيه أبو علي القالي رحمه الله **غلط** من تقدمه، فأتى ببيت من أعجاز بيتين أسقط صدورهما، والشعر للمعلى العبدي، وقد أطال محقق "الحجة" الكلام حول البيتين ٢/ ٣٨٩ - ٣٩١. ولون الدهاس: لون الرمل، كأنه تراب رمل أدهس، خلعة: خيار شائه، صفايا: غزار، ويقال للنخلة: صفية، أي: كثيرة الحمل.

(٥) ينظر: "الحجة" ٢/ ٣٩١ - ٣٩٣.." [1]

"عليهم، فكان (١) من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى (٢).

واللام في قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف، تأويله: هذه الصدقات، أو النفقة للفقراء، وقد تقدم ما يدل عليه؛ لأنه قد سبق ذكر الإنفاق والصدقات.

قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: عاقل لبيب، إذا تقدم وصف رجل، والمعنى: الموصوف عاقل لبيب (٣) وكذلك كتبوا على الأكياس: ألفان ومائتان، والمعنى: الذي في الكيس ألفان، وأنشد:

تسألني عن بعلها أي فتى ... خب جزوع وإذا (٤) جاع بكى (٥)

أراد: هو خب، فحذف المبتدأ وأبقى خبره.

وكثير من الناس قالوا: هذه اللام مردودة على موضع اللام من قوله: ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ كأنه قال: وما تنفقوا من خير فلأنفسكم، للفقراء، فأبدل الفقراء من الأنفس (٦)، وهذا غلط؛ لأن بدل الشيء من غيره لا يكون إلا والمعنى مشتمل عليه، وليس كذلك ذكر النفس هاهنا؛ لأن (٧) الإنفاق لها

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤/٤٠٥

(١) في (ي): (وكان).

(٢) ينظر: "تفسير مقاتل" ١/ ١٤٤، "بحر العلوم" ١/ ٢٣٣، "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٦٦١، و"العجاب" ١/ ٦٣٣، "الدر المنثور" ١/ ٦٣٣.

(٣) من قوله: (إذا تقدم)، ساقط من (ي).

(٤) في (ي): (إذا).

(٥) هما بيتان وردا هكذا:

يسألها عن بعلها أي فتى ... خب جبان وإذا جاع بكى

والبيتان لشماخ بن ضرار، في "ديوانه" ص ١٢٨.

(٦) "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٦٦٠ - ١٦٦١، "البحر المحيط" ٢/ ٣٢٨.

(٧) في (م): (لأن المعنى).." [1]

"قال الأخفش (١): لو كسرت الميم لالتقاء الساكنين، فقيل: ﴿الم﴾، لجاز.

قال أبو إسحاق (٢): هذا **غلط** من أبي الحسن؛ لأن قبل الميم ياء، مكسورا (٣) ما قبلها، فحقها الفتح؛ لالتقاء الساكنين؛ لثقل الكسر مع الياء (٤).

قال أبو علي (٥): كسر الميم لو ورد بذلك (٦) سماع، لم يدفعه قياس، بل كان يثبته ويقويه؛ لأن الأصل (٧) في التحريك لالتقاء الساكنين الكسر. وإنما يترك الكسر (٨) إلى غير ذلك؛ لما يعرض من علة وكراهة. فإذا جاء الشيء على ما به فلا وجه لرده، ولا مساغ (٩) لدفعه.

وقول أبي إسحاق: (إن ما قبل الميم ياء مكسورا (١٠) [قبلها] (١١)

---

(١) في "معاني القرآن" له ١/ ٢٢. نقله عنه بمعناه. وقد تقدمت ترجمته.

(٢) قوله في "معاني القرآن وإعرابه" له ١/ ٣٧٣. نقله عنه بنصه.

(٣) في (ج): (مكسور).

(٤) في "معاني القرآن" (وذلك لثقل الكسرة مع الياء).

(٥) لم أقف على مصدر قوله فيما رجعت إليه من كتبه المطبوعة، وقد أورد قوله السمين الحلبي في "الدر

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤/٤٤٨

المصون" ٣/ ١٤.
(٦) في (ب): (به).
(٧) في (ج): (الوصل).
(٨) في (ج): (القياس).
(٩) في (ج): (امتناع).
(١٠) في (ج): (مكسورة).
(١١) ما بين المعقوفين زيادة أضفتها من "الدر المصون" للسمين ٣/ ١٤. حيث أورد السمين هذه العبارة ناقلا لها عن الواحدي، وكذلك هي في الأصل المنقول عنه وهو "معاني الزجاج" حيث إن الزجاج لا يعني كسر الياء، وإنما كسر ما قبل الياء.." [1]

"قال الزجاج (١): وهذا غلط؛ لأنا إنما نعقل (مثل الشيء): مساويا له، و (مثليه): ما يساويه مرتين. والذي قاله الفراء يبطل في معنى الدلالة على الآية المعجزة؛ لأن المسلمين إذا رأوهم على هيئتهم، فليس في هذا آية، وإنما المعنى في هذا: أن الله عز وجل أرى المسلمين أن المشركين إنما هم (٢) ستمائة وكسر، وذلك (٣)، ان الله عز وجل كان قد أعلم المسلمين أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار (٤)، فأراهم المشركين على قدر ما أعلمهم أنهم يغلبونهم؛ ليقوي قلوبهم.
والدليل على صحة هذا المعنى: قوله: ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم﴾ [الأنفال: ٤٤]، فرأى كل واحد من الفريقين الآخر أقل مما كانوا؛ ليطمع كل واحد منهما في الآخر، فيتقدم ويلابس. وهذا (٥) هو الذي فيه الآية المعجزة، وهو رؤية الشيء بخلاف صورته. انتهى كلامه (٦).
هذا إذا جعلنا قوله: ﴿يرونهم﴾ إخبارا عن المؤمنين، فإن جعلته

(١) في "معاني القرآن" له ١/ ٣٨١ نقله عنه بتصرف واختصار.
(٢) في (ج): (سماهم).
(٣) قوله (وكسر، وذلك): بياض في: (د).
(٤) وذلك في قول الله تعالى: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ آية: ٦٦ من سورة الأنفال.

[1] التفسير البسيط الواحدي ١٢/٥

(٥) في (ب): (هذا).

(٦) ومما يدفع قول الفراء الآنف: أن (المثل) في اللغة: شبه الشيء، والمعادل له في المثال والقدر والمعنى. كتاب "العين": ٨/ ٢٢٨، وذيل كتاب "الأضداد" للصغاني: ٢٤٥.." [١]

"وأنكر عليه الآخرون أشد (١) الإنكار (٢).

وسنستقصي الكلام في (بعض) عند قوله: ﴿وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ [غافر: ٢٨]، وأنه هل يجوز أن يكون بمعنى الكل، أم لا؟. إن شاء الله.

= وورد غير منسوب في "الموضح في التفسير" للحدادي: ٣٧، "المخصص" ١٧/ ١٣١. ويروي (منزلة) بدلا من: (أمكنة)، و (أو يرتبط)، و (أو يعتقي) بدلا من: (أو يعتلق). و (يرتبط)، و (يعتقي)، معناهما: يحتبس. و (يعتلق): من (اعتلقه)؛ أي: أحبه، ويقال: (علق بقلبه): أي: تشبث به. وعليه يكون معناها هنا معنى: يرتبط، ويعتقي. و (والحمام): الموت. انظر: "شرح القصائد السبع" ٥٧٣، "اللسان" ٥/ ٣٠٥٣ (عقا).

ومعنى البيت: إني أترك الأماكن التي أجتويها، إذا رأيت فيها ما أكره إلا أن يربط الموت نفسي فلا يمكنها البراح. وتحرير المعنى: إني لا أترك الأماكن التي أجتويها إلا أن أموت. انظر: "شرح المعلقات السبع" ٢٤٢، "شرح القصائد العشر" ١٦٠. والشاهد فيه عند أبي عبيدة: أن (بعض) هنا تعني (كل). وقد خالفه آخرون كما ذكر المؤلف، حيث إنه في هذا البيت لا داعي لإخراج لفظ (بعض) عن مدلوله مع إمكان صحة معناه؛ لأن لبيد يريد بـ (بعض) هنا نفسه هو، من بين نفوس الناس.

(١) في (ج): (ابتدا).

(٢) وممن أنكر عليه ذلك الزجاج، حيث قال: (وأنشد أبو عبيدة في ذلك بيتا غلط في معناه) ثم قال: (وهذا كلام تستعمله الناس، يقول القائل: (بعضنا يعرفك)؛ يريد: أنا أعرفك، فهذا إنما هو تبعيض صحيح) "معاني القرآن" ١/ ٤١٥. أي: إن (بعض) هنا مستعملة في موضعها. لأن المتكلم بعض الناس. وقال ثعلب: (أجمع أهل النحو على أن البعض شيء من أشياء، أو شيء من شيء) ثم رد على من زعم أن المراد بـ (بعض) في بيت لبيد تعني: (كل) فقال عنه: (فادعى وأخطأ أن (البعض) ههنا جمع .. وانما أراد لبيد بـ

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨٧/٥

(بعض النفوس): نفسه). "تهذيب اللغة" ١/ ٣٦٠. وكذا رده النحاس، في "معاني القرآن" ١/ ٤٠٣، وابن سيده، كما في "اللسان" ١/ ٣١٢، والزوزني في "شرح المعلقات السبع" ص ١٠٩.." [١]

"تبشرون﴾ [الحجر: ٥٤].

والوقف على هذه الحروف يكون بالهاء (١)، نحو: (فبمه)، و (لمه). ولا يجوز حذف الألف [من (ما)، إذا كانت موصولة] (٢)؛ لأن [الألف في] (٣) الموصولة [بمنزلة حرف في وسط الاسم؛ لأن الموصولة] (٤) لا تتم (٥) إلا بصلتها، والطرف (٦) أقوى على التغيير من وسط الاسم، كما قوي على التغيير بالإعراب (٧) والتنوين (٨).

وزعم الكسائي (٩)، أن أصل (كم) (١٠) كما، وهذا **غلط** منه عند

= ويجب حذف ألف (ما) بعد دخول حرف الجر عليها، مع إبقاء الفتحة دليلا عليها، إلا في الشعر، حال الضرورة الشعرية. انظر: "المغني" لابن هشام: ٣٩٣.

وذكر أبو حيان أن قوما يحذفون الألف من (ما) الاستفهامية في الوصل، فيقولون: (م صنعت؟). وذكر كذلك أن من العرب من يثبت الألف إذا دخل عليها حرف الجر، وقال: (وذلك قليل وقبيح). "ارتشاف الضرب" ١/ ٥٤٤، وانظر: "شرح المفصل" ٤/ ٨.

(١) في (ج): (كأنها). انظر في هذا المعنى: "شرح المفصل" ٤/ ٦، "ارتشاف الضرب" ١/ ٥٤٤.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج).

(٥) (لا تم) ساقطة من: (ج).

(٦) في (ب): (والظرف).

(٧) بالإعراب: في (أ) غير واضحة، وفي (ب): (للإقراب). والمثبت من: (ج).

(٨) في (ب): (وللتنوين). انظر في هذا المعنى "شرح المفصل" ٤/ ٩.

(٩) انظر: "معاني القرآن" للزجاج: ١/ ٤٢٨، "الجنى الداني" ٢٦١ ونسب هذا الرأي للكسائي والفراء.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٢٨١

(١٠) أي: إن (كم) مركبة من: كاف التشبيه، و (ما) الاستفهامية محذوفة الألف، وسكنت ميمها لكثرة الاستعمال.." [١]

"الزجاج (١)؛ لأن الجزم (٢) ليس في الهاء وإنما هو فيما قبل الهاء، والهاء اسم (٣) المكني (٤)، والأسماء لا تجزم في الوصل (٥).

---

(١) انظر: "معاني القرآن" له: ١/ ٢٣٤.

(٢) في (ج): (الحرفر).

(٣) في (ج): (الاسم).

(٤) (المكني): ساقطة من: (ج).

(٥) ما ذكره المؤلف من كون هذه القراءة غير مرضية عند أهل النحو، وخطأوها، فإنه لا يؤثر في صحة هذه القراءة، لأن القراءات المعتمدة قرآن، فهي حجة على النحو واللغة، وليس النحو واللغة حجة عليها. وما النحو واللغة إلا أدوات خادمة لكتاب الله تعالى. يقول أبو عمرو الداني: (وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل. والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها). "النشر" ١/ ١٠ - ١١.

ويقول الفراء: (والقراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية، فلا يقبحن عندك تشنيع مشنع مما لم يقرأه القراء مما يجوز). "معاني القرآن" ١/ ٢٤٥.

فالقراءات (ما دام سندها الرواية، ودعامتها السماع، فهي من أجل هذا أقوى من المصادر الأخرى كالشعر وغيره؛ لأن رواة القراءات يتحرجون من عدم الدقة فيها، على حين لا يبالون بالحرج في غيرها؛ حينما تخون الحافظة، أو يستبد النسيان، أو يقع على الألسنة التحريف). "أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية" ٥٨.

أما ما يتعلق بهذه القراءة، وتخطئة الزجاج لها، فقد دفع هذا أبو حيان، فقال: (وما ذهب إليه أبو إسحاق من أن الإسكان غلط، ليس بشيء؛ إذ هي قراءة في "السبعة" وهي متواترة. وكفى أنها منقولة عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء، فإنه عربي صريح، وسامع لغة، وإمام في النحو، ولم يكن ليذهب عنه جواز

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٤٤/٥

مثل هذا، وقد أجاز ذلك الفراء، وهو إمام في النحو والـغة، وحكى ذلك لغة لبعض العرب، تجزم في الوصل والقطع. وقد روى الكسائي أن لغة عقيل وكلاب أنهم =." [1]

"قال أبو حاتم (١): قال أهل البصرة: (الإخوة؛ في النسب، و (الإخوان)؛ في الصداقة. قال: وهذا **غلط** (٢). يقال (٣) للأصدقاء، و [الأنسباء] (٤): (إخوة) و (إخوان). قال الله سبحانه: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠]، ولم يعن (٥) النسب.

وقال عز وجل: ﴿أو بيوت إخوانكم﴾ [النور: ٦١]، وهذا في النسب. وقوله تعالى: ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار﴾ (شفا الشيء): حرفه، مقصور (٦)، مثل: شفا البئر. والجمع: (الأشفاء). ويقال لما بين الليل والنهار، عند غروب الشمس، إذا غاب بعضها: (شفا).

قال الراجز:

أدركته قبل شفا أو بشفا ... والشمس (٧) قدكادت تكون دنفا (٨).

---

(١) قوله في "تهذيب اللغة" ١/ ١٢٨ (أخ)، نقله باختصار وتصرف يسير. وقد تقدمت ترجمته.

(٢) في "التهذيب"، وهذا خطأ وتخليط.

(٣) في (ج): (فقال).

(٤) ما بين المعقوفين: مطموس في (أ). وفي "تهذيب اللغة" وغير الأصدقاء. والمثبـت من (ب)، (ج).

(٥) في (ب): (يقل).

(٦) في (ج): (مقصورة).

(٧) في (ج): (فالشمس).

(٨) البيت، للعجاج، وهو في ديوانه (تح: د. عزة حسن): ٤٩٣. كما ورد في "مجاز القرآن" ١/ ٣٨٨، "العين" ٦/ ٢٨٨، ٨/ ٤٨، "غريب الحديث" لأبي عبيد: ٢/ ٤٢٧، "إصلاح المنطق" ٤٠٩، "الجمهرة" ٦٧٩، ٢٧٤، "الخصائص" ٢/ ١١٩، "المخصص" ٩/ ٢٥، ١٧/ ٣١، "المقاييس" ٢/ ٣٠٤، "اللسان" ٣/ ١٤٣٢ - ١٤٣٣ (دنف)،١٤/ ٤٣٧ (شفى). =." [2]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٦٢/٥

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٤٧٥/٥

"بمعنى (ليس) والتقدير: (فليس يضركم كيدهم شيئا).

وأنشد (١) على هذا بيتا (٢).

قال النحويون: وهذا غلط، من حذف الفاء، إنما (٣) يجوز لضرورة الشعر (٤)، والقرآن لا يحتمل (٥) على ضرورة الشعر (٦)، سيما إذا كان لرفع

---

(١) من قوله: (وأنشد ..) إلى (من حذف الفاء): مطموس في (أ). وساقط من (ب). والمثبت من (ج).

(٢) البيت هو:

فإن كان لا يرضيك حتى تردني ... إلى قطري لا إخالك راضيا.

وقائله، هو: سوار بن المضرب السعدي التميمي.

وقد ورد البيت في: "النوادر" لأبي زيد ٥٤، و"الكامل" للمبرد ٢/ ١٠٢، و"الطبري" ٤/ ٦٨، و"القراءات" للأزهري ١/ ١٢٤، و"الخصائص" ٢/ ٤٣٣، و"المحتسب" ٢/ ١٩٢، و"أمالي ابن الشجري" ١/ ١٨٥، و"شرح المفصل" ١/ ٨٠، و"المقاصد النحوية" ٢/ ٤٥١، و"منهج السالك" ٢/ ٤٥، و"التصريح" ١/ ٢٧٢.

والشاعر يخاطب الحجاج لما أراد بعثه وقومه بني تميم لقتال الخوارج وزعيمهم قطري بن الفجاءة. ويعبر الشاعر عن رفضه لهذا الأمر.

والشاهد في البيت قوله: (لا إخالك)، أي: فلست إخالك) -برفعها-.

(٣) في (ب): وإنما. والمثبت من (ج). وهو الصواب.

(٤) انظر: "كتاب سيبويه" ٣/ ٦٤ - ٦٥، و"المقتضب" ٢/ ٧١، و"المغني" لابن هشام: ٨٠، ١٣٣، ٢١٨، ٣١١، ٨٣٢. وذكر ابن هشام أن المبرد منع حذف الفاء حتى في الشعر. انظر: "المغني" ٢١٩. إلا أن الظاهر من كلام المبرد في كتابه "المقتضب": ٢/ ٧٢ خلاف ما ذكره ابن هشام. وانظر تعليق محقق "المقتضب" في هامش ٢/ ٧٢ - ٧٣.

وأجاز الأخفش حذف الفاء في جواب الشرط في القرآن. انظر: "معاني القرآن" له ١/ ١٥٨ عند تفسيره لآية (١٨٠) من سورة البقرة ﴿إن ترك خيرا الوصية﴾. ورد بأن ﴿الوصية﴾ نائب فاعل لـ ﴿كتب﴾، وجواب الشرط محذوف، وهو (فليوص). انظر: "المغني" ١٣٣، ٢١٩.

(٥) في (ج): (لا يحمل).

(٦) في (ب): (الشاعر).." [١]

"قال الأزهري (١): ويقال لجمع (الغازي): (غزي)؛ مثل: (ناج، ونجي)؛ للقوم يتناجون، وأنشد لزياد (٢) الأعجم:

قل للقوافل والغزي إذا غزوا ... والباكرين وللمجد الرائح (٣)

---

(١) قوله في: المصدر السابق ٣/ ٢٦٦٢.

(٢) في (أ)، (ب): (الزياد). والمثبت من (ج)، وهو الصواب؛ لأن اسمه (زياد) في المصادر التي ترجمت له، وليس (الزياد). وفي "التهذيب" (وقال زياد الأعجم). وهو: زياد بن سلمى، وقيل: زياد بن جابر بن عمرو بن عامر، من عبد القيس، وقيل له الأعجم، للكنة كانت فيه، شاعر إسلامي، شهد فتح إصطخر، وتوفي في حدود المائة للهجرة.

انظر: "الشعر والشعراء" ص ٢٧٩، و"معجم الأدباء" ٣/ ٣٥٢.

(٣) البيت، ورد في: "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٦٦٢ (غزا)، و"إعراب القرآن"، للنحاس ص ٣٧٣، و"الأمالي" لأبي عبد الله اليزيدي ١، و"ذيل الأمالي" للقالي ٣/ ٨، و"أمالي المرتضى" ٢/ ١٩٩، و"اللسان" ٦/ ٣٢٥٣ (غزا)، و"المقاصد النحوية" ٢/ ٥٠٢.

وقد اختلف في نسبته، فقال اليزيدي في "الأمالي" (وقد قال لي الأصمعي، يرويها للصلتان العبدي). وقال القالي: (وكان في كتابي للصلتان، فقال [يعني ابن دريد]: هي لزياد الأعجم؛ وكان ينزل إصطخر، ورثى بهذه القصيدة المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة. قال: وأنشدنا هذه القصيدة أبو الحسن الأخفش لزياد الأعجم). "ذيل الأمالي" ٣/ ٨.

وقال ابن منظور: (رأيت في حواشي ابن بري أن هذا البيت للصليان [هكذا في "اللسان"، بالياء] العبدي، لا لزياد. قال: وقد **غلط** أيضا في نسبتها لزياد، أبو الفرج الأصبهاني، صاحب الأغاني، وتبعه الناس على ذلك). "اللسان" ٦/ ٣٢٥٣. والصلتان، هو: قثم بن خبيئة، من عبد القيس.

انظر: "الشعر والشعراء" (٣٣١)، و"معاهد التنصيص" ١/ ٧٤.

وقد ورد في بعض المصادر: (والغزاة إذا غزو) وليس فيها موضع للشاهد. وورد: (للباكرين).

---

[١] التفسير البسيط الواحدي ٥/٥٥٩

و (القوافل): جمع (قافلة)، وهي: الرفقة الراجعة من سفرها إلى وطنها.

و (الباكرين): المسرعين في الذهاب من أول النهار. و (المجد الرائح): المجتهد في رجوعه آخر النهار، أو المجتهد في السير في وقت الرواح، وهو: من الزوال إلى الليل. والشاهد في البيت قوله: (الغزي)، وهي جمع (غاز).

انظر: "اللسان" ٣/ ١٧٦٣ (روح)، و"الخزانة" ١٠/ ٥.." [1]

"ولقد قتلتكم (١) ثناء وموحدا ... وتركت مرة مثل أمس الدابر (٢)

فأما ذكره في قول: قال: إنه اجتمع فيه علتان، أنه عدل وأنه نكرة، الفصل إلى آخره، فاعلم أنه **غلط** بين في الحكاية عنهم، وإنما يذهبون في امتناعه من الانصراف إلى أنه معدول، وأنه صفة. وهذا لفظ سيبويه، قال (٣) عن الخليل في (أحاد، ومثنى): إنما كان حده واحدا واحدا، واثنين واثنين، فجاء (معدولا (٤)) عن وجهه فترك صرفه. قلت: أتصرفه في النكرة؟ قال: لا، لأنه نكرة يوصف به نكرة.

وحكى الخليل، عن أبي عمرو أنه قال في قوله: ﴿أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ [فاطر: ١]: أنها صفة (٥).

فقد نصوا على الصفة كما ترى، ونحو هذا قال أبو الحسن (٦) وغيره من أصحابنا. انقضى كلام أبي علي (٧).

---

(١) في النسختين: (قبلتكم) بالموحدة التحتية، وما أثبته حسب "الإغفال" والمصادر الآتية.

(٢) البيت لصخر بن عمرو بن الشريد السلمي.

انظر: "مجاز القرآن" ١/ ١١٥، "أدب الكاتب" ص ٤٥٨، "تفسير الطبري" ٤/ ٢٣٧، لكن عند أبي عبيدة وابن جرير قافيته: كأمس المدبر، ومال إلى ذلك محمود شاكر في حاشيته على ابن جرير. والشاهد منه كما في "مجاز القرآن" أنه اخرج اثني مخرج ثلاث.

(٣) أي سيبويه في "الكتاب" ٣/ ٢٢٥.

(٤) في "الكتاب" محدودا.

(٥) انتهى أخذ أبي علي من سيبويه في "الكتاب" ٢/ ٢٢٥، وانظر: "الطبري" ٤/ ٢٣٧.

---

[1] التفسير البسيط الواحدي ١٠٨/٦

(٦) إن كان يريد الأخفش -وهو الظاهر- فإن رأيه مغاير لما ذكر كما سيأتي.

(٧) من "الإغفال" ٢/ ل ٦٣ - ٦٧ بتصرف.." [١]

"بأخوين، ولا أستطيع نقض أمر قد كان قبلي (١). مقابلة بالإجماع.

قال علماء اللغة: قول ابن عباس: الأخوان في لسان قومك ليسا بإخوة **غلط** منه؛ لأن الأخوين جماعة كالإخوة، وذلك أنك إذا جمعت واحدا إلى واحد فهما جماعة ويقال لهما إخوة (٢).

وحكى سيبويه أن العرب تقول: قد وضعا رحالهما. يريدون: رحلي راحلتيها (٣).

قال ابن الأنباري: التثنية عند العرب أول الجمع، ومشهور في كلامهم إيقاع الجمع على التثنية، من ذلك قوله تعالى: ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ [الأنبياء: ٧٨]، وهو يريد داود وسليمان، ومنه قوله: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] يريد قلبيكما (٤). والعرب تقول: لطمت أوجه الرجلين، وضربت أرؤسهما، وشققت بطونهما، فيجمعون في موضع التثنية (٥).

---

(١) أخرجه بنحوه ابن جرير ٤/ ٢٧٨، وعزاه إلى البيهقي كل من ابن كثير في "تفسيره" ١/ ٤٩٩، والسيوطي في "الدر المنثور" ٢/ ٢٢٣، وضعفه ابن كثير وكذلك الشيخ ناصر العمار في "تحقيق المروي عن ابن عباس" ١/ ١٨١.

(٢) من "معاني القرآن" للزجاج ٢/ ٢٢ بتصرف.

وانظر: "تفسير الطبري" ٤/ ٢٧٨، "الكشف والبيان" ٤/ ٢٢ ب، "الدر المصون" ٣/ ٦٠٢ "تفسير ابن كثير" ١/ ٤٩٩.

(٣) "الكتاب" ٣/ ٦٢٢، "معاني الزجاج" ٢/ ٢٢.

(٤) في (د): (قلبكما).

(٥) لم أقف على كلام ابن الأنباري، وانظر: "معاني القرآن" للأخفش ١/ ٤٣٦، "مشكل إعراب القرآن" لابن قتيبة ص ٢٨٣، الطبري ٤/ ٢٧٨ - ٢٧٩، "معاني الزجاج" ٢/ ٢٢، "الكشف والبيان" ٤/ ٢٢ ب، "الدر المصون" ٣/ ٦٠٢.." [٢]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٠٥/٦

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٣٦٢/٦

"بالقرآن ﴿لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ (١)

واختلفوا في وجه هذا الاستنباط:

فقال ابن عباس في رواية الوالبي عنه: تم الكلام عند قوله ﴿لاتبعتم الشيطان﴾ ثم استثنى القليل. قوله: ﴿أذاعوا﴾ أي أذاعوا به إلا قليلا، يعني بالقليل المؤمنين (٢). وهذا قول ابن زيد (٣) والكسائي (٤) والفراء (٥).

وقال الحسن وقتادة: الاستثناء من قوله ﴿لعلمه الذين يستنبطونه﴾ ﴿إلا قليلا﴾ أجود (٦)؛ لأن ما علم بالاستنباط فليس الأكثر يعرفه، وإنما يستنبط القليل؛ لأن الفضائل والاستخراج في القليل من الناس (٧).

قال الزجاج: وهذا في هذا الموضع **غلط** من النحويين؛ لأن هذا الاستنباط ليس من شيء (٨) يستخرج بنظر وتفكر، وإنما هو استنباط خبر، فالأكثر يعرف الخبر إذا أخبر به، وإنما القليل ههنا المبالغ في البلادة، الذي لا يعلم ما يخبر به. فاستثناء القليل من قوله: ﴿لعلمه الذين يستنبطونه﴾

---

(١) انظر: "مءالم التنزيل" ٢/ ٢٥٥، و"زاد المسير" ٢/ ١٤٨.

(٢) بنحوه في تفسير ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة وهو المراد بقول المؤلف: الوالبي. وأخرجه الطبري ٥/ ١٨٣، وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: "الدر المنثور" ٢/ ٣٣٤.

(٣) أخرجه الطبري ٥/ ١٨٣، وانظر: "الدر المنثور" ٢/ ٣٣٤.

(٤) انظر: "معاني القرآن" للنحاس ٢/ ١٤٢.

(٥) في "معاني القرآن" ١/ ٢٧٩. وهذا القول اختيار الطبري، انظر: "تفسير الطبري" ٥/ ١٨٣، و"زاد المسير" ٢/ ١٤٨.

(٦) أخرجه بمعناه عن قتادة الطبري ٥/ ١٨٣، وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: "الدر المنثور" ٢/ ٣٣٤. وذكره عنهما الماوردي ١/ ٥١١، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٢/ ١٤٨.

(٧) هذا التعليل للنحويين، انظر: "معاني الزجاج" ٢/ ٨٤.

(٨) في "معاني الزجاج" ٢/ ٨٤: "ليس بشيء" والصواب ما في المعاني، ويحتمل حصول تصحف هنا.." (١)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦/٦٣٩

"وأما من قال: إنه إذا كفر ثانيا أخذ بالأول، فقد **غلط** (١)، لأنه صار بالإيمان كمن لم يكفر، كما أن التائب من الذنب صار كمن لا ذنب له، فلا يؤاخذ به بعد أن ارتفع حكمه، كما لا يؤاخذ بما لم يعمله وإن عزم على عمله.

وقال الكلبي: "لم يكن الله ليغفر لهم ما أقاموا على ذلك" (٢).

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه يغفر كفر الكافر إذا انتهى، فإذا أطلق القول بأنه لا يغفر لهم على (٣) أن المراد به ما أقاموا عليه.

وقوله تعالى: ﴿ولا ليهديهم سبيلا﴾ قال الكلبي وغيره: سبيل هدى (٤). وقال الزجاج: معنى ﴿ولا ليهديهم سبيلا﴾ أي: لا يجعلهم بكفرهم مهتدين (٥).

وفي هذا دليل على أن الله تعالى لم يهد الكافر إلى الإيمان، خلافا لقول القدرية (٦).

١٣٨ - قوله تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما﴾.

قال المفسرون: إن المنافقين كانوا يتولون اليهود فألحقوا بهم في التبشير بالعذاب (٧).

---

(١) هذا الحكم فيه نظر؛ لأنه تقدم الحديث الصحيح الذي يدل على أن من كفر بعد إسلامه، أخذ بالأول والآخر.

(٢) انظر: "زاد المسير" ٢/ ٢٢٥، و"تنوير المقباس" بهامش المصحف ص ١٠٠.

(٣) هكذا في المخطوط، ولعلها: علم.

(٤) انظر: "الكشف والبيان" ٤/ ١٣٣ أ، و"تنوير المقباس" بهامش المصحف ص ١٠٠.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ١٢٠.

(٦) انظر: "الكشف والبيان" ٤/ ١٣٣ ب، والقرطبي ٥/ ٤١٦.

(٧) انظر: "تفسير الهواري" ١/ ٤٣١، و"الكشف والبيان" ٤/ ١٣٣ ب.." [١]

"رفع أنتم بالنسق على النون والألف، إذ لم يتبين عمل (إن) فيهما، ولو نصب لقال: وإياكم. وقال آخر:

يا ليتني وأنت بالميس ... ببلدة ليس بها أنيس (١)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٧/١٥١

رفع (أنت) وهو نسق على الياء إذ لم يتبين فيها الإعراب، وقال آخر:

يا ليتنا وهما نخلوا بمنزلة ... حتى يرى بعضنا بعضا ويأتلف (٢)

وأنشدوا أيضا لضابىء البرجمي (٣) على هذا المذهب:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب (٤)

هذا كله مذهب الكوفيين، وأنكر البصريون جميع ذلك، أما قول الكسائي فقد ذكرنا وجه بطلانه، وأما قول الفراء: نصب (إن) ضعيف، لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر "فقال أبو إسحاق: هذا غلط، لأن (إن) قد عملت عملين: النصب والرفع، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع؛ لأن كل منصوب مشبه بالمفعول، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلا فيما لم يسم فاعله، وكيف يكون نصب (إن) ضعيفا وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها نحو قولك: إن أمامك زيدا، وإن عندك عمروا، قال الله تعالى: ﴿إن فيها قوما جبارين﴾ [المائدة: ٢٢] ونصب (إن) من أقوى المنصوبات (٥)، ومذهب الخليل وسيبويه في هذا التقديم والتأخير، ويكون

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) هو ضابئ بن الحارث بن أرطأة التميمي البرجمي شاعر جاهلي أدرك الإسلام ، حبسه عثمان - رضي الله عنه - حتى مات نحو سنة ٣٠ هـ "الأعلام" ٣/ ٢١٢.

(٤) البيت في الكتاب ١/ ٧٥، "الإنصاف" لابن الأنباري ص ٨٥.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ١٩٣.." [١]

"وقال الشعبي: يقوم بمكة بثمن مكة لأنه يكفر بها (١).

وقوله تعالى: ﴿أو عدل ذلك صياما﴾، قال الفراء: العدل ما عادل الشيء من غير جنسه، والعدل المثل، تقول: عندي عدل غلامك وشاتك ، إذا كانت شاة تعدل شاة أو غلام يعدل غلاما، وإذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العين فقلت: عدل، وربما قال بعض العرب: عدله وكأنه منهم غلط، لتقارب معنى العدل من العدل ولفظه (٢).

وقال أبو الهيثم: العدل المثل، هذا عدله أي مثله، والعدل القيمة، تقول: خد عدله منه كذا، أي قيمته.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٧٤/٧

قال: والعدل اسم حمل معدول يحمل، أي مسوى به، والعدل تقويمك الشيء بالشيء من غير جنسه حتى تجعله له مثلا (٣).

وقال الزجاج: العدل والعدل واحد في المعنى، وهما بمعنى المثل، كان المثل من الجنس أو من غير الجنس، ولا تقول: إن العرب غلطت وليس إذا أخطأ مخطئ وجب أن تقول: إن العرب غلطت (٤).

وقال ابن الأعرابي: عدل الشيء وعدله سواء، أي مثله (٥).

قال الزجاج: وقوله تعالى: ﴿صياما﴾ منصوب على التمييز. المعنى: ومثل ذلك من الصيام (٦).

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٥٥.

(٢) "معاني القرآن" ١/ ٣٢٠، "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٣٥٨ (عدل).

(٣) "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٣٥٨ (عدل).

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٢٠٨، "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٣٥٨ (عدل).

(٥) "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٣٥٨ (عدل).

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٢٠٨.." [1]

"الفراء: لو كان كما قال لكان أملك الوجهين أن يجرى، لأن الحرف (١) إذا كثر به الكلام خف، وجاز أن يجرى كما كثرت التسمية بيزيد فأجروه في النكرة، وفيه ياء زائدة تمنع من الإجراء (٢)، وقال الزجاج: أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأ في هذا، وألزموه ألا يصرف أبناء وأسماء.

وقال الأخفش والفراء: أشياء جمعت على أفعلاء، كما يقال: هين وأهونا، ولين وأليناء، وكان في الأصل أشيئاء على وزن أشبعاع، فاجتمعت همزتان بينهما ألف فحذفت الهمزة الأولى وفتحت الياء لتبقى ألف الجمع صحيحة فصار: أشياء، ووزنه عندهما: أفعلاء (٣)، قال الزجاج: وهذا القول أيضا غلط؛ لأن شيئا فعل، وفعل لا يجمع أفعلاء، فأما هين ولين فأصله: هيين وليين، فجمع أفعلاء كما يجمع فعيل على أفعلاء، مثل: نصيب وأنصباء.

(وقال الخليل: (أشياء) اسم للجمع كان أصله فعلاء شيئاء، فاستثقلت الهمزتان فقلبت الهمزة الأولى التي هي لام الفعل إلى أول الكلمة فجعلت لفعاء، كما قلبوا أنوق فقالوا أنيق، وكما قلبوا قووس فقالوا: قسي)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٢٦/٧

(٤)، قال الزجاج: وهذا مذهب سيبويه والمازني وجميع

---

(١) في (ج): (الحروف).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" ١/ ٣٢١.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٢١٢ بتصرف. وانظر: "تهذيب اللغة" ٢/ ١٩٥١ (شيء).

(٤) جاء قول الخليل في "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج مقتضبا جدا، فيحتمل السقط، أو أن المؤلف اعتمد على واسطة وهو "تهذيب اللغة" ٢/ ١٩٥١ (شيء).." [1]

"موافقة المصحف، فإن الهاء ثابتة في الخط فكرهوا مخالفة الخط في حالتي الوقف والوصل فأثبتوا. والاختيار عند النحويين (١) الوقف على قوله (اقتده) لتمام الكلام هاهنا ولكون (٢) الهاء ثابتة للاستراحة؛ لأنك إن أدرجت بالهاء (٣) خالفت القياس المستمر في حذف حرف الاستراحة، وإن أسقطت الهاء في الإدراج خالفت خط المصحف، وأما حمزة والكسائي فإنهما يقفان بالهاء ويصلان بغير هاء.

قال أبو علي: (وقول حمزة والكسائي القياس، وفي ترك قول الأكثر ضرب من الاستيحاش وإن كان الصواب والقياس ما قرأ) (٤).

وقرأ ابن عامر (اقتده) بكسر الدال وبشم الهاء الكسر من غير بلوغ ياء، قال أبو بكر بن مجاهد (٥): (وهذا غلط لأن هذه الهاء هاء وقف لا تعرب في حال من الأحوال وإنما تدخل لتتبين (٦) بها حركة ما قبلها) (٧).

---

(١) انظر: "معاني الأخفش" ٢/ ٢٨١، و"معاني الزجاج" ٢/ ٢٧٠، و"إعراب القرآن" للنحاس ١/ ٥٦٤.

(٢) في (أ)، (ش): (وليكون) والصواب: ولكون.

(٣) في (ش): (أدرجت، الهاء).

(٤) "الحجة" لأبي علي ٣/ ٣٥٢.

(٥) أبو بكر بن مجاهد: أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي، تقدمت ترجمته.

(٦) في (ش): (يدخل لتبيين). وانظر: "البغداديات" ص ١٥٢.

(٧) "السبعة" ص ٢٦٢، ونحوه قال النحاس في "إعرابه" ١/ ٥٦٤، وابن خالويه في "إعراب القراءات" ١/

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٤٥/٧

١٦٤، وفي "الحجة" لابن خالويه ص ١٤٥ قال: (وهذا قول ضعيف مردود؛ لأنها قراءة سبعية)، قال أبو حيان في "البحر" ٤/ ١٧٦: (تغليط ابن مجاهد غلط) اهـ، وانظر: "الدر المصون" ٥/ ٣٢.." [١]

"وفسر علي: لعل منيتي، ويدل على صحة هذا وجودته في المعنى أنه قد جاء في التنزيل لعل بهذا (١) العلم كقوله تعالى: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ [عبس: ٣] ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ [الشورى: ١٧]، وهذا الذي ذكره الخليل من أن (٢) بمعنى لعل مذهب الفراء أيضا قال: (وللعرب لغة في لعل بأن، وهو وجه جيد أن تجعل أن في موضع لعل) (٣)، ثم ذكر وجها آخر لهذه القراءة: (وهو أن تجعل لا صلة قال: ومثله: ﴿ما منعك ألا تسجد﴾ [الأعراف: ١٢] معناه: أن تسجد، فيكون التقدير: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون) (٤)، والمعنى على هذا: أنها لو جاءت لم يؤمنوا (٥).

قال الزجاج: (والذي ذكر أن لا لغو (٦) غالط؛ لأن ما كان لغوا لا يكون غير لغو، ومن قرأ (إنها) بالكسرة لم يكن لا لغوا، فليس يجوز أن يكون معنى لفظه مرة النفي ومرة الإيجاب) (٧).

---

(١) في "الحجة" لأبي علي ٣/ ٣٨٠ (لعل بعد العلم).

(٢) هكذا في النسخ، والأولى: (من أن - أن بمعنى لعل).

(٣) "معاني الفراء" ١/ ٣٥٠، وهو قول الأخفش في "معانيه" ٢/ ٢٨٥ قال: (قرأ بعضهم (أنها) وبها نقرأ وفسر على لعلها ..) اهـ.

(٤) "معاني الفراء" ١/ ٣٥٠.

(٥) هذا قول أبي علي في "الحجة" ٣/ ٣٨٠ عند شرح هذا الوجه.

(٦) لغو: أي زائدة وانظر: "الإغفال" ص ٦٧٧.

(٧) "معاني الزجاج" ٢/ ٢٨٣، وحكى كونها زائد النحاس في "معانيه" ٢/ ٤٧٣، عن الكسائي ثم قال: (وهذا عند البصريين غلط؛ لأن أن لا تكون زائدة في موضع تكون فيه نافية) ا. هـ، وقال الزجاج في "معانيه": (قد أجمعوا أن معنى (أن) هاهنا إذا فتحت معنى لعل، والإجماع أولى بالاتباع) ا. هـ، وقال شيخ الإسلام في "الفتاوى" ١٠/ ١٠ - ١١ ، ١٣/ ٢٤٦، ١٤/ ٤٩٥، في شرح الآية: (هذا استفهام نفي وإنكار،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨/ ٢٧٠

أي: وما يدريكم (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) وأنا ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾. على قراءة من قرآ (إنها) بالكسر تكون جزما =." (١)

"١٣٠ - قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ الآية. قال أهل اللغة: (المعشر: كل جماعة أمرهم واحد، والجميع: المعاشر) (١). وقوله تعالى: ﴿رسل منكم﴾ اختلفوا (٢) هل كان من الجن رسول أم لا؟ فالأكثرون (٣) على أنه لم يكن من الجن رسول، وإنما كانت الرسل من بني آدم.

وقوله: ﴿رسل منكم﴾ أراد من أحدكم وهو الإنس فحذف المضاف، كقوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ﴾ [الرحمن: ٢٢] أي: من أحدهما وهو الملح الذي ليس بعذب، وجاز ذلك؛ لأن ذكرهما قد جمع في قوله (٤): ﴿مرج البحرين﴾ [الرحمن: ١٩]، وهذا جائز في كل ما اتفق في أصله، كما

---

(١) هذا نص كلام الخليل في "العين" ١/ ٢٤٨، وفي "اللسان" ٥/ ٢٩٥٥ (عشر): (معشر الرجل، بفتح الميم والشين وسكون العين: أهله. والمعشر: الجماعة متخالطين كانوا أو غير ذلك. والمعشر والنفر والقوم والرهط معناهم الجمع: لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء). اهـ.

وانظر: "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٤٤٧، و"الصحاح" ٢/ ٧٤٧، و"المجمل" ٣/ ٦٧٠، و"المفردات" ص ٥٦٧ (عشر).

(٢) في (ش): (واختلفوا).

(٣) ذكره عن الأكثر الرازي في "تفسيره" ١٣/ ١٩٥، والخازن ٢/ ١٨٤.

(٤) قال الشنقيطي -رحمه الله تعالى- في "أضواء البيان" ٢/ ٢١١: (هذا التوجيه في آية الرحمن **غلط** كبير لا يجوز القول به؛ لأنه مخالف مخالفة صريحة لكلام الله تعالى؛ لأن الله ذكر البحرين الملح والعذب بقوله: ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾ [فاطر: ١٢]، ثم صرح باستخراج اللؤلؤ والمحرجان منهما جميعا بقوله: ﴿ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ [فاطر: ١٢]، والحلية المذكورة في اللؤلؤ والمرجان، فقصره على الملح مناقض للآية صريحا كما ترى). اهـ.." (٢)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨/٣٥٥

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٨/٤٤٢

"المنقلبه عن الواو (١) أو الياء وهما ساكنتان فلم يمكن النطق بهما فهمزت الأخيرة منهما فقيل: قائل وبائع هذا هو الأصل، ثم يجور تحفيف الهمزة فيصير ياء؛ لأن الهمزة المكسورة إذا خففت صارت ياء (٢).

فأما (معايش) ففي تصحيح يائه ما يغني عن الهمزة) رجعنا إلى كلام أبي علي قال: (فأما قراءة هذا القارئ ﴿معائش﴾ بالهمز، فقال أبو عثمان: (أصل أخذ هذه القراءة عن نافع قال: ولم يكن يدري ما (٣) العربية، وكلام العرب التصحيح في نحو هذا) (٤). قال أبو علي: ومن أعل فهمز ياء ﴿معايش﴾ فمجازه على وجه الغلط كما حكى سيبويه (أن بعضهم قال في جمع مصيبة: مصائب فهمز وهو غلط لأن مصائب مفاعل (٥) فتوهمها فعايل نحو: صحائف وسفائن.

---

(١) في (ب): (عن الواو والياء).

(٢) ذكره نحو المبرد في "المقتضب" ١/ ٢٣٧، وابن جني في "المنصف" ١/ ٢٨٠، وانظر: "الكتاب" ٤/ ٣٤٥، و"التصريف" للجرجاني ص ٨٦، و"الممتع" لابن عصفور ١/ ٣٢٧، و"شرح مختصر تصريف العزي" للتفتازاني ص ١٣١، و"شذا العرف" للحملاوي ص ٧٤.

(٣) في (أ): (يدري العربية).

(٤) انظر: "المنصف" ١/ ٣٠٧، وقال أبو حيان في "البحر" ٤/ ٢٧١ - ٢٧٢: (أما قول المازني (أصل أخذ هذه القراءة عن نافع) فليس بصحيح لأنها نقلت عن ابن عامر والأعرج وزيد بن علي والأعمش، وأما قوله (إن نافعا لم يكن يدري ما العربية) فشهادة على النفي، ولو فرضنا أنه لا يدري ما العربية وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب فهو لا يلزمه ذلك، إذ هو فصيح متكلم بالعربية ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء، وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء، ولا يجوز لهم ذلك) اهـ.

(٥) في "الكتاب" ٤/ ٣٥٦، و"الإغفال" ص ٧٤١ (وهو غلط، وإنما هو مفعلة وتوهموها فعيلة).." [1]

"قال: ومنهم من يقول: مصاوب فيجيء به على الأصل والقياس) (١)، وقول (٢) سيبويه: (وهو غلط) يعني: أنه توهم الياء التي في مصيبة -وهي (٣) منقلبة عن العين التي هي واو- الياء التي (٤) للمد في نحو: [سفينة وصحيفة، وهمزوا الياء المنقلبة عن الواو التي هي عين الفعل كما همزوا الياء التي للمد (٥) في نحو] (٦) سفائن وصحائف، ولا يشبه هذه الياء تلك، ألا ترى أن هذه منقلبة عن واو هي عين

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٥/٩

أصلها الحركة، وتلك زائدة للمد لا حظ لها في الحركة). وقد ذكرنا الكلام مستقصى في المصائب عند قوله (٧): ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾ [البقرة: ١٥٦]، (ومثل هذا مما حمل على الغلط قول بعضهم في جمع مسيل: مسلان، فمسيل مفعل والياء فيه عين الفعل، فتوهم من قال في جمعه: مسلان أنها زائدة للمد فجمعه على فعلان كما يجمع قضيب على قضبان، وعلى هذا (٨) التوهم أيضا جمعوا مسيلا أمسلة. وقد جاء ذلك في شعر هذيل، قال أبو ذؤيب (٩):

وأمسلة مدافعها خليف (١٠)

---

(١) "الكتاب" ٤/ ٣٥٦.

(٢) في (أ): (وقال)، وهو تحريف.

(٣) (وهو)، وهو تحريف.

(٤) في "الإغفال" (التي تزاد للمد).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) في "الإغفال" ص ٧٤٢: صفائح.

(٧) انظر "البسيط" النسخة الأزهرية ١/ ٩٨ أ.

(٨) هذا من "الحجة" ٣/ ٨.

(٩) أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي. تقدمت ترجمته.

(١٠) "شرح ديوان الهذليين" للسكري ١/ ١٨٥، و"المخصص" ٥/ ١٢٣، ١٠/ ١٠٧، و"الدر المصون" ٥/ ٢٥٩، وصدره:

بواد لا أنيس به يباب

ويباب بالفتح؛ خراب فقر ليس فيه أحد.." [1]

"فتوهموه فعيلا، وإنما هو مفعل (١)، ومثل هذا من الشواذ والغلط لا يعترض به على الشائع المطرد ولا يحمل غيره عليه، وإنما حكمه أن يعرف أصله ويبين وجه الصواب فيه، ومن أين وقع الشبه الذي جاء من أجله الغلط، فمسلان من سأل خطأ وإن كان قد قيل، فكذلك (٢) همز (٣) معايش غلط) (٤)، فأما الكلام في (مدائن) فسنذكره إذا أتينا إلى قوله: ﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾ (٥) [الأعراف: ١١١] من

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٦/٩

هذه السورة (٦) إن شاء الله.
وقوله تعالى: ﴿قليلا ما تشكرون﴾، قال ابن عباس: (يريد: أنكم غير شاكرين لأنعمي (٧) [ولا] طائعين) (٨). وتقدير هذا تقدير قوله: ﴿قليلا ما

= انظر: "اللسان" ٨/ ٤٩٤٧ (يبب)، وأمسلة، بسكون الميم وكسر السين: جمع مسيل وهو: مجرى الماء. انظر: "اللسان" ٧/ ٤٢٠٥ (مسل) ومدافعها. المجاري التي تدفع إلى الأودية. انظر: "اللسان" ٣/ ١٣٩٤ (دفع)، وخليف بفتح الخاء وكسر اللام: الطريق بين الجبلين انظر: "اللسان" ٢/ ١٢٤٢ (خلف).
(١) إلى هنا انتهى النقل من "الحجة".
(٢) في (ب): (فلذلك).
(٣) في (أ): (همزة).
(٤) انظر: "الإغفال" ص ٧٣٠ - ٧٤٤، و"الحجة" ٤/ ٧ - ٨، وهو أخذ منهما مع بعض التصرف اليسير في العبارة وانظر: "تفسير الطبري" ٨/ ٢٥، و"المشكل" ١/ ٢٨٣، والمراجع المذكورة في "القراءة" ص ٣٠ من هذا الجزء.
(٥) في (ب): (وأرسل فرعون في المدائن حاشرين) من هذه السورة إن شاء الله. وهذا وهم، وجاء في سورة الشعراء الآية: ٥٣ قوله تعالى: ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾.
(٦) انظر تفسير هذه الآية في هذا الجزء ص ٢٦٧.
(٧) لفظ: (ولا) ساقط من (ب).
(٨) ذكره الواحدي في "الوسيط" ١/ ١٦٠، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٣/ ١٧٢، وفي "تنوير المقباس" ٢/ ٨٢ نحوه.." [(١)]

"وقوله تعالى: ﴿في أمم﴾، قال عطاء: (يريد في النار مع أمم) (١) وعلى هذا في الآية تقديم وتأخير ومجاز (٢) لأن التقدير: ادخلوا في النار مع أمم قد خلت من قبلكم واستعمال (في) بمعنى (مع) (٣) مجاوز (٤)، ويمكن أن يقال: قوله: ﴿في أمم﴾ من صلة ﴿ادخلوا﴾، وقوله (٥) ﴿في النار﴾ من تمام (٦) صفة الأمم، يقول: ادخلوا في أمم في النار، فلا يكون في الآية تقديم ولا تأخير ولا مجاز (٧).
وقوله تعالى: ﴿كلما دخلت أمة﴾ يعني النار ﴿لعنت أختها﴾ [قال الفراء: (يعني: التي سبقتها إلى النار،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٧/٩

وهي أختها] (٨) في دينها لا في النسب) (٩).

---

(١) لم أقف عليه، وهو قول ابن قتيبة في "تفسير الغريب" ص ١٧٧، ومكي في "تفسير المشكل" ص ٨٦، وقال النحاس في "معانيه" ٣/ ٣٢: (قيل معنى (في) معنى (مع) وهذا لا يمتنع؛ لأن قولك: زيد في القوم معناه مع القوم، ويجوز أن تكون (في) على بابها) اهـ.
(٢) لفظ:) ومجاز) ساقط من (أ).
(٣) لفظ: (مع) ساقط من (ب).
(٤) مجاوز أي -جائز- وانظر: "حروف المعاني" للزجاجي ص ٨٣، و"رصف المباني" ص ٤٥٣، و"مغني اللبيب" ١/ ٤٦٨، وقال الرماني في "معاني الحروف" ص ٩٦: (زعم الكوفيون أنها تكون بمعنى (مع) والبصريون يقولون (في) على بابها) وقال شيخ الإسلام في "الفتاوى" ١٣/ ٣٤٨: (والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته ومن هنا **غلط** من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين) اهـ.
(٥) في (ب): (فقوله).
(٦) في (ب): (مع تمام).
(٧) وهذا هو الظاهر، واختيار الجمهور. انظر: "تفسير الطبري" ٨/ ١٧٣، و"الكشاف" ٢/ ٧٨، وابن عطية ٥/ ٤٩٧، ٤٩٨، و"البحر" ٤/ ٢٩٥، و"الدر المصون" ٥/ ٣١٢.
(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٩) "معاني القرآن" ١/ ٣٧٨.." [١]

"وقوله تعالى: ﴿على علم﴾ أي: فصلناه بعلم لم يقع منا فيه سهو ولا غلط، وقيل: ﴿على علم﴾ في الكتاب وهو ما أودع من العلوم (١) وبيان الأحكام.

وقوله تعالى: ﴿هدى ورحمة﴾، قال الزجاج: (﴿هدى﴾ في موضع نصب أي: فصلناه هاديا وذا رحمة) (٢).

وقوله تعالى: ﴿لقوم يؤمنون﴾ يدل على أن القرآن جعل هدى لقوم مخصوصين أريد به هدايتهم دون غيرهم ممن كذب به.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩/ ١٢٠

٥٣ - قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾، النظر هاهنا بمعنى: الانتظار (٣)، وقد مر في سورة البقرة (٤)، وإنما قيل لهم ﴿هل ينظرون﴾، وإن كانوا جاحدين؛ لأنهم في منزلة المنتظر كأنهم ينتظرون ذلك لأنهم

---

(١) أكثرهم قال: (المعنى بيناه على علم منا بما فصلناه به) اهـ. انظر: "تفسير مقاتل" ٢/ ٤٠، والطبري ٨/ ٢٠٣، والسمرقندي ١/ ٥٤٥، والماوردي ٢/ ٢٢٨، والبغوي ٣/ ٢٣٥، وابن الجوزي ٣/ ٢١٠.

(٢) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٤١، والجمهور على نصبهما على الحال من مفعول ﴿فصلناه﴾ أو على أنه مفعول لأجله أي: فصلناه لأجل الهداية والرحمة. قالوا: ويجوز الجر على النعت لكتاب أو البدل منه، والرفع على تقدير مبتدأ أي: هو هدى ورحمة انظر: "معاني الفراء" ١/ ٣٨٠، و"تفسير الطبري" ٣/ ٢٠٨، و"إعراب النحاس" ١/ ٦١٥، و"المشكل" ١٢٩٣، و"البيان" ١/ ٣٦٤، و"التبيان" ص ٣٧٨، و"الفريد" ٢/ ٣٠٩، و"البحر" ٤/ ٣٠٦، و"الدر المصون" ٥/ ٣٦٦.

(٣) النظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء وتأمله ورؤيته، والنظر: الانتظار يقال: نظرته أي انتظرته، وأنظرته - أخرته. انظر: "الجمهرة" ٢/ ٧٦٣، و"تهذيب اللغة" ٤/ ٣٦٠٤، و"الصحاح" ٥/ ٣٨٠، و"المجمل" ٣/ ٨٧٣، و"مقاييس اللغة" ٥/ ٤٤٤، و"المفردات" ص ٨١٣، و"اللسان" ٧/ ٤٤٦٦ (نظر).

(٤) انظر: "البسيط" النسخة الأزهرية ١/ ١٢٦ب.." [(١)]

"قريب مني، وهم قريب (١) مني، وكذلك المؤنث، توحد قريبا وتذكره؛ لأنه وإن كان فاعلا فهو في تأويل (هو في مكان قريب مني)، وقد يجوز قريبة وجيدة بالهاء تبنيها على قربت وبعدت) (٢).

وأما مذهب البصريين فقال الزجاج: (إنما قيل: ﴿قريب﴾ لأن الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي) (٣).

ونحو هذا قال الأخفش قال: الرحمة بمعنى الإنعام (٤)، فلذلك ذكر.

ومثل هذا قال سعيد بن جبير: (الرحمة هاهنا: الثواب) (٥).

وأما مذهب أهل الكوفة فقال الزجاج (٦): (وهو غلط؛ كل ما قرب في مكان أو نسب فهو جار على ما يصيبه من التأنيث والتذكير) (٧). والذي قاله الفراء هو مذهب أبي عمرو بن العلاء (٨)، وقول الكسائي

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٦٣/٩

(٩) وأبي عبيدة (١٠).

---

(١) في (أ): (قرايب)، وهو تحريف.
(٢) "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٩١٦ (قرب)، وانظر: "إصلاح المنطق" ص ١١٩.
(٣) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٤٤.
(٤) في "معاني الأخفش" ٢/ ٣٠٠، وكذلك عند الزجاج عن الأخفش (بمعنى المطر).
(٥) ذكره الواحدي في "الوسيط" ١/ ١٩٥، والبغوي ٣/ ٢٣٨، و"الخازن" ٢/ ٢٤٢، وأبو حيان في "البحر" ٤/ ٣١٣.
(٦) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).
(٧) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٤٥.
(٨) ذكره الثعلبي في "الكشف" ١٩١ ب، والبغوي ٣٣/ ٢٣٨، وانظر: "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٩١٥.
(٩) لم أقف عليه.
(١٠) في (ب): (أبو عبيد)، وفي مجاز القرآن ١/ ٢١٦ قال: (هذا موضع يكون في =." [١]

"وقوله تعالى: ﴿بكل صراط﴾. يقال: قعد له بمكان كذا، وعلى مكان كذا، وفي مكان كذا، وهذه الحروف تتعاقب (١) في هذا الموضوع لاجتماع معانيها فيه، وذلك أنك إذا قلت: قعد بمكان كذا ف (الباء) للالتصاق، وهو قد لاصق المكان، و (على) للاستعلاء، وهو قد علا المكان، و (في) للمحل، وهو قد حل المكان.

وقوله تعالى: ﴿وتصدون عن سبيل الله من آمن به﴾ (٢) (٣). قال ابن عباس: (كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم أن شعيبا كذاب فلا يفتنكم عن دينكم) (٤).

وقال مقاتل: (وتصدون عن دين الله من آمن به) (٥).

وقال الكلبي: (وتصرفون عن دين الله الإسلام من آمن بشعيب) (٦). فالكناية في ﴿به﴾ يجوز أن تعود إلى ﴿سبيل الله﴾؛ لأن المراد به دين الله على قول مقاتل، وعلى قول الكلبي الكناية تعود إلى شعيب، وقال عكرمة:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٨٣/٩

(١) انظر: "حروف المعاني" ص ٤٧، و"معاني الحروف" للرماني ص ٣٦، والصاحبي ص ١٣٢، و"مغني اللبيب" ١/ ١٠١.

وقال شيخ الإسلام في "الفتاوى" ١٣/ ٣٤٢: (والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته ومن هنا **غلط** من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين) اهـ.

وانظر: "معاني الأخفش" ٢/ ٣٠٦، و"تفسير الطبري" ٨/ ٢٣٩، و"إعراب النحاس" ١/ ٦٢٥، و"الدر المصون" ٥/ ٣٧٦.

(٢) في (ب): (ويصدون) بالياء، وهو تصحيف.

(٣) في (أ): (من آمن بالله)، وهو تحريف.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٨/ ٢٣٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢١ بسند جيد.

(٥) "تفسيرمقاتل" ٢/ ٤٨.

(٦) "تنوير المقباس" ٢/ ١١٠.." [1]

"قال: وكذلك يفعلون بهاء التأنيث فيقولون: هذه طلحه قد أقبلت وأنشد:

لما رأى (١) أن لا دعة ولا شبع (٢)

ولا وجه لهذا عند البصريين في القياس ولا الاستعمال.

قال الزجاج: (وهذا شعر لا يعرف قائله، ولا هو بشيء، ولو قاله شاعر مذكور لقيل له: أخطأت؛ لأن الشاعر قد يجوز أن يخطئ) قال: (وهذا مذهب لا يعرج عليه) (٣).

= ١/ ٣٨٨، و"تفسير الطبري" ٩/ ١٦، وابن عطية ٦/ ٣١، والرازي ١٤/ ١٩٨، وقبله:

أنحى علي الدهر رجلا ويدا ... يقسم لا يصلح إلا أفسدا

فيصلح اليوم ويفسده غدا

(١) هذا رجز لمنظور بن حبة الأسدي في "تهذيب إصلاح المنطق" ١/ ٢٨٢ - ٢٨٣، و"شذا العرف" ص ١٣٦، وبلا نسبة في "معاني الفراء" ١/ ٢٨٨، و"إصلاح المنطق" ص ٩٥، و"تفسير الطبري" ٩/ ١٧، و"تهذيب اللغة" ٣/ ٢ (ضجع)، و"المحتسب" ١/ ١٠٧، و"سر صناعة الإعراب" ١/ ٣٢١، و"الخصائص" ٣/ ١٦٣، و"المنصف" ٢/ ٣٢٩، و"الصحاح" ٦/ ٢٣٥٨ (رطا)، و"المخصص" ٨/

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٢٨/٩

٢٤، و"كنز الحفاظ" ١/ ٣٠٢، و"اللسان" ٥/ ٢٥٥٤ (ضجع) وعجزه:

مال إلى أرطأة حقف فاضطجع

وهو يصف الذئب، والحقف: ما اعوج من الرمل.

(٢) "معاني الفراء" ١/ ٣٨٨، ومثله قال الطبري ٩/ ١٧.

(٣) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٦٥ - ٣٦٦. وانظر: "معاني الأخفش" ٢/ ٣٠٨، و"إعراب النحاس" ١/ ٣٦٠، و"معاني القراءات" ١/ ٤١٥، و"إعراب القراءات" ١/ ١٩٨، و"الحجة" لابن خالويه ص ١٥٩، ولأبي علي الفارسي ٤/ ٦٠، ولابن زنجلة ص ٢٨٩، و"الكشف" ١/ ٤٧٠، وقال أبو حيان في "البحر" ٤/ ٣٦٠: (وما ذهب إليه من **غلط** هذه القراءة وأنها لا تجوز قول فاسد؛ لأنها قراءة ثابتة متواترة روتها =." (١)

"وابن عباس يخالف في هذه المسألة وهي ما

٢٠٠ - أخبرناه أبو إسحاق أحمد بن محمد المفسر، أخبرنا شعيب بن محمد، أخبرنا مكي بن عبدان، حدثنا أبو الأزهري، حدثنا روح، حدثنا ابن جريج، قال: حدثت، عن ابن أبي ذئب، عن شعبة، عن ابن عباس، أنه دخل على عثمان بن عفان فقال: إن الأخوين لا يردان الأم إلى السدس، إنما قال الله تعالى: ﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ [النساء: ١١] والأخوان في لسان قومك وكلام العرب ليسا بإخوة، فقال عثمان: لا أستطيع أن أنقض أمرا كان قبلي وتوارثه الناس وجرى في الأمصار قال العلماء: هذا **غلط** من ابن عباس لأن الاثنين يسميان بالجمع في كثير من الكلام

حكى سيبويه: أن العرب تقول: قد وضعا رحالهما، يريدون: رحلي راحلتيهما.

وقال ابن الأنباري: التثنية عند العرب أول الجمع، ومشهور في كلامهم إيقاع الجمع على التثنية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ [الأنبياء: ٧٨] ، يءني حكم داود وسليمان عليهما السلام.." (٢)

"٣٥٩ - أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمر النيسابوري، أنا حمزة بن شبيب المعمري، أنا عمرو بن عبد الله البصري، نا محمد بن عبد الوهاب، أنا جعفر بن عون، أنا موسى بن عبيدة، أخبرنا محمد بن كعب القرظي، بلغني، أنه لما اشتكى أبو طالب شكواه التي قبض فيها، قالت له قريش: يا أبا طالب أرسل إلى ابن أخيك، فيرسل إليك من هذه الجنة التي ذكر شيئا يكون لك شفاء، فخرج الرسول، حتى وجد رسول

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩/٢٦٨

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٢١

الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسا معه، فقال: يا محمد إن عمك يقول لك: يا ابن أخي إني كبير ضعيف سقيم، فأرسل إلي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها شيئا يكون لي فيه شفاء، فقال أبو بكر: إن الله حرمهما على الكافرين، فرجع إليهم الرسول فأخبرهم، فقال: بلغت محمدا الذي أرسلتموني به فلم يجر إلي شيئا، وقال أبو بكر: إن الله حرمهما على الكافرين، فحملوا أنفسهم عليه حتى أرسل رسولا من عنده، فوجده الرسول في مجلسه فقال له مثل ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله حرمهما على الكافرين طعامها وشرابها»

قوله: ﴿الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا﴾ [الأعراف: ٥١] قال ابن عباس: يريد: المستهزئين، والمعنى: تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم، واستهزءوا به، فاليوم ننساهم: قال ابن عباس: نتركهم في جهنم.

﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ [الأعراف: ٥١] كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، يعني: تركهم العمل بطاعة الله لذلك اليوم، ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ [الأعراف: ٥١] ، ما: في موضع جر، بالعطف على ما في قوله كانوا، وما بمعنى المصدر، أي: ولجحودهم بآياتنا.

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿٥٢﴾ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٢-٥٣] قوله: ﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾ [الأعراف: ٥٢] يعني القرآن، ﴿فصلناه على علم﴾ [الأعراف: ٥٢] بيناه بعلم لم يقع منا فيه سهو ولا غلط، هدى ورحمة: قال الزجاج: أي: فصلناه هاديا وذا رحمة لقوم يؤمنون: به، وهذا يدل على أن القرآن جعل هدى لقوم أريد به هدايتهم دون غيرهم ممن كذب به، قوله: هل ينظرون أي: ما ينظرون إلا تأويله، يريد: عاقبته، وما وعد الله فيه من البعث والنشور، والعقاب والحساب، والمعنى: كأنهم ينتظرون ذلك وإن كانوا جاحدين،." (١)

"بعدها﴾ [النحل: ١١٩] من بعد تلك الجهالة، لغفور رحيم.

قوله: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ [النحل: ١٢٠] قال أكثر أهل التفسير: معلما للخير.

قال ابن الأعرابي: يقال للرجل العالم أمة، والأمة الرجل الجامع للخير.

قانتا مطيعا لله، حنيفا قال ابن عباس: إنه أول من اختتن وأقام المناسك وضحى، فهذه صفة الحنيفية.

٥٣٢ - أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر المزكي، أنا أبو بكر عبد الله بن محمد الحافظ، أنا محمد بن

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣٧٤/٢

عبد الرحمن الفقيه، نا محمد بن المهلب، نا معلى بن أسد، نا عبد العزيز بن المختار، نا منصور بن عبد الرحمن الغداني، نا الشعبي، حدثني فروة بن نوفل الأشجعي، قال: كنت جالسا عند عبد الله بن مسعود، فقال: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين، قلت: **غلط** أبو عبد الرحمن، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنما قال الله: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا﴾ ، قال: فأعادها فعرفت أنه تعمد الأمر تعمدا فسكت، فقال: أتدري ما الأمة؟ الذي يعلم الناس الخير، وكان مطيعا لله ورسوله، والقانت المطيع لله، وكذلك معاذ بن جبل يعلم الخير وكان مطيعا لله ورسوله

قال ابن عباس في قوله: ﴿ولم يك من المشركين﴾ [النحل: ١٢٠] : أخلص لله التوحيد صبيا وكبيرا.

﴿شاكرا لأنعمه﴾ [النحل: ١٢١] انتصب على البدل من قوله: ﴿أمة قانتا لله حنيفا﴾ [النحل: ١٢٠] والأنعم جمع نعمة، اجتباه اختاره للنبوة، ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ [النحل: ١٢١] وهو دين الحنيفية.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ [النحل: ١٢٢] قال الوالبي، عن ابن عباس: يعني الذكر الحسن.

وقال الحسن: هي النبوة.

وقال مجاهد: لسان صدق في الآخرين.

وقال مقاتل: يعني عليه مقرونة بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال قتادة: هي أنه ليس من أهل دين إلا وهم يتلونه ويرضونه.

﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [النحل: ١٢٢] ترغيب في الصلاح ليكون صاحبه في جنبة إبراهيم، و ه ذا أكمل مدح لإبراهيم حيث شرف جملة هو منها.

﴿ثم أوحينا إليك﴾ [النحل: ١٢٣] يا محمد، ﴿أن اتبع ملة إبراهيم." [١]

"أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ﴿٦٣﴾ فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ﴿٦٤﴾ ﴾ [طه: ٦٠-٦٤] فتولى فرعون قال مقاتل: أعرض عن الحق، وعما يلزمه من الطاعة.

فجمع كيده مكره وحيلته، وذلك جمعه السحرة، ثم أتى حضر الموعد.

﴿قال لهم موسى﴾ [طه: ٦١] أي: للسحرة الذين جمعهم فرعون، ويلكم ألزمكم الله الويل، ﴿لا تفتروا على الله كذبا﴾ [طه: ٦١] قال ابن عباس: لا تشركوا بالله أحدا، ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ [طه: ٦١] ويقرأ بضم الياء يقال: سحته الله، وأسحته إذا استأصله وأهلكه.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٩٠

قال ابن عباس، ومجاهد: فيهلككم.

وقال قتادة: فيستأصلكم.

﴿وقد خاب من افترى﴾ [طه: ٦١] قال ابن عباس: خسر من ادعى مع الله إلها آخر.

وقال قتادة: خسر من كذب على الله ونسب إليه باطلا.

قوله: ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ [طه: ٦٢] تناظروا في أمر موسى وتشاوروا، يعني السحرة، سرا من فرعون، فقالوا: إن غلبنا موسى اتبعناه.

وهذا القول اختيار الفراء، والزجاج.

وقال محمد بن إسحاق: لما قال لهم موسى: ﴿لا تفتروا على الله كذبا﴾ [طه: ٦١] قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر.

ثم قالوا وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون: ﴿إن هذان لساحران﴾ [طه: ٦٣] يعنون موسى وهارون، قال ابن عباس في رواية عطاء: هي لغة بلحرث بن كعب، يعني قوله: ﴿إن هذان﴾ [طه: ٦٣] .

وإجماع النحويين إن هذا لغة حارثية، وذلك أن بلحرث بن كعب، وخثعم، وزبيرا، وقبائل من اليمن يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد، يقولون: أتاني الزيدان، ومررت بالزيدان، وذلك أنهم يقلبون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفا، فعاملوا ياء التثنية أيضا هذه المعاملة، كما قال قائلهم:

أي قلوص راكب تراها ... طاروا علاهن فطر علاها

وهذه ليست ياء التثنية، ولكن لما كانت اللام في عليها مفتوحة، قلبوها ألفا، وحكى هذه اللغة جميع النحويين، وقرأ أبو عمرو إن هذين بالياء، بخلاف المصحف، واحتجاجه في ذلك بما روي أنه **غلط** من الكاتب، وأن في الكتاب **غلط** ستقيمه العرب بألسنتها.

وقال الزجاج: لا أجيز هذه القراءة لأنها خلاف المصحف، ولا أجيز مخالفته لأن اتباعه سنة.

وقرأ ابن كثير ﴿إن هذان﴾ [طه: ٦٣] بتخفيف إن على معنى: ما هذان إلا ساحران، وإن إذا خففت كان الوجه أن يرفع الاسم بعدها." (١)

"دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ [النور: ٣٥] قوله: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ [النور: ٣٥] معنى النور في اللغة الضياء، وهو الذي يبين الأشياء ويري الأبصار

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٢١١

حقيقة ما تراه، وورد النور في صفة الله تعالى لأنه هو الذي يهدي المؤمنين ويبين لهم ما يهتدون به من الضلالة، قال ابن قتيبة: أي بنوره يهتدي من في السموات والأرض.

وهذا معنى قول ابن عباس، والمفسرين: هادي أهل السموات والأرض.

وقوله: ﴿مثل نوره﴾ [النور: ٣٥] قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: مثل نوره الذي أعطى المؤمن.

وقال السدي: مثل نوره في قلب المؤمن.

وكذا هو في قراءة ابن مسعود، وكان أبي يقرأ مثل نور المؤمن قال: وهو عبد قد جعل الإيمان والقرآن في صدره.

﴿كمشكاة﴾ [النور: ٣٥] وهي كوة غير نافذة في قول الجميع، ﴿فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥] يعني السراج، ﴿المصباح في زجاجة﴾ [النور: ٣٥] يعني القنديل، قال الزجاج: النور في الزجاج وضوء النار أبين منه في كل شيء يزيد في الزجاج.

ثم وصف الزجاجة، فقال: ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ [النور: ٣٥] منسوب إلى أنه كالدر في صفائه وحسنه، وقرأ أبو عمرو مك ﴿ [الدال مهموزة، وهو فعيل من الدرء بمعنى الدفع، والكوكب إذا دفع ورمي من السماء لرجم الشيطان يضاعف ضوءه، قال أبو عمرو لم أسمع أعرابيا يقول إلا: كأنه كوكب دريء بكسر الدال، أخذوه من درأت النجوم تدرأ إذا اندفعت.

وقرأ حمزة بضم الدال مهموزا، وأنكره الفراء والزجاج وأبو العباس، قالوا: هو **غلط** لأنه ليس في الكلام فعيل.

قال الزجاج، والنحويون أجمعون: لا يعرفون الوجه في هذا لأنه ليس في كلام العرب شيء على هذا الوزن.

قوله: توقد مفتوحة التاء والدال قراءة أبي عمرو وهي البينة، لأن المصباح هو الذي تـوقد، وقرئ] يوقد﴾ [سورة النور: ٣٥] بضم الياء والدال أي المصباح، وقرئ توقد أي الزجاج، والمعنى: على مصباح الزجاجة، ثم حذف المضاف.

وقوله: ﴿من شجرة مباركة﴾ [النور: ٣٥] أي: من زيت شجرة مباركة بحذف المضاف، يدلك على ذلك قوله: ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ [النور: ٣٥] وأراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون، وهي كثيرة البركة، وفيها أنواع المنافع لأن الزيت يسرج به، وهو إدام ودهان ودباغ، ويوقد بحطب الزيتون، وتفله ورماده يغسل به الإبريسم، ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى عصار.

٦٦٣ - أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني، أنا بشر بن أحمد بن محمود، أنا أبو جعفر محمد بن موسى الحلواني، نا زهير بن محمد، أنا عبد." (١)

"الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴿٤٣﴾ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا ﴿٤٤﴾ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر: ٤٢-٤٥] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ [فاطر: ٤٢] يعني كفار مكة، قال ابن عباس: حلفوا قبل أن يأتيهم محمد بأيمان غليظة.

﴿لئن جاءهم نذير﴾ [فاطر: ٤٢] رسول، ليكونن أهدى أصوب دينا، ﴿من إحدى الأمم﴾ [فاطر: ٤٢] يعني اليهود والنصارى والصابئين، ﴿فلما جاءهم نذير﴾ [فاطر: ٤٢] محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم مجيئه، إلا نفورا تباعدا عن الهدى.

﴿استكبارا في الأرض﴾ [فاطر: ٤٣] عتوا على الله وتكبرا عن الإيمان به، ومكر السيئ يعني: ومكروا مكر السيئ، وهو عملهم القبيح من الشرك، والمكر هو العمل القبيح، وأضيف المكر إلى صفته، وقرأ حمزة بإسكان الهمزة، والنحويون كلهم يزعمون أن هذا من الاضطرار في الشعر، ولا يجوز مثله في كتاب الله.

وقال أبو علي الفارسي: هو على إجراء الوصل مجرى الوقف، كما حكى سيبويه من قولهم لملائه الأربعة: فأجروا الوصل مجرى الوقف.

قال: ويحتمل أنه خفف آخر الاسم لاجتماع الكسرتين والياءين كما خففوا الياء من أيل لتوالي الكسرتين، ونزل حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب.

وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على ومكر السيئ فيترك الحركة، وهو وقف حسن تام، ثم غلط فيه الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الوصل، فتابع حمزة الغالط، فقرأ في الأدراج الحركة.

وقوله: ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ [فاطر: ٤٣] قال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك.

﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين﴾ [فاطر: ٤٣] هل ينتظرون إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بالأمم المكذبة قبلهم، ﴿فلن تجد لسنة الله﴾ [فاطر: ٤٣] في العذاب، تبديلا وإن تأخر ذلك، ﴿ولن تجد لسنت الله

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٣٢٠

تحويلا﴾ [فاطر: ٤٣] لا يقدر أحد أن يحول العذاب عنهم إلى غيرهم.
وما بعد هذا مفسر فيما مضى إلى قوله: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ [فاطر: ٤٥] يعني المشركين، ﴿بما كسبوا﴾ [فاطر: ٤٥] من الشرك والتكذيب لعجل لهم العذاب والعقوبة، وهو وقوله: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ [فاطر: ٤٥] وهذا مفسر في ﴿ ﴾ [النحل، وقوله:] فإن الله كان بعباده بصيرا﴾ [سورة فاطر: ٤٥] قال ابن عباس: يريد أهل طاعته وأهل معصيته.." [١]

"﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ يحلى كلك مؤمن واحد بسوارين من ذهب وكانت الأساورة من زينة الملوك في الدنيا وقوله: ﴿ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق﴾ وهما نوعان من الحرير والسندس: ما رق والاستبرق: ما **غلط** ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ وهي السرر في الحجال ﴿نعم الثواب﴾ طاب ثوابهم ﴿وحسنت﴾ الأرائك ﴿مرتفقا﴾ موضع ارتفاق أي: اتكاء على المرفق فيه." [٢]

"محل النصب (١)، والواو عند البصريين للجمع (٢)، وعند الكوفيين للصرف (٣)، قال (٤): [من الكامل]
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم
﴿بها:﴾ أي: بالحجة، يقال: أدلى بحجته (٥). ويقال: بالأموال، أي: الرشوة، أي: لا تتوسلوا بها إلى الحكام (٦)، وفي حديث عمر حيث استسقى: وقد دلونا به إليك، أي: توسلنا بالعباس قدس الله روحه (٧).
وأصل الإدلاء إرسال الدلو (٨).
و ﴿الحكام:﴾ جمع حاكم، مثل: شاطر وشطار. والحاكم الذي يمنع الخصمين بقضائه (٩) عن التعدي.
والحكم القضاء الحتم (١٠).

١٨٩ - ﴿يسئلونك عن الأهلة:﴾ نزلت في معاذ بن جبل وأمثاله ﴿(يسئلونك عن الأهلة)﴾، هكذا روي عن ابن عباس وقتادة والربيع (١١)، فبين الله لهم وجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه، وهو أن يشترك الناس كلهم في معرفة مواقيتهم التي هي لمعاملاتهم وحجهم وصومهم وزكاتهم من غير استخراج بحساب دقيق مخوف عليه من **غلط** فاحش (١٢).

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٥٠٨

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٦٦٠

و ﴿(الأهلة)﴾: جمع هلال كالإمام والأئمة (١٣).
قال الزجاج: الهلال يكون ليلتين (١٤) من أول الشهر، وقيل: ثلاث ليال، وقال الأصمعي: ما لم يتحجر، أي: بخط مستدير، وقيل: ما لم يبهر بالليل، ثم يصير قمرا (١٥).

---

(١) (والواو للعطف. . . النصب) ليس في ك وع. وينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١١٥، وللأخفش ١/ ٣٥٣، ومشكل إعراب القرآن ١/ ١٢٣.
(٢) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ١٤٥.
(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١١٥، وتفسير الطبري ٢/ ٢٥٢.
(٤) أبو الأسود الدؤلي، ديوانه ٢٣٣.
(٥) ينظر: إعراب القرآن ١/ ٢٩٠، وتفسير القرطبي ٢/ ٣٣٩ و ٣٤٠.
(٦) ينظر: تفسير غريب القرآن ٧٥، وإعراب القرآن ١/ ٢٩٠، والوجيز ١/ ١٥٣.
(٧) ينظر: تأويل مختلف الحديث ٢٥٣.
(٨) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ٢٥٢، ومعاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٥٨، والوجيز ١/ ١٥٣.
(٩) في ع: لقضائه. وينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ١٣٨، ومجمع البيان ٢/ ٢٤.
(١٠) ينظر: لسان العرب ١٢/ ١٤١ (حكم).
(١١) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ٢٥٣ - ٢٥٤، والقرطبي ٢/ ٣٤١، والبيضاوي ١/ ٤٧٤.
(١٢) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ٢٥٤، ومعاني القرآن الكريم ١/ ١٠٣، وتفسير القرآن الكريم ١/ ٥٧٧ - ٥٧٨.
(١٣) ينظر: إعراب القرآن ١/ ٢٩٠، وتفسير البغوي ١/ ١٦٠، ولسان العرب ١١/ ٧٠٣ (هلل).
(١٤) في ب: لليلتين، وبعدها (من أول الشهر) ساقطة منها.
(١٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٥٩ - ٢٦٠، والتبيان في تفسير القرآن ٢/ ١٤٠، ومجمع البيان ٢/ ٢٦.." [١]

"ومجاهدة الكفار: المبالغة في قتالهم باستفراغ ما في الوسع (١).
﴿يرجون:﴾ يطمعون (٢).

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢٩٢/١

٢١٩ - ﴿يسئلونك عن الخمر والميسر:﴾ نزلت في ذكر سؤال عمر رضي الله عنه: ما هذه الخمر المضيعة لأموالنا المفسدة ذات بيننا؟ وفي سؤال بعضهم عن المال الذي يجب إنفاقه (٣).

وقيل: إن حمزة (٤٨ ظ) هو الذي سأل عن الخمر والميسر (٤). وقيل: اتخذ بعض الصحابة دعوة فيها سعد ابن أبي وقاص، فشربوا وتفاخروا وأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الأنصار، فشجه بعضهم، ثم ترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل (٥).

والخمر المجمع عليها عصير العنب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد (٦). واشتقاقها من الخمر وهو كل ما سترك من شجر أو نبات، ويقال: اختمرت المرأة، إذا لبست الخمار (٧).

وليس كل ما يخامر العقل خمرا، كما أنه ليس كل ما يبدع بدعة ولا كل ما يبحر بحيرة.

وقد روي عن ابن عباس: حرمت الخمر بعينها والسكر من كل شراب (٨).

وقال الحسن: تحريم الخمر ثبت بهذه الآية؛ لأن الإثم لا يكون إلا في تناول المحظور مع أن (٩) الله صرح تحريم الإثم بقوله: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي﴾ [الأعراف:٣٣] (١٠).

وقال قتادة: ثبت بآية المائدة وهو قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة:٩١] يدل على النهي (١١)، يدل عليه ما روي عن عمر أنه كره شرب الخمر فدعا فقال: اللهم بين لنا في الخمر، فنزل (١٢) قوله: ﴿فيهما إثم كبير﴾ [البقرة:٢١٩]، فدعا ثانيا فنزل قوله: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ [النساء:٤٣]، فدعا ثالثا فنزل قوله: ﴿فهل أنتم منتهون،﴾ فقال عمر:

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ٦/ ٣٩، وتفسير القرطبي ٣/ ٥٠، والبحر المحيط ٢/ ١٤٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ١/ ٢٩١ - ٢٩٢، وتفسير القرطبي ٣/ ٥٠.

(٣) ينظر: الوجيز ١/ ١٦٤ - ١٦٥، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٢٦٢.

(٤) لم أقف على هذا القول.

(٥) ساقطة من ب. وينظر: تفسير الطبري ٢/ ٤٩٣ - ٤٩٤، والبغوي ١/ ١٩١، والكشاف ١/ ٢٦٠.

(٦) ينظر: تفسير البغوي ١/ ١٩٢، والكشاف ١/ ٢٦١، والمحرر الوجيز ١/ ٢٩٢.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٩١، ومعاني القرآن الكريم ١/ ١٧٣، والمحرر الوجيز ١/ ٢٩٢.

(٨) شرح معاني الآثار ٤/ ٢١٤، والمعجم الكبير ١٢/ ٣٤. والسكر: المسكر، ينظر: إصلاح **غلط** المحدثين ١٣٨.

(٩) ساقطة من ب.

(١٠) ينظر: تفسير القرطبي ٣/ ٦٠.

(١١) ينظر: تفسير القرطبي ٣/ ٦٠ - ٦١.

(١٢) في ك: ونزل.." [1]

"مرة، وكني أنس أبا حمزة؛ لأنه (١) كان يجتني بقلة تسمى (٢) حمزة، ويقال للأرض: أم؛ لأنها مبتدأ الخلق، وقوله: ﴿فأمه هاوية﴾ [القارعة:٩]، أي: مآله، ويقال: ابن كذا، أي: مبلغ زمان بقائه، فسمي ابنا من غير ولادة.

٥٢ - ﴿فلما أحس:﴾ الإحساس من النفس كالعقل من الروح، وهو مستعمل في معنى الرؤية والسمع والعلم، كقوله: ﴿هل تحس منهم من أحد﴾ [مريم:٩٨]، وقوله: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء:١٠٢] (٣)، وقال صلى الله عليه وسلم لرجل: (متى أحسست أم ملدم؟) (٤) يعني: الحمى.

وقوله: ﴿من أنصاري﴾ على وجه الحث والإغراء (٥).

﴿إلى الله:﴾ كقوله: ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ [النساء:٢] (٦)، ويقال: الذود إلى (٧) الذود إبل (٨). وقيل (٩): من أنصاري في السبيل إلى مرضاته. وقيل: من أنصاري إلى الله، كقوله: ﴿هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق﴾ [يونس:٣٥] (١٠).

﴿الحواريون:﴾ قال ابن عباس: سموا بذلك لبياض ثيابهم، وكانوا يصطادون السمك، وكان أفضلهم شمعون الصفا، فقال لهم: هل تصحبونني (١١) فتصطادوا الناس؟ فآمنوا به. وعن

---

(١) في ع: لأن، والهاء ساقطة.

(٢) في ب: فسمى، وهو تحريف.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢١٦، وتفسير القرآن الكريم ٢/ ٧١، والتفسير الكبير ٨/ ٦٠.

(٤) مسند أحمد ٢/ ٣٦٦، ومسند أبي يعلى ١١/ ٤٣٢.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٣١٥/١

(٥) ينظر: التسهيل ١٠٨.

(٦) قال ابن عطية: «التقدير: من يضيف نصرته إلى نصرة الله لي؟ فيكون بمنزلة قوله: ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم فإذا تأملتها وجدت فيها معنى الغاية لأنها تضمنت إضافة شيء إلى شيء، وقد عبر عنها ابن جريج والسدي بأنها بمعنى (مع)، ونعم، إن (مع) تسد في هذه المعاني مسد (إلى) لكن ليس يباح من هذا أن يقال: إن (إلى) بمعنى (مع) حتى **غلط** في ذلك بعض الفقهاء في تأويل قوله تعالى: وأيديكم إلى المرافق [المائدة:٦] فقال: (إلى) بمعنى (مع) وهذه عجمة بل (إلى)، في هذه الآية، غاية مجردة، وينظر هل يدخل ما بعد (إلى) فيما قبلها من طريق آخر». المحرر الوجيز ١/ ٤٤٢.

(٧) ساقطة من ب.

(٨) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢١٨، وتفسير الطبري ٣/ ٣٨٦ - ٣٨٧، وتفسير القرآن الكريم ٢/ ٧٢.

(٩) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٤٧٣، والمحرر الوجيز ١/ ٤٤٢، والبحر المحيط ٢/ ٤٩٤.

(١٠) يريد أنها بمعنى اللام، ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٤٧٣، والتفسير الكبير ٨/ ٦٢، والبحر المحيط ٢/ ٤٩٤.

(١١) في ب: تصبحونني، وهو تحريف. وينظر: معاني القرآن الكريم ١/ ٤٠٦، وتفسير القرآن الكريم ٢/ ٧٣.." (١)

"﴿ووجد الله عنده:﴾ في المثل دون الممثل به.

٤٠ - ﴿لجي:﴾ منسوب إلى اللجة، وهي قاموس (١) البحر.

﴿إذا أخرج يده:﴾ مسند إلى ﴿الظمآن﴾ [النور:٣٩]، كأنه ابتلي بالسراب مرة، وبالظلام أخرى. وقيل: مسند إلى مضمر. وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: ظلمات بعضها فوق بعض، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور إذا أخرج يده لم يكد يراها.

عن عبد الله بن المسور (٢) قال: تلا رسول الله عليه السلام: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ [الأنعام:١٢٥]، قالوا: يا رسول الله، ما هذا الشرح؟ قال: «يقذف به في القلب»، قالوا: يا رسول الله (٣)، هل لذلك من (٤) أمارة يعرف بها؟ قال: «نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤٠٠/١

الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت». (٥)

٤١ - ﴿ألم تر أن الله يسبح له:﴾ اتصالها من حيث اعتبار ﴿الله نور السماوات. . .﴾.
﴿والطير:﴾ معطوف على ﴿من في السماوات والأرض،﴾ رفع بالتسبيح.
﴿صافات:﴾ نصب على الحال، وصف الطائر: إذا بسط (٢٣٧ ظ) جناحه وحلق، ولم يقبضها، وتخصيص هذه الحالة لقرار الطائر عليها في مكان واحد من الجو، أو لحسنه عليها في رأي العين. وقيل: المراد بها الاصطفاف والانتظام في خط كالكركي ونحوها.
والهاء في ﴿صلاته وتسبيحه﴾ عائد إلى الله تعالى. وقيل: إلى ﴿كل.﴾ (٦)

٤٣ - ﴿ثم يؤلف بينه:﴾ أي: بين أجزائه، فيجعله ركاما.
﴿فترى الودق:﴾ المطر.
﴿من برد:﴾ هو القطر الجامد. قيل: ينزل من السماء بردا من جبال في السماء الدنيا. (٧)
من جبال من برد قد فنينا، وجبل باق إلى يوم القيامة

---

(١) قاموس البحر: أي قعره الأقصى، وقيل: وسطه ومعضمه. لسان العرب ٦/ ١٨٣.
(٢) أبو جعفر عبد الله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب، تابعي صغير، أرسل شيئا فذكره بعضهم في الصحابة، وهو غلط، كذبوه. ينظر: الطبقات الكبرى ٧/ ٣١٩، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٠٠، والإصابة ٣/ ١٤١.
(٣) (ما هذا الشرح؟. . . قالوا: يا رسول الله)، ساقط من أ.
(٤) ساقطة من أ.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨٧٣)، وينظر: طبقات المحدثين بأصبهان ١/ ٤٢٥، وأبو تاريخ أصبهان ٣٦٠ عبد الله بن المسور عن أبيه.
(٦) ينظر: الدر المصون ٥/ ٢٢٥، واللباب في علوم الكتاب ١٤/ ٤١٠، وحاشية الصاوي على الجلالين ٤/ ٢٠٠.

(٧) ينظر: تفسير الماوردي ٤/ ٣٣، وتفسير البيضاوي ٢/ ١١٠، وحاشية الصاوي على الجلالين ٤/ ٢٠٠، وفتح البيان ٩/ ٢٤٣.." [(١)]

"﴿عطلت:﴾ تركت وأهملت. (١)

٥ - و ﴿الوحوش:﴾ جمع وحش، وهو ما توحش من الصيد.

٨ - ﴿الموؤدة:﴾ المدفونة قبل الموت. (٢) قيل: وأد البنات من المكرمات. (٣)

﴿سئلت:﴾ كسؤال عيسى عليه السلام. (٤)

١١ - ﴿كشطت:﴾ نحيت عنها. (٥)

١٦ - عن عمرو بن شرحبيل: ﴿الجوار الكنس:﴾ الظباء تكنس بالنهار من الحر في الكن تسكن. وقال الفراء (٦) وغيره (٧): وهي النجوم الخمسة في الكناس، وهو بيت الظباء.

١٧ - ﴿والليل إذا عسعس:﴾ أقبل. (٨) وقيل: أدبر. (٩) من الأضداد، (١٠) وعسعست السحابة إذا دنت من الأرض بالليل. (١١)

١٨ - ﴿والصبح إذا تنفس:﴾ انفلق، من قولهم: تنفست القوس إذا انشقت. (١٢)

---

(١) ينظر: الكشاف ٤/ ٧٠٨، وتفسير البيضاوي ٥/ ٢٨٩، والكليات ٦٦٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩٠، وزاد المسير ٨/ ٢٠٨.

(٣) يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ٢/ ٣٦٤، والكتاني في تنزيه الشريعة ٢/ ٣٧٢ «دفن البنات من المكرمات».

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩٠، والكشاف ٤/ ٧٠٩، وزاد المسير ٨/ ٢٠٩.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ٤٨٢، والمصباح المنير ٢/ ٥٣٤.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٣٦٨/٢

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٢.

(٧) ينظر: تفسير غريب القرآن ٥١٧،

(٨) تفسير الصنعاني ٣/ ٣٥٢، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٤٣٤، وتفسير الثعلبي ١٠/ ١٤١ عن الحسن، وتفسير السمرقندي ٣/ ٥٣ عن الزجاج.

(٩) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٣، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٦١، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٤٣٤ عن الفراء. وقال الفراء: اجتمع المفسرون على هذا المعنى. قال النحاس: وهذا غلط.

(١٠) غريب القرآن للسجستاني ٣٤٠، وغريب الحديث للخطابي ٢/ ١٨٤، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٤٣٤ عن أبي حاتم وقطرب، والنهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٣٦.

(١١) ينظر: العين ١/ ٧٤، ولسان العرب ٦/ ١٤٠.

(١٢) ينظر: تهذيب اللغة ٤/ ٣٦٣٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٠.." [1]

"٥٧ - الاشتقاق: ابن دريد، محمد بن الحسن، ت ٣٢١ هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٢، مكتبة المثنى، بغداد،١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م.

٥٨ - الإشراف في منازل الأشراف: لأبي عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا (٢٨١ هـ)، تحقيق: د. نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١١ هـ-١٩٩٠ م.

٥٩ - الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، ت ٨٥٢ هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م.

٦٠ - الإصابة في تمييز الصحابة: تأليف شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، المعروف بابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان، ١٣٢٨ هـ. (أ)

٦١ - إصلاح المنطق: ابن السكيت، أبو يوسف، يعقوب بن إسحق، ت ٢٤٤ هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، ط ٤، دار المعارف، القاهرة،١٩٤٩ م.

٦٢ - إصلاح **غلط** المحدثين: أبو سليمان الخطابي البستي، حمد بن محمد بن إبراهيم، ت ٣٨٨ هـ، تحقيق: د. محمد علي عبد الكريم الرديني، ط ١، دار المأمون للتراث، دمشق،١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م.

٦٣ - أصول السرخسي: أبو بكر، محمد بن أحمد بن أبي سهل، ت ٤٩٠ هـ، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني،

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٦٩٢

ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م.
٦٤ - أصول الشاشي: أبو علي، أحمد بن محمد بن إسحق، ت ٣٤٤ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م.
٦٥ - الأضداد: ابن السكيت، نشر أوغست هفنر، (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد)، بيروت، ١٩١٣ م.
٦٦ - الأضداد: الأصمعي، عبد الملك بن قريب، ت ٢١٦ هـ، نشر أوغست هفنر، (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد)، بيروت،١٩١٣ م.
٦٧ - أطراف الغرائب والأفراد: المقدسي، تحقيق:
محمود حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٨ - اعتقاد أهل السنة: اللالكائي، أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور، ت ٤١٨ هـ، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض،١٤٠٢ هـ.
٦٩ - اعتقاد أهل السنة: لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (٤١٨ هـ)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض،١٤٠٢ هـ.
٧٠ - الاعتقاد: البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين، ت ٤٥٨ هـ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، ط ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت،١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م.
٧١ - إعجاز القرآن: الباقلاني، أبو بكر، محمد بن الطيب، ت ٤٠٣ هـ، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، (لا، ت).
٧٢ - إعراب القراءات السبع وعللها: ابن خالويه، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٤١٣ هـ -١٩٩٢ م.
٧٣ - إعراب القراءات السبع وعللها: الحسين بن أحمد ابن خالويه (٣٧٠ هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢ م.
٧٤ - إعراب القراءات الشواذ: أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين، ت ٦١٦ هـ، تحقيق: السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م.
٧٥ - إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش، اليمامة ودار ابن كثير، دمشق، ط ٥، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦

م.

٧٦ - إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل، ت ٣٣٨ هـ، تحقيق:." [١]

"سورة الأنعام (١) ، فقال: "وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر" (الأنعام -١٤٦) .

ونظم الآية: فبظلم من الذين هادوا وهو ما ذكرنا، ﴿وبصدهم﴾ وبصرفهم أنفسهم وغيرهم، ﴿عن سبيل الله كثيرا﴾ أي: عن دين الله صدا كثيرا.

﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما (١٦١) لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما (١٦٢) ﴾

﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾ في التوراة ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ من الرشا في الحكم، والمآكل التي يصيبونها من عوامهم، عاقبناهم بأن حرمنا عليهم طيبات، فكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شيء من الطيبات التي كانت حلالا لهم، قال الله تعالى: "ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون" (الأنعام -١٤٦) ، ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾

﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾ يعني: ليس كل أهل الكتاب بهذه الصفة، لكن الراسخون البالغون في العلم أولو البصائر منهم، وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿والمؤمنون﴾ يعني: المهاجرون والأنصار، ﴿يؤمنون بما أنزل إليك﴾ يعني: القرآن، ﴿وما أنزل من قبلك﴾ يعني: سائر الكتب المنزلة، ﴿والمقيمين الصلاة﴾ اختلفوا في وجه انتصابه، فحكي عن عائشة ٩٩/ب رضي الله عنها وأبان بن عثمان: أنه **غلط** من الكاتب ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة وكذلك قوله في سورة المائدة "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون" (المائدة -٦٢) ، وقوله "إن هذان لساحران" (طه - ٦٣) قالوا: ذلك خطأ من الكاتب (٢) .

---

(١) انظر فيما سيأتي تفسير الآية في سورة الأنعام.

(٢) رد الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله هذا القول من وجوه عديدة، فقال: "لو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ. مع

---

[١] درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٧٥٢/٢

أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بألسنتهم ولقنوه الأمة تعليما على وجه الصواب. وفي نقل المسلمين جميعا ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوما أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنع في ذلك للكاتب" تفسير الطبري: ٩ / ٣٩٧ - ٣٩٨ بتعليق الشيخ شاكر. وانظر: الاتقان للسيوطي: ٢ / ٣٢٠ - ٣٢١ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.." (١)

"و ﴿إلى﴾ صلة، والحواريون خواص أصحاب عيسى عليه السلام، ﴿أن آمنوا بي وبرسولي﴾ [عيسى] (١) ﴿قالوا﴾ حين وافقتهم ﴿آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾

﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢) قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين (١١٣) قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (١١٤) قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾

إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك (١١٥)

قرأ الكسائي "هل تستطيع" بالتاء "ربك" بنصب الباء وهو قراءة علي وعائشة وابن عباس ومجاهد، أي: هل تستطيع أن تدعو وتسأل ربك، وقرأ الآخرون "هل يستطيع" بالياء و"ربك" برفع الباء، ولم يقولوه شاكين في قدرة الله عز وجل، ولكن معناه: هل ينزل ربك أم لا؟ كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنه يستطيع، وإنما يريد هل يفعل ذلك أم لا وقيل: يستطيع بمعنى يطيع، يقال: أطاع واستطاع بمعنى واحد، كقولهم: أجاب واستجاب، معناه: هل يطيعك ربك بإجابة سؤالك؟ وفي الآثار من أطاع الله أطاعه الله، وأجرى بعضهم على الظاهر ١١٤/ب فقالوا: **غلط** القوم، وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشرا، فقال لهم عيسى عليه السلام عند الغلط، استعظاما لقولهم ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ أي: لا تشكوا في قدرته.

﴿أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ المائدة الخوان الذي عليه الطعام، وهي فاعلة من: ماده يميده إذا أعطاه وأطعمه، كقوله ماره يميره، وامتاد: افتعل منه، والمائدة هي المطعمة للآكلين الطعام، وسمي الطعام أيضا

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٠٩/٢

مائدة على الجواز، لأنه يؤكل على المائدة، وقال أهل الكوفة: سميت مائدة لأنها تميد بالآكلين، أي: تميل. وقال أهل البصرة: فاعلة بمعنى المفعول، أي تميد بالآكلين إليها، كقوله تعالى (عيشة راضية) أي: مرضية، ﴿قال﴾ عيسى عليه السلام مجيبا لهم: ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ فلا تشكوا في قدرته، وقيل: اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم يسأله الأمم قبلكم، فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان.

---

(١) ساقط من "ب".." (١)

"أن تكتب لي أمانا إن أنت ملكت يوما من الدهر [فقال: تسخر مني؟ فقال: إني لا أسخر منك، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يدا فكتب له أمانا وقال: أرأيت] (١) إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك، قال: ترفع صحيفتك على قصبة فأعرفك فكتب له وأعطاه ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه وأنه هوي ابنة امرأته وقال ابن عباس: ابنة أخته فسأل يحيى بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى بن زكريا وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها الحلي وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه، فإن أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فإذا أعطاها سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في طست ففعلت، فلما أرادها قالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال: ما تسأليني؟ قالت: رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست، فقال: ويحك سليني غير هذا، فقالت: ما أريد إلا هذا فلما أبت عليه بعث فأتي برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم ويقول: لا تحل لك فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فرقى الدم يعني صعد الدم يغلي ويلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي، فبعث صخابين ملك بابل جيشا إليهم وأمر عليهم بختنصر فسار بختنصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم فلما اشتد عليهم المقام أراد الرجوع فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل فقالت: تريد أن ترجع قبل المدينة؟ قال: نعم قد طال مقامي وجاع أصحابي قالت: أرأيت إن فتحت لك المدينة تعطيني ما أسألك فتقتل من أمرتك بقتله وتكف إذا أمرتك أن تكف؟ قال: نعم، قالت: إذا أصبحت تقسم جندك أربعة أرباع ثم أقم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا: إنا نستفتحك يا ألله بدم يحيى بن زكريا فإنها سوف تتساقط ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها، فقالت: كف يدك وانطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا وقالت: اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن، فلما

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١١٧/٣

سكن قالت: كف يدك فإن الله لم يرض إذا قتل نبي حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته فخرب بيت المقدس وطرح فيه الجيف وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا وذهب معه بوجوه بني إسرائيل وذهب بدانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بابل وجد صخابين قد مات فملك مكانه وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه فحسدهم المجوس ووشوا بهم إليه وقالوا: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك فسألهم فقالوا: أجل إن لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم، فأمر الملك بخد فخد لهم فألقوا فيه وهم ستة وألقى معهم بسبع ضار ليأكلهم فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه معهم لم يخدش منهم أحدا ووجدوا معهم رجلا سابعا فقال: ما هذا السابع إنما كانوا ستة فخرج السابع وكان ملكا فلطمه لطمة فصار في الوحوش ومسخه الله سبع سنين.

وذكر وهب: أن الله مسخ بختنصر نسرا في الطير ثم مسخه ثورا في الدواب ثم مسخه أسدا في الوحوش فكان مسخه سبع سنين وقلبه في ذلك قلب إنسان ثم رد الله إليه ملكه فآمن فسئل وهب أكان مؤمنا؟ فقال وجدت أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مؤمنا ومنهم من قال أحرق بيت المقدس وكتبه وقتل الأنبياء فغضب الله عليه فلم يقبل توبته.

وقال السدي: ثم إن بختنصر لما رجع إلى صورته بعد المسخ ورد الله إليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس وقالوا لبختنصر: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا وقال للبواب: انظر أول من يخرج ليبول فاضربه بالطبرزين فإن قال أنا بختنصر فقل كذبت بختنصر أمرني فكان أول من قام للبول بختنصر فلما رآه البواب شد عليه فقال: ويحك أنا بختنصر فقال: كذبت بختنصر أمرني فضربه فقتله هذا ما ذكره في المبتدأ إلا أن رواية من روى أن بختنصر غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا **غلط** عند أهل السير بل هم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعياء في عهد أرمياء ومن وقت أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة وإحدى وستون سنة، ٢٠٧/ب وذلك أنهم كانوا يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمارته في عهد كيرش بن أخشورش بن أصيهيد ببابل من قبل بهمن بن إسفنديار [سبعين سنة ثم من بعد عمارته إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس ثمان وثمانون سنة ثم من بعد مملكته] (٢) إلى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وستون سنة.

والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق.

قوله عز وجل: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أي: أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتب أنهم سيفسدون.

والقضاء على وجوه: يكون أمرا، كقوله: "وقضى ربك" (الإسراء-٢٣) .

ويكون حكما، كقوله: "إن ربك يقضي بينهم" (يونس-٩٣، والنحل-٧٨) .

ويكون خلقا كقوله: "فقضاهن سبع سماوات" (فصلت-٢) .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٢) ما بين القوسين ساقط من "ب".." (١)

"فروى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أنه خطأ من الكاتب (١) .

وقال قوم: هذه لغة الحارث بن كعب، وخثعم، وكنانة، فإنهم يجعلون الاثنين في الرفع والنصب والخفض بالألف، يقولون: أتاني الزيدان [ورأيت الزيدان] (٢) ومررت بالزيدان، [فلا يتركون] (٣) ألف التثنية في شيء منها (٤) وكذلك يجعلون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفا، كما في التثنية، يقولون: كسرت يداه وركبت علاه، يعني يديه وعليه. وقال شاعرهم (٥) تزود مني بين أذناه ضربة ... دعته إلى هابي التراب عقيم يريد بين أذنيه.

وقال آخر (٦) إن أباها وأبا أباها ... قد بلغا في المجد غايتاها

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": ١٥ / ٢٥٢ - ٢٥٦: " وهذا الكلام ممتنع لوجوه: منها: تعدد المصاحف واجتماع جماعة على كل مصحف، ثم وصول كل مصحف إلى بلد كبير فيه كثير من الصحابة والتابعين +يقرءون القرآن، ويعتبرون ذلك بحفظهم، والإنسان إذا نسخ مصحفا **غلط** في بعضه عرف غلطه بمخالفة حفظة القرآن وسائر المصاحف، فلو قدر أنه كتب كاتب مصحفا ثم نسخ سائر الناس منه من غير اعتبار للأول والثاني أمكن وقوع +الغلط في هذا، وهنا كل مصحف إنما كتبه جماعة، ووقف عليه خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقل منهم، ولو قدر أن الصحيفة كان فيها لحن فقد كتب منها جماعة لا يكتبون إلا بلسان قريش، ولم يكن لحنا، فامتنعوا أن يكتبوه بلسان قريش، فكيف يتفقون كلهم على أن يكتبوا: "إن هذان" وهم يعلمون أن ذلك لحن لا يجوز في شيء من لغاتهم، كما زعم

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٥/٧٧

بعضهم؟! ... وأيضا: فإن القراء إنما قرأوا بما سمعوه من غيرهم، والمسلمون كانوا +يقرءون سورة "طه" على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهي من أول ما نزل من القرآن، وهي مكية باتفاق الناس. . فالصحابة لابد أن +قرءوا هذا الحرف، ومن الممتنع أن يكونوا كلهم +قرءوه بالياء كأبي عمرو، فإنه لو كان كذلك لم يقرأها أحد إلا بالياء فعلم أنهم أو غالبهم كانوا +يقرءونها بالألف كما قرأها الجمهور. . . فهذا مما يعلم به قطعا أن عامة الصحابة إنما +قرءوها بالألف كما قرأ الجمهور، وكما هو مكتوب. . . ". وانظر فيما سبق تعليقا: ٢ / ٣٠٩ - ٣١٠ والمراجع المشار إليها هناك، وراجع: زاد المسير: ٥ / ٢٥١ - ٢٥٢.

(٢) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٣) ساقط من: "أ".

(٤) وهذه اللغة وافقتها لغة قريش. وانظر بالتفصيل والشواهد الشعرية في: تفسير الطبري: ١٦ / ١٨٠ - ١٨١، والبحر المحيط: ٦ / ٢٥٥، زاد المسير لابن الجوزي: ٥ / ٢٩٨، التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٢ / ٨٩٥، شرح الكافية الشافية لابن مالك الطائي: ١ / ١٨٨ - ١٩٠.

(٥) تفسير القرطبي: ١١ / ٢١٧.

(٦) ينسب هذا الرجز إلى أبي النجم العجلي (الفضل بن قدامة) كما ينسب إلى رؤية بن العجاج، وأنشده أبو زيد في "نوادر اللغة". عن المفضل الضبي قال: أنشدني أبو الغول لبعض أهل اليمن. . . انظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك: ١ / ١٨٤ مع التعليق.." [١]

"الغنم فوقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة، فلم يزل يحكها حتى نغل لحمه، وتقطع وتغير وأنتن، وأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة، وجعلوا له عريشا، فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته، وهي رحمة بنت أفراثيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه، فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم: يقن ويلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه، فلما طال به البلاء انطلقوا إليه فبكتوه ولاموه وقالوا له: تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به، قال: وحضره معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه، فقال لهم: إنكم تكلمتم أيها الكهول، وكنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم، ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم، وقد كان لأيوب عليكم

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٨١/٥

من الحق والذمم أفضل من الذي وصفتم، فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم، ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم؟ ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الأرض إلى يومكم هذا، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله من أمره على أنه قد سخط عليه شيئا من أمره منذ آتاه الله ما آتاه إلى يومك هذا، ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها، ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم، ولكنه كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن [يعذل] (١) أخاه عند البلاء، ولا يعيره بالمصيبة، ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكنه يرحمه ويبكي معه، ويستغفر له، ويحزن لحزنه، ويدله على مراشد أمره، وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا، فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله، وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم، ويكسر قلوبكم، ألم تعلموا أن لله عبادا أسكتتهم خشية من غير عي ولا بكم، وأنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألباء العالمون بالله، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم، واقشعرت جلودهم، وانكسرت قلوبهم، وطاشت عقولهم إعظاما وإجلالا لله عز وجل، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين، وإنهم لأبرار برءاء، ومع المقصرين والمفرطين، وإنهم لأكياس أقوياء، فقال أيوب: إن الله عز وجل يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان، وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة، وإذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه عليه نور الكرامة، ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا إليه، فقال رب لأي شيء خلقتني ليتني إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت، والعمل الذي عملت، فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي الكرام، فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا، وللمسكين قرارا، ولليتيم وليا، وللأرملة قيما، إلهي أنا عبدك إن أحسنت فالمن لك، وإن أسأت فبيدك عقوبتي، جعلتني +عرضا، وللفتنة نصبا، وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي وإن قضاءك هو الذي أذلني، وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي، ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي بما كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي، ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه،

لا نظر إلي فيرحمني، ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم ٢٠/أعن نفسي (٢) فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب أليم، ثم نودي يا أيوب إن الله عز وجل يقول: ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا قم فأدل بعذرك، وتكلم ببراءتك، وخاصم عن نفسك، واشدد إزرك، وقم مقام جبار يخاصم جبارا إن استطعت، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، لقد +منتك نفسك يا أيوب أمرا ما تبلغ بمثل قوتك، أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها، هل كنت معي تمد بأطرافها؟ وهل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها؟ حتى تبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ أين أنت مني يوم نبعث الأنهار وسكرت البحار، أسلطانك حبس أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال؟ هل تدري على أي شيء أرسيتها؟ وبأي مثقال وزنتها؟ أم هل لك من ذراع تطيق حملها؟ أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء؟ أم هل تدري من أي شيء أنشيء السحاب؟ أم هل تدري أين خزائن الثلج؟ أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار [وخزانة النهار بالليل] (٣) ؟ وأين خزانة الريح؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار؟ ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته؟ وقسم الأرزاق بحكمته؟ في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لأيوب، فقال أيوب: صغر شأني وكل لساني وعقلي ورائي وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي تعرض لي يا إلهي، قد علمت أن كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية إذ لقيني البلاء، يا إلهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي أنطقني، فليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت مني فلن أعود، وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدي، أعوذ بك اليوم منك وأستجيرك من جهد البلاء فأجرني، وأستغيث بك من عقابك فأغثني، وأستعين بك على أمري فأعني، وأتوكل عليك فاكفني، وأعتصم بك فاعصمني، وأستغفرك فاغفر لي، فلن أعود لشيء تكرهه مني، قال الله تعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلقت آية، وتكون عبرة لأهل البلاء

وعزاء للصابرين، فارڪض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن أصحابك قربانا فاستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك، فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء، ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة مترددة (٤) ثم قالت: يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان هاهنا؟ قال لها: هل تعرفينه إذا رأيتيه؟ قالت: نعم وما لي لا أعرفه، فتبسم وقال: أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته. قال ابن عباس: فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد (٥) .

فذلك قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر﴾ واختلفوا في وقت ندائه والسبب الذي قال لأجله: إني مسني الضر، وفي مدة بلائه.

روى ابن شهاب عن أنس يرفعه أن أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة (٦) .

وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما (٧) .

وقال كعب: كان أيوب في بلائه سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام.

وقال الحسن: مكث أيوب مطروحا على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب على ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ابتلائه (٨) فصرخ إبليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الأرض، فلما اجتمعوا إليه قالوا: له حزنك؟ قال أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزد إلا صبرا، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه إلا امرأته، فاستعنت بكم لتعينوني عليه، فقالوا له أين مكرك الذي أهلكت به من مضى؟ قال: بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي قالوا نشير عليك، من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة؟ قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها، قال: أصبتم، فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده، فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا، قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت فأتاها بسخلة وقال ليذبح هذه لي أيوب ويبرأ، فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك، أين المال، أين الولد، أين الصديق، أين لونك الحسن، أين جسمك [الحسن] (٩) اذبح هذه السخلة واسترح، قال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك أرأيت ما تبكين ٢٠/ب عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه؟ قالت

الله، قال فكم متعنا به؟ قالت ثمانين سنة، قال فمنذ كم ابتلانا؟ قالت منذ سبع سنين وأشهر، قال ويلك

---

(١) في "ب" يعتزل.

(٢) أخرجه الطبري: ١٧ / ٦٥ -٦٨ دون أن يعلق بشيء على ما في الرواية من الإسرائيليات كما قال صاحب أضواء البيان: ٤ / ٦٨١، ومنها ما ذكره جماعة من المفسرين: أن الله سلط الشيطان على ماله وأهله ابتلاء لأيوب، فأهلك الشيطان ماله وولده، ثم سلطه على بدنه ابتلاء له فنفخ في جسده نفخة اشتعل منها، فصار في جسده ثآليل، فحكمها بأظافره حتى دميت، ثم بالفخار حتى تساقط لحمه، وعصم الله قلبه ولسانه (وغالب ذلك من الإسرائيليات) انتهى. وقال الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣٩١ - ٣٩٢) بعد أن ساق عدة روايات في ابتلاء أيوب عليه السلام: والمحققون من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم - صلى الله عليه وسلم - إما من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، وأن ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل وافترائهم على الأنبياء. . . ثم قال: وقد دلك كتاب الله الصادق، على لسان نبيه محمد الصادق على أن الله - تبارك وتعالى - ابتلى نبيه: أيوب - عليه السلام - في جسده، وأهله، وماله وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال في ذلك. . . والذي يجب أن نعتقده أنه ابتلى، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام وأن جسمه أصبح قرحة، وأنه ألقي على كناسة بني إسرائيل، يرعى في جسده الدود، وتعبث به دواب بني إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض الجدري، وأيوب - عليه صلوات الله وسلامه - أكرم على الله من أن يقلى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقززهم منه، وأي فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله.

(٣) زيادة من "ب".

(٤) متلددة: متلفتة يمينا وشمالا.

(٥) أخرجه الطبري: ١٧ / ٦٨ - ٦٩.

(٦) أخرجه الحاكم: ٢ / ٥٨١ إلا أنه ذكر مدة البلاء خمس عشرة سنة، وابن حبان في موارد الظمآن ص ٥١١، وعزاه السيوطي: ٥ / ٦٥٩ لابن أبي الدنيا وأبي يعلي وابن جرير وابن أبي حاتم، وذكره ابن كثير ٣ / ١٨٩ من رواية ابن أبي حاتم عن أنس ابن مالك وقال: رفع هذا الحديث غريب جدا.

(٧) أخرجه الطبري: ١٧ / ٦٦.

(٨) أخرجه الطبري: ١٧ / ٦٩.
(٩) في "ب" الصحيح.." [(١)]
"كقوله تعالى: (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) . وقوله تعالى: (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه) . وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات: «١»
تطاول ليلك بالإثمد ... ونام الخلى ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذى العائر الأرمد
وذلك من نبإ جاءنى ... وخبرته عن أبى الأسود «٢»
وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد. ومما اختص به هذا الموضع: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به. فإن قلت: لم قرنت الاستعانة بالعبادة؟
قلت: ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته.
فإن قلت: فلم قدمت العبادة على الاستعانة؟ «٣» قلت: لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة

---

(١) . قال محمود رحمه الله: «وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات ... الخ» . قال أحمد رحمه الله: يعنى أنه ابتدأ بالخطاب ثم التفت إلى الغيبة، ثم إلى التكلم وعلى هذا فهما التفاتان لا غير، وإنما أراد الزمخشري والله أعلم أنه أتى بثلاثة أساليب: خطاب لحاضر، وغائب، ولنفسه، فوهم بقوله ثلاث التفاتات، أو تجعل الأخير ملتفتا التفاتين عن الثاني وعن الأول فيكون ثلاثا، والأمر فيه سهل.
(٢) . لامرئ القيس بن حجر الجاهلى، وقال ابن هشام: هو غلط، وقائله امرؤ القيس بن عابس الصحابي، وقيل لعمرو بن معديكرب، والأثمد كأحمد، وقد تضم ميمه، وقد يروى بكسرها: اسم موضع، والعائر اسم جامد يطلق على قذى تدمع منه العين، وعلى الرمد، وعلى كل ما أعل العين، وفي الشعر ثلاث التفاتات،

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٥/٣٤٠

لكن الأول على مذهب السكاكي فقط: وهو أنه كان الظاهر التعبد بطريق التكلم فالتفت إلى الخطاب وذلك في البيت الأول.

والثاني: عدوله عن الخطاب إلى الغيبة في الثاني. والثالث: التفاته عن الغيبة إلى التكلم في الثالث. والجمهور يجعلون الأول من قبيل التجريد. وأبو الأسود: كنية صاحب الشاعر الذي يرثيه، وقيل هو المخبر واسمه ظالم بن عمرو وهو عم امرئ القيس. وقيل أبى مضاف لياء المتكلم والأسود صفته، ويروى: عن بنى الأسود.

(٣) . قال محمود رحمه الله: «فان قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة ... الخ» . قال أحمد: معتقد أهل السنة أن العبد لا يستوجب على ربه جزاء- تعالى الله عن ذلك- والثواب عندنا- من الاعانة في الدنيا على العبادة ومن صنوف النعيم في الآخرة- ليس بواجب على الله تعالى، بل فضل منه وإحسان. وفي الحديث «أنه عليه الصلاة والسلام قال:

لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» مضافا إلى دليل العقل المحيل أن يجب على الله تعالى شيء، لكن قام الدليل عقلا وشرعا على أنه تعالى لا يجب عليه شيء، فقد قام عقلا وشرعا على أن خبره تعالى صدق ووعده حق، أى يجب عقلا أن يقع، فاما أن يكون الزمخشري تسامح في إطلاق الاستيجاب وأراد وجوب صدق الخبر، وإما أن يكون أخرجه على قواعد البدعية في اعتقاد وجوب الخير على الله تعالى وإن لم يكن وعد.." (١)

"كان سبب هذا الأثر؟ قلت: فيه قولان: أحدهما أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه. وقيل: إنه جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل: انزل حتى يغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه، ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر، فبقى أثر قدميه عليه. ومعنى (ومن دخله كان آمنا) معنى قوله: (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام (رب اجعل هذا البلد آمنا) وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب. وعن عمر رضى الله عنه «لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه» «١» وعند أبى حنيفة: من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنى فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له، إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج. وقيل: آمنا من النار. وعن النبي صلى الله عليه وسلم «من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة «٢» آمنا» وعنه عليه الصلاة والسلام «الحجون والبقيع

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١/ ١٤

يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة «٣» » وهما مقبرتا مكة والمدينة. وعن ابن مسعود: وقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة، فقال «يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر، يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر «٤» » وعن النبي صلى الله عليه وسلم «من صبر على حر مكة ساعة من نهار، تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي «٥»
عام» (من)

---

(١) . أخرجه عبد الرزاق في كتاب الحج من مصنفه وأبو الوليد الأزرقى في تاريخ مكة من طريقه عن ابن جريج، سمعت ابن أبى حسين عن عكرمة بن خالد قال قال عمر بهذا وهذا منقطع.
(٢) . قال إسحاق: أخبرنا عيسى ابن يونس حدثنا ثور بن يزيد حدثني شيخ عن أنس به. ورواه البيهقي في الشعب من طريق ابن أبى فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي عن أنس به وزاد «من زارني محتسبا إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة» وأخرجه أبو داود الطيالسي تاما من حديث عمر رضى الله عنه بإسناد فيه ضعف، وهو مجهول، وقال عبد الرزاق في مصنفه، أخبرنا يحيى بن العلاء وغيره، وغالب بن عبيد الله يرفعه، فذكره، ويحيى وغالب ضعيفان جدا وأخرجه الدارقطني من رواية هارون بن أبى قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب بتمامه، وهو معلول «ورواه الطبراني في الأوسط والصغير، من وجهين عن عبد الله بن المؤمل عن أبى الزبير عن جابر دون الزيادة، وأورده ابن عدى في ترجمة عبد الله بن المؤمل: وأخرجه البيهقي في الشعب والطبراني من حديث عبد الغفور ابن سعيد الأنصارى عن أبى هاشم الرماني عن زاذان عن سلمان قال البيهقي عبد الغفور ضعيف، وقد روى بإسناد أحسن من هذا، ثم ذكر طريق عبد الله بن المؤمل، وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق عبد الغفور ونقل عن ابن حبان أنه قال: كان يضع الحديث. قلت: وهذا من غلط ابن الجوزي في تصرفه فانه لم يختص بعبد الغفور
(٣) . لم أجده.
(٤) . لم أجده.
(٥) . هكذا ذكره أبو الوليد الأزرقى في تاريخ مكة، لكن بغير إسناد. وقد أخرجه العقيلي في الضعفاء في ترجمة الحسن بن رشيد عن ابن جريج عن عطاه عن ابن عباس رفعه «من صبر في حر مكة ساعة باعد الله منه جهنم سبعين خريفا، وقال هذا باطل، لا أصل له، والحسن بن رشيد يحدث بالمناكير. وأورده أبو

شجاع في الفردوس من حديث أنس، بلفظ «تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة مائة عام» .." (١)

"استطاع بدل من الناس. وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة «١» ، وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه أكثر العلماء. وعن ابن الزبير: هو على قدر القوة. ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه. وعنه: ذلك على قدر الطاقة، وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر، وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا راحلة، وعن الضحاك: إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع. وقيل له في ذلك فقال: إن كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه؟ بل كان ينطلق إليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج. والضمير في إليه للبيت أو للحج. وكل مأتى إلى الشيء فهو سبيل إليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد ومنها قوله: (ولله على الناس حج البيت) «٢» يعنى أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته. ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلا، وفيه ضربان من التأكيد: أحدهما أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له، والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين. ومنها قوله: (ومن كفر) مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا» «٣» ونحوه من التغليظ «من ترك الصلاة متعمدا

---

(١) . أخرجه الترمذي وابن ماجة، من حديث عمر، بلفظ السبيل الزاد والراحلة» فيه ابراهيم بن يزيد الجوزي وهو ضعيف والحاكم من حديث أنس، وهو معلول. وأخرجه الدارقطني والحاكم من رواية قتادة عن أنس، لكن قال البيهقي: الصواب عن قتادة عن الحسن مرسلا، وأخرجه ابن ماجة عن عباس، وإسناده ضعيف، والصحيح عنه قوله، كما أخرجه ابن المنذر. وقال: لا يثبت مرفوعا. وفي الباب عن على وابن مسعود. وعائشة وجابر وعبد الله ابن عمر. وأخرجها الدارقطني بأسانيد ضعيفة. [.....]

(٢) . قال محمود: «وفي الكلام أنواع من التوكيد منها قوله: (ولله على الناس) أى في رقابهم لا ينفكون عنه ...

الخ» قال أحمد: قوله «إن المراد بمن كفر من ترك الحج وعبر عنه بالكفر تغليظا عليه» فيه نظر، فان قاعدة أهل السنة توجب أن تارك الحج لا يكفر بمجرد تركه قولا واحدا، فيتعين حمل الآية على تارك الحج

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٨٩/١

جاحدا لوجوبه، وحينئذ يكون الكفر راجعا إلى الاعتقاد لا إلى مجرد الترك. وأما الزمخشري فيستحل ذلك لأن تارك الحج بمجرد الترك يخرج من ربقة الايمان ومن اسمه ومن حكمه، لأنه عنده غير مؤمن ومخلد تخليد الكفار. وعلى قاعدة السنة يتعين المصير إلى ما ذكرناه، هذا إن كان المراد بمن كفر من ترك الحج. ويحتمل أن يكون استئناف وعيد للكافر، فيبقى على ظاهره والله أعلم.
(٣) . أخرجه الترمذي من رواية هلال بن عبد الله الباهلي: حدثنا أبو إسحاق عن الحارث عن على رفعه «من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا» وقال: غريب وفي إسناده مقال.
وهلال بن عبد الله مجهول. والحارث يضعف. وأخرجه البزار من هذا الوجه. وقال: لا نعلمه عن على إلا من هذا الوجه وأخرجه ابن عدى والعقيلي في ترجمة هلال ونقلا عن البخاري أنه منكر الحديث. وقال البيهقي في الشعب:
تفرد به هلال. وله شاهد من حديث أبى أمامة، أخرجه الدرامى بلفظ «من لم يمنعه عن الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا» أخرجه من رواية شريك عن ليث ابن أبى سليم عن عبد الرحمن بن سابط عنه. ومن هذا الوجه أخرجه البيهقي في الشعب. وقد أخرجه ابن أبى شيبة عن أبى الأحوص عن ليث عن عبد الرحمن مرسلا، لم يذكر أبا أمامة. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق ابن عدى. وابن عدى أورده في الكامل في ترجمة أبى المهزوم يزيد بن سفيان عن أبى هريرة مرفوعا ونحوه. ونقل عن الفلاس أنه كذب أبا المهزم وهذا من **غلط** ابن الجوزي في تصرفه. لأن الطريق إلى أبى أمامة ليس فيه من اتهم بالكذب، فضلا عمن كذب.." (١)
"هو: عليما حكيما. وإذا قال عليما حكيما، كتب: غفورا رحيما. فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى آخر الآية، عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان: فقال تبارك الله أحسن الخالقين. فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها: فكذلك نزلت، فشك عبد الله وقال: لئن كان محمدا صادقا لقد أوحى إلى مثل ما أوحى إليه. ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال، فارتد عن الإسلام ولحق بمكة، ثم رجع مسلما قبل فتح مكة «١» . وقيل: هو النضر بن الحرث والمستهزءون ولو ترى جوابه محذوف، أى رأيت أمرا عظيما إذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة، فتكون اللام للعهد. ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله. وغمرات الموت شدائده وسكراته، وأصل الغمرة: ما يغمر من الماء «٢»

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١/٣٩٠

فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا أيديهم يبسطون إليهم أيديهم يقولون: هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم. وهذه عبارة عن العنف في السياق، والإلحاح، والتشديد في الإرهاق، من غير تنفيس وإمهال، وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده إلى من عليه الحق، ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله، ويقول له: أخر إلى مالى عليك الساعة، ولا أريم «٣» مكاني، حتى أنزعه من أحداقك. وقيل. معناه باسطو أيديهم عليهم بالعذاب «٤» أخرجوا أنفسكم خلصوها من أيدينا، أى لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز أن يريدوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع، وأن يريدوا الوقت

---

(١) . أخرجه الواحدي عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس إلى قوله «فارتد عن الإسلام» وقد رواه الطبري مختصرا من رواية أسباط عن السدى من قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا- الآية قال:

نزلت في عبد الله بن سعد بن أبى سرح. أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فكان إذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما كتب سميعا عليما. فشك وكفر، وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحى إلى، وإن كان الله ينزله فلقد أنزلت مثل ما أنزل الله. فلحق بالمشركين «تنبيه» قوله القرظي **غلط** بين فان ابن أبى سرح قرشي عامرى. قوله «ثم رجع مسلما قبل فتح مكة. قوله وقيل: هو النضر بن الحارث «فائدة» روى أن هذه القصة كانت لابن خطل. أخرج ابن عدى في ترجمة أصرم بن حوشب أحد المتروكين من حديث على، قال «كان ابن خطل يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا نزل غفور رحيم كتب رحيم غفور- فذكر الحديث.

وفيه: ثم كفر ولحق بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من قتل ابن خطل فله الجنة» وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من هذا الوجه. ونقل عن ابن معين تكذيب أصرم.

(٢) . قال محمود: «أصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة ... الخ» قال أحمد: هو يجعله من مجاز التمثيل، ولا حاجة إلى ذلك. والظاهر أنهم يفعلون معهم هذه الأمور حقيقة على الصور المحكية، وإذا أمكن البقاء على لحقيقة فلا معدل عنها.

(٣) . قوله «ولا أريم مكاني» أى أبرح. وفي الصحاح: رامه يريمه أى برحه. (ع) [.....]

(٤) . عاد كلامه. قال: «وقيل معناه باسطو أيديهم عليهم بالعذاب ... الخ» قال أحمد: ومثله ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء.." [١]

"وعلى أسباب التوصل إليها، وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم، وقيل استمتاع الإنس بالجن ما في قوله وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن وأن الرجل كان إذا نزل واديا وخاف قال: أعوذ برب هذا الوادي، يعنى به كبير الجن. واستمتاع الجن بالإنس: اعترف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم وإجارتهم لهم وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعنون يوم البعث. وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها إلا ما شاء الله أى يخلدون في عذاب النار الأبد كله «١» ، إلا ما شاء الله، إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير، فقد روى أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض، فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم. أو يكون من قول الموتور «٢» الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب إليه أن ينفس عن خناقه.
أهلكنى الله إن نفست عنك إلا إذا شئت، وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر

---

(١) . قال محمود: «معنى هذا الاستثناء أنهم يخلدون في عذاب النار الأبد كله ... الخ» قال أحمد: قد ثبت خلود الكفار في العذاب ثبوتا قطعيا، فمن ثم اعتنى العلماء بالكلام على الاستثناء في هذه الآية وفي أختها في سورة هود، فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار، والمستثنى العصاة لأنهم لا يخلدون، وهذا تأويل أهل السنة. وقد غلط الزمخشري في إنكاره في آية هود وتناهى إلى ما نعوذ بالله منه، فقدح في عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه راوى الحديث الشاهد لهذا التأويل، ونحن نبرأ إلى الله تعالى من القدح في مثل عبد الله وهو من جلة الصحابة رضوان الله عليهم وفقهائهم وزهادهم. وذهب بعضهم إلى أن هذا الاستثناء محدود بمشيئة رفع العذاب، أى مخلدون إلا أن يشاء الله لو شاء. وفائدته إظهار القدرة والإعلان بأن خلودهم إنما كان لأن الله تعالى قد شاءه، وكان من الجائز العقلي في مشيئته أن لا يعذبهم، ولو عذبهم لا يخلدهم، وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه وإنما هو مقتضى مشيئته وإرادته عز وجل. وفيها على هذا الوجه دفع في صدر المعتزلة الذين يزعمون أن تخليد الكفار واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة، وأنه لا يجوز في العقل أن يشاء خلاف ذلك. وذهب الزجاج إلى وجه لطيف

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٤٦

إنما يظهر بالبسط فقال: المراد- والله أعلم- إلا ما شاء من زيادة العذاب، ولم يبين وجه استقامة الاستثناء، والمستثنى على هذا التأويل لم يغاير المستثنى منه في الحكم، ونحن نبينه فنقول: العذاب- والعياذ بالله- على درجات متفاوتة، فكأن المراد أنهم مخلدون في جنس العذاب، إلا ما شاء ربك من زيادة تبلغ الغاية وتنتهي إلى أقصى النهاية، حتى تكاد لبلوغها الغاية ومباينتها لأنواع العذاب في الشدة تعد ليس من جنس العذاب وخارجة عنه، والشيء إذا بلغ الغاية عندهم عبروا عنه بالضد كما تقدم في التعبير عن كثرة الفعل برب وقد، وهما موضوعان لضرب الكثرة من القلة، وذلك أمر يعتاد في لغة العرب. وقد حام أبو الطيب حوله فقال:

لقد جدت حتى كاد يبخل حاتم ... إلى المنتهى ومن السرور يكاد

فكان هؤلاء إذا بلغوا إلى غاية العذاب ونهاية الشدة فقد وصلوا إلى الحد الذي يكاد أن يخرج من اسم العذاب المطلق، حتى يسوغ معاملته في التعبير بمعاملة المغاير، وهو وجه حسن لا يكاد يفهم من كلام الزجاج إلا بعد هذا البسط. وفي تفسير ابن عباس رضى الله عنه ما يؤيده، والله الموفق.

(٢) . قوله «قوله الموتور» الموتور: المظلوم. (ع)." (١)

"وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة، أو ومثل ذلك التزيين البليغ «١» الذي هو علم من الشياطين. والمعنى: أن شركاءهم من الشياطين، أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم «٢» بالوأد، أو بنحرهم للآلهة وكان الرجل في الجاهلية

---

(١) . قوله «ومثل ذلك التزيين البليغ الذي» لعله التزيين الذي. (ع) [.....]

(٢) . قال محمود: «المعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم ... الخ» قال أحمد رحمه الله: لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء، وتاه في تيهاء. وأنا أبرأ إلى الله وأبرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به «فانه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا، لا نقلا وسماعا فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه، وأخذ يبين أن وجه غلطه رؤيته الياء ثابتة في شركائهم، فاستدل بذلك على أنه مجرور، وتعين عنده نصب أولادهم بالقياس، إذ لا يضاف المصدر إلى أمرين معا فقرأه منصوبا، قال المصنف: وكانت له مندوحة عن نصبه إلى جره بالاضافة وإبدال الشركاء منه، وكان ذلك أولى مما ارتكبه يعنى ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف إليه الذي

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٥/٢

يسمج في الشعر فضلا عن النثر فضلا عن المعجز. فهذا كله كما ترى ظن من الزمخشري أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيا منه، وكان الصواب خلافه والفصيح سواه، ولم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة بنصب الأولاد والفعل بين المضاف والمضاف إليه، بها يعلم ضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على جبريل كما أنزلها عليه كذلك، ثم تلاها النبي صلى الله عليه وسلم على عدد التواتر من الأئمة، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرؤن بها خلفا عن سلف، إلى أن انتهت إلى ابن عامر فقرأها أيضا كما سمعها. فهذا معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلا عن أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم.

فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشري، ولا بقول أمثاله ممن لحن ابن عامر، فان المنكر عليه إنما أنكر ما ثبت أنه براء منه قطعا وضرورة. ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشأنين، أعنى علم القراءة وعلم الأصول، ولا يعد من ذوى الفنين المذكورين، لخيف عليه الخروج من ربقة الدين. وأنه على هذا العذر لفي عهدة خطرة وزلة منكرة تزيد على زلة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواترا، فان هذا القائل لم يثبتها بغير النقل.

وغايته أنه ادعى أن نقلها لا يشترط فيه التواتر. وأما الزمخشري فظن أنها تثبت بالرأى غير موقوفة على النقل.

وهذا لم يقل به أحد من المسلمين. وما حمله على هذا الخيال إلا التغالى في اعتقاد اطراد الأقيسة النحوية، فظنها قطعية حتى يرد ما خالفها، ثم إذا تنزل معه على اطراد القياس الذي ادعاه مطردا، فقراءة ابن عامر هذه لا تخالفه. وذلك أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإن كان عسرا، إلا أن المصدر إذا أضيف إلى معموله فهو مقدر بالفعل، وبهذا التقدير عمل، وهو أن لم تكن إضافته غير محضة، إلا أنه شبه بما إضافته غير محضة حتى قال بعض النحاة:

إن إضافته ليست محضة لذلك. فالحاصل أن اتصاله بالمضاف إليه ليس كاتصال غيره. وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف إليه بالظرف، فلا أقل من أن يتميز المصدر على غيره لما بيناه من انفكاكه في التقدير وعدم توغله في الاتصال بأن يفصل بينه وبين المضاف إليه بما ليس أجنبيا عنه، وكأنه بالتقدير فكة بالفعل، ثم قدم المفعول على الفاعل وأضافه إلى الفاعل وبقي المفعول مكانه حين الفك، ويسهل ذلك أيضا تغاير حال المصدر، إذ تارة يضاف إلى الفاعل وتارة يضاف إلى المفعول. وقد التزم بعضهم اختصاص الجواز بالفصل بالمفعول بينه وبين الفاعل لوقوعه في غير مرتبته، إذ ينوى به

التأخير، فكأنه لم يفصل، كما جاز تقدم المضمر على الظاهر إذا حل في غير رتبته، لأن النية به التأخير.
وأنشد أبو عبيدة

فداسهم دوس الحصاد الدائس

وأنشد أيضا:

يفرك حب السنبل الكنافج ... بالقاع فرك القطن المحالج

ففصل كما ترى بين المصدر وبين الفاعل بالمفعول. ومما يقوى عدم توغله في الاضافة جواز العطف على موضع مخفوضه رفعا ونصبا، فهذه كلها نكت مؤيدة بقواعد منظرة. بشواهد من أقيسة العربية. تجمع شمل القوانين النحوية لهذه القراءة، وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربة، بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة. وهذا القدر كاف إن شاء الله في الجمع بينهما والله الموفق. وما أجريناه في أدراج الكلام من تقريب إضافة المصدر من غير المحضة، إنما أردنا انضمامه إلى غيره من الوجوه التي يدل باجتماعها على أن الفصل غير منكر في إضافته، ولا مستبعد من القياس، ولم يفرده في الدلارة المذكورة إذ المتفق على عدم تمحضها لا يسوغ فيها الفصل، فلا يمكن استقلال الوجه المذكور بالدلالة، والله الموفق.." [١]

"الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي، وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «الإسلام يجب ما قبله» «١» وقالوا: الحربي إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط. وأما الذي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين.
وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة. وقبلها، وفسر وإن يعودوا بالارتداد. وقرئ يغفر لهم على أن الضمير لله عز وجل

[سورة الأنفال (٨) : الآيات ٣٩ الى ٤٠]

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (٣٩) وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (٤٠)
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل، ويبقى فيهم دين الإسلام وحده فإن انتهوا عن الكفر وأسلموا فإن الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم وإسلامهم. وقرئ: تعملون، بالتاء، فيكون المعنى: فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٩/٢

إلى دينه والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء وإن تولوا ولم ينتهوا فاعلموا أن الله مولاكم أى ناصركم ومعينكم، فثقوا بولايته ونصرته.

[سورة الأنفال (٨) : آية ٤١]

واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير (٤١)

---

(١) . أخرجه مسلم من رواية عبد الرحمن بن أسامة عن عمرو بن العاص في قصة. وفيها هذا لكن بلفظ «يهدم ما قبله» قال النووي: **غلط** كثير من الفقهاء فذكره بلفظ «يجب ما قبله» ويروى «يحت» بالمهملة والمثناة اه. وقد رواه الطبري من هذا الوجه، بلفظ «إن الإسلام يجب ما كان قبله» وأخرجه ابن إسحاق في المغازي من طريق حبيب بن أبى أويس الثقفي حدثني عمرو بن العاص من فيه إلى في قال «لما جئت أريد الإسلام فذكر القصة. وفيها يا عمرو، إن الإسلام يجب ما قبله. والهجرة تجب ما كان قبلها» ومن هذا الوجه أخرجه أحمد وإسحاق والبيهقي في الدلائل. وأخرجه ابن سعد في خالد بن الوليد من طريق المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال قال خالد ابن الوليد ... فذكر قصة إسلامه وفيها «إن الإسلام يجب ما كان قبله» وفي ترجمة المغيرة بن شعبة من رواية يعقوب ابن عتبة عن المغيرة. فذكر قصة إسلامه. وفيها ذلك. وفي ترجمة هبار بن الأسود من حديث جبير بن مطعم في قصة إسلام هبار. وفيه «والإسلام يجب ما كان قبله» وفي أسانيد الثلاثة الواقدي.." (١)

"بالارتداد، وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أى ما كانوا يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم، وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه، ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم، وهو من كلام الأشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ: يضعف ما كانوا يستطيعون السمع أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له، كأنهم لا يستطيعون السمع «١» ولعل بعض المجبرة «٢» يتوثب إذا عثر عليه فيوعوع «٣» به على أهل العدل، كأنه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان: هذا كلام لا أستطيع أن أسمعه، وهذا مما يمجه سمعي. ويحتمل أن يريد بقوله وما كان لهم من أولياء أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله، وولايتها ليست بشيء،

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٢٢٠

فما كان لهم في الحقيقة من أولياء، ثم بين نفى كونهم أولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية. وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا أنفسهم
اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله، فكان خسرانهم في تجارتهم مالا خسران أعظم منه، وهو أنهم خسروا أنفسهم
وضل عنهم
وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون
من الآلهة وشفاعتها لا جرم فسر في مكان آخر هم الأخسرون لا ترى أحدا أبين خسرانا منهم.

[سورة هود (١١) : آية ٢٣]
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٢٣)

---

(١) . قال محمود: «أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم ... الخ» قال أحمد: أهل الحق وإن نفوا تأثير استطاعة العبد وخلصوا الخلق لقدرة الخالق عز وجل، لا ينفون استطاعة العبد نفسها ولا ما يجده من نفسه من الفرق حالة الحركات القسرية والاختيارية، وإنما الذي ينفى الاستطاعة جملة هم المجبرة حقيقة لا أهل السنة. والحق مع الزمخشري في هذا الموضع إلا في غفلته حيث يقول: فيوعوع بها على أهل العدل، يعنى الآية المذكورة. وهذه سقطة عظيمة، وهب أن المجبر غلط في الاستدلال بالآية على معتقده، فكيف يستجيز أن يطلق على إيراده الآية وعوعة، وإنما تلا كتاب الله تعالى غير أن خطأه في تصحيح معتقده الباطل به. وما الزمخشري إلا يتسامح كثيرا فيما يجب من الآداب للكتاب العزيز، وإنما يليق التسامح إذا كان يفسر شعر امرئ القيس أو الحارث بن حلزة. وأما أدب القرآن فيضيق عن أسهل من ذلك، والله الموفق.
(٢) . قوله «ولعل بعض المجبرة» إن كان مراده بهم أهل السنة كعادته، فهم لا يسلبون عن العبد الاستطاعة في الفعل، بل يثبتون له الكسب والاستطاعة مع الفعل، وإن كان مراده القائلين بالجبر المحض وأن العبد كالريشة المعلقة في الهواء فلا ضير. ونقل الخازن عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال: أخبر الله تعالى أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فانه قال: ما كانوا يستطيعون السمع،

وهو طاعته. وما كانوا يبصرون. وأما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم. (ع)
(٣) . قوله «فيوعوع به» في الصحاح: الوعوعة صوت الذئب. (ع)." [١]

"[سورة هود (١١) : آية ٧٧]

ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب (٧٧)

كانت مساءة لوط وضيق ذرعه «١» لأنه حسب أنهم إنس، فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم. روى أن الله تعالى قال لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا:
وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا، يقول ذلك أربع مرات، فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد، فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها. يقال: يوم عصيب، وعصبصب، إذا كان شديدا من قولك: عصبه، إذا شده.

[سورة هود (١١) : الآيات ٧٨ الى ٧٩]

وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد (٧٨) قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد (٧٩)

يهرعون يسرعون كأنما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها، فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها، فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء. وقيل معناه: وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي أراد أن يقي أضيافه ببناته، وذلك غاية الكرم، وأراد: هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا، كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص بن وائل قبل الوحى وهما كافران «٢»

---

(١) . قوله «وضيق ذرعه» في الصحاح: يقال ضقت بالأمر ذرعا، إذا لم تطقه ولم تقو عليه. وأصل الذرع إنما هو بسط اليد، فكأنك تريد: مددت يدي إليه فلم تنله. (ع)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٣٨٦

(٢) . قلت: قوله «أبو العاص بن وائل» غلط فاحش وإنما هو أبو العاص بن الربيع، ليس في نسبته من اسمه وائل. وكأنه انتقل ذهنه إلى العاص بن وائل السهمي والد عمرو، وليس له في هذه القضية مدخل، وأما قصة تزويج أبى العاص بن الربيع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكذا عتبة بن أبى لهب فذكرها ابن إسحاق في المغازي والطبراني من طريقه قال: كان أبو العاص بن الربيع من رجال مكة مالا وأمانة وكانت خديجة خالته. فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه بزينب وكان لا يخالفها. وذلك قبل أن ينزل عليه فلما أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة آمنت خديجة وبناته وثبت أبو العاص على شركه. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبى لهب بنته رقية. فلما دعا قريشا إلى أمرين قال بعضهم لبعض: قد فرغتم محمدا من همه ببناته. فردوهن عليه فمشوا إلى أبى العاص. فأبى عليهم. ثم مشوا إلى عتبة بن أبى لهب. ففارق رقية. وزوجوه بنت سعيد بن العاص. فتزوجها بعده عثمان بن عفان. فذكر قصة أبى العاص وأسره ببدر» وروى البيهقي في الدلائل من طريق قتادة «أن النبي صلى الله عليه وسلم زوج ابنته أم كلثوم في الجاهلية عتبة ابن أبى لهب. ورقية أخاه. فلما جاء الإسلام أمر أبو لهب ولديه فطلقا البنتين. [.....]." (١)

"وأوله وآخره، تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه. ونحوه وأطراف النهار وقرئ: وزلفا، بضمتين. وزلفا، بسكون اللام. وزلفى: بوزن قربى. فالزلف: جمع زلفة، كظلم في ظلمة. والزلف بالسكون: نحو بسرة وبسر. والزلف بضمتين نحو بسر في بسر. والزلفى بمعنى الزلفة، كما أن القربى بمعنى القربة: وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل. وقيل: وزلفا من الليل: وقربا من الليل، وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة، أى: أقم الصلاة طرفى النهار، وأقم زلفا من الليل، على معنى: وأقم صلاة تتقرب بها إلى الله عز وجل في بعض الليل إن الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان، أحدهما: أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات، وفي الحديث: «إن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر «١» » والثاني: إن الحسنات يذهبن السيئات، بأن يكن لطفا في تركها، كقوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل: نزلت في أبى اليسر عمرو بن غزية الأنصارى، كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته، فقال لها: إن في البيت أجود من هذا التمر، فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها، فقالت له:

اتق الله، فتركها وندم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل، فقال صلى الله عليه وسلم: أنتظر أمر ربى، فلما صلى صلاة العصر نزلت، فقال: نعم، اذهب فإنها كفارة لما عملت: وروى أنه أتى أبا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٤١٣

بكر فأخبره فقال: استر على نفسك وتب إلى الله، فأتى عمر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت، فقال عمر: أهذا له خاصة أم للناس عامة؟ فقال: بل للناس عامة.
وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له:
توضأ وضوآ حسنا وصل ركعتين إن الحسنات يذهبن السيئات «٢» ذلك إشارة إلى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين.

---

(١) . أخرجه الحاكم من حديث أبى هريرة رفعه «الصلاة المكتوبة إلى الصلاة المكتوبة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر» .

(٢) . كان في الأصل أبو اليسر عمرو بن غزية وهو غلط. وإنما هو أبو اليسر كعب بن عمرو. وكذا هو في كتب أسماء الصحابة. وإنما تبع المصنف الثعلبي فانه قال كذلك نزلت في عمرو بن غزية الأنصارى. والحديث عند الترمذي والنسائي والبزار والطبراني والطبري من رواية عثمان بن عبد الله بن موهب عن موسى بن طلحة بن أبى اليسر ابن عمرو قال: أتتنى امرأة تبتاع تمرا- فقلت لها: في البيت تمر أطيب من هذا فدخلت معى في البيت. فأهويت إليها فقبلتها. فقالت: اتق الله. فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له: فقال استر على نفسك وتب. فأتيت عمر فقال مثل ذلك. فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأطرق طويلا حتى أوحى إليه أقم الصلاة ... الآية قال ابن أبى اليسر: أتيته فقرأها على. فقال أصحابه: يا رسول الله، ألهذا خاصة أم للناس عامة؟ فقال: بل للناس عامة.
وفي رواية لأحمد فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، أله وحده أم للناس كافة؟» وللدارقطنى والحاكم والبيهقي من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ أنه كان قاعدا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال: يا رسول الله، ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له فلم يدع شيئا يأتيه الرجل من امرأته إلا أصاب منها غير أنه لم يجامعها.
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وضوآ حسنا ثم صل. فأنزل الله تعالى الآية. فقال معاذ: أهى له خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال: بل للمسلمين عامة. وأصل الحديث في الصحيحين عن ابن مسعود وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنى عالجت امرأة في أقصى المدينة وإنى أصبت منها دون أن أمسها وأنا هذا فاقض فى ما شئت.
فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت على نفسك ولم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلق

الرجل فأتبعه النبي صلى الله عليه وسلم رجلا. فدعاء فتلا عليه أقم الصلاة طرفي النهار ... الآية فقال رجل من القوم: يا رسول الله أله خاصة أم للناس؟ فقال: بل للناس كافة» .." (١)

"أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى، كما أضمر في قوله:

وأضرب منا بالسيوف القوانسا «١»

على: نضرب القوانس، فقد أبعدت المتناول وهو قريب، حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا، ثم رجعت مضطرا إلى تقديره وإضماره. فإن قلت: كيف جعل الله تعالى العلم بإحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم؟ قلت: الله عز وجل لم يزل عالما بذلك، وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم، ليزدادوا إيمانا واعتبارا، ويكون لطفا لمؤمنى زمانهم، وآية بينة لكفارة.

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ١٣ الى ١٥]

نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا (١٤) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا (١٥)

---

(١) .

فلم أر مثل الحي حيا مصبحا ... ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا

أكر وأحمي للحقيقة منهم ... وأضرب منا بالسيوف القوانسا

إذا ما شددنا شدة نصبوا لنا ... صدور المذاكي والرماح المداعسا

إذا الخيل حالت عن صريع نكرها ... عليهم فما يرجعن إلا عوابسا

للعباس بن مرداس السلمى، والحي بنو زبيد من اليمن. وأكر: أشد كرا. وأحمى: أشد حماية. والحقيقة: ما يستحق الذب عنه من عرض ومال. والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى بيضة الفارس وأعلى رأس الفرس. والمذاكي: الخيل العناق العتاق التي أتى عليها بعد قروحها سنة، جمع المذاكي اسم مفعول. والمداعس: الرماح الصم التي يطعن بها. والدعس بالتحريك الأثر، والمداعسة المطاعنة. والمدعس: الرمح الأصم الذي يطعن به.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٤٣٥

ويروى: جالت، بدل حالت أى: مالت إلى جول بالجيم أى ناحية. وأما الحول بالحاء فهو التحول. والصريع:
الطريح على الأرض، ونكرها: نرجعها، والعوابس: كالحات الوجوه من الجري في الغبار. وحيا مصبحا، أى:
مأتيا في الصباح مفعول. ومثل الحي: حال، على أن رأى بصرية. أو مفعول ثان، على أنها علمية، وأكر: بدل من حيا، ولا يصح جعله صفة أو مفعول ثان، لأنك لو قلت: ما رأيت مثل زيد رجلا أفضل منه لم يستقم المعنى إلا على البدلية، لأن المماثلة تنافى المفاضلة، إلا أن تكون المماثلة في صفة والمفاضلة في أخرى، فلا مانع منه حينئذ. وأضرب: أفعل تفضيل، بدل من فوارس على ما تقدم، فهو لف ونشر مرتب. وأفعل التفضيل لا يعمل النصب في المفعول به، بل حكى الإجماع على ذلك، فالقوانس نصب بمحذوف، أى: يضرب القوانس أى الرؤوس، لكن قال محمد بن مسعود في كتابه البديع: **غلط** من قال: إن اسم التفضيل لا ينصب المفعول به، واستشهد بهذا البيت وغيره. وبين مدح الفريقين بقوله: إذا شددنا عليهم مرة قابلونا بالخيل العتاق والرماح الجيدة، فهم شجعان.
وبقوله: إذا مالت خيلنا أو تحولت عن قتيل منا، نرجعها عليهم لأجل الثأر، فما ترجع إلا كوالح، فنحن أشجع منهم. [.....]." (١)

"والسابع: الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس. واسم مدينتهم: أفسوس.
واسم كلبهم: قطمير. فإن قلت: لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين؟ قلت: فيه وجهان: أن تدخل الآخرين في حكم السين، كما تقول: قد أكرم وأنعم، تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا، وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أى يأتون به. أو وضع الرجم موضع الظن، فكأنه قيل: ظنا بالغيب، لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن، حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين. ألا ترى إلى قول زهير:
وما هو عنها بالحديث المرجم «١»
أى المظنون. وقرئ: ثلاث رابعهم، بإدغام الثاء في تاء التأنيث. وثلاثة خبر مبتدإ محذوف، أى: هم ثلاثة. وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدإ وخبر واقعة صفة لثلاثة، وكذلك سادسهم كلبهم، وثامنهم كلبهم. فإن قلت: فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة، ولم دخلت عليها دون الأولين «٢»

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٧٠٦

؟ قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حال عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر. ومررت بزيد وفي يده سيف. ومنه قوله تعالى: وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت

---

(١) .

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم

لزهير من معلقته، ينهى عبسا وذبيان عن القتال. يقول: ليست الحرب إلا التي علمتموها وجربتموها، وشبهها بمطعوم مكروه على طريق الكناية والذوق تخييل، وما هو: أى الحديث عن الحرب، ولما كان الضمير عائدا على المصدر في المعنى صح تعلق المجرور به، ويبعد تعلقه بما بعده. والترجيم: الرمي بالرجام وهي الحجارة الصغار، استعير لالقاء الكلام بلا روية ولا فكر على طريق التصريحية.

(٢) . قال محمود: إن قلت «لم دخلت الواو في الجملة الأخيرة ... الخ» ؟ قال أحمد: وهو الصواب، لا كمن يقول: إنها واو الثمانية فان ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم، ويعدون مع هذه الواو في قوله في الجنة وفتحت أبوابها بخلاف أبواب النار، فانه قال فيها فتحت أبوابها قالوا: لأن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة.

وهب أن في اللغة واوا تصحب الثمانية فتختص بها، فأين ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهى إلى الثامن فتصحبه الواو، وربما عدوا من ذلك والناهون عن المنكر وهو الثامن من قوله التائبون وهذا أيضا مردود بأن الواو إنما اقترنت بهذه الصفة، لتربط بينها وبين الأولى التي هي الآمرون بالمعروف، لما بينهما من التناسب والربط.

ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما ومواردهما، كقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وربما عد بعضهم من ذلك الواو في قوله ثيبات وأبكارا لأنه وجدها مع الثامن، وهذا **غلط** فاحش، فان هذه واو التقسيم، ولو ذهبت تحذفها فتقول: ثيبات أبكارا، لم يسند الكلام، فقد وضح أن الواو في جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء، والله الموفق.." [١]

"قلت: الأصل: عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية، وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٧١٣/٢

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢١٠ الى ٢١٢]

وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢)

كانوا يقولون: إن محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة، فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه، لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء. وقرأ الحسن: الشياطون. ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين، فتخير بين أن يجرى الإعراب على النون، وبين أن يجريه على ما قبله، فيقول: الشياطين والشياطون، كما تخيرت العرب بين أن يقولوا. هذه يبرون ويبرين.

وفلسطون وفلسطين. وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل. وعن الفراء: غلط الشيخ في قراءته «الشياطون» ظن أنها النون التي على هجاءين، فقال النضر بن شميل:

إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة، فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه- يريد: محمد ابن السميقع- مع أنا نعلم أنهما لم يقرءا به إلا وقد سمعا فيه.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢١٣ الى ٢١٤]

فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤)

قد علم أن ذلك لا يكون، ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الإخلاص والتقوى. وفيه لطف لسائر المكلفين، كما قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل، فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك، فيه وجهان: أحدهما أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة، ثم بمن يليه. وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم، كما روى عنه عليه السلام:

أنه لما دخل مكة قال: «كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأول ما أضعه ربا العباس «١» » والثاني: أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة، ولا يحابيهم في الإنذار والتخويف. وروى أنه صعد الصفا- لما نزلت- فنادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا، وقال: يا بنى عبد المطلب، يا بنى هاشم، يا بنى عبد مناف، يا عباس عم النبى

(١) . أخرجه مسلم من حديث جابر الطويل في صفة الحج وعزاه الطيبي للترمذي من رواية عمرو بن الأحوص وليس هو عنده بتمامه.." [١]

"فارجعنا نعمل صالحا وسميت إرادة الرجوع رجوعا، كما سميت إرادة القيام قياما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ: يرجعون، على البناء للمفعول. فإن قلت:

من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة؟ و «لعل» من الله إرادة، وإذا أراد الله شيئا كان ولم يمتنع، وتوبتهم مما لا يكون، ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر؟ قلت:

إرادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده، فإذا أراد شيئا من أفعاله كان ولم يمتنع، للاقتدار وخلوص الداعي. وأما أفعال عباده: فإما أن يريدها وهم مختارون لها، أو مضطرون إليها بقسره وإلجائه، فإن أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله، وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره «١» ، كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها، لأن اختياره لا يتعلق بقدرتك، وإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك. وروى في نزولها: أنه شجر بين على بن أبى طالب رضى الله عنه والوليد بن عقبة بن أبى معيط يوم بدر كلام، فقال له الوليد: اسكت فإنك صبى: أنا أشب منك شبابا، وأجلد منك جلدا، وأذرب منك لسانا، وأحد منك سنانا، وأشجع منك جنانا، وأملأ منك حشوا في الكتيبة. فقال له على رضى الله عنه: اسكت، فإنك فاسق «٢» ، فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين، فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما «٣» . وعن الحسن بن على رضى

---

(١) . قوله «لم يقدح ذلك في اقتداره» أى عدم وقوعها وعدم اختيارهم إياها، فهذا على مذهب المعتزلة: من أنه قد يريد الشيء ولا يكون، ومذهب أهل السنة: أن كل ما أراده الله كان. (ع)

(٢) . أخرجه ابن مردويه والواحدي من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الوليد بن عقبة بن أبى معيط لعلى: أنا أحد منك سنانا وأبسط منك لسانا وأملأ منك للكتيبة. فقال له على: اسكت يا فاسق، فإنما أنت فاسق.

فنزلت» وله طريق أخرى عند ابن مردويه من رواية الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما «تنبيه» قوله: أن ذلك شجر بينهما يوم بدر، **غلط** فاحش. فما كان الوليد حينئذ رجلا [.....]

(٣) . قال محمود: «سبب نزولها أنه شجر بين على بن أبى طالب كرم الله وجهه والوليد ابن عقبة يوم

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٣٣٩

بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبى أنا أشب منك شبابا وأجلد جلدا وأذرب لسانا وأحد منك سنانا وأشجع جنانا وأملأ حشوا في الكتيبة، فقال له على: اسكت فإنك فاسق. قال الزمخشري: فنزلت عامة للمؤمنين والكافرين تتناولهما معا» قال أحمد: ذكر للسبب المحقق: لأن المراد بالفاسق وبالذين فسقوا: الذين كفروا، لأنها نزلت في الوليد وهو كافر حينئذ، ثم أدرج فيه المؤمن تعصبا لمذهبه في وجوب خلود فساق المؤمنين كفساق الكافرين.

فلم يزل يورد هذه العقائد الفواسد، ولقد اتسع الخرق على الراقع.." (١)

"عليه وسلم ليخرجوا، فانطلق إلى حجرة عائشة رضى الله عنها فقال: السلام عليكم أهل البيت فقالوا: عليك السلام يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له، ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء، فتولى، فلما رأوه متوليا خرجوا، فرجع «١» ونزلت: ولا مستأنسين لحديث نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به. أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت. واستئناسه: تسمعه وتوجسه، وهو مجرور معطوف على ناظرين. وقيل:

هو منصوب على: ولا تدخلوها مستأنسين. لا بد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف، أى: من إخراجكم، بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعنى أن إخراجكم حتى ما ينبغي أن يستحيا منه. ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال، قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم، وهذا أدب أدب الله به الثقلاء. وعن عائشة رضى الله عنها: حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال: فإذا طعمتم فانتشروا «٢» . وقرئ:

لا يستحى، بياء واحدة. الضمير في سألتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فسئلوهن المتاع. قيل: إن عمر رضى الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة، وكان يذكره كثيرا، ويود أن ينزل فيه، وكان يقول: لو أطاع فيكن ما رأتكن عين، وقال: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، «٣» فنزلت. وروى أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد «٤» فقال: لئن احتجبتن، فإن لكن على النساء فضلا، كما أن لزوجكن على الرجال الفضل، فقالت زينب رضى الله عنها: يا ابن الخطاب، إنك لتغار علينا والوحى ينزل في بيوتنا، فلم يلبثوا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥١٤/٣

(١) . متفق عليه من حديث أنس وله طرق عندهما وألفاظ.

(٢) . أخرجه الثعلبي من طريق العلاء سمعت عائشة بهذا. قلت: كذا بخط المخرج. وهو **غلط** واضح جدا.

فان العلاء إنما يروى عن ابن عائشة صاحب النوادر ولم يدرك أصحاب أصحابه عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فضلا عنها ولعله كان في الأصل ابن عائشة فسقط ابن

(٣) . متفق عليه من حديثين هذا أحدهما. أخرجه النسائي والبخاري في الأدب المفرد والطبراني في الصغير من طريق مجاهد عن عائشة قالت «كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسا في قصعة فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعى، فقال عمر: أواه لو أطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل الحجاب» ورواه ابن أبى شيبة والطبري من طريق مجاهد مرسلا وصوبه الدارقطني في العلل والثاني أخرجه النسائي أيضا من طريق أنس عن عمر رضى الله عنه قال «قلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين فأنزل الله آية الحجاب وأصله في الصحيح.

(٤) . أخرجه الثعلبي من رواية مجاهد عن الشعبي قال «مر عمر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم» فذكره [.....]." [١]

"وعن المأمون: أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ. فنظر إليه منثورا على ذلك البساط، فاستحسن المنظر وقال: لله در أبى نواس، وكأنه أبصر هذا حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء در على أرض من الذهب «١»

وقيل: شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه، لأنه أحسن وأكثر ماء رأيت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم، كأنه قيل: وإذا أوجدت الرؤية، ثم. ومعناه: أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير. وثم في موضع النصب على الظرف، يعنى في الجنة ومن قال: معناه «ما ثم» فقد أخطأ، لأن «ثم» صلة لما، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيئا. يروى: أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام، يرى أقصاه كما يرى أدناه. وقيل لا زوال له. وقيل: إذا أرادوا شيأ كان. وقيل: يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم. قرئ: عاليهم، بالسكون، على أنه مبتدأ خبره «٢» ثياب

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٥٥٥

سندس أى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس. وعاليهم. بالنصب، على أنه حال من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب. أو حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب. ويجوز أن يراد: رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب. وعاليتهم: بالرفع والنصب على ذلك. وعليهم. وخضر. وإستبرق: بالرفع، حملا على الثياب بالجر على السندس.

وقرئ: وإستبرق، نصبا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمى، وهو **غلط** لأنه نكرة يدخله حرف التعريف، تقول: الإستبرق، إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب. وقرئ: وإستبرق، بوصل الهمزة والفتح: على أنه مسمى باستفعل من البريق، وليس بصحيح أيضا، لأنه معرب مشهور تعريبه، وأن أصله: استبره وحلوا عطف على ويطوف عليهم. فإن قلت: ذكر هاهنا أن أساورهم من فضة، وفي موضع آخر أنها من

---

(١) . لأبى نواس، يصف الخمر بأن حبابها الذي يعلوها كالقوارير يشبه الدر، وبأنها تشبه الذهب، وهو من التشبيه المركب. وحكى أنه لما زفت بوران بنت الحسن بن سهل للمأمون بن الرشيد كان على بساط منسوج بالذهب ونثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ، فنظر إليه وقال: لله در أبى نواس حيث قال: كأن صغرى ... البيت، وقد عيب عليه استعمال صغرى وكبرى مجردتين من أل والاضافة، مع أنهما عن أفعل التفضيل، وهو إذا جرد وجب تذكيره.

(٢) . قال محمود: «قرئ بالسكون على أنه مبتدأ خبره ثياب ... الخ» قال أحمد: في هذا الوجه الآخر نظر، فانه يجعله داخلا في مضمون الحسبان، وكيف يكون ذلك وهم لابسون السندس حقيقة، لا على وجه التشبيه باللؤلؤ، بخلاف كونهم لؤلؤا، فانه على طريق التشبيه المقتضى لقرب شبههم باللؤلؤ إلى أن يحسبوا لؤلؤا. ويحتمل أن يصحح هذا الوجه لكن بعد تكلف مستغنى عنه بالأول.." [١]

"ساعة منه عشيته أو ضحاه، فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته، فهو كقوله لم يلبثوا إلا ساعة من نهار. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة «١» » .

سورة عبس

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٧٣/٤

مكية، وآياتها ٤٢ وقيل ٤١ [نزلت بعد النجم] بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة عبس (٨٠) : الآيات ١ الى ١٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى (١) أن جاءه الأعمى (٢) وما يدريك لعله يزكى (٣) أو يذكر فتنفعه الذكرى (٤)

أما من استغنى (٥) فأنت له تصدى (٦) وما عليك ألا يزكى (٧) وأما من جاءك يسعى (٨) وهو يخشى (٩)

فأنت عنه تلهى (١٠)

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم «٢» - وأم مكتوم أم أبيه، واسمه عبد الله بن شريح ابن مالك بن ربيعة الفهري من بنى عامر بن لؤي- وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام. والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة:

يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم «٣» . فقال: يا رسول الله، أقرئنى وعلمني مما

---

(١) . أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبى بن كعب.

(٢) . ذكر الزمخشري سبب نزول الآية، وهو أن ابن أم مكتوم الأعمى ... الخ» قال أحمد: وإنما أخذ الاختصاص من تصدير الجملة بضمير المخاطب وجعله مبتدأ مخبرا عنه وهو كثيرا ما يتلقى الاختصاص من ذلك، ولقد **غلط** في تفسير الآية، وما كان له أن يبلغ ذلك.

(٣) . ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرجه ابن أبى حاتم من رواية العوفى عن ابن عباس نحوه دون قوله «صناديد قريش» ودون سياق نسب ابن أم مكتوم. وكذا أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة. قال: ذكر لنا فذكره. وبهذا الاسناد أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه بعد ذلك على المدينة مرتين يصلى بأهلها. ورواه الترمذي والحاكم من حديث عائشة رضى الله عنها نحوه «تنبيه» النسب الذي ساقه في غاية التخليط، يظهر لمن له أدنى إلمام بالأخبار والأنساب. قال ابن سعد: أما أهل المدينة فيقولون اسمه عبد الله. وأما أهل العراق وهشام الكلبي فيقولون اسمه عمرو ثم أجمعوا على نسبه. فقالوا: ابن قيس بن زياد بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص ابن عامر بن لؤي. وأمه عاتكة هي أم مكتوم بنت عبد الله بن عامر بن مخزوم. وقال ابن سعد: أخبرنا يزيد بن هارون. أخبرنا جويبر عن الضحاك. قال «كان النبي

صلى الله عليه وسلم تصدى لرجل من قريش يدعوه إلى الإسلام فأقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعرض عنه ويعبس في وجهه، ويقبل على الآخر. فعاتب الله رسوله فقال عبس وتولى أن جاءه الأعمى – الآيات فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكرمه واستخلفه على المدينة مرتين» .." (١)

"باب في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى

اعلم أن القصد إلى إيجاز العبارة قد يسوق المتكلم في التفسير إلى أن يقول: خاطب الله بهذه الآية المؤمنين وشرف الله بالذكر الرجل المؤمن من آل فرعون، وحكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت: «قصيه» ووقف الله ذرية آدم على ربوبيته بقوله: ألست بربكم [الأعراف: ١٧٢] ونحو هذا من إسناد أفعال إلى الله تعالى لم يأت إسنادها بتوقيف من الشرع.

وقد استعمل هذه الطريقة المفسرون والمحدثون والفقهاء، واستعملها أبو المعالي في الإرشاد، وذكر بعض الأصوليين أنه لا يجوز أن يقال: حكى الله ولا ما جرى مجراه.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وهذا على تقرير هذه الصفة له وثبوتها مستعملة كسائر أوصافه تبارك وتعالى، وأما إذا استعمل ذلك في سياق الكلام والمراد منه حكت الآية أو اللفظ فذلك استعمال عربي شائع وعليه مشى الناس، وأنا أتحفظ منه في هذا التعليق جهدي، لكني قدمت هذا الباب لما عسى أن أقع فيه نادرا، واعتذارا عما وقع فيه المفسرون من ذلك.

وقد استعملت العرب أشياء في ذكر الله تعالى تنحمل على مجاز كلامها، فمن ذلك قول أبي عامر يرتجز بالنبي صلى الله عليه وسلم: «فاغفر فداء لك ما اقتفينا» . وقول أم سلمة: فعزم الله لي في الحديث في موت أبي سلمة وإبدال الله لها منه رسول الله. ومن ذلك قولهم: الله يدري كذا وكذا والدراية إنما هي التأتي للعلم بالشيء حتى يتيسر ذلك.

قال أبو علي: «واحتج بعض أهل النظر على جواز هذا الإطلاق بقول الشاعر الجوهري: [الرجز] .

لا هم لا أدري وأنت الداري قال أبو علي: «وهذا لا ثبت فيه لأنه يجوز أن يكون من غلط الاعراب» .

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: وكذلك أقول إن الطريقة كلها عربية لا يثبت للنظر المنخول شيء منها. وقد أنشد بعض البغداديين: [الرجز] .

لا هم إن كنت الذي بعهدي ... ولم تغيرك الأمور بعدي

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٧٠٠

وقد قال العجاج: فارتاح ربي وأراد رحمتي.

وقال الآخر: قد يصبح الله إمام الساري.." [1]

"وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: «للملائكة اسجدوا» برفع تاء للملائكة اتباعا لضمة ثالث المستقبل.

قال أبو علي: «وهذا خطأ» .

وقال الزجاج: «أبو جعفر من رؤساء القراءة ولكنه **غلط** في هذا» .

قال أبو الفتح: لأن الملائكة في موضع جر فالتاء مكسورة كسرة إعراب، وهذا الذي ذهب إليه أبو جعفر إنما يجوز إذا كان ما قبل الهمزة حرفا ساكنا صحيحا، نحو قوله تعالى: وقالت اخرج عليهن [يوسف: ٣١]

والسجود في كلام العرب الخضوع والتذلل، ومنه قول الشاعر [زيد الخيل] : [الطويل]

ترى الأكم فيه سجدا للحوافر

وغايته وضع الوجه بالأرض، والجمهور على أن سجود الملائكة لآدم إيماء وخضوع، ذكره النقاش وغيره، ولا تدفع الآية أن يكونوا بلغوا غاية السجود.

وقوله تعالى: فقعوا له ساجدين [الحجر: ٢٩] لا دليل فيه لأن الجاثي على ركبتيه واقع.

واختلف في حال السجود لآدم، فقال ابن عباس: «تعبدهم الله بالسجود لآدم، والعبادة في ذلك لله» .

وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس: «إنما كان سجود تحية كسجود أبوي يوسف عليه السلام، لا سجود عبادة» .

وقال الشعبي: «إنما كان آدم كالقبلة، ومعنى لآدم إلى آدم» .

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وفي هذه الوجوه كلها كرامة لآدم عليه السلام.

وحكى النقاش عن مقاتل: «أن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه» .

قال: «والقرآن يرد على هذا القول» .

وقال قوم: سجود الملائكة كان مرتين، والإجماع يرد هذا.

وقوله تعالى: إلا إبليس نصب على الاستثناء المتصل، لأنه من الملائكة على قول الجمهور، وهو ظاهر الآية، وكان خازنا وملكا على سماء الدنيا والأرض، واسمه عزازيل، قاله ابن عباس.

وقال ابن زيد والحسن: «هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر، ولم يكن قط ملكا» .

وقد روي نحوه عن ابن عباس أيضا، قال: «واسمه الحارث» .

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١/ ٥٤

وقال شهر بن حوشب: كان من الجن الذين كانوا في الأرض وقاتلتهم الملائكة فسبوه صغيرا، وتعبد وخوطب معها، وحكاه الطبري عن ابن مسعود. والاستثناء على هذه الأقوال منقطع، واحتج بعض أصحاب هذا القول بأن الله تعالى قال صفة للملائكة: «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» .
ورجح الطبري قول من قال: «إن إبليس كان من الملائكة» . وقال: «ليس في خلقه من نار ولا في." (١)

"فقيل: أراد عليه السلام أن الكمأة نفسها مما أنزل نوعها على بني إسرائيل.

وقيل: أراد أنه لا تعب في الكمأة ولا جذاذ ولا حصاد، فهي منة دون تكلف من جنس من بني إسرائيل في أنه كان دون تكلف.

وروي أن المن كان ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كالثلج فيأخذ منه الرجل ما يكفيه ليومه، فإن ادخر فسد عليه إلا في يوم الجمعة فإنهم كانوا يدخرون ليوم السبت فلا يفسد عليهم، لأن يوم السبت يوم عبادة، والمن هنا اسم جمع لا واحد له من لفظه، والسلوى طير بإجماع من المفسرين، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم.

قيل: هو السمانى بعينه. وقيل: طائر يميل إلى الحمرة مثل السمانى، وقيل: طائر مثل الحمام تحشره عليهم الجنوب.

قال الأخفش: «السلوى جمعه وواحده بلفظ واحد» . قال الخليل: السلوى جمع واحدته سلواة.

قال الكسائي: السلوى واحدة جمعها سلاوى، والسلوى اسم مقصور لا يظهر فيه الإعراب، لأن آخره ألف، والألف حرف هوائي أشبه الحركة فاستحالت حركته ولو حرك لرجع حرفا آخر، وقد **غلط** الهذلي فقال: [الطويل]

وقاسمها بالله عهدا لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما نشورها

ظن السلوى العسل.

وقوله تعالى: كلوا الآية، معناه وقلنا كلوا، فحذف اختصارا لدلالة الظاهر عليه، والطيبات هنا قد جمعت الحلال واللذيذ.

وقوله تعالى: وما ظلمونا يقدر قبله: فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر، والمعنى وما وضعوا فعلهم في موضع مضرة لنا ولكن وضعوه في موضع مضرة لهم حيث لا يجب.

وقال بعض المفسرين: ما ظلمونا ما نقصونا، والمعنى يرجع إلى ما لخصناه، والقرية المدينة تسمى بذلك

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢٤/١

لأنها تقرت أي اجتمعت، ومنه قريت الماء في الحوض أي جمعته، والإشارة بهذه إلى بيت المقدس في قول الجمهور. وقيل إلى أريحا، وهي قريب من بيت المقدس.

قال عمر بن شبة: كانت قاعدة ومسكن ملوك، ولما خرج ذرية بني إسرائيل من التيه أمروا بدخول القرية المشار إليها، وأما الشيوخ فماتوا فيه، وروي أن موسى صلى الله عليه وسلم مات في التيه، وكذلك هارون عليه السلام.

وحكى الزجاج عن بعضهم أن موسى وهارون لم يكونا في التيه لأنه عذاب، والأول أكثر، وكلوا إباحة، وقد تقدم معنى الرغد، وهي أرض مباركة عظيمة الغلة، فلذلك قال رغدا.

والباب قال مجاهد: هو باب في مدينة بيت المقدس يعرف إلى اليوم بباب حطة، وقيل هو باب." (١)

"ثم ضعف أبو علي هذا القياس وقال إن سيبويه لا يرى جمع الجمع مطردا فينبغي أن لا يقدم عليه حتى يرد سماعا.

وقوله عز وجل: مقبوضة يقتضي بينونة المرتهن بالرهن، وأجمع الناس على صحة قبض المرتهن، وكذلك على قبض وكيله فيما علمت.

واختلفوا في قبض عدل يوضع الرهن على يديه، فقال مالك وجميع أصحابه وجمهور العلماء قبض العدل قبض، وقال الحكم بن عتيبة وأبو الخطاب قتادة بن دعامة وغيرهما: ليس قبض العدل بقبض، وقول الجمهور أصح من جهة المعنى في الرهن.

وقوله تعالى: فإن أمن الآية، شرط ربط به وصية الذي عليه الحق بالأداء، وقوله فليؤد أمر بمعنى الوجوب بقرينة الإجماع على وجوب أداء الديون وثبوت حكم الحاكم به وجبره الغرماء عليه، وبقرينة الأحاديث الصحاح في تحريم مال الغير، وقوله أمانته مصدر سمي به الشيء الذي في الذمة، وأضافها إلى الذي عليه الدين من حيث لها إليه نسبة، ويحتمل أن يريد بالأمانة نفس المصدر، كأنه قال:

فليحفظ مروءته، فيجيء التقدير: فليؤد ذا أمانته، وقرأ عاصم فيما روى عنه أبو بكر الذي اؤتمن برفع الألف ويشير بالضم إلى الهمزة، قال أحمد بن موسى وهذه الترجمة غلط، وقرأ الباقون بالذال مكسورة وبعدها همزة ساكنة بغير إشمام، وهذا هو الصواب الذي لا يجوز غيره، وروى سليم عن حمزة إشمام الهمزة الضم، وهذا خطأ أيضا لا يجوز، وصوب أبو علي هذا القول كله الذي لأحمد بن موسى واحتج له، وقرأ ابن محيصن «الذي أيتمن» بياء ساكنة مكان الهمزة، وكذلك ما كان مثله.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٤٩/١

وقوله تعالى: ولا تكتموا الشهادة نهي على الوجوب بعدة قرائن، منها الوعيد وموضع النهي هو حيث يخاف الشاهد ضياع حق، وقال ابن عباس على الشاهد أن يشهد حيثما استشهد ويخبر حيثما استخبر، قال ولا تقل أخبر بها عند الأمير بل أخبره بها لعله يرجع ويرعوي.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: وهذا عندي بحسب قرينة حال الشاهد والمشهود فيه والنازلة، لا سيما مع فساد الزمن وأرذال الناس ونفاق الحيلة وأعراض الدنيا عند الحكام، فرب شهادة إن صرح بها في غير موضع النفوذ كانت سببا لتخدم باطلا ينطمس به الحق، وآثم معناه قد تعلق به الحكم اللاحق عن المعصية في كتمان الشهادة، وإعرابه أنه خبر «إن» ، وقلبه فاعل ب آثم، ويجوز أن يكون ابتداء وقلبه فاعل يسد مسد الخبر، والجملة خبر إن، ويجوز أن يكون قلبه بدلا على بدل البعض من الكل. وخص الله تعالى ذكر القلب إذ الكتم من أفعاله، وإذ هو المضغة التي بصلاحها يصلح الجسد كما قال عليه السلام، وقرأ ابن أبي عبلة «فإنه آثم قلبه» بنصب الباء، قال مكي هو على التفسير ثم ضعفه من أجل أنه معرفة.

وفي قوله تعالى: والله بما تعملون عليم توعد وإن كان لفظها يعم الوعيد والوعد.." (١)

"قال أبو محمد: وهذا الاستهام غير الأول، هذا المراد منه دفعها، والأول المراد منه أخذها، ومضمن هذه الرواية أن زكرياء كفلها من لدن طفولتها دون استهام، لكن أمها هلكت وقد كان أبوها هلك وهي في بطن أمها فضمها زكرياء إلى نفسه لقرابتها من امرأته، وهكذا قال ابن إسحاق، والذي عليه الناس أن زكرياء إنما كفل بالاستهام لتشاحهم حينئذ فيمن يكفل المحرر، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وكفلها زكرياء مفتوحة الفاء، خفيفة «زكرياء» مرفوعا ممدودا، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر، وكفلها مشدد الفاء ممدودا منصوبا في جميع القرآن، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص، «كفلها» مشددة الفاء مفتوحة، «زكريا» مقصورا في جميع القرآن، وفي رواية أبي بن كعب، و «أكفلها زكرياء» بفتح الفاء على التعدية بالهمزة، وقرأ مجاهد، «فتقبلها» بسكون اللام على الدعاء «ربها» بنصب الباء على النداء و «أنبتها» بكسر الباء على الدعاء، و «كفلها» بكسر الفاء وشدها على الدعاء زكرياء منصوبا ممدودا، وروي عن عبد الله بن كثير، وأبي عبد الله المزني، «وكفلها» بكسر الفاء خفيفة وهي لغة يقال: كفل يكفل بضم العين في المضارع، وكفل بكسر العين يكفل بفتحها في المضارع، «زكرياء» اسم أعجمي يمد ويقصر، قال أبو علي: لما عرب صادق العربية في بنائه فهو كالهيجاء تمد وتقصر، قال الزجاج: فأما ترك صرفه فلأن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٨٨/١

فيه في المد ألفي تأنيث وفي القصر ألف التأنيث، قال أبو علي: ألف زكرياء ألف تأنيث ولا يجوز أن تكون ألف إلحاق، لأنه ليس في الأصول شيء على وزنه، ولا يجوز أن تكون منقلبة، ويقال في لغة زكرى منون معرب، قال أبو علي: هاتان ياء نسب ولو كانتا اللتين في زكريا لوجب ألا ينصرف الاسم للعجمة والتعريف وإنما حذفت تلك وجلبت ياء النسب، وحكى أبو حاتم، زكرى بغير صرف وهو **غلط** عند النحاة، ذكره مكي.

وقوله تعالى: كلما ظرف و العامل فيه وجد، والمحراب المبنى الحسن كالغرف والعلالي ونحوه، ومحراب القصر أشرف ما فيه ولذلك قيل لأشرف ما في المصلى وهو موقف الإمام محراب، وقال الشاعر:

[وضاح اليمن] [السريع]

ربة محراب إذا جئتها ... لم ألقها أو أرتقي سلما

ومثل قول الآخر: [عدي بن زيد] [الخفيف]

كدمى العاج في المحاريب أو كال ... بيض في الروض زهره مستنير

وقوله تعالى: وجد عندها رزقا، معناه طعاما تتغذى به ما لم يعهده ولا عرف كيف جلب إليها، وكانت فيما ذكر الربيع، تحت سبعة أبواب مغلقة وحكى مكي أنها كانت في غرفة يطلع إليها بسلم، وقال ابن عباس: وجد عندها عنبا في مكتل في غير حينه، وقاله ابن جبير ومجاهد، وقال الضحاك ومجاهد أيضا وقتادة: كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وقال ابن عباس: كان يجد عندها ثمار الجنة: فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، وقال الحسن: كان يجد عنده ا رزقا من السماء ليس عند الناس ولو أنه علم أن ذلك الرزق من عنده لم يسألها عنه، وقال ابن إسحاق: هذا الدخول الذي ذكر الله تعالى في قوله كلما دخل عليها إنما هو دخول زكرياء عليها وهي في كفالة جريج." (١)

"[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٥٢ الى ٥٤]

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون (٥٢) ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين (٥٣) ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٥٤)

قبل هذه الآية متروك به يتم اتساق الآيات، تقديره، فجاء عيسى عليه السلام كما بشر الله به فقال جميع ما ذكر لبني إسرائيل، فلما أحس ومعنى أحس، علم من جهة الحواس بما سمع من أقوالهم في تكذيبه ورأى

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١/٤٢٦

من قرائن الأحوال وشدة العداوة والإعراض يقال أحسست بالشيء وحسيت به، أصله، حسست فأبدلت إحدى السينين ياء، والكفر هو التكذيب به، وروي أنه رأى منهم إرادة قتله، فحينئذ طلب النصر، والضمير في منهم لبني إسرائيل، وقوله تعالى: قال من أنصاري إلى الله عبارة عن حال عيسى في طلبه من يقوم بالدين ويؤمن بالشرع ويحميه، كما كان محمد عليه السلام يعرض نفسه على القبائل ويتعرض للأحياء في المواسم، وهذه الأفعال كلها وما فيها من أقوال يعبر عنها يقال من أنصاري إلى الله، ولا شك أن هذه الألفاظ كانت في جملة أقواله للناس، والأنصار جمع نصير، كشهيد وأشهاد وغير ذلك، وقيل جمع ناصر، كصاحب وأصحاب وقوله: إلى الله يحتمل معنيين، أحدهما، من ينصرني في السبيل إلى الله؟ فتكون إلى دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها، والمعنى الثاني، أن يكون التقدير من يضيف نصرته إلى نصرة الله لي؟ فيكون بمنزلة قوله ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم [النساء: ١] فإذا تأملتها وجدت فيها معنى الغاية لأنها تضمنت إضافة شيء إلى شيء، وقد عبر عنها ابن جريج والسدي بأنها بمعنى مع ونعم، إن- مع- تسد في هذه المعاني مسد «إلى» لكن ليس يباح من هذا أن يقال إن إلى بمعنى مع حتى **غلط** في ذلك بعض الفقهاء في تأويل قوله تعالى: وأيديكم إلى المرافق [المائدة: ٦] فقال إلى بمعنى مع وهذه عجمة بل إلى في هذه الآية، غاية مجردة، وينظر هل يدخل ما بعد إلى فيما قبلها من طريق آخر، والحواريون، قوم مر بهم عيسى عليه السلام، فدعاهم إلى نصره، واتباع ملته، فأجابوه وقاموا بذلك خير قيام، وصبروا في ذات الله، وروي أنه مر بهم وهم يصطادون السمك، واختلف الناس لم قيل لهم الحواريون؟ فقال سعيد بن جبير، سموا بذلك لبياض ثيابهم ونقائها، وقال أبو أرطأة، سموا بذلك لأنهم كانوا قصارين يحورون الثياب، أي يبيضونها، وقال قتادة، الحواريون أصفياء الأنبياء، الذين تصلح لهم الخلافة، وقال الضحاك نحوه.

قال الفقيه الإمام أبو محمد: وهذا تقرير حال القوم، وليس بتفسير اللفظة، وعلى هذا الحد شبه النبي عليه السلام، ابن عمته بهم في قوله: وحواري الزبير، والأقوال الأولى هي تفسير اللفظ، إذ هي من الحور، وهو البياض، حورت الثوب بيضته ومنه الحواري، وقد تسمي العرب النساء الساكنات في الأمصار، الحواريات، لغلبة البياض عليهن، ومنه قول أبي جلدة اليشكري:

فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وحكى مكي: أن مريم دفعت عيسى عليه السلام في صغره في أعمال شتى، وكان آخر ما دفعته إلى

الحواريين وهم الذين يقصرون الثياب ثم يصبغونها فأراهم آيات وصبغ لهم ألوانا شتى من ماء واحد، وقرأ." (١)

"ويكون قوله هدى الله بدلا من الهدى، وهذا في المعنى قريب من الذي قبله، وقال ابن جريج: قوله تعالى: أن يؤتى هو من قول محمد صلى الله عليه وسلم لليهود، وتم الكلام في قوله أوتيتم وقوله تعالى: أو يحاجوكم متصل بقول الطائفة ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ومنه، وهذا القول يفسر معانيه ما تقدم في قول غيره من التقسيم والله المستعان.

وقرأ ابن مسعود: «أن يحاجوكم» بدل أو، وهذه القراءة تلتئم مع بعض المعاني التي تقدمت ولا تلتئم مع بعضها، وقوله عند ربكم يجيء في بعض المعاني على معنى عند ربكم في الآخرة، ويجيء في بعضها على معنى عند كتب ربكم، والعلم الذي جعل في العباد، فأضاف ذلك إلى الرب تشريفا، وكأن المعنى أو يحاجوكم عند الحق، وقرأ الحسن «إن يؤتى» أحد بكسر الهمزة والتاء، على إسناد الفعل إلى أحد، والمعنى: أن إنعام الله لا يشبهه إنعام أحد من خلقه، وأظهر ما في القراءة أن يكون خطابا من محمد عليه السلام لأمته، والمفعول محذوف تقديره إن يؤتي أحد أحدا.

قوله تعالى:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٧٣ الى ٧٥]

ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٧٣) يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٧٤) ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٥)

في قوله تعالى: قل إن الفضل بيد الله إلى قوله العظيم، تكذيب لليهود في قولهم: نبوءة موسى مؤبدة، ولن يؤتي الله أحدا مثل ما آتى بني إسرائيل من النبوة والشرف، وسائر ما في الآية من لفظة واسع وغير ذلك قد تقدم نظيره.

ثم أخبر تعالى عن أهل الكتاب أنهم قسمان في الأمانة، ومقصد الآية ذم الخونة منهم، والتفنيد لرأيهم وكذبهم على الله، في استحلالهم أموال العرب، وفي قراءة أبي بن كعب «تيمنه» بتاء وياء في الحرفين

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٤٢/١

وكذلك- تيمنا- في يوسف، قال أبو عمرو الداني: وهي لغة تميم.

قال القاضي: وما أراها إلا لغة قرشية، وهي كسر نون الجماعة كنستعين، وألف المتكلم كقول ابن عمر، لا إخاله، وتاء المخاطب كهذه الآية ولا يكسرون الياء في الغائب وبها قرأ أبي بن كعب في «تيمنا» وابن مسعود والأشهب العقيلي وابن وثاب، وقد تقدم القول في «القنطار» في صدر السورة وقرأ جمهور الناس، «يؤده إليك» بكسر الهاء التي هي ضمير القنطار، وكذلك في الأخرى التي هي ضمير «الدينار» ، واتفق أبو عمرو وحمزة وعاصم والأعمش على إسكان الهاء، وكذلك كل ما أشبهه في القرآن، نحو نصله جهنم [النساء: ١١٥] ونؤته نوله إلا حرفا حكي عن أبي عمرو أنه كسره، وهو قوله تعالى: فألقه إليهم [النمل: ٢٨] قال أبو إسحاق: وهذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء **غلط** بين لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم، وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن في الوصل، وأما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة فغلط." (١)

"عليه، كما **غلط** عليه في بارئكم، وقد حكى عنه سيبويه، وهو ضابط لمثل هذا: أنه يكسر كسرا خفيفا، و «القنطار» في هذه الآية: مثال للمال الكثير يدخل فيه أكثر من القنطار وأقل، وأما «الدينار» فيحتمل أن يكون كذلك، مثالا لما قل، ويحتمل أن يريد طبقة لا تخون إلا في دينار فما زاد، ولم يعن لذكر الخائنين في أقل إذ هم طغام حثالة، وقرأ جمهور الناس «دمت» بضم الدال، وقرأ ابن وثاب والأعمش وأبو عبد الرحمن السلمي وابن أبي ليلى والفياض بن غزوان وغيرهم: «دمت ودمتم» ، بكسر الدال في جميع القرآن، قال أبو إسحاق: من قولهم: «دمت» ، تدام، نمت، تنام، وهي لغة، ودام معناه ثبت على حال ما، والتدويم على الشيء الاستدارة حول الشيء ومنه قول ذي الرمة: [البسيط] والشمس حيرى لها في الجو تدويم والدوام، الدوار يأخذ في رأس الإنسان، فيرى الأشياء تدور له، وتدويم الطائر في السماء، هو ثبوته إذا صف واستدار والماء الدائم وغيره هو الذي كأنه يستدير حول مركزه، وقوله قائما يحتمل معنيين قال الزجاج وقتادة ومجاهد: معناه قائما على اقتضاء دينك.

قال الفقيه الإمام أبو محمد: يريدون بأنواع الاقتضاء من الحفز والمرافعة إلى الحكام، فعلى هذا التأويل، لا تراعى هيئة هذا الدائم بل اللفظة من قيام المرء على أشغاله، أي اجتهاده فيها، وقال السدي وغيره: قائما في هذه الآية معناه: قائما على رأسه، على الهيئة المعروفة، وتلك نهاية الحفز، لأن معنى ذلك أنه في صدر شغل آخر، يريد أن يستقبله، وذهب إلى هذا التأويل جماعة من الفقهاء وانتزعوا من الآيات جواز السجن، لأن الذي يقوم عليه غريمه فهو يمنعه من تصرفاته في غير القضاء، ولا فرق بين المنع من التصرفات وبين

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٥٧/١

السجن، وهذه الآية وما بعدها نزلت فيما روي، بسبب أن جماعة من العرب كانت لهم ديون في ذمم قوم من أهل الكتاب، فلما أسلم أولئك العرب قالت لهم اليهود: نحن لا نؤدي إليكم شيئا حين فارقتم دينكم الذي كنتم عليه، فنزلت الآية في ذلك وروي أن بني إسرائيل كانوا يعتقدون استحلال أموال العرب لكونهم أهل أوثان، فلما جاء الإسلام وأسلم من أسلم من العرب بقي اليهود فيهم على ذلك المعتقد، فنزلت الآية حامية من ذلك، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية فهو تحت قدمي، إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر» .

الإشارة ب ذلك إلى كونهم لا يؤدون الأمانة في دينار فما فوقه، على أحد التأويلين، والضمير في،." (١)

"وقال أكثر المفسرين: الرجلان يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى وكالب بن يوفنا، ويقال فيه كلاب، ويقال كالوث بثاء مثلثة ويقال في اسم أبيه يوفيا، وهو صهر «موسى» على أخته، قال الطبري: اسم زوجته مريم بنت عمران، ومعنى يخافون أي الله، وأنعم عليهما بالإيمان الصحيح وربط الجأش والثبوت في الحق، وقال قوم المعنى يخافون العدو لكن أنعم الله عليهما بالإيمان والثبوت مع خوفهما، ويقوي التأويل الأول أن في قراءة ابن مسعود: «قال رجلان من الذين يخافون الله أنعم عليهما» . وأما من قرأ بضم الياء فلقراءته ثلاثة معان، أحدها ما روي من أن الرجلين كانا من الجبارين آمنا بموسى واتبعاه، فكانا من القوم الذين يخافون لكن أنعم الله عليهما بالإيمان بموسى فقالا نحن أعلم بقومنا، والمعنى الثاني أنهما يوشع وكالوث لكنهما من الذين يوقرون ويسمع كلامهم ويهابون لتقواهم وفضلهم. فهم «يخافون» بهذا الوجه.

والمعنى الثالث أن يكون الفعل من أخاف والمعنى من الذين يخافون بأوامر الله ونواهيه ووعيده وزجره، فيكون ذلك مدحا لهم على نحو المدح في قوله تعالى: أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى [الحجرات: ٣] وقوله تعالى: أنعم الله عليهما صفة للرجلين، والباب هو باب مدينة الجبارين فيما ذكر المفسرون والمعنى اجتهدوا وكافحوا حتى تدخلوا الباب، وقوله: فإنكم غالبون ظن منهما ورجاء وقياس أي إنكم بذلك تفتون في أعضادهم ويقع الرعب في قلوبهم فتغلبونهم، وفي قراءة ابن مسعود «عليهما ويلكم ادخلوا» . وقولهما: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين يقتضي أنهما استرابا بإيمانهم حين رأياهم يعصون الرسول ويجبنون مع وعد الله تعالى لهم بالنصر.

ثم إن بني إسرائيل لجوا في عصيانهم وسمعوا من العشرة النقباء الجواسيس الذين خوفوهم أمر الجبارين

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٥٨/١

ووصفوا لهم قوة الجبارين وعظم خلقهم فصمموا على خلاف أمر الله تعالى: وقالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون وهذه عبارة تقتضي كفرا، وذهب بعض الناس إلى أن المعنى اذهب أنت وربك يعينك وأن الكلام معصية لا كفر.

قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه: وقولهم فقاتلا يقطع بهذا التأويل، وذكر النقاش عن بعض المفسرين أن المراد بالرب هنا هارون لأنه كان اسن من «موسى» وكان معظما في بني إسرائيل محببا لسعة خلقه ورحب صدره، فكأنهم قالوا اذهب أنت وكبيرك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل بعيد، وهارون إنما كان وزيرا لموسى وتابعا له في معنى الرسالة، ولكنه تأويل يخلص بني إسرائيل من الكفر، وذكر الطبري عن قتادة أنه قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عزم على قتال قريش في عام الحديبية، جمع العسكر وكلم الناس في ذلك فقال له المقداد بن الأسود: لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون» .

لكنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. وذكر النقاش أن الأنصار قالت هذه المقالة للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال القاضي أبو محمد: وجميع هذا وهم، غلط قتادة رحمه الله في وقت النازلة، وغلط النقاش في قائل المقالة، والكلام إنما وقع في غزوة بدر حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذفران فكلم الناس." (١)

"رسولا

[الإسراء: ١٥] وغير ذلك وقاعدة المتكلمين أن العقل لا يوجب ولا يكلف وإنما يوجب الشرع، فالوجه في هذا أن يقال إن آدم عليه السلام فمن بعده دعا إلى توحيد الله دعاء عاما واستمر ذلك على العالم، فواجب على الآدمي البالغ أن يبحث على الشرع الآمر بتوحيد الله تعالى وينظر في الأدلة المنصوبة على ذلك بحسب إيجاب الشرع النظر فيها، ويؤمن ولا يعبد غير الله، فمن فرضناه لم يجد سبيلا إلى العلم بشرع آمر بتوحيد الله وهو مع ذلك لم يكفر ولا عبد صنما بل تخلى فأولئك أهل الفترات الذين أطلق عليهم أهل العلم أنهم في الجنة وهم بمنزلة الأطفال والمجانين، ومن قصر في النظر والبحث فعبد صنما وكفر فهذا تارك للواجب عليه مستوجب العقاب بالنار، فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل المبعث ومن كان معه من الناس وقبله مخاطبون على ألسنة الأنبياء قبل بتوحيد الله عز وجل، وغير مخاطبين بفروع شرائعهم إذ هي مختلفة وإذ لم يدعهم إليها نبي، وأما بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فهل هو وأمته مخاطبون بشرع

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٧٥/٢

من تقدم فقالت فرقة لسنا مخاطبين بشيء من ذلك وقالت فرقة نحن مخاطبون بشرع من قبلنا.
قال القاضي أبو محمد: ومن قال من هذه الطائفة إن محمدا عليه السلام وأمته مخاطبون بكل شرائع من تقدم على الإطلاق فقد أحال لأن أحكام الشرائع تأتي مختلفة، وإنما يتحدق قول من قال منها إنا متعبدون بما صح نقله من شرائع من قبلنا ولم تختلف فيه الشرائع وبالآخر مما اختلفت فيه لأنه الناسخ المتقدم ويرتبط في صحة نقل ذلك إلى ما وقع في القرآن في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكاية أحكام سالفة كقوله تعالى: وخذ بيدك ضغثا فاضرب به [ص: ٤٤] وكقوله: أقم الصلاة لذكري [طه: ١٤] وكحكاية تزويج شعيب ابنته بموسى عليهما السلام، وكحديث النبي عليه السلام في قضية سليمان بين المرأتين في الولد ونحو ذلك، ولا يقتضي قولهم أكثر من جواز أن يتعبد بذلك وأما وجوب أن تعبد فغير لازم، ولا يتعلق عندي أشبه في ذلك من أن يقال النبي عليه السلام شرع لأمته أن يصلي الناس صلاته إذا ذكرها، ثم مثل في ذلك لا على طريق التعليل بقوله عز وجل لموسى وأقم الصلاة لذكري [طه: ١٤] فننقل نحن هذا إلى غير ذلك من النوازل ونقول إنه كما شرع عندنا المثال في نسيان الصلاة كذلك نشرع هذه الأمثلة كلها.
قال القاضي أبو محمد: وهذا قياس ضعيف، ولو ذكر النبي عليه السلام قوله تعالى: وأقم الصلاة لذكري [طه: ١٤] على جهة التعليل لكانت الحجة به قوية، ولا يصح أن يقال يصح عندنا نقل ما في الشرائع من جهة من أسلم منهم كعبد الله بن سلام وغيره صحة ننقلها، وكذلك ما شرعه الحواريون لا سبيل إلى صحة شرع عيسى عليه السلام له، وقرأ ابن كثير وأهل مكة ونافع وأبو عمرو وأهل المدينة وعاصم «اقتده» بهاء السكت ثابتة في الوقف والوصل، وقرأ حمزة والكسائي «اقتد» قال بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف، وهذا هو القياس، وهي تشبه ألف الوصل في أنها تقطع في الابتداء وتوصل غير مبتدأ بها، فكذلك هذه تثبت في الوقف وتحذف في الوصل، وقرأ ابن عامر «اقتده» بكسر الهاء دون بلوغ الياء، قال ابن مجاهد وهذا **غلط** لأنها هاء وقف لا تعرب على حال، قال أبو علي ووجه ذلك أن تكون ضمير المصدر كأنه قال اقتد الاقتداء، وقرأ ابن ذكوان على هذه «اقتده» بإشباع الياء بعد الهاء، وقالت فرقة إن كسر الهاء إنما هو في هاء السكت كما قد تسكن هاء الضمير أحيانا.." (١)
"الضمير في قوله وأقسموا عائد على المشركين المتقدم ذكرهم، وجهد نصب على المصدر والعامل فيه أقسموا على مذهب سيبويه لأنه في معناه، وعلى مذهب أبي العباس المبرد فعل من لفظة، واللام في

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٣١٩

قوله لئن لام موطئة للقسم مؤذنة به، وأما اللام المتلقية للقسم فهي قوله ليؤمنن وآية يريد علامة، وحكي أن الكفار لما نزلت إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين [الشعراء: ٤] أقسموا حينئذ أنها إن نزلت آمنوا فنزلت هذه الآية.

وحكي أنهم اقترحوا أن يعود الصفا ذهبا وأقسموا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في ذلك فجاءه جبريل فقال له إن شئت أصبح ذهبا فإن لم يؤمنوا هلكوا عن آخرهم معاجلة كما فعل بالأمم إذا لم تؤمن بالآيات المقترحة، وإن شئت أخروا حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل حتى يتوب تائبهم ونزلت هذه الآية، وقرأ ابن مصرف «ليؤمنن» بفتح الميم والنون وب ا‌لنون الخفيفة، ثم قال تعالى قل لهم يا محمد على جهة الرد والتخطية إنما الآيات بيد الله وعنده، ليست عندي فتقترح علي، ثم قال وما يشعركم فاختلف المتأولون فمن المخاطب بقوله وما يشعركم ومن المستفهم ب «ما» التي يعود عليها الضمير الفاعل في «يشعركم» ، فقال مجاهد وابن زيد: المخاطب بذلك الكفار، وقال الفراء وغيره، المخاطب بها المؤمنون، وما يشعركم معناه وما يعلمكم وما يدريكم، وقرأ قوم «يشعركم» بسكون الراء، وهي على التخفيف، ويحسنها أن الخروج من كسرة إلى ضمة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية دواد الايادي «إنها» بكسر الألف على القطع واستئناف الإخبار، فمن قرأ «تؤمنون» بالتاء وهي قراءة ابن عامر وحمزة استقامت له المخاطبة أولا وآخرا للكفار، ومن قرأ «يؤمنون» بالياء وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي فيحتمل أن يخاطب أولا وآخرا المؤمنين، ويحتمل أن يخاطب بقوله وما يش‍ع‍ركم الكفار ثم يستأنف الإخبار عنهم للمؤمنين، ومفعول يشعركم الثاني محذوف ويختلف تقديره بحسب كل تأويل، وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي وابن عامر «أنها» بفتح الألف، فمنهم من جعلها «أن» التي تدخل على الجمل وتأتي بعد الأفعال كعلمت وظننت وأعمل فيها يشعركم، والتزم بعضهم «أن لا» زائدة في قوله لا يؤمنون وأن معنى الكلام وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو تؤمنون فزيدت لا كما زيدت في قوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون [الأنبياء: ٩٥] لأن المعنى وحرام على قرية مهلكة رجوعهم، وكما جاءت في قول الشاعر: [الطويل]

أبى جوده لا البخل واستعجلت به ... نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله

قال الزجاج أراد «أبى جوده البخل» ، كما جاءت زائدة في قول الشاعر:

أفمنك لا برق كان وميضه ... غاب تسنمه ضرام مثقب

ودعا إلى التزام هذا حفظ المعنى لأنها لو لم تكن زائدة لعاد الكلام عذرا لل‍كفار وفسد المراد بالآية،

وضعف الزجاج وغيره زيادة لا وقال هذا غلط، ومنهم من جعل «أنها» بمعنى لعلها وحكاها سيبويه عن الخليل وهو تأويل لا يحتاج معه إلى تقدير زيادة لا، وحكى الكسائي أنه كذلك في مصحف أبي بن كعب: وما أدراكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، ومن هذا المعنى قول الشاعر [أبو النجم] : [الرجز]." (١)

"تدخل طائفة منهم النار وذلك شقاء لا محالة؟ فقالت طائفة إنه توزن أعمالهم دون التوحيد فتخف الحسنات فيدخلون النار ثم عند إخراجهم يوزن التوحيد فتثقل الحسنات فيدخلون الجنة، وأيضا فمعرفة العاصي أنه غير مخلد فلاح وإن تقدمه شقاء على جهة التأديب.

وقوله تعالى: ومن خفت موازينه الآية، المعنى من خفت كفة حسناته فشالت، وخسروا أنفسهم أي بالهلاك والخلود في النار وتلك غاية الخسارة، وقوله: بما كانوا أي جزاء بذلك كما تقول أكرمتك بما أكرمتني، و «ما» في هذا الموضع مصدرية، و «الآيات» هنا البراهين والأوامر والنواهي ويظلمون أي يضعونها في غير مواضعها بالكفر والتكذيب.

قوله عز وجل:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٠ الى ١١]

ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون (١٠) ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين (١١)

الخطاب لجميع الناس، والمراد أن النوع بجملته ممكن في الأرض، و «المعايش» جمع معيشة وهي لفظة تعم المأكول الذي يعاش به والتحرف الذي يؤدي إليه، وقرأ الجمهور «معايش» بكسر الياء دون همز، وقرأ الأعرج وغيره «معائش» بالهمز كمدائن وسفائن، ورواه خارجة عن نافع، وروي عن ورش «معايش» بإسكان الياء، فمن قرأ «معايش» بتصحيح الياء فهو الأصوب لأنها جمع معيشة وزنها مفعلة، ويحتمل أن تكون مفعلة بضم العين قالهما سيبويه، وقال الفراء مفعلة بفتح العين فالياء في معيشة أصلية وأعلت معيشة لموافقتها الفعل الذي هو يعيش في الياء أي في المتحرك والساكن، وصححت «معايش» في جمع التكسير لزوال الموافقة المذكورة في اللفظ ولأن التكسير معنى لا يكون في الفعل إنما تختص به الأسماء، ومن قرأ «معايش» فعلى التخفيف من «معايش» ، ومن قرأ «معائش» فأعلها فذلك غلط، وأما توجيهه فعلى تشبيه الأصل بالزائد لأن معيشة تشبه في اللفظ صحيفة فكما يقال صحائف قيل «معائش» ، وإنما همزت ياء

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٣٣/٢

صحائف ونظائرها مما الياء فيه زائدة لأنها لا أصل لها في الحركة وإنما وزنها فعلية ساكنة، فلما اضطر إلى تحريكها في الجمع بدلت بأجلد منها.

وقليلا نصب ب تشكرون، ويحتمل أن تكون ما زائدة، ويحتمل أن تكون مع الفعل بتأويل المصدر، قليلا نعت لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا شكركم، أو شكرا قليلا تشكرون.

وقوله تعالى: ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية، هذه الآية معناها التنبيه على موضع العبرة والتعجيب من غريب الصنعة وإسداء النعمة، فبدأ بالخلق الذي هو الإيجاد بعد العدم ثم بالتصوير في هذه البنية المخصوصة للبشر، وإلا فلم يعر المخلوق قط من صورة، واضطراب الناس في ترتيب هذه الآية لأن ظاهرها يقتضي أن الخلق والتصوير لبني آدم قبل القول للملائكة أن يسجدوا، وقد صححت الشريعة أن الأمر لم يكن كذلك، فقالت فرقة: المراد بقوله: ولقد خلقناكم ثم صورناكم آدم بنفسه وإن كان الخطاب لبنيه، وذلك لما كان سبب وجود بنيه بما فعل فيه صح مع تجوز أن يقال إنه فعل في بنيه، وقال." (١)

"الله عليه وسلم، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر «يغشي» من أغشى، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي «يغشي» بالتشديد من غشى، وهما طريقان في تعدية «غشي» إلى مفعول ثان، وقرأ حميد «يغشى» بفتح الياء والشين ونصب «الليل» ورفع «النهار» ، كذا قال أبو الفتح وقال أبو عمرو الداني برفع «الليل» قال القاضي أبو محمد: وأبو الفتح أثبت وحثيثا معناه سريعا، ويطلبه حثيثا حال من الليل بحسب اللفظ على قراءة الجماعة، ومن النهار بحسب المعنى، وأما على قراءة حميد فمن النهار في الوجهين، ويحتمل أن يكون حالا منهما، ومثله قوله تعالى: فأتت به قومها تحمله [مريم: ٢٧] فيصح أن يكون تحمله حالا منها، وأن يكون حالا منه وأن يكون حالا منهما. ومسخرات في موضع الحال، وقرأ ابن عامر وحده من السبعة و «الشمس والقمر والنجوم مسخرات» بالرفع في جميعها، ونصب الباقون هذه الحروف كلها، وقرأ أبان بن تغلب و «الشمس والقمر» بالنصب، و «النجوم مسخرات» بالرفع.

وألا استفتاح كلام فاستفتح بها في هذا الموضع هذا الخبر الصادق المرشد.

قال القاضي أبو محمد: وأخذ المفسرون الخلق بمعنى المخلوقات. أي هي له كلها وملكه واختراعه، وأخذوا الأمر مصدرا من أمر يأمر، وعلى هذا قال النقاش وغيره: إن الآية ترد على القائلين بخلق القرآن لأنه فرق فيها بين المخلوقات وبين الكلام إذ الأمر كلامه عز وجل.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن تؤخذ لفظة الخلق على المصدر من خلق يخلق خلقا أي له هذه

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٧٧/٢

الصفة إذ هو الموجد للأشياء بعد العدم، ويؤخذ الأمر على أنه واحد الأمور إلا أنه يدل على الجنس فيكون بمنزلة قوله وإليه يرجع الأمر كله [هود: ١٢٣] وبمنزلة قوله وإلى الله ترجع الأمور [البقرة: ٢١٠] فإذا أخذت اللفظتان هكذا خرجتا عن مسألة الكلام.

قال القاضي أبو محمد: ولما تقدم في الآية خلق وبأمره تأكد في آخره أن له الخلق والأمر المصدرين حسب تقدمهما، وكيف ما تأولت الآية فالجميع لله، وأسند الطبري إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من زعم أن الله تعالى جعل لأحد من العباد شيئا من الأمر فقد كفر بما أنزل الله لقوله تعالى: ألا له الخلق والأمر» ، قال النقاش: ذكر الله الإنسان في القرآن في ثمانية عشر موضعا في جميعها أنه مخلوق، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعا ليس في واحد منها إشارة إلى أنه مخلوق، وقال الشعبي الخلق عبارة عن الدنيا والأمر عبارة عن الآخرة، وتبارك معناه عظم وتعالى وكثرت بركاته، ولا يوصف بها إلا الله تعالى، وتبارك لا يتصرف في كلام العرب، لا يقال منه يتبارك، وهذا منصوص عليه لأهل اللسان.

قال القاضي أبو محمد: وعلة ذلك أن تبارك لما لم يوصف بها غير الله تعالى لم تقتض مستقبلا إذ الله قد تبارك في الأزل، وقد **غلط** بها أبو علي القالي فقيل له كيف المستقبل من تبارك فقال يتبارك فوقف على أن العرب، لم تقله، و «الرب» السيد المصلح، والعالمين جمع عالم.." [1]

"الساحر كان عندهم في ذلك الزمن أعلى المراتب وأعظم الرجال، ولكن وصفهم موسى بذلك مع مدافعتهم له عن النبوة ذم عظيم وحط، وذلك قصدوا إذ لم يمكنهم أكثر، وقولهم يريد أن يخرجكم من أرضكم يعنون بأنه يحكم فيكم بنقل رعيتكم في بني إسرائيل فيفضي ذلك إلى خراب دياركم إذا ذهب الخدمة والعمرة، وأيضا فلا محالة أنهم خافوا أن يقاتلهم وجالت ظنونهم كل مجال، وقال النقاش: كانوا يأخذون من بني إسرائيل خرجا كالجزية فرأوا أن ملكهم يذهب بزوال ذلك، وقوله فماذا تأمرون الظاهر أنه من كلام الملأ بعضهم إلى بعض، وقيل هو من كلام فرعون لهم، وروى كردم عن نافع «تأمرون» بكسر النون، وكذلك في الشعراء و «في» استفهام و «ذا» بمعنى الذي فهما ابتداء وخبر، وفي تأمرون ضمير عائد على الذي تقديره تأمرون به ويجوز أن تجعل فماذا بمنزلة اسم واحد في موضع نصب ب تأمرون ولا يضمر فيه على هذا، قال الطبري: والسحر مأخوذ من سحر المطر الأرض إذا جادها حتى يقلب نباتها ويقلعه من أصوله فهو يسحرها سحرا والأرض مسحورة.

قال القاضي أبو محمد: وإنما سحر المطر الطين إذا أفسده حتى لا يمكن فيه عمل، والسحر الآخذة التي

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٤٠٩

تأخذ العين حتى ترى الأمر غير ما هو، وربما سحر الذهن، ومنه قول ذي الرمة: [الوافر]

وساحرة السراب من الموامي ... يرقص في نواشزها الأروم

أراد أنه يخيل نفسه ماء للعيون.

ثم أشار الملأ على فرعون بأن يؤخر موسى وهارون ويدع النظر في أمرهما ويجمع السحرة من كل مكان حتى تكون غلبة موسى بحجة واضحة معلومة بينة، وقرأ ابن كثير «أرجئهو» بواو بعد الهاء المضمومة وبالهمز قبل الهاء، وقرأ أبو عمرو «أرجئه» بالهمز، دون واو بعدها وقرأ نافع وحده في رواية قالون: «أرجه» بكسر الهاء، ويحتمل أن يكون المعنى: أخره فسهل الهمزة، ويحتمل من الرجا بمعنى أطعمه ورجه قاله المبرد، وقرأ ورش عن نافع: «أرجهي» بياء بعد كسرة اںهاء، وقرأ ابن عامر: «أرجئه» بكسر الهاء وبهمزة قبلها، قال الفارسي وهذا غلط وقرأ عاصم والكسائي «أرجه» بضم الهاء دون همز، وروى أبان عن عاصم: «أرجه» بسكون الهاء وهي لغة تقف على هاء الكناية إذا تحرك ما قبلها، ومنه قول الشاعر: [منظور بن حبة الأسدي]

أنحى علي الدهر رجلا ويدا ... يقسم لا أصلح إلا أفسدا

فيصلح اليوم ويفسد غدا.." (١)

"السختياني ويعلى بن حكيم وأبو سراج الهذلي وأبو جعفر «آصارهم» بالجمع لما كانت الأعمال كثيرة كانت أثقالها متغايرة، ومن وحد الإصر فإنما هو مفرد اسم جنس يراد به الجمع، قال أبو حاتم: في كتاب بعض العلماء «أصرهم» واحد مفتوح الهمزة عن نافع وعيسى والزيات وذلك غلط، وذكرها مكي عن أبي بكر عن عاصم وقال: هي لغة.

والأغلال التي كانت عليهم عبارة مستعارة أيضا لتلك الأثقال كقطع الجلد من أثر البول، وأن لا دية ولا بد من قتل للقاتل، وترك الأشغال يوم السبت، فإنه روي أن موسى عليه السلام رأى يوم السبت رجلا يحمل قصبا فضرب عنقه، هذا قول جمهور المفسرين، وهذا مثل قولك طوق فلان كذا إذا ألزمه، ومنه قول الشاعر: [مجزوء الكامل]

اذهب بها اذهب بها ... طوقتها طوق الحمامه

أي لزمك عارها ومن هذا المعنى قول الهذلي:

فليس كعهد الدار يا أم مالك ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٤٣٧

وعاد الفتى كالكهل ليس بقابل ... سوى الحق شيئا فاستراح العواذل
يريد أوامر الإسلام ولوازم الإيمان الذي قيد الفتك كما قال صلى الله عليه وسلم، وقال ابن زيد: إنما المراد هنا ب الأغلال قول الله عز وجل في اليهود غلت أيديهم [المائدة: ٦٤] فمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم زالت عنه الدعوة وتغليلها.
ثم أخبر تعالى عن حال المؤمنين فقال: فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه وقرأ الجحدري وسليمان التيمي وقتادة وعيسى «عزروه» بالتخفيف، وجمهور الناس على التشديد في الزاي، ومعناه في القراءتين وقروه، والتعزير والنصر مشاهدة خاصة للصحابة، واتباع النور يشترك فيه معهم المؤمنون إلى يوم القيامة، والنور كناية عن جملة الشرع، وقوله: معه فيه حذف مضاف والتقدير مع بعثه أو نبوته أو نحو هذا، وشبه الشرع والهدى بالنور إذ القلوب تستضيء به كما يستضيء البصر بالنور، والمفلحون معناه الفائزون ببغيتهم، وهذا يعم معاني الفلاح فإن من بقي فقد فاز ببغيته.
قوله عز وجل:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٥٨ الى ١٦٠]
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (١٥٨) ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٥٩) وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (١٦٠)
هذا أمر من الله عز وجل لنبيه بإشهار الدعوة والحض على الدخول في الشرع، وذلك أنه لما رجا." (١)

"وظاهر كلام النحاس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في أربعة عشر ألفا، وهذا غلط، ومدبرين نصب على الحال المؤكدة كقوله: وهو الحق مصدقا [البقرة: ٩١] والمؤكدة هي التي يدل ما قبلها عليها كدلالة التولي على الأدبار، وقوله تعالى: ثم أنزل الله سكينته الآية، ثم هاهنا على بابها من الترتيب، و «السكينة» النصر الذي سكنت إليه ومعه النفوس والحال، والإشارة بالمؤمنين إلى الأنصار على ما روي، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى في ذلك اليوم يا معشر الأنصار، فانصرفوا وهم ردوا الهزيمة،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٦٤/٢

و «الجنود» الملائكة، و «الرعب» قال أبو حاجز يزيد بن عامر: كان في أجوافنا مثل ضربة الحجر في الطست من الرعب، «وعذاب الذين كفروا» هو القتل الذي استحر فيهم والأسر الذي تمكن في ذراريهم، وكان مالك بن عوف النصري قد أخرج الناس بالعيال والذراري ليقاتلوا عليها، فخطأه في ذلك دريد بن الصمة، وقال لمالك بن عوف راعي ضأن وهل يرد المنهزم شيء؟ وفي ذلك اليوم قتل دريد بن الصمة القتلة المشهورة، قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان السلمي، ويقال ابن الدغنة وقوله ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء إعلام بأن من أسلم وتاب من الكفار الذين نجوا ذلك اليوم فإنهم مقبولون مسلمون موعودون بالغفران والرحمة.

قوله عز وجل:

[سورة التوبة (٩) : آية ٢٨]

يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم (٢٨)

قال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما: صفة المشرك بالنجس إنما كانت لأنه جنب إذ غسله من الجنابة ليس بغسل، وقال ابن عباس وغيره: بل معنى الشرك هو الذي كنجاسة الخمر، قال الحسن البصري: من صافح مشركا فليتوضأ.

قال القاضي أبو محمد: فمن قال بسبب الجنابة أوجب الغسل على من يسلم من المشركين، ومن قال بالقول الآخر لم يوجب الغسل، والمذهب كله على القول بإيجاب الغسل إلا ابن عبد الحكم فإنه قال: ليس بواجب، وقرأ أبو حيوة «نجس» بكسر النون وسكون الجيم، ونص الله تعالى في هذه الآية على المشركين وعلى المسجد الحرام، فقاس مالك رحمه الله غيره جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين، وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام، ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد وكذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله ونزع في كتابه بهذه الآية، ويؤيد ذلك قوله تعالى: في بيوت أذن الله أن ترفع [النور: ٣٦] ، وقال الشافعي هي عامة في الكفار خاصة في المسجد الحرام، فأباح دخول اليهود والنصارى والوثنيين في سائر المساجد، ومن حجته حديث ربط ثمامة بن أثال، وقال أبو حنيفة هي خاصة في عبدة الأوثان وفي المسجد الحرام، فأباح دخول اليهود والنصارى في المسجد الحرام وغيره، ودخول

عبدة الأوثان في سائر المساجد، وقال عطاء: وصف المسجد بالحرام ومنع القرب يقتضي منعهم من جميع الحرم.." (١)

"هذه الآية هي بلا اختلاف نازلة عتابا على تخلف من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم في عشرين ألفا بين راكب وراجل، وتخلف عنه قبائل من الناس ورجال من المؤمنين كثير ومنافقون فالعتاب في هذه الآية هو للقبائل وللمؤمنين الذين كانوا بالمدينة، وخص الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية بذلك التذنيب الشديد بحسب مكانهم من الصحبة إذ هم من أهل بدر وممن يقتدى بهم، وكان تخلفهم لغير علة حسب ما يأتي، وقوله ما لكم استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ، وقوله قيل يريد النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن صرفه الفعل لا يسمى فاعله يقتضي إغلاظا ومخاشنة ما، و «النفر» هو التنقل بسرعة من مكان إلى مكان لأمر يحدث، يقال في ابن آدم نفر إلى الأمر ينفر نفيرا ونفرا، ويقال في الدابة نفرت تنفر بضم الفاء نفورا، وقوله اثاقلتم أصله تثاقلتم أدغمت التاء في الثاء فاحتيج إلى ألف الوصل كما قال فادارأتم وكما تقول ازين، وكما قال الشاعر [الكسائي] : [البسيط]

تولي الضجيع إذا ما استافها خصرا ... عذب المذاق إذا ما اتابع القبل

وقرأ الأعمش فيما حكى المهدوي وغيره «تثاقلتم» على الأصل، وذكرها أبو حاتم «تتثاقلتم» بتاءين ثم ثاء مثلثة، وقال هي خطأ أو غلط، وصوب «تثاقلتم» بتاء واحدة وثاء مثلثة أن لو قرىء بها، وقوله اثاقلتم إلى الأرض عبارة عن تخلفهم ونكولهم وتركهم الغزو لسكنى ديارهم والتزام نخلهم وظلالهم، وهو نحو من أخلد إلى الأرض، وقوله: أرضيتم تقرير يقول أرضيتم نزر الدنيا على خطير الآخرة وحظها الأسعد، ثم أخبر فقال إن الدنيا بالإضافة إلى الآخرة قليل نزر، فتعطي قوة الكلام التعجب من ضلال من يرضى النزر بدل الكثير الباقي، وقوله إلا تنفروا الآية، إلا تنفروا يعذبكم شرط وجواب، وقوله يعذبكم لفظ عام يدخل تحته أنواع عذاب الدنيا والآخرة، والتهديد بعمومه أشد تخويفا، وقالت فرقة يريد يعذبكم بإمساك المطر عنكم، وروي عن ابن عباس أنه قال: استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة من القبائل فقعدت فأمسك الله عنها المطر وعذبها به، و «أليم» بمعنى مؤلم بمنزلة قول عمرو بن معديكرب: [الوافر] أمن ريحانة الداعي السميع وقوله ويستبدل قوما غيركم توعد بأن يبدل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوما لا يقعدون عند استنفاره إياهم، والضمير في قوله ولا تضروه شيئا عائد على الله عز وجل أي لا ينقص ذلك من عزه وعز دينه،

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/ ٢٠

ويحتمل أن يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وهو أليق، والله على كل شيء قدير أي على كل شيء مقدور وتبديلهم منه ليس بمحال ممتنع.." (١)

"صدقوا

يريد استئذانك وأنك لو لم تأذن لهم خرجوا معك وقوله وتعلم الكاذبين يريد في أنهم استأذنوك يظهرون لك أنهم يقفون عند حدك وهم كذبة قد عزموا على العصيان أذنت لهم أو لم تأذن، وقال الطبري معناه حتى تعلم الصادقين في أن لهم عذرا والكاذبين في أن لا عذر لهم.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا التأويل يختلط المتعذرون وقد قدمنا أن فيهم مؤمنين كالمستأذنين وهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والأول أصوب والله أعلم.

وأدخل الطبري أيضا في تفسير هذه الآية عن قتادة أن هذه الآية نزلت بعدها الآية الأخرى في سورة النور فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم [الآية: ٦٢] .

قال القاضي أبو محمد: وهذا **غلط** لأن آية النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق في استئذان بعض المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وسلم، في بعض شأنهم في بيوتهم في بعض الأوقات، فأباح الله له أن يأذن فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى، وقوله لا يستأذنك الآية، نفي عن المؤمنين أن يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، في التخلف دون عذر كما فعل الصنف المذكور من المنافقين، وقوله أن يجاهدوا يحتمل أن تكون أن في موضع نصب على معنى لا يستأذنون في التخلف كراهية أن يجاهدوا، قال سيبويه ويحتمل أن تكون في موضع خفض.

قال القاضي أبو محمد: على معنى لا يحتاجون إلى أن يستأذنوا في أن يجاهدوا بل يمضون قدما، أي فهم أحرى ألا يستأذنوا في التخلف، ثم أخبر بعلمه تعالى بالمتقين وفي ذلك تعيير للمنافقين وطعن عليهم بين.

قوله عز وجل:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٤٥ الى ٤٧]

إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (٤٥) ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (٤٦) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين (٤٧)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٣٤

هذه الآية تنص على أن المسأذنين إنما هم مخلصون للنفاق، وارتابت قلوبهم معناه شكت، والريب نحو الشك، ويترددون أي يتحيرون لا يتجه لهم هدى، ومن هذه الآية نزع أهل الكلام في حد الشك أنه تردد بين أمرين، والصواب في حده أنه توقف بين أمرين، والتردد في الآية إنما هو في ريب هؤلاء المنافقين إذ كانوا تخطر لهم صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا، وأنه غير صحيح أحيانا، ولم يكونوا شاكين طالبين للحق لأنه كان يتضح لهم لو طلبوه، بل كانوا مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كالشاة الحائرة بين الغنمين، وأيضا فبين الشك والريب فرق ما، وحقيقة الريب إنما هو الأمر يستريب به." (١)

"الناظر فيخلط عليه عقيدته فربما أدى إلى شك وحيرة وربما أدى إلى علم ما في النازلة التي هو فيها، ألا ترى أن قول الهذلي:

كأني أريته بريب لا يتجه أن يفسر بشك قال الطبري: وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرنا في سورة النور، وأسند عن الحسن وعكرمة أنهما قالا في قول لا يستأذنك الذين يؤمنون [التوبة: ٤٤] إلى قوله فهم في ريبهم يترددون نسختها الآية التي في النور،، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله [الآية: ٦٢] إلى إن الله غفور رحيم [النور: ٦٢] .

قال القاضي أبو محمد: وهذا **غلط** وقد تقدم ذكره، وقوله تعالى: ولو أرادوا الخروج الآية، حجة على المنافقين، أي ولو أرادوا الخروج بنياتهم لنظروا في ذلك واستعدوا له قبل كونه، و «العدة» ما يعد للأمر ويروى له من الأشياء، وقرأ جمهور الناس «عدة» بضم العين وتاء تأنيث، وقرأ محمد بن عبد الملك بن مروان وابنه معاوية بن محمد «عده» بضم العين وهاء إضمار يريد «عدته» فحذفت تاء التأنيث لما أضاف، كما قال «وأقام الصلاة» يريد وإقامة الصلاة، هذا قول الفراء، وضعفه أبو الفتح وقال إنما حذف تاء التأنيث وجعل هاء الضمير عوضا منها، وقال أبو حاتم: هو جمع عدة على عد، كبرة وكبر ودرة ودر، والوجه فيه عدد ولكن لا يوافق خط المصحف، وقرأ عاصم فيما روى عنه أبان وزر بن حبيش «عده» بكسر العين وهاء إضمار وهو عندي اسم لما يعد كالريح والقتل لأن العدو سمي قتلا إذ حقه أن يقتل هذا في معتقد العرب حين سمته، وانبعاثهم نفوذهم لهذه الغزوة، و «التثبيط» التكسيل وكسر العزم، وقوله وقيل، يحتمل أن يكون حكاية عن الله تعالى أي قال الله في سابق قضائه اقعدوا مع القاعدين، ويحتمل أن يكون حكاية عنهم أي كانت هذه مقالة بعضهم لبعض إما لفظا وإما معنى، فحكي في هذه الألفاظ التي تقتضي لهم مذمة إذ القاعدون النساء والأطفال، ويحتمل أن يكون عبارة عن إذن محمد صلى الله عليه وسلم، لهم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٩/٣

في القعود، أي لما كره الله خروجهم يسر أن قلت لهم اقعدوا مع القاعدين، والقعود هنا عبارة عن التخلف والتراخي كما هو في قول الشاعر:

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي وليس للهيئة في هذا كله مدخل، وكراهية الله انبعاثهم رفق بالمؤمنين وقوله تعالى: لو خرجوا فيكم الآية، خبر بأنهم لو خرجوا لكان خروجهم مضرة، وقوله إلا خبالا استثناء من غير الأول، وهذا قول من قدر أنه لم يكن في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبال، فيزيد المنافقون فيه، فكأن المعنى ما زادوكم قوة ولا شدة لكن خبالا، ويحتمل أن يكون الاستثناء غير منقطع وذلك أن عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، في غزوة تبوك كان فيه منافقون كثير ولهم لا محالة خبال، فلو خرج هؤلاء لا لتأموا مع الخارجين فزاد الخبال، والخبال الفساد في الأشياء المؤتلفة الملتحمة كالمودات وبعض الأجرام، ومنه قول الشاعر: [الكامل]

يا بني لبينى لستما بيد ... إلا يدا مخبولة العضد." (١)

"وقال قتادة وفرقة معه: بل الذين جاءوا كفرة وقولهم وعذرهم كذب، وكل هذه الفرقة قرأ «المعذرون» بشد الذال، فمنهم من قال أصله المتعذرون نقلت حركة التاء إلى العين وأدغمت التاء في الذال، والمعنى معتذرون بكذب، ومنهم من قال هو من التعذير أي الذين يعذرون الغزو ويدفعون في وجه الشرع، فالآية إلى آخرها في هذا القول إنما وصفت صنفا واحدا في الكفر ينقسم إلى أعرابي وحضري، وعلى القول الأول وصفت صنفين: مؤمنا وكافرا، قال أبو حاتم: وقال بعضهم سألت مسلمة فقال «المعذرون» بشد العين والذال، قال أبو حاتم: أراد المعتذرين والتاء لا تدغم في العين لبعد المخارج وهي **غلط** عنه أو عليه، قال أبو عمرو: وقرأ سعيد بن جبير «المعتذرون» بزيادة تاء، وقرأ الحسن بخلاف عنه وأبو عمرو ونافع والناس «كذبوا» بتخفيف الذال، وقرأ الحسن وهو المشهور عنه وأبي بن كعب ونوح وإسماعيل «كذبوا» بتشديد الذال، والمعنى لم يصدقوه تعالى ولا رسوله وردوا عليه أمره، ثم توعد في آخر الآية الكافرين ب عذاب أليم، فيحتمل أن يريد في الدنيا بالقتل والأسر.

ويحتمل أن يريد في الآخرة بالنار، وقوله: منهم يريد أن المعذرين كانوا مؤمنين ويرجحه بعض الترجيح فتأمله، وضعف الطبري قول من قال إن المعذرين من التعذير وأنحى عليه، والقول منصوص ووجهه بين والله المعين، وقال ابن إسحاق «المعذرون» نفر من بني غفار منهم خفاف بن إيماء بن رحضة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يقتضي أنهم مؤمنون.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/ ٤٠

قوله عز وجل:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٩١ الى ٩٢]

ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (٩١) ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون (٩٢)

يقول تعالى ليس على أهل الأعذار الصحيحة من ضعف أبدان أو مرض أو زمانة أو عدم نفقة إثم، و «الحرج» الإثم، وقوله: إذا نصحوا يريد بنياتهم وأقوالهم سرا وجهرا، وقرأ حيوة «نصحوا الله ورسوله» بغير لام وبنصب الهاء المكتوبة، وقوله تعالى: ما على المحسنين من سبيل الآية، في لائمة تناط بهم أو تذنيب أو عقوبة، ثم أكد الرجاء بقوله: والله غفور رحيم وقرأ ابن عباس «والله لأهل الإساءة غفور رحيم» .

قال القاضي أبو محمد: وهذا على جهة التفسير أشبه منه على جهة التلاوة لخلافه المصحف، واختلف فيمن المراد بقوله: الذين لا يجدون ما ينفقون، فقالت فرقة: نزلت في بني مقرن.

قال القاضي أبو محمد: وبنو مقرن ستة إخوة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وليس في الصحابة ستة إخوة غيرهم، وقيل كانوا سبعة، وقيل نزلت في عبد الله بن مغفل المزني، قاله ابن عباس، وقوله." (١)

"قال الزجاج وكما قال الآخر: [المنسرح]

نحن بما عندنا وأنت بما عن ... دك راض والرأي مختلف

وقوله لتعلموا المعنى قدر هذين النيرين، منازل لكي «تعلموا» بها، عدد السنين والحساب رفقا بكم ورفعا للالتباس في معاشكم وتجركم وإجاراتكم وغير ذلك مما يضطر فيه إلى معرفة التواريخ، وقوله ما خلق الله ذلك إلا بالحق أي للفائدة لا للعب والإهمال فهي إذا يحق أن تكون كما هي، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص «يفصل الآيات» ، وقرأ ابن كثير أيضا وعاصم والباقون والأعرج وأبو جعفر وشيبة وأهل مكة والحسن والأعمش «نفصل» بنون العظمة، وقوله لقوم يعلمون إنما خصهم لأن نفع التفصيل فيهم ظهر وعليهم أضاء وإن كان التفصيل إنما وقع مجملا للكل معدا ليحصله الجميع، وقرأ جمهور السبعة وقد رويت عن ابن كثير «ضياء» ، وقرأ ابن كثير وحده فيما روي أيضا عنه «ضئاء» بهمزتين، وأصله ضياء فقلبت فجاءت ضئائا، فقلبت الياء همزة لوقوعها بين ألفين، قال أبو علي: وهي غلط، وقوله تعالى إن في

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٧٠

اختلاف الليل والنهار الآية، آية اعتبار وتنبيه، ولفظه الاختلاف تعم تعاقب الليل والنهار وكونهما خلفه وما يتعاورانه من الزيادة والنقص وغير ذلك من لواحق سير الشمس وبحسب أقطار الأرض، قوله وما خلق الله في السماوات والأرض لفظ عام لجميع المخلوقات، و «الآيات» العلامات والدلائل، وخصص «القوم المتقين» تشريفا لهم إذ الاعتبار فيهم يقع ونسبتهم إلى هذه الأشياء المنظور فيها أفضل من نسبة من لم يهتد ولا اتقى.

قوله عز وجل:

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٧ الى ١٠]

إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون (٧) أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون (٨) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم (٩) دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (١٠)

قال أبو عبيدة وتابعه القتبي وغيره، يرجون في هذه الآية بمعنى يخافون واحتجوا ببيت أبي ذؤيب: [الطويل]

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... وخالفها في بيت نوب عواسل

وحكى المهدوي عن بعض أهل اللغة وقال ابن سيده والفراء: إن لفظة الرجاء إذا جاءت منفية فإنها تكون بمعنى الخوف، وحكي عن بعضهم أنها تكون بمعناها في كل موضع تدل عليه قرائن ما قبله وما بعده، فعلى هذا التأويل معنى الآية: إن الذين لا يخافون لقاءنا، وقال ابن زيد: هذه الآية في الكفار، وقال بعض أهل العلم: «الرجاء» في هذه الآية على بابه، وذلك أن الكافر المكذب بالبعث ليس يرجو رحمة في الآخرة ولا يحسن ظنا بأنه يلقى الله ولا له في الآخرة أمل، فإنه لو كان له فيها أمل لقارنه لا محالة." (١)

"يوسف «يسيركم» ، قال سفيان بن أبي الزعل: كانوا يقرأون «ينشركم» فنظروا في مصحف ابن عفان فوجدوها «يسيركم» ، فأول من كتبها كذلك الحجاج، وقرأ ابن كثير في بعض طرقه «يسيركم» من أسار، وقرأ ابن عامر وحده من السبعة «ينشركم» بفتح الياء وضم الشين من النشر والبث، وهي قراءة زيد بن ثابت والحسن وأبي العالية وأبي جعفر وعبد الله بن جبير بن الفصيح وأبي عبد الرحمن وشيبة، وروي عن الحسن أنه قرأ «ينشركم» بضم الياء وكسر الشين وقال: هي قراءة عبد الله، قال أبو حاتم: أظنه غلط، والفلك جمع

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٠٦/٣

فلك وليس باسم واحد للجميع والفرد ولكنه فعل جمع على فعل، ومما يدل على ذلك قولهم فلكان في التثنية وقراءة أبي الدرداء وأم الدرداء «في الفلكي» على وزن فعلي بياء نسب وذلك كقولهم أشقري وكدواري في دور الدهر وكقول الصلتان أنا الصلتاني، وقوله وجرين علامة قليل العدد، وقوله بهم خروج من الحضور إلى الغيبة، وحسن ذلك لأن قولهم: كنتم في الفلك هو بالمعنى المعقول حتى إذا حصل بعضهم في السفن، و «الريح» إذا أفردت فعرفها أن تستعمل في العذاب والمكروه، لكنها لا يحسن في البحر أن تكون إلا واحدة متصلة لا نشرا، فقيدت المفردة «بالطيب» فخرجت عن ذلك العرف وبرع المعنى، وقرأ ابن أبي عبلة «جاءتهم ريح عاصف» ، والعاصف الشديدة من الريح، يقال: عصفت الريح، وقوله وظنوا على بابه في الظن لكنه ظن غالب مفزع بحسب أنه في محذور، وقوله دعوا الله أي نسوا الأصنام والشركاء وجردوا الدعاء لله، وذكر الطبري في ذلك عن بعض العلماء حكاية قول العجم:

هيا شراهيا ومعناه يا حي يا قيوم، قال الطبري: جواب قوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين: جاءتها ريح عاصف، وجواب قوله: وظنوا أنهم أحيط بهم: دعوا الله مخلصين.

قوله عز وجل:

[سورة يونس (١٠) : آية ٢٣]

فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون (٢٣)

يبغون: أي يفسدون ويكفرون، والبغي: التعدي والأعمال الفاسدة، ووكد ذلك بقوله: بغير الحق، ثم ابتدأ بالرجز وذم البغي في أوجز لفظ، وقوله «متاع الحياة» رفع، وهذه قراءة الجمهور وذلك على خبر الابتداء، والمبتدأ بغيكم، ويصح أن يرتفع متاع على خبر ابتداء مضمر تقديره ذلك متاع أو هو متاع، وخبر «البغي» قوله على أنفسكم، وقرأ حفص عن عاصم وهارون عن ابن كثير وابن أبي إسحاق: «متاع» بالنصب وهو مصدر في موضع الحال من «البغي» ، وخبر البغي على هذا محذوف تقديره:

مذموم أو مكروه ونحو هذا، ولا يجوز أن يكون الخبر قوله على أنفسكم لأنه كان يحول بين المصدر وما عمل فيه بأجنبي، ويصح أن ينتصب متاع بفعل مضمر تقديره: تمتعون متاع الحياة الدنيا، وقرأ ابن أبي إسحاق: «متاعا الحياة الدنيا» بالنصب فيهما، ومعنى الآية إنما بغيكم وإفسادكم مضر لكم وهو في حالة

الدنيا ثم تلقون عقابه في الآخرة، قال سفيان بن عيينة: إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أي تعجل لكم عقوبته في الحياة الدنيا، وعلى هذا قالوا: البغي يصرع أهله.." [1]

"تقول اعشوشبت الأرض واحلولت الدنيا ونحو ذلك. وحكى الطبري عن ابن عباس على هذه القراءة أن هذه الآية نزلت في أن قوما كانوا لا يأتون النساء والحدث إلا ويتغشون ثيابهم كراهية أن يفضوا بفروجهم إلى السماء. وقرأ ابن عباس- فيما روى ابن عيينة- «تثنو» بتقديم الثاء على النون وبغير نون بعد الواو، وقال أبو حاتم هذه القراءة **غلط** لا تتجه، وقرأ نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق «ينثوي» بتقديم النون على الثاء، وقرأ عروة وابن أبي أبزى والأعشى «تثنون» بثاء مثلثة بعدها نون مفتوحة بعدها واو مكسورة، وقرأ أيضا هما ومجاهد فيما روي عنه «تثنان» بهمزة بدل الواو وهاتان مشتقة من الثن وهي العشب المثني بسهولة، فشبه صدورهم به إذ هي مجيبة إلى هذا الانطواء على المكر والخدع: وأصل «تثنون» تثنونن سكنت النون المكسورة ونقلت حركتها إلى الواو التي قبلها وأدغمت في النون التي بعدها، وأما «تثنان» فأصلها تثنان مثل تحمار ثم قالوا: اثنانت كما قالوا احمار وابياض، والضمير في منه عائد على الله تعالى، هذا هو الأفصح الأجزل في المعنى وعلى بعض التأويلات يمكن أن يعود على محمد صلى الله عليه وسلم، ويستغشون معناه يجعلونها أغشية وأغطية ومنه قول الخنساء: [البسيط]

أرعى النجوم وما كلفت رعيتها ... وتارة أتغشى فضل أطماري

وقرأ ابن عباس «على حين يستغشون» ومن هذا الاستعمال قول النابغة: [الطويل]

على حين عاتبت المشيب على الصبا ... وقلت ألما أصح والشيب وازع

وذات الصدور: ما فيها، والذات تتصرف في الكلام على وجوه هذا أحدها كقول العرب الذيب مغبوط بذي بطنه أي بالذي فيه من النفخ وكقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: إنما هو ذو بطن بنت خارجة، والذات التي هي حقيقة الشيء ونفسه قلقة في هذا الموضع ويحتمل أن يفرق بين ذي بطنه وبين الذات وإنما يجمع بينهما المعنى.

وقوله تعالى: وما من دابة ... الآية، تماد في وصف الله تعالى بنحو قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون. و «الدابة» ما دب من الحيوان، والمراد جميع الحيوان الذي يحتاج إلى رزق ويدخل في ذلك الطائر والهوام وغير ذلك كلها دواب، وقد قال الأعشى: [الطويل]

نياف كغصن البان ترتج إن مشت ... دبيب قطا البطحاء في كل منهل

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/١١٣

وقال علقمة بن عبيدة لطيرهن دبيب وفي حديث أبي عبيدة: فإذا دابة مثل الظرب يريد من حيوان البحر، وتخصيصه بقول في الأرض إنما هو لأنه الأقرب لحسهم: والطائر والعائم إنما هو في الأرض، وما مات من الحيوان قبل أن يتغذى فقد اغتذى في بطن أمه بوجه ما.

وهذه الآية تعطي أن الرزق كل ما صح الانتفاع به خلافا للمعتزلة في قولهم إنه الحلال المتملك.

وقوله تعالى: على الله إيجاب لأنه تعالى لا يجب عليه شيء عقلا. و «المستقر» : صلب الأب: و «المستودع» بطن الأم، وقيل «المستقر» : المأوى، و «المستودع» القبر، وهما على هذا الطرف ا ن، وقيل «المستقر» ، ما حصل موجودا من الحيوان، والمستودع ما يوجد بعد.." (١)

"يكون هذا موضع إدغام لتنافر النون والجيم في الصفات لا في المخارج، وقال: إنما حذفت النون في الكتاب لا في اللفظ وقد حكيت هذه القراءة عن الكسائي ونافع. وقرأ عاصم وابن عامر «فنجي» بفتح الياء على وزن فعل. وقرأت فرقة «فننجي» - بنونين وفتح الياء- رواها هبيرة عن حفص عن عاصم- وهي **غلط** من هبيرة. وقرأ ابن محيصن ومجاهد «فنجى» - فعل ماض بتخفيف الجيم وهي قراءة نصر بن عاصم والحسن بن أبي الحسن وابن السميفع وأبي حيوة، قال أبو عمرو الداني: وقرأت لابن محيصن «فنجى» - بشد الجيم- على معنى فنجى النصر.

و «البأس» : العذاب. وقرأ أبو حيوة «من يشاء» - بالياء- وجاء الإخبار عن هلاك الكافرين، بقوله: ولا يرد بأسنا ... الآية- إذ في هذه الألفاظ وعيد بين، وتهديد لمعاصري محمد عليه السلام. وقرأ الحسن «بأسه» ، بالهاء.

قوله عز وجل:

[سورة يوسف (١٢) : آية ١١١]

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب م ا كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (١١١)

الضمير في قصصهم عام ليوسف وأبويه وإخوته وسائر الرسل الذين ذكروا على الجملة، ولما كان ذلك كله في القرآن قال عنه ما كان حديثا يفترى فإذا تأملت قصة يوسف ظهر أن في غرائبها وامتحان الله فيها لقوم في مواضع، ولطفه لقوم في مواضع، وإحسانه لقوم في مواضع، معتبرا لمن له لب وأجاد النظر، حتى يعلم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٥١/٣

أن كل أمر من عند الله وإليه.
وقوله: ما كان صيغة منع، وقرينة الحال تقتضي أن البرهان يقوم على أن ذلك لا يفترى، وذلك بأدلة النبوءة وأدلة الإعجاز، و «الحديث» – هنا– واحد الأحاديث، وليس للذي هو خلاف القديم هاهنا مدخل.
ونصب تصديق إما على إضمار معنى كان، وإما على أن تكون لكن بمعنى لكن المشددة.
وقرأ عيسى الثقفي «تصديق» بالرفع، وكذلك كل ما عطف عليه، وهذا على حذف المبتدأ، التقدير: هو تصديق. وقال أبو حاتم: النصب على تقدير: ولكن كان، والرفع على: ولكن هو. وينشد بيت ذي الرمة بالوجهين:
وما كان مالي من تراث ورثته ... ولا دية كانت ولا كسي مأثم
ولكن عطاء الله من كل رحلة ... إلى كل محجوب السرادق خضرم
رفع عطاء الله، والنصب أجود.
والذي بين يديه هو التوراة والإنجيل، والضمير في يديه عائد على القرآن، وهم اسم كان.
وقوله: كل شيء يعني من العقائد والأحكام والحلال والحرام. وباقي الآية بين.." (١)

"قال القاضي أبو محمد: ووقع في مسند ابن سنجر أن هذا الحديث إنما ورد في رجل زنا بامرأة رجل آخر ثم تمكن الآخر من زوجة الثاني بأن تركها عنده وسافر، فاستشار الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» ، ويتقوى في أمر المال قول مالك رحمه الله، لأن الخيانة لاحقة في ذلك وهي رذيلة لا انفكاك عنها، ولا ينبغي للمرء أن يتأسى بغيره في الرذائل، وإنما ينبغي أن تتجنب لنفسها، وأما الرجل يظلم في المال ثم يتمكن من الانتصاف دون أن يؤتمن فيشبه أن ذلك له جائز يرى أن الله حكم له كما لو تمكن له بالحكم من الحاكم، وقوله: واصبر وما صبرك إلا بالله الآية، هذه العزيمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر عن المجازاة في التمثيل بالقتلى، قال ابن زيد: هذه الآية منسوخة بالقتال وجمهور الناس على أنها محكمة، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «أما أنا فأصبر كما أمرت فماذا تصنعون؟» ، قالوا: نصبر يا رسول الله كما ندبنا، وقوله: وما صبرك إلا بالله أي بمعونة الله وتأييده لك على ذلك، والضمير في قوله عليهم قيل يعود على الكفار أي لا تتأسف على أن لم يسلموا، وقالت فرقة: بل يعود على القتلى: حمزة وأصحابه الذين حزن عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأول أصوب يكون عود الضمير على جهة واحدة، وقرأ الجمهور

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٨٩/٣

في «ضيق» بفتح الضاد، وقرأ ابن كثير في «ضيق» بكسر الضاد ورويت عن نافع وهو **غلط** ممن رواه، قال بعض اللغويين: الكسر والفتح في الضاد لغتان في المصدر وقال أبو عبيدة: الضيق مصدر والضيق مخفف من ضيق كميت وميت، وهين وهين، قال أبو علي الفارسي: والصواب أن يكون الضيق لغة في المصدر لأنه إن كان مخففا من ضيق لزم أن تقام الصفة مقام الموصوف، وليس هذا موضع ذلك.

قال القاضي أبو محمد: الصفة إنما تقوم مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف من نفس الصفة، كما تقول رأيت ضاحكا فإنما تخصص الإنسان، ولو قلت: رأيت باردا لم تحسن، وببارد مثل سيبويه رحمه الله «وضيق» لا يخصص الموصوف، وقال ابن عباس وابن زيد: إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ، وقوله: مع الذين أي بالنصر والمعونة والتأييد، واتقوا يريد المعاصي، ومحسنون معناه يتزيدون فيما ندب إليه من فعل الخير.

كمل تفسير سورة النحل بعون الله وتأييده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم." [1]

"الفارسي: وقد يقع هذا موضع هذا، وهذا موضع هذا، فأخطأ بمعنى تعمد في قول الشاعر: [الوافر]

عبادك يخطئون وأنت رب ... كريم لا يليق بك الذموم

وخطيء بمعنى لم يتعمد في قول الآخر: [الكامل]

والناس يلحون الأمير إذا هم ... خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

وقد روي عن ابن عامر «خطأ» بفتح الخاء وسكون الطاء وهمزة، وقرأ ابن كثير «خطاء» بكسر الخاء وفتح الطاء ومد الهمزة، وهي قراءة الأعرج بخلاف، وطلحة وشبل والأعمش وعيسى وخالد بن إياس وقتادة والحسن بخلاف عنه، قال النحاس ولا أعرف لهذه القراءة وجها، وكذلك جعلها أبو حاتم غلطا. قال أبو علي الفارسي: هي مصدر من خاطأ يخاطيء وإن كنا لم نجد خاطأ ولا كنا وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ، فدلنا عليه، فمنه قول الشاعر: [المتقارب]

تخاطأت النبل احشاءه ... وخر يومي فلم أعجل

وقول الآخر في صفة كماة: [الطويل]

تخاطأه القناص حتى وجدته ... وخرطومه في منقع الماء راسب

فكأن هؤلاء الذين يقتلون أولادهم يخاطئون الحق والعدل، وقرأ الحسن فيما روي عنه «خطاء» بفتح الخاء والطاء والمد في الهمزة قال أبو حاتم: لا يعرف هذا في اللغة، وهو **غلط** غير جائز وليس كما قال أبو

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٣٣/٣

حاتم، قال أبو الفتح: الخطاء من اخطأت بمنزلة العطاء من أعطيت، هو اسم بمعنى المصدر، وقرأ الحسن بخلاف «خطا» بفتح الخاء والطاء منونة من غير همز، وقرأ أبو رجاء والزهري «خطا» بكسر الخاء وفتح الطاء كالتي قبلها، وهاتان مخففتان من خطأ وخطاء، وقوله ولا تقربوا الزنى تحريم. والزنى يمد ويقصر فمن قصره الآية، وهي لغة جميع كتاب الله، ومن مده قول الفرزدق: [الطويل]

أبا حاضر من يزن يعرف زناؤه ... ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

ويروى أبا خالد، و «الفاحشة» ما يستتر به من المعاصي لقبحه، وسبيلا نصب على التمييز، التقدير وساء سبيله سبيلا، أي لأنه يؤدي إلى النار، وقوله ولا تقتلوا وما قبله من الأفعال جزم بالنهي، وذهب الطبري إلى أنها عطف على قوله وقضى ربك ألا تعبدوا [الإسراء: ٢٣] والأول أصوب وأبرع للمعنى، والألف واللام التي في النفس هي للجنس، و «الحق» الذي تقتل به النفس هو ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: لا يحل دم المسلم إلا إحدى ثلاث خصال، كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس أخرى.

قال القاضي أبو محمد: وتتصل بهذه الأشياء هي راجعة إليها، فمنها قطع الطريق، لأنه في معنى قتل النفس وهي الحرابة، ومن ذلك الزندقة، ومسألة ترك الصلاة لأنها في معنى الكفر بعد الإيمان، ومنه قتل أبي بكر رضي الله عنه منعة الزكاة، وقتل من امتنع في المدن من فروض الكفاية، وقوله تعالى:." [١]

"«لدني» بفتح اللام وضم الدال وشد النون. وهي «لدن» اتصلت بها نون الكناية التي في ضربني ونحوه، فوقع الإدغام، وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، وقرأ نافع وعاصم «لدني» كالأولى إلا أن النون مخففة، فهي «لدن» اتصلت بها ياء المتكلم التي في غلامي وفرسي، وكسر ما قبل الياء كما كسر في هذه، وقرأ أبو بكر عن عاصم «لدني» بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون وهي تخفيف «لدني» التي ذكرناها قبل هذه وروي عن عاصم «لدني» بضم اللام وسكون الدال قال ابن مجاهد وهي **غلط** قال أبو علي هذا التغليط يشبه أن يكون من جهة الرواية فأما على قياس العربية فهي صحيحة، وقرأ الحسن «لدني» بفتح اللام وسكون الدال، وقرأ الجمهور «عذرا» وقرأ أبو عمرو وعيسى «عذرا» بضم الدال، وحكى الداني أن أبي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم «عذري» بكسر الراء وياء بعدها وأسند الطبري، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد بدأ بنفسه، فقال يوما رحمة الله علينا، وعلى موسى، لو صبر على صاحبه لرأى العجب، ولكنه قال فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا وفي البخاري

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٥٢/٣

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر، حتى يقص علينا من أمرهما، وروي في تفسير هذه الآية أن الله جعل هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر، حجة على موسى وعجبا له، وذلك أنه لما أنكر أمر خرق السفينة، نودي يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم، فلما أنكر أمر الغلام، قيل له أين إنكارك هذا من وكزك للقبطي

وقضائك عليه؟ فلما أنكر إقامة الجدار نودي أين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون أجر؟ وقوله: فانطلقا يريد انطلق الخضر وموسى يمشيان لارتياد الخضر أمرا ينفذ فيه ما عنده من علم الله فمرا بقرية فطلبا من أهلها أن يطعموهما فأبوا، وفي حديث:

أنهما كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم، وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله، واختلف الناس في «القرية» : فقال محمد بن سيرين هي الأبلة. وهي أبخل قرية وأبعدها من السماء، وقالت فرقة هي أنطاكية، وقالت فرقة هي برقة، وقالت فرقة هي بجزيرة الأندلس، روي ذلك عن أبي هريرة وغيره، ويذكر أنها الجزيرة الخضراء، وقالت فرقة هي أبو حوران، وهي بناحية أذربيجان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله بحسب الخلاف في أي ناحية من الأرض كانت قصة موسى والله أعلم بحقيقة ذلك، وقرأ الجمهور «يضيفوهما» بفتح الضاد وشد الياء، وقرأ أبو رجاء «يضيفوهما» ، بكسر الضاد وسكون الياء وهي قراءة ابن محيصن، وابن الزبير، والحسن وأبي رزين، والضيف مأخوذ من ضاف إلى المكان إذا مال إليه، ومنه الإضافة، وهي إمالة شيء إلى شيء، وقرأ الأعمش «فأبوا أن يطعموهما» ، وقوله في الجدار يريد استعارة، وجميع الأفعال التي حقها أن تكون للحي الناطق متى أسندت إلى جماد أو بهيمة فإنما هي استعارة، أي لو كان مكان الجماد إنسان لكان ممتثلا لذلك الفعل، فمن ذلك قول الأعشى: [البسيط]

أتنتهون ولا ينهى ذوي شطط ... كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

فأسند النهي إلى الطعن. ومن ذلك قول الشاعر: [الوافر]

يريد الرمح صدر أبي براء ... ويرغب عن دماء بني عقيل." (١)

"أصعب وجوهه، والضمير في قوله لنحشرنهم عائد للكفار القائلين ما تقدم، ثم أخبر أنه يقرن بهم الشياطين المغوين لهم. وقوله جثيا جمع جاث كقاعد وقعود وجالس وجلوس وأصله جثووا وليس في كلام العرب واو متطرفة قبلها ضمة فوجب لذلك أن تعل، ولم يعتد هاهنا بالساكن الذي بينهما لخفته وقلة حوله

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٣٣/٣

فقلبت ياء فجاء جثويا فاجتمع الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت ياء ثم أدغمت ثم كسرت التاء للتناسب بين الكسرة والياء. وقرأ الجمهور «جثيا» و «صليا» [مريم: ٧٠] بضم الجيم والصاد، وقرأ ابن وثاب وطلحة والأعمش «جثيا» و «صليا» [ذاته] بكسر الجيم والصاد وأخبر الله تعالى أنه يحضر هؤلاء المنكرين للبعث مع الشياطين فيجثون حول جهنم وهي قعدة الخائف الذليل على ركبتيه كالأسير.
ونحوه قال قتادة جثيا معناه على ركبهم وقال ابن زيد: الجثي شر الجلوس، و «الشيعة» الفرقة المرتبطة بمذهب واحد المتعاونة فيه كأن بعضهم يشيع بعضا أي ينبه، ومنه تشييع النار بالحطب وهو وقدها به شيئا بعد شيء، ومنه قيل للشجاع مشيع القلب فأخبر الله أنه ينزع من كل شيعة أعتاها وأولاها بالعذاب فتكون تلك مقدمتها إلى النار. قال أبو الأحوص: المعنى نبدأ بالأكابر فالأكابر جرما، ثم أخبر تعالى في الآية بعد، أنه أعلم بمستحقي ذلك وأبصر لأنه لم تخف عليه حالهم من أولها إلى آخرها. وقرأ بعض الكوفيين ومعاذ بن مسلم وهارون القاري «أيهم» بالنصب، وقرأ الجمهور «أيهم» بالرفع، إلا أن طلحة والأعمش سكنا ميم «أيهم» واختلف الناس في وجه رفع «أي» ، فقال الخليل رفعه على الحكاية بتقدير الذي يقال فيه من أجل عتوه «أيهم» أشد وقرنه بقول الشاعر: [الكامل]
ولقد أبيت من الفتاة بمنزل ... فأبيت لا حرج ولا محروم
أي فأبيت يقال في لا حرج ولا محروم. ورجح الزجاج قول الخليل وذكر عنه النحاس أنه غلط سيبويه في قوله في هذه المسألة، قال سيبويه: ويلزم على هذا أن يجوز أضرب السارق الخبيث أي الذي يقال له ع: وليس بلازم من حيث هذه أسماء مفردة والآية جملة وتسلط الفعل على المفرد أعظم منه على الجملة، ومذهب سيبويه أن «أيهم» مبني على الضم إذ هي أخت «الذي ولما» وخالفتهما في جواز الإضافة فيها فأعربت لذلك، فلما حذف من صلتها ما يعود عليها ضعفت فرجعت إلى البناء، وكأن التقدير «أيهم» هو أشد. قال أبو علي: حذف ما الكلام مفتقر إليه فوجب البناء، وقال يونس: علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء، قال أبو علي: معنى ذلك أنه معمل في موضع من كل شيعة إلا أنه ملغى لأنه لا تعلق جملة إلا أفعال الشك كظننت ونحوها مما لم يتحقق وقوعه، وقال الكسائي لننزعن أريد به لننادين فعومل معاملة الفعل المراد فلم يعمل في «أي» ، وقال المبرد «أيهم» متعلق ب شيعة فلذلك ارتفع، والمعنى من الذين تشايعوا «أيهم» أشد كأنهم يتبارون إلى هذا ويلزمه أن يقدر مفعولا ل «ننزع» محذوفا. وقرأ طلحة بن مصرف «أيهم أكبر» . وعتيا مصدر أصله عتووا وعلل بما علل جثيا وروى أبو سعيد الخدري «أنه يندلق عنق من النار فيقول إني أمرت بكل جبار عنيد» فتلتقطهم الحديث.

قوله عز وجل:

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٠ الى ٧٢]
ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)." (١)

"مشبهة هنا بألف تفعلان وقال ابن كيسان لما كان هذا بحال واحدة في رفعه ونصبه وخفضه تركت تثنيته هنا كذلك، وقالت جماعة، منهم عائشة رضي الله عنها وأبو بكر، هذا مما لحن الكاتب فيه وأقيم بالصواب وهو تخفيف النون من أن ع وهذه الأقوال معترضة إلا ما قيل من أنها لغة، و «إن» بمعنى أجل ونعم أو «إن» في الكلام ضميرا وأما من قرأ «إن» خفيفة فهي عن سيبويه المخففة من الثقيلة ويرتفع بعدها الاسم ويقول الفراء هي بمعنى ما واللام بمعنى إلا ووجه سائر القراءات بين. وعبر كثير من المفسرين عن «الطريقة» بالسادة وأنها يراد بها أهل العقل والسن والحجى وحكوا أن العرب تقول فلان طريقة قومه أي سيدهم والأظهر في «الطريقة» هنا أنها السيرة والمملكة والحال التي هي عليها، والمثلى تأنيث أمثل أي الفاضلة الحسنة. وقرأ جمهور القراء «فأجمعوا» بقطع الألف وكسر الميم على معنى أنقذوا وأعزموا، وقرأ أبو عمرو وحده «فاجمعوا» من جمع أي ضموا سحركم بعضه إلى بعض، وقرأ ابن كثير «ثم» بفتح الميم «ايتوا» بسكون الياء، وقرأ أيضا في رواية شبل عنه بكسر الميم «ثم ايتوا» ، قال أبو علي وهذا **غلط** ولا وجه لكسر الميم من «ثم» ، وقرأ الجمهور «ثم ائتوا» بفتح الميم وبهمزة بعد الألف، قوله صفا حال أي مصطفين وتداعوا إلى هذا لأنه أهيب وأظهر لهم، وأفلح معناه ظفر ببغيته واستعلى معناه طلب العلو في أمره وسعى سعيه.
قوله عز وجل:

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٦٥ الى ٦٩]
قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى (٦٥) قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦) فأوجس في نفسه خيفة موسى (٦٧) قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى (٦٨) وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى (٦٩)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٢٦

خير السحرة موسى عليه السلام في أن يبتدىء بالإلقاء أو يتأخر بعدهم، وروي أنهم كانوا سبعين ألف ساحر، وروي أنهم كانوا ثلاثين ألف ساحر، وروي أنهم كانوا خمسة عشر ألف، وروي أنهم كانوا تسعمائة، ثلاثمائة من الفيوم وثلاثمائة من الفرما وثلاثمائة من الإسكندرية وكان مع كل رجل منهم حبل وعصى قد استعمل فيها السحر، وقوله فإذا هي للمفاجأة كما تقول خرجت فإذا زيد، وهي التي تليها الأسماء، وقرأت فرقة «عصيهم» بكسر العين، وقرأت فرقة «عصيهم» بضمها، وقرأت فرقة «يخيل» على بناء الفعل للمفعول فقوله أنها في موضع رفع على ما لم يسم فاعله، وقرأ الحسن والثقفي «تخيل» بضم التاء المنقوطة وكسر الياء وإسناد الفعل إلى الحبال والعصي، فقوله أنها مفعول من أجله ع والظاهر من الآيات والقصص في كتب المفسرين أن الحبال والعصي كانت تنتقل بحيل السحر وبدس الأجسام الثقيلة المياعة فيها وكان تحركها يشبه تحرك الذي له إرادة كالحيوان، وهو السعي فإنه لا يوصف بالسعي إلا من يمشي من الحيوان، وذهب قوم إلى أنها لم تكن تتحرك لكنهم سحروا أعين الناس وكان الناظر يخيل إليه أنها تتحرك وتنتقل ع وهذا يحتمل والله أعلم أي ذلك كان، وقوله تعالى: فأوجس عبارة عما يعتري نفس الإنسان إذا وقع ظنه في أمر على شيء يسوءه، وظاهر الأمر كله الصلاح، فهذا الفعل من أفعال النفس." (١)

"جملة لكنه يحبها لمقذوفه، وكذلك آخر لمقذوفه، وآخر حتى تشيع الفاحشة من مجموع فعلهم فهم لها محبون بهذا الوجه من حيث أحب كل واحد جزءا من شياعها، والعذاب الأليم في الدنيا الحدود وفي الآخرة يحتمل وجهين أحدهما أن يكون القاذف متوعدا من بين العصاة بعذاب الآخرة لا يزيله الحد، حسب مقتضى حديث عبادة بن الصامت ويكون أمره كأمر المحاربين إذا صلبوا لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب، والوجه الثاني أن يحكم بأن الحد مسقط عذاب الآخرة حسب حديث عبادة بن الصامت وأن قوله والآخرة لا يريد به عموم القذفة بل يريد إما المنافقين وإما من لم يتب، وقال الطبري معناه إن مات مصرا غير تائب، وقوله والله يعلم معناه البريء من المذنب وسائر الأمور، وحجة الحكمة في ستركم والتغليظ في الوعيد والعذاب على قاذفيكم، وقوله: ولولا فضل الله الآية جواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره لفضحكم بذنوبكم ولعذبكم فيما أفضتم فيه من قول الباطل والبهتان.

قوله عز وجل:

[سورة النور (٢٤) : آية ٢١]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥١/٤

يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم (٢١)

هذا الخطاب عام لجميع المؤمنين، وخطوات جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي فكأن المعنى لا تمشوا في سبله وطرقه من الأفعال الخبيثة، وقال منذر بن سعيد يجوز أن يكون خطوات جمع خطأ من الخبيثة، وسهلت الهمزة فنطق بها خطوات وقرأ بضم الطاء من «خطوات» الجمهور، وقرأ بسكونها عاصم والأعمش، وقرأ الجمهور «ما زكى» ، بتخفيف الكاف أي ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشدا، وقرأ أبو حيوة والحسن «زكى» بشد الكاف أي تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم وتحرزكم من المعاصي، ثم ذكر تعالى أنه يزكي من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح أمارة على سبق السعادة له، ثم أخبر بأنه سميع لجميع أقوالهم وكلامهم من قذف وغيره، عليم بحق ذلك من باطله لا يجوز عليه في ذلك وهم ولا غلط.

قوله عز وجل:

[سورة النور (٢٤) : آية ٢٢]

ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (٢٢)

المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة الصديق ومسطح بن أثاثة، وذلك أنه كان ابن خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين وهو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، وقيل اسمه عوف ومسطح لقب، وكان أبو بكر ينفق عليه لمسكنته، فلما وقع أمر." [1]

"[سورة النور (٢٤) : آية ٢٩]

ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٢٩)

روي أن بعض الناس لما نزلت آية الاستئذان تعمق في الأمر فكان لا يأتي موضعا خربا ولا مسكونا إلا سلم واستأذن فنزلت هذه الآية أباح الله فيها رفع الاستئذان في كل بيت لا يسكنه أحد، لأن العلة إنما هي في الاستئذان خوف الكشفة على الحرامات فإذا زالت العلة زال الحكم، ومثل أهل التأويل من هذه البيوت أمثلة فقال محمد بن الحنيفة وقتادة ومجاهد هي الفنادق التي في طرق المسافرين، قال مجاهد لا يسكنها

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٧٢/٤

أحد بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل وفيها متاع لهم أي استمتاع بمنفعتها، ومثل عطاء في بيوت غير مسكونة بالخرب التي يدخلها الإنسان للبول والغائط ففي هذا أيضا متاع، وقال ابن زيد والشعبي هي حوانيت القيساريات والسوق، وقال الشعبي لأنهم جاؤوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس هلم، ع هذا قول **غلط** قائله لفظ المتاع، وذلك أن بيوت القيسارية محظورة بأموال الناس غير مباحة لكل من أراد دخولها بإجماع، ولا يدخلها إلا من أذن له بها، بل أربابها موكلون بدفع الناس عنها، وقال محمد بن الحنفية أيضا أراد تعالى دور مكة، وهذا على القول بأنها غير متملكة وأن الناس شركاء فيها وأن مكة أخذت عنوة، وهذا هو في هذه المسألة القول الضعيف، يرده قوله عليه السلام «وهل ترك لنا عقيل منزلا» وقوله «من دخل دار أبي سفيان» «ومن دخل داره» وغير ذلك من وجوه النظر وباقي الآية بين ظاهره التوعد.

قوله عز وجل:

[سورة النور (٢٤) : الآيات ٣٠ الى ٣١]

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠) وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (٣١)

قوله قل للمؤمنين بمنزلة قوله إنهم، فقوله يغضوا جواب الأمر، وقال المازني المعنى قل لهم غضوا يغضوا. ويلحق هذين من الاعتراض أن الجواب خبر من الله وقد يوجد من لا يغض وينفصل بأن المراد يكونون في حكم من يغض، وقوله من أبصارهم أظهر ما في من أن تكون للتبعيض وذلك أن أول نظرة لا يملكها الإنسان وإنما يغض فيما بعد ذلك فقد وقع التبعيض، ويؤيد هذا التأويل ما روي من قوله عليه السلام لعلي بن أبي طالب «لا تتبع النظرة فإن الأولى لك وليست لك الثانية» الحديث.

وقال جرير بن عبد الله سألت النبي عليه السلام عن نظرة الفجأة فقال «اصرف بصرك» ويصح أن تكون من لبيان الجنس، ويصح أن تكون لابتداء الغاية، والبصر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس

إليه وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه، و «حفظ الفروج» يحتمل أن يريد في الزنى ويحتمل أن يريد في ستر العورة والأظهر أن الجميع مراد واللفظ عام، وبهذه الآية حرم العلماء دخول." (١)

"«نضعف» بضم النون وكسر العين المشددة «العذاب» نصب «ويخلد» جزم وهي قراءة أبي جعفر وشيبة، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر «يضاعف ويخلد» بالرفع فيهما، وقرأ طلحة بن سليمان «وتخلد» بالتاء على معنى مخاطبة الكافر بذلك، وروي عن أبي عمرو «ويخلد» بضم الياء من تحت وفتح اللام قال أبو علي وهي **غلط** من جهة الرواية «ويضاعف» بالجزم بدل من يلق قال سيبويه مضاعفة العذاب هي الأثام قال الشاعر:

«متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا» . البيت وقوله إلا من تاب الآية لا خلاف بين العلماء أن الاستثناء عامل في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين، فقال جمهور العلماء له التوبة وجعلت هذه الفرقة قاعدتها قوله تعالى: ويغفر ما دون ذلك [النساء: ٤٨] فجعل القاتل في المشيئة كسائر التائبين من الذنوب، ويتأولون الخلود الذي في آية القتل في سورة النساء بمعنى الدوام إلى مدة كخلد الدول ونحوه، وروى أبو هريرة ف‍ي أن التوبة لمن قتل حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل إن هذه الآية نزلت في وحشي قاتل حمزة، وقاله سعيد بن جبير، وقال ابن عباس وغيره لا توبة للقاتل، قال ابن عباس وهذه الآية إنما أريد بالتوبة فيها المشركون وذلك أنها لما نزلت إلا من تاب الآية، ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله [الزمر: ٥٣] ، فما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح فرحه بها وبسورة الفتح، وقال غير ابن عباس ممن قال بأن لا توبة للقاتل إن هذه الآية منسوخة بآية سورة النساء قاله زيد بن ثابت، ورواه أيضا سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقال أبو الجوزاء صحبت ابن عباس ثلاث عشرة سنة فما شيء من القرآن إلا سألته عنه فما سمعته يقول إن الله تعالى يقول لذنب لا أغفره وقوله تعالى: يبدل الله سيئاتهم حسنات. معناه يجعل أعمالهم بدل معاصيهم الأول طاعة فيكون ذلك سببا لرحمة الله إياهم قاله ابن عباس وابن جبير وابن زيد والحسن، ورد على من قال هو في يوم القيامة، وقد ورد حديث في كتاب مسلم من طريق أبي يقتضي أن الله تعالى يبدل يوم القيامة لمن يريد المغفرة من الموحدين بدل سيئات حسنات، وذكره الترمذي والطبري وهذا تأويل ابن المسيب في هذه الآية.

قال القاضي أبو محمد: وهو معنى كرم العفو، وقرأ ابن أبي عبلة «يبدل» بسكون الباء وتخفيف الدال.

قوله عز وجل:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/١٧٧

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٧١ الى ٧٤]

ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا (٧١) والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما (٧٢) والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا (٧٣) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما (٧٤)

أكد بهذه الألفاظ أمر التوبة والمعنى ومن تاب فإنه قد تمسك بأمر وثيق وهكذا، كما تقول لمن." [١]

"الشياطين

لأنها قد عزلت عن السمع الذي كانت تأخذ له مقاعدها، وقوله وما ينبغي لهم أي ما يمكنهم، وقد تجيء هذه اللفظة عبارة عما لا يمكن وعبارة عما لا يليق وإن كان ممكنا، ولما جاء الله بالإسلام حرس السماء بالشهب الجارية إثر الشياطين فلم يخلص شيطان بشيء يلقيه كما كان يتفق لهم في الجاهلية، وقرأ الجمهور «الشياطين» ، وروي عن الحسن أنه قرأ «الشياطون» وهي قراءة مردودة، قال أبو حاتم هي غلط منه أو عليه وحكاها الثعلبي أيضا عن ابن السميفع، وذكر عن يونس بن حبيب أنه قال سمعت أعرابيا يقول دخلت بساتين من ورائها بساتون قال يونس فقلت ما أشبه هذه بقراءة الحسن، ثم وصى عز وجل نبيه عليه السلام بالثبوت على توحيد الله تعالى وأمره بنذارة عشيرته تخصيصا لهم إذ العشيرة مظنة المقاربة والطواعية. وإذ يمكنه معهم من الإغلاظ عليهم ما لا يحتمله غيرهم فإن البر بهم في مثل هذا الحمل عليهم والإنسان غير متهم على عشيرته. وكان هذا التخصيص مع الأمر العام بنذارة العالم، وروي عن ابن جريج أن المؤمنين من غير عشيرته في ذلك الوقت نالهم من هذا التخصيص وخروجهم منه فنزلت واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النذارة عظم موقع الأمر عليه وصعب ولكنه تلقاه بالجلد، وصنع أشياء مختلفة كلها بحسب الأمر، فمن ذلك أنه أمر عليا رضي الله عنه بأن يصنع طعاما وجمع عليه بني جده عبد المطلب وأراد نذارتهم ودعوتهم في ذلك الجمع وظهر منه عليه السلام بركة في الطعام، قال علي وهم يومئذ أربعون رجلا ينقصون رجلا أو يزيدونه، فرماه أبو لهب بالسحر فوجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وافترق جمعهم من غير شيء، ثم جمعهم كذلك ثانية وأنذرهم ووعظهم فتضاحكوا ولم يجيبوا، ومن ذلك أنه نادى عمه العباس وصفية عمته وفاطمة ابنته وقال لهم: «لا أغني عنكم من الله شيئا إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد» في حديث مشهور، ومن ذلك أنه صعد على

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/ ٢٢١

الصفا أو أبي قبيس ونادى «يا بني عبد مناف وا صباحاه» فاجتمع إليه الناس من أهل مكة فقال يا بني فلان حتى أتى، على بطون قريش جميعا، فلما تكامل خلق كثير من كل بطن. قال لهم «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد الغارة عليكم أكنتم مصدقي» قالوا نعم، فإنا لم نجرب عليك كذبا، فقال لهم «فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد» ، فقال له أبو لهب ألهذا جمعتنا تبا لك سائر اليوم فنزلت تبت يدا أبي لهب [المسد: ١] السورة، و «العشيرة» قرابة الرجل وهي في الرتبة تحت الفخذ وفوق الفصيلة، وخفض الجناح استعارة معناه لين الكلمة وبسط الوجه والبر، والضمير في عصوك عائد على عشيرته من حيث جمعت رجالا فأمره الله بالتبري منهم وفي هذه الآية موادعة نسختها آية السيف.

قوله عز وجل:

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢١٧ الى ٢٢٦]

وتوكل على العزيز الرحيم (٢١٧) الذي يراك حين تقوم (٢١٨) وتقلبك في الساجدين (٢١٩) إنه هو السميع العليم (٢٢٠) هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (٢٢١)

تنزل على كل أفاك أثيم (٢٢٢) يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (٢٢٣) والشعراء يتبعهم الغاوون (٢٢٤) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (٢٢٥) وأنهم يقولون ما لا يفعلون (٢٢٦)

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر وشيبة «فتوكل» بالفاء وكذلك في مصاحف أهل المدينة والشام." [١]

"قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن تكون مخاطبة لجميع الناس، لأن الله تعالى غني عن جميع الناس وهم فقراء إليه، وبين بعد البشر عن رضى الله إن كفروا بقوله: إن تكفروا.

واختلف المتأولون من أهل السنة في تأويل قوله: ولا يرضى لعباده الكفر فقالت فرقة: الرضى بمعنى الإرادة والكلام ظاهره العموم ومعناه الخصوص فيمن قضى الله له بالإيمان وحتمه له، و «عباده» على هذا ملائكته ومؤمنو البشر والجن، وهذا يتركب على قول ابن عباس. وقالت فرقة: الكلام عموم صحيح، والكفر يقع ممن يقع بإرادة الله، إلا أنه بعد وقوعه لا يرضاه دينا لهم، فهذا يتركب على الاحتمال الذي تقدمك آنفا. ومعنى: لا يرضاه لا يشكره لهم ولا يثيبهم به خيرا، فالرضى على هذا هو صفة فعل لمعنى القبول ونحوه. وتأمل الإرادة فإنها حقيقة، إنما هي فيما لم يقع بعد، والرضى، فإنما حقيقة فيما قد وقع، واعتبر هذا في آيات القرآن تجده، وإن كانت العرب قد تستعمل في أشعارها على جهة التجوز هذا بدل هذا.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٢٤٥

وقوله تعالى: وإن تشكروا يرضه لكم عموم، والشكر الحقيقي في ضمنه الإيمان.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «يرضه» بضمة على الهاء مشبعة. وقرأ ابن عامر وعاصم «يرضه» بضمة على الهاء غير مشبعة، واختلف عن نافع وأبي عمرو. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر:

«يرضه» بسكون الهاء، قال أبو حاتم: وهو **غلط** لا يجوز، قال تعالى: ولا تزر وازرة وزر أخرى أي لا يحمل أحد ذنب أحد، وأنث «الوازرة» و «الأخرى» لأنه أراد الأنفس. والوزر الثقل، وهذا خبر مضمنه الحض على أن ينظر كل أحد في خاصة أمره وما ينوبه في ذاته.

ثم أخبرهم تعالى بأن مرجعهم في الآخرة إلى ربهم، أي إلى ثوابه أو عقابه، فيوقف كل أحد على أعماله، لأنه المطلع على نيات الصدور وسائر الأفئدة. و «ذات الصدور» : ما فيه من خبيئة، ومنه قولهم: الذيب مغبوط بذي بطنه.

قوله عز وجل:

[سورة الزمر (٣٩) : آية ٨]

وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار (٨)

الإنسان في هذه الآية يراد به الكافر بدلالة ما وصفه به آخرا من اتخاذ الأنداد لله تعالى، وقوله: تمتع بكفرك قليلا وهذه آية بين تعالى بها على الكفار أنهم على كل حال يلجؤون في حال الضرورات إليه وإن كان ذلك عن غير يقين منهم ولا إيمان فلذلك ليس بمعتد به. ومنيبا معناه مقاربا مراجعا بصيرته.

وقوله تعالى: ثم إذا خوله نعمة يحتمل أن يريد النعمة في كشف الضر المذكور، ويحتمل أن يريد نعمة أي نعمة كانت، واللفظ يعم الوجهين. وخوله معناه ملكه وحكمه فيها ابتداء لا مجازاة، ولا يقال في الجزاء خول، ومنه الخول، ومنه قول زهير:." (١)

"الإشارة إلى من شهد الحديبية: ب الذين معه. و: أشداء جمع شديد، أصله: أشدداء، أدغم لاجتماع المثلين.

وقرأ الجمهور: «أشداء» «رحماء» بالرفع، وروى قرة عن الحسن: «أشداء» «رحماء» بنصبهما قال أبو حاتم: ذلك على الحال والخبر: تراهم. قال أبو الفتح: وإن شئت نصبت «أشداء» على المدح.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٢١/٤

وقوله: تراهم ركعا سجدا، أي ترى هاتين الحالتين كثيرا فيهم. و: يبتغون معناه يطلبون. وقرأ عمر وابن عبيد: «ورضوانا» بضم الراء.

وقوله: سيماهم معناه: علامتهم. واختلف الناس في تعيين هذه السيما، فقال مالك بن أنس: كانت جباههم متربة من كثرة السجود في التراب، كان يبقى على المسح أثره، وقاله عكرمة. وقال أبو العالية: يسجدون على التراب لا على الأثواب. وقال ابن عباس وخالد الحنفي وعطية: هو وعد بحالهم يوم القيامة من أن الله تعالى يجعل لهم نورا من أثر السجود.

قال القاضي أبو محمد: كما يجعل غرة من أثر الوضوء الحديث، ويؤيد هذا التأويل اتصال القول بقوله: فضلا من الله ورضوانا كأنه قال: علامتهم في تحصيلهم الرضوان يوم القيامة: سيماهم في وجوههم من أثر السجود. ويحتمل أن تكون السيما بدلا من قوله: فضلا. وقال ابن عباس: السمت الحسن: هو السيما، وهو الخشوع خشوع يبدو على الوجه.

قال القاضي أبو محمد: وهذه حالة مكثري الصلاة، لأنها تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، وتقل الضحك وترد النفس بحالة تخشع معها الأعضاء.

وقال الحسن بن أبي الحسن وشمر بن عطية: السيما: بياض وصفرة وبهيج يعتري الوجوه من السهر. وقال منصور: سألت مجاهدا: أهذه السيما هي الأثر يكون بين عيني الرجل؟ فقال: لا، وقد تكون مثل ركبة البعير، وهو أقسى قلبا من الحجارة. وقال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: السيما: حسن يعتري وجوه المصلين.

قال القاضي أبو محمد: وذلك لأن الله تعالى يجعل لها في عين الرأي حسنا تابعا للإجلال الذي في نفسه، ومتى أجل الإنسان أمرا حسن عنده منظره، ومن هذا الحديث الذي في الشهاب: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» .

قال القاضي أبو محمد: وهذا حديث **غلط** فيه ثابت بن موسى الزاهد، سمع شريك بن عبد الله يقول: حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر ثم نزع شريك لما رأى ثابت الزاهد فقال: يعنيه من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، فظن ثابت أن هذا الكلام متركب على السند المذكور فحدث به عن شريك.

وقرأ الأعرج: «من إثر» بسكون الثاء وكسر الهمزة. قال أبو حاتم هما بمعنى. وقرأ قتادة: «من آثار» ، جمعا.." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٤١/٥

"قوله تعالى: أفتمارونه خطاب لقريش، وهو من الصراء والمعنى أتجادلونه في شيء رآه وأبصره، وهذه قراءة الجمهور وأهل المدينة، وقرأ علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وحمزة والكسائي: «أفتمرونه» بفتح التاء دون ألف بعد الميم، والمعنى: أفتجدونه؟ وذلك أن قريشا لما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره في الإسراء مستقصى، كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم بيت المقدس وأمر عيرهم وغير ذلك مما هو في حديث الإسراء مستقصى، ورواها سعيد عن النخعي: «أفتمرونه» بضم التاء، قال أبو حاتم: وذلك **غلط** من سعيد. وقوله: يرى مستقبلا والرؤية قد مضت عبارة تعم جميع ما مضى وتشير إلى ما يمكن أن يقع بعد، وفي هذا نظر.

واختلف الناس في الضمير في قوله: ولقد رآه حسبما قدمناه، فقال ابن عباس وكعب الأحبار: هو عائد على الله، وقال ابن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع: هو عائد على جبريل. و: نزلة معناه: مرة، ونصبه على المصدر في موضع الحال. و: سدرة المنتهى هي شجرة نبق، قال كعب: هي في السماء السابعة، وروى ذلك مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقال ابن مسعود: في السماء السادسة. وقيل لها: سدرة المنتهى لأنها إليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءها صعدا إلا الله تعالى. وقيل سميت بذلك لأنها إليها ينتهي من مات على سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال القاضي أبو محمد: هم المؤمنون حقا من كل جيل.

وقيل سميت بذلك، لأن ما نزل من أمر الله فعندها يتلقى ولا يتجاوزها ملائكة العلو، وما صعد من الأرض فعندها يتلقى ولا يتجاوزها ملائكة السفل. وروي عن النبي عليه السلام أن الأمة من الأمم تستظل بظل الفنن منها، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة» .

وقوله تعالى: عندها جنة المأوى قال الجمهور: أراد أن يعظم مكان السدرة ويشرفه بأن جنة المأوى عندها. قال الحسن: وهي الجنة التي وعد بها العالم المؤمن. وقال قتادة وابن عباس بخلاف هي جنة يأوي إليها أرواح الشهداء والمؤمنين، وليست بالجنة التي وعد بها المؤمنون جنة النعيم، وهذا يحتاج إلى سند وما أراه يصح عن ابن عباس.

وقرأ علي بن أبي طالب وابن الزبير بخلاف، وأنس بن مالك بخلاف، وأبو الدرداء وزر بن حبيش وقتادة ومحمد بن كعب: «جنه المأوى» بالهاء في جنة، وهو ضمير محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى: ستره وضمه إيواء الله تعالى وجميل صنعه به، يقال: جنه وأجنه، وردت عائشة وصحابة معها هذه القراءة

وقالوا: أجن الله من قرأها. والجمهور قرأ: «جنة» كالآية الأخرى: فلهم جنات المأوى نزلا [السجدة: ١٩]
وحكى الثعلبي أن معنى «جنه المأوى» : ضمه المبيت والليل.
وقوله: إذ يغشى السدرة ما يغشى التعامل في: إذ، رآه. المعنى: رآه في هذه الحال.." (١)
"والسابع: أنه عسل، قاله ابن زيد. والثامن: أنه الزنجبيل، قاله السدي «١» .
وفي «السلوى» قولان: أحدهما: أنه طائر، قال بعضهم: يشبه السماني، وقال بعضهم: هو السماني.
والثاني: أنه العسل، ذكره ابن الانباري، وأنشد «٢» :
وقاسمها بالله جهدا لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما نشورها
قوله تعالى: وما ظلمونا، قال ابن عباس: ما نقصونا وضرونا، بل ضروا أنفسهم.

[سورة البقرة (٢) : آية ٥٨]
وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين (٥٨)
قوله تعالى: وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية. في القائل لهم قولان: أحدهما: أنه موسى بعد مضي الأربعين سنة.
والثاني: أنه يوشع بن نون بعد موت موسى.
والقرية: مأخوذة من الجمع، ومنه: قريت الماء في الحوض. والمقراة: الحوض يجمع فيه الماء. وفي المراد بهذه القرية قولان: أحدهما: أنها بيت المقدس، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي والربيع، وروي عن ابن عباس أنها أريحا. قال السدي: وأريحا: هي أرض بيت المقدس.
والثاني: أنها قرية من أداني قرى الشام، قاله وهب «٣» .
قوله تعالى: وادخلوا الباب، قال ابن عباس: وهو أحد أبواب بيت المقدس، وهو يدعى:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٩٥: والظاهر والله أعلم أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد. فالمن المشهور إن أكل وحده كان طعاما وحلاوة وإن مزج مع الماء صار شرابا طيبا، وإن ركب مع غيره صار نوعا آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده.
والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٩٩/٥

(الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين) . [.....]
(٢) البيت للهذلي هو خالد بن زهير. قال القرطبي رحمه الله ١/ ٤٤٧: قال ابن عطية: السلوى طير بإجماع المفسرين. وقد غلط الهذلي فقال:

وقاسمهما بالله جهدا لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما نشورها

ظن أن السلوى العسل. قلت: ما ادعاه من الإجماع لا يصح وقد قال المؤرج (وهو مؤرج بن عمر الدوسي من أصحاب الخليل بن أحمد) أحد علماء اللغة والتفسير: إنه العسل، واستدل ببيت الهذلي، وذكر أنه كذلك بلغة كنانة، سمي به لأنه يسلى به. وقال الجوهري: والسلوى العسل، وذكر بيت الهذلي ولم يذكر غلطا.

والسلوانة (بالضم) : خرزة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر فشربه العاشق سلا قال:

شربت على سلوانة ماء مزنة ... فلا وجديد العيش يا مي ما أسلو

واسم ذلك الماء السلوان. وقال بعضهم: السلوان دواء يسقاه الحزين فيسلو والأطباء يسمونه المفرح، يقال سليت وسلوت، لغتان. وهو في سلوة من العيش. أي في رغد، عن أبي زيد.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٩٨: يقول الله تعالى لائما لهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر بصحبة موسى عليه السلام، فأمروا بدخول الأرض المقدسة، التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في التيه عقوبة لهم كما ذكره الله تعالى في سورة المائدة، ولهذا كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس.." [١]

"فاذا بذلك السبط قد اجتمعوا عليه، فأمسكهم وقال: قتلتم عمي، وجعل يبكي وينادي: وا عماه. قال أبو العالية: والذي سأل موسى أن يسأل الله البيان: القاتل، وقال غيره: بل القوم اجتمعوا فسألوا موسى. فلما أمرهم بذبح بقرة قالوا أتتخذنا هزوا؟ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي:

«هزؤا» بضم الهاء والزاي والهمزة، وقرأ حمزة، وإسماعيل، وخلف في اختياره، والفراء عن عبد الوارث، والمفضل: «هزأ» باسكان الزاي. ورواه حفص بالضم من غير همزة، وحكى أبو علي الفارسي أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، فمن العرب من يثقله، ومنهم من يخففه، نحو العسر واليسر. قوله تعالى: قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. وإنما انتفى من الهزء، لأن الهازئ جاهل لاعب. فلما تبين لهم أن

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١/٦٨

الأمر من عند الله، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي. قال الزجاج:

وإنما سألوا: ما هي، لأنهم لا يعلمون أن بقرة يحيا بضرب بعضها ميت.

فأما الفارض فهي: المسنة، يقال: فرضت البقرة فهي فارض: إذا أسنت. والبكر: الصغيرة التي لم تلد، والعوان: دون المسنة، وفوق الصغيرة، يقال: حرب عوان: إذا لم تكن أول حرب، وكانت ثانية.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٦٩ الى ٧٠]

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (٦٩) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون (٧٠)

في الصفراء قولان: أحدهما: أنه من الصفرة، وهو: اللون المعروف، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنها السوداء، قاله الحسن البصري، ورده جماعة، فقال ابن قتيبة: هذا **غلط** في نعوت البقر، وإنما يكون ذلك في نعوت الإبل، يقال: بعير أصفر، أي: أسود، لأن السوداء من الإبل يشوب سوادها صفرة، ويدل على ذلك قوله تعالى: فاقع لونها، والعرب لا تقول «أسود فاقع» إنما تقول: «أسود حالك» و «أصفر فاقع» . قال الزجاج: وفاقع نعت للأصفر الشديد الصفرة، يقال: أصفر فاقع، وأحمر قانئ وأخضر ناضر، وأبيض يقق، وأسود حالك، وحلكوك ودجوجي، فهذه صفات المبالغة في الألوان «١» .

ومعنى تسر الناظرين: تعجبهم، قال ابن عباس: شدد القوم فشدد عليهم.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٤٨٧: قوله (صفراء) جمهور المفسرين أنها صفراء اللون من الصفرة المعروفة، قال مكي عن بعضهم: حتى القرن والظلف. وقال الحسن وابن جبير: كانت صفراء القرن والظلف فقط. وعن الحسن أيضا: (صفراء) معناه سوداء قال الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هن صفر أولادها كالزبيب

قلت: والأول أصح لأنه الظاهر، وهذا شاذ لا يستعمل مجازا إلا في الإبل ولو أراد السواد لما أكده بالفقوع، وذلك نعت مختص بالصفرة وليس يوصف السواد بذلك، تقول العرب: أسود حالك وحلكوك،

ودجوجي وغربيب. وأحمر قانئ وأبيض ناصع وأخضر ناضر وأصفر فاقع. هكذا نص نقلة اللغة عن العرب.." (١)

"الحارث بن سويد حيا في الإسلام، فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم كافرا.

قال الزجاج: وملء الشيء: مقدار ما يملؤه. قال سيبويه، والخليل: والملء بفتح الميم: الفعل، تقول: ملأت الشيء أملؤه ملأ، المصدر بالفتح لا غير. والملاءة: التي تلبس، ممدودة. والملاوة من الدهر: القطعة الطويلة منه، يقولون: ابل جديدا، وتمل حبيبا، أي: عش معه دهرا طويلا. وذهبا منصوب على التمييز. وقال ابن فارس: ربما أنث الذهب، فقيل: ذهبة، ويجمع على الأذهاب.

قوله تعالى: ولو افتدى به قال الفراء: الواو هاهنا قد يستغنى عنها، ولو حذفت كان صوابا، كقوله تعالى: وليكون من الموقنين «١» . قال الزجاج: هذا غلط، لأن فائدة الواو بينة، فليست مما يلقى. قال النحاس: قال أهل النظر من النحويين في هذه الآية: الواو ليست مقحمة وتقديره: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا تبرعا ولو افتدى به.

[سورة آل عمران (٣) : آية ٩٢]

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم (٩٢)

قوله تعالى: لن تنالوا البر، في البر أربعة أقوال: أحدها: أنه الجنة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين. قال ابن جرير: فيكون المعنى: لن تنالوا بر الله بكم الذي تطلبونه بطاعتكم. والثاني: التقوى، قاله عطاء، ومقاتل. والثالث: الطاعة، قاله عطية. والرابع: الخير الذي يستحق به الأجر، قاله أبو روق. قال القاضي أبو يعلى: لم يرد نفي الأصل، وإنما نفي وجود الكمال.

فكأنه قال: لن تنالوا البر الكامل.

قوله تعالى: حتى تنفقوا مما تحبون، فيه قولان:

(١٩٣) أحدهما: أنه نفقة العبد من ماله وهو صحيح شحيح، رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني: أنه الإنفاق من محبوب المال، قاله قتادة، والضحاك. وفي المراد بهذه النفقة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الصدقة المفروضة، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك. والثاني: أنها جميع الصدقات، قاله ابن عمر. والثالث: أنها جميع النفقات التي يبتغى بها وجه الله تعالى، سواء كانت صدقة، أو لم تكن، نقل عن

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٧٦/١

الحسن، واختاره القاضي أبو يعلى.

(١٩٤) وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة

لم أره من حديث ابن عمر بعد بحث، وإنما صح من حديث أبي هريرة، وقد ساقه المصنف بمعناه.

وحديث أبي هريرة، أخرجه البخاري ١٤١٩ و ٢٧٤٨ ومسلم ١٠٣٢ وأبو داود ٢٨٦٥ والنسائي ٥/ ٨٦ و ٦/ ٢٣٧ وابن ماجة ٢٧٠٦ وأحمد ٢/ ٢٥ و ٢٣١ و ٤١٥ و ٤٤٧ والبغوي ١٦٧١ من طرق عن أبي هريرة، قال:

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل، فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح.

تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان» .

صحيح. أخرجه البخاري ١٤٦١ و ٢٣١٨ و ٢٧٥٢ و ٢٧٦٩ و ٤٥٥٤ و ٥٦١١ ومسلم ٩٩٨ وأحمد ٣/ ١٤١ والدارمي ٢/ ٣٩٠ وابن حبان ٣٣٤٠ والبيهقي ٦/ ١٦٤- ١٦٥ و ٢٧٥ ومالك ٢/ ٥٩٥- ٥٩٦ من حديث أنس. وأخرجه الترمذي ٢٩٩٧ من وجه آخر عن أنس بنحوه. وأخرجه البخاري ٢٧٥٨ وأحمد ٣/ ٢٥٦ من طرق. عن أنس بن مالك.

---

(١) الأنعام: ٧٥.." (١)

"الكسرة التي في «خفت» فينحو نحوها بالإمالة. والقول السديد: الصواب.

[سورة النساء (٤) : آية ١٠]

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (١٠)

قوله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رجلا من غطفان، يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه، فأكله، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن حيان «١» . والثاني: أن حنظلة بن الشمردل ولي يتيما، فأكل ماله، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين. وإنما خص الأكل

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٠٣/١

بالذكر، لأنه معظم المقصود، وقيل: عبر به عن الأخذ.
قال سعيد بن جبير: ومعنى الظلم: أن يأخذه بغير حق. وأما ذكر «البطون» فللتوكيد، كما تقول:
نظرت بعيني، وسمعت بأذني. وفي المراد بأكلهم النار قولان:
أحدهما: أنهم سيأكلون يوم القيامة نارا، فسمي الأكل بما يؤول إليه أمرهم، كقوله تعالى:
أعصر خمرا «٢» قال السدي: يبعث آكل مال اليتيم ظلما، ولهب النار يخرج من فيه، ومن مسامعه، وأذنيه، وأنفه، وعينيه، يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم.
والثاني: أنه مثل. معناه: يأكلون ما يصيرون به إلى النار، كقوله تعالى: ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه «٣» أي: رأيتم أسبابه.
قوله تعالى: وسيصلون قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، «وسيصلون» بفتح الياء، وقرأ الحسن، وابن عامر، بضم الياء، ووافقهما ابن مقسم، إلا أنه شدد. والمعنى:
سيحرقون بالنار، ويشوون. والسعير: النار المستعرة، واستعار النار: توقدها.
فصل: وقد توهم قوم لا علم لهم بالتفسير وفقهه، أن هذه الآية منسوخة، لأنهم سمعوا أنها لما نزلت، تحرج القوم عن مخالطة اليتامى، فنزل قوله تعالى: وإن تخالطوهم فإخوانكم «٤» وهذا غلط، وإنما ارتفع عنهم الحرج بشرط قصد الإصلاح، لا على إباحة الظلم.

[سورة النساء (٤) : آية ١١]
يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما (١١)
قوله تعالى: يوصيكم الله في أولادكم في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٩٦ عن مقاتل بن حيان بدون إسناد، فهذه علة، ومقاتل ذو مناكير، وخبره معضل، فهو لا شيء.
(٢) يوسف: ٣٦.

(٣) آل عمران: ١٤٣.

(٤) البقرة: ٢٢٠.." [١]

"قوله تعالى: أو جاء أحد منكم من الغائط «أو» بمعنى الواو، لأنها لو لم تكن كذلك، لكان وجوب الطهارة على المريض والمسافر غير متعلق بالحدث. والغائط: المكان المطمئن من الأرض، فكني عن الحدث بمكانه، قاله ابن قتيبة. وكذلك قالوا للمزادة: راوية، وإنما الراوية للبعير الذي يسقى عليه، وقالوا للنساء: ظعائن، وإنما الظعائن: الهوادج، وكن يكن فيها، وسموا الحدث عذرة، لأنهم كانوا يلقون الحدث بأفنية الدور.

قوله تعالى: أو لامستم النساء قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «أو لامستم» بألف هاهنا، وفي (المائدة) وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف في اختياره، والمفضل عن عاصم، والوليد بن عتبة، عن ابن عامر «أو لمستم» بغير ألف هاهنا، وفي «المائدة» .

وفي المراد بالملامسة قولان: أحدهما: أنها الجماع، قاله علي، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الملامسة باليد، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والشعبي، وعبيدة، وعطاء، وابن سيرين، والنخعي، والنهدي، والحكم، وحماد. قال أبو علي: اللمس يكون باليد، وقد اتسع فيه، فأوقع على غيره، فمن ذلك وأنا لمسنا السماء «١» أي: عالجنا غيب السماء، ومنا من يسترقه فيلقيه إلى الكهنة، ويخبرهم به. فلما كان اللمس يقع على غير المباشرة باليد، قال: فلمسوه بأيديهم «٢» فخص اليد، لئلا يلتبس بالوجه الآخر، كما قال: وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم «٣» لأن الابن قد يتبنى وليس من الصلب «٤» .

---

(١) سورة الجن: ٨.

(٢) سورة الأنعام: ٧.

(٣) سورة النساء: ٣٣. [.....]

(٤) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١/ ٢٥٦: المشهور من مذهب أحمد، رحمه الله، أن لمس النساء لشهوة ينقض الوضوء ولا ينقضه لغير شهوة وهذا قول علقمة، وأبي عبيدة، والنخعي، والحكم، وحماد، ومالك، والثوري، وإسحاق، والشعبي، فإنهم قالوا: يجب الوضوء على من قبل لشهوة، ولا يجب على من قبل لرحمة. وممن أوجب الوضوء ابن مسعود وابن عمر، والزهري والشافعي. قال أحمد: المدنيون

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٧٧/١

والكوفيون ما زالوا يرون أن القبلة من اللمس تنقض الوضوء، حتى كان بأخرة وصار فيهم أبو حنيفة، فقالوا: لا تنقض الوضوء. ويأخذون بحديث عروة ونرى أنه غلط. وعن أحمد، رواية ثانية، لا ينقض اللمس بحال. وروي ذلك عن علي، وابن عباس وبه قال أبو حنيفة، إلا أن يطأها دون الفرج فينتشر فيها، لما روى حبيب عن عروة، عن عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه، وخرج إلى الصلاة، ولم يتوضأ. وهو حديث مشهور. ولأن الوجوب من الشرع ولم يرد بهذا شرع ولا هو في معنى ما ورد الشرع به، وقوله أو لامستم النساء أراد به الجماع، بدليل أن المس أريد به الجماع فكذلك اللمس، ولأنه ذكره بلفظ المفاعلة، والمفاعلة لا تكون من أقل من اثنين. وعن أحمد رواية ثالثة، أن اللمس ينقض بكل حال. وهو مذهب الشافعي، لعموم قوله تعالى: أو لامستم النساء وحقيقة اللمس ملاقاة البشرتين. وأما حديث القبلة فكل طرقه معلولة، قال يحيى بن سعيد: احك عني أن هذا الحديث شبه لا شيء. واللمس لغير شهوة لا ينقض، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمس زوجته في الصلاة وتمسه. ولو كان ناقضا للوضوء لم يفعله، قالت عائشة: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي، وإني لمعترضة بين يديه اعتراض الجنازة، فإذا أراد أن يسجد غمزني فقبضت رجلي. متفق عليه.

وفي حديث آخر: فإذا أراد أن يوتر مسني برجله. يحققه أن اللمس ليس بحدث في نفسه، وإنما نقض لأنه يفضي إلى خروج المذي أو المني فاعتبرت الحالة التي تقضي إلى الحدث فيها، وهي حالة الشهوة. ولا فرق بين الأجنبية وذات المحرم، والكبيرة والصغيرة. وقال الشافعي: لا ينقض لمس ذوات المحارم، ولا الصغيرة في أحد القولين، لأن لمسهما لا يفضي إلى خروج خارج، أشبه لمس الرجل الرجل. ولنا عموم النص، واللمس الناقض تعتبر فيه الشهوة، ومتى وجدت الشهوة فلا فرق بين الجميع. وسئل أحمد عن المرأة إذا مست زوجها؟ قال: ما سمعت فيه شيئا، ولكن هي شقيقة الرجل. يعجبني أن تتوضأ لأن المرأة أحد المشتركين في اللمس، فهي كالرجل. وينتقض وضوء الملموس إذا وجدت منه الشهوة، لأن ما ينتقض بالتقاء البشرتين لا فرق فيه بين اللامس والملموس. وفيه رواية أخرى: لا ينتقض وضوء المرأة ولا وضوء الملموس، وللشافعي قولان كالروايتين. ووجه عدم النقض أن النص إنما ورد بالنقض بملامسة النساء، فيتناول اللامس من الرجال، فيختص به النقض، كلمس الفرج. ولأن المرأة والملموس لا نص فيه، ولا هو في معنى المنصوص، وإذا امتنع النص والقياس لم يثبت الدليل.." (١)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤١١/١

"«خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل» ، وهذا اختيار محمد بن إسحاق. وقال ابن الانباري: وهذا إجماع أهل العلم.

والثاني: يوم الأحد، قاله عبد الله بن سلام، وكعب، والضحاك، ومجاهد، واختاره ابن جرير الطبري، وبه يقول أهل التوراة.

والثالث: يوم الاثنين، قاله ابن إسحاق، وبهذا يقول أهل الإنجيل.

ومعنى قوله: في ستة أيام أي: في مقدار ذلك، لأن اليوم يعرف بطلوع الشمس وغروبها، ولم تكن الشمس حينئذ. قال ابن عباس: مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة، وبه قال كعب، ومجاهد، والضحاك، ولا نعلم خلافا في ذلك. ولو قال قائل: إنها كأيام الدنيا، كان قوله بعيدا من وجهين: أحدهما: خلاف الآثار. والثاني: أن الذي يتوهمه المتوهم من الإبطاء في ستة آلاف سنة، يتوهمه في ستة أيام عند تصفح قوله: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون «١» . فان قيل:

فهلا خلقها في لحظة، فانه قادر؟ فعنه خمسة أجوبة: أحدها: أنه أراد أن يوقع في كل يوم أمرا تستعظمه الملائكة ومن يشاهده، ذكره ابن الانباري. والثاني: أن التثبت في تمهيد ما خلق لآدم وذريته قبل

الحديث، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار، ليس مرفوعا.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» ١٧/ ٢٣٦: وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله: «خلق الله التربة يوم السبت» فهو حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره، وقال البخاري: الصحيح أنه موقوف على كعب الأحبار، وقد ذكر تعليله البيهقي أيضا وبينوا أنه **غلط** ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مما أنكر الحذاق على مسلم إخراجه إياه وقال أيضا فيما نقله عنه القاسمي في «الفضل المبين» ص ٤٣٢- ٤٣٤: هذا الحديث طعن فيه من هو أعلم من مسلم مثل يحيى بن معين ومثل البخاري وغيرهما وذكر البخاري أن هذا من كلام كعب الأحبار وطائفة اعتبرت صحته مثل أبي بكر بن الأنباري، وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهما، والبيهقي وغيره وافقوا الذين ضعفوه، وهذا هو الصواب، لأنه قد ثبت بالتواتر أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وثبت أن آخر الخلق كان يوم الجمعة، فيلزم أن يكون أول الخلق يوم الأحد وهكذا عند أهل الكتاب، وعلى ذلك تدل أسماء الأيام وهذا

المنقول الثابت في أحاديث وآثار أخر، ولو كان أول الخلق يوم السبت وآخره يوم الجمعة، لكان قد خلق في الأيام السبعة، وهي خلاف ما أخبر به القرآن، مع أن حذاق علم الحديث يثبتون علة هذا الحديث في غير هذه الجهة، وأن راويه فلان **غلط** فيه لأمور يذكرونها، وهذا الذي يسمى مع‍رفة علل الحديث، يكون الحديث إسناده في الظاهر جيدا، ولكن عرف من طريق آخر أن راويه **غلط** فرفعه وهو موقوف، أو أسنده وهو مرسل، أو دخل عليه الحديث في حديث، وهذا فن شريف وكان يحيى بن سعيد الأنصاري، ثم صاحبه على ابن المديني، ثم البخاري أعلم الناس به، وكذلك الإمام أحمد، وأبو حاتم، وكذلك النسائي والدارقطني وغيرهم، وفيه مصنفات معروفة. وقال المناوي في «فيض القدير» ٣/ ٤٤٨: قال بعضهم: هذا الحديث في متنه غرابة شديدة فمن ذلك: أنه ليس فيه ذكر خلق السماوات، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام وهذا خلاف القرآن، لأن الأرض خلقت في أربعة أيام، ثم خلقت السماوات في يومين. اه.

---

(١) سورة يس: ٨٢.." (١)

"قوله تعالى: فأصبحوا في دارهم أي: في مدينتهم. فإن قيل: كيف وحد الدار ها هنا، وجمعها في موضع آخر، فقال: في ديارهم «١» ؟ فعنه جوابان، ذكرهما ابن الأنباري:

أحدهما: أنه أراد بالدار: المعسكر، أي: فأصبحوا في معسكرهم. وأراد بقوله: في ديارهم: المنازل التي ينفرد كل واحد منها بمنزل.

والثاني: أنه أراد بالدار: الديار، فاكتفى بالواحد من الجميع، كقول الشاعر:

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا

وشواهد هذا كثيرة في هذا الكتاب.

قوله تعالى: جاثمين قال الفراء: أصبحوا رمادا جاثما. وقال أبو عبيدة: أي: بعضهم على بعض جثوم. والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل. وقال ابن قتيبة: الجثوم: البروك على الركب. وقال غيره: كأنهم أصبحوا موتى على هذه الحال. وقال الزجاج: أصبحوا أجساما ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم. قال المفسرون: معنى «جاثمين» : بعضهم على بعض، أي: إنهم سقط بعضهم على بعض عند نزول العذاب.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٧٩ الى ٨٢]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٢٧/٢

فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين (٧٩) ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (٨١) وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (٨٢)

قوله تعالى: فتولى عنهم يقول: انصرف صالح عنهم بعد عقر الناقة، لأن الله تعالى أوحى إليه أن اخرج من بين أظهرهم، فاني مهلكهم. وقال قتادة: ذكر لنا أن صالحا أسمع قومه كما أسمع نبيكم قومه، يعني: بعد موتهم.

قوله تعالى: أتأتون الفاحشة يعني إتيان الرجال. ما سبقكم بها من أحد قال عمرو ابن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط. وقال بعض اللغويين: لوط: مشتق من لطت الحوض: إذا ملسته بالطين. قال الزجاج وهذا غلط، لأنه اسم أعجمي كاسحاق، ول‌ا يقال: إنه مشتق من السحق وهو البعد.

قوله تعالى: إنكم لتأتون الرجال هذا استفهام إنكار. والمسرف: المجاوز ما أمر به. وقوله تعالى: أخرجوهم من قريتكم يعني: لوطا وأتباعه المؤمنين إنهم أناس يتطهرون قال ابن عباس:

يتنزهون عن أدبار الرجال وأدبار النساء.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٣ الى ٨٤]

فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٨٣) وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (٨٤)

---

(١) سورة هود: ٦٧.." [(١)]

"قوله تعالى: قال أغير الله أبغيكم إلها أي: أطلب لكم، وهذا استفهام إنكار. قال المفسرون، منهم ابن عباس، ومجاهد: والعالمون ها هنا: عالمو زمانهم.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٤١]

وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٣٦/٢

ربكم عظيم (١٤١)
قوله تعالى: وإذ أنجيناكم قرأ ابن عامر: «وإذ أنجاكم» على لفظ الغائب المفرد.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٤٢]
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (١٤٢)
قوله تعالى: وواعدنا موسى ثلاثين ليلة المعنى: وعدناه انقضاء ثلاثين ليلة. قال ابن عباس:
قال موسى لقومه: إن ربي وعدني ثلاثين ليلة، فلما فصل إلى ربه زاده عشرا، فكانت فتنتهم في ذلك العشر.
فان قيل: لم زيد هذا العشر؟ فالجواب: أن ابن عباس قال: صام تلك الثلاثين ليلهن ونهارهن، فلما انسلخ الشهر، كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم، فتناول شيئا من نبات الأرض فمضغه، فأوحى الله تعالى إليه: لا كلمتك حتى يعود فوك على ما كان عليه، أما علمت أن رائحة فم الصائم أحب إلي من ريح المسك؟ وأمره بصيام عشرة أيام. وقال أبو العالية: مكث موسى على الطور أربعين ليلة، فبلغنا أنه لم يحدث حتى هبط منه.
فان قيل: ما معنى فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقد علم ذلك عند انضمام العشر إلى الثلاثين. فالجواب من وجوه: أحدها: أنه للتأكيد. والثاني: ليدل أن العشر، ليال لا ساعات.
والثالث: لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن تكون من جملة الثلاثين، لأنه يجوز أن يسبق إلى الوهم أنها كانت عشرين ليلة فأتمت بعشر. وقد بينا في سورة (البقرة) لماذا كان هذا الوعد.
قوله تعالى: وأصلح قال ابن عباس: مرهم بالإصلاح. وقال مقاتل: ارفق.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٤٣ الى ١٤٤]
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين (١٤٣) قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين (١٤٤)
قوله تعالى: ولما جاء موسى لميقاتنا قال الزجاج، أي: للوقت الذي وقتنا له. وكلمه ربه أسمعه كلامه، ولم يكن بينه وبين الله عز وجل فيما سمع أحد. قال رب أرني أنظر إليك أي: أرني نفسك. قوله تعالى: قال

لن تراني تعلق بهذا نفاة الرؤية وقالوا: «لن» لنفي الأبد «١» ، وذلك غلط،

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٣٠٨: وقد أشكل حرف «لن» هاهنا على كثير من العلماء لأنها موضوعة لنفي التأبيد، فاستدل المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة. وهذا أضعف الأقوال، لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة. اه.." (١)

"ومقصود الآيتين تهديد المخالفين، وأضيف ذلك إلى الرسول ليصعب الأمر فيه.

[سورة يونس (١٠) : الآيات ١٦ الى ١٧]

قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون (١٦) فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون (١٧)

قوله تعالى: قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني القرآن. وذلك أنه كان لا ينزله علي فيأمرني بتلاوته عليكم ولا أدراكم به أي: ولا أعلمكم الله به. قرأ ابن كثير: «ولأدراكم» بلام التوكيد من غير ألف بعدها، يجعلها لاما دخلت على «أدراكم» . وقرأ أبو عمرو، وحمزة والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أدريكم» بالإمالة. وقرأ الحسن، وابن أبي عبلة، وشيبة بن نصاح: «ولا أدرأتكم» بتاء بين الألف والكاف «١» . فقد لبثت فيكم عمرا: وقرأ الحسن، والأعمش: «عمرا» بسكون الميم.

قال أبو عبيدة: وفي «العمر» ثلاث لغات: عمر، وعمر، وعمر. ق١ل ابن عباس: أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدثكم بشيء من القرآن. أفلا تعقلون أنه ليس من قبلي. فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا يريد: إني لم أفتر على الله ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكا.

والمجرمون ها هنا: المشركون.

[سورة يونس (١٠) : آية ١٨]

ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون (١٨)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/١٥١

قوله تعالى: ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم أي: لا يضرهم إن لم يعبدوه، ولا ينفعهم إن عبدوه. قاله مقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ويقولون- يعني المشركين- هؤلاء يعنون: الأصنام. قال أبو عبيدة: خرجت كنايتها على لفظ كناية الآدميين. وقد ذكرنا هذا المعنى في سورة الأعراف عند قوله: وهم يخلقون «٢» . وفي قوله: شفعاؤنا عند الله قولان:

---

(١) قال أبو جعفر رحمه الله: ٦/ ٥٤١. وهذه القراءة التي حكيت عن الحسن، عند أهل العربية **غلط** وكان الفراء يقول في ذلك: قد ذكر عن الحسن أنه قال: «ولا أدرأتكم به» . قال: فإن يكن فيها لغة سوى «دريت» و «أدريت» ، فلعل الحسن ذهب إليها، وأما أن تصلح من «دربت» أو «أدريت» فلا، لأن الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما وسكنتا، صحتا ولم تنقلبا إلى ألف، مثل «قضيت ودعوت» . ولعل الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته فهمزها، لأنها تضارع: «درأت الحد» ، وشبهه. وربما غلطت العرب في الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز، فيهمزون غير المهموز. وسمعت امرأة من طيئ تقول: «رثأت زوجي بأبيات» . ويقولون: «لبأت بالحج» و «حلأت السويق» ، فيغلطون، لأن «حلأت» ، قد يقال في دفع العطاش من الإبل، و «لبأت» ذهب به إلى «اللبأ» لبأ الشاء، و «رثأت زوجي» ، ذهبت به إلى «رثأت اللبن» ، إذا أنت حلبت الحليب على الرائب فتلك «الرثيئة» . وكان بعض البصريين يقول: لا وجه لقراءة الحسن هذه، لأنها من «أدريت» مثل «أعطيت» ، إلا أن لغة لبني عقيل: «أعطات» يريدون أعطيت.

(٢) سورة الأعراف: ١٩١.." [(١)]

"ولا شكورا «١» لم يقولوا ذلك، إنما أضمروه، ويدل على صحة هذا أنها لو قالت له وهو شاب مستحسن: اخرج على نسوة من طبعهن الفتنة، ما فعل.

وفي قوله تعالى: أكبرنه قولان: أحدهما: أعظمنه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال قتادة، وابن زيد. والثاني: حضن «٢» ، رواه الضحاك عن ابن عباس. وروى علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: حضن من الفرح، قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

نأتي النساء لدى أطهارهن ولا ... نأتي النساء إذا أكثرن إكبارا «٣»

وقد روى هذا المعنى ليث عن مجاهد، واختاره ابن الأنباري، ورده بعض اللغويين، فروي عن أبي عبيدة أنه

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٢١/٢

قال: ليس في كلام العرب «أكبرن» بمعنى «حضن» ، ولكن عسى أن يكن من شدة ما أعظمنه حضن، وكذلك روي عن الزجاج أنه أنكره.
قوله تعالى: وقطعن أيديهن فيه ثلاثة أقوال: أحدها: حززن أيديهن، وكن يحسبن أنهن يقطعن طعاما، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: قطعن أيديهن حتى ألقينها، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث:
كلمن الأكف وأبن الأنامل، قاله وهب بن منبه.
قوله تعالى: وقلن حاش لله قرأ أبو عمرو «حاشا» بألف في الوصل في الموضعين، واتفقوا على حذف الألف في الوقف، وأبو عمرو جاء به على التمام والأصل، والباقون حذفوا. وهذه الكلمة تستعمل في موضعين. أحدهما: الاستثناء. والثاني: التبرئة من الشر. والأصل «حاشا» وهي مشتقة من قولك: كنت في حشا فلان، أي: في ناحيته. والحشا: الناحية، وأنشدوا:
بأي الحشا أمسى الخليط المباين «٤»
أي: بأي النواحي، والمعنى: صار يوسف في حشا من أن يكون بشرا، لفرط جماله. وقيل:
صار في حشا مما قرفته به امرأة العزيز. وقال ابن عباس، ومجاهد: «حاش لله» بمعنى: معاذ الله. قال الفراء: و «بشرا» منصوب، لأن الباء قد استعملت فيه، فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما حذفوها أحبوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه، فنصبوا على ذلك، وكذلك قوله: ما هن أمهاتهم «٥» ، وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وبغير الباء، فإذا أسقطوها، رفعوا، وهو أقوى الوجهين في العربية. قال الزجاج: قوله: الرفع أقوى الوجهين، غلط، لأن كتاب الله أقوى اللغات، ولم يقرأ بالرفع أحد. وزعم الخليل، وسيبويه، وجميع النحويين القدماء أن «بشرا» منصوب، لأنه خبر «ما» و «ما» بمنزلة «ليس» . قلت: وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، وعكرمة، ومعاذ القارئ في آخرين: «ما هذا

---

(١) سورة الإنسان: ٩.
(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله: ٧/ ٢٠٣: مرجحا القول الأول: لا شك أن المحال أن يحضن من يوسف، ولكن الخبر، إن كان صحيحا عن ابن عباس على ما روي فخليق أن يكون معناه في ذلك: أنهن حضن لما أكبرن من حسن يوسف وجماله في أنفسهن، ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك.
ووافقه ابن كثير في تفسيره ٢/ ٥٨٧ بقوله: أكبرنه: أي أعظمن شأنه وأجللن قدره.
(٣) بيت مصنوع، وقائله مجهول، انظر تفسير الطبري والبحر المحيط. [.....]

(٤) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «حشا» ، وعزاه إلى المعطل الهذلي، وعنده- الحبيب- بدل- الخليط-.

(٥) سورة المجادلة: ٢.." [1]

"الناس وغيرهم من الموات، تشير إليه بلفظ «أولئك» قال جرير:

الآية ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

قال المفسرون: الإشارة إلى الجوارح المذكورة، يسأل العبد يوم القيامة فيما إذا استعملها، وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل، والاستماع إلى ما يحرم، والعزم على ما لا يجوز.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٣٧ الى ٣٩]

ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (٣٨) ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا (٣٩)

قوله تعالى: ولا تمش في الأرض مرحا وقرأ الضحاك، وابن يعمر: «مرحا» بكسر الراء، قال الأخفش: والكسر أجود، لأن «مرحا» اسم الفاعل قال الزجاج: كلاهما في الجودة سواء، غير أن المصدر أوكد في الاستعمال، تقول: جاء زيد ركضا، وجاء زيد راكضا، ف «ركضا» أوكد في الاستعمال، لأنه يدل على توكيد الفعل، وتأويل الآية: لا تمش في الأرض مختالا فخورا، والمرح:

الأشر والبطر. وقال ابن فارس: المرح: شدة الفرح.

قوله تعالى: إنك لن تخرق الأرض فيه قولان: أحدهما: لن تقطعها إلى آخرها. والثاني: لن تنفذها وتنقبها. قال ابن عباس: لن تخرق الأرض بكبرك، ولن تبلغ الجبال طولا بعظمتك. قال ابن قتيبة: والمعنى: لا ينبغي للعاجز أن يبذخ ويستكبر.

قوله تعالى: كل ذلك كان سيئه قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «سيئة» منونا غير مضاف، على معنى: كان خطيئة، فعلى هذا يكون قوله تعالى: كل ذلك إشارة إلى المنهي عنه من المذكور فقط. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «سيئه» مضافا مذكرا، فتكون لفظة «كل» يشار بها إلى سائر ما تقدم ذكره. وكان أبو عمرو لا يرى هذه القراءة. قال الزجاج: وهذا **غلط** من أبي عمرو، لأن في هذه الأقاصيص

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٣٦/٢

سيئا وحسنا، وذلك أن فيها الأمر ببر الوالدين، وإيتاء ذي القربى، والوفاء بالعهد، ونحو ذلك، فهذه القراءة أحسن من قراءة من نصب السيئة، وكذلك قال أبو عبيدة: تدبرت الآيات من قوله تعالى: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) فوجدت فيها أمورا حسنة.

وقال أبو علي: من قرأ «سيئة» رأى أن الكلام انقطع عند قوله تعالى: وأحسن تأويلا، وأن قوله: ولا تقف لا حسن فيه.

قوله تعالى: ذلك مما أوحى إليك ربك يشير إلى ما تقدم من الفرائض والسنن، من الحكمة، أي: من الأمور المحكمة والأدب الجامع لكل خير. وقد سبق معنى «المدحور» «١» .

[سورة الإسراء (١٧) : آية ٤٠]

أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما (٤٠)

---

(١) سورة الأعراف: ١٨.." (١)

"قوله تعالى: ويلكم قال الزجاج: هو منصوب على «ألزمكم الله ويلا» ويجوز أن يكون على النداء، كقوله تعالى: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا «١» .

قوله تعالى: لا تفتروا على الله كذبا قال ابن عباس: لا تشركوا معه أحدا.

قوله تعالى: فيسحتكم قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «فيسحتكم» بفتح الياء، من «سحت» . وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «فيسحتكم» بضم الياء، من «أسحت» . قال الفراء: ويسحت أكثر، وهو الاستئصال، والعرب تقول: سحته الله، وأسحته، قال الفرزدق:

وعض زمان يا بن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتا أو مجلف «٢»

هكذا أنشد البيت الفراء، والزجاج، ورواه أبو عبيدة: «إلا مسحت أبو مجلف» بالرفع.

قوله تعالى: فتنازعوا أمرهم بينهم يعني: السحرة تناظروا فيما بينهم في أمر موسى، وتشاوروا وأسروا النجوى أي: أخفوا كلامهم من فرعون وقومه. وقيل: من موسى وهارون. وقيل: «أسروا» ها هنا بمعنى «أظهروا» .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٥/٣

وفي ذلك الكلام الذي جرى بينهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا إن كان هذا ساحرا، فإنا سنغلبه، وإن يكن من السماء كما زعمتم، فله أمره، قاله قتادة. والثاني: أنهم لما سمعوا كلام موسى قالوا: ما هذا بقول ساحر، ولكن هذا كلام الرب الأعلى، فعرفوا الحق، ثم نظروا إلى فرعون وسلطانه، وإلى موسى وعصاه، فنكسوا على رؤوسهم، وقالوا إن هذان لساحران، قاله الضحاك، ومقاتل. والثالث: أنهم قالوا إن هذان لساحران ... الآيات، قاله السدي.

واختلف القراء في قوله تعالى: إن هذان لساحران فقرأ أبو عمرو بن العلاء: «إن هذين» على إعمال «إن» وقال: إني لأستحيي من الله أن أقرأ «إن هذان» . وقرأ ابن كثير: «إن» خفيفه «هذان» بتشديد النون. وقرأ عاصم في رواية حفص: «إن» خفيفة «هذان» خفيفة أيضا. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «إن» بالتشديد «هاذان» بألف ونون خفيفة. فأما قراءة أبي عمرو، فاحتجاجه في مخالفة المصحف بما روى عن عثمان وعائشة، أن هذا من غلط الكاتب على ما حكيناه في قوله تعالى:

والمقيمين الصلاة «٣» في سورة النساء. وأما قراءة عاصم، فمعناها: ما هذان إلا ساحران، كقوله تعالى: وإن نظنك لمن الكاذبين «٤» أي: ما نظنك إلا من الكاذبين، وأنشدوا في ذلك:

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما ... حلت عليه عقوبة المتعمد

أي: ما قتلت إلا مسلما. قال الزجاج: ويشهد لهذه القراءة، ما روي عن أبي بن كعب أنه قرأ «ما هذان إلا ساحران» ، وروي عنه، «إن هذان لساحران» بالتخفيف، ورويت عن الخليل «إن هذان» بالتخفيف والإجماع على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل. فأما قراءة الأكثرين بتشديد «إن»

---

(١) سورة يس: ٥٢.

(٢) البيت في ديوانه ٥٥٦ و «اللسان» - جلف-. والمجلف: الذي أتى عليه الدهر فأذهب ماله. والجلف: أشد استئصالا من الجرف وأجفى.

(٣) سورة النساء: ١٦٢.

(٤) سورة الشعراء: ١٨٦.." [١]

"والمعنى: أنهم إن نقضوا العهد، فإن آدم قد عهدنا إليه فنسي.

وفي هذا النسيان قولان: أحدهما: أنه الترك، قاله ابن عباس، ومجاهد، والمعنى: ترك ما أمر به. والثاني:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/١٦٤

أنه من النسيان الذي يخالف الذكر، حكاه الماوردي. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري، وابن السميفع: «فنسي» برفع النون وتشديد السين.

قوله تعالى: ولم نجد له عزما العزم في اللغة: توطين النفس على الفعل.

وفي المعنى أربعة أقوال «١» : أحدها: لم نجد له حفظا، رواه العوفي عن ابن عباس، والمعنى: لم يحفظ ما أمر به. والثاني: صبرا، قاله قتادة، ومقاتل، والمعنى: لم يصبر عما نهي عنه. والثالث: حزما، قاله ابن السائب. قال ابن الأنباري: وهذا لا يخرج آدم من أولي العزم، وإنما لم يكن له عزم في الأكل فحسب. والرابع: عزما في العود إلى الذنب، ذكره الماوردي. وما بعده هذا قد تقدم تفسيره «٢» إلى قوله تعالى: فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى قال المفسرون: المراد به نصب الدنيا وتعبها من تكلف الحرث والزرع والعجن والخبز وغير ذلك. قال سعيد بن جبير: أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يعتمل عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه. قال العلماء: والمعنى: فتشقيا وإنما لم يقل فتشقيا، لوجهين: أحدهما: أن آدم هو المخاطب، فاكتفى به، ومثله: عن اليمين وعن الشمال قعيد «٣» ، قاله الفراء. والثاني: أنه لما كان آدم هو الكاسب، كان التعب في حقه أكثر، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ألا تجوع فيها قرأ أبي بن كعب: «لا تجاع ولا تعرى» بالتاء المضمومة والألف.

وأنك لا تظمؤا قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «وأنك» مفتوحة الألف. وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم: «وإنك» بكسر الألف. قال أبو علي: من فتح حمله على أن لك أن لا تجوع وأن لك أن لا تظمأ، ومن كسر استأنف.

قوله تعالى: لا تظمؤا فيها أي: لا تعطش. يقال: ظمئ الرجل يظمأ ظمأ، فهو ظمآن، أي: عطشان. ومعنى ولا تضحى لا تبرز للشمس فيصيبك حرها، لأنه ليس في الجنة شمس. قوله تعالى: هل أدلك على شجرة الخلد أي: على شجرة من أكل منها لم يمت وملك لا يبلى جديده ولا يفنى، وما بعد هذا مفسر في الأعراف «٤» . وفي قوله تعالى: فغوى قولان: أحدهما: ضل طريق الخلود حيث أراده من قبل المعصية. والثاني: فسد عليه عيشه، لأن معنى الغي: الفساد. قال ابن الأنباري: وقد غلط بعض المفسرين، فقال: معنى «غوى» : أكثر مما أكل من الشجرة حتى بشم «٥» ، كما يقال: غوى الفصيل إذا أكثر من لبن أمه فبشم وكاد يهلك، وهذا خطأ من وجهين: أحدهما: أنه لا يقال من البشم: غوى يغوي، وإنما يقال: غوي يغوى. والثاني: أن قوله تعالى: فلما ذاقا الشجرة «٦» يدل على أنهما لم يكثرا، ولم تتأخر عنهما العقوبة حتى يصلا إلى الإكثار. قال ابن قتيبة: فنحن نقول

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٤٦٦: وأصل العزم: اعتقاد القلب على الشيء، ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء ومنه الصبر على الشيء، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه، فيكون تأويله ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه.

(٢) سورة البقرة: ٣٤.

(٣) سورة ق: ١٧.

(٤) سورة الأعراف: ٢٢. [.....]

(٥) في «اللسان» : البشم: التخمة عن الدسم.

(٦) سورة الأعراف: ٢٢.." [1]

"لا يفتر، ويصوم النهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، ونبأه، وسمي: ذا الكفل.

(٩٩٦) وقد ذكر الثعلبي حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكفل: «أنه كان رجلا لا ينزع عن ذنب، وأنه خلا بامرأة ليفجر بها، فبكت، وقالت: ما فعلت هذا قط، فقام عنها تائبا، ومات من ليلته، فأصبح مكتوبا على بابه: قد غفر الله للكفل» والحديث معروف، وقد ذكرته في «الحدائق» ، فجعله الثعلبي أحد الوجوه في بيان ذي الكفل، وهذا غلط، لأن ذلك اسمه الكفل، والمذكور في القرآن: ذو الكفل، ولأن الكفل مات في ليلته التي تاب فيها، فلم يمض عليه زمان طويل يعالج فيه الصبر عن الخطايا، وإذا قلنا: إنه نبي، فإن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال. وذكرت هذا لشيخنا أبي الفضل بن ناصر، فوافقني، وقال: ليس هذا بذاك.

قوله تعالى: كل من الصابرين أي: على طاعة الله وترك معصيته، وأدخلناهم في رحمتنا في هذه الرحمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، وقاله ابن عباس. والثاني: النبوة، قاله مقاتل. والثالث: النعمة والموالاة، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٨٧ الى ٨٨]

وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٧٩/٣

من الظالمين (٨٧) فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (٨٨)
قوله تعالى: وذا النون يعني: يونس بن متى. والنون: السمكة أضيف إليها لابتلاعها إياه.
قوله تعالى: إذ ذهب مغاضبا قال ابن قتيبة: المغاضبة: مفاعلة، وأكثر المفاعلة من اثنين، كالمناظرة

ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٤٩٦ وأحمد ٢/ ٢٣ والحاكم ٤/ ٢٥٤ ح ٧٦٥١ من حديث ابن عمر. صححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وكذا صححه أحمد شاكر في «المسند» ! مع أن مداره عىلى سعد مولى طلحة، وهو مجهول كما في «التقريب» .
وأخرجه ابن حبان ٣٨٧ عن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهذا إسناد ظاهره الحسن، لكنه معلول. وقال الترمذي عقب روايته: حديث حسن، ورواه غير واحد عن الأعمش فرفعوه.
ورواه بعضهم فلم يرفعه، ورواه أبو بكر بن عياش فأخطأ فيه، فقال: عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهو غير محفوظ اه. وهو كما قال الترمذي رحمه الله. وهذا الحديث إنما يعرف بسعد مولى طلحة، وهو مجهول. وهناك علة أخرى، وهي الاضطراب في المتن. ففي «مسند أحمد» و «سنن الترمذي» و «المستدرك» ، «كان الكفل» ، وعند ابن حبان «كان ذو الكفل» وعند ابن حبان «سمعته أكثر من عشرين مرة» وعند غيره «سبع مرات» وهذه الرواية تدل على وهنه. فلو كرره النبي صلى الله عليه وسلم عشرين مرة أو سبع مرات لرواه عدد من الصحابة. ولحمله جماعة من التابعين. كيف ولم يروه سوى رجل مجهول. فالخبر واه، وقد استغربه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٢٤١ لكنه ذكر أنه لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة، والصواب أن الترمذي قد رواه كما تقدم. وقال الحافظ ابن كثير في «تاريخه» ١/ ٢٢٦: غريب جدا. وفي إسناده نظر، فإن سعدا قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد. ووثقه ابن حبان ولم يرو عنه سوى عبد الله الرازي اه. وقد ورد نحو هذه القصة في خبر الثلاثة الذين أطبق عليهم الغار. ومما يدل على وهن هذا الحديث أن الكفل هذا أو «ذا الكفل» مات في الليلة التي تاب فيها، فكيف ذلك والآية وصفت إياه بالصبر؟! فتنبه والله أعلم. وانظر «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية بتخريجي، وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٣٧ بتخريجنا. والله الموفق.." (١)
"والثاني: فظن أن لن نضيق عليه، قاله عطاء. قال ابن قتيبة: يقال فلان مقدر عليه، ومقتر عليه، ومنه قوله تعالى: فقدر عليه رزقه «١» أي ضيق عليه فيه. قال النقاش: والمعنى فظن أن يضيقه عليه الخروج،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٠٨/٣

فكأنه ظن أن الله تعالى قد وسع عليه إن شاء أن يقيم وإن شاء أن يخرج، ولم يؤذن له في الخروج. والثالث: أن المعنى: أفظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه، رواه عوف عن الحسن. وقال ابن زيد وسليمان التيمي: المعنى أفظن أن لن نقدر عليه فعلى هذا الوجه يكون استفهاما قد حذفت ألفه وهذا الوجه يدل على أنه من القدرة، ولا يتصور إلا مع تقدير الاستفهام، ولا أعلم له وجها إلا أن يكون استفهام إنكار تقديره: ما ظن عجزنا فأين يهرب منا؟! قوله تعالى: فنادى في الظلمات فيها ثلاثة أقوال «٢» : أحدها: أنه ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل، قاله سعيد بن جبير وقتادة والأكثرون. والثاني: أن حوتا جاء فابتلع الحوت الذي هو في بطنه فنادى في ظلمة حوت ثم في ظلمة حوت ثم في ظلمة البحر، قاله سالم بن أبي الجعد.

والثالث: أنها ظلمة الماء وظلمة معى السمكة وظلمة بطنها، قاله ابن السائب.

(٩٩٧) وقد روى سعد بن أبي وقاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس: فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين» . قال الحسن: وهذا اعتراف من يونس بذنبه وتوبة من خطيئته.

قوله تعالى: فاستجبنا له أي: أجبناه ونجيناه من الغم أي: من الظلمات وكذلك ننجي المؤمنين إذا دعونا. وروى أبو بكر عن عاصم أنه قرأ: «نجي المؤمنين» بنون واحدة مشددة الجيم قال الزجاج: وهذا لحن لا وجه له، وقال أبو علي الفارسي: **غلط** الراوي عن عاصم، ويدل على هذا إسكانه الياء من «نجي» ونصب «المؤمنين» ولو كان على ما لم يسم فاعله ما سكن الياء، ولرفع «المؤمنين» .

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٨٩ الى ٩٤]

وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين (٨٩) فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين (٩٠) والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين (٩١) إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون (٩٢) وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون (٩٣)

فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون (٩٤)

حسن. أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» ٦٦٠ وابن السني ٣٤٥ بإسناد ضعيف. وأخرجه الترمذي ٣٥٠٥

والحاكم ١/ ٥٠٥ من حديث سعد بن أبي وقاص، من وجه آخر، وإسناده حسن، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في صحيح سنن الترمذي، وورد من وجه آخر مطولا وله قصة أخرجه أحمد ١٤٦٤ وقال الهيثمي ١١١٧٦: رجاله رجال الصحيح سوى إبراهيم بن محمد، وهو ثقة. فهذه الطرق تتأيد بمجموعها. فالحديث حسن إن شاء الله. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٣٨ بتخريجنا.

---

(١) سورة الفجر: ١٦. [.....]

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٧٧: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات، ولا شك أنه قد عني بإحدى الظلمات: بطن الحوت وبالأخرى: ظلمة البحر، وفي الثالثة اختلاف، ولا دليل يدل على أي ذلك من أي، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل.." (١)

"فقلنا أسلموا إنا أخوكم ... فقد برئت من الإحن الصدور «١»

وأنشد أيضا:

في خلقكم عظم وقد شجينا

وقال غيره: إنما قال: «طفلا» فوحد، لأن الميم في قوله تعالى: نخرجكم قد دلت على الجميع، فلم يحتج إلى أن يقول: أطفالا. قوله تعالى: ثم لتبلغوا فيه إضمار، تقديره: ثم نعمركم لتبلغوا أشدكم، وقد سبق معنى «الأشد» «٢» ، ومنكم من يتوفى من قبل بلوغ الأشد ومنكم من يرد إلى أرذل العمر وقد شرحناه في النحل «٣» .

ثم إن الله تعالى دلهم على إحيائه الموتى باحيائه الأرض، فقال تعالى: وترى الأرض هامدة قال ابن قتيبة: أي: ميتة يابسة، ومثله: همدت النار: إذا طفئت فذهبت. قوله تعالى: فإذا أنزلنا عليها الماء يعني: المطر اهتزت أي: تحركت للنبات، وذلك أنها ترتفع عن النبات إذا ظهر، فهو معنى قوله تعالى: وربت أي: ارتفعت وزادت. وقال المبرد: أراد: اهتز نباتها وربا، فحذف المضاف. قال الفراء: وقرأ أبو جعفر المدني: «وربأت» بهمزة مفتوحة بعد الباء. فإن كان ذهب إلى الربيئة الذي يحرس القوم، أي: أنه يرتفع، وإلا، فهو غلط. قوله تعالى: وأنبتت من كل زوج بهيج قال ابن قتيبة: من كل جنس حسن يبهج، أي: يسر، وهو فعيل في معنى فاعل.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٢١٠

قوله تعالى: ذلك قال الزجاج: المعنى: الأمر ذلك كما وصف لكم. والأجود أن يكون موضع «ذلك» رفعا، ويجوز أن يكون نصبا على معنى: فعل الله ذلك بأنه هو الحق.
قوله تعالى: وأن الساعة أي: ولتعلموا أن الساعة آتية.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٨ الى ١٠]
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق (٩) ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٠)

قوله تعالى: ومن الناس من يجادل قد سبق بيانه. وهذا مما نزل في النضر أيضا. والهدى:
البيان والبرهان. قوله تعالى: ثاني عطفه العطف: الجانب. وعطفا الرجل: جانباه عن يمين وشمال، وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان ويلويه عند إعراضه عن المشي. قال الزجاج: «ثاني» منصوب على الحال، ومعناه: التنوين، معناه: ثانيا عطفه. وجاء في التفسير: أن معناه: لاويا عنقه، وهذا يوصف به المتكبر، والمعنى: ومن الناس من يجادل بغير علم متكبرا. قوله تعالى: ليضل أي: ليصير أمره إلى الضلال، فكأنه وإن لم يقدر أنه يضل، فإن أمره يصير إلى ذلك، له في الدنيا خزي وهو ما أصابه يوم بدر، وذلك أنه قتل. وما بعد هذا قد سبق تفسيره «٤» إلى قوله تعالى: ومن الناس من يعبد الله على حرف وفي سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أن ناسا من العرب كان يأتون

(١) البيت لعباس بن مرداس، كما في «الخزانة» ١/ ٧٣ و «الأغاني» ١/ ٧٣.
(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.
(٣) سورة النحل: ٧٠.
(٤) سورة يونس: ٧٠. [.....]." [١]

"يقف بالياء قال أبو علي: يعني بقوله: يقف بالياء، أي: بألف ممالة. قال الفراء: أكثر العرب على ترك التنوين، ومنهم من نون، قال ابن قتيبة: والمعنى: نتابع بفترة بين كل رسولين، وهو من التواتر، والأصل: وترى، فقلبت الواو تاء كما قلبوها في التقوى والتخمة. وحكى الزجاج عن الأصمعي أنه قال: معنى واترت

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٢٢٤

الخبر: أتبعت بعضه بعضا، وبين الخبرين هنية. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: ومما تضعه العامة غير موضعه قولهم: تواترت كتبي إليك، يعنون: اتصلت من غير انقطاع، فيضعون التواتر في موضع الاتصال، وذلك غلط، إنما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه، وهو التفاعل من الوتر، وهو الفرد، يقال: واترت الخبر، أتبعت بعضه بعضا، وبين الخبرين هنيهة قال الله تعالى: ثم أرسلنا رسلنا تترا أصلها «وترى» من المواترة فأبدلت التاء من الواو، ومعناه:

منقطعة متفاوتة، لأن بين كل نبيين دهرا طويلا، وقال أبو هريرة: لا بأس بقضاء رمضان تترى، أي:

منقطعا، فإذا قيل: واتر فلان كتبه، فالمعنى: تابعها، وبين كل كتابين فترة.

قوله تعالى: فأتبعنا بعضهم بعضا أي: أهلكنا الأمم بعضهم في إثر بعض وجعلناهم أحاديث قال أبو عبيدة: أي يتمثل بهم في الشر، ولا يقال في الخير: جعلته حديثا.

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٤٥ الى ٤٨]

ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين (٤٥) إلى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين (٤٦) فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون (٤٧) فكذبوهما فكانوا من المهلكين (٤٨)

قوله تعالى: فاستكبروا أي: عن الإيمان بالله وعبادته وكانوا قوما عالين أي: قاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم. قوله تعالى: وقومهما لنا عابدون أي: مطيعون. قال أبو عبيدة: كل من دان لملك فهو عابد له.

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٤٩ الى ٥٠]

ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون (٤٩) وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين (٥٠)

قوله تعالى: ولقد آتينا موسى الكتاب يعني: التوراة، أعطيها جملة واحدة بعد غرق فرعون لعلهم يعني: بني إسرائيل، والمعنى: لكي يهتدوا.

قوله تعالى: وجعلنا ابن مريم وأمه آية وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: «آيتين» على التثنية، وهذا كقوله: وجعلناها وابنها آية «١» وقد سبق شرحه.

قوله تعالى: وآويناهما أي: جعلناهما يأويان إلى ربوة قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «ربوة» بضم الراء، وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتحها. وقد شرحنا معنى الربوة في البقرة «٢» ، ذات قرار أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها، والمعنى: ذات موضع قرار. وقال الزجاج:

أي: ذات مستقر ومعين وهو الماء الجاري من العيون. وقال ابن قتيبة: «ذات قرار» أي: يستقر بها للعمارة «ومعين» هو الماء الظاهر، ويقال: هو مفعول من العين، كأن أصله معيون، كم يقال: ثوب

---

(١) سورة الأنبياء: ٩١.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٥.." [١]

"قوله تعالى: قال فرعون وما رب العالمين سأله عن ماهية من لا ماهية له «١» ، فأجابه بما يدل عليه من مصنوعاته. وفي قوله تعالى: إن كنتم موقنين قولان: أحدهما: أنه خلق السموات والأرض.

والثاني: إن كنتم موقنين أن ما تعاينونه كما تعاينونه، فكذلك، فأيقنوا أن رب العالمين رب السموات والأرض.

قوله تعالى: قال يعني: فرعون لمن حوله من أشراف قومه ألا تستمعون معجبا لهم.

فان قيل: فأين جوابهم؟ فالجواب: أنه أراد: ألا تستمعون قول موسى؟ فرد موسى، لأنه المراد بالجواب، ثم زاد في البيان بقوله: ربكم ورب آبائكم الأولين، فأعرض فرعون عن جوابه ونسبه إلى الجنون، فلم يحفل موسى بقول فرعون، واشتغل بتأكيد الحجة ف قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون أي: إن كنتم ذوي عقول لم يخف عليكم ما أقول.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٩ الى ٤٨]

قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين (٢٩) قال أولو جئتك بشيء مبين (٣٠) قال فأت به إن كنت من الصادقين (٣١) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين (٣٢) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (٣٣)

قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم (٣٤) يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون (٣٥) قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين (٣٦) يأتوك بكل سحار عليم (٣٧) فجمع السحرة لميقات يوم معلوم (٣٨)

وقيل للناس هل أنتم مجتمعون (٣٩) لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين (٤٠) فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أإن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين (٤١) قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين (٤٢) قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون (٤٣)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٢٦٣

فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون (٤٤) فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون (٤٥) فألقي السحرة ساجدين (٤٦) قالوا آمنا برب العالمين (٤٧) رب موسى وهارون (٤٨)

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤١٤: يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون، وتمرده، وطغيانه وجحوده في قوله وما رب العالمين وذلك أنه كان يقول لقومه: ما علمت لكم من إله غيري فاستخف قومه فأطاعوه وكانوا يجحدون الصانع- تعالى- ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون. فلما قال موسى: إني رسول رب العالمين قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟! ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط، فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن ماهيته. بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فيجيبه موسى:
رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين أي: إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة، فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلا لهم على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله: ألا تستمعون أي: ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه أن لكم إلها غيري. فأجاب موسى بقوله: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ولهذا لما غلب فرعون وانقطعت حجته عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى- عليه السلام- فقال: ما أخبر الله تعالى عنه: قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين.." (١)

"عاصم بفتحها، وقرأ ابن مسعود: «فتمكث» بزيادة تاء والمعنى: لم يلبث إلا يسيرا حتى جاء، فقال سليمان: ما الذي أبطأ بك؟ فقال أحطت بما لم تحط به أي: علمت شيئا من جميع جهاته مما لم تعلم به وجئتك من سبإ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «سبأ» نصبا غير مصروف، وقرأ الباقون خفضا منونا «١» .
(١٠٦٧) وجاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن سبأ رجل من العرب» . وقال قتادة: هي أرض باليمن يقال لها: مأرب. وقال أبو الحسن الأخفش: إن شئت صرفت «سبأ» فجعلته اسم أبيهم، أو اسم الحي، وإن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة، أو اسم الأرض. قال الزجاج: وقد ذكر قوم من النحويين أنه اسم رجل. وقال آخرون: الاسم إذا لم يدر ما هو لم يصرف وكلا القولين خطأ، لأن الأسماء حقها الصرف، وإذا لم يعلم هل الاسم للمذكر أم للمؤنث، فحقه الصرف حتى يعلم أنه لا ينصرف، لأن أصل الأسماء الصرف. وقول الذين قالوا: هو اسم رجل، غلط، لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرب من اليمن،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٣٣٨

بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، فمن لم يصرفه جعله اسم مدينة، ومن صرفه فلأنه اسم البلد، فيكون مذكرا سمي بمذكر.

قوله تعالى: بنبإ يقين أي: بخبر صادق، إني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس وأوتيت من كل شيء قال الزجاج: معناه: من كل شيء يعطاه الملوك ويؤتاه الناس. والعرش: سرير الملك.

قال قتادة: كان عرشها من ذهب، قوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ، وكان أحد أبويها من الجن، وكان

صحيح. أخرجه الترمذي ٣٢٢٢ وابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٨ والطبري ٢٨٧٨٣ من طرق عن أبي أسامة عن الحسن بن الحكم ثنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك به. وإسناده لين، لأجل أبي سبرة، فإنه مقبول، وباقي الإسناد ثقات. وقال الترمذي. حسن غريب. وورد من وجه آخر. أخرجه البخاري في «التاريخ» ٧/ ١٢٦/ ٥٦٨ والحاكم ٢/ ٤٢٤ من طريق الحميدي عن فرج بن سعيد حدثني عمي ثابت بن سعيد عن أبيه عن فروة به. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد، لأجل ثابت بن سعيد بن أبيض، فإنه مقبول هو وأبوه. وباقي الإسناد ثقات. وسكت عليه الحاكم، وصححه الذهبي، وورد من وجه آخر. أخرجه الطبري ٢٨٦٨٢ من طريق أبي حيان عن يحيى بن هانئ عن عروة المرادي عن فروة به. وإسناده ضعيف، فيه مجاهيل، وورد من وجه آخر. أخرجه الطبري ٢٨٧٨٤ من طريق أسباط بن نصر عن يحيى بن هانئ المرادي عن أبيه أو عن عمه- شك أسباط- قال: قدم فروة، فهذا مرسل. وفيه من لم يسم فهو ضعيف. وله شاهد من حديث يزيد بن حصين، أخرجه الطبراني ٢٢/ ٢٤٥. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٩٤/ ١١٢٨٧: رجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن الحسن الصائغ، ولم أعرفه. قلت: ذكره الخطيب في «التاريخ» ١١/ ٣٧٦ من غير جرح أو تعديل، وبكل حال يصلح شاهدا لما قبله، ويشهد له حديث ابن عباس، أخرجه الحاكم ٢/ ٤٢٣ وصححه، ووافقه الذهبي. الخلاصة: هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده، وقال ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٥٣٨: إسناده حسن قوي. وانظر «تفسير القرطبي» ١١٢ و «تفسير الشوكاني» ٢٠٤٩ وكلاهما بتخريجي.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٥٠٩: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لأن سبأ إن كان رجلا

كما جاء به الأثر، فإنه إذا أريد به اسم الرجل أجري، وإن أريد به اسم القبيلة لم يجر، وإن كان سبأ جبلا، أجري لأنه يراد به الجبل بعينه، وإن لم يجر فلأنه يجعل اسما للجبل وما حوله من البقعة.." (١)

"فماتوا، ولا إلى أهلهم يرجعون أي: لا يعودون من الأسواق إلى منازلهم فهذا وصف ما يلقون في النفخة الأولى. ثم ذكر ما يلقون في النفخة الثانية قال: ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث يعني القبور، إلى ربهم ينسلون أي: يخرجون بسرعة، وقد شرحنا هذا المعنى في سورة الأنبياء «١» .

قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، والضحاك، وعاصم الجحدري: «من بعثنا» بكسر الميم والثاء وسكون العين. قال المفسرون: إنما قالوا هذا، لأن الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين. قال أبي بن كعب: ينامون نومة قبل البعث، فإذا بعثوا قالوا هذا.

قوله تعالى: هذا ما وعد الرحمن في قائلي هذا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول المؤمنين، قاله مجاهد، وقتادة، وابن أبي ليلى. قال قتادة: أول الآية للكافرين، وآخرها للمؤمنين. والثاني: أنه قول الملائكة لهم، قاله الحسن. والثالث: أنه قول الكافرين، يقول بعضهم لبعض: هذا الذي أخبرنا به المرسلون أننا نبعث ونجازى، قاله ابن زيد.

قال الزجاج: «من مرقدنا» هو وقف التمام، ويجوز أن يكون «هذا» من نعت «مرقدنا» على معنى: من بعثنا من مرقدنا هذا الذي كنا راقدين فيه؟ ويكون في قوله تعالى: ما وعد الرحمن أحد إضمارين، إما «هذا» ، وإما «حق» ، فيكون المعنى: حق ما وعد الرحمن.

ثم ذكر النفخة الثانية، فقال: إن كانت إلا صيحة واحدة، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: إن أصحاب الجنة اليوم يعني في الآخرة في شغل قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «في شغل» بإسكان الغين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «في شغل» بضم الشين والغين. وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وأيوب السختياني: «في شغل» بفتح الشين والغين. وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وعكرمة، والضحاك، والنخعي، وابن يعمر، والجحدري: «في شغل» بفتح الشين وسكون الغين، وفيه ثلاثة أقوال «٢« : أحدها: أن شغلهم افتضاض العذارى، رواه شقيق عن ابن مسعود، ومجاهد عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن المسيب، وقتادة، والضحاك. والثاني: ضرب الأوتار، رواه عكرمة عن ابن عباس وعن عكرمة كالقولين، ولا يثبت هذا القول. والثالث: النعمة، قاله مجاهد. وقال الحسن: شغلهم:

نعيمهم عما فيه أهل النار من العذاب. قوله تعالى: فاكهون وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٣٥٨

وأبو المتوكل، وقتادة، وأبو الجوزاء، والنخعي، وأبو جعفر: «فكهون» . وهل بينهما فرق؟

فيه قولان: أحدهما: أن بينهما فرقا. فأما «فاكهون» ففيه أربعه أقوال: أحدها: فرحون، قاله ابن عباس. والثاني: معجبون، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: ناعمون، قاله أبو مالك، ومقاتل. والرابع:

ذوو فاكهة، كما يقال: فلان لابن تامر، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وأما «فكهون» ففيه قولان:

أحدهما: أن الفكه: الذي يتفكه، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض

---

(١) الأنبياء: ٩٦.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٣/ ٧٠٥: يخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات فنزلوا في روضات الجنات أنهم في شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم، وعن ابن عباس في رواية عنه: في شغل فاكهون أي: سماع الأوتار. وقال أبو حاتم: لعله **غلط** من المستمع، وإنما هو افتضاض الأبكار.." [١]

"قوله تعالى: فاستفتهم أي: فسلهم سؤال تقرير أهم أشد خلقا أي: أحكم صنعة أم من خلقنا فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: أم من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض، قاله ابن جير. والثاني: أم من خلقنا قبلهم من الأمم السالفة، والمعنى: إنهم ليسوا بأقوى من أولئك وقد أهلكناهم بالتكذيب، فما الذي يؤمن هؤلاء؟. ثم ذكر الناس فقال: إنا خلقناهم من طين لازب قال الفراء، وابن قتيبة: أي: لاصق لازم، والباء تبدل من الميم لقرب مخرجيهما. قال ابن عباس: هو الطين الحر الجيد اللزق. وقال غيره: هو الطين الذي ينشف عنه الماء وتبقى رطوبته في باطنه فيلصق باليد كالشمع. وهذا إخبار عن تساوي الأصل في خلقهم وخلق من قبلهم فمن قدر على إهلاك الأقوياء، قدر على إهلاك الضعفاء.

قوله تعالى: بل عجبت «بل» معناه: ترك الكلام في الأول والأخذ في الكلام الآخر، كأنه قال: دع يا محمد ما مضى. وفي «عجبت» قراءتان قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «بل عجبت» بفتح التاء. وقرأ علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، وقتادة، وأبو مجلز، والنخعي، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وابن أبي ليلى، وحمزة، والكسائي في آخرين: «بل عجبت» بضم التاء، واختارها الفراء. فمن فتح أراد: بل عجبت يا محمد، ويسخرون هم. قال ابن السائب: أنت تعجب منهم، وهم يسخرون منك. وفي ما عجب منه قولان «١» : أحدهما: من الكفار إذ لم يؤمنوا

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٥٢٧

بالقرآن. والثاني: إذ كفروا بالبعث. ومن ضم، أراد الإخبار عن الله عز وجل أنه عجب، قال الفراء: وهي قراءة علي وعبد الله وابن عباس وهي أحب إلي، وقد أنكر هذه القراءة قوم، منهم شريح القاضي، قال: إن الله لا يعجب، إنما يعجب من لا يعلم، قال الزجاج: وإنكار هذه القراءة غلط، لأن العجب من الله خلاف العجب من الآدميين، وهذا كقوله تعالى:

ويمكر الله «٢» وقوله: سخر الله منهم «٣» ، وأصل العجب في اللغة: أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله، قال: قد عجبت من كذا، وكذلك إذا فعل الآدميون ما ينكره الله عز وجل، جاز أن يقول عجبت. والله قد علم الشيء قبل كونه. وقال ابن الأنباري: المعنى: جازيتهم على عجبهم من الحق، فسمى الجزاء على الشيء باسم الشيء الذي له الجزاء، فسمى فعله عجبا وليس بعجب في الحقيقة، لأن المتعجب يدهش ويتحير، والله عز وجل قد جل عن ذلك وكذلك سمي تعظيم الثواب عجبا،

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٤٧٦: والصواب من القول أن يقال: أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب، فإن قال قائل: وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنيهما؟

إنهما وإن اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم م١ قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه.

(٢) الأنفال: ٣٠.

(٣) التوبة: ٧٩.." [1]

"يعمر: «ولات حين» بفتح التاء ورفع النون. قال ابن عباس: ليس حين يروه فرار. وقال عطاء: في لغة أهل اليمن «لات» بمعنى «ليس» . وقال وهب بن منبه: هي بالسريانية. وقال الفراء: «لات» بمعنى «ليس» ، فالمعنى: ليس بحين فرار. ومن القراء من يخفض «لات» ، والوجه النصب، لأنها في معنى «ليس» أنشدني المفضل:

تذكر حب ليلى لات حينا ... وأضحى الشيب قد قطع القرينا

قال ابن الأنباري: كان الفراء والكسائي والخليل وسيبويه والأخفش وأبو عبيدة يذهبون إلى أن التاء في قوله

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٣٧/٣

تعالى: «ولات» منقطعة من «حين» ، قال: وقال أبو عبيدة: الوقف عندي على هذا الحرف «ولا» ، والابتداء «تحين» لثلاث حجج: إحداهن: أن تفسير ابن عباس يشهد لها، لأنه قال: ليس حين يروه فرار فقد علم أن «ليس» هي أخت «لا» وبمعناها. والحجة الثانية: أنا لا نجد في شيء من كلام العرب «ولات» ، إنما المعروفة «لا» . والحجة الثالثة: أن هذه التاء، إنما وجدناها تلحق مع «حين» ومع «الآن» ومع ال «أوان» ، فيقولون: كان هذا تحين كان ذلك، وكذلك: «تأوان» ، ويقال: اذهب تلان، ومنه قول أبي وجزة السعدي:

العاطفون تحين ما من عاطف ... والمطعمون زمان ما من مطعم

وذكر ابن قتيبة عن ابن الأعرابي أن معنى هذا البيت: «العاطفونه» بالهاء، ثم تبتدئ: «حين ما من عاطف» قال ابن الأنباري: وهذا غلط، لأن الهاء إنما تقحم على النون في مواضع القطع والسكون، فأما مع الاتصال، فإنه غير موجود، وقال علي بن أحمد النيسابوري: النحويون يقولون في قوله تعالى:

«ولات» : هي «لا» زيدت فيها التاء كما قالوا: ثم وثمت، ورب وربت، وأصلها هاء وصلت ب «لا» ، فقالوا: «لاه» فلما وصلوها، جعلوها تاء والوقف عليها بالتاء عند الزجاج وأبي علي، وعند الكسائي بالهاء، وعند أبي عبيد الوقف على «لا» . فأما المناص، فهو الفرار. قال الفراء: النوص في كلام العرب: التأخر، والبوص: التقدم، قال إمرؤ القيس:

أمن ذكر سلمى إذ نأتك تنوص ... فتقصر عنها خطوة وتبوص

وقال أبو عبيدة: المناص: مصدر ناص ينوص، وهو المنجى والفوز.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤ الى ١١]

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (٤) أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب (٥) وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (٦) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (٧) أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب (٨)

أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب (٩) أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب (١٠) جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب (١١)." [١]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٥٩/٣

"قوله تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه قد شرحناه في الفرقان «١» . وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في الحارث بن قيس السهمي. قوله تعالى: وأضله الله على علم أي: على علمه السابق فيه أنه لا يهتدي وختم على سمعه أي: طبع عليه فلم يسمع الهدى وعلى قلبه فلم يعقل الهدى، وقد ذكرنا الغشاوة والختم في (البقرة) «٢» . فمن يهديه من بعد الله أي: من بعد إضلاله إياه أفلا تذكرون فتعرفوا قدرته على ما يشاء؟!. وما بعد هذا مفسر في سورة المؤمنون «٣» إلى قوله: وما يهلكنا إلا الدهر أي:

اختلاف الليل والنهار وما لهم بذلك من علم أي: ما قالوه عن علم، إنما قالوه شاكين فيه. ومن أجل هذا قال نبينا عليه الصلاة والسلام:

(١٢٦١) «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» ، أي: هو الذي يهلككم، لا ما تتوهمونه من مرور الزمان. وما بعد هذا ظاهر، وقد تقدم بيانه «٤» إلى قوله: يخسر المبطلون يعني المكذبين الكافرين أصحاب الأباطيل والمعنى: يظهر خسرانهم يومئذ. وترى كل أمة قال الفراء ترى أهل كل دين جاثية قال الزجاج: أي: جالسة على الركب، يقال: قد جثا فلان جثوا: إذا جلس على ركبتيه، ومثله: جذا يجذو. والجذو أشد استيفازا من الجثو، لأن الجذو: أن يجلس صاحبه على أطراف أصابعه. قال ابن قتيبة: والمعنى أنها غير مطمئنة.

قوله تعالى: كل أمة تدعى إلى كتابها فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كتابها الذي فيه حسناتها وسيئاتها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه حسابها، قاله الشعبي، والفراء، وابن قتيبة.

والثالث: كتابها الذي أنزل على رسوله، حكاه الماوردي. ويقال لهم: اليوم تجزون ما كنتم تعملون. هذا كتابنا وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كتاب الأعمال الذي تكتبه الحفظة، قاله ابن السائب. والثاني:

اللوح المحفوظ، قاله مقاتل. والثالث: القرآن، والمعنى أنهم يقرءونه فيدلهم ويذكرهم، فكأنه ينطق عليهم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون أي: نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي بكتبها وإثباتها. وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ، من اللوح المحفوظ، تستنسخ الملائكة كل عام ما

صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٢٦ و ٧٤٩١ ومسلم ٢٢٤٦ والحميدي ١٠٩٦ وأبو داود ٥٢٧٤ وأحمد ٢/ ٢٣٨ وابن حبان ٥٧١٥ والبغوي ٣٣٨٩ والبيهقي في «السنن ٣/ ٣٦٥ والطبري ٣١٢٠٧ كلهم من حديث أبي هريرة، واللفظ لمسلم ورواه البخاري بمعناه. قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٧٩:

كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار، لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد و الله أعلم. وقد **غلط** ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى، أخذا من هذا الحديث.

---

(١) الفرقان: ٤٣.

(٢) البقرة: ٧.

(٣) المؤمنون: ٣٧.

(٤) البقرة: ٢٨، الشورى: ٧.." [١]

"قوله عز وجل: هل أدلكم على تجارة قال المفسرون: نزلت هذه الآية حين قالوا: لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا به أبدا، فدلهم الله على ذلك، وجعله بمنزلة التجارة لمكان ربحهم فيه «١»

.

قوله عز وجل: تنجيكم قرأ ابن عامر «تنجيكم» بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف. ثم بين التجارة، فقال عز وجل: تؤمنون بالله إلى قوله عز وجل: يغفر لكم فإن قيل: كيف قال:

تؤمنون بالله وقد قال: يا أيها الذين آمنوا وقد سبق ذلك الجواب عنه بنحو الجواب عن قوله:

يا أيها الذين آمنوا آمنوا «٢» وقد سبق ذلك. قال الزجاج: وقوله: «يغفر لكم» جواب قوله: «تؤمنون» «وتجاهدون» ، لأن معناه معنى الأمر. والمعنى: آمنوا بالله وجاهدوا، يغفر لكم، أي: إن فعلتم ذلك، يغفر لكم. وقد **غلط** بعض النحويين، فقال: هذا جواب «هل» وهذا **غلط** بين، لأنه ليس إذا دلهم على ما ينفعهم غفر لهم، إنما يغفر لهم إذا عملوا بذلك. ومن قرأ «يغفر لكم» بإدغام الراء في اللام، فغير جائز عند سيبويه، والخليل، لأنه لا تدغم الراء في اللام في قولهم. وقد رويت عن أبي عمرو بن العلاء، وهو إمام عظيم، ولا أحسبه قرأها إلا وقد سمعها من العرب. وقد زعم سيبويه والخليل وجميع البصريين، ما خلا أبا عمرو، أن اللام تدغم في الراء، وأن الراء لا تدغم في اللام، وحجتهم أن الراء حرف مكرر قوي، فإذا أدغمت في اللام ذهب التكرير منها. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله عز وجل:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/١٠٠

وأخرى تحبونها قال الفراء: والمعنى: ولكم في العاجل مع ثواب الآخرة أخرى تحبونها، ثم فسرها فقال عز وجل نصر من الله وفتح قريب وفيه قولان:

أحدهما: أنه فتح مكة، قاله ابن عباس. والثاني: فتح فارس والروم، قاله عطاء.

قوله عز وجل: وبشر المؤمنين أي: بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة. ثم حضهم على نصر دينه ب قوله عز وجل: كونوا أنصار الله قرأ ابن كثير، ونافع، وابو عمرو كونوا أنصار الله منونة.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «أنصار الله» مضاف، ومعنى الآية: دوموا على ما أنتم عليه، وانصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله وحرك نافع ياء «من أنصاري إلى الله» وقد سبق تفسير هذا الكلام.

قوله عز وجل: فآمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا بعيسى على عدوهم وهم مخالفو عيسى، كذلك قال ابن عباس، ومجاهد، والجمهور، وقال مقاتل: تم الكلام عند قوله عز وجل: وكفرت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا بمحمد على عدوهم فأصبحوا ظاهرين بمحمد على الأديان، وقال إبراهيم النخعي: أصبح من آمن بعيسى ظاهرين بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى كلمة الله وروحه بتعليم الحجة. قال ابن قتيبة: فأصبحوا ظاهرين أي: غالبين عليهم بمحمد. من قولك: ظهرت على فلان: إذا علوته، وظهرت على السطح: إذا صرت فوقه.

---

(١) انظر الحديث المتقدم ١٤٤١ وفيه فأنزل الله: سبح لله ما في السماوات إلى آخر السورة وهذه الآية منها.

(٢) النساء: ١٣٦.." [(١)]

"أن عمر قال يوم السقيفة: كنت قد زورت في نفسي كلاما فسبقني إليه أبو بكر، وأما الشاعر فقول الأخطل: -

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وأما اللذين أنكروا كون المعنى القائم بالنفس يسمى بالكلام فقد احتجوا عليه بأن من لم ينطق ولم يتلفظ بالحروف يقال إنه لم يتكلم، وأيضا الحنث والبر يتعلق بهذه الألفاظ، ومن أصحابنا من قال: اسم القول

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٧٩/٤

والكلام مشترك بين المعنى النفساني وبين اللفظ اللساني.
المسألة التاسعة عشرة: هذه الكلمات والعبارات قد تسمى أحاديث، قال الله تعالى: فليأتوا بحديث مثله [الطور: ٣٤] والسبب في هذه التسمية أن هذه الكلمات إنما تتركب من الحروف المتعاقبة المتوالية فكل واحد من تلك الحروف يحدث عقيب صاحبه، فلهذا السبب سميت بالحديث ويمكن أيضا أن يكون السبب في هذه التسمية أن سماعها يحدث في القلوب العلوم والمعاني، والله أعلم.
المسألة العشرون: هاهنا ألفاظ كثيرة، فأحدها: الكلمة، وثانيها: الكلام، وثالثها: القول، ورابعها: اللفظ، وخامسها: العبارة، وسادسها: الحديث، وقد شرحناها بأسرها، وسابعها: النطق ويجب البحث عن كيفية اشتقاقه، وأنه هل هو مرادف لبعض تلك الألفاظ المذكورة أو مباين لها، وبتقدير حصول المباينة فما الفرق.
المسألة الحادية والعشرون: في حد الكلمة، قال الزمخشري في أول «المفصل» : الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع. وهذا التعريف ليس بجيد، لأن صيغة الماضي كلمة مع أنها لا تدل على معنى مفرد بالوضع، فهذا التعريف غلط، لأنها دالة على أمرين: حدث وزمان وكذا القول في أسماء الأفعال، كقولنا: مه، وصه، وسبب الغلط أنه كان يجب عليه جعل المفرد صفة للفظ، فغلط وجعله صفة للمعنى.
اللفظ مهمل ومستعمل وأقسامه:
المسألة الثانية والعشرون [اللفظ مهمل ومستعمل وأقسامه] : اللفظ إما أن يكون مهملا، وهو معلوم، أو مستعملا وهو على ثلاثة أقسام:
أحدها: أن لا يدل شيء من أجزائه على شيء من المعاني ألبتة، وهذا/ هو اللفظ المفرد كقولنا فرس وجمل، وثانيها: أن لا يدل شيء من أجزائه على شيء أصلا حين هو جزؤه أما باعتبار آخر فإنه يحصل لأجزائه دلالة على المعاني، كقولنا: «عبد الله» فإنا إذا اعتبرنا هذا المجموع اسم علم لم يحصل لشيء من أجزائه دلالة على شيء أصلا، أما إذا جعلناه مضافا ومضافا إليه فإنه يحصل لكل واحد من جزأيه دلالة على شيء آخر، وهذا القسم نسميه بالمركب، وثالثها: أن يحصل لكل واحد من جزأيه دلالة على مدلول آخر على جميع الاعتبارات، وهو كقولنا: «العالم حادث، والسماء كرة، وزيد منطلق» وهذا نسميه بالمؤلف.
المسموع المقيد وأقسامه:
المسألة الثالثة والعشرون [المسموع المقيد وأقسامه] : المسموع المفيد ينقسم إلى أربعة أقسام: لأنه إما أن

يكون اللفظ مؤلفا والمعنى مؤلفا كقولنا: «الإنسان حيوان، وغلام زيد» وإما أن يكون المسموع مفردا والمعنى مفردا، وهو كقولنا:

«الوحدة» و «النقطة» بل قولنا: «الله» سبحانه وتعالى، وإما أن يكون اللفظ مفردا والمعنى مؤلفا وهو كقولك:." (١)

"المراد حصول التماثل في كونها مستحقة بحسب العوامل المختلفة فالعقل يشهد أنه ليس كذلك.

المسألة الخامسة عشرة: من أراد أن يتلفظ بالضمة فإنه لا بد له من ضم شفتيه أولا ثم رفعهما ثانيا، ومن أراد التلفظ بالفتحة فإنه لا بد له من فتح الفم بحيث تنتصب الشفة العليا عند ذلك الفتح، ومن أراد التلفظ بالكسرة فإنه لا بد له من فتح الفم فتحا قويا والفتح القوي لا يحصل إلا بانجرار اللحي الأسفل وانخفاضه، فلا جرم يسمى ذلك جرا وخفضا وكسرا لأن انجرار القوى يوجب الكسر، وأما الجزم فهو القطع. وأما إنه لم سمي وقفا وسكونا فعلته ظاهرة.

المسألة السادسة عشرة: منهم من زعم أن الفتح والضم والكسر والوقف أسماء للأحوال البنائية، كما أن الأربعة الثانية أسماء للأحوال الإعرابية، ومنهم من جعل الأربعة الأول: أسماء تلك الأحوال سواء كانت بنائية أو إعرابية، وجعل الأربعة الثانية أسماء للأحوال الإعرابية، فتكون الأربعة الأولى بالنسبة إلى الأربعة الثانية كالجنس بالنسبة إلى النوع.

المسألة السابعة عشر: أن سيبويه يسميها بالمجاري، ويقول: هي ثمانية وفيه سؤالان: الأول: لم سمى الحركات بالمجاري فإن الحركة نفسها الجري، والمجرى موضع الجري، فالحركة لا تكون مجرى؟ وجوابه أنا بينا أن الذي يسمى هاهنا بالحركة فهو في نفسه ليس بحركة إنما هو صوت يتلفظ به بعد التلفظ بالحرف الأول، فالمتكلم لما انتقل من الحرف الصامت إلى هذا الحرف فهذا الحرف المصوت إنما حدث لجريان نفسه وامتداده، فلهذا السبب صحت تسميته بالمجرى. السؤال الثاني: قال المازني: **غلط** سيبويه في تسميته الحركات البنائية بالمجاري لأن الجري إنما يكون لما يوجد تارة ويعدم تارة. والمبني لا يزول عن حاله، فلم يجز تسميته بالمجاري، بل كان الواجب أن يقال: المجاري أربعة وهي الأحوال الإعرابية. والجواب أن المبنيات قد تحرك عند الدرج، ولا تحرك عند الوقف، فلم تكن تلك الأحوال لازمة لها مطلقا.

المسألة الثامنة عشرة: الإعراب اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل: بحركة أو حرف تحقيقا أو تقديرا، أما الاختلاف فهو عبارة عن موصوفية آخر تلك الكلمة بحركة أو سكون بعد أن كان موصوفا بغيرها، ولا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٥/١

شك أن تلك الموصوفية حالة معقولة لا محسوسة فلهذا المعنى قال عبد القاهر النحوي: الإعراب حالة معقولة لا محسوسة، وأما قوله: «باختلاف العوامل» فاعلم أن اللفظ الذي تلزمه حالة واحدة أبدا هو المبني، وأما الذي يختلف آخره فقسمان: أحدهما: أن لا يكون معناه قابلا للأحوال المختلفة كقولك: «أخذت المال من زيد» فتكون «من» ساكنة، ثم تقول: «أخذت المال من الرجل» فتفتح النون، ثم تقول «أخذت المال من ابنك» فتكون مكسورة فههنا اختلف آخر هذه الكلمة إلا أنه ليس بإعراب، لأن المفهوم من كلمة «من» لا يقبل الأحوال المختلفة في المعنى، وأما القسم الثاني: وهو الذي يختلف آخر الكلمة عند اختلاف أحوال معناها- فذلك هو الإعراب.

المسألة التاسعة عشرة: أقسام الإعراب ثلاثة: الأول: الإعراب بالحركة، وهي في أمور ثلاثة: أحدها: الاسم الذي لا يكون آخره حرفا من حروف العلة، سواء كان أوله أو وسطه معتلا أو لم يكن، نحو رجل، ووعد، وثوب، وثانيها: أن يكون آخر الكلمة واوا أو ياء ويكون ما قبله ساكنا، فهذا كالصحيح في تعاقب الحركات عليه، تقول: هذا ظبي وغزو ومن هذا الباب المدغم فيهما كقولك: كرسي وعدو لأن المدغم يكون." (١)

"وقال قوم: راجع إلى قوله: لعلمه الذين يستنبطونه وقال آخرون: إنه راجع إلى قوله: ولولا فضل الله عليكم ورحمته.

واعلم أن الوجوه لا يمكن أن تزيد على هذه الثلاثة لأن الآية متضمنة للإخبار عن هذه الأحكام الثلاثة، ويصح صرف الاستثناء إلى كل واحد منها، فثبت أن كل واحد من هذه الأقوال محتمل.

أما القول الأول: فالتقدير: وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلا، فأخرج تعالى بعض المنافقين عن هذه الإذاعة كما أخرجهم في قوله: بيت طائفة منهم غير الذي تقول [النساء: ٨١] .

والقول الثاني: الاستثناء عائد إلى قوله: لعلمه الذين يستنبطونه منهم يعني لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا القليل: قال الفراء والمبرد: القول الأول أولى لأن ما يعلم بالاستنباط فالأقل يعلمه، والأكثر يجهله، وصرف الاستثناء إلى ما ذكره يقتضي ضد ذلك. قال الزجاج: هذا **غلط** لأنه ليس المراد من هذا الاستثناء شيئا يستخرجه بنظر دقيق وفكر غامض، إنما هو استنباط خبر، وإذا كان كذلك فالأكثرون يعرفونه، إنما البالغ في البلادة والجهالة هو الذي لا يعرفه ويمكن أن يقال: كلام الزجاج إنما يصح لو حملنا الاستنباط على مجرد تعرف الأخبار والأراجيف، أما إذا حملناه على الاستنباط في جميع الأحكام كما صححنا ذلك

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٧/١

بالدليل كان الحق كما ذكره الفراء والمبرد.

القول الثالث: أنه متعلق بقوله: ولولا فضل الله عليكم ورحمته ومعلوم أن صرف الاستثناء إلى ما يليه ويتصل به أولى من صرفه إلى الشيء البعيد عنه.

واعلم أن هذا القول لا يتمشى إلا إذا فسرنا الفضل والرحمة بشيء خاص، وفيه وجهان: الأول: وهو قول جماعة من المفسرين، أن المراد بفضل الله وبرحمته في هذه الآية إنزال القرآن وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم، والتقدير:

ولولا بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن لا تبعتم الشيطان وكفرتم بالله إلا قليلا منكم، فإن ذلك ا لقليل بتقدير عدم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وعدم إنزال القرآن ما كان يتبع الشيطان، وما كان يكفر بالله، وهم مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وهم الذين كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثاني: ما ذكره أبو مسلم، وهو أن المراد بفضل الله وبرحمته في هذه الآية هو نصرته تعالى ومعونته اللذان عناهما المنافقون بقولهم: فأفوز فوزا عظيما [النساء: ٧٣] فبين تعالى أنه لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين إلا القليل منكم، وهم أهل البصائر الناقدة والنيات القوية والعزائم المتمكنة من أفاضل المؤمنين الذين يعلمون أنه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا، فلأجل تواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقا، ولأجل تواتر الانهزام والانكسار يدل على كونه باطلا، بل الأمر في كونه حقا وباطلا على الدليل، وهذا أصح ا لوجوه وأقربها إلى التحقيق.

المسألة الثانية: دلت الآية على أن الذين اتبعوا الشيطان فقد منعهم الله فضله ورحمته، وإلا ما كان يتبع، وهذا يدل على فساد قول المعتزلة في أنه يجب على الله رعاية الأصلح في الدين. أجاب الكعبي عنه بأن فضل الله ورحمته عامان في حق الكل، لكن المؤمنين انتفعوا به، والكافرين لم ينتفعوا به، فصح على سبيل المجاز أنه لم يحصل للكافر من الله فضل ورحمة في الدين.." (١)

"والنصارى في هذا الباب، وذلك لأن المستدل بالدليل يكون أصيلا في ذلك الحكم، ولا تعلق له بمن قبله البتة، والاقتداء والاتباع لا يحصل إلا إذا كان فعل الأول سببا لوجوب الفعل على الثاني، وبهذا التقرير يسقط السؤال.

وعن الثالث: أنه تعالى أمر الرسول بالاقتداء بجميعهم في جميع الصفات الحميدة والأخلاق الشريفة،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠/١٥٦

وذلك لا يوجب كونه أقل مرتبة منهم، بل يوجب كونه أعلى مرتبة من الكل على ما سيجيء تقريره بعد ذلك إن شاء الله تعالى، فثبت بما ذكرنا دلالة هذه الآية على أن شرع من قبلنا يلزمنا.

المسألة الثانية: احتج العلماء بهذه الآية على أن رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام، وتقريره: هو أنا بينا أن خصال الكمال، وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم/ بأجمعهم، فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البلاء ويوسف كان مستجمعا لهاتين الحالتين.

وموسى عليه السلام كان صاحب الشريعة القوية القاهرة والمعجزات الظاهرة، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، كانوا أصحاب الزهد، وإسماعيل كان صاحب الصدق، ويونس صاحب التضرع، فثبت إنه تعالى إنما ذكر كل واحد من هؤلاء الأنبياء لأن الغالب عليه كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف، ثم إنه تعالى لما ذكر الكل أمر محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي بهم بأسرهم، فكان التقدير كأنه تعالى أمر محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أن يجمع من خصال العبودية والطاعة كل الصفات التي كانت مفرقة فيهم بأجمعهم ولما أمره الله تعالى بذلك، امتنع أن يقال: إنه قصر في تحصيلها، فثبت أنه حصلها، ومتى كان الأمر كذلك، ثبت أنه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرقا فيهم بأسرهم، ومتى كان الأمر كذلك، وجب أن يقال: إنه أفضل منهم بكليتهم. والله أعلم.

المسألة الثالثة: قال الواحدي: قوله: هدى الله دليل على أنهم مخصوصون بالهدى، لأنه لو هدى جميع المكلفين لم يكن لقوله: أولئك الذين هدى الله فائدة تخصيص.

المسألة الرابعة: قال الواحدي: الاقتداء في اللغة إتيان الثاني بمثل فعل الأول لأجل أنه فعله. روى اللحياني عن الكسائي أنه قال: يقال لي بك قدوة وقدوة.

المسألة الخامسة: قال الواحدي: قرأ ابن عامر اقتداه بكسر الدال وبشم الهاء للكسر من غير بلوغ ياء، والباقون اقتده ساكنة الهاء، غير أن حمزة والكسائي يحذفانها في الوصل ويثبتانها في الوقف، والباقون يثبتونها في الوصل والوقف.

والحاصل: أنه حصل الإجماع على إثباتها في الوقف. قال الواحدي: الوجه الإثبات في الوقف والحذف في الوصل، لأن هذه الهاء هاء وقعت في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء، وذلك لأن الهاء للوقف، كما أن همزة الوصل للابتداء بالساكن، فكما لا تثبت الهمزة حال الوصل، كذلك ينبغي أن لا تثبت الهاء إلا أن هؤلاء الذين أثبتوا راموا موافقة المصحف، فإن الهاء ثابتة في الخط فكرهوا مخالفة الخط في حالتي

الوقف والوصل فأثبتوا. وأما قراءة ابن عامر: فقال أبو بكر ومجاهد: هذا غلط، لأن هذه الهاء هاء وقف، فلا تعرب في حال من الأحوال، وإنما تذكر ليظهر بها حركة ما قبلها. قال أبو علي الفارسي: ليس بغلط، ووجهها أن." (١)

"فإن قيل: رؤية الكثير قليلا غلط، فكيف يجوز من الله تعالى أن يفعل ذلك؟

قلنا: مذهبنا أنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأيضا لعله تعالى أراه البعض دون البعض فحكم الرسول على أولئك الذين رآهم بأنهم قليلون. وعن الحسن: هذه الإراءة كانت في اليقظة. قال: والمراد من المنام العين التي هي موضع النوم.

ثم قال تعالى: ولو أراكهم كثيرا لذكرته للقوم ولو سمعوا ذلك لفشلوا ولتنازعوا، ومعنى التنازع في الأمر، الاختلاف الذي يحاول به كل واحد نزع صاحبه عما هو عليه، والمعنى: لاضطرب أمركم واختلفت كلمتكم ولكن الله سلم أي سلمكم من المخالفة فيما بينكم. وقيل: سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم، وقيل سلمهم من الهزيمة يوم بدر والأظهر أن المراد، ولكن الله سلمكم من التنازع إنه عليم بذات الصدور يعلم ما يحصل فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع.

[سورة الأنفال (٨) : آية ٤٤]

وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور (٤٤)

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من النعم التي أظهرها الله للمسلمين يوم بدر، والمراد أن القليل الذي حصل في النوم تأكد ذلك بحصوله في اليقظة. قال صاحب «الكشاف» : وإذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني إذ يبصركم إياهم، وقليلا نصب على الحال.

واعلم أنه تعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين، وقلل أيضا عدد المؤمنين في أعين المشركين.

والحكمة في التقليل الأول، تصديق رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم، وأيضا لتقوى قلوبهم وتزداد جراءتهم عليهم، والحكمة في التقليل. الثاني: أن المشركين لما استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب والحذر، فصار ذلك سببا لاستيلاء المؤمنين عليهم.

فإن قيل: كيف يجوز أن يريهم الكثير قليلا؟

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٧/١٣

قلنا: أما على ما قلنا فذاك جائز، لأن الله تعالى خلق الإدراك في حق البعض دون البعض. وأما المعتزلة فقالوا: لعل العين منعت من إدراك الكل، أو لعل الكثير منهم كانوا في غاية البعد فما حصلت رؤيتهم.

ثم قال: ليقضي الله أمرا كان مفعولا.

فإن قيل: ذكر هذا الكلام في الآية المتقدمة، فكان ذكره هاهنا محض التكرار.

قلنا: المقصود من ذكره في الآية المتقدمة هو أنه تعالى فعل تلك الأفعال ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم. والمقصود من ذكره هاهنا، ليس هو ذلك المعنى، بل المقصود أنه تعالى ذكر هاهنا أنه قلل عدد المؤمنين في أعين المشركين، فبين هاهنا أنه إنما فعل ذلك ليصير ذلك سببا لئلا يبالغ الكفار في تحصيل الاستعداد والحذر، فيصير ذلك سببا لانكسارهم.

ثم قال: وإلى الله ترجع الأمور والغرض منه التنبيه على أن أحوال الدنيا غير مقصودة لذواتها، وإنما المراد منها ما يصلح أن يكون زادا ليوم المعاد.." (١)

"قلنا: قد بينا في تفسير قوله تعالى: إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه [النساء: ٣١] أن المعلق على الشيء بكلمة (إن) لا يلزم من عدمه عدم ذلك الشيء، فزال هذا السؤال، ومن الناس من قال المعلق على الشيء بكلمة (إن) عدم عند عدم ذلك الشيء، فههنا قال المواخاة بالإسلام بين المسلمين موقوفة على فعل الصلاة والزكاة جميعا، فإن الله تعالى شرطها في إثبات المواخاة، ومن لم يكن أهلا لوجوب الزكاة عليه، وجب عليه أن يقر بحكمها، فإذا أقر بهذا الحكم دخل في الشرط الذي به تجب الأخوة، وكان/ ابن مسعود يقول رحم الله أبا بكر ما أفقهه في الدين، أراد به ما ذكره أبو بكر في حق مانعي الزكاة، وهو قوله والله لا أفرق بين شيئين جمع الله بينهما بقي في قوله: فإخوانكم في الدين بحثان: الأول: قوله: فإخوانكم قال الفراء معناه، فهم إخوانكم بإضمار المبتدأ كقوله تعالى: فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم [الأحزاب: ٥] أي فهم إخوانكم. الثاني: قال أبو حاتم قال أهل البصرة أجمعون الإخوة في النسب والإخوان في الصداقة، وهذا **غلط** يقال للأصدقاء، وغير الأصدقاء إخوة وإخوان. قال الله تعالى: إنما المؤمنون إخوة [الحجرات: ١٠] ولم يعن النسب. وقال تعالى: أو بيوت إخوانكم [النور: ٦١] وهذا في النسب. قال ابن عباس: حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة.

ثم قال: ونفصل الآيات لقوم يعلمون قال صاحب «الكشاف» : وهذا اعتراض وقع بين الكلامين، والمقصود

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٥/٤٨٨

الحث والتحريض على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين، وعلى المحافظة عليها.
ثم قال: وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم يقال نكث فلان عهده إذا نقضه بعد إحكامه كما ينكث خيط الصوف بعد إبرامه، ومنه قوله تعالى: من بعد قوة أنكاثا [النحل: ٩٢] والأيمان جمع يمين بمعنى الحلف والقسم. وقيل: للحلف يمين، وهو اسم اليد لأنهم كانوا يبسطون أيمانهم إذا حلفوا أو تحالفوا. وقيل: سمي القسم يمينا ليمين البر فيه. فقوله: وإن نكثوا أيمانهم أي نقضوا عهودهم. وفيه قولان: الأول: وهو قول الأكثرين إن المراد نكثهم لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثاني: أن المراد حمل العهد على الإسلام بعد الإيمان، فيكون المراد ردتهم بعد الإيمان، ولذلك قرأ بعضهم وإن نكثوا. أيمانهم من بعد عهدهم والأول أولى للقراءة المشهورة، ولأن الآية وردت في ناقضي العهد لأنه تعالى صنفهم صنفين، فإذا ميز منهم من تاب لم يبق إلا من أقام على نقض العهد. وقوله: وطعنوا في دينكم يقال طعنه بالرمح يطعنه، وطعن بالقول السيء يطعن. قال الليث: وبعضهم يقول: يطعن بالرمح، ويطعن بالقول: فيفرق بينهما، والمعنى أنهم عابوا دينكم، وقدحوا فيه.
ثم قال: فقاتلوا أئمة الكفر أي متى فعلوا ذلك فافعلوا هذا، وفيه مسائل:
المسألة الأولى: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو أئمة الكفر بهمزة واحدة غير ممدودة وتليين الثانية والباقون بهمزتين على التحقيق. قال الزجاج: الأصل في الأئمة أأمة، لأنها جمع إمام، مثل مثال وأمثلة، لكن الميمين إذا اجتمعتا أدغمت الأولى في الثانية، وألقيت حركتها على الهمزة، فصارت أأمة، فأبدلت من المكسورة الياء لكراهة اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة. هذا هو/ الاختيار عند جميع النحويين.
إذا عرفت هذا فنقول: قال صاحب «الكشاف» : لفظة «أئمة» همزة بعدها همزة بين بين، والمراد بين مخرج الهمزة والياء. أما بتحقيق الهمزتين فقراءة مشهورة. وإن لم تكن مقبولة عند البصريين. وأما التصريح." (١)

"ثم قال تعالى: وتزكيهم واعلم أن التزكية لما كانت معطوفة على التطهير وجب حصول المغايرة، فقيل: التزكية مبالغة في التطهير، وقيل: التزكية بمعنى الإنماء، والمعنى: أنه تعالى يجعل/ النقصان الحاصل بسبب إخراج قدر الزكاة سببا للإنماء، وقيل: الصدقة تطهرهم عن نجاسة الذنب والمعصية، والرسول عليه السلام يزكيهم ويعظم شأنهم ويثني عليهم عند إخراجها إلى الفقراء.
ثم قال تعالى: وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم وفيه مسائل:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٣٤/١٥

المسألة الأولى: قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم إن صلاتك بغير واو وفتح التاء على التوحيد، والمراد منه الجنس، وكذلك في سورة هود أصلاتك تأمرك بغير واو وعلى التوحيد، والباقون صلواتك وكذلك في هود على الجمع، قال أبو عبيدة: والقراءة الأولى أولى لأن الصلاة أكثر. ألا ترى أنه قال: أقيموا الصلاة والصلوات جمع قلة، تقول ثلاث صلوات وخمس صلوات، قال أبو حاتم: هذا **غلط** لأن بناء الصلوات ليس للقلة لأنه تعالى قال: ما نفدت كلمات الله [لقمان: ٢٧] ولم يرد القليل وقال:
وهم في الغرفات آمنون [سبأ: ٣٧] وقال: إن المسلمين والمسلمات [الأحزاب: ٣٥] .
المسألة الثانية: احتج مانعو الزكاة في زمان أبي بكر بهذه الآية، وقالوا إنه تعالى أمر رسوله بأخذ الصدقات، ثم أمره بأن يصلي عليهم وذكر أن صلاته سكن لهم، فكان وجوب الزكاة مشروطا بحصول ذلك السكن، ومعلوم أن غير الرسول لا يقوم مقامه في حصول ذلك السكن. فوجب أن لا يجب دفع الزكاة إلى أحد غير الرسول عليه الصلاة والسلام، واعلم أنه ضعيف لأن سائر الآيات دلت على أن الزكاة إنما وجبت دفعا لحاجة الفقير كما في قوله: إنما الصدقات للفقراء [التوبة: ٦٠] وكما في قوله: وفي أموالهم حق للسائل والمحروم [الذاريات: ١٩] .
المسألة الثالثة: لا شك أن الصلاة في أصل اللغة عبارة عن الدعاء، فإذا قلنا صلى فلان على فلان، أفاد الدعاء بحسب اللغة الأصلية. إلا أنه صار بحسب العرف يفيد أنه قال له اللهم صل عليه، فلهذا السبب اختلف المفسرون، فنقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: معناه ادع لهم، قال الشافعي رحمه الله: والسنة للإمام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق ويقول: آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت، وقال آخرون: معناه أن يقول اللهم صل على فلان،
ونقلوا عن النبي عليه الصلاة والسلام، أن آل أبي أوفى لما أتوه بالصدقة قال:
«اللهم صل على آل أبي أوفى»
ونقل القاضي في «تفسيره» عن الكعبي في «تفسيره» أنه قال علي لعمر وهو مسجى عليك الصلاة والسلام،
ومن الناس من أنكر ذلك، ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا تنبغي الصلاة من أحد على أحد إلا في حق النبي عليه الصلاة والسلام.
المسألة الرابعة: أن أصحابنا يمنعون من ذكر صلوات الله عليه وعليه الصلاة والسلام إلا في حق الرسول، والشيعة يذكرونه في علي وأولاده، واحتجوا عليه بأن نص القرآن دل على أن/ هذا الذكر جائز في حق من

يؤدي الزكاة، فكيف يمنع ذكره في حق علي والحسن والحسين رضي الله عنهم؟ ورأيت بعضهم قال: أليس أن الرجل إذا قال سلام عليكم يقال له وعليكم السلام؟ فدل هذا على أن ذكر هذا اللفظ جائز في حق جمهور المسلمين، فكيف يمتنع ذكره في حق آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام؟ قال القاضي: إنه جائز في حق الرسول عليه الصلاة والسلام، والدليل عليه
أنهم قالوا: يا رسول الله قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة." (١)

"وإرادته، والمقصود منه أن القوم كانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله [يونس: ١٨] فبين الله تعالى أنهم لا يشفعون لهؤلاء الكفار، بل يتبرءون منهم، وذلك يدل على نهاية الخزي والنكال في حق هؤلاء الكفار، ونظيره آيات منها قوله تعالى: إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا [البقرة: ١٦٦] ومنها قوله تعالى: ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن [سبأ:
٤٠، ٤١] .

واعلم أن هذا الكلام يشير على سبيل الرمز إلى دقيقة عقلية، وهي أن ما سوى الواحد الأحد الحق ممكن لذاته، والممكن لذاته محتاج بحسب ماهيته، والشيء الواحد يمتنع أن يكون قابلا وفاعلا معا، فما سوى الواحد الأحد الحق لا تأثير له في الإيجاد والتكوين، فالممكن المحدث لا يليق به أن يكون معبودا لغيره، بل المعبود الحق ليس إلا الموجد الحق، وذلك ليس إلا الموجود الحق الذي هو واجب الوجود لذاته، فبراءة المعبود من العابدين، يحتمل أن يكون المراد منه ما ذكرناه. والله أعلم بمراده.

المسألة الثانية: (الحشر) الجمع من كل جانب إلى موقف واحد وجميعا نصب على الحال أي نحشر الكل حال اجتماعهم. ومكانكم منصوب بإضمار الزموا والتقدير: الزموا مكانكم وأنتم تأكيد للضمير وشركاؤكم عطف عليه. واعلم أن قوله: مكانكم كلمة مختصة بالتهديد والوعيد والمراد أنه تعالى يقول للعابدين والمعبودين مكانكم أي الزموا مكانكم حتى تسألوا، ونظيره قوله تعالى: احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسؤلون [الصافات: ٢٢- ٢٤] .

أما قوله: فزيلنا بينهم ففيه بحثان:

البحث الأول: أن هذه الكلمة جاءت على لفظ المضي بعد قوله: ثم نقول وهو منتظر، والسبب فيه أن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٣٦/١٦

الذي حكم الله فيه، بأن سيكون صار كالكائن الراهن الآن، ونظيره قوله تعالى: ونادى أصحاب الجنة [الأعراف: ٤٤] .

البحث الثاني: (زيلنا) فرقنا وميزنا. قال الفراء: قوله: فزيلنا ليس من أزلت، إنما هو من زلت إذا فرقت تقول العرب: زلت الضأن من المعز فلم تزل أي ميزتها فلم تتميز، ثم قال الواحدي: فالزيل والتزييل والمزايلة، والتمييز والتفريق. قال الواحدي: وقرئ فزايلنا بينهم وهو مثل فزيلنا وحكى الواحدي عن ابن قتيبة أنه قال في هذه الآية: هو من زال يزول وأزلته أنا، ثم حكى عن الأزهري أنه قال: هذا غلط، لأنه لم يميز بين زال يزول، وبين زال يزيل، وبينهما بون بعيد، والقول ما قاله الفراء، ثم قال المفسرون: فزيلنا أي فرقنا بين المشركين وبين شركائهم من الآلهة والأصنام، وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا.

وأما قوله: وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ففيه مباحث:

البحث الأول: إنما أضاف الشركاء إليهم لوجوه: الأول: أنهم جعلوا نصيبا من أموالهم لتلك الأصنام، فصيروها شركاء لأنفسهم في تلك الأموال، فلهذا قال تعالى: وقال شركاؤهم الثاني: أنه يكفي في الإضافة أدنى تعلق، فلما كان الكفار هم الذين أثبتوا هذه الشركة، لا جرم حسنت إضافة الشركاء إليهم. الثالث: أنه." (١)

"الصدق، فثبت أنه تعالى هو الموصل إلى جميع الخيرات في الدنيا والآخرة، والمرشد إلى كل الكمالات في النفس والجسد، وأن الأصنام لا تأثير لها في شيء من ذلك، وإذا كان كذلك كان الاشتغال بعبادتها جهلا محضا وسفها صرفا، فهذا حاصل الكلام في هذا الاستدلال.

المسألة الثانية: قال الزجاج: يقال هديت إلى الحق، وهديت للحق بمعنى واحد، والله تعالى ذكر هاتين اللغتين في قوله: قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق.

المسألة الثالثة: في قوله: أمن لا يهدي ست قراءات: الأول: قرأ ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وهو اختيار أبي عبيدة وأبي حاتم، لأن أصله يهتدي أدغمت التاء في الدال ونقلت فتحة التاء المدغمة إلى الهاء. الثانية: قرأ نافع ساكنة الهاء مشددة الدال أدغمت التاء في الدال وتركت الهاء على حالها، فجمع في قراءته بين ساكنين كما جمعوا في يخصمون [يس: ٤٩] قال علي بن عيسى وهو **غلط** على نافع. الثالثة: قرأ أبو عمرو بالإشارة إلى فتحة الهاء من غير إشباع فهو بين الفتح والجزم مختلسة على أصل مذهبه اختيارا للتخفيف، وذكر علي بن عيسى أنه الصحيح من قراءة نافع.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤٤/١٧

الرابعة:
قرأ عاصم بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال فرارا من التقاء الساكنين، والجزم يحرك بالكسر. الخامسة: قرأ حماد ويحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم بكسر الياء والهاء أتبع الكسرة للكسرة. وقيل: هو لغة من قرأ (نستعين ونعبد) السادسة: قرأ حمزة والكسائي يهدي ساكنة الهاء وبتخفيف الدال على معنى يهتدي والعرب تقول: يهدي، بمعنى يهتدي يقال: هديته فهدي أي اهتدى.
المسألة الرابعة: في لفظ الآية إشكال، وهو أن المراد من الشركاء في هذه الآية الأصنام وأنها جمادات لا تقبل الهداية، فقوله: أمن لا يهدي إلا أن يهدى لا يليق بها.
والجواب من وجوه: الأول: لا يبعد أن يكون المراد من قوله: قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده هو الأصنام. والمراد من قوله: قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق رؤساء الكفر والضلالة والدعاة إليها والدليل عليه قوله سبحانه: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله إلى قوله: لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون [التوبة: ٣١] والمراد أن الله سبحانه وتعالى هدى الخلق إلى الدين الحق بواسطة ما أظهر من الدلائل العقلية والنقلية. وأما هؤلاء الدعاة والرؤساء فإنهم لا يقدرون على أن يهدوا غيرهم إلا إذا هداهم الله تعالى، فكان التمسك بدين الله تعالى أولى من قبول قول هؤلاء الجهال.
الوجه الثاني: في الجواب أن يقال: إن القوم لما اتخذوها آلهة، لا جرم عبر عنها كما يعبر عمن يعلم ويعقل، ألا ترى أنه تعالى قال: إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم [الأعراف: ١٩٤] مع أنها جمادات وقال: إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم [فاطر: ١٤] فأجرى اللفظ على الأوثان على حسب ما يجري على من يعقل ويعلم فكذا هاهنا وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل، وإن لم يكن الأمر كذلك، الثالث: أنا نحمل ذلك على التقدير، يعني أنها لو كانت بحيث يمكنها أن تهدي، فإنها لا تهدي غيرها إلا بعد أن يهديها غيرها، وإذا حملنا الكلام على هذا التقدير فقد زال السؤال. الرابع: أن البنية عندنا ليست شرطا/ لصحة الحياة والعقل، فتلك الأصنام حال كونها خشبا وحجرا قابلة للحياة والعقل، وعلى هذا التقدير فيصح من الله تعالى أن يجعلها حية عاقلة ثم إنها تشتغل بهداية الغير. الخامس: أن الهدى عبارة عن النقل والحركة يقال: هديت المرأة." (١)

"فاعلا، فنحن نقول هاهنا أيضا إذا كان تحصيل الإيمان وإبقاؤه من العبد لا من الله تعالى، فكيف يطلب ذلك من الله قال الجبائي والكعبي معناه: اطلب اللطف لي في الإقامة على الإسلام إلى أن أموت

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٥٠/١٧

عليه. فهذا الجواب ضعيف لأن السؤال وقع على الإسلام فحمله على اللطف عدول عن الظاهر وأيضا كل ما في المقدور من الألطاف فقد فعله فكان طلبه من الله محالا.

المسألة الرابعة: لقائل أن يقول: الأنبياء عليهم السلام يعلمون أنهم يموتون لا محالة على الإسلام، فكان هذا الدعاء حاصله طلب تحصيل الحاصل وأنه لا يجوز.

والجواب: أحسن ما قيل فيه أن كمال حال المسلم أن يستسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر قلبه على ذلك الإسلام ويرضى بقضاء الله وقدره، ويكون مطمئن النفس منشرح الصدر منفسخ القلب في هذا الباب، وهذه الحالة زائدة على الإسلام الذي هو ضد الكفر، فالمطلوب هاهنا هو الإسلام بهذا المعنى.

المسألة الخامسة: أن يوسف عليه السلام كان من أكابر الأنبياء عليهم السلام، والصلاح أول درجات المؤمنين، فالواصل إلى الغاية كيف يليق به أن يطلب البداية. قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من المفسرين: يعني بآبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، والمعنى: ألحقني بهم في ثوابهم ومراتبهم ودرجاتهم، وهاهنا مقام آخر من تفسير هذه الآية على لسان أصحاب المكاشفات، وهو أن النفوس المفارقة إذا أشرقت بالأنوار الإلهية واللوامع القدسية، فإذا كانت متناسبة متشاكلة/ انعكس النور الذي في كل واحدة منها إلى الأخرى بسبب تلك الملازمة والمجانسة، فتعظم تلك الأنوار وتقوى تلك الأضواء، ومثال تلك الأحوال المرآة الصقيلة الصافية إذا وضعت وضعا متى أشرقت الشمس عليها انعكس الضوء من كل واحدة منها إلى الأخرى، فهناك يقوى الضوء ويكمل النور، وينتهي في الإشراق والبريق اللمعان إلى حد لا تطيقه العيون والأبصار الضعيفة، فكذا هاهنا.

[سورة يوسف (١٢) : آية ١٠٢]

ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون (١٠٢)

اعلم أن قوله: ذلك رفع بالابتداء وخبره من أنباء الغيب- ونوحيه إليك خبر ثان وما كنت لديهم أي ما كنت عند إخوة يوسف إذ أجمعوا أمرهم أي عزموا على أمرهم وذكرنا الكلام في هذا اللفظ عند قوله:

فأجمعوا أمركم وقوله: وهم يمكرون أي بيوسف، واعلم أن المقصد من هذا إخبار عن الغيب فيكون معجزا. بيان أنه إخبار عن الغيب أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما طالع الكتب ولم يتلمذ لأحد وما كانت البلدة بلدة العلماء فإتيانه بهذه القصة الطويلة على وجه لم يقع فيه تحريف ولا **غلط** من غير مطالعة ولا تعلم، ومن غير أن يقال:

إنه كان حاضرا معهم لا بد وأن يكون معجزا وكيف يكون معجزا وقد سبق تقرير هذه المقدمة في هذا الكتاب مرارا، وقوله: وما كنت لديهم أي وما كنت هناك ذكر على سبيل التهكم بهم، ل أن كل أحد يعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ١٠٣ الى ١٠٧]

وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين (١٠٣) وما تسئلهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين (١٠٤) وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون (١٠٥) وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (١٠٦) أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (١٠٧)." (١)

"ثم قال: وهم يجادلون في الله يعني هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في الله وهو يحتمل وجوها: أحدها: أن يكون المراد الرد على الكفار الذي قال: أخبرنا عن ربنا أمن نحاس أم من حديد. وثانيها:

أن يكون المراد الرد على جدالهم في إنكار البعث وإبطال الحشر والنشر. وثالثها: أن يكون المراد الرد عليهم في طلب سائر المعجزات. ورابعها: أن يكون المراد الرد عليهم في استنزال عذاب الاستئصال. وفي هذه الواو قولان: الأول: أنها للحال، والمعنى: فيصيب بالصاعقة من يشاء في حال جداله في الله، وذلك أن أربد لما جادل في الله أحرقته الصاعقة. والثاني: أنها واو الاستئناف كأنه تعالى لما تمم ذكر هذه الدلائل قال بعد ذلك:

وهم يجادلون في الله.

ثم قال تعالى: وهو شديد المحال وفي لفظ المحال أقوال: قال ابن قتيبة: الميم زائدة وهو من الحول، ونحوه ميم مكان، وقال الأزهري: هذا غلط، فإن الكلمة إذا كانت على مثال فعال أوله ميم مكسورة فهي أصلية، نحو مهاد ومداس ومداد، واختلفوا مم أخذ على وجوه: الأول: قيل من قولهم محل فلان بفلان إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك، وتمحل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه، فكان المعنى: أنه سبحانه شديد المكر لأعدائه يهلكهم بطريق لا يتوقعونه. الثاني: أن المحال عبارة عن الشدة، ومنه تسمى السنة الصعبة سنة المحل وما حلت فلانا محالا. أي قاومته أينا أشد، قال أبو مسلم: ومحال فعال

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥١٨/١٨

من المحل وهو الشدة ولفظ فعال يقع على المجازاة/ والمقابلة، فكأن المعنى: أنه تعالى شديد المغالبة، وللمفسرين هاهنا عبارات فقال مجاهد وقتادة: شديد القوة، وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة، وقال الحسن: شديد النقمة، وقال ابن عباس: شديد الحول. الثالث: قال ابن عرفة: يقال ما حل عن أمره أي جادل، فقوله: شديد المحال أي شديد الجدال. الرابع: روي عن بعضهم: شديد المحال أي شديد الحقد. قالوا: هذا لا يصح، لأن الحقد لا يمكن في حق الله تعالى، إلا أنا قد ذكرنا في هذا الكتاب أن أمثال هذه الألفاظ إذا وردت في حق الله تعالى فإنها تحصل على نهايات الأعراض لا على مبادئ الأعراض، فالمراد بالحقد هاهنا هو أنه تعالى يريد إيصال الشر إليه مع أنه يخفي عنه تلك الإرادة.

[سورة الرعد (١٣) : آية ١٤]

له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال (١٤)

اعلم أن قوله: له دعوة الحق أي لله دعوة الحق، وفيه بحثان:

البحث الأول: في أقوال المفسرين وهي أمور: أحدها: ما روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: دعوة الحق قول لا إله إلا الله. وثانيها: قول الحسن: إن الله هو الحق، فدعاؤه هو الحق، كأنه يومئ إلى أن الانقطاع إليه في الدعاء هو الحق. وثالثها: أن عبادته هي الحق والصدق.

واعلم أن الحق هو الموجود، والموجود قسمان: قسم يقبل العدم وهو حق يمكن أن يصير باطلا وقسم لا يقبل العدم فلا يمكن أن يصير باطلا وذلك هو الحق الحقيقي، وإذا كان واجب الوجود لذاته موجودا لا يقبل العدم كان أحق الموجودات بأن يكون حقا هو هو وكان أحق الاعتقادات وأحق الأذكار بأن يكون حقا هو اعتقاد ثبوته وذكر وجوده، فثبت بهذا أن وجوده هو الحق في الموجودات واعتقاد وجوده هو الحق في الاعتقادات.." (١)

"معرفة الطرق والمسالك فكذلك يمكن الاستدلال بها في معرفة طلب القبلة.

واعلم أن اشتباه القبلة إما أن يكون بعلامات لائحة أو لا يكون، فإن كانت لائحة وجب أن يجب الاجتهاد ويتوجه إلى حيث غلب على الظن أنه هو القبلة، فإن تبين الخطأ وجب الإعادة، لأنه كان مقصرا فيما وجب عليه، وإن لم تظهر العلامات فههنا طريقان:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤/١٩

الطريق الأول: أن يكون مخيرا في الصلاة إلى أي جهة شاء لأن الجهات لما تساوت وامتنع الترجيح لم يبق إلا التخيير.
والطريق الثاني: أن يصلي إلى جميع الجهات فحينئذ يعلم بيقين أنه خرج عن العهدة وهذا كما يقوله الفقهاء: فيمن نسي صلاة لا يعرفها بعينها أن الواجب عليه في القضاء أن يأتي بالصلوات الخمس ليكون على يقين من قضاء ما لزمه، ومنهم من يقول: الواجب منها واحدة فقط وهذا **غلط** لأنه لما لزمه أن يفعل الكل كان الكل واجبا وإن كان سبب وجوب كل هذه الصلوات فوت الصلاة الواحدة والله أعلم.

[سورة النحل (١٦) : الآيات ١٧ الى ٢١]
أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (١٧) وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم (١٨) والله يعلم ما تسرون وما تعلنون (١٩) والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون (٢٠) أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون (٢١)
[في قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون] في الآية مسائل:
المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل الدالة على وجود القادر الحكيم على الترتيب الأحسن والنظم الأكمل وكانت تلك الدلائل كما أنها كانت دلائل، فكذلك أيضا كانت شرحا وتفصيلا لأنواع نعم الله تعالى وأقسام إحسانه أتبعه بذكر إبطال عبادة غير الله تعالى والمقصود أنه لما دلت هذه الدلائل الباهرة، والبينات الزاهرة القاهرة على وجود إله قادر حكيم، وثبت أنه هو المولى لجميع هذه النعم والمعطي لكل هذه الخيرات فكيف يحسن في العقول الاشتغال بعبادة موجود سواه لا سيما إذا كان ذلك الموجود جمادا لا يفهم ولا يقدر، فلهذا الوجه قال بعد تلك الآيات: أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون والمعنى: أفمن يخلق هذه الأشياء التي ذكرناها كمن لا يخلق بل لا يقدر البتة على شيء أفلا تذكرون فإن هذا القدر لا يحتاج إلى تدبر وتفكر ونظر. ويكفي فيه أن تتنبهوا على ما في عقولكم من أن العبادة لا تليق إلا بالمنعم الأعظم، وأنتم ترون في الشاهد إنسانا عاقلا فاهما ينعم بالنعمة العظيمة، ومع ذلك فتعلمون أنه يقبح عبادته فهذه الأصنام جمادات محضة، وليس لها فهم ولا قدرة ولا اختيار فكيف تقدمون على عبادتها، وكيف تجوزون الاشتغال بخدمتها وطاعتها.

المسألة الثانية: المراد بقوله: كمن لا يخلق الأصنام، وأنها جمادات فلا يليق بها لفظة «من» لأنها لأولي العلم. وأجيب عنه من وجوه:." (١)

"يلتزمه الإنسان باختياره ويدخل فيه المبايعة على الإيمان بالله وبرسوله ويدخل فيه عهد الجهاد، وعهد الوفاء بالملتزمات من المنذورات، والأشياء التي أكدها بالحلف واليمين، وفي قوله: ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها مباحث:

البحث الأول: قال الزجاج: يقال وكدت وأكدت لغتان جيدتان، والأصل الواو، والهمزة بدل منها.

البحث الثاني: قال أصحاب أبي حنيفة رحمه الله: يمين اللغو هي يمين الغموس، والدليل عليه أنه تعالى قال: ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها فنهى في هذه الآية عن نقض الأيمان، فوجب أن يكون كل يمين قابلا للبر والحنث، ويمين الغموس غير قابلة للبر والحنث فوجب أن لا تكون من الأيمان. واحتج الواحدي بهذه الآية على أن يمين اللغو هي قول العرب لا والله وبلى والله. قال إنما قال تعالى: بعد توكيدها للفرق بين الأيمان المؤكدة بالعزم وبالعقد وبين لغو اليمين.

البحث الثالث: قوله: ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص، لأنا بينا/ أن الخبر دل على أنه متى كان الصلاح في نقض الأيمان جاز نقضها.

ثم قال: وقد جعلتم الله عليكم كفيلا هذه واو الحال، أي لا تنقضوها وقد جعلتم الله كفيلا عليكم بالوفاء، وذلك أن من حلف بالله تعالى فكأنه قد جعل الله كفيلا بالوفاء بسبب ذلك الحلف.

ثم قال: إن الله يعلم ما تفعلون وفيه ترغيب وترهيب، والمراد فيجازيكم على ما تفعلون إن خيرا فخير وإن شرا فشر. ثم إنه تعالى أكد وجوب الوفاء، وتحريم النقض وقال: ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في المشبه به قولان:

القول الأول: أنها امرأة من قريش يقال لها رايطة، وقيل ريطة، وقيل تلقب جعراء وكانت حمقاء تغزل الغزل هي وجواريها فإذا غزلت وأبرمت أمرتهن فنقضن ما غزلن.

والقول الثاني: أن المراد بالمثل الوصف دون التعيين، لأن القصد بالأمثال صرف المكلف عنه إذا كان قبيحا، والدعاء إليه إذا كان حسنا، وذلك يتم به من دون التعيين.

المسألة الثانية: قوله: من بعد قوة أي من به قوة الغزل بإبرامها وفتلها.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١٩/٢٠

المسألة الثالثة: قوله: أنكاثا قال الأزهري: واحدها: نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم وينسج فإذا أحكمت النسيجة قطعتها ونكثت خيوطها المبرمة ونفشت تلك الخيوط وخلطت بالصوف ثم غزلت ثانية، والنكث المصدر، ومنه يقال نكث فلان عهده إذا نقضه بعد إحكامه كما ينكث خيط الصوف بعد إبرامه. المسألة الرابعة: في انتصاب قوله: أنكاثا وجوه: الأول: قال الزجاج: أنكاثا منصوب لأنه بمعنى المصدر لأن معنى نكثت نقضت ومعنى نقضت نكثت، وهذا غلط منه، لأن الأنكاث جمع نكث وهو اسم لا مصدر فكيف يكون قوله: أنكاثا بمعنى المصدر؟ الثاني: قال الواحدي: أنكاثا مفعول ثان كما تقول كسره." (١)

"ليس نصا في كون ذلك الغلام ولدا له بل يحتمل أن زكريا عليه السلام راعى الأدب ولم يقل هذا الكلام هل يكون لي ولد أم لا، بل ذكر أسباب تعذر حصول الولد في العادة حتى إن تلك البشارة إن كانت بالولد فالله تعالى يزيل الإبهام ويجعل الكلام صريحا فلما ذكر ذلك صرح الله تعالى بكون ذلك الولد منه فكان الغرض من كلام زكريا هذا لا أنه كان شاكا في قدرة الله تعالى عليه. الثاني: أنه ما ذكر ذلك للشك لكن على وجه التعظيم لقدرته وهذا كالرجل الذي يرى صاحبه قد وهب الكثير الخطير فيقول أنى سمحت نفسك بإخراج مثل هذا من ملكك! تعظيما وتعجبا. الثالث: أن من شأن من بشر بما يتمناه أن يتولد له فرط السرور به عند أول ما يرد علي استثبات ذلك الكلام إما لأن شدة فرحه به توجب ذهوله عن مقتضيات العقل والفكر وهذا كما أن امرأة إبراهيم عليه السلام بعد أن بشرت بإسحاق قالت: أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب [هود: ٧٢] فأزيل تعجبها بقوله: أتعجبين من أمر الله [هود: ٧٣] وإما طلبا للالتذاذ بسماع ذلك الكلام مرة أخرى، وإما مبالغة في تأكيد التفسير.

[سورة مريم (١٩) : آية ٩]

قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (٩)

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في قوله: قال ربك هو علي هين وجوه. أحدها: أن الكاف رفع أي الأمر كذلك تصديقا له ثم ابتدأ قال ربك. وثانيها: نصب يقال وذلك إشارة إلى مبهم تفسيره/ هو علي هين وهو كقوله تعالى: وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين [الحجر: ٦٦] وثالثها: أن المراد لا تعجب فإنه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٠/٢٦٤

كذلك قال ربك لا خلف في قوله ولا **غلط** ثم قال بعده هو علي هين بدليل خلقتك من قبل ولم تك شيئا.

ورابعها: أنا ذكرنا أن قوله أنى يكون لي غلام معناه تعطيني الغلام بأن تجعلني وزوجتي شابين أو بأن تتركنا على الشيخوخة ومع ذلك تعطينا الولد، وقوله: كذلك قال ربك أي نهب الولد مع بقائك وبقاء زوجتك على الحاصلة في الحال.

المسألة الثانية: قرأ الحسن وهو علي هين وهذا لا يخرج إلا على الوجه الأول أي الأمر كما قلت ولكن قال ربك هو مع ذلك علي هين.

المسألة الثالثة: إطلاق لفظ الهين في حق الله تعالى مجاز لأن ذلك إنما يجوز في حق من يجوز أن يصعب عليه شيء ولكن المراد أنه إذا أراد شيئا كان.

المسألة الرابعة: في وجه الاستدلال بقوله تعالى: وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا فنقول: إنه لما خلقه من العدم الصرف والنفي المحض كان قادرا على خلق الذوات والصفات والآثار وأما الآن فخلق الولد من الشيخ والشيخة لا يحتاج فيه إلا إلى تبديل الصفات والقادر على خلق الذوات والصفات والآثار معا أولى أن يكون قادرا على تبديل الصفات وإذا أوجده عن عدم فكذا يرزقه الولد بأن يعيد إليه وإلى صاحبته القوة التي عنها يتولد الماءان اللذان من اجتماعهما يخلق الولد ولذلك قال: فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه [الأنبياء: ٩٠] فهذا وجه الاستدلال.

المسألة الخامسة: الجمهور على أن قوله قال كذلك قال ربك يقتضي أن القائل لذلك ملك مع الاعتراف." (١)

"وقيل إن القبطي الذي سخر الإسرائيلي كان/ طباخ فرعون، استسخره لحمل الحطب إلى مطبخه، وقيل الرجلان المقتتلان: أحدهما السامري وهو الذي من شيعته، والآخر طباخ فرعون والله أعلم بكيفية الحال، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، أي سأله أن يخلصه منه واستنصره عليه، فوكزه موسى عليه السلام، الوكز الدفع بأطراف الأصابع، وقيل بجمع الكف. وقرأ ابن مسعود: (فلكزه موسى) ، وقال بعضهم:

الوكز في الصدر واللكز في الظهر، وكان عليه السلام شديد البطش، وقال بعض المفسرين: فوكزه بعصاه، قال المفضل هذا غلط، لأنه لا يقال وكزه بالعصا فقضى عليه أي أماته وقتله.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥١٤/٢١

المسألة الرابعة: احتج بهذه الآية من طعن في عصمة الأنبياء عليهم السلام من وجوه: أحدها: أن ذلك القبطي إما أن يقال إنه كان مستحق القتل أو لم يكن كذلك، فإن كان الأول فلم قال: هذا من عمل الشيطان ولم قال: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له ولم قال في سورة أخرى فعلتها إذا وأنا من الضالين [الشعراء: ٢٠] ؟ وإن كان الثاني وهو أن ذلك القبطي لم يكن مستحق القتل كان قتله معصية وذنبا وثانيها: أن قوله: وهذا من عدوه يدل على أنه كان كافرا حربيا فكان دمه مباحا فلم استغفر عنه، والاستغفار عن الفعل المباح غير جائز، لأنه يوهم في المباح كونه حراما؟ وثالثها: أن الوكز لا يقصد به القتل ظاهرا، فكان ذلك القتل قتل خطأ، فلم استغفر منه؟ والجواب: عن الأول لم لا يجوز أن يقال إنه كان لكفره مباح الدم.

أما قوله: هذا من عمل الشيطان ففيه وجوه: أحدها: لعل الله تعالى وإن أباح قتل الكافر إلا أنه قال الأولى تأخير قتلهم إلى زمان آخر، فلما قتل فقد ترك ذلك المندوب فقوله: هذا من عمل الشيطان معناه إقدامي على ترك المندوب من عمل الشيطان وثانيها: أن قوله (هذا) إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه فقوله: هذا من عمل الشيطان أي عمل هذا المقتول من عمل الشيطان، المراد منه بيان كونه مخالفا لله تعالى مستحقا للقتل وثالثها: أن يكون قوله (هذا) إشارة إلى المقتول، يعني أنه من جند الشيطان وحزبه، يقال فلان من عمل الشيطان، أي من أحزابه.

أما قوله: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فعلى نهج قول آدم عليه السلام: ربنا ظلمنا أنفسنا [الأعراف: ٢٣] والمراد أحد وجهين، إما على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه، وإن لم يكن هناك ذنب قط، أو من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب.

أما قوله: فاغفر لي أي فاغفر لي ترك هذا المندوب، وفيه وجه آخر، وهو أن يكون المراد رب إني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الملعون، فإن فرعون لو عرف ذلك لقتلني به فاغفر لي أي فاستره علي ولا توصل خبره إلى فرعون فغفر له أي ستره عن الوصول إلى فرعون، ويدل على هذا التأويل أنه على عقبه قال: رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين ولو كانت إعانة المؤمن هاهنا سببا للمعصية لما قال ذلك.

وأما قوله: فعلتها إذا وأنا من الضالين فلم يقل إني صرت بذلك ضالا، ولكن فرعون لما/ ادعى أنه كان كافرا في حال القتل نفى عن نفسه كونه كافرا في ذلك الوقت، واعترف بأنه كان ضالا أي متحيرا لا يدري ما يجب عليه أن يفعله وما يدبر به في ذلك. أما قوله إن كان كافرا حربيا فلم استغفر عن قتله؟ قلنا كون الكافر

مباح الدم أمر يختلف باختلاف الشرائع فلعل قتلهم كان حراما في ذلك الوقت، أو إن كان مباحا لكن الأولى تركه." (١)

"فحينئذ يظهر منه أنه لا سبيل إلى معرفة الإله الذي يثبته موسى فنقول هذا ما حصلته في هذا الباب. واعلم أن هذه الشبهة فاسدة لأن طرق العلم ثلاثة الحس والخبر والنظر، ولا يلزم من انتفاء طريق واحد وهو الحس انتفاء المطلوب، وذلك لأن موسى عليه السلام كان قد بين لفرعون/ أن الطريق في معرفة الله تعالى إنما هو الحجة والدليل كما قال: ربكم ورب آبائكم الأولين ... رب المشرق والمغرب [الشعراء: ٢٦، ٢٨] إلا أن فرعون لخبثه ومكره تغافل عن ذلك الدليل، وألقى إلى الجهال أنه لما كان لا طريق إلى الإحساس بهذا الإله وجب نفيه، فهذا ما عندي في هذا الباب وبالله التوفيق والعصمة.

المسألة الثالثة: ذهب قوم إلى أنه تعالى خلق جواهر الأفلاك وحركاتها بحيث تكون هي الأسباب لحدوث الحوادث في هذا العالم الأسفل، واحتجوا بقوله تعالى: لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات ومعلوم أنها ليست أسبابا إلا لحوادث هذا العالم قالوا ويؤكد هذا بقوله تعالى في سورة ص فليرتقوا في الأسباب [ص: ١٠] أما المفسرون فقد ذكروا في تفسير قوله تعالى: لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات أن المراد بأسباب السموات طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها، وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب كالرشاد ونحوه.

المسألة الرابعة: قالت اليهود أطبق الباحثون عن تواريخ بني إسرائيل وفرعون أن هامان ما كان موجودا البتة في زمان موسى وفرعون وإنما جاء بعدهما بزمان مديد ودهر داهر، فالقول بأن هامان كان موجودا في زمان فرعون خطأ في التاريخ، وليس لقائل أن يقول إن وجود شخص يسمى بهامان بعد زمان فرعون لا يمنع من وجود شخص آخر يسمى بهذا الاسم في زمانه، قالوا لأن هذا الشخص المسمى بهامان الذي كان موجودا في زمان فرعون ما كان شخصا خسيسا في حضرة فرعون بل كان كالوزير له، ومثل هذا الشخص لا يكون مجهول الوصف والحلية فلو كان موجودا لعرف حاله، وحيث أطبق الباحثون عن أحوال فرعون وموسى أن الشخص المسمى بهامان ما كان موجودا في زمان فرعون وإنما جاء بعده بأدوار علم أن **غلط** وقع في التواريخ، قالوا ونظير هذا أنا نعرف في دين الإسلام أن أبا حنيفة إنما جاء بعد محمد صلى الله عليه وسلم فلو أن قائلا ادعى أن أبا حنيفة كان موجودا في زمان محمد عليه السلام وزعم أنه شخص آخر سوى الأول وهو أيضا يسمى بأبي حنيفة، فإن أصحاب التواريخ يقطعون بخطئه فكذا هاهنا والجواب: أن تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بها واضطربت الأحوال والأدوار فلم يبق على كلام أهل التواريخ اعتماد في هذا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤/٥٨٥

الباب، فكان الأخذ بقول الله أولى بخلاف حال رسولنا مع أبي حنيفة فإن هذه التواريخ قريبة غير مضطربة بل هي مضبوطة فظهر الفرق بين البابين، فهذا جملة ما يتعلق بالمباحث المعنوية في هذه الآية، وبقي ما يتعلق بالمباحث اللفظية.

قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر وأسباب السماوات طرقها، فإن قيل ما فائدة هذا التكرير. ولو قيل: لعلي أبلغ الأسباب السموات، كان كافيا؟ أجاب صاحب «الكشاف» عنه فقال: إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه، فلما أراد تفخيم أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها، وقوله فأطلع إلى إله موسى قرأ حفص/ عن عاصم فأطلع بفتح العين والباقون بالرفع، قال المبرد: من رفع فقد عطفه على قوله أبلغ والتقدير لعلي أبلغ الأسباب ثم أطلع إلا أن حرف ثم أشد تراخيا من الفاء، ومن نصب جعله جوابا، والمعنى لعلي أبلغ الأسباب فمتى بلغتها أطلع والمعنى مختلف، لأن الأول: لعلي أطلع والثاني: لعلي أبلغ وأنا ضامر أني متى بلغت فلا بد وأن أطلع.." (١)

"تعالى: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم [الأنفال: ٣٣] فكيف يبقى التخويف حاصلا؟ قلنا: قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم إنما أنزل في آخر الأمر فكان التخويف حاصلا قبل نزوله.

ثم إنه تعالى خوف كفار مكة، وذكر فضل عاد بالقوة والجسم عليهم فقال: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذي. وإن بمنزلة ما والتقدير: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه، والمعنى أنهم كانوا أشد منكم قوة وأكثر منكم أموالا، وقال ابن قتيبة كلمة إن زائدة. والتقدير ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه، وهذا **غلط** لوجوه الأول: أن الحكم بأن حرفا من كتاب الله عبث لا يقول به عاقل والثاني: أن المقصود من هذا الكلام أنهم كانوا أقوى منكم قوة، ثم إنهم مع زيادة القوة ما نجوا من عقاب الله فكيف يكون حالكم، وهذا المقصود إنما يتم لو دلت الآية على أنهم كانوا أقوى قوة من قوم مكة الثالث: أن سائر الآيات تفيد هذا المعنى، قال تعالى: هم أحسن أثاثا ورءيا [مريم: ٧٤] وقال: كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض [غافر: ٨٢] .

ثم قال تعالى: وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة والمعنى أنا فتحنا عليهم أبواب النعم وأعطيناهم سمعا فما استعملوه في سماع الدلائل، وأعطيناهم أبصارا فما استعملوها في تأمل العبر، وأعطيناهم أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى، بل صرفوا كل هذه القوى إلى طلب الدنيا ولذاتها، فلا جرم ما أغنى سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله شيئا.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥١٦/٢٧

ثم بين تعالى أنه إنما لم يغن عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم لأجل أنهم كانوا يجحدون بآيات الله، وقوله إذ كانوا يجحدون بمنزلة التعليل، ولفظ إذ قد يذكر لإفادة التعليل تقول: ضربته إذ أساء، والمعنى ضربته لأنه أساء، وفي هذه الآية تخويف لأهل مكة فإن قوم عاد لما اغتروا بدنياهم وأعرضوا عن قبول الدليل والحجة نزل بهم عذاب الله، ولم تغن عنهم قوتهم ولا كثرتهم، فأهل مكة مع عجزهم وضعفهم أولى بأن يحذروا من عذاب الله تعالى ويخافوا.

ثم قال تعالى: وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يعني أنهم كانوا يطلبون نزول العذاب وإنما كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء والله أعلم.

[سورة الأحقاف (٤٦) : الآيات ٢٧ الى ٢٨]

ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون (٢٧) فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون (٢٨)

اعلم أن المراد ولقد أهلكنا ما حولكم يا كفار مكة من القرى، وهي قرى عاد وثمود باليمن والشام وصرفنا الآيات بيناها لهم لعلهم أي لعل أهل القرى يرجعون، فالمراد بالتصريف الأحوال الهائلة التي وجدت قبل الإهلاك. قال الجبائي: قوله لعلهم يرجعون معناه لكي يرجعوا عن كفرهم، دل بذلك على أنه تعالى أراد رجوعهم ولم يرد إصرارهم والجواب: أنه فعل ما لو فعله غيره لكان ذلك لأجل الإرادة المذكورة، وإنما ذهبنا إلى هذا التأويل للدلائل الدالة على أنه سبحانه مريد لجميع الكائنات.

ثم قال تعالى: فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى،." (١)

"ولو كان المراد نفي الحدث لقال: لا يمسه إلا المطهرون أو المطهرون، بتشديد الطاء والهاء، والقراءة المشهورة الصحيحة المطهرون من التطهير لا من الإطهار، وعلى هذا يتأيد ما ذكرنا من وجه آخر، وذلك من حيث إن بعضهم كان يقول: هو من السماء ينزل به الجن ويلقيه عليه كما كانوا يقولون في حق الكهنة فإنهم كانوا يقولون: النبي صلى الله عليه وسلم كاهن، فقال: لا يمسه الجن وإنما يمسه المطهرون الذين طهروا عن الخبث، ولا يكونون محلا للإفساد والسفك، فلا يفسدون ولا يسفكون، وغيرهم ليس بمطهر على هذا الوجه، فيكون هذا ردا على القائلين: بكونه مفتريا، وبكونه شاعرا، وبكونه مجنونا بمس الجن، وبكونه كاهنا، وكل ذلك قولهم والكل رد عليهم بما ذكر الله تعالى هاهنا من أوصاف كتاب الله

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦/٢٨

العزيز.

المسألة العاشرة: قوله: تنزيل من رب العالمين مصدر، والقرآن الذي في كتاب ليس تنزيلا إنما هو منزل كما قال تعالى: نزل به الروح الأمين [الشعراء: ١٩٣] نقول: ذكر المصدر وإرادة المفعول كثير كما قلنا في قوله تعالى: هذا خلق الله [لقمان: ١١] فإن قيل: ما فائدة العدول عن الحقيقة إلى المجاز في هذا الموضع؟ فنقول: التنزيل والمنزل كلاهما مفعولان ولهما تعلق بالفاعل، لكن تعلق الفاعل بالمصدر أكثر، وتعلق المفعول عبارة عن الوصف القائم به، فنقول: هذا في الكلام، فإن كلام الله أيضا وصف قائم بالله عندنا، وإنما نقول: من حيث الصيغة واللفظ ولك أن تنظر في مثال آخر ليتيسر لك الأمر من غير **غلط** وخطأ في الاعتقاد، فنقول: في القدرة والمقدور تعلق القدرة بالفاعل أبلغ من تعلق المقدور، فإن القدرة في القادر والمقدور ليس فيه، فإذا قال: هذا قدرة الله تعالى كان له من العظمة ما لا يكون في قوله: هذا مقدور الله، لأن عظمة الشيء بعظمة الله، فإذا جعلت الشيء قائما بالتعظيم غير مباين عنه كان أعظم، وإذا ذكرته بلفظ يقال مثله فيما لا يقوم بالله وهو المفعول به كان دونه، فقال: تنزيل ولم يقل: منزل، ثم إن هاهنا: بلاغة أخرى وهي أن المفعول قد يذكر ويراد به المصدر على ضد ما ذكرنا، كما في قوله: مدخل صدق [الإسراء: ٨٠] أي دخول صدق أو إدخال صدق وقال تعالى: كل ممزق [سبأ: ٧] أي تمزيق، فالممزق بمعنى التمزيق، كالمنزل بمعنى التنزيل، وعلى العكس سواء، وهذه البلاغة هي أن الفعل لا يرى، والمفعول به يصير مرئيا، والمرئي أقوى في العلم، فيقال: مزقهم تمزيقا وهو فعل معلوم لكل أحد علما بينا يبلغ درجة الرؤية ويصير التمزق هنا كما صار الممزق ثابتا مرئيا، والكلام يختلف بمواضع الكلام، ويستخرج الموفق بتوفيق الله، وقوله: من رب العالمين أيضا لتعظيم القرآن، لأن الكلام يعظم بعظمة المتكلم، ولهذا يقال لرسول الملك هذا كلام الملك أو كلامك وهذا كلام الملك الأعظم أو كلام الملك الذي دونه، إذا كان الرسول رسول ملوك، فيعظم الكلام بقدر عظمة المتكلم، فإذا قال: من رب العالمين تبين منه عظمة لا عظمة مثلها وقد بينا تفسير العالم وما فيه من اللطائف، وقوله: تنزيل رد على طائفة أخرى، وهم الذين يقولون: إنه في كتاب ولا يمسه إلا المطهرون وهم الملائكة، لكن الملك يأخذ ويعلم الناس من عنده ولا/ يكون من الله تعالى، وذلك أن طائفة من الروافض يقولون: إن جبرائيل أنزل على علي، فنزل على محمد، فقال تعالى: هو من الله ليس باختيار الملك أيضا، وعند هذا تبين الحق فعاد إلى توبيخ الكفار. فقال تعالى:

[سورة الواقعة (٥٦) : الآيات ٨١ الى ٨٢]
أفبهذا الحديث أنتم مدهنون (٨١) وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون (٨٢)." (١)
"[سورة البقرة (٢) : آية ٥٣]
وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون (٥٣)
اعلم أن هذا هو الإنعام الرابع والمراد من الفرقان يحتمل أن يكون هو التوراة وأن يكون شيئا داخلا في التوراة وأن يكون شيئا خارجا عن التوراة فهذه أقسام ثلاثة لا مزيد عليها وتقرير الاحتمال الأول أن التوراة لها صفتان كونها كتابا منزلا وكونها فرقانا تفرق بين الحق والباطل فهو كقولك: رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونظيره قوله تعالى: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا [الأنبياء: ٤٨] وأما تقرير الاحتمال الثاني فهو أن يكون المراد من الفرقان ما في التوراة من بيان الدين لأنه إذا أبان ظهر الحق متميزا من/ الباطل، فالمراد من الفرقان بعض ما في التوراة وهو بيان أصول الدين وفروعه.
وأما تقرير الاحتمال الثالث فمن وجوه، أحدها: أن يكون المراد من الفرقان ما أوتي موسى عليه السلام من اليد والعصا وسائر الآيات وسميت بالفرقان لأنها فرقت بين الحق والباطل. وثانيها: أن يكون المراد من الفرقان النصر والفرج الذي آتاه الله بني إسرائيل على قوم فرعون، قال تعالى: وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان [الأنفال: ٤١] والمراد النصر الذي آتاه الله يوم بدر، وذلك لأن قبل ظهور النصر يتوقع كل واحد من الخصمين في أن يكون هو المستولي وصاحبه هو المقهور، فإذا ظهر النصر تميز الراجح من المرجوح وانفرق الطمع الصادق من الطمع الكاذب، وثالثها: قال قطرب الفرقان هو انفراق البحر لموسى عليه السلام.
فإن قلت: فهذا قد صار مذكورا في قوله تعالى: وإذ فرقنا بكم البحر [البقرة: ٥٠] وأيضا فقوله تعالى بعد ذلك: لعلكم تهتدون لا يليق إلا بالكتاب لأن ذلك لا يذكر إلا عقيب الهدى. قلت: الجواب عن الأول أنه تعالى لم يبين في قوله تعالى: وإذ فرقنا بكم البحر أن ذلك كان لأجل موسى عليه السلام، وفي هذه الآية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص، وعن الثاني أن فرق البحر كان من الدلائل فلعل المراد أنا لما آتينا موسى فرقان البحر استدلوا بذلك على وجود الصانع، وصدق موسى عليه السلام وذلك هو الهداية وأيضا فالهدى قد يراد به الفوز والنجاة كما يراد به الدلالة، فكأنه تعالى بين أنه آتاهم الكتاب نعمة في الدين والفرقان الذي حصل به خلاصهم من الخصم نعمة عاجلة. واعلم أن من الناس من **غلط** فظن أن

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٣٣/٢٩

الفرقان هو القرآن، وأنه أنزل على موسى عليه السلام وذلك باطل لأن الفرقان هو الذي يفرق بين الحق والباطل وكل دليل كذلك فلا وجه لتخصيص هذا اللفظ بالقرآن. وقال آخرون: المعنى: وإذ آتينا موسى الكتاب يعني التوراة وآتينا محمدا صلى الله عليه وسلم الفرقان لكي تهتدوا به يا أهل الكتاب. وقد مال إلى هذا القول من علماء النحو الفراء وثعلب وقطرب وهذا تعسف شديد من غير حاجة البتة إليه.

و أما قوله تعالى: لعلكم تهتدون فقد تقدم تفسير لعل وتفسير الاهتداء، واستدلت المعتزلة بقوله:

لعلكم تهتدون على أن الله تعالى أراد الاهتداء من الكل وذلك يبطل قول من قال: أراد الكفر من الكافر، وأيضا فإذا كان عندهم أنه تعالى: يخلق الاهتداء، فيمن يهتدي والضلال فيمن يضل، فما الفائدة في أن ينزل الكتاب والفرقان ويقول: لعلكم تهتدون ومعلوم أن الاهتداء إذا كان يخلقه، فلا تأثير لإنزال الكتب فيه لو خلق الاهتداء ولا كتاب لحصل الاهتداء، ولو أنزل بدلا من الكتاب الواحد ألف كتاب ولم يخلق الاهتداء فيهم لما حصل الاهتداء، فكيف يجوز أن يقول أنزلت الكتاب لكي تهتدوا؟ واعلم أن هذا الكلام قد تقدم مرارا لا تحصى مع الجواب والله أعلم.." (١)

"عهد إلينا

[آل عمران: ١٨٣] يعني أمرنا، ومنه عهود الخلفاء إلى أمرائهم وقضاتهم إذا ثبت أن عهد الله هو أمره فنقول: لا يخلو قوله لا ينال عهدي الظالمين من أن يريد أن الظالمين غير مأمورين، وأن الظالمين لا يجوز أن يكونوا بمحل من يقبل منهم أوامر الله تعالى، ولما بطل الوجه الأول لاتفاق المسلمين على أن أوامر الله تعالى لازمة للظالمين كلزومها لغيرهم ثبت الوجه الآخر، وهو أنهم غير مؤتمنين على أوامر الله تعالى وغير مقتدى بهم فيها فلا يكونون أئمة في الدين، فثبت بدلالة الآية بطلان إمامة الفاسق،

قال عليه السلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» ،

ودل أيضا على أن الفاسق لا يكون حاكما، وأن أحكامه لا تنفذ إذا ولي الحكم، وكذلك لا تقبل شهادته ولا خبره عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا فتياه إذا أفتى، ولا يقدم للصلاة وإن كان هو بحيث لو اقتدي به فإنه لا تفسد صلاته، قال أبو بكر الرازي: ومن الناس من يظن/ أن مذهب أبي حنيفة أنه يجوز كون الفاسق إماما وخليفة، ولا يجوز كون الفاسق قاضيا، قال: وهذا خطأ، ولم يفرق أبو حنيفة بين الخليفة والحاكم في أن شرط كل واحد منهما العدالة، وكيف يكون خليفة وروايته غير مقبولة، وأحكامه غير نافذة، وكيف يجوز أن يدعي ذلك على أبي حنيفة وقد أكرهه ابن هبيرة في أيام بني أمية على القضاء، وضربه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥١٤/٣

فامتنع من ذلك فحبس، فلح ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم أسواطا، فلما خيف عليه، قال له الفقهاء: تول له شيئا من عمله أي شيء كان حتى يزول عنك الضرب، فتولى له عد أحمال التبن التي تدخل فخلاه، ثم دعاه المنصور إلى مثل ذلك حتى عد له اللبن الذي كان يضرب لسور مدينة المنصور إلى مثل ذلك وقصته في أمر زيد بن علي مشهورة، وفي حمله المال إليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه، وكذلك أمره مع محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، ثم قال: وإنما **غلط** من **غلط** في هذه الرواية أن قول أبي حنيفة: إن القاضي إذا كان عدلا في نفسه، وتولى القضاء من إمام جائر فإن أحكامه نافذة، والصلاة خلفه جائزة، لأن القاضي إذا كان عدلا في نفسه ويمكنه تنفيذ الأحكام كانت أحكامه نافذة، فلا اعتبار في ذلك بمن ولاه، لأن الذي ولاه بمنزلة سائر أعوانه، وليس شرط أعوان القاضي أن يكون عدولا ألا ترى أن أهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا أعوانا له على من امتنع من قبول أحكامه لكان قضاؤه نافذا وإن لم يكن له ولاية من جهة إمام ولا سلطان والله أعلم.

المسألة السادسة: الآية تدل على عصمة الأنبياء من وجهين. الأول: أنه قد ثبت أن المراد من هذا العهد: الإمامة. ولا شك أن كل نبي إمام، فإن الإمام هو الذي يؤتم به، والنبي أولى الناس، وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقا، فبأن تدل على أن الرسول لا يجوز أن يكون فاسقا فاعلا للذنب والمعصية أولى. الثاني:

قال: لا ينال عهدي الظالمين فهذا العهد إن كان هو النبوة وجب أن تكون لا ينالها أحد من الظالمين وإن كان هو الإمامة، فكذلك لأن كل نبي لا بد وأن يكون إماما يؤتم به، وكل فاسق ظالم لنفسه فوجب أن لا تحصل النبوة لأحد من الفاسقين والله أعلم.

المسألة السابعة: اعلم أنه سبحانه بين أن له معك عهدا، ولك معه عهدا، وبين أنك متى تفي بعهدك، فإنه سبحانه يفي أيضا بعهده فقال: وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم [البقرة: ٤٠] ثم في سائر الآيات فإنه أفرد عهدك بالذكر، وأفرد عهد نفسه أيضا بالذكر، أما عهدك فقال فيه: والموفون بعهدهم إذا عاهدوا [البقرة: ١٧٧] وقال: والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون [المؤمنون: ٨] وقال: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٩/٤

"يتمكن كل أحد من الوصول إليه فلم يبق مكتوما، وإذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على الباقيين إظهاره مرة أخرى.

المسألة الخامسة: من الناس من يحتج بهذه الآيات في قبول خبر الواحد فقال: دلت هذه الآيات على أن إظهار هذه الأحكام واجب، ولو لم يجب العمل بها لم يكن إظهارها واجبا وتمام التقرير فيه قوله تعالى في آخر الآية: إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا [البقرة: ١٦٠] فحكم بوقوع البيان بخبرهم فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون كل واحد منهيا عن الكتمان ومأمور بالبيان ليكثر المخبرون فيتواتر الخبر؟

قلنا: هذا غلط لأنهم ما نهوا عن الكتمان إلا وهم ممن يجوز عليهم الكتمان ومن جاز منهم التواطؤ على الكتمان جاز منهم التواطؤ على الوضع والافتراء فلا يكون خبرهم موجبا للعلم.

المسألة السادسة: احتجوا بهذه الآية على أنه لا يجوز أخذ الأجرة على التعليم لأن الآية لما دلت على وجوب ذلك التعليم كان أخذ الأجرة عليه أخذا للأجرة على أداء الواجب وأنه غير جائز ويدل عليه أيضا قوله تعالى: إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا [البقرة: ١٧٤] وظاهر ذلك بمنع أخذ الأجرة على الإظهار وعلى الكتمان جميعا لأن قوله: ويشترون به ثمنا قليلا [البقرة: ١٧٤] مانع أخذ البدل عليه من جميع الوجوه.

أما قوله تعالى: من بعد ما بيناه للناس في الكتاب قيل في التوراة والإنجيل من صفة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن الأحكام، وقيل: أراد بالمنزل الأول ما في كتب المتقدمين، والثاني: ما في القرآن.

أما قوله تعالى: أولئك يلعنهم الله فاللعنة في أصل اللغة هي الإبعاد وفي عرف الشرع الإبعاد من الثواب.

أما قوله تعالى: ويلعنهم اللاعنون فيجب أن يحمل على من للعنة تأثير، وقد اتفقوا على أن الملائكة والأنبياء والصالحين كذلك فهم داخلون تحت هذا العموم لا محالة، ويؤكده قوله تعالى: إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين [البقرة: ١٦١] والناس ذكروا وجوها أخر.

أحدها: أن اللاعنين هم دواب الأرض وهوامها، فإنها تقول: منعنا القطر بمعاصي بني آدم عن مجاهد وعكرمة وإنما قال: اللاعنون ولم يقل اللاعنات لأنه تعالى وصفها بصفة من يعقل فجمعها جمع من يعقل كقوله:

والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين [يوسف: ٤] ويا أيها النمل ادخلوا مساكنكم [النمل: ١٨] وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا [فصلت: ٢١] ، وكل في فلك يسبحون [الأنبياء: ٣٣] . وثانيها: كل شيء سوى الثقلين الجن والإنس، فإن قيل: كيف يصح اللعن من البهائم والجمادات؟ قلنا: على وجهين:

الأول: على سبيل المبالغة، وهو أنها لو كانت عاقلة لكانت تلعنهم. الثاني: أنها في الآخرة إذا أعيدت وجعلت من العقلاء فإنها تلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه. وثالثها: أن أهل النار/ يلعنونهم أيضا حيث كتموهم الدين، فهو على العموم. ورابعها: قال ابن مسعود: إذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق، فإن لم يكن مستحق رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله سبحانه وتعالى. وخامسها: عن ابن عباس: إن لهم لعنتين: لعنة الله. ولعنة الخلائق. قال: وذلك إذا وضع الرجل في قبره فيسأل: ما دينك؟ ومن نبيك؟ ومن." (١)

"ثم قال: لا تضار والدة بولدها وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائي لا تضار بالرفع والباقون بالفتح، أما الرفع فقال الكسائي والفراء إنه نسق على قوله: لا تكلف قال علي بن عيسى: هذا غلط لأن النسق بلا إنما هو إخراج الثاني مما دخل فيه الأول نحو: ضربت زيدا لا عمرا فأما أن يقال: يقوم زيد لا يقعد عمرو، فهو غير جائز على النسق، بل الصواب أنه مرفوع على الاستئناف في النهي كما يقال: لا يضرب زيد لا تقتل عمرا وأما النصب فعلى النهي، والأصل لا تضار فأدغمت/ الراء الأولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين، يقال:

يضارر رجل زيدا، وذلك لأن أصل الكلمة التضعيف، فأدغمت إحدى الراءين في الأخرى، فصار لا تضار، كما تقول: لا تردد ثم تدغم فتقول: لا ترد بالفتح قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه [المائدة: ٥٤] وقرأ الحسن: لا تضار بالكسر وهو جائز في اللغة، وقرأ أبان عن عاصم (لا تضارر) مظهرة الراء مكسورة على أن الفعل لها.

المسألة الثانية: قوله: لا تضار يحتمل وجهين كلاهما جائز في اللغة، وإنما احتمل الوجهين نظرا لحال الإدغام الواقع في تضار أحدهما: أن يكون أصله لا تضار بكسر الراء الأولى، وعلى هذا الوجه تكون المرأة هي الفاعلة للضرار والثاني: أن يكون أصله لا تضارر بفتح الراء الأولى فتكون المرأة هي المفعولة بها الضرار، وعلى الوجه الأول يكون المعنى: لا تفعل الأم الضرار بالأب بسبب إيصال الضرار إلى الولد، وذلك بأن تمتنع المرأة من إرضاعه مع أن الأب ما امتنع عليها في النفقة من الرزق والكسوة، فتلقي الولد عليه، وعلى الوجه الثاني معناه: لا تضارر، أي لا يفعل الأب الضرار بالأم فينزع الولد منها مع رغبتها في إمساكها وشدة محبتها له، وقوله: ولا مولود له بولده أي: ولا تفعل الأم الضرار بالأب بأن تلقي الولد عليه، والمعنيان

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤١/٤

يرجعان إلى شيء واحد، وهو أن يغيظ أحدهما صاحبه بسبب الولد.

فإن قيل: لم قال تضار والفعل لواحد؟.

قلنا لوجوه أحدها: أن معناه المبالغة، فإن إيذاء من يؤذيك أقوى من إيذاء من لا يؤذيك والثاني: لا يضار الأم والأب بأن لا ترضع الأم أو يمنعها الأب وينزعه منها والثالث: أن المقصود لكل واحد منهما بإضرار الولد إضرار الآخر، فكان ذلك في الحقيقة مضارة.

المسألة الثالثة: قوله: لا تضار والدة بولدها وإن كان خبرا في الظاهر، لكن المراد منه النهي، وهو يتناول إساءتها إلى الولد بترك الرضاع، وترك التعهد والحفظ.

وقوله: ولا مولود له بولده يتناول كل المضار، وذلك بأن يمنع الوالدة أن ترضعه وهي به أرأف وقد يكون بأن يضيق عليها النفقة والكسوة أو بأن يسيء العشرة فيحملها ذلك على إضرارها بالولد، فكل ذلك داخل في هذا النهي والله أعلم.

أما قوله تعالى: وعلى الوارث مثل ذلك فاعلم أنه لما تقدم ذكر الولد وذكر الوالد وذكر الوالدات احتمل في الوارث أن يكون مضافا إلى واحد من هؤلاء، والعلماء لم يدعوا وجها يمكن القول به إلا وقال به بعضهم.." (١)

"بكلتا العبارتين، وقيل إن معنى قولك أمنتك بدينار أي وثقت بك فيه، وقولك أمنتك عليه، أي جعلتك أمينا عليه وحافظا له.

المسألة الثالثة: المراد من ذكر القنطار والدينار هاهنا العدد الكثير والعدد القليل، يعني أن فيهم من هو في غاية الأمانة حتى لو اؤتمن على الأموال الكثيرة أدى الأمانة فيها، ومنهم من هو في غاية الخيانة حتى لو اؤتمن على الشيء القليل، فإنه يجوز فيه الخيانة، ونظيره قوله تعالى: وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا [النساء: ٢٠] وعلى هذا الوجه، / فلا حاجة بنا إلى ذكر مقدار القنطار وذكروا فيه وجوها الأول: أن القنطار ألف ومائتا أوقية قالوا: لأن الآية نزلت في عبد الله بن سلام حين استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية من الذهب فرده ولم يخن فيه، فهذا يدل على القنطار هو ذلك المقدار الثاني: روي عن ابن عباس أنه ملء جلد ثور من المال الثالث: قيل القنطار هو ألف ألف دينار أو ألف ألف درهم، وقد تقدم القول في تفسير القنطار.

المسألة الرابعة: قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر يؤده بسكون الهاء، وروي ذلك عن أبي عمرو، وقال

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٢/٦

الزجاج: هذا غلط من الراوي عن أبي عمرو كما غلط في بارئكم بإسكان الهمزة وإنما كان أبو عمرو يختلس الحركة، واحتج الزجاج على فساد هذه القراءة بأن قال: الجزاء ليس في الهاء وإنما هو فيما قبل الهاء والهاء اسم المكنى والأسماء لا تجزم في الوصل، وقال الفراء: من العرب من يجزم الهاء إذا تحرك ما قبلها.

فيقول: ضربته ضربا شديدا كما يسكنون (ميم) أنتم وقمتم وأصلها الرفع، وأنشد:

لما رأى أن لا دعه ولا شبع

وقرئ أيضا باختلاس حركة الهاء اكتفاء بالكسرة من الياء، وقرئ بإشباع الكسرة في الهاء وهو الأصل.

ثم قال تعالى: ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: في لفظ (القائم) وجهان: منهم من حمله على حقيقته، قال السدي: يعني إلا ما دمت قائما على رأسه بالاجتماع معه والملازمة له، والمعنى: أنه إنما يكون معترفا بما دفعت إليه ما دمت قائما على رأسه، فإن أنظرت وأخرت أنكر، ومنهم من حمل لفظ (القائم) على مجازه ثم ذكروا فيه وجوها الأول: قال ابن عباس المراد من هذا القيام الإلحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة، قال ابن قتيبة: أصله أن المطالب للشيء يقوم فيه والتارك له يقعد عنه، دليل قوله تعالى: أمة قائمة [آل عمران: ١١٣] أي عاملة بأمر الله غير تاركة، ثم قيل: لكل من واظب على مطالبة أمر أنه قام به وإن لم يكن ثم قيام الثاني: قال أبو علي الفارسي: القيام في اللغة بمعنى الدوام والثبات، وذكرنا ذلك في قوله تعالى: يقيمون الصلاة [البقرة: ٣] ومنه قوله دينا قيما [الأنعام: ١٦١] أي دائما ثابتا لا ينسخ فمعنى قوله إلا ما دمت عليه قائما أي دائما ثابتا في مطالبتك إياه بذلك المال.

المسألة الثانية: يدخل تحت قوله من إن تأمنه بقنطار وبدينار العين والدين، لأن الإنسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى المبايعة وعلى المقارضة وليس في الآية ما يدل على التعيين والمنقول عن ابن عباس أنه حمله على المبايعة، فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار فيؤده إليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا." (١)

"بقوله تعالى: فماذا بعد الحق إلا الضلال [يونس: ٣٢] والثاني: أنه نهي عن المعاداة والمخاصمة، فإنهم كانوا في الجاهلية مواظبين على المحاربة والمنازعة فنهاهم الله عنها الثالث: أنه نهي عما يوجب الفرقة ويزيل الألفة والمحبة.

واعلم أنه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦٣/٨

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحد والباقي في النار فقيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال الجماعة» وروي «السواد الأعظم» وروي «ما أنا عليه وأصحابي»

والوجه المعقول فيه: أن النهي عن الاختلاف والأمر بالاتفاق يدل على أن الحق لا يكون إلا واحدا، وإذا كان كذلك كان الناجي واحدا.

المسألة الثانية: استدلت نفاة القياس بهذه الآية، فقالوا: الأحكام الشرعية إما أن يقال: إنه سبحانه نصب عليها دلائل يقينية أو نصب عليها دلائل ظنية، فإن كان الأول امتنع الاكتفاء فيها بالقياس الذي يفيد الظن، لأن الدليل الظني ل ا يكتفى به في الموضع اليقيني، وإن كان الثاني كان الأمر بالرجوع إلى تلك الدلائل الظنية يتضمن وقوع الاختلاف ووقوع النزاع، فكان ينبغي أن لا يكون التفرق والتنازع منهيا عنه، لكنه منهي عنه لقوله تعالى:

ولا تفرقوا وقوله ولا تنازعوا ولقائل أن يقول: الدلائل الدالة على العمل بالقياس تكون مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ولعموم قوله ولا تنازعوا والله أعلم.

ثم قال تعالى: واذكروا نعمة الله عليكم واعلم أن نعم الله على الخلق إما دنيوية وإما أخروية وإنه تعالى ذكرهما في هذه الآية، أما النعمة الدنيوية فهي قوله تعالى: إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قيل إن ذلك اليهودي لما ألقى الفتنة بين الأوس والخزرج وهم كل واحد منهما بمحاربة صاحبه، فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يزل يرفق بهم حتى سكنت الفتنة وكان/ الأوس والخزرج أخوين لأب وأم، فوقعت بينهما العداوة، وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام، فالآية إشارة إليهم وإلى أحوالهم، فإنهم قبل الإسلام كان يحارب بعضهم بعضا ويبغض بعضهم بعضا، فلما أكرمهم الله تعالى بالإسلام صاروا إخوانا متراحمين متناصحين وصاروا إخوة في الله: ونظير هذه الآية قوله لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم [الأنفال: ٦٣] .

واعلم أن كل من كان وجهه إلى الدنيا كان معاديا لأكثر الخلق، ومن كان وجهه إلى خدمة الله تعالى لم يكن معاديا لأحد، والسبب فيه أنه ينظر من الحق إلى الخلق فيرى الكل أسيرا في قبضة القضاء والقدر فلا يعادي أحدا، ولهذا قيل: إن العارف إذا أمر أمر برفق ويكون ناصحا لا يعنف ويعير فهو مستبصر بسر الله في القدر.

المسألة الثانية: قال الزجاج: أصل الأخ في اللغة من التوخي وهو الطلب فالأخ مقصده مقصد أخيه، والصديق مأخوذ من أن يصدق كل واحد من الصديقين صاحبه ما في قلبه، ولا يخفي عنه شيئا وقال أبو حاتم قال أهل البصرة: الإخوة في النسب والإخوان في الصداقة، قال وهذا غلط، قال الله تعالى: إنما المؤمنون إخوة [الحجرات: ١٠] ولم يعن النسب، وقال: أو بيوت إخوانكم [النور: ٦١] وهذا في النسب. المسألة الثالثة: قوله فأصبحتم بنعمته إخوانا يدل على أن المعاملات الحسنة الجارية بينهم بعد الإسلام." (١)

"والجواب عنه على طريقين: الأول: أن نقول المراد من اليتامى الذين بلغوا او كبروا ثم فيه وجهان: أحدهما:

أنه تعالى سماهم يتامى على مقتضى أصل اللغة، والثاني: أنه تعالى سماهم باليتامى لقرب عهدهم باليتم وإن كان قد زال في هذا الوقت كقوله تعالى: فألقي السحرة ساجدين [الأعراف: ١٢٠] أي الذين كانوا سحرة قبل السجود، وأيضا سمى الله تعالى مقاربة انقضاء العدة، بلوغ الأجل في قوله: فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن [الطلاق: ٢] والمعنى مقاربة البلوغ، ويدل على أن المراد من اليتامى في هذه الآية البالغون قوله تعالى: فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم [النساء: ٦] والإشهاد لا يصح قبل البلوغ وإنما يصح بعد البلوغ.

الطريق الثاني: أن نقول: المراد باليتامى الصغار، وعلى هذا الطريق ففي الآية وجهان: أحدهما: أن قوله: وآتوا أمر، والأمر إنما يتناول المستقبل، فكان المعنى أن هؤلاء الذين هم يتامى في الحال آتوهم بعد زوال صفة اليتم عنهم أموالهم، وعلى هذا الوجه زالت المناقضة. والثاني: المراد: وآتوا اليتامى حال كونهم يتامى ما يحتاجون إليه لنفقتهم وكسوتهم، والفائدة فيه أنه كان يجوز أن يظن أنه لا يجوز إنفاق ماله عليه حال كونه صغيرا، فأباح الله تعالى ذلك، وفيه إشكال وهو أنه لو كان المراد ذلك لقال: وآتوهم من أموالهم، فلما أوجب إيتاءهم كل أموالهم سقط ذلك.

المسألة الرابعة:

نقل أبو بكر الرازي في أحكام القرآن عن الحسن أنه قال: لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامى كرهوا أن يخالطوهم وعزلوا أموال اليتامى عن أموالهم، فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: ويسئلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم [البقرة: ٢٢٠]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣١٢/٨

قال أبو بكر الرازي:

وأظن أنه غلط من الراوي، لأن المراد بهذه الآية إيتاؤهم أموالهم بعد البلوغ وإنما غلط الراوي بآية أخرى، وهو ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن

[البقرة: ١٥٢] وإن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما [النساء: ١٠] ذهب من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فاشتد ذلك على اليتامى، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى ويسئلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم

فخلطوا عند ذلك طعامهم/ بطعامهم وشرابهم بشرابهم. قال المفسرون: الصحيح

أنها نزلت في رجل من غطفان، كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه، فتراجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية، فلما سمعها العم قال:

أطعنا الله وأطعنا الرسول، نعوذ بالله من الحوب الكبير، ودفع ماله إليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره»

أي جنته،

فلما قبض الصبي ماله أنفقه في سبيل الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثبت الأجر وبقي الوزر» فقالوا: يا رسول الله لقد عرفنا أنه ثبت الأجر، فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله؟

فقال: ثبت أجر الغلام وبقي الوزر على والده.

المسألة الخامسة: احتج أبو بكر الرازي بهذه الآية على أن السفيه، لا يحجر عليه بعد الخمس والعشرين، قال لأن قوله: وآتوا اليتامى أموالهم مطلق يتناول السفيه أونس منه الرشد أو لم يؤنس ترك العمل به قبل الخمس والعشرين سنة لاتفاق العلماء على أن إيناس الرشد قبل بلوغ هذا السن، شرط في وجوب دفع المال إليه، وهذا الإجماع لم يوجد بعد هذا السن، فوجب إجراء الأمر بعد هذا السن على حكم ظاهر هذه الآية. أجاب أصحابنا عنه: بأن هذه الآية عامة، لأنه تعالى ذكر اليتامى فيها جملة، ثم إنهم ميزوا بعد ذلك." (١)

"قال ما منعك ألا تسجد أي أن تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم، مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه، ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود. وقيل الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه فكأنه قيل: ما اضطرك إلى ألا تسجد. إذ أمرتك دليل على أن مطلق الأمر للوجوب والفور. قال أنا خير منه جواب من

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٨٣/٩

حيث المعنى استأنف به استبعادا لأن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال: المانع أني خير منه، ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول، فكيف يحسن أن يؤمر به. فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولا. خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه، وقد غلط في ذلك بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار إليه بقوله تعالى: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة، وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله: ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك أمر الملائكة بسجوده لما بين لهم أنه أعلم منهم، وأن له خواص ليست لغيره، والآية دليل الكون والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة، ولعل إضافة خلق الإنسان إلى الطين والشيطان إلى النار باعتبار الجزء الغالب.

قال فاهبط منها من السماء أو الجنة. فما يكون لك فما يصح. أن تتكبر فيها وتعصي فإنها مكان الخاشع والمطيع. وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة وأنه سبحانه وتعالى إنما طرده وأهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه. فاخرج إنك من الصاغرين ممن أهانه الله لتكبره،

قال عليه الصلاة والسلام «من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله» .

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٤ الى ١٥]

قال أنظرني إلى يوم يبعثون (١٤) قال إنك من المنظرين (١٥)

قال أنظرني إلى يوم يبعثون أمهلني إلى يوم القيامة فلا تمتني، أو لا تعجل عقوبتي.

قال إنك من المنظرين يقتضي الإجابة إلى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله تعالى: إلى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الأولى، أو وقت يعلم الله انتهاء أجله فيه، وفي إسعافه إليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٦ الى ١٧]

قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (١٦) ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين (١٧)

قال فبما أغويتني أي بعد أن أمهلتني لاجتهدن في إغوائهم بأي طريق يمكنني بسبب إغوائك إياي بواسطتهم تسمية، أو حملا على الغي، أو تكليفا بما غويت لأجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بأقعدن فإن اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم: لأقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم

طريق الإسلام ونصبه على الظرف كقوله:

لدن بهز الكف يعسل متنه ... فيه كما عسل الطريق الثعلب

وقيل تقديره على صراطك كقولهم: ضرب زيد الظهر والبطن.

ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم أي من جميع الجهات الأربع.

مثل قصده إياهم بالتسويل والإضلال من أي وجه يمكنه بإتيان العدو من الجهات الأربع، ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت أرجلهم. وقيل لم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لأن الإتيان منه يوحش الناس. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: من بين أيديهم من قبل الآخرة، ومن خلفهم من قبل." (١)

"محتوى الجزء الثالث من تفسير البيضاوي

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٧/٣

بيان حال عصا موسى حين ألقاها عند فرعون ٢٧

بيان ما أرسل على قوم فرعون من الآيات ٣٠

بيان الدليل على جواز رؤية الله تعالى ٣٣

بيان ما فعله السامري من صوغ العجل ٣٤

بيان أن بعثته صلى الله عليه وسلم إلى كافة الثقلين ٣٧

بيان القرية التي أهلكت بسبب الصيد في السبت ٣٩

بيان ما عذب به أهل القرية من المسخ ٤٠

بيان أخذ الله الميثاق على بني آدم وما قيل في ذلك ٤١

بيان الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها وكيفية ضلاله ٤٢

بيان ما فعله إبليس مع حواء حين حملت والطعن في ذلك ٤٥

تفسير سورة الأنفال ٤٩

بيان السبب في غزوة بدر ٥١

بيان محاصرة بني قريظة ٥٦." (١)

"علمان لهما وهما عطف بيان للملكين والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا إن كان فيه رد ما لزم في شرط الإيمان ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا قال الشيخ أبو منصور الماتريدى رحمه الله القول بأن السحر على الإطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن حقيقته فإن كان في ذلك رد ما لزم في شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا ثم السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور لا الإناث وما ليس بكفر وفيه إهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوي فيه المذكر والمؤنث وتقبل توبته إذا تاب ومن قال لا تقبل فقد **غلط** فإن سحرة فرعون قبلت توبتهم وقيل أنزل أي قذف في قلوبهما مع النهي عن العمل قيل إنهما ملكان اختارتهما الملائكة لتركب فيهما الشهوة حين عيرت بني آدم فكانا يحكمان في الأرض ويصعدان بالليل فهو يا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فرآهما إنسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان منكوسين في جب ببابل وسميت ببابل لتبلبل الألسن بها

البقرة (١٠٢ _ ١٠٤)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٩٧/٣

﴿وما يعلمان من أحد﴾ وما يعلم الملكان أحدا ﴿حتى يقولا﴾ حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له ﴿إنما نحن فتنة﴾ ابتلاء واختبار من الله ﴿فلا تكفر﴾ بتعلمه والعلم به على وجه يكون كفرا ﴿فيتعلمون منهما﴾ الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر أي يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دل عليهما قوله كفروا ويعلمون الناس السحر أو على مضمر والتقدير فيأتون فيتعلمون والضمير لما دل عليه من أحد أي فيتعلم الناس من الملكين ﴿ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ أي علم السحر الذى يكن سببا في." (١)

"ولا بين المذكر والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف ساع الأمران والواو في ﴿ونحن عصبة﴾ للحال أي أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ﴿إن أبانا لفى ضلال مبين﴾ **غلط** في تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين لكفروا والعصبة العشرة فصاعدا." (٢)

"كل أمر مستقبل، والثالث أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته لأنه يمكن أن يتم له الأمر أو يموت أو يمرض فلا يتم له، والرابع أن الاستثناء راجع إلى قوله آمنين لا لدخول المسجد، والخامس أن إن شاء الله بمعنى إذا شاء الله محلقين رؤسكم ومقصرين الحلق والتقصير من سنة الحج والعمرة، والحلق أفضل من التقصير، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله المحلقين ثلاثا ثم قال في المرة الأخيرة والمقصرين «١» فعلم ما لم تعلموا يريد ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة، فإنه لما انعقد الصلح، وارتفعت الحرب ورغب الناس في الإسلام، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية في ألف وخمسمائة، وقيل ألف وأربعمائة وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف فجعل من دون ذلك فتحا قريبا يعني فتح خيبر، وقيل بيعة الرضوان وقيل صلح الحديبية، وهذا هو الأصح لأن عمر قال لرسول اللہ صلى الله عليه وسلم: أفتح هو يا رسول الله؟ قال نعم.

وقيل: هو فتح مكة وهذا ضعيف، لأن معنى قوله: من دون ذلك قبل دخول المسجد الحرام، وإنما كان فتح مكة بعد ذلك، فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمرة القضية عام سبعة، وفتح مكة عام ثمانية ليظهره على الدين كله ذكره في براءة [٣٣] وكفى بالله شهيدا أي شاهدا بأن محمدا رسول الله، أو شاهدا بإظهار دينه.

والذين معه يعني جميع أصحابه وقيل: من شهد معه الحديبية، وإعراب الذين معطوف على محمد رسول

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١١٦/١

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٩٧/٢

الله صفته وأشداء خبر عن الجميع، وقيل: الذين معه مبتدأ وأشداء خبره ورسول الله خبر محمد ورجح ابن عطية هذا. والأول عندي أرجح لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصا بالصحابة دون النبي صلى الله عليه وسلم، وما أحق النبي صلى الله عليه وسلم بالوصف بذلك لأن الله قال فيه: بالمؤمنين رؤف رحيم [براءة: ١٢٨] ، وقال جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم [براءة: ٧٣، والتحريم: ٩] فهذه هي الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين سيماهم في وجوههم السيما العلامة وفيه ستة أقوال، الأول أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلى من كثرة السجود والثاني أنه أثر التراب في الوجه الثالث أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة، الرابع حسن الوجه لما ورد في الحديث [من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار] «٢» وهذا الحديث غير صحيح، بل وقع فيه **غلط** من الراوي فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير مروي عنه، الخامس أنه الخشوع، السادس: أن ذلك يكون

---

(١) . الحديث رواه ابن عمر وأخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٦٠.

(٢) . الحديث أعلاه ذكره المناوي في التيسير وعزاه لابن ماجة عن جابر ثم قال: إن موضوع.." [١]

"استلاب الشيء بسرعة كلما أي متى ما جاء أضاء لهم يعني البرق مشوا فيه أي في إضاءته ونوره وإذا أظلم عليهم قاموا أي وقفوا متحيرين، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين، ووجه التمثيل أن الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات أن الساري لا يمكنه المشي فيها، ورعد من صفته أن يضم سامعوه أصابعهم إلى آذانهم من هوله، وبرق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر هو القرآن لأنه حياة القلوب كما أن المطر حياة الأرض، والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق. والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة أن تميل قلوبهم إليه لأن الإيمان به عندهم كفر والكفر موت، وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للإسلام، فالمطر هو الإسلام، والظلمات ما فيه من البلاء والمحن، والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق ما فيه من الوعد، يجعلون أصابعهم في آذانهم يعني المنافقين إذا

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٢٩٢

رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين يعني لا ينفعهم الهرب لأن الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم.

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠ الى ٢٣]

يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠) يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (٢٢) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (٢٣)

يكاد البرق يعني دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلمة أضاء لهم يعني المنافقين، وإضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعني على المسالمة بإظهار كلمة الإيمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا إنا معكم، وإذا أظلم عليهم قاموا يعني إذا رأوا شدة وبلاء تأخروا ولو شاء الله لذهب بسمعهم أي بصوت الرعد وأبصارهم بوميض البرق. وقيل: أي لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم وأبصارهم الباطنة إن الله على كل شيء قدير أي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه. قوله عز وجل: يا أيها الناس قال ابن عباس: يا أيها الناس خطاب لأهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة، وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين اعبدوا ربكم قال ابن عباس: وحدوا ربكم وكل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد. وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال والإنعام وهو الله تعالى الذي خلقكم أي ابتدع خلقكم على غير مثال سبق والذين من قبلكم أي وخلق الذين من قبلكم لعلكم لعل وعسى حرفا ترج وهما أي كل منهما من الله واجب تتقون أي لكي تنجوا من العذاب، وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي جعل لكم الأرض فراشا أي خلق لكم الأرض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها، والحزن ما **غلظ** من الأرض والسماء بناء أي سقفا مرفوعا قيل إذا تأمل الإنسان المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج إليه فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والإنسان كمالك البيت

وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة في مصالحه، فيجب على الإنسان المسخر له هذه الأشياء شكر الله." (١)

"فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما أسكر كثيره فقليله حرام، مما روي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» أخرجه الترمذي وأبو داود. عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام» أخرجه أبو داود والنسائي. وفي رواية له «والحسوة منه حرام» الفرق بالتحريك مكيال يسع تسعة عشر رطلا بالبغدادي، وأجيب عن حديث عمر في الطلاء بأنه معارض بما روي عن السائب يزيد أن عمر قال: وجدت من فلان ريح شراب وزعم أنه شرب الطلاق وأنا سائل عنه فإن كان يسكر جلدته فسأل عنه فقيل له: إنه يسكر فجلده عمر الحد تاما أخرجه مالك في الموطأ. وأما حديث ابن عباس، فموقوف عليه ومعارض بما روي عنه في الباذق، وقوله: والسكر من كل شراب قد رواه الحفاظ السكر بفتح السين. قال صاحب الغريبين: السكر خمر الأعاجم. ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه: والمسكر من كل شراب، وقال موسى بن هارون: وهو الصواب، وأما حديث أبي الأحوص ففيه وهمان: أحدهما في سنده حيث قال: عن أبي بردة، وإنما يرويه سماك عن القاسم عن ابن بريدة عن أبيه والوهم الثاني في متنه حيث قال: اشربوا ولا تسكروا، وإنما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا، ويدل على صحة هذا ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كنت نهيتكم عن الأشربة في ظروف الأدم فاشربوا في كل وعاء غير أن لا تشربوا مسكرا» وقال النسائي: في حديث أبي الأحوص هذا حديث منكر **غلط** فيه أبو الأحوص سلام بن سليم لا يعلم أن أحدا تابعه عليه من أصحاب سماك، وأما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم في قول النسائي.

المسألة الثانية: في الحكم بنجاسة الخمر. الخمر وما يلحق بها نجسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس والشيء المستقذر وقوله تعالى: فاجتنبوه فأمر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها أيضا أنها محرمة التناول لا للاحترام، ولأن الناس مشغوفون بها فينبغي أن يحكم بنجاستها تأكيدا للزجر عنها.

المسألة الثالثة: في تحريم بيعها والانتفاع بها. أجمعت الأمة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/ ٣٠

ثمنها ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة: «إن الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والميتة والخنزير والأصنام» أخرجاه في الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق). عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «حرمت التجارة في الخمر» (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب أن فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها» عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من باع الخمر فليشقص الخنازير» أخرجه أبو داود.

وقوله فليشقص الخنازير أي فليقطعها قطعا قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فإنهما في التحريم سواء. عن أبي طلحة قال يا نبي الله إني اشتريت خمرا لأيتام في حجري. فقال:

أهرق الخمر واكسر الدنان أخرجه الترمذي. وقال وقد روي عن أنس إن أبا طلحة كان عنده خمر لأيتام وهو أصح. فإن قلت فما وجه قوله تعالى: ومنافع للناس قلت: منافعها اللذة التي توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها، وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله.

(فصل) وأما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال بسهولة من غير تعب، وكذا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله هذه الآية.

وأصل الميسر أن أهل الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزئونها ثمانية وعشرين." (١)

"[سورة النساء (٤): الآيات ٩ الى ١٠]

وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (٩) إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (١٠)

وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا يعني أولادا صغارا خافوا عليهم يعني الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقول له انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا قدم لنفسك أعتق وتصدق وأعط فلا يزالون به حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بأن يأمروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف. والمعنى كما أنكم تكرهون بقاء أولادكم

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٥٠/١

في الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على أن يحرم أولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام كما أنك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لأخيك المسلم. وكما أنه لو كان هذا القائل هو الموصي لسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم.

وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد أن يوصي بشيء فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك أموالك لولدك فيمنعونه من الوصية لأقاربه المحتاجين وقيل الآية يحتمل أن تكون خطابا لمن حضر أجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافا ضائعين بعد موته. ثم إن كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها أن لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وإن كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها أن يوصي بالثلث أو بأقل منه إذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من الصحابة أنهم أوصوا بالقليل لأجل ذلك وكانوا يقولون الخمس في الوصية أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث. وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث كثير لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس يعني يسألونهم بأكفهم وقيل هو خطاب لأولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته أن يضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره إذا كان في حجره والمقصود من الآية أن من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليه أو وصيه وليفعل به ما يحب أن يفعل بأولاده من بعده فليتقوا الله يعني في الأمر الذي تقدم ذكره وليقولوا قولا سديدا يعني عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو أن يأمروه أن يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده ورثته وأن لا يحيف في وصيته. والقول السديد من الأوصياء وأولياء اليتامى أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم ولا يؤذوهم بقول ولا فعل قوله عز وجل: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما قال مقاتل وابن حبان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فأنزل الله هذه الآية إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يعني حراما بغير حق إنما يأكلون في بطونهم نارا يعني سيأكلون يوم القيامة فسمي الذين يأكلون نارا بما يؤول إليه أمرهم يوم القيامة. قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأذنيه وعينيه وأنفه يعرفه من رآه بآكل مال اليتيم. وفي حديث أبي سعيد الخدري قال حدثني النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به قال نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا. وقيل إنما ذكر أكل النار على سبيل

التمثيل والتوسع في الكلام والمراد أن أكل ما اليتيم ظلما يفضي به إلى النار وإنما خص الأكل بالذكر وإن كان المراد سائر أنواع الإتلافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لأن الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم. فعبر عن جميع ذلك بالأكل لأنه معظم المقصود وإنما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك رأيت بعيني وسمعت بأذني وسيصلون سعيرا يعني بأكلهم أموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة. ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى وأموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى: وإن تخالطوهم فإخوانكم وقد توهم بعضهم أن قوله وإن تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا **غلط** ممن توهمه لأن هذه الآية واردة." (١)

"لهم ما ذكر في قوله: «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر» الآية قال الواحدي فأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم أجد فيه شيئا انتهى إليه فتركه ولقد أنصف الواحدي فيما قال فإن هذه الآية في غاية الإشكال وبيانه إن الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل. فإن قلت علم الله وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها لحرم عليهم ما حرم من الطيبات التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سيقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو أن الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الإمام فخر الدين في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا إجماليا فقال أعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين: الظلم للخلق والإعراض عن الدين الحق، أما ظلم الخلق فإليه الإشارة بقوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا

[سورة النساء (٤): الآيات ١٦١ الى ١٦٢]

وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما (١٦١) لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما (١٦٢)

وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه ثم إنهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع أنهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله وأكلهم أموال الناس بالباطل فهذه الأربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة، أما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٣٤٥

الطيبات عليهم وأما التشديد في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى: وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما قال المفسرون: إنما قال منهم لأن الله علم أن قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب.

قوله تعالى: لكن الراسخون في العلم منهم يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من أهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في الآيات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وأرشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم الثابتون في العلم البالغون فيه أولو البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب لأنهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فأوصلهم ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يعني بالله ورسله يؤمنون بما أنزل إليك يعني بالقرآن الذي أنزل إليك وما أنزل من قبلك يعني ويؤمنون بسائر الكتاب التي أنزلها الله على أنبيائه من قبله يا محمد وفي المراد بالمؤمنين هاهنا قولان: أحدهما إنهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون. والقول الثاني أنهم المهاجرون والأنصار من هذه الأمة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل إليك ويعني أنهم يصدقون بالقرآن الذي أنزل إليك يا محمد وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة اختلف العلماء في وجه نصبه فحكي عن عائشة وأبان بن عثمان أنه غلط من الكتاب ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة. وقال عثمان بن عفان إن في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتهم فقيل له أفلا تغيره؟ فقال دعوه فإنه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم إلى أنه لفظ صحيح ليس فيه من خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روي عن عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بأن هذا بعيد جدا لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم. قال ابن الأنباري: ما روي عن عثمان لا يصلح لأنه غير متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيئا فاسدا ليصلحه غيره ولأن القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه؟ وقال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوع لحن في خط المصحف وربما التفت إليه من." (١)

"أنزلته عليك وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني يعني وإذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير بإذني فتنفخ فيها ذكر هنا فيها سورة آل عمران فيه يعني بالضمير في قوله فيها يعود إلى الهيئة بجعلها

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٤٤٧

مصدرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لأن النفخ لا يكون في الهيئة إنما يكون في المهيأ وذي الهيئة ويجوز أن يعود الضمير إلى الطير لأنها مؤنثة قال الله تعالى: أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات.
وأما الضمير المذكور في آل عمران في قوله فيه فيعود إلى الكاف يعني في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فتكون طيرا بإذني وإنما كرر قوله بإذني تأكيدا لكون ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لأن المخلوق لا يخلق شيئا إنما خالق الأشياء كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وإنما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام أكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى: وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني يعني وتشفي الأكمه وهو الأعمى المطموس البصر والأبرص معروف ظاهر وإذ تخرج الموتى يعني من قبورهم أحياء بإذني تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الأشياء كلها في الحقيقة هو الله تعالى لأنه هو المبرئ للأكمه والأبرص وهو محيي الموتى وهو على كل شيء قدير وإنما كانت هذه الأشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت بإذن الله تعالى وقدرته.
وقوله تعالى: وإذ كففت بني إسرائيل عنك يعني واذكر نعمتي عليك إذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين أرادوا قتلك إذ جئتهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكرت في هذه الآية وذلك أن عيسى عليه السلام لما أتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه إلى السماء فقال الذين كفروا منهم يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات إن هذا إلا سحر مبين يعني ما جاءهم به عيسى عليه السلام من المعجزات.

[سورة المائدة (٥): الآيات ١١١ الى ١١٢]
وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (١١١) إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢)
قوله عز وجل: وإذ أوحيت إلى الحواريين يعني ألهمتهم وقذفت في قلوبهم فهو وحي إلهام كما أوحى إلى أم موسى وإلى النحل والحواريون هم أصحاب عيسى وخواصه أن آمنوا بي وبرسولي يعني عيسى عليه السلام قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون لما وفقهم الله للإيمان، قالوا: آمنا. وإنما قدم ذكر الإيمان على الإسلام، لأن الإيمان من أعمال القلوب والإسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى أنهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم. قوله تعالى: إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك قال المفسرون: هذا على المجاز ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكوا في قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معي؟ مع علمه بأنه يقدر على القيام وإنما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل

عليك وهل يخف أن تقوم معي فكذلك. معنى الآية: لأن الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وإنما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال إبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي. ولا شك أن مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث مزيد الطمأنينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره. وقال: **غلط** القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الإيمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله إن كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله أن تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول الأول أصح وقيل في معنى الآية: هل يقبل ربك دعاءك ويعطيك بإجابة." (١)

"المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الإبرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال ولما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا ثبت أن الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار أن دخول الكفار الجنة مأيوس منه قطعا. وقال بعض أهل المعاني: لما علق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو خرق الإبرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التأبيد وذلك لأن العرب إذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائز وهذا كقولك: لا آتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وصار القار كاللبن الحليب

قوله تعالى: وكذلك نجزي المجرمين أي ومثل الذي وصفنا نجزي المجرمين يعني: الكافرين لأنه تقدم من صفتهم أنهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار ولما بين الله عز وجل أن الكفار لا يدخلون الجنة أبدا بين أنهم من أهل النار ووصف ما أعد لهم فيها فقال تعالى: لهم من جهنم مهاد يعني لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد التمهد الذي يقعد عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية أن النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم، قال محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي: المهاد الفراش والغواشي اللحف وكذلك نجزي الظالمين يعني وكذلك نكافئ ونجازي المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها.

قوله عز وجل: والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم في الآخرة أتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم في الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٩١

يعني والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحي الله إليه وتنزيله عليه من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا إلا وسعها يعني لا نكلف نفسا إلا ما يسعها من الأعمال وما يسهل عليها ويدخل في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق. قال الزجاج: الوسع ما يقدر عليه، وقال مجاهد: معناه إلا ما افترض عليها يعني الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد غلط من قال إن الوسع بذل المجهود قال أكثر أصحاب المعاني إن قوله تعالى لا نكلف نفسا إلا وسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون لا نكلف نفسا إلا وسعها وإنما يحسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لأنه جنس هذا الكلام لأنه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر أن ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم قدرها ومحلها يتوصل إليها بالعمل الصالح السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة. وقال قوم من أصحاب المعاني هو من تمام الخبر موضعه رفع والعائد محذوف كأنه قال لا نكلف نفسا منهم إلا وسعها فحذف العائد للعلم به.

قوله تعالى: ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني وقلعنا وأخرجنا ما في صدور المؤمنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الآية أزلنا تلك الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم إخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع وإسقاط الوساوس ودفعها عن أن ترد على القلب روي عن علي رضي الله عنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين وروي عنه أيضا أنه قال إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل إن الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يخلص." [١]

"لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق، وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بيوم الجمعة. فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الأحد فأعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الأمة فقبلوها، فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه، وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم، فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٢٠٠

فيه تبع فغدا لليهود، وبعد غد للنصارى» وفي رواية لمسلم «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة» وفي رواية أخرى له قال «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا، الأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق» قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم: قال العلماء في معنى الحديث: نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم. وقوله بيد أنهم يعني غير أنهم أو إلا أنهم. وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال: القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه، فاختلف أحبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الأمة مبينا، ولم يكلهم إلى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال: يعني القاضي عياضا- وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة، وأعلمهم بفضله فناظروه أن السبت أفضل. فقيل له دعهم. قال القاضي: ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول: خالفوا فيه. قال الشيخ محيي الدين النووي: ويمكن أن يكونوا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله فأبدلوه، وغلطوا في إبداله. قال الإمام فخر الدين الرازي في قوله تعالى «على الذين اختلفوا فيه» يعني على نبيهم موسى، حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم، أي لأجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه أن اليهود اختلفوا، فمنهم من قال بالسبت، ومنهم من لم يقل به، لأن اليهود اتفقوا على ذلك. وزاد الواحدي على هذا فقال: وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم: معنى الاختلاف في السبت أن بعضهم قال: هو أعظم الأيام حرمة لأن الله فرغ من خلق الأشياء، وقال الآخرون بل الأحد أفضل لأن الله سبحانه وتعالى، ابتدأ فيه بخلق الأشياء، وهذا **غلط** لأن اليهود لم يكونوا فريقين في السبت، وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بزمان طويل. فان قلت إن اليهود إنما اختاروا السبت، لأن أهل الملل اتفقوا على أن الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الأحد، وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ، فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم، فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى: إنما بدأ بخلق الأشياء في يوم الأحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا لنا، وهذان الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الإسلام عيدا؟ قلت: يوم الجمعة أفضل الأيام لأن كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا بهذا الوجه وهو أولى. ووجه آخر وهو أن الله عز

وجل خلق فيه أشرف خلقه، وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب، ولأن الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الأمة وادخره لهم، ولم يختاروا لأنفسهم شيئا، وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاره غيرهم لأنفسهم، وقال بعض العلماء
: بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الأحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت، ويوم الأحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الأيام يوم الجمعة كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء. وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة: الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم، وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله إنما جعل السبت أي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه، وهم." (١)

"هذه رواية مسلم وأخرجه الترمذي مختصرا وفيه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسرى به ملجما مسرجا، فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هكذا ما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا» وأخرجه النسائي مختصرا، والمعنى واحد وفي آخره قال: فرجعت إلى ربي فسألته التخفيف فقال إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك، فعرفت أن أمر الله جرى بقول حتم فلم أرجع.

فصل

قال البغوي: قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا إلا حديث شريك بن أبي نمر عن أنس، وأحال الأمر فيه على شريك وذلك أنه ذكر فيه إن ذلك كان قبل الوحي، واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة وفيه أن الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة أن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام. قال البغوي: وهذا الاعتراض عندي لا يصح لأن هذا كان رؤيا في النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى إليه بدليل آخر الحديث، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي، وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه التي رآها من قبل كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة، ثم كان تحقيقها سنة ثمان، ونزل قوله سبحانه وتعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق. وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه شرح مسلم: قد جاء من رواية شريك في هذا الحديث أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٠٦/٣

ذلك بقوله قدم وأخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل أن يوحى إليه وهو **غلط** لم يوافق عليه فإن الإسراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا.

وقال الحربي: كانت ليلة الإسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة. وقال الزهري: كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين. وقال ابن إسحاق: أسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل. قال الشيخ محيي الدين: وأشبه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق وأما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الأخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم، ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك إليه، وليس في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض، وهذا الذي قاله في رواية شريك وأن أهل العلم قد أنكروها قد قاله غيره، وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه، وأتى بالحديث مطولا. قال الحافظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين، والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال: والأحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها.

فصل

في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به، كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم. فقيل: إنما كان ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس، ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين والفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى:

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، والأحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها، وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال: كل ذلك كان رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أسري بروحه. وحكي هذا القول عن عائشة." (١)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١١٤/٣

"ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الأشياء التي يأتي بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنها لو كانت حقا لضاهت معجزات الأنبياء وهذا **غلط** من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون

ما معه كالتصديق له وإنما يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينه وعن إزالة الشاهة بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به إلا عوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو خوفا من فتنته لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الألباب ولهذا حذرت الأنبياء من فتنته فأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك إلا بصيرة قوله «قلت يا رسول الله إنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله تعالى من ذلك» معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل إنما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا إيمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك لأنه ثبت في الحديث أن معه ماء ونارا فماؤه نار وناره ماء بارد والله تعالى أعلم.

[سورة غافر (٤٠): الآيات ٥٨ الى ٦٠]

وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون (٥٨) إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (٥٩) وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (٦٠)

قوله عز وجل: وما يستوي الأعمى والبصير أي الجاهل والعالم والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء أي لا يستوون قليلا ما تتذكرون إن الساعة يعني القيامة لآتية لا ريب فيها أي لا شك في قيامها ومجيئها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون أي لا يصدقون بالبعث بعد الموت، قوله تعالى: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم أي اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر «الدعاء هو العبادة ثم

قرأ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لم يسأل الله يغضب عليه» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن أنس بن مالك قال «الدعاء مخ العبادة» أخرجه الترمذي وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب فإن قلت كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد يدعو الإنسان كثيرا فلا يستجاب له، قلت الدعاء له شروط منها الإخلاص في الدعاء وأن لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للإنسان وأن لا يكون فيه قطيعة رحم فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالإجابة فإما أن يعجلها له وإما أن يؤخرها له يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له به في الدنيا وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال إن الذين يستكبرون عن عبادتي أي عن توحيدي وقيل دعائي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين ذليلين.." (١)

"سورة القدر

وهي مدنية وقيل إنها مكية والقول الأول أصح، وهو قول الأكثرين، قيل إنها أول ما نزل بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة القدر (٩٧): الآيات ١ الى ٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر (١) وما أدراك ما ليلة القدر (٢)

قوله عز وجل: إنا أنزلناه يعني القرآن كناية عن غير مذكور في ليلة القدر وذلك أن الله تعالى أنزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة، ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة ثلاث وعشرين سنة، فكان ينزل بحسب الوقائع، والحاجة إليه، وقيل إنما أنزله إلى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولأنها كالمشترك بيننا وبين

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٧٨/٤

الملائكة، فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لأن فيها تقدير الأمور، والأحكام، والأرزاق، والآجال، وما يكون في تلك السنة إلى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك في بلاده وعباده، ومعنى هذا أن الله يظهر ذلك لملائكته ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بأن يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم إياه، وليس المراد منه أن يحدثه في تلك الليلة لأن الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل، قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض قال: نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر، وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الأمير، أي منزلة وجاه، وقيل سميت بذلك لأن العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا، وقيل سميت بذلك لأن الأرض تضيق بالملائكة فيها.

(فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها) (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»، واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم إنها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم» وهذا غلط ممن قال بهذا القول لأن آخر الحديث يرد عليهم فإنه صلى الله عليه وسلم قال في آخره «فالتمسوها في العشر الأواخر في التاسعة والسابعة والخامسة»، فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على أنها باقية إلى يوم القيامة، روي عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لأبي هريرة زعموا أن ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم.

ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا في محلها، فقيل هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في." (١)

"من المعظم. وقد جاء في القرآن نظائر لهذا، منها: وقلنا يا آدم اسكن «١» ، وقلنا اهبطوا «٢» ، قلنا يا نار كوني بردا «٣» ، وقلنا من بعده لبني إسرائيل: اسكنوا الأرض «٤» ، وقلنا لهم ادخلوا الباب «٥» ، وقلنا لهم لا تعدوا «٦» . فأنت ترى هذا الأمر وهذا النهي كيف تقدمهما الفعل المسند إلى المتكلم المعظم نفسه، لأن الآمر اقتضى الاستعلاء على المأمور، فظهر للمأمور بصفة العظمة، ولا أعظم من الله

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٤٥٠

تعالى، والمأمورون بالسجود، قال السدي: عامة الملائكة. وقال ابن عباس: الملائكة الذين يحكمون في الأرض. وقرأ الجمهور: للملائكة بجر التاء. وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع وسليمان بن مهران: بضم التاء، إتباعا لحركة الجيم ونقل أنها لغة أزدشنوءة. قال الزجاج: هذا **غلط** من أبي جعفر، وقال الفارسي: هذا خطأ، وقال ابن جني: لأن كسرة التاء كسرة إعراب، وإنما يجوز هذا الذي ذهب إليه أبو جعفر، إذا كان ما قبل الهمزة ساكنا صحيحا نحو:

وقالت اخرج «٧» . وقال الزمخشري: لا يجوز لاستهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلا في لغة ضعيفة كقولهم: الحمد لله، انتهى كلامه. وإذا كان ذلك في لغة ضعيفة، وقد نقل أنها لغة أزدشنوءة، فلا ينبغي أن يخطأ القارئ بها ولا يغلط، والقارئ بها أبو جعفر، أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضا عن عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة، وهو شيخ نافع بن أبي نعيم، أحد القراء السبعة، وقد علل ضم التاء لشبهها بألف الوصل، ووجه الشبه أن الهمزة تسقط في الدرج لكونها ليست بأصل، والتاء في الملائكة تسقط أيضا لأنها ليست بأصل. ألا تراهم قالوا: الملائك؟ وقيل: ضمت لأن العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقلها.

اسجدوا: أمر، وتقتضي هذه الصيغة طلب إيقاع الفعل في الزمان المطلق استقباله، ولا تدل بالوضع على الفور، وهذا مذهب الشافعي والقاضي أبي بكر بن الطيب، واختاره الغزالي والرازي خلافا للمالكية من أهل بغداد، وأبي حنيفة ومتبعيه. وهذه مسألة يبحث فيها في أصول الفقه، وهذ الخلاف إنما هو حيث لا تدل قرينة على فور أو تأخير.

وأما هنا فالعطف بالفاء يدل على تعقيب القول بالفعل من غير مهلة، فتكون الملائكة قد

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ٣٥.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء: ٢١/ ٦٩.

(٤) سورة الإسراء: ١٧/ ١٠٤.

(٥) سورة النساء: ٤/ ١٥٠.

(٦) سورة النساء: ٤/ ١٥٤.

(٧) سورة يوسف: ١٢/ ٣١.." [١]

"وفي المراد به في الآية أقوال ستأتي، إن شاء الله تعالى. السلوى: اسم جنس، واحدها سلواة، قاله الخليل، والألف فيها للإلحاق لا للتأنيث نحو: علقى وعلقاة، إذ لو كانت للتأنيث لما أنث بالهاء، قال الشاعر:

وإني لتعروني لذكراك سلوة ... كما انتفض السلواة من بلل القطر

وقال الكسائي: السلوى واحدة، وجمعها سلاوى. وقال الأخفش: جمعه وواحده بلفظ واحد. وقيل: جمع لا واحد له من لفظه. وقال مؤرج السدوسي: السلوى هو العسل بلغة كنانة، قال الشاعر:

وقاسمها بالله جهدا لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما نشورها

وقال غيره: هو طائر. قال ابن عطية: وقد **غلط** الهذلي في قوله:

ألذ من السلوى إذا ما نشورها فظن السلوى العسل. وعن هذا جوابان يبينان أن هذا ليس غلطا: أحدهما: ما نقلناه عن مؤرج من كونه العسل بلغة كنانة، والثاني: أنه تجوز في قوله: نشورها لأجل القافية، فعبر عن الأكل بالشور، على سبيل المجاز، قالوا: واشتقاق السلوى من السلوة، لأنه لطيبه يسلي عن غيره. الطيب: فيعل من طاب يطيب، وهو اللذيذ، وتقدم الكلام في اختصاص هذا الوزن بالمعتل، إلا ما شذ، وفي تخفيف هذا النوع وبالمخفف منه سميت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة.

وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم: عد صاحب المنتخب هذا إنعاما خامسا، وقيل: هذه الآية وما بعدها منقطعة مما تقدم من التذكير بالنعم، وذلك لأنه أمر بالقتل، والقتل لا يكون نعمة، وضعف بأن من أعظم النعم التنبيه على ما به يتخلصون من عقاب الذنب العظيم، وذلك هو التوبة. وإذا كان قد عدد عليهم النعم الدنيوية، فلأن يعدد عليهم النعم الدينية أولى. ولما لم يكمل وصف هذه النعمة إلا بمقدمة ما تسببت عنه، قدم ذكر ذلك، وهذا الخطاب هو محاورة موسى لقومه حين رجع من الميقات ووجدهم قد عبدوا العجل. واللام في قوله: لقومه، للتبليغ، وإقبال موسى عليه بالنداء، ونداؤه بلفظ يا قوم، مشعر بالتحنن عليهم، وأنه منهم، وهم منه، ولذلك أضافهم إلى نفسه، كما يقول الرجل: يا أخي، ويا صديقي،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١/٢٤٦

فيكون ذلك سببا لقبول ما يلقي إليه، بخلاف أن لو ناداه باسمه، أو بالوصف القبيح الصادر منه. وفي ذلك أيضا هزلهم لقبولهم." (١)

"ذلك عائشة رضي الله تعالى عنها، وقالت: أنا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآيات، فقال لي: «هو جبريل عليه السلام فيها كلها» .

وقال الحسن: المعنى ما رأى من مقدورات الله تعالى وملكوته.

وسأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ فقال: «نوراني أراه» .

وحديث عائشة قاطع لكل تأويل في اللفظ، لأن قول غيرها إنما هو منتزع من ألفاظ القرآن، وليست نصا في الرؤية بالبصر، بلا ولا بغيره. وقرأ أبو رجاء وأبو جعفر وقتادة والجحدري وخالد بن إلياس وهشام عن ابن عامر: ما كذب مشددا. وقال كعب الأحبار: إن الله قسم الرؤية والكلام بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام، فكلم موسى مرتين، ورآه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: لقد وقف شعري من سماع هذا، وقرأت: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار «١» ، وذهبت هي وابن مسعود وقتادة والجمهور إلى أن المرئي مرتين هو جبريل، مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى.

وقرأ الجمهور: أفتمارونه: أي أتجادلونه على شيء رآه ببصره وأبصره، وعدي بعلى لما في الجدال من المغالبة، وجاء يرى بصيغة المضارع، وإن كانت الرؤية قد مضت، إشارة إلى ما يمكن حدوثه بعد. وقرأ علي وعبد الله وابن عباس والجحدري ويعقوب وابن سعدان وحمزة والكسائي: بفتح التاء وسكون الميم، مضارع مريت: أي جحدت، يقال: مريته حقه، إذا جحدته، قال الشاعر:

لئن سخرت أخا صدق ومكرمة ... لقد مريت أخا ما كان يمريكا

وعدى بعلى على معنى التضمين. وكانت قريش حين أخبرهم صلى الله عليه وسلم بأمره في الإسراء، كذبوا واستخفوا، حتى وصف لهم بيت المقدس وأمر غيرهم، وغير ذلك مما هو مستقصى في حديث الإسراء. وقرأ عبد الله فيما حكى ابن خالويه، والشعبي فيما ذكر شعبة: بضم التاء وسكون الميم، مضارع أمريت. قال أبو حاتم: وهو غلط. ولقد رآه: الضمير المنصوب عائد على جبريل عليه السلام، قال ابن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع. نزلة أخرى: أي مرة أخرى، أي نزل عليه جبريل عليه السلام مرة أخرى في صورة نفسه، فرآه عليها، وذلك ليلة المعراج. وأخرى تقتضي نزلة سابقة، وهي المفهومة من قوله: ثم دنا جبريل، فتدلى: وهو الهبوط والنزول من علو. وقال ابن عباس وكعب الأحبار: الضمير عائد على الله، على ما سبق

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٣٢/١

من قولهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الأنعام: ٦/ ١٠٣.." [1]

"فقال: فارجع، ففي الفاء معنى التسبب، والمعنى: أن العيان يطابق الخبر.

والفطور، قال مجاهد: الشقوق، فطر ناب البعير: شق اللحم وظهر، قال الشاعر:

بنى لكم بلا عمد سماء ... وسواها فما فيها فطور

وقال أبو عبيدة: صدوع، وأنشد قول عبيد بن مسعود:

شققت القلب ثم رددت فيه ... هواك فليط فالتأم الفطور

وقال السدي: خروق. وقال قتادة: خلل، ومنه التفطير والانفطار. وقال ابن عباس:

وهن وهذه تفاسير متقاربة، والجملة من قوله: هل ترى من فطور في موضع نصب بفعل معلق محذوف، أي فانظر هل ترى، أو ضمن معنى فارجع البصر معنى فانظر ببصرك هل ترى؟ فيكون معلقا. ثم ارجع البصر: أي ردده كرتين هي تثنية لا شفع الواحد، بل يراد بها التكرار، كأنه قال: كرة بعد كرة، أي كرات كثيرة، كقوله: لبيك، يريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض، وأريد بالتثنية التكثير، كما أريد بما هو أصل لها التكثير، وهو مفرد عطف على مفرد، نحو قوله:

لو عد قبر وقبر كان أكرمهم ... بيتا وأبعدهم عن منزل الزام

يريد: لو عدت قبور كثيرة. وقال ابن عطية وغيره: كرتين معناه مرتين ونصبها على المصدر. وقيل: أمر برجع البصر إلى السماء مرتين، **غلط** في الأولى، فيستدرك بالثانية. وقيل: الأولى ليرى حسنها واستواءها، والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها.

وقرأ الجمهور: ينقلب جزما على جواب الأمر والخوارزمي عن الكسائي: يرفع الباء، أي فينقلب على حذف الفاء، أو على أنه موضع حال مقدرة، أي إن رجعت البصر وكررت النظر لتطلب فطور شقوق أو خللا أو عيبا، رجع إليك مبعدا عما طلبته لانتفاء ذلك عنها، وهو كال من كثرة النظر، وكلاله يدل على أن المراد بالكرتين ليس شفع الواحد، لأنه لا يكل البصر بالنظر مرتين اثنتين. والحسير: الكال، قال الشاعر:

لهن الوجى لم كر عونا على النوى ... ولا زال منها ظالع وحسير

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٠/ ١٢

يقال: حسر بعيره يحسر حسورا: أي كل وانقطع فهو حسير ومحسور، قال الشاعر يصف ناقة:
فشطرها نظر العينين محسور." (١)
"النار
«١» ، والهمزة فيه للدخول في الشيء أو للصيرورة، ومطاوع كب انكب، تقول: كببته فانكب. وقال الزمخشري: ولا شيء من بناء افعل مطوعا، ولا يتقن نحو هذا إلا حملة كتاب سيبويه، وهذا الرجل كثير التبجح بكتاب سيبويه، وكم من نص في كتاب سيبويه عمي بصره وبصيرته! حتى أن الإمام أبا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا يذكر فيه ما غلط فيه الزمخشري وما جهله من نصوص كتاب سيبويه. وأهدى: أفعل تفضيل من الهدى في الظاهر، وهو نظير: العسل أحلى أم الخل؟ وهذا الاستفهام لا تراد حقيقته، بل المراد منه أن كل سامع يجيب بأن الماشي سويا على صراط مستقيم أهدى. وانتصب قليلا على أنه نعت لمصدر محذوف، وما زائدة، وتشكرون مستأنف أو حال مقدرة، أي تشكرون شكرا قليلا. وقال ابن عطية: ظاهر أنهم يشكرون قليلا، وما عسى أن يكون للكافرين شكر، وهو قليل غير نافع. وأما أن يريد به نفي الشكر جملة فعبر بالقلة، كما تقول ا العرب:
هذه أرض قل ما تنبت كذا، وهي لا تنبته البتة. انتهى. وتقدم نظير قوله والرد عليه في ذلك. ذرأكم: بثكم، والحشر: البعث، والوعد المشار إليه هو وعد يوم القيامة، أي متى إنجاز هذا الوعد؟.
فلما رأوه زلفة: أي رأوا العذاب وهو الموعود به، زلفة: أي قربا، أي ذا قرب. وقال الحسن: عيانا. وقال ابن زيد: حاضرا. وقيل: التقدير مكانا ذا زلفة، فانتصب على الظرف. سيئت: أي ساءت رؤيته وجوههم، وظهر فيها السوء والكآبة، وغشيها السواد كمن يساق إلى القتل. وأخلص الجمهور كسرة السين، وأشمها الضم أبو جعفر والحسن وأبو رجاء وشيبة وابن وثاب وطلحة وابن عامر ونافع والكسائي. وقيل لهم، أي تقول لهم الزبانية ومن يوبخهم. وقرأ الجمهور: تدعون بشد الدال مفتوحة، فقيل: من الدعوى. قال الحسن: تدعون أنه لا جنة ولا نار. وقيل: تطلبون وتستعجلون، وهو من الدعاء، ويقوي هذا القول قراءة أبي رجاء والضحاك والحسن وقتادة وابن يسار عبد الله بن مسلم وسلام ويعقوب: تدعون بسكون الدال، وهي قراءة ابن أبي عبلة وأبي زيد وعصمة عن أبي بكر والأصمعي عن نافع. روي أن الكفار كانوا يدعون على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالهلاك. وقيل: كانوا يتآمرون بينهم بأن يهلكوهم بالقتل ونحوه، فأمر أن يقول: إن أهلكني الله كما تريدون، أو رحمنا بالنصر عليكم، فمن يحميكم من العذاب الذي سببه كفركم؟

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٢٢/١٠

ولما قال: أو رحمنا قال: هو الرحمن، ثم ذكر ما به

---

(١) سورة النمل: ٢٧/ ٩٠.." [1]

"قوله: وحلوا، وسقاهم، وإن هذا كان لكم جزاء، وفك الضمائر يجعل هذا كذا وذاك كذا مع عدم الاحتياج والاضطرار إلى ذلك لا يجوز. وأما جعله حالا من محذوف وتقديره أهل نعيم، فلا حاجة إلى ادعاء الحذف مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف، وثياب مرفوع على الفاعلية بالحال. وقال ابن عطية: ويجوز في النصب في القراءتين أن يكون على الظرف لأنه بمعنى فوقهم. انتهى. وعال وعالية اسم فاعل، فيحتاج في إثبات كونهما ظرفين إلى أن يكون منقولا من كلام العرب عاليك أو عاليتك ثوب. وقرأ الجمهور: ثياب بغير تنوين على الإضافة إلى سندس.

وقرأ ابن أبي عبلة وأبو حيوة: عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق، برفع الثلاثة، برفع سندس بالصفة لأنه جنس، كما تقول: ثوب حرير، تريد من حرير وبرفع خضر بالصفة أيضا لأن الخضرة لونها ورفع إستبرق بالعطف عليها، وهو صفة أقيمت مقام الموصوف تقديره: وثياب إستبرق، أي من إستبرق. وقرأ الحسن وعيسى ونافع وحفص: خضر برفعهما. وقرأ العربيان ونافع في رواية: خضر بالرفع صفة لثياب، وإستبرق جر عطفا على سندس. وقرأ ابن كثير وأبو بكر: بجر خضر صفة لسندس، ورفع إستبرق عطفا على ثياب.

وقرأ الأعمش وطلحة والحسن وأبو عمرو: بخلاف عنهما وحمزة والكسائي: ووصف اسم الجنس الذي بينه وبين واحده تاء التأنيث، والجمع جائز فصيح كقوله تعالى: وينشئ السحاب الثقال «١» ، وقال: والنخل باسقات»

، فجعل الحال جمعا، وإذا كانوا قد جمعوا صفة اسم الجنس الذي ليس بينه وبين واحده تاء التأنيث المحكي بأل بالجمع، كقولهم: أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض، حيث جمع وصفهما ليس بسديد، بل هو جائز أورده النحاة مورد الجواز بلا قبح.

وقرأ ابن محيصن: وإستبرق، وتقدم ذلك والكلام عليه في الكهف. وقال الزمخشري: هنا وقرىء وإستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي، وهو **غلط** لأنه نكرة يدخله حرف التعريف، تقول: الإستبرق إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب. وقرىء: واستبرق، بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق، وليس بصحيح أيضا لأنه معرب مشهور تعريبه، وأن أصله

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٢٩/١٠

إستبره. انتهى. ودل قوله: إلا أن يزعم ابن محيصن، وقوله: بعد وقرىء وإستبرق بوصل

---

(١) سورة الرعد: ١٣/ ١٢.

(٢) سورة ق: ٥٠/ ١٠.." [(١)]

"فتنفعه، برفع العين عطفا على أو يذكر وعاصم في المشهور، والأعرج وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزعفرني: بنصبهما. قال ابن عطية: في جواب التمني، لأن قوله: أو يذكر في حكم قوله لعله يزكى. انتهى. وهذا ليس تمنيا، إنما هو ترج وفرق بين الترجي والتمني. وقال الزمخشري: وبالنصب جوابا للعل، كقوله: فأطلع إلى إله موسى «١» .

انتهى. والترجي عند البصريين لا جواب له، فينصب بإضمار أن بعد الفاء. وأما الكوفيون فيقولون: ينصب في جواب الترجي، وقد تقدم لنا الكلام على ذلك في قوله: فأطلع إلى إله موسى في قراءة حفص، ووجهنا مذهب البصريين في نصب المضارع.

أما من استغنى: ظاهره من كان ذا ثروة وغنى. وقال الكلبي: عن الله. وقيل:

عن الإيمان بالله. قيل: وكونه بمعنى الثروة لا يليق بمنصب النبوة، ويدل على ذلك أنه لو كان من الثروة لكان المقابل: وأما من جاءك فقيرا حقيرا. وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة والأعرج وعيسى والأعمش وجمهور السبعة: تصدى بخف الصاد، وأصله يتصدى فحذف والحرميان: بشدها، أدغم التاء في الصاد وأبو جعفر: تصدى، بضم التاء وتخفيف الصاد، أي يصدك حرصك على إسلامه. يقال: تصدى الرجل وصديته، وهذا المستغني هو الوليد، أو أمية، أو عتبة وشيبة، أو أمية وجميع المذكورين في سبب النزول، أقوال. قال القرطبي: وهذا كله غلط من المفسرين، لأنه أمية والوليد كانا بمكة، وابن أم مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما، وماتا كافرين، أحدهما قبل الهجرة والآخر في بدر، ولم يقصد قط أمية المدينة، ولا حضر معه مفردا ولا مع أحد. انتهى. والغلط من القرطبي، كيف ينفي حضور ابن أم مكتوم معهما؟ وهو وهم منه، وكلهم من قريش، وكان ابن أم مكتوم بها. والسورة كلها مكية بالإجماع. وكيف يقول: وابن أم مكتوم بالمدينة؟ كان أولا بمكة، ثم هاجر إلى المدينة، وكانوا جميعهم بمكة حين نزول هذه الآية. وابن أم مكتوم هو عبد الله بن سرح بن مالك بن ربيعة الفهري، من بني عامر بن لؤي، وأم مكتوم أم أبيه عاتكة، وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٠/٣٦٧

وما عليك ألا يزكى: تحقير لأمر الكافر وحض على الإعراض عنه وترك الاهتمام به، أي: وأي شيء عليك في كونه لا يفلح ولا يتطهر من دنس الكفر؟ وأما من جاءك يسعى: أي يمشي بسرعة في أمر دينه، وهو يخشى: أي يخاف الله، أو يخاف الكفار وأذاهم، أو يخاف العثار والسقوط لكونه أعمى، وقد جاء بلا قائد يقوده. تلهى:

---

(١) سورة غافر: ٤٠/ ٣٧.." [١]

"صفة لله تعالى: الأكرم، والرشيد، وفخر السعداء، وسعيد السعداء، والشيخ الرشيد، فيا لها مخزية على من يدعوهم بها. يجدون عقباها يوم عرض الأقوال والأفعال، ومفعولا علم محذوفان، إذ المقصود إسناد التعليم إلى الله تعالى. وقدر بعضهم الذي علم الخط، بالقلم: وهي قراءة تعزى لابن الزبير، وهي عندي على سبيل التفسير، لا على أنها قرآن لمخالفتها سواد المصحف. والظاهر أن المعلم كل من كتب بالقلم. وقال الضحاك: إدريس، وقيل: آدم لأنه أول من كتب. والإنسان في قوله: علم الإنسان، الظاهر أنه اسم الجنس. عدد عليه اكتساب العلوم بعد الجهل بها

وقيل: الرسول عليه الصلاة والسلام.

كلا إن الإنسان ليطغى:

نزلت بعد مدة في أبي جهل، ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة، ونهاه عن الصلاة في المسجد فروي أنه قال: لئن رأيت محمدا يسجد عند الكعبة لأطأن على عنقه. فيروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليه وانتهره وتوعده، فقال أبو جهل:

أيتوعدني محمد! والله ما بالوادي أعظم ناديا مني. ويروى أنه هم أن يمنعه من الصلاة، فكف عنه.

كلا: ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه، وإن لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه، إن الإنسان ليطغى: أي يجاوز الحد، أن رآه استغنى: الفاعل ضمير الإنسان، وضمير المفعول عائد عليه أيضا، ورأى هنا من رؤية القلب، يجوز أن يتحد فيها الضميران متصلين فتقول: رأيتني صديقك، وفقد وعدم بخلاف غيرها، فلا يجوز: زيد ضربه، وهما ضميرا زيد. وقرأ الجمهور: أن رآه بألف بعد الهمزة، وهي لام الفعل وقيل: بخلاف عنه بحذف الألف، وهي رواية ابن مجاهد عنه، قال: وهو غلط لا يجوز، وينبغي أن لا يغلطه، بل يتطلب

---

(١)<البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٠/٤٠٧

له وجها، وقد حذفت الألف في نحو من هذا، قال:
وصاني العجاج فيما وصني يريد:
وصاني، فاحذف الألف، وهي لام الفعل، وقد حذفت في مضارع رأى في قولهم: أصاب الناس جهد ولو تر أهل مكة، وهو حذف لا ينقاس لكن إذا صحت الرواية به وجب قبوله، والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها. إن إلى ربك الرجعى
: أي الرجوع، مصدر على وزن فعلى، الألف فيه للتأنيث، وفيه وعيد للطاغي المستغني، وتحقير لما هو فيه من حيث ما آله إلى البعث والحساب والجزاء على طغيانه.
أرأيت الذي ينهى، عبدا إذا صلى: تقدم أنه أبو جهل. قال ابن عطية: ولم يختلف أحد من المفسرين أن الناهي أبو جهل، وأن العبد المصلي وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم،." (١)

"أي: للإسلام، قال ذلك لما ارتدت كندة مع الأشعث بن قيس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وقال آخر في الفتح:
شرائع السلم قد بانت معالمها ... فما يرى الكفر إلا من به خبل
يريد: الإسلام، لأنه قابله بالكفر، وقيل بالكسر: الإسلام وبالفتح: الصلح.
كافة: هو اسم فاعل استعمل بمعنى: جميعا، وأصل اشتقاقه من كف الشيء: منع من أخذه، والكف المنع، ومنه كفة القميص حاشيته، ومنه الكف وهو طرف اليد لأنه يكف بها عن سائر البدن، ورجل مكفوف منع بصره أن ينظر، ومنه كفة الميزان لأنها تمنع الموزون أن ينتشر، وقال بعض اللغويين: كفة بالضم لكل مستطيل، وبالكسر لكل مستدير، وكافة: مما لزم انتصابه على الحال نحو: قاطبة، فإخراجها عن النصب حالا لحن.
التزيين: التحسين، والزينة مما يتحسن به ويتجمل، وفعل من الزين بمعنى الفعل المجرد، والتضعيف فيه ليس للتعدية، وكونه بمعنى المجرد وهو أحد المعاني التي جاءت لها فعل كقولهم: قدر الله، وقدر. وميز وماز، وبشر وبشر، ويبنى من الزين افتعل افتعال:
ازدان بإبدال التاء دالا، وهو لازم.
واذكروا الله في أيام معدودات هذا رابع أمر بالذكر في هذه الآية، والذكر هنا التكبير عند الجمرات وإدبار

---
(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٠٨/١٠

الصلاة وغير ذلك من أوقات الحج، أو التكبير عقيب الصلوات المفروضة، قولان. وعن عمر أنه كان يكبر بفسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق، وفي الطواف، والأيام المعدودات ثلاثة أيام بعد يوم النحر، وليس يوم النحر من المعدودات، هذا مذهب الشافعي، وأحمد، ومالك وأبي حنيفة، قاله: ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وإبراهيم، وقتادة، والسدي، والربيع، والضحاك.

أو يوم النحر ويومان بعده، قاله: ابن عمر، وعلي، وقال: اذبح في أيها شئت، أو يوم النحر وثلاثة أيام التشريق، قاله: المروزي.

أو أيام العشر، رواه مجاهد عن ابن عباس، قيل: وقولهم أيام العشر، **غلط** من الرواة، وقال ابن عطية: إما أن يكون من تصحيف النسخة، وإما أن يريد الشعر الذي بعد يوم النحر، وفي ذلك بعد.." (١)

"وقرأ الباقون بفتح همزة: أن، وهي الناصبة، وفتح راء فتذكر عطفا على: أن تضل وسكن الذال وخفف الكاف ابن كثير، وأبو عمرو. وفتح الذال، وشدد الكاف الباقون من السبعة.

وقرأ الجحدري وعيسى بن عمران: تضل، بضم التاء وفتح الضاد مبنيا للمفعول، بمعنى: تنسى، كذا حكى عنهما الداني. وحكى النقاش عن الجحدري: أن تضل، بضم التاء وكسر الضاد، بمعنى أن تضل الشهادة، تقول: أضللت الفرس والبعير إذا اذهبا فلم تجدهما.

وقرأ حميد بن عبد الرحمن، ومجاهد: فتذكر، بتخفيف الكاف المكسورة، ورفع الراء، أي فهي: تذكر. وقرأ زيد بن أسلم: فتذاكر، من المذاكرة.

والجملة الشرطية من قوله أن تضل إحداهما فتذكر على قراءة الأعمش وحمزة قال ابن عطية: في موضع رفع بكونه صفة للمذكر، وهما المرأتان. انتهى. كان قد قدم أن قوله ممن ترضون من الشهداء في موضع الصفة لقوله فرجل وامرأتان فصار نظير:

جاءني رجل وامرأتان عقلاء حبليان، وفي جواز مثل هذا التركيب نظر، بل الذي تقتضيه الأقيسة تقديم حبليان على عقلاء، وأما على قول من أعرب: ممن ترضون، بدلا من:

رجالكم، وعلى ما اخترناه من تعلقه بقوله: واستشهدوا، فلا يجوز أن تكون جملة الشرط صفة لقوله: وامرأتان، للفصل بين الموصوف والصفة بأجنبي، وأما: أن تضل، بفتح الهمزة، فهو في موضع المفعول من أجله، أي لأن تضل على تنزيل السبب، وهو الإضلال.

منزلة المسبب عنه، وهو الإذكار، كما ينزل المسبب منزلة السبب لالتباسهما واتصالهما، فهو كلام محمول

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣١٨/٢

على المعنى، أي: لأن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت، ونظيره:
أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه، وأعددت السلاح أن يطرق العدو فأدفعه، ليس إعداد الخشبة لأجل الميل إنما إعدادها لإدعام الحائط إذا مال، ولا يجوز أن يكون التقدير: مخالفة أن تضل، لأجل عطف فتذكر عليه.
وقال النحاس: سمعت علي بن سليمان يحكي عن أبي العباس أن التقدير: كراهة أن تضل، قال أبو جعفر: وهذا غلط، إذ يصير المعنى كراهة أن تذكر. ومعنى الضلال هنا هو عدم الاهتداء للشهادة لنسيان أو غفلة، ولذلك قوبل بقوله: فتذكر، وهو من الذكر، وأما ما روي عن أبي عمرو بن العلاء، وسفيان بن عيينة من أن قراءة التخفيف، فتذكر، معناه:." [١]

"قال ابن مجاهد: وهذه الترجمة غلط. وروى سليم عن حمزة إشمام الهمزة الضم، وفي الإشارة والإشمام المذكورين نظر.
وقرأ ابن محيصن، وورش بإبدال الهمزة ياء، كما أبدلت في بئر وذئب، وأصل هذا الفعل: أؤتمن، بهمزتين: الأولى همزة الوصل، وهي مضمومة. والثاني: فاء الكلمة، وهي ساكنة، فتبدل هذه واوا لضمة ما قبلها، ولاستثقال اجتماع الهمزتين، فإذا اتصلت الكلمة بما قبلها رجعت الواو إلى أصلها من الهمزة، لزوال ما أوجب إبدالها. وهي همزة الوصل، فإذا كان قبلها كسرة جاز إبدالها ياء لذلك.
وقرأ عاصم في شاذه: اللذتمن، بإدغام التاء المبدلة من الهمزة قياسا على: اتسر، في الافتعال من اليسر. قال الزمخشري: وليس بصحيح، لأن التاء منقلبة عن الهمزة في حكم الهمزة، واتزر عامي، وكذلك ريا في رؤيا. انتهى كلامه.
وما ذكر الزمخشري فيه أنه ليس بصحيح، وأن اتزر عامي يعني: أنه من إحداث العامة، لا أصل له في اللغة، قد ذكره غيره، أن بعضهم أبدل وأدغم، فقال: اتمن واتزر، وذكر أن ذلك لغة رديئة. وأما قوله: وكذلك ريا في رؤيا، فهذا التشبيه إما أن يعود إلى قوله: واتزر عامي، فيكون إدغام ريا عاميا. وإما أن يعود إلى قوله: فليس بصحيح، أي:
وكذلك إدغام: ريا، ليس بصحيح. وقد حكى الإدغام في ريا الكسائي.
وليتق الله ربه أي عذاب الله في أداء ما ائتمنه رب المال، وجمع بين قوله: الله ربه، تأكيدا لأمر التقوى في أداء الدين كما جمعهما في قوله: وليملل الذي عليه الحق فأمر بالتقوى حين الإقرار بالحق، وحين أداء ما

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٧٣٣/٢

لزمه من الدين، فاكتنفه الأمر بالتقوى حين الأخذ وحين الوفاء.
ولا تكتموا الشهادة هذا نهي تحريم، ألا ترى إلى الوعيد لمن كتمها؟ وموضع النهي حيث يخاف الشاهد ضياع الحق. وقال ابن عباس: على الشاهد أن يشهد حيث ما استشهد، ويخبر حيث ما استخبر. ولا تقل: أخبر بها عن الأمير، بل أخبره بها لعله يرجع ويرعوي.
وقرأ السلمي: ولا يكتموا، بالياء على الغيبة.
ومن يكتمها فإنه آثم قلبه كتم الشهادة هو إخفاؤها بالامتناع من أدائها، والكتم." (١)

"رجم: رمى وقذف، ومنه رجما بالغيب «١» أي: رميا به من غير تيقن، والحديث المرجم هو: المظنون ليس فيه يقين.
والرجيم: يحمل أن يكون للمبالغة من فاعل، أي إنه يرمي ويقذف بالشر والعصيان في قلب ابن آدم، ويحتمل أن يكون بمعنى: مرجوم، أي يرجم بالشهب أو يبعد ويطرد.
الكفالة: الضمان، يقال: كفل يكفل فهو كافل وكفيل، هذا أصله ثم يستعار للضم والقيام على الشيء.
زكريا: أعجمي شبه بما فيه الألف الممدودة والألف المقصورة فهو ممدود ومقصور، ولذلك يمتنع صرفه نكرة، وهاتان اللغتان فيه عند أهل الحجاز، ولو كان امتناعه للعلمية والعجمة انصرف نكرة. وقد ذهب إلى ذلك أبو حاتم، وهو **غلط** منه، ويقال: ذكرى بحذف الألف، وفي آخره ياء كياء بحتى، منونة فهو منصرف، وهي لغة نجد، ووجهه فيما قال أبو علي: إنه حذف ياءي الممدود والمقصور، وألحقه ياءي النسب يدل على ذلك صرفه، ولو كانت الياءان هما اللتين كانتا في زكري، لوجب أن لا يصرف للعجمة والتعريف.
انتهى كلامه. وقد حكي: ذكر على وزن: عمر، وحكاها الأخفش.
المحراب: قال أبو عبيدة: سيد المجالس وأشرفها ومقدمها، وكذلك هو من المسجد، وقال الأصمعي: الغرفة وقال:
وماذا عليه أن ذكرت أوانسا ... كغزلان رمل في محاريب أقيال
شرحه الشراح في غرف أقيال. وقال الزجاج: الموضع العالي الشريف. وقال أبو عمرو بن العلاء: القصر، لشرفه وعلوه. وقيل: المسجد. وقيل: محرابه المعهود سمي بذلك لتحارب الناس عليه وتنافسهم فيه، وهو مقام الإمام من المسجد.
هنا: اسم إشارة للمكان القريب، والتزم فيه الظرفية إلا أنه يجر بحرف الجر، فإن ألحقته كاف الخطاب دل

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٧٤٥/٢

على المكان البعيد. وبنو تميم تقول: هناك، ويصح دخول حرف التنبيه عليه إذا لم تكن فيه اللام، وقد يراد بها ظرف الزمان.

النداء: رفع الصوت، وفلان أندى صوتا، أي أرفع، ودار الندوة لأنهم كانوا ترتفع أصواتهم بها، والمنتدى والنادي مجتمع القوم منه، ويقال: نادى مناداة ونداء ونداء، بكسر النون وضمها. قيل: فبالكسر المصدر، وبالضم اسم، وأكثر ما جاءت الأصوات على

---

(١) سورة الكهف: ١٨/ ٢٢.." (١)

"أن يكون السامع من أهل الإسلام، وبينه قولهم: ليس علينا في الأميين سبيل فجمع الأميين وهم أتباع النبي الأمي.

وقرأ أبي بن كعب: تئمنه، في الحرفين، و: تئمنا، في يوسف. وقرأ ابن مسعود، والأشهب العقيلي، وابن وثاب: تيمنه، بتاء مكسورة وياء ساكنة بعدها، قال الداني: وهي لغة تميم. وأما إبدال الهمزة ياء في: تئمنه، فلكسرة ما قبلها كما أبدلوا في بئر.

وقد ذكرنا الكلام على حروف المضارعة من: فعل، ومن: ما أوله همزة وصل عند الكلام على قوله نستعين «١» فأغنى عن إعادته.

وقال: ابن عطية، حين ذكر قراءة أبي: وما أراها إلا لغة: قرشية، وهي كسر نون الجماعة: كنستعين، وألف المتكلم، كقول ابن عمر: لا إخاله، وتاء المخاطب كهذه الآية، ولا يكسرون الياء في الغائب، وبها قرأ أبي في: تئمنه. انتهى. ولم يبين ما يكسر فيه حروف المضارعة بقانون كلي، وما ظنه من أنها لغة قرشية ليس كما ظن. وقد بينا ذلك في نستعين «٢» وتقدم تفسير: القنطار، في قوله: والقناطير المقنطرة «٣» .

وقرأ الجمهور: يؤده، بكسر الهاء ووصلها بياء. وقرأ قالون باختلاس الحركة، وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر، وحمزة، والأعمش بالسكون. قال أبو إسحاق: وهذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بين، لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم، وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن في الوصل. وأما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة، فغلط عليه كما غلط عليه في:

بارئكم، وقد حكى عنه سيبويه، وهو ضابط لمثل هذا، أنه كان يكسر كسرا خفيفا. انتهى كلام ابن إسحاق.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٠٧/٣

وما ذهب إليه أبو إسحاق من أن الإسكان **غلط** ليس بشيء، إذ هي قراءة في السبعة، وهي متواترة، وكفى أنها منقولة من إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء. فإنه عربي صريح، وسامع لغة، وإمام في النحو، ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا.

وقد أجاز ذلك الفراء وهو إمام في النحو واللغة. وحكى ذلك لغة لبعض العرب تجزم في الوصل و القطع.

وقد روى الكسائي أن لغة عقيل وكلاب: أنهم يختلسون الحركة في هذه الهاء إذا كانت بعد متحرك، وأنهم يسكنون أيضا. قال الكسائي: سمعت أعراب عقيل وكلاب

(٢- ١) سورة الفاتحة: ١/ ٢.

(٣) سورة آل عمران: ٣/ ١٤.." [1]

"لا يثيبهم على أعمالهم من الخير، ولا يقبل منهم الافتداء من العذاب. قال ابن عطية:

وهذا قول حسن. انتهى.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يراد: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا كان قد تصدق به، ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه. انتهى. وهذا معنى قول الزجاج، إلا أنه لم يقيد الافتداء بالآخرة.

وحكى صاحب (ري الظمآن) وغيره عن الزجاج أنه قال: معنى الآية: لو افتدى به في الدنيا مع إقامته على الكفر لن يقبل منه، والذي يظهر أن انتفاء القبول، ولو على سبيل الفدية، إنما يكون ذلك في الآخرة. وبينه ما ثبت

في (صحيح) البخاري من حديث أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يحاسب الكافر يوم القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت أيسر من ذلك» .

وهذا الحديث يبين أن قوله: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به هو على سبيل الفرض والتقدير أي: لو أن الكافر قدر على أعز الأشياء، ثم قدر على بذله، لعجز أن يتوسل بذلك إلى تخليص نفسه من عذاب الله. والمعنى: أنهم آيسون من تخليص أنفسهم من العذاب. فهو نظير ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا «١» ونظير يود المجرم لو يفتدي «٢» الآيتين، وعلى هذا يبعد ما قاله الزجاج من أن يكون المعنى: أنهم لو أنفقوا في الدنيا ملء الأرض ذهبا لم يقبل ذلك، لأن الطاعة مع الكفر لا تكون

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٢٢١

مقبولة.

وافتدى: افتعل من الفدية. قيل: وهو بمعنى فعل، كشوى واشتوى، ومفعوله محذوف، ويحتاج في تعدية افتدى إلى سماع من العرب، والضمير في: به، عائد على:

ملء الأرض، وهو: مقدار ما يملؤها، ويوجد في بعض التفاسير أنه عائد على: الملء، أو:

على الذهب. فقيل: على الذهب غلط.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يراد: ولو افتدى بمثله، لقوله: ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه «٣» والمثل يحذف كثيرا في كلامهم، كقولك: ضربت ضرب زيد، تريد: مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة، تريد: مثله.

ولا هيثم الليلة للمطي

(٣- ١) سورة الزمر: ٣٩/ ٤٧.

(٢) سورة المعارج: ٧٠/ ١١.." [1]

"تأتيهم انتهى. وقد رد بعضهم قول الكسائي والفراء فقال: حذف المفعول الثاني من هذه الأفعال لا يجوز عند أحد، فهو **غلط** منهما انتهى.

وقد أشبعنا الكلام في حذف أحد مفعولي ظن اختصارا فيما تقدم من قول الزمخشري في قوله: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا «١» إن تقديره: ولا تحسبنهم. وذكرنا هناك أن مذهب ابن ملكون أنه لا يجوز ذلك، وأن مذهب الجمهور الجواز لكنه عزيز جدا بحيث لا يوجد في لسان العرب إلا نادرا وأن القرآن ينبغي أن ينزه عنه. وعلى البدل خرج هذه القراءة أبو إسحاق الزجاج، لكن ظاهر كلامه أنها بنصب خير.

قال: وقد قرأ بها خلق كثير، وساق عليها مثالا قول الشاعر:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

بنصب هلك الثاني على أن الأول بدل، وعلى هذا يكون: أنما نملي بدل، وخيرا:

المفعول الثاني أي إملائنا خيرا. وأنكر أبو بكر بن مجاهد هذه القراءة التي حكاها الزجاج، وزعم أنه لم يقرأ بها أحد. وابن مجاهد في باب القراءات هو المرجوع إليه.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٢٥٧

وقال أبو حاتم: سمعت الأخفش يذكر قبح أن يحتج بها لأهل القدر لأنه كان منهم، ويجعله على التقديم والتأخير كأنه قال: ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم ليزدادوا إثما، أنما نملي لهم خير لأنفسهم انتهى. وعلى مقالة الأخفش يكون إنما نملي لهم ليزدادوا إثما في موضع المفعول الثاني، وإنما نملي لهم خير مبتدأ وخبر، أي إملاؤنا لهم خير لأنفسهم. وجاز الابتداء بأن المفتوحة، لأن مذهب الأخفش جواز ذلك. ولإشكال هذه القراءة زعم أبو حاتم وغيره أنها لحن وردوها. وقال أبو علي الفارسي: ينبغي أن تكون الألف من إنما مكسورة في هذه القراءة، وتكون إن وما دخلت عليه في موضع المفعول الثاني. وقال مكي في مشكله: ما علمت أحدا قرأ تحسبن بالتاء من فوق، وكسر الألف من إنما. وقرأ باقي السبعة والجمهور يحسبن بالياء، وإعراب هذه القراءة ظاهر، لأن الفاعل هو الذين كفروا، وسدت أنما نملي لهم خير مسد مفعولي يحسبن كما تقول: حسبت أن زيدا قائم. وتحتمل ما في هذه القراءة وفي التي قبلها أن تكون موصولة بمعنى الذي، ومصدرية، أي: أن الذي نملي، وحذف العائد أي: عليه وفيه شرط جواز الحذف من كونه

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١٦٩.." (١)

"بين: لا تحسبن، وبين بمفازة، فأعيدت الجملة، وصار المعنى على هذا التقدير، أن لم تستطيعوا أن تعدلوا فانكحوا واحدة. قال: وقد ثبت أنهم لا يستطيعون العدل بقوله: ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم «١» انتهى هذا القول وهو منسوب إلى أبي علي. ولعله لا يصح عنه، فإن أبا علي كان من علم النحو بمكان، وهذا القول فيه إفساد نظم القرآن التركيبي، وبطلان للأحكام الشرعية: لأنه إذا أنتج من الآيتين هذه وقوله: ولن تستطيعوا بما نتج من الدلالة، اقتضى أنه لا يجوز أن يتزوج غير واحدة، أو يتسرى بما ملكت يمينه. ويبقى هذا الفصل بالاعتراض بين الشرط وبين جوابه لغوا لا فائدة له على زعمه. والعدل المنفي استطاعته غير هذا العدل المنفي هنا، ذاك عدل في ميل القلب وقد رفع الحرج فيه عن الإنسان، وهذا عدل في القسم والنفقة. ولذلك نفيت هناك استطاعته، وعلق هنا على خوف انتفائه، لأن الخوف فيه رجاء وظن غالبا. وانتزع الشافعي من قوله:

فواحدة أو ما ملكت أيمانكم، أن الاشتغال بنوافل العبادات أفضل من الاشتغال بالنكاح، خلافا لأبي حنيفة، إذ عكس. ووجه انتزاعه ذلك واستدلاله بالآية أنه تعالى خير بين تزوج الواحدة والتسري، والتخيير

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٤٤/٣

بين الشيئين مشعر بالمساواة بينهما في الحكمة المطلوبة، والحكمة سكون النفس بالأزواج، وتحصين الدين ومصالح البيت، وكل ذلك حاصل بالطريقين، وأجمعنا على أن الاشتغال بالنوافل أفضل من التسري، فوجب أن يكون أفضل من النكاح، لأن الزائد على المتساويين يكون زائدا على المساوي الثاني لا محالة.

ذلك أدنى ألا تعولوا الإشارة إلى اختيار الحرة الواحدة والأمة. أدنى من الدنو أي: أقرب أن لا تعولوا، أي: أن لا تميلوا عن الحق. قاله: ابن عباس، وقتادة، والربيع بن أنس، وأبو مالك، والسدي. وقال مجاهد: لا تضلوا. وقال النخعي:

لا تخونوا.

وقالت فرقة منهم زيد بن أسلم وابن زيد والشافعي: معناه لا يكثر عيالكم. وقد رد على الشافعي في هذا القول من جهة المعنى ومن جهة اللفظ، أما من جهة المعنى فقال أبو بكر بن داود والرازي ما معناه: غلط الشافعي، لأن صاحب الإماء في العيال كصاحب الأزواج. وقال الزجاج: إن الله قد أباح كثرة السراري، وفي ذلك تكثير العيال، فكيف يكون أقرب إلى أن لا يكثروا؟ وقال صاحب النظم: قال: أولا أن لا تعدلوا يجب أن يكون ضد العدل هو الجور، وأما من جهة اللفظ ويقتضي أيضا الرد من جهة المعنى، فتفسير الشافعي

---

(١) سورة النساء: ٤/ ١٢٩.." (١)

"استحبت له، ومن لا يقدر على إظهار دينه ولا على الحركة كالشيخ الفاني والزمن، لا يستحب له.

فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا أي. فإن تولوا عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم الكفار يقتلون حيث وجدوا في حل وحرم، وجانبوهم مجانبة كلية، ولو بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم.

إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم هذا استثناء من قوله: فخذوهم واقتلوهم، والوصول هنا:

البلوغ إلى قوم. وقيل: معناه ينتسبون قاله أبو عبيدة. وأنشد الأعشى:

إذا اتصلت قالت لبكر بن وائل ... وبكر سبتها والأنوف رواغم

وقال النحاس: هذا غلط عظيم، لأنه ذهب إلى أنه تعالى حظر أن يقاتل أحد بينه وبين المسلمين نسب والمشركون قد كان بينهم وبين المسلمين السابقين أنساب. يعني:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٥٠٨

وقد قاتل الرسول ومن معه من انتسب إليهم بالنسب الحقيقي، فضلا عن الانتساب. قال النحاس: وأشد من هذا الجهل قول من قال: إنه كان ثم نسخ، لأن أهل التأويل مجمعون على أن الناسخ له براءة، وإنما نزلت بعد الفتح، وبعد أن انقطعت الحروب، ووافقه على ذلك الطبري.

وقال القرطبي: حمل بعض أهل العلم معنى ينتسبون على الأمان، أو أن ينتسب إلى أهل الأمان، لا على معنى النسب الذي هو القرابة انتهى. قال عكرمة: إلى قوم هم قوم هلال بن عويمر الأسلمي، وادع الرسول على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن لجأ إليهم فله مثل ما لهلال. وروي عن ابن عباس: أنهم بنو بكر بن زيد مناة. والجمهور على أنهم خزاعة وذو خزاعة. وقال مقاتل: خزاعة وبنو مدلج.

وقال ابن عطية: كان هذا الحكم في أول الإسلام قبل أن يستحكم أمر الطاعة من الناس، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هادن من العرب قبائل كرهط هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقة بن مالك بني جعشم، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف، فقضت هذه الآية أنه من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلى هؤلاء أهل العهد، ودخل في عدادهم، وفعل فعلهم من الموادعة، وفعل فعلهم من الموادعة، فلا سبيل عليه

. قال عكرمة والسدي وابن زيد: ثم لما تقوى الإسلام." (١)

"انتهى. وقال غيره: عزيزا أي قويا بالنقمة من اليهود، فسلط عليهم بطرس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة. حكيما حكم عليهم باللعنة والغضب. وقيل: عزيزا أي: لا يغالب، لأن اليهود حاولت بعيسى عليه السلام أمرا وأراد الله خلافه. حكيما أي: واضع الأشياء مواضعها. فمن حكمته تخليصه من اليهود، ورفعه إلى السماء لما يريد وتقتضيه حكمته تعالى.

وقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى عيسى على رأس ثلاثين سنة، ثم رفعه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فكانت نبوته ثلاث سنين. وقيل: بعث الله جبريل عليه السلام فأدخله خوخة فيها روزنة في سقفها، فرفعه الله تعالى إلى السماء من تلك الروزنة.

وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته إن هنا نافية، والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه، التقدير: وما أحد من أهل الكتاب. كما حذف في قوله: وإن منكم إلا واردها «١» والمعنى: وما من اليهود. وقوله: وما منا إلا له مقام معلوم «٢» أي: وما أحد منا إلا له مقام، وما أحد منكم إلا واردها. قال الزجاج: وحذف أحد لأنه مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو: ما قام إلا زيد، معناه ما قام أحد إلا زيد.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١١/٤

وقال الزمخشري:

ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه: وما منا إلا له مقام معلوم، وإن منكم إلا واردها. والمعنى: وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن به انتهى. وهو **غلط** فاحش إذ زعم أن ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره، وصفة أحد المحذوف إنما هو الجار والمجرور وهو من أهل الكتاب، والتقدير كما ذكرناه: وإن أحد من أهل الكتاب. وأما قوله: ليؤمنن به، فليست صفة لموصوف، ولا هي جملة قسمية كما زعم، إنما هي جملة جواب القسم، والقسم محذوف، والقسم وجوابه في موضع رفع خبر المبتدأ الذي هو أحد المحذوف، إذ لا ينتظم من أحد. والمجرور إسناد لأنه لا يفيد، و إنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها، فذلك هو محط الفائدة. وكذلك أيضا الخبر هو إلا له مقام، وكذلك إلا واردها، إذ لا ينتظم مما قبل إلا تركيب إسنادي. والظاهر أن الضميرين في: به، وموته، عائدان أن على عيسى وهو سياق الكلام، والمعنى: من أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله.

---

(١) سورة مريم: ١٩/ ٧١.

(٢) سورة الصافات: ٣٧/ ١٦٤.." [١]

"ذلك، ولا يحل للذكر نكاح توءمته، فولد مع قابيل أخت جميلة اسمها إقليميا، وولد مع هابيل أخت دون تلك اسمها لبوذا، فأبى قابيل إلا أن يتزوج توءمته لا توءمة هابيل وأن يخالف سنة النكاح إيثارا لجمالها، ونازع قابيل هابيل في ذلك، فقيل: أمرهما آدم بتقريب القربان. وقيل: تقربا من عند أنفسهما، إذ كان آدم غائبا توجه إلى مكة لزيارة البيت بإذن ربه. والقربان الذي قرباه: هو زرع لقابيل، وكان صاحب زرع، وكبش هابل وكان صاحب غنم، فتقبل من أحدهما وهو هابيل، ولم يتقبل من الآخر وهو قابيل. أي: فتقبل القربان، وكانت علامة التقبل أكل النار النازلة من السماء القربان المتقبل، وترك غير المتقبل. وقال مجاهد: كانت النار تأكل المردود، وترفع المقبول إلى السماء. وقال الزمخشري: يقال:

قرب صدقة وتقرب بها، لأن تقرب مطاوع قرب انتهى. وليس تقرب بصدقة مطاوع قرب صدقة، لاتحاد فاعل الفعلين، والمطاوعة يختلف فيها الفاعل، فيكون من أحدهما فعل، ومن الآخر انفعال نحو: كسرته فانكسر، وفلقته فانفلق، وليس قربت صدقة وتقربت بها من هذا الباب فهو **غلط** فاحش.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٢٩/٤

قال لأقتلنك هذا وعيد وتهديد شديد، وقد أبرز هذا الخبر مؤكدا بالقسم المحذوف أي: لأقتلنك حسدا على تقبل قربانك، وعلى فوزك باستحقاق الجميلة أختي.

وقرأ زيد بن علي: لأقتلنك بالنون الخفيفة.

قال إنما يتقبل الله من المتقين قال ابن عطية: قبله كلام محذوف تقديره: لم تقتلني وأنا لم أجن شيئا ولا ذنب لي في قبول الله قرباني؟ أما إني أتقيه؟

وكتب علي:

لأحب الخلق إنما يتقبل الله من المتقين

، وخطب الزمخشري هنا فقال: (فإن قلت) : كيف كان قوله: إنما يتقبل الله من المتقين، جوابا لقوله: لأقتلنك؟ (قلت) : لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له: إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى، لا من قبلي، فلم تقتلني؟ وما لك لا تعاقب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول، فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان. وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق، فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم. وعن عامر بن عبد الله: أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له: ما يبكيك فقد كنت وكنت: قال: إني أسمع الله يقول: إنما يتقبل الله من المتقين «١» انتهى

---

(١) سورة المائدة: ٥/ ٢٧.." (١)

"الأضراس عشرون، والأسنان اثنا عشر: أربع ثنايا، وأربع رباعيات، وأربع أنياب.

والخلاف إنما هو في الأضراس لا في الأسنان، ففي قضاء عمر الدية ثمانون، وفي قضاء معاوية مائة وستون. وعلى قول ابن المسيب مائة، وهي الدية كاملة من الإبل. وقال عطاء في الثنيتين والرباعيتين والنابين: خمس خمس، وفيما بقي بعيران بعيران، أعلى الفم وأسفله سواء. ولو قلعت سن صبي لم يثغر فنبتت فقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي:

لا شيء على القالع. إلا أن مالكا والشافعي قالا: إذا نبتت ناقصة الطول عن التي تقاربها أخذ له من أرشها بقدر نقصها. وقالت طائفة: فيها حكومة، وروي ذلك عن الشعبي، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه. ولو قلعت سن كبير فأخذ ديتها ثم نبتت فقال مالك: لا يرد ما أخذ. وقال أبو حنيفة وأصحابه: يرد، والقولان عن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٢٢٨

الشافعي. ولو قلعت سن قودا فردها صاحبها فالتحمت فلا يجب قلعها عند أبي حنيفة، وبه قال عطاء الخراساني وعطاء بن أبي رباح. وقال الشافعي وأحمد وإسحاق: يجبر على القلع، به قال ابن المسيب، ويعيد كل صلاة صلاها بها. وكذا لو قطعت أذنه فردها في حرارة الدم فالتزقت، وروي هذا القول عن عطاء أبو بكر بن العربي قال: وهو غلط. ولو قلع سنا زائدة فقال الجمهور: فيها حكومة، فإن كسر بعضها أعطى بحساب ما نقص منها، وبه قال: مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، وأحمد. قال الأدفوي: وما علمت فيه خلافا. وقال زيد بن ثابت: في السن الزائدة ثلث السن، ولو جنى على سن فاسودت ثم عقلها، روي ذلك عن زيد، وابن المسيب، وبه قال: الزهري، والحسن، وابن سيرين، وشريح، والنخعي، وعبد الملك بن مروان، وأبو حنيفة، ومالك، والثوري. وروي عن عمران: فيها ثلث ديتها، وبه قال: أحمد وإسحاق.

وقال النخعي والشافعي وأبو ثور: فيها حكومة، فإن طرحت بعد ذلك ففيها عقلها، وبه قال الليث وعبد العزيز بن أبي سلمة، وإن اسود بعضها كان بالحساب قاله: الثوري.

والجروح قصاص أي ذات قصاص. ولفظ الجروح عام، والمراد به الخصوص، وهو ما يمكن فيه القصاص. وتعرف المماثلة ولا يخاف فيها على النقص، فإن خيف كالمأمومة وكسر الفخذ ونحو ذلك فلا قصاص فيها. ومدلول: والجروح قصاص، يقتضي أن يكون الجرح بمثله، فإن لم يكن بمثله فليس بقصاص. واختلفوا في القصاص بين الرجال والنساء، وبين العبد والحر. وجميع ما عدا النفس هو من الجراحات التي أشار إليها بقوله:

والجروح قصاص، لكنه فصل أول الآية وأجمل آخرها ليتناول ما نص عليه وما لم ينص، فيحصل العموم. معنى: وإن لم يحصل لفظا. ومن جملة الجروح الشجاج فيما يمكن فيه." (١)

"الصيد المقتول وفي الظبي ثلاثة أيام وفي الإبل عشرون يوما وفي النعامة وحمار الوحش ثلاثون يوما قاله ابن عباس، وقال ابن جبير ثلاثة أيام إلى عشرة أيام والظاهر عدم تقييد الإطعام والصوم بمكان وبه قال جماعة من العلماء فحيث ما شاء كفر بهما، وقال عطاء وغيره الهدي والإطعام بمكة والصوم حيث شاء، وقرأ الجمهور أو عدل بفتح العين، وقرأ ابن عباس وطلحة بن مصرف والجحدري بكسرها وتقدم تفسيرها في أوائل البقرة.

والظاهر أن أو للتخيير أي ذلك فعل أجزأه موسرا كان أو معسرا وهو قول الجمهور، وقال ابن عباس وإبراهيم وحماد بن سلمة لا ينتقل إلى الإطعام إلا إذا لم يجد هديا ولا إلى الصوم إلا إن لم يجد ما يطعم والظاهر

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٧٥/٤

أن التخيير راجع إلى قاتل الصيد وهو قول الجمهور، وقال محمد بن الحسن الخيار إلى الحكمين والظاهر أن الواجب أحد هذه الثلاثة فلا يجمع بين الإطعام والصيام بأن يطعم عن يوم ويصوم في كفارة واحدة وأجاز ذلك أصحاب أبي حنيفة وانتصب صياما على التمييز على العدل كقولك على التمرة مثلها زبدا لأن المعنى أو قدر ذلك صياما.

ليذوق وبال أمره الذوق معروف واستعير هنا لما يؤثر من غرامة وإتعاب النفس بالصوم والوبال سوء عاقبة ما فعل وهو هتك حرمة الإحرام بقتل الصيد، قال الزمخشري ليذوق متعلق بقوله فجزاء أي فعليه أن يجازى أو يكفر ليذوق انتهى. وهذا لا يجوز إلا على قراءة من أضاف فجزاء أو نون ونصب مثل وأما على قراءة من نون ورفع مثل فلا يجوز أن تتعلق اللام به لأن مثل صفة لجزاء وإذا وصف المصدر لم يجز لمعموله أن يتأخر عن الصفة لو قلت أعجبني ضرب زيد الشديد عمرا لم يجز فإن تقدم المعمول على الوصف جاز ذلك والصواب أن تتعلق هذه القراءة بفعل محذوف التقدير جوزي بذلك ليذوق ووقع لبعض المعربين أنها تتعلق بعدل ذلك وهو غلط.

عفا الله عما سلف أي في جاهليتكم من قتلكم الصيد في الحرم.

قال الزمخشري: لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم، وكان الصيد فيها محرما انتهى. وقال ابن زيد: عما سلف لكم أيها المؤمنون من قتل الصيد قبل هذا النهي والتحريم.

ومن عاد فينتقم الله منه أي ومن عاد في الإسلام إلى قتل الصيد فإن كان مستحلا فينتقم الله منه في الآخرة ويكفر أو ناسيا لإحرامه كفر بإحدى الخصال الثلاث أو عاصيا بأن." (١)

"من آمن بالرسول، وقال مجاهد: هم الفرس والآية وإن كان قد فسر بها مخصوصون فمعناها عام في الكفرة والمؤمنين إلى يوم القيامة.

أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الإشارة بأولئك إلى المشار إليهم بأولئك الأولى وهم الأنبياء السابق ذكرهم وأمره تعالى أن يقتدي بهداهم، والهداية السابقة هي توحيد الله تعالى وتقديسه عن الشريك، فالمعنى فبطريقتهم في الإيمان بالله تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع، فإنها مختلفة فلا يمكن أن يؤمر بالاقتداء بالمختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها كلها هدى أبدا. وقال تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا «١» . وقال ابن عطية: ويحتمل أن تكون الإشارة بأولئك إلى قوما وذلك يترتب على بعض التأويلات في المراد بالقوم على بعضها انتهى، ويعني أنه إذا فسر

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٣٦٨

القوم بالأنبياء المذكورين أو بالملائكة فيمكن أن تكون الإشارة إلى قوم وإن فسروا بغير ذلك فلا يصح، وقيل: الاقتداء في الصبر كما صبر من قبله، وقيل: يحمل على كل هداهم إلا ما خصه الدليل، وقيل: في الأخلاق الحميدة من الصبر على الأذى والعفو، وقال: في ري الظمآن أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية بمكارم الأخلاق فأمر بتوبة آدم وشكر نوح ووفاء إبراهيم وصدق وعد إسماعيل وحلم إسحاق وحسن ظن يعقوب؟

واحتمال يوسف وصبر أيوب وإثابة داود وتواضع سليمان وإخلاص موسى وعبادة زكريا وعصمة يحيى وزهد عيسى، وهذه المكارم التي في جميع الأنبياء اجتمعت في الرسول صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ولذلك وصفه تعالى بقوله: وإنك لعلى خلق عظيم «٢» .

وقال الزمخشري: فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا يقتدى إلا بهم، وهذا بمعنى تقديم المفعول وهذا على طريقته في أن تقديم المفعول يوجب الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك في الكلام على إياك نعبد «٣» . وقرأ الحرميان وأهل حرميهما وأبو عمرو اقتده بالهاء ساكنة وصلا ووقفا وهي هاء السكت أجروها وصلا مجراها وقفا، وقرأ الأخوان بحذفها وصلا وإثباتها وقفا وهذا هو القياس، وقرأ هشام اقتده باختلاس الكسرة في الهاء وصلا وسكونها وقفا، وقرأ ابن ذكوان بكسرها ووصلها بياء وصلا وسكونها وقفا ويؤول على أنها ضمير المصدر لا هاء السكت، وتغليط ابن مجاهد قراءة الكسر **غلط** منه وتأويلها على أنها هاء السكت ضعيف.

---

(١) سورة المائدة: ٥/ ٤٨.

(٢) سورة القلم: ٦٨/ ٤.

(٣) سورة الفاتحة: ١/ ٤.." [1]

"وقرأ الأخوان: إلا أن يأتيهم بالياء. وقرأ ابن عمرو وابن سيرين وأبو العالية يوم تأتي بعض بالتاء مثل تلتقطه بعض السيارة وابن سيرين لا تنفع نفسا. قال أبو حاتم: ذكروا أنها **غلط** منه. وقال النحاس: في هذا شيء دقيق ذكره سيبويه وذلك أن الإيمان والنفس كل منهما مشتمل على الآخر فأنث الإيمان إذ هو من النفس وبها وأنشد سيبويه رحمه الله:

مشين كما اهتزت رماح تسفهت ... أعاليها مر الرياح النواسم

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٥٧٨

انتهى.
وقال الزمخشري: وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه لقوله: ذهبت بعض أصابعه انتهى. وهو **غلط** لأن الإيمان ليس بعضا للنفس ويحتمل أن يكون أنث على معنى الإيمان وهو المعرفة أو العقيدة، فكان مثل جاءته كتابي فاحتقرها على معنى الصحيفة ونصب يوم تأتي بقوله: لا ينفع وفيه دليل على تقدم معمول الفعل المنفي بلا على لا خلافا لمن منع. وقرأ زهير القروي يوم يأتي بالرفع والخبر لا ينفع والعائد محذوف أي لا ينفع فيه وإن لم يكن صفة وجاز الفصل بالفاعل بين الموصوف وصفته لأنه ليس بأجنبي إذ قد اشترك الموصوف الذي هو المفعول والفاعل في العامل، فعلى هذا يجوز ضرب هندا غلامها التميمية ومن جعل الجملة حالا أبعد ومن جعلها مستأنفة فهو أبعد.
قل انتظروا إنا منتظرون أي انتظروا ما تنتظرون إنا منتظرون ما يحل بكم وهو أمر تهديد ووعيد من قال: إنه أمر بالكف عن القتال فهو منسوخ عنده بآية السيف.
إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون لما ذكر تعالى أن صراطه مستقيم ونهى عن اتباع السبل وذكر موسى عليه السلام وما أنزل عليه وذكر القرآن وأمر باتباعه وذكر ما ينتظر الكفار مما هو كائن بهم، انتقل إلى ذكر من اتبع السبل فتفرقت به عن سبيل الله لينبه المؤمنين على الائتلاف على الدين القويم، ولئلا يختلفوا كما اختلف من قبلهم من الأمم بعد أن كانوا متفقين على الشرائع التي بعث أنبياؤهم بها والذين فرقوا دينهم الحرورية أو أهل الضلالة من هذه الأمة أو أصحاب البدع أو الأهواء منهم، وهو قول الأحوص وأم سلمة أو اليهود أو هم والنصارى وهو قول ابن عباس والضحاك وقتادة، أي فرقوا دين إبراهيم الحنيف أو هم مشركو العرب أو الكفار وأهل البدع أقوال ستة. وافتراق النصارى إلى ملكية ويعقوبية ونسطورية." (١)
"لا يدخله ريب لما أتى به من هذا المعجز الخارق العظيم فلا يحتاج أن يسأل عن رسالته ولا أن يستفهم عن العلم بإرساله فأخبروا بأنهم مؤمنون بما أرسل به لأنه لا يلزم بعد وضوح رسالته إلا التصديق بما جاء به وتضمن كلامهم العلم بأنه مرسل من الله تعالى.
قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون فالذي آمنتم به هو من حيث المعنى بما أرسل به لكنه من حيث اللفظ أعم قصدوا الرد لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما.
فعقروا الناقة نسب العقر إلى الجميع وإن كان صادرا عن بعضهم لما كان عقرها عن تمالئ واتفاق حتى

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٧٠٠

روي أن قدارا لم يعقرها إلا عن مشاورة الرجال والنساء والصبيان فأجمعوا على ذلك وسبب عقرها أنها كانت إذا وقع الحر نصبت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تلبث ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وكانت تستوفي ماءهم شربا ويحلبونها ما شاء الله حتى ملوها وقالوا ما نصنع باللبن الماء أحب إلينا منه وقال لهم صالح يوما إن هذا الشهر يولد فيه مولود يكون هلاككم على يديه فولد لعشرة نفر فذبح التسعة أولادهم وبقي العاشر وهو سالف بن قدار وكان قدار أحمر أزرق قصيرا

ولذلك قال بعض شعراء الجاهلية:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

قال الشراح **غلط** وإنما هو أحمر ثمود وهو قدار وكان يشب في اليوم شباب غيره في السنة وكان التسعة إذا رأوه قالوا: لو عاش بنونا كانوا مثل هذا فأحفظهم أن قتلوا أولادهم بكلام صالح فأجمعوا على قتله فكمنوا له في غار ليبيتوه، ويأتي خبر التبييت وما جرى لهم في سورة النمل إن شاء الله،

وروي أن السبب في عقرها أن امرأتين من ثمود من أعداء صالح وهما عنيزة بنت غنم أم مجلز زوجة ذؤاب بن عمرو وتكنى أم غنم عجوز ذات بنات حسان ومال من إبل وبقر وغنم وصدوف بنت المحيا جميلة غنية ذات مواش كثيرة فدعت عنيزة على عقرها قدارا على أن تعطيه أي بناتها شاء وكان عزيزا منيعا في قومه ودعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب إلى ذلك وعرضت نفسها عليه إن فعل فأبى فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا لذلك وجعلت له نفسها فأجاب قدار ومصدع واستغويا سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وكمن قدار في أصل صخرة ومصدع في أصل أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم عنيزة بابنتها وكانت من أحسن النساء فسفرت لقدار ثم مرت الناقة به." (١)

"قالوا أرجه وأخاه أي قال من حضر مناظرة موسى من عقلاء ملأ فرعون وأشرافه قيل: ولم يكن يجالس فرعون ولد غية وإنما كانوا أشرافا ولذلك أشاروا عليه بالإرجاء ولم يشيروا بالقتل وقالوا: إن قتلته دخلت على الناس شبهة ولكن اغلبه بالحجة وقرىء بالهمز وبغير همز فقيل هما بمعنى واحد، وقيل المعنى احبسه، وقيل أرجه بغير همز أطمعه جعله من رجوت أدخل عليه همزة الفعل أي أطمعه وأخاه ولا تقتلهما حتى يظهر كذبهما فإنك إن قتلتهما ظن أنهما صدقا ولم يجر لهارون ذكر في صدر القصة وقد تبين من غير آية

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٩٥/٥

أنهما ذهبا معا وأرسلا إلى فرعون ولما كان موافقا له في دعواه ومؤازرا أشاروا بإرجائهما، وقرأ ابن كثير وهشام أرجئهو بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وأبو عمرو كذلك إلا أنه لم يصل، وروي هذا عن هشام وعن يحيى عن أبي بكر، وقرأ ورش والكسائي أرجهي بغير همز وبكسر الهاء ووصلها بياء، وقرأ عاصم وحمزة بغير همز وسكنا الهاء وقرأ قالون بغير همز ومختلس كسرة الهاء، وقرأ ابن ذكوان في رواية كقراءة ورش والكسائي وفي المشهور عنه أرجئه بالهمز وكسر الهاء من غير صلة، وقد قيل عنه أنه يصلها بياء، قال ابن عطية وقرأ ابن عامر أرجئه بكسر الهاء بهمزة قبلها، قال الفارسي: وهذا **غلط** انتهى، ونسبة ابن عطية هذه القراءة لابن عامر ليس بجيد لأن الذي روى ذلك إنما هو ابن ذكوان لا هشام فكان ينبغي أن يقيد فيقول وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان وقال بعضهم: قال أبو علي ضم الهاء مع الهمز لا يجوز غيره قال: ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر **غلط** وقال ابن مجاهد بعده وهذا لا يجوز لأن الهاء لا تكسر إلا إذا وقع قبلها كسرة أو ياء ساكنة، وقال الحوفي: ومن القراء من يكسر مع الهمز وليس بجيد، وقال أبو البقاء: ويقرأ بكسر الهاء مع الهمز وهو ضعيف لأن الهمز حرف صحيح ساكن فليس قبل الهاء ما يقتضي الكسر، ووجهه أنه أتبع الهاء كسرة الجيم والحاجز غير حصين ويخرج أيضا على توهم إبدال الهمز ياء أو على أن الهمز لما كان كثيرا ما يبدل بحرف العلة أجري مجرى حرف العلة في كسر ما بعده وما ذهب إليه الفارسي وغيره من **غلط** هذه القراءة، وأنها لا تجوز قول فاسد لأنها قراءة ثابتة متواترة روتها الأكابر عن الأئمة وتلقتها الأمة بالقبول ولها توجيه في العربية وليست الهمزة كغيرها من الحروف الصحيحة لأنها قابلة للتغيير بالإبدال والحرف بالنقل وغيره فلا وجه لإنكار هذه القراءة.

وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم المدائن مدائن مصر وقراها والحاشرون، قال ابن عباس هم أصحاب الشرط، وقال محمد بن إسحاق لما رأى فرعون من آيات الله عز وجل ما رأى قال: لن نغالب موسى إلا بمن هو منه فاتخذ غلمانا." (١)

"الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة هم المعتدون المجاوزون الحد في الظلم والشر ونقض العهد.

فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين أي فإن تابوا عن الكفر ونقض العهد والتزموا أحكام الإسلام فإخوانكم، أي: فهم إخوانكم، والإخوان، والإخوة جمع أخ من نسب أو دين. ومن زعم أن الإخوة تكون في النسب، والإخوان في الصداقة، فقد غلط. قال تعالى: إنما المؤمنون إخوة «١» وقال: أو بيوت

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥/١٣٥

إخوانكم، وعلق حصول الأخوة في الدين على الالتباس بمجموع الثلاثة، ويظهر أن مفهوم الشرط غير مراد. ونفصل الآيات لقوم يعلمون أي نبينها ونوضحها. وهذه الجملة اعتراض بين الشرطين، بين قوله: فإن تابوا، وقوله: وإن نكثوا، بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل تعالى من الأحكام، وقال لقوم يعلمون لأنه لا يتأمل تفصيلها إلا من كان من أهل العلم والفهم.

وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون أي: وإن نقضوا أقسامهم من بعد ما تعاهدوا وتحالفوا على أن لا ينكثوا. وطعنوا: أي عابوه وثلبوه واستنقصوه. والطعن هنا مجاز، وأصله الإصابة بالرمح أو العود وشبهه، وهو هنا بمعنى العيب كما

جاء في حديث إمارة أسامة: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل»

أي عبتموها واستنقصتموها. والظاهر أن هذا الترديد في الشرطين هو في حق الكفار أصلا، لأن من أسلم ثم ارتد فيكون قوله: فقاتلوا أئمة الكفر، أي رؤساء الكفر وزعماءه. والمعنى: فقاتلوا الكفار، وخص الأئمة بالذكر لأنهم هم الذين يحرضون الأتباع على البقاء على الكفر. وقال الكرماني: كل كافر إمام نفسه، فالمعنى فقاتلوا كل كافر. وقيل: من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين صار رأسا في الكفر، فهو من أئمة الكفر. وقال ابن عباس: أئمة الكفر زعماء قريش. وقال القرطبي: هو بعيد، لأن الآية في سورة براءة. وحين نزلت كان الله قد استأصل شأفة قريش ولم يبق منهم إلا مسلم أو مسالم. وقال قتادة: المراد أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة، وغيرهم، وهذا ضعيف إن لم يؤخذ على جهة المثال، لأن الآية نزلت بعد بدر بكثير. وروي عن حذيفة أنه قال: لم يجيء هؤلاء بعد، يريد لم ينقرضوا فهم يجيئون أبدا ويقاتلون. وقال ابن عطية: أصوب ما في هذا أن يقال: إنه لا يعنى بها معين، وإنما دفع الأمر بقتال أئمة الناكثين

---

(١) سورة الحجرات: ٤٩/ ١٠.." [1]

"متعلق بمحذوف دل عليه الكلام تقديره: هلا أخرتهم إلى أن يتبين أو ليتبين. وقوله: لم أذنت لهم يدل على المحذوف. ولا يجوز أن تتعلق حتى بأذنت، لأن ذلك يوجب أن يكون أذن لهم إلى هذه الغاية، أو لأجل التبيين، وهذا لا يعاتب عليه انتهى. وكلام الزمخشري في تفسير قوله: عفا الله عنك لم أذنت لهم، مما يجب اطراحه، فضلا عن أن يذكر فيرد عليه. وقوله: الذين صدقوا أي: في استئذانك. وأنك لو لم تأذن لهم خرجوا معك. وتعلم الكاذبين: تريد في أنهم استأذنوك يظهرون لك أنهم يقفون عند حدك وهم كذبة،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٧٩/٥

وقد عزموا على العصيان أذنت لهم أو لم تأذن. وقال الطبري: حتى تعلم الصادقين في أن لهم عذرا، وتعلم الكاذبين في أن الأعذار لهم. وقال قتادة: نزلت بعد هذه الآية آية النور، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم. وهذا غلط، لأن النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق في استئذان بعض المؤمنين الرسول في بعض شأنهم في بيوتهم في بعض الأوقات، فأباح الله أن يأذن، فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى.

لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين: قال ابن عباس: لا يستأذنك أي بعد غزوة تبوك. وقال الجمهور: ليس كذلك، لأن ما قبل هذه الآية وما بعدها ورد في قصة تبوك، والظاهر أن متعلق الاستئذان هو أن يجاهدوا أي: ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، وكان الخلص من المهاجرين والأنصار لا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم أبدا، ويقولون: لنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا.

وقيل: التقدير لا يستأذنك المؤمنون في الخروج ولا القعود كراهة أن يجاهدوا، بل إذا أمرت بشيء ابتدروا إليه، وكان الاستئذان في ذلك الوقت علامة على النفاق. وقوله: والله عليم بالمتقين، شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين، وعدة لهم بأجزل الثواب.

إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون: هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا. ومعنى ارتابت: شكت. ويترددون:

يتحيرون، لا يتجه لهم هدى فتارة يخطر لهم صحة أمر الرسول، وتارة يخطر لهم خلاف ذلك.

ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين قال ابن عباس: عدة من الزاد والماء والراحلة، لأن سفرهم بعيد في زمان حر شديد. وفي تركهم العدة دليل على أنهم أرادوا التخلف. وقال قوم: كانوا قادرين على." (١)

"وقيل: المراد بالخيرات هنا الحور العين. وقيل: المراد بها الغنائم من الأموال والذراري. وقيل: أعد الله لهم جنات، تفسير للخيرات إذ هو لفظ مبهم.

وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم: ولما ذكر أحوال المنافقين الذين بالمدينة شرح أحوال المنافقين من الأعراب. قرأ الجمهور: المعذرون بفتح العين وتشديد الذال، فاحتمل وزنين: أحدهما: أن يكون فعل بتضعيف العين ومعناه: تكلف العذر

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٢٧/٥

ولا عذر له، ويقال عذر في الأمر قصر فيه وتوانى، وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له.

والثاني: أن يكون وزنه افتعل، وأصله اعتذر كاختصم، فأدغمت التاء في الذال. ونقلت حركتها إلى العين، فذهبت ألف الوصل. ويؤيده قراءة سعيد بن جبير: المعتذرون بالتاء من اعتذر. وممن ذهب إلى أن وزنه افتعل. الأخفش، والفراء، وأبو عبيد، وأبو حاتم، والزجاج، وابن الأنباري. وقرأ ابن عباس، وزيد بن علي، والضحاك، والأعرج، وأبو صالح، وعيسى بن هلال، ويعقوب، والكسائي، في رواية المعذرون من أعذر. وقرأ مسلمة: المعذرون بتشديد العين والذال، من تعذر بمعنى اعتذر. قال أبو حاتم: أراد المتعذرين، والتاء لا تدغم في العين لبعد المخارج، وهي **غلط** منه أو عليه. واختلف في هؤلاء المعذرين أهم مؤمنون أم كافرون؟ فقال ابن عباس ومجاهد وجماعة: هو مؤمنون، وأعذارهم صادقة. وقال قتادة وفرقة: هم كافرون وأعذارهم كذب. وكان ابن عباس يقول:

رحم الله المعذرين ولعن المعذرين. قيل: هم أسد وغطفان قالوا. إن لنا عيالا وإن بنا جهدا، فأذن لهم في التخلف.

وقيل: هم رهط عامر بن الطفيل قالوا: إن غزونا معك غارت أعراب طي على أهالينا ومواشينا، فقال صلى الله عليه وسلم: «سيغني الله عنكم»

وعن مجاهد: نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى. قال ابن إسحاق: نفر من غفار منهم خفاف بن إيماء، وهذا يقتضي أنهم مؤمنون، والظاهر أن هؤلاء الجائين كانوا مؤمنين كما قال ابن عباس، لأن التقسيم يقتضي ذلك. ألا ترى إلى قوله: وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم «١» فلو كان الجميع كفارا لم يكن لوصف الذين قعدوا بالكذب اختصاص، وكان يكون التركيب سيصيبهم عذاب أليم. ويحتمل أن يكونوا كفارا كما قال قتادة، فانقسموا إلى جاء معتذر وإلى قاعد، واستؤنف إخبار بما يصيب

---

(١) سورة التوبة: ٩/ ٩٠.." [1]

"الرسول قاله: عبد الله بن شداد. وقيل: في طائفة قالوا إذا أغلقنا أبوابنا، وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا صدورنا، على عداوته كيف يعلم بنا؟ ذكره الزجاج. وقيل: فعلوا ذلك ليبعد عليهم صوت الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يدخل أسماعهم القرآن ذكره ابن الأنباري.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٨١/٥

ويثنون مضارع ثنى قراءة الجمهور. وقرأ سعيد بن جبير: يثنون بضم الياء مضارع أثنى صدورهم بالنصب. قال صاحب اللوامح: ولا يعرف الإثناء في هذا الباب إلا أن يراد به وجدتها مثنية مثل أحمدته وأمجدته، ولعله فتح النون وهذا مما فعل بهم، فيكون نصب صدورهم بنزع الجار، ويجوز على ذلك أن يكون صدورهم رفعا على البدل بدل البعض من الكل. وقال أبو البقاء: ماضيه أثنى، ولا يعرف في اللغة إلا أن يقال معناه: عرضوها للإثناء، كما يقال: أبعت الفرس إذا عرضته للبيع.

وقرأ ابن عباس، وعلي بن الحسين، وابناه زيد ومحمد، وابنه جعفر، ومجاهد، و ا بن يعمر، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن أبزى، والجحدري، وابن أبي إسحاق، وأبو الأسود الدؤلي، وأبو رزين، والضحاك:

تثنوني بالتاء

مضارع أثنوني على وزن افعوعل نحو اعشوشب المكان صدورهم بالرفع، بمعنى تنطوي صدورهم. وقرأ أيضا ابن عباس، ومجاهد، وابن يعمر، وابن أبي إسحاق:

يثنوني بالياء صدورهم بالرفع، ذكر على معنى الجمع دون الجماعة. وقرأ ابن عباس أيضا:

ليثنون بلام التأكيد في خبر إن، وحذف الياء تخفيفا وصدورهم رفع. وقرأ ابن عباس أيضا، وعروة، وابن أبي أبزى، والأعشى: يثنون ووزنه يفعوعل من الثن، بني منه افعوعل وهو ما هش وضعف من الكلأ، وأصله يثنونن يريد مطاوعة نفوسهم للشيء، كما ينثني الهش من النبات. أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم وصدورهم بالرفع. وقرأ عروة ومجاهد أيضا: كذلك إلا أنه همز فقرأ يثنئن مثل يطمئن، وصدورهم رفع، وهذه مما استثقل فيه الكسر على الواو كما قيل: أشاح. وقد قيل أن يثنئن يفعئل من الثن. المتقدم، مثل تحمار وتصفار، فحركت الألف لالتقائهما بالكسر، فانقلبت همزة. وقرأ الأعشى: يثنؤون مثل يفعلون مهموز اللام، صدورهم بالنصب. قال صاحب اللوامح: ولا أعرف وجهه لأنه يقال: ثنيت، ولم أسمع ثنأت. ويجوز أنه قلب الياء ألفا على لغة من يقول: أعطأت في أعطيت، ثم همز على لغة من يقول: ولا الضالين «١» وقرأ ابن عباس: يثنوي بتقديم الثاء على النون، وبغير نون بعد الواو على وزن ترعوي. قال أبو حاتم: وهذه القراءة غلط لا تتجه انتهى. وإنما قال ذلك لأنه لا حظ الواو في هذا الفعل لا يقال: ثنوته فانثوى كما

---

(١) سورة فاتحة الكتاب: ١/ ٧.." [١]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٢٢/٦

"رجاؤهم. وفي قوله: إخراج الظن عن معنى الترجيح، وعن معنى اليقين إلى معنى التوهم، حتى تجري الضمائر كلها في القراءتين على سنن واحد. وروي عن ابن مسعود، وابن عباس، وابن جبير: أن الضمير في وظنوا، وفي قد كذبوا، عائد على الرسل والمعنى:

كذبهم من تباعدهم عن الله والظن على بابه قالوا: والرسل بشر، فضعفوا وساء ظنهم.

وردت عائشة وجماعة من أهل العلم هذا التأويل، وأعظموا أن يوصف الرسل بهذا.

قال الزمخشري: إن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال، ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية. وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين، فما بال رسل الله الذين هم أعرف بربهم، وأنه متعال عن خلف الميعاد، منزه عن كل قبيح انتهى. وآخره مذهب الاعتزال. فقال أبو علي: إن ذهب ذاهب إلى أن المعنى ظن الرسل أن الذي وعد الله أممهم ع‌ری لسانهم قد كذبوا فيه، فقد أتى عظيما لا يجوز أن ينسب مثله إلى الأنبياء، ولا إلى صالحي عباد الله قال: وكذلك من زعم أن ابن عباس ذهب إلى أن الرسل قد ضعفوا وظنوا أنهم قد أخلفوا، لأن الله لا يخلف الميعاد، ولا مبدل لكلماته. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: قد كذبوا بتخفيف الذال مبنيا للفاعل أي: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما قالوا عن الله من العذاب والظن على بابه. وجواب إذ جاءهم نصرنا، والظاهر أن الضمير في جاءهم عائد على الرسل. وقيل: عائد عليهم وعلى من آمن بهم. وقرأ عاصم، وابن عامر: فنجي بنون واحدة وشد الجيم وفتح الياء مبنيا للمفعول. وقرأ مجاهد، والحسن، والجحدري، وطلحة بن هرمز كذلك، إلا أنهم سكنوا الياء، وخرج على أنه مضارع أدغمت فيه النون في الجيم، وهذا ليس بشيء، لأنه لا تدغم النون في الجيم. وتخريجه على أنه ماض كالقراءة التي قبلها سكنت الياء فيه لغة من ي‌ستثقل الحركة صلة على الياء، كقراءة من قرأ ما تطعمون أهاليكم «١» بسكون الياء.

ورويت هذه القراءة عن الكسائي ونافع، وقرأهما في المشهور، وباقي السبعة فننجي بنونين مضارع أنجى. وقرأت فرقة: كذلك إلا أنهم فتحوا الياء. قال ابن عطية: رواها هبيرة عن حفص عن عاصم، وهي **غلط** من هبيرة انتهى. وليست غلطا، ولها وجه في العربية وهو أن الشرط والجزاء يجوز أن يأتي بعدهما المضارع منصوبا بإضمار أن بعد الفاء، كقراءة من قرأ: وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر «٢»

---

(١) سورة المائدة: ٥/ ٨٩.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٢٨٤.." [١]

"ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا.

لما بين تعالى أنه هو المتكفل بأرزاق العباد حيث قال إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أتبعه بالنهي عن قتل الأولاد، وتقدم تفسير نظير هذه الآية، والفرق بين خشية إملاق ومن إملاق وبين قوله: نرزقهم ونرزقكم. وقرأ الأعمش وابن وثاب:

ولا تقتلوا بالتضعيف. وقرىء خشية بكسر الخاء، وقرأ الجمهور خطأ بكسر الخاء وسكون الطاء. وقرأ ابن كثير بكسرها وفتح الطاء والمد، وهي قراءة طلحة وشبل والأعمش ويحيى وخالد بن إلياس وقتادة والحسن والأعرج بخلاف عنهما. وقال النحاس:

لا أعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها أبو حاتم غلطا. وقال الفارسي: هي مصدر من خاطأ يخاطىء وإن كنا لم نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ، فدلنا عليه فمنه قول الشاعر:

تخاطأت النبل أخشاه ... وأخر يومي فلم يعجل

وقول الآخر في كمأة

تخاطأه القناص حتى وجدته ... وخرطومه في منقع الماء راسب

فكان هؤلاء الذين يقتلون أولادهم يخاطئون الحق والعدل. وقرأ ابن ذكوان خطأ على وزن نبأ. وقرأ الحسن خطاء بفتحهما والمد جعله اسم مصدر من أخطأ كالعطاء من أعطى قاله ابن جني. وقال أبو حاتم: هي غلط غير جائز ولا يعرف هذا في اللغة، وعنه أيضا خطى كهوى خفف الهمزة فانقلبت ألفا وذهبت لالتقائهما. وقرأ أبو رجاء والزهري كذلك إلا أنهما كسرا الخاء فصار مثل ربا وكلاهما من خطىء في الدين وأخطأ في الرأي، لكنه قد يقام كل واحد منهما مقام الآخر وجاء عن ابن عامر خطأ بالفتح والقصر مع إسكان الطاء وهو مصدر ثالث من خطىء بالكسر.

ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا: لما نهى تعالى عن قتل الأولاد نهى عن التسبب في إيجاده من الطريق غير المشروعة، فنهى عن

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٣٦/٦

قربان الزنا واستلزم ذلك النهي عن الزنا، والزنا الأكثر فيه القصر ويمد لغة لا ضرورة، هكذا نقل اللغويون. ومن المد قول الشاعر وهو الفرزدق:." [1]

"الفجر قرآنا وهي القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة علي بن أبي علية. والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن انتهى. وقيل: إذا فسرنا الدلوك بزوال الشمس كان الوقت مشتركا بين الظهر والعصر إذا غييت الإقامة بغسق الليل، ويكون الغسق وقتا مشتركا بين المغرب والعشاء، ويكون المذكور ثلاثة أوقات: أول وقت الزوال، وأول وقت المغرب، وأول وقت الفجر انتهى، والذي يدل عليه ظاهر اللفظ أنه أمر بإقامة الصلاة إما من أول الزوال إلى الغسق، وبقرآن الفجر، وإما من الغروب إلى الغسق وبقرآن الفجر، فيكون المأمور به الصلاة في وقتين ولا تؤخذ أوقات الصلوات الخمس من هذا اللفظ بوجه. وقال أبو عبد الله الرازي في قوله وقرآن الفجر دلالة على أن الصلاة لا تتم إلا بالقراءة لأن الأمر على الوجوب، ولا قراءة في ذلك الوقت واجبة إلا في الصلاة ومن قال معنى وقرآن الفجر صلاة الفجر **غلط** لأنه صرف الكلام عن حقيقته إلى المجاز بغير دليل، ولأن في نسق التلاوة ومن الليل فتهجد به نافلة لك ويستحيل التهجد بصلاة الفجر ليلا. والهاء في به كناية عن قرآن الفجر المذكور قبله، فثبت أن المراد حقيقة القرآن لا مكان التهجد بالقرآن المقروء في صلاة الفجر واستحالة التهجد في الليل بصلاة الفجر، وعلى أنه لو صح أن يكون المراد ما ذكروا لكانت دلالته قائمة على وجوب القراءة في الصلاة لأنه لم تجعل القراءة عبارة عن الصلاة إلا وهي من أركانها انتهى. وفيه بعض تلخيص والظاهر ندبية إيقاع صلاة الصبح في أول الوقت لأنه مأمور بإيقاع قرآن الفجر، فكان يقتضي الوجوب أول طلوع الفجر، لكن الإجماع منع من ذلك فبقي الندب لوجود المطلوبية، فإذا انتفى وجوبها بقي ندبها وأعاد قرآن الفجر في قوله إن قرآن الفجر ولم يأت مضمرا فيكون أنه على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر ومعنى مشهودا تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جاء

في الحديث: «إنهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر» .

وهذا قول الجمهور. وقيل يشهده الكثير من المصلين في العادة. وقيل: من حقه أن تشهده الجماعة الكثيرة. قال الزمخشري: ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب، ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة انتهى. ويعني بقوله حثا أن

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٣/٧

يكون التقدير وعليك قرآن الفجر أو والزم.

وقال محمد بن سهل بن عسكر: مشهودا يشهده الله وملائكته، وذكر حديث أبي." (١)

"الخرق يمكن سده والقتل لا سبيل إلى تدارك الحياة معه. وفي قوله لك زجر وإغلاظ ليس في الأول لأن موقعه التساؤل بأنه بعد التقدم إلى ترك السؤال واستعذار موسى بالنسيان أفظع وأفظع في المخالفة لما كان أخذ على نفسه من الصبر وانتفاء العصيان.

قال إن سألتك عن شيء بعدها أي بعد هذه القصة أو بعد هذه المسألة فلا تصاحبني أي فأوقع الفراق بيني وبينك. وقرأ الجمهور فلا تصاحبني من باب المفاعلة. وقرأ عيسى ويعقوب فلا تصحبني مضارع صحب وعيسى أيضا بضم التاء وكسر الحاء مضارع أصحب، ورواها سهل عن أبي عمرو أي فلا تصحبني علمك وقدره بعضهم فلا تصحبني إياك وبعضهم نفسك. وقرأ الأعرج بفتح التاء والباء وشد النون. ومعنى قد بلغت من لدني عذرا أي قد اعتذرت إلي وبلغت إلى العذر. وقرأ الجمهور من لدني بإدغام نون لدن في نون الوقاية التي اتصلت بياء المتكلم. وقرأ نافع وعاصم بتخفيف النون وهي نون لدن اتصلت بي ا ء المتكلم وهو القياس، لأن أصل الأسماء إذا أضيفت إلى ياء المتكلم لم تلحق نون الوقاية نحو غلامي وفرسي، وأشم شعبة الضم في الدال، وروي عن عاصم سكون الدال. قال ابن مجاهد: وهو **غلط** وكأنه يعني من جهة الرواية، وأما من حيث اللغة فليست ب**غلط** لأن من لغاتها لد بفتح اللام وسكون الدال. وقرأ عيسى عذرا بضم الذال ورويت عن أبي عمرو وعن أبي عذري بكسر الراء مضافا إلى ياء المتكلم.

وفي البخاري قال: «يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما»

وأسند الطبري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد بدأ بنفسه فقال: «رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لرأى العجب»

ولكنه قال فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا.

والقرية التي أتيا أهلها إنطاكية أو الأبلة أو بجزيرة الأندلس وهي الجزيرة الخضراء، أو برقة أو أبو حوران بناحية أذربيجان، أو ناصرة من أرض الروم أو قرية بأرمينية أقوال مضطربة بحسب اختلافهم في أي ناحية من الأرض كانت قصة والله أعلم بحقيقة ذلك.

وفي الحديث أنهما كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله تعالى.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٩٨/٧

وتكرر لفظ أهل على سبيل التوكيد، وقد يظهر له فائدة عن التوكيد وهو أنهما حين أتيا أهل القرية لم يأتيا جميع أهل القرية إنما أتيا بعضهم، فلما قال استطعما احتمل أنهما لم يستطعما إلا ذلك البعض الذي أتياه فجيء بلفظ أهلها ليعم جميعهم وأنهم يتبعونهم واحدا واحدا بالاستطعام، ولو كان التركيب استطعماهم لكان عائدا على البعض المأتي.." (١)

"وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا وعتيا وصليا بكسر الجيم والعين والصاد والجمهور بضمها ثم لننزعن أي لنخرجن كقوله ونزع يده «١» . وقيل: لنرمين من نزع القوس وهو الرمي بالسهم، والشيعة الجماعة المرتبطة بمذهب. قال أبو الأحوص:

يبدأ بالأكابر فالأكابر جرما. وقال الزمخشري: يمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب فقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم، والضمير في أيهم عائد على المحشورين المحضرين. وقرأ الجمهور أيهم بالرفع وهي حركة بناء على مذهب سيبويه، فأيهم مفعول بننزعن وهي موصولة: وأشد خبر مبتدأ محذوف، والجملة صلة لأيهم وحركة إعراب على مذهب الخليل ويونس على اختلاف في التخريج. وأيهم أشد مبتدأ وخبر محكي على مذهب الخليل أي الذين يقال فيهم أيهم أشد. وفي موضع نصب فيعلق عنه لننزعن على مذهب يونس، والترجيح بين هذه المذاهب مذكور في علم النحو. وقال الزمخشري:

ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا «٢» أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال: من هم؟ فقيل إنهم أشد عتيا انتهى.

فتكون أيهم موصولة خبر مبتدأ محذوف، وهذا تكلف وادعاء إضمار لا ضرورة تدعو إليه، وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين، وقرن الخليل تخريجه بقول الشاعر:

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل ... فأبيت لا حرج ولا محروم

أي فأبيت يقال في لا حرج ولا محروم، ورجح الزجاج قول الخليل وذكر عنه النحاس أنه **غلط** سيبويه في هذه المسألة. قال سيبويه: ويلزم على هذا أن يجوز اضرب السارق الخبيث الذي يقال له قيل، وليس بلازم من حيث هذه أسماء مفردة والآية جملة وتسلط الفعل على المفرد أعظم منه على الجملة. ومذهب الكسائي أن معنى لننزعن لنناذين فعومل معاملته فلم تعمل في أي انتهى. ونقل هذا عن الفراء. قال المهدوي: ونادى تعلق إذا كان بعده جملة نصب فتعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ. وقال المبرد: أيهم متعلق بشيعة،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٠٩/٧

فلذلك ارتفع والمعنى من الذين تشايعوا أيهم أشد كأنهم يتبادرون إلى هذا، ويلزم أن يقدر مفعولا لننزعن محذوفا وقدر أيضا في هذا المذهب من الذين تشايعوا أيهم أي من الذين تعاونوا فنظروا أيهم أشد. قال النحاس: وهذا قول حسن. وقد حكى الكسائي أن التشايع هو التعاون.

---

(١) سورة الأعراف: ٧/ ١٠٨ وسورة الشعراء: ٢٦/ ٣٣.

(٢) سورة مريم: ١٩/ ٥٠.." [١]

"وحكى أبو بكر بن شقير أن بعض الكوفيين يقول: في أيهم معنى الشرط، تقول:

ضربت القوم أيهم غضب، والمعنى إن غضبوا أو لم يغضبوا فعلى هذا يكون التقدير إن اشتد عتوهم أو لم يشتد. وقرأ طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء وزائدة عن الأعمش أيهم بالنصب مفعولا بلننزعن، وهاتان القراءتان تدلان على أن مذهب سيبويه أنه لا يتحتم فيها البناء إذا أضيفت وحذف صدر صلتها، وقد نقل عنه تحتم البناء وينبغي أن يكون فيه على مذهبه البناء والإعراب. قال أبو عمرو الجرمي: خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكة أحدا يقول لأضربن أيهم قائم بالضم بل بنصبها انتهى. وقال أبو جعفر النحاس: وما علمت أحدا من النحويين إلا وقد خطأ سيبويه، وسمعت أبا إسحاق يعني الزجاج يقول: ما تبين أن سيبويه غلط في كتابه إلا في موضعين هذا أحدهما. قال: وقد أعرب سيبويه أيا وهي مفردة لأنها تضاف فكيف يبنيها وهي مضافة؟.

وعلى الرحمن متعلق بأشد. وعتيا تمييز محول من المبتدأ تقديره أيهم هو عتوه أشد على الرحمن وفي الكلام حذف تقديره فيلقيه في أشد العذاب، أو فيبدأ بعذابه ثم بمن دونه إلى آخرهم عذابا.

وفي الحديث: «إنه تبدو عنق من النار فتقول: إني أمرت بكل جبار عنيد فتلتقطهم» .

وفي بعض الآثار: «يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الأكفر فالأكفر» .

قال ابن عباس: عتيا جراءة. وقال مجاهد: فجرا. وقيل: افتراء بلغة تميم. وقيل: عتيا جمع عات فانتصابه على الحال.

ثم لنحن أعلم أي نحن في ذلك النزع لا نضع شيئا غير موضعه، لأنا قد أحطنا علما بكل واحد فأولى بصلي النار نعلمه. قال ابن جريج: أولى بالخلود. وقال الكلبي:

صليا دخولا. وقيل: لزوما. وقيل: جمع صال فانتصب على الحال وبها متعلق بأولى.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٧/٢٨٧

والواو في قوله وإن منكم للعطف. وقال ابن عطية: وإن منكم إلا واردها قسم والواو تقتضيه، ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار إلا تحلة القسم» .
انتهى. وذهل عن قول النحويين أنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا إذا كان الجواب باللام أو بأن، والجواب هنا جاء على زعمه بأن النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا. وقوله والواو تقتضيه يدل على أنها عنده واو القسم، ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو واو قسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار، ولا يجوز." (١)

"أي لا ننتسب إليه انتهى. وكون دعوا هنا بمعنى سموا هو قول الأكثرين. وقيل:
دعوا بمعنى جعلوا. وينبغي مطاوع لبغى بمعنى طلب، أي وما يتأتى له اتخاذ الولد لأن التوالد مستحيل والتبني لا يكون إلا فيما هو من جنس المتبنى، وليس له تعالى جنس وينبغي ليس من الأفعال التي لا تتصرف بل سمع لها الماضي قالوا: انبغى وقد عدها ابن مالك في التسهيل من الأفعال التي لا تتصرف وهو **غلط** ومن موصولة بمعنى الذي أي ما كل الذي في السموات وكل تدخل على الذي لأنها تأتي للجنس كقوله تعالى والذي جاء بالصدق «١» ونحو:
وكل الذي حملتني أتحمل وقال الزمخشري: من موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله:
رب من أنضجت غيظا صدره انتهى. والأولى جعلها موصولة لأن كونها موصوفة بالنسبة إلى الموصولة قليل. وقرأ عبد الله وابن الزبير وأبو حيوة وطلحة وأبو بحرية وابن أبي عبلة ويعقوب إلا آت بالتنوين الرحمن بالنصب والجمهور بالإضافة وآتي خبر كل وانتصب عبدا على الحال. وتكرر لفظ الرحمن تنبيها على أنه لا يستحق هذا الاسم غيره، إذ أصول النعم وفروعها منه ومن في السموات والأرض يشمل من اتخذوه معبودا من الملائكة وعيسى وعزيرا بحكم ادعائهم صحة التوالد أو بحكم زعمهم ذلك فأشركوهم في العبادة إذ خدمة الأبناء خدمة الآباء، فأخبر تعالى أنه ما من معبود لهم في السموات أو في الأرض إلا يأتي الرحمن عبدا منقادا لا يدعي لنفسه شيئا مما نسبوه إليه.
ثم ذكر تعالى أنه أحصاهم وأحاط بهم وحصرهم بالعدد، فلم يفته أحد منهم وانتصب فردا على الحال أي منفردا ليس معه أحد ممن جعلوه شريكا، وخبر كلهم آتيه فردا وكل إذا أضيف إلى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس فالمنقول أنه يجوز أن يعود الضمير مفردا على لفظ كل، فتقول: كلكم ذاهب، ويجوز أن

---
(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٨٨/٧

يعود جمعا مراعاة للمعنى فتقول: كلكم ذاهبون. وحكى إبراهيم بن أصبغ في كتاب رؤوس المسائل الاتفاق على جواز الوجهين، وعلى الجمع جاء لفظ الزمخشري في تفسير هذه الآية في

---

(١) سورة الزمر: ٣٩/ ٣٣.." [١]

"صدقهما، وعلموا أنه ليس في قدرة الساحر أن يأتي بمثل ذلك، والظاهر أن الضمير في قالوا عائد على السحرة خاطب بعضهم بعضا. وقيل: خاطبوا فرعون مخاطبة التعظيم، والطريقة السيرة والمملكة والحال التي هم عليها. والمثلى تأنيث الأمثل أي الفضلى الحسنى. وقيل: عبر عن السيرة بالطريقة وأنه يراد بها أهل العقل والسن والحجى، وحكوا أن العرب تقول فلان طريقة قومه أي سيدهم،

وعن علي نحو ذلك قال: وتصرفات وجوه الناس إليهما.

وقيل: هو على حذف مضاف أي ويذهبا بأهل طريقتكم وهم بنو إسرائيل لقول موسى فأرسل معنا بني إسرائيل بالغوا في التنفير عنهما بنسبتهما إلى السحر، وبالطبع ينفر عن السحر وعن رؤية الساحر ثم بإرادة الإخراج من أرضهم ثم بتغيير حالتهم من المناصب والرتب المرغوب فيها.

وحكى تعالى عنهم في متابعة فرعون في قوله فجمع كيده قوله فأجمعوا كيدكم وقيل: هو من كلام فرعون، والظاهر أنه من كلام السحرة بعضهم لبعض. وقرأ الجمهور فأجمعوا بقطع الهمزة وكسر الميم من أجمع رباعيا أي اعزموا واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف واحد منكم كالمسألة المجمع عليها. وقرأ الزهري وابن محيصن وأبو عمرو ويعقوب في رواية وأبو حاتم بوصل الألف وفتح الميم موافقا لقوله فتولى فرعون فجمع كيده «١» وتقدم الكلام في جمع وأجمع في سورة يونس في قصة نوح عليه السلام. وتداعوا إلى الإتيان صفا لأنه أهيب في عيون الرائين، وأظهر في التمويه وانتصب صفا على الحال أي مصطفين أو مفعولا به إذ هو المكان الذي يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم. وقرأ شبل بن عباد وابن كثير في رواية شبل عنه ثم ايتوا بكسر الميم وإبدال الهمزة ياء تخفيفا. قال أبو علي وهذا **غلط** ولا وجه لكسر الميم من ثم. وقال صاحب اللوامح: وذلك لالتقاء الساكنين كما كانت الفتحة في العامة كذلك وقد أفلح اليوم أي ظفر وفاز ببغيته من طلب العلو في أمره وسعى سعيه، واختلفوا في عدد السحرة اختلافا مضطربا جدا فأقل ما قيل أنهم كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر عصي وحبال، وأكثر ما قيل تسعمائة ألف.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٠٣/٧

(١) سورة طه: ٢٠/ ٦٠.." [١]

"لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

كان مشركو قريش يقولون: إن لمحمد تابعا من الجن يخبره كما يخبر الكهنة، فنزلت

، والضمير في به يعود على القرآن، بل نزل به الروح الأمين. وقرأ الحسن:

الشياطون، وتقدمت في البقرة، وقد ردها أبو حاتم والقراءة قال أبو حاتم: هي **غلط** منه أو عليه. وقال النحاس: هو **غلط** عند جميع النحويين. وقال المهدوي: هو غير جائز في العربية. وقال الفراء: **غلط** الشيخ، ظن أنها النون التي على هجائن. فقال النضر بن شميل: أن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة، فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه، يريد محمد بن السميفع، مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ بها إلا وقد سمعا فيه؟ وقال يونس بن حبيب: سمعت أعرابيا يقول: دخلت بساتين من ورائها بساتون، فقلت: ما أشبه هذا بقراءة الحسن. انتهى. ووجهت هذه القراءة بأنه لما كان آخره كآخر يبرين وفلسطين، فكما أجري إعراب هذا على النون تارة وعلى ما قبله تارة فقالوا: يبرين ويبرون وفلسطين وفلسطون أجري ذلك في الشياطين تشبيها به فقالوا: الشياطين والشياطون. وقال أبو فيد مؤرج السدوسي: إن كان اشتقاقه من شاط، أي احترق، يشيط شوطة، كان لقراءتهما وجه. قيل: ووجهها أن بناء المبالغة منه شياط، وجمعه الشياطون، فخففا الياء، وقد روي عنهما التشديد، وقرأ به غيرهما. انتهى. وقرأ الأعمش: الشياطون، كما قرأه الحسن وابن السميفع. فهؤلاء الثلاثة من نقلة القرآن، قرأوا ذلك، ولا يمكن أن يقال غلطوا، لأنهم من العلم ونقل القرآن بمكان. وما أحسن ما ترتب نفي هذه الجمل نفى أولا تنزيل الشياطين به، والنفي في الغالب يكون في الممكن، وإن كان هنا لا يمكن من الشياطين التنزل بالقرآن، ثم نفى انبغاء ذلك والصلاحية، أي ولو فرض الإمكان لم يكونوا أهلا له، ثم نفى قدرتهم على ذلك، وأنه مستحيل في حقهم التنزل به، فارتقى من نفي الإمكان إلى نفي الصلاحية إلى نفي القدرة والاستطاعة، وذلك مبالغة مترتبة في نفي تنزيلهم به، ثم علل انتفاء ذلك عن استماع كلام أهل السماء مرجومون بالشهب.

ثم قال تعالى: فلا تدع مع الله إلها آخر: والخطاب في الحقيقة للسامع، لأنه تعالى قد علم أن ذلك لا يمكن أن يكون من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال المفسرون: المعنى قل يا محمد لمن كفر:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٥١/٧

لا تدع مع الله إلها آخر. ثم أمره تعالى بإنذار عشيرته، والعشيرة تحت الفخذ وفوق الفصيلة، ونبه على العشيرة، وإن كان مأمورا بإنذار الناس كافة. كما." [١]

"من آمن وعمل صالحا، فإيمانه وعمله يقربانه. وقال الزجاج: هو بدل من الكاف والميم في تقربكم، وقال النحاس: وهذا غلط لأن الكاف والميم للمخاطب، فلا يجوز البدل، ولو جاز هذا لجاز: رأيتك زيدا وقول أبي إسحاق هذا هو قول الفراء. انتهى.

ومذهب الأخفش والكوفيين أنه يجوز أن يبدل من ضمير المخاطب والمتكلم، لكن البدل في الآية لا يصح. ألا ترى أنه لا يصح تفريغ الفعل الواقع صلة لما بعد إلا؟ لو قلت: ما زيد بالذي يضرب إلا خالدا، لم يصح. وتخيل الزجاج أن الصلة، وإن كانت من حيث المعنى منفية، أنه يصح البدل، وليس بجائز إلا فيما يصح التفريغ له. وقد اتبعه الزمخشري فقال:

إلا من آمن استثناء من كم في تقربكم، والمعنى: أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقهم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة. انتهى، وهو لا يجوز. كما ذكرنا، لا يجوز: ما زيد بالذي يخرج إلا أخوة، ولا ما زيد بالذي يضرب إلا عمرا، ولا ما زيد بالذي يمر إلا ببكر.

والتركيب الذي ركبه الزمخشري من قوله: لا يقرب أحدا إلا المؤمن، غير موافق للقرآن ففي الذي ركبه يجوز ما قال، وفي لفظ القرآن لا يجوز. وأجاز الفراء أن تكون من في موضع رفع، وتقدير الكلام عنده ما هو المقرب إلا من آمن. انتهى. وقوله كلام لا يتحصل منه معنى، كأنه كان نائما حين قال ذلك.

وقرأ الجمهور: جزاء الضعف على الإضافة، أضيف فيه المصدر إلى المفعول، وقدره الزمخشري مبنيا للمفعول الذي لم يسم فاعله، فقال: أن يجاوز الضعف، والمصدر في كونه يبنى للمفعول الذي لم يسم فاعله فيه خلاف، والصحيح المنع، ويقدر هنا أن يجاوز الله بهم الضعف، أي يضاعف لهم حسناتهم، الحسنة بعشر أمثالها، وبأكثر إلى سبعمائة لمن يشاء. وقرأ قتادة: جزاء الضعف برفعهما فالضعف بدل، ويعقوب في رواية بنصب جزاء ورفع الضعف، وحكى هذه القراءة الداني عن قتادة، وانتصب جزاء على الحال، كقولك: في الدار قائما زيد. وقرأ الجمهور: في الغرفات جمعا مضموم الراء والحسن، وعاصم: بخلاف عنه والأعمش، ومحمد بن كعب: بإسكانها وبعض القراء: بفتحها وابن وثاب، والأعمش، وطلحة، وحمزة: وأطلق في اختياره في الغرفة على التوحيد ساكنة الراء وابن وثاب أيضا: بفتحها على التوحيد. ولما ذكر جزاء من آمن،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٩٦/٨

ذكر عقاب من كفر، ليظهر تباين الجزأين، وتقدم تفسير نظير هذه الكلمة. ولما كان افتخارهم بكثرة الأموال والأولاد، أخبروا أن ذلك على ما شاء الله كبر، وذلك المعنى تأكيد." (١)

"عما يقول الظالمون. انتهى. فسمى عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وأعلام أهل السنة بعض الغواة، وأطلق عليهم اسم الظالمين، وذلك من سفهه وجرأته، كما قلت في قصيدتي التي ذكرت فيها ما ينقد عليه:

ويشتم أعلام الأممة ضلة ... ولا سيما إن أولجوه المضايقا

وإن تشكروا يرضه لكم، قال ابن عباس: يضاعف لكم، وكأنه يريد ثواب الشكر وقيل: يقبله منكم. قال صاحب التحرير: قوة الكلام تدل على أن معنى تشكروا:

تؤمنوا حتى يصير بإزاء الكفر، والله تعالى قد سمى الأعمال الصالحة والطاعات شكرا في قوله:

اعملوا آل داود شكرا «١» . انتهى. وتقدم الكلام على هذه الآية في سبأ. وقرأ النحويان، وابن كثير: يرضه بوصل ضمة الهاء بواو وابن عامر وحفص: بضمة فقط وأبو بكر:

بسكون الهاء، قال أبو حاتم: وهو **غلط** لا يجوز. انتهى. وليس بغلط، بل ذلك لغة لبني كلاب وبني عقيل. وقوله: ولا تزر إلى: بذات الصدور، تقدم الكلام عليه.

و إذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب، قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين، وأمرت لأن أكون أول المسلمين، قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، قل الله أعبد مخلصا له ديني، فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون.

الظاهر أن الإنسان هنا جنس الكافر، وقيل: م‍عين، كعتبة بن ربيعة. ويدخل في الضر جميع المكاره في جسم أو أهل أو مال. دعا ربه: استجار ربه وناداه، ولم يؤمل في كشف الضر سواه، منيبا إليه: أي راجعا إليه وحده في إزالة ذلك.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٨/٥٥٥

(١) سورة سبأ: ٣٤/ ١٣.." [(١)]

"صفات الكفار أهل النار، وكان عبد الرحمن من أفاضل الصحابة وسراتهم وأبطالهم، وممن له في الإسلام غناء يوم اليمامة وغيره.

أف لكما: تقدم الكلام على أف مدلولا ولغات وقراءة في سورة الإسراء، واللام في لكما للبيان، أي لكما، أعني: التأفيف. وقرأ الجمهور: أتعدانني، بنونين، الأولى مكسورة والحسن، وعاصم، وأبو عمرو، وفي رواية وهشام: بإدغام نون الرفع في نون الوقاية. وقرأ نافع في رواية، وجماعة: بنون واحدة. وقرأ الحسن، وشيبة، وأبو جعفر:

بخلاف عنه وعبد الوارث، عن أبي عمرو، وهارون بن موسى، عن الجحدري، وسام، عن هشام: بفتح النون الأولى، كأنهم فروا من الكسرتين، والياء إلى الفتح طلبا للتخفيف ففتحوا، كما فر من أدغم ومن حذف. وقال أبو حاتم: فتح النون باطل غلط. أن أخرج: أي أخرج من قبري للبعث والحساب. وقرأ الجمهور: أن أخرج، مبنيا للمفعول والحسن، وابن يعمر، والأعمش، وابن مصرف، والضحاك: مبنيا للفاعل. وقد خلت القرون من قبلي: أي مضت، ولم يخرج منهم أحد ولا بعث. وقال أبو سليمان الدمشقي: وقد خلت القرون من قبلي مكذبة بالبعث. وهما يستغيثان الله، يقال: استغثت الله واستغثت بالله، والاستعمالان في لسان العرب. وقد رددنا على ابن مالك إنكار تعديته بالباء، وذكرنا شواهد على ذلك في الأنفال، أي يقولان: الغياث بالله منك ومن قولك، وهو استعظام لقوله: ويلك، دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك. وقيل: ويلك لمن يحقر ويحرك لأمر يستعجل إليه. وقرأ الأعرج، وعمرو بن فائدة: إن وعد الله، بفتح الهمزة، أي: آمن بأن وعد الله حق، والجمهور بكسرها، فيقول ما هذا: أي ما هذا الذي يقول؟ أي من الوعد بالبعث من القبور، إلا شيء سطره الأولون في كتبهم، ولا حقيقة له. قال ابن عطية: وظاهر ألفاظ هذه الآية أنها نزلت في مشار إليه قال وقيل له، فنفى الله أقواله تحذيرا من الوقوع في مثلها.

وقوله: أولئك، ظاهره أنه إشارة إلى جنس يتضمنه قوله: والذي قال، ويحتمل أن تكون الآية في مشار إليه، ويكون قوله في أولئك بمعنى صنف هذا المذكور وجنسه هم: الذين حق عليهم القول أي قول الله أنه يعذبهم في أمم، أي جملة:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٨٧/٩

أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس، يقتضي أن الجن يموتون قرنا بعد قرن كالإنس. وقال الحسن في بعض مجالسه: الجن لا يموتون، فاعترضه قتادة بهذه الآية فسكت.." (١)

"والهداية: الإرشاد أو الدلالة أو التقدم، ومنه هوادي الخيل لتقدمها قال امرؤ القيس:

٦٧ - فألحقه بالهاديات ودونه ... جواحرها في صرة لم تزيل

أو التبيين نحو: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ [فصلت: ١٧] . أي بينا لهم، أو الإلهام، نحو: ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه: ٥٠] أي ألهمه لمصالحه، أو الدعاء كقوله تعالى: ﴿ولكل قوم هاد﴾ [الرعد: ٧] أي داع. وقيل هو الميل، ومنه ﴿إنا هدنآ إليك﴾ [الأعراف: ٥٦] ، والمعنى: مل بقلوبنا إليك، وهذا غلط، فإن تيك مادة أخرى من هاد يهود. وقال الراغب: «الهداية دلالة بلطف ومنه الهدية وهوادي/ الوحش أي المتقدمات الهادية لغيرها، وخص ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاء بأهديت.

والصراط: الطريق المستسهل، وبعضهم لا يقيده بالمستسهل، قال:

٦٨ - فضل عن نهج الصراط الواضح ...." (٢)

"قوله تعالى: ﴿صراط الذين﴾ : بدل منه بدل كل من كل، وهو بدل معرفة من معرفة، والبدل سبعة أقسام، على خلاف في بعضها، بدل كل من كل، بدل بعض من كل، بدل اشتمال، بدل غلط، بدل نسيان، بدل بداء، بدل كل من بعض. أما الأقسام الثلاثة الأول فلا خلاف فيها، وأما بدل البداء فأثبته بعضهم مستدلا بقوله عليه السلام: «إن الرجل ليصلي الصلاة، وما كتب له نصفها ثلثها ربعها إلى العشر» ، ولا يرد هذا في." (٣)

"من «موصولة، وللعهد ومن نكرة موصوفة/. وزعم الكسائي أنها لا تكون إلا في موضع تختص به النكرة، كقوله:

١٥٨ - رب من أنضجت غيظا قلبه ... قد تمنى لي موتا لم يطع

وهذا الذي قاله هو الأكثر: إلا أنها قد جاءت في موضع لا تختص به النكرة، قال:

١٥٩ - فكفى بنا فضلا على من غيرنا ....

و» من «تكون موصولة ونكرة موصوفة كما تقدم وشرطية واستفهامية، وهل تقع نكرة غير موصوفة أو زائدة؟

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٤٢/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٣/١

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٥/١

خلاف، واستدل الكسائي على زيادتها بقول عنترة:

١٦٠ - يا شاة من قنص لمن حلت له ... حرمت علي وليتها لم تحرم

ولا دليل فيه لجواز أن تكون موصوفة بقنص: إما على المبالغة أو على حذف مضاف.

و» من «في» من الناس «للتبعيض، وقد زعم قوم أنها للبيان وهو **غلط** لعدم تقدم ما يتبين بها. و» الناس «اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويرادفه» أناسي «جمع إنسان أو إنسي، وهو حقيقة في الآدميين، ويطلق على الجن." (١)

"لقوله: «فذبحوها» . والجواب عن هذه الآية من وجهين، أحدهما: أنه يحمل على اختلاف وقتين، أي: ذبحوها في وقت، وما كادوا يفعلون في وقت آخر، والثاني: أنه عبر بنفي مقاربة الفعل عن شدة تعنتهم وعسرهم في الفعل.

وأما ما حكوه عن ذي الرمة فقد **غلط** الجمهور ذا الرمة في رجوعه عن قوله، وقالوا: هو أبلغ وأحسن مما غيره إليه.

واعلم أن خبر «كاد» وأخواتها غير عسى لا يكون فاعله إلا ضميرا عائدا على اسمها، لأنها للمقاربة أو للشروع بخلاف عسى، فإنها للترجي، تقول: «عسى زيد أن يقوم أبوه» ، ولا يجوز ذلك في غيرها، فأما قوله:

٢٤٥ - وقفت على ربع لمية ناقتي ... فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما أبثه ... تكلمني أحجاره وملاعبه

فأتى بالفاعل ظاهرا فقد حمله بعضهم على الشذوذ، وينبغي أن يقال: إنما جاز ذلك لأن الأحجار والملاعب هي عبارة عن الربع، فهي هو، فكأنه قيل: حتى كاد يكلمني، ولكنه عبر عنه بمجموع أجزائه، وقول الأخر:

٢٤٦ - وقد جعلت إذا ما قمت يثقلني ... ثوبي فأنهض نهض الشارب السكر

وكنت أمشي على رجلين معتدلا ... فصرت أمشي على أخرى من الشجر

فأتى بفاعل [خبر] جعل ظاهرا، فقد أجيب عنه بوجهين: أحدهما: أنه على حذف مضاف تقديره: وقد جعل ثوبي إذا ما قمت يثقلني. والثاني: أنه من باب إقامة السبب مقام المسبب، فإن نهوضه كذا متسبب عن إثقال." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١/١١٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١/١٧٧

"فإذا وجوابها صلة» اللاء «، ولا صلة للذين لأنه توكيد للأول.

إلا أن بعضهم يرد هذا القول ويجعله فاسدا، من جهة أنه لا يؤكد الحرف إلا بإعادة ما اتصل به فالوصول أولى بذلك، وخرج الآية والبيت على أن» من قبلكم «صلة للموصول الثاني، والموصول الثاني وصلته خبر لمبتدأ محذوف، والمبتدأ وخبره صلة الأول، والتقدير: والذين هم قبلكم، وكذا البيت، تجعل» إذا «وجوابها صلة للذين، والذين خبر لمبتدأ محذوف، وذلك المبتدأ وخبره صلة للاء، ولا يخفى ما في هذا من التعسف.

والخلق يقال باعتبارين، وأحدهما: الإبداع والاختراع، وهذه الصفة ينفرد بها الباري تعالى. والثاني: التقدير: قال زهير:

٢٦١ - ولأنت تفري ما خلقت وبع ... ض القوم يخلق ثم لا يفري

وقال الحجاج:» ما خلقت إلا فريت ولا وعدت إلا وفيت «.

وهذه الصفة لا يختص بها الله تعالى، وقد **غلط** أبو عبد الله البصري في أنه لا يطلق اسم الخالق على الله تعالى، قال: لأنه محال، وذلك أن التقدير والتسوية في حق الله تعالى ممتنعان، لأنهما عبارة عن التفكر والظن، وكأنه لم يسمع قوله تعالى: ﴿هو الله الخالق البارىء﴾ [الحشر: ٢٤] ﴿الله خالق كل." [١]

"عمله وبين ما يعمل فيه بالخبر وهو» الناس «، يعني أن الوقود بالضم وإن كان مصدرا صالحا للعمل فلا يجوز ذلك أيضا؛ لأنه عامل في الحال وقد فصلت بينه وبينها بأجنبي وهو» الناس «. وقال السجستاني: ﴿أعدت للكافرين﴾ من صلة» التي «كقوله: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾ [آل عمران: ١٣١] ، قال ابن الأنباري:» وهذا **غلط** لأن «التي» هنا وصلت بقوله: ﴿وقودها الناس﴾ فلا يجوز أن توصل بصلة ثانية، بخلاف التي في آل عمران. قلت: ويمكن ألا يكون غلطا، لأنا لا نسلم أن ﴿وقودها الناس﴾ والحالة هذه صلة، بل إما معترضة لأن فيها تأكيدا وإما حالا، وهذان الوجهان لا يمنعهما معنى ولا صناعة.." [٢]

"قال الزمخشري: «عطفا على» أعدت «انتهى. وهو **غلط** لأن المعطوف عليه [من] الصلة، ولا راجع على الموصول من هذه الجملة فلا يصح أن يكون عطفا على أعدت] .

وفاعل» بشر «: إما ضمير الرسول عليه السلام، وهو الواضح، وإما كل من تصح منه البشارة. وكون صلة» الذين «فعلا ماضيا دون كونه اسم فاعل دليل على أن يستحق التبشير بفضل الله من وقع منه الإيمان وتحقق به وبالأعمال الصالحة.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١/١٨٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١/٢٠٨

والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات التي جرت مجرى الأسماء في إيلائها العوامل، قال:

٢٨٩ - كيف الهجاء وما تنفك صالحة ... من آل لأم بظهر الغيب تأتيني

وعلامة نصبه الكسرة لأنه من باب جمع المؤنث السالم نيابة عن الفتحة التي هي أصل النصب.

قوله تعالى: ﴿أن لهم جنات﴾ جنات اسم أن، و «لهم» خبر مقدم، ولا يجوز تقديم خبر «أن» وأخواتها إلا ظرفا أو حرف جر، وأن وما في حيزها في محل جر عند الخليل والكسائي ونصب عند سيبويه والفراء، رأن الأصل «: وبشر الذين آمنوا بأن لهم، فحذف حرف الجر مع أن، وهو حذف." [١]

"ابن عطية، وهذا **غلط** لوجهين، أحدهما: عدم ما يدل عليه، والثاني: أنه يرده قوله: ثم استوى إلى السماء، وهي «دخان» . و «إلى» حرف انتهاء على بابها، وقيل: هي بمعنى «على» فيكون في المعنى كقول الشاعر:

٣٢٣ - قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

أي: استولى، ومثله قول الآخر:

٣٢٤ - فلما علونا واستوينا عليهم ... تركناهم صرعى لنسر وكاسر

وقيل: ثم مضاف محذوف، ضميره هو الفاعل أي استوى أمره، و ﴿إلى السمآء﴾ متعلق ب «استوى» ، و «فسواهن» الضمير يعود على السماء: إما لأنها جمع سماوة كما تقدم، وإما لأنها اسم جنس يطلق على الجمع، وقال الزمخشري: «هن» ضمير مبهم، و «سبع سماوات» يفسره كقولهم: «ربه رجلا» . وقد رد عليه هذا، فإنه ليس من المواضع التي يفسر فيها الضمير بما بعده، لأن النحويين حصروا ذلك في سبعة مواضع: ضمير الشأن، والمجرور ب «رب» ، والمرفوع بنعم وبئس وما جرى مجراهما،." [٢]

"ونقدس، ثم اعترضوا على جهة التسليم، أي: وأنت المحمود في الهداية إلى ذلك» قلت: كأنه يحاول أن تكون الباء للسببية، ولكن يكون ما تعلقت به الباء فعلا محذوفا لائقا بالمعنى تقديره: حصل لنا التسبيح والتقديس بسبب حمدك.

والحمد هنا: مصدر مضاف لمفعوله، وفاعله محذوف تقديره: بحمدنا إياك. وزعم بعضهم أن الفاعل مضمر فيه وهو غلط؛ لأن المصدر اسم جامد لا يضمر فيه، على أنه قد حكي خلاف في المصدر الواقع موقع الفعل نحو: ضربا زيدا، هل يتحمل ضميرا أم لا؟ وقد تقدم.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢١١/١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٤٣/١

و «نقدس» عطف على «نسبح» فهو خبر أيضا عن «نحن» ومفعوله محذوف أي: نقدس أنفسنا وأفعالنا لك، و «لكم» متعلق به أو ب «نسبح» ، ومعناها العلة، وقيل: هي زائدة، فإن ما قبلها متعد بنفسه، وهو ضعيف إذ لا تزاد إلا مع تقديم المعمول أو يكون العامل فرعا، وقيل: هي معدية نحو: سجدت لله، وقيل: هي للبيان، كهي في قولك: سقيا لك، فعلى هذا يتعلق بمحذوف ويكون خبر مبتدأ مضمر أي: تقديسنا لك.

وهذا التقدير أحسن من تقدير قولهم: «أعني» لأنه أليق بالموضع. وأبعد من زعم أن جملة قوله «ونحن نسبح» داخلة في حيز استفهام مقدر تقديره: وأنحن." (١)

"وموافقة استفعل نحو: تكبر، والتوقع نحو: تخوف، والطلب نحو: تنجز حاجته، والتكثير نحو: تغطيت بالثياب، والتلبس بالمسمى المشتق منه نحو: تقمص، أو العمل فيه نحو: تسحر، والختل نحو: تغفلته. وزعم بعضهم أن أصل تلقى تلقن بالنون فأبدلت النون ألفا، وهذا **غلط** لأن ذلك إنما ورد في المضعف نحو: قصيت أظفاري وتظنيت وأمليت الكتاب، في: قصصت وتظننت وأمللت.

و ﴿من ربه﴾ متعلق به، و «من» لابتداء الغاية مجازا، وأجاز أبو البقاء أن يكون في الأصل صفة لكلمات فلما قدم انتصب حالا، فيتعلق بمحذوف، و «كلمات» مفعول به.

وقرأ ابن كثير بنصب «آدم» ورفع «كلمات» ، وذلك أن من تلقاك فقد تلقيته، فتصح نسبة الفعل إلى كل واحد. وقيل: لما كانت الكلمات سببا في توبته جعلت فاعلة. ولم يؤنث الفعل على هذه القراءة وإن كان الفاعل مؤنثا [لأنه غير حقيقي، وللفصل أيضا، وهذا سبيل كل فعل فصل بينه وبين فاعله المؤنث بشيء، أو كان الفاعل مؤنثا] مجازيا.

قوله تعالى: ﴿فتاب عليه﴾ عطف على ما قبله، ولا بد من تقدير جملة قبلها أي: فقالها. والكلمات جمع كلمة، وهي اللفظ الدال على معنى مفرد ويطلق على الجمل المفيدة مجازا تسمية للكل باسم الجزء كقوله تعالى: ﴿﴾." (٢)

"ومتشابهة، ومتشابه، ومتشبه على اسم الفاعل من تشابه وتشبه، وقرئ: تشبه ماضيا. وفي مصحف أبي: «تشابهت» بتشديد الشين. قال أبو حاتم: «هو **غلط** لأن التاء في هذا الباب لا تدغم إلا في المضارع» ، وهو معذور في ذلك. وقرئ: تشابه كذلك إلا أنه بطرح تاء التأنيث، ووجهها على إشكالها أن

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٥٧/١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٩٥/١

يكون الأصل: إن البقرة تشابهت فالتاء الأولى من البقرة والتاء الثانية من الفعل، فلما اجتمع متقاربان أدغم نحو: الشجرة. . . إلا أنه يشكل أيضا في تشابه من غير تاء، لأنه كان يجب ثبوت/ علامة التأنيث، وجوابه أنه مثل:

٥٤٤ -. . . . . ولا أرض أبقل إبقالها

مع أن ابن كيسان لا يلتزم ذلك في السعة.

قوله: ﴿إن شآء الله﴾ هذا شرط جوابه محذوف لدلالة إن وما في حيزها عليه، والتقدير: إن شاء الله هدايتنا للبقرة اهتدينا، ولكنهم أخرجوه في جملة اسمية مؤكدة بحرفي تأكيد مبالغة في طلب الهداية، واعترضوا بالشرط تيمنا بمشيئة الله تعالى. و «لمهتدون» اللام لام الابتداء داخلة على خبر «إن» ، وقال أبو البقاء: «جواب الشرط إن وما عملت فيه عند سيبويه، وجاز ذلك." (١)

"وقال أبو البقاء: «إنها معطوفة على» أشربوا «أو على» نبذ فريق «، وهذا ليس بظاهر، لأن عطفها على» نبذ «يقتضي كونها جوابا لقوله: ﴿ولما جآءهم رسول﴾ واتباعهم لما تتلو الشياطين ليس مترتبا على مجيء الرسول بل كان اتباعهم لذلك قبله، فالأولى أن تكون معطوفة على جملة لا كما تقدم. و» ما «موصولة، وعائدها محذوف، والتقدير: تتلوه. وقيل:» ما «نافية وهذا **غلط** فاحش لا يقتضيه نظم الكلام البتة، نقل ذلك ابن العربي. و» يتلو «في معنى تلت فهو مضارع واقع موقع الماضي كقوله:

٦٣٩ - وإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الهجان وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبائح

أي: فلقد كان، وقال الكوفيون: الأصل: ما كانت تتلو الشياطين، ولا يريدون بذلك أن صلة» ما «محذوفة، وهي» كانت «، و» تتلو «في موضع الخبر، وإنما قصدوا تفسير المعنى، وهو نظير:» كان زيد يقوم «المعنى على الإخبار بقيامه في الزمن الماضي

وقرأ الحسن والضحاك:» الشياطون «إجراء له مجرى جمع السلامة، قالوا: وهو غلط. وقال بعضهم: لحن فاحش. وحكى الأصمعي:» بستان فلان حوله بساتون «وهو يقوي قراءة الحسن.

قوله: ﴿على ملك سليمان﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه على معنى في، أي: في زمن ملكه، والملك هنا شرعه. والثاني: أن يضمن تتلو معنى:." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٢٧/١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٨/٢

"الكلام في ذلك عند قوله: ﴿من كان عدوا لجبريل﴾ [البقرة: ٩٧] . والثاني: أن «من» لا تزاد في الموجب، والشرط موجب، وهذا فيه خلاف لبعض البصريين أجاز زيادتها في الشرط لأنه يشبه النفي، ولكنه خلاف ضعيف.

وقرأ ابن عامر: «ننسخ» بضم النون وكسر السين من أنسخ، قال أبو حاتم: «هو غلط» وهذه جرأة منه على عادته، وقال أبو علي: ليست لغة لأنه لا يقال: نسخ وأنسخ بمعنى، ولا هي للتعدية لأن المعنى يجيء الأمر كذلك، فلم يبق إلا أن يكون المعنى: ما نجده منسوخا كما يقال: أحمدته وأبخلته، أي: وجدته كذلك ثم قال: «وليس نجده منسوخا إلا بأن ينسخه، فتنفق القراءتان في المعنى وإن اختلفا في اللفظ» ، فالهمزة عنده ليس للتعدية. وجعل الزمخشري وابن عطية الهمزة للتعدية، إلا أنهما اختلفا في تقدير المفعول الأول المحذوف وفي معنى الإنساخ، فجعل الزمخشري المفعول المحذوف جبريل عليه السلام، والإنساخ هو الأمر بنسخها، أي: الإعلام به، وجعل ابن عطية المفعول ضمير النبي عليه السلام، والإنساخ إباحة النسخ لنبيه، كأنه لما نسخها أباح له تركها، فسمى تلك الإباحة إنساخا.

وخرج ابن عطية القراءة على كون الهمزة للتعدية من وجه آخر، وهو من نسخ الكتاب، وهو نقله من غير إزالة له، قال: «ويكون المعنى: ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ أو ما نؤخر فيه ونتركه فلا ننزله، أي ذلك فعلنا فإنما نأتي بخير من المؤخر المتروك أو بمثله، فيجيء الضميران في» منها «و» بمثلها «." (١)

"ولا يكون» أين «شرطا في اللفظ بل في المعنى، كما تقول:» ما صنعت صنعت «إذا أردت الماضي، وهذا ضعيف لأن» أين «إما شرط أو استفهام وليس لها معنى ثالث» .

انتهى وهو غير واضح.

قوله: ﴿فثم وجه الله﴾ الفاء وما بعدها جواب الشرط، فالجملة في محل جزم، و «ثم» خبر مقدم، و «وجه الله» رفع بالابتداء و «ثم» اسم إشارة للمكان البعيد خاصة مثل: هنا وهنا بتشديد النون، وهو مبني على الفتح لتضمنه معنى حرف الإشارة أو حرف الخطاب. قال أبو البقاء: «لأنك تقول في الحاضر: هنا، وفي الغائب هناك، وثم ناب عن هناك» / وهذا ليس بشيء. وقيل: بني لشبهه بالحرف في الافتقار، فإنه يفتقر إلى مشار إليه، ولا يتصرف بأكثر من جره ب «من» ، ولذلك **غلط** بعضهم في جعله مفعولا به في قوله: ﴿وإذا رأيت ثم [رأيت] ﴾ [الإنسان: ٢٠] ، بل مفعول «رأيت» محذوف. ومعنى «وجه الله» جهته التي ارتضاها قبلة وأمر بالتوجه نحوها، أو ذاته نحو: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] ، أو المراد

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٥٦

به الجاه، أي فثم جلال الله وعظمته من قولهم: هو وجه القوم، أو يكون صلة زائدا، وليس بشيء، وقيل: المراد به العمل قاله الفراء وعليه قوله:." (١)

"ويجمع على: سماعلة وسماعيل وأساميع. ومن أغرب ما نقل في التسمية به أن إبراهيم عليه السلام لما دعا الله أن يرزقه ولدا كان يقول: اسمع إيل اسمع إيل، وإيل هو الله تعالى فسمى ولده بذلك.

قوله: ﴿أن طهرا﴾ يجوز في «أن» وجهان، أحدهما أنها تفسيرية لجملة قوله: «عهدنا» فإنه يتضمن معنى القول لأنه بمعنى أمرنا أو وصينا فهي بمنزلة «أي» التي للتفسير، وشرط «أن» التفسيرية أن تقع بعدما هو بمعنى القول لا حروفه. وقال أبو البقاء: «والمفسرة تقع بعد القول وما كان في معناه. وقد **غلط** في ذلك، وعلى هذا فلا محل لها من الإعراب. والثاني: أن تكون مصدرية وخرجت عن نظائرها في جواز وصلها بالجملة الأمرية قالوا:» كتبت إليه بأن قم «وفيها بحث ليس هذا موضعه، والأصل: بأن طهرا، ثم حذفت الباء فيجيء فيها الخلاف المشهور من كونها في محل نصب أو خفض. و» بيتي «مفعول به أضيف إليه تعالى تشريفا. والطائف اسم فاعل مِن طاف يطوف، ويقال: أطاف رباعيا، قال:

٧١٦ - أطافت به جيلان عند قطاعه ... .

وهذا من باب فعل وأفعل بمعنى. والعكوف لغة: اللزوم واللبث، قال:

٧١٧ -. . . . . عليه الطير ترقبه عكوفا." (٢)

"معا لأن الحج لا يتم إلا بأمور منها ما هو معلوم ومنها ما هو مبصر «، ويلزمه على هذا الجمع بين الحقيقة والمجاز أو استعمال المشترك في معنييه معا.

وقرأ الجمهور:» أرنا «بإشباع كسر الراء هنا وفي النساء وفي الأعراف.» أرني أنظر «، وفي فصلت: ﴿أرنا الذين﴾ [فصلت: ٢٩] ، وقرأ ابن كثير بالإسكان في الجميع ووافقه في فصلت ابن عامر وأبو بكر عن عاصم/، واختلف عن أبي عمرو فروى عنه السوسي موافقة ابن كثير في الجميع، وروى عنه الدوري اختلاس الكسر فيها. أما الكسر فهو الأصل، وأما الاختلاس فحسن مشهور، وأما الإسكان فللتخفيف، شبهوا المتصل بالمنفصل فسكنوا كسره، كما قالوا في فخذ: فخذ وكتف: كتف.

وقد **غلط** قوم راوي هذه القراءة وقالوا: صار كسر الراء دليلا على الهمزة المحذوفة فإن أصله:» أرءنا «ثم نقل، قاله الزمخشري تابعا لغيره. قال الفارسي:» التغليط ليس بشيء لأنها قراءة متواترة، وأما كسرة الراء

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٨٢/٢

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٠٧/٢

فصارت كالأصل لأن الهمزة مرفوضة الاستعمال «وقال أيضا:» ألا تراهم أدغموا في ﴿لكن هو الله ربي﴾ [الكهف: ٣٨] ، والأصل: «لكن أنا» «نقلوا الحركة وحذفوا ثم أدغموا، فذهاب الحركة في» أرنا «ليس بدون ذهابها في الإدغام، وأيضا فقد سمع الإسكان في هذا الحرف نصا عن العرب قال:." (١)

"وهي الأرض؛ كأن كل واحد من المتجادلين يرمي صاحبه بالجدالة، قال الشاعر:

٨٨٦ - قد أركب الآلة بعد الآله ... وأترك العاجز بالجداله

ومنه:» الأجدل «الصقر، لشدته. والجدل فتل الحبل، ومنه: زمام مجدول أي محكم الفتل.

قوله: ﴿وما تفعلوا من خير﴾ تقدم الكلام على نظيرتها، وهي: ﴿ما ننسخ﴾ ، فكل ما قيل ثم يقال هنا. قال أبو البقاء:» ونزيد هنا وجها آخر: وهو أن يكون «من خير» في محل نصب نعتا لمصدر محذوف، تقديره: وما تفعلوا فعلا كائنا من خير «.

و» يعلمه «جزم على جواب الشرط، ولا بد من مجاز في الكلام: فإما أن يكون عبر بالعلم عن المجازاة على فعل الخير، كأنه قيل: يجازكم، وإما أن تقدر المجازاة بعد العلم أي: فيثيبه عليه.

وفي قوله: ﴿وما تفعلوا﴾ التفات؛ إذ هو خروج من غيبة في قوله:» فمن فرض «. وحمل على معنى» من «إذ جمع الضمير ولم يفرده.

وقد خبط بعض المعربين فقال:» من خير «متعلق بتفعلوا، وهو في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف، تقدره:» وما تفعلوه فعلا من خير «والهاء في» يعلمه «تعود إلى» خير «. وهذا **غلط** فاحش؛ لأنه من حيث علقه بالفعل." (٢)

"وفيه التفات من الغيبة إلى التكلم. وقد ظن ابن عطية أن مكيا **غلط** في نقل هذه القراءة عنه وقال: «إن الناس رووا عن الجحدري:» ليحكم «على بناء الفعل للمفعول» ولا ينبغي أن يغلطه لاحتمال أن يكون عنه قراءتان.

والثاني: أنه يعود على «الكتاب» أي: ليحكم الكتاب، ونسبة الحكم إليه مجاز كنسبة النطق إليه في قوله تعالى: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ [الجاثية: ٢٩] ، ونسبة القضاء إليه في قوله:

٩٢١ - ضربت عليك العنكبوت بنسجها ... وقضى عليك به الكتاب المنزل

ووجه المجاز أن الحكم فيه فنسب إليه. والثالث: أنه يعود على النبي، وهذا استضعفه الشيخ من حيث

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١١٨/٢

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٢٨/٢

إفراد الضمير، إذ كان ينبغي على هذا أن يجمع ليطابق «النبيين» . ثم قال: «وما قاله جائز على أن يعود الضمير على إفراد الجمع على معنى: ليحكم كل نبي بكتابه. و» بين «متعلق ب» يحكم «. والظرفية هنا مجاز. وكذلك» فيما اختلفوا «متعلق به أيضا. و» ما «موصولة، والمراد بها الدين، أي: ليحكم الله بين الناس في الدين، بعد أن كانوا متفقين عليه. ويضعف أن يراد ب» ما «النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها لغير العقلاء غالبا. و» فيه «متعلق ب» اختلفوا «، والضمير عائد على» ما «الموصولة.
قوله: ﴿وما اختلف فيه﴾ الضمير في» فيه «فيه أوجه، أظهرها: أنه عائد على» ما «الموصولة أيضا، وكذلك الضمير في» أوتوه «. وقيل: يعودان على الكتاب، أي: وما اختلف في الكتاب إلا الذين أوتوا الكتاب. وقيل: يعودان." (١)

"الثاني: أنه من باب الاتساع ووضع أحد الجمعين موضع الآخر. والثالث: أن قروءا جمع قرء بفتح القاف، فلو جاء على «أقراء» لجاء على غير القياس لأن أفعالا لا يطرد في فعل بفتح الفاء. والرابع - وهو مذهب المبرد -: أن التقدير «ثلاثة من قروء» ، فحذف «من» . وأجاز: ثلاثة حمير وثلاثة كلاب، أي: من حمير ومن كلاب. وقال أبو البقاء: «وقيل: التقدير ثلاثة أقراء من قروء» وهذا هو مذهب المبرد بعينه، وإنما فسر معناه وأوضحه.
والقرء في اللغة قيل: أصله الوقت المعتاد تردده، ومنه: قرء النجم لوقت طلوعه وأفوله، يقال: «أقرأ النجم» أي: طلع أو أفل. [ومنه قيل لوقت] هبوب الريح: «قرؤها وقارئها، قال الشاعر:
٩٧١ - شنئت العقر عقر بني شليل ... إذا هبت لقارئها الرياح
أي: لوقتها، وقيل: أصله الخروج من طهر إلى حيض أو عكسه، وقيل: هو من قولهم: قريت الماء في الحوض أي: جمعته، وهو **غلط** لأن هذا من ذوات الياء والقرء مهموز.
وإذا تقرر ما ذكرت لك فاعلم أن أهل العلم اختلفوا في إطلاقه على الحيض والطهر: هل هو من باب الاشتراك اللفظي، ويكون من الأضداد أو من الاشتراك المعنوي فيكون من المتواطىء، كما إذا أخذنا القدر المشترك: إما الاجتماع وإما الوقت وإما الخروج ونحو ذلك. وقرء المرأة لوقت حيضها وطهرها، ويقال فيهما: أقرأت المرأة أي: حاضت أو طهرت. وقال." (٢)

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٧٦/٢
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٣٩/٢

"بمحذوف لأنه صفة لنبي، ومحله الجر، و «ابعث» وما في حيزه في محل نصب بالقول. و «لنا» الظاهر أنه متعلق بابعث، واللام للتعليل أي: لأجلنا.

قوله: ﴿نقاتل﴾ الجمهور بالنون والجزم على جواب الأمر. وقرىء بالياء والجزم على ما تقدم، وابن أبي عبلة بالياء ورفع اللام على الصفة لملكا، فمحلها النصب. وقرىء بالنون ورفع اللام على أنها حال من «لنا» فمحلها النصب أيضا أي: ابعثه، لنا مقدرين القتال، أو على أنها استئناف جواب لسؤال مقدر كأنه قال لهم: ما يصنعون بالملك؟ فقالوا نقاتل.

قوله: ﴿هل عسيتم﴾ عسى واسمها، وخبرها ﴿ألا تقاتلوا﴾ والشرط معترض بينهما، وجوابه محذوف للدلالة عليه، وهذا كما توسط في قوله: ﴿وإنآ إن شآء الله لمهتدون﴾ [البقرة: ٧٠] ، وهذا على رأي من يجعل «عسى» داخلة على المبتدأ والخبر، ويقول إن «أن» زائدة لئلا يخبر بالمعنى عن العين. وأما من يرى أنها تضمن معنى فعل متعد فيقول: «عسيتم» فعل وفاعل، و «أن» وما بعدها مفعول به تقديره: هل قاربتم عدم القتال، فهي عنده ليست من النواسخ، والأول هو المشهور.

وقرأ نافع «عسيتم» هنا وفي القتال: بكسر السين، وهي لغة مع تاء الفاعل مطلقا/ ومع ن، ومع نون الإناث نحو: عسينا وعسين، وهي لغة الحجاز، ولهذا **غلط** من قال: «عسى تكسر مع المضمر» وأطلق، بل كان ينبغي." (١)

"جعل بمعنى الوقت، أجازه الزمخشري بناء منه على أن «أن» واقعة موقع الظرف، وقد تقدم ضعفه، وأيضا فإن الظرفين مختلفان كما تقدم إلا بالتجوز المذكور. وقال أبو البقاء: «وذكر بعضهم أنه بدل من» أن آتاه «وليس بشيء، لأن الظرف غير المصدر، فلو كان بدلا لكان غلطا إلا أن تجعل» إذ «بمعنى» أن «المصدرية، وقد جاء ذلك» انتهى. وهذا بناء منه على أن «أن» مفعول من أجله/ وليست واقعة موقع الظرف، أما إذا كانت «أن» واقعة موقع الظرف فلا تكون بدل غلط، بل بدل كل من كل، كما هو قول الزمخشري وفيه ما تقدم، مع أنه يجوز أن تكون بدلا من «أن آتاه» و «أن آتاه» مصدر مفعول من أجله بدل اشتمال، لأن وقت القول لاتساعه مشتمل عليه وعلى غيره. الرابع: أن العامل فيه «تر» من قوله: «ألم تر» ذكره مكي، وهذا ليس بشيء، لأن الرؤية على كلا التفسيرين المذكورين في نظيرتها لم تكن في وقت قوله: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ .

و ﴿ربي الذي يحيي﴾ مبتدأ وخبر في محل نصب بالقول. قوله: ﴿قال أنا أحيي﴾ مبتدأ وخبر منصوب

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٥١٥

المحل بالقول أيضا. وأخبر عن «أنا» بالجملة الفعلية، وعن «ربي» بالموصول بها، لأنه في الإخبار بالموصول يفيد الاختصاص بالمخبر عنه بخلاف الثاني، فإنه لم يدع لنفسه الخسيسة الخصوصية بذلك. و «أنا» ضمير مرفوع منفصل، والاسم منه «أن» والألف زائدة لبيان." (١)

"وقد ذهب الجرجاني في هذه الآية إل أن التقدير: مخافة أن تضل، وأنشد قول عمرو:

١١٢٥ -. . . . . فعجلنا القرى أن تشتمونا

أي: مخافة أن تشتمونا «وهذا صحيح لو اقتصر عليه من غير أن يعطف عليه قوله» فتذكر «لأنه كان التقدير: فاستشهدوا رجلا وامرأتين مخافة أن تضل إحداهما، ولكن عطف قوله:» فتذكر «يفسده، إذ يصير التقدير: مخافة أن تذكر إحداهما الأخرى، وإذكار إحداهما الأخرى ليس مخوفا منه، بل هو المقصود، قال أبو جعفر:» سمعت علي بن سليمان يحكي عن أبي العباس أن التقدير كراهة أن تضل «قال أبو جعفر:» وهو **غلط** إذ يصير المعنى: كراهة أن تذكر إحداهما الأخرى «انتهى.

وذهب الفراء إلى أغرب من هذا كله فزعم أن تقدير الآية الكريمة:» كي تذكر أحداهما الأخرى إن ضلت «فلما قدم الجزاء اتصل بما قبله ففتحت» أن «، قال:» ومثله من الكلام: «إنه ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى» معناه: إنه ليعجبني أن يعطى السائل إن سأل؛ لأنه إنما يعجب الإعطاء لا السؤال،." (٢)

"اقتدر بهمزتين: الأولى للوصل والثانية فاء الكلمة، ووقعت الثانية ساكنة بعد أخرى مثلها مضمومة وجب قلب الثانية لمجانس حركة الأولى فقلت: أوتمن. فأما في الدرج فتذهب همزة الوصل فتعود الهمزة إلى حالها لزوال موجب قلبها واوا بل تقلب ياء صريحة في الوصل في رواية ورش والسوسي.

وروي عن عاصم:» الذي اوتمن «برفع الألف ويشير بالضمة إلى الهمزة، قال ابن مجاهد:» وهذه الترجمة **غلط** «. وروى سليم عن حمزة إشمام الهمزة الضم، وفي الإشارة والإشمام المذكورين نظر. وقرأ عاصم أيضا في شاذة:» الذتمن «بإدغام الياء المبدلة من الهمزة في تاء الافتعال، قال الزمخشري:» قياسا على «اتسر» في الافتعال من اليسر، وليس بصحيح لأن الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة، واتزر عامي، وكذلك «ريا» في «رؤيا» قال الشيخ: «وما ذكر الزمخشري فيه أنه ليس بصحيح وأن» اتزر «عامي - يعني أنه من إحداث العامة لا أصل له في اللغة - قد ذكره غيره أن بعضهم أبدل وأدغم:» اتمن واتزر «وأن ذلك لغة رديئة، وكذلك» ريا «في رؤيا، فهذا التشبيه: إما أن يعود على قوله:» واتزر عامي «فيكون

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٥٥٢

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٦٦١

إدغام» ريا «عاميا، وإما أن يعود إلى قوله» فليس بصحيح «أي: وكذلك إدغام» ريا «ليس بصحيح، وقد حكى الكسائي الإدغم في» ريا «.." [١]

"وقرأ أبو عمرو بإدغام الراء في اللام والباقون بإظهارها. وأظهر الباء قبل الميم هنا ابن كثير بخلاف عنه، وورش عن نافع، والباقون بالإدغم. وقد طعن قوم على قراءة أبي عمرو لأن إدغام الراء في اللام عندهم ضعيف.

قال الزمخشري:» فإن قلت: «كيف يقرأ الجازم» ؟ قلت: يظهر الراء ويدغم الباء، ومدغم الراء في اللام لا حن مخطىء خطأ فاحشا، وراويه عن أبي عمرو مخطىء مرتين، لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في هذه الروايات قلة ضبط الرواة، وسبب قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو «قلت: وهذا من أبي القاسم غير مرضي، إذ القراء معنيون بهذا الشأن، لأنهم تلقوا عن شيوخهم الحرف بعد الحرف، فكيف يقل ضبطهم؟ وهو أمر يدرك بالحس السمعي، والمانع من إدغام الراء في اللام والنون هو تكرير الراء وقوتها، والأقوى لا يدغم في الأضعف، وهذا مذهب البصريين: الخليل وسيبويه ومن تبعهما، وأجاز ذلك الفراء والكسائي والرؤاسي ويعقوب الحضرمي ورأس البصريين أبو عمرو، وليس قوله:» إن هذه الرواية **غلط** عليه «بمسلم. ثم ذكر الشيخ نقولا عن القراء كثيرة هي منصوصة في كتبهم، فلم أر لذكرها هنا فائدة، فإن مجموعها ملخص فيما ذكرته، وكيف يقال إن الراوي ذلك عن." [٢]

"وقرأ عمرو بن عبيد فيما نقل الزمخشري، والرؤاسي فيما نقل ابن عطية، وأبو حيوة:» الم الله «بكسر الميم. قال الزمخشري:» وما هي بمقبولة «والعجب منه كيف تجرأ على عمرو بن عبيد وهو عنده معروف المنزلة، وكأنه يريد وما هي مقبولة عنه أي: لم تصح عنه، وكأن الأخفش لم يطلع على أنها قراءة فقال:» لو كسرت الميم لالتقاء الساكنين فقيل: «ألم الله» لجاز «.

قال الزجاج:» وهذا **غلط** من أبي الحسن، لأن قبل الميم ياء مكسورا ما قبلها فحقها الفتح لالتقاء الساكنين لثقل الكسر مع الياء، وهذا وإن كان كما قاله، إلا أن الفارسي انتصر لأبي الحسن، ورد على أبي إسحاق رده فقال: «كسر الميم لو ورد بذلك سماع لم يدفعه قياس، بل كان يثبته ويقويه لأن الأصل في التحريك لالتقاء الساكنين الكسر، وإنما يبدل إلى غير ذلك لما يعرض من علة وكراهة، فإذا جاء الشيء على بابه فلا وجه لرده ولا مساغ لدفعه، وقول أبي إسحاق» إن ما قبل الميم ياء مكسور ما قبلها فحقها الفتح

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٨٣/٢

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٩٠/٢

«منقوض بقولهم:» جير «و» كان من الأمر ذيت وذيت وكيت وكيت «فحرك الساكن بعد الياء بالكسر، كما حرك بعدها بالفتح في» أين «، وكما جاز الفتح بعد الياء في قولهم:» أين «كذلك يجوز الكسر بعدها كقولهم جير، ويدل على جواز التحريك لالتقاء الساكنين بالكسر فيما كان قبله ياء جواز تحريكه بالضم نحو قولهم: حيث، وإذا جاز الضم كان الكسر أجوز وأسهل.." (١)

"بضم الحاء وكسرها في المضارع، وأحبه يحبه، وقد تقدم القول في ذلك في البقرة. ونقل الزمخشري أنه قرئ «يحبكم» بفتح الباء والإدغام وهو ظاهر، لأنه متى سكن المثلين جزما أو وقفا جاز فيه لغتان: الفك والإدغام، وسيأتي تحقيق ذلك في المائدة.

وقرأ الجمهور: «فاتبعوني» بتخفيف النون وهي للوقاية، وقرأ الزهري بتشديدها، وخرجت على أنه ألحق الفعل نون التوكيد وأدغمها في نون الوقاية، وكان ينبغي له أن يحذف واو الضمير لالتقاء الساكنين، إلا أنه شبه ذلك بقوله: ﴿أتحاجواني﴾ [الأنعام: ٨٠] وهو توجيه ضعيف، ولكن هو يصلح لتخريج هذا الشذوذ. وقد طعن الزجاج على من روى عن ابي عمرو إدغام الراء من «يغفر» في لام «لكم» وقال: «هو خطأ وغلط على أبي عمرو» وقد تقدم تحقيق ذلك وأنه لا خطأ ولا غلط، بل هذه لغة للعرب نقلها الناس، وإن كان البصريون كما يقول الزجاج لا يجيزون ذلك.." (٢)

"الثالث: أنه منصوب ب «سميع» وبه صرح ابن جرير الطبري. وإليه نحا الزمخشري ظاهرا فإنه قال: «أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها، و» إذ «منصوب به» . قال الشيخ: «ولا يصح ذلك لأن قوله» عليم «: إما أن يكون خبرا بعد خبر أو وصفا لقوله:» سميع «، فإن كان خبرا فلا يجوز الفصل بين العامل والمعمول لأنه أجنبي منهما، وإن كان وصفا فلا يجوز أن يعمل» سميع «في الظرف لأنه قد وصف، واسم الفاعل وما جرى مجراه إذا وصف قبل أخذ معموله لا يجوز له إذ ذاك أن يعمل، على خلاف لبعض الكوفيين في ذلك، ولأن اتصافه تعالى بسميع عليم لا يتقيد بذلك الوقت» قلت: وهذا العذر غير مانع لأنه يتسع في الظرف وعديله ما لا يتسع في غيره، ولذلك يقدم على ما في حيز «أل» الموصولة وما في حيز «أن» المصدرية.

الرابع: أن تكون «إذ» زائدة وهو قول أبي عبيدة، والتقدير: قالت امرأة، وهذا عند النحويين غلط، وكان أبو عبيدة يضعف في النحو.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٤/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب الم كنون السمين الحلبي ١٢٦/٣

قوله: ﴿محررا﴾ في نصبه أوجه، أحدها: أنه حال من الموصول وهو «ما في بطني» ، فالعامل فيها «نذرت» . الثاني: أنه حال من الضمير المرفوع بالجار لوقوعه صلة ل «ما» ، وهو قريب من الأول، فالعامل في هذه الحال الاستقرار الذي تضمنه الجار والمجرور. الثالث: أن ينتصب على المصدر؛ لأن المصدر يأتي على زنة اسم المفعول من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف، وعلى هذا فيجوز أن يكون في الكلام حذف مضاف تقديره:." (١)

"يتأتى على رأي الأخفش، إذ لم يعتمد الظرف، وحينئذ يكون الوقف على» سواء «ثم يبتدأ بقوله: ﴿بيننا وبينكم ألا نعبد﴾ وهذا فيه بعد من حيث المعنى ثم إنهم جعلوا هذه الجملة صفة لكلمة، وهذا **غلط** لعدم رابط بين الصفة والموصوف وتقدير العائد ليس بالسهل، وعلى هذا فقول أبي البقاء:» وقيل: تم الكلام على «سواء» ثم استأنف فقال: ﴿بيننا وبينكم أن لا نعبد﴾ أي بيننا وبينكم التوحيد، فعلى هذا يكون «أن لا نعبد» مبتدأ، والظرف خبره، والجملة صفة للكلمة «/ غير واضح، لأنه من حيث جعلها صفة كيف يحسن أن يقول: تم الكلام على» سواء «ثم استأنف، بل كان الصواب على هذا الإعراب أن تكون الجملة استئنافية كما تقدم.

السادس: أن يكون» أن لا نعبد «مرفوعا بالفاعلية بسواء، وإلى هذا ذهب الزماني فإن التقدير عنده: إلى كلمة مستوفيها بيننا وبينكم عدم عبادة غير الله تعالى، قال الشيخ:» إلا أن فيه إضمار الرابط وهو «فيه ا» وهو ضعيف «.

قوله: ﴿فإن تولوا فقولوا﴾ قال أبو البقاء:» هو ماض ولا يجوز أن يكون التقدير: «فإن تتولوا» لفساد المعنى لأن قوله: ﴿فقولوا اشهدوا﴾ خطاب للمؤمنين وتتولوا «للمشركين، وعند ذلك لا يبقى في الكلام جواب الشرط والتقدير: فقولوا: لهم. وهذا الذي قاله ظاهر جدا.." (٢)

"فأما قراءة أبي عمرو ومن ذكر معه فقد خرجوها على أوجه أحسنها أنه سكنت هاء الضمير إجراء للوصل مجرى الوقف، وهو باب واسع مضى لك منه شيء نحو: ﴿يتسنه وانظر﴾ [البقرة: ٢٥٩] ﴿أنا أحيي وأميت﴾ [البقرة: ٢٥٨] وسيمر بك منه أشياء إن شاء الله تعالى، وأنشد ابن مجاهد على ذلك قوله:

١٣٣٦ - وأشرب الماء ما بي نحوه عطش ... إلا لأن عيونه سيل واديها

وأنشد الأخفش على ذلك أيضا:

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٣٠/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٣٤/٣

١٣٣٧ - فظلت لدى البيت العتيق أخيله ... ومطواي مشتاقان له أرقان

إلا أن هذا يخصه بعضهم بضرورة الشعر، وليس كما قال لما سيأتي.

وقد طعن بعضهم على هذه القراءة فقال الزجاج: «هذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء **غلط** بين، لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم، وإذا لم تجزم فلا تسكن في الوصل، وأما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة ف**غلط** عليه كما **غلط** عليه في ﴿بارئكم﴾ [البقرة: ٥٤] ، وقد حكى عنه سيبويه وهو ضابط لمثل هذا أنه كان يكسر كسرا خفيا، يعني يكسر في» بارئكم «كسرا خفيا فظنه." (١)

"والهاء في «به» فيها أقوال، أظهرها: عودها على «ملء» لأنه مقدار ما يملؤها، أي: ولو افتدى بملء الأرض. والثاني: أن يعود على «ذهبا» قاله أبو البقاء، قال الشيخ: «ويوجد في بعض التفاسير أنها تعود على الملء أو على الذهب، فقوله:» أو على الذهب «غلط» قلت: كأن وجه ال**غلط** فيه أنه ليس محدثا عنه/، إنما جيء به بيانا وتفسيرا لغيره فضلة. الثالث: أن يعود على «مثل» محذوف، قال الزمخشري: «ويجوز أن يراد» ولو افتدى بمثله «كقوله:

﴿لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه﴾ [المائدة: ٣٦] والمثل يحذف في كلامهم كثيرا، كقولك «ضربت ضرب زيد» تريد مثل ضربه، أبو يوسف أو حنيفة «أي مثله، و:

١٣٥٦ - لا هيثم الليلة للمطي ... و» قضية ولا أبا حسن لها «تريد: لا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن، كما أنه يزاد في قولهم:» مثلك لا يفعل كذا «يريدون: أنت لا تفعل، وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر، فكانا في حكم شيء واحد» . قال الشيخ: «ولا حاجة إلى تقدير» مثل «في قوله: ﴿ولو افتدى به﴾ ، وكأن الزمخشري تخيل أن ما نفي أن يقبل لا يمكن أن يفتدى به فاحتاج إلى إضمار» مثل «حتى يغاير بين ما نفي قبوله وبين ما يفتدى به، وليس كذلك؛ لأن ذلك كما ذكرناه على سبيل الفرض والتقدير، إذ لا يمكن عادة أن أحدا يملك ملء الأرض ذهبا، بحيث إنه لو بذله علىأي جهة بذله لم يقبل منه، بل لو كان ذلك ممكنا لم يحتج." (٢)

"قال ابن عطية: «فأصبحتم» عبارة عن الاستمرار، وإن كانت اللفظة مخصوصة بوقت، وإنما خصت هذه اللفظة بهذا المعنى من حيث هي مبدأ النهار، وفيها مبدأ الأعمال، فالحال التي يحسها المرء من

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٢٦٢

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٣٠٨

نفسه فيها هي التي يستمر عليها يومه في الأغلب، ومنه قول الربيع بن ضبع:

١٣٧٤ - أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك رأس البعير إن نفرا

قال الشيخ: «وهذا الذي ذكره من أن» أصبح «للاستمرار، وعلله بما ذكره لم أر أحدا من النحويين ذهب إليه، إنما ذكروا أنها تستعمل بالوجهين اللذين ذكرناهما» قلت: وهذا الذي ذكره ابن عطية معنى حسن، وإذا لم ينص عليه النحويون لا يدفع، لأن النحاة غالبا إنما يتحدثون بما يتعلق بالألفاظ، وأما المعاني المفهومة من فحوى الكلام فلا حاجة لهم بالكلام عليها غالبا.

والإخوان: جمع أخ، وإخوة اسم جمع عند سيبويه وعند غيره هي جمع. وقال بعضهم: «إن الأخ في النسب يجمع على» إخوة «، وفي الدين على» إخوان «، هذا أغلب استعمالهم، قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] ، ونفس هذه الآية تؤيد ما قاله لأن المراد هنا ليس إخوة النسب إنما المراد إخوة الدين والصداقة، قال أبو حاتم:» ثم قال أهل البصرة: الإخوة في النسب والإخوان في الصداقة «قال:» وهذا غلط، يقال للأصدقاء والأنسباء." (١)

"أبو البقاء: «ويجوز أن يكون» قتل «صفة لربيين، فلا ضمير فيه على هذا، والجملة صفة» نبي «ويجوز أن تكون خبرا، فيصير في الخبر أربعة أوجه، ويجوز أن تكون صفة ل» نبي «والخبر محذوف على ما ذكرنا» . أما قوله «صفة ل» ربيين «يعني أن القتل من صفتهم في المعنى. وقوله:» فيصير فيه أربعة أوجه «يعني مع ما تقدم له من أوجه ذكرها. وقوله: فلا ضمير فيه على هذا، والجملة صفة نبي» **غلط** لأنه يبقى المبتدأ بلا خبر.

فإن قلت: إنما يزعم هذا لأنه يقدر خبرا محذوفا. قلت: قد ذكر هذا وجها آخر حيث قال: «ويجوز أن يكون صفة ل» نبي «والخبر محذوف على ما ذكرنا» .

ورجح كون «قتل» مسندا إلى ضمير النبي أن القصة بسبب غزوة أحد وتجادل المؤمنين حين قيل: إن محمدا قد مات مقتولا، ويؤيده قوله: ﴿أفإن مات أو قتل﴾ [آل عمران: ١٤٤] وإليه ذهب ابن عباس والطبري وجماعة، وعن ابن عباس في قوله: ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ [آل عمران: ١٦١] : «النبي يقتل فكيف لا يخان. وذهب الحسن وابن جبير وجماعة إلى أن القتل للربيين قالوا: لأنه لم يقتل نبي في حرب قط. ونصر الزمخشري هذا بقراءة» قتل «بالتشديد، يعني أن التكثير لا يتأتى في الواحد وهو النبي. وهذا

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٣٣٥

الذي ذكره الزمخشري سبقه إليه ابن جني، وسيأتي تأويل هذا.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو:» قتل «مبنيا للمفعول، وقتادة كذلك." (١)

"قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا﴾ : فيه ستة أوجه، أحدها: أنه مبتدأ، وخبره قوله: ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر﴾ . وقال مكي هنا: «وخبره ﴿من بعد مآ أصابهم القرح﴾ » . وهذا **غلط** لأن هذا ليس." (٢)

"ومن الثاني هذه الآية وقوله: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا﴾ [الأحزاب: ٢٥] ، وقول قيس بن الأسلت:

١٤٩٤ - وأضرب القونس يوم الوغى ... بالسيف لم يقصر به باعي

وبهذا يعرف **غلط** الأستاذ ابن خروف حيث زعم أنه الواو لازمة في مثل هذا، سواء كان في الجملة ضمير أم لم يكن.

قوله: ﴿واتبعوا﴾ يجوز في هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها عطف على «انقلبوا» . والثاني: أنها حال من فاعل «انقلبوا» أيضا، ويكون على إضمار «قد» أي: وقد اتبعوا.." (٣)

"إما الرسول أو حاسب ما، ويجوز أن يكون مسندا إلى «الذين» ، فإن كان مسندا إلى ضمير غائب ف «الذين» مفعول أول على حذف مضاف كما تقدم ذلك في قراءة حمزة أي: بخل الذين، والتقدير: ولا يحسبن الرسول أو أحد بخل الذين يبخلون خيرا. و «هو» فصل كما تقدم، فتتحد القراءاتان معنى وتخريجا. وإن كان مسندا ل «الذين» ففي المفعول الأول وجهان، أحدهما: أنه محذوف لدلالة «يبخلون» عليه كأنه قيل: «ولا يحسبن الباخلون بخلهم هو خيرا لهم» و «هو» فصل. قال ابن عطية: «ودل على هذا البخل» يبخلون «كما دل» السفيه «على» السفه «في قوله:

١٥٠١ - إذا نهي السفيه جرى إليه ... وخالف والسفيه إلى خلاف

أي: جرى إلى السفة» . قال الشيخ: «وليست الدلالة فيها سواء لوجهين، أحدهما: أن دلالة الفعل على المصدر أقوى من دلالة اسم الفاعل عليه وأكثر، ولا يوجد ذلك إلا في هذا البيت أوغيره إن ورد. الثاني: أن البيت فيه إضمار لا ءذف، والآية فيها حذف.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٤٢٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٤٨٧

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٤٩١

الوجه الثاني: أن المفعول نفس» هو «، وهو ضمير البخل الذي دل عليه» يبخلون «كقوله: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة: ٨] ، قاله أبو البقاء، وهو **غلط** أيضا؛ لأنه ينبغي أن يأتي به بصيغة المنصوب فيقول: «إياه» لكونه منصوبا ب «يحسبن» ، ولا ضرورة بنا إلى أن ندعي أنه من باب استعارة ضمير الرفع." [١]

"قوله تعالى: ﴿من تدخل﴾ : «من» شرطية مفعول مقدم واجب التقديم لأن له صدر الكلام، و «تدخل» مجزوم بها. و ﴿فقد أخزيته﴾ جوابها. وحكى أبو البقاء عن بعضهم قولين غريبين. أحدهما: أن تكون «من» منصوبة بفعل مقدر يفسره قوله: «فقد أخزيته، وهذا غلط؛ لأن من شرط الاشتغال صحة تسلط ما يفسر على ما هو منصوب، والجواب لا يعمل فيما قبل فعل الشرط؛ لأنه لا يتقدم على الشرط. الثاني: أن» من «مبتدأ، والشرط." [٢]

"وجوابه خبر هذا المبتدأ، وهذان الوجهان غلط. والله أعلم. وعلى الأقوال كلها فهذه الجملة الشرطية في محل رفع خبرا ل» إن «.

ويقال: خزيته وأخزيته ثلاثيا ورباعيا، والأكثر الرباعي، وخزي الرجل يخزى خزيا إذا افتضح، وخزاية إذا استحيا فالفعل واحد، وإنما يتميز بالمصدر كما تقدم.

قوله: ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ » من «زائدة لوجود الشرطين، وفي مجرورها وجهان، أحدهما: أنه مبتدأ وخبره الجار قبله، وتقديمه هنا جائز لا واجب لأن النفي مسوغ، وحسن تقديمه كون مبتدئه فاصلة. الثاني: أنه فاعل بالجار قبله لاعتماده على النفي، وهذا جائز عند الجميع.." [٣]

"هذا **غلط** من جهة المعنى واللفظ: أما الأول فلإباحة السراري مع أنه مظنة كثرة العيال كالتزوج، وأما اللفظ فلأن مادة» عال «بمعنى كثر عياله من ذوات الياء لأنه من العيلة، وأما» عال «بمعنى جار فمن ذوات الواو فاختلفت المادتان، وأيضا فقد خالف المفسرين» . وقال صاحب النظم: «قال أولا» ألا تعدلوا «فوجب أن يكون ضده الجور» .

وقد رد الناس على هؤلاء، أما قولهم: التسري أيضا يكثر معه العيال من أنه مباح «فممنوع، وذلك لأن الأمة ليست كالمنكوحة، ولهذا يعزل عنها بغير إذنها ويؤجرها ويأخذ أجرتها ينفقها عليه وعليها وعلى أولادها.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥١١/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٣٣/٣

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٣٤/٣

وقال الزمخشري:» وجهه أن يجعل من قولك: «عال الرجل عياله يعولهم» كقولك: مانهم يمونهم أي: أنفق عليهم، لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم، وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة من كسب الحلال والأخذ من طيب الرزق «ثم أثنى على الشافعي ثناء جميلا، وقال:» ولكن للعلماء طرق وأساليب، فسلك في تفسير هذه الكلمة مسلك الكنايات «. انتهى.

وأما قولهم:» خالف المفسرين «فليس بصحيح، بل قاله زيد ابن أسلم وابن زيد. وأما قولهم» اختلف المادتان «فليس بصحيح أيضا؛ لأنه قد تقدم حكاية ابن الأعرابي عن العرب:» عال الرجل يعول: كثر عياله «، وحكاها الكسائي أيضا، قال:» يقال: عال الرجل يعول، وأعال يعيل: كثر عياله «ونقلها أيضا الدوري المقرىء لغة عن حمير وأنشد:

١٥٣٧ - وإن الموت يأخذ كل حي ... بلا شك وإن أمشى وعالا." (١)

"قوله تعالى: ﴿يريد الله أن يخفف﴾ : في هذه الجملة احتمالان أحدهما: وهو الأصح أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب. والثاني: أنها حال من قوله: ﴿والله يريد أن يتوب﴾ العامل فيها «يريد» أي: والله يريد أن يتوب عليكم يريد أن يخفف عنكم. وفي هذا الإعراب نظر من وجهين، أحدهما: أنه يؤدي إلى الفصل بين الحال وبين عاملها بجملة معطوفة على جملة العامل في الحال ضمن تلك الجملة المعطوف عليها، والجملة المعطوفة وهي «ويريد الذين يتبعون» جملة أجنبية من الحال وعاملها. والثاني: أن الفعل الذي وقع حالا رفع الاسم الظاهر فوقع الربط بالظاهر، لأن «يريد» رفع اسم الله/ وكان من حقه أن يرفع ضميره، والربط بالظاهر إنما وقع في الجملة الواقعة خبرا أو صلة، أما الواقعة حالا وصفة فلا، إلا أن يرد به سماع، ويصير هذا الإعراب نظير: «بكر يخرج يضرب بكر خالدا» . ولم يذكر مفعول التخفيف فهو محذوف فقيل: تقديره: يخفف عنكم تكليف النظر وإزالة الحيرة. وقيل: إثم ما ترتكبون.

قوله: «ضعيفا» في نصبه أربعة أوجه، الأظهر: أنه حال من «الإنسان» وهي حال مؤكدة. الثاني: أنه تمييز قالوا: لأنه يصلح لدخول «من» وهذا غلط. الثالث: أنه على حذف حرف الجر، والأصل: خلق من شيء ضعيف أي: من ماء مهين أو من نطفة، فلما حذف الموصوف وحرف الجر وصل الفعل إليه بنفسه فنصبه. والرابع: وإليه أشار ابن عطية أنه منصوب على." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٦٩/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٦٢/٣

"محل رفع خبرا لمبتدأ محذوف أي: فكيف حالهم أو صنعهم؟ والعامل في «إذا» هو هذا المقدر. والثاني: أنها في محل نصب بفعل محذوف أي: فيكف تكونون أو تصنعون؟ ويجري فيها الوجهان: النصب على التشبيه بالحال كما هو مذهب سيبويه، أو على التشبيه بالظرفية كما هو مذهب الأخفش، وهو العامل في «إذا» أيضا. والثالث: حكاه ابن عطية عن مكي أنها معمولة ل «جئنا» ، وهذا **غلط** فاحش.

قوله: ﴿من كل﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق ب «جئنا» . والثاني: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من «شهيد» ، وذلك على رأي من يجوز تقديم حال المجرور بالحرف عليه، وقد تقدم تحريره. والمشهود عليه محذوف أي: بشهيد على أمته/.

والمثقال: مفعال من الثقل وهو زنة كل شيء، والذرة: النملة الصغيرة، وقيل: رأسها، وقيل: الخردلة، وقيل: جزء الهباءة، وعن ابن عباس: أنه أدخل يده في التراب ثم نفخها وقال: «كل واحدة منه ذرة» والأول هو المشهور؛ لأن النملة يضرب بها المثل في القلة، وأصغر ما تكون إذا مر عليها حول، قالوا لأنها حينئذ تصغر جدا، قال حسان:

١٥٨٤ - لو يدب الحولي من ولد الذر ... ر عليها لأندبتها الكلوم." (١)

"محل الخبر، قال الزمخشري: «وجملة» ليؤمنن به «جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: وإن من أهل / الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، ونحوه: ﴿وما منآ إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] والمعنى: وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن» قال الشيخ: «وهو **غلط** فاحش، إذ زعم أن» ليؤمنن به «جملة قسيمة واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره، وصفة» أحد «المحذوف إنما [هو] الجار والمجرور كما قدرناه، وأما قوله:» ليؤمنن به «فليست صفة لموصوف ولا هي جملة قسيمة، إنما هي جملة جواب القسم، والقسم محذوف، والقسم وجوابه خبر للمبتدأ إذ لا ينتظم من» أحد «والمجرور إسناد لأنه لا يفيد، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها، فذلك هو محط الفائدة، وكذلك أيضا الخبر هو» إلا له مقام «، وكذلك» إلا واردها «إذ لا ينتظم مما قبل» إلا «تركيب إسنادي» وهذا - كما ترى - قد أساء العبارة في حق الزمخشري بما زعم أنه **غلط** وهو صحيح مستقيم، وليت شعري كيف لا ينتظم الإسناد من «أحد» الموصوف بالجملة التي بعده ومن الجار قبله؟ ونظيره أن تقول: «ما في الدار رجل إلا صالح» فكما أن «في الدار» خبر مقدم، و «رجل» مبتدأ مؤخر، و «إلا

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٦٨٣

صالح» صفته، وهو كلام مفيد مستقيم، فكذلك هذا، غاية ما في الباب أن «إلا» دخلت على الصفة لتفيد الحصر. وأما رده عليه حيث قال: جملة قسمية، وإنما هي جواب القسم فلا يحتاج إلى الاعتذار عنه ويكفيه مثل هذه الاعتراضات.

واللام في «ليؤمنن» جواب قسم محذوف كما تقدم. وقال أبو البقاء: «ليؤمنن جواب قسم محذوف، وقيل: أكد بها في غير القسم كما جاء في النفي والاستفهام» فقوله: «وقيل إلى آخره» إنما يستقيم ذلك إذا أعدنا." (١)

"عبارة هؤلاء في «المقيمين» فقيل: هم الملائكة قال مكي: «ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم إقامة الصلاة كقوله: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء: ٢٠] . وقيل: هم الأنبياء، وقيل: هم المسلمون، ويكون على حذف مضاف أي: وبدين المقيمين. الخامس: أن يكون معطوفا على الكاف في» قبلك «أي: ومن قبل المقيمين، ويعني بهم الأنبياء أيضا. السادس: أن يكون معطوفا على نفس الظرف، ويكون على حذف مضاف أي: ومن قبل المقيمين، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. فهذا نهاية القول في تخريج هذه القراءة.

وقد زعم قوم لا اعتبار بهم أنهم لحن، ونقلوا عن عائشة وأبان بن عثمان أنها خطأ من جهة **غلط** كاتب المصحف، قالوا: وأيضا فهي في مصحف ابن مسعود بالواو فقط نقله الفراء، وفي مصحف أبي كذلك، وهذا لا يصح عن عائشة ولا أبان، وما أحسن قول الزمخشري رحمه الله:» ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب الكتاب ومن لم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان، وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا أبعد همة في الغيرة عن الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يقولوا ثلمة في كتاب اله ليسدها من بعدهم، وخرقا يرفوه من يلحق بهم «وأما قراءة الرفع فواضحة.

قوله: ﴿والمؤتون﴾ فيه سبعة أوجه أيضا. أظهرها: أنه على إضمار مبتدأ، ويكون من باب المدح المذكور في النصب. الثاني: أنه معطوف على» الراسخون «،." (٢)

"صدقة وتقرب بها «لأن» تقرب «مطاوع» قرب «قال الأصمعي:» تقربوا قرف القمع «فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب» أي: فيكون قوله: ﴿إذ قربا قربانا﴾ يطلب مطاوعا له، فالتقدير: إذ قرباه فتقربا به،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/١٤٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/١٥٥

وفيه بعد. قال الشيخ: «وليس» تقرب بصدقة «مطاوع» قرب صدقة «لاتحاد فاعل الفعلين، والمطاوعة يختلف فيها الفاعل يكون من أحدهما فعل ومن الآخر انفعال نحو: كسرته فانكسر وفلقته فانقلق، فليس قرب صدقته وتقرب بها من هذا الباب، فهو **غلط** فاحش» . وفيما قاله الشيخ نظر، لأنا لا نسلم هذه القاعدة. والاحتمال الثاني: أن يكون في الأصل مصدرا ثم أطلق على الشيء المتقرب به كقولهم: «نسج اليمن» و «ضرب الأمير» ويؤيد ذلك أنه لم يثن والموضع موضع تثنية؛ لأن كلا من قابيل وهابيل له قربان يخصه، فالأصل: إذ قربا قربانين وإنما لم يثن لأنه مصدر في الأصل. وللقائل بانه اسم ما يتقرب [به] لا مصدر أن يقول: إنما لم يثن،.

ل أن المعنى – كما قاله أبو علي الفارسي – إذ قرب كل واحد منهما قربانا كقوله تعالى: ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ [النور: ٤] أي: كل واحد منهم.

وقوله: ﴿قال لأقتلنك﴾ أي: قال الذي لم يتقبل منه للمقبول منه. وقرأ الجمهور: «لأقتلنك» بالنون الشديدة. وهذا جواب قسم محذوف، وقرأه زيد بالخفيفة. قال: إنما يتقبل الله «مفعوله محذوف لدلالة المعنى عليه أي: قرابينهم وأعمالهم، ويجوز ألا يراد له مفعول كقوله: ﴿فأما من أعطى." [(١)]

"ذلك وجعلا منه قوله تعالى: ﴿قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب﴾ [سبأ: ٤٨] فرفع «علام» عندهما على النعت ل «ربي» على المحل، وحكوا «إنهم أجمعون ذاهبون» ، و**غلط** سيبويه من قال من العرب: إنهم أجمعون ذاهبون «فقال:» واعلم أن قوما من العرب يغلطون فيقولون: «إنهم أجمعون ذاهبون» وأخذ الناس عليه في ذلك من حيث إنه **غلط** أهل اللسان، وهم الواضعون او المتلقون من الواضع، وأجيب بأنهم بالنسبة إلى عامة العرب غالطون وفي الجملة فالناس قد ردوا هذا المذهب، أعني جواز الرفع عطفا على محل اسم «إن» مطلقا، أعني قبل الخبر وبعده، خفي إعراب الاسم أو ظهر. ونقل بعضهم الإجماع على جواز الرفع على المحل بعد الخبر، وليس بشيء، وفي الجملة ففي المسألة أربعة مذاهب: مذهب المحققين: المنع مطلقا، ومذهب بعضهم، التفصيل قبل الخبر فيمتنع، وبعده فيجوز، ومذهب الفراء: إن خفي إعراب الاسم جاز ذلك لزوال الكراهية اللفظية. وحكي من كلامهم: «إنك وزيد ذاهبان» الرابع: مذهب الكسائي: وهو الجواز مطلقا ويستدل بظواهر قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ الآية، وبقوله: – وهو ضابئ البرجمي –

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/ ٢٣٩

١٧٧ - ٤- فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب
وبقوله:
١٧٧ - ٥- يا ليتنا وهما نخلو بمنزلة ... حتى يرى بعضنا بعضا ونأتلف." (١)

"قوله: ﴿ليذوق﴾ فيه ستة أوجه، أحدها: أنه متعلق ب «جزاء» قاله الزمشخري، قال الشيخ: «إما يتأتى ذلك حيث يضاف إلى» مثل «أو ينون» جزاء «وينصب» مثل «وعلل ذلك بأنه إذا رفع مثلا كان صفة للمصدر، وإذا وصف المصدر لم يعمل إلا أن يتقدم المعمول على وصفه نحو: يعجبني الضرب زيدا الشديد» فيجوز.

قلت: وكذا لو جعله بدلا أيضا أو خبرا لما تقدم من أنه يلزم أن يتبع الموصول أو يخبر عنه قبل تمام صلته وهو ممنوع، وقد أفهم كلام الشيخ بصريحه أنه على قراءة إضافة الجزاء إلى «مثل» يجوز ما قاله أبو القاسم، وأنا أقول: لا يجوز ذلك أيضا لأن «ليذوق» من تمام صلة المصدر، وقد عطف عليه قوله «أو كفارة أو عدل» فيلزم أن يعطف على الموصول قبل تمام صلته، وذلك لا يجوز لو قلت: «جاء الذي ضرب وعمرو زيدا» لم يجز للفصل بين الصلة - أو أبعاضها - والموصول بأجنبي، فتأمله فإنه موضع حسن.

الثاني: أنه متعلق بفعل محذوف يدل عليه قوة الكلام كأنه قيل: جوزي بذلك ليذوق. الثالث: أنه متعلق بالاستقرار المقدر قبل قوله: ﴿فجزاء﴾ إذ التقدير فعليه جزاء ليذوق. الرابع: أنه متعلق ب «صيام» أي: صومه ليذوق الخامس: أنه متعلق ب «طعام» أي: طعام ليذوق، ذكره هذه الأوجه الثلاثة أبو البقاء وهي ضعيفة جدا، وأجودها الأول. السادس: أنها تتعلق ب «عدل ذلك» نقله الشيخ عن بعض المعربين قال: - وهو كما قال - «غلط» .." (٢)

"وفتحت الياء المسكورة لتسلم ألف الجمع فصار وزنها: أفعاء.

المذهب الثالث - وبه قال الأخفش -: ان أشياء جمع «شيء» بزنة فلس، أي: ليس مخففا من شيئ كما يقوله الفراء، بل جمع شيء وقال «إن فعلا يجمع على أفعلاء فصار أشيئاء بهمزتين بينهما ألف بعد ياء، ثم عمل فيه ما عمل في مذهب الفقراء، والطريقان المذكوران عن مكي وأبي البقاء في تصريف/ هذا المذهب جاريان هنا، وأكثر المصنفين يذكرون مذهب الفراء عنه وعن الأخفش قال مكي:» وقال الفراء والأخفش والزيادي: أشياء وزنها أفعلاء، وأصلها أشيئاء، كهين وأهوناء، لكنه خفف «ثم ذكر تصريف

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٥٨/٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٢٧/٤

الكملة إلى آخر.

وقال ابو البقاء: «وقال الأخفش والفراء: أصل الكلمة شيئ مثل هين، ثم خفف بالحذف» ، وذكر التصريف إلى آخره فهؤلاء نقلوا مذهبهما شيئا واحدا، والحق ما ذكرته عنهما، ويدل على ما قلته ما قاله الواحدي فإنه قال: «وذهب الفراء في هذا الحرف مذهب الأخفش» غير أنه خلط حين ادعى أنها كهين ولين حين جمعا على أهوناء وأليناء، وهين تخفيف «هين» فلذلك جاز جمعه على أفعلاء، وشيء ليس مخففا من «شيئ» حتى يجمع على أفعلاء، وهذان المذهبان - أعني مذهب الفراء والأخفش - وإن سلما من منع الصرف بغير علة فقد ردها الناس، قال الزجاج: «وهذا القول **غلط** لأن» شيئا «فعل، وفعل لا يجمع على أفعلاء،." (١)

"كتصريف مذهب الأخفش من حيث إنه تبدل الهمزة ياء ثم تحذف إحدى الياءين. قال: - رحمه الله -:» وحسن الحذف في الجمع حذفها في الواحد، وإنما حذفت من الواحد تخفيفا لكثرة الاستعمال إذ «شيء» يقع على كل مسمى من عرض أو جوهر أو جسم فلم ينصرف همزة التأنيث في الجمع. قال: «وهذا قول حسن جار في الجمع وترك الصرف على القياس، لولا أن التصغير يعترضه كما اعترض الأخفش» قلت: قوله «هذا قول حسن» فيه نظر لكثرة ما يرد عليه وهو ظاهر مما تقدم، ولما ذكر الشيخ هذا المذهب قال في تصريفه: «ثم حذفت الهمزة الأولى/ وفتحت ياء المد لكون ما بعدها ألفا» قال: «وزنها في هذا القول ألى أفياء، وفي القول قبله إلا أفلاء» كذا رأيته «أفياء» بالياء، وهذا **غلط** فاحش، ثم إني جوزت أن يكون هذا غلطا عليه من الكاتب، وإنما كانت أفعاء بالعين فصحفها الكاتب إلى أفياء. وقد رد الناس هذا القول: بأن أصل شيء: شييء بزنة صديق دعوى من غير دليل، وبأنه كان ينبغي ألا يصغر على لفظه، بل يرد إلى مفرده كما تقدم تحريره.

وقد تلخص القول في أشياء: أنها هل هي اسم جمع وأصلها شيئاء كطرفاء، ثم قلبت لامها قبل فائها فصار وزنها لفعاء أو جمع صريح؟ وإذا قيل بأنها جمع صريح فهل أصلها أفعلاء، ثم تحذف، فتصير إلى أفعاء أو أفلاء، أو أن وزنها أفعال كأبيات.

ولولا خلف الخروج عن المقصود لذكرت المسألة بأطرافها متسوفاة، ولكن في هذا كفاية لائقة بهذا الموضوع.

قوله تعالى: ﴿إن تبد﴾ شرط، وجوابه «تسؤكم» ، وهذه الجملة الشرطية في محل جر صفة ل «أشياء» ،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٤٣٦

وكذا الشرطية المعطوفة ايضا. وقرأ ابن عباس: «إن تبءد لكم تسؤكم» ببناء الفعلين للفاعل مع كون حرف." (١)

"المحض قطرب وغيره من اللغويين. قال بعضهم: «هذا غلط غلط عليه» أي على نافع. وسبب ذلك أن يؤدي إلى الجمع بين ساكنين فإن الياء بعدها ساكنة. ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي جعفر ونافع وغيرهما من أهل المدينة أنهم يسقطون الهمزة، ويدعون أن الألف خلف منها. قلت: وهذه العبارة تشعر أن هذه الألف ليست بدلا عن الهمزة، بل جيء بها عوضا عن الهمزة الساقطة.

وقال مكي، بن أبي طالب: «وقد روي عن ورش إبدال الهمزة ألفا، لأن الرواية عنه أنه يمد الثانية، والمد لا يتمكن، إلا مع البدل، وحسن جواز البدل في الهمزة وبعدها ساكن أن الأول حرف مد ولين، فإن هذا الذي يحدث مع السكون يقوم مقام حركة يتوصل بها إلى النطق بالساكن» وقد تقدم لك شيء من هذا عند قوله «أأنذرتهم» . ومنها: أن تخذف الهمزة التي هي عين الكلمة، وبها قرأ الكسائي، وهي فاشية نظما ونثرا، فمن النظم قوله:

١٩١ - ١- أريت ما جاءت به أملودا ... مرجلا ويلبس البرودا

أقائلن أحضروا الشهودا ... وقال آخر:

١٩١ - ٢- أريتك إذ هنا عليك الم تخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر." (٢)

"ابن عامر» يشم الهاء [الكسر] من غير بلوغ ياء، وهذا غلط؛ لأن هذه الهاء هاء وقف لا تعرب في حال من الأحوال أي لا تحرك وإنما تدخل لتبين بها حركة ما قبلها «ليس بجيد لما قررت لك من أنها ضمير المصدر. وقد رد الفارسي قول ابن مجاهد بما تقدم. والوجه الثاني: أنها هاء سكت أجريت مجرى هاء الضمير، كما أجريت هاء الضمير مجراها في السكون، وهذا ليس بجيد، ويروى قول المتنبي:

١٩٧٩ - واحر قلباه ممن قلبه شبم ... .

بضم الهاء وكسرها على أنها هاء السكت شبهت بهاء الضمير فحركت والأحسن أن تجعل الكسر لالتقاء الساكنين لا لشبهها بالضمير، لأن هاء الضمير لا تكسر بعد الألف فكيف بما يشبهها؟

والاقتداء في الأصل: طلب الموافقة، قاله الليث. ويقال: قدوة [وقدو، وأصله من القدو] وهو أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء. و «بهداهم» متعلق ب «اقتد» . وجعل الزمخشري تقديمه مفيدا

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٤٤٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٦١٦

للاختصاص على قاعدته. والهاء في «عليه» تعود على القرآن أو التبليغ، أضمرا وإن لم يجر لهما ذكر لدلالة السياق عليهما. و «إن» نافية ولا عمل لها على المشهور، ولو كانت عاملة لبطل عملها ب «إلا» . و «للعالمين» متعلق ب «ذكرى» واللام معدية، أي: إن القرآن إلا تذكير العالمين. ويجوز أن تكون متعلقة بمحذوف على أنها صفة ل «ذكرى» /.." (١)

"قوله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ : فيه دليل على/ تقدم الصفة غير الصريحة على الصريحة. وأجيب عنه بأن «مبارك» خبر مبتدأ مضمر، وقد تقدم تحقيق هذا في قوله ﴿بقوم يحبهم﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقال مكي، «مصدق الذي» نعت للكتاب على حذف التنوين لالتقاء الساكنين، و «الذي» في موضع نصب، وإن لم يقدر حذف التنوين كان «مصدق» خبرا بعد خبر، و «الذي» في موضع خفض «. وهذا الذي قاله **غلط** فاحش، لأن حذف التنوين إنما هو للإضافة اللفظية وإن كان اسم الفاعل في نية الانفصال، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين إنما يكون في ضرورة أو ندور كقوله:

١٩٨٠ -. . . . . ولا ذاكر الله إلا قليلا

والنحويون كلهم يقولون في» هذا ضارب الرجل «: إن حذف التنوين للإضافة تخفيفا، ولا يقول أحد منهم في مثل هذا: إنه حذف التنوين لالتقاء الساكنين. وقدم وصفه بالإنزال على وصفه بالبركة بخلاف قوله ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ [الأنبياء: ٥٠] قالوا: لأن الأهم هنا وصفه بالإنزال إذ جاء عقيب إنكارهم أن ينزل الله على بشر من شيء بخلاف هناك، ووقعت الصفة الأولى جملة فعلية، لأن الإنزال يتجدد وقتا فوقتا والثانية اسما صريحا، لأن الاسم يدل." (٢)

"والحسبان فيه قولان، أحدهما: أنه جمع، فقيل: جمع حساب كركاب وركبان وشهاب وشهبان، وهذا قول أبي عبيد والأخفش وأبي الهيثم والمبرد. وقال أبو البقاء: «هو جمع حسبانة» وهو غلط؛ لأن الحسبانة القطعة من النار، وليس المراد ذلك قطعا. وقيل: بل هو مصدر كالرجحان والنقصان والخسران، وأما الحساب فهو اسم لا مصدر، وهذا قول ابن السكيت. وقال الزمخشري: «والحسبان بالضم مصدر حسبت يعني بالفتح كما أن الحسبان بالكسر يعني مصدر حسبت بالكسر، ونظيره الكفران والشكران» وقيل: بل الحسبان والحساب مصدران وهو قول أحمد بن يحيى.

وأنشد أبو عبيد عن أبي زيد في مجيء الحسبان مصدرا قوله:

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٣/٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٧/٥

٢٠١٣ - على الله حسباني إذا النفس أشرفت ... على طمع أو خاف شيئا ضميرها
وانتصاب «حسبانا» على ما تقدم من المفعولية أو الحالية. وقال ثعلب عن الأخفش: إنه منصوب على إسقاط الخافض والتقدير: يجريان بحسبان كقوله ﴿لمن خلقت طينا﴾ / أي: من طين. وقوله: «ذلك» إشارة إلى ما تقدم من الفلق أو الجعل أو جميع ما تقدم من الأخبار في قوله «فالق الحب» إلى «حسبانا» .." (١)

"الزجاج والفراء. والثاني: أنه منصوب ب «كلوا» الذي قبله أي: كلوا ثمانية أزواج، ويكون قوله «ولا تتبعوا» إلى آخره كالمعترض بين الفعل ومنصوبه وهو قول علي بن سليمان وقدره: كلوا لحم ثمانية. وقال أبو البقاء: «هو منصوب ب» كلوا «تقديره: كلوا مما رزقكم الله ثمانية أزواج، ولا تسرفوا معترض بينهما» . قلت: صوابه أن يقول: «ولا تتبعوا» بدل «ولا تسرفوا» لأن «كلوا» الذي يليه «ولا تسرفوا» ليس منصبا على هذا لأنه بعيد منه، ولأن بعده ما هو أولى منه بالعمل، ويحتمل أن يكون الناسخ **غلط** عليه، وإنما قال هو «ولا تتبعوا» ويدل على ذلك أنه قال «تقديره: كلوا مما رزقكم الله» ، وكلوا الأول ليس بعده «مما رزقكم» إنما هو بعد الثاني. الثالث: أنه عطف على «جنات» أي: أنشأ جنات وأنشأ ثمانية أزواج، ثم حذف الفعل وحرف العطف وهو مذهب الكسائي. قال أبو البقاء: «وهو ضعيف» قلت: الأمر كذلك، وقد سمع ذلك في كل ا مهم نثرا ونظما، ففي النثر قولهم: «أكلت لحما سمكا تمرا» وفي نظمهم قول الشاعر:
٢١٠٢ - ... كيف أصبحت كيف أمسيت مما
يزرع الود في فؤاد الكريم ... أي: أكلت لحما وسمكا وتمرا، وكيف أصبحت وكيف أمسيت، وهذا على أحد القولين في ذلك. والقول الثاني أنه بدل بداء. ومنه الحديث: «إن الرجل ليصلي الصلاة، وما كتب له نصفها ثلثها ربعها إلى أن وصل إلى." (٢)
"مضاف. وقرأ الأخوان: ﴿إلا أن يأتيهم الملائكة﴾ بياء منقوطة من تحت لأن التأنيث مجازي وهو نظير ﴿فناداه الملائكة﴾ [آل عمران: ٣٩] . وأبو العالية وابن سيرين: «يوم تأتي بعض» بالتأنيث كقوله ﴿تلتقطه بعض السيارة﴾ [يوسف: ١٠] .
قوله: ﴿يوم يأتي﴾ الجمهور على نصب «اليوم» ، وناصبه ما بعد «لا» ، وهذا على أحد الأقوال الثلاثة

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٤/٥
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٩٢/٥

في «لا» وهي أنها يتقدم معمول ما بعدها عليها مطلقا، ولا يتقدم مطلقا، ويفصل في الثالث: بين أن يكون جواب قسم فيمتنع، أو لا فيجوز. وقرأ زهير الفرقبي «يوم» بالرفع وهو مبتدأ، وخبره الجملة بعده، والعائد منها إليه محذوف أي: لا تنفع فيه.

وقرأ الجمهور «ينفع» بالياء من تحت. وقرأ ابن سيرين: تنفع بالتاء من فوق. قال أبو حاتم: «ذكروا أنه غلط» . قلت: وذلك لأن الفعل مسند لمذكر، وجوابه أنه لما اكتسب بالإضافة التأنيث أجرى عليه حكمه كقوله:

٢١٢٩ - وتشرق بالقول الذي قد أذعته _ ... كما شرقت صدر القانة من الدم

وقد تقدم لك تحقيق هذا في أول السورة، وأنشد سيبويه على ذلك:

٢١٣٠ - مشين كما اهتزت رماح تسفهت ... أعاليها مر الرياح النواسم." [(١)]

"وقيل: لأن الإيمان بمعنى العقيدة فهو كقولهم: «أتته كتابي فاحتقرها» أي: صحيفتي ورسالتي. وقال النحاس: «في هذا شيء دقيق ذكره سيبويه: وذلك أن الإيمان والنفس كل منهما مشتمل على الآخر فأنث الإيمان إذ هو من النفس وبها» . وأنشد سيبويه «مشين كما اهتزت» البيت. وقال الزمخشري في هذه القراءة «لكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولهم:» ذهبت بعض أصابعه «. قال الشيخ:» وهو غلط؛ لأن الإيمان ليس بعضا للنفس «قلت: قد تقدم آنفا ما يشهد لصحة هذه العبارة من كلام النحاس في قوله عن سيبويه:» وذلك أن الإيمان والنفس كل منهما مشتمل على الآخر، فأنث الإيمان إذ هو من النفس وبها «فلا فرق بين هاتين العبارتين، أي لا فرق بين أن يقول هو منها وبها أو هو بعضها، والمراد في العبارتين المجاز.

قوله:» لم تكن آمنت «في هذه الجملة ثلاثة أوجه أحدها: أنها في محل نصب لأنها نعت لنفسا، وفصل بالف اعل وهو» إيمانها «بين الصفة وموصوفها لأنه ليس بأجنبي، إذ قد اشترك الموصوف الذي هو المفعول والفاعل في العامل، فعلى هذا يجوز:» ضرب هندا غلامها القرشية «وقوله» أو كسبت «عطف على» لم تكن آمنت «.

وفي هذه الآية بحوث حسنة تتعلق بعلم العربية، وعليها تبنى مسائل من أصول الدين، وذلك أن المعتزلي

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٣٢/٥

يقول: مجرد الإيمان الصحيح لا يكفي بل لا بد من انضمام عمل يقترن به ويصدقه، واستدل بظاهر هذه الآية، وذلك." (١)

"قوله تعالى: ﴿دينا﴾ : نصبه من أوجه، أحدها: أنه مصدر على المعنى أي: هداني هداية دين قيم، أو على إضمار «عرفني دينا» أو الزموا دينا. وقال أبو البقاء: «إنه مفعول ثان لهداني، وهو غلط؛ لأن المفعول الثاني هنا هو المجرور بإلى فاكتفى به. وقال مكي: إنه منصوب على البدل من محل» إلى صراط «. وقيل: بهداني مقدرة لدلالة» هداني «الأول عليها، وهو كالذي قبله في المعنى.

وقرأ الكوفيون وابن عامر:» قيما «بكسر القاف وفتح الياء خفيفة والباقون بفتحها وكسر الياء شديدة، وتقدم توجيه إحدى القراءتين في/ النساء والمائدة. و» ملة «بدل من» دينا «أو منصوب بإضمار أعني. و» حنيفا «قد ذكر في البقرة.

وقرأ نافع ومحياي بسكون ياء المتكلم وفيها الجمع بين ساكنين.." (٢)

"ومعاشا: قال تعالى: ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ ومعيشا قال رؤبة:

٢١٤١ - إليك أشكو شدة المعيش ... وجهد أعوام نتفن ريشي

والعامة على «معايش» بصريح الياء. وقد خرج خارجة فروى عن نافع «معائش» بالهمز. وقال النحويون: هذه غلط؛ لأنه لا يهمز عندهم إلا ما كان فيه حرف المد زائدا نحو: صحائف ومدائن، وأما «معايش» فالياء أصل لأنها من العيش. قال الفارسي عن أبي عثمان: «أصل أخذ هذه القراءة عن نافع» . قال: «ولم يكن يدري ما العربية؟» . قلت: قد فعلت العرب مثل هذا، فهمزوا منائر ومصائب جمع منارة ومصيبة، والأصل: مناور ومصاوب. وقد غلط سيبويه من قال مصائب، ويعني بذلك أنه غلط بالنسبة إلى مخالفة الجادة، وهذا كما تقدم عنه أنه قال: «واعلم أن بعضهم يغلط فيقول:» إنهم أجمعون ذاهبون «قال:» ومنهم من يأتي بها على الأصل فيقول: مصاوب ومناور، وهذا كما قالوا في جمع مقال ومقام: مقاوم ومقاول في رجوعهم بالعين إلى أصلها قال: وأنشد النحويون على ذلك:." (٣)

"قراءة الكسائي: أرجهي بهاء متصلة بياء. الثالثة: قراءة قالون بهاء مكسورة دون ياء.

فأما ضم الهاء وكسرها فقد عرف مما تقدم. وأما الهمز وعدمه فلغتان مشهورتان يقال: أرجأته وأرجيته أي:

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٢٣٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٢٣٨

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٢٥٨

أخرته، وقد قرئ قوله تعالى: ﴿ترجي من تشآء﴾ [الأحزاب: ٥١] بالهمز وعدمه. وهذا كقولهم: توضأت وتوضيت. وهل هما مادتان أصليتان أم المبدل فرع الهمز؟ احتمالان.
وقد طعن قوم على قراءة ابن ذكوان فقال الفارسي: «ضم الهاء مع الهمز لا يجوز غيره، ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر غلط» . وقال ابن مجاهد: «وهذا لا يجوز، لأن الهاء لا تكسر إلا بعد كسرة أو ياء ساكنة» . وقال الحوفي: «ومن القراء من يكسر مع الهمز وليس بجيد» . وقال أبو البقاء: «ويقرأ بكسر الهاء مع الهمز وهو ضعيف، لأن الهمزة حرف صحيح ساكن فليس قبل الهاء ما يقتضي الكسر» .
قلت: وقد اعتذر الناس عن هذه القراءة على سبيل التنازل بوجهين: أحدهما: أن الهمزة ساكنة والساكن حاجز غير حصين، وله شواهد مذكورة في موضعها، فكأن الهاء وليت الجيم المكسورة فلذلك كسرت. الثاني: أن الهمزة كثيرا ما يطرأ عليها التغيير، وهي هنا في معرض أن تبدل ياء ساكنة لسكونها بعد كسرة فكأنها وليت ياء ساكنة فلذلك كسرت.." (١)

"قوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون﴾ : فيه خمسة أوجه، أحدها: أنه منصوب باذكر مضمرا، ولذلك سماه الحوفي مستأنفا أي: إنه مقتطع عما قبله. الثاني: أنه منصوب بيحق أي: يحق الحق وقت استغاثتكم. وهو قول ابن جرير. وهو غلط، لأن «ليحق» مستقبل لأنه منصوب بإضمار «أن» ، و «إذ» ظرف لما مضى، فكيف يعمل المستقبل في الماضي؟ الثالث: أنه بدل من «إذ» الأولى، قاله الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء. وكان قد قدموا أن العامل في «إذا» الأولى «اذكر» مقدرا. الرابع: أنه منصوب ب «يعدكم» قاله الحوفي وقبله الطبري. الخامس: أنه منصوب بقوله «تودون» قاله أبو البقاء. وفيه بعد لطول الفصل.." (٢)

"وقرأ زيد بن علي والضحاك والأعرج وأبو صالح وعيسى بن هلال وهي قراءة ابن عباس أيضا ويعقوب والكسائي «المعذرون» بسكون العين وكسر الذال مخففة من أعذر يعذر كأكرم يكرم.
وقرأ مسلمة «المعذرون» بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر. قال أبو حاتم: «أراد المتعذرون، والتاء لا تدغم في العين لبعد المخارج، وهي **غلط** منه أو عليه» .
قوله: ﴿ليؤذن لهم﴾ متعلق ب «جاء» وحذف الفاعل وأقيم الجار مقامه للعلم به، أي: ليأذن لهم الرسول.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤١٠/٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٦٥/٥

وقرأ الجمهور «كذبوا» بالتخفيف، أي: كذبوا في إيمانهم. وقرأ الحسن في المشهور عنه وأبي وإسماعيل «كذبوا» بالتشديد، أي: لم يصدقوا ما جاء به الرسول عن ربه ولا امتثلوا أمره.." [١]

"زائدة فقلبت همزة على حد «رداء» . وإن شئت قلت: لما قلبت الكلمة صار «ضياوا» بالواو، عادت العين إلى أصلها من الواو لعدم موجب قلبها ياء وهو الكسر السابقها، ثم أبدلت الواو همزة على حد كساء. وقال أبو البقاء: «إنها قلبت ألفا ثم قلبت الألف همزة لئلا تجتمع ألفان» .

واستبعدت هذه القراءة من حيث إن اللغة مبنية على تسهيل الهمز فكيف يتخيلون في قلب الحرف الخفيف إلى أثقل منه؟ قلت: لا غرو في ذلك، فقد قلبوا حرف العلة الألف والواو والياء همزة في مواضع لا تحصر إلا بعسر، إلا أنه هنا ثقيل لاجتماع همزتين. قال أبو شامة: «وهذه قراءة ضعيفة، فإن قياس اللغة الفرار من اجتماع همزتين إلى تخفيف إحداهما، فكيف يتخيل بتقديم وتأخير يؤدي إلى اجتماع همزتين لم يكونا في الأصل؟ هذا خلاف حكم اللغة.» .

وقال أبو بكر ابن مجاهد وهو ممن على قنبل: «ابن كثير وحده» ضئاء «بهمزتين في كل القرآن: الهمزة الأولى قبل الألف، والثانية بعدها، كذلك قرأت على قنبل وهو غلط، وكان أصحاب البزي وابن فليح ينكرون هذا ويقرؤون» ضياء «مثل الناس» . قلت: كثيرا ما يتجرأ أبو بكر على شيخه ويغلطه، وسيمر بك مواضع من ذلك، وهذا لا ينبغي أن يكون، فإن قنبلا بالمكان الذي يمنع أن يتكلم فيه أحد.

وقوله في جانب الشمس «ضياء» لأن الضوء أقوى من النور، وقد تقدم." [٢]

"أي: جعلته دارئا، والمعنى: ولأجعلنكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال. قال أبو البقاء:» وقيل: هو غلط «، لأن قارئها ظن أنها من الدرء وهو الدفع. وقيل: ليس بغلط والمعنى: لو شاء الله لدفعكم عن الإيمان به» .

وقرأ شهر بن حوشب والأعمش: «ولا أنذرتكم» من الإنذار، وكذلك/ هي في حرف عبد الله.

والضمير في «قبله» عائد على القرآن. وقيل: على النزول. وقيل: على وقت النزول. و «عمرا» مشبه بظرف الزمان فانتصب انتصابه، أي: مدة متطاولة. وقيل: هو على حذف مضاف، أي: مقدار عمر. وقرأ الأعمش «عمرا» بسكون الميم كقولهم: «عضد» في «عضد» .." [٣]

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٩٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/١٥٢

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/١٦٥

"قال أبو البقاء بعد أن حكى هذا ولم يعزه لأحد: «وهذا عندنا غلط، لأن المحذوف لا يعود إليه ضمير، إذ لو جاز ذلك لجاز أن يقول:» زيد قاموا «وأنت تريد» غلمان زيد قاموا «. قلت: قوله» لأن المحذوف لا يعود إليه ضمير «ممنوع، بل إذا حذف مضاف فللعرب فيه مذهبان: الالتفات إليه وعدمه وهو الأكثر، ويدل على ذلك أنه قد جمع بين الأمرين في قوله ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ [الأعراف: ٤] أي: أهل قرية، ثم قال:» أو هم قائلون «وقد حققت ذلك في موضعه المشار إليه. وقوله:» لجاز زيد قاموا «ليس نظيره، فإن فيه حذفا من غير دليل بخلاف الآية.

وقال الشيخ بعد أن حكى كلام الفراء» ورد عليه بأن الخوف يمكن من فرعون، ولا يمكن سؤال القرية، فلا يحذف إلا ما دل عليه الدليل، وقد يقال: ويدل على هذا المحذوف جمع الضمير في «وملئهم» . قلت: يعني أنهم ردوا على الفراء بالفرق بين ﴿وسئل القرية﴾ وبين هذه الآية بأن سؤال القرية غير ممكن فاضطررنا إلى تقدير المضاف بخلاف الآية، فإن الخوف تمكن من فرعون فلا اضطرار بنا يدلنا على مضاف محذوف. وجواب هذا أن الحذف قد يكون لدليل عقلي أو لفظي، على أنه قيل في «واسأل القرية» إنه حقيقة، إذ يمكن النبي أن يسأل القرية فتجيبه.

الخامس: أن ثم معطوفا محذوفا حذف للدلالة عليه، والدليل كون الملك لا يكون وحده، بل له حاشية وعساكر وجند، فكان التقدير: على خوف من فرعون وقومه وملئهم، أي: ملأ فرعون وقومه، وهو منقول عن الفراء أيضا. قلت: حذف المعطوف قليل في كلامهم، ومنه عند بعضهم." (١)

"وهمزة مضمومة وواو ساكنة بزنة تفعلون كترهبون. «صدورهم» بالنصب. قال صاحب «اللوامح» ولا أعرف وجهه لأنه يقال «ثنيت» ولم أسمع «ثنأت» ، ويجوز أنه قلب الياء ألفا على لغة من يقول «أعطات» في أعطيت، ثم همز الألف على لغة من يقول ﴿ولا الضألين﴾ [الفاتحة: ٧] .

وقرأ ابن عباس أيضا «تثنوي» بفتح التاء وسكون/ المثلثة وفتح النون وكسر الواو بعدها ياء ساكنة بزنة ترعوي وهي قراءة مشكلة جدا حتى قال أبو حاتم: «وهذه القراءة **غلط** لا تتجه» وإنما قال: إنها غلط؛ لأنه لا معنى للواو في هذا الفعل إذ لا يقال: «ثنوته فانثوى كرعوته، أي: كففته فارعوى، أي: فانكف ووزنه افعل كاحمر.

وقرأ نصر بن عاصم وابن يعمر وابن أبي إسحاق» يثنون «بتقديم النون الساكنة على المثلثة.

وقرأ ابن عباس أيضا» لتثنون «بلام التأكيد في خبر» إن «وفتح التاء وسكون المثلثة وفتح النون وسكون

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٢٥٦

الواو بعدها نون مكسورة وهي بزنة تفعوعل، كما تقدم، إلا أنها حذفت التاء التي هي لام الفعل تخفيفا كقولهم: لا أدر وما أدر. و» صدورهم «فاعل كما تقدم.

وقرأ طائفة:» تثنؤن «بفتح التاء ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم نون مفتوحة ثم همزة مضمومة ثم نون مشددة، مثل تقرؤن، وهو من ثنيت، إلا أنه قلب الياء واوا لأن الضمة تنافرها، فجعلت الحركة على مجانسها، فصار." (١)

"قوله تعالى: ﴿عاليها سافلها﴾ : مفعولا الجعل الذي بمعنى التصيير، و «سجيل» قيل: هو في الأصل مركب من: «سكر كل» وهو بالفارسية حجر وطين فعرب وغيرت حروفه. وقيل: سجيل اسم للسماء وهو ضعيف أو غلط؛ لوصفه بمنضود. وقيل: من أسجل، أي: أرسل فيكون فعيلا، وقيل: هو من التسجيل، والمعنى: أنه مما كتب الله وأسجل أن يعذب به قوم لوط، وينصر الأول تفسير ابن عباس أنه حجر وطين كالآجر المطبوخ، وعن أبي عبيد هو الحجر الصلب. و «منضود» صفة لسجيل. والنضد: جعل الشيء بعضه فوق بعض، ومنه ﴿وطلح منضود﴾ [الواقعة: ٢٩] ، أي: متراكب، والمراد وصف الحجارة بالكثرة.." (٢)

"بحذفها تعين أن يكون جزاء له، فقد وقع اللبس بثبوت حرف العلة وفقد بحذفه، فيقال: حرف العلة يحذف عند الجازم لا به. ومذهب ابن السراج أن الجازم أثر في نفس الحرف فحذفه، وفيه البحث المتقدم. الثاني: أنه مرفوع غير مجزوم، و» من «موصولة والفعل صلتها، فلذلك لم يحذف لامه. واعترض على هذا بأنه قد عطف عليه مجزوم وهو قوله» ويصبر «فإن قنبلا لم يقرأه إلا ساكن الراء.

وأجيب عن ذلك بأن التسكين لتوالي الحركات. وإن كان من كلمتين كقراءة أبي عمرو: ﴿ينصركم﴾ [آل عمران: ١٦٠] ﴿يأمركم﴾ [البقرة: ٦٧] . وأجيب أيضا بأنه جزم على التوهم، يعني لما كانت «من» الموصولة تشبه «من» الشرطية. وهذه عبارة فيها **غلط** على القرآن فينبغي أن يقال: فيها مراعاة للشبه اللفظي، ولا يقال للتوهم. وأجيب أيضا بأنه سكن للوقف ثم أجري الوصل مجرى الوقف. وأجيب أيضا بأنه إنما جزم حملا ل «من» الموصولة على «من» الشرطية؛ لأنها مثلها في المعنى ولذلك دخلت الفاء في خبرها.

قلت: وقد يقال على هذا: يجوز أن تكون «من» شرطية، وإنما ثبتت الياء، ولم تجزم «من» لشبهها ب «من» الموصولة، ثم لم يعتبر هذا الشبه في قوله «ويصبر» فلذلك جزمه إلا أنه يبعد من جهة أن العامل لم

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٨٧/٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٧٠/٦

يؤثر فيما بعده، ويليه ويؤثر فيما هو بعيد منه. وقد تقدم الكلام على مثل هذه المسألة أول السورة في قوله ﴿يرتع ويلعب﴾ [يوسف: ١٢] .

وقوله ﴿فإن الله لا يضيع﴾ الرابط بين جملة الشرط وبين جوابها:." [١]

"قوله: ﴿جآءهم﴾ جواب الشرط وتقدم الكلام في «حتى» هذه: ما هي؟

قوله: ﴿فنجي﴾ قرأ ابن عامر وعاصم/ بنون واحدة وجيم مشددة وياء مفتوحة على أنه فعل ماض مبني للمفعول، و «من» قائمة مقام الفاعل. والباقون بنونين ثانيتهما ساكنة، والجيم خفيفة، والياء ساكنة على أنه مضارع أنجى و «من» مفعولة، والفاعل ضمير المتكلم نفسه. وقرأ الحسن والجحدري ومجاهد في آخرين كقراءة عاصم، إلا أنهم سكنوا الياء. والأجود في تخريجها كما تقدم، وسكنت الياء تخفيفا كقراءة ﴿تطعمون أهليكم﴾ [المائدة: ٨٩] وقد سكن الماضي الصحيح فكيف بالمعتل؟ كقوله:

٢٨٣٥ -. . . . . قد خلط بجلجلان

وتقدم معه أمثاله. وقيل: الأصل: ننجي بنونين فأدغم النون في الجيم وليس بشيء، إذ النون لا تدغم في الجيم. على أنه قد قيل بذلك في قوله ﴿ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء: ٨٨] كما سيأتي بيانه.

وقرأ جماعة كقراءة الباقين إلا أنهم فتحوا الياء. قال ابن عطية: «رواها ابن هبيرة عن حفص عن عاصم، وهي غلط من ابن هبيرة» قلت: توهم ابن عطية أنه مضارع باق على رفعه فأنكر فتح لامه وغلط راويها، وليس بغلط؛ وذلك أنه إذا وقع بعد الشرط والجزاء معا مضارع مقرون بالفاء جاز فيه أوجه أحدها: نصبه بإضمار «أن» بعد الفاء وقد تقدم عند قوله

﴿وإن تبدوا." [٢]

"وحقه أن يقع بعده» . قلت: [قوله] «وحقه أن يقع بعده» يعني بعده وبعد المبتدأ، وإلا يصر/ كلامه لا معنى له.

والثاني: أنه مبتدأ، وجاز الابتداء به لوصفه بقوله «منكم» وأعرب سيبويه «سواء عليه الخير والشر» كذلك. وقول ابن عطية أن سيبويه ضعف ذلك بأنه ابتداء بنكرة، غلط عليه.

قوله: ﴿وسارب بالنهار﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون معطوفا على «مستخف» ، ويراد ب «من» حينئذ اثنان، وحمل المبتدأ الذي هو لفظة «هو» على لفظها فأفرده، والخبر على معناها فثناه. الوجه الثاني:

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٥٥٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٥٦٧

أن يكون عطفا على « ﴿من هو مستخف﴾ لا على مستخف وحده. ويرجح هذين الوجهين ما قاله الزمخشري. قال رحمه الله:» فإن قلت: كان حق العبارة أن يقال: «ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار؛ حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب، وإلا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب. قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن قوله» وسارب «عطف على ﴿من هو مستخف﴾ لا على» مستخف «. والثاني: أنه عطف على» مستخف «، إلا أن» من «في معنى الاثنين، كقوله:

٢٨٤ - ٣-. . . . . نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

كأنه قيل: سواء منكم اثنان: ﴿مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ .." (١)

"قوله تعالى: ﴿أن أخرج﴾ : يجوز أن تكون «أن» مصدرية، أي: بأن أخرج. والباء في «بآياتنا» للحال، وهذه للتعدية. ويجوز أن تكونه مفسرة للرسالة. وقيل: بل هي زائدة، وهو غلط.

قوله: ﴿وذكرهم﴾ يجوز أن يكون منسوقا على «أخرج» فيكون من التفسير، وأن لا يكون منسوقا، فيكون مستأنفا. و «أيام الله» عبارة عن نعمه، كقوله:

٢٨٦ - ٧- وأيام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا

أو نقمه، كقوله:

٢٨٦ - ٨- وأيامنا مشهورة في عدونا ... .

ووجهه: أن العرب تتجوز فتسند الحدث/ إلى الزمان مجازا، وتضيفه إليها كقولهم: نهار صائم، وليل قائم، ومكر الليل.." (٢)

"من ﴿كل شيطان﴾ فيكون محله الجر، قاله الحوفي وأبو البقاء. وفيه نظر؛ لأن الكلام موجب. الرابع: أنه نعت ل ﴿كل شيطان﴾ ، فيكون محله الجر على خلاف في هذه المسألة. الخامس: أنه في محل رفع بالابتداء، وخبره الجملة من قوله «فأتبعه» . وإنما دخلت الفاء لأن «من» : إما شرطية، وإما موصولة مشبهة بالشرطية، قاله أبو البقاء، وحينئذ يكون من باب الاستثناء المنقطع.

والشهاب: الشعلة من النار، وسمي بها الكوكب لشدة ضوئه وبريقه، ويجمع على شهب في الكثرة، وأشهبة.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٤/٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧٠/٧

والشهبة: بياض مختلط بسواد تشبيها بالشهاب لاختلاطه بالدخان، ومنه كتيبة شهباء لسواد القوم وبياض الحديد، ومن ثم **غلط** الناس في إطلاقهم الشهبة على البياض الخالص.." (١)

"و «نحيي» خبره، والجملة خبر «إنا» . ويجوز أن يكون تأكيدا ل «ن» في «إنا» ، ولا يجوز أن يكون فصلا لأنه لم يقع بين اسمين، وقد تقدم نظيره. وقال أبو البقاء: «لا يكون فصلا لوجهين، أحدهما: أن بعده فعلا، والثاني: أن معه اللام. قلت: الوجه الثاني **غلط** فإن/ لام التوكيد لا يمتنع دخولها على الفصل، نص النحاة على ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو القصص﴾ [آل عمران: ٦٢] جوزوا فيه الفصل مع اقترانه باللام.." (٢)

"وفي وزن هذا النوع أعني ما تكررت فاؤه وعينه خلاف، فقيل: وزنه فعفع، كررت الفاء والعين ولا لام للكلمة، قاله الفراء وغيره. وهو **غلط** لأن أقل الأصول ثلاثة: فاء وعين ولام. الثاني: أن وزنه فعفل وهو قول الفراء. الثالث: أنه فعل بتشديد العين وأصله صلل، فلما اجتمع ثلاثة أمثال أبدل الثاني من جنس فاء الكلمة وهو مذهب كوفي. وخص بعضهم هذا الخلاف بما إذا لم يختل المعنى بسقوطه نحو: لملم وكبكب فإنك تقول فيهما: لم وكب، فلو لم يصح المعنى بسقوطه نحو: سمسم، قال: فلا خلاف في أصالة الجميع.

قوله: ﴿من حمإ﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه في محل جر صفة لصلصال، فيتعلق بمحذوف. والثاني: أنه بدل من» صلصال «بإعادة الجار.

والحمأ: الطين الأسود المنتن. قال الليث:» واحده حمأة بتحريك العين «، جعله اسم جنس، وقد **غلط** في ذلك؛ فإن أهل اللغة قالوا: لا يقال إلا» حمأة «بالإسكان، ولا يعرف التحريك، نص عليه أبو عبيدة وجماعة، وأنشدوا لأبي الأسود:

٢٩٣ - ٩- يجيء بملئها طورا وطورا ... يجيء بحمأة وقليل ماء

فلا تكون» الحمأة «واحدة» الحمأ «لاختلاف الوزنين.." (٣)

"والمسنون: المصبوب من قولهم: سننت الشراب كأنه لرطوبته جعل مصبوبا كغيره من المائعات، فكأن المعنى: أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الجواهر المذابة. قال الزمخشري:» وحق مسنون بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال، كأنه أفرغ الحمأ فصور منه تمثال شخص «. قلت: يعني أنه يصير التقدير: من

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٥١/٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٥٥/٧

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٥٦/٧

صلصال مصور، ولكن يلزم تقديم الوصف المؤول على الصريح إذا جعلنا ﴿من حمإ﴾ صفة لصلصال، أما إذا جعلناه بدلا منه فلا. وقيل: مسنون مصور، من سنة الوجه وهي صورته. قال الشاعر:

٢٩٤ - ٠- تريك سنة وجه غير مقرفة ....

وقال الزمخشري:» من سننت الحجر بالحجر: إذا حككته به فالذي يسيل بينهما «سنين» ولا يكون إلا منتنا «. وقيل: المسنون: المنسوب إليه، والمعنى: ينسب إليه ذرية، وكأن هذا القائل أخذه من الواقع. وقيل: هو من أسن الماء إذا تغير، وهذا **غلط** لاختلاف المادتين.." (١)

"وقرأ علي أمير المؤمنين - رضي الله عنه - وابن عباس والحسن ويحيى بن يعمر والجحدري وقتادة في آخرين: «يرثني» بياء الغيبة والرفع، وأرث «مسندا لضمير المتكلم. قال صاحب» اللوامح «: في الكلام تقديم وتأخير. والتقدير: يرث نبوتي إن مت قبله وأرثه ماله إن مات قبلي» . ونقل هذا عن الحسن.

وقرأ علي أيضا وابن عباس والجحدري «يرثني وارث» جعلوه اسم فاعل، أي: يرثني به وارث، ويسمى هذا «التجريد» في علم البيان.

وقرأ مجاهد «أويرث» وهو تصغير «وارث» ، والأصل وويرث بواوين. وجب قلب أولاهما همزة لاجتماعهما متحركتين أول كلمة، ونحو «أويصل» تصغير «واصل» . والواو الثانية بدل عن ألف فاعل. وأويرث مصروف. لا يقال: ينبغي أن يكون غير مصروف لأن فيه علتين الوصفية ووزن الفعل، فإنه بزنة أبيطر مضارع بيطر، وهذا مما يكون الاسم فيه منصرفا في التكبير ممتنعا في التصغير. لا يقال ذلك لأنه **غلط** بين؛ لأن «أويرثا» وزنه فويعل لا أفيعل بخلاف «أحيمر» تصعير «أحمر» .." (٢)

"عن الأعمش «أيهم» نصبا. قلت: فعلى هذه القراءة والتي قبلها: ينبغي أن يكون مذهب سيبويه جواز إعرابها وبنائها، وهو المشهور عند النقلة عنه، وقد نقل عنه أنه يحتم بناءها. قال النحاس: «ما علمت أحدا من النحويين إلا وقد خطأ سيبويه» قال: «وسمعت أبا إسحاق الزجاج يقول:» ما تبين لي أن سيبويه **غلط** في كتابه إلا في موضعين، هذا أحدهما «قال» وقد أعرب سيبويه «أيا» وهي مفردة لأنها مضافة، فكيف يبنيها مضافة «؟ وقال الجرمي:» خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكة أحدا يقول: «لأضربن أيهم قائم» بالضم بل ينصب «.

و ﴿على الرحمن﴾ متعلق ب» أشد «، و» عتيا «منصوب على / التمييز، وهو محول عن المبتدأ، إذ

---

(١) الدر المصو ن في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٥٧/٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٦٨/٧

التقدير: أيهم هو عتوه أشد، ولا بد من محذوف يتم به الكلام، التقدير: فنلقيه في العذاب، أو فنبدأ بعذابه. قال الزمخشري:» فإن قلت: بم تتعلق على والباء؟ فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه ». قلت: هما للبيان لا للصلة، أو يتعلقان ب» أفعل «، أي: عتوهم أشد على الرحمن، وصليهم أولى بالنار كقولهم:» هو أشد على خصمه، وهو أولى بكذا «.." (١)

"إسحاق والعلاء بن سيابة وجعفر بن محمد» آتينا «بمد الهمزة وفيها أوجه، أحدها: وهو الصحيح أنه فاعلنا من المؤاتاة وهي المجازاة والمكافأة. والمعنى: جازينا بها، ولذلك تعدى بالباء. الثاني: أنها مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والكافأة لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء، قاله الزمخشري. الثالث: أنه أفعل من الإيتاء. كذا توهم بعضهم وهو غلط. قال ابن عطية:» ولو كان آتينا أعطينا لما تعدى بحرف جر. ويوهن هذه القراءة أن بدل الواو المفتوحة همزة ليس بمعروف، وإنما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة «يعني أنه كان من حق هذا القارىء أن يقرأ» واتينا «مثل واظبنا؛ لأنها من المواتاة على الصحيح، فأبدل هذا القارىء الواو المفتوحة همزة. وهو قليل ومنه أخذ» واتاه «.

وقال أبو البقاء:» ويقرأ بالمد بمعنى جازينا بها، فهو يقرب من معنى أعطينا؛ لأن الجزاء إعطاء، وليس منقولا من أتينا، لأن ذلك لم ينقل عنهم.

وقرأ حميد «أثبنا» من الثواب. والضمير في «بها» عائد على المثقال، وأنث ضميره لإضافته لمؤنث فهو كقوله:

٣٣٤٨ -. . . . . كما شرقت صدر القناة من الدم." (٢)

"قوله: ﴿آذنتكم﴾ : أي: أعلمتكم. فالهمزة فيه للنقل. قال الزمخشري: «آذن منقول من أذن إذا علم، ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الإنذار. ومنه قوله تعالى: ﴿فأذنوا بحرب﴾ [البقرة: ٢٧٩] وقول ابن حلزة: /

٣٣٦٧ - آذنتنا ببينها أسماء ... .

قلت: وقد تقدم تحقيق هذا في البقرة.

قوله: ﴿على سوآء﴾ في محل نصب على الحال من الفاعل والمفعول معا، أي: مستوين في العلم بما

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٢٤/٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٦٦/٨

أعلمتكم به لم يطوه عن أحد منهم.

قوله: ﴿وإن أدري﴾ العامة على إرسال الياء ساكنة، إذ لا موجب لغير ذلك. وروي عن أبن عباس أنه قرأ:» وإن أدري أقريب «،» وإن أدري لعله فتنة «بفتح الياءين. وخرجت على التشبيه بياء الإضافة. على أن ابن مجاهد أنكر هذه القراءة البتة. وقال ابن جني:» هو غلط، لأن «إن» نافية لا عمل لها «. ونقل أبو البقاء عن غيره أنه قال في تخريجها:» إنه ألقى." (١)

"قوله: ﴿من الأوثان﴾ في «من» ثلاثة أوجه، أحدها: أنها لبيان الجنس، وهو مشهور قول المعربين، ويتقدر بقولك: الرجس الذي هو الأوثان. وقد تقدم أن شرط كونها بيانية ذلك. وتجيء مواضع كثيرة لا يتأتى فيها ذلك ولا بعضه. والثاني: أنها لابتداء الغاية. وقد خلط أبو البقاء القولين فجعلهما قولا واحدا فقال: «ومن لبيان الجنس أي: اجتنبوا الرجس من هذا القبيل، وهو بمعنى ابتداء الغاية ههنا» يعني أنه في المعنى يؤول إلى ذلك، ولا يؤول إليه البتة. الثالث: أنها للتبعيض. وقد **غلط** ابن عطية القائل بكونها للتبعيض، فقال: «ومن قال: إن» من «للتبعيض قلب معنى الآية فأفسده» وقد يمكن التبعيض فيها: بأن يعني بالرجس عبادة الأوثان. وبه قال ابن عباس وابن جريج، فكأنه قال: فاجتنبوا من الأوثان الرجس وهو العبادة؛ لأن المحرم من الأوثان إنما هو العبادة ألا ترى أنه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغيره مما لم يحرم الشرع استعماله، وللوثن جهات منها عبادتها، وهي بعض جهاتها. قاله الشيخ. وهو تأويل بعيد.." (٢)

"قوله: ﴿هو الحق﴾ : يجوز أن يكون فصلآ ومبتدأ. وجوز أبو البقاء أن يكون توكيدا. وبه بدأ. وهو غلط؛ لأن المضمر لا يؤكد المظهر، ولكان صيغة النصب أولى به من الرفع فيقال: «إياه» لأن المتبوع منصوب.

وقرأ الأخوان وحفص وأبو عمرو هنا وفي لقمان «يدعون» بالياء من تحت. والباقون بالتاء من فوق. والفعل مبنى للفاعل. وقرأ مجاهد واليماني بالياء من تحت مبنيا للمفعول. والواو التي هي ضمير تعود على «ما» على معناها والمراد بها الأصنام أو الشياطين.." (٣)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢١٦/٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٧٠/٨

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٩٧/٨

"قوله: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ : كقوله: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا﴾ [النور: ٢] ، فيعود فيه ما تقدم بحاله. وقوله: ﴿المحصنات﴾ فيه وجهان أحدهما: أن المراد به النساء فقط، وإنما خصهن بالذكر؛ لأن قذفهن أشنع. والثاني: أن المراد بهن النساء والرجال، وعلى هذا فيقال: كيف غلب المؤنث على المذكر؟ والجواب: أنه صفة لشيء محذوف يعم الرجال والنساء، أي: الأنفس المحصنات وهو بعيد. أو تقول: ثم معطوف محذوف لفهم المعنى، والإجماع على أن حكمهم حكمهن أي: والمحصنين.

قوله: ﴿بأربعة شهدآء﴾ العامة على إضافة اسم العدد للمعدود. وقرأ أبو زرعة وعبد الله بن مسلم بالتنوين في العدد، واستفصح الناس هذه القراءة حتى جاوز بعضهم الحد، كابن جني، ففضلها على قراءة العامة قال: «لأن المعدود متى كان صفة فالأجود الإتباع دون الإضافة. تقول: عندي ثلاثة ضاربون، ويضعف ثلاثة ضاربين» وهذا غلط، لأن الصفة التي جرت مجرى الأسماء تعطى حكمها فيضاف إليها العدد، و «شهداء» من ذلك؛ فإنه كثر حذف موصوفه. قال تعالى: ﴿من كل أمة بشهيد﴾ ﴿واستشهدوا شهيدين﴾ [البقرة: ٢٨٢] وتقول: عندي ثلاثة أعبد، وكل ذلك صفة في الأصل.

ونقل ابن عطية عن سيبويه أنه لا يجيز تنوين العدد إلا في شعر، وليس." (١)

"٣٥١٤ - حذر أمورا لا تضير وآمن ... ما ليس منجيه من الأقدار

وقد زعم بعضهم أن سيبويه لما سأله: هل تحفظ شيئا في إعمال فعل؟ صنع له هذا البيت. فعيب على سيبويه: كيف يأخذ الشواهد الموضوعة؟ وهذا غلط؛ فإن هذا الشخص قد أقر على نفسه بالكذب فلا يقدح قوله في سيبويه. والذي ادعى أنه صنع البيت هو اللاحقي. وحذر يتعدى بنفسه، قال تعالى: ﴿يحذر الآخرة﴾ [الزمر: ٩] ، وقال العباس بن مرداس:

٣٥١٥ - وإني حاذر أنمي سلاحي ... إلى أوصال ذيال منيع

وقرأ ابن السميفع وابن أبي عمار «حاذرون» بالدال المهملة من قولهم: «عين حدرة» أي: عظيمة، كقوله:

٣٥١٦ - وعين لها حدرة بدرة ... ." (٢)

"وقال المبرد في كتاب» الخط «» كتبوا في بعض المواضع «كذب أصحاب ليكة» بغير ألف؛ لأن الألف تذهب في الوصل، ولذلك غلط القارىء بالفتح فتوهم أن «ليكة» اسم شيء، وأن اللام أصل فقرأ: أصحاب ليكة «. وقال الفراء:» نرى والله أعلم أنها كتبت في هذين الموضعين بترك الهمز فسقطت الألف

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٨١/٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٢٣/٨

لتحريك اللام «. قال مكي: تعقب ابن قتيبة على أبي عبيد فاختار» الأيكة «بالألف والهمزة والخفض قال:» إنما كتبت بغير ألف على تخفيف الهمز «. قال:» وقد أجمع الناس على ذلك، يعني في الحجر وق، فوجب أن يلحق ما في الشعراء وص بما أجمعوا عليه، فما أجمعوا عليه شاهد لما اختلفوا فيه «.

وقال أبو إسحاق:» القراءة بجر قوله: «ليكة» وأنت تريد «الأيكة» أجود من أن تجعلها «ليكة» ، وتفتحها؛ لأنها لا تنصرف؛ لأن ليكة لا تعرف، وإنما هي أيكة للواحد، وأيك للجمع مثل: أجمة وأجم. والأيك: الشجر الملتف فأجود القراءة فيها الكسر، وإسقاط الهمزة، لموافقة المصحف ولا أعلمه إلا قد قرىء به .»

وقال الفارسي:» قول من قال «ليكة» ففتح التاء مشكل، لأنه فتح مع لحاق اللام الكلمة. وهذا في الامتناع كقول من قال: «مررت بلحمر» ففتح." (١)

"قوله: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ : العامة على الياء/ ورفع النون، وهو جمع تكسير. وقرأ الحسن البصري وابن السميفع والأعمش بالواو مكان الياء، والنون مفتوحة إجراء له مجرى جمع السلامة. وهذه القراءة قد ردها جمع كثير من النحويين. قال الفراء: «غلط الشيخ ظن أنها النون التي على هجاءين» . وقال النضر بن شميل: «إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يعني محمد بن السميفع، مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه» . وقال النحاس: «هو غلط عند جميع النحويين» . وقال المهدوي: «هو غير جائز في العربية» . وقال أبو حاتم: «هي غلط منه أو عليه» .

وقد أثبت هذه القراءة جماعة من أهل العلم، ودفعوا عنها الغلط، فإن القارىء بها من العلم بمكان مكين، وأجابوا عنها بأجوبة صالحة. فقال: النضر بن شميل: «قال يونس بن حبيب: سمعت أعرابيا يقول:» دخلت بساتين من ورائها بساتون «فقلت: ما أشبه هذا بقراءة الحسن» وخرجها بعضهم على أنها جمع شياط بالتشديد مثال مبالغة، مثل «ضراب» و «قتال» ، على أن يكون مشتقا من شاط يشيط أي: أحرق، ثم جمع جمع سلامة مع تخفيف الياء فوزنه." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٤٦/٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٦٢/٨

"أبي عمرو، وليست ببعيدة عنه ك ﴿ينصركم﴾ [آل عمران: ١٦٠] وبابه. وروى هارون عن بعضهم نصب العين وهي غلط. والقول بأن الفتحة للإتباع خطأ.

والعامة على رفع «الشعراء» بالابتداء. والجملة بعده الخبر. وقرأ عيسى بالنصب على الاشتغال.." (١)

"والعائد مقدر كما مر تقريره. وهذا الموصول مفعول به أي: انتظر الذي يرجعونه.

وقال الشيخ: «وماذا: إن كان معنى» انظر «معنى التأمل بالفكر كان» انظر «معلقا. و» ماذا «: إما أن يكون استفهاما في موضع نصب، وإما أن يكون» ما «استفهاما، وذا موصول بمعنى الذي. فعلى الأول يكون» يرجعون «خبرا عن» ماذا «، وعلى الثاني يكون» ذا «هو الخبر، ويرجعون صلة» انتهى.

وهذا غلط: إما من الكاتب، وإما من غيره؛ وذلك أن قوله «فعلى الأول» يعني به أن «ماذا» كله استفهام في موضع نصب يمنع قوله: «يرجعون» خبر عن «ماذا» . كيف يكون خبرا عنه وهو منصوب به كما تقدم تقريره؟ وقد صرح هو بأنه منصوب يعنى بما بعده، ولا يعمل فيه ما قبله. وهذا نظير ما تقدم في آخر السورة قبلها في قوله: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [الشعراء: ٢٢٧] في كون اسم الاستفهام معمولا لما بعده، وهو معلق لما قبله، فكما حكمت على الجملة من «ينقلبون» وما اشتملت عليه من اسم الاستفهام المعمول لها بالنصب على سبيل التعليق، كذلك تحكم على «يرجعون» فكيف تقول: إنها خبر عن «ماذا» ؟ .." (٢)

"قوله: «وخاتم» قرأ عاصم بفتح التاء، والباقون بكسرها. فالفتح اسم للآلة التي يختم بها كالطابع والقالب لما يطبع به ويقلب فيه، هذا هو المشهور. وذكر أبو البقاء فيه أوجها أخر منها: أنه في معنى المصدر قال: «كذا ذكر في بعض الأعاريب» . قلت: وهو **غلط** محض كيف وهو يحوج إلى تجوز وإضمار؟ ولو حكي هذا في «خاتم» بالكسر لكان أقرب؛ لأنه قد يجيء المصدر على فاعل وفاعلة. وسيأتي ذلك قريبا. ومنها: أنه اسم بمعنى آخر. ومنها: أنه فعل ماض مثل قاتل فيكون «النبيين» مفعولا به قلت: ويؤيد هذا قراءة عبد الله «ختم النبيين» .

والكسر على أنه اسم فاعل، ويؤيده قراءة عبد الله المتقدمة. وقال بعضهم: هو بمعنى المفتوح، يعني بمعنى آخرهم.." (٣)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٦٦/٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٠٨/٨

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٢٩/٩

"ابن كثير في رواية وأهل مكة بتخفيف الدال. وفيها وجهان، أحدهما: أنها من الاعتداد، وإنما كرهوا تضعيفه فخففوه. قاله الرازي قال: «ولو كان من الاعتداء الذي هو الظلم لضعف؛ لأن الاعتداء يتعدى ب على» . قيل: ويجوز أن يكون من الاعتداء وحذف حرف الجر أي: تعتدون عليها أي: على العدة مجازا ثم تعتدونها كقوله:

٣٧٠٧ - تحن فتبدي ما بها من صبابة ... وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

أي: لقضى علي. قال الزمخشري: «وقرئ» تعتدونها «مخففا أي: تعتدون فيها. كقوله:

٣٧٠٨ - ويوم شهدناه. . . . .

البيت. والمراد بالاعتداء ما في قوله: ﴿ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا﴾ [البقرة: ٢٣١] يعني: أنه حذف الحرف كما حذف في قوله:

ويوم شهدناه سليمى وعامرا ... قليل سوى الطعن النهال نوافله

وقيل: معنى تعتدونها أي: تعتدون عليهن فيها. وقد أنكر ابن عطية القراءة عن ابن كثير وقال:» **غلط** ابن ابي بزة عنه «وليس كما قال. والثاني:." (١)

"مقامه. تقديره: فأرسلنا عليهم سيل المطر العرم أو الجرذ العرم أي الشديد الكثير. الثالث: أن العرم اسم للبناء الذي يجعل سدا. وأنشد:

٣٧٣٧ - من سبأ الحاضرين مأرب إذ ... يبنون من دون سيله العرما

أي البناء القوي. الرابع: أن العرم اسم للوادي الذي كان فيه الماء نفسه. الخامس: أنه اسم للجرذ وهو الفأر. قيل: هو الخلد. وإنما أضيف إليه لأنه تسبب عنه إذ يروى في التفسير: أنه قرض السكر إلى أن انفتح عليهم فغرقوا به. وعلى هذه الأقوال الثلاثة تكون الإضافة إضافة صحيحة معرفة نحو: غلام زيد أي: سيل البناء، أو سيل الوادي الفلاني، أو سيل الجرذ. وهؤلاء هم الذين ضربت بهم العرب في المثل للفرقة فقالوا: «تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ» .

قوله «» بجنتيهم جنتين «قد تقدم في البقرة أن المجرور بالباء هو الخارج، والمنصوب هو الداخل؛ ولهذا

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٣٢/٩

غلط من قال من الفقهاء:» فلو أبدل ضادا بظاء بطلت صلاته «بل الصواب أن يقال: ظاء بضاد.
قوله:» أكل خمط «قرأ أبو عمرو على إضافة» أكل «غير المضاف إلى».[1]"

"أن يكون مبتدأ خبره محذوف، أي: مكر الليل صدنا. الثالث: العكس أي: سبب كفرنا مكركم. وإضافة المكر إلى الليل والنهار: إما على الإسناد المجازي كقولهم: ليل ماكر، فيكون مصدرا مضافا لمرفوعه، وإما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به، فيكون مضافا لمنصوبه. وهذان أحسن من قول من قال: إن الإضافة بمعنى «في» أي: في الليل؛ لأن ذلك لم يثبت في غير محل النزاع.
وقرأ العامة «مكر» خفيف الراء ساكن الكاف مضافا لما بعده. وابن يعمر وقتادة بتنوين «مكر» وانتصاب الليل والنهار ظرفين. وقرأ أيضا وسعيد بن جبير وأبو رزين بفتح الكاف وتشديد الراء مضافا لما بعده. أي: كرور الليل والنهار واختلافهما، من كر يكر، إذا جاء وذهب. وقرأ ابن جبير أيضا وطلحة وراشد القارئ - وهو الذي كان يصحح المصاحف أيام الحجاج بأمره - كذلك إلا أنه بنصب الراء. وفيها أوجه، أظهرها: ما قاله الزمخشري، وهو الانتصاب على المصدر قال: «بل تكرون الإغواء مكرا دائما لا تفترون عنه» . الثاني: النصب على الظرف بإضمار فعل أي: بل صددتمونا مكر الليل والنهار أي: دائما. الثالث: أنه منصوب بتأمروننا، قاله أبو الفضل الرازي، وهو غلط؛ لأن ما بعد المضاف لا يعمل فيما قبله إلا في مسألة واحدة: وهي «غير» إذا كانت بمعنى «لا» كقوله:.[2]"

"أي: عملا صالحا غير الذي كنا نعمل، وأن يكونا بمعنى مفعول به محذوف أي: نعمل شيئا صالحا غير الذي كنا نعمل، وأن يكون «صالحا» نعتا لمصدر، و ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ هو المفعول به. وقال الزمخشري: «فإن قلت: فهلا اكتفي ب» صالحا «كما اكتفي به في قوله: ﴿فارجعنا نعمل صالحا﴾ [السجدة: ١٢] ، وما فائدة زيادة ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ على أنه يوهم أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه؟ قلت: فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به. وأما الوهم فزائل بظهور حالهم في الكفر وظهور المعاصي، ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة، كما قال تعالى: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ [الكهف: ١٠٤] فقالوا: أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله» .
قوله: «ما يتذكر» جوزوا في «ما» هذه، وجهين، أحدهما: - ولم يحك الشيخ غيره - أنها مصدرية ظرفية

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٧٢/٩
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٩١/٩

قال: أي مدة تذكر. وهذا غلط؛ لأن الضمير في «فيه» يمنع من ذلك لعوده على «ما» ، ولم يقل باسمية «ما» المصدرية إلا الأخفش وابن السراج. الثاني: أنها نكرة موصوفة أي تعمرا يتذكر فيه، أو زمانا يتذكر فيه. وقرأ الأعمش «ما يذكر» بالإدغام «من اذكر» . قال الشيخ: «بالإدغام واجتلاب همزة الوصل ملفوظا بها في الدرج» . وهذا." (١)

"كقولهم: «أما ترى أي برق ههنا» ؟ وقد تقدم الكلام على «أرأيتم» هذه في الأنعام مشبعا. وقال ابن عطية هنا: «إن أرأيتم يتنزل عند سيبويه منزلة أخبروني؛ ولذلك لا يحتاج إلى مفعولين» . وهو **غلط** بل يحتاج كما تقدم تقريره. وجعل الزمخشري الجملة من قوله: «أروني» بدلا من قوله «أرأيتم» قال: «لأن معنى أرأيتم أخبروني» . ورده الشيخ: بأن البدل مما دخلت عليه أداة الاستفهام يلزم إعادتها في البدل ولم تعد هنا. وأيضا فإبدال جملة من جملة لم يعهد في لسانهم.

قلت: والجواب عن الأول: أن الاستفهام فيه غير مراد قطعا فلم تعد أداته لعدم إرادته. وأما قوله: «لم يوجد في لسانهم» فقد وجد. ومنه:

٣٧٧٠ - متى تأتنا تلمم بنا. . . . .

البيت. [وقوله:]." (٢)

"والباقون بإضافة «زينة» إلى «الكواكب» . وهي تحتمل ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون إضافة أعم إلى أخص فتكون للبيان نحو: ثوب خز. الثاني: أنها مصدر مضاف لفاعله أي: بأن زينت الكواكب السماء بضوئها. والثالث: أنه مضاف لمفعوله أي: بأن زينها الله بأن جعلها مشرقة مضيئة في نفسها.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود بتنوينها، ورفع الكواكب. فإن جعلتها مصدرا ارتفع «الكواكب» به، وإن جعلتها اسما لما يزان به فعلى هذا ترتفع «الكواكب» بإضمار مبتدأ أي: هي الكواكب، وهي في قوة البدل. ومنع الفراء إعمال المصدر المنون. وزعم أنه لم يسمع. وهو **غلط** لقوله تعالى: ﴿أو إطعام في يوم﴾ [البلد: ١٤] كما سيأتي إن شاء الله.." (٣)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٣٦/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٣٨/٩

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٩٢/٩

"التقدير: لست براء ولا متدارك. وهذا الذي قالاه سبقهما إليه الفراء فإنه قال:» من جر السلاسل حمله على المعنى، إذ المعنى: أعناقهم في الأغلال والسلاسل «.

الوجه الثاني: أنه عطف على» الحميم «، فقدم على المعطوف عليه، وسيأتي تقرير هذا. الثالث: أن الجر على تقدير إضمار الخافض، ويؤيده قراءة أبي» وفي السلاسل «وقرأه غيره» وبالسلاسل «وإلى هذا نحا الزجاج. إلا أن ابن الأنباري رده وقال:» لو قلت: «زيد في الدار» لم يحسن أن تضمر «في» فتقول: «زيد الدار» ثم ذكر تأويل الفراء. وخرج القراءة عليه ثم قال: كما تقول: «خاصم عبد الله زيدا العاقلين» بنصب «العاقلين» ورفعه؛ لأن أحدهما إذا خاصمه صاحبه، فقد خاصمه الآخر. وهذه المسألة ليست جارية على أصول البصريين، ونصوا على منعها، وإنما قال بها من الكوفيين ابن سعدان. وقال مكي: «وقد قرئ والسلاسل، بالخفض على العطف على» الأعناق «وهو غلط؛ لأنه يصير: الأغلال في الأعناق وفي السلاسل، ولا معنى للأغلال في السلاسل» . قلت: وقوله على العطف على «الأعناق» ممنوع بل خفضه على ما تقدم. وقال أيضا: «وقيل: هو معطوف على» الحميم «وهو أيضا لا يجوز؛ لأن المعطوف المخفوض لا يتقدم على المعطوف عليه، لو قلت:» مررت وزيد بعمرو «لم يجز، وفي المرفوع يجوز نحو:» قام وزيد عمرو «ويبعد في المنصوب، لا يحسن:» رأيت وزيدا عمرا «ولم يجزه في المخفوض أحد» .

قلت: وظاهر كلامه أنه يجوز في المرفوع بعيد، وقد نصوا أنه لا يجوز." (١)

"وهو **غلط** لأن التي للمح الصفة منصوص على زيادتها، بمعنى أنها لم تؤثر تعريفا.

واختلف في تاء «اللات» فقيل: أصل، وأصله من لات يليت فألفها عن ياء، فإن مادة ل ي ت موجودة. وقيل: زائدة، وهي من لوى يلوي لأنهم كانوا يلوون أعناقهم إليها، أو يلتوون أي: يعتكفون عليها، وأصلها لوية فحذفت لأمها، فألفها على هذا من واو. وقد اختلف القراء في الوقف على تائها. فوقف الكسائي عليها بالهاء والباقون بالتاء، وهو مبني على القولين المتقدمين: فمن اعتقد تاءها أصلية أقرها في الوقف كتاء بيت، ومن اعتقد زيادتها وقف عليها هاء. والعامة على تخفيف تائها. وقرأ ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وأبو الجوزاء وأبو صالح وابن كثير في رواية بتشديد التاء. وقيل: هو رجل كان يلت السويق ويطعم الحاج، فهو اسم فاعل في الأصل غلب على هذا الرجل، وكان يجلس عند حجر، فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله تعالى.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٩٧/٩

وال‍عزى فعلى من العز، وهي تأنيث الأعز كالفضلى، والأفضل، وهي اسم صنم. وقيل: شجرة كانت تعبد.." (١)

"بالمصدر، أي: ضربا بسور» وهذا متناقض، إلا أن يكون قد **غلط** عليه من النساخ، والأصل «أو الباء متعلقة بالمصدر» ، والقائم مقام الفاعل الظرف. وعلى الجملة هو ضعيف.

والسور: البناء المحيط. وتقدم اشتقاقه أول البقرة.

قوله: ﴿له باب﴾ مبتدأ وخبر في موضع جر صفة ل سور.

قوله: ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ هذه الجملة يجوز أن تكون في موضع جر صفة ثانية ل «سور» ، ويجوز أن تكون في موضع رفع صفة ل «باب» ، وهو أولى لقربه. والضمير إنما يعود على الأقرب إلا بقرينة.

وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير «فضرب» مبنيا للفاعل وهو الله أو الملك.." (٢)

"والثاني: أنه مبتدأ، وفي خبره وجهان، أحدهما: أنه الظرف بعده. والثاني: أنه قوله «لهم أجرهم» إما الجملة، وإما الجار وحده، والمرفوع فاعل به. والوقف لا يخفى على ما ذكرته من الإعراب.

والصديق: مثال مبالغة، ولا يجيء إلا من ثلاثي غالبا. قال بعضهم: وقد جاء «مسيك» من أمسك. وهو **غلط** لأنه يقال: مسك ثلاثيا فمسيك منه.." (٣)

"أبو البقاء: «قوله:» لا ينصرونهم «لما كان الشرط ماضيا ترك جزم الجواب» انتهى. وهو غلط؛ لأن «لا ينصرونهم» ليس جوابا للشرط، بل هو جواب للقسم، وجواب الشرط محذوف كما تقدم تقريره، وكأنه توهم أنه من باب قوله:

٤٢٥١ - وإن أتاه خليل يوم مسألة ... يقول لا غائب مالي ولا حرم

وقد سبق أبا البقاء ابن عيطة إلى ما يوهم شيئا من ذلك، ولكنه صرح بأنه جواب القسم، وقال: «جاءت الأفعال غير مجزومة في» لا يخرجون «ولا» ينصرون «لأنها راجعة على حكم القسم لا على حكم الشرط. وفي هذا نظر» وقوله: «وفي هذا نظر» موهم أنه جاء على خلاف ما يقتضيه القياس، وليس كذلك، بل جاء على ما يقتضيه القياس. وفي هذه الضمائر قولان، أحدهما: أنها كلها للمنافقين. والثاني: أنها مختلفة، بعضها لهؤلاء وبعضها لهؤلاء.." (٤)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩٢/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٤٥/١٠

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٥٠/١٠

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٨٨/١٠

"أنه جمع خشباء، وأحسبه **غلط** عليه لأنه قد يكون قال «خشب» بالسكون جمع خشباء نحو: حمراء وحمر؛ لأن فعلاء الصفة لا تجمع على فعل بضمتين بل بضمة وسكون. وقوله «الزبيدي» تصحيف: إما منه وإما من الناسخ، إنما هو اليزيدي تلميذ أبي عمرو بن العلاء، نقل ذلك الزمخشري. وقال أبو البقاء: «وخشب بالضم والإسكان جمع خشب مثل: أسد وأسد» انتهى. فهذا يوهم أنه يقال: أسد بضمتين وليس كذلك.

وأما القراءة بضمة وسكون فقيل: هي تخفيف الأولى. وقيل: هي جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها، أي: فرغ، شبهوا بها لفراغ بواطنهم مما ينتفع به. وقيل: هي جمع خشبة نحو بدنة وبدن، قاله الزمخشري.

وأما القراءة بفتحتين فهو اسم جنس، وأنث صفته كقوله: ﴿نخل خاوية﴾ [الحاقة: ٧] وهو أحد الجائزين. وقوله: ﴿مسندة﴾ تنبيه على أنها لا ينتفع بها، كما ينتفع بالخشب في سقف وغيره، أو شبهوا بالأصنام؛ لأنهم كانوا يسندونها إلى الحيطان.

قوله: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أن «." [1]

"جميع ما أنبأت به غيرها لقوله تعالى: ﴿وأظهره الله عليه﴾ وقرأ عكرمة «عراف» بألف بعد الراء، وخرجت على الإشباع كقوله:

٤٢٧٧ -. . . . . من العقراب ... الشائلات عقد الأذناب

وقيل: هي لغة يمانية، يقولون: «عراف زيد عمرا» أي: عرفه. وإذا ضمنت هذه الأفعال الخمسة معنى أعلم تعدت لثلاثة. وقال الفارسي: «تعدت بالهمزة أو التضعيف، وهو غلط؛ إذ يقتضي ذلك أنها قبل التضعيف والهمزة كانت متعدية لاثنين، فاكتسبت بالهمزة أو التضعيف ثالثا، والأمر ليس كذلك اتفاقا.." [2]

"قوله: ﴿مكبا﴾ : حال من فاعل «يمشي» . و «أكب» مطاوع كبه يقال: كببته فأكب. قال الزمخشري: «هو من الغرائب والشواذ ونحوه: قشعت الريح السحاب فأقشع، ولا شيء من بناء أفعل مطاوعا، ولا يتقن نحو هذا إلا حملة كتاب سيبويه، وإنما أكب، من باب أنفض وألام، ومعناه: دخل في الكب وصار ذا كب، وكذلك أقشع السحاب: دخل في القشع، ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع» . قال الشيخ «:» ومكبا «حال من» أكب «وهو لا يتعدى، وكب متعد قال تعالى: ﴿فكبت وجوههم في

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٣٨/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٦٥/١٠

النار﴾ [النمل: ٩٠] والهمزة للدخول في الشيء أو للصيرورة ومطاوع كب: انكب. تقول: كببته فانكب. قال الزمخشري:» ولا شيء من بناء أفعل «إلى قوله: كتاب سيبويه» انتهى، وهذا الرجل كثير التبجح بكتاب سيبويه، وكم من نص في كتاب سيبويه عمي بصره وبصيرته عنه، حتى إن الإمام أبا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا، يذكر فيه ما **غلط** الزمخشري فيه وما جهله من كتاب سيبويه «. انتهى ما قاله الشيخ. وانظر إلى هذا الرجل: كيف أخذ كلامه الذي أسلفته عنه، طرز به عبارته حرفا بحرف، ثم أخذ ينحي عليه بإساءة الأدب، جزاء ما لقنه تلك الكلمات الرائعة وجعله يقول: إن مطاوع كب انكب لا أكب وإن الهمزة في أكب للصيرورة، أو للدخول في الشيء،." (١)

"قوله: ﴿وتعيهآ﴾ : العامة على كسر العين وتخفيف الياء، وهو مضارع وعى منصوب عطفا على «لنجعلها» . وابن مصرف وأبو عمرو في رواية هارون عنه وقنبل بإسكانها تشبيها له ب «رحم» و «شهد» ، وإن لم يكن منه، ولكن صار في اللفظ بمنزلة فعل الحلقي العين. وروي عن حمزة إخفاء الكسرة. وروي عن عاصم وحمزة أيضا تشديد الياء. وهو **غلط** عليها، وإنما سمعهما الراوي يبينان حركة الياء فظنها شدة. وقيل: أجريا الوصل مجرى الوقف فضعفا الحرف وهذا لا ينبغي أن يلتفت إليه. وروي عن حمزة أيضا وموسى بن عبد الله العبسي «وتعيها» بسكون الياء، وفيها وجهان: الاستئناف والعطف على المنصوب، وإنما سكنا الياء استثقالا للحركة على حرف العلة كقراءة ﴿تطعمون أهليكم﴾ [المائدة: ٨٩] وقد مر.." (٢)

"فكيف يكون كلاما مبتدأ جوابا للسائل، أي: هو للكافرين؟ هذا لا يصح «.

هذا كلام الشيخ برمته، وقد **غلط** على أبي القاسم في فهمه عنه قوله:» وعلى الثاني إلى آخره «فمن ثم جاء التخبيط الذي ذكره. والزمخشري إنما عنى بالثاني قوله:» وعن قتادة سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع، فنزلت، وسأل على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم «فهذا هو الوجه الثاني المقابل للوجه الأول: وهو أن» سأل «مضمن معنى» دعا «، ولا أدري كيف تخبط على الشيخ حتى وقع فيما وقع، ونسب الزمخشري إلى الغلط، وأنه أخذ قول قتادة والحسن وأفسده؟ والترتيب الذي رتبه الزمخشري في تعلق اللام من أحسن ما يكون صناعة ومعنى.

قوله: ﴿ليس له دافع﴾ يجوز أن يكون نعتا آخر ل» عذاب «، وأن يكون مستأنفا، والأول أظهر، وأن

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٩٢/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٢٧/١٠

يكون حالا من» عذاب «لتخصصه: إما بالعمل، وإما بالصفة، وأن يكون حالا من الضمير في» للكافرين «إن جعلناه نعتا ل» عذاب «.." (١)

"القرآن «لم يدل ذلك على اختصاصه» . وجعل الاختصاص في الآية مفهوما من السياق لا مما ذكره.

قوله: ﴿أن لن﴾ و «أن سيكون» كلاهما مخففة من الثقيلة، والفاصل النفي وحرف التنفيس.

قوله: ﴿وآخرون﴾ / عطف على «مرضى» ، أي: علم أن سيوجد منكم قوم مرضى وقوم آخرون مسافرون. ف «يضربون» نعت ل «آخرون» وكذلك «يبتغون» . ويجوز أن يكون «يبتغون» حالا من فاعل «يضربون» ، و «آخرون» عطف على «آخرون» و «يقاتلون» صفته.

قوله: ﴿هو خيرا﴾ العامة على نصب الخير، مفعولا ثانيا. وهو: إما تأكيد للمفعول الأول أو فصل. وجوز أبو البقاء أن يكون بدلا، وهو غلط؛ لأنه كان يلزم أن يطابق ما قبله في الإعراب فيقال: إياه. وقرأ أبو السمال وابن السميفع «خير» على أن يكون «هو» مبتدأ، و «خير» خبره. والجملة مفعول ثان ل «تجدوه» . قال أبو زيد: «هي لغة تميم، يرفعون ما بعد الفصل» وأنشد سيبويه:

٤٣٧٧ - تحن إلى ليلى وأنت تركتها ... وكنت عليها بالملا أنت أقدر

والقوافي مرفوعة. ويروى «أقدارا» بالنصب. قال الزمخشري:." (٢)

"ويكون «ناظرة» نعتا لوجوه، أو خبرا ثانيا، أو خبرا لمبتدأ محذوف. و «إلى ربها» متعلق ب «ناظرة» كما تقدم. وقال ابن عطية: «وابتدأ بالنكرة/ لأنها تخصصت بقوله» يومئذ «. وقال أبو البقاء:» وجاز الابتداء هنا بالنكرة لحصول الفائدة «. قلت: أما قول ابن عطية ففيه نظر؛ لأن قوله:» تخصصت بقوله: «يومئذ» هذا التخصيص: إما لكونها عاملة فيه، وهو محال؛ لأنها جامدة، وإما لأنها موصوفة به وهو محال أيضا؛ لأن الجثث لا توصف بالزمان كما لا يخبر به عنها. وأما قول أبي البقاء فإن أراد بحصول الفائدة ما قدمته من التفصيل فصحيح، وإن عنى ما عناه ابن عطية فليس بصحيح لما عرفته.

الثالث: أن يكون «وجوه» مبتدأ، و «يومئذ» خبره، قاله أبو البقاء. وهذا غلط محض من حيث المعنى، ومن حيث الصناعة. أما المعنى فلا فائدة في الإخبار عنها بذلك. وأما الصناعة فلأنه لا يخبر بالزمان عن الجثث، وإن ورد ما ظاهره ذلك تؤول نحو: «الليلة الهلال» الرابع: أن يكون «وجوه» مبتدأ و «ناضرة»

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٤٩/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٣١/١٠

خبره، و ﴿إلى ربها ناظرة﴾ جملة في موضع خبر ثان، قاله ابن عطية. وفيه نظر؛ لأنه لا ينعقد منهما كلام، إذ الظاهر تعلق «إلى» ب «ناظرة» ، اللهم إلا أن يعني أن «ناظرة» خبر لمبتدأ مضمر، أي: هي ناظرة إلى ربها، وهذه الجملة خبر ثان. وفيه تعسف.." (١)

"فقال الزمخشري: «وقرىء» وإستبرق «نصبا في موضع الجر على منع الصرف؛ لأنه أعجمي وهو غلط؛ لأنه نكرة يدخله حرف التعريف. تقول:» الإستبرق «إلا أن يزعم ابن محيصن أنه يجعل علما لهذا الضرب من الثياب. وقرىء» واستبرق «بوصل الهمزة والفتح، على أنه مسمى باستفعل من البريق، ليس بصحيح أيضا؛ لأنه معرب مشهور تعريبه، وأن أصله استبره. وقال الشيخ:» ودل قوله «إلا أن يزعم ابن محيصن» وقوله بعد: «وقرىء» واستبرق «بوصل الألف والفتح أن قراءة ابن محيصن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف. والمنقول عنه في كتب القراءات أنه قرأ بوصل الألف وفتح القاف» . قلت: قد سبق الزمخشري إلى هذا مكي فقال: «وقد قرأ ابن محيصن بغير صرف، وهو وهم إن جعله اسما لأنه نكرة منصرفة. وقيل: بل جعله فعلا ماضيا من برق فهو جائز في اللفظ، بعيد في المعنى.

وقيل: إنه في الأصل فعل ماض على استفعل من برق، فهو عربي من البريق، لما سمي به قطعت ألفه؛ لأنه ليس من أصل الأسماء أن يدخلها ألف الوصل، وإنما دخلت في أسماء معتلة مغيرة عن أصلها معدودة لا يقاس عليها «انتهى. فدل قوله:» قطعت ألفه «/ إلى آخره أنه قرأ بقطع الهمزة وفتح القاف. ودل قوله أولا:» وقيل: بل جعله فعلا ماضيا من برق «أنه قرأ بوصل الألف؛ لأنه لا يتصور أن يحكم عليه بالفعلية غير منقول إلى الأسماء، وبترك ألفه ألف قطع البتة، فهذا جهل باللغة، فيكون قد روي عنه قراءتان: قطع الألف ووصلها. فظهر أن الزمخشري لم ينفرد بالنقل عن ابن محصين بقطع الهمزة.." (٢)

"قوله: ﴿فإذا النجوم طمست﴾ : «النجوم» مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين غير الأخفش، وبالابتداء عند الكوفيين والأخفش. وفي جواب «إذا» قولان: أحدهما محذوف تقديره: / فإذا طمست النجوم وقع ما توعدون، لدلالة قوله: «إن ما توعدون لواقع» ، أو بان الأمر. والثاني: أنه ﴿لأي يوم أجلت﴾ على إضمار القول، أي: يقال: لأي يوم، فالفعل في الحقيقة هو الجواب. وقيل: الجواب: «ويل يومئذ» نقله مكي، وهو غلط؛ لأنه لو كان جوابا لزمته الفاء لكونه جملة اسمية.." (٣)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٧٥/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٢١/١٠

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٣٢/١٠

"قوله: ﴿يوم ترجف﴾ : منصوب بفعل مقدر، هو جواب القسم تقديره: لتبعثن، لدلالة ما بعده عليه، قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف جعلت» يوم ترجف «ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن، ولا يبعثون عند النفخة الأولى؟ قلت: المعنى: لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان، وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع، وهو وقت النفخة الأخرى، ودل على ذلك أن قوله:» تتبعها الرادفة «جعل حالا عن» الراجفة «. وقيل: العامل مقدر غير جواب، أي: اذكر يوم ترجف. وفي الجواب على هذا أوجه، أحدها: أنه قوله: ﴿إن في ذلك لعبرة﴾ [النازعات: ٢٦] . واستقبحه أبو بكر بن الأنباري لطول الفصل. الثاني: أنه قوله: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ [النازعات: ١٥] لأن» هل «بمعنى» قد «. وهذا غلط؛ لأنه كما." (١)

"وقرأ ابن كثير في رواية «عطلت» بتخفيف الطاء. قال الرازي: «هو غلط، إنما هو» عطلت «بفتحتين بمعنى تعطلت؛ لأن التشديد فيه للتعدي. يقال: عطلت الشيء وأعطلته فعطل» .

والوحوش: ما لم يتأنس من حيوان البر. والوحش أيضا: المكان الذي لا أنس فيه، ومنه لقيته بوحش إصمت، أي: ببلد قفر. والوحش: الذي يبيت جوفه خاليا من الطعام، وجمعه أوحاش، ويسمى المنسوب إلى المكان الوحش: وحشي، وعبر بالوحشي عن الجانب الذي يضاد الإنسي، والإنسي ما يقبل من الإنسان، وعلى هذا وحشي الفرس وإنسيه. وقرأ الحسن وابن ميمون بتشديد الشين من حشرت.." (٢)

"قوله: ﴿هو الأبتر﴾ : يجوز أن يكون «هو» مبتدأ، و «الأبتر» خبره والجملة خبر «إن» ، وأن يكون فصلا وقال أبو البقاء: «أو توكيد» وهو **غلط** منه لأن المظهر لا يؤكد بالمضمر. والأبتر: الذي لا عقب له، وهو في الأصل الشيء المقطوع، من بتره،." (٣)

"السيوطي: لم يؤلف على نمط مثله.

والطريقة التي اتبعها الحافظ ابن كثير في كتابه أن يذكر الآية، ثم يذكر معناها العام، ثم يورد تفسيرها من القرآن أو من السنة أو من أقوال الصحابة والتابعين، وأحيانا يذكر كل ما يتعلق بالآية من قضايا أو أحكام، ويحشد لذلك الأدلة من الكتاب والسنة، ويذكر أقوال المذاهب الفقهية وأدلتها والترجيح بينها.

وقد أبان الحافظ ابن كثير عن طريقته في مقدمة تفسيره، قال: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٦٨/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧٠١/١٠

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٢٦/١١

آخر، فإن أعياك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لاسيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم أجمعين-وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين".

طبعات الكتاب:

وقد طبع هذا التفسير لأول مرة في المطبعة الأميرية من سنة ١٣٠٠ هـ إلى سنة ١٣٠٢ هـ بهامش تفسير "فتح البيان" لصديق حسن خان، ثم طبعه الشيخ رشيد رضا -رحمه الله-ومعه تفسير البغوي في تسعة مجلدات بأمر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود-رحمه الله-من سنة ١٣٤٣ هـ إلى سنة ١٣٤٧ هـ، واجتهد -رحمه الله-في تصحيحه ما استطاع، ولكن فاته الشيء الكثير.

ثم تداولت المطابع طبعه طبعات تجارية، ليس فيها تصحيح ولا تحقيق ولا مراجعة، وإنما اعتمدوا طبعة "المنار"، فأخذوها بما فيها من أغلاط، ثم زادوها ما استطاعوا من **غلط** أو تحريف.

فكان انتفاع الناس بهذا التفسير انتفاعا قاصرا؛ لما امتلأت به طبعاته من **غلط** وتحريف، يجب معهما أن يعاد طبعه طبعة علمية محققة، ويرجع فيها إلى النسخ المخطوطة منه ما أمكن، ثم الرجوع إلى مصادر السنة التي ينقل عنها الحافظ ابن كثير، وإلى كتب رجال الحديث والتراجم لتصحيح أسماء الرجال في الأسانيد، وهم شيء كثير وعدد ضخم (١) .

حتى جاءت سنة ١٣٩٠ هـ فخرجت طبعة جديدة لهذا التفسير من دار الشعب بتحقيق الأساتذة:

---

(١) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر (١/ ٦) .." [1]

"لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه (١) بالحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا (٢) فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل. فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام، فأقبل إليهم، فقالوا لموسى: ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ فأخذتهم الرجفة (٣) ، وهي الصاعقة، فماتوا جميعا. وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه، ويقول: ﴿رب لو

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١/٨

شئت أهلكتهم من قبل [وإياي] (٤) ﴾ [الأعراف: ١٥٥] قد سفهوا، أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما يفعل السفهاء منا؟ أي: إن هذا لهم هلاك. اخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير، أرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد! فما الذي يصدقوني به ويأمنوني عليه بعد هذا؟ ﴿إنا هدنا إليك﴾ [الأعراف: ١٥٦] فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل، ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم، وطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل، فقال: لا؛ إلا أن يقتلوا أنفسهم (٥) .

هذا سياق محمد بن إسحاق.

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير: لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضا كما أمرهم به، أمر الله موسى أن يأتيه في كل أناس من بني إسرائيل، يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موسى، فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا. وساق البقية.

[وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه إلى بني إسرائيل في قوله: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ والمراد السبعون المختارون منهم، ولم يحك كثير من المفسرين سواه، وقد أغرب فخر الدين الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين: أنهم بعد إحيائهم قالوا: يا موسى، إنك لا تطلب من الله شيئا إلا أعطاك، فادعه أن يجعلنا أنبياء، فدعا بذلك فأجاب الله دعوته، وهذا غريب جدا، إذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هارون ثم يوشع بن نون، وقد **غلط** أهل الكتاب أيضا في دعواهم أن هؤلاء رأوا الله عز وجل، فإن موسى الكليم، عليه السلام، قد سأل ذلك فمنع منه فكيف يناله هؤلاء السبعون؟

القول الثاني في الآية] (٦) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية: قال لهم موسى -لما رجع من عند ربه بالألواح، قد كتب فيها التوراة، فوجدهم يعبدون العجل، فأمرهم بقتل أنفسهم، ففعلوا، فتاب الله عليهم، فقال: إن هذه الألواح فيها كتاب الله، فيه (٧) أمركم الذي أمركم به ونهيكم الذي نهاكم عنه. فقالوا: ومن يأخذه بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة، حتى

---

(١) في جـ: "دونهما".

(٢) في جـ: "سجدا".

(٣) في ط: "الصاعقة".

(٤) زيادة من جـ، ط، أ، و.

(٥) تفسير الطبري (٢/٧٧) .

(٦) زيادة من جـ، ط، ب، أ، و.

(٧) في جـ: "فيها كتاب الله الذي".." [١]

"وقال السدي: لما دخل بنو إسرائيل التيه، قالوا لموسى، عليه السلام: كيف لنا بما هاهنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن فكان يسقط على الشجر (١) الزنجبيل، والسلوى وهو طائر يشبه السمانى أكبر منه، فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير، فإن كان سمينا ذبحه وإلا أرسله، فإذا سمن أتاه، فقالوا: هذا الطعام فأين الشراب؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت (٢) منه اثنتا عشرة عينا، فشرب كل سبط من عين، فقالوا: هذا الشراب، فأين الظل؟ فظلل عليهم الغمام. فقالوا: هذا الظل، فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم (٣) تطول معهم كما يطول الصبيان، ولا ينخرق لهم ثوب، فذلك قوله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ وقوله ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم﴾ [البقرة: ٦٠] .

وروي عن وهب بن منبه، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السدي.

وقال سنيد، عن حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: خلق لهم في التيه ثياب لا تخرق (٤) ولا تدرن، قال ابن جريج: فكان الرجل إذا أخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد، إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسدا.

[قال ابن عطية: السلوى: طير بإجماع المفسرين، وقد **غلط** الهذلي في قوله: إنه العسل، وأنشد في ذلك مستشهدا:

وقاسمها بالله جهدا لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما أشورها ...

قال: فظن أن السلوى عسلا (٥) قال القرطبي: دعوى الإجماع لا تصح؛ لأن المؤرخ أحد علماء اللغة والتفسير قال: إنه العسل، واستدل ببيت الهذلي هذا، وذكر أنه كذلك في لغة كنانة؛ لأنه يسلى به ومنه عين سلوان، وقال الجوهري: السلوى العسل، واستشهد ببيت الهذلي -أيضا-، والسلوانة بالضم خرزة، كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر فشربها العاشق سلا قال الشاعر:

شربت على سلوانة ماء مزنة ... فلا وجديد العيش يا مي ما أسلو ...

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٦٥/١

واسم ذلك الماء السلوان، وقال بعضهم: السلوان دواء يشفي الحزين فيسلو والأطباء يسمونه (مفرح) ، قالوا: والسلوى جمع بلفظ -الواحد-أيضا، كما يقال: سمانى للمفرد والجمع ودفلى كذلك، وقال الخليل واحده سلواة، وأنشد:

وإني لتعروني لذكراك هزة ... كما انتفض السلواة من بلل القطر ...

---

(١) في ج: "على شجر".

(٢) في ج، ب: "فانفجر".

(٣) في ج: "لباسهم".

(٤) في ج: "لا تخلق".

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٢٩) .." [(١)]

"بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه. ويحتمل أن يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه كقوله: ﴿ولا يحيطون به علما﴾ [طه:١١٠] .

وقوله: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن إدريس عن مطرف بن طريف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿وسع كرسيه﴾ قال: علمه، وكذا رواه ابن جرير من حديث عبد الله بن إدريس وهشيم كلاهما عن مطرف بن طريف به.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن جبير مثله. ثم قال ابن جرير: وقال آخرون: الكرسي موضع القدمين ثم رواه عن أبي موسى والسدي والضحاك ومسلم البطين.

وقال شجاع بن مخلد في تفسيره: أخبرنا أبو عاصم عن سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ قال: "كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل".

كذا أورد هذا الحديث الحافظ أبو بكر بن مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس، فذكره (١) وهو **غلط** وقد رواه وكيع في تفسيره: حدثنا سفيان عن عمار الدهني (٢) عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره. وقد رواه الحاكم في مستدركه عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي عن محمد بن معاذ عن أبي عاصم عن سفيان -وهو الثوري-بإسناده

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٧٢/١

عن ابن عباس موقوفا مثله وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٣) وقد رواه ابن مردويه من طريق الحاكم بن ظهير الفزاري الكوفي -وهو متروك- عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا ولا يصح أيضا.

وقال السدي عن أبي مالك: الكرسي تحت العرش. وقال السدي: السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش. وقال الضحاك عن ابن عباس: لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة.

ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرني ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس". قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض" (٤) .

وقال أبو بكر بن مردويه: أخبرنا سليمان بن أحمد أخبرنا عبد الله بن وهيب (٥) الغزي

---

(١) ورواه الخطيب في تاريخ دمشق (٢٥١/٩) من طريق شجاع بن مخلد به.

(٢) في أ: "عن علي الذهبي".

(٣) المستدرك (٢٨٢/٢) ورواه ابن أبي شيبة في صفة العرش برقم (٦١) من طريق أبي عاصم عن سفيان به موقوفا.

(٤) تفسير الطبري (٣٩٩/٥) وهو منقطع وقد جاء موصولا فرواه ابن أبي شيبة في صفة العرش برقم (٥٨) من طريق المختار بن غسان، عن إسماعيل بن مسلم عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، مرفوعا بنحوه. وسيأتي أيضا موصولا من طريق آخر وهو الذي يليه من رواية ابن مردويه.

(٥) في هـ: "بن وهب" والتصويب من الإكمال.." [١]

"وفي إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفا، فقد روي عن ابن مسعود نحو ذلك (١) قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرنا مطرف، عن وبرة بن عبد الرحمن، عن أبي الطفيل قال: قال ابن مسعود: أكبر الكبائر الإشراك بالله والإياس (٢) من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦٨٠/١

وكذا رواه من حديث الأعمش وأبي إسحاق، عن وبرة، عن أبي الطفيل، عن ابن مسعود، به ثم رواه من طرق عدة، عن أبي الطفيل، عن ابن مسعود. وهو صحيح إليه بلا شك. (٣)

حديث آخر: فيه سوء الظن بالله؛ قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن إبراهيم بن بندار، حدثنا أبو حاتم بكر بن عبدان، حدثنا محمد بن مهاجر (٤) حدثنا أبو حذيفة (٥) البخاري، عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر أنه قال:] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٦) "أكبر الكبائر سوء الظن بالله عز وجل". حديث غريب جدا.

حديث آخر: فيه التعرب (٧) بعد الهجرة، قد تقدم في رواية عمرو (٨) بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعا، قال (٩) أبو بكر بن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن رشدين، حدثنا عمرو بن خالد الحراني، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب، عن محمد بن سهل ابن أبي حثمة (١٠) عن أبيه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الكبائر سبع، ألا تسألوني عنهن؟ الشرك بالله، وقتل النفس، والفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، والتعرب (١١) بعد الهجرة".

وفي إسناده نظر، ورفعه **غلط** فاحش (١٢) والصواب ما رواه ابن جرير: حدثنا تميم بن المنتصر، أخبرنا يزيد، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن سهيل بن أبي حثمة (١٣) عن أبيه قال: إني لفي هذا المسجد -مسجد الكوفة-وعلي، رضي الله عنه، يخطب الناس على المنبر، فقال: يا أيها الناس، الكبائر (١٤) سبع فأصاخ (١٥) الناس، فأعادها ثلاث مرات، ثم

---

(١) مسند البزار برقم (١٠٦) "كشف الأستار"، وقال الهيثمي في المجمع (١٠٤/١) : "رجاله موثقون".

(٢) في ج، ر، د، أ: "اليأس".

(٣) تفسير الطبري (٢٤٣/٨، ٢٤٤) ورواه عبد الرزاق في المصنف برقم (١٩٧٠١) ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (١٧١/٩) من طريق أبي إسحاق عن وبرة به.

ورواه ابن أبي الدنيا في التوبة برقم (٣١) من طريق الأعمش عن وبرة به.

(٤) في أ: "محمد بن عمر بن مهاجر".

(٥) في أ: "أبو حذيفة إسحاق".

(٦) زيادة من أ.

(٧) في ر "التغرب".

(٨) في أ: "عمر".

(٩) في أ: "وقال".

(١٠) في جـ، أ: "ابن أبي خيثمة".

(١١) في ر: "التغرب".

(١٢) وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا، ذكر فيها هذه السبع. رواه الطبراني في المعجم الأوسط (١٢٦) "مجمع البحرين" قال الهيثمى في المجمع (١/١٠٤) : "فيه أبو بلال الأشعرى وهو ضعيف".

(١٣) في ر، أ: "خيثمة".

(١٤) في أ: "إن الكبائر".

(١٥) في ر: "أضاج"، وفي أ: "فأصاح".." [١]

"ثم قال تعالى: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾ أي: الثابتون في الدين لهم قدم راسخة في العلم النافع. وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة آل عمران.

﴿والمؤمنون﴾ عطف على الراسخين، وخبره ﴿يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾

قال ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية. وأسد وزيد بن سعية وأسد بن عبيد، الذين دخلوا في الإسلام، وصدقوا بما أرسل الله به محمدا صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ هكذا هو في جميع المصاحف الأئمة، وكذا هو في مصحف أبي بن كعب. وذكر ابن جرير أنها في مصحف ابن مسعود: "والمقيمون الصلاة"، قال: والصحيح قراءة الجميع. ثم رد على من زعم أن ذلك من **غلط** الكتاب (١) ثم ذكر اختلاف الناس فقال بعضهم: هو منصوب على المدح، كما جاء في قوله: ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا﴾ [البقرة: ١٧٧] ، قالوا: وهذا سائغ في كلام العرب، كما قال الشاعر (٢) :

لا يبعدن قومي الذين همو ... سم (٣) العداة وآفة الجزر ...

النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر ...

وقال آخرون: هو مخفوض عطفا على قوله: ﴿بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ يعني: وبالمقيمين الصلاة. وكأنه يقول: وبإقامة الصلاة، أي: يعترفون بوجوبها وكتابتها عليهم، أو أن المراد بالمقيمين الصلاة الملائكة،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢/٢٧٩

وهذا اختيار ابن جرير، يعني: يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، وبالملائكة. وفي هذا نظر والله أعلم.

وقوله: ﴿والمؤتون الزكاة﴾ يحتمل أن يكون المراد زكاة الأموال، ويحتمل زكاة النفوس، ويحتمل الأمرين، والله أعلم.

﴿والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي: يصدقون بأنه لا إله إلا الله، ويؤمنون بالبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها.

وقوله: ﴿أولئك﴾ هو الخبر عما تقدم ﴿سنؤتيهم أجرا عظيما﴾ يعني: الجنة.

---

(١) في د، ر، أ: "الكاتب".

(٢) وهي الخرنق بنت بدر بن هفان، والبيت في ديوانها: (٢٩) أ. هـ مستفاد من مطبوعة الشعب.

(٣) في ر: "أزد" وفي أ: "أسد"..." [1]

"الأسود، رضي الله عنه، كما قال ابن جرير:

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرا عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث. وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله، قال المقداد: يا رسول الله، أسيري. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنه كان يقول في كتاب الله، عز وجل، ما يقول". فأمر رسول الله (١) صلى الله عليه وسلم بقتله، فقال المقداد: يا رسول الله، أسيري. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أغن المقداد من فضلك". فقال المقداد: هذا الذي أردت. قال: وفيه أنزلت هذه الآية: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ (٢)

وكذا رواه هشيم، عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير؛ أنه قال: "المطعم بن عدي" "بدل طعيمة" (٣) وهو غلط؛ لأن المطعم بن عدي لم يكن حيا يوم بدر؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: "لو كان المطعم (٤) حيا، ثم سألني (٥) في هؤلاء النتنى (٦) لوهبتهم له" (٧) -يعني: الأسارى -لأنه كان قد أجار رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم رجع من الطائف.

ومعنى: ﴿أساطير الأولين﴾ وهو جمع أسطورة، أي: كتبهم اقتبسها، فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٦٨/٢

وهذا هو الكذب البحت، كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما﴾ [الفرقان: ٥، ٦] .أي: لمن تاب إليه وأناب؛ فإنه يتقبل منه ويصفح عنه.

وقوله: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ هذا من كثرة جهلهم وعتوهم وعنادهم وشدة تكذيبهم، وهذا مما عيبوا به، وكان الأولى لهم أن يقولوا: "اللهم، إن كان هذا هو الحق من عندك، فاهدنا له، ووفقنا لاتباعه". ولكن استفتحوا على أنفسهم، واستعجلوا العذاب، وتقديم العقوبة كما قال تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ [العنكبوت:٥٣] ، ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ [ص:١٦] ، ﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج﴾ [المعارج: ١-٣] ،وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة، كما قال قوم شعيب له: ﴿فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين﴾ [الشعراء: ١٨٧] ،وقال هؤلاء: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾

---

(١) في د، ك، م، أ: "النبي".

(٢) تفسير الطبري (١٣/٥٠٤) .

(٣) تفسير الطبري (١٣/٥٠٤) .

(٤) في د، ك، م، أ: "المطعم بن عدي".

(٥) في ك: "وسألني".

(٦) في أ: "السبى".

(٧) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم، رضي الله عنه.." [١]

"الإمام الذي يقتدى به. والقانت: هو الخاشع المطيع. والحنيف: المنحرف قصدا عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿ولم يك من المشركين﴾

قال سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين: أنه سأل عبد الله بن مسعود عن الأمة القانت، فقال: الأمة: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/٤٧

وعن مالك قال: قال ابن عمر: الأمة الذي يعلم الناس دينهم.

وقال الأعمش، [عن الحكم] (١) عن يحيى بن الجزار، عن أبي العبيدين؛ أنه جاء إلى عبد الله فقال: من نسأل إذا لم نسألك؟ فكأن ابن مسعود رق له، فقال: أخبرني عن الأمة (٢) فقال: الذي يعلم الناس الخير.

وقال الشعبي: حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود: إن معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا، فقلت في نفسي: **غلط** أبو عبد الرحمن، إنما قال الله: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ فقال: أتدري ما الأمة وما القانت؟ قلت: الله [ورسوله] (٣) أعلم. قال: الأمة الذي يعلم [الناس] (٤) الخير. والقانت: المطيع لله ورسوله. وكذلك كان معاذ معلم الخير. وكان مطيعا لله ورسوله.

وقد روي من غير وجه، عن ابن مسعود؛ حرره ابن جرير (٥) .

وقال مجاهد: ﴿أمة﴾ أي: أمة وحده، والقانت: المطيع. وقال مجاهد أيضا: كان إبراهيم أمة، أي: مؤمنا وحده، والناس كلهم إذ ذاك كفار.

وقال قتادة: كان إمام هدى، والقانت: المطيع لله.

وقوله: ﴿شاكرا لأنعمه﴾ أي: قائما بشكر (٦) نعم الله عليه، كما قال: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ [النجم: ٣٧] ، أي: قام بجميع ما أمره الله تعالى به.

وقوله: ﴿اجتباه﴾ أي: اختاره واصطفاه، كما قال: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾ [الأنبياء: ٥١] .

ثم قال: ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي.

وقوله: ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ أي: جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة، ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾

وقال مجاهد في قوله: ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ أي: لسان صدق.

---

(١) زيادة من ت، ف، أ، والطبري.

(٢) في ف، أ: "أمة".

(٣) زيادة من أ.

(٤) زياد من ف، أ.

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ١٢٨، ١٢٩) .

(٦) في ت: "يشكر".." [١]

"وجاء أمر آخر، فقد أرسلني الله إليك، فإن أطعته سلمت، وإن خالفته عطبت.

ثم قال موسى: ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾ أي: وما أحسنت إلي وربيتني مقابل ما أسأت إلى (١) بني إسرائيل، فجعلتهم عبيدا وخدما، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك، أفيفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم؟ أي: ليس ما ذكرته شيئا بالنسبة إلى ما فعلت بهم.

﴿قال فرعون وما رب العالمين (٢٣) قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين (٢٤) قال لمن حوله ألا تستمعون (٢٥) قال ربكم ورب آبائكم الأولين (٢٦) قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (٢٧) قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون (٢٨) ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون، وتمرده وطغيانه وجحوده، في قوله: ﴿وما رب العالمين﴾ ؟ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص:٣٨] ، ﴿فاستخف (٢) قومه فأطاعوه﴾ [الزخرف:٥٤] . وكانوا يجحدون الصانع -تعالى -ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: ﴿إني رسول رب العالمين﴾ [الزخرف:٤٦] ، قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف، حتى قال السدي: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿قال فمن (٣) ربكما يا موسى * قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه:٤٩، ٥٠] .

ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم؛ أن هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط؛ فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية (٤) ، بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين: ﴿قال رب السموات والأرض وما بينهما﴾ أي: خالق جميع ذلك ومالكه، والمتصرف فيه وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار، وجبال وأشجار، وحيوان ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيور، وما يحتوي عليه الجو، الجميع (٥) عبيد له خاضعون ذليلون.

﴿إن كنتم موقنين﴾ أي: إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة. فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلا لهم، على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله: ﴿ألا تستمعون﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦١١/٤

أي: ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه: أن لكم إلها غيري؟ فقال لهم موسى: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أي: خالقكم وخالق آبائكم الأولين (٦) ، الذي كانوا قبل فرعون وزمانه.

﴿قال﴾ أي: فرعون لقومه: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ أي: ليس

---

(١) في ف، أ: "على".

(٢) في أ: "واستخف".

(٣) في ف، أ: "ومن" وهو خطأ.

(٤) في أ: "ماهيته".

(٥) في ف: "والجميع".

(٦) في أ: "الأوائل".." (١)

"وقال ابن عباس -في رواية عنه (١) -: ﴿في شغل فاكهون﴾ أي بسماع الأوتار.

وقال أبو حاتم: لعله **غلط** من المستمع، وإنما هو افتضاض الأبكار.

وقوله: ﴿هم وأزواجهم﴾ قال مجاهد: وحلائلهم ﴿في ظلال﴾ أي: في ظلال الأشجار ﴿على الأرائك متكئون﴾ .

قال ابن عباس، ومجاهد وعكرمة، ومحمد بن كعب، والحسن، وقتادة، والسدي، وخصيف (٢) : ﴿الأرائك﴾ هي السرر تحت الحجال.

قلت: نظيره في الدنيا هذه التخوت (٣) تحت البشاخين، والله أعلم.

وقوله: ﴿لهم فيها فاكهة﴾ أي: من جميع أنواعها، ﴿ولهم ما يدعون﴾ أي: مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، حدثنا محمد بن مهاجر، عن الضحاك المعافري، عن سليمان (٤) بن موسى، حدثني كريب؛ أنه سمع أسامة بن زيد يقول (٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا هل مشمر إلى الجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها هي -ورب الكعبة- نور كلها يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد، في دار سلامة، وفاكهة خضرة وحبرة ونعمة، ومحلة عالية بهية". قالوا:

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٣٨/٦

نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها. قال: "قولوا: إن شاء الله". قال القوم: إن شاء الله.

وكذا رواه ابن ماجه في "كتاب الزهد" من سننه، من حديث الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر، به. (٦)

وقوله: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ قال ابن جريج: قال ابن عباس في قوله: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ فإن الله نفسه سلام على أهل الجنة.

وهذا الذي قاله ابن عباس كقوله تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ [الأحزاب: ٤٤]

وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا حديثا، وفي إسناده نظر، فإنه قال: حدثنا موسى بن يوسف، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا أبو عاصم العباداني، حدثنا الفضل الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قوله: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ . قال: "فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم".

---

(١) في ت: "وفي رواية عن ابن عباس".

(٢) في ت: "ومحمد بن كعب وغيرهم".

(٣) في أ: "النحوت".

(٤) في أ: "سليم".

(٥) في ت: "روى ابن أبي حاتم عن أسامة بن زيد قال".

(٦) سنن ابن ماجه برقم (٤٣٣٢) وقال البوصيري في الزوائد (٣/٣٢٥) : "هذا إسناد فيه مقال، الضحاك المعافري ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي في طبقات التهذيب: مجهول وسليمان الأموى مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات".." [١]

"قلت لا أدري رب -أعادها ثلاثا-فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: وما

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥٨٣/٦

الكفارات؟ قلت (١) نقل الأقدام إلى الجمعات (٢) والجلوس (٣) في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات. قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام. قال: سل. قلت اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها حق فادرسوها وتعلموها" (٤) فهو حديث المنام المشهور ومن جعله يقظة فقد **غلط** وهو في السنن من طرق.

وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث "جهضم بن عبد الله اليمامي" به. وقال: "حسن صحيح" (٥) وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن (٦) فإن هذا قد فسر وأما الاختصام الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى:

﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين (٧١) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٧٢) فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٧٣) إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين (٧٤) قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين (٧٥) قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (٧٦) قال فاخرج منها فإنك رجيم (٧٧) وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين (٧٨) قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون (٧٩) قال فإنك من المنظرين (٨٠) إلى يوم الوقت المعلوم (٨١) قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين (٨٢) إلا عبادك منهم المخلصين (٨٣) ﴾

---

(١) في أ: "قال".

(٢) في ت، أ: "الجماعات".

(٣) في ت، س، أ: "حسن صحيح".

(٤) المسند (٥/٢٤٣) .

(٥) سنن الترمذي برقم (٣٢٣٥) وقال: "سألت محمد بن إسماعيل -يعني: عن هذا الحديث- فقال: "حسن صحيح".

(٦) في ت: "المذكور في الآية الكريمة في القرآن".." [1]

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨١/٧

"خيبة الدهر. فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله [عز وجل] (١) فكأنهم إنما سبوا، الله عز وجل؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهي (٢) عن سب الدهر بهذا الاعتبار؛ لأن الله هو الدهر الذي يعنونه، ويسندون إليه تلك الأفعال.

هذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم. وقد **غلط** ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى، أخذا من هذا الحديث. .

وقوله (٣) تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ (٤) أي: إذا استدل عليهم وبين لهم الحق، وأن الله قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها، ﴿ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾ أي: أحيوهم إن كان ما تقولونه حقا.

قال الله تعالى: ﴿قل الله يحييكم﴾ أي: كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود، ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ [البقرة: ٢٨] أي: الذي قدر على البداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى.. ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ [الروم ٢٧] ، ﴿ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ أي: إنما يجمعكم ليوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا: ﴿ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾ ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ [التغابن: ٩] (٥) ﴿لأي يوم أجلت. ليوم الفصل﴾ [المرسلات: ١٢، ١٣] ، ﴿وما نؤخره إلا لأجل معدود﴾ [هود: ١٠٤] وقال هاهنا: ﴿ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ أي: لا شك فيه، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أي: فلهذا ينكرون المعاد، ويستبعدون قيام الأجساد، قال الله تعالى: ﴿إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا﴾ [المعارج: ٦، ٧] أي: يرون وقوعه بعيدا، والمؤمنون يرون ذلك سهلا قريبا.

﴿ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون (٢٧) وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (٢٨) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٢٩) ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، الحاكم فيهما (٦) في الدنيا والآخرة؛ ولهذا قال: ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ أي: يوم (٧) القيامة ﴿يخسر المبطلون﴾ وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات.

وقال ابن أبي حاتم: قدم سفيان الثوري المدينة، فسمع المعافري (٨) يتكلم ببعض ما يضحك به الناس. فقال له: يا شيخ، أما علمت أن لله يوما يخسر فيه المبطلون؟ قال: فما زالت تعرف في المعافري (٩)

حتى لحق بالله، عز وجل. ذكره ابن أبي حاتم.

---

(١) زيادة من ت، م.

(٢) في أ: "أنهى".

(٣) في ت: "وقال".

(٤) في م: "عليه" وهو خطأ.

(٥) في ت: "الفصل" وهو خطأ.

(٦) في م: "فيما".

(٧) في ت، أ: "تقوم".

(٨) في ت، م، أ: "العاضري".

(٩) في ت، م، أ: "العاضري".." [١]

"ثم قال: **غلط** المؤمل فيه، وهو غريب وليس بمحفوظ، وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن حسان المقدسي، عن ربيعة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ألظوا بذي الجلال والإكرام".

ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك، به (١) .

وقال الجوهري: ألظ فلان بفلان: إذا لزمه (٢) .

وقول ابن مسعود: "ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام" أي: الزموا. ويقال: الإلظاظ هو الإلحاح.

قلت: وكلاهما قريب من الآخر -والله أعلم-وهو المداومة واللزوم والإلحاح. وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة من حديث عبد الله بن الحارث، عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم لا يقعد -يعني: بعد الصلاة-إلا قدر ما يقول: "اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام" (٣) .

آخر تفسير سورة الرحمن، ولله الحمد [والمنة] (٤)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٧/٢٧٠

(١) المسند (١٧٧/٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٥٦٣) .
(٢) لسان العرب (٤٥٩/٧) .
(٣) صحيح مسلم برقم (٥٩٢) وسنن أبي داود برقم (١٥١٢) وسنن الترمذي برقم (٢٩٨) وسنن النسائي (٦٩/٣) وسنن ابن ماجه برقم (٩٢٤) .
(٤) زيادة من م، أ.." (١)

"وقال ابن جرير: الصواب أن "اللام" لام التعجب، كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك. قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان. (١)
ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾ أي: فليوحدوه بالعبادة، كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما، كما قال تعالى: ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [النمل:٩١]
وقوله: ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ أي: هو رب البيت، وهو " الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص (٢) فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾ [النحل:١١٢-١١٣]
وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن عمرو العدني، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ويل أمكم، قريش، لإيلاف قريش" (٣) ثم قال:
حدثنا أبي، حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني، حدثنا عيسى -يعني ابن يونس-عن عبيد الله ابن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. ويحكم يا معشر قريش، اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف".
هكذا رأيته عن أسامة بن زيد، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن، أم سلمة الأنصارية، رضي الله عنها

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥١١/٧

(٤) فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية، والله أعلم.

آخر تفسير سورة "لإيلاف قريش".

---

(١) تفسير الطبري (٣٠/١٩٨) .

(٢) في أ: "والترخص".

(٣) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/١٧٨،١٧٧) من طريق قبيصة بن عقبة، عن سفيان، به.

(٤) وكذا في رواية الإمام أحمد في المسند (٦/٤٦٠) عن علي بن يحيى، عن عيسى بن يونس، عن عبد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم.." [1]

"قال:» قولوا: الحمد لله «وعلى هذا يجيء قولوا: إياك» .

فعلى هذه العبارة يكون من المصادر النائبة عن الطلب لا الخبر، وهو محتمل للوجهين، ولكن كونه خبريا أولى من كونه طلبيا، ولا يجوز إظهار الناصب، لئلا يجمع بين البدل والمبدل منه.

والثاني: أنه منصوب على المفعول به، أي: اجمع ضبعا، والأول أحسن؛ للدلالة اللفظية. وقراءة الرفع أمكن، وأبلغ من قراءة النصب، لأن الرفع في باب المصادر التي أصلها النيابة عن أفعالها يدل على الثبوت والاستقرار، بخلاف النصب، فإنه يدل على التجدد والحدوث، ولذلك قال العلماء - رحمهم الله -: إن جواب إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - في قوله تعالى حكاية عنه: ﴿قال سلام﴾ [هود: ٦٩] أحسن من قول الملائكة: ﴿قالوا سلاما﴾ [هود: ٦٩] امتثالا لقوله تعالى: ﴿فحيوا بأحسن منهآ﴾ [النساء: ٨٦] .

و «لله» على قراءة النصب يتعق بمحذوف لا بالمصدر، لأنها للبيان، تقديره: أعني لله، كقولهم: «سقيا له ورعيا لك» تقديره: «أعني له ولك» ، ويدل على أن اللام تتعلق في هذا النوع بمحذوف لا بنفس المصدر، أنهم لم يعملوا المصدر المتعدي في المجرور باللام، فينصبوه به فيقولوا: سقيا زيدا، ولا رعيا عمرا، فدل على أنه ليس معمولا للمصدر، ولذلك غلط من جعل قوله تعالى: ﴿والذين كفروا فتعسا لهم﴾ [محمد: ٨] ، من باب الاشتغال؛ لأن «لهم» لا يتعلق ب «تعسا» كما مر.

ويحتمل أن يقال: إن اللام في «سقيا لك» ونحوه مقوية لتعدية العامل؛ لكونه فرعا فيكون عاملا فيما بعده.

وقرىء: - أيضا - بكسر الدال، وجهه: أنها حركة إتباع لكسرة لام الجر بعده، وهي لغة «تميم» ، وبعض

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٩٢/٨

«غطفان» ، يتبعون الأول للثاني؛ للتجانس. ومنه: [الطويل]

٤١ - ... ... اضرب الساقين أمك هابل." (١)

"وقيل: هو الميل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إنا هدنآ إليك﴾ [الأعراف: ١٥٦] والمعنى: بقلوبنا إليك، وهذا غلط؛ فإن تيك مادة أخرى من «هاد - يهود» .

وقال الراغب: الهداية: دلالة بلطف، ومنه الهدية، وخص ما كان دلالة ب، «هديت» وما كان إعطاء ب «أهديت» .

و «الصراط» : الطريق المستسهل، وبعضهم لا يقيده بالمستسهل؛ قال [الرجز]

٧١ - فضل عن نهج الطريق الواضح ... ومثله: [الوافر]

٧٢ - أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

وقال آخر: [الوافر]

٧٣ - شحنا أرضهم بالخيل حتى ... تركناهم أذل من الصراط

أي: الطريق.

وهو مشتق من «السرط» وهو: الابتلاع؛ إما لأن سالكه يسترطه، أو لأنه يسترط سالكه؛ ألا ترى إلى قولهم: قتل أرضا عالمها، وقتلت أرض جاهلها؛ وبهذين الاعتبارين قال أبو تمام: [الطويل]

٧٤ - رعته الفيافي بعد ما كان حقبة ... رعاها وماء المزن ينهل ساكبه

وعلى هذا سمي الطريق لقما وملتقما؛ لأنه يلتقم سالكه، أو يلتقمه سالكه.." (٢)

"بدل كل من كل، ولد بعض من كل، وبدل اشتمال، وبدل غلط، وبدل نسيان، وبدل بداء، وبدل كل من بعض.

أما الأقسام الثلاثة الأول، فلا خلاف فيها.

وأما بدل البداء، فأثبته بعضهم؛ مستدلا بقوله عليه الصلاة والسلام: «وإن الرجل ليصلي الصلاة، وما كتب له نصفها ثلثها ربعها إلى العشر» ولا يرد هذا القرآن الكريم.

وأما الغلط والنسيان: فأثبتهما بعضهم؛ مستدلا بقول ذي الرمة: [البسيط]

٧٥ - لمياء في شفتيها حوة لعس ... وفي اللثات وفي أنيابها شنب

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧٢/١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠٥/١

قال: لأن «الحوة» السواد الخالص، و «اللعس» سواد يشوبه حمرة، ولا يرد هذان البدلان في كلام فصيح.
وأما بدل الكل من البعض، فأثبته بعضهم، مستدلا بظاهر قوله: [الخفيف]
٧٦ - نضر الله أعظما دفنوها ... بسجستان طلحة الطلحات
في رواية من نصب «طلحة» ، قال: لأن «الأعظم» بعض «طلحة» ، و «طلحة» كل وقد أبدل منها؛ واستدل - أيضا - بقول امرئ القيس [الطويل]
٧٧ - كأني غداة البين يوم تحملوا ... لدى سمرات الحي ناقف حنظل
ف «غداة» بعض «اليوم» ، وقد أبدل «اليوم» منها.
ولا حجة في البيتين، أما الأول: فإن الأصل «أعظما دفنوها أعظم طلحة» ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه؛ ويدل على ذلك الرواية المشهورة وهي جر «طلحة» على أن الأصل: «اعظم طلحة» ولم يقم المضاف إليه مقام المضاف.
وأما الثاني: فإن «اليوم» يطلق على القطعة من الزمان، كما تقدم، وليس هذا موضع البحث عن دلائل المذهبين.." (١)

"١٦٩ - فكفى بنا فضلا على من غيرنا..... ... ...
و «من» تكون موصولة، ونكرة موصوفة، أو زائدة؟ فيه خلاف. واستدل الكسائي على زيادتها بقول عنترة: [الكامل]
١٧٠ - يا شاة من قنص لمن حلت له ... حرمت علي وليتها لم تحرم
ولا دليل فيه، لجواز أن تكون موصوفة ب «قنص» إما على المبالغة، أو على حذف مضاف، وتصلح للتثنية والجمع الواحد.
فالواحد كقوله: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ [الأنعام: ٢٥] والجمع كقوله: ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ [يونس: ٤٢] ، والسبب فيه أنه موحد اللفظ مجموع المعنى. و «من» في «من الناس» للتبعيض، وقد زعم قوم أنها للبيان وهو غلط؛ لعدم تقدم ما يتبين بها. و «الناس» اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويرادفه «أناسي» جمع إنسان أو إنسي، وهو حقيقة في الآدميين، ويطلق على الجن مجازا.
واختلف النحويون في اشتقاقه: فمذهب سيبويه والفراء أن أصله همزة ونون وسين، والأصل: أناس اشتقاقا من الأنس، قال: [الطويل]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠٩/١

١٧١ - وما سمي الإنسان إلا لأنسه ... ولا القلب إلا أنه يتقلب

لأنه أنس ب «حواء» .

وقيل: بل أنس بربه ثم حذفت الهمزة تخفيفا؛ يدل على ذلك قوله: [الكامل]

١٧٢ - إن المنايا يطلع ... ن على الأناس الآمنينا

وقال آخر: [الطويل]

١٧٣ - وكل أناس قاربوا قيد فحلهم ... ونحن خلعنا قيده فهو سارب." (١)

"والذي غر هؤلاء قوله تعالى: ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ [البقرة: ٧١] قالوا: «فهي هنا منفية» وخبرها مثبت في المعنى؛ لأن الذبح وقع لقوله: «فذبحوها» ، والجواب عن هذه الآية من وجهين:

أحدهما: أنه يحمل على اختلاف وقتين، أي: ذبحوها في وقت، وما كادوا يفعلون في وقت آخر.

والثاني: أنه عبر بنفي مقاربة الفعل عن شدة تعنتهم، وعسرهم في الفعل.

وأما ما حكوه عن ذي الرمة، فقد **غلط** الجمهور ذا الرمة في رجوعه عن قوله الأول، وقالوا: «هو أبلغ وأحسن مما [غيره إليه] .

واعلم أن خبر» كاد «وأخواتها - غير» عسى «- لا يكون فاعله إلا ضميرا عائدا على اسمها؛ لأنها للمقاربة أو للشروع، بخلاف» عسى «، فإنها للترجي؛ تقول:» عسى زيد أن يقوم أبوه «، ولا يجوز ذلك في غيرها، فأما قوله: [الطويل]

٢٦١ - وقفت على ربع لمية ناقتي ... فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما أبثه ... تكلمني أحجاره وملاعبه

فأتى بالفاعل ظاهرا، فقد حمله بعضهم على الشذوذ، ينبغي أن يقال: إنما جاز ذلك؛ لأن الأحجار والملاعب هي عبارة عن الربع، فهي هو، فكأنه قيل: حتى كاد يكلمني؛ ولكنه عبر [عنه] بمجموع أجزائه.

وأما قول الآخر: [البسيط]

٢٦٢ - وقد جعلت إذا ما قمت يثقلني ... ثوبي فأنهض نهض الشارب السكر

وكنت أمشي على رجلين معتدلا ... فصرت أمشي على أخرى من الشجر." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٢٨/١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٩٦/١

"والعبث غير جائز على الحكيم. وأيضا إن العبد غير موجد لأفعاله؛ لأنه غير عالم بتفاصيلها، ومن لا يعلم تفاصيل الشيء لا يكون موجدا له، وإذا لم يكن العبد موجدا لأفعال نفسه، فإن أمره بذلك الفعل حالة ما خلقه فيه فقد أمره بتحصيل الحاصل، وإن أمره حالة ما لم يخلقه فيه فقد أمره بالمحال، وكل ذلك باطل.

وأجاب ابن الخطيب بوجهين:

أحدهما: أن أصحاب هذه الشبه، أوجبوا بما ذكروه اعتقاد عدم التكليف، فهذا التكليف ينفي التكليف، وإنه متناقض.

والثاني: أن عندنا يحسن من الله كل شيء، سواء كان ذلك تكليف ما لا يطاق أو غيره؛ لأنه - تعالى - خالق مالك، والمالك لا اعتراض عليه في فعله.

والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق، وهذه الصفة ينفرد بها الباري تعالى، ويطلق أيضا على التقدير «؛ قال زهير: [الكامل]

٢٧٥ - ولأنت تفري ما خلقت وبع ... ض القوم يخلق ثم لا يفري

وقال الحجاج: «ما خلقت إلا فريت ولا وعدت إلا وفيت» وهذه الصفة لا يختص بها الله تعالى، وقد **غلط** أبو عبد الله البصري في أنه لا يطلق اسم «الخالق» على الله - تعالى؛ قال: «لأنه محال، وذلك أن التقدير والتسوية في حق الله ممتنعان، لأنهما عبارة عن التفكر والزن» ، وكأنه لم يسمع قوله تعالى: ﴿هو الله الخالق البارىء﴾ [الحشر: ٢٤] ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الزمر: ٦٢] ، وكأنه لا يعلم أن الخلق يكون عبارة عن الإنشاء والاختراع.

قوله: ﴿والذين من قبلكم﴾ محله العطف على المنصوب في «خلقكم» و «من قبلكم» صلة «الذين» ، فيتعلق بمحذوف على ما تقرر. و «من» لابتداء الغاية، واستشكل بعضهم وقوع «من قبلكم» صلة من حيث إن كل ما جاز أن يخبر به جاز أن يقع صلة، و «من قبلكم» ناقص ليس في الإخبار به عن الأعيان فائدة إلا بتأويل، فكذلك الصلة.

قال: وتأويله أن ظرف الزمان إذا وصف صح الإخبار والوصل به تقول: «نحن في يوم طيب» ، فيكون التقدير هنا - والله أعلم - «والذين من قبلكم» - بفتح الميم -.." (١)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١/٤١٠

"و «وقودها الناس والحجارة» جملة من مبتدأ وخبر، صلة وعائد، والألف واللام في «النار» للعهد.

فإن قيل: الصلة مقررة، فيجب أن تكون معلومة فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة؟

والجواب: لا يمتنع أن يتقدم لهم بهذه الصلة معهودة عند السامع بدليل قوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده مآ أوحى﴾ [النجم: ١٠] وقوله: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ [النجم: ١٦] وقوله: ﴿فغشاها ما غشى﴾ [النجم: ٥٤] وقال:

﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ [طه: ٧٨] إلا أنه خلاف المشهور أو لتقدم ذكرها في سورة التحريم – وهي مدينة بالاتفاق – وقد غلط الزمخشري في ذلك.

والمشهور فتح واو الوقود، وهو اسم ما يوقد به.

وقيل: هو مصدر كالولوع والقبول والوضوء والطهور، ولم يجيء مصدر على «فعول» غير هذه الألفاظ فيما حكاه سيبويه.

وزاد الكسائي: الوزوع. وقرئ شاذا في سورة «ق» ﴿وما مسنا من لغوب﴾ [ق: ٣٨] فتصير سبعة، وهناك ذكرت هذه القراءة، ولكن المشهور أن الوقود والوضوء والطهور بالفتح اسم، وبالضم مصدر.

وقرأ عيسى بن عمر بفتحها وهو مصدر.

وقال ابن عطية: وقد حكيا في المصدر. انتهى.

فإن أريد اسم ما يوقد به فلا حاجة إلى تأويل، وإن أريد بهما المصدر فلا بد من تأويل، وهو إما المبالغة أي: جعلوا نفس التوقد مبالغة في وضعهم بالعذاب، وإما حذف مضاف، إما من الأول أي أصحاب توقدها، وإما من الثاني أي: يوقدها إحراق الناس، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. والهاء في «الحجارة» لتأنيث الجمع.

فصل في تثنية «التي» وجمعه

وفي تثنية «التي» بحذف النون، و «اللتان» بتشديد النون، وفي جمعها خمس." (١)

"وأيضا فالمعادن داخلة في ذلك، وكذلك عروق الأرض، وما يجري مجرى البعض لها.

وقد تقدم تفسير الخلق، وتقديره الآية كأنه – سبحانه وتعالى – قال: كيف تكفرون بالله، وكنتم أمواتا فأحياكم؟ وكيف تكفرون بالله، وقد خلق لكم ما في الأرض جميعا؟

أو يقال: كيف تكفرون بقدرة الله على الإعادة، وقد أحياكم بعج موتكم، وقد خلق لكم كل ما في الأرض،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١/٤٤٠

فكيف يعجز عن إعادتكم؟ .

قوله: «ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات» .

أصل «ثم» أن تقتضي تراخيا زمانيا، ولا زمان هنا، فقيل: إشارة إلى التراخي بين رتبتي خلق الأرض والسماء.

وقيل: لما كان بين خلق الأرض والسماء أعمال أخر من جعل الجبال والبركة، وتقدير الأقوات، كما أشار إليه في الآية الأخرى عطف ب «ثم» ؛ إذ بين خلق الأرض والاستواء إلى السماء تراخ.

و «استوى» : معناه لغة: استقام واعتدل، من استوى العود.

وقيل: علا وارتفع؛ قال الشاعر: [الطويل]

٣٤٥ - فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة ... وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وقال تعالى: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ [المؤمنون: ٢٨] .

ومعناه هنا: قصد وعمل. وفاعل «استوى» ضمير يعود على الله.

وقيل: يعود على الدخان نقله ابن عطية.

وهو غلط لوجهين:

أحدهما: عدم ما يدل عليه.

والثاني: أنه يرده قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السمآء وهي دخان﴾ [فصلت: ١١] .

و «إلى» حرف انتهاء على بابها.

وقيل: هي بمعنى «على» ؛ فتكون في المعنى كقول الشاعر: [الرجز]

٣٤٦ - قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

ومثله قوله الآخر: [الطويل]." (١)

"وسادسها: قال قتادة: كان الله أعلمهم أنه إذا جعل في الأرض خليفة يفعل كذا وكذا، قالوا: أتجعل فيها الذي علمناه أم غيره.

قوله: «ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك» الواو: للحال، و «نحن نسبح» : جملة من مبتدأ وخبر في محل النصب على الحال.

و «بحمدك» : متعلق بمحذوف؛ لأنه حال أيضا، و «الباء» فيه للمصاحبة أي: نسبح ملتبسين بحمدك، نحو: جاء زيد بثيابه. فهما حالان متداخلان، أي حال في حال.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١/٤٨٨

وقيل: «الباء» للسببية فتتعلق بالتسبيح، قل «بن عطية» : ويحتمل ن يكون قولهم: «بحمدك» اعتراض بين الكلامين، كأنهم قلوا: ونحن نسبح ونقدس، ثم اعترضا على جهة التسليم، أي: وأنت المحمود في بالهداية إلى ذلك وكأنه يحاول أنه تكون «الباء» فعلا محذوفا لائقا بالمعنى تقديره: حصل لنا التسبيح والتقديس بسبب حمدك.

و «الحمد» هنا: مصدر مضاف لمفعوله، وفاعله محذوف تقديره بحمدنا إياك، وزعم بعضهم أن الفاعل مضمر فيه، وهو غلط؛ لأن المصدر اسم جامد لا يضمر فيه على أنه قد حكي الخلاف في المصدر الواقع موقع الفعل، نحو: «شريا زيدا» هل يتحمل ضمير أو لا وقد تقدم.

و «نقدس» عطف على «نسبح» فهو خير أيضا عن «نحن» ، ومفعوله محذوف أي: نقدس أنفسنا وأفعالنا لك.

و «لك» متعلق به، أو ب «نسبح» ومعناها العلة.

وقل: زائدة، فإن ما قبلها متعد بنفسه، وهو ضعيف، إذ لا تزاد «اللام» إلا مع تقديم المعمول، أو يكون العامل فرعا.

وقيل: هي معدية: نحو: «سجدت لله» .

وقيل: للبيان كهي في قولك: «سقيا لك» فعل هذا تتعلق بمحذوف، ويكون خبر مبتدأ مضمر أي: تقديسا لك.

وهذا التقدير أحسن من تقدير قولهم: أعني؛ لأنه أليق بالموضع. وأبعد من زعم أن جملة «ونحن نسبح» داخلة في حيز استفهام مقدر تقديره: وأنحن نسبح أم نتغير؟ واستحسنه ابن عطية مع القول بالاستفهام المحض في قولهم: «أتجعل» وهذا يأباه الجمهور، أعني: حذف همزة الاستفهام من غير ذكر «أم» المعادلة وهو رأي «الأخفش» وجعل من ذلك قوله تعالى: ﴿وتلك نعمة تمنها علي﴾ [الشعراء: ٢٢] أي: وأتلك نعمة.." (١)

"الفاء في قوله: «فتلقى» عاطفة لهذه الجملة على ما قبلها، و «تلقى» «تفعل» من اللقاء بمعنى المجرد.

وله معان أخر: مطاوعة «فعل» نحو: «كسرته فتكسر» .

والتكلف نحو «تحلم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٠٧/١

والصيرورة: تألم.
واتخاذ: نحو: تبنيت الصبي، أي: اتخذته ابنا.
ومواصلة العمل في مهلة نحو، تجرع وتفهم.
وموافقة استفعل نحو: تكبر.
والتوقع نحو: تخوف.
والطلب نحو: تنجز حاجته.
والتكثير نحو: تغطيت بالثياب.
والتلبس بالمسمى المشتق منه نحو: تقمص، أو العمل فيه نحو: تسخر.
والختل: نحو: تغفلته.
وزعم بعضهم أن أصل» تلقى «:» تلقن «بالنون فأبدلت النون الفا، وهذا غلط؛ لأن ذلك إنما ورد في المضعف نحو» قصصت «و» تظننت «، و» أمللت «فأحد الحرفين إنما يقلب ياء إذا تجانسا.
قال القفال: أصل التلقي هو التعرض للقاء، ثم وضع في موضع الاستقبال للمتلقي، ثم يوضع القبول والأخذ، قال تعالى: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ [النمل: ٦] ويقال: خرجنا نتلقى [الحاج] ، أي: نستقبلهم، وكان – عليه الصلاة والسلام – يتلقى الوحي، أي: يستقبله ويأخذه.
وإذا كان هذا أصل الكلمة، وكان من تلقى رجلا فتلاقيا لقي كل واحد صاحبه، فأضيف الاجتماع إليهما معا صلح أن يشتركا في الوصف بذلك، تلقى آدم." (١)
"قوله تعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ .
لما بين تعالى حال من لا يرقب في الله إلا ولا ذمة، وينقض العهد، ويتعدى ما حد له. بين بعده أنهم إن تابوا، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزماة، فهم: ﴿فإخوانكم في الدين﴾ .
فإن قيل: المعلق على الشيء بكلمة «إن» عدم عند عدم ذلك الشيء، فهذا يقتضي أنه متى لم توجد هذه الثلاثة، ولا تحصل الأخوة في الدين، وهو مشكل؛ لأنه ربما كان فقيرا، أو كان غنيا، لكن قبل انقضاء الحول، لا تلزمه الزكاة.
فالجواب: أنه قد تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبآئر ما تنهون عنه﴾ [النساء: ٣١] أن المعلق على الشيء بكلمة «إن» لا يلزم منه عدم ذلك الشيء، كذلك ههنا، ومن الناس من قال: إن المعلق على

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٧٤/١

الشيء بكلمة «إن» عدم عند عدم ذلك الشيء، فها هنا قال: المؤاخاة بين المسلمين موقوفة على فعل الصلاة والزكاة جميعا، فإن الله شرطها في إثبات المؤاخاة، ومن لم يكن أهلا لوجوب الزكاة عليه؛ وجب عليه أن يقر بحكمها فإذا أقر بهذا الحكم دخل في الشرط الذي به تجب الأخوة.

قوله: فإخوانكم خبر مبتدأ محذوف، أي: فهم إخوانكم، والجملة الاسمية في محل جزم على جواب الشرط، وفي الدين متعلق ب «إخوانكم» لما فيه من معنى الفعل.

فصل

قال أبو حاتم «قال أهل البصرة أجمعون: الإخوة في النسب، والإخوان في الصداقة» . وهذا غلط، يقال للأصدقاء وغير الأصدقاء إخوة، وإخوان، قال الله تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] ولم يعن النسب، وقال تعالى: ﴿أو بيوت إخوانكم﴾ [النور: ٦١] وهذا في النسب.

قال ابن عباس: «حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة» ومعنى قوله: «فإخوانكم»." (١)

"قال أبو حاتم: أراد «المتعذرون» والتاء لا تدغم في العين، لبعد المخارج وهي **غلط** منه، أو عليه.

قوله: «ليؤذن» متعلق ب «جاء» وحذف الفاعل، وأقيم الجار مقامه، للعلم به، أي: ليأذن لهم الرسول.

فصل

أما قراءة التخفيف فهم الكاذبون في العذر، وأما قراءة التشديد، فمحتملة لأن يكونوا صادقين، وأن يكونوا كاذبين. قال ابن عباس «هم الذين تخلفوا بعذر بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهو قول بعض المفسرين أيضا، قال: المعذرون، كانوا صادقين؛ لأنه تعالى لما ذكرهم قال بعدهم ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ ، فلما ميزهم عن الكاذبين دل على أنهم ليسوا كاذبين.

وقال الضحاك: هم رهط عامر بن الطفيل جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعا عن أنفسهم، فقالوا: يا نبي الله: إن نحن غزونا معك أغارت أعراب طيىء على حلائلنا، وأولادنا، ومواشينا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نبأني الله من أخباركم، وسيغنيني الله عنكم.

وروى الواحدي عن أبي عمرو: أنه لما قيل له هذا الكلام قال: إن أقواما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم بقوله: «وجآء المعذرون» ، وتخلف آخرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراءة على الله تعالى؛ فهم المرادون بقوله ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ ، فأوعدهم بقوله: ﴿سيصيب الذين كفروا منهم﴾ في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة بالنار.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣١/١٠

وإنما قال «منهم» ؛ لأنه تعالى كان عالما بأن بعضهم سيؤمن، فذكر بلفظة «من» الدالة على التبعيض. وقرأ الجمهور «كذبوا» بالتخفيف، أي: كذبوا في أيمانهم. وقرأ الحسن في المشهور عنه وأبي، وإسماعيل «كذبوا» بالتشديد، أي: لم يصدقوا ما جاء به الرسول عن ربه ولا امتثلوا أمره.." (١)

"فصل

دلت هذه الآية على أن الزكاة تتعلق بالأموال لا بالذمة، لقوله ﴿خذ من أموالهم﴾ فلو مات أخذت من التركة. وقال الشافعي: إنها تتعلق بالذمة، فلو فرط حتى هلك النصاب، وجبت الزكاة؛ لأن الذي هلك ما كان محلا للحق. ودلت الآية أيضا على أن الزكاة إنما وجبت طهرة للآثام؛ فلا تجب إلا على البالغ. وهو قول أبي حنيفة. وإذا قلنا: تتعلق بالمال وجبت في مال الصبي، وفي مال المديون.

فصل

معنى التطهر ما روي أن الصدقة أوساخ الناس، فإذا أخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ؛ فكان دفعها جاريا مجرى التطهر. والتزكية: مبالغة في التطهر، وقيل: التزكية بمعنى الإنماء، وقيل: الصدقة تطهرهم من نجاسة الذنب والمعصية، والرسول يزكيهم، ويعظم شأنهم ويثني عليهم عند إخراجها إلى الفقراء. ولذلك يقول الساعي له: آجرك الله فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت، وجعله لك طهورا.

قوله: ﴿وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم﴾ . قرأ الأخوان، وحفص «إن صلاتك» ، وفي هود ﴿أصلواتك تأمرك﴾ [هود: ٨٧] بالتوحيد - والباقون «إن صلواتك» «،» أصلواتك «بالجمع فيهما، وهما واضحتان، إلا أن الصلاة هنا: الدعاء، وفي تيك: العبادة. قال أبو عبيد: وقراءة الإفراد أولى؛ لأن الصلاة أكثر، قال تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ [البقرة: ٤٣] والصلوات جمع قلة، تقول: ثلاث صلوات، وخمس صلوات.

قال أبو حاتم: وهذا غلط، لأن بناء الصلوات ليس للقلة، قال تعالى: ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ [لقمان: ٢٧] ولم يرد التقليل، وقال: ﴿وهم في الغرفات﴾ [سبأ: ٣٧] ، وقال ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ [الأحزاب: ٣٥] . والسكن: الطمأنينة. وقال ابن عباس: رحمة لهم. وقال أبو عبيدة: تثبيتا لقلوبهم؛ ومن الطمأنينة قوله: [البسيط]

٢٨٤٤ - يا جارة الحي ألا كنت لي سكنا ... إذ ليس بعض من الجيران أسكنني

ف» فعل «بمعنى» مفعول «، كالقبض بمعنى: المقبوض، والمعنى: يسكنون إليها.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦٩/١٠

قال أبو البقاء:» ولذلك لم يؤنثه «. لكن الظاهر أنه هنا بمعنى» فاعل «، لقوله:» لهم «. ولو كان كما قال لكان التركيب» سكن إليها «أي: مسكون إليها، فقد ظهر أن المعنى: مسكنة لهم.." [١]

"ألف بين همزتين. وأولت على أنه مقلوب قدمت لامه وأخرت عينه، فوقعت الياء طرفا بعد ألف زائدة فقلبت همزة على حد «رداء» وأردية، وإن شئت قلت: لما قلبت الكلمة صارت «ضياوا» بالواو، عادت العين إلى أصلها من الواو لعدم موجب قلبها ياء وهو الكسر لسابقها، ثم أبدلت الواو همزة على حد «كساء» . وقال أبو البقاء: «إنها قلبت ألفا، ثم قلبت الألف همزة، لئلا تجتمع ألفان» ، واستبعدت هذه القراءة من حيث إن اللغة مبنية على تسهيل الهمز فكيف يتخيلون في قلب الحرف الخفيف إلى أثقل منه؟ لا غرو في ذلك، فقد قلبوا حروف العلة الألف والواو والياء همزة في مواضع لا تحصر إلا بعسر، إلا أنه هنا ثقيل؛ لاجتماع همزتين.

وأكثر الناس على تغليط هذه القراءة؛ لأن ياء «ضياء» منقلبة عن واو، مثل: ياء قيام، وصيام، فلا وجه للهمزة فيها، قال أبو شامة: «وهذه قراءة ضعيفة، فإن قياس اللغة الفرار من اجتماع همزتين إلى تخفيف إحداهما، فكيف يتخيل بتقديم وتأخير يؤدي إلى اجتماع همزتين لم يكونا في الأصل؟ هذا خلاف حكم اللغة» .

وقال أبو بكر بن مجاهد - وهو ممن قرأ على قنبل -: «قرأ ابن كثير وحده» ضئاء «بهمزتين في كل القرآن الهمزة الأولى قبل الألف، والثانية بعدها، كذلك قرأت على قنبل وهو غلط، وكان أصحاب البزي، وابن فليح ينكرون هذا ويقرؤون» ضياء «مثل الناس» .

قال شهاب الدين: «كثيرا ما يتجرأ أبو بكر على شيخه ويغلطه، وسيمر بك مواضع من ذلك، وهذا لا ينبغي أن يكون، فإن قنبلا بالمكان الذي يمنع أن يتكلم فيه أحد» .

وقوله في جانب الشمس: «ضياء» ؛ لأن الضوء أقوى من النور، وقد تقدم ذلك أول البقرة و «ضياء ونورا» يحتمل أن يكونا مصدرين، وجعلا نفس الكوكبين مبالغة، كما يقال للكريم: إنه كرم وجود، أو على حذف مضاف أي: ذات ضياء وذا نور، و «ضياء» يحتمل أن يكون جمع «ضوء» كسوط وسياط، وحوض وحياض.

قوله: «منازل» نصب على ظرف المكان، وجعله الزمخشري على حذف مضاف: إما من الأول أي: قدر مسيره، وإما من الثاني أي: قدره ذا منازل، فعلى التقدير الأول يكون «منازل» ظرفا كما مر، وعلى الثاني

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠/١٩٥

يكون مفعولا ثانيا على تضمين «قدر» معنى صيره ذا منازل بالتقدير، وقال أبو حيان – بعد أن ذكر التقديرين، ولم يعزهما للزمخشري: أو قدر له منازل، فحذف وأوصل الفعل إليه، فانتصب بحسب هذه التقادير على الظرف أو الحال أو المفعول، كقوله: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ [يس: ٣٩] وقد سبقه إلى ذلك أبو البقاء.." (١)

"وقيل: أبدلت الهمزة من نفس الياء، نحو: لبأت بالحج، ورثأت فلانا، أي: لبيت ورثيت.

والثاني: أن الهمزة أصلية، وأن اشتقاقه من الدرء وهو الدفع، كقوله: ﴿ويدرؤا عنها العذاب﴾ [النور: ٨] ، ويقال: أدرأته، أي: جعلته دارئا، والمعنى: ولأجعلنكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال، قال أبو البقاء: «وقيل هو غلط؛ لأن قارئها ظن أنها من الدرء وهو الدفع؛ وقيل: ليس بغلط، والمعنى: لو شاء الله لدفعكم عن الإيمان به» .

وقرأ شهر بن حوشب، والأعمش: «ولأنذرتكم» من الإنذار، وكذلك هي في مصحف عبد الله. قوله: «فقد لبثت فيكم عمرا» أي: حينا، وهو أربعون سنة، «من قبله» أي: من قبل نزول القرآن، فقيل: الضمير في «قبله» يعود على النزول، وقيل: على القرآن، وقيل: على وقت النزول، و «عمرا» مشبه بظرف الزمان، فانتصب انتصابه، أي: مدة متطاولة، وقيل: هو على حذف مضاف، أي: مقدار عمر، وقرأ الأعمش: «عمرا» بسكون الميم، كقولهم «عضد» في «عضد» .

ثم قال: «أفلا تعقلون» أنه ليس من قبلي، قال المفسرون: لبث النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم فيهم قبل الوحي أربعين سنة، ثم أوحي إليه، فأقام بمكة بعد الوحي ثلاثة عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة، فأقام بها عشر سنين، ثم توفي، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وروى أنس – رضي الله عنه –: أنه أقام بمكة بعد الوحي عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ستين سنة، والأول أشهر وأظهر.

قوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ الآية.

قال القرطبي: «هذا استفهام بمعنى الجحد، أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب، وبدل وأضاف شيئا إليه مما لم ينزل» ، والمعنى: أن هذا القرآن لو لم يكن من عند الله، لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه مني، حيث افتريته على الله، ولما أقمت الدليل على أنه ليس الأمر كذلك، بل هو وحي من الله – تعالى –، وجب أن يقال: إنه ليس في الدنيا أحد أجهل، ولا أظلم على نفسه منكم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٦٦/١٠

والمقصود: نفي الكذب عن نفسه.

وقوله: « ... أو كذب بآياته» فالمراد: إلحاق الوعيد الشديد بهم؛ حيث أنكروا." (١)

"أحدهما: أن فرعون لما كان عظيما عندهم، عاد الضمير عليه جمعا، كما يقول العظيم: نحن نأمر، وهذا فيه نظر؛ لأنه لو ورد ذلك من كلامهم محكيا عنهم، لاحتمل ذلك.

الثاني: أن فرعون صار اسما لأتباعه، كما أن ثمود اسم للقبيلة كلها. وقال مكي وجهين آخرين قريبين من هذين، ولكنهما أخلص منهما، قال: إنما جمع الضمير في ملئهم؛ لأنه إخبار عن جبار، والجبار يخبر عنه بلفظ الجمع، وقيل: لما ذكر فرعون، علم أن معه غيره، فرجع الضمير عليه، وعلى من معه.

وقد تقدم نحو من هذا عند قوله: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس﴾ [آل عمران: ١٧٣] والمراد بالقائل الأول: نعيم بن مسعود؛ لأنه لا يخلو من مساعد له على ذلك القول.

الرابع: أن يعود على مضاف محذوف وهو آل، تقديره: على خوف من آل فرعون، وملئهم، قاله الفراء، كما حذف في قوله:

﴿واسأل

القرية﴾ [يوسف: ٨٢] .

قال أبو البقاء بعد أن حكى هذا ولم يعزه لأحد: «وهذا عندنا غلط؛ لأن المحذوف لا يعود إليه ضمير، إذ لو جاز ذلك، لجاز أن يقول:» زيد قاموا «وأنت تريد: غلمان زيد قاموا» .

قال شهاب الدين: قوله: «لأن المحذوف لا يعود إليه ضمير» ممنوع، بل إذا حذف مضاف، فللعرب فيه مذهبان: الالتفات إليه، وعدمه وهو الأكثر، ويدل على ذلك: أنه قد جمع بين الأمرين في قوله: ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ [الأعراف: ٤] أي: أهل قرية، ثم قال: ﴿أو هم قآئلون﴾ [الأعراف: ٤] وقد حققت ذلك في موضعه المشار إليه، وقوله: «لجاز زيد قاموا» ليس نظيره، فإن فيه حذفا من غير دليل، بخلاف الآية.

وقال أبو حيان - بعد أن حكى كلام الفراء -: ورد عليه: بأن الخوف يمكن من فرعون، ولا يمكن سؤال القرية، فلا يحذف إلا ما دل عليه الدليل، وقد يقال: ويدل على هذا المحذوف جمع الضمير في «وملئهم» . يعني أنهم ردوا على الفراء، بالفرق بين ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف: ٨٢] وبين هذه الآية: بأن سؤال القرية غير ممكن، فاضطررنا إلى تقدير المضاف، بخلاف الآية فإن الخوف تمكن من فرعون، فلا اضطرار بنا يدلنا على مضاف محذوف.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٨٤/١٠

وجواب هذا: أن الحذف قد يكون لدليل عقلي أو لفظي، على أنه قيل في ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف: ٨٢] إنه حقيقة، إذ يمكن النبي أن يسأل القرية؛ فتجيبه.

الخامس: أن ثم معطوفا محذوفا حذف للدلالة عليه، والدليل عليه؛ كون الملك لا." (١)

"«كتاب» يجوز أن يكون خبرا ل: «ألف لام راء» ، أخبر عن هذه الأحرف بأنها كتاب موصوف بكيت وكيت.

قال الزجاج: هذا غلط؛ لأن «الر» ليس هو الموصوف بهذه الصفة وحده قال ابن الخطيب: وهذا اعتراض فاسد؛ لأنه ليس من شرط كون الشيء مبتدأ أن يكون خبره محصورا فيه، ويجوز أن يكون خبر ابتداء مضمر تقديره: ذلك كتاب.

قال ابن الخطيب: «وهذا عندي ضعيف لوجهين» :

الأول: أنه على هذا التقدير يقع قوله: «الر» كلاما باطلا لا فائدة فيه.

والثاني: أنك إذا قلت: هذا كتاب، فقولك: «هذا» يكون إشارة إلى الآيات المذكورات، وذلك هو قوله: «الر» فيصير حينئذ «الر» مخبرا عنه بأنه ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ . وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله: ﴿ذلك الكتاب﴾ [البقرة: ٢] قوله: ﴿أحكمت آياته﴾ في محل رفع صفة ل «كتاب» ، والهمزة في «أحكمت» يجوز أن تكون للنقل من حكم بضم الكاف، أي: صار حكيما بمعنى جعلت حكيمة، كقوله: ﴿تلك آيات ا‌ل‌كتاب الحكيم﴾ [لقمان: ٢] . ويجوز أن يكون من قولهم: «أحكمت الدابة» إذا وضعت عليها الحكمة لمنعها من الجماح؛ كقول جرير: [الكامل]." (٢)

"فجاء مضارع «اثنأن» على ذلك كقولك احمأر يحمئر كاطمأن يطمئن.

وأما «صدورهم» فبالرفع على ما تقدم.

وقرأ الأعمش أيضا تثنؤون بفتح الياء وسكون المثلثة وفتح النون وهمزة مضمومة وواو ساكنة بزنة تفعلون كترهبون. صدورهم بالنصب.

قال صاحب اللوامح: ولا أعرف وجهه يقال: «ثنيت» ولم أسمع «ثنأت» ، ويجوز أنه قلب الياء ألفا على لغة من يقول: «أعطات» في «أعطيت» ، ثم همز الألف على لغة من يقول: ﴿ولا الضألين﴾ [الفاتحة: ٧] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٩١/١٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢٧/١٠

وقرأ ابن عباس أيضا – رضي الله عنهما – «تثنوى» بفتح التاء وسكون المثلثة، وفتح النون وكسر الواو بعدها ياء ساكنة بزنة «ترعوى» وهي قراءة مشكلة جدا حتى قال أبو حاتم: وهذه القراءة **غلط** لا تتجه، وإنما قال إنها غلط؛ لأنه لا معنى للواو في هذا الفعل إذ لا يقال: ثنوته فانثوى كرعوته، أي: كففته فارعوى، أي: فانكف، ووزنه افعل كاحمر.

وقرأ نصر بن عاصم وابن يعمر وابن أبي إسحاق «ينثون» بتقديم النون الساكنة على المثلثة.

وقرأ ابن عباس أيضا «لتثنون» بلام التأكيد في خبر «إن» وفتح التاء وسكون المثلثة وفتح النون وسكون الواو بعدها نون مكسورة وهي بزنة «تفعوعل» ، كما تقدم إلا أنها حذفت الياء، التي هي لام الفعل تخفيفا كقولهم: لا أدر وما أدر. و «صدورهم» ، فاعل كما تقدم.

وقرأ طائفة: «تثنؤن» بفتح التاء ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم نون مفتوحة ثم همزة مضمومة ثم نون مشددة، مثل تقرؤن، وهو من ثنيت، إلا أنه قلب الياء واوا؛ لأن الضمة تنافرها، فجعلت الحركة على مجانسها، فصار اللفظ «تثنوون» ثم قلبت الواو المضمومة همزة كقولهم: «أجوه» في «وجوه» و «أقتت» في «وقتت» فصار «تثنؤون» ، فلما أكد الفعل بنون التوكيد حذفت نون الرفع فالتقى ساكنان: وهما واو الضمير والنون الأولى من نون التوكيد، فحذفت الواو وبقيت الضمة تدل عليها؛ فصار «تثنؤن» كما ترى و «صدورهم» منصوب مفعولا به فهذه إحدى عشرة قراءة مضبوطة.

قوله تعالى: ﴿ليستخفوا منه﴾ فيه وجهان:." (١)

"إلى قوم لوط﴾ [هود: ٧٠] فدل على أنهم أمروا بالذهاب إلى قوم لوط بإيصال العذاب إليهم.

فإن قيل: لو كان كذلك، لقال: «فلما جاء أمرنا، جعلوا عاليها سافلها» ، لأن الفعل صدر عن المأمور.

فالجواب: أن فعل العبد فعل الله تعالى، وأيضا: فالذي وقع إنما وقع بأمر الله، وبأقداره، فلا يمتنع إضافته إلى الله تعالى؛ فكما يحسن إضافته إلى المباشرين، يحسن إضافته إلى المسبب.

قوله: ﴿عاليها سافلها﴾ مفعولا الجعل الذي بمعنى التصيير، و «سجيل» قيل: هو في الأصل مركب من «سنك وكل» وهو بالفارسية حجر وطين فعرب، وغيرت حروفه، كما عربوا الديباج والد] وان والاستبرق. وقيل: «سجيل» اسم للسماء، وهو ضعيف أو غلط، لوصفه ب «منضود» . وقيل: من أسجل، أي: أرسل فيكون «فعيلا» ، وقيل: هو من التسجيل، والمعنى: أنه مما كتب الله وأسجل أن يعذب به قوم لوط، وينصر الأول تفسير ابن عباس أنه حجر وطين كالآجر المطبوخ وعن أبي عبيدة هو الحجر الصلب. وقيل:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠/٤٣٦

«سجيل» موضع الحجارة، وهي جبال مخصوصة. قال تعالى: ﴿من جبال فيها من برد﴾ [النور: ٤٣] .
قال الحسن: كان أصل الحجر هو الطين فشددت.
و «منضود» صفة ل «سجيل» . والنضد: جعل بعضه فوق بعض، ومنه ﴿وطلح منضود﴾ [الواقعة: ٢٩] أي: متراكب، والمراد وصف الحجارة بالكثرة.
«مسومة» نعت ل «حجارة» ، وحينئذ يلزم تقدم الوصف غير الصريح على الصريح لأن «من سجيل» صفة ل «حجارة» ، والأولى أن يجعل حالا من «حجارة» ، وسوغ مجيئها من النكرة تخصص النكرة بالوصف.
والتسويم: العلامة. قيل: علم على كل حجر اسم من يرمي به وتقدم اشتقاقه في آل عمران [١٤] في قوله: ﴿والخيل المسومة﴾ وقال الحسن والسدي: كان عليها أمثال الخواتيم. قال أبو صالح: رأيت منها عند أم هانيء، وهي حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع. وقال ابن جريج: كان عليها سيماء لا تشبه حجارة الأرض.
و «عند» إما منصوب ب «مسومة» ، وإما بمحذوف على أنها صفة ل «مسومة» .
وقله: «وما هي» الظاهر عود هذا الضمير على القرى المهلكة. وقيل: يعود على الحجارة وهي أقرب مذكور. وقيل: يعود على العقوبة المفهومة من السياق، ولم يؤنث «." (١)

"قوله تعالى: ﴿ذلك من أنبآء الغيب﴾ الآية «ذلك» : مبتدأ و ﴿من أنبآء الغيب﴾ : خبره، و «نوحيه» : حال، ويجوز أن يكون خبرا ثانيا، أو حالا من الضمير في الخبر، وجوز الزمخشري: أن يكون موصولا بمعنى: الذي، وتقدم نظيهر، والمعنى: ذلك الذي ذكرت من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب، ﴿إذ أجمعوا أمرهم﴾ أي عزموا على إلقاء يوسف في الجب، وما كنت هناك، ذكره على وجه التهكم، وتقدم الكلام على هذا اللفظ عند قوله: ﴿فأجمعوا أمركم﴾ [يونس: ٧١] وقوله: ﴿وهم يمكرون﴾ أي: بيوسف والمقصود من هذا إخبار عن الغيبن فكيون معجزا؛ لأن محمدا صلوات الله وسلامه عليه لم يطالع الكتب، ولم يتلمذ لأحد، ما كانت بلدته بلدة العلماء؛ فإتيانه بهذه القصة الطويلة، على وجه لم يقع فيها تحريف، ولا غلط من غير مطالعة، ولاتعلم، كيف لا يكون معجزا؟ .
روي أن اليهود وقريشا سألوا رسو الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف؛ فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا، فحزن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل: إنهم لا يؤمنون، ولو حرصت على إيمانهم.
قوله ﴿وهم يمكرون﴾ : حال، ﴿ولو حرصت﴾ معترض بين «ما» وخبرها، وجواب مقدما عليها، فلا يجوز

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٤١/١٠

أن يقال: «قمت لو قمت» .

وقال الفراء في «المصادر» : حرص يحرص حرصا، وفي لغة أخرى: حرص يحرص حرصا، ومعنى الحرص: طلب الشيء بأقصى ما يكون من الاجتهاد، ﴿إلا وهم مشركون﴾ : حال.

قوله ﴿وما تسألهم﴾ على تبليغ الرسالة، والدعاء إلى الله عز وجل «من أجر» جعلوا خبر «إن» هو «ما» أي: القرآن، «إلا ذكر» : عظة وتذكير «للعالمين» .

ثم قال: «وكأين» : وكم، «من آية» : عبرة ودلالة، ﴿في السماوات والأرض يمرون عليها﴾ : لا يتفكرون فيها ولا يتعبرون.

واعلم: أن دلائل التوحيد، والعلم، والقدرة، والحكمة والرحمة لا بد وأن تكون من أمور محسوسة، وهي: إما الأجرام الفلكية، وإما الأجرام العنصرية.

أما الأجرام الفلكية فهي قسمان: إما الأفلاك، وإما الكواكب.." (١)

"قد خلط بجلجلان

وتقدم من أمثاله.

وقيل: الأصل «ننجي» بنونين؛ فأدغم النون في الجيم، وليس بشيء؛ إذا النون لا تدغم في الجيم على أنه قد قيل بذلك في قوله: ﴿ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء: ٨٨] كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وقرأ جماعة كقراءة الباقين إلا أنهم فتحوا الياء، قال ابن عطية: «رواها ابن عبيرة، عن حفص، عن عاصم، وهي **غلط** من ابن هبيرة» .

قال شهاب الدين: «توهم ابن عطية أنه مضارع باق على رفعة، فأنكر فتح لامه و**غلط** راويها، وليس بغلط؛ وذلك أنه إذا وقع بعد الشرط والجزاء معا مضارع مقرون بالفاء، جاز فيه أوجه:

أحدهما: نصبه بإضمار» أن «بعد الفاء، وقد تقدم عند قوله: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾ [البقرة: ٢٨٤] إلى أن قال:» فيغفر «قرىء بنصبه، وقد تقدم توجيهه، ولا فرق بين أن تكون أداة الشرط جازمة كآية البقرة، أو غير جازمة كهذه الآية.

وقرأ الحسن أيضا» فننجي «بنونين، والجيم مشددة، والياء ساكنة مضارع» نجى «مشددة للتكثير، وقرأ هو أيضا ونصر بن عاصم، وأبو حيوة:» فنجا «فعلا ماضيا مخففا، و» من «فاعله.

ونقل الداني: أنه قرأ لابن محيصن كذلك، إلا أنه شدد الجيم، والفاعل ضمير النصر، و «من: مفعوله،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٢١/١١

ورجح بعضهم قراءة عاصم؛ بأن المصاحف اتفقت على كتبها» فنجي «بنون واحدة، نقله الداني، ونقل مكي: أن أكثر المصاحب عليها، فأشعر هذا بوقوع الخلاف في الرسم، ورجح أيضا: بأن فيها مناسبة لما قبلها من الأفعال الماضية، وهي جارية على طريقة كلام الملوك والعظماء، منحيث بناء الفعل [للمعفول] . وقرأ أبو حيوة:» يشاء «بالياء، وتقدم أنه قرأ» فنجا «، أي: فنجا من يشاء الله نجاته، وهم المؤمنون المطيعون.." (١)

"قال شهاب الدين رحمه الله: «وحقه أ، يقع بعده يعني: بعده، وبعد المبتدأ، ولا يصير كلامه لا معنى له» .

والثاني: أنه مبتدأ وجاز الابتداء به لوصفه بقوله: «منكم» .

وأعرب سيبويه: «سواء» عليه الجهر والسر كذلك، وقول بن عطية: إن سيبويه ضعف ذلك بأنه ابتداء بنكرة **غلط** عليه.

قال ابن الخطيب: لفظ «سواء» يطلب اثنين، تقول: «سواء زيد، وعمرو» ، ثم فيه وجهان:

الأول: أن «سواء» مصدر، والمعنى: ذو سواء، كما تقول: عدل زيد وعمرو، أي: ذو عدل.

الثاني: أن يكون «سواء» بمعنى مستو، وعلى هذا التقدير، فلا حاجة إلى الإضمار، إلا أن سيبويه يستقبح أن يقال: مستو زيد وعمرو؛ لأن اسماء الفاعل إذا كانت نكرة لا يبتدأ بها.

ولقائل أن يقول: بل هذا الوجه أول؛ لأن حمل الكلام عليه يغني عن التزام الإضمار الذي هو خلاف الأصل.

قوله: ﴿وسارب بالنهار﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون معطوفا على «مستخف» ، ويراد ب «من« حينئذ اثنان، وحمل المبتدأ الذي هو لفظ «هو» على لفظها، فأفرده، والخبر على معناها فثناه.

والوجه الثاني: أن يكون عطفا على «من هو» في «ومن هو مستخف» لا على: مستخف «وحده.

ويوضح هذين الوجيهن ما قاله الزمخشري قال:» فإن قلت: كان حق العبارة أن يقال: ومن هو مستخف بالليل، ومن هو سارب بالنهار حتى يتنول معنى الاستواء المستخفي، والسارب، وإلا فقد تناول واحد هو مستخف وسارب.

قلت: فيه وجهان:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٣٠/١١

أحدهما: أن قوله: «سارب» عطف على: «من هو مستخف» [لا على:: مستخف «.

والثاني: أنه عطف على:» مستخف «إلا أن:» من «في معنى الاثنين؛ كقوله: [الطويل]." [1]

"النور﴾ الآية لما بين أنه إنما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وذكر كمال نعمة الله عليه وعلى قومه بذلك الإرسال أتبع ذلك بشرح بعثة سائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلى أقوامهم ليكون ذلك تصبيراً للرسول صلوات الله وسلامه عليه على أذى قومه فقال: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنآ﴾ قال الأصم: آيات موسى عليه الصلاة والسلام وهي العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وفلق البحر، وانفجار العيون من الحجر، وإظلال الجبل، وإنزوال المن والسلوى.

وقال الجبائي آياته: دلائله وكتبه المنزلة عليه، فقال في صفة محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ١] وقال في حق موسى صلوات الله وسلامه عليه ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ٥] والمقصود من بعثة سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام واحد وهو أن يسعو في أخراج الخلق من الضلالات إلى نور الهدايات.

قوله: «أن أخرج» يجوز أن تكون «أن» مصدرية، أي: بأن أخرج والباء في «بآياتنا» للحال، وهذه للتعدية، ويجوز أن تكون مفسرة للرسالة بمعنى أي، ويكون المعنى: أي: أخرج قومك من الظلمات، أي: قلنا له: أخرج قومك كقوله ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا﴾ [ص: ٦] . وقيل: بل هي زائدة، وهو غلط.

قوله: «وذكرهم» يجحوز أن يكون منسوقا على «أخرج» فيكون من التفسير، ويجوز أن لا يكون منسوقا؛ فيكون مستأنفا.

و «أيام: عبارة عن نعمة تعالى؛ كقوله: [الوافر]

٣١٩٣ - وأيام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا

أو نقمه؛ كقوله: [الطويل]

٣١٩٤ - وأيامنا مشهورة في عدونا..... ... ...

ووجهه: أن العرب تتجوز فتسند الحدث إلى الزمان، مجازا أو تضيفه إليها كقولهم: نهار صائم، وليل قائم، و ﴿مكر الليل﴾ [سبأ: ٣٣] .

قال الواحدي:» أيام جمع يوم، واليوم هو مقدار المدة من طلوع الشمس إلى غروبها، وكان في الأصل:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٦٣/١١

أيوام، فاجتمعت الياء، والواو، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الراء ياء، وأدغمت إحداهما في الأخرى فقلبت ياء «.." [١]

"فلما منعوا من تلك المقاعد، ذكروا ذلك لإبليس، فقال: حدث في الأرض حدث، قال: فبعثهم، فوجد رسول الله صلواتالله وسلامه عليه يتلوا القرآن، فقالوا والله حدث.

فإن قيل: ما معنى: ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ والشيطان لا قدرة له على هدم السماء، فإي حاجة إلى حفظ السماء منه؟ قلنا: لما منعمه من القرب منها، فقد حفظ السماء من مقاربة الشيطان، فحفظ الله السماء منهم، كما قد يحفظ منازلنا ممن يخشى منه الفساد.

والرمي في اللغة: الرمي بالحجارة، والرجم أيضا: السب والشتم؛ لأنه رمي بالقول القبيح، والرجم: القول بالظن؛ ومنه قوله تعالى: ﴿رجما بالغيب﴾ [الكهف: ٢٢] ؛ لأنه يرميه بذلك الظن، والرجم أيضا: اللعن، والطرد.

قوله: ﴿إلا من استرق﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدهما في محل نصب على الاستثناء المتصل، والمعنى: فإنها لم تحفظ منه؛ قاله غير واحد.

الثاني: منقطع ومحله النصب أيضا، أي: لكن من استرق السمع. قال الزجاج رحمه الله.

موضع «» من «نصب على التقدير، قال:» وجاز أن يكون في موضع خفض، والتقدير: إلا ممن «.

الثالث: أنه بدلا من» كل شيطان «فيكون محله الجر، قاله الحوفي، وأبو البقاء، وتقدم عن الزجاج، وفيه نظر؛ لأن الكلام موجب.

الرابع: أنه نعت ل» كل شيطان «فيكون محله الجر، على خلاف في هذه المسألة.

الخامس: أنه في محل رفع بالابتداء، وخبره الجملة من قوله تعالى: ﴿فأتبعه﴾ ، وإنما دخلت الفاء؛ لأن» من «إما شرطية، وإما موصولة، مشبهة بالشرطية. قاله أبو البقاء وحينئذ يكون من باب الاستثناء المنقطعه.

والشهاب: الشعلة من النار، وسمي بها الكوكب؛ لشدة ضوئه، وبريقه، وكذلك سمي السنان شهابا، ويجمع على:» شهب «في الكثرة، و» أشهب «في القلة، والشهبة: بياض مختلط بسواد؛ تشبيها بالشهاب؛ لاختلاطه بالدخان، ومنه: كتيبة شهباء لسواد القوم، وبياض الحديد، ومن ثم **غلط** الناس في إطلاقهم الشبهة على البياض الخالص.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١/٣٤٠

وقال القرطبي:» أتبعه «: أدركه ولحقه، شهاب مبين، أي: كوكب مضيء، وكذلك: ﴿بشهاب قبس﴾ [النمل: ٧] أي: شعلة نار في رأس عود، قاله ابن عزيز؛ وقال ذو الرم: [البسيط]." (١)

"واتصل الضميران هنا: لاختلافهما ربتة، ولو فصل ثانيهما، لجاز عند غير سيبويه وهذا كما تقدم في قوله تعالى: ﴿أنلزمكموها﴾ [هود: ٢٨] .

قوله تعالى: ﴿ومآ أنتم له بخازنين﴾ جملة مستأنفة، و «له» متعلق ب «خازنين» ، والمعنى: أن المطر في خزائننا، ولا في خزائنكم. [وقال سفيان: لستم بمانعين] .

قوله تعالى: ﴿وإنا لنحن نحيي ونميت﴾ الآية، هاذ النوع السادس من دلائل التوحيد، وهو الاستدلال بالإحياء، والإماتة على وجود الإله القادر المختار.

قوله: «لنحن» يجوز أن يكون مبتدأ، و «نحيي» خبره، والجملة خبر «إنا» ويجحوز أن يكون تأكيدا ل «إنا» ، ولا يجوز أ، يكون فصلا؛ لأ، هـ لم يقع بين اسمين، وقد تقدم نظيره [الحجر: ٩] .

وقال أبو البقاء: لا يكون فصلا لوجهين:

أحدهما: أن بعده فعلا.

والثاني: أن معه اللام.

قال شهاب الدين رحمه الله: «الوجه الثاني: غلط؛ فشإن لام التوكيد لا يمنع دخولها على الفصل، نص النحاة على ذلك، ومنه قوله ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ [آل عمران: ٦٢] ، جوزوا فيه الفصل مع إقرانه باللام» .

فصل

من العلماء من حمل الأحياء على القدر المشترك بين إحياء النبات والحيوان، ومنهم من قال: وصف النبات بالإحياء مجاز؛ فوجب تخصيصه بإحياء الحيوان، وقوله جل ذكره: ﴿وإنا لنحن نحيي ونميت﴾ يفيد الحصر، أي: لا قدرة على الإحياء والإماتة إلا لنا، «ونحن الوارثون» إذا مات جميع الخلائق، فحينئذ يزول الملك كل أحد، ويكون الله سبحانه هو الباقي المالك لكل المملوكات، وحده لا شريك له، فكان شبيها بالإرث.

قوله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما المستقدمين: الأموات، والمستأخرين: الأحياء.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٣٩/١١

وقال الشعبي رضي الله عنه: الأولين، والآخرين.

وقال عكرمة: المستقدمون: من خلق الله، والمستأخرون: من لم يخلق.." [١]

"جوفه، اشتهى الطعام؛ فوثب قبل أن تبلغ الورح رجليه؛ عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء: ٣٧] .

قوله تعالى: ﴿من صلصال﴾ ، «من» : لابتداء الغاية، أو للتبعيضن، والصلصال: قال أبو عبيده هو الطين المختلط بالرمل، ثم يجف؛ فسمع له صلصلة، أي: تصويت، قال: والصلصلة: الصوت؛ وأنشدوا: [الكامل]

٣٢٧٥ - شربت أساوي القطاة من الكدر ... وسرت فترمي أحياؤها بصلاصل

أراد: صوت أجنحة أفراخها، حين تطير، أو أصوات أفراخها.

وقال الزمخشري: «الطين اليابس الذي يصلصل من غير طبخ، فإذا طبخ، فهو فخار» .

وقال أبو الهيثم: «هو صوت اللجام، وما أشبهه؛ كالقعقعة في الثوب» .

وقال الزمخشري أيضا: قالوا: إذا توهمت في صوته مدا، فهو صليل، وإن توهمت فيه خفاء، فهو صلصلة، وقيل: هو من تضعيف «صل» ، إذا أنتن أنتهى.

و «صلصال» هنا، بمعنى مصلصل؛ كزلزال، بمعنى مزلزل، ويكون «فعلال» أيضا مصدرا، ويجوز كسره أيضا، وفي هذا النوع، أي: ما تكررت فاؤه، وعينه خلاف.

فقيل: وزنه: فعفع؛ كررت الفاء والعين، ولا لام للكلمة؛ قاله الفراء، وغيره. وهو غلط؛ لأن أقل الأصول ثلاثة: فاء، وعين، ولام.

والثاني: أن وزنه «فعفل:؛ وهو قول الفراء.

الثالث: أنه» فعل «بتشديد العين، وأسله» صلل «فلما اجتمع ثلاثة أميال، أبدل الثاني من مجنس فاء الكلمة، وهومذهب كوفي، خص بعضهم هذا لخلاف بما إذا لم يختل المعنى، بسقوط الثالث، نحو» لملم «و» كبكب «فإنك تقول فيهما:» لم «، و» كب «، فول لم يصح المعنى بسقوطه؛ نحو: سمسم» ، قال: فلا خلاف في أصالة الجميع.

قوله تعالى: ﴿من حمإ مسنون﴾ فيه وجهان:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٨٤/١١

أحدهما أنه في محل جر صفة ل «صلصال» ؛ فيتعلق بمحذوف.

والثاني: أ، ه بدل من «صلصال» بإعادة الجار. والحمأ: الطين الأسود المنتن.." [١]

"قال الليث رحمه الله: واحده «حمأة» بتحريك العين جمعله اسم جنس؛ وقد **غلط** في ذلك؛ فإن أهل اللغة قالوا: لا يقال إلا «حمأة» [بالإسكان] ، ولا يعرف التحريك؛ نص عليه أبو عبيدة، وجماعة؛ وأنشدوا لأبي الأسود: [الوافر]

٣٢٧٦ – تجيء بملئها طورا وطورا ... تجيء بحمأة وقليل ماء

فلا يكون «الحمأة» واحدة «الحمأ» ؛ لاختلاف الوزنين.

والمسنون: المصبوب؛ من قولهم: سننت الشراب، كأنه لرطبته جعل مصبوبا، كغيره من المائعات، فكأن المعنى: أفرغ صورة إنسان، كما تفرغ الجواهر المذابة.

قال الزمخشري: وحق «مسنون» بمعنى مصور: أن يكون صفة ل «صلصال» ؛ كأنه أفرغ الحمأ، فصور منه تمثال شخص. يعني أنه يصير التقدير: من صلصال مصور، ولكن يلزم تقديم الوصف المؤول على الصريح؛ إذا جعلنا: «من حمأ» صفة ل «صلصال» ، أما إذا جعلناه بدلا منه؛ فلا.

وقيل: مسنون: مصور من سنة الوجه، وهي صورته؛ قال الشاعر: [البسيط]

٣٢٧٧ - تريك سنة وجه غير مقرفة..... ... ...

وقال الزمخشري: والمسنون: المحكوك، مأخوذ من سننت الحجر، إذا حككته به، فالذي يسيل بينهما سنن ولا يكون إلا منتنا.

ومنه يسمى المسن مسنا؛ لأن الحديد يحك عليه.

وقيل: المسنون: المنسوب إليه، والمعنى ينسب إليه ذريته، وكأن هذا القائد أخذه من الواقع، وقيل: هو من أسن الماء إذا تغير، وهذا غلط؛ لاختلاف المادتين.

روي أن الله تعالى خمر طينة آدم، وتركه حتى صار متغيرا أسود، ثم خلق منه آدم صلوات الله وسلامه عليه.

قوله: ﴿والجآن خلقناه﴾ منصوب على الاشتغال، ورجح نصبه؛ لعطف جملة على جملة فعلية.." [٢]

"على قدرها، وكانت تغزل الغزل من الصوف أو الشعر والوبر هي وجواربها، فكن يغزلن إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار، أمرتهن بنقض جميع ما غزلن، فكان هذا دأبها.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٥٢/١١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٥٣/١١

والمعنى: أنها لم تكل عن العمل، ولا حين عملت كفت عن النقض، فكذلك أنتم إذا نقضتم العهد لا كفيتم عن العهد، ولا حين [عهدتم] وفيتم به.

وقيل: المراد بالمثل: الوصف دو التعيين؛ لأن القصد بالأمثال صرف المكلف عن الفعل إذا كان قبيحا، والدعاء إليه إذا كان حسنا، وذلك يتم دون التعيين.

قوله تعالى: «أنكاثا» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه حال من «غزلها» ، والأنكاث: جمع نكث بمعنى منكوث، أي: منقوض.

والثاني: أنه مفعول ثان لتضمين «نقضت» معنى صيرت؛ كما تقول: فرقته أجزاء.

وجوز الزجاج فيه وجها ثالثا، وهو النصب على المصدرية؛ لأن معنى نكثت: نقضت، ومعنى نقضت: نكثت؛ فهو ملاق لعامله في المعنى.

قيل: وهذا **غلط** منه؛ لأن الأنكاث جمع نكث، وهو اسم لا مصدر، فكيف يكون قوله: «أنكاثا» بمعنى المصدر؟ .

والأنكاث: الأنقاض، واحدها نكث؛ وهو ما نقض بعد الفتل غزلا كان أو حبلا.

فصل

قال ابن قتيبة: هذه الآية متصلة بما قبلها، والتقدير: وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، فإنكم إن فعلتم ذلك، كنتم مثل امرأة غزلت غزلا وأحكمته، فلما استحكم، نقضته فجعلته أنكاثا.

قوله تعالى: ﴿تتخذون﴾ يجوز أن يكون الجملة حالا من واو «تكونوا» ، أو من الضمير المستتر في الجار؛ إذ المعنى: تكونوا مشبهين كذا حال كونكم متخذين، وهذا استفهام على سبيل الإنكار.

قوله: «دخلا بينكم» هو المفعول الثاني ل «تتخذون» ، والدخل: الفساد والدغل.

وقيل: «دخلا» مفعول من أجله، وقيل: الدخل: الداخل في الشيء ليس منه.

قال الواحدي – رحمه الله تعالى –: «الدخل والدغل: الغش والخيانة» .

وقيل: الدخل: ما أدخل في الشيء على فساد، وقيل: الدخل والدغل: أن يظهر الوفاء به ويبطن الغدر والنقض.." (١)

"قوله «من لدنك» يجوز أن يتعلق ب «هب» ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «وليا» لأنه في الأصل صفة للنكرة، فقدم عليها.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤٩/١٢

﴿يرثني ويرث﴾ : قرأ أبو عمرو، والكسائي بجزم الفعلين على أنهما جواب للأمر؛ إذ تقديره: إن يهب، والباقون برفعهما؛ على انهما صفة ل «وليا» .

وقرأ علي – رضي الله عنه – وابن عباس، والحسن، ويحيى بن يعمر، والجحدري، وقتادة في آخرين: «يرثني» بياء الغيبة، والرفع، وأرث مسندا لضمير المتكلم.

فصل فيما قرئ به من قوله: ﴿يرثني ويرث﴾

قال صاحب «اللوامح» : «في الكلام تقديم وتأخير؛ يرث نبوتي، إن من قبله وأرث ماله، إن مات قبلي» . ونقل هذا عن الحسن.

وقرأ علي أيضا، وابن عباس، والجحدري «يرثني وارث» جعلوه اسم فاعل، أي: يرثني به وارث، ويسمى هذا «التجريد» في علم البيان.

وقرأ مجاهد «أويرث» وهو تصغير «وارث» والأصل: «وويرث» بواوين، وجب قلب أولاهما همزة؛ لاجتماعهما متحركين أول كلمة، ونحو «أويصل» تصغير «واصل» والواو الثانية بدل عن ألف «فاعل» و «أويرث» مصروف؛ لا يقال: ينبغي أن يكون غير مصروف؛ لأن فيه علتين: الوصفية، ووزن الفعل، فإنه بزنة «أبيطر» مضارع «بيطر» وهذا مما يكون الاسم فيه منصرفا في التكبير ممتنعا في التصغير، لا يقال ذلك لأنه غلط بين؛ لأن «أويرثا» وزنه فويعل، لا أفيعل؛ بخلاف «أحيمر» تصغير «أحمر» .

وقرأ الزهري: «وارث» بكسر الواو، ويعنون بها الإمالة.

قوله: «رضيا» مفعول ثان، وهو فعيل بمعنى فاعل، وأصله «رضيو» لأنه من الرضوان.

فصل

معنى قوله: ﴿فهب لي من لدنك وليا﴾ أعطني من أبناء.

واعلم أن زكريا – عليه السلام – قدم السؤال؛ لأمور ثلاثة:

الأول: كونه ضعيفا.." (١)

"تعاونوا قال شهاب الدين: وفي هذه العبارة المنسوبة للمبرد قلق، ولا بين الناقل عنه وجه الرفع عن ماذا يكون، وبينه أبو البقاء، لكن جعل «أيهم» فاعلا لما تضمنه «شيعة» «من معنى الفعل، قال: التقدير: لننزعن من كل» فريق يشيع أيهم. وهي على هذا بمعنى «الذي» ونقل الكوفيون أن «أيهم» في الآية بمعنى الشرط، والتقدير: إن اشتد عتوهم أو لم يشتد، كما تقول: ضرب القوم أيهم غضب.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣/١٠

المعنى: إن غضبوا أو لم يغضبوا. وقرأ طلحة بن مصرف «ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء، وزائدة» عن الأعمش «أيهم» نصبا.

فعلى هذه القراءة والتي قبلها ينبغي أن يكون مذهب سيبويه جواز إعرابها وبنائها، وهو المشهور عند النقلة عنه، «وقد نقل عنه» أنه يحتم بناءها.

قال النحاس: ما علمت أحدا من النحويين إلا وقد خطأ سيبويه، «قال: وسمعت أبا إسحاق الزجاج يقول: ما يبين لي أن سيبويه» **غلط** في كتابه إلا في موضعين هذا أحدهما. قال: وقد أعرب سيبويه «أيا» وهي مفردة، لأنها تضاف فكيف يبينها مضافة. وقال الجرمي: خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكة أحدا يقول: لأضربن أيهم قائم، بالضم بل ينصب.." (١)

"الثالث: أنه أفعل من الإيتاء، كذا توهم وهو غلط. قال ابن عطية: ولو كان آتينا: أعطينا لما تعدت بحرف جر، ويوهن هذه لقراءة أن إبدال الواو المفتوحة همزة ليس بمعروف، وإنما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة يعني: أنه كان من حق هذا القارئ أن يقرأ «وأتينا» مثل وأعطينا، لأنها من المواتاة على الصحيح، فأبدل هذا القارئ الواو المفتوحة همزة وهو قليل ومنه أحد وأناة.

قال أبو البقاء: ويقرأ بالمد بمعنى جازينا بها، فهو يقرب من معنى أعطينا، لأن الجزاء إعطاء، وليس منقولا من أتينا، لأن ذلك لم ينقل عنهم.

وقرأ حميد «أثبنا» من الثواب، والضمير في «بها» عائد على المثقال وأنث ضميره لإضافته لمؤنث، فهو كقوله:

٣٧٢٣ – كما شرقت صدر القناة من الدم ... في اكتسابه التأنيث بالإضافة.

فصل

زعم الجبائي أن من استحق مائة جزء من العقاب فأتى بطاعة يستحق بها خمسين جزءا من الثواب فهذا الأقل ينحبط بالأكثر، فيبقى الأكثر كما كان.

وهذه الآية تبطل قوله، لأن الله تعالى تمدح بأن اليسير من الطاعة لا يسقط ولو كان الأمر كما قال الجبائي لسقطت الطاعة من غير فائدة. فإن قيل: الحبة أعظم من الخردلة فكيف قال: «حبة من خردل» ؟ فالوجه فيه أن تفرض الخردلة كالدينار ثم تعتبر الحبة من ذلك الدينار. والغرض المبالغة في أن شيئا من الأعمال

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٤/١٣

صغيرا كان أو كبيرا غير ضائع عند الله. ثم قال: ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ .

قال السدي: محصين. والحسب: معناه العد. قال ابن عباس: عالمين." (١)

"هو غلط، لأن «أن» نافية لا عمل لها. ونقل أبو البقاء عن غيره أنه قال في تخريجها: أنه ألقي حركة الهمزة على الياء فتحركت، وبقيت الهمزة ساكنة، فأبدلت ألفا لانفتاح ما قبلها، ثم أبدلت همزة متحركة، لأنها في حكم المبتدأ بها، والابتداء بالساكن محال. وهذا تخريج متكلف لا حاجة إليه، ونسبة راويها عن ابن عباس إلى الغلط أولى من هذا التكلف فإنها قراءة شاذة، وهذا التخريج وإن وقع في الأولى فلا يجري في الثانية شيئا. وسيأتي قريب من ادعاء قلب الهمزة ألفا ثم قلب الألف همزة في قوله: «منسأته» – إن شاء الله –، وبذلك يسهل الخطب في التخريج المذكور والجملة الاستفهامية في محل نصب ب «أدري» ، لأنها معلقة لها عن العملأ، وأخر المستفهم عنه لكونه فاصلة، ولو وسط لكان التركيب: أقريب ما توعدون أم بعيد، ولكنه أخر مراعاة لرؤوس الآي. و «ما توعدون» يجوز أن يكون مبتدأ وما قبله خبر عنه ومعطوف عليه، وجوز أبو البقاء فيه أن يرتفع فاعلا ب «قريب» قال: لأنه اعتمد على الهمزة. قال: ويخرج على قول البصريين أن يرتفع ب «بعيد» لأنه أقرب إليه. يعني أنه يجوز أن تكون المسألة من التنازع فإن كلا من الوصفين يصح تسلطه على «ما توعدون» من حيث المعنى.

فصل

المعنى: وما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون، يعني: القيامة أو من عذاب الدنيا.

وقيل: الذي آذنهم به من الحرب لا يعلم هو قريب أم بعيد لئلا يقدر أن يتأخر، وذلك أن السورة مكية، وكان الأمر بالجهاد بعد الهجرة. وقيل: ما يوعدون من غلبة المسلمين عليهم.

قوله: ﴿إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون﴾ والمقصود منه الأمر بالإخلاص وترك النفاق. و «من القول» حال من الجهر. قوله: «لعله فتنة» الظاهر أن هذه الجملة." (٢)

"ههنا يعني أنه في المعنى يؤول إلى ذلك ولا يؤول إليه البتة.

الثالث: أنها للتبعيض. وقد غلط ابن عطية القائل بكونها للتبعيض فقال: ومن قال إن «من» للتبعيض قلب معنى الآية فأفسده. وقد يمكن التبعيض فيها بأن معنى الرجس عبادة الأوثان، وبه قال ابن عباس وابن جريج فكأنه قال: فاجتنبوا من الأوثان الرجس وهو العبادة لأن المحرم من الأوثان إنما هو العبادة، ألا ترى أنه قد

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥١٤/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦٢٦/١٣

يتصور استعمال الوثن في بناء وغيره مما لم يحرم الشرع استعماله، فللوثن جهات منها عبادتها وهي بعض جهاتها. قاله أبو حيان. والأوثان جمع وثن، والوثن يطلق على ما صور من نحاس وحديد وخشب ويطلق أيضا على الصليب، قال عليه السلام لعدي بن حاتم وقد رأى في عنقه صليبا: «ألق هذا الوثن عنك» وقال الأعشى:

٣٧٦٣ - يطوف العفاة بأبوابه ... كطوف النصارى ببيت الوثن

واشتقاقه من وثن الشيء، أي أقام بمكانه وثبت فهو واثن، وأنشد لرؤبة:

٣٧٦٤ - على أخلاء الصفاء الوثن ... أي: المقيمين على العهد، وقد تقدم الفرق بين الوثن والصنم.

فصل

قال المفسرون: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ أي؛ عبادتها، أي كونوا على جانب منها فإنها رجس، أي سبب رجس وهو العذاب، والرجس بمعنى الرجز.." (١)

"وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٣] فلما لم يأت بهذا المندوب فهو نوع إساءة فكأنه تعالى قال: إني عفوت عن هذه الإساءة وغفرتها. وقيل: إنه تعالى وإن ضمن له النصر على الباغي لكنه عرض مع ذلك بما هو أولى وهو العفو والمغفرة، فلوح بذكر هاتين الصفتين.

وفيه وجه آخر وهو أنه تعالى دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده.

قوله: ﴿ذلك بأن الله يولج الليل في النهار﴾ وفيه وجهان:

الأول: أي: ذلك النصر بسبب أنه قادر، ومن قدرته كونه خالقا لليل والنهار ومتصرفا فيهما، فوجب أن يكون قادرا عالما بما يجري فيهما، وإذا كان كذلك كان قادرا على النصر.

الثاني: المراد أنه مع ذلك النصر ينعم في الدنيا بما يفعله من تعاقب الليل والنهار وولوج أحدهما في الآخر. ومعنى إيلاج أحدهما في الآخر أنه يحصل ظلمة هذا في ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذلك في ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده.

وقيل هو أن يزيد في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات. و «ذلك» مبتدأ و «بأن الله» خبره، ثم قال: ﴿وأن الله سميع بصير﴾ أي: أنه كما يقدر على ما لا يقدر عليه غيره، فكذلك يدرك المسموع والمبصر، ولا يجوز المنع عليه، وذلك كالتحذير من الإقدام على ما لا يجوز في المسموع والمبصر.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨١/١٤

قوله: ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ الآية. قرأ العامة «وأن ما» عطفا على الأول. والحسن بكسرها استئنافا.

وقوله: «هو الحق» يجوز أن يكون فصلا ومبتدأ.

وجوز أبو البقاء أن يكون توكيدا. وهو **غلط** لأن المضمر لا يؤكد المظهر، ولكان صيغة النصب أولى به من الرفع فيقال: إياه، لأن المتبوع منصوب. وقرأ الأخوان." (١)

"وعبد الله بن مسلم بالتنوين في العدد، واستفصح الناس هذه القراءة حتى تجاوز بعضهم الحد كابن جني ففضلها على قراءة العامة، قال: لأن المعدود متى كان صفة فالأجود الإتباع دون الإضافة، تقول: «عندي ثلاثة ضاربون» ، ويضعف «ثلاثة ضاربين» وهذا غلط، لأن الصفة التي جرت مجرى الأسماء تعطى حكمها، فيضاف إليها العدد، و «شهداء» من ذلك، فإنه كثر حذف موصوفه، قال تعالى: ﴿من كل أمة بشهيد﴾ [النساء: ٤١] . و «استشهدوا شهيدين» ، وتقول: عندي ثلاثة أعبد، وكل ذلك صفة في الأصل.

ونقل ابن عطية عن سيبويه أنه لا يجيز تنوين العدد إلا في شعر.

وليس كما نقله عنه، إنما قال سيبويه ذلك في الأسماء نحو «ثلاثة رجال» وأما الصفات ففيها التفصيل المتقدم.

وفي «شهداء» على هذه القراءة ثلاثة أوجه:." (٢)

"وزعم بعضهم أن سيبويه لما سأله: هل يحفظ شيئا في إعمال «فعل» ؟ صنع له هذا البيت، فعيب على سيبويه: كيف يأخذ الشواهد الموضوعة؟

وهذا غلط، فإن هذا الشخص قد أقر على نفسه بالكذب، فلا يقدح قوله في سيبويه. والذي ادعى انه صنع البيت هو الأخفش. و «حذر» يتعدى بنفسه، قال تعالى: ﴿يحذر الآخرة﴾ [الزمر: ٩] ، وقال العباس بن مرداس:

٣٩٠٦ - ... - وإني حاذر أنمي سلاحي

إلى أوصالش ذيال منيع ... وقرأ ابن السميفع وابن أبي عمار: «حادرون» بالدال المهملة من قولهم عين حدرة، أي: عظيمة، كقولهم:

٣٩٠٧ - وعين لها حدرة بدرة ... والمعنى: عظيما. وقيل: الحادر: القوي الممتلىء، وحكي: رجل حادر،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤/١٣٤

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤/٢٩٠

أي: ممتليء غيظا، ورجل حادر، أي: أحمق، كأنه ممتلىء من الحمق قال:

٣٩٠٨ - أحب الغلام السوء من أجل أمه ... وأبغضه من بغضها وهو حادر

ويقال أيضا رجل [حدر بزنة يقظ مبالغة في (حادر) من هذا المعنى، فصار يقال] حذر وحذر وحاذر بالذال المعجمة والمهملة والمعنى مختلف.." [١]

"فألقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنت عن ألف الوصل، لأن اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا إلا الخفض، كما تقول: «مررت بالأحمر» على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول: «بلحمر» ، فإن شئت كتبته في الخط على كتبته أولا، وإن شئت كتبته بالحذف، ولم يجر إلا الخف، فلذلك لا يجوز في «الأيكة» إلا الخفض، قال سيبويه: واعلم أن كل ما لم ينصرف إذا دخلته الألف واللام أو أضفته (انصرف) .

ولا نعلم أحدا خالف سيبويه في هذا وقال المبرد في كتاب الخط: كتبوا في بعض المواضع: «كذب أصحاب ليكة﴾ بغير ألف، لأن الألف تذهب في الوصل، ولذلك **غلط** القارىء بالفتح فتوهم أن» ليكة «اسم شيء، وأن اللام أصل فقرأ:» أصحاب ليكة «.؟

وقال الفراء: نرى - والله أعلم - أنها كتبت في هذين الموضعين بترك الهمز، فسقطت الألف لتحريك اللام. قال مكي: تعقب ابن قتيبة على أبي عبيدة فاختار» الأيكة «بالألف والهمزة والخفض، وقال: إنما كتبت بغير ألف على تخفيف الهمزة، قال: وقد أجمع الناس على ذلك، يعني: في» الحجر «و» ق «فوجب أن يلحق ما في» الشعراء «و» ص «بما أجمعوا عليه، فما أجمعوا عليه شاهد لما اختلفوا فيه. وقال أبو إسحاق: القراءة بجر ليكة وأنت تريد» الأيكة «أجود من أن تجعلها» ليكه «وتفتحها؛ لأنها لا تتصرف لأن» ليكة «لا تعرف، وإنما هي» أيكة «للواحد،." [٢]

"قوله: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ . العامة على الياء ورفع النون، وهو جمع تكسير.

وقرأ الحسن البصري وابن السميفع والأعمش بالواو مكان الياء والنون مفتوحة، إجراء له مجرى جمع السلامة وهذه القراءة (قد ردها) جمع كثير من النحويين.

قال الفراء: **غلط** الشيخ، ظن أنها النون التي على هجائين. فقال النضر بن شميل: إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه - يعني: محمد بن السميفع - مع أنا نعلم أنهما

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٣١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٧٢

لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه. وقال النحاس: هو غلط عند جميع النحويين.

وقال المهدوي: هو غير جائز في العربية. وقال أبو حاتم: هي **غلط** منه أو عليه. وقد أثبت هذه القراءة جماعة من أهل العلم ودفعوا عنها الغلط، فإن القارىء بها من العلم بمكان مكين. وأجابوا عنها بأجوبة صالحة.

فقال النضر بن شميل: قال يونس بن حبيب: سمعت أعرابيا يقول: دخلت بساتين من ورائها بساتون. فقلت: ما أشبه هذا بقراءة الحسن.

وخرجها بعضهم على أنها جمع (شياط) بالتشديد، مثال مبالغة. مثل: (ضراب وقتال) على أن يكون مشتقا من: شاط يشيط، أي: أحرق، ثم جمع جمع سلامة مع تخفيف الياء، فوزنه: (فعالون) مخففا من (فعالين) بتشديد العين.

ويدل على ذلك أنهما وغيرهما قرءوا بذلك، أعني: بتشديد الياء، وهذا منقول عن مؤرج السدوسي. ووجهها آخرون بأن (آخره لما) كان يشبه يبرين، وفلسطين، أجري إعرابه تارة على النون، وتارة بالحرف، كما قالوا: هذه يبرين وفلسطين ويبرون وفلسطون، وتقدم القول في ذلك في البقرة. والهاء في «به» تعود على." (١)

"ويجوز أن يعود على ﴿كل أفاك أثيم﴾ من حيث إنه جمع في المعنىن فتكون الجملة إما مستأنفة، وأما صفة ل «كل أفاك» . ومعنى الإلقاء ما تقدم.

وقال أبو حيان: حال عود الضمير على «الشياطين» ، وبعد ما ذكر المعنيين المتقدمين في إلقاء السمع قال: فعلى معنى الإنصات يكون «يلقون» استئناف إخبار، وعلى إلقاء المسموع إلى الكهنة يحتمل الاستئناف، واحتمل الحال من «الشياطين» أي: تنزل على كل أفاك أثيم ملقين ما سمعوا. انتهى.

وفي تخصيصه الاستئناف بالمعنى الأول وتجويزه الوجهين في المعنى الثاني نظر، لأن جواز الوجهين جار في المعنيين فيحتاج في ذلك إلى دليل، فإن قيل: كيف قال: «وأكثرهم كاذبون» بعد ما حكم عليهم أن كل واحد منهم أفاك؟

فالجواب: أن الأفاكين هم الذين يكثرون الكذب، لا أنهم الذين لا ينطقون إلا بالكذب، فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني، وأكثرهم يفتري عليه.

قوله

تعالى

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٩١

: ﴿والشعرآء يتبعهم الغاوون﴾ . قد تقدم أن نافعا بتخفيف التاء ساكنة وفتح الباء في سورة الأعراف عند قوله: «لا يتبعوكم» والفرق بين المخفف والمثقل. وسكن الحسن العين، ورويت عن أبي عمرو، وليست ببعيدة عنه ك «ينصركم» وبابه وروى هارون عن بعضهم نصب العين، وهي غلط." (١)

"الجمع – لأنه قال: ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس﴾ [النمل: ٢٤] والمعنى: فألقه إلى الذين هذا دينهم.

قوله: ﴿ثم تول عنهم﴾ ، زعم أبو علي وغيره أن في الكلام تقديما، وأن الأصل: فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم. ولا حاجة إلى هذا، لأن المعنى بدونه صحيح، أي: قف قريبا منهم لتنظر ماذا يكون.

قوله: «ماذا يرجعون» إن جعلنا (انظر) بمعنى: تأمل وتفكر كانت «ما» استفهامية، وفيها حينئذ وجهان:

أحدهما: أن يجعل مع «ذا» بمنزلة اسم واحد، وتكون مفعولة ب «يرجعون» تقديره: أي شيء ترجعون.

والثاني: أن يجعل «ما» مبتدأ، و «ذا» بمعنى الذي، و «يرجعون» صلتها، وعائدها محذوف تقديره: أي شيء الذي يرجعونه، وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة ل «انظر» فمحلها النصب على إقاط الخافض أي: انظر في كذا وفكر فيه وإن جعلناه بمعنى انتظر من قوله ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ [الحديد: ١٣] كانت «ماذا» بمعنى الذي، (و «يرجعون» صلتها وعائدها محذوف) ، والعائد مقدر كما تقرر وهذا الموصول مفعول به، أي: انتظر الذي يرجعون. قال أبو حيان: و «ماذا» إن كان معنى «فانظر» معنى التأمل بالفكر كان انظر معلقا، و «ماذا» إما أن يكون كلمة استفهام في موضع نصب، وإما أن يكون «ما» استفهاما، و «ذا» موصولة بمعنى الذي، فعلى الأول يكون «يرجعون» خبرا عن «ماذا» ، وعلى الثاني يكون «ذا» هو الخبر، و «يرجعون» صلة انتهى.

وهذا **غلط** إما من الكاتب، وإما من غيره؛ وذلك أن قوله: «فعلى الأول» يعني به أن «ماذا» كلمة استفهام في موضع نصب يمنع قوله: «يرجعون» خبرا عن «ماذا» ، كيف يكون خبرا عنه وهو منصوب به كما تقرر، وقد صرح هو بأنه منصوب يعني." (٢)

"كثير – في رواية – وأهل مكة بتخفيف الدال وفيها وجهان:

أحدهما: أنها من الاعتداد وإنما كرهوا تضعيفه فخففوه؛ قاله الرازي، قال: ولو كان من الاعتداء الذي هو الظلم لضعف، لأن الاعتداء يتعدى «بعلى» . قيل: ويجوز أن يكون من الاعتداء وحذف حرف الجر أي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٩٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/١٥١

تعتدون عليها أي على العدة مجازا، ثم تعتدونها كقوله:

٤٠٩٨ - تحن فتبدي ما بها من صبابة ... وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

أي لقضى علي، وقال الزمخشري: وقرىء تعتدونها مخففا أي تعتدون فيها كقوله:

٤٠٩٩ - ويوم شهدناه سليمى وعامرا ... قليل سوى الطعن النهال نوافله

وقيل: معنى تعتدونها أي تعتدون عليهن فيها، وقد أنكر ابن عطية القراءة عن ابن كثير وقال: **غلط** ابن أبي بزة عنه، وليس كما قال.

والثاني: أنها من العدوان (والاعتداء) وقد تقدم شرحه، واعتراض أبي الفضل عليه بأنه كان ينبغي أن يتعدى «بعلى» وتقدم جوابه، وقرأ الحسن «تعتدونها» - بسكون العين وتشديد الدال - وهو جمع بين ساكنين على (غير) حديهما.." [١]

"فصل

قال ابن عباس ووهب وغيرهما: كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم، فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسكت ما بين الجبلين بالصخور وجعلت له أبوابا على عدة أنهار هم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا سدوا فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى يفتح فجرى ماؤه في البركة فكانوا يسقون من بالباب الأعلى (ثم) من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقتسمه بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جنانهم وخرب أرضهم.

قوله: ﴿بجنتيهم جنتين﴾ قد تقدم في البقرة أن المجرور بالباء هو الخارج، والمنصوب هو الداخل؛ ولهذا **غلط** من قال من الفقهاء: فلو أبدل ضادا بظاء بطلت صلاته بل الصواب أن يقول: ظاء بضاد.

قوله: ﴿أكل خمط﴾ قرأ أبو عمرو بإضافة «أكل» إلى «خمط» والباقاون بتنوينه غير مضاف، وقد تقدم في البقرة أن ابن عامر، وأبا عمرو والكوفيين يضمون كاف «أكل» غير المضاف لضمير المؤنثة وأن نافعا وابن كثير يسكنونها بتفصيل هناك تقدم تحريره فيكون القراء هنا على ثلاث مراتب، الأولى لأبي عمرو أكل خمط بضم كاف أكل مضافا «لخمط» .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٦٦/١٥

الثانية: لنافع وابن كثير بتسكين كافة وتنوينه.

الثالثة: للباقين ضم كافة وتنوينه فمن أضاف جعل الأكل بمعنى الجنى والثمر.." (١)

"فيكون مصدرا مضافا لمرفوعه، وإما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به فيكون مضافا لمنصوبه وهذا أحسن من قول من قال: إن الإضافة بمعنى «في» أي في الليل، لأن ذلك لم يثبت في (غير) محل النزاع، وقيل: مكر الليل والنهار طول السلامة وطول الأمل فيهما كقوله تعالى: ﴿فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ [الحديد: ١٦] وقرأ العامة مكر بتخفيف الراء ساكن الكاف مضافا لما بعد، وابن يعمر وقتادة بتنوين: «مكر» وانتصاب الليل والنهار ظرفين. وقرآ أيضا وسعيد بن جبير وأبو رزين بفتح الكاف وتشديد الراء مضافا لما بعده أي كرور الليل والنهار، واختلافهما، من كر يكر إذا جاء وذهب، وقرأ ابن جبير أيضا وطلحة وراشد القاري - وهو الذي كان يصحح المصاحف أيام الحجاج بأمره - كذلك إلا أنه ينصب الراء وفيها أوجه:

أظهرها: ما قاله الزمخشري وهو الانتصاب على المصدر قال: «بل تكرون الإغواء مكرا دائما لا تفترون عنه» .

ا لثاني: النصب على الظرف بإضمار فعل اي بل صددتمونا مكر الليل والنهار أي دائما.

الثالث: أنه منصوب «بتأمروننا» قاله أبو الفضل الرازي وهو غلط؛ لأن ما بعد المضاف لا يعمل فيما قبله إلا في مسألة وهي «غير» إذا كانت بمعنى «لا» كقوله:." (٢)

"قوله:» أو لم نعمركم « (أي فيقول لهم توبيخا: أو لم نعمركم أي عمرناكم مقدارا يمكن التذكر فيه.

قوله: ﴿ما يتذكر﴾ جوزوا في» ما «هذه وجهين:

أحدهما: ولم يحك أبو حيان غيره -: أنها مصدرية طرفية قال: أي مدة تذكر، وهذه **غلط** لأن الضمير (في) يمنع ذلك لعوده على» ما «ولم يقل باسمية ما المصدرية إلا الأخفش وابن السراج.

والثاني: أنها نكرة موصوفة أي تعمرا يتذكر فيه أو زمانا يتذكر فيه. وقرأ الأعمش ما يذكر بالإدغام من «اذكر» قال أبو حيان: بالإدغام واجتلاب همزة الوصل ملفوظا بها في الدرج وهذا غريب حيث أثبت همزة الوصل مع الاستغناء عنها إلا أن يكون حافظ على سكون «من» وبيان ما بعدها.

فصل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٤/١٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧٠/١٦

معنى قوله: ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ قيل: هو البلوغ. وقال قتادة وعطاء والكلبي: ثماني عشرة سنة وقال الحسن: أربعون سنة. وقال ابن عباس: ستون سنة. روي ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم. قال – عليه (الصلاة و) السلام –: «أعذر الله إلى آدم امرىء أخر أجله حتى بلغ ستين سنة» وقال عليه (الصلاة و) السلام –: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك» .

قوله: ﴿وجآءكم﴾ عطف على «أو لم نعمركم» ؛ لأنه في معنى قد عمرناكم." (١)

"هذه في الأنعام وقال ابن عطية هنا: «أرأيتم» ينزل عند سيبويه منزلة أخبروني ولذلك لا يحتاج إلى مفعولين. وهو **غلط** بل يحتاج كما تقدم تقريره. وجعل الزمخشري الجملة من قوله «أروني» بدلا من قوله: «أرأيتم» قال: لأن المعنى أرأيتم أخبروني ورده أبو حيان بأن البدل إذا دخلت عليه أداة الاستفهام (لا) يلزم إعادتها في المبدل ولم تعد هنا وأيضا فإبدال جملة من جملة لم يعهد في لسانهم قال شهاب الدين: والجواب عن الأول أن الاستفهام فيه غير مراد قطعا فلم تعد أداته، وأما قوله: لم يوجد في لسانهم فقد وجد ومنه:

٤١٦٣ – متى تأتنا تلمم بنا ... .

(و) :

٤٤١٦ – إن علي الله أن تبايعا ... تؤخذ كرها وتجيب طائعا

وقد نص النحويون على أنه متى كانت الجملة في معنى الأول ومبينة لها أبدلت منها.

فصل

هذه الآية تقرير للتوحيد وإبطال للإشراك والمعنى جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني الأصنام «أروني» أخبروني «ماذا خلقوا من الأرض» فقال: «شركاءكم» فأضافهم إليهم." (٢)

"بفتحها وليست إلا **غلط** (على عاصم) ، إذ لا وجه (لها) وقد وقع لابن عطية وهم فاحش في ذلك فقال: وقرأ الجمهور بفتح النون وقال أبو حاتم: هذا خطأ فلا يجوز لأنه أمر فإما حذف النون وإما كسرها على جهة الياء عين ياء المتكلم، وقد يكون قوله:» الجمهور «سبق قلم منه أو من النساخ وكان الأصل: وقرأ غير الجمهور فسقط لفظة» غيره « (و) قال ابن عطية حذف من الكلام ما تواترت الأخبار والروايات

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤٨/١٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥١/١٦

به وهو أنهم قتلوه فقيل له عند موته: ادخل الجنة بعد القتل وقيل: قوله: (قيل) ادخل الجنة عطف على قوله: ﴿آمنت بربكم﴾ فعلى الأول يكون قوله: ﴿ياليت قومي يعلمون﴾ بعد موته والله أخبر بقوله، وعلى الثاني قال ذلك في حياته وكان يسمع الرسل يقولون إنه من الداخلين الجنة وصدقهم وقعطع به.

قوله: (قال) يا ليت قومي يعلمون «كما علمت فيؤمنون كما آمنت وقال الحسن خرقوا خرقا في حلقه وعلقوه في سرو المدينة وقره بأنطاكية فـأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق، فذلك قوله عز وجل:» قيل ادخل الجنة «فلما أقضى إلى الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي أي بغرانربي لي وجعلين من المكرمين. قوله: ﴿بما غفر لي﴾ يجوز في (ما) هذه ثلاثة أوجه: المصدرية كما تقدم والثاني: أنها بمعنى الذي والعائد محذوف أي بالذي غفره لي ربي واستضعف هذا من حيث إنه يبقى معناه أنه تمنى أن يعمل قومه بذنبوه المغفورة. ولي المعنى على ذلك إنما المعنى على تمني علمهم بغفران ربه ذنوبه والثالث: أنها استفهامية وإليه ذهب الفراء ورده الكسائي بأنه كان." (١)

"ارتفع الكواكب به، وإن جعلتها اسما لما يزان به فعلى هذا ترتفع «الكواكب» بإضمار مبتدأ أي هي الكواكب. وهي في قوة البدل ومنع الفراء إعمال المصدر المنون ورغم أنه لم يسمع وهو **غلط** لقوله تعالى: ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ [البلد: ١٤] كما سيأتي إن شاء الله. قوله: «وحفظا» منصوب على المصدر، بإضمار فعل أي حفظناها حفظا، وإما على المفعول من أجله على زيادة الواو والعامل فيه زينا أو على أن يكون العامل مقدرا أي لحفظها زينا أو على الحمل على المعنى المتقدم أي: إنا خلقنا السماء الدينا زينة وحفظا، و «من كل» ويجوز أن يكون صفة «لحفظا» قال المبرد: إذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصرد فعل آخر نصبت المصدر لأنه قد دل على فعله كقولك: أفعل وكرامة لما قال أفعل علم أن الأسماء لا تعطف فكان المعنى أفعل ذاك واكرمك كرامة.

فصل

قال ابن عباس «زينا السماء الدينا» بضوء الكواكب «وحفظناها من كل شيطان مارد» متمرد يرمون بها، وتقدم الكلام على المارد عن قوله: ﴿مردوا على النفاق﴾ [التوبة: ١٠١] واعمل أنه تعالى بين أنه زين السماء لمنفعتين:

إحداهما: تحصل الزينة.

والثانية: الحفظ من الشيطان المارد.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩٦/١٦

فإن قيل: ثبت في علم الهيئة أن هذه الكواكب الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وأن السيارات مركوزة في الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب؟ .." (١)

"وهذا الذي قالاه سبقهما إليه الفراء فإنه قال: «من جر السلاسل حمله على المعنى» ، إذ المعنى أعناقهم في الأغلال والسلاسل.

الوجه الثاني: أنه عطف على «الحميم» ، فقدم على المعطوف عليه وسيأتي تقرير ذلك.

الثالث: أن الجر على تقدير إضمار الخافض ويؤيده قراءة أبي: «وفي السلاسل» وقرأ غيره: وبالسلاسل وإلى هذا نحا الزجاج، إلا أن الأنباري رده وقال: لو قلت: «زيد في الدار» لم يحسن أن تضمر «في» فتقول: زيد (في) الدار ثم ذكر تأويل الفراء وخرج القراءة عليه. ثم قال: كما تقول: «خاصم عبد الله زيدا العاقلين» ، بنصب «العاقلين» ورفعه؛ لأن أحدهما إذا خاصم صاحبه فقد خاصمه الآخر.

وهذه المسألة ليست جارية على أصول البصريين، ونصوا على منعها وإنما قال بها من الكوفيين ابن (س) عدان.

وقال مكي: وقد قرىء: والسلاسل بالخفض على العطف على الأعناق، وهو غلط؛ لأنه يصير الأغلال في الأعناق وفي السلاسل ولا معنى للأغلال في السلاسل؟

قال شهاب الدين: وقوله: على العطف على الأعناق ممنوع بل خفضه على ما تقدم. وقال أيضا: وقيل: هو معطوف على «الحميم» وهو أيضا لا يجوز؛ لأن المعطوف المخفوض، لا يتقدم على المعطوف عليه لو قلت: «مررت وزيد بعمرو» لم يجز، وفي المرفوع يجوز، نحو: قام وزيد عمر، ويبعد في المنصوب لا يحسن رأيت وزيدا عمرا، ولم يجزه في المخفوض أحد.

قال شهاب الدين: وظاهر كلامه أنهن يجوز في المرفوع منعه، وقد نصوا أنه لا يجوز إلا ضرورة بثلاثة شروط:." (٢)

"التين: ٢] . وقيل: هو اسم جنس، والمراد بالكتاب المسطور كتاب موسى عليه الصلاة والسلام ، وهو التوراة. وقيل: الكتاب الذي في السماء، وقيل: صحائف أعمال الخلق، وقال تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾ [الإسراء: ١٣] . وقيل: الفرقان. والمراد بالمسطور المكتوب.

قوله: في رق يجوز أن يتعلق «بمسطور» ؛ أي مكتوب في رق. وجوز أبو البقاء أن يكون نعتا آخر لكتاب

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٧٧/١٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨٥/١٧

وفيه نظر؛ لأنه يشبه تهيئة العامل للعمل وقطعه منه.

والرق - بالفتح - الجلد الرقيق يكتب فيه. وقال الراغب: الرق ما يكتب فيه شبه كاغد. انتهى فهو أعم من كونه جلدا أو غيره. ويقال فيه: رق بالكسر. فأما ملك العبيد فلا يقال إلا رق بالكسر. وقال الزمخشري: والرق الصحيفة. وقيل: الجلد الذي يكتب فيه. انتهى. وقد **غلط** بعضهم من يقول: كتبت في الرق بالكسر؛ وليس ب**غلط** لثبوته به لغة.

وقد قرأ أبو السمال: في رق، بالكسر.

فإن قيل: ما الفائدة في قوله تعالى: ﴿في رق منشور﴾ وعظمة الكتاب بلفظه ومعناه لا بخطه ورقه؟! .

فالجواب: أن هذا إشارة إلى الوضع لأن الكتاب المطوي لا يعلم ما فيه فقال: في رق منشور أي ليس كالكتب المطوية أي منشور لكم لا يمنعكم أحد من مطالعته.

(قوله: «والبيت المعمور» قيل: هو بيت في السماء العليا تحت العرش بحيال الكعبة يقال له: الصراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه، ثم لا يعودون إليه أبدا.

ووصفه بالعمارة لكثرة الطائفين به من الملائكة. وقيل: هو بيت الله الحرام وهو معمور بالحجاج الطائفين به.." (١)

"قال: ويحتمل أن يكون المراد معنى قوله «ما ضل» أي ما جن فإن المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله: ﴿والقلم وما يسطرون مآ أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ [القلم: ١ و٢] . ومعنى صاحبكم إما سيدكم أو وصاحبكم (ما غوى) أي ما تكلم بالباطل. وقيل: ما خاب والغي الخيبة.

قوله: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ أي ما يصدر عن الهوى نطقه (فعن) على بابها. وقيل: بمعنى الباء، أي ما ينطق بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل، وذلك أنهم قالوا: إن محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه.

وفي فاعل (ينطق) وجهان:

أحدهما: هو ضمير النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو الظاهر.

والثاني: أنه ضمير القرآن كقوله تعالى: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ [الجاثية: ٢٩] .

واعلم أن في قوله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ بصيغة الماضية وفي قوله: «وما ينطق» بصيغة

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٤/١٨

المستقبل ترتيب في غاية الحسن أي ما ضل حين اعتزلكم وما تبعدون في صغره «وما غوى» حين اختلى بنفسه ورأى في منامه ما رأى وما ينطق عن الهوى الآن يحث أرسل إليكم وجعل رسولا شاهدا عليكم فلم يكن أولا ضالا ولا غاويا وصار الآن منقذا من الضلالة مرشدا وهاديا.

قوله تعالى: ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ إن هو أي إن الذي ينطق به. وقيل: إن القرآن إلا وحي من الله. وقوله: «يوحى» صفة لوحي. وفائدة المجيء بهذا الوصف أنه ينفي المجاز أي هو وحي حقيقة لا بمجرد تسمية كقولك: هذا قول يقال. وقيل: تقديره يوحى إليه. ففيه مزيد فائدة.

نقل القرطبي عن السجستاني أنه قال: إن شئت أبدلت ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ من ﴿ما ضل صاحبكم﴾ . قال ابن الأنباري: وهذا غلط، لأن «إن» الحقيقية لا تكون مبدلة من «ما» ؛ بدليل أنك لا تقول والله ما قمت إن أنا لقاعد.." [1]

"قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي أن يبتدئ به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الإشراك، فقوله: «أفرايتم» إشارة إلى إبطال قولهم بنفس القول كما إذا ادعى ضعيف الملك ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقولون: انظروا إلى هذا الذي يدعي الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل لظهور أمره فكذلك قال: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ أي كما هما فكيف تشركونهما بالله؟

فصل

والألف واللام في (اللات) زائدة لازمة، فأما قوله:

٤٥٥٥ - ... ... إلى لاتها ... ...

فحذفت للإضافة.

وقيل: هي والعزى علمان بالوضع، أو صفتان غالبتان؟ خلاف. ويترتب على ذلك جواز صدق «أل» وعدمه. فإن قلنا: إنهما ليسا وصفين في الأصل فلا تحذف منهما «أل» . وإن قلنا: إنهما صفتان وإن «أل» للمح الصفة جاز، وبالتقديرين «فأل» زائدة. وقال أبو البقاء: وقيل: هما صفتان غالبتان مثل الحارث والعباس فلا تكون أل زائدة. انتهى.

قال شهاب الدين: وهو غلط، لأن التي للمح الصفة منصوص على زيادتها بمعنى أنها لم تؤثر تعريفا.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/١٥٧

واختلف في تاء اللات، فقيل: أصل وأصله من لات يليت فألفها عن ياء، فإن مادة «ل ي ت» موجودة.
وقيل: زائدة وهي من لوى يلوي، لأنهم." (١)

"قوله: ﴿فضرب بينهم بسور﴾ .

العامة على بنائه للمفعول، والقائم مقام الفاعل يجوز أن يكون «بسور» وهو الظاهر، وأن يكون الظرف.

وقال مكي: «الباء» مزيدة، أي: ضرب سور. ثم قال: «والباء متعلقة بالمصدر أي: ضربا بسور» .

وهذا متناقض، إلا أن يكون قد **غلط** عليه من النساخ، والأصل: والباء متعلقة بالمصدر، والقائم مقام الفاعل الظرف، وعلى الجملة هو ضعيف، والسور: البناء المحيط وتقدم اشتقاقه في أول البقرة.

قوله: «له باب» . مبتدأ وخبر في موضع جر صفة ل «سور» .

وقوله: ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ هذه الجملة يجوز أن تكون في موضع جر صفة ثانية ل «سور» ، ويجوز أن تكون في موضع رفع صفة ل «باب» ، وهو أولى لقربه، والضمير إنما يعود إلى الأقرب إلا بقرينة.

وقرأ زيد بن علي، وعمرو بن عبيد: «فضرب» مبنيا للفاعل، وهو الله أو الملك.

فصل في المراد بالسور

«السور» : حاجز بين الجنة والنار.

قال القرطبي: «روي أن ذلك ا‌لسور ب» بيت المقدس «عند موضع يعرف ب» وادي جهنم «فيه الرحمة يعني: ما يلي منه المؤمنين، وظاهره من قبله العذاب يعني: ما يلي المنافقين» .

قال كعب الأحبار رضي الله عنه: هو الباب الذي ب «بيت المقدس» المعروف ب «باب الرحمة» .

وقال عبد الله بن عمرو: إنه سور ب «بيت المقدس» الشرقي، باطنه فيه المسجد، وظاهره من قبله العذاب، يعني: جهنم ونحوه عن ابن عباس.." (٢)

"«والصديق» : هو الكثير الصدق.

وقال مجاهد: من آمن بالله ورسوله فهو صديق، وتلا هذه الآية.

وقال الضحاك: هم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة، وتاسعهم عمر بن الخطاب، ألحقه بهم لما عرف من صدق نيته.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧٧/١٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٧٣/١٨

قوله: ﴿والشهدآء﴾ . يجوز فيه وجهان:
أحدهما: أنه معطوف على ما قبله، ويكون الوقف على «الشهداء» تاما، أخبر عن «الذين آمنوا» أنهم صديقون شهداء.
فإن قيل: الشهداء مخصوصون بأوصاف أخر زائدة على ذلك كالتسعة المذكورين.
أجيب: بأن تخصيصهم بالذكر لشرفهم على غيرهم لا للحصر.
والثاني: أنه مبتدأ، وفي خبره وجهان:
أحدهما: أنه الظرف بعده.
والثاني: أنه قوله «ولهم أجرهم» ، إما الجملة، وإما الجار وحده، والمرفوع فاعل به، والوقف لا يخفى على ما ذكرناه من الإعراب.
والصديق: مثال مبالغة، ولا يجيء إلا من ثلاثي غالبا.
قال بعضهم: وقد جاء «مسيك» من «أمسك» ، وهو غلط؛ لأنه يقال: «مسك» ثلاثيا، ف «مسيك» منه.
فصل في المراد بالصديقين والشهداء
قال مجاهد وزيد بن أسلم: إن الشهداء والصديقين هم المؤمنون، وأنه متصل، وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول ابن مسعود في تأويل الآية.
قال القشيري: قال الله تعالى: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ .
ف «الصديقون» هم الذين يلون الأنبياء.." (١)

"وثالثها: الأخوة بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم .
فقالوا لليهود: ﴿لئن أخرجتم﴾ من المدينة ﴿لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم﴾ .
وقيل: هذا من قول بني النضير لقريظة، وقولهم: ﴿ولا نطيع فيكم أحدا أبدا﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا: لا نطيعه في قتالكم.
وفيه دليل على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من جهة الغيب؛ لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٨٥/١٨

معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ في قولهم وفعلهم.

فقولهم: ﴿ولا نطيع فيكم أحدا أبدا﴾ أي: في قتالكم أو في خذلانكم.

قوله تعالى: ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم﴾ .

أجيب القسم المقدر، لأن قبل «إن» لام موطئة حذفت للعلم بمكانها، فإن الأكثر الإتيان بها، ومثله قوله: ﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن﴾ [المائدة: ٧٣] وقد تقدم.

قوله تعالى: ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون﴾ .

أجيب القسم لسبقه، ولذلك رفعت الأفعال ولم تجزم، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه، ولذلك كان فعل الشرط ماضيا.

وقال أبو البقاء رحمه الله: قوله تعالى: ﴿لا ينصرونهم﴾ لما كان الشرط ماضيا ترك جزم الجواب انتهى.

وهو غلط؛ لأن ﴿لا ينصرونهم﴾ ليس جوابا للشرط بل جواب القسم، وجواب الشرط محذوف كما تقدم وكأنه توهم أنه من باب قوله: [البسيط]

٤٧٥١ - وإن أتاه خليل يوم مسألة ... يقول: لا غائب مالي ولا حرم

وقد سبق أبا البقاء ابن عطية إلى ما يوهم شيئا من ذلك، ولكنه صرح بأنه جواب القسم، فقال: «جاءت الأفعال غير مجزومة في» لا يخرجون ولا ينصرون «؛ لأنها راجعة على حكم القسم لا على حكم الشرط، وفي هذا نظر» .

فقوله: «وفي هذا نظر» يوهم أنه جاء على خلاف ما يقتضيه القياس وليس كذلك، بل جاء على ما يقتضيه القياس.." (١)

"فأما القراءة - بضمتين - فقيل: يجوز أن تكون جمع خشبة، نحو: ثمرة وثمر. قاله الزمخشري.

وفيه نظر؛ لأن هذه الصيغة محفوظة في «فعلة» لا ينقاس نحو: ثمرة وثمر.

ونقل الفارسي عن الزبيدي: «أنه جمع: خشباء، وأخشبة» **غلط** عليه؛ لأنه قد يكون قال: «خشب» - بالسكون - جمع «خشباء» نحو: «حمراء وحمر» لأن «فعلاء» الصفة لا تجمع على «فعل» بضمتين، بل بضمة وسكون.

وقوله: الزبيدي، تصحيف، إما منه، وإما من الناسخ، إنما هو اليزيدي تلميذ أبي عمرو بن العلاء، ونقل

---

(١) اللب ا ب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٩٩/١٨

ذلك الزمخشري.

وأما القراءة بضمة وسكون.

فقيل: هي تخفيف الأولى.

وقيل: هي جمع خشباء، كما تقدم.

وهي الخشبة التي نخر جوفها، أي: فرغ، شبهوا بها لفراغ بواطنهم مما ينتفع به.

وأما القراءة - بفتحتين - فهو اسم جنس، وأنثت صفته، كقوله: ﴿نخل خاوية﴾ [الحاقة: ٧] وهو أحد الجائزين.

وقول: «مسندة» .

تنبيه على أنه لا ينتفع بها كما ينتفع بالخشب في سقف وغيره، أو شبهوا بالأصنام؛ لأنهم كانوا يسندونها إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم.

وقيل: شبهوا بالخشب المسندة إلى الحائط، لأن الخشبة المسندة إلى الحائط أحد طرفيها إلى جهة، والآخر إلى جهة أخرى.

والمنافق كذلك لأن أحد طرفيه وهو الباطن إلى جهة أهل الكفر، والطرف الآخر وهو الظاهر إلى جهة أهل الإسلام.

ونقل القرطبي عن سيبويه أنه يقال: «خشبة وخشاب وخشب» مثل: ثمرة وثمار وثمر، والإسناد: الإمالة، تقول: أسندت الشيء أي: أملته، و «مسندة» للتكثير، أي: استندوا إلى الإيمان لحقن دمائهم.." (١)

"﴿وأعرض عن بعض﴾ ، تكرما منه وحلما، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم يدل عليه قوله تعالى: ﴿وأعرض عن بعض﴾ ، أي: لم يعرفها إياه، ولو كانت مخففة لقال في ضده: وأنكر بعضا.

وأما التخفيف: فمعناه جازى على بعضه، وأعرض عن بعض.

قال الفراء: وتأويل قوله - عز وجل -: «عرف» بالتخفيف، أي: غضب فيه، وجازى عليه، كقولك لمن أساء إليك: «لأعرفن لك ما فعلت» أي: لأجازينك عليه.

فصل في نزول الآية

قال المفسرون: إنه أسر إلى حفصة شيئا فحدثت به غيرها، فطلقها مجازاة على بعضه، ولم يؤاخذها بالباقي، وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ [البقرة: ١٩٧] أي: يجازيكم عليه، وقوله:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠٨/١٩

﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ [النساء: ٦٣] ، وإنما اضطررنا إلى هذا التأويل؛ لأن الله – تعالى – أطلعه على جميع ما أنبأت به غيرها؛ لقوله تعالى: ﴿وأظهره الله عليه﴾ .

وقرأ عكرمة: «عراف» بألف بعد الراء.

وخرجت على الإشباع، كقوله: [الرجز]

٤٧٨٥ – أعوذ بالله من العقراب ... وقيل: هي لغة يمانية، يقولون: «عراف زيد عمرا» .

وإذا ضمنت هذه الأفعال الخمسة معنى «أعلم» تعدت لثلاثة.

وقال الفارسي: «تعدت بالهمزة أو التضعيف» .

وهو غلط، إذا يقتضي ذلك أنها قبل التضعيف، والهمزة كانت متعدية لاثنين، فاكتسبت بالهمزة، أو التضعيف ثالثا، والأمر ليس كذلك اتفاقا.

فصل في تفسير الآية

قال السدي: عرف بعضه، وأعرض عن بعض تكرما.

وقال الحسن: ما استقصى كريم قط، قال الله تعالى: ﴿عرف بعضه وأعرض عن بعض﴾ .." [(١)]

"قوله: ﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى﴾ . «مكبا» حال من فاعل «يمشي» .

قال الواحدي: «أكب» ، مطاوع كبه، يقال: كببته فأكب.

قال الزمخشري: هو من الغرائب والشواذ، ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع، وما هو كذلك ولا شيء من بناء «أفعل» مطاوع، بل قولك: أكب، من باب «أنفض، وألأم» ومعناه: دخل في الكب، وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب دخل في القشع.

ومطاوع «كب، وقشع» انكب وانقشع.

قال أبو حيان: «ومكبا» حال من «أكب» وهو لا يتعدى، و «كب» متعد، قال تعالى ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ [النمل: ٩٠] والهمزة فيه للدخول في الشيء، أو للصيرورة، ومطاوع كب انكب، تقول: كببته فانكب. قال الزمخشري: «ولا شيء من بناء» أفعل «مطاوعا ولا يتقن نحو هذا إلا حملة كتاب سيبويه» انتهى.

وهذا الرجل يتبجح بكتاب سيبويه، وكم من نص في كتاب سيبويه عمي بصره وبصيرته عنه حتى إن الإمام أبا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا يذكر فيه ما **غلط** الزمخشري فيه، وما جهله من كتاب سيبويه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩/١٩٥

انتهى.

قال شهاب الدين: انظر إلى هذا الرجل كيف أخذ كلام الزمخشري الذي أسلفته عنه طرز به عبارته حرفا بحرف ثم أخذ ينحي عليه بإساءة الأدب جزاء ما لقنه تلك الكلمات الرائقة، وجعل يقول: إن مطاوع «كب» «انكب» لا «أكب» وأن الهمزة للصيرورة، أو للدخول في الشيء، وبالله لو بقي دهره غير ملقن إياها لما قالها أبدا، ثم أخذ يذكر عن إنسان مع أبي القاسم كالسها مع القمر أنه غلطه في نصوص من كتاب سيبويه، والله أعلم بصحتها: [الوافر]

٤٨٠٤ - وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم

وعلى تقدير التسليم، فالفاضل من عدت سقطاته.

قال القرطبي: يقال: أكب الرجل على وجهه فيما لا يتعدى بالألف، فإذا تعدى قيل: كبه الله على وجهه بغير ألف، وقوله: «أفمن يمشي» هو المعادل ل ﴿أفمن يمشي مكبا﴾ .." [١]

"لنجعلها» يعود إلى «الواقعة» التي هي معلومة، وإن كانت هنا غير مذكورة، والتقدير: لنجعل نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عظة، وعبرة، ويدل على صحته قوله: ﴿وتعيهآ أذن واعية﴾ فالضمير في قوله: «وتعيها» لا يمكن عوده إلى السفينة، فكذا الضمير الأول.

قوله: «وتعيها» العامة: على كسر العين وتخفيف التاء، وهو مضارع «وعى» منصوب عطفا على «لنجعلها»

.

وابن مصرف وأبو عمرو في رواية هارون عنه وقنبل، قال القرطبي: وحميد والأعرج بإسكانها تشبيها له ب «رحم، وشهد» وإن لم يكن منه، ولكن صار في اللفظ بمنزلة الفعل الحلقي العين.

قال ابن الخطيب: وروى عن ابن كثير إسكان العين، جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة واحدة، فحذف وأسكن كما أسكن الحرف المتوسط من «فخذ وكبد وكتف» ، وإنما فعل ذلك؛ لأن حرف المضارعة لا ينفصل من الفعل، فأشبه ما هو من نفس الكلمة، وصار كقول من قال: وهو وهي، ومثل ذلك ﴿ويتقه﴾ [النور: ٥٢] في قراءة من سكن القاف.

وروي عن حمزة: إخفاء الكسرة.

وروي عن عاصم وحمزة: بتشديد «الياء» .

وهو غلط عليهما، وإنما سمعهما الراوي يثبتان حركة الياء، فظنها شدة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٥٤/١٩

وقيل: أجريا الوصل مجرى الوقف فضعف الحرف، وهذا لا ينبغي أن يلتفت إليه.

وروي عن حمزة أيضا، وموسى بن عبد الله العبسي: «وتعيها» بسكون «الياء» .

وفيه وجهان: الاستئناف، والعطف على المنصوب، وإنما سكنا «الياء» استثقالا للحركة على حرف العلة، كقراءة:

﴿تطعمون أهليكم﴾ [المائدة: ٨٩] .

فصل في «وعى»

قال الزجاج: يقال: وعيت كذا، أي: حفظته في نفسي، أعيه وعيا ووعيت العلم، ووعيت ما قلته كله بمعنى، وأوعيت المتاع في الوعاء.

قال الزجاج: يقال لكل ما حفظته في غير نفسك: أوعيته - بالألف - ولما حفظته في نفسك: وعيته، بغير ألف.." (١)

"للكافرين، أو بالفعل أي دعا للكافرين بعذاب واقع أو بواقع، أي: بعذاب نازل لأجلهم.

وعلى الثاني: هو كلام مبتدأ جواب للسائل، أي: هو للكافرين انتهى.

قال أبو حيان: وقال الزمخشري: أو بالفعل، أي: دعا للكافرين، ثم قال: وعلى الثاني، وهو ثاني ما ذكر في توجيهه للكافرين، قال: هو كلام مبتدأ، وقع جوابا للسائل، أي: هو للكافرين، وكان قد قرر أن «سأل» في معنى «دعا» فعدي تعديته، كأنه قال: دعا داع بعذاب، من قولك: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ [الدخان: ٥٥] انتهى، فعلى ما قرره، أنه متعلق ب «دعا» يعني «بسأل» ، فكيف يكون كلاما مبتدأ جوابا للسائل، أي: هو للكافرين، هذا لا يصح.

قال شهاب الدين: وقد غلط أبو حيان في فهمه عن أبي القاسم قوله: وعلى الثاني إلى آخره، فمن ثم جاء التخليط الذي ذكره الزمخشري، إنما عنى بالثاني قوله عن قتادة: سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع، فنزلت، و «سأل» على هذا الوجه مضمن معنى «عني واهتم» ، فهذا هو الوجه الثاني المقابل للوجه الأول، وهو أن «سأل» يتضمن معنى «دعا» ، ولا أدري كيف تخبط حتى وقع، ونسب الزمخشري إلى الغلط، وأنه أخذ قول قتادة والحسن وأفسده، والترتيب الذي رتبه الزمخشري، في تعلق «اللام» من أحسن ما يكون صناعة ومعنى.

قال القرطبي: وقال الحسن: أنزل الله تعالى: ﴿سأل سآئل بعذاب واقع﴾ ، وقال: لمن هو؟ فقال:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٢٢/١٩

«للكافرين» ، فاللام في «للكافرين» متعلقة ب «واقع» .
وقال الفراء: التقدير: بعذاب للكافرين واقع، فالواقع من نعت العذاب، فاللام دخلت للعذاب لا للواقع.
أي: هذا العذاب للكافرين في الآخرة، لا يدفعه عنهم أحد.
وقيل: إن اللام بمعنى «على» أي: واقع على الكافرين كما في قراءة أبي المتقدمة.
وقيل: بمعنى «عن» أي: ليس له دافع عن الكافرين.
قوله: ﴿ليس له دافع﴾ .
يجوز أن يكون نعتا آخر ل «عذاب» ، وأن يكون مستأنفا، والأول أظهر.
وأن يكون حالا من «عذاب» لتخصصه، إما بالعمل وإما بالصفة، وأن يكون حالا من الضمير في «للكافرين» إن جعلناه نعتا ل «عذاب» .." [١]
"الثالث: قال السدي: مائتا آية.
الرابع: قال ابن عباس: مائة آية.
الخامس: قال أبو خالد الكناني: ثلاث آيات كأقصر سورة.
قوله ﴿وأقيموا الصلاة﴾ ، يعني الخمس المفروضة، وهي الخمس لوقتها، ﴿وآتوا الزكاة﴾ الواجبة في أموالكم. قاله عكرمة وقتادة، وقال الحارث العكلي: صدقة الفطر، لأن زكاة الأموال وجبت بعد ذلك، وقيل: صدقة التطوع.
وقيل: كل فعل خير.
وقال ابن عباس: طاعة الله الإخلاص.
قوله: ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ . القرض الحسن ما أريد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب وقال زيد بن أسلم: القرض الحسن، النفقة على الأهل، وقيل: صلة الرحم، وقرى الضيف، وقال عمر بن الخطاب: هو النفقة في سبيل الله.
قوله: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ تقدم بيانه في سورة «البقرة» .
قوله: ﴿هو خيرا﴾ ، العامة على نصب الخير مفعولا ثانيا، و «هو» إما تأكيد للمفعول الأول، أو فصل.
وجوز أبو البقاء: أن يكون بدلا، وهو غلط، لأنه كان يلزم أن يطابق ما قبله في الإعراب فيقال: إياه.
وقرأ أبو السمال وابن السميقع: «خير» على أن يكون «هو» مبتدأ، و «خير» خبره، والجملة مفعول ثان

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٥٢/١٩

ل «تجدوه» .

قال أبو زيد: هي لغة تميم، يرفعون ما بعد الفصل.

وأنشد سيبويه: [الطويل]

٤٩٤٣ - تحن إلى ليلى وأنت تركتها ... وكنت عليها بالملا أنت أقدر

والقوافي مرفوعة، ويروى: «أقدرا» بالنصب.." (١)

"«بل تحبون» . قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يحبون، ويذرون» بيان الغيبة حملا على لفظة الإنسان المذكور أولا لأن المراد به الجنس، وهو اختيار أبي حاتم؛ لأن «الإنسان» بمعنى الناس والباقون: بالخطاب فيهما، إما خطابا لكفار قريش أي: بل تحبون يا كفار قريش العاجلة، أي: الدار الدنيا والحياة فيها ﴿وتذرون الآخرة﴾ أي تدعون الآخرة والعمل لها، وإما التفاتا عن الإخبار عن الجنس المتقدم والإقبال عليه بالخطاب. واختار الخطاب أبو عبيد، قال: ولولا الكراهة لخلاف هؤلاء القراء لقرأتها بالياء، لذكر الإنسان قبل ذلك.

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ فيه أوجه:

أحدها: أن يكون «وجوه» مبتدأ، و «ناضرة» نعت له، و «يومئذ» منصوب ب «ناضرة» و «ناظرة» خبره، و «إلى ربها» متعلق بالخبر. والمعنى: أن الوجوه الحسنة يوم القيامة ناظرة إلى الله تعالى، وهذا معنى صحيح، والناضرة: من النضرة وهي التنعم، ومنه غصن ناضر.

الثاني: أن تكون «وجوه» مبتدأ أيضا، و «ناضرة» خبره، و «يومئذ» منصوب الخبر - كما تقدم - وسوغ الابتداء هنا بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل، كقوله: [المتقارب]

٤٩٩٦ - ... ... فثوب لبست وثوب أجر

وتكون «ناضرة» نعتا ل «وجوه» أو خبرا ثانيا او خبرا لمبتدأ محذوف، و «إلى ربها» متعلق ب «ناظرة» كما تقدم.

وقال ابن عطية: وابتدأ بالنكرة؛ لأنها تخصصت بقوله: «يومئذ» .

وقال أبو البقاء: وجاز الابتداء هنا بالنكرة لحصول الفائدة.

وفي كلا قوليهما نظر أما قول ابن عطية: فلأن قوله «تخصصت» بقوله: «يومئذ» هو التخصيص إما لكونها عاملة فيه، وهو محال؛ لأنها جامدة، وإما لأنها موصوفة به، وهو محال أيضا؛ لأن الجثة لا توصف بالزمان كما لا يخبر به عنها.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٨٨/١٩

وأما قول أبي البقاء: فإن أراد بحصول الفائدة ما تقدم من التفصيل فصحيح، وإن عنى ما عناه ابن عطية فليس بصحيح لما تقدم.

الثالث: أن يكون «وجوه» مبتدأ، و «يومئذ» خبره.

قاله أبو البقاء.

وهذا **غلط** من حيث المعنى ومن حيث الصناعة.." (١)

"و «تشابهت» على وزن «تفاعلت» وهو في مصحف أبي كذلك أنثه لتأنيث البقرة.

و «متشابهة» و «متشبهة» على اسم الفاعل من تشابه وتشبه. وقرىء: «تشبه» ماضيا.

وقرأ ابن أبي إسحاق: «تشابهت» بتشديد الشين، قال أبو حاتم: هذا غلط، لأن التاء في هذا الباب لا تدغم إلا في المضارع. . وهو معذور في ذلك.

وقرىء: «تشابه» كذلك، إلا أنه بطرح تاء التأنيث، ووجهها على إشكالها أن يكون الأصل: إن القرة تشابهت، فالتاء الأولى من البقرة و [التاء] الثانية من الفعل، فلما اجتمع مثلان أدغم نحو: الشجرة تمايلت، إلا أنه يشكل أيضا في تشابه من غير تاء؛ لأنه كان يجب ثبوت علامة التأنيث.

وجوابه: أنه مثل: [المتقارب]

٥٨٦ - ... ... ولا أرض أبقل إبقالها

مع أن ابن كيسان لا يلتزم ذلك في السعة.

وقرأ الحسنك «تشابه» بتاء مفتوحة وهاء مضمومة وتخفيف الشين أراد: تتشابه.

وقرأ الأعرج: «تشابه» بفتح التاء وتشديد الشين وضم الهاء على معنى: تتشابه.

وقرأ مجاهد: «تشبه» كقراءة الأعرج، إلا أنه بغير ألف. ومعنى الآية: [التلبيس] والتشبه.

قيل: إنما قالوا: «إن البقر تشابه علينا» أي: اشتبه أمره علينا، فلا نهتدي إليه؛ لأن وجوه البقر [تتشابه] يريد: أنها يشبه بعضها بعضا، ووجوه البقر تتشابه.

قوله: ﴿إن شآء الله﴾ هذا شرط جوابه محذوف لدلالة «إن» ، ما في حيزها عليه، والتقدير: إن شاء الله هدايتنا للبقرة، اهتدينا، ولكنهم أخرجوه في جملة اسمية مؤكدة بحرفي تأكيد مبالغة في طلب الهداية،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٦٢/١٩

واعترضوا بالشرط تيمنا بمشيئة الله تعالى. «المهتدون» اللام: لام الابتداء داخلة على خبر «إن» .

وقال أبو البقاء: جواب الشرط «إن» وما عملت فيه عند سيبويه.." (١)

": ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ : هذه الجملة معطوفة على مجموع الجملة السابقة من قوله: «ولما جاءهم» إلى آخرها.

وقال أبو البقاء: إنها معطوفة على «أشربوا» أوع لى «نبذ فريق» ، وهذا ليس بظاهر؛ لأن عطفها على «نبذ» يقتضي كونها جوابا لقوله تعالى: ﴿ولمآ جآءهم رسول﴾ .

واتباعهم لما تتلو الشياطين ليس مترتبا على مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام بل كان اتباعهم لذلك قبله، فالأولى أن تكون معطوفة على جملة «لما» كما تقدم، و «ما» موصولة، وعائدها محذوف، والتقدير: تتلوه.

وقيل: «ما» نافية، وهو **غلط** فاحش لا يقتضيه نظم الكلام، [ذكره] ابن العربي.

و «يتلو» في معنى «تلت» فهو مضارع وقاع موقع الماضي؛ كقوله: [الكامل]

٦٩٢ - وإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الهجان وكل طرف سابح

واتضح جوانب قبر بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبائح

أي: فلقد كان.

وقال الكوفيون: الأصل: وما كانت تتلو الشياطين، ولا يريدون بذلك أن صلة «ما» محذوفة، وهي «كانت» و «تتلو» في موضع الخبر، وإنما قصدوا تفسير المعنى، وهو." (٢)

"نظير: «كان زيد يقوم» المعنى على الإخبار، وبقيامه في الزمن الماضي، وقرأ الحسن والضحاك «الشياطون» إجراء له مجرى جمع السلامة، قالوا: وهو غلط. وقال بعضهم: لحن فاحش.

وحكى الأصمعي «بستان فلان حوله بساتون» وهو يقوي قراءة الحسن.

قوله تعالى: ﴿على ملك سليمان﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه على معنى «في» ، أي: في زمن ملكه، والملك هنا شرعه.

والثاني: أن يضمن تتلوا معنى تتقول أي: تقول على ملك سليمانن وتقول يتعدى بعلى، قال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ [الحاقة: ٤٤] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦٦/٢

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٢٣/٢

وهذا الثاني أولى، فإن التجوز في الأفعال أولى من التجوز في الحروف، وهو مذهب البصريين كما تقدم وإنما أحوج إلى هذين التأويلين؛ لأن تلا إذا تعدى ب «على» كان المجرور ب «على» شيئا يصح أن يتلى عليه نحو: تلوت على زيد القرآن، والملك ليس كذلك.

قال أبو مسلم: «تتلو» أي: تكذب على ملك سليمان يقال: تلا عليه: إذا كذب وتلا عنه إذا صدق. وإذا أبهم جاز الأمران.

قال ابن الخطيب: أي يكون الذي كانوا يخبرون به عن سليمان مما يتلى ويقرأ فيجتمع فيه كل الأوصاف، والتلاوة: الاتباع أو القراءة وهو قريب منه.

قال أبو العباس المقرئ: و «على» ترد على ثلاثة أوجه:

الأول: بمعنى «في» كهذه الآية.

وبمعنى «اللام» ، قال تعالى

﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن﴾ [الأنعام: ١٥٤] أي: للذي.

وبمعنى «» من «، قال تعالى: ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ [المطففين: ٢] أي: من الناس يستوفون.

و» سليمان «علم أعجمي، فلذلك لم ينصرف.

وقال أبو البقاء رحمه الله تعالى:» وفيه ثلاثة أسباب: العجمة والتعريف والألف والنون «، وهذا إنما يثبت بعد دخول الاشتقاق فيه، والتصريف حتى تعرف زيادتها، وقد تقدم أنهما لا يدخلان في الأسماء الأعجمية، وكرر قوله:» وما كفر سليمان «بذكره ظاهرا؛ تفخيما له، وتعظيما؛ كقوله: [الخفيف]." (١)

"٧٢٦ - نعب الغراب فقلت بين عاجل ... ما شئت إذ ظعنوا لبين فانعب

ورد هذا القول بشيئين:

أحدهما: أنه يلزم خلو جملة الجزاء من ضمير يعود على اسم الشرط، وهو غير جائز، لما تقدم عند قوله: ﴿من كان عدوا لجبريل﴾ [البقرة: ٩٧] .

والثاني: أن «من» لا تزاد في الموجب، والشرط موجب، [وهذا فيه خلاف لبعض] البصريين أجاز زيادتها في الشرط؛ لأنه يشبه النفي، ولكنه خلاف ضعيف.

وقرأ ابن عامر: «ننسخ» بضم النون، وكسر السين من «أنسخ» .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٢٤/٢

قال ابو حاتم: «هو غلط» وهذه جرأة منه على عادته.

وقال أبو علي: «ليست لغة» ؛ لأنه لا يقال: نسخ وأنسخ بمعنى، ولا هي للتعدية؛ لأن المعنى يجي: ما نكتب من آية، وما ننزل من آية، فيجيء القرآن كله على هذا منسوخا، وليس الأمر كذلك، فلم يبق إلا أن يكون المعنى: ما نجده منسوخا كما يقال: أحمدته وأبخلته، أي: وجدته كذلكن ثم قالك «وليس نجده منسوخا إلا بأن ننسخه، فتتفق القراءتان في المعنى، وإن اختلفتا في اللفظ» .

فالهمزة عنده ليست للتعدية. وجعل الزمخشري، وابن عطية الهمزة للتعدية، إلا أنهما اختلفا في تقدير المفعول الأول المحذوف، وفي معنى الإنساخ، فجعل الزمخشري المفعول المحذوف جبريل عليه السلام، الإنساخ هو الأمر بنسخها، أي: الإعلام به.

وجعل ابن عطية المعفول ضمير النبي عليه السلام، والإنساخ إباحة النسخ لنبيه، كأنه لما نسخها أباح له تركها، فسمى تلك الإباحة إنساخا.

وخرج ابن عطية القراءة على كون الهمزة للتعدية من وجه آخر، وهو من نسخ الكتاب، وهو نقله من غير إزالة له.

قال: ويكون المعنى: ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ، أو ما نؤخر فيه، ونتركه فلا ننزله، أي ذلك فعلنا فإنا نأتي بخير من المؤخر المتروك أو بمثله، فيجيء الضميران في «منها» و «بمثلها» عائدين على الضمير في «ننسأها» .

قال ابو حيان: وذهل عن القاعدة، هي أنه لابد من ضمير يعود من الجزاء." (١)

"على أن أوامر الله تعالى لازمة للظالمين، كلزومها لغيرهم ثبت الوجه الآخر، وهو أنهم غير مؤتمنين على أوامر الله تعالى وغير مقتدى بهم فيها، فلا يكونون أئمة في الدين، فثبت بدلالة الآية بطلان إمامة الفاسق، قال عليه السلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» ودل أيضا على أن الفاسق لا يكون حاكما، وأن أحكامه لا تنفذ إذ ولي الحكم، وكذلك لا تقبل شهادته، ولا خبره [عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا فتياه إذا أفتى، ولا يقدم للصلاة، وإن كان هو بحيث لو اقتدى به، فإنه لا تفسد صلاته] .

وقال ابو بكر الرازيك «ومن الناس من يظن أن مذهب أبي حنيفة أن يجوز كون الفاسق إماما وخليفة، ولا يجوز كون الفاسق قاضيا» ، قال: وهذا خطأ، ولم يفرق أبو حنيفة بين الإمام والحاكم في أن شرط كل واحد منهما العدالة، وكيف يكون خليفة، وروايته غير مقبولة، وأحكامه غير نافذة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٦٥/٢

قال: وإنما غلط من غلط في هذه الرواية أن قول أبي حنفية: أن القاضي إذا كان عدلا في نفسه، وتولى القضاء من إمام جائر فإن أحكامه نافذة، والصلاة خلفه جائزة؛ لأن القاضي إذا كان عدلا في نفسه، ويمكنه تنفيذ الأحكام كانت أحكامه نافذة، فلا اعتبار في ذلك بمن ولاه؛ لأن الذي ولاه بمنزلة سائر أعوانه، وليس شرط أعوان القاضي أن يكونوا عدولا، ألا ترى أن أهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا أعوانا له على من امتنع من قبول أحكامه ولكان قضاؤه نافذا، وإن لم يكن له ولاية من جهة إمام ولا سلطان. والله أعلم.

فصل في أخذ الأرزاق من الأئمة الظلمة

ونقل القرطبي رحمه الله تعالى عن أبن خويز منداد أنه قال: وأما أخذ الأرزاق من الأئمة الظلمة فله ثلاثة أحوال: إن كان جميع ما في أيديهم مأخذا على موجب الشريعة، فجائز أخذه؛ وقد أخذت الصحابة والتابعون من يد الحجاج وغيره.

وإن كان مختلطا حالالا وظلما، كما في أيدي الأمراء اليومن فالورع تركه، ويجوز." [1]

"حجر لا تضر ولا تنفع، وأن الله ربي، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك» .

قوله تعالى: ﴿وعهدنآ إلى إبراهيم﴾ تقدم معنى العهد.

قيل: معناه هاهنا أمرنا وقيل: أوحينا.

قوله: «وإسماعيل» إسماعيل علم أعجمي، وفيه لغتان: باللام والنون؛ وعليه قول الشاعر: [الرجز]

٧٧٩ - قال جواري الحي لما جينا ... هذا ورب البيت إسماعينا

ويجمع على: «سماعلة» و «سماعيل» و «أساميع» .

ومن أغرب مانقل في التسمية أن إبراهيم عليه السلام لما دعا لله أن يرزقه ولدا كان يقول: اسمع إيل اسمع إيل، وإيل هو الله تعالى فسمى ولده بذلك.

قوله: «أن طهرا» يجوز في «أن» وجهان:

أحدهما: أنها تفسيرية لجملة قوله: «عهدنا» ، فإنه يتضمن معنى القول؛ لأنه بمعنى أمرنا أو وصينا، فهي بمنزلة «أي» التي للتفسير، وشرط «أن» التفسيرية أن تقع بعدما هو بمعنى القول لا حروفه.

وقال أبو البقاء: والمفسرة تقع بعد القول، وما كان في معناه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢/٤٥٨

فقد غلط في ذلك، وعلى هذا فلا محل لها من الإعراب.

والثاني: أن تكون مصدرية، وخرجت على نظائرها في جواز وصلها بالجملة الأمرية، قالوا: «كتبت إليه بإن قم» وفيها بحث ليس هذا موضعه، والأصل: بأن ظهرا، ثم حذفت الباء، فيجيء فيها الخلاف المشهور من كونها في محل نصب، أو خفض.

و «بيتي» معفول به أضيف إليه تعالى تشريفا وقرأ أهل «المدينة» وحفص «بيتي» بفتح الياء هاهنا، وفي سورة «الحج» ، وزاد حفص في سورة «نوح» عليه الصلاة والسلام .

و «الطائف» اسم فاعل من: «طاف يطوف» ، ويقال: أطاف رباعيا، قال: [الطويل]

٧٨٠ - أطافت به جيلان عند قطاعه..... ... ...

وهذا من باب «فعل وأفعل» بمعنى.

فصل في معنى تطهير البيت

يجب أن يراد به تطهير البيت من كل أمر لا يليق به، لأنه موضع الصلاة فيجب." (١)

"وقال بعضهم: هي هنا بصرية قلبية معا؛ لأن الحج لا يتم إلا بأمور منها ما هو معلوم ومنها منا هو مبصر.

ويلزمه على هذا الجمع بين الحقيقة والمجاز، أو استعهمال المشترك في معنييه معا.

وقرأ الجمهور: ﴿أرنا﴾ بإشباع كسر» الراء «هنا، وفي [النساء: ١٥٣] وفي [الأعراف: ١٤٣] ﴿أرني أنظر﴾ ، وفي [فصلت: ٢٩] ﴿أرنا اللذين﴾ .

وقرأ ابن كثير بالإسكان في الجميع، ووافقه في» فصلت «ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، واختلف عن أبي عمرو، فروي عن السوسي موافقة ابن كثير بالإسكان في الجميعن وروي عه الدوري اختلاس الكسر فيها.

أما اكسر فهو الأصل.

وأما الاختلاص فحسن مشهور.

وأما الإسكان فللتخفيف، شبهوا المصتل بالمنفصل فسكنوا كسره، كما قالوا في فخذ: فخذ، وكتف: كتف.

وقد غلط قوم راوي هذه القراءة.

وقالوا: صار كسر الراء دليلا على الهمزة المحذوفة، فإن أصله: «أرئنا» ثم نقل.

قال الزمخشري تابعا لغيره: قال الفارسي: التغليط ليس بشيء لأنها قراءة متواترة، وأما كسرة الراء فصارت

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢/٤٦٦

كالاصل؛ لأن الهمزة مرفوضة الاستعمال.

وقال ايضا: ألا تراهم أدغموا في ﴿لكن هو الله ربي﴾ [الكهف: ٣٨] ، والأصل «لكان أنا» نقولا الحركة، وحذفوا، ثم أدغموا، فذهاب الحركة في «أرنا» ليس بدون ذهابها في الإدغام، وأيضا فقد سمع الإسكان في هذا الحرف نصا عن العرب؛ قال القائل: [البسيط]

٧٩١ - أرنا إداوة عبد الله نملؤها ... من ماء زمزم إن القوم قد ظمئوا

وأصل أرنا: أرئنا، فنقلت حركة «الهمزة» إلى «الراء» وحذفت هي، وقد تقدم الكلام بأشبع من هذا عند قوله: ﴿حتى نرى الله جهرة﴾ [البقرة: ٥٥] .

و «المناسك» واحدها: «منسك» بفتح العين وكسرها، وقد قرىء بهما والمفتوح هو المقيس لانضمام عين مضارعة.." (١)

"«قولوا» : في هذا الضمير قولان:

أحدهما: أنه للمؤمنين، والمراد بالمنزل إليهم القرآن على هذا.

والثاني: أنه يعود على القائلين كانوا هودا أو نصارى.

والمراد بالمنزل إليهم: إما القرآن، وإما التوراة والإنجيل

[قال الحسن رحمه الله تعالى: لما حكى الله تعالى عنهم أنهم قالوا: كونوا هودا أو نصارى ذكر في مقابلته للرسول عليه الصلاة والسلام قل: بل «ملة» إبراهيم، قال: ﴿قولوا آمنا بالله﴾] .

وجلمة «آمنا» في محل نصب ب «قولوا» ، وكرر الموصول في قوله: ﴿ومآ أنزل إلى إبراهيم﴾ لاختلاف المنزل إلينا، والمنزل إليه، فلو لم يكرر لأوهم أن المنزل إلينا هو المنزل إليهم، ولم يكرر في «عيسى» ؛ لأنه لم يخالف شريعة موسى إلا في نزر يسير، فالذي أوتيه عيسى هو عين ما أوتيه موسى إلا يسيرا، وقدم المنزل إلينا في الذكر، وإن كان متأخرا في الإنزال تشريفا له.

والأسباط جمع «سبط» وهم في ولد يعقوب كالقبائل في ولد إسماعيل والشعوب في العجم.

وقيل: هم بنو يعقوب لصلبه.

وقال الزمخشري: «السبط هو الحافد» .

واشتقاقهم من السبط وهو التتابع، سموا بذلك؛ لأنهم أمة متتابعون.

وقيل: من «السبط» بالتحريك جمع «سبطة» وهو الشجر الملتف.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢/٤٨٧

وقيل ل «الحسنين» : سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانتشار ذريتهم.

ثم قيل لكل ابن بنت: «سبط» .

قال القرطبي رحمه الله تعالى: جميع إبراهيم براهم، وإسماعيع سماعيل، قاله الخليل وسيبويه والكوفيون، وحكوا: براهمة وسماعلة، وحكوا براهم وسماعل.

قال محمد بن يزيد: هذا غلط؛ لأنه الهمزة ليس هذا موضع زيادتها، ولكن أقول: أباره وأسامع، ويجوز أباريه وأساميع.

وأجاز أحمد بن يحيى «براه» ، كما يقال في التصغير «بريه» .." (١)

"الطفل الذين﴾ [النور: ٣١] فلأن يوجد ذلك في أسماء الجموع أو أسماء الأجناس الفارق بينها وبين واحدها تاء التأنيث بطريق الأولى، وجر «إستبرق» نسقا على «سندس» ، لأن المعنى ثياب من سندس، وثياب من إستبرق.

وما القراءة الثالثة: فرفع «خضر» نعتا ل «ثياب» وجر «إستبرق» نسقا على سندس أي: ثياب خضر من سندس، ومن إستبرق، فعلى هذا يكون الإستبرق أيضا أخضر.

وأما القراءة الرابعة: فجر «خضر» على أنه نعت ل «سندس» ورفع «إستبرق» على النسق على «ثياب» بحذف مضاف، أي: وثياب استبرق. وتقدم الكلام على مادة السندس والإستبرق في سورة الكهف.

وقرأ ابن محيصن: «وإستبرق» بفتح القاف، ثم اضطرب النقل عنه في الهمزة، فبعضهم ينقل عنه أنه قطعها، وبعضهم ينقل أنه وصلها.

قال الزمخشري: «وقرئ:» وإستبرق «نصبا في موضع الجر على منع الصرف، لأنه أعجمي، وهو غلط؛ لأنه نكرة يدخله حرف التعريف، تقول الإستبرق، إلا أنه يزعم ابن محيصن أنه قد جعل علما لهذا الضرب من الثياب، وقرأ:» واستبرق «بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى ب» استفعل «من البريق، وهو ليس بصحيح - أيضا - لأنه معرب مشهور تعريبه وأصله استبره» .

وقال أبو حيان: ودل قوله: إلا أن يزعم ابن محيصن، وقوله بعد: وقرئ «واستبرق» بوصل الألف والفتح، أن قراءة ابن محيصن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف والمنقول عنه في كتب القراءات: أنه قرأ بوصل الألف وفتح القاف.

قال شهاب الدين: قد سبق الزمخشري إلى هذا مكي، فإنه قال: وقد قرأ ابن محيصن بغير صرف وهو وهم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥١٩/٢

إن جعله اسما؛ لأنه نكرة منصرفة.

وقيل: بل جعله فعلا ماضيا من «برق» فهو جائز في اللفظ بعيد في المعنى.

وقيل: إنه في الأصل فعل ماض على «استفعل» من «برق» ، فهو عربي من البريق، فلما سمي به قطعت ألفه؛ لأنه ليس من أصل الأسماء أن يدخلها ألف الوصل، وإنما دخلت معتلة مغيرة عن أصلها، معدودة، لا يقاس عليها؛ انتهى، فدل قوله «قطعت ألفه» إلى آخره، أنه قرأ بقطع الهمزة وفتح القاف، ودل قوله أولا: وقيل: بل جعله فعلا ماضيا من «برق» ، أنه قرأ بوصل الألف، لأنه لا يتصور أن يحكم عليه بالفعلية غير منقول إلى." (١)

"تطمس الآثار، فتكون الريح طامسة، والأثر طامس بمعنى مطموس.

قال ابن الخطيب: ويحتمل ان تكون محقت ذواتها، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿نشرت﴾ .

و «النجوم» مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين غير الأخفش، وبالابتداء عن الكوفيين والأخفش.

وفي جواب «إذا» قولان:

أحدهما: محذوف، تقديره: فإذا طمست النجوم وقع ما توعدون، لدلالة قوله إنما توعدون لواقع أو بان الأمر.

والثاني: أنه «لأي يوم أجلت» على إضمار القول، أي يقال: لأي يوم أجلت، فالفعل في الحقيقة هو الجواب.

وقيل: الجواب: «ويل يومئذ» . نقله مكي، وهو غلط؛ لأنه لو كان جوابا للزمته الفاء لكونه جملة اسمية.

قوله تعالى: ﴿وإذا السمآء فرجت﴾ . أي: فتحت وشقت، ومنه قوله تعالى: ﴿وفتحت السمآء فكانت أبوابا﴾ [النبأ: ١٩] ، والفرج: الشق، ونظيره: ﴿إذا السمآء انشقت﴾ [الانشقاق: ١] ﴿ويوم تشقق السمآء بالغمام﴾ [الفرقان: ٢٥] .

وروى الضحاك عن ابن عباس: - رضي الله عنهم - قال: فرجت للطي.

قوله تعالى: ﴿وإذا الجبال نسفت﴾ أي: ذهب بها كلها بسرعة، من أنسفت الشيء إذا اختطفته، وقيل: تنشق كالحب المغلق إذا نسف بالمنسف، ومنه قوله تعالى: ﴿لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا﴾ [طه: ٩٧] ، ونظيره: ﴿وبست الجبال بسا﴾ [الواقعة: ٥] ﴿وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ [المزمل: ١٤] ﴿فقل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٥/٢٠

ينسفها ربي نسفا﴾ [طه: ١٠٥] .

وقرئ: «طمست، وفرجت، ونسفت» مشددة.

وكان ابن عباس يقول: سويت بالأرض، والعرب تقول: فرس نسوف، إذا كان يؤخر الحزام بمرفقيه؛ قال بشر: [الوافر]

٥٠٥٥ - نسوف للحزام بمرفقيها..... ... ..." (١)

"قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ منصوب بفعل مقدر، وهو جواب القسم: تقديره: لتبعثن، لدلالة ما بعده عليه.

قال الفراء: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أإذا كنا عظاما نخرة﴾ ألست ترى أنه كالجواب لقولهم: ﴿أإذا كنا عظاما نخرة﴾ نبعث؟ فاكتفى بقوله: ﴿أإذا كنا عظاما نخرة﴾ ؟ .

وقال الأخفش والزجاج: ينفخن في الصور نفختين، بدليل ذكر «الرادفة» و «الراجفة» ، وهما النفختان.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جعلت «يوم ترجف» ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن، ولا يبعثون عند النفخة الأولى؟ .

قلت: المعنى: لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان، وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع، وهو وقت النفخة الأخرى ودل على ذلك أن قوله: ﴿تتبعها الرادفة﴾ جعل حالا عن «الراجفة» .

وقيل: العامل مقدر، أي: اذكر يوم ترجف.

وفي الجواب على هذا التقدير وجوه:

أحدها: قوله: ﴿إن في ذلك لعبرة﴾ [النازعات: ٢٦] .

واستقبحه أبو بكر بن الأنباري، لطول الفصل.

الثاني: أنه قوله: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ [النازعات: ١٥] ؛ لأن «هل» بمعنى: «قد» .

وهذا غلط؛ لأنه كما تقدم في «هل أتى» أنها لا تكون بمعنى «قد» إلا في الاستفهام على ما قال الزمخشري.

الثالث: أن الجواب: «تتبعها» وإنما حذفت «اللام» ، والأصل: «اليوم ترجف الراجفة تتبعها» ، فحذفت «اللام» ، ولم تدخل نون التوكيد على تتبعها للفصل بين «اللام» المقدرة، وبين الفعل المقسم عليه بالظرف،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦٨/٢٠

ومثله: ﴿لإلى الله تحشرون﴾ [آل عمران: ١٥٨] .
وقيل: في الكلام تقديم، وتأخير، أي: يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة والنازعات.." (١)
"وقد عشرت الناقة تعشيرا: أي: صارت عشراء.
وقيل:» العشار «: السحاب، و» عطلت «: أي: لا تمطر.
والعرب تشبه السحاب بالحامل، قال تعالى: ﴿فالحاملات وقرا﴾ [الذاريات: ٢] .
وقيل: الأرض تعطل زرعها.
والتعطيل: الإهمال، ومنه قيل للمرأة: عاطل إذا لم يكن عليها حلي. وتقدم في» بئر معطلة «.
قال امرؤ القيس: [الطويل]
٥١٢٠ - وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش ... إذا هي نصته ولا بمعطل
وقرأ ابن كثير في رواية:» عطلت «بتخفيف الطاء.
قال الرازي: هو غلط، إنما هو بفتحتين، بمعنى:» تعطلت «؛ لأن التشديد فيه للتعدي، يقال: عطلت الشيء، وأعطله فعطل.
قوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ ، الوحوش: ما لم يتأنس به من حيوان البر، والوحش أيضا: المكان الذي لا أنس فيه، ومنه: لقيته بوحش أي: ببلد قفر، والوحش: الذي يبيت وجوفه خاليا من طعام، وجمعه: أوحاش، وسمي به المنسوب إلى المكان الوحشي: وحشي، وعبر بالوحشي عن الجانب الذي يضاد الإنسي، والإنسي: ما يقبل من الإنسان وعلى هذا وحشي الفرس وإنسيه.
وقوله تعالى: ﴿حشرت﴾ . أي: جمعت، والحشر: الجمع قاله الحسن وقتادة وغيرهما.
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حشرها موتها، رواه عكرمة، وحشر كل شيء: الموت لغير الجن والإنس، فإنهما يوافيان يوم القيامة.
وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: يحشر كل شيء حتى الذباب.
وعن ابن عباس - أيضا -: يحشر الوحوش غدا، أي: تجمع، حتى يقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها: كوني ترابا فتموت.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢٧/٢٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧٧/٢٠

"مكية، وهي ثلاث وعشرون آية، ومائة وسبع كلمات، وأربعمائة وثلاثون حرفا. بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى: ﴿إذا السمآء انشقت﴾ كقوله تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكوير: ١] في إضمار الفعل وعدمه، وفي «إذا» هذه احتمالات:

أحدها: أن تكون شرطية.

والثاني: أن تكون غير شرطية.

فعلى الأول في جوابها خمسة أوجه:

أحدها: أنها ﴿أذنت﴾ [الانشقاق: ٢، ٥] والواو مزيدة.

قال ابن الأنباري: وهذا غلط؛ لأن العرب لا تقتحم الواو إلا مع «حتى إذا» كقوله تعالى: ﴿حتى إذا جآءوها وفتحت أبوابها﴾ [الزمر: ٧٣] ، أو مع «لما» كقوله تعالى: ﴿فلما أسلما وتله للجبين وناديناه﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤] ، أي: ناديناه، والواو لا تقحم مع غير هذين.

الثاني: أنه «فملاقيه» أي فأنت ملاقيه وإليه ذهب الأخفش.

والثالث: أنه «يا أيها الإنسان» أيضا، ولكن على إضمار القول: أي: يقال: «يا أيها الإنسان» .

والخامس: أنه مقدر، تقديره: بعثتم.

وقيل: تقديره: لاقى كل إنسان كدحه وهو قوله: «فملاقيه» ويكون قوله: «يا أيها الإنسان» معترض، كقولك: إذا كان كذا وكذا - يا أيها الإنسان - ترى عند ذلك ما عملت من خير أو شر.." [١]

"قوله تعالى: ﴿قتل﴾ . هذا جواب القسم على المختار، وإنما حذفت اللام، والأصل: «لقتل» ؛ كقوله: [الطويل]

٥١٥٣ - حلفت لها بالله حلفة فاجر ... لناموا فما إن من حديث ولا صالي

وإنما حسن حذفها للطول كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - في قوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] .

وقيل: تقديره، لقد قتل، فحذف «اللام وقد» ، وعلى هذا فقوله «قتل» خبر، لا دعاء.

وقيل: هي دعاء، فلا يكون جوابا.

وفي الجواب حينئذ أوجه:

أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا﴾ [البروج: ١٠] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٢٦/٢٠

الثاني: قوله: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ [البروج: ١٢] قاله المبرد.
الثالث: أنه مقدر، فقال الزمخشري ولم يذكر غيره: هو محذوف يدل عليه قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء أن كفار قريش ملعونون، كما لعن أصحاب الأخدود ثم قال: «قتل» دعاء عليهم كقوله تعالى: ﴿قتل الإنسان مآ أكفره﴾ [عبس: ١٧] .
وقيل: التقدير: لتبعثن.
وقيل: فيه تقديم وتأخير، قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج، قاله أبو حاتم.
قال ابن الأنباري: وهذا غلط؛ لأنه لا يجوز لقائل أن يقول: والله قام زيد، على معنى: قام زيد والله.
وقرأ الحسن وابن مقسم: «قتل» بتشديد التاء مبالغة أو تكثيرا.
قوله: ﴿أصحاب الأخدود﴾ ، أي: لعن أصحاب الأخدود.
قال ابن عباس: كل شيء في القرآن «قتل» فهو: لعن، والأخدود الشق العظيم المستطيل الغائص في الأرض.
قال الزمخشري: والأخدود: الخد في الأرض وهو: الشق، ونحوهما بناء ومعنى: الخق والأخقوق، ومنه: «فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان» انتهى.
فالخد: في الأصل مصدر، وقد يقع على المفعول، وهو الشق نفسه، وأما الأخدود فاسم له فقط.." (١)

"قوله: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ . يجوز أن يكون «هو» مبتدأ و «الأبتر» خبره، والجملة خبر «إن» ، وأن يكون فصلا.
وقال أبو البقاء: «أو توكيد» ، وهو غلط؛ لأن المظهر لا يؤكد بالمضمر.
والأبتر: الذي لا عقب له، وهو في الأصل: الشيء المقطوع، من بتره، أي: قطعه.
وحمار أبتر: لا ذنب له، ورجل أباتر - بضم الهمزة -: الذي يقطع رحمه.
قال: [الطويل]
٥٣٢٧ - لئيم نزت في أنفه خنزوانة ... على قطع ذي القربى أحذ أباتر
وبتر - بالكسر -: انقطع ذنبه.
قال أهل اللغة: الأبتر من الرجال: من لا ولد له ومن الدواب: الذي لا ذنب له.
[وكل من انقطع من الخير أثره، فهو أبتر. والبتر: القطع بترت الشيء بترا قطعته قبل الإتمام، والانبتار:

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٤٧/٢٠

الانقطاع، والباتر: السيف القاطع] .

وفي الحديث: «ما هذه البتيراء؟» لمن أوتر بركعة واحدة، فأنكر عليه ابن مسعود.

وخطب زياد خطبة بتراء، لم يذكر الله تعالى، ولا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم . وكان للنبي درع يقال لها: «البتراء» سميت بذلك لقصرها وقال ابن السكيت الأبتران: العير والعبد، سيما بذلك لقلة خيرهما.

[والبترية فرقة من الزيدية نسبوا إلى المغيرة بن سعد، ولقبه الأبتر] .

وقرأ العامة: «شانئك» بالألف، اسم فاعل بمعنى الحال، أو الاستقبال أو الماضي.

وقرأ ابن عباس: «شنئك» بغير ألف.

فقيل: يجوز أن تكون بناء مبالغة ك «فعال» و «مفعال» ، وقد أثبته سيبويه؛ وأنشد: [الكامل]

٥٣٢٨ - حذر أمورا لا تضير، وآمن ... ما ليس منجيه من الأقدار." (١)

"فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون كل واحد كان منهيا عن الكتمان، ومأمورا بالبيان؛ [ليكثر المخبرون] ؛ فيتواتر الخبر.

فالجواب: هذا غلط؛ لأنهم ما نهوا عن الكتمان، إلا وهم ممن يجوز عليهم الكتمان، ومن جاز منهم التواطؤ على الكتمان، جاز منهم التواطؤ على الوضع والافتراء، فلا يكو خبرهم موجبا للعلم، والمراد من [الكتاب] قيل: التوراة والإنجيل، وقيل: القرآن، وقيل: أراد بالمنزل الأول ما فيه كتب المتقدمين، والثاني ما في القرآن.

قوله تعالى: «أولئك يلعنهم» يجوز في «أولئك» وجهان:

أحدهما: أن يكون مبتدأ، و «يلعنهم» الخبر؛ لان قوله تعالى: ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ يحتمل أن يكون معطوفا على ما قبله، وهو ﴿يلعنهم الله﴾ وأن يكون مستأنفا، وأتى بصلة «الذين» فعلا مضارعا، وكذلك بفعل اللعنة؛ دلالة على التجدد والحدوث، وأن هذا يتجدد وقتا فوقتا، وكررت اللعنة؛ تأكيدا في ذمهم. وفي قوله «يلعنهم الله» التفات؛ إذ لو جرى على سنن الكلام، لقال: «نلعنهم» ؛ لقوله: «أنزلنا» ، ولكن في إظهار هذا الاسم الشريف ما ليس في الضمير.

فصل في معنى اللعنة، والمراد باللاعنين

اللعنة في أصل اللغة: هي الإبعاد، وفي عرف الشرع، الإبعاد من الثواب، واختلفوا في اللاعنين، من هم؟ فقيل: دواب الأرض وهوامها؛ فإنها تقول: منعنا القطر بمعاصي بني آدم، قنله مجاهد، عن عكرمة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٢٣/٢٠

وقال: «اللاعنون» ، ولم يقل «اللاعنات» ؛ لأنه تعالى وصفها بصفة من يعقل، فجمعها جمع من يعقل؛ كقوله تعالى: ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف: ٤] و ﴿ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ [النمل: ١٨] ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ [فصلت: ٢١] .

و ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ [يس: ٤٠] وقيل: «كل شيء إلا الإنس والجن» قاله ابن عباس.

فإن قيل: كيف يصح اللعن من البهائم، والجمادات؟

فالجواب من وجهين:." (١)

"نصب؛ لمصدر محذوف، تقديره:» وما تفعلوا فعلا من خير «والهاء في» يعلمه «تعود إلى خير.

قال شهاب الدين: وهذا **غلط** فاحش؛ لأنه من حيث علقه بالفعل قبله كيف يجعله نعت مصدر محذوف؟ ولأن جعله الهاء تعود إلى» خير «يلزم منه خلو جملة الجواب من ضمير يعود اسم الشرط، وذلك لا يجوز، أما لو كانت أداة الشرط حرفا، فلا يشترط فيه ذلك، فالصواب ما تقدم. وإنما ذكرت لك هذا لئلا تراه فتتوهم صحته. والهاء عائدة على» ما «التي هي اسم الشرط.

فصل

اعلم أن الله تعالى يعلم كل شيء وإذا خص هنا الخير بأنه يعلمه لفوائد.

أحدها: إذا علمت منك الخير، ذكرته وشهرته، وإذا علمت منك الشر، سترته وأخفيته؛ لتعلم أنه إذا كانت رحمتي بك في الدنيا هكذا فكيف في العقبى؟

وثانيها: قال بعض المفسرين في قوله: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ [طه: ١٥] معناه: لو أمكنني أن أخفيها عن نفسي، لفعلت، فكذا - هاهنا - كأنه قيل للعبد: ما تفعله من الشر، فلو أمكنني أن أخفيه عن نفسي لفعلت ذلك.

وثالثها: أن السلطان العظيم إذا قال لعبده المطيع: كل ما تتحمله من المشقة والخدمة في حقي، فأنا عالم به، ومطلع عليه، كان هذا وعدا له بالثواب العظيم، ولو قال ذلك لعبده المذنب، كان توعدا له بالعقاب الشديد، ولما كان سبحانه أكرم الأكرمين؛ لا جرم ذكر ما يدل على الثواب، ولم يذكر ما يدل على العقاب.

ورابعها: أن جبريل - عليه السلام - لما قال:» ما الإحسان «؟ فقال:» الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك «، فهاهنا بين للعبد أنه يراه، ويعلم ما يفعله من الخيرات لتكون طاعة العبد للرب من الإحسان، الذي هو أعلى درجات العبادة، فإن الخادم متى علم أن مخدومه مطلع عليه، ليس

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠٧/٣

بغافل عن أحواله – كان أحرص على العمل.

فصل

قال القرطبي: هذا شرط وجوابه، والمعنى أن الله يجازيكم على أعمالكم؛ لأن المجازاة إنما تقع من العالم بالشيء.

وقيل: هو تحريض وحث على حسن الكلام مكان الفحش، وعلى البر والتقوى في الأخلاق مكان الفسوق والجدال.." (١)

"وأنزل مقدرا مصاحبته غياهم، وقدره أبو البقاء بقوله: «شاهدا لهم ومؤيدا» ، وهذا تفسير معنى لا إعراب.

والألف واللام في «الكتاب» يجوز أن تكون للعهد، بمعنى أنه كتاب معين؛ كالتوراة مثلا، فإنها أنزلت على موسى، وعلى النبيين بعده؛ بمعنى أنهم حكموا بها، واستداموا على ذلك، وأن تكون للجنس، أي: أنزل مع كل واحد منهم من هذا الجنس.

قال القاضي: ظاهر الآية يدل على أنه لا نبي إلا ومعه كتاب، أنزل فيه بيان الحق: طال ذلك الكتاب، أم قصر، ودون، أو لم يدون، وكان ذلك الكتاب معجزا، أم لم يكن.

وقيل: هو مفرد وضع موضع الجمع: أي وأنزل معهم الكتب، وهو ضعيف.

وهذا الجملة معطوفة على قوله: «فبعث» ولا يقال: البشارة والنذارة ناشئة عن الإنزال فكيف قدما عليه؟ لأنا لا نسلم أنهما إنما يكونان بإنزال كتاب، بل قد يكونان بوحي من الله تعالى غير متلو ولا مكتوب. ولئن سلمنا ذلك، فإنما قدما، لأنهما حالان من «النبيين» فالأولى اتصالهم بهم.

قوله: «بالحق» فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون متعلقا بمحذوف على أنه حال من الكتاب – أيضا – عند من يجوز تعدد الحال، وهو الصحيح.

والثاني: أن يتعلق بنفس الكتاب؛ لما فيه من معنى الفعل، إذ المراد به المكتوب.

والثالث: أن يتعلق بأنزل، وهذا أول؛ لأن جعله حالا لا يستقيم إلا أن يكون حالا مؤكدة، إذ كتب الله تعالى لا تكون ملتبسة بالحق، الأصل فيها أن تكون مستقلة ولا ضرورة بنا إلى الخروج عن الأصل، ولأن الكتاب جار مجرى الجوامد.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٠٦/٣

قوله: «ليحكم» هذا القول متعلق بقوله: «أنزل» : واللام للعله، وفي الفاعل المضمر في «ليحكم» ثلاثة أقوال:

أحدها: وهو أظهرها، أنه يعود على الله تعالى: لتقدمه في قوله: «فبعث الله» ولأن نسبة الحكم إليه حقيقة، ويؤيده قراءة الجحدري فيما نقله عنه مكي «لنحكم» بنون العظمة، وفيه التفات من الغيبة إلى التكلم. وقد ظن ابن عطية أن مكيا غلط في نقل." [١]

"ذكرت ذلك الخبر، قبله العقل بتشوق، فيكون ذلك أبلغ في التحقيق، ونفي الشبهة.

فإن قيل: هلا قيل: يتربصن ثلاثة قروء، وما الفائدة في ذكر الأنفس؟

فالجواب: إن في ذكر الأنفس بعث على التربص وتهييج عليه؛ لأن فيه ما يستنكفن منه، فيحملهن على أن يتربصن، وذلك لأنذ أنفس النساء طوامح إلى الرجال، فأراد أن يقعن على أنفسهن، ويغلبنها على الطموح، ويحرضنها على التربص.

فإن قيل: لم لم يقل: ثلاث قروء؛ كما يقال: ثلاث حيض؟

والجواب: أنه أتبع تذكير اللفظ، ولفظ «قرء» مذكر.

والقرء في اللغة: أصله الوقت المعتاد تردده، ومنه: قرء النجم لوقت طلوعه وأفوله، يقال: «أقرأ النجم» ، أي: طلع أو أفل، ومنه قيل لوقت هبوب الر] ح: قرؤها وقارئها؛ قال الشاعر: [الوافر]

١١٠٥ - شنئت العقر عقر بني شليل ... إذا هبت لقاريها الرياح

أي: لوقتها، وقيل: أصله الخروج من طهر إلى حيض، أو عكسه، وقيل: هو من قولهم: قريت الماء في الحوض؛ أي: جمعته، ومنه: قرأ القرآن. وقولهم: ما قرأت هذه الناقة في بطنها سلا قط، أي لم تجمع فيه جنينا؛ ومنه قول عمرو بن كلثوم: [الوافر]

١١٠٦ - ذراعي عيطل أدماء بكر ... هجان اللون لم تقرأ جنينا

فعلى هذا: إذا أريد به الحيض، فلاجتماع الدم في الرحم، وإن أريد به الطهر، فلاجتماع الدم في البدن، وهذا قول الأصمعي، والفراء، والكسائي.

قال شهاب الدين: وهو غلط؛ لأن هذا من ذوات الياء، والقرء مهموز.

وإذا تقرر ذلك فاختلف العلماء في إطلاقه على الحيض والطهر: هل هو من باب الاشتراك اللفظي، ويكون ذلك من الأضداد أو من الاشتراك المعنوي، فيكون من المتواطئ؛ كما إذا أخذنا القدر المشترك: إما

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣/٥٠٥

الاجتماع، وإما الوقت، وإما الخروج، ونحو ذلك. وقرء المرأة لوقت حيضها وطهرها، ويقال فيهما: أقرأت المرأة، أي: حاضت أو طهرت، وقال الأخفش: أقرأت أي: صارت ذات حيض، وقرأت بغير ألف أي: حاضت، وقيل: القرء، الحيض، مع الطهر، وقيل: ما بين الحيضتين. والقائل." (١)

"والتكليف: الإلزام، وأصله من الكلف، وهو الأثر من السواد في الوجه؛ قال: [البسيط]

١١٢٨ - يهدي بها أكلف الخدين مختبر ... من الجمال كثير اللحم عيثوم

فمعنى «تكلف الأمر» ، أي: اجتهد في إظهار أثره.

وفلان كلف بكذا: أي مغرى به.

و «الوسع» هنا ما يسع الإنسان فيطيق أخذه من سعة الملك أي الغرض، ولو ضاق لعجز عنه، فالسعة بمنزلة القدرة، ولهذا قيل: الوسع فوق الطاقة، والمراد منه: أن أبا الصبي لا يتكلف الإنفاق عليه، وعلى أمه، إلا ما تتسع له قدرته، لأن الوسع ما تتسع له القدرة، ولا يبلغ استغراق القدرة؛ وهو نظير قوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق ممآ آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا مآ آتاها﴾ [الطلاق: ٧]

.

فصل في احتجاج المعتزلة بالآية

تمسك المعتزلة بهذه الآية في أن الله - تعالى - لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه.

وقوله: ﴿لا تضآر﴾ ابن كثير، وأبو عمرو: «لا تضار« برفع الراء مشددة، وتوجيهها واضح، لأنه فعل مضارع لم يدخل عليه ناصب ولا جازم فرفع، وهذه القراءة مناسبة لما قبلها، من حيث إنه عطف جملة خبرية على خبرية مثلها من حيث اللفظ وإلا فالأولى خبرية لفظا ومعنى، وهذه خبرية لفظا نهيية معنى ويدل عليه قراءة الباقين كما سيأتي.

قال الكسائي والفراء: هو نسق على قوله: «لا يكلف» .

قال عليبن عيسى: هذا غلط؛ لأن النسق ب «لا» إنما هو إخراج على إخراج الثاني مما دخل فيه الأول نحو: «ضربت زيدا لا عمرا» فأما أن يقال: يقوم زيد لا يقعد عمرو، فهو غير جائز على النسق، بل الصواب أنه مرفوع على الاستئناف في النهي كما يقال: لا تضرب زيدا لا تقتل عمرا.

وقرأ باقي السبعة: بفتح الراء مشددة، وتوجيهها أن «لا» ناهية، فهي جازمة،." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٣/٤

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧٦/٤

"قوله تعالى: ﴿لنبي﴾ متعلق ب «قالوا» واللام فيه للتبليغ، و «لهم» متعلق بمحذوف لأنه صفة لنبي، ومحله الجر، و «ابعث» وما في حيزه في محل نصب بالقول. و «لنا» الظاهر أنه متعلق بابعث، واللام للتعليل أي: لأجلنا.

قوله: ﴿نقاتل﴾ الجمهور بالنون والجزم على جواب الأمر. وقرئ بالياء والجزم على ما تقدم، وابن أبي عبلة بالياء ورفع اللام على الصفة لملكا، فمحلها النصب أيضا. [وقرئ بالنون ورفع اللام على أنها حال من «لنا» فمحلها النصب أيضا] أي: ابعثه لنا مقدرين القتال، أو على أنها استئناف جواب لسؤال مقدر كأنه قال لهم: ما يصنعون بالملك؟ فقالوا نقاتل.

قوله: ﴿هل عسيتم﴾ عسى واسمها، وخبرها «أن لا تقاتلوا» والشرط معترض بينهما، وجوابه محذوف للدلالة عليه، وهذا كما توسط في قوله: ﴿وإنآ إن شآء الله لمهتدون﴾ [البقرة: ٧٠] ، وهذا على رأي من يجعل «عسى» داخلة على المبتدأ والخبر، ويقول إن «أن» زائدة لئلا يخبر بالمعنى عن العين. وأما من يرى أنها تضمن معنى فعل متعد فيقول: «عسيتم» فعل وفاعل، و «أن» وما بعدها مفعول به تقديره: هل قاربتم عدم القتال، فهي عنده ليست من النواسخ، والأول هو المشهور.

وقرأ نافع «عسيتم» هنا وفي القتال: بكسر السين، وهي لغة مع تاء الفاعل مطلقا ومع ن [ومع] نون الإناث نحو: عسينا وعسين، وهي لغة الحجاز، ولهذا **غلط** من قال: «عسى تكسر مع المضمر» وأطلق، بل كان ينبغي له أن يقيد الضمير بما ذكرنا، إذ لا يقال: الزيدان عسيا والزيدون عسيوا بالكسر البتة.

وقال الفارسي: «ووجه الكسر قول العرب:» هو عس بكذا «مثل: حر وشج، وقد جاء فعل وفعل في نحو: نقم ونقم، فكذلك عسيت وعسيت، فإن أسند الفعل إلى ظاهر فقياس عسيتم - أي بالكسر - أن يقال:» عسي زيد «مثل:» رضي زيد «.

فإن قيل: فهو القياس، وإن لم يقل فسائغ أن يؤخذ باللغتين، فتستعمل إحداهما موضع الأخرى كما فعل ذلك في غيره» فظاهر هذه العبارة أنه يجوز كسر سينها مع الظاهر بطريق القياس على المضمر، وغيره من النحويين يمنع ذلك حتى مع المضمر مطلقا، ولكن لا يلتفت إليه لوروده متواترا، وظاهر قوله «قول العرب: عس» أنه مسموع منهم." (١)

"والثاني: أن يكون معمولا لآتاه، ذكره أبو البقاء. وفيه نظر من حيث إن وقت إيتاء الملك ليس وقت قول إبراهيم، ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ ، إلا أن يتجوز في الظرف كما تقدم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤/٢٦٣

والثالث: أن يكون بدلا من ﴿أن آتاه الله الملك﴾ إذا جعل بمعنى الوقت، أجازه الزمخشري بناء منه على أن «أن» واقعة موقع الظرف، وقد تقدم ضعفه، وأيضا فإن الظرفين مختلفان، كما تقدم إلا بالتجوز المذكور.
وقال أبو البقاء رحمه الله «وذكر بعضهم أنه بدل من» أن آتاه الملك «وليس بشيء؛ لأن الظرف غير المصدر، فلو كان بدلا لكان غلطا إلا أن تجعل» إذ «بمعنى» أن «المصدرية، وقد جاء ذلك» انتهى.
وهذا بناء منه على أن «أن» مفعول من أجله، وليست واقعة موقع الظرف، أما إذا كانت «أن» واقعة موقع الظرف فلا تكون بدل غلط، بل بدل كل من كل، كما هو قول الزمخشري وفيه ما تقدم بجوابه، مع أنه يجوز أن تكون بدلا من «أن آتاه» ، و «أن آتاه» مصدر مفعول من أجله بدل اشتمال؛ لأن وقت القول لاتساعه مشتمل عليه وعلى غيره.
الرابع: أن العامل فيه «تر» منق وله: «ألم تر» ذكره مكي رحمه الله تعالى، وهذا ليس بشيء؛ لأن الرؤية على كلا المذكورين في نظيرها لم تكن في وقت قوله: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ .
قوله: ﴿الذي يحيي﴾ مبتدأ في محل نصب بالقول.
فصل
الظاهر أن هذا جواب سؤال سابق غير مذكور؛ لأن الأنبياء بعثوا للدعوة ومتى ادعى الرسالة والدعوة، فلا بد وأن يطالبه المنكر بإثبات أن للعالم إلها؛ ألا ترى لما قال موسى – عليه الصلاة والسلام – ﴿إنا رسول رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٦] ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] فاحتج موسى على إثبات الإله بقوله ﴿رب السماوات والأرض﴾ [الشعراء: ٢٤] فكذا ها هنا لما ادعى إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – الرسالة قال النمروذ من ربك؟ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت.
وقرأ حمزة: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ بإسكان الياء، وكذلك ﴿حرم ربي الفواحش﴾ [الأعراف: ٣٣] ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض﴾ [الأعراف: ١٤٦] ، و ﴿قل لعبادي الذين﴾ [إبراهيم: ٣١] ، و ﴿آتاني الكتاب﴾ [مريم: ٣٠] و ﴿مسني الضر﴾ [الأنبياء: ٨٣] و ﴿مسني الشيطان﴾ [ص: ٤١] و ﴿عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ، و ﴿عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣] و ﴿إن أرادني الله﴾ [الزمر: ٣٨] ، و ﴿إن أهلكني الله﴾ [." (١)

"أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ [الحج: ٥] والمراد من ربوها ما ذكرنا، فكذا ها هنا.
وأيضا فإنه تبارك وتعالى ذكر هذا المثل في مقابلة المثل الأول، وهو الصفوان الذي لا يؤثر فيه المطر، ولا

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٣٩/٤

يربو، ولا ينمو؛ بسبب نزول المطر عليه، فكان المراد بالربوة في هذا المثل كون الأرض بحيث تربو، وتنمو والله أعلم.

قال ابن عطية: ورياض الحزن لست من هذا، كما زعم الطبري؛ بل تلك هي الرياض المنسوبة إلى نجد؛ لأنها خير من رياض تهامة ونبات نجد أعطر، ونسيمه أبرد وأرق، ونجد يقال لها حزن وقلما يصلح هواء تهامة إلا بالليل، ولذلك قالت الأعرابية: " زوجي كليل تهامة ".

قوله: " أصابها وابل " هذه الجملة فيها أربعة أوجه:

أحدها: أنها صفة ثانية لجنة، وبدئ هنا بالوصف بالجار والمجرور، ثم بالجملة؛ لأنه الأكثر في لسانهم؛ لقربه من المفرد، وبدئ بالوصف الثابت المستقر وهو كونها بربوة، ثم بالعارض، وهو إصابة الوا بل. وجاء قوله في وصف الصفوان بقوله: " عليه تراب " ثم عطف على الصفة " فأصابه وابل " وهنا لم يعطف بل أخرج صفة.

والثاني: أن تكون صفة ل " ربوة ".

قال أبو البقاء: " لأن الجنة بعض الربوة " كأنه يعني أنه يلزم من وصف الربوة بالإصابة، وصف الجنة به.

الثالث: أن تكون حالا من الضمير المستكن في الجار؛ لوقوعه صفة.

الرابع: أن تكون حالا من " جنة "، وجاز ذلك؛ لأن النكرة قد تخصصت بالوصف.

قوله: " فآتت أكلها " أي أعطت و" أكلها " فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وهو الأصح أن " آتت " تتعدى لاثنين، حذف أولهما وهو " صاحبها "، أو " أهلها ". والذي حسن حذفه، أن القصد الإخبار عما تثمر، لا عمن تثمر له؛ ولأنه مقدر في قوله: " كمثل جنة " أي: غارس جنة، أو صاحب جنة؛ كما تقدم. و" أكلها " هو المفعول الثاني. و" ضعفين " نصب على الحال من " أكلها ".

والثاني: أن " ضعفين " هو المفعول الثاني، وهذا غلط.

والثالث: أن " آتت " هنا بمعنى أخرجت، فهو متعد لمفعول واحد. قال أبو البقاء: " لأن معنى " آتت ": أخرجت، وهو من الإتاء، وهو الريع ". قال أبو حيان:

"." (١)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤/٠٠٤

"فأدفعه» فليس إعدادك الخشبة؛ لأنء يميل الحائط، ولا إعدادك السلاح لأن يجيء العدو وإنما للإدغام إذا مال، وللدفع إذا جاء العدو، وهذا مما يعود إليه المعنى ويهجر فيه جانب اللفظ.

وقد ذهب الجرجاني في هذه الآية الكريمة إلى أن التقدير: مخافة أن تضل؛ وأنشد قول عمرو: [الوافر]

١٢٨٣ - ... ... فعجلنا القرى أن تشتمونا

أي: «مخافة أن تشتمونا» وهذا صحيح لو اقتصر عليه من غير أن يعطف عليه قوله «فتذكر» ؛ لأنه كان التقدير: فاستشهدوا رجلا وامرأتين، مخافة أن تضل إحداهما، ولكن عطف قوله: «فتذكر» يفسده، إذا يصير التقدير: مخافة أن تذكر إحداهما الأخرى، [وإذكار إحداهما الأخرى] ليس مخوفا منه، بل هو المقصود، وقال أبو جعفر: «سمعت علي بن سليمان يحكي عن أبي العباس أن التقدير كراهة أن تضل» قال أبو جعفر رحمه الله تعالى: «وهو **غلط** إذ يصير المعنى: كراهة أن تذكر إحداهما الأخرى» .

وذهب الفراء إلى أن تقدير الآية الكريمة: «كي تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت» ، فلما قدم الجزاء اتصل بما قبله ففتحت «أن» ، قال: ومثله من الكلام: «إنه ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى» معناه: إنه ليعجبني أن يعطى السائل إن سأل؛ لأنه إنما يعجب الإعطاء لا السؤال، فلما قدموا السؤال على العطية أصحبوه أن المفتوحة لينكشف المعنى، فعنده «أن» في «أن تضل» للجزاء، إلا أنه قدم وفتح، وأصله التأخير.

ورد البصريون هذا القول أبلغ رد. قال الزجاج: «لست أدري لم صار الجزاء [إذا تقدم] وهو في مكانه وغير مكانه يوجب فتح أن» . وقال الفارسي: ما ذكره الفراء دعوى لا دلالة عليها، والقياس يفسدها، ألا ترى أنا نجد الحرف العامل، إذا تغيرت حركته؛ لم يوجب ذلك تغيرا في عمله ولا معناه، كما روى أبو الحسن من فتح اللام الجارة مع المظهر عن يونس، وأبي عبيدة، وخلف الأحمر، فكما أن هذه اللام لما فتحت لم يتغير من عملها ومعناها شيء، كذلك «إن» الجزائية ينبغي، إذا فتحت ألا يتغير عملها ولا معناها، ومما يبعده أيضا أنا نجد الحرف العامل لا يتغير عمله بالتقديم و [لا] بالتأخير، تقول «مررت بزيد» وتقول: «بزيد مررت» فلم يتغير عمل الباء بتقديمها." (١)

"فصل

قال القرطبي: لما جعل الله تعالى شهادة امرأتين بدل شهادة رجل؛ وجب أن يكون حكمهما حكمه، فكما له أن يخلف مع الشاهد عندنا، وعند الشافعي، كذلك يجب أن يحلف مع شهادة امرأتين بمطلق هذه العوضية، وخالف في هذا أبو حنيفة، وأصحابه، فلم يروا اليمين مع الشاهد.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤/٤٩١

قالوا: لأن الله تعالى قسم الشهادة، وعددها، ولم يذكر الشاهد مع اليمين، فلا يجوز القضاء به؛ لأنه يكون قسما ثالثا على ما قسمه الله، وهذه زيادة على النص، فيكون نسخا، وهذا قول الثوري، والأوزاعي والحكم بن عتيبة وطائفة.

قال بعضهم: الحكم باليمين مع الشاهد منسوخ بالقرآن، وزعم عطاء أن أول من قضى به عبد الملك بن مروان.

وقال الحكم: القضاء باليمين والشاهد بدعة، وهو كله غلط، وليس في قوله تعالى: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ الآية ما يرد به قضاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باليمين، والشاهد؛ ولا أنه لا يتوصل إلى الحقوق إل ا بما ذكر فيها لا غير، فإن ذلك يبطل بنكول المطلوب ويمين الطالب، فإن ذلك يستحق به المال إجماعا، وليس هو في الآية، مع أن الخلفاء الأربعة: قضوا بالشاهد واليمين، وقضى به أبي بن كعب، ومعاوية وشريح وعمر بن عبد العزيز، وكتب به إلى عماله، وإياس بن معاوية، وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو الزناد وربيعة.

قال مالك: أترى هؤلاء تنقض أحكامهم، ويحكم ببدعتهم مع ما روى ابن عباس أن النبي – صلى الله عليه وسلم –: قضى بالشاهد مع اليمين.

قوله: ﴿ولا يأب الشهدآء﴾ مفعوله محذوف لفهم المعنى، أي: لا يأبون إقامة الشهادة، وقيل: المحذوف مجرور لأن «أبى» بمعنى امتنع، فيتعدى تعديته أي من إقامة الشهادة.

قوله: ﴿إذا ما دعوا﴾ ظرف ل «يأب» أي: لا يمتنعون في وقت [دعوتهم] لأدائها، أو لإقامتها، ويجوز أن تكون [متمحضة للظرف، ويجوز أن تكون] شرطية والجواب محذوف أي: إذا دعوا فلا يأبوا.." (١)

"كقوله: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم﴾ [النساء: ١٠١] وليس الخوف من شرط جواز القصر؛ ويدل عليه ما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي ولم يكن ذلك في سفر.

قوله: ﴿فإن أمن﴾ قرأ أبي فيما نقله عنه الزمخشري «أومنط مبنيا للمفعول، قال الزمخشري: أي:» أمنه الناس ووصفوا المديون بالأمانة والوفاء «قلت: وعلام تنتصب بعضا؟ والظاهر نصبه بإسقاط الخافض على حذف مضاف، أي: فإن أومن بعضكم على متاع بعض، أو على دين بعض.

وفي حرف أبي:» فإن اؤتمن «يعني: وإن كان الذي عليه الحق أمينا عند صاحب الحق؛ فلم يرتهن منه

---

(١) اللباب في علوم الكت ا ب ابن عادل ٤٩٦/٤

شيئا؛ لحسن ظنه به.

قوله: ﴿فليؤد الذي اؤتمن أمانته﴾ إذا وقف على الذي، وابتدىء بما بعدها قيل:» اوتمن «بهمزة مضمومة، بعدها واو ساكنة، وذلك لأن أصله اؤتمن؛ مثل اقتدر بهمزتين: الأولى للوصل، والثانية فاء الكلمة، ووقعت الثانية ساكنة بعد أخرى مثلها مضمومة؛ فوجب قلب الثانية لمجانس حركة الأولى، فقلت: اوتمن؛ فأما في الدرج، فتذهب همزة الوصل؛ فتعود الهمزة إلى حالها؛ لزوال موجب قلبها واوا، بل تقلب ياء صريحة في الوصل؛ في رواية ورش.

وروي عن عاصم:» الذي اؤتمن «برفع الألف ويشير بالضمة إلى الهمزة، قال ابن مجاهد:» وهذه الترجمة **غلط** «وروى سليم عن حمزة إشمام الهمزة الضم، وفي الإشارة، والإشمام المذكورين نظر.

وقرأ عاصم أيضا في شاذه: «الذي اتمن» بإدغام الياء المبدلة من الهمزة في تاء الافتعال، قال الزمخشري: قياسا على: «اتسر» في الافتعال من اليسر، وليس بصحيح؛ لأن الياء منقلبة عن الهمزة، فهي في حكم الهمزة، واتزر عامي، وكذلك «ريا» في «رؤيا» .

قال أبو حيان: وما ذكره الزمخشري فيه: أنه ليس بصحيح، وأن «اتزر» عامي - يعني أنه من إحداث العامة لا أصل له في اللغة - قد ذكره غيره أن بعضهم أبدل، وأدغم: «اتمن واتزر» وأن لغة رديئة، وكذلك «ريا» في رؤيا، فهذا التشبيه إما أن يعود على قوله: «واتزر عامي» ، فيكون إدغام «ريا» عاميا، وإما أن يعود إلى قوله «فليس بصحيح»." (١)

"بعض، وأما قياسه على الباري تعالى، فلا أدري ما الجامع بينهما؟ وكان في كلام الزمخشري ما هو أولى بالاعتراض عليه. فإنه قال: وقرأ الأعمش: «يغفر» بغير فاء مجزوما على البدل من «يحاسبكم» ؛ كقوله: [الطويل]

١٣٠٣ - متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وهذا فيه نظر؛ لأنه لا يطابق ما ذكره بعد ذلك؛ كما تقدم حكايته عنه؛ لأن البيت قد أبدل فيه من فعل الشرط، لا من جوابه، والآية الكريمة قد أبدل فيها من نفس الجواب، ولكن الجامع بينهما كون الثاني بدلا مما قبله وبيانا له.

وقرأ أبو عمرو بإدغام الراء في اللام، والباقون بإظهارها، وأظهر الباء قبل الميم هنا ابن كثير بخلاف [عنه] ، وورش عن نافع، والباقون بالإدغام، وقد طعن قوم على قراءة أبي عمرو؛ لأن إدغام الراء في اللام عندهم

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤/ ٥١٠

ضعيف.

قال الزمخشري: «فإن قلت:» كيف يقرأ الجازم «؟ قلت: يظهر الراء، ويدغم الباء، ومدغم الر اء في اللام لاحن مخطىء خطأ فاحشا، وراويه عن أبي عمرو مخطىء مرتين؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في هذه الروايات قلة ضبط الرواة، وسبب قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو» قال شهاب الدين. وهذا من أبي القاسم غير مرضي؛ إذ القراء معتنون بهذا الشأن؛ لأنهم تلقوا عن شيوخهم الحرف [بعد الحرف] ، فكيف يقل ضبطهم؟ وهو أمر يدرك بالحس السمعي، والمانع من إدغام الراء في اللام والنون هو تكرير الراء وقوتها، والأقوى لا يدغم في الأضعف، وهذا مذهب البصريين: الخليل وسيبويه ومن تبعهما، وأجاز ذلك الفراء والكسائي والرؤاسي ويعقوب الحضرمي ورأس البصريين أبو عمرو، وليس قوله: «إن هذه الرواية **غلط** عليه» بمسلم، ثم ذكر أبو حيان نقولا عن القراء كثيرة، وهي منصوصة في كتبهم، فلم أر لذكرها هنا فائدة؛ فإن مجموعها ملخص فيما ذكرته، [وكيف] يقال: إن اا‌لراوي ذلك عن أبي عمرو مخطىء مرتين، ومن جملة رواته اليزيدي إمام النحو واللغة، وكان ينازع الكسائي رئاسته، ومحله مشهور بين أهل هذا الشأن.." (١)

"السادس: قال ابن كيسان: «ألف» اله «وكل ألف مع لام التعريف [ألف] قطع بمنزلة» قد «وحكمها حكم ألف القطع؛ [لأنهما حرفان جاء لمعنى] ، وإنما وصلت لكثرة الاستعمال، فمن حرك الميم ألقى عليها حركة الهمزة التي بمنزلة القاف من» قد «ففتحها بفتح الهمزة» ، نقله عنه مكي.

فعلى هذا هذه حركة نقل من همزة قطع، وهذا المذهب مشهور عن الخليل بن أحمد، حيث يعتقد أن التعريف حصل بمجموع «أل» ، كالاستفهام يحصل بمجموع «هل» ، وأن الهمزة ليست مزيدة، لكنه مع اعتقاده ذلك يوافق على سقوطها في الدرج؛ إجراء لها مجرى همزة الوصل، لكثرة الاستعمال، لذلك قد تثبت ضرورة؛ لأن الضرورة ترد الأشياء إلى أصولها.

ولما نقل أبو البقاء هذا القول ولم يعزه، قال: «وهذا يصح على قول من جعل أداة التعريف» أل «- يعني الخليل؛ لأنه المشهور بهذه المقالة» .

وقد تقدم النقل عن عاصم أنه يقرأ بالوقف على «ميم» ويبتدئ ب ﴿الله لاا إله إلا هو﴾ كما هو ظاهر عبارة الزمخشري عنه، وغيره يحكي عنه أنه يسكن الميم ويقطع الهمزة - من غير وقف منه على الميم - كأنه يجري الوصل مجرى الوقف، وهذا هو الموافق لغالب نقل القراء عنه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤/٥٢١

وقرأ عمرو بن عبيد – فيما نقل الزمخشري – وأبو حيوة والرواسي فيما نقل ابن عطية «الم الله» – بكسر الميم –.

قال الزمخشري: «وما هي بمقبولة عنه» ، والعجب منه كيف تجرأ على عمرو بن عبيد وهو عنده معروف المنزلة، وكأنه يريد: وما هي بمقبولة عنه، أي: لم تصح عنه.

وكأن الأخفش لم يطلع على أنها قراءة فقال: «لو كسرت الميم؛ لالتقاء الساكنين – فقيل:» الم الله «– لجاز» .

قال الزجاج: وهذا غلط من أبي الحسن، لأن قبل الميم ياء مكسورا ما قبلها فحقها الفتح، لالتقاء الساكنين، وذلك لثقل الكسر مع الياء. وهذا – وإن كان كما قال –." (١)

"ونقل الزمخشري: قراءة يحبكم – بفتح الياء والإدغام – وهو ظاهر، لأنه متى سكن المثلين جزما، أو وقفا جاز فيه لغتان: الفك والإدغام. وسيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله في المائدة.

والحب: الخابية – فارسي معرب – والجمع: حباب وحببة، حكاه الجوهري.

وقرأ الجمهور «فاتبعوني» بتخفيف النون، وهي للوقاية.

وقرأ الزهري بتشديدها، وخرجت على أنه ألحق الفعل نون التأكيد، وأدغمها في نون الوقاية وكان ينبغي له أن يحذف واو الضمير؛ لالتقاء الساكنين، إلا أنه شبه ذلك بقوله: ﴿أتحاجواني﴾ وهو توجيه ضعيف ولكن هو يصلح لتخريج هذا الشذوذ.

وطعن الزجاج على من روى عن أبي عمرو إدغام الراء من «يغفر» في لام «لكم» .

وقال: هو خطأ وغلط على أبي عمرو. وقد تقدم تحقيقه، وأنه لا خطأ ولا غلط، بل هو لغة للعرب، نقلها الناس، وإن كان البصريون لا يجيزون ذلك كما يقول الزجاج.

فصل

اعلم أنه – تعالى – لما دعاهم إلى الإيمان به وبرسوله على سبيل التهديد والوعيد دعاهم إلى ذلك بطريق آخر، وهو أن اليهود كانوا يقولون: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ [المائدة: ١٨] فنزلت هذه الآية.

وروي الضحاك – عن ابن عباس – أن النبي وقف على قريش – وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها السيوف.

– فقال: يا معشر قريش، والله لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم، فقالت قريش: إنما نعبدها حبا لله: ﴿ليقربونا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٩

إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣] ، فقال الله - تعالى -: «قل» يا محمد ﴿إن كنتم تحبون الله﴾ فتعبدون الأصنام لتقربكم إليه ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ فأنا رسوله إليكم، وحجته عليكم أي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله.

وقال القرطبي: «نزلت في وفد نجران؛ إذ زعموا أن ما ادعوه في عيسى حب لله عز وجل» .

وروي أن المسلمين قالوا: يا رسول الله، والله إنا لنحب ربنا، فأنزل الله - عز وجل - ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ [آل عمران: ٣١] .." (١)

"واسم الفاعل وما جرى مجراه إذا وصف قبل معموله لا يجوز له - إذ ذاك - أن يعمل، على خلاف لبعض الكوفيين في ذلك؛ لأن اتصافه تعالى ب ﴿سميع عليم﴾ لا يتقيد بذلك الوقت.

قال شهاب الدين: «وهذا القدر غير مانع؛ لأنه يتسع في الظرف وعديله ما لا يتسع في غيره، ولذلك تقدم على ما في خبر» أل «الموصولة وما في خبر» أن «المصدرية» .

وأما كونه - تعالى - سميعا عليما لا يتقيد بذلك الوقت، فإن سمعه لذلك الكلام مقيد بوجود ذلك الكلام، وعلمه - تعالى - بأنها تذكر مقيد بذكرها لذلك، والتغير في السمع والعلم، إنما هو في النسب والتعلقات.

الرابع: أن تكون «إذ» زائدة، وهو قول أبي عبيدة، والتقدير: قالت امرأة عمران، وهذا **غلط** من النحويين، قال الزجاج لم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئا؛ لأن إلغاء حرف من كتاب الله تعالى - من غير ضرورة لا يجوز، وكان أبو عبيدة يضعف في النحو.

الخامس: قال الأخفش والمبرد: التقدير: «ألم تر إذ قالت امرأة عمران، ومثله في كتاب الله كثير» .

فصل

امرأة عمران هي حنة بنت فاقوذا أم مريم، وهي حنة - بالحاء المهملة والنون - وجدة عيسى - عليه السلام - وليس باسم عربي.

قال القرطبي: «ولا يعرف في العربية» حنة «: اسم امرأة - وفي العرب أبو حنة البدري، ويقال فيه أبو حبة - بالباء الموحدة - وهو أصح، واسمه عامر، ودير حنة بالشام، ودير آخر أيضا يقال له كذلك.

قال أبو نواس:

١٤١٤ - يا دير حنة من ذات الأكيراح ... من يصح عنك فإني لست بالصاحي

وفي العرب كثير، منهم أبو حبة الأنصاري وأبو السنابل بن بعكك - المذكور في حديث سبيعة الأسلمية،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥٧/٥

ولا يعرف» خنة «- بالخاء المعجمة - إلا بنت يحيى بن أكثم، وهي أم محمد بن نصر، ولا يعرف» جنة «- بالجيم - إلا أبو جنة وهو خال ذي الرمة الشاعر، نقل هذا كله ابن ماكولا» .

وعمران بن ماثان، وليس بعمران أبي موسى، وبينهما ألف وثمانمائة سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم.

وقيل: عمران بن أشهم، وكان زكريا قد تزوج إيشاع بنت فاقوذ، وهي أخت حنة." (١)

"قوله: ﴿ألا نعبد إلا الله﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: أنه بدل من «كلمة» - بدل كل من كل.

الثاني: بدل من «سواء» جوزه أبو البقاء؛ وليس بواضح، لأن المقصود إنما هو الموصوف لا صفته فنسبة البدلية إلى الموصوف أولى، وعلى الوجهين ف «أن» وما في حيزها في محل جر.

الثالث: أنه في محل رفع؛ خبرا لمبتدأ مضمر، والجملة استئناف، جواب لسؤال مقدر، كأنه لما قيل: ﴿تعالوا إلى كلمة﴾ قال قائل: ما هي؟ فقيل: هي أن لا نعبد إلا الله، وعلى هذا الأوجه الثلاثة ف «بين» منصوب ب «سواء» ظرفا له، أي: يقع الاستواء في هذه الجهة.

وقد صرح بذلك [الشاعر] ، حيث قال: [الوافر]

١٤٩٩ - أروني خطة لا عيب فيها ... يسوي بيننا فيها السواء

والوقف التام - حينئذ - عند قوله: ﴿من دون الله﴾ ؛ لارتباط الكلام معنى وإعرابا.

الرابع: أن يكون «أن» وما في حيزها في محل رفع بالابتداء، والخبر: الظرف قبله.

الخامس: جوز ابو البقاء أن يكون فاعلا بالظرف قبله، وهذا إنما يتأتى على رأي الأخفش؛ إذا لم يعتمد الظرف.

وحينئذ يكون الوقف على «سواء» ثم يبتدأ بقوله: ﴿بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله﴾ وهذا فيه بعد من حيث المعنى، ثم إنهم جعلوا هذه الجملة صفة ل «كلمة» ، وهذا غلط؛ لعدم رابطة بين الصفة والموصوف، وتقدير العائد ليس بالسهل.

وعلى هذا فقول أبي البقاء: وقيل: تم الكلام على «سواء» ، ثم استأنف، فقال: ﴿بيننا وبينكم ألا نعبد﴾ ، أي: بيننا وبينكم التوحيد، فعلى هذا يكون ﴿ألا نعبد﴾ مبتدأ، والظرف خبره، والجملة صفة ل «الكلمة» ، غير واضح؛ لأنه - من حيث جعلها صفة - كيف يحسن أن يقول: تم الكلام على «سواء» ثم استأنف؟

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦٨/٥

بل كان الصواب – على هذا الإعراب – أن تكون الجملة استئنافية – كما تقدم.

السادس: أن يكون: ﴿ألا نعبد﴾ مرفوعا بالفاعلية ب «سواء» ، وإلى هذا ذهب الرماني؛ فإن التقدير – عنده – إلى كلمة مستو فيها بيننا وبينكم عدم عبادة غير الله تعالى:

قال أبو حيان: «إلا أن فيه إضمار الرابط – وهو فيها – وهو ضعيف» .

فصل

لما أورد صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران أنواع الدلائل، دعاهم إلى المباهلة فخافوا، وما." (١)

"وأنشد ابن مجاهد على ذلك: [البسيط]

١٥١٦ – وأشرب الماء ما بي نحوه عطش ... إلا لأن عيونه سيل واديها

وأنشد الأخفش: [الطويل]

١٥١٧ – فبت لدى البيت العتيق أخيله ... ومطواي مشتاقان له أرقان

إلا أن هذا يخصه بعضهم بضرورة الشعر، وليس كما قال، لما سيأتي.

وقد طعن بعضهم على هذه القراءة، فقال الزجاج: هذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بين؛ وأن الفاء لا ينبغي أن تجزم، وإذا لم تجزم فلا تسكن في الوصل، وأما ابو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة، فغلط عليه كما غلط عليه في «باريكم» . وقد حكى عنه سيبويه – وهو ضابط لمثل هذا – أنه كان يكسر كسرا خفيا، يعني يكسر في ﴿بارئكم﴾ [البقرة: ٥٤] كسرا خفيا، فظنه الراوي سكونا.

قال شهاب الدين: وهذا الرد من الزجاج ليس بشيء لوجوه:

منها: أنه فر من السكون غلى الاختلاس، والذي نص على أن السكون لا يجوز نص على أن الاختلاس – ايضا – لا يجوز إلا في ضرورة، بل جعل الإسكان في الضرورة أحسن منه في الاختلاس، قال: ليجرى الوصل مجرى الوقف إجراء كاملا، وجعل قوله: [البسيط]

١٥١٨ – ... ... إلا لأن عيونه سيل واديها

أحسن من قوله: [البسيط]

١٥١٩ – ... ... ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمر

حيث سكن الأول، واختلس الثاني.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٩٦/٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٣١/٥

"الثاني: أن يعوج على «ذهبا» ، قاله أبو البقاء.

قال أبو حيان: ويوجد في بعض التفاسير أنها تعود على الملء، أو على الذهب، فقوله: «أو على الذهب» غلط.

قال شهاب الدين: «كأن وجه الغلط فيه أنه ليس محدثا عنه، إنما جيء به بيانا وتفسيرا لغيره، فضلة» .

الثالث: أن يعود على «مثل» محذوف.

قال الزمخشري: «ويجوز أن يراد: ولو افتدى بمثله، كقوله: ﴿لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه﴾ [الرعد: ١٨] ، والمثل يحذف في كلامهم كثيرا، كقولك: ضربت ضرب زيد - تريد: مثل ضربه - وقولك: أبو يوسف أبو حنيفة - أي: مثله -.

وقوله: [الرجز]

١٥٣٧ - لا هيثم الليلة للمطي ... ولا فتى إلا ابن خيبري

و» قضية ولا أبا حسن لها «يريد: لا مثل هيثم، ولا مثل أبي حسن، كما أنه يزاد قولهم: مثلك لا يفعل كذا، يريدون: أنت لا تفعل كذا، وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر، فكانا في حكم شيء واحد» .

قال أبو حيان: «ولا حاجة إلى تقدير» مثل «في قوله:» ولو افتدى به «، وكأن الزمخشري تخيل ان قدر أن يقبل لا يمكن أن يفتدى به، فاحتاج إلى إضمار:» مثل «حتى يغاير ما نفي قبوله وبين ما يفتدى به، وليس كذلك؛ لأن ذلك - ما ذكرناه - على سبيل الفرض والتقدير؛ إذ لا يمكن - عادة - أن أحدا يملك ملء الأرض ذهبا، بحيث أنه لو بذله - على أي جهة بذله - لم يقبل منه، بل لو كان ذلك ممكنا لم يحتج إلى تقدير» مثل «؛ لأنه نفى قبوله - حتى في حالة الافتداء - وليس ما قدر في الآية نظير ما مثل به، لأن هذا التقدير لا يحتاج إليه، ولا معنى له، ولا في اللفظ، ولا في المعنى ما يدل عليه، فلا يقدر.

وأما ما مثل به - من نحو: ضربت ضرب زيد، وأبو يوسف أبو حنيفة - فبضرورة العقل يعلم أنه لا بد من تقدير مثل إذ ضربك يستحيل أن يكون ضرب زيد، وذات أبي يوسف، يستحيل أن تكون ذات أبي حنيفة.

وأما «لا هيثم الليلة للمطي» ، فدل على حذف «مثل» ما تقرر في اللغة العربية أن «لا» التي لنفي الجنس،

لا تدخل على الأعلام، فتؤثر فيها، فاحتيج إلى إضمار: «مثل» لتبقى على ما تقرر فيها؛ إذ تقرر أنها لا تعمل إلا في الجنس؛ لأن العلمية تنافي عموم الجنس.." (١)

"بوقت – وإنما خصت هذه اللفظة بهذا المعنى من حيث مبدأ النهار، وفيه مبدأ الأعمال، فالحال التي يحبها المرء من نفسه فيها هي التي يستمر عليها يومه في الأغلب.

ومنه قول الربيع بن ضبع: [المنسرح]

١٥٥٨ – أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أمل رأس البعير إن نفرا

قال أبو حيان: وهذا الذي ذكره – من أن «أصبح» للاستمرار وعلله بما ذكره – لم أر أحدا من النحويين ذهب إليه، إنما ذكروا أنها تستعمل بالوجهين اللذين ذكرناهما.

قال شهاب الدين: وهذا – الذي ذكره ابن عطية – معنى حسن، وإذا لم ينص عليه النحويون لا يدفع؛ لأن النحاة – غالبا – إنما يتحدثون بما يتعلق بالألفاظ، وأما المعاني المفهومة من فحوى الكلام، فلا حاجة إلى الكلام عليها غالبا.

والإخوان: جمع أخ، وإخوة اسم جمع عند سيبويه، وعند غيره هي جمع.

وقال بعضهم: إن الأخ في النسب – يجمع على: «إخوة» ، وفي الدين يجمع على: «إخوان» ، هذا أغلب استءمالهم، وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] ونفس هذه الآية ترد ما قاله؛ لأن المراد – هنا – ليس أخوة النسب إنما المراد أخوة الدين والصداقة.

قال أبو حاتم: قال أهل البصرة: الإخوة في النسب، والإخوان في الصداقة، قال: وهذا غلط؛ يقال للأصدقاء والأنسباء: إخوة، وإخوان، قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] ولم يعن النسب، وقال تعالى: ﴿أو بيوت إخوانكم﴾ [النور: ٦١] وهذا في النسب.

وهذا الرد من أبي حاتم إنما يتجه على هذا النقل المطلق، ولا يرد على النقل الأول؛ لأنهم قيدوه بالأغلب في الاستعمال.

قال الزجاج: أصل الأخ – في اللغة – من التوخي – وهو الطلب؛ فإن الأخ مقصده مقصد أخيه، والصديق مأخوذ من أن يصدق كل واحد من الصديقين ما في قلبه، ولا يخفي عنه شيئا.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٨٤/٥

قوله: ﴿وكنتم على شفا حفرة﴾ شفا الشيء: طرفه وحرفه، وهو مقصور من ذوات الواو، ويثنى بالواو نحو: شفوين ويكتب بـ الألف، ويجمع على أشفاء، ويستعمل مضافا." (١)

"قال القرطبي: «وقرأ ابن الزبير: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم» .

قال ابن الأنباري: «هذه الزيادة تفسير من ابن الزبير، وكلام من كلامه، غلط فيه بعض الناقلين، فألحقه بألفاظ القرآن، يدل على ذلك أن عثمان بن عفان قرأ: ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم.

فما يشك عاقل في أن عثمان لا يعتد هذه الزيادة من القرآن؛ إذ لم يكتبها في مصحفه الذي هو إمام المسلمين «.

فصل

قال المفسرون: الدعوة إلى الخير - أي: إلا الإسلام - والأمر بالمعروف، وهو الترغيب في فعل ما ينبغي، والنهي عن المنكر هو الترغيب في ترك ما لا ينبغي، ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي: العاملون بهذه الأعمال هم المفلحون الفائزون، وقد تقدم تفسيره.

قال - عليه السلام -:» من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، كان خليفة الله، وخليفة رسوله، وخليفة كتابه «وقال - أيضا -:» والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم «.

قوله: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جآءهم البينات﴾ .

قال أكثر المفسرين: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: هم المبتدعة من هذه الأمة.." (٢)

"أحدها: أنها ناقصة على بابها - وإذا كانت كذلك، فلا دلالة لها على مضي وانقطاع، بل تصلح للانقطاع نحو: كان زيد قائما، وتصلح للدوام، كقوله: ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ [النساء: ٩٦] ، وقوله: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة﴾ [الإسراء: ٣٢] ، فهي - هنا - بمنزلة: لم يزل، وهذا بحسب القرائن. وقال الزمخشري: «كان عبارة عن وجود الشيء في زمن ماض، على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل على عدم سابق، ولا على انقطاع طارئ، ومنه قوله تعالى: ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ ، وقوله: ﴿كنتم خير أمة

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٤٦/٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٥١/٥

أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] . كأنه قيل: وجدتم خير أمة» .

قال أبو حيان: قوله: «لم يدل على عدم سابق» ، هذا إذا لم يكن بمعنى: «صار» ، فإذا كان بمعنى: «صار» دلت على عدم سابق، فإذا قلت: كان زيد عالما - بمعنى: صار زيد عالما - دل على أنه نقل من حالة الجهل إلى حالة العلم.

وقوله:؛ «ولا على انقطاع طارئ» ، قد ذكرنا - قبل - أن الصحيح أنها كسائر الأفعال، يدل لفظ المضي منها على الانقطاع، ثم قد يستعمل حيث لا انقطاع، وفرق بين الدلالة والاستعمال؛ ألا ترى أنك تقول: «هذا اللفظ يدل على العموم» ثم قد يستعمل حيث لا يراد العموم، بل يراد الخصوص.

وقوله: كأنه قيل: «وجتم خير أمة» ، هذا يعارض قوله: إنها مثل قوله: ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ ؛ لأن تقديره: وجدتم خير أمة يدل على أنها التامة، وأن ﴿خير أمة﴾ حال، وقوله: ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ لا شك أنها - هنا - الناقصة، فتعارضا.

قال شهاب الدين: «لا تعرض؛ لأن هذا تفسير معنى، لا إعراب» .

الثاني: أنها بمعنى: «صرتم» ، و «كان» تأتي بمعنى: «صار» كثيرا.

كقوله: [الطويل]

١٥٧١ - بتيهاء قفر والمطي كأنها ... قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

أي: صارت فراخا.

الثالث: أنها تامة، بمعنى: «وجدتم» ، و ﴿خير أمة﴾ - على هذا منصوب على الحال، أي: وجدتم على هذه الحال.

الرابع:؛ أنها زائدة، والتقدير: أنتم خير أمة، وهذا قول مرجوح، أو غلط، لوجهين:

أحدهما: أنها لا تزاد أولا، وقد نقل ابن مالك الاتفاق على ذلك.." (١)

"الوجه الثاني: أن يكون «قاتل» جملة في محل جر؛ صفة ل «نبي» ، و ﴿معه ربيون﴾ هو الخبر، لكن الوجهان المتقدمان في جعله حالا - أعني: إن شئت أن تجعل «معه» خبرا مقدما، و «ربيون» مبتدأ مرخرا، والجملة خبر «كأين» ، وأن تجعل «معه» - وحده - هو الخبر، و «ربيون» فاعل به؛ لاعتماد الظرف على ذي خبر.

الوجه الثالث: أن يكون الخبر محذوفا، تقديره: في الدنيا، أو مضى، أو: صابر، وعلى هذا، فقوله: «قاتل»

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٤٦٣

في محل جر؛ صفة ل «نبي» ، و «معه ربيون» حال من الضمير في «قاتل» – على ما تقدم تقريره – ويجوز أن يكون «معه ربيون» صفة ثانية ل «نبي» ، وصف بصفتين: بكونه قاتل، وبكونه معه ربيون.

الوجه الرابع: أن يكون «قاتل» فارغا من الضمير، مسندا إلى «ربيون» وفي هذه الجملة – حينئذ – احتمالان:

أحدهما: أن تكون خبرا ل «كأين» .

الثاني: ان تكون في محل جر ل «نبي» والخبر محذوف – على ما تقدم – وادعاء حذف الخبر ضعيف لاستقلال الكلام بدونه.

وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون «قاتل» مسندا ل «ربيون» ، فلا ضمير فيه على هذا، والجملة صفة «نبي» .

ويجوز أن يكون خبرا، فيصير في الخبر أربعة أوجه، ويجوز أن يكون صفة ل «نبي» والخبر محذوف على ما ذكرنا.

وقوله: صفة ل «ربيون» يعني: أن القتل من صفتهم في المعنى، وقوله: «فيصير في الخبر أربعة أوجه» يعني: ما تقدم له من أوجه ذكرها، وقوله: فلا ضمير فيه – على هذا – والجملة صفة «نبي» غلط؛ لأنه يبقى المبتدأ بلا خبر.

فإن قلت: إنما يزعم هذا لأنه يقدر خبرا محذوفا؟

قلت: قد ذكر أوجها أخر؛ حيث قال: «ويجوز أن تكون صفة ل» نبي «والخبر محذوف – على ما ذكرنا» .

ورجح كون قاتل مسندا إلى ضمير النبي أن القصة بسبب غزوة أحد، وتخاذل المؤمنين حين قيل: إن محمدا قد مات مقتولا؛ ويؤيد هذا الترجيح قوله: ﴿أفإن مات أو قتل﴾ [آل عمران: ١٤٤] وإليه ذهب ابن عباس والطبري وجماعة. وعن ابن عباس – في قوله: ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ [آل عمران: ١٦١]– قال: النبي يقتل فكيف لا يخان؟." (١)

"ويؤيد كونها الاستئناف قراءة عبد الله ومصحفه: والله لا يضيع، وقرأ باقي السبعة بالفتح؛ عطفا على قوله: «بنعمة» لأنها بتأويل مصدر، أي: يستبشرون بنعمة من الله وفضل منه وعدم إضاعة الله أجر المؤمنين.

فإن قيل: لم قال: «يستبشرون» من غير عطف؟

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٥٨٤

فالجواب فيه أوجه:
أحدها: أنه استئناف متعلق بهم أنفسهم، دون «الذين لم يلحقوا بهم» لاختلاف متعلق البشارتين.
الثاني: أنه تأكيد الأول؛ لأنه قصد بالنعمة والفضل متعلق الاستبشار الأول، وإليه ذهب الزمخشري.
الثالث: انه بدل من الفعل الأول، ومعنى كونه بدلا: أنه لما كان متعلقه بيانا لمتعلق الأول حسن أن يقال: بدل منه، وإلا فكيف يبدل فعل من فعل موافق له لفظا ومعنى؟ وهذا في المعنى يئول إلى وجه التأكيد.
الرابع: أنه حال من فاعل «يحزنون» و «يحزنون» عامل فيه، أي: ولا هم يحزنون حال كونهم مستبشرين بنعمة. وهو بعيد، لوجهين:
أحدهما: أن الظاهر اختلاف من نفي عنه الحزن ومن استبشر.
الثاني: أن نفي الحزن ليس مقيدا ليكون أبلغ في البشارة، والحال قيد فيه، فيفوت هذا المعنى.
فصل
والمقصود – من هذا الكلام – أن أيصال الثواب العظيم إلى الشهداء ليس مخصوصا بهم، بل كل مؤمن يستحق شيئا من الأجر والثواب، فإن الله تعالى يوصل ثوابه إليه، ولا يضيعه.
قوله: «الذين استجابوا» فيه ستة أوجه:
أحدها: أنه مبتدأ، وخبره قوله: ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ .
وقال مكي: ابتداء وخبره «من بعدما أصابهم القرح» وهذا غلط؛ لأن هذا ليس بمفيد ألبتة، بل «من بعد» متعلق ب «استجابوا» .
الثاني: أنه خبر مبتدأ مضمر، أي: هم الذين.." (١)
"أحدهما: أنها متعلقة بنفس الفعل على أنها باء التعدية؟
الثاني: أنها تتعلق بمحذوف، على أنها حال من الضمير في «انقلبوا» والباء على هذه المصاحبة، كأنه قيل: فانقلبوا ملتبسين بنعمة ومصاحبين لها. والتقدير: وخرجوا فانقلبوا، وحذف الخروج؛ لأن الانقلاب يدل عليه، كقول: ﴿أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ [الشعراء: ٦٣] أي: فضرب فتنفلق ومعنى الآية: «فانقلبوا» بعافية، لم يلقوا عدوا «وفضل» تجارة وربح، وهو ما أصابوا من السوق.
قوله: ﴿لم يمسسهم سواء﴾ هذه الجملة في محل نصب على الحال – أيضا – وفي ذي الحال وجهان:
أحدهما: أنه فاعل «انقلبوا» أي: انقلبوا سالمين من السوء.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/٥٤

الثاني: أنه الضمير المستكن في «بنعمة» إذا كانت حالا، والتقدير: فانقلبوا منعمين بريئين من السوء. والعامل فيها: العامل في بنعمة فهما حالان متداخلان، والحال إذا وقعت مضارعا منفيا ب «لم» وفيها ضمير ذي الحال جاز دخول الواو وعدمه فمن الأول قوله تعالى: ﴿أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾ [الأنعام: ٩٣] وقول كعب: [البسيط]

١٦٩١ - لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم ... أذنب ولو كثرت في الأقاويل

ومن الثاني هذه الآية، وقوله: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا﴾ [الأحزاب: ٢٥] وقول [قيس] بن الأسلت:

١٦٩٢ - وأضرب القونس يوم الوغى ... بالسيف لم يقصر به باعي

وبهذا يعرف **غلط** الأستاذ ابن خروف؛ حيث زعم أن الواو لازمة في مثل هذا، سواء كان في الجملة ضمير، أو لم يكن.

قوله: ﴿واتبعوا﴾ يجوز في هذه الجملة وجهان:

الأول: أنا عطف على «انقلبوا» .

الثاني: أنها حال من فاعل «انقلبوا» - أيضا - ويكون على إضمار «قد» أي: وقد اتبعوا.

فصل

قال القرطبي: «وقد اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه على أقوال، والعقيدة في هذا على أن نفس الإيمان - الذي هو تاج - واحد، وتصديق واحد بشيء ما إنما هو." (١)

"والثاني - قاله أبو البقاء -: أنه توكيد، وهو خطأ؛ لأن المضمر لا يؤكد المظهر. والمفعول الأول اسم مظهر، ولكنه حذف - كما تقدم - وبعضهم يعبر عنه، فيقول: أضمر المفعول الأول - يعني حذف فلا يعبر عنه بهذه العبارة.

و» هو «- في هذه المسألة - تتعين فصيلته لأنه لا يخلو إما أن يكون مبتدأ، أو بدلا، أو توكيدا، والأول منتف؛ لنصب ما بعده - وهو خير - وكذلك الثاني؛ لأنه كان يلزم أن يوافق ما قبله في الإعراب، فكان ينبغي أن يقال: إياه، لا» هو «وكذلك الثالث - كما تقدم.

أما قراءة الجماعة، فيجوز أن يكون الفعل مسندا إلى ضمير غائب - إما الرسول، أو حاسب ما - ويجوز أن يكون مسندا إلى الذين فإن كان مسندا إلى ضمير غائب، ف» الذين «مفعول أول، على حذف مضاف،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/٦٠

ما تقدم في قراءة حمزة، أي: بخل الذين، والتقدير: ولا يحسبن الرسول - أو أحد - بخل الذين يبخلون خيرا لأنفسهم. و» هو «فصل - كما تقدم - فتتحد القراءتان معنى وتخريجا. وإن كان مسندا إلى» الذين «ففي المفعول الأول وجهان:

أحدهما: أنه محذوف؛ لدلالة» يبخلون «عليه، كأنه قيل: ولا يحسبن الباخلون بخلهم هو خيرا لهم و» هو «فصل.

قال ابن عطية:» ودل على هذا البخل «يبخلون» كما دل «السفيه» على السفه في قول الشاعر:

١٧٠١ - إذا نهي السفيه جرى إليه ... وخالف والسفيه إلى خلاف

أي: جرى إلى السفه.

قال أبو حيان: وليست الدلالة فيهما سواء، لوجهين:

أحدهما: أن الدال في الآية هو الفعل، وفي البيت هو اسم الفاعل، ودلالة الفعل على المصدر أقوى من دلالة اسم الفاعل، ولذلك كثر إضمار المصدر؛ لدلالة الفعل عليه - في القرآن وكلام العرب - ولم يؤثر دلالة اسم الفاعل على المصدر، إنما جاء في هذا البيت، أو في غيره أن وجد أن في الآية حذفا لظاهر؛ إذ قدروا المحذوف «بخلهم» وأما فهو إضمار لا حذف.

الوجه الثاني: أن المفعول نفس «هو» وهو ضمير البخل الذي دل عليه «يبخلون» - كقوله: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة: ٨]- قاله أبو البقاء. وهو **غلط** أيضا، لأنه كان ينبغي أن يأتي به بصيغة المنصوب، فيقول: «إياه» لكونه منصوبا ب «يحسبن» ولا ضرورة بنا إلى أن ندعي أنه من باب استعارة الرفع مكان النصب كقولهم: ما أنا كأنت، ولا أنت كأنا.." (١)

"وشاهدة بان كل ممكن لذاته فإنه لا بد وأن ينتهي في رجحانه إلى الواجب لذاته، وإذا كان كذلك وجب أن يكون الخير والشر بقضاء الله، وإذا كان كذلك امتنع أن يكون المراد من الآية تعليل أفعال الله - تعالى - بالمصالح وأما قوله: لو كان كذلك لكان قوله: ﴿سبحانك﴾ تنزيها عن فعل ما لا شدة فيه ولا صلابة، وذلك باطل، فجوابه: لم لا يجوز أن يكون المراد: ربنا ما خلقت هذا رخوا فاسد التركيب، بل خلقته صلبا محكما؟ وقوله: ﴿سبحانك﴾ معناه: أنك إن خلقت السموات والأرض صلبة، شديدة، باقية، فأنت منزه عن الاحتياج إليه والانتفاع به.

وأما قولهم: إنما يحسن وصل قوله: ﴿فقنا عذاب النار﴾ به إذا فسرناه بقولنا، فالجواب: لا نسلم بل وجه

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/٨٣

النظم أن قوله: ﴿سبحانك﴾ اعتراف بكونه غنيا عن كل ما سواه، وإذا وصفه بالغنى يكون قد اعترف لنفسه بالعجز والحاجة إليه في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿فقنا عذاب النار﴾ وهذا الوجه أحسن في النظم.

وأما سائر الآيات التي ذكروها فهي دالة على أن أفعاله منزهة عن اتصافها بالعبث، واللعب، والبطلان ونحن نقول بموجبه، وأن أفعاله كلها حكمة وصواب.

وقوله: ﴿سبحانك﴾ إقرار بعجز العقول عن الإحاطة بآثار الله في خلق السموات والأرض. يعني أن الخلق إذا تفكروا في هذه الأجسام العظيمة لم يعرفوا منها إلا هذا القدر.

والمقصود منه تعليم العباد كيفية الدعاء وآدابه، وذلك أن من أراد الدعاء فليقدم الثناء، ثم يذكر بعده الدعاء، كهذه الآية.

قوله: ﴿ربنآ إنك من تدخل النار﴾ «من» شرطية، مفعول مقدم، واجب التقديم، لأن له صدر الكلام، و «تدخل» مجزوم بها، و ﴿فقد أخزيته﴾ جواب لها.

وحكى أبو البقاء عن بعضهم قولين غريبين:

الأول: أن تكون «من» منصوبة بفعل مقدر، يفسره قوله: ﴿فقد أخزيته﴾ . وهذا غلط؛ لأن من شرط الاشتغال صحة تسلط ما يفسر على ما هو منصوب، والجواب لا يعمل فيما قبل فعل الشرط؛ لأنه لا يتقدم على الشرط.

الثاني: أن تكون «من» مبتدأ، والشرط وجوابه خبر هذا المبتدأ. وهذان الوجهان غلط، والله أعلم. وعلى الأقوال كلها فهذه الجملة الشرطية في محل رفع؛ خبرا ل «إن» . ويقال: خزيته وأخزيته ثلاثيا ورباعيا - والأكثر الرباعي، وخزي الرجل يخزى خزيا - إذا افتضح - وخزاية - إذا استحيا - فالفعل واحد، وإنما يتميز بالمصدر.

قال الواحدي: الإخزاء - في اللغو - يرد على معان يقرب بعضها من بعض.

قال الزجاج: أخزى الله العدو: أي: أبعده.." (١)

"وحكى ابن العرابي: عال الرجل يعول: كثر عياله، وعال يعيل افتقر وصار له عائلة، والحاصل أن «عال» يكون لازما ومتعديا، فاللازم يكون بمعنى: مال وجار، والمتعدي ومنه «عال الميزان» .

قال أبو طالب: [الطويل]

١٧٤٤ - بميزان قسط لا يغل شعيرة ... ووزان صدق وزنه غير عائل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٥/٦

وعالت الفريضة إذا زارت سهامها، ومعنى كثر عياله، وبمعنى تفاقم الأمر، والمضارع من هذا كله يعول، وعال الرجل افتقر، وعال في الأرض: ذهب فيها، والمضارع من هذين يعيل، والمتعدي يكون بمعنى أثقل، وبمعنى مان من المؤونة، وبمعنى غلب ومنه «عيل صبري» ، ومضارع هذا كله يعول، وبمعنى أعجز، تقول: أعجزني الأمر، ومضارع هذا يعيل، والمصدر «عيل» و «معيل» ، فقد تلخص من هذا أن «عال» اللازم يكون تارة من ذوات الواو، وتارة من ذوات الياء، باختلاف المعنى، وكذلك عال المتعدي أيضا. ومنه: [الطويل]

١٧٤٥ - ووزان صدق وزنه غير عائل ... وفسر الشافعي رحمه الله ﴿تعولوا﴾ بمعنى يكثر عيالكم.

ورد هذا القول جماعة كأبي بكر بن داود الرازي والزجاج وصاحب النظم.

قال الرازي: «هذا **غلط** من جهة المعنى واللفظ، أما المعنى فللإباحة السراري صح أنه مظنة كثرة العيال كالتزويج، وأما اللفظ؛ فلأن مادة عال بمعنى كثر عياله من ذوات الياء؛ لأنه من العيلة، وأما عال بمعنى» جار «فمن ذوات الواو، واختلفت المادتان، وأيضا فقد خالف المفسرين» .

وقال صاحب النظم: قال أولا «ألا تعدلوا» فوجب أن يكون ضده الجور.

وأجيب عن الأول وهو أن التسري أيضا يكثر معه العيال، مع أنه مباح ممنوع؛ لأن الأمة ليست كالزوجة؛ لأنه يعزل عنها بغير إذنها، ويؤجرها ويأخذ أجرتها ينفقها عليه وعلى أولاده وعليها.

قال الزمخشري: «وجهه أن يجعل من قولك: عال الرجل عياله يعولهم كقولك:." [(١)]

"إذا لم يكفيها خادم واحد أن عليه أن يكفيها قدر كفايتها كابنة الخليفة والملك وشبههما ممن لا يكفيها خادم واحد، وأن ذلك هو المعاشرة بالمعروف.

وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا يلزمه إلا خادم واحد، وذلك يكفيها خدمة نفسها وليس في العالم امرأة إلا ويكفيها خادم واحد، وهذا كالمقاتل تكون له أفراس فلا يسهم له إلا بفرس واحد؛ لأنه لا يقاتل إلا على فرس واحد، قال علماؤنا: وهذا التشبهي غلط؛ لأن مثل بنات الملوك اللاتي لهن خدمة كثيرة لا يكفيها خادم واحد، لأن إصلاح شأنها ومطبخها، وغسيل ثيابها لا يكفيها خادم واحد يقوم بذلك.

قوله: ﴿فإن كرهتموهن [فعسى﴾] أي إن كرهتم عشرتهن بالمعروف وآثرتم فراقهن.

قوله: ﴿فعسى﴾ الفاء جواب الشرط، وإنما اقترنت بها عسى؛ لأنها جامدة.

قال الزمخشري: فإن قلت من أي وجه صح أن يكون فعسى جزاء للشرط؟

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦٩/٦

قلت: من حيث المعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكرامة، فلعل لكم فيما تكرهون خيرا كثيرا ليس فيما تحبون.
ولهذا قال قتادة: فإنه فسر الخير الكثير بود يحصل فتنقلب الكراهة محبة، فلعل لكم فيما تكرهون خيرا كثيرا ليس فيما تحبون.
وقيل: ولد صالح.
وقرئ ويجعل برفع اللام.
قال الزمخشري على أنه حال يعني: ويكون خبر المبتدأ محذوف لئلا يلزم دخول الواو على مضارع مثبت، و «عسى» هنا تامة؛ لأنها رفعت ان وما بعدها، والتقدير: فقد قربت كراهيتكم فاستغنت عن تقدير خبر، والضمير في «فيه» يعود على شيء، أي: في ذلك الشيء المكروه.
وقيل: يعود على الكره المدلول عليه بالفعل، والمعنى ﴿فإن كرهتموهن﴾ ورغبتم في مفارقتهن، فربما جعل في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا، وذلك بأن تتزوج غيره خيرا منه.
ونظيره قوله: ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته﴾ [النساء: ١٣٠] وهذا قول." (١)
"الخلقة إذا كان ضعيف الدواعي إلى الطاعة صار في حكم الضعيف، فالتأثير في هذا الباب لضعف الداعية وقوتها لا لضعف البدن.
قال طاوس والكلبي وغيرهما: في أمر النساء لا يصبر عنهن.
وقال ابن كيسان: خلق الله الإنسان ضعيفا أي بأن تستميله شهوته.
وقال الحسن: المراد ضعيف الخلقة وهو أنه [خلقه] من ماء مهين. وقال تعالى ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ [الروم: ٥٤] . فصل
وفي نصب ضعيفا أربعة أوجه:
أظهرها: أنه حال من الإنسان وهي حال مؤكدة.
والثاني: -كأنه تمييز قالوا: لأنه يصلح لدخول «من» وهذا غلط.
الثالث: أنه على حذف حرف الجر، والأصل: خلق من شيء ضعيف، أي: من ماء مهين، أو من نطفة، فلما حذف الموصوف وحرف الجر وصل الفعل إليه بنفسه فنصبه.
الرابع: – وإليه أشار ابن عطية، أنه منصوب على أنه مفعول ثان ب «خلق» قالوا: ويصح أن يكون خلق

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٦٢/٦

بمعنى «جعل» فيكسبها ذلك قوة التعدي إلى المفعولين فيكون قوله «ضعيفا» مفعولا ثانيا، وهذا الذي ذكره غريب لم نرهم نصوا على أن خلق يكون ك «جعل» فيتعدى لاثنين مع حصرهم الأفعال المتعدية للاثنين، ورأيناها يقولون: إن «جعل» إذا كان بمعنى «خلق» تعدت لواحد.

فصل

روي عن ابن عباس أنه قال: ثماني آيات في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت قوله تعالى ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ [النساء: ٢٦] ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ و ﴿إن تجتنبوا كبآئر ما تنهون عنه﴾ [النساء: ٣١]." [١]

"والثاني: أنها في محل نصب بفعل محذوف، أي: فكيف تكونون أو تصنعون، ويجزي فيها الوجهان النصب على التشبيه بالحال؛ كما هو مذهب سيبويه، أو على التشبيه بالظرفية؛ كما هو مذهب الأخفش، وهو العامل في «إذا» أيضا.

والثالث: حكاه ابن عطية عن مكي أنها معمولة ل ﴿جئنا﴾ ، وهذا **غلط** فاحش.

قوله ﴿من كل﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق ب ﴿جئنا﴾ .

والثاني: [أنه متعلق] بمحذوف على أنه حال من ﴿شهيدا﴾ ، وذلك على رأي من يجوز تقديم حال المجرور بالحرف عليه، كما تقدم، والمشهود محذوف، أي: شهيد على أمته.

فصل: معنى ﴿فكيف إذا جئنا﴾

من عادى العرب أنهم يقولون في الشيء الذي يتوقعونه: كيف بك إذا كان كذا وكذا، ومعنى الكلام: كيف يرون [يوم] القيامة: إذا استشهد الله على كل أمة برسولها يشهد عليهم بما عملوا، ﴿وجئنا بك على هؤلاء﴾ أي: شاهدا على جميع الأمم.

روى أبو مسعود؛ «قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم :» اقرأ علي «. فقلت: يا رسول الله، اقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال:» نعم، أحب أن أسمعه من غيري «، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان» .

قوله ﴿وجئنا بك﴾ في هذه الجملة ثلاثة أوجه:

أظهرها: أنها في محل جر عطفا على ﴿وجئنا﴾ الأولى، أي: فكيف تصنعون في وقت المجيئين.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/٣٣٥

والثاني: أنها في محل نصب على الحال و «قد» مرادة معها، والعامل فيها ﴿وجئنا﴾ [الأولى، أي: جئنا] من كل أمة بشهيد وقد جئنا؛ وفيه نظر.." (١)

"المؤمنين، الذين يعلمون أنه ليس من شرط كونه حقا هو الدولة في الدنيا، فلأجل تواتر الفتح والظفر في الدنيا يدل على كونه حقا؛ ولأجل تواتر الهزيمة والانكسار يدل على كونه باطلا، بل الأمر في كونه حقا وباطلا على الدليل، وهو أحسن الوجوه.

[وقيل: المراد من من لم يبلغ التكليف، وعلى ذها التأويل قيل: فالاستثناء منقطع؛ لأن المستثنى لم يدخل تحت الخطاب، وفيه نظر يظهر في الوجه العاشر.

الثاني: أنه مستثنى من فاعل «علمه» أي: لعلمه المستنبطون منهم إلا قليلا] .

قال الفراء والمبرد: [وأما] القول بأنه مستثنى من فاعل «أذاعوا» أولى من هذا؛ لأن ما يعلم بالاستنباط؛ فالأقل يعلمه والأكثر يجهله، وصرف الاستشثناء إلى المستنبطين يقتضي ضد ذلك.

قال الزجاج: هذا غلط؛ لأنه ليس المراد من هذا الاستثناء شيئا يستخرجه بنظر دقيق وفكر غمض، إنما هو استنباط خبر، وإذا كان كذلك فالأكثرون يعرفونه إنما البالغ في البلادة والجهالة هو الذي لا يعرفه، ويمكن أن يقال: كلام الزجاج إنما يصح لو حملنا الاستنباط على مجرد تعرف الأخبار والأراجيف، [أما] إذا حملناه على الاستنباط في جميع الأحكام، كان الحق ما ذكره الفراء والمبرد.

الرابع: أنه مستثنى من فاعل «لوجدوا» أي: لوجدوا فيما هو من عند غير الله التناقض إلا قليلا منهم، وهو من لم يمعن النظر، فيظن الباطل حقا والمتناقض موافقا.

الخامس: أنه مستثنى من الضمير المجرور في «عليكم» ، وتأويله كتأويل الوجه الأول.

السادس: أنه مستثنى من فاعل «يستنبطونه» ، وتأويله كتأويل الوجه الثالث.

السابع: أنه مستثنى من المصدر الدال عليه الفعل، والتقدير: لاتبعتم الشيطان إلا اتباعا قليلا؛ ذكر ذلك الزمخشري.

الثامن: أنه مستثنى من المتبع فيه، والتقدير: لاتبعتم الشيطان إلا اتباعا قليلا؛ ذكر ذلك الزمخشري.

الثامن: أنه مستثنى من المتبع فيه، والتقدير: لاتبعتم الشيطان كلكم إلا قليلا من الأمور كنتم لا تتبعون الشيطان فيها، فالمعنى: لاتبعتم الشيطان في كل شيء إلا في قليل." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٨٦/٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٢٥/٦

"لما ذكر فضائح اليهود وقبح أفعالهم، وأنهم قصدوا قتل عيسى عليه الصلاة والسلام ، وأنه لم يحصل لهم ذلك المقصود، وأن عيسى – عليه السلام – حصل له أعظم المناصب، بين أن هؤلاء اليهود الذين بالغوا في عداوته، لا يخرج أحد منهم من الدنيا إلا بعد أن يؤمن به، فقال: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ ، «إن» هنا نافية بمعنى «ما» ، و «من أهل» يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أنه صفة لمبتدأ محذوف، والخبر الجملة القسمية المحذوفة وجوابها، والتقدير: وما أحد من أهل الكتاب إلا والله ليؤمنن به، فهو كقوله: ﴿وما منآ إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] ، أي: ما أحد منا، وكقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] أي: ما أحد منكم إلا واردها، هذا هو الظاهر.

والثاني – وبه قال الزمخشري وأبو البقاء –: أنه في محل الخبر، قال الزمخشري: «وجملة» ليؤمنن به «جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف، تقديره: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، ونحوه: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ، والمعنى:» وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن «، قال أبو حيان:» وهو غلط فاحش؛ إذ زعم أن «ليؤمنن به» جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره، وصفة «أحد» المحذوف إنما الجار والمجرور؛ كما قدرناه، وأما قوله: «ليؤمنن به» ، فليست صفة لموصوف، ولا هي جملة قسمية، إنما هي جملة جواب القسم، والقسم محذوف، والقسم وجوابه خبر للمبتدأ، إذ لا ينتظم من «أحد» ، والمجرور إسناد؛ لأنه لا يفيد، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها، فذلك هو محط الفائدة، وكذلك أيضا الخبر هو ﴿إلا له مقام﴾ ، وكذلك «إلا واردها» ؛ إذ لا ينتظم مما قبل «إلا» تركيب." (١)

"إسنادي «. [قال شهاب الدين] وهذا – كما ترى – قد أساء العبارة في حق الزمخشري؛ بما زعم أنه غلط، وهو صحيح مستقيم، وليت شعري كيف لا ينتظم الإسناد من» أحد «الموصوف بالجملة التي بعده، ومن الجار قبله؟ ونظيره أن تقول:» ما في الدار رجل إلا صالح «فكما أن» في الدار «خبر مقدم، و» رجل «مبتدأ مؤخر، و» إلا صالح «صفته، وهو كلام مفيد مستقيم، فكذلك هذا، غاية ما في الباب أن» إلا «دخلت على الصفة؛ لتفيد الحصر، وأما رده عليه حيث قال: جملة قسمية، وإنما هي جواب القسم، فلا يحتاج إلى الاعتذار عنه، ويكفيه مثل هذه الاعتراضات.

واللام في «ليؤمنن» جواب قسم محذوف، كما تقدم. وقال أبو البقاء: «ليؤمنن جواب قسم محذوف، وقيل: أكد بها في غير القسم؛ كما جاء في النفي والاستفهام» ، فقوله: «وقيل ... إلى آخره» إنما يستقيم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٧/٧

ذلك، إذا أعدنا الخلاف إلى نون التوكيد؛ لأن نون التوكيد قد عهد التأكيد بها في ال ا ستفهام باطراد، وفي النفي على خلاف فيه، وأما التأكيد بلام الابتداء في النفي والاستفهام، فلم يعهد ألبتة، وقال أيضا قبل ذلك: وما من أهل الكتاب أحد، وقيل: المحذوف «من» وقد مر نظيره، إلا أن تقدير «من» هنا بعيد، لأن الاستثناء يكون بعد تمام الاسم، و «من» الموصولة والموصوفة غير تامة «، يعني أن بعضهم جعل ذلك المحذوف لفظ» من «، فيقدر: وإن من أهل من إلا ليؤمنن، فجعل موضع» أحد «لفظ» من «، وقوله:» وقد مر نظيره «، يعني قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ [آل عمران: ١٩٩] ومعنى التنظير فيه أنه قد صرح بلفظ» من «المقدرة ههنا.

وقرأ أبي:» ليؤمنن به قبل موتهم «بضم النون الأولى مراعاة لمعنى» أحد «المحذوف، وهو وإن كان لفظه مفردا، فمعناه جمع، والضمير في» به «لعيسى - عليه السلام -، وقيل: لله تعالى، وقيل: لمحمد - عليه السلام -، وفي» موته «لعيسى، ويروى في التفسير؛ أنه حين ينزل إلى الأرض يؤمن به كل أحد، حتى تصير الملة كلها إسلامية وهو قول قتادة، وابن زيد وغيرهما، وهو اختيار الطبري.

وقيل: يعود على» أحد «المقدر، أي: لا يموت كتابي حتى يؤمن بعيسى قبل موته عند المعاينة حين لا ينفعه.

ونقل عن ابن عباس ذلك، فقال له عكرمة، أفرأيت إن خر بيت أو احترق أو أكله سبع؟ قال: لا يموت حتى يحرك بها شفتيه، أي: بالإيمان بعيسى.." (١)

"على جواز القطع، فرق هذا القائل بأن البيت لا عطف فيه؛ لأنها قطعت «النازلين» فنصبته، و «الطيبون» فرفعته عن قولها «قومي» ، وهذا الفرق لا أثر له؛ لأنه في غير هذا البيت ثبت القطع مع حرف العطف، أنشد سيبويه: [المتقارب]

١٩٠٢ - ويأوي إلى نسوة عطل ... وشعثا مراضيع مثل السعالي

فنصب «شعثا» وهو معطوف.

الثاني: أن يكون معطوفا على الضمير في «منهم» ، أي: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة.

الثالث: أن يكون معطوفا على الكاف في «إليك» ، أي: يؤمنون بما أنزل إليك، وإلى المقيمين الصلاة، وهم الأنبياء.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٨/٧

الرابع: أن يكون معطوفا على «ما» في «بما أنزل» ، أي: يؤمنون بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وبالمقيمين، ويعزى هذا للكسائي، واختلفت عبارة هؤلاء في «المقيمين» ، فقيل: هم الملائكة، قال مكي: ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم إقامة الصلاة؛ كقوله: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء: ٢٠] ، وقيل: هم الأنبياء، وقيل: هم المسلمون، ويكون على حذف مضاف، أي: وبدين المقيمين:

الخامس: أن يكون معطوفا على الكاف في «قبلك» أي: ومن قبل المقيمين، ويعني بهم الأنبياء أيضا.

السادس: أن يكون معطوفا على نفس الظرف، ويكون على حذف مضاف، أي: ومن قبل المقيمين، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، فهذا نهاية القول في تخريج هذه القراءة.

وقد زعم قوم أنها لحن، ونقلوا عن عائشة وأبان بن عثمان أنها خطأ من جهة غلط كاتب المصحف.

قالوا: وحكي عن عائشة وأبان بن عثمان؛ أنه من غلط الكاتب، وهذا يعني أن يكتب: «والمقيمون الصلاة» ، وكذلك في سورة «المائدة» : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾ [المائدة: ٦٩] ، وقوله: ﴿إن هذان لساحران﴾ [طه: ٦٣] ، قالوا: هذا خطأ من الكاتب.

وقال عثمان: «إن في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها» فقيل له: إلا." [١]

"أحدهما: وبه قال الزمخشري:» أنه اسم لما يتقرب به، كما أن الحلوان اسم ما يحلى أو يعطى «.

يقال: «قرب صدقة وتقرب بها» ؛ لأن «تقرب» مطواع «قرب» .

قال الأصمعي: [تقربوا] «قرف القمع» فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى: قرب، أي: فيكون قوله: ﴿إذ قربا قربانا﴾ يطلب مطاوعا له، والتقدير إذ قرباه، فتقربا به وفيه بعد.

قال أبو حيان: «وليس تقرب بصدقة مطاوع» قرب صدقة «لاتحاد فاعل الفعلين، والمطاوعة يختلف فيها الفاعل يكون من أحدهما فعل، ومن الآخر انفعال، نحو: كسرته فانكسر، وفلقته فانفلق، فليس قرب صدقة، وتقرب بها، من هذا الباب، فهو غلط فاحش» .

قال شهاب الدين: وفيما قاله الشيخ نظر؛ لأنا نسلم هذه القاعدة.

والاحتمال الثاني: أن يكون في الأصل مصدرا، ثم أطلق على الشيء المتقرب به، كقولهم «نسج اليمن» ، و «ضرب الأمير» .

ويؤيد ذلك أنه لم يثن، والموضع موضع تثنية؛ لأن كلا من قابيل وهابيل له قربان يخصه، فالأصل: إذ قربا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧/١٢٣

قربانين ولأنه لم يثن [لأنه مصدر في الأصل، وللقائل بأنه اسم ما يتقرب به لا مصدر أن يقول: إنما لم يثن] ؛ لأن المعنى - كما قاله أبو علي الفارسي -: إذ قرب كل واحد منهما قربانا، كقوله تعالى: ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ [النور: ٤] أي: كل واحد منهم.

قال ابن الخطيب: جمعها في الفعل، وأفرد الاسم ليستدل بفعلهما على أن لكل واحد منهما قربانا.

وقيل: إن القربان اسم جنس فهو يصلح للواحد والعدد.

وقوله تعالى: ﴿فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر﴾ .

قال أكثر المفسرين: كان علامة القبول أن تأكله النار، وقال مجاهد: علامة الرد أن تأكله النار.." (١)

"ربي» على المحل، وحكوا «إنهم أجمعون ذاهبون» ، وغلط سيبويه من قال من العرب: «إنهم أجمعون ذاهبون» ، وأخذ الناس عليه في ذلك من حيث إنه غلط أهل اللسان، وهم الواضعون أو المتلقون من الواضع، وأجيب بأنهم بالنسبة إلى عامة العرب غالطون، وفي الجملة: فالناس قد ردوا هذا المذهب، أعني: جواز الرفع عطفا على محل اسم «إن» مطلقا، أعني قبل الخبر وبعده، خفي إعراب الاسم أو ظهر، ونقل بعضهم الإجماع على جواز الرفع على المحل بعد الخبر، وليس بشيء، وفي الجملة: ففي المسألة أربعة مذاهب: مذهب المحققين: المنع مطلقا، مذهب بعضهم: التفصيل قبل الخبر؛ فيمتنع، وبعده؛ فيجوز، ومذهب الفراء: إن خفي إعراب الاسم، جاز ذلك؛ لزوال الكراهية اللفظية، وحكي من كلامهم: «إنك وزيد ذاهبان» ، الرابع: مذهب الكسائي: وهو الجواز مطلقا؛ ويستدل بظاهر قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ الآية، وبقول ضابىء البرجمي: [الطويل]

٢٠١٤ - فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب

وبقوله: [البسيط]

٢٠١٥ - يا ليتنا وهما نخلو بمنزلة ... حتى يرى بعضنا بعضا ونأتلف

وبقوله: [الوافر]

٢٠١٦ - وإلا فاعلموا أنا وأنتم..... ... ...

وبقوله: [الرجز]

٢٠١٧ - يا ليتني وأنت يا لميس ... وبقولهم: «إنك وزيد ذاهبان» ، وكل هذه تصلح أن تكون دليلا للكسائي والفراء معا، وينبغي أن يورد الكسائي دليلا على جواز ذلك مع ظهور إعراب الاسم؛ نحو: «إن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧/٢٨٦

زيدا وعمرو قائمان» ، ورد الزمخشري الرفع على المحل؛ فقال: «فإن قلت: هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل» إن «واسمها، قلت: لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر، لا تقول:» إن زيدا وعمرو منطلقان «، فإن قلت: لم لا يصح والنية به التأخير، وكأنك قلت: إن زيدا منطلق وعمرو؟ قلت: لأني إذا رفعته رفعته على محل» إن «واسمها، والعامل في محلهما هو الابتداء، فيجب أن يكون هو العامل في الخبر؛ لأن الابتداء." (١)

"الثالث: أنه متعلق بالاستقرار المقدر قبل قوله: «فجزاء» ؛ إذ التقدير: فعليه جزاء ليذوق.

الرابع: أنه متعلق ب «صيام» ، أي: صومه ليذوق.

الخامس: أنه متعلق ب «طعام» ، أي: طعام ليذوق، ذكر هذه الأوجه الثلاثة أبو البقاء، وهي ضعيفة جدا، وأجودها الأول.

السادس: أنها تتعلق ب «عدل ذلك» ، نقله أبو حيان عن بعض المعربين، قال: «غلط» .

والوبال: سوء العاقبة وما يخاف ضرره، قال الراغب: والوابل: المطر الثقيل القطر، ولمراعاة الثقل، قيل للأمر الذي يخاف ضرره: وبال، قال تعالى: ف ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ [الحشر: ١٥] ، ويقال: «طعام وبيل» ، و «كلأ وبيل» يخاف وباله؛ قال تعالى: ﴿فأخذناه أخذا وبيلا﴾ [المزمل: ١٦] ، وقال غيره: «والوبال في اللغة؛ ثقل الشيء في المكروه، يقال:» مرعى وبيل «، إذا كان يستوخم، و» ماء وبيل «إذا كان لا يستمرأ، واستوبلت الأرض: كرهتها خوفا من وبالها» . والذوق هنا استعارة بليغة.

وإنما سمى الله تعالى ذلك وبالا؛ لأنه خيره بين ثلاثة أشياء، اثنان منها توجب تنقيص المال، وهو ثقيل على الطبع، وهما الجزاء بالمثل والإطعام، والثالث يوجب إيلام البدن وهو الصوم، وذلك أيضا يثقل على الطبع، وذلك حتى يحترز عن قتل الصيد في الحرم، وفي حال الإحرام.

قوله: ﴿عفا الله عما سلف﴾ يعني: قبل التحريم، ونزول الآية وقال السدي: عما سلف في الجاهلية.

وقيل: هذا إبدال على قول من لا يوجب الجزاء، إلا في المرة الأولى، أما في المرة الثانية: فإنه لا يوجب الجزاء عليه، ويقول: إنه أعظم من أن يكفره التصدق بالجزاء، فعلى هذا المراد عفا الله عما سلف في المرة الأولى بسبب أداء الجزاء، ومن عاد إليه مرة ثانية، فلا كفارة لجرمه، بل الله ينتقم منه، وحجة هذا القول:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٤٥/٧

أن «الفاء» في قوله: ﴿فينتقم الله منه﴾ فاء الجزاء، والجزاء هو الكافي، فهذا يقتضي أن هذا الانتقام كما في هذا الذنب، وكونه كافيا يمنع من وجوب شيء آخر، فلا يجب عليه الجزاء.." [١]

"لكنه خفف» .

ثم ذكر تصريف الكلمة إلى آخره، وقال أبو البقاء: «وقال الأخفش والفراء: أصل الكلمة» شيئ «مثل» هين «، ثم خفف بالحذف» ، وذكر التصريف إلى آخره، فهؤلاء نقلوا مذهبهما شيئا واحدا، والحق ما ذكرته عنهما؛ ويدل على ما قلته ما قاله الواحدي؛ فإنه قال: «وذهب الفراء في هذ الحرف مذهب الأخفش» ، غير أنه خلط حين ادعى أنها كهين ولين حين جمعا على أهوناء وأليناء، وهين تخفيف «هين» ؛ فلذلك جاز معه على أفعلاء، وشيء ليس مخففا من «شيئ» حتى يجمع على أفعلاء، وهذان المذهبان – أعني مذهب الفراء والأخفش – وإن سلما من منع الصرف بغير علة، فقد ردهما الناس، قال الزجاج: «وهذا القول غلط؛ لأن» شيئا «فعل، وفعل لا يجمع على أفعلاء، فأما هين ولين، فأصله: هيين وليين، فجمع على أفعلاء، كما يجمع فعيل على أفعلاء؛ مثل: نصيب وأنصباء» قال شهاب الدين: وهذا غريب جدا، أعني كونه جعل أن أصل «هين» «هيين« بزنة فعيل، وكذا لين وليين، ولذلك صرح بتشبيههما بنصيب، والناس يقولون: إن هينا أصله هيون، كميت أصله ميوت، ثم أعل الإعلال المعروف، وأصل لين: ليين بياءين، الأولى ساكنة والثانية مكسورة، فأدغمت الأولى، والاشتقاق يساعدهم؛ فإن الهين من هان يهون، ولأنهم حين جمعوه على أفعلاء أظهروا الواو، فقالوا: أهوناء. وقال الزجاج: «إن المازني ناظر الأخفش في هذه المسألة، فقال له: كيف تصغر أشياء؟ قال: أقول فيها أشياء. فقال المازني: لو كانت أفعالا، لردت في التصغير إلى واحدها، وقيل: شييئات، مثل شعيعات، وإجماع البصريين أن تصغير» أصدقاء «إن كان لمؤنث» صديقات «، وإن كان لمذكر:» صديقون «فانقطع الأخفش» ، وبسط هذا أن الجمع المكسر، إذا صغر: فإما أن يكون من جموع القلة، وهي أربع على الصحيح: أفعلة وأفعل وأفعال وفعلة، فيصغر على لفظه، وإن كان من جموع الكثرة فلا يصغر على لفظه على الصحيح، وإن ورد منه شيء، عد شاذا ك «أصيلان» تصغير «أصلان» جمع «أصيل» ، بل يرد إلى واحده؛ فإن كان من غير العقلاء، صغر وجمع بالألف والتاء، فتقول في تصغير حمر جمع حمار: «حميرات» ، وإن كان من العقلاء صغر وجمع بالواو والنون، فتقول في تصغير «رجال» : «رجيلون» ، وإن كان اسم جمع ك «قوم» و «رهط» أو اسم جنس، ك «قمر» و «شجر» صغر على لفظه كسائر المفردات، رجعنا إلى «أشياء» ، فتصغيرهم لها على لفظها

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٢٨/٧

يدل على أنها اسم جمع؛ لأن اسم الجمع يصغر على لفظه، نحو: «رهيط» و «قويم» ، وليس بجمع تكسير؛ إذ هي من جموع الكثرة، ولم ترد إلى واحدها، وهذا لازم للأخفش؛ لأنه بصري، والبصري لا بد وأن يفعل ذلك، وأصيلان عنده شاذ، فلا يقاس عليه، وفي عبارة مكي قال: «وأيضا فإنه." (١)

"دون المعنوي، يدل على ذلك مسألة» سراويل «في لغة من يمنعه؛ فإن فيه تأويلين: أحدهما: أنه مفرد أعجمي، حمل على موازنه في العربية، أي صيغة مصابيح مثلا؛ ويدل له أيضا أنهم أجروا ألف الإلحاق المقصورة مجرى ألف التأنيث المقصورة، ولكن مع العلمية، فاعتبروا مجرد الصورة.

المذهب الخامس: أن وزنها «أفعلاء» أيضا جمعا ل «شيىء» بزنة «ظريف» ، وفعيل يجمع على أفعلاء، ك «نصيب وأنصباء» ، و «صديق وأصدقاء» ، ثم حذفت الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة، وفتحت الياء؛ لتسلم ألف الجمع؛ فصارت أشياء، ووزنها بعد الحذف أفعاء، وجعله مكي في التصريف كتصريف [مذهب] الأخفش؛ من حيث إنه تبدل الهمزة ياء، ثم تحذف إحدى الياءين، قال - رحمه الله -: «وحسن الحذف في الجمع حذفها في الواحد، وإنما حذفت من الواحد؛ تخفيفا لكثرة الاستعمال؛ إذ» شيء «يقع على كل مسمى من عرض، أو جوهر، أو جسم، فلم ينصرف لهمزة التأنيث في ا لجمع» ، قال: «وهذا قول حسن جار في الجمع، وترك الصرف على القياس، لولا أن التصغير يعترضه، كما اعترض الأخفش» .

قال شهاب الدين: قوله «هذا قول حسن» ، فيه نظر؛ لكثرة ما يرد عليه، وهو ظاهر مما تقدم، ولما ذكر أبو حيان هذا المذهب، قال في تصريفه: «ثم حذفت الهمزة الأولى، وفتحت ياء المد؛ لكون ما بعدها ألفا» ، قال: «وزنها في هذا القول إلى» أفياء «، وفي القول قبله إلى» أفلاء «، كذا رأيته» أفياء «، بالياء، وهذا غلط فاحش، ثم إني جوزت أن يكون هذا غلطا عليه من الكاتب، وإنما كانت» أفعاء «بالعين، فصحفها الكاتب إلى» أفياء «، وقد رد الناس هذا القول: بأن أصل شيء:» شيىء «بزنة» صديق «دعوى من غير دليل، وبأنه كان ينبغي ألا يصغر على لفظه، بل يرد إلى مفرده؛ كما تقدم تحريره.

وقد تلخص القول في «أشياء» : أنها هل هي اسم جمع، وأصلها «شيئاء» ؛ كطرفاء، ثم قلبت لامها قبل فائها، فصار وزنها «لفعاء» أو جمع صريح؟ وإذا قيل بأنها جمع صريح، فهل أصلها «أفعلاء» ثم تحذف، فتصير إلى «أفعاء» أو «أفلاء» ، أو أن وزنها «أفعال» ؛ كأبيات.

قوله تعالى: «إن تبد» شرط، وجوابه «تسؤكم» ، وهذه الجملة الشرطية في محل جر صفة ل «أشياء» ، وكذا الشرطية المعطوفة أيضا، وقرأ ابن عباس: «إن تبد لكم تسؤكم» ببناء الفعلين للفاعل، مع كون حرف

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٤٤/٧

المضارعة تاء مثناة من فوق، والفاعل ضمير «أشياء» ، وقرأ الشعبي – فيما نقله عنه أبو محمد بن عطية: «إن يبد» بفتح الياء من." (١)

"ورش، والنحاة يستضعفون إبدال هذه الهمزة ألفا، بل المشهور عندهم تسهيلها بين بين، وهي الرواية المشهورة عن نافع، لكنه قد نقل الإبدال المحض قطرب وغيره من اللغويين قال بعضهم «هذا **غلط** **غلط** عليه» ، أي: على نافع، وسبب ذلك أنه يؤدي إلى الجمع بين ساكنين، فإن «الياء» بعدها ساكنة.

ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي جعفر ونافع، وغيرهما من أهل «المدينة» أنهم يسقطون الهمزة، ويدعون أن الألف خلف منها.

قال شهاب الدين: وهذه العبارة تشعر بأن هذه الألف ليست بدلا من الهمزة، بل جيء بها عوضا عن الهمزة الساقطة.

وقال مكي بن أبي طالب: «وقد روي عن ورش إبدال الهمزة ألفا؛ لأن الرواية عنه أنه يمد الثانية، والمد لا يتمكن إلا مع البدل، وحسن جواز البدل في الهمزة وبعدها ساكن أن الأول حرف مد ولين، فإن هذا الذي يحدث مع السكون يقوم مقام حركة يتوصل بها إلى النطق بالساكن» .

وقد تقدم شيء من هذا عند قوله: ﴿أأنذرتهم﴾ [البقرة: ٦] .

ومنها: أن تنحذف الهمزة التي هي عين الكلمة، وبها قرأ الكسائي، وهي فاشية نظما ونثرا فمن النظم قوله: [الرجز]

٢١٥٨ – أريت ما جاءت به أملودا ... مرجلا ويلبس البرودا

أقائلن أحضروا الشهودا ... وقال الآخر: [الطويل]

٢١٥٩ – أريتك إذ هنا عليك ألم تخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر

وأنشد الكسائي لأبي الأسود: [المتقارب]

٢١٦٠ – أريت امرأ كنت لم أبله ... أتاني فقال: اتخذني خليلا." (٢)

"الهدى، والمعنى اقتداء الهدى، ويجوز أن يكون الهدى مفعولا لأجله؛ أي: فبهداهم اقتد لأجل الهدى.

وقيل: الاقتداء؛ أي: اقتد الاقتداء، ومن إضمار المصدر قول الشاعر: [البسيط]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٤٦/٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣٤/٨

٢٢٣٠ - هذا سراقة للقرآن يدرسه ... والمرء عند الرشا إن يلقها ذيب

أي: يدرس الدرس، ولا يجوز أن يتكون «الهاء» ضمير القرآن؛ لأن الفعل قد تعدى له، وإنما زيدت «اللام» تقوية له، حيث تقدم معموله، وكذلك جعل النحاة نصب «زيدا» من «زيدا ضربته» بفعل مقدر، خلافا للفراء.

قال ابن الأنباري: «إنها ضمير المصدر المؤكد النائب عن الفعل، وإن الأصل: اقتد اقتد، ثم جعل المصدر بدلا من الفعل الثاني، ثم أضمر فاتصل بالأول» .

وأما قراءة ابن عامر فالظاهر فيها أنها ضمير، وحركت بالكسر من غير وصل وهو الذي يسميه القراء الاختلاس تارة، وبالصلة وهو المسمى إشباعا أخرى كمنا قرئ: ﴿أرجه﴾ [الأعراف: ١١١] ونحوه.

وإذا تقرر هذا فقول ابن مجاهد عن ابن عامر «يشم» الهاء من غير بلوغ ياء «وهذا غلط؛ لأن هذه» الهاء «هاء وقف لا تعرب في حال من الأحوال، أي: لا تحرك وإنما تدخل ليتبين بها حركة ما قبلها ليس بجيد لما تقرر من أنها ضمير المصدر، وقد رد الفارسي قول ابن مجاهد بما تقدم.

والوجه الثاني: أنها هاء سكت أجريت مجرى الضمير، كما أجريت هاء الضمير مجراها في السكون، وهذا ليس بجيد، ويروى قول المتنبي: [البسيط]

٢٢٣١ - واحر قلباه ممن قلبه شبم..... ... ...

بضم» الهاء «وكسرها على أنها» هاء «السكت، شبهت بهاء الضمير فحركت، والأحسن أن تجعل الكسر لالتقاء الساكنين لا لشبهها بالضمير؛ لأن» هاء «الضمير لا تكسر بعد الألف، فكيف بما يشبهها؟

والاقتداء في الأصل طلب المواققة قاله الليث. ويقال: قدوة وقدو وأصله من القدو وهو أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء.." (١)

"و «الذي» في موضع نصب وإن لم يقدر حذف التنوين كان «مصدق» خبرا و «الذي في موضع خفض، وهذا الذي قاله غلط فاحش؛ لأن حذف التنوين إنما هو الإضافة اللفظية، وإن كان اسم الفاعل في نية الانفصال، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين إنما كان في يضرورة أو ندور؛ كقوله: [المتقارب]

٢٢٣٣ - ... ... ولا ذاكر الله إلا قليلا

والنحوين كلهم يقولون في» هذا ضارب الرجل «: إن حذف التنوين للإضفاة تخفيفا؛ ولا يقول أحد منهم في مثل هذا: إنه حذف التنوين لالتقاء الساكنين.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٧١/٨

فصل في معنى التصديق في الآية

معنى كونه» مصدقا لما قبله «من الكتب المنزلة قبله أنها [توافقنا في نفي الشرك وإثبات التوحيد] .

قوله: «ولتنذر» قرأ الجنهور بتاء الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر عن عصام بياء الغيبة، والضمير للقرآن الكريم، وهو ظاهر أي: ينذر بمواعظه وزواجره ويجوز أن يعود على الرسول – عليه الصلاة والسلام – للعلم به.

وهذه «اللام» فيها وجهان:

أحدهما: هي متعلقة ب «أنزلنا» عطف على مقدر قدره أبو البقاء: «ليؤمنوا ولتنذر» ، وقدرها الزمخشري، فقال: «ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب، كمنا قيل: أنزلناه للبركات وليصدق ما تقدمه من الكتب والإنذار.

والثاني: أنها متعلقة بمحذوف متأخر، أي ولتنذر أنزلناه.

قوله:» أم القرى «يجوز أن يكون من باب الحذف، أي: أهل أم القرى، وأن يكون من باب المجاز أطلق للحمل إلى المحل على الحال، وإنهما أولى أعني المجاز والضمير في المسألة ثلاثة أقوال، تقدم بيانها، وهذا كقوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف: ٨٢] وهناك وجه لا يمكن هنا، وهو أنه يمكن أن يكون السؤال للقرية حقيقة، ويكون ذلك معجزة للنبي، وهنا لا يأتي ذلك وإن كانت القرية أيضا نفسها هنا تتكلم إلا أن الإنذار لا يقع لعدم فائدته.." (١)

"صاحبا حال، و «حسبان» حال، والمفعول الثاني هو الأول، والحال لا بد وأن تكون صادقة على ذي الحال، فمهما كان الجواب لكن كان لنا.

والجواب ظاهر مما تقدم.

والحسبان فيه قولان:

أحدهما: انه جمعن فقيل: جمع «حساب» ك «ركاب» و «ركبان» و «شهاب» و «شهبان» ، وهذا قول أبي عبيد والأخفش وأبي الهيثم والمبرد.

وقال أبو البقاء: هو جمع «حسبانة» وهو غلط؛ لأن الحسبانة: القطعة من النار، وليس المراد ذلك قطعا. وقيل: بل هو مصدر ك «الرجحضان» والنقصان و «الخسران» ، وأما الحساب فهو اسم لا مصدر وهذا قول ابن السكيت.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨/٢٨٤

وقال الزمخشري: و «الحسبان» بالضم مصدر حسبت يعني بالفتح، كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسبت يعني بالكسر ونظيره: الكفران والشكران.

وقيل: بل الحسبان والحسبان مصدران، وهو ول أحمد بن يحيى، وأنشد أبو عبيد عن أبي زيد في مجيء الحسبان مصدرا قوله: [الطويل]

٢٢٦٦ - على الله حسباني إذا النفس أشرفت ... على طمع أو خاف شيئا ضميرها

وقال «حسبانا» على ما تقدم من المفعولية أو الحالية.

وقال ثعلب عن الأخفش: إنه منصوب على إسقاط الخافض، والتقدير: يجريان بحسبان؛ كقوله: ﴿لمن خلقت طينا﴾ [الإسراء: ٦١] أي: من طين.

وقوله: «ذلك» إشارة إلى ما تقدم من الفلق، أو الجعل، أو جميع ما تقدم من الأخبار في قوله «فالق الحب» إلى «حسبانا» .

ومعنى الآية الكريمة: جعل الشمس والقمر بحسبي معلوم لا يجوزانه حتى يتهيئان إلى أقصى منازلهما «ذلك تقدير العزيز العليم» ف «العزيز» إشارة إلى كمال قدرته، «والعليم» إشارة إلى كمال علمه، والمعنى: أن تقديري أجرام الأفلاك بصفاتها المخصوصة وهيئتها المحدودة، وحركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة في البطء والسرعة لا يمكن تحصيله إلا بقدرة كاملة متعلقة بجميع الممكنات، وعلم نافذ في جميع المعلومات من الكليات والجزئيات، وذلك مختص بالفاعل المختار سبحانه وتعالى.." [1]

"قوله تعالى: ﴿ثمانية أزواج﴾ في نصبه ستة أوجه:

أحسنها: أن يكون بدلا من «حملوة وفرشا لولا ما نقله الزجاج من الإجماع المتقدم، ولكن ليس فيه أن ذلك محصول في الإبل، والقول بالبدل هو قول الزجاج والفراء.

والثاني: أنه منصوب ب» كلوا «الذي قبله أي: كلوا ثمانية أزواج، ويكن قوله - تعالى -: ﴿ولا تتبعوا﴾ إلى آخره كالمعترض بين الفعل ومنصوبه، وهو قول علي بن سليمان وقدره: كلوا لحم ثمانية.

وقال أبو البقاء - رحمها لله -: هو منصوب ب» كلوا «تقديره: كلوا مما رزقكم الله ثمانية أزواج،» ولا تسرفوا «معترض بينهما.

قال شهاب الدين: صوابه أن يقولك» ولا تتبعوا «بدل» ولا تسرفوا «؛ لأن كلوا - الذي يليه» ولا تسرفوا «- ليس منصبا على هذا؛ لأنه بعيد منه، ولأن بعده ما هو أولى منه بالعمل، ويحتمل أن يكون الناسخ

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣١٢/٨

غلط عليه، وإنما قال هو:» ولا تتبعوا «؛ ويدل على ذلك أنه قال:» تقديره: كلوا مما رزقكم الله «و» كلوا «الأول ليس بعده» مما رزقكم «، إنما هو بعد الثاني.

الثالث: أنه عطف على» جنات «أي: أنشا ثمانية أزواج، ثم حذف الفعل وحرف العطف؛ وهو مذهب الكسائي.

قال أبو البقاء:» وهو ضعيف «.." [1]

"قال النحاس: «في هذا شيء دقيق ذكره سيبويه: وذلك أن الإيمان، والنفس كل مشتمل على الآخر، فأنث الإيمان، إذ هو من النفس وبها» وأنشد سيبويه: [الطويل]

٢٣٩٣ - مشين كما اهتزت ... .

وقال الزمخشري: «في هذه القراءة، يكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه؛ كقوله: ذهبت بعض أصابعه» .

قال أبو حيان: «وهو غلط؛ لأن الإيمان ليس بعضا من النفس» .

قال شهاب الدين: وقد تقدم آنفا ما يشهد لصحة هذه العبارة من كلام النحاس، في قوله عن سيبويه: «وذلك أن الإيمان والنفس كل منهما مشتمل على الآخر، فأنث الإيمان، إذ هو من النفس وبها» فلا فرق بين هاتين العبارتين، أي: لا فرق بين أن يقول: هو منها وبها، أو هو بعضها، والمراد في العبارتين: المجاز.

فصل

أجمعوا على أن المقصود بهذه الآية: علامة القيامة، عن البرءا بن عازب رضي الله عنه قال: «كنا نتذكر الساعة [إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما تتذاكرون؟

قلنا: نتذاكر الساعة] ؟

قال: إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، ودابة الأرض، وخسفا بالمشرق، وخسفا بالمغرب، وخسفا بجزيرة العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى - عليه السلام -، ونار تخرج من عدن» .

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تقوم الساعة حتى تطلع

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٧٦/٨

الشمس من مغربها؛ فإذا طلعت ورآها الناس، آمنوا أجمعين، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا» .." (١)

"لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم دلائل التوحيدن والرد على القائلين بالشركاء والأضداد، وبالغ في تقرير إثبات القضاء والقدر، ورد على أهل الجاهلية في أباطيلهم أمره – عليه الصلاة والسلام – أن يختم الكلام بقوله: «قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم» ، وذلك يدل على أن الهداية لا تحصل إلا بالله – تباك وتعالى سبحانه –.

وقال القرطبي – رحمه الله تعالى –: «لما بين أن الكفار تفرقوا، بين أنه – تعالى – هداه إلى الصراط المستقيم، وهو ملة إبراهيم – عليه الصلاة وأتم التسليم» .

قوله: «دنيا» : نصبه من أوجه:

أحدها: من نصب على الحال، قال قطرب وقيل: إنه مصدر على المعنى، أي: هداني هداية دين قيم، أو على إضمار: «عرفني دينا» أو الزموا دينا.

وقال أبوا لبقاء – رحمه الله عليه –: إنه مفعول ثان ل «هداني» وهو غلط؛ لأن المفعول الثاني هنا هو المجرور ب «إلى» فاكتفي به.

وقال مكي – رحمه الله تعالى عليه –: «إنه منصوب على البدل من محل إلى صراط مستقيم» .

وقيل: ب «هداني» مقدرة لدلالة «هداني» الأول عليها وهو كالذي قبله في المعنى.

قوله: «قيما» قرأ الكوفيون، وابن عامر: بكسر القاف وفتح الياء خفيفة، والباقون بفتحها، وكسر الياء مشددة، ومعناه: القويم المستقيم، وتقدم توجيه إحدى القراءتين في النساء والمائدة.." (٢)

"لما أمر الخلق بمتابعة الأنبياء، ثم خوفهم بعذاب الدنيا وهو قوله: ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ ، وبعذاب الآخرة وهو السؤال ووزن الأعمال رغبهم في دعوة الأنبياء في هذه الآية بطريق آخر، وهو أن ذكر كثرة نعم الله عليهم، وكثرة النعيم توجب الطاعة فقال: ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ أي: جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا ومكناكم، والمراد بالتمكين التمليك والقوة والقدرة.

قوله «وجعلنا لكم» يجوز أن يكون «جعل» بمعنى «خلق» فيتعدى لواحد فيتعلق الجاران ب «معايش» ، والثأني أحد الجارين، والآخر: إما حال متعلقة بمحذوف، وإما متعلقة بنفس الجعل وهو الظاهر.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٢٧/٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٣٥/٨

و «معايش» جمع معيشة، وفيها ثلاثة مذاهب:

مذهب سيبويه والخليل: أن وزنها مفعلة بضم العين، أو مفعلة بكسرها، فعلى الأول جعلت الضمة كسرة، ونقلت إلى فاء الكلمة. وقياس قول الأخفش في هذا النحو أن يغير الحرف لا الحركة، ف «معيشة» عنده شاذة إذ كان ينبغي أن يقال فيها معوشة.

وأما على قولنا إن أصلها «معيشة» بكسر العين فلا شذوذ فيها ومذهب الفراء: أن وزنها مفعلة بفتح العين، وليس بشيء.

والمعيشة اسم لما يعاش به أي: يحيا وقال الزجاج: المعيشة ما يتوصلون به إلى العيش وهي في الأصل مصدر ل «عاش» يعيش عيشا، وعيشة قال تعالى: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ [الحاقة: ٢١] ، ومعاشا: قال تعالى: ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ [النبأ: ١١] ، ومعيشا قال رؤبة: [الرجز]

٢٤٠٦ - إليك أشكوا شدة المعيش ... وجهد أعوام نتفن ريشي

والعامة على «معايش» بصريح الياء. وقد خرج خارجة فروى عن نافع «معائش» بالهمز، وقال النحويون: هذا غلط؛ لأنه لا يهمز عندهم إلا ما كان فيه حرف المد زائدا نحو: صحائف ومدائن، وأما «معايش» فالياء أصل؛ لأنها من «العيش» .." (١)

"قال الفارسي - عن أبي عثمان -: «أصل أخذ هذه القراءة عن نافع» قال: «ولم يكن يدري ما العربية» .

قال شهاب الدين: وقد فعلت العرب مثل هذا، فهمزوا «منائر ومصائب» جمع «منارة ومصيبة» والأصل «مناور، ومصاوب» وقد **غلط** سيبويه من قال مصائب، ويعني بذلك أنه غلطه بالنسبة إلى مخالفة الجادة، وهذا كما تقدم عنه أنه قال: «واعلم أن بعضهم ي**غلط** فيقول: إنهم أجمعون ذاهبون» [قال] ومنهم من يأتي بها على الأصل فيقول: مصاوب ومناور، وهذا كما قالوا في جمع «مقال» و «مقام» : «مقاول» و «مقاوم» في رجوعهم بالعين إلى أصلها قال: وأنشد النحويون على ذلك: [الطويل]

٢٤٠٧ - وإني لقوام مقاوم لم يكن ... جرير ولا مولى جرير يقومها

ووجه همزها أنهم شبهوا الاصلي بالزائد فتوهموا أن «معيشة» بزنة «صحيفة» فهمزوها كما همزا «تيك» قالوا: ونظير ذلك في تشبيههم الأصل بالزائد قولهم في جميع «مسيل» «مسلان» ، توهموه على أنه على زنة «قضيب وقضبان» وقالوا في جمعه «أمسلة» كأنهم توهموا أنه بزنة «رغيف، وأرغفة» وإنما مسيل وزنه

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٢٥

«مفعل» ؛ لأنه من سيلان الماء، وأنشدوا على «مسيل، وأمسلة» قول أبي ذؤيب الهذلي: [الوافر]

٢٤٠٨ - بواد لا أنيس به يباب ... وأمسلة مذانبها خليف

وقال الزجاج: جميع نحاة البصرة يزعمون أن همزها خطأ، ولا أعلم لها وجها إلا التشبيه ب «صحيفة» و «صحائف» ، ولا ينبغي التعويل على هذه القراءة.

قال شهاب الدين: وهذه القراءة لم ينفرد بها نافع بل قرأها جماعة جلة معه؛ فإنها منقولة عن ابن عامر الذي قرأ على جماعة من الصحابة ك «عثمان» و «أبي الدرداء» و «معاوية» ، وقد يبق ذلك في «الأنعام» ، فقد قرأ بها قبل ظهور اللحن، وهو عربي فصيح وقرأ بها أيضا زيد بن علي، وهو على جانب من الفصاحة والعلم الذي لا يدانيه فيه إلا القليل، وقرأ بها أيضا الأعمش والأعرج وكفى بهما في الإتقان والضبط. وقد نقل الفر ء أن قلب هذه الياء تشبيها لها بياء «صحيفة» قد جاء، وإن كان قليلا.

وقوله: ﴿قليلا ما تشكرون﴾ كقوله: ﴿قليلا ما تذكرون﴾ .." (١)

"والثاني: أن العامل فيها مقدر تقديره: «واذكر رسالة لوط إذ قال» ف «إذ» مصوبة ب «رسالة» . قاله أبو البقاء، والبدل حينئذ بدل اشتمال.

وصرف نوح ولوط لخفته، فإنه ساكن الوسط، مركب من ثلاثة أحرف.

، لطت الحوض إذا ملسته بالطين، وهذا غلط؛ لأن الأسماء الأعجمية لا تشتق كإسحاق، فلا يقال: إنه من السحق وهو البعد؛ وإنما صرف لخفته؛ لأنه على ثلاثة أحرف ساكن الوسط، فأما لطت الحوض، وهذا أليط فصحيح، ولكن الاسم أعجمي كإبراهيم وإسحاق.

وهو: لوط بن هاران بن تارخ ابن أخير إبراهيم، كان في أرض بابل مع عمه إبراهيم،، فهاجر إلى الشام، فنزل إبراهيم إلى فلسطين، وأنزل لوطا الأردن، فأرسله الله عز وجل إلى أهل سدوم.

قوله: «أتأتون الفاحشة» أتفعلون السيئة المتناهية في القبح، وذكرها باسم الفاحشة ليبين أنها زنا لقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة﴾ [الإسراء: ٣٢] .

﴿ما سبقكم بها من أحد من الع‍المين﴾ في هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وعلى الاستئناف يحتمل أن تكون جوابا لسؤال وألا تكون جوابا.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٦/٩

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠٣/٩

"المشهور المتواتر، ولا التفات إلى من أنكر بعضها ولا لمن أنكر على روايها. وضبط ذلك أن يقال: ثلاث مع الهمز وثلاث مع عدمه.

فأما الثلاث التي مع الهمزة فأولها قراءة ابن كثير، وهشام عن ابن عامر: أرجئهو بهمزة ساكنة، وهاء متصلة بواو.

والثانية: قراءة أبي عمرو: أرجئه كما تقدم إلا أنه لم يصلها بواو.

الثالثة: قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر: أرجئه بهمزة ساكنة وهاء مكسورة من غير صفة.

وأما الثلاث التي بلا همة فأولها: قراءة الأخوين: «أرجه» بكسر الجيم وسكون الهاء وصلا ووقفا.

الثانية: قراءة الكسائي، وورش عن نافع: «أرجهي» بهاء متصلة بياء.

الثالثة: قراءة قالون بهاء مكسورة دون ياء.

فأما ضم الهاء وكسرها فقد عرف مما تقدم. وأما الهمز وعدمه فلغتان مشهورتان يقال: أرجأته وأرجيته أي: أخرته، وقد قرئ قوله تعالى: ﴿ترجي من تشآء﴾ [الأحزاب: ٥١] بالهمز وعدمه، وهذا كقولم: توضأت وتوضيت، وهل هما م١دتان أصليتان أم المبدل فرع الهمز؟ احتمالان.

وقد طعن قوم على قراءة ابن ذكوان فقال الفارسي: «ضم الهاء مع الهمزة لا يجوز [غيره] ، ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر غلط» .

وقال ابن مجاهد: «وهذا لا يجوز؛ لأن الهاء لا تكسر إلا بعد كسرة أو ياء ساكنة» .

وقال الحوفي: «ومن القراء من يكسر مع الهمز وليس بجيد» .

وقال أبو البقاء: «ويقرأ بكسر الهاء مع الهمز وهو ضعيف؛ لأن الهمزة حرف صحيح ساكن، فليس قبل الهاء ما يقتضي الكسر» .

وقد اعتذر الناس عن هذه القراءة على سبيل التنازل بوجهين:

أحدهما: أن الهمزة ساكنة والساكن حاجز غير حصين، وله شواهد [مذكورة في موضعها] ، فكأن الهاء وليست الجيم المكسورة فلذلك كسرت.." (١)

"قوله: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ الآية.

في «إذ» خمسة أوجه:

أحدها: أنه منصوب ب «اذكر» مضمرا، ولذلك سماه الحوفي مستأنفا، أي: إنه منقطع عما قبله.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٥٣/٩

والثاني: أنه منصوب ب «يحق» أي: يحق الحق وقت استغاثتكم، وهو قول ابن جرير وهو غلط؛ لأن «ليحق» ، مستقبل؛ لأنه منصوب بإضمار «أن» و «إذ» ظرف لما مضى، فكيف يعمل المستقبل في الماضي؟ .

الثالث: أنه بدل من «إذ» الأولى، قاله الزمخشري، وابن عطية، وأبو البقاء وكانوا قد قدموا أن العامل في «إذ» الأولى «اذكر» مقدرا.

الرابع: أنه منصوب ب «يعدكم» قاله الحوفي، وقبله الطبري.

الخامس: أنه منصوب بقوله «تودون» قاله أبو البقاء، وفيه بعد لطول الفصل.

واستاث: يتعدى بنفسه، وبالباء، ولم يجيء في القرآن إلا متعديا بنفسه، حتى نقم ابن مالك على النحويين قولهم: المستغاث له، أو به، والمستغاث من أجله، وقد أنشدوا على تعديه بالحرف قول الشاعر: [البسيط]." (١)

"الناصب ل «إذ» يجوز أن يكون مضمرا، أي: اذكر، ويجوز أن يكون «عليم» ، وفيه بعد من حيث تقييد هذه الصفة بهذا الوقت، ويجوز أن تكون «إذ» هذه بدلا من «إذ» قبلها، والإراءة هنا حلمية.

واختلف فيها النحاة: هل تتعدى في الأصل لواحد كالبصرية، أو لاثنين، كالظنية؟ .

فالجمهور على الأول. فإذا دخلت همزة النقل أكسبتها ثانيا، أو ثالثا على حسب القولين فعلى الأول تكون الكاف مفعولا أول، و «هم» مفعول ثان، و «قليلا» حال، وعلى الثاني يكون «قليلا» نصبا على المفعول الثالث، وهذا يبطل بجواز حذف الثالث في هذا الباب اقتصارا، أي: من غير دليل تقول: أراني الله زيدا في منامي، ورأيتك في النوم، ولو كانت تتعدى لثلاثة، لما حذف اقتصارا؛ لأنه خبر في الأصل.

فصل

المعنى: إذ يريك الله يا محمد المشركين في منامك، أي: نومك.

قال مجاهد: أرى الله النبي - عليه الصلاة والسلام - كفار قريش في منامه قليلا، فأخبر بذلك أصحابه، فقالوا: رؤيا النبي حق، القوم قليل، فصار ذلك سببا لقوة قلوبهم.

فإن قيل: رؤية الكثيرة قليلا غلط، فكيف يجوز من الله تعالى أن يفعل ذلك؟ .

فالجواب: أن الله تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولعله تعالى أراه البعض دون البعض فحكم الرسول - عليه الصلاة والسلام - على أولئك الذين رآهم بأنهم قليلون.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٥٩/٩

وقال الحسن: هذه الإراءة اكنت في اليقظة، قال: والمراد من المنام: العين؛ لانها موضع النوم.

﴿ولو أراكهم كثيرا لفشلتم﴾ لجبنتم «ولتنازعتم» اختلفتم «في الأمر» أي: في الإحجام والإقدام ﴿ولكن الله سلم﴾ أي: سلمكم من المخالفة والفشل.

وقيل: سلمهم من الهزيمة يوم بدر.

﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ .

قال ابن عباس: عليم بما في صدوركم من الحب لله تعالى وقيل: يعلم ما في صدوركم من الجراءة، والجبن والصبر والجزع.

قوله تعالى: ﴿إذ يريكهم﴾ الإراءة – هنا – بصرية، والإتيان هنا بصلة ميم الجمع واجب، لاتصالها بضمير، ولا يجوز التسكين، ولا الضم من غير واو، وقد جوز." (١)

"ويكاد فعل ينفي المعنى مع إيجابه، ويوجبه مع النفي «١» ، فهنا لم يخطف البرق الأبصار، والخطف: الانتزاع بسرعة، ومعنى يكاد البرق يخطف أبصارهم، تكاد حجج القرآن وبراهينه وآياته الساطعة تبهرهم، ومن جعل البرق في المثل الزجر والوعيد، قال:

يكاد ذلك يصيبهم.

و «كلما» : ظرف، والعامل فيه «مشوا» ، و «قاموا» معناه: ثبتوا، ومعنى الآية فيما روي عن ابن عباس وغيره: كلما سمع المنافقون القرآن، وظهرت لهم الحجج، أنسوا ومشوا معه، فإذا نزل من القرآن ما يعمهون فيه، ويضلون به، أو يكلفونه، قاموا، أي:

ثبتوا على نفاقهم.

وروي عن ابن مسعود أن معنى الآية: كلما صلحت أحوالهم في زروعهم ومواشيهم، وتوالت عليهم النعم، قالوا: دين محمد دين مبارك، وإذا نزلت بهم مصيبة أو أصابتهم شدة، سخطوه وثبتوا في نفاقهم «٢» .

ووحد السمع لأنه مصدر يقع للواحد والجمع.

١٢ أوقوله سبحانه: على كل شيء قدير لفظه العموم، ومعناه عند/ المتكلمين: فيما يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه، وقدير بمعنى قادر، وفيه مبالغة، وخص هنا سبحانه صفته التي هي القدرة- بالذكر لأنه قد تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد والإخافة، فكان ذكر القدرة مناسبا لذلك.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٣١/٩

(١) وزعم جماعة منهم ابن جني وأبو البقاء وابن عطية أن نفيها إثبات وإثباتها نفي، حتى ألغز بعضهم فيها فقال: [الطويل]

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة ... جرت في لساني جرهم وثمود

إذا نفيت- والله أعلم- أثبتت ... وإن أثبتت قامت مقام جحود

وحكوا عن ذي الرمة أنه لما أنشد قوله: [الطويل]

إذا غير النأي المحبين لم يكد ... رسيس الهوى من حب مية يبرح

عيب عليه لأنه قال: لم يكد يبرح فيكون قد برح، فغيره إلى قوله: «لم يزل» أو ما هو بمعناه، والذي غر هؤلاء قوله تعالى: فذبحوها وما كادوا يفعلون [البقرة: ٧١] قالوا: فهي هنا منفية وخبرها مثبت في المعنى، لأن الذبح وقع لقوله: فذبحوه. والجواب عن هذه الآية من وجهين:

أحدهما: أنه يحمل على اختلاف وقتين، أي: ذبحوها في وقت، وما كادوا يفعلون في وقت آخر.

والثاني: أنه عبر بنفي مقاربة الفعل عن شدة تعنتهم وعسرهم في الفعل. وأما ما حكوه عن ذي الرمة فقد غلط الجمهور ذا الرمة في رجوعه عن قوله وقالوا: هو أبلغ وأحسن مما غيره إليه.

ينظر: «الدر المصون» (١/ ١٤٠) .

(٢) ينظر: ابن عطية (١/ ١٠٤) .." [1]

"أحدهما: من ينصرني في السبيل إلى الله.

والثاني: أن يكون التقدير: من يضيف نصرته إلى نصرة الله لي، فإلى دالة على الغاية في كلا التقديرين، وليس يباح أن يقال: «إلى» بمعنى «مع» كما غلط في ذلك بعض الفقهاء في تأويل قوله تعالى: وأيديكم إلى المرافق [المائدة: ٦] ، فقال: «إلى» بمعنى «مع» ، وهذه عجمة.

والحواريون قوم مر بهم عيسى صلى الله عليه وسلم، فدعاهم إلى نصره واتباع ملته، فأجابوه، وقاموا بذلك خير قيام، وصبروا في ذات الله، واختلف، لم قيل لهم حواريون؟ فقال ابن جبير: لبياض ثيابهم «١» ، وقال أبو أرطاة: لأنهم كانوا قصارين يحورون الثياب، أي: يبيضونها «٢» ، وقال قتادة: الحواريون: أصفياء الأنبياء الذين تصلح لهم الخلافة «٣» ، وقال الضحاك نحوه «٤» ، قال ع «٥» : وهذا القول تقرير حال القوم، وليس بتفسير اللفظة، وعلى هذا الحد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته بهم في قوله: «وحواريي الزبير» .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١/١٩٤

والأقوال الأول هي تفسير اللفظة إذ هي من الحور/، وهو البياض، حورت الثوب: بيضته ومنه الحواري، وقد تسمي العرب النساء الساكنات في الأمصار:

الحواريات لغلبة البياض عليهن ومنه قول أبي جلدة اليشكري «٦» : [الطويل]

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨٥) برقم (٧١٢٠) ، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٩٥) ، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٤٤٢) .

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٢٨٥) برقم (٧١٢١) وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٤٤٢) .

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨٥) برقم (٧١٢٢) ، وذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٣٠٦) ، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٤٤٢) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٦٣) ، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٤٤٢) .

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٤٤٢) .

(٦) أبو جلدة بن عبيد الله اليشكري، من بني عدي بن جشم، من يشكر، شاعر نعته ابن قتيبة ب «الخبيث» ، كان مولعا بالشراب، من أهل «الكوفة» . خرج مع ابن الأشعث (عبد الرحمن بن محمد) وقتله الحجاج، وقيل: مات في طريق «مكة» . له شعر وأخبار، وكان يهاجي زيادا الأعجم، وفي حماسة ابن الشجري قصيدة له في تحريض أهل العراق على الثورة بعد قيام ابن الأشعث على الحجاج. ينظر: «الأعلام» (٢/ ١٣٣) .." [1]

"تكون منهم توبة، فيتصور قبولها فكأنه أخبر عن هؤلاء المعينين أنهم يموتون كفارا، ثم أخبر الناس عن حكم كل من يموت كافرا، والملء: ما شحن به الوعاء، وقوله: ولو افتدى به، قال الزجاج «١» : المعنى: لن يقبل من أحدهم إنفاقه وتقرباته في الدنيا، ولو أنفق ملء الأرض ذهبا، ولو افتدى أيضا به في الآخرة، لن يقبل منه، قال: فأعلم الله أنه لا يثيبهم على أعمالهم من الخير، ولا يقبل منهم الافتداء من العذاب.

قال ع «٢» : وهذا قول حسن، وقال قوم: الواو زائدة، وهذا قول مردود، ويحتمل المعنى نفي القبول على كل وجه، ثم خص من تلك الوجوه أليقها وأحراها بالقبول، وباقي الآية وعيد بين، عافانا الله من عقابه،

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٩/٢

وختم لنا بما ختم به للصالحين من عباده/.

وقوله تعالى: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ... الآية: خطاب لجميع المؤمنين، فتحتمل الآية أن يريد لن تنالوا بر الله بكم، أي: رحمته ولطفه، ويحتمل أن يريد لن تنالوا درجة الكمال من فعل البر حتى تكونوا أبرارا إلا بالإنفاق المنضاف إلى سائر أعمالكم.

قال ص: قوله: مما تحبون: «من» : للتبعيض تدل عليه قراءة عبد الله:

«بعض ما تحبون» «٣» اهـ.

قال الغزالي: قال نافع: كان ابن عمر مريضا، فاشتهى سمكة طرية، فحملت إليه على رغيف، فقام سائل بالباب، فأمر بدفعها إليه، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أيما امرئ اشتهى شهوة، فرد شهوته، وآثر على نفسه غفر الله له» «٤» اهـ من «الإحياء» .

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤١) .

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٤٧٠) .

(٣) ينظر: «الكشاف» (١/ ٣٨٥) ، و «البحر المحيط» (٢/ ٥٤٦) ، و «الدر المصون» (٢/ ١٦٦)
.

(٤) ذكره الهندي في «الكنز» (٤٣١١٢) ، وعزاه للدار قطني في الأفراد، وأبي الشيخ في «الثواب» .

وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٢٥٧) : أخرجه ابن حبان في «الضعفاء» ، وأبو الشيخ في «الثواب» من حديث ابن عمر بسند ضعيف. اهـ.

والحديث أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٣٨) ، من طريق عمرو بن خالد، عن حبيب بن أبي ثابت، عن نافع، عن ابن عمر به.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، والمتهم به عمرو بن خالد، قال وكيع: كان في جوارنا يضع الحديث، وقال ابن عدي: عامة ما يروي موضوعات كذبه أحمد، ويحيى.

واعلم أن جهلة المتزهدين بنوا على مثل هذا الحديث الواهي، فتركوا كل ما تشتهيه النفس، فعذبوا أنفسهم لمجاهدتها في ترك كل ما يشتهى من المباحات، وذلك **غلط** لأن للنفس حقا، ومتى ترك كل ما-." [١]

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢/٧٥

"..

– وأما الإجماع: فقد قالوا: إن الأمة امتنعت عن العمل بالمتعة مع ظهور الحاجة إلى ذلك، وما ذلك إلا لعلمهم بنسخها.

وقد نوقشت أدلة الجمهور بما يأتي:

أما حديث علي، فقد قيل لهم فيه: إنه وقع فيه كلام، حتى زعم ابن عبد البر أن ذكر النهي بيوم خيبر غلط. وقال السهيلي: ويتصل بهذا الحديث تنبيه على إشكال لأن فيه النهي عن نكاح المتعة يوم خيبر، وهذا شيء لا يعرفه أهل السير ورواة الآثار. والذي يظهر أنه وقع تقديم وتأخير في لفظ الزهري. وقد أشار ابن القيم إلى تقرير هذا التقديم والتأخير فقال: وأما نكاح المتعة، فثبت عنه أنه أحلها عام الفتح، وثبت عنه أنه نهى عنها عام الفتح، واختلف هل نهى عنها يوم خيبر على قولين، والصحيح أن النهي إنما كان عام الفتح، وأن النهي يوم خيبر إنما كان عن الحمر الأهلية وإنما قال علي لابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن متعة النساء، ونهى عن الحمر الأهلية محتجا عليه في المسألتين، فظن بعض الرواة أن التقييد بيوم خيبر راجع إلى الفعلين، فرواه بالمعنى، ثم أفرد بعضهم أحد الفعلين، وقيده بيوم خيبر.

وترد هذه المناقشة بأن أصحاب الزهري قد اتفقوا على أن نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المتعة يوم خيبر، وهم حفاظ ثقات، وزيادة الحافظ الثقة تقبل. ولهذا قال عياض تحريمها يوم خيبر صحيح لا شك فيه، والقول بأنه وقع في لفظ الزهري تقديم وتأخير يخالفه ظاهر الحديث فإن ظاهره أن عام خيبر ظرف لتحريم نكاح المتعة.

ومما يؤيد هذا الظاهر حديث ابن عمر الذي أخرجه البيهقي بإسناد قوي أن رجلا سأل عبد الله بن عمر عن المتعة، فقال: حرام، قال: فإن فلانا يقول فيها، فقال: والله لقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمها يوم خيبر، وما كنا مسافحين.

والذي يظهر أن القائلين بأن النهي يوم خيبر إنما كان عن لحوم الحمر الأهلية يحاولون بذلك استبعاد أن تكون المتعة قد نسخت مرتين لأنه ثبت النهي عنها يوم الفتح، ومعلوم أن يوم الفتح بعد خيبر، إذ أن خيبر في السنة السابعة من الهجرة، وغزوة الفتح في السنة الثامنة فيلزم من ذلك نسخها مرتين.

ونحن نرى أن لا داعي لهذه المحاولة ما دام الحديث ظاهرا في أن يوم خيبر ظرف لتحريم نكاح المتعة، ولا مانع من نسخها مرتين، ولها نظير في الشريعة الإسلامية، وهو مسألة القبلة فقد نسخت مرتين، وذلك

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة إلى الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلى بيت المقدس بعد الهجرة تأليفا لليهود، وامتحانا للمسلمين الذين اتبعوه بمكة، ثم حول إلى الكعبة ثانيا. وقيل لهم في حديث سبرة الجهني: أن القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم حرمها إلى يوم القيامة معارض بما روي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة في حجة الوداع كما عند أبي داود.

وترد هذه المناقشة بأن هذا اختلف فيه عن سبرة، والرواية عنه بأنها في الفتح أصح لأنهم في فتح مكة شكوا للنبي صلى الله عليه وسلم العزوبة، فرخص لهم فيها مدة ثم نسخها، وعلى تسليم صحة النهي عنها في حجة الوداع، فنقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم أعاد النهي في حجة الوداع ليسمعه من لم يكن سمعه قبل، فأكد ذلك حتى لا تبقى شبهة لأحد يدعي تحليلها.

ويقال لهم في الإجماع: إنه غير مسلم فقد ثبت الجواز عن ابن عباس كما ثبت عن جماعة من التابعين. _." (١)

"الوليد بن المغيرة، وقيل: في عتبة بن ربيعة، وجل الآية يعطي أنها نزلت في كفار، وإن كان أولها يتضمن خلقا ربما شارك فيها بعض المؤمنين.

ودعاء الخير إضافته إضافة المصدر إلى المفعول، وفي مصحف ابن مسعود «١» :

«من دعاء بالخير» والخير في هذه الآية المال والصحة، وبذلك تليق الآية بالكفار.

وقوله تعالى: ليقولن هذا لي أي: بعملي وبما سعيت/ ولا يرى أن النعم إنما هي فضل من الله تعالى قال- ص-: ليقولن قال أبو البقاء: هو جواب الشرط، والفاء محذوفة، وقيل: هو جواب قسم محذوف، قال- ص-: قلت: هذا هو الحق، والأول غلط لأن القسم قد تقدم في قوله: ولئن فالجواب له، ولأن حذف الفاء في الجواب لا يجوز، انتهى، وفي تغليط الصفاقسي لأبي البقاء نظر.

وقوله: وما أظن الساعة قائمة قول بين فيه الجحد والكفر، ثم يقول هذا الكافر:

ولئن رجعت إلى ربي: كما تقولون: «إن لي عنده للحسنى» أي: حالا ترضيني من مال، وبنين، وغير ذلك، قال ع «٢» : والأماني على الله تعالى، وترك الجد في الطاعة مذموم لكل أحد فقد قال عليه السلام: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» «٣» .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢/٢١٤

[سورة فصلت (٤١) : الآيات ٥١ الى ٥٤]

وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض (٥١) قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد (٥٢) سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد (٥٣) ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط (٥٤)

وقوله تعالى: وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ... الآية، ذكر سبحانه الخلق الذميمة من الإنسان جملة، وهي في الكافر بينة متمكنة، وأما المؤمن، ففي الأغلب يشكر على النعمة، وكثيرا ما يصبر عند الشدة، ونأى معناه: بعد ولم يمل إلى شكر ولا طاعة.

وقوله: فذو دعاء عريض أي: وطويل أيضا، وعبارة الثعلبي: عريض أي:

---

(١) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣٥) ، و «الكشاف» (٤/ ٢٠٥) ، و «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢) ، و «البحر المحيط» (٧/ ٤٨٢) ، و «الدر المصون» (٦/ ٧١) .

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢) .

(٣) تقدم. [.....]." [١]

"بالنهار» «١» قال ع «٢» : وهذا حديث **غلط** فيه ثابت بن موسى الزاهد، سمع شريك بن عبد الله يقول: حدثنا الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر، ثم نزع شريك لما رأى ثابتا الزاهد فقال يعنيه: من كثرت صلاته بالليل، حسن وجهه بالنهار، فظن ثابت أن هذا الكلام حديث متركب على السند المذكور، فحدث به عن شريك.

ت: واعلم أن الله سبحانه جعل حسن الثناء علامة على حسن عقبى الدار، والكون في الجنة مع الأبرار، جاء بذلك صحيح الآثار عن النبي المختار ففي «صحيح البخاري» و «مسلم» عن أنس قال: «مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

وجبت، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال: / وجبت، فقال عمر: ما وجبت؟ فقال:

هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض» «٣» ، انتهى، ونقل صاحب «الكوكب الدري» من مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٤٦/٥

«يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار، فقالوا: يا رسول الله، بم؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيئ» «٤» ، انتهى، ونقله صاحب كتاب «التشوف إلى رجال التصوف» وهو الشيخ الصالح أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، عن ابن أبي شيبة، ولفظه: وخرج

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٢) كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: ما جاء في قيام الليل (١٣٣٣) ، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٤١) (٢٥٧) ، (١٣/ ٣٨) (٦٩٩٥) ، وابن الشجري في «أماليه» (١/ ٢٠٥، ٢٠٨) .

قال العجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» (٢/ ٣٣٨) (٢٥٨٧) : لا أصل له، وإن روي من طرق عند ابن ماجه بعضها عن جابر، وأورد الكثير منها عن القضاعي وغيره، قال: ولكن قرأت بخط شيخنا في بعض أجوبته أنه ضعيف، بل قواه بعضهم والمعتمد الأول، وأطنب ابن عدي في رده، قال ابن طاهر: ظن القضاعي أن الحديث صحيح لكثرة طرقه، وهو معذور لأنه لم يكن حافظا انتهى.

واتفق أئمة الحديث: ابن عدي، والدارقطني، والعقيلي، وابن حبان، والحاكم على أنه من قول شريك لثابت، وقال ابن عدي: سرقه جماعة من ثابت، كعبد الله بن شبرمة الشريكي، وعبد الحميد بن بحر، وغيرهما، وقال ابن حجر المكي في «الفتاوى» : أطبقوا على أنه موضوع، مع أنه في «سنن ابن ماجه» .

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤١) .

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٢٧٠) كتاب «الجنائز» باب: ثناء الناس على الميت (١٣٦٧) (٥/ ٢٩٩) كتاب «الشهادات» باب: تعديل كم يجوز؟ (٢٦٤٢) ، ومسلم (٢/ ٦٥٥) كتاب «الجنائز» باب: فيمن يتسنى عليه خير أو شر (٦٠، ٦٠/ ٩٤٩) ، وابن ماجه (١/ ٤٧٨) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في الثناء على الميت (١٤٩١) .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤١١) كتاب «الزهد» باب: الثناء الحسن (٤٢٢١) ، والبيهقي (١٠/ ١٢٣) كتاب «آداب القاضي» باب: اعتماد القاضي على تزكية المشركين وجرحهم، و الحاكم (١/ ١٢٠) .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.." (١)

"تحريمها إلا بظلم عظيم منهم، " وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر " الآية [الأنعام: ١٤٦]، (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) صدا كثيرا أو ناسا كثيرا (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) في التوراة (وأكلهم

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٦٤/٥

أموال الناس بالباطل) بالرشوة وغيرها (وأعتدنا للكافرين منهم) دون من آمن وتاب (عذابا أليما). (لكن الراسخون في العلم منهم) كعبد الله بن سلام وأصحابه (والمؤمنون) منهم، وقيل أي: الصحابة (يؤمنون) خبر المبتدأ (بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة) نصب على المدح، وهو شائع في كلام الفصحاء، وقيل: مخفوض عطف على ما أنزل أي: آمنوا بإقامة الصلاة أي بوجوبه، أو المراد بالمقيمين: الأنبياء (١) (والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قدم الإيمان بالقرآن والكتب، لأنه المقصود من الآية (أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما).

* * *

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا (١٦٣) ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (١٦٤) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا

---

(١) قال العلامة السمين ما نصه:

قوله: والمقيمين «قراءة الجمهور بالياء، وقرأ جماعة كثيرة» والمقيمون «بالواو منهم ابن جبير وأبو عمرو بن العلاء في رواية يونس وهارون عنه، ومالك بن دينار وعصمة عن الأعمش، وعمرو بن عبيد، والجحدري وعيسى بن عمر وخلائق. فأما قراءة الياء فقد اضطربت فيها اقوال النحاة، وفيها ستة أقوال، أظهرهما: وعزاه مكي لسيبويه، وأبو البقاء للبصريين - أنه منصوب على القطع، يعني المفيد للمدح كما في قطع النعوت، وهذا القطع مفيد لبيان فضل الصلاة فكثر الكلام في الوصف بأن جعل في جملة أخرى، وكذلك القطع في قوله ﴿والمؤتون الزكاة﴾ على ما سيأتي هو لبيان فضلها أيضا، لكن على هذا الوجه يجب أن يكون الخبر قوله:» يؤمنون «ولا يجوز أن يكون قوله ﴿أولئك سنؤتيهم﴾ لأن القطع إنما يكون بعد تمام الكلام. قال مكي:» ومن جعل نصب «المقيمين» على المدح جعل خبر «الراسخين»: «يؤمنون»، فإن جعل الخبر «أولئك» سنؤتيهم «لم يجز نصب» المقيمين «على المدح، لأنه لا يكون إلا بعد تمام الكلام» وقال الشيخ: «ومن جعل الخبر: أولئك سنؤتيهم فقوله ضعيف» قلت: هذا غير لازم، لأنه هذا القائل لا يجعل نصب «المقيمين» حينئذ منصوبا على القطع، لكنه ضعيف بالنسبة إلى أنه ارتكب وجها ضعيفا في تخريج «المقيمين» كما سيأتي. وحكى ابن عطية عن قوم منع نصبه على القطع من أجل حرف العطف،

والقطع لا يكون في العطف، إنما ذلك في النعوت، ولما استدل الناس بقول الخرنق:

١٦٧ - ٤ - لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

النازلِين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

على جواز القطع فرق هذا القائل بأن البيت لا عطف فيه؛ لأنها قطعت «النازين» فنصبته، و «الطيبون» فرفعته عن قولها «» قومي «، وهذا الفرق لا أثر له؛ لأنه في غير هذا البيت ثبت القطع مع حرف العطف، أنشد سيبويه:

١٦٧ - ٥ - ويأوي إلى نسوة عطل ... وشعثا مراضيع مثل السعالي

فنصب» شعثا «وهو معطوف.

الثاني: أن يكون معطوفا على الضمير في» منهم «أي: لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة. الثالث: أن يكون معطوفا على الكاف في» إليك «أي: يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة وهم الأنبياء. الرابع: أن يكون معطوفا على» ما «في» بما أنزل «أي: يؤمنون» بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وبالمقيمين، ويعزى هذا الكسائي. واختلفت عبارة هؤلاء في «المقيمين» فقيل: هم الملائكة قال مكي: «ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم إقامة الصلاة كقوله: ﴿يسبحون اللِيل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء: ٢٠]. وقيل: هم الأنبياء، وقيل: هم المسلمون، ويكون على حذف مضاف أي: وبدين المقيمين. الخامس: أن يكون معطوفا على الكاف في» قبلك «أي: ومن قبل المقيمين، ويعني بهم الأنبياء أيضا. السادس: أن يكون معطوفا على نفس الظرف، ويكون على حذف مضاف أي: ومن قبل المقيمين، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. فهذا نهاية القول في تخريج هذه القراءة.

وقد زعم قوم لا اعتبار بهم أنهم لحن، ونقلوا عن عائشة وأبان بن عثمان أنها خطأ من جهة غلط كاتب المصحف، قالوا: وأيضا فهي في مصحف ابن مسعود بالواو فقط نقله الفراء، وفي مصحف أبي كذلك، وهذا لا يصح عن عائشة ولا أبان، وما أحسن قول الزمخشري رحمه الله:» ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب الكتاب ومن لم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان، وغبِي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة عن الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يقولوا ثلمة في كتاب اله ليسدها من بعدهم، وخرقا يرفوه من يلحق بهم «وأما قراءة الرفع فواضحة.

قوله: ﴿والمؤتون﴾ فيه سبعة أوجه أيضا. أظهرها: أنه على إضمار مبتدأ، ويكون من باب المدح المذكور

في النصب. الثاني: أنه معطوف على» الراسخون «، وفي هذا ضعف؛ لأنه إذا قطع التابع عن متبوعه لم يجز أن يعود ما بعده إلى إعراب المتبوع فلايقال:» مررت بزيد العاقل الفاضل «بنصب» العاقل «وجر» الفاضل «فكذلك هذا.

الثالث: أنه عطف على الضمير المستكن في «الراسخون»، وجاز ذلك للفصل. الرابع: أنه مطعوف على الضمير في «المؤمنون» الخامس: أنه معطوف على الضمير في «يؤمنون» السادس: أنه معطوف على «المؤمنون»، السابع: أنه مبتدأ وخبره «أولئك سنؤتيهم» فيكون «أولئك» مبتدأ، و «سنؤتيهم« خبره، والجملة خبر الأول، ويجوز في «أولئك» أن ينتصب بفعل محذوف يفسره ما بعده فيكون من باب الاشتغال، إلا أن هذا الوجه مرجوح من جهة أن «زيد ضربته» بالرفع أجود من نصبه، لأنه لا يحوج إلى إضمار، ولأن لنا خلافا في تقديم معمول الفعل المقترن بحرف التنفيس في نحو «سأضرب زيدا» منع بعضهم «زيدا سأضرب»، وشرط الاشتغال جواز تسلط العامل على ما قبله، فالأولى أن نحمله على ما خلاف فيه. اهـ (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. ٤/ ١٥٣ – ١٥٦)." [١]

"أي والصابئون كذلك (١) وهو اعتراض مشعر بأنهم مع كمال ضلالهم إن آمنوا يتاب عليهم فغيرهم من باب الأولى وهم طائفة من النصارى أو من عبدة الملائكة أو قوم يعرفون الله وحده وليست لهم شريعة، وقيل: غير ذلك (والنصارى من آمن بالله): بقلبه أو ثبت على الإيمان مبتدأ خبره " فلا خوف " والجملة خبر إن وضمير اسمها محذوف أي: من آمن منهم أو بدل من اسم إن وخبره فلا خوف (واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزن): على ما فات عنهم من الدنيا (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا): ليذكروهم (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى): تشتهي (أنفسهم) جملة شرطية وقوله: (فريقا): من الأنبياء (كذبوا وفريقا يقتلون) دال على جواب الشرط وهو استكبروا، وقوله: " فريقا كذبوا " مستأنفة كأنه قيل: كيف فعلوا برسلهم؟ وجملة الشرط والجزاء صفة " رسلا " أى كلما جاءهم رسول منهم (وحسبوا ألا تكون فتنة) أي: حسب بنو إسرائيل أن لا يصيبهم شر بما صنعوا ومن قرأ " ألا تكون " بالرفع يكون أن مخفف من المثقلة (فعموا): عن الدين والدلائل (وصموا): عن إسماع الحق حين عبدوا العجل (ثم تاب الله عليهم) أي: ثم تابوا فقبل الله توبتهم (ثم عموا وصموا) كرة أخرى (كثير منهم) بدل من ضمير الجمع (والله بصير بما يعملون): فيجازيهم (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) أي: إني مخلوق مثلكم فاعبدوا خالق الكل (إنه من يشرك بالله):

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٢٩/١

في عبادته (فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه): منزله (النار وما للظالمين من أنصار): ما لهم أحد ينصرهم لأنهم ظلمة (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) أي: أحد ثلاثة من الآلهة هو والمسيح وأمه (وما من إله إلا إله واحد

---

(١) قال العلامة السمين ما نصه:

قوله تعالى: ﴿والصابئون﴾: الجمهور على قراءته بالواو وكذلك هو في مصاحف الأمصار. وفي رفعة تسعة أوجه، أحدها: وهو قول جمهور أهل البصرة: الخليل وسيبويه وأتباعهما - أنه مرفوع بالابتداء وخبره محذوف لدلالة خبر الأول عليه، والنية به التأخير، والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بهم إلى آخره والصابئون كذلك، ونحوه: «إن زيدا وعمرو قائم» أي: إن زيدا قائم وعمرو قائم، فإذا فعلنا ذلك فهل الحذف من الأول / أي: يكون خبر الثاني مثبتا، والتقدير: إن زيدا قائم وعمرو قائم، فحذف «قائم» الأول أو بالعكس.؟ قولان مشهوران وقد ورد كل منهما: قال:

١٧٦ - ٩ - نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف

أي: نحن رضوان، وعكسه قوله:

١٧٧ - ٠ - . ... فإني وقيار بها لغريب

التقدير: وقيار بها كذلك، فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون الحذف من الأول أيضا؟ فالجواب أنه يلزم من ذلك دخول اللام في خبر المبتدأ غير المنسوخ ب «إن» وهو قليل لا يقع إلا في ضرورة شعر، فالآية يجوز فيها هذان التقديران على التخريج. قال الزمخشري: «والصابئون: رفع على الابتداء، وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز» إن «من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذلك والصابئون كذلك، وأنشد سيبويه شاهدا على ذلك:

١٧٧ - ١ - وإلا فاعلموا أنا وأنتم ... بغاة ما بقينا في شقاق

أي: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك» ثم قال بعد كلام: «فإن قلت: فقوله» والصابئون «معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو؟ قتل: هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ إلى آخره، ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها. فإن قلت: فالتقديم والتأخير لا يكون إلا لفائدة فما هي؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم؟ وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم عتيا، وما سموا صابئين إلا أنهم صبؤوا

على الأديان كلها أي: خرجوا، كما أن الشاعر قدم قوله:» وأنتم «تنبيها على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغي من قومه، حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو» بغاة «؛ لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما. فإن قلت: فلو قيل:» والصابئين وإياكم «لكان التقديم حاصلا. قلت: لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأنه لا إزالة فيه عن موضعه، وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه، وتجري هذه الجملة مجرى الاعتراض».

الوجه الثاني: أن «إن» بمعنى نعم فهي حرف جواب، ولا محل لها حينئذ، وعلى هذا فما بعدها مرفوع المحل على الابتداء، وما بعده معطوف عليه بالرفع، وخبر الجميع قوله: ﴿من آمن﴾ إلى آخره، وكونها بمعنى «نعم» قول مرجوح، قال به بعض النحويين، وجعل من ذلك قول تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾ [طه: ٦٣] في قراءة من قرأه بالألف، وفي الآية كلام طويل يأتي إن شاء الله تعالى في موضعه، وجعل منه أيضا قول عبد الله بن الزبير: «إن وصاحبها» جوابا لمن قال له: «لعن الله ناقة حملتني إليك» أي: نعم وصاحبها، وجعل منه قول الآخر:

١٧٧ - ٢ - برز الغواني في الشبا ... ب يلمنني وألومهنه

ويقلن شيب قد علا ... ك وقد كبرت فقلت إنه أي: نعم والهاء للسكت، وأجيب بأن الاسم والخبر محذوفان في قول ابن الزبير، وبقي المعطوف على الاسم دليلا عليه، والتقدير: إنها وصاحبها معلونان، وتقدير البيت: إنه كذلك، وعلى تقدير أن تكون بمعنى «نعم» فلا يصح هنا جعلها بمعناها؛ لأنها لم يتقدمها شيء تكون جوابا له، و «نعم» لا تقع ابتداء كلام، إنما تقع جوابا لسؤال فتكون تصديقا له. ولقائل أن يقول: «يجوز أن يكون ثم سؤال مقدر، وقد ذكروا ذلك في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لا أقسم﴾ [القيامة: ١] ﴿لا جرم﴾ [هود: ٢٢]، قالوا: يحتمل أن يكون ردا لقائل كيت وكيت.

الوجه الثالث: / أن يكون معطوفا على الضمير المستكن في» هادوا «أي: هادوا هم والصابئون، وهذا قول الكسائي، ورده تلميذه الفراء والزجاج قال الزجاج:» هو خطأ من جهتين «إحداهما: أن الصابئ في هذا القول يشارك اليهودي في اليهودية، وليس كذلك، فإن الصابئ هو غير اليهودي، وإن جعل» هادوا «بمعنى تابوا من قوله تعالى: ﴿إنا هدنآ إليك﴾ [الأعراف: ١٥٦] لا من اليهودية، ويكون المعنى: تابوا هم والصابئون، فالتفسير قد جاء بغير ذلك؛ لأن معنى» الذين آمنوا «في هذه الآية إنما هو إيمان بأفواههم لأنه يريد به المنافقين، لأنه وصف الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ثم ذكر اليهود والنصارى فقال: من آمن منهم بالله فله كذا، فجعلهم يهودا ونصارى، فلو كانوا مؤمنين لم يحتج أن يقال:» من آمن فلهم

أجرهم «. قلت: هذا على أحد القولين أعني أن» الذين آمنوا «مؤمنون نفاقا. ورده أبو البقاء ومكي ابن أبي طالب بوجه آخر وهو عدم تأكيد الضمير المعطوف عليه. قلت: هذا لا يلزم الكسائي، لأن مذهبه عدم اشتراط ذلك، وإن كان الصحيح الاشتراط، نعم يلزم الكسائي من حيث إنه قال بقول ترده الدلائل الصحيحة، والله أعلم.

وهذا القول قد نقله مكي عن الفراء، كما نقله غيره عن الكسائي، ورد عليه بما تقدم، فيحتمل أن يكون الفراء كان يوافق الكسائي ثم رجع، ويحتمل أن يكون مخالفا له ثم رجع إليه، وعلى الجملة فيجوز أن يكون في المسألة قولان.

الوجه الرابع: أنه مرفوع نسقا على محل اسم «إن» لأنه قبل دخولها مرفوع بالابتداء، فلما دخلت عليه لم تغير معناه بل أكدته، غاية ما في الباب أنها عملت فيه لفظا، ولذلك اختصت هي و «أن» بالتفح، ولكن على رأي بذلك دون سائر أخواتها لبقاء معنى الابتداء فيها، بخلاف ليت ولعل وكأن، فإنه خرج إلى التمني والترجي والتشبيه، وأجرى الفراء الباب مجرى واحدا، فأجاز ذلك في ليت ولعل، وأنشد:

١٧٧ - ٣ - يا ليتني وأنت يا لميس ... في بلد بها أنيس

فأتى ب «أنت»، وهو ضمير رفع نسقا على الياء في «ليتني»، وهل يجري غير العطف من التوابع مجراه في ذلك؟ فذهب الفراء ويونس إلى جواز ذلك وجعلا منه قوله تعالى: ﴿قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب﴾ [سبأ: ٤٨] فرفع «علام» عندهما على النعت ل «ربي» على المحل، وحكوا «إنهم أجمعون ذاهبون»، **وغلط** سيبويه من قال من العرب: إنهم أجمعون ذاهبون «فقال:» واعلم أن قوما من العرب يغلطون فيقولون: «إنهم أجمعون ذاهبون» وأخذ الناس عليه في ذلك من حيث إنه **غلط** أهل اللسان، وهم الواضعون او المتلقون من الواضع، وأجيب بأنهم بالنسبة إلى عامة العرب غالطون وفي الجملة فالناس قد ردوا هذا المذهب، أعني جواز الرفع عطفا على محل اسم «إن» مطلقا، أعني قبل الخبر وبعده، خفي إعراب الاسم أو ظهر. ونقل بعضهم الإجماع على جواز الرفع على المحل بعد الخبر، وليس بشيء، وفي الجملة ففي المسألة أربعة مذاهب: مذهب المحققين: المنع مطلقا، ومذهب بعضهم، التفصيل قبل الخبر فيمتنع، وبعده فيجوز، ومذهب الفراء: إن خفي إعراب الاسم جاز ذلك لزوال الكراهية اللفظية، وحكي من كلامهم: «إنك وزيد ذاهبان» الرابع: مذهب الكسائي: وهو الجواز مطلقا ويستدل بظواهر قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ الآية، وبقوله: - وهو ضابئ البرجمي -

١٧٧ - ٤ - فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب

وبقوله:

١٧٧ - ٥ - يا ليتنا وهما نخلو بمنزلة ... حتى يرى بعضنا بعضا ونأتلف

وبقوله:

١٧٧ - ٦ - وإلا فاعلموا أنا وأنتم ... ...

البيت، / وبقوله:

١٧٧ - ٧ - يا ليتني وأنت يا لميس ... وبقولهم: «إنك وزيد ذاهبان» وكل هذه تصلح أن تكون دليلا للكسائي والفراء معا، وينبغي أن يورد الكسائي دليلا على جواز ذلك مع ظهور إعراب الاسم نحو: «إن زيدا وعمرو قائمان» ورد الزمخشري الرفع على المحل فقال: «فإن قلت: هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل» إن «واسمها.

قلت: لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر، لا تقول: «إن زيدا وعمرو منطلقان» فإن قلت: لم لا يصح والنية به التأخير، وكأنك قلت: إن زيدا منطلق وعمرو؟ قلت: لأني إذا رفعته رفعته على محل «إن» واسمها، والعامل في محلهما هو الابتداء، فيجب أن يكون هو العامل في الخبر؛ لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله، كما تنتظمها «إن» في عملها، فلو رفعت «الصابئون» المنوي به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر ب «إن» لأعملت فيهما رافعين مختلفين «وهو واضح فيما رد به إلا أنه يفهم كلامه أن يجيز ذلك بعد استكمال الخبر، وقد تقدم أن بعضهم نقل الإجماع على جوازه.

الخامس: قال الواحدي:» وفي الآية قول رابع لهشام بن معاوية: وهو أن تضمر خبر «إن» وتبتدئ «الصابئون» والتقدير: «إن الذين آمنوا والذين هادوا يرحمون» على قول من يقول إنهم مسلمون، و «يعذبون» على قول من يقول إنهم كفار، فيحذف الخبر إذ عرف موضعه، كما حذف من قوله: ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾ [فصلت: ٤١] أي: «يعاقبون» ثم قال الواحدي: «وهذا القول قريب من قول البصريين، غير أنهم يضمرون خبر الابتداء، ويجعلون» من آمن «خبر» إن «، وهذا على العكس من ذلك لأنه جعل» من آمن «خبر الابتداء وحذف خبر» إن «قلت: هو كما قال، وقد نبهت على ذلك في قولي أولا: إن منهم من يقدر الحذف من الأول، ومنهم من يعكس.

السادس: أن» الصابئون «مرفوع بالابتداء وخبره محذوف كمذهب سيبويه والخليل، إلا انه لا ينوى بهذا المبتدأ التأخير، فالفرق بينه وبين مذهب سيبويه نية التأخير وعدمها. قال أبو البقاء» وهو ضعيف أيضا؛ لما فيه من لزوم الحذف والفصل «أي: لما يلزم من الجمع بين الحذف والفصل، ولا يعني بذلك أن المكان

من مواضع الحذف اللازم، لأن القرآن يلزم أن يتلى على ما أنزل، وإن كان ذلك المكان في غيره يجوز فيه الذكر والحذف.

السابع: أن» الصابئون «منصوب، وإنما جاء على لغة بني الحرث وغيرهم الذين يجعلون المثنى بالألف في كل حال نحو:» رأيت الزيدان ومررت بالزيدان «نقل ذلك مكي بن أبي طالب وأبو البقاء، وكأن شبهة هذا القائل على ضعفها أنه رأى الألف علامة رفع المثنى، وقد جعلت في هذه اللغة نائبة رفعا ونصبا وجرا، وكذا الواو هي علامة رفع المجموع سلامة، فيبقى في حالة النصب والجر كما بقيت الألف، وهذا ضعيف بل فاسد.

الثامن: أن علامة النصب في «الصابئون» فتحة النون، والنون حرف الإعراب كهي في «الزيتون» و «عربون» قال أبو البقاء: «فإن قيل: إنما أجاز أبو علي ذلك مع الياء لا مع الواو قيل: قد أجازه غيره، والقياس لا يدفعه» قلت: يشير إلى مسألة وهو: أن الفارسي أجاز / في بعض جموع السلامة وهي ما جرت مجرى المكسر كبنين وسنين أن يحل الإعراب نونها، بشرط أن يكون ذلك مع الياء خاصة دون الواو فيقال: «جاء البنين» قال:

١٧٧ - ٨ - وكان لنا أبو حسن علي ... أبا برا ونحن له بنين

وفي الحديث: «اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف».

وقال:

١٧٧ - ٩ - دعاني من نجد فإن سنينه ... لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

فأثبت النون في الإضافة، فلما جاءت هذه القراءة ووجهت بأن علامة النصب فتحة النون، وكان المشهور بهذا القول إنما هو الفارسي، سأل أبو البقاء هذه المسألة. وأجاب بأن غيره يجيزه حتى مع الواو، وجعل أن القياس لا يأباه. قلت: القياس يأباه، والفرق بينه حال كونه بالياء وبين كونه بالواو ظاهر قد حققته في «شرح التسهيل» نعم إذا سمي بجمع المذكر السالم جاز فيه خمسة أوجه، أحدها: أن يعرب بالحركات مع الواو، ويصير نظير «الذون» فيقال: «جاء الزيدون ورأيت الزيدون ومررت بالزيدون» ك «جاء الذون ورأيت الذون ومررت بالذون» هذا إذا سمي به، أما م ا دام جمعا فلا أحفظ فيه ما ذكره أبو البقاء، ومن أثبت حجة على من نفى لا سيما مع تقدمه في العلم والزمان.

التاسع: قال مكي: «وإنما رفع» الصابئون «لأن» إن «لم يظهر لها عمل في» الذين «فبقي المعطوف على رفعه الأصلي قبل دخول» إن «على الجملة» قلت: هذا هو بعينه مذهب الفراء، أعني أنه يجيز العطف

على محل اسم «إن» إذا لم يظهر فيه إعراب، إلا أن عبارة مكي لا توافق هذا ظاهرا.

وقرأ أبي بن كعب وعثمان بن عفان وعائشة والجحدري وسعيد بن جبير وجماعة: «والصابئين» بالياء، ونقلها صاحب «الكشاف» عن ابن كثير، وهذا غير مشهور عنه، وهذه القراءة واضحة التخريج عطفا على لفظ اسم «إن» وإن كان فيها مخالفة لسواد المصحف فهي مخالفة يسيرة، ولها نظائر كقراءة قنبل عن ابن كثير: ﴿سراط﴾ وبابه بالسين، وكقراءة حمزة إياه في رواية بالزاي، وهم مرسوم بالصاد في سائر المصاحف، ونحو قراءة الجميع: ﴿إيلافهم﴾ بالياء، و الرسم بدونها في الجميع.

وقرأ الحسن البصري والزهري: ﴿والصابيون﴾ بكسر الباء بعدها ياء خالصة، وهو تخفيف للهمزة كقراءة من قرأ ﴿يستهزيون﴾ بخلوص الياء. اهـ (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. ٥/ ٣٥٣ - ٣٦٢)." (١)

"﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾ حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لإظهار

٢٦ - بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك إثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الإطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي أن قريشا وبعض أجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ماسواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة أو منعما عليه لإبراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة ﴿سبحانه﴾ أي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على أن السبحان مصدر من سبح أي بعد أو أسبحه تسبيحه على أنه علم للتسبيح وهو مقول على ألسنة العباد أو سبحوه تسبيحه وقوله تعالى ﴿بل عباد﴾ إضراب وإبطال لما قالوه كأنه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى ﴿مكرمون﴾ مقربون عنده وقرى مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ **غلط** القوم وقوله تعالى." (٢)

"وهاكم بعض الأمثلة من إشارات الشيخ:

عند قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون «١» . يقول الشيخ فى إشارة الآية: اعلم أن كثيرا من الناس يعتمدون على صحبة الأولياء، ويطلقون عنان أنفسهم في المعاصي والشهوات، ويقولون: سمعنا من سيدي فلان يقول: من رآنا لا تمسه النار، وهذا **غلط** وغرور، وقد قال عليه الصلاة والسلام لابنته: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا اشتر نفسك من الله» وقال للذي قال: ادع الله أن أكون رفيقك في الجنة، فقال

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٨٥/١

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦٣/٦

له «أعني على نفسك بكثرة السجود» .

وعند قوله تعالى: قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون «٢» .

يقول الشيخ فى إشارة الآية: كل من أقامه الحق في وجهه، ووجهه إليها، فهو عامل لله فيها، قائم بمراد الله منها، وما اختلفت الأعمال إلا من جهة المقاصد، وما تفاوت الناس إلا من جهة الإخلاص، فالخلق كلهم عبيد للملك المجيد، وما وقع الاختصاص إلا من جهة الإخلاص، فمن كان أكثر إخلاصا لله كان أولى من غيره بالله، وبقدر ما يقع للعبد من الصفاء يكون له من الاصطفاء، فالصوفية والعلماء والعباد والزهاد وأهل الأسباب على اختلاف أنواعهم، كلهم عاملون لله، ليس أحد منهم بأولى من غيره بالله، إلا من جهة الإخلاص وإفراد القلب لله. فمن ادعى الاختصاص بالله من غير هذه الوجهة فهو كاذب، ومن اعتمد على عمل غيره فهو مغرور، يقال له: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون.

وقد جاءت إشارات الإمام ابن عجيبة جامعة لدرر من المنظوم والمنثور، فقد ضمنها الشيخ أقوال مجموعة كبيرة من كبار الصوفية، كأبى يزيد البسطامي، والجنيد، والقشيري، والشاذلى، وأبى العباس المرسى، وابن عطاء السكندرى، وزروق، والدرقاوى، والبوزيدى، وغيرهم. كما أنه ذكر كثيرا من أشعارهم، كشعر ابن الفارض والجيلي والششترى، ونقل حكما كثيرة من حكم ابن عطاء السكندرى وغيره، كما نقل فى مواضع عديدة عن لطائف الإشارات للقشيرى، وعرائس البيان للشيرازى، وإحياء علوم الدين للغزالى، وغيث المواهب العلية لابن عباد، وبالتالى فقد حفل هذا التفسير بتراث جم من الفكر الصوفي.

---

(١) الآية ٨ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٣٩ من سورة البقرة. [.....]." [١]

"«نعم» لتقرير الذي قبلها ... إثباتا أو نفيا، كذا قرروا

«بلى» جواب النفي لكنه ... يصير إثباتا، كذا حرروا

يقول الحق جل جلاله: وقالوا أي: بنو إسرائيل في أمانيهم الباطلة: لن تمسنا النار إلا أياما معدودة أربعين يوما مقدار عبادة العجل، ثم يخلفنا فيها المسلمون. قال الحق جل جلاله: قل لهم يا محمد: أتخذتم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٨/١

بذلك عهدا عند الله فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون- بلى تمسكم النار وتخلدون فيها لأن من كسب سيئة أي: كفرا ومات عليه، وأحاطت به خطيئته أي: أحدقت به، واستولت عليه، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون- والذين آمنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعملوا بشريعته المطهرة الأعمال الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون هذه عادته تعالى إذا ذكر فريقا شفع بضده ترغيبا وترهيبا وبالله التوفيق.

الإشارة: اعلم أن كثيرا من الناس يعتمدون على صحبة الأولياء، ويطلقون عنان أنفسهم في المعاصي والشهوات، ويقولون: سمعنا من سيدي فلان يقول: من رآنا لا تمسه النار. وهذا **غلط** وغرور، وقد قال- عليه الصلاة والسلام- لابنته: «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئا، اشتري نفسك من الله» . وقال للذي قال: ادع الله أن أكون رفيقك في الجنة فقال له: «أعني على نفسك بكثرة السجود» . نعم، هذه المقالة: إن صدرت من ولي متمكن مع الله فهي حق، لكن بشرط العمل ممن رآه بالمأمورات وترك المحرمات، فإن المأمول من فضل الله، ببركة أوليائه، أن يتقبل الله منه أحسن ما عمل، ويتجاوز عن سيئاته، فإن الأولياء المتمكنين اتخذوا عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وهو أن من تعلق بهم وتمسك بالشريعة شفعوا فيه.

والغالب على من صحب أولياء الله المتمكنين- الحفظ وعدم الإصرار، فمن كان كذلك لا تمسه النار، وفي الحديث: «إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب» ، يعني: يلهم التوبة سريعا، كما قيل لأهل بدر: «افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم» . ولا يتخذ عند الله العهد إلا أهل الفناء والبقاء، لأنهم بالله فيما يقولون، فليس لهم عن أنفسهم إخبار، ولا مع غير الله قرار، وأما من لم يبلغ هذا المقام فلا عهد له لأنه بنفسه، فمن تعلق بمثل هذا فهو على خطر، وبالله التوفيق.." (١)

"وأسرار الخصوصية، تمنوا أن يردوهم عن طريق الحق، وبصرفوهم إلى مخالطة الخلق، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، فيقال لمن توجه إلى الحق: فاعفوا واصفحوا حتى يظهر الحق، ولا تلتفتوا إلى تشغيبهم، ولا تشتغلوا قط بعيبهم فتكونوا أقبح منهم.

قال بعض العارفين: (لا تشتغل قط بمن يؤذيك واشتغل بالله يرده عنك، وقد **غلط** في هذا الأمر خلق كثير، اشتغلوا بمن يؤذيهم فطال الأذى مع الإثم. ولو أنهم رجعوا إلى مولاهم لكفاهم أمرهم.) . بل ينبغي لمن يحسد أو يؤذى أن يغيب عن الحاسد وكيده، ويشتغل بما هو مكلف به من حقوق العبودية وشهود

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/١٢٦

عظمة الربوبية، فإن الله لا يضيع من التجأ إليه، ولا يخيب مقصود من اعتمد عليه. وبالله التوفيق.
ومن جملة أمانى اليهود الفارغة: ادعاء اختصاصهم بالجنة، كما أبان ذلك الحق تعالى بقوله:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١١١ الى ١١٢]

وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (١١١) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١١٢)

قلت: وقالوا عطف على ود كثير من أهل الكتاب، والضمير يعود على أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أي: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، وهودا: جمع هائد، كبازل وبزل وحائل وحول، والأمانى: جمع أمنية، وهي ما يتمنى المرء ويشتهيه، وأصله أمنوية كأضحوكة وأعجوبة، فقلبت الواو ياء وأدغمت، وهاتوا: اسم فعل بمعنى الأمر، ومعناه آت، وأهمل ماضيه ومضارعه، وأسلم معناه: استسلم وخضع، والخوف مما يتوقع، والحزن على ما وقع.

يقول الحق جل جلاله: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، أي: على دينهم، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا، وهذه دعاوى باطلة، وأماني فارغة ليس عليها بينة، بل مجرد أمانيهم الكاذبة، قل لهم يا محمد: هاتوا برهانكم أنكم مختصون بالجنة إن كنتم صادقين في هذه الأمنية، بل يدخلها غيركم من أهل الإسلام والإحسان، فإن من أسلم وجهه لله أي: انقاد بكليته إليه وهو محسن في أفعاله واعتقاده، فله أجره عند ربه وهو دخول النعيم والنظر إلى وجهه الكريم، ولا خوف عليهم من مكروه يتوقع ولا هم يحزنون على فوات شيء يحتاجون إليه لأنهم في ضيافة الكريم تساق إليهم المسار وتدفع عنهم المضار، وبالله التوفيق.." (١)

"يقول الحق جل جلاله: فإن حاجوك في الدين، وخاصموك فيه، بعد ما أقيمت الحجج على صحته، فقل لهم: أما أنا فقد أسلمت وجهي لله، وانقدت بكليتي إليه، وتمسكت بدينه القويم، الذي قامت الحجج على حقيته، وكذلك من تبعني من المؤمنين. وخص الوجه بالانقياد لأنه أشرف الأعضاء ومحل ظهور المحاسن، فإذا انقاد الوجه فقد انقاد الكل.

وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى، والأميين الذين لا كتاب لهم من المشركين:
أأسلمتم كما أسلمت، لما وضحت لكم من الحجة؟ أم أنتم على كفركم بغيا وحسدا؟ والاستفهام معناه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/١٥٢

الأمر، كقوله: فهل أنتم مسلمون أي: أسلموا، فإن أسلموا فقد اهتدوا وأنقذوا أنفسهم من الهلاك، وإن تولوا وأعرضوا فإنما عليك البلاغ، ولا يضرك عنادهم، فقد بلغت ما أمرت به. والله بصير بالعباد لا يخفى عليه من أسلم ممن تولى.

روي أنه- عليه الصلاة والسلام- قرأ عليهم هذه الآية، فقال لليهود: «أتشهدون أن عزيرا عبد الله ورسوله وكلمته؟» فقالوا: معاذ الله، وقال للنصاوى: «أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله؟» فقالوا: معاذ الله أن يكون عيسى عبدا. فنزل قوله تعالى: وإن تولوا فإنما عليك البلاغ الآية.

الإشارة: لا يليق بالفقير، إذا توجه إليه الإنكار أو المجادلة والاستظهار، إلا السكوت والإقرار، والاستسلام بكليته لأحكام الواحد القهار، إذ لا يرى فاعلا إلا الله، فلا يركن إلى شيء سواه. وفي الحكم: «إنما أجرى الأذى عليهم لئلا تكون ساكنا إليهم، أراد أن يزعجك عن كل شيء، حتى لا تكون ساكنا إلى شيء» .

وقال بعض العارفين: لا تشتغل قط بمن يؤذيك، واشتغل بالله يرده عنك، وقد غلط في هذا خلق كثير، اشتغلوا بمن يؤذيهم، فطال عليهم الأذى مع الإثم، ولو أنهم رجعوا إلى مولاهم لكفاهم أمرهم. هـ. بالمعنى. وبهذا يأمر الشيخ أتباعه، فإن انقادوا لأحكام الحق، فقد اهتدوا إلى طريق الوصول، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ، والهداية بيد السميع البصير.

ثم وبخ اليهود بما وقع لأسلافهم من البغي والفساد، وهم راضون بذلك، فقال:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٢١ الى ٢٢]

إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم (٢١) أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين (٢٢)

قلت: إنما دخلت الفاء في خبر إن لتضمن اسمها معنى الشرط لعموم الموصول وإبهامه، وهو خاص بإن، دون ليت ولعل لأن «إن» لا تغير معنى الابتداء، وإنما تؤكده. وقيل: الخبر: (أولئك..) الخ.." [١]

"قلت: قوله: [لا يخطر بقلبه معصية] غير لازم لأن قلب العارف مرسى للتجليات النورانية والظلمانية، لكنها تقل ولا تسكن.

وقال في موضع آخر: وأما عبادة ذوي الألباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجلاله وجماله، وسائر الأعمال تكون مؤكدات. قال: والعامل لأجر الجنة درجته درجة البله، وإنه لينالها بعمله إذ أكثر أهل

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٣٣٦

الجنة البله. هـ. وقال في كتاب كيمياء السعادة: وقد **غلط** من ظن أن وظائف الضعفاء كوظائف الأقوياء، حتى قال بعض مشايخ الصوفية: من رأني في الابتداء، قال: صار صديقا، ومن رآني في الانتهاء، قال: صار زنديقا، يعني أن الابتداء يقتضي المجاهدة الظاهرة للأعين بكثرة العبادات، وفي الانتهاء يرجع العمل إلى الباطن، فيبقى القلب على الدوام في عين الشهود والحضور، وتفتر ظواهر الأعضاء، فيظن أن ذلك تهاون بالعبادة «١» ، وهيهات هيهات!!، فذلك استغراق لمخ العبادات ولبابها وغايتها، ولكن أعين الخفافيش تكل عن درك نور الشمس. هـ.

قال شيخ شيوخنا- سيدي عبد الرحمن العارف- بعد نقل كلام القشيري في هذا المعنى: وما أشار إليه ظاهر في أن أهل القلوب لا يتعاطون كل طاعة. وإنما يتعاطون من الطاعات ما يجمعهم ولا يفرقهم. ولذلك قال الجنيد:

أحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه، قال: وأحب للمريد ألا يشتغل بالتكسب وطلب الحديث لئلا يتغير حاله. هـ. قلت: ومن رزقه الله شيخ التربية فما عينه له فهو عين ذكره، يسير به كيفما كان.

هذا ما يتعلق بحال الذكر الذي قدمه الله تعالى، وأما التفكر فهو أعظم العبادات وأفضل القربات، هو عبادة العارفين ومنتهى المقربين. وفي الخبر: «تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة» .

وقال الجنيد رضي الله عنه: أشرف المجالس وأعلاها: الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد، والتنسم بنسيم المعرفة، والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد، والنظر لحسن الظن بالله تعالى. ثم قال: يا لها من مجالس، ما أجلها، ومن شراب ما ألذه، طوبى لمن رزقه. وقال القشيري رضي الله عنه: التفكر نعت كل طالب، وثمرته: الوصول بشرط العلم، فإذا سلم الفكر عن الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق. هـ.

وسئلت زوجة أبي ذر عن عبادة زوجها، فقالت: كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر. وكذلك زوجة أبي بكر قالت: كان ليله أجمع في ناحية يتفكر. وكذا زوجة أبي الدرداء، وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقول: طوبى لمن كان قيله ذكرا وصمته تفكرا، ونظره عبرة. وقال الحسن رضي الله عنه: من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو. هـ. وقال في الحكم: (ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) . وقال أيضا: (الفكرة سراج القلب، فإذا ذهبت فلا إضاءة له) . وقال أيضا: (الفكرة فكرتان فكرة تصديق وإيمان، وفكرة شهود وعيان، فالأولى لأرباب الاعتبار، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار) .

(١) راجع التعليق على إشارة الآية ٢١٢ من سورة البقرة.." [١]

"وعن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس، حتى نزلت، فأخرج رأسه من قبة أدم، فقال: «انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس» «١» . وظاهر الآية يوجب تبليغ جميع ما أنزل الله. ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد، وقصد بإنزاله إطلاعهم عليه، فإن من الأسرار الإلهية ما يحرم إفشاؤه. قاله البيضاوي.

الإشارة: قال الورتجبي: أمره بإبلاغ ما أنزل إليه من الذي يتعلق بأحكام العبودية، ولم يأمرهم بأنه يعرفهم أسرار ما بينه وبين الله، وما بين الله وبين أنبيائه وأوليائه. ثم قال: (والله يعصمك) أي: يعصمك أن يوقعك أحد فى التمويه والغلط والحيل في طريقك إلي، وهذا لكونه مختارا بالرسالة، وحقائق الرسالة في الرسول: ظهور أنوار الربوبية في قلبه، وبيان أحكام العبودية في سره. وقال الأستاذ، يعني القشيري: يقال في قوله: (والله يعصمك من الناس) أي: حتى لا تغرق في بحر التوهم، بل تشاهدهم كما هم وجودا بين طرفي العدم. انتهى نقل الورتجبي.

وقال القشيري أيضا: لا تكتم شيئا مما أوحينا إليك ملاحظة غير، إذ لا غير في التحقيق إلا رسوما موضوعة، أحكام القدرة عليها جارية. ثم قال: (والله يعصمك) أي: يعصم ظاهرك من أن يمسك من أذاهم شيء، فلم يتسلط عليه بعد هذا عدو، أي: وما وقع له من الشج وغيره كان قبل ذلك، وقيل: المراد عصمته من القتل، ثم قال:

ونصون سرك عنهم، حتى لا يقع على إحساسهم. وقال شيخنا السلمي: قيل: يعصمك منهم أن يكون منك إليهم التفات، أو يكون لك بهم اشتغال. انتهى.

قلت: صدق الباطن، لا ينفك عنه من أول الأمر لأنه من ضروريات كونه رسول الله بالله، وهذا قد يتحقق للمأذون من أتباعه، فضلا عنه، والظاهر ما صدر به من عصمة ظاهره، أو أن يقع خلل في طريقه بتمويه أو غلط أو حيلة، كما أشار إليه الورتجبي. فلله دره. قاله المحشي الفاسي. والله تعالى أعلم.

ثم أبطل دين من حاد عن رسالة نبيه، فقال:

[سورة المائدة (٥) : آية ٦٨]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٥٢/١

قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين (٦٨)

يقول الحق جل جلاله: قل يا محمد: يا أهل الكتاب اليهود والنصارى، لستم على شيء أي: لستم على دين يعتد به، حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، ومن إقامتها الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والإذعان لحكمه، فإن الكتب الإلهية بأسرها، أمرت بالإيمان والإذعان، لمن صدقته المعجزة، وهي ناطقة بوجوب الطاعة له، والمراد بإقامة الكتابين: إقامة أصولهما وما لم ينسخ من فروعهما، لا جميعهما. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي فى (التفسير، سورة المائدة) والحاكم فى (التفسير ٢/ ٣١٣) ، وصححه، ووافقه الذهبي، كما أخرجه البيهقي فى الدلائل (باب قول الله عز وجل: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك) من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها.." (١)

"صورة ناصح، لا يدفع بتعوذ ولا غيره. يوحي أي: يوسوس، بعضهم إلى بعض، فيوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس، ثم يوسوس شياطين الإنس إلى من يريد الحق اختباره وابتلاءه، يلقى إليه ذلك الشيطان زخرف القول أي: أباطيله، أي: قولا مزخرفا مزوقا غرورا أي: لأجل الغرور، فإن أراد الله خذلان ذلك العبد غره ذلك الشيطان بزخرف ذلك القول فيتبعه، وإن أراد توفيقه وزيادته أيده وعصمه، وكل شىء بقدره وقضائه، ولو شاء ربك هدايتهم ما فعلوا ذلك الوحي، أو ما ذكر من المعاداة للأنبياء، فذرهم وما يفترون على الله من الكفر وغيره، فلا تهتم بشأنهم.

وإنما فعلنا ذلك الإيحاء لتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة فيغتروا به، وليرضوه لأنفسهم، وليقترفوا ما هم مقترفون أي: وليكتسبوا من الإثم والكفر ما هم مكتسبون بسبب ذلك الوحي من الجن أو الأنس، وفي الآية دليل لأهل السنة في أن الله خالق الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، فالمعصية خلقها وقدرها، ولم يرضها، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون «١» .

الإشارة: كما جعل الله لكل نبي عدوا من شياطين الإنس والجن جعل للأولياء كذلك تحويشا لهم إليه، وتطهيرا لهم من البقايا ليصلحوا لحضرته، قال في الحكم: «إنما أجرى الأذى عليهم كي لا تكون ساكنا إليهم، أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء» . وقال في لطائف المدن: اعلم أن أولياء

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٦١

الله حكمهم في بدايتهم أن يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا، وتكمل فيهم المزايا، كي لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد، أو يميلوا إليهم باستناد، ومن آذاك فقد أعتقك من رق إحسانه، ومن أحسن إليك فقد استرقك بوجود امتنانه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:

«من أسدى إليكم نعما فكافئوه، فإن لم تقدروا فادعوا له» . كل ذلك ليتخلص القلب من رق إحسان الخلق، ويتعلق بالملك الحق. هـ.

وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه: آذاني إنسان فضقت به ذرعا، فرأيت يقال لي: من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم. وقال بعضهم: الصيحة من العدو، سوط من الله يزجر بها القلوب إذا ساكنت غيره، وإلا رقد القلب في ظل العز والجاه، وهو حجاب عن الله تعالى عظيم. هـ.

وقال شيخ شيوخنا سيدى على الجمل رضى الله عنه: (عداوة العدو حقا: اشتغالك بمحبة الحبيب حقا، وأما إذا اشتغلت بعداوة العدو نال مراده منك، وفاتتك محبة الحبيب) . وقال بعض أشياخ الشعراني في بعض وصاياه له: لا تشتغل قط بمن يؤذيك، واشتغل بالله يرده عنك فإنه هو الذي حركه عليك ليختبر دعواك في الصدق، وقد غلط في هذا الأمر خلق كثير، فاشتغلوا بأذى من آذاهم، فدام الأذى مع الإثم، ولو أنهم رجعوا إلى الله لردهم عنهم وكفاهم أمرهم. هـ.

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الأنبياء.." [١]

"يقول الحق جل جلاله: ولقد خلقناكم أي: خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور، ثم صورناكم أي: صورنا خلقة أبيكم آدم. نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره لأنه المادة الأصلية، أي: ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بأن خلقنا أباكم آدم، ثم صورناه، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم تعظيما له، حيث وجد فيه ما لم يوجد فيهم، واختبارا لهم ليظهر من يخضع ممن لم يخضع، فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين لآدم.

قال له الحق تبارك وتعالى: ما منعك ألا تسجد أي: أن تسجد، فلا: زائدة، مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه، ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود، وقيل: الممنوع من الشيء كالمضطر إلى خلافه، فكأنه قال: ما اضطرك إلى ترك السجود إذ أمرتك.

وفيه دليل على أن مطلق الأمر للوجوب والفور، فأجاب بقوله: قال أنا خير منه، أي: المانع لي من السجود

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/١٦٠

هو كوني أنا خير منه، ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول، فكيف يحسن أن يؤمر به، فإبليس هو الذي سن التكبر، وقال بالتحسين والتقبيح العقليين أولا، وبهذا الاعتراض كفر إبليس إذ ليس كفره كفر جحود.

ثم بين وجه الأفضلية، فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فاعتقد أن النار خير من الطين، وقد **غلط** في ذلك، فإن الأفضلية إنما تظهر باعتبار النتائج والثمرات، لا باعتبار العنصر والمادة فقط، ولا شك أن الطين ينشأ منه ما لا يحصى من الخيرات كالثمار والحبوب وأنواع الفواكه.

قال البيضاوي: رأى الفضل كله باعتبار العنصر، وغفل عما يكون باعتبار الفاعل، كما أشار إليه بقوله تعالى: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي «١» أي: بغير واسطة، وباعتبار الصورة، كما نبه عليه بقوله تعالى: ونفخت فيه من روحي وباعتبار الغاية، وهو ملاكه، ولذلك أمر الملائكة بالسجود له لما تبين لهم أنه أعلم منهم، وأنه له خواصا ليست لغيره. هـ.

---

(١) من الآية ٧٥ من سورة ص.." [(١)]

"يقول الحق جل جلاله فى تسلية رسوله- عليه الصلاة والسلام-: ولقد أرسلنا من قبلك رسلا في شيع: فرق الأولين أي: القرون الماضين، جمع شيعة، وهي: الفرقة المتفقة على طريق واحد، وتتشيع لمذهب أو رجل، من شاعه إذا تبعه، أي: نبأنا رجالا فيهم، وجعلناهم رسلا إليهم، فكذبوهم واستهزءوا بهم، فكانوا: ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن كما يفعل بك هؤلاء المجرمون.

كذلك نسلكه أي: ندخل الاستهزاء في قلوب المجرمين. والسلك: إدخال الشيء فى الشيء كالخيط في المخيط، وفيه دليل على أنه تعالى يخلق الباطل في قلوبهم. وإذا سلك في قلوبهم التكذيب لا يؤمنون به أبدا. أو: نسلكه، أي: القرآن مستهزءا به، أي: مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به، ثم هددهم على عدم الإيمان به، فقال: وقد خلت سنة الأولين أي: تقدمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء، حتى هلكوا بسبب ذلك، أو مضت سنته في الأولين بإهلاك من كذب الرسل منهم، فيكون وعيدا لأهل مكة.

ولو فتحنا عليهم أي: على هؤلاء المقترحين المعاندين من كفار قريش، بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون: يصعدون إليها، ويرون عجائبها طول نهارهم، لكذبوا، أو فظلت الملائكة يعرجون فيها وهم يشاهدونهم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢٠١

لقالوا من شدة عنادهم وتشكيكهم في الحق: إنما سكرت: حيرت أبصارنا، فرأينا الأمر على غير حقيقته من أجل السكر الذي أصابنا بالسحر.

ويحتمل أن يكون مشتقا من السكر بفتح السين، وهو السد، أي: سدت أبصارنا، ومنعنا من الرؤية الحقيقية. بل نحن قوم مسحورون سحرنا محمد، كما قالوا عند ظهور غيره من الآيات. قال البيضاوي: وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على جزمهم بأن ما يرونه لا حقيقة له، بل هو باطل خيل ما خيل لهم بنوع من السحر. هـ. وذلك من فرط عنادهم، وشقاوتهم. والعياذ بالله.

الإشارة: هذا كله من قبيل التسلية لأهل الخصوصية، إذا قوبلوا بالإنكار والاستهزاء، فيرجعون إلى الله، والاكتفاء بعلمه، والاشتغال بالله عنه. وقد قال شيخ شيوخنا سيدي على الجمل رضى الله عنه: عداوة العدو حقا هي اشتغالك بمحبة الحبيب، وأما إذا اشتغلت بعداوة العدو نال مراده منك، وفاتتك محبة الحبيب. وقال الولي الصالح سيدي أبو القاسم الخصاصى رضى الله عنه لبعض تلامذته: لا تشتغل قط بمن يؤذيك، واشتغل بالله يرده عنك، فإنه هو الذي حركه عليك، ليختبر دعواك في الصدق. وقد **غلط** في هذا الأمر خلق كثير اشتغلوا بإيذاء من آذاهم، فدام الأذى مع الإثم، ولو أنهم رجعوا إلى الله لردهم عنهم، وكفاهم أمرهم. هـ.." [١]

"ثم شرع في الرد على النصارى، وعلى من أشرك معه غيره، فقال تعالى:

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٣٤ الى ٤٠]

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون (٣٤) ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (٣٥) وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٣٦) فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣٧) أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين (٣٨)

وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون (٣٩) إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون (٤٠)

قلت: وإن الله: عطف على قوله: (إني عبد الله) فيمن كسر، وعلى حذف اللام فيمن فتح، أي: ولأن الله ربي وربكم. وقال الواحدي وأبو محمد مكي: عطف على قوله: (بالصلاة) أي: أوصاني بالصلاة وبأن الله

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٨٠

... الخ: وقال المحلي:

بالفتح، بتقدير اذكر، وبالكسر بتقدير «قل» . و (قول الحق) : مصدر مؤكد لقال، فيمن نصب، وخبر عن مضمر، فيمن رفع، أي: هو، أو هذا. و (إذا قضى) : بدل من (يوم الحسرة) ، أو ظرف للحسرة. و (هم في غفلة وهم لا يؤمنون) : جملتان حاليتان من الضمير المستقر في الظرف في قوله: (في ضلال مبين) أي: مستقرين في الضلال وهم في تينك الحالتين.

يقول الحق جل جلاله: ذلك المنعوت بتلك النعوت الجليلة، والأوصاف الحميدة هو عيسى ابن مريم، لا ما يصفه النصارى به من وصف الألوهية، فهو تكذيب لهم على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهاني، حيث جعله موصوفا بأضداد ما يصفونه به. وأتى بإشارة البعيد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته، وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره، ونزوله منزلة المشاهد المحسوس.

هذا قول الحق، أو قال عيسى قول الحق الذي لا ريب فيه، وأنه عبد الله ورسوله، الذي فيه يمترون أي: يشكون أو يتنازعون، فيقول اليهود: ساحر كذاب، ويقول النصارى: إله، أو ابن الله. ما كان لله أن يتخذ من ولد أي: ما صح، أو ما استقام له أن يتخذ ولدا، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا، فهو تنزيه عما بهتوه، ونطقوا به من البهتان، وكيف يصح أن يتخذ الله ولدا، وهو يحتاج إلى أسباب ومعالجة، وأمره تعالى أسرع من لحظ العيون، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون.

ثم قال لهم عيسى عليه السلام: وإن الله ربي وربكم فاعبدوه، فهو من تمام ما نطق به في المهد، وما بينهما اعتراض، للمبادرة للرد على من غلط فيه، أي: فإني عبد، وإن الله ربي وربكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا معه غيره، هذا الذي ذكرت لكم من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يزيغ متبعه.." [١]

"ألا إن لله ما في السماوات والأرض من الموجودات، خلقا وملكا وتصرفا، وإيجادا وإعداما، بدءا وإعادة، و «ألا» : تنبيه على أن لا يخالفوا من له ما في السموات والأرض. قد يعلم ما أنتم عليه أيها المكلفون، من الأحوال والأوضاع، التي من جملتها الموافقة والمخالفة، والإخلاص والنفاق. وأدخل «قد» ليؤكد علمه بما هم عليه، ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد. والمعنى: أن جميع ما استقر في السموات تحت ملكه وسلطانه وإحاطة علمه، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين، وإن اجتهدوا في سترها؟! ويوم يرجعون إليه أي: ويعلم يوم يردون إلى جزائه، وهو يوم القيامة. والخطاب والغيبة في قوله: قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يجوز أن يكون للمنافقين، على طريق الالتفات، ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٣٢/٣

ويرجعون للمنافقين. فينبئهم حينئذ بما عملوا من الأعمال السيئة، التي من جملتها: مخالفة الأمر، ليرتب على ذلك الإنباء ما يليق به من التوبيخ والجزاء.

والله بكل شيء عليم، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه قرأ سورة النور على المنبر في الموسم، وفسرها على وجه لو سمعته الروم لأسلمت. هـ. وأما ما ورد في فضل السور فموضوع، وقد غلط من ذكره من المفسرين. وبالله التوفيق.

الإشارة: شيوخ التربية خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم في القيام بالتربية النبوية، فيجب امتثال كل ما أمروا به، واجتناب كل ما نهوا عنه، فهم معناه أو لم يفهم. فإذا كانوا مجموعين على أمر جامع لم يذهب أحد حتى يستأذن شيخه، ولا يكفي إذن بعض الفقراء، إلا إن وجهه الشيخ لذلك، فلا يكون دعاء الشيخ كدعاء بعضكم بعضا في التساهل في مخالفة أمره، أو امتثال أمره. قد يعلم الله الذين يتسللون، فيفرون عنه لواذا، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة كتسليط الدنيا عليه فتفتنه وتنسخ حلاوة الشهود من قلبه، أو يصيبهم عذاب أليم، وهو السلب بعد العطاء، والعياذ بالله من الزلل ومواقع الضلال. نسأل الله تعالى أن يثبت قدمنا على المنهاج الحق، وأن يميتنا على المحبة والتعظيم، ورسوخ القدم في معرفة الرحمن الرحيم. آمين. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، النبي الكريم، وعلى آله وصحبه، وسلم.." (١)

"فهزمه، ثم عاد فهزمه «١» ، هكذا نقله الثعلبي وغيره. فانظره مع ما في الاكتفاء للكلاعي: أن خالدا كان مع المشركين في الحديبية، وإنما أسلم بعد الحديبية قبل الفتح، وكان في السنة الثامنة، والحديبية في السادسة، والذي ذكر النسفي أنه عليه السلام بعث من هزمهم، ولم يسمه، وهزم خالد لبعض قريش إنما كان في الفتح، لا في الحديبية، فلعل الراوي غلط. وقال أنس: إن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر، عام الحديبية، ليقاتلوا المسلمين، فأخذهم النبي صلى الله عليه وسلم سلما، فأعتقهم، فنزلت الآية «٢» .

ووجه المنة في كف أيدي المؤمنين عن الكافرين: ما ذكر بعد من قوله: ولولا رجال مؤمنون ... الآية، أو: ما تطرق بسببه من الصلح وانقيادهم إليه، فإنهم لما رأوا أصحابهم انهزموا أذعنوا للصلح، وقال القشيري: بعد أن اضطرهم المسلمون إلى بيوتهم، أنزل الله هذه الآية يمن عليهم، حيث كف أيدي بعضهم عن بعض، عن قدرة من المسلمين، لا عن عجز، فأما الكفار فكفوا أيديهم رعبا وخوفا، وأما المسلمون فنهيا من قبل الله، لما في أصلابهم من المؤمنين. هـ. وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم أولا، والكف

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٧٤

عنهم ثانيا، لتعظيم بيته الحرام، وقرأ البصري بياء الغيب، أي: بما يعمل المشركون بصيرا فيجازي كلا بما يستحقه.

[سورة الفتح (٤٨) : آية ٢٥]

هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (٢٥)

هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وصدوا الهدي حال كونه معكوفا أي: محبوسا عن أن يبلغ محله أي: مكانه الذي يحل به نحره، وهو منى وكان صلى الله عليه وسلم ساق سبعين بدنة، فلما صد، نحرها بموضعه، وبه استدل من قال: إن المحصر ينحر هداياه بموضعه، وروى أن خيامه صلى الله عليه وسلم كانت في الحل، ومصلاه في الحرم، وهناك نحرت هداياه صلى الله عليه وسلم. والله تعالى أعلم.

الإشارة: يقال لمن سبقت لهم العناية، وحفت بهم الرعاية: لو قاتلكم الذين كفروا من النفس الأمارة، والشيطان، والهوى، وسائر القواطع، لولوا الأدبار، ثم لا يجدون تسلطا عليكم أبدا، سنة الله التي قد خلت فيمن توجه إليه بصدق الطلب، ودخل تحت تربية الرجال، فإن همتهم دائرة عليه، ولن تجد لسنة الله تبديلا. وهو الذي كف أيدي الأعداء من القواطع عنكم، وكف أيديكم عنهم، من بعد أن أظفركم عليهم، فإن النفس إذا تعذبت واطمأنت وجب الكف عن مجاهدتها، ووجب البرور بها، وتصديقها فيما تحدثه، وكذا سائر القواطع تجب الغيبة عنها، وعدم

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٦/ ٩٥) وانظر الكافي الشاف (ح ٤٢٤) فقد قال الحافظ ابن حجر معقبا: «فى صحته نظر لأن خالدا لم يكن أسلم فى الحديبية. وظاهر السياق أن هذه القصة كانت فى الحديبية» . وسيذكر الشيخ بعد قليل حديث أنس. وهو أصح لوروده في الصحيح.

(٢) أخرجه مسلم فى (الجهاد، باب قول الله تعالى: وهو الذي كف أيديهم عنكم ح ١٨٠٨) من حديث أنس رضي الله عنه. [.....]." [١]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٤٠٠

"بالليل حسن وجهه بالنهار» «١» وقال ابن عطية: إنه من قول شريك «٢» لا حديث، فانظره، وقال ابن جبير: في وجوههم يوم القيامة يعرفون به أنهم سجدوا في الدنيا لله تعالى. هـ.

ذلك مثلهم في التوراة، الإشارة إلى ما ذكر من نعوتهم الجليلة، وما فيها من معنى البعد مع قرب العهد للإيذان بعلو شأنه، وبعد منزلته في الفضل، أي: ذلك وصفهم العجيب الجاري في الغرابة مجرى الأمثال، هو نعتهم في التوراة، أي: كونهم أشدآء على الكفار، رحمآء بينهم، سيماهم في وجوههم.

ثم ذكر وصفهم في الإنجيل فقال: ومثلهم في الإنجيل كزرع.. الخ، وقيل: عطف على ما قبله، بزيادة «مثل» ، أي: ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل، ثم بين المثل فقال: هم كزرع أخرج شطأه فراخه، يقال: أشطأ الزرع: أفرخ، فهو مشطىء، وفيه لغات: شطأه بالسكون والفتح، وحذف الهمزة، كقضاة. و «شطه» ، بالقصر.

فآزره فقواه، من: المؤازرة، وهي الإعانة، فاستغلظ فص ا ر من الرقة إلى الغلظ، فاستوى على سوقه فاستوى على قصبه، جمع: ساق، يعجب الزراع يتعجبون من قوته، وكثافته، وغلظه، وحسن نباته ومنظره. وهو مثل ضربه الله لأصحابه صلى الله عليه وسلم في بدء الإسلام، ثم كثروا واستحكموا، بترقي أمرهم يوما بيوم، بحيث أعجب الناس أمرهم، فكان الإسلام يتقوى كما تقوى الطاقة من الزرع، بما يحتف بها مما يتولد منها.

وقيل: مكتوب في الإنجيل: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر «٣» .

وعن عكرمة: أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه بعلي. «٤» .

وحكى النقاش عن ابن عباس، أنه قال: الزرع النبي صلى الله عليه وسلم، فآزره علي بن أبي طالب، فاستغلظ بأبي بكر، فاستوى على سوقه بعمر. هـ.

---

(١) أخرجه ابن ماجة فى (إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فى قيام الليل، ح ١٣٣٣) قال: «حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحي، ثنا ثابت بن موسى أبو يزيد، عن شريك، عن الأعمش، عن أبى سفيان، عن جابر رضي الله عنه الحديث» ورفعه..

(٢) «شريك» أحد رواة الحديث. قال السندي:

معنى الحديث ثابت بموافقة القرآن، وشهادة التجربة، لكن الحفاظ على أن الحديث بهذا اللفظ غير ثابت. وأخرج البيهقي فى الشعب، عن محمد بن عبد الرحمن بن كامل قال: قلت لمحمد بن عبد الله بن نمير: ما تقول فى ثابت بن موسى؟ قال: شيخ له فضل وإسلام ودين وصلاح وعبادة، قلت: ما تقول فى هذا

الحديث؟ قال: غلط من الشيخ، وأما غير ذلك فلا يتوهم عليه. وقد تواردت أقوال الأئمة على عد هذا الحديث فى الموضوع، على سبيل الغلط، لا العمد، وخالفهم القضاعي فى مسند الشهاب، فمال فى الحديث إلى ثبوته. انظر حاشية سنن ابن ماجة (١/ ٤٢٣) . وانظر أيضا- تفسير القرطبي (٧/ ٦٣٠٢)
.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٤) عن قتادة.

(٤) انظر هذه الأقوال فى تفسير البغوي (٧/ ٣٢٥) .." [1]

"﴿إنهم﴾ أي: أهل مكة ﴿يكيدون﴾ في إبطال أمره، وإطفاء نوره ﴿كيدا﴾ على قدر طاقتهم ﴿وأكيد كيدا﴾ أي: أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده، فأستدرجهم إلى الهلاك من حيث لا يعلمون. فسمي جزاء الكيد كيدا، كما سمي جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة، وإن لم يكن اعتداء وسيئة، ولا يجوز إطلاق هذا الوصف على الله تعالى إلا على وجه المشاكلة، كقوله: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء: ١٤٢] إلى غير ذلك ﴿فمهل الكافرين﴾ أي: لا تدع بهلاكهم، ولا تشغل بالانتقام منهم، بل اشتغل بالله يكفك أمرهم ﴿أمهلهم رويدا﴾ أي: إمهالا يسيرا، ف " أمهلهم ": بدل من " مهل "، وخالف بين اللفظتين لزيادة التسكين والتصبير. و " رويدا ": مصدر أرود، بالترخيم، ولا يتكلم به إلا مصغرا، وله في الاستعمال وجهان آخران: كونه اسم فعل، نحو رويد زيدا، وكونه حالا، نحو: سار القوم رويدا، أي: متمهلين.

الإشارة: اعلم أن الحقيقة سماء، والشريعة أرض، والطريقة سلم ومعراج يصعد إليها، فمن لا طريقة له لا عروج له إلى سماء الحقائق، فأقسم تعالى بسماء الحقائق، وأرض الشرائع، على حقية القرآن، ووصف الحقيقة بالرجع، لأنه يقع الرجوع إليها بالفناء، ووصف أرض الشريعة بالصدع؛ لأنها تتصدع عن علوم وأنوار تليق بها، ووصف القرآن بالفصل بين الحق والباطل، فمن طلب الحق من غيره أضله الله. ووصفه أيضا بالجد غير منسوب لشيء من الهزل، فينبغي للقارىء عند تلاوته أن يكون على حال هيبة وخشوع، لا يمزج قراءته بشيء من الهزل أو الضحك، كما يفعله جهلة القراء.

ثم أمر بالغيبة عن الأعداء، والاشتغال بالله عنهم بقوله: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ ، قال بعض العارفين: لا تشتغل قط بمن يؤذيك، واشتغل بالله يرده عنك، فإنه هو الذي حركه عليك ليختبر دعواك في الصدق، وقد غلط في هذا خلق كثير، اشتغلوا بإذاية من آذاهم، فدام الأذى مع الإثم، ولو أنهم رجعوا إلى

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٤٠٩

الله لكفاهم أمرهم. هـ.

وبالله التوفيق. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.." (١)

"شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها، ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ تهويل لشأنها، ﴿نار الله الموقدة﴾ أي: هي نار الله التي تتقد بأمر الله وسلطانه، ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم، وتطلع على أفئدتهم، وهي أوساط القلوب، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من فؤاده، ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه، فكيف إذا طلعت عليه نار جهنم، واستولت عليه؟ وقيل: خص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الزائغة، ومعنى اطلاع النار عليها: أنها تشتمل عليها وتعمها.

﴿

إنها عليهم﴾ أي: النار، أو الحطمة، ﴿مؤصدة﴾ مطبقة ﴿في عمد﴾ جمع عماد. وفيه لغتان " عمد " بضمتين، و " عمد " بفتحتين، ﴿ممددة﴾ أي: تؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد، استيثاقا في استيثاق، والجار صفة لمؤصدة. وفي الحديث: " المؤمن كيس فطن، وقاف متثبت، لا يعجل، عالم، ورع، والمنافق همزة، لمزة، حطمة، كحاطب الليل، لا يبالي من أين اكتسب وفيم أنفق ". الإشارة: ويل لمن اشتغل بعيب الناس عن عيوب نفسه، قال الورتجبي: ويل الحجاب لمن لا يرى الأشياء بعين المقادير السابقة، حتى يشتغل بالوقيعة في الخلق بالحسد، وهو مقبل على الدنيا بالجمع والمنع. هـ.

وقوله تعالى: ﴿الذي جمع مالا وعدده﴾ ذم لمن يجمع المال ويعدده، كائنا من كان، والعجب من صلحاء زماننا، يجمعون القناطير المقنطرة، ويترامون على المقام الكبير من الخصوصية، وما هذا إلا **غلط** فاحش، فأين يوجد القلب مع نجاسة الدنيا؟ ! وكيف يطهر وتشرق فيه الأنوار، وصور الأكوان منطبعة في مرآته؟ ! وقد قال بعض العارفين: عبادة الأغنياء كالصلاة على المزابل، وعبادة الفقراء في مساجد الحضرة. هـ. ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ ، أي: يبقيه بالله، كلا. قال الورتجبي: وصف الحق تعالى الجاهل بالله بأن ماله يصله إلى الحق، لا والله، لا يصل إلى الحق إلا بالحق. وقال أبو بكر بن طاهر: يظن أن ماله يوصله إلى مقام الخلد. هـ. كلا، لينبذن في الحطمة التي تحطم كل ما تصادمه، وهي حب الدنيا، تحطم كل ما يلقى في القلب من حلاوة المعاملة أو المعرفة، فلا يبقى معها نور قط، وهي نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فتفسد ما فيها من الإيمان والعرفان، إنها عليه مؤصدة، يعني أن الدنيا مطبقة عليهم، حتى صارت أكبر همومهم، ومبلغ علمهم. قال الورتجبي: لله نيران، نار القهر ونار اللطف، نار قهره: إبعاد قلوب

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٨٤/٧

المنكرين عن ساحة جلاله، ونار لطفه نيران محبته في قلوب أوليائه من المحبين والعارفين. ثم قال: عن جعفر: ونيران المحبة إذا اتقدت في قلب المؤمن تحرق كل همة غير الله، وكل ذكر سوى ذكره. هـ. وبالله التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.." [1]

"البيهقي في «الشعب» ، وأخرجه ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص، عن ليث، عن عبد الرحمن مرسلا لم يذكر أبا أمامة وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» من طريق ابن عدي، وابن عدي وأورده في «الكامل» في ترجمة أبي المهزوم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة مرفوعا نحوه، ونقل عن القلاس أنه كذب أبا المهزوم، وهذا من غلط ابن الجوزي في تصرفه ؛ لأن الطريق إلى أبي أمامة ليس فيها من اتهم بالكذب. وقد صح عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال: من أطاق الحج فلم يحج فسواء مات يهوديا أو نصرانيا، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته الآية أكثر العلماء على أنها منسوخة بقوله: فاتقوا الله ما استطعتم [٦٤ \ ١٦] .
وقال بعضهم: هي مبينة للمراد منها فقوله: حق تقاته، أي: بقدر الطاقة، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، لم يبين هنا ما بلغته معاداتهم من الشدة، ولكنه بين في موضع آخر أن معاداتهم بلغت من الشدة أمرا عظيما حتى لو أنفق ما في الأرض كله ؛ لإزالتها وللتأليف بين قلوبهم لم يفد ذلك شيئا وذلك في قوله: وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم [٨ \ ٦٢ \ ٦٣] .

قوله تعالى: وتسود وجوه بين في هذه الآية الكريمة أن من أسباب اسوداد الوجوه يوم القيامة الكفر بعد الإيمان، وذلك في قوله: فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم الآية [٣ \ ١٠٦] .
وبين في موضع آخر أن من أسباب ذلك الكذب على الله تعالى وهو قوله تعالى: ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة [٣٩ \ ٦٠] . وبين في موضع آخر أن من أسباب ذلك اكتساب السيئات،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٥٣/٧

وهو قوله: والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما [١٠ \ ٢٧] ، وبين في موضع آخر أن من أسباب ذلك الكفر والفجور وهو." (١)

"وبين تعالى أن المقتول ليس بغالب بل هو قسم مقابل للغالب بقوله: ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب [٤ \ ٧٤] ، فاتضح من هذه الآيات أن القتل ليس واقعا على النبي المقاتل ؛ لأن الله كتب وقضى له في أزله أنه غالب، وصرح بأن المقتول غير غالب.

وقد حقق العلماء أن غلبة الأنبياء على قسمين: غلبة بالحجة والبيان، وهي ثابتة لجميعهم، وغلبة بالسيف والسنان، وهي ثابتة لخصوص الذين أمروا منهم بالقتال في سبيل الله ؛ لأن من لم يؤمر بالقتال ليس بغالب ولا مغلوب ؛ لأنه لم يغالب في شيء وتصريحه تعالى، بأنه كتب إن رسله غالبون شامل لغلبتهم من غالبهم بالسيف، كما بينا أن ذلك هو معنى الغلبة في القرآن، وشامل أيضا لغلبتهم بالحجة والبيان، فهو مبين أن نصر الرسل المذكور في قوله: إنا لننصر رسلنا الآية [٤٠ \ ٥١] ، وفي قوله: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون [٣٧ \ ١٧١ \ ١٧٢] ، أنه نصر غلبة بالسيف والسنان للذين أمروا منهم بالجهاد ؛ لأن الغلبة التي بين أنها كتبها لهم أخص من مطلق النصر ؛ لأنها نصر خاص، والغلبة لغة القهر والنصر لغة إعانة المظلوم، فيجب بيان هذا الأعم بذلك الأخص.

وبهذا تعلم أن ما قاله الإمام الكبير ابن جرير – رحمه الله – ومن تبعه في تفسير قوله: إنا لننصر الآية، من أنه لا مانع من قتل الرسول المأمور بالجهاد، وأن نصره المنصوص في الآية، حينئذ يحمل على أحد أمرين: أحدهما: أن الله ينصره بعد الموت، بأن يسلط على من قتله من ينتقم منه، كما فعل بالذين قتلوا يحيى وزكرياء وشعيا من تسليط بختنصر عليهم، ونحو ذلك.

الثاني: حمل الرسل في قوله: إنا لننصر رسلنا على خصوص نبينا – صلى الله عليه وسلم – وحده، أنه لا يجوز حمل القرآن عليه لأمرين:

أحدهما: أنه خروج بكتاب الله عن ظاهره المتبادر منه بغير دليل من كتاب، ولا سنة ولا إجماع، والحكم بأن المقتول من المتقاتلين هو المنصور بعيد جدا، غير معروف في لسان العرب، فحمل القرآن عليه بلا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١/٢٠٥

دليل **غلط** ظاهر، وكذلك حمل الرسل على نبينا وحده – صلى الله عليه وسلم – فهو بعيد جدا أيضا، والآيات الدالة على عموم الوعد بالنصر لجميع الرسل كثيرة، لا نزاع فيها.." (١)

"الرابع: أنه روي عن ابن عباس الرجوع عن ذلك.

قال الألوسي في «تفسيره» ما نصه: وفي «شرح الينبوع» نقلا عن الشريف شمس الدين الأرموني أنه قال في «شرح فرائض الوسيط» : صح رجوع ابن عباس – رضي الله عنهما – عن ذلك فصار إجماعا. اهـ منه بلفظه.

تنبيهان

الأول: ما ذكره بعض العلماء وجزم به الألوسي في «تفسيره» من أن المفهوم في قوله: وإن كانت واحدة فلها النصف مفهوم عدد غلط. والتحقيق هو ما ذكرنا من أنه مفهوم شرط، وهو أقوى من مفهوم العدد بدرجات كما رأيت فيما تقدم.

قال في «نشر البنود على مراقي السعود» في شرح قوله:

وهو ظرف علة وعدد ... ومنه شرط غاية تعتمد

ما نصه: والمراد بمفهوم الشرط ما فهم من تعليق حكم على شيء بأداة شرط كإن وإذا، وقال في شرح هذا البيت أيضا قبل هذا ما نصه: ومنها الشرط نحو: وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن [٦٥ \ ٦] ، مفهوم انتفاء المشروط عند انتفاء الشرط، أي: فغير أولات حمل لا يجب الإنفاق عليهن ونحو: من تطهر صحت صلاته. اهـ منه بلفظه.

فكذلك قوله: وإن كانت واحدة فلها النصف، علق فيه فرض النصف على شرط هو كون البنت واحدة، ومفهومه أنه إن انتفى الشرط الذي هو كونها واحدة انتفى المشروط الذي هو فرض النصف كما هو ظاهر، فإن قيل: كذلك المفهوم في قوله: فإن كن نساء فوق اثنتين ؛ لتعليقه بالشرط فالجواب من وجهين:

الأول: أن حقيقة الشرط كونهن نساء، وقوله فوق اثنتين وصف زائد، وكونها واحدة هو نفس الشرط لا وصف زائد، وقد عرفت تقديم مفهوم الشرط على مفهوم الصفة ظرفا كانت أو غيره.

الثاني: أنا لو سلمنا جدليا أنه مفهوم شرط لتساقط المفهومان لاستوائهما ويطلب الدليل من خارج، وقد

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١/٢١١

ذكرنا الأدلة على كون البنتين ترثان الثلثين كما تقدم.

الثاني: إن قيل: فما الفائدة في لفظة فوق اثنتين إذا كانت الاثنتان كذلك؟." [١]

"قال ابن حجر في " التلخيص ": محمد بن يزيد هو الواسطي وهو صدوق، وروى هذا الحديث ابن عساكر وصحح البيهقي وقفه على ابن عمر.

وقال الحاكم أيضا: إن رفعه غلط، بل قال البيهقي: روي هذا الحديث عن عمر وعلي وابن عباس وعبادة بن الصامت وشداد بن أوس، ولا يصح فيه شيء ولكن قد علمت أن الإسناد الذي رواه ابن خزيمة به في " صحيحه " ليس فيه مما يوجب تضعيفه إلا محمد بن يزيد، وقد علمت أنه صدوق. ومما يدل على أن الحمرة الشفق ما رواه البيهقي في " سننه " عن النعمان بن بشير قال: " أنا أعلم الناس بوقت صلاة العشاء "كان - صلى الله عليه وسلم - يصليها لسقوط القمر لثالثة " لما حققه غير واحد من أن البياض لا يغيب إلا بعد ثلث الليل وسقوط القمر لثالثة الشهر قبل ذلك كما هو معلوم.

وقال الشوكاني في «نيل الأوطار» : ومن حجج القائلين بأن الشفق الحمرة ما روي عنه - صلى الله عليه وسلم -: «أنه صلى العشاء لسقوط القمر لثالثة الشهر» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

قال ابن العربي: وهو صحيح وصلى قبل غيبوبة الشفق.

قال ابن سيد الناس في «شرح الترمذي» : وقد علم كل من له علم بالمطالع والمغارب أن البياض لا يغيب إلا عند ثلث الليل الأول، وهو الذي حد - صلى الله عليه وسلم - خروج أكثر الوقت به فصح يقينا أن وقتها داخل قبل ثلث الليل الأول بيقين، فقد ثبت بالنص أنه داخل قبل مغيب الشفق الذي هو البياض فتبين بذلك يقينا أن الوقت دخل يقينا بالشفق الذي هو الحمرة. اهـ.

وابتداء وقت العشاء مغيب الشفق إجماعا لما تقدم في حديث جبريل وحديث التعليم، وهذا الحديث وغير ذلك انتهى منه بلفظه، وهو دليل واضح على أن الشفق الحمرة لا البياض، وفي «القاموس» الشفق الحمرة ولم يذكر البياض.

وقال الخليل والفراء وغيرهما من أئمة اللغة: الشفق الحمرة وما روي عن الإمام أحمد رحمه الله من أن الشفق في السفر هو الحمرة وفي الحضر هو البياض الذي بعد الحمرة لا يخالف ما ذكرنا ؛ لأنه من تحقيق المناط لغيبوبة الحمرة التي هي الشفق عند أحمد وإيضاحه أن الإمام أحمد رحمه الله يقول: «الشفق

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٢٧/١

هو الحمرة» والمسافر لأنه في الفلاة والمكان المتسع يعلم سقوط الحمرة، أما الذي في الحضر فالأفق يستتر عنه بالجدران فيستظهر حتى يغيب البياض ليستدل بغيبوبته على مغيب." (١)

"هذه الآية الكريمة أنه جعل لكل نبي عدوا، وبين هنا أن أعداء الأنبياء هم شياطين الإنس والجن، وصرح في موضع آخر أن أعداء الأنبياء من المجرمين، وهو قوله: وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين [٢٥ \ ٣١] ؛ فدل ذلك على أن المراد بالمجرمين شياطين الإنس والجن، وذكر في هذه الآية أن من الإنس شياطين، وصرح بذلك في قوله: وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم الآية [٢ \ ١٤] ، وقد جاء الخبر بذلك مرفوعا من حديث أبي ذر عند الإمام أحمد وغيره، والعرب تسمي كل متمرد شيطانا، سواء كان من الجن أو من الإنس كما ذكرنا، أو من غيرهما، وفي الحديث: «الكلب الأسود شيطان» ، وقوله: شياطين، بدل من قوله: عدوا، أو مفعول أول لـ «جعلنا» ، والثاني: «عدوا» ، أي: جعلنا شياطين الإنس والجن عدوا.

قوله تعالى: وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله، ذكر في هذه الآية الكريمة أن إطاعة أكثر أهل الأرض ضلال، وبين في مواضع أخر أن أكثر أهل الأرض غير مؤمنين، وأن ذلك واقع في الأمم الماضية، كقوله: ولكن أكثر الناس لا يؤمنون [١٣ \ ١] ، وقوله: وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين [١٢ \ ١٠٣] ، وقوله: ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين [٣٧ \ ٧١] ، وقوله: إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين [٢٦ \ ٨] ، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: وقد فصل لكم ما حرم عليكم الآية، التحقيق أنه فصله لهم بقوله: قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة الآية [٦ \ ١٤٥] ، ومعنى الآية: أي شيء يمنعكم أن تأكلوا ما ذكيتم، وذكرتم عليه اسم الله؟ ، والحال أن الله فصل لكم المحرم أكله عليكم في قوله: قل لا أجد في ما أوحي إلي الآية [٦ \ ١٤٥] ، وليس هذا منه.

وما يزعمه كثير من المفسرين من أنه فصله لهم بقوله: حرمت عليكم الميتة الآية [٥ \ ٣] ، فهو **غلط** ؛ لأن قوله تعالى: حرمت عليكم الميتة من سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل من القرآن بالمدينة، وقوله: وقد فصل لكم ما حرم عليكم [١١٩] ، من سورة الأنعام، وهي مكية، فالحق هو ما ذكرنا، والعلم عند الله

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٠٢/١

تعالى.

قوله تعالى: وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها الآية، ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه جعل في كل قرية أكابر المجرمين منها ليمكروا فيها." (١)

"قوله تعالى: يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم الآية.

قال بعض العلماء: المراد بالرسل من الجن نذرهم الذين يسمعون كلام الرسل، فيبلغونه إلى قومهم ؛ ويشهد لهذا أن الله ذكر أنهم منذرون لقومهم في قوله: وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين [٤٦ \ ٢٩] .

وقال بعض العلماء: رسل منكم [٦ \ ١٣٠] أي: من مجموعكم الصادق بخصوص الإنس ؛ لأنه لا رسل من الجن، ويستأنس لهذا القول بأن القرآن ربما أطلق فيه المجموع مرادا بعضه، كقوله: وجعل القمر فيهن نورا [٧١ \ ١٦] ، وقوله: فكذبوه فعقروها [٩١ \ ١٤] ، مع أن العاقر واحد منهم، كما بينه بقوله: فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر [٥٤ \ ٢٩] . واعلم أن ما ذكره الحافظ ابن كثير – رحمه الله – وغيره من أجلاء العلماء في تفسير هذه الآية: من أن قوله: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان [٥٥ \ ٢٢] يراد به البحر الملح خاصة دون العذب **غلط** كبير، لا يجوز القول به ؛ لأنه مخالف مخالفة صريحة لكلام الله تعالى ؛ لأن الله ذكر البحرين الملح والعذب بقوله: وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج [٣٥ \ ١٢] ، ثم صرح باستخراج اللؤلؤ والمرجان منها جميعا بقوله: ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها، والحلية المذكورة هي اللؤلؤ والمرجان، فقصره على الملح مناقض للآية صريحا، كما ترى.

قوله تعالى: ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون، النفي في هذه الآية الكريمة منصب على الجملة الحالية، والمعنى أنه لا يهلك قوما في حال غفلتهم، أي عدم إنذارهم، بل لا يهلك أحدا إلا بعد الإعذار والإنذار على ألسنة الرسل – عليهم صلوات الله وسلامه – كما بين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا [١٧ \ ١٥] ، وقوله: رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل [٤ \ ١٦٥] ، وقوله: وإن من أمة إلا خلا فيها نذير [٣٥ \ ٢٤] ، وقوله:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١/٤٩١

ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت [١٦ \ ٣٦] ، إلى غير ذلك من الآيات.." (١)

"فالظاهر أنه تسقط عنه زكاة ما نقصت به، وإن ادعى **غلط** الخارص.

فقد قال بعض أهل العلم: لم تقبل دعواه لأن الخارص أمين، وقال بعض العلماء: تقبل دعواه **غلط** الخارص، إذا كانت مشبهة، أما إذا كانت بعيدة، كدعواه زيادة النصف أو الثلثين، فلا يقبل قوله في الجميع، وهذا التفصيل هو مذهب الشافعي، وأحمد، إلا أن بعض الشافعية قال: يسقط عنه من الكثير الذي ادعى قدر النقص الذي تقبل دعواه فيه، وأما إن ادعى أن الخارص جار عليه عمدا، فلا تقبل دعواه عليه بلا خلاف، كما لو ادعى جور الحاكم، أو كذب الشاهد، وكذا إذا ادعى أنه **غلط** في الخرص، ولم يبين قدر ما زاد لم يقبل منه، نص عليه علماء الشافعية، وإن ادعى رب الثمر: أنه أصابته جائحة أذهبت بعضه، فالظاهر تصديقه فيما يشبه قوله، كما لو ادعى أن بعضه سرق بالليل مثلا قيل بيمين.

وقيل: لا، وإن أضاف هلاك الثمرة إلى سبب يكذبه الحس، كأن يقول: هلكت بحريق، وقع في الجرين في وقت كذا، وعلمنا أنه لم يحترق في ذلك الوقت لم يلتفت إلى كلامه، فإن علم وقوع السبب الذي ذكر، وعموم أثره صدق بلا يمين، وإن اتهم حلف، قيل: وجوبا، وقيل: استحبابا، وإن لم يعرف عدم السبب المذكور ولا وجوده، فالصحيح أنه يكلف بالبينة على وجود أصل السبب، ثم القول قوله في الهلاك به، وهذا التفصيل الأخير للشافعية ذكره النووي في شرح المهذب، ووجهه ظاهر، والله تعالى أعلم.

وجمهور العلماء على أنه لا يخرص غير التمر، والزبيب، فلا يخرص الزيتون، والزرع، ولا غيرهما، وأجازه بعض العلماء في الزيتون، وأجازه بعضهم في سائر الحبوب.

والصحيح أنه لا يجوز إلا في التمر، والعنب لثلاثة أمور:

الأول: أن النص الدال على الخرص لم يرد إلا فيهما كما تقدم في حديث عتاب بن أسيد، وغيره من الأحاديث.

الثاني: أن غيرهما ليس في معناهما ؛ لأن الحاجة تدعو غالبا إلى أكل الرطب قبل أن يكون تمرا، والعنب قبل أن يكون زبيبا، وليس غيرهما كذلك.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٩٣/١

الثالث: أن ثمرة النخل ظاهرة مجتمعة في عذوقها، والعنب ظاهر أيضا مجتمع في عناقيده، فحرزهما ممكن، بخلاف غيرهما من الحبوب، فإنه متفرق في شجره، والزرع مستتر في سنبله.." (١)

"يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيء من صفاتهم، فمن أثبت مثلا أنه: سميع بصير، وسمعه وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم، لزمه مثل ذلك في جميع الصفات ؛ كالاستواء، واليد، ونحو ذلك من صفاته جل وعلا، ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال.

الأمر الثاني: أن الذات والصفات من باب واحد أيضا، فكما أنه جل وعلا، له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق، فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق.

الأمر الثالث: في تحقيق المقام في الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات ؛ كالاستواء واليد مثلا.

اعلم أولا: أنه **غلط** في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلا في الآيات القرآنية – هو مشابهة صفات الحوادث، وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعا ؛ لأن اعتقاد ظاهره كفر ؛ لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر، ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول: أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله والقول فيه بما لا يليق به جل وعلا.

والنبي صلى الله عليه وسلم الذي قيل له: وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم [١٦ \ ٤٤] ، لم يبين حرفا واحدا من ذلك مع إجماع من يعتد به من العلماء، على أنه صلى الله عليه وسلم: لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين، حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين، فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنبي صلى الله عليه وسلم كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه، وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة، سبحانك هذا بهتان عظيم.

ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الافتراء على الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فظاهره المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان، هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥١٣/١

فبمجرد إضافة الصفة إليه، جل وعلا، يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق، وبين شيء من صفات المخلوقين، وهل ينكر عاقل، أن السابق إلى." [1]

"الجلد، ونستدل على غلط من هو أحفظ منه بأقل من هذا.

وقال أيضا: قال سليمان بن حرب: كان حماد – يعني ابن زيد – يضعف الجلد، ويقول لم يكن يعقل الحديث.

وروى البيهقي أيضا بإسناده عن حماد بن زيد، قال: ذهبت أنا وجرير بن حازم إلى الجلد بن أيوب، فحدثنا بحديث معاوية بن قرة، عن أنس في الحائض، فذهبنا نوقفه، فإذا هو لا يفصل بين الحائض، والمستحاضة.

وروى أيضا بإسناده عن أحمد بن سعيد الدارمي، قال: سألت أبا عاصم، عن الجلد بن أيوب فضعفه جدا، وقال: كان شيخا من مشايخ العرب تساهل أصحابنا في الرواية عنه.

وروى البيهقي أيضا عن عبد الله بن المبارك أن أهل البصرة كانوا ينكرون حديث الجلد بن أيوب، ويقولون: شيخ من شيوخ العرب ليس بصاحب حديث، قال ابن المبارك: وأهل مصره أعلم به من غيرهم. قال يعقوب: وسمعت سليمان بن حرب، وصدقة بن الفضل، وإسحاق بن إبراهيم، وبلغني عن أحمد بن حنبل أنهم كانوا يضعفون الجلد بن أيوب، ولا يرونه في موضع الحجة، وروى بإسناده أيضا عن ابن عيينة أنه كان يقول: ما جلد؟ ومن جلد؟ ومن كان جلد؟ وروى بإسناده أيضا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي ذكر الجلد بن أيوب، فقال: ليس يسوى حديثه شيئا، ضعيف الحديث. اهـ. وإنما أطلنا الكلام في تضعيف هذا الأثر ؛ لأنه أقوى ما جاء في الباب على ضعفه كما ترى. وقد قال البيهقي في " السنن الكبرى ": روي في أقل الحيض وأكثره أحاديث ضعاف قد بينت ضعفها في " الخلافيات ".

وأما حجة من قال: إن أقل الحيض يوم وليلة وأكثره خمسة عشر، كالشافعي، وأحمد، ومن وافقهما، فهي أنه لم يثبت في ذلك تحديد من الشرع فوجب الرجوع إلى المشاهد في الوجود، والمشاهد أن الحيض لا يقل عن يوم وليلة ولا يزيد على نصف شهر، قالوا: وثبت مستفيضا عن السلف من التابعين فمن بعدهم وجود ذلك عيانا، ورواه البيهقي، وغيره، عن عطاء، والحسن، وعبيد الله بن عمر، ويحيى بن سعيد، وربيعة، وشريك، والحسن بن صالح، وعبد الرحمن بن مهدي رحمهم الله تعالى.

قال النووي: " فإن قيل: روى إسحاق بن راهويه، عن بعضهم أن امرأة من نساء الماجشون حاضت عشرين

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/ ٣٠

يوما، وعن ميمون بن مهران أن بنت سعيد بن جبير كانت تحته وكانت تحيض من السنة شهرين، فجوابه بما أجاب به المصنف في كتابه النكت أن هذين النقلين ضعيفان.." (١)

"طريق عبد الله بن أبي المحل – وهو بضم الميم وكسر المهملة وتشديد اللام –، قال «كنا مع علي فمررنا على الخسف الذي ببابل، فلم يصل حتى أجازه – أي: تعداه –» ومن طريق أخرى، عن علي، قال: «ما كنت لأصلي بأرض خسف الله بها ثلاث مرار» . والظاهر أن قوله ثلاث مرار ليس متعلقا بالخسف ؛ لأنه ليس فيها إلا خسف واحد. وإنما أراد أن عليا قال ذلك ثلاثا. ورواه أبو داود مرفوعا من وجه آخر عن علي ولفظه: «نهاني حبيبي – صلى الله عليه وسلم – أن أصلي في أرض بابل ؛ فإنها ملعونة» في إسناده ضعف، واللائق بتعليق المصنف ما تقدم، والمراد بالخسف هنا ما ذكره الله تعالى في قوله: فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم الآية [١٦ \ ٢٦] ، ذكر أهل التفسير والأخبار: أن المراد بذلك أن النمروذ بن كنعان بنى ببابل بنيانا عظيما، يقال: إن ارتفاعه كان خمسة آلاف ذراع فخسف الله بهم. قال الخطابي: «لا أعلم أحدا من العلماء حرم الصلاة في أرض بابل» انتهى. محل الغرض من فتح الباري.

وقول الخطابي يعارضه ما رأيته عن علي – رضي الله عنه –، ولكنه يشهد له عموم الحديث الصحيح: «وجعلت لنا الأرض مسجدا وطهورا» ، وحديث أبي داود المرفوع، عن علي الذي أشار له ابن حجر: أن فيه ضعفا هو قوله: «حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا ابن وهب، قال حدثني ابن لهيعة، ويحيى بن أزهر، عن عمار بن سعد المرادي، عن أبي صالح الغفاري: أن عليا – رضي الله عنه – مر ببابل وهو يسير، فجاءه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر. فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة، فلما فرغ منها قال:» إن حبيبي – صلى الله عليه وسلم – نهاني أن أصلي في المقبرة، ونهاني أن أصلي في أرض بابل ؛ فإنها ملعونة «.

حدثنا أحمد بن صالح، ثنا ابن وهب، أخبرني يحيى بن أزهر، وابن لهيعة، عن الحجاج بن شداد، عن أبي صالح الغفاري، عن علي بمعنى سليمان بن داود، قال:» فلما خرج – مكان فلما برز – اهـ.

وقد يظهر للناظر في إسنادي هذا الحديث أنه لا يقل عن درجة القبول، ولكن فيه علة خفية نبه عليها ابن يونس، أما كونه لا يقل عن درجة القبول ؛ فلأن طريقته الأولى أول طبقاتها: سليمان بن داود ولا خلاف في كونه ثقة، وفي الثانية: أحمد بن صالح مكان سليمان المذكور، وأحمد بن صالح ثقة حافظ. وكلام النسائي فيه **غلط** مردود عليه، كما قال العراقي في ألفيته:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/٢٣١

وربما رد كلام الجارح ... كالنسائي في أحمد بن صالح
وسبب غلطه في ذلك أن ابن معين كذب أحمد بن صالح الشموني. فظن النسائي أن." (١)

"هذا، قال الشافعي: لا أعلم مخالفا لأبي بكر في ذلك. وقال أبو الزناد: كل من أدركت ينهى عن بيع اللحم بالحيوان ؛ ولأن اللحم نوع فيه الربا بيع بأصله الذي فيه مثله فلم يجز ؛ كبيع السمسم بالشيرج اهـ.

وقال صاحب المهذب: ولا يجوز بيع حيوان يؤكل لحمه بلحمه، لما روى سعيد بن المسيب - رضي الله عنه -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " لا يباع حي بميت "، وروى ابن عباس - رضي الله عنهما -: " أن جزورا نحرت على عهد أبي بكر - رضي الله عنه -، فجاء رجل بعناق فقال: أعطوني بها لحما فقال أبو بكر: لا يصلح هذا " ؛ ولأنه جنس فيه الربا بيع بأصله الذي فيه مثله ؛ فلم يجز كبيع الشيرج بالسمسم، اهـ.

وقال ابن السبكي في تكملته لشرح المهذب: حديث سعيد بن المسيب رواه أبو داود من طريق الزهري، عن سعيد، كما ذكره المصنف، ورواه مالك في الموطأ، والشافعي في المختصر والأم، وأبو داود من طريق زيد بن أسلم، عن سعيد بن المسيب: " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن بيع اللحم بالحيوان "، هذا لفظ الشافعي عن مالك، وأبي داود، عن القعنبي، عن مالك، وكذلك هو في موطأ ابن وهب. ورأيت في موطأ القعنبي عن بيع الحيوان باللحم، والمعنى واحد، وكلا الحديثين - أعني: رواية الزهري وزيد بن أسلم - مرسل، ولم يسنده واحد عن سعيد. وقد روي من طرق أخر، منها عن الحسن، عن سمرة: " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى أن تباع الشاة باللحم "، رواه الحاكم في المستدرك، وقال: رواته عن آخرهم أئمة حفاظ ثقات. وقد احتج البخاري بالحسن عن سمرة، وله شاهد مرسل في الموطأ، هذا كلام الحاكم. ورواه البيهقي في سننه الكبير، وقال: هذا إسناد صحيح. ومن أثبت سماع الحسن عن سمرة عده موصولا. ومن لم يثبته فهو مرسل جيد انضم إلى مرسل سعيد. ومنها عن سهل بن سعد قال: " نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن بيع اللحم بالحيوان "، رواه الدارقطني، وقال: تفرد به يزيد بن مروان، عن مالك بهذا الإسناد ولم يتابع عليه، وصوابه في الموطأ عن ابن المسيب مرسلا. وذكره البيهقي في سننه الصغير، وحكم بأن ذلك من غلط يزيد بن مروان، ويزيد المذكور تكلم فيه يحيى بن معين. وقال ابن عدي: وليس هذا بذلك المعروف. ومنها عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٩٢/٢

وسلم -: " نهى عن بيع الحيوان باللحم "، قال عبد الحق: أخرجه البزار في مسنده من رواية ثابت بن زهير عن نافع، وثابت رجل من أهل البصرة منكر الحديث لا يستقل به. ذكره أبو حاتم الرازي. انتهى محل الغرض من كلام صاحب تكملة المجموع.." (١)

"المقنع: وعلى قياسها الجوشن والخوذة إلخ، ما نصه: وقال صاحب الفروع فيه: ولا أعرف على تحريم الفضة نصا عن أحمد. وكلام شيخنا يدل على إباحة لبسها للرجال، إلا ما دل الشرع على تحريمه - انتهى. وقال الشيخ تقي الدين أيضا: لبس الفضة إذا لم يكن فيه لفظ عام لم يكن لأحد أن يحرم منه، إلا ما قام الدليل الشرعي على تحريمه، فإذا أباحت السنة خاتم الفضة دل على إباحة ما في معناه، وما هو أولى منه بالإباحة، وما لم يكن كذلك فيحتاج إلى نظر في تحليله وتحريمه، والتحريم يفتقر إلى دليل، والأصل عدمه. ونصره صاحب الفروع، ورد جميع ما استدل به الأصحاب. انتهى كلام صاحب الإنصاف.
الأمر الثاني: حديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - يدل على ذلك. قال أبو داود في سننه: حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا عبد العزيز - يعني ابن محمد - عن أسيد بن أبي أسيد البراد، عن نافع بن عياش، عن أبي هريرة: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من أحب أن يحلق حبيبه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب، ومن أحب أن يطوق حبيبه طوقا من نار فليطوقه طوقا من ذهب، ومن أحب أن يسور حبيبه سوارا من نار فليسوره سوارا من ذهب، ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها» هذا لفظ أبي داود.
قال مقيده - عفا الله عنه -: الذي يظهر لي - والله أعلم - أن هذا الحديث لا دليل فيه على إباحة لبس الفضة للرجال. ومن استدل بهذا الحديث على جواز لبس الرجال للفضة فقد **غلط** ؛ بل معنى الحديث: أن الذهب كان حراما على النساء، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى الرجال عن تحلية نسائهم بالذهب، وقال لهم: «العبوا بالفضة» ، أي: حلوا نساءكم منها بما شئتم. ثم بعد ذلك نسخ تحريم الذهب على النساء. والدليل على هذا الذي ذكرنا أمور:
الأول: أن الحديث ليس في خطاب الرجال بما يلبسونه بأنفسهم ؛ بل بما يحلون به أحبابهم، والمراد نساؤهم ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال فيه: «من أحب أن يحلق حبيبه» ، «أن يطوق حبيبه» ، «أن يسور حبيبه» ، ولم يقل: من أحب أن يحلق نفسه، ولا أن يطوق نفسه، ولا أن يسور نفسه ؛ فدل ذلك دلالة واضحة لا لبس فيها على أن المراد بقوله: «فالعبوا بها» ، أي: حلوا بها أحبابكم كيف شئتم ؛ لارتباط آخر الكلام بأوله.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/٣٤٧

الأمر الثاني: أنه ليس من عادة الرجال أن يلبسوا حلق الذهب، ولا أن يطوقوا بالذهب، ولا يتسوروا به في الغالب ؛ فدل ذلك على أن المراد بذلك من شأنه لبس الحلقة." [١]

"زيادة مقبولة من العدل، وبه تعلم صحة الاحتجاج بالرواية المرفوعة عن ابن عباس في طهارة المني، وهي نص صريح في محل النزاع، ولم يثبت في نصوص الشرع شيء يصرح بنجاسة المني.

فإن قيل: أخرج البزار، وأبو يعلى الموصلي في مسنديهما، وابن عدي في الكامل، والدارقطني والبيهقي والعقيلي في الضعفاء، وأبو نعيم في المعرفة من حديث عمار بن ياسر – رضي الله عنهما –: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مر بعمار فذكر قصة، وفيها: «إنما تغسل ثوبك من الغائط، والبول، والمني، والدم، والقيء، يا عمار، ما نخامتك ودموع عينيك والماء الذي في ركوتك إلا سواء» .

فالجواب: أن في إسناده ثابت بن حماد، عن علي بن زيد بن جدعان، وضعفه الجماعة المذكورون كلهم إلا أبا يعلى بثابت بن حماد، واتهمه بعضهم بالوضع. وقال اللالكائي: أجمعوا على ترك حديثه. وقال البزار: لا نعلم لثابت إلا هذا الحديث. وقال الطبراني: تفرد به ثابت بن حماد، ولا يروى عن عمار إلا بهذا الإسناد. وقال البيهقي: هذا حديث باطل، إنما رواه ثابت بن حماد وهو متهم بالوضع ؛ قاله ابن حجر في (التلخيص) ، ثم قال: قلت ورواه البزار، والطبراني من طريق إبراهيم بن زكريا العجلي، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، لكن إبراهيم ضعيف، وقد **غلط** فيه، إنما يرويه ثابت بن حماد. انتهى.

وبهذا تعلم أن هذا الحديث لا يصح الاحتجاج به على نجاسة المني. والعلم عند الله تعالى.

المسألة الثالثة: قال القرطبي: في هذه الآية دليل على جواز الانتفاع بالألبان من الشرب وغيره. فأما لبن الميتة فلا يجوز الانتفاع به ؛ لأنه مائع طاهر حصل في وعاء نجس. وذلك أن ضرع الميتة نجس، واللبن طاهر ؛ فإذا حلب صار مأخوذا من وعاء نجس. فأما لبن المرأة الميتة فاختلف أصحابنا فيه. فمن قال: إن الإنسان طاهر حيا وميتا فهو طاهر. ومن قال: ينجس بالموت فهو نجس. وعلى القولين جميعا تثبت الحرمة ؛ لأن الصبي قد يتغذى به كما يتغذى من الحية. وذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «الرضاع ما أنبت اللحم وأنشز العظم» ، ولم يخص. انتهى كلام القرطبي.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/٣٥٤

قوله تعالى: ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا الآية [١٦ \ ٩٧] ، جمهور العلماء على أن المراد بالسكر في هذه الآية الكريمة: الخمر ؛ لأن." [١]
"الكتاب) .

فإن قيل: الآية واردة بصيغة الخبر، والأخبار لا يدخلها النسخ كما تقرر في الأصول:

فالجواب: أن النسخ وارد على ما يفهم من الآية من إباحة الخمر. الإباحة حكم شرعي كسائر الأحكام قابل للنسخ ؛ فليس النسخ واردا على نفس الخبر، بل على الإباحة المفهومة من الخبر ؛ كما حققه ابن العربي المالكي وغيره.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ورزقا حسنا [١٦ \ ٦٧] ، أي: التمر، والرطب، والعنب، والزبيب، والعصير، ونحو ذلك.

تنبيه آخر.

اعلم: أن النبيذ الذي يسكر منه الكثير لا يجوز أن يشرب منه القليل الذي لا يسكر لقلته. وهذا مما لا شك فيه.

فمن زعم جواز شرب القليل الذي لا يسكر منه كالحنفية وغيرهم، فقط **غلط** غلطا فاحشا ؛ لأن ما يسكر كثيره يصدق عليه بدلالة المطابقة أنه مسكر، والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: «كل مسكر حرام» ، وقد ثبت عنه في الصحيح – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام» ، ولو حاول الخصم أن ينازع في معنى هذه الأحاديث، فزعم أن القليل الذي لا يسكر يرتفع عنه اسم الإسكار فلا يلزم تحريمه، قلنا: صرح – صلى الله عليه وسلم – بأن «ما أسكر كثيره فقليله حرام» ، وهذا نص صريح في محل النزاع لا يمكن معه كلام. وعن عائشة – رضي الله عنه – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «كل مسكر حرام، وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام» ، رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن. وعن ابن عمر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» ، رواه أحمد وابن ماجه، والدارقطني وصححه. ولأبي داود وابن ماجه، والترمذي مثله سواء من حديث جابر. وكذا لأحمد والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. وكذلك الدارقطني من حديث الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –. وعن سعد بن أبي وقاص: أن

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٠٣/٢

النبي - صلى الله عليه وسلم - «نهى عن قليل ما أسكر كثيره» ، رواه النسائي والدارقطني. وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتاه قوم فقالوا: يا رسول الله، إنا ننبذ النبيذ فنشربه على غدائنا وعشائنا؟ فقال: «اشربوا فكل مسكر حرام» . فقالوا: يا رسول الله، إنا نكسره بالماء؟." (١)

"له هنا من أن من أشقاهم الله لا ينفع فيهم التذكير جاء مبينا في مواضع أخر، كقوله: إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم [١٠ \ ٩٦] ، وقوله تعالى: كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم [٢٦ \ ٢٠٠] ، وقوله تعالى: وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون [١٠ \ ١٠١] ، وقوله تعالى: وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون [١٠ \ ١٠٠] ، وقوله تعالى: إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين [١٦ \ ٣٧] ، وهذه الآية وأمثالها في القرآن فيها وجهان معروفان عند العلماء.

أحدهما: أنها في الذين سبق لهم في علم الله أنهم أشقياء، عياذا بالله تعالى.

والثاني: أن المراد أنهم كذلك ما داموا متلبسين بالكفر، فإن هداهم الله إلى الإيمان وأنابوا زال ذلك المانع، والأول أظهر، والعلم عند الله تعالى.

والفاء في قوله: فلن يهتدوا [١٨ \ ٥٧] ؛ لأن الفعل الذي بعد «لن» لا يصلح أن يكون شرطا لـ «إن» ونحوها، والجزاء إذا لم يكن صالحا لأن يكون شرطا لـ «إن» ونحوها لزم اقترانه بالفاء، كما عقده في الخلاصة بقوله:

واقرن بفا حتما جوابا لو جعل ... شرطا لإن أو غيرها لم ينجعل

وقوله في هذه الآية الكريمة «إذا» جزاء وجواب، فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سببا للاهتداء سببا لانتفائه ؛ لأن المعنى: فلن يهتدوا إذا دعوتهم، ذكر هذا المعنى الزمخشري، وتبعه أبو حيان في البحر، وهذا المعنى قد غلطا فيه، و**غلط** فيه خلق لا يحصى كثرة من البلاغيين وغيرهم.

وإيضاح ذلك أن الزمخشري هنا وأبا حيان ظنا أن قوله: وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا شرط وجزاء، وأن الجزاء مرتب على الشرط كترتيب الجزاء على ما هو شرط فيه ؛ ولذا ظنا أن الجزاء الذي هو

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٠٧/٢

عدم الاهتداء المعبر عنه في الآية بقوله: فلن يهتدوا مرتب على الشرط الذي هو دعاؤه إياهم المعبر عنه في الآية بقوله: وإن تدعهم إلى الهدى، المشار إليه أيضا بقوله «إذا» فصار دعاؤه إياهم سبب انتفاء اهتدائهم وهذا **غلط** ؛ لأن هذه القضية الشرطية في هذه الآية الكريمة ليست شرطية لزومية، حتى يكون بين شرطها وجزائها ارتباط، بل هي شرطية اتفاقية، والشرطية الاتفاقية." (١)

"مقصودهم بالاستفهام المذكور أنهم – أي كفار قريش – خير مقاما وأحسن نديا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك هو دليلهم على أنهم على الحق، وأنهم أكرم على الله من المسلمين، وما في التلخيص وشروحه من أن السؤال بـ «أي» في الآية التي نحن بصددها سؤال بها عما يميز أحد المشتركين في أمر يعمهما كالعادة في أي **غلط** منهم ؛ لأنهم فسروا الآية الكريمة بغير معناها الصحيح، والصواب ما ذكرناه إن شاء الله تعالى، واستدلالهم هذا بحظهم في الحياة الدنيا على حظهم يوم القيامة، وأن الله ما أعطاهم في الدنيا إلا لمكانتهم عنده، واستحقاقهم لذلك – لسخافة عقولهم، ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه، كقوله تعالى عنهم: وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم [٤٦ \ ١١] ، وقوله تعالى: وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين [٦ \ ٥٣] ، وقوله تعالى: وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين [٣٤ \ ٣٥] ، وقوله تعالى: أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون [٢٣ \ ٥٥ – ٥٦] ، وقوله: أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا [١٩ \ ٧٧] ، وقوله: قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا [١٨ \ ٣٥ – ٣٦] ، وقوله: ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى [٤١ \ ٥٠] ، إلى غير ذلك من الآيات، فكل هذه الآيات دالة على أنهم لجهلهم يظنون أن الله لم يعطهم نصيبا من الدنيا إلا لرضاه عنهم، ومكانتهم عنده، وأن الأمر في الآخرة سيكون كذلك.

وقد أبطل الله تعالى دعواهم هذه في آيات كثيرة من كتابه كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة: وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا [١٩ \ ٧٤] ، والمعنى: أهلكنا قرونا كثيرة، أي أمما كانت قبلهم وهم أكثر نصيبا في الدنيا منهم، فما منعهم ما كان عندهم من زينة الدنيا ومتاعها من إهلاك الله إياهم لما عصوا وكذبوا رسله، فلو كان الحظ والنصيب في الدنيا يدل على رضا الله والمكانة عنده لما أهلك الذين من قبلكم، الذين هم أحسن أثاثا ورئيا منكم.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣/٣١٤

وقوله في هذه الآية الكريمة: وكم هي الخبرية، ومعناها الإخبار بعدد كثير، وهي في محل نصب على المفعول به لـ «أهلكنا» أي: أهلكنا كثيرا، ومن مبينة." [1]

"وقوله في هذه الآية الكريمة: للحي القيوم الحي: المتصف بالحياة الذي لا يموت أبدا. والقيوم صيغة مبالغة. لأنه جل وعلا هو القائم بتدبير شئون جميع الخلق. وهو القائم على كل نفس بما كسبت. وقيل: القيوم الدائم الذي لا يزول.

قوله تعالى: ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن من يعمل من الصالحات وهو مؤمن بربه فإنه لا يخاف ظلما، ولا هضما. وقد بين هذا المعنى في غير هذا الموضع. كقوله تعالى: إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما [٤ \ ٤٠] ، وقوله: إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون [٦٠ \ ٤٤] ، وقوله تعالى: ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا [١٨ \ ٤٩] ، إلى غير ذلك من الآيات، كما قدمنا ذلك.

وفرق بعض أهل العلم بين الظلم، والهضم بأن الظلم المنع من الحق كله. والهضم: النقص والمنع من بعض الحق. فكل هضم ظلم، ولا ينعكس. ومن إطلاق الهضم على ما ذكر قول المتوكل الليثي:

إن الأذلة واللئام لمعشر ... مولاهم المنهضم المظلوم

فالمنهضم: اسم مفعول تهضمه إذا اهتضمه في بعض حقوقه وظلمه فيها.

وقرأ هذا الحرف عامة السبعة ما عدا ابن كثير بربه فلا يخاف [٢٠ \ ١١١] ، بضم الفاء وبألف بعد الخاء مرفوعا، ولا نافية. أي: فهو لا يخاف، أو فإنه لا يخاف. وقرأه ابن كثير «فلا يخف» بالجزم من غير ألف بعد الخاء. وعليه فـ «لا» ناهية جازمة المضارع. وقول القرطبي في تفسيره: إنه على قراءة ابن كثير مجزوم. لأنه جواب لقوله ومن يعمل **غلط** منه. لأن الفاء في قوله فلا يخاف مانعة من ذلك. والتحقيق هو ما ذكرنا من أن «لا» ناهية على قراءة ابن كثير، والجملة الطلبية جزاء الشرط، فيلزم اقترانها بالفاء. لأنها لا تصلح فعلا للشرط كما قدمناه مرارا.

قوله تعالى: وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٨٤/٣

الآية، قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة «الكهف» فأغنى ذلك عن إعادته هنا.

قوله تعالى: ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما.." (١)

"يعقوب ولد إسحاق.

قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –: أصل النافلة في اللغة: الزيادة على الأصل، ومنه النوافل في العبادات؛ لأنها زيادات على الأصل الذي هو الفرض، وولد الولد زيادة على الأصل الذي هو ولد الصلب، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

فإن تك أنثى من معد كريمة ... علينا فقد أعطيت نافلة الفضل

أي أعطيت الفضل عليها، والزيادة في الكرامة علينا، كما هو التحقيق في معنى بيت أبي ذؤيب هذا، وكما شرحه به أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري في شرحه لأشعار الهذليين. وبه تعلم أن إيراد صاحب اللسان بيت أبي ذؤيب المذكور مستشهدا به لأن النافلة الغنيمة – غير صواب، بل هو غلط. مع أن الأنفال التي هي الغنائم راجعة في المعنى إلى معنى الزيادة؛ لأنها زيادة تكريم أكرم الله بها هذا النبي الكريم فأحلها له ولأمته. أو لأن الأموال المغنومة أموال أخذوها زيادة على أموالهم الأصلية بلا ثمن.

وقوله: نافلة فيه وجهان من الإعراب، فعلى قول من قال: النافلة العطية فهو ما ناب عن المطلق من «وهبنا» أي: وهبنا له إسحاق ويعقوب هبة. وعليه النافلة مصدر جاء بصيغة اسم الفاعل كالعاقبة والعافية. وعلى أن النافلة بمعنى الزيادة فهو حال من «يعقوب» أي: وهبنا له يعقوب في حال كونه زيادة على إسحاق.

قوله تعالى: وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين.

الضمير في قوله: جعلناهم يشمل كل المذكورين إبراهيم، ولوطا، وإسحاق، ويعقوب، كما جزم به أبو حيان في البحر المحيط، وهو الظاهر.

وقد دلت هذه الآية الكريمة على أن الله جعل إسحاق ويعقوب من الأئمة، أي جعلهم رؤساء في الدين يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات. وقوله بأمرنا أي: بما أنزلنا عليهم من الوحي، والأمر، والنهي، أو

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٠٢/٤

يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم، بإرشاد الخلق ودعائهم إلى التوحيد.

وهذه الآية الكريمة تبين أن طلب إبراهيم الإمامة لذريته المذكور في سورة «البقرة» أجابه فيه بالنسبة إلى بعض ذريته دون بعضها، وضابط ذلك أن الظالمين من ذريته لا ينالون الإمامة بخلاف غيرهم كإسحاق ويعقوب، فإنهم ينالونها كما صرح به تعالى." (١)

"وحكم الأصل الذي هو الخمر: التحريم. وشروط هذه الأركان الأربعة والبحث فيها مستوفى في أصول الفقه، فلا نطيل به الكلام هنا.

واعلم أن القياس المذكور ينقسم بالنظر إلى الجامع بين الفرع والأصل إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قياس العلة.

والثاني: قياس الدلالة.

والثالث: قياس الشبه.

أما قياس العلة فضابطه أن يكون الجمع بين الفرع والأصل بنفس علة الحكم، فالجمع بين النبيذ والخمر بنفس العلة التي هي الإسكار، والقصد مطلق التمثيل؛ لأنا قد قدمنا أن قياس النبيذ على الخمر لا يصح؛ لوجود النص على أن كل مسكر خمر، وأن ما أسكر كثيره فقليله حرام ". والقياس لا يصح مع التنصيص على أن حكم الفرع المذكور كحكم الأصل، إلا أن المثال يصح بالتقدير والفرض، ومطلق الاحتمال كما تقدم. وكالجمع بين البر والذرة بنفس العلة التي هي الكيل مثلا عند من يقول بذلك، وإلى هذا أشار في المراقي بقوله:

وما بذات علة قد جمعا ... فيه فقيس علة قد سمعا

وأما قياس الدلالة فضابطه أن يكون الجمع فيه بدليل العلة لا بنفس العلة، كأن يجمع بين الفرع والأصل بملزوم العلة أو أثرها أو حكمها. فمثال الجمع بملزوم العلة أن يقال: النبيذ حرام كالخمر بجامع الشدة المطربة، وهي ملزوم للإسكار، بمعنى أنها يلزم من وجود الإسكار. ومثال الجمع بأثر العلة أن يقال: القتل بالمثقل يوجب القصاص كالقتل بمحدد، بجامع الإثم وهو أثر العلة وهي للقتل العمد العدوان. ومثال الجمع بحكم العلة أن يقال: تقطع الجماعة بالواحد كما يقتلون به، بجامع وجوب الدية عليهم في ذلك حيث كان غير عمد، وهو حكم العلة التي هي القطع منهم في الصورة الأولى، والقتل منهم في الثانية. وإلى تعريف قياس الدلالة المذكور أشار في مراقي السعود بقوله:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٦٦/٤

جامع ذي الدلالة الذي لزم ... فأثر فحكمها كما رسم

وقوله: " الذي لزم " بالبناء للفاعل يعني اللازم، وتعبيره هنا باللازم تبعا لغيره غلط منه وممن تبعه هو؛ لأن وجود اللازم لا يكون دليلا على وجود الملزوم بإطباق." [1]

"عبد الله بن عمرو بن العاص، فقد قال صاحب نصب الراية أيضا: أخرجه الدارقطني أيضا عن ابن لهيعة، ومحمد بن عبيد الله العرزمي عن أبيه عن جده بنحوه. وابن لهيعة والعرزمي ضعيفان. قال الشيخ في الإمام: وقد أخرج الدارقطني هذا الحديث عن جابر، وأنس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود، وعائشة، وليس فيها إسناد يحتج به. انتهى منه.

هذا هو حاصل روايات الأحاديث الواردة بتفسير السبيل في الآية بالزاد والراحلة. وقال غير واحد: إن هذا الحديث لا يثبت مسندا، وأنه ليس له طريق صحيحة، إلا الطريق التي أرسلها الحسن.

قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له -: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أن حديث الزاد والراحلة المذكور ثابت لا يقل عن درجة الاحتجاج ؛ لأن الطريقين اللتين أخرجهما به الحاكم في المستدرك عن أنس قال: كلتاهما صحيحة الإسناد، وأقر تصحيحهما الحافظ الذهبي، ولم يتعقبه بشيء، والدعوى على سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة في روايتهما الحديث، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها غلط، وأن الصحيح عن قتادة عن الحسن مرسلا - دعوى لا مستند لها، بل هي تغليط وتوهيم للعدول المشهورين من غير استناد إلى دليل.

والصحيح عند المحققين من الأصوليين والمحدثين: أن الحديث إذا جاء من طريق صحيحة، وجاء من طرق أخرى غير صحيحة، فلا تكون تلك الطرق علة في الصحيحة، إذا كان رواتها لم يخالفوا جميع الحفاظ، بل انفراد الثقة العدل بما لم يخالف فيه غيره مقبول عند المحققين.

فرواية سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة الحديث المذكور عن قتادة عن أنس مرفوعا لم يخالفوا فيها غيرهم، بل حفظوا ما لم يحفظه غيرهم، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، فادعاء الغلط عليهما بلا دليل غلط، وقول النووي في شرح المهذب: وروى الحاكم حديث أنس، وقال: وهو صحيح، ولكن الحاكم متساهل كما سبق بيانه مرات. والله أعلم.

يجاب عنه بأنا لو سلمنا أن الحاكم متساهل في التصحيح، لا يلزم من ذلك أنه لا يقبل له تصحيح مطلقا.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤/ ١٧٨

وربَ تصحيح للحاكم مطابق للواقع في نفس الأمر، وتصحيحه لحديث أنس المذكور لم يتساهل فيه؛ ولذا لم يبد النووي وجها لتساهله فيه، ولم يتكلم." (١)

"تنبيهات

التنبيه الأول:

اعلم أن دعوى من ادعى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متمتعا التمتع المعروف، وأنه حل من عمرته ثم أحرم للحج – باطلة بلا شك. وقد ثبت بالروايات الصحيحة التي لا مطعن فيها أنه كان قارنا، وأنه لم يحل حتى نحر هديه، كما قدمناه في هذا المبحث في حديث أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها، وعن أبيها.

فإن لفظ النبي صلى الله عليه وسلم في حديثها المتفق عليه قال: «إني لبدت رأسي، وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر» والأحاديث بمثله كثيرة. وسبب **غلط** من ادعى الدعوى الباطلة المذكورة هو ما أخرجه مسلم في صحيحه:

حدثنا عمرو الناقد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن هشام بن حجير، عن طاوس قال: قال ابن عباس: قال معاوية: أعلمت أني قصرت من رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة بمشقص؟ قلت له: لا أعلم هذا إلا حجة عليك. وحدثني محمد بن حاتم، حدثنا يحيى بن سعيد، عن ابن جريج، حدثني الحسن بن مسلم، عن طاوس، عن ابن عباس: أن معاوية بن أبي سفيان أخبره قال: قصرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشقص وهو على المروة – أو: رأيته يقصر عنه بمشقص – وهو على المروة. انتهى منه وأخرج البخاري هذا الحديث عن معاوية بلفظ: قال: قصرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشقص، فالاستدلال بهذا الحديث على أن النبي أحل بعمرة في حجة الوداع **غلط** فاحش مردود من وجهين: الأول: أنه ليس في الحديث المتفق عليه ذكر حجة الوداع، ولا شيء يدل على أن ذلك التقصير كان فيها.

التنبيه الثاني

ورود الرواية الصحيحة التي لا مطعن فيها أنه لم يحل إلا بعد الرجوع من عرفات، بعد أن نحر هديه. وقال النووي في كلامه على حديث معاوية هذا، وهذا الحديث محمول على أنه قصر عن النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة الجعرانة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كان قارنا كما سبق إيضاحه، وثبت

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣١٦/٤

أنه صلى الله عليه وسلم حلق بمنى، وفرق أبو طلحة رضي الله عنه شعره بين الناس. فلا يجوز حمل تقصير معاوية على حجة الوداع، ولا يصح حمله أيضا على عمرة القضاء." (١)

"الواقعة سنة سبع من الهجرة ؛ لأن معاوية لم يكن يومئذ مسلما، إنما أسلم يوم الفتح سنة ثمان، هذا هو الصحيح المشهور، ولا يصح قول من حمله على حجة الوداع، وزعم أنه صلى الله عليه وسلم كان متمتعا ؛ لأن هذا **غلط** فاحش، فقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة السابقة في مسلم وغيره، أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: ما شأن الناس حلوا ولم تحل أنت؟ قال: «إني لبدت رأسي وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر الهدي» وفي رواية: «حتى أحل من الحج» والله تعالى أعلم. انتهى كلام النووي، ولا شك أن حمل حديث معاوية على حجة الوداع لا يصح بحال، والعلم عند الله تعالى.

التنبيه الثالث

اعلم أن دعوى من ادعى أنه لم يحل بعمرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع إلا من أحرم بالعمرة وحدها، وأن من أهل بحج أو جمع الحج والعمرة، لم يحل أحد منهم حتى كان يوم النحر – دعوى باطلة أيضا ؛ لأن الروايات الصحيحة التي لا مطعن فيها عن جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم متظاهرة بكل الوضوح والصراحة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر كل من لم يكن معه هدي أن يحل بعمرة، سواء كان مفردا أو قارنا، ومستند من ادعى تلك الدعوى الباطلة هو ما أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه: حدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع، فمنا من أهل بعمرة، ومنا من أهل بحج وعمرة، ومنا من أهل بالحج، وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج. فأما من أهل بعمرة فحل، وأما من أهل بحج أو جمع الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم النحر. انتهى منه ؛ لأن الذين لم يحلوا من القارنين والمفردين في هذا الحديث ونحوه من الأحاديث يجب حملهم على أن معهم الهدي لأجل الروايات الصحيحة المصرحة بذلك وبأن من لم يكن معهم هدي فسخوا حجهم في عمرة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم.

التنبيه الرابع

اعلم أن دعوى من قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أحرم إحراما مطلقا، ولم يعين نسكا،

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٦٩/٤

وأنه لم يزل ينتظر القضاء، حتى جاءه القضاء بين الصفا والمروة – أنها دعوى غير صحيحة، وإن قال الإمام الشافعي في اختلاف الحديث: إن ذلك ثابت عن." (١)

"النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الروايات المتواترة المصرحة بأنه صلى الله عليه وسلم عين ما أحرم به من ذي الحليفة، من إفراد أو قران أو تمتع، لا تمكن معارضتها لقوتها وتواترها، واتفاق جميعها على تعيين الإحرام من ذي الحليفة، وإن اختلف في نوعه، ومستند من ادعى تلك الدعوى أحاديث جاءت يفهم من ظاهرها ذلك، منها حديث عائشة قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نذكر حجا ولا عمرة. وفي لفظ: يلبي ولا يذكر حجا ولا عمرة، ونحو ذلك من الأحاديث، وهذا لا تعارض به تلك الروايات الصحيحة المتواترة. وقد أجاب العلامة ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد عن الأحاديث التي استدل بها من ادعى الدعوى المذكورة، فأفاد وأجاد، والعلم عند الله تعالى.

التنبيه الخامس

اعلم أن الأحاديث الواردة بأنه كان مفردا والواردة بأنه كان قارنا والواردة بأنه كان متمتعا لا يمكن الجمع البتة بينها، إلا الوارد ة منها بالتمتع والواردة بالقران، فالجمع بينهما واضح ؛ لأن الصحابة كانوا يطلقون اسم التمتع على القران، كما هو معروف عنهم، ولا يمكن النزاع فيه، مع أن أمره صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتمتع قد يطلق عليه أنه تمتع ؛ لأن أمره بالشيء كفعله إياه. أما الواردة بالإفراد فلا يمكن الجمع بينها بحال مع الأحاديث الواردة بالتمتع والقران، فادعاء إمكان الجمع بينها غلط، وإن قال به خلق لا يحصى من أجلاء العلماء.

واختلفوا في وجه الجمع على قولين كما أوضحناه، فمنهم من جمع بأن أحاديث الإفراد يراد بها أنه أحرم أولا مفردا، وأحاديث القران يراد بها أنه بعد إحرامه مفردا أدخل العمرة على الحج، فصار قارنا فصدق هؤلاء باعتبار أول الأمر، وصدق هؤلاء باعتبار آخره، مع أن أكثرهم يقولون: إن إدخال العمرة على الحج خاص به صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز لغيره، وهذا الجمع قال به أكثر المالكية والشافعية. وقال النووي: لا يجوز العدول عنه. ومنهم من جمع بأن أحاديث الإفراد يراد بها: إفراد أعمال الحج، والقارن يعمل في سعيه وطوافه كعمل المفرد على أصح الأقوال وأقواها دليلا. وكلا الجمعين **غلط** مع كثرة وجلالة من قال به من العلماء. وإنما قلنا: إنهما كليهما غلط؛ لأن المعروف في أصول الفقه وعلم الحديث أن الجمع لا يمكن بين نصين متناقضين تناقضا صريحا، بل الواجب بينهما الترجيح، وإنما يكون الجمع بين نصين، لم يتناقضا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤/٣٧٠

تناقضا صريحا، فيحمل كل منهما على محمل، ليس في الآخر التصريح بنقيضه، فيكونان صادقين، ولأجل هذا." (١)

"فجميع العلماء يقولون: يجب الجمع إن أمكن، ومفهوم قولهم: إن أمكن، أنهما إن كانا متناقضين تناقضا صريحا، لا يمكن الجمع بينهما، بل يجب المصير إلى الترجيح. فإذا علمت هذا فاعلم أن أحاديث الإفراد صريحة في نفي القران والتمتع، لا يمكن الجمع بينهما أبدا وبين أحاديثهما، فابن عمر رضي الله عنهما في حديثه الصحيح المتقدم يكذب أنسا في دعواه القران تكذيبا صريحا المرة بعد المرة، كما رأيته سابقا، فكيف يمكن الجمع بين خبرين والمخبران بهما كل منهما يكذب الآخر تكذيبا صريحا، فالجمع في مثل هذا محال، ومن ادعى إمكانه فقد **غلط** كائنا من كان، بالغا ما بلغ من العلم والجلالة. وعائشة رضي الله عنها في حديثها الصحيح المتقدم تقول: فمنا من أهل بعمرة، ومنا من أهل بحج وعمرة، ومنا من أهل بحج، وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحج، فذكرها الأقسام الثلاثة وتصريحها بأن النبي صلى الله عليه وسلم أحرم بواحد معين منها، لا يمكن الجمع بينه وبين خبر من قال: إنه أحرم بقسم من القسمين الآخرين، كما ترى، وفي بعض الروايات: أحرم بالحج خالصا، وفي بعضها: أحرم بالحج وحده، وفي بعضها: لا نعرف العمرة إلخ. وأحاديث القران فيها التصريح بأنه يقول: لبيك حجا وعمرة، فالجمع بينها لا يمكن بحال إلا على قول من قال: إنه كان قارنا يلبي بهما معا، وسمع بعضهم الحج والعمرة معا وسمع بعضهم الحج دون العمرة، وبعضهم العمرة دون الحج، فروى كل ما سمع، وعلى أن الجمع غير ممكن، فالمصير إلى الترجيح واجب، ولا شك عند من جمع بين العلم والإنصاف أن أحاديث القران أرجح من جهات متعددة، منها كثرة من رواها من الصحابة، وقد قدمنا عن ابن القيم أنها رواها سبعة عشر صحابيا، وأحاديث الإفراد لم يروها إلا عدد قليل، وهم: عائشة، وابن عمر، وجابر، وابن عباس، وأسماء، وكثرة الرواة من المرجحات، قال في مراقي السعود في مبحث الترجيح باعتبار حال المروي:

وكثرة الدليل والرواية ... مرجح لدى ذوي الدراية

كما قدمناه في «البقرة» .

ومنها: أن من روي عنهم الإفراد، روي عنهم القران أيضا، ويكفي في أرجحية أحاديث القران أن الذين قالوا بأفضلية الإفراد معترفون بأن من رووا القران صادقون في ذلك، وأنه صلى الله عليه وسلم كان قارنا باتفاق الطائفتين، إلا أن بعضهم يقولون: إنه لم يكن قارنا في أول الأمر، وإنما صار قارنا في آخره، وقد ذكر ابن

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤/ ٣٧١

القيم رحمه الله في زاد المعاد أن أحاديث القران أرجح من خمسة عشر وجها، فلينظره من أراد الوقوف عليها.

وقد علمت مما تقدم أن القائلين بأفضلية الإفراد يقدحون في دلالة أحاديث القران." [1]

"وكذا أخرج من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف نحوه، وأخرج من حديث ابن عمر نحو ذلك، وفيه الحسن بن عمارة، وهو متروك، والمخرج في الصحيحين، وفي السنن عنه من طرق كثيرة الاكتفاء بطواف واحد. وقال البيهقي: إن ثبتت الرواية أنه طاف طوافين، فيحمل على طواف القدوم، وطواف الإفاضة. وأما السعي مرتين فلم يثبت، وقال ابن حزم: لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من أصحابه شيء في ذلك أصلا. انتهى محل الغرض منه.

وقال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: وأما من قال: إنه حج قارنا قرانا طاف له طوافين وسعى سعيين، كما قاله كثير من فقهاء الكوفة، فعذره ما رواه الدارقطني من حديث مجاهد، عن ابن عمر: أنه جمع بين حج، وعمرة معا، وقال: سبيلهما واحد. قال: وطاف لهما طوافين، وسعى لهما سعيين، وقال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع، كما صنعت. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه جمع بينهما، وطاف لهما طوافين، وسعى لهما سعيين، وقال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت. وعن علي رضي الله عنه أيضا: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قارنا، فطاف طوافين، وسعى سعيين، وعن علقمة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لحجته وعمرته طوافين، وسعى سعيين، وأبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود. وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف طوافين، وسعى سعيين، وما أحسن هذا العذر لو كانت هذه الأحاديث صحيحة، بل لا يصح منها حرف واحد. أما حديث ابن عمر ففيه الحسن بن عمارة، وقال الدارقطني: لم يروه عن الحكم غير الحسن بن عمارة، وهو متروك الحديث. وأما حديث علي الأول ففيه حفص بن أبي داود، وقال أحمد، ومسلم: حفص متروك الحديث. وقال ابن خراش: هو كذاب يضع الحديث، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضعيف. وأما حديثه الثاني: فيرويه عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي، حدثني أبي، عن أبيه، عن جده قال الدارقطني: عيسى بن عبد الله يقال له مبارك، وهو متروك الحديث. وأما حديث علقمة، عن عبد الله فيرويه أبو بردة عمرو بن يزيد، عن حماد، عن إبراهيم، عن علقمة. قال الدارقطني: وأبو بردة ضعيف، ومن دونه في الإسناد ضعفاء. انتهى. وفيه عبد

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٧٢/٤

العزيز بن أبان. قال يحيى: هو كذاب خبيث، وقال الرازي، والنسائي: متروك الحديث. وأما حديث عمران بن حصين: فهو مما غلط فيه محمد بن يحيى الأزدي وحدث به من حفظه فوهم فيه، وقد حدث به على الصواب مرارا، ويقال: إنه رجع عن ذكر." (١)

"بالبطحاء، فقال لي «أحججت؟ فقلت: نعم. فقال: بم أهللت؟ قال: قلت: لبيك بإهلال كإهلال النبي صلى الله عليه وسلم. قال: فقد أحسنت. طف بالبيت وبالصفا والمروة» . الحديث قالوا: فقوله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري «طف بالبيت وبالصفا والمروة» أمر صريح منه صلى الله عليه وسلم بذلك، وصيغة الأمر تقتضي الوجوب ما لم يقم دليل صارف عن ذلك، وقد دل على اقتضائها الوجوب: الشرع واللغة.

وقال بعضهم: إن العقل يفيد ذلك، وليس بسديد عندي، أما دلالة الشرع على ذلك ففي نصوص كثيرة كقوله تعالى: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم [٢٤ \ ٦٣] وهذا الوعيد العظيم على مخالفة أمره، يدل على وجوب امتثال أمره، وكقوله تعالى: لإبليس لما لم يمتثل الأمر المدلول عليه بصيغة افعل التي هي قوله تعالى: اسجدوا لآدم [٢٠ \ ١١٦] ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك الآية [٧ \ ١٢] فتوبيخه وتقريعه له في هذه الآية لمخالفته الأمر، وقد سمى نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مخالفة الأمر معصية وذلك يدل على وجوب الامتثال في قوله تعالى عنه: أفعصيت أمري [٢٠ \ ٩٣] وكقوله تعالى: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم [٣٣ \ ٣٦] فجعل أمر الله ورسوله مانعا من الاختيار موجبا للامتثال، منبها على عدم الامتثال معصية في قوله بعده: ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا [٣٣ \ ٣٦] وكقوله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا [٥٩ \ ٧] وقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه» إلى غير ذلك من الأدلة.

وأما دلالة اللغة على اقتضاء صيغة افعل الوجوب. فإيضاحها أن أهل اللسان العربي مجمعون على أن السيد لو قال لعبده: اسقني ماء مثلا، ثم لم يمتثل العبد وعاقبه سيده على عدم الامتثال كان ذلك العقاب واقعا موقعه، لأن صيغة افعل ألزمته الامتثال، وليس للعبد أن يقول: صيغة افعل لم توجب علي الامتثال، ولم تلزمني إياه؟ فعقابك لي غلط لأني لم أترك شيئا لازما، حتى تعاقبني عليه. وإجماعهم على أنه ليس له ذلك وأن عقابه له صواب لعصيانه دليل على أن صيغة افعل تقتضي الوجوب، ما لم يصرف عنه صارف،

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤/ ٣٨٧

وهو قول جمهور الأصوليين. ومقابله أقوال أخر، أشار لها في مراقي السعود بقوله في مبحث الأمر:
وافعل لدى الأكثر للوجوب وقيل للندب أو المطلوب." (١)

"الثلاثة: أبو حنيفة، والشافعي، وأحمد، وعطاء، ومجاهد، والزهري، وابن جريج، والثوري، ويحيى القطان، وابن المنذر، كما نقله عنهم ابن قدامة في المغني، وعزا النووي هذا القول للجمهور.

قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –: لا يخفى أن ظاهر الروايات: أن النبي صلى الله عليه وسلم وجميع من معه جمعوا وقصروا، ولم يثبت شيء يدل على أنهم أتموا صلاتهم بعد سلامه في منى، ولا مزدلفة، ولا عرفة، بل ذلك الإتمام في مكة، وقد قدمنا أن تحديد مسافة القصر لم يثبت فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأن أقوى الأقوال دليلا: هو أن كل ما يطلق عليه اسم السفر لغة تقصر فيه الصلاة كما أوضحنا ذلك بأدلته في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى: وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة [٤ \ ١٠١] .

قال ابن القيم في زاد المعاد ما نصه: فلما أتمها – يعني الخطبة – يوم عرفة، أمر بلالا فأذن، ثم أقام فصلى الظهر ركعتين أسر فيهما بالقراءة وكان يوم الجمعة. فدل على أن المسافر لا يصلي جمعة، ثم أقام، فصلى العصر ركعتين أيضا، ومعه أهل مكة وصلوا بصلاته قصرا وجمعا بلا ريب، ولم يأمرهم بالإتمام، ولا بترك الجمع، ومن قال إنه قال لهم: " أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر "، فقد **غلط** عليه غلطا بينا، ووهم وهما قبيحا، وإنما قال لهم ذلك في غزاة الفتح بجوف مكة، حيث كانوا في ديارهم مقيمين، ولهذا كان أصح أقوال العلماء أن أهل مكة يقصرون، ويجمعون بعرفة، كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا أوضح دليل على أن سفر القصر لا يتحدد بمسافة معلومة، ولا بأيام معلومة، ولا تأثير للنسك في قصر الصلاة ألبتة، وإنما التأثير لما جعله الله سببا، وهو السفر. هذا مقتضى السنة ولا وجه لما ذهب إليه الملحدون. انتهى كلام ابن القيم.

وقد قدمنا قول من قال: إن القصر والجمع المذكور لأهل مكة من أجل النسك، والعلم عند الله تعالى.

ولا يخفى أن حجة من قالوا بإتمام أهل مكة صلاتهم في عرفة ومزدلفة ومنى، هو ما قدمنا من تحديدهم للمسافة بأربعة برد، أو ثلاثة أيام.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤ /٤٢٧

وعرفة، ومزدلفة، ومنى أقل مسافة من ذلك، قالوا: ومن سافر دون مسافة القصر أتم صلاته، هذا هو دليلهم.
الفرع الخامس: اعلم أن الصعود على جبل الرحمة الذي يفعله كثير من العوام." (١)

"الفرع الخامس: الأظهر عندي: أن المحرم لا يجوز له أن يخطب امرأة، وكذلك المحرمة، لا يجوز للرجل خطبتها لما تقدم من حديث عثمان، عند مسلم: «لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب» فالظاهر أن حرمة الخطبة كحرمة النكاح، لأن الصيغة فيهما متحدة، فالحكم بحرمة أحدهما دون الآخر، يحتاج إلى دليل خاص، ولا دليل عليه. والظاهر من الحديث حرمة النكاح وحرمة وسيلته التي هي الخطبة كما تحرم خطبة المعتدة.

وبه تعلم أن ما ذكره كثير من أهل العلم من أن الخطبة لا تحرم في الإحرام، وإنما تكره أنه خلاف الظاهر من النص ولا دليل عليه، وما استدل به بعض أهل العلم من الشافعية وغيرهم: على أن المتعاطفين قد يكون أحدهما مخالفا لحكم الآخر ؛ كقوله تعالى: كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده الآية [٦ \ ١٤١] . قالوا: الأكل مباح وإيتاء الحق واجب، لا دليل فيه ؛ لأن الأمر بالأكل معلوم أنه ليس للوجوب، بخلاف قوله في الحديث «ولا يخطب» فلا دليل على أنه ليس للتحريم، كقوله قبله: «لا ينكح المحرم» .

الفرع السادس: إذا وقع عقد النكاح في حال إحرام أحد الزوجين أو الولي، فالعقد فاسد، ولا يحتاج إلى فسخه بطلاق ؛ كما هو ظاهر الآثار التي قدمنا، ومذهب مالك وأحمد: أنه يفسخ بطلاق مراعاة لقول من أجازه كأبي حنيفة ومن تقدم ذكرهم.

الفرع السابع: أظهر قولي أهل العلم عندي: أنه إذا وكل حلال حلالا في التزويج، ثم أحرم أحدهما أو المرأة أن الوكالة لا تنفسخ بذلك، بل له أن يزوج بعد التحلل بالوكالة السابقة، خلافا لمن قال: تنفسخ الوكالة بذلك، والتحقيق أن الوكيل إذا كان حلالا والموكل محرما، فليس للوكيل الحلال عقد النكاح، قبل تحلل موكله خلافا لمن حكى وجها بجواز ذلك، ولا شك أن تجويز ذلك غلط.

الفرع الثامن: اعلم أنا قدمنا في أول الكلام على هذه المسألة: أن الإحرام يحرم بسببه على المحرم وطء امرأته في الفرج ومباشرتها فيما دون الفرج ؛ لقوله تعالى: فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج [٢ \ ١٩٧] وقد قدمنا أن الرفث شامل للجماع، ومقدماته. وقد أردنا في هذا الفرع أن

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٤٠/٤

نبين ما يلزمه لو فعل شيئا من ذلك، ولا خلاف بين أهل العلم: أن المحرم إذا جامع امرأته قبل الوقوف بعرفات: أن." (١)

"الشافعيين: تجب الفدية، وخالف الرافعي قائلا: إن ذلك لا يعد تطيبا، ولو جلس على فراش مطيب أو أرض مطيبة، أو نام عليها مفضيا إليها ببدنه أو ملبوسه: لزمته الفدية عندهم. ولو فرش فوقه ثوبا، ثم جلس عليه، أو نام: لم تجب الفدية. نص عليه الشافعي في الأم. واتفق عليه الأصحاب، لكن إن كان الثوب رقيقا كره، وإلا فلا، ولو داس بنعله طيبا لزمته الفدية، وإن خفيت رائحة الطيب في الثوب لطول الزمان، فإن كانت تفوح عند رشه بالماء حرم استعماله، وإن بقي لون الطيب دون ريحه، لم يحرم على أصح الوجهين.

ولو صب ماء ورد في ماء كثير، حتى ذهب ريحه ولونه: لم تجب الفدية باستعماله في أصح الوجهين. فلو ذهبت الرائحة، وبقي اللون، أو الطعم فحكمه عندهم حكم من أكل طعاما فيه زعفران أو طيب. وذلك أن الطيب إن استهلك في الطعام، حتى ذهب لونه، وريحه وطعمه: فلا فدية. ولا خلاف في ذلك عندهم، وإن ظهر لونه وطعمه، وريحه وجبت الفدية، بلا خلاف، وإن بقيت الرائحة فقط: وجبت الفدية ؛ لأنه يعد طيبا، وإن بقي اللون وحده، فطريقان مشهوران:

أصحهما: أن فيه قولين الأصح منهما: أنه لا فدية فيه، وهو نص الشافعي في الأم والإملاء والقديم. الثاني: تجب الفدية، وهو نصه في الأوسط.

والطريق الثاني: أنه لا فدية فيه قطعا، وإن بقي الطعم وحده ففيه عندهم ثلاث طرق أصحها: وجوب الفدية قطعا: كالرائحة، والثاني: فيه طريقان بلزومها وعدمه، والثالث: لا فدية، وهذا ضعيف أو غلط. وحكى بعض الشافعية طريقا رابعا: وهو أنه لا فدية قطعا ولو كان المحرم أخشم لا يجد رائحة الطيب، واستعمل الطيب: لزمته الفدية عندهم، بلا خلاف ؛ لأنه وجد منه استعمال الطيب مع علمه بتحريم الطيب على المحرم فوجبت الفدية، وإن لم ينتفع به كما لو نتف شعر لحيته أو غيرها من شعوره التي لا ينفعه نتفها قال النووي: وممن صرح بهذا المتولي، وصاحب العدة والبيان. اهـ.

قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –: لزوم الفدية للأخشم الذي لا يجد ريح الطيب، إذا استعمل الطيب، مبني على قاعدة هي: أن المعلل بالمظان لا يتخلف بتخلف حكمته ؛ لأن مناط الحكم مظنة وجود حكمة العلة، فلو تخلفت في صورة لم يمنع ذلك من لزوم الحكم كمن كان منزله على البحر، وقطع مسافة القصر

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٢٨

في لحظة في سفينة، فإنه يباح له قصر الصلاة والفطر في رمضان بسفره، هذا الذي لا مشقة فيه ؛ لأن الحكم الذي هو الرخصة علق بمظنة المشقة في الغالب، وهو سفر أربعة برد مثلا والمعلل بالمظان لا تتخلف أحكامه بتخلف حكمها في بعض الصور، كما عقده بعض أهل العلم بقوله:." [1]

"ويجوز كسرها وسكون الحاء وياء مثناة تحتية، وفي بعض رواياته: بياءين بصيغة التثنية، وجمل بفتح الجيم، والميم. وقد جاء في الروايات، أنه اسم موضع بين مكة والمدينة. وقال في " الفتح ": قال ابن وضاح: هي بقعة معروفة وهي عقبة الجحفة على سبعة أميال من السقيا، اهـ.

وقال صاحب " القاموس ": ولحى جمل موضع بين الحرمين، وإلى المدينة أقرب. وزعم صاحب " القاموس ": أن السقيا بالضم: موضع بين المدينة، ووادي الصفراء، وما ظنه بعضهم: من أن المراد به أحد فكي الجمل الذي هو ذكر الإبل، وأن فكه كان هو آلة الحجامة، فهو **غلط** لا شك فيه.

فهذه النصوص التي ذكرنا لا يبقى معها شك في جواز الحجامة للمحرم الذي به وجع يحتاج إلى الحجامة.

أما ما يلزم في ذلك فاختلفوا فيه: قال النووي في " شرح مسلم ": وفي هذا الحديث دليل لجواز الحجامة للمحرم. وقد أجمع العلماء على جوازها له في الرأس وغيره، إذا كان له عذر في ذلك وإن قطع الشعر حينئذ، لكن عليه الفدية لقطع الشعر، فإن لم يقطع فلا فدية عليه، ودليل المسألة قول ه تعالى: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية. وهذا الحديث محمول على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان له عذر في الحجامة في وسط الرأس ؛ لأنه لا ينفك عن قطع شعر، أما إذا أراد المحرم الحجامة لغير حاجة، فإن تضمنت قلع شعر، فهي حرام لتحريم قطع الشعر وإن لم تتضمن ذلك، بأن كانت في موضع لا شعر فيه، فهي جائزة عندنا.

وعند الجمهور: ولا فدية فيها، ووافق الجمهور سحنون، من أصحاب مالك، وعن ابن عمر ومالك كراهتها، وعن الحسن البصري: فيها الفدية.

دليلنا: أن إخراج الدم ليس حراما في الإحرام. انتهى منه.

وما ذكره النووي، عن ابن عمر ومالك: من كراهة الحجامة لغير عذر، ذكره مالك في " الموطأ "، عن نافع، عن ابن عمر بلفظ: أنه كان يقول: " لا يحتجم المحرم إلا مما لا بد منه " وفيه قال مالك: لا يحتجم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٦٦

المحرم إلا من ضرورة، ولا شك أنها إن أدت إلى قطع شعر من غير حاجة إليها أنها حرام، وإن كانت لا تؤدي إلى قطع شعر، فقد وجه المالكية كراهتها المذكورة، عن مالك وابن عمر بأمرين:." [١]

"الطراز وابن عرفة، قال ابن عرفة: سمع ابن القاسم: إن مات، يعني المتمتع قبل رمي جمرة العقبة، فلا دم عليه.

ابن رشد: لأنه إنما يجب في الوقت، الذي يتعين فيه نحره، وهو بعد رمي جمرة العقبة، فإن مات قبله لم يجب عليه.

ابن عرفة: قلت: ظاهره لو مات يوم النحر قبل رميه: لم يجب، وهو خلاف نقل النوادر، عن كتاب محمد عن ابن القاسم، وعن سماع عيسى: من مات يوم النحر، ولم يرم فقد لزمه الدم، ثم قال ابن عرفة: فقول ابن الحاجب: يجب بإحرام الحج يوهم وجوبه على من مات قبل وقوفه، ولا أعلم في سقوطه خلافا.

ولعبد الحق، عن ابن الكاتب، عن بعض أصحابنا: من مات بعد وقوفه، فعليه الدم. انتهى من الحطاب.

فأصح الأقوال الثلاثة، وهو المشهور: أنه لا يجب على من مات، إلا إذا كان موته بعد رمي جمرة العقبة، وفيه قول بلزومه، إن مات يوم النحر قبل الرمي، وأضعفها أنه يلزمه، إن مات بعد الوقوف بعرفة. أما لو مات قبل الوقوف بعرفة، فلم يقل أحد بوجوب الدم عليه من عامة المالكية، وقول من قال منهم: إنه يجب بإحرام الحج لا يتفرع عليه من الأحكام شيء، إلا جواز إشعاره وتقليده، وعليه فلو أشعره، أو قلده قبل إحرام الحج، كان هدي تطوع، فلا يجزئ عن هدي التمتع، فلو قلده، وأشعره بعد إحرام الحج أجزأه ؛ لأنه قلده بعد وجوبه: أي بعد انعقاد الوجوب في الجملة، وعن ابن القاسم: أنه لو قلده وأشعره قبل إحرام الحج، ثم أخر ذبحه إلى وقته: أنه يجزئه عن هدي التمتع، وعليه فالمراد بقول خليل: وأجزأ قبله أي: أجزأ الهدي الذي تقدم تقليده، وإشعاره على إحرام الحج هذا هو المعروف عند عامة علماء المالكية. فمن ظن أن المجزئ هو نحره قبل إحرام الحج، أو بعده قبل وقت النحر. فقد **غلط** غلطا فاحشا.

قال الشيخ المواق في شرحه قول خليل «وأجزأ قبله» ما نصه: ابن عرفة يجزئ تقليده، وإشعاره بعد إحرام حجه، ويجوز أيضا قبله على قول ابن القاسم. انتهى منه.

وقال الشيخ الحطاب في شرحه لقول خليل في مختصره: ودم التمتع يجب بإحرام الحج وأجزأ قبله ما نصه:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٩٨

فإن قلت: إذا كان هدي التمتع إنما ينحر بمنى، إن وقف به بعرفة، أو بمكة بعد ذلك على ما سيأتي فما فائدة الوجوب هنا؟." (١)

"يجب بإحرام الحج، لا فائدة فيه إلا جواز إشعار الهدي وتقليده بعد إحرام الحج، لا شيء آخر، فما نقل عن عياض وغيره من المالكية مما يدل على جواز نحره قبل يوم النحر كله غلط. إما من تصحيف الإشعار والتقليد وجعل النحر بدل ذلك غلطا، وإما من الغلط في فهم المراد عند علماء المالكية، كما لا يخفى على من عنده علم بالمذهب المالكي، فاعرف هذا التحقيق، ولا تغتر بغيره.

ومذهب الإمام أحمد في وقت وجوبه فيه خلاف، فقيل: وقت وجوبه هو وقت الإحرام بالحج. قال في «المغني» : وهو قول أبي حنيفة، والشافعي ؛ لأن الله تعالى قال: فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي [٢ \ ١٩٦] ، وهذا قد فعل ذلك، ولأن ما جعل غاية فوجود أوله كاف ؛ كقوله تعالى: ثم أتموا الصيام إلى الليل [٣ \ ١٨٧] ، إلى أن قال: وعنه أنه يجب إذا وقف بعرفة. قال: وهو قول مالك واختيار القاضي، ووجه في المغني هذا القول بأنه قبل الوقوف لا يعلم أيتم حجه أو لا ؛ لأنه قد يعرض له الفوات، فلا يكون متمتعا، فلا يجب عليه دم، وذكر عن عطاء وجوبه برمي جمرة العقبة.

وعن أبي الخطاب يجب إذا طلع فجر يوم النحر، ثم قال في «المغني» : فأما وقت إخراجه فيوم النحر، وبه قال: مالك، وأبو حنيفة: لأن ما قبل يوم النحر لا يجوز فيه ذبح الأضحية، فلا يجوز فيه ذبح هدي التمتع، ثم قال: وقال أبو طالب: سمعت أحمد قال في الرجل يدخل مكة في شوال، ومعه هدي قال: ينحر بمكة، وإن قدم قبل العشر ينحره لا يضيع أو يموت أو يسرق. وكذلك قال عطاء: وإن قدم في العشر لم ينحره حتى ينحره بمنى ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه قدموا في العشر، فلم ينحروا، حتى نحروا بمنى، ومن جاء قبل ذلك نحره عن عمرته، وأقام على إحرامه، وكان قارنا. انتهى محل الغرض منه. وسترى ما يرد هذا إن شاء الله تعالى.

وقال صاحب «الإنصاف» : يلزم دم التمتع، والقران بطلوع فجر يوم النحر على الصحيح من المذهب، وجزم به القاضي في الخلاف، ورد ما نقل عنه خلافه إليه وجزم به في البلغة، وقدمه في «الهداية» و «المستوعب» و «الخلاصة» ، و «التلخيص» ، و «الفروع» ، و «الرعايتين» ، و «الحاويين» ، وعنه يلزم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٣٦/٥

الدم إذا أحرم بالحج، وأطلقهما في المذهب، و «مسبوك الذهب» وعنه يلزم الدم بالوقوف وذكره المصنف والشارح اختيار القاضي.." (١)

"ردائي فوضعته تحت رأسها فاجتذبه ابن عباس فألقاه وكانت قد حلقت رأسها في الحج فكان رأسها محجما» . انتهى بواسطة نقل صاحب «نصب الراية» . فهذا الحديث يدل على أن ميمونة حلقت رأسها، ولو كان حراما ما فعلته، وأما التقصير فما رواه مسلم في صحيحه.

وحدثني عبيد الله بن معاذ العنبري قال: حدثنا أبي قال: حدثنا شعبة، عن أبي بكر بن حفص، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: دخلت على عائشة أنا وأخوها من الرضاع، فسألها عن غسل النبي – صلى الله عليه وسلم – من الجنابة فدعت بإناء قدر الصاع، فاغتسلت، وبيننا وبينها ستر، وأفرغت على رأسها ثلاثا. قال: وكان أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم –، يأخذن من رءوسهن حتى تكون كالوفرة. اهـ من «صحيح مسلم» .

فالجواب عن حديث ميمونة على تقدير صحته أن فيه أن رأسها كان محجما، وهو يدل على أن الحلق المذكور لضرورة المرض، لتتمكن آلة الحجم من الرأس، والضرورة يباح لها ما لا يباح بدونها، وقد قال تعالى: وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه [٦ \ ١١٩] .

وأما الجواب: عن حديث مسلم فعلى القول: بأن الوفرة أطول من اللمة التي هي ما ألم بالمنكبين من الشعر، فلا إشكال ؛ لأن ما نزل عن المنكبين طويل طولا يحصل به المقصود. قال النووي في «شرح مسلم» : والوفرة أشبع، وأكثر من اللمة. واللمة ما يلم بالمنكبين من الشعر. قاله: الأصمعي. انتهى محل الغرض من النووي.

وأما على القول الصحيح المعروف عند أهل اللغة: من أنها لا تجاوز الأذنين. قال في القاموس: والوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، أو ما سال على الأذنين منه أو ما جاوز شحمة الأذن، ثم الجمة، ثم اللمة انتهى منه.

وقال الجوهري في صحاحه: والوفرة: الشعر إلى شحمة الأذن، ثم الجمة ثم اللمة: وهي التي ألمت بالمنكبين. وقال ابن منظور في «اللسان» : والوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، وقيل: ما سال على الأذنين من الشعر. والجمع وفار. قال كثير عزة: كأن وفار القوم تحت رحالها إذا حسرت عنها العمائم عنصل وقيل:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٣٨/٥

الوفرة أعظم من الجمة. قال ابن سيده: وهذا **غلط** إنما هي وفرة، ثم جمة، ثم لمة، والوفرة: ما جاوز شحمة الأذنين، واللمة: ما ألم بالمنكبين. التهذيب، والوفرة:." [١]

"الضأن في حال من الأحوال، وهذا مجمع عليه على ما نقله القاضي عياض، ونقل العبدري، وغيره من أصحابنا أنه قال: يجوز الجذع من الإبل والبقر والمعز والضأن، وحكي هذا عن عطاء، وأما الجذع من الضأن فمذهبنا، ومذهب العلماء كافة: أنه يجزئ، سواء وجد غيره أو لا، وحكوا عن ابن عمر والزهري، أنهما قالا: تجزئ، وقد يحتج لهما بظاهر الحديث. قال الجمهور: هذا الحديث محمول على الاستحباب، والأفضل وتقديره: يستحب لكم ألا تذبحوا إلا مسنة، فإن عجزتم فجذعة ضأن، وليس فيه تصريح بمنع جذعة الضأن، وأنها لا تجزئ بحال، وقد أجمعت الأمة أنه ليس على ظاهره ؛ لأن الجمهور يجوزون الجذع من الضأن مع وجود غيره وعدمه، وابن عمر والزهري: يمنعانه مع وجود غيره وعدمه، فتعين تأويل الحديث على ما ذكرنا من الاستحباب والله أعلم. قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –: الحديث ظاهر في أن جذعة الضأن: لا تجزئ إلا إذا تعسر وجود المسنة ؛ لأن قوله – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث الصحيح: «لا تذبحوا إلا مسنة» ، نهي صريح عن ذبح غير المسنة، التي هي الثنية. والنهي: يقتضي التحريم كما تقرر في الأصول، إلا إذا وجد صارف عنه، وهو دليل ظاهر على أن جذعة الضأن: لا تجزئ إلا عند تعسر المسنة كما ترى، وسيأتي إن شاء الله إيضاح بقية هذا البحث بعد ذكر مذاهب أهل العلم في هذه المسألة، ومناقشة أدلتهم، وأما مذهب الشافعي – رحمه الله – في هذه المسألة: فهو أن الجذع لا يجزئ إلا من الضأن خاصة، والجذع من الضأن والجذعة عنده سواء، وأما غير الضأن: فلا يجزئ عنه منه إلا الثنية، أو الثني. وقد قدمنا كلام أهل العلم، واللغة في سن الجذع، والثني والجذعة والثنية، والوجه الذي حكاه الرافعي أن جذع المعز يجزئ عند الشافعية غلط، كما صرح به النووي. وأما مذهب أبي حنيفة: فهو كمذهب الشافعي، وهو جواز التضحية بالجذع من الضأن خاصة، وبالثني من غير الضأن وهو المعز والإبل والبقر.

وقال صاحب «تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق في الفقه الحنفي» ، ما نصه: والجذع من الضأن ما تمت له ستة أشهر عند الفقهاء، وذكر الزعفراني: أنه ابن سبعة أشهر. والثني من الضأن، والمعز ابن سنة، ومن البقر: ابن سنتين، ومن الإبل: ابن خمس سنين، وفي القرب: الجذع من البهائم قبل الثني إلا أنه من الإبل

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٩١/٥

قبل السنة الخامسة، ومن البقر والشاة في السنة الثانية، ومن الخيل في الرابعة، وعن الزهري الجذع من المعز لسنة، ومن الضأن لثمانية أشهر. انتهى منه.." (١)

"صريحا انتهى محل الغرض منه. وقال في موضع آخر: وإن تعذر الجمع الذي قدمته، فحديث أبي بردة أصح مخرجا، انتهى منه.

قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –: أما الجمع الذي ذكره ابن حجر، فالظاهر عندي: أنه لا يصح. وقوله: لأنه لم يقع في السياق استمرار المنع **غلط** منه – رحمه الله –، بل وقع في السياق التصريح باستمرار المنع ؛ لأن قوله – صلى الله عليه وسلم –: «ولن تجزئ عن أحد بعدك» ، صريح في استمرار منع الإجزاء عن غيره ؛ لأن لفظة «لن» ، تدل على نفي الفعل في المستقبل من الزمن، فهي دليل صريح على استمرار عدم الإجزاء عن غيره، في المستقبل من الزمن ويؤيد ذلك أن قوله: «عن أحد بعدك» ، نكرة في سياق النفي، فهي تعم كل أحد في كل وقت كما ترى.

والصواب: الترجيح بين الحديثين، وحديث أبي بردة لا شك أن لفظة: «ولن تجزئ عن أحد بعدك» ، فيه أصح سندا من زيادة نحو ذلك في حديث عقبة، فيجب تقديم حديث أبي بردة على حديث عقبة، كما ذكره ابن حجر في كلامه الأخير، والله تعالى أعلم.

فإن قيل: ذكر جماعة من علماء العربية أن لفظة: لن: لا تدل على تأبيد النفي. قال ابن هشام في «المغني» في الكلام على لن: ولا تفيد توكيد النفي، خلافا للزمخشري في كشافه، ولا تأبيده خلافا له في أنموذجه، وكلاهما دعوى بلا دليل، قيل: ولو كانت للتأبيد، لم يقيد منفيها باليوم في: فلن أكلم اليوم إنسيا [١٩ \ ٢٦] ، ولكان ذكر الأبد في: ولن يتمنوه أبدا [٢ \ ٩٥] ، تكرارا والأصل عدمه انتهى محل الغرض منه.

فالجواب أن قول الزمخشري بإفادة لن: التأبيد يجب رده ؛ لأنه يقصد به استحالة رؤية الله تعالى يوم القيامة زاعما أن قوله لموسى: لن تراني [٧ \ ١٤٣] ، تفيد فيه لفظة لن تأبيد النفي، فلا يرى الله عنده أبدا لا في الدنيا، ولا في الآخرة. وهذا مذهب معتزلي معروف باطل ترده النصوص الصحيحة في القرآن والأحاديث الصحيحة الكثيرة التي لا مطعن في ثبوتها. وقد بينا مرارا أن رؤية الله تعالى بالأبصار جائزة عقلا في الدنيا والآخرة. ولو كانت ممنوعة عقلا في الدنيا لما قال نبي الله موسى: رب أرني أنظر إليك [٧ \ ١٤٣] ؛

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٢١١

لأنه لا يجهل المحال في حق خالقه تعالى، وأنها ممنوعة شرعا في الدنيا ثابتة الوقوع في الآخرة، وإفادة لن التأبيد التي زعمها الزمخشري في الآية تردها." (١)

"بمعنى القديم الأول وهي قوله تعالى: إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الآية [٣ \ ٩٦] مع أن المعنيين الآخرين كلاهما حق، ولكن القرآن دل على ما ذكرنا، وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

تنبيهان

الأول: دلت هذه الآية الكريمة، على لزوم طواف الإفاضة وأنه لا صحة للحج بدونه.

الثاني: دلت هذه الآية أيضا على لزوم الطواف من وراء الحجر الذي عليه الجدار القصير شمال البيت ؛ لأن أصله من البيت، فهو داخل في اسم البيت العتيق، كما تقدم إيضاحه.

قوله تعالى: وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم، لم يبين هنا هذا الذي يتلى عليهم المستثنى من حلية الأنعام، ولكنه بينه بقوله في سورة الأنعام: قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به [٦ \ ١٤٥] وهذا الذي ذكرنا هو الصواب، أما ما قاله جماعات من أهل التفسير من أن الآية التي بينت الإجمال في قوله تعالى هنا: إلا ما يتلى عليكم [٢٢] أنها قوله تعالى في المائدة: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة الآية [٥ \ ٣] فهو غلط، لأن المائدة من آخر ما نزل من القرآن وآية الحج هذه نازلة قبل نزول المائدة بكثير، فلا يصح أن يحال البيان عليها في قوله: إلا ما يتلى عليكم بل المبين لذلك الإجمال آية الأنعام التي ذكرنا لأنها نازلة بمكة، فيصح أن تكون مبينة لآية الحج المذكورة كما نبه عليه غير واحد.

أما قوله تعالى في المائدة: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم [٥ \ ١] فيصح بيانه بقوله في المائدة: حرمت عليكم الميتة والدم الآية [٥ \ ٣] ، كما أوضحنا في أول المائدة والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: فاجتنبوا الرجس من الأوثان. «من» في هذه الآية بيانية.

والمعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان: أي." (٢)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢١٥/٥

(٢) أض و اء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٥٤/٥

"منها: أن التغريب سنة زيادة على قوله تعالى: فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، والمقرر في أصول الحنفية هو أن الزيادة على النص نسخ له، وإذا كانت زيادة التغريب على الجلد في الآية تعتبر نسخا للآية فهم يقولون: إن الآية متواترة، وأحاديث التغريب أخبار آحاد، والمتواتر عندهم لا ينسخ بالآحاد، وقد قدمنا في مواضع من هذا الكتاب المبارك أن كلا الأمرين ليس بمسلم، أما الأول منهما وهو أن كل زيادة على النص، فهي ناسخة له ليس بصحيح ؛ لأن الزيادة على النص لا تكون ناسخة له على التحقيق، إلا إن كانت مثبتة شيئا قد نفاه النص أو نافية شيئا أثبته النص، أما إذا كانت زيادة شيء سكت عنه النص السابق، ولم يتعرض لنفيه، ولا لإثباته فالزيادة حينئذ إنما هي رافعة للبراءة الأصلية المعروفة في الأصول بالإباحة العقلية، وهي بعينها استصحاب العدم الأصلي، حتى يرد دليل ناقل عنه، ورفع البراءة الأصلية ليس بنسخ، وإنما النسخ رفع حكم شرعي كان ثابتا بدليل شرعي.

وقد أوضحنا هذا المبحث في سورة «الأنعام» ، في الكلام على قوله تعالى: قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا [٦ \ ١٤٥] .

وفي سورة «الحج» في مبحث اشتراط الطهارة للطواف في كلامنا الطويل على آيات «الحج» وغير ذلك من مواضع هذا الكتاب المبارك.

وأما الأمر الثاني: وهو أن المتواتر لا ينسخ بأخبار الآحاد ؛ فقد قدمنا في سورة «الأنعام» في الكلام على آية «الأنعام» المذكورة آنفا، أنه **غلط** فيه جمهور الأصوليين غلطا لا شك فيه، وأن التحقيق هو جواز نسخ المتواتر بالآحاد ؛ إذا ثبت تأخرها عنه، ولا منافاة بينهما أصلا، حتى يرجح المتواتر على الآحاد، لأنه لا تناقض مع اختلاف زمن الدليلين ؛ لأن كلا منهما حق في وقته، فلو قالت لك جماعة من العدول: إن أخاك المسافر لم يصل بيته إلى الآن، ثم بعد ذلك بقليل من الزمن أخبرك إنسان واحد أن أخاك وصل بيته، فإن خبر هذا الإنسان الواحد أحق بالتصديق من خبر جماعة العدول المذكورة ؛ لأن أخاك وقت كونهم في بيته لم يقدم، وبعد ذهابهم بزمن قليل قدم أخوك فأخبرك ذلك الإنسان بقدومه وهو صادق، وخبره لم يعارض خبر الجماعة الآخرين لاختلاف زمنهما كما أوضحناه في المحل المذكور ؛ فالمتواتر في وقته قطعي، ولكن استمرار حكمه إلى الأبد ليس بقطعي،." (١)

"الحرم ؛ لأن أحق البلاد بأن يطاع فيها الله بامتثال أوامره هي حرمه، وطاعة الله في حرمه ليس فيها انتهاك له كما ترى.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤١٠/٥

أما استدلال هؤلاء بما في الصحيحين بلفظ " إن الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخزية، فهو استدلال في غاية السقوط؛ لأن من ظن أنه حديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقط **غلط** غلطا فاحشا ؛ لأنه من كلام عمرو بن سعيد المعروف بالأشدق كما هو صريح في الصحيحين وغيرهما، قال البخاري – رحمه الله – في صحيحه: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الغد من يوم الفتح، فسمعته أذناي ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال ": إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب "، فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصيا إلى آخره، وهذا صريح في أنه من كلام عمرو بن سعيد الأشدق يعارض به أبا شريح لما ذكر له كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – ومعلوم أنه لا حجة البتة في كلام الأشدق، ولا سيما في حال معارضته به لحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإن كان كلامه لا يطابق الجواب عن الحديث الذي ذكره أبو شريح – رضي الله عنه – وفي صحيح مسلم – رحمه الله – مثل ما في البخاري من حديث أبي شريح إسنادا ومتنا.

وإذا تقرر أن القائل: إن الحرم لا يعيذ عاصيا إلى آخره، هو الأشدق علمت أنه لا دلالة فيه وكذلك احتجاجهم بما ثبت في الصحيح من أنه – صلى الله عليه وسلم – أمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ؛ لأن أمره بقتله وهو متعلق بأستار الكعبة في نفس الوقت الذي أحل الله له فيه الحرم، وقد صرح النبي – صلى الله عليه وسلم – أن حرمتها عادت كما كانت، ففعله – صلى الله عليه وسلم – في وقت إحلال الحرم له ساعة من نهار، لا دليل فيه بعد انقضاء وقت الإحلال ورجوع الحرمة، كما ترى.

وأما الذين منعوا القتل في الحرم دون ما سواه من الحدود التي لا قتل فيها والقصاص." (١)

"كلمهم، وأن قول عائشة – رضي الله عنها – ومن تبعها: إنهم لا يسمعون، استدلالا بقوله تعالى: إنك لا تسمع الموتى، وما جاء بمعناها من الآيات **غلط** منها رضي الله عنها، وممن تبعها.

وإيضاح كون الدليل يقتضي رجحان ذلك مبني على مقدمتين:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٤٦٢

الأولى منهما: أن سماع الموتى ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في أحاديث متعددة ثبوتا لا مطعن فيه، ولم يذكر – صلى الله عليه وسلم – أن ذلك خاص بإنسان ولا بوقت.

والمقدمة الثانية: هي أن النصوص الصحيحة عنه – صلى الله عليه وسلم – في سماع الموتى لم يثبت في الكتاب ولا في السنة شيء يخالفها، وتأويل عائشة رضي الله عنها بعض الآيات على معنى يخالف الأحاديث المذكورة، لا يجب الرجوع إليه ؛ لأن غيره في معنى الآيات أولى بالصواب منه، فلا ترد النصوص الصحيحة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – بتأول بعض الصحابة بعض الآيات، وسنوضح هنا إن شاء الله صحة المقدمتين المذكورتين، وإذا ثبت بذلك أن سماع الموتى ثابت عنه – صلى الله عليه وسلم – من غير معارض صريح، علم بذلك رجحان ما ذكرنا، أن الدليل يقتضي رجحانه.

أما المقدمة الأولى، وهي ثبوت سماع الموتى عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقد قال البخاري في صحيحه: حدثني عبد الله بن محمد، سمع روح بن عبادة، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن نبي الله – صلى الله عليه وسلم – أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش، فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا» ؟ قال: فقال عمر: يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ ! فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» ، قال قتادة: أحياهم الله له حتى أسمعهم توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما.

فهذا الحديث الصحيح أقسم فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الأحياء الحاضرين ليسوا بأسمع لما يقول – صلى الله عليه وسلم – من أولئك الموتى بعد ثلاث، وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى، ولم يذكر – صلى الله عليه وسلم – في ذلك." (١)

"الذي هو الجزاء – لا يصح التمثيل بها لهذه الآية بوجه من الوجوه، وأن ما ظنه الفخر الرازي من صحة التمثيل لها بذلك **غلط** فاحش منه بلا شك، وإيضاح ذلك أن كل شرطية كاذبة الشرط صادقة الجزاء عند إزالة الربط – لا بد أن يكون موجب ذلك فيها أحد أمرين لا ثالث لهما البتة.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٦/١٢٩

وكلاهما يكون الصدق به من أجل أمر خاص لا يمكن وجود مثله في الآية الكريمة التي نحن بصددها، بل هو مناقض لمعنى الآية.

والاستدلال بوجود أحد المتناقضين على وجود الآخر ضروري البطلان، ونعني بأول الأمرين المذكورين كون الشرطية اتفاقية لا لزومية أصلا.

وبالثاني منهما كون الصدق المذكور من أجل خصوص المادة.

ومعلوم أن الصدق من أجل خصوص المادة لا عبرة به في العقليات، وأنه في حكم الكذب لعدم اضطراده؛ لأنه يصدق في مادة، ويكذب في أخرى.

والمعتبر إنما هو الصدق اللازم المضطرد، الذي لا يختلف باختلاف المادة بحال.

ولا شك أن كل قضية شرطها محال لا يضطرد صدقها إلا إذا كان جزاؤها محالا خاصة.

فإن وجدت قضية باطلة الشرط صحيحة الجزاء، فلا بد أن يكون ذلك، لكونها اتفاقية، أو لأجل خصوص المادة فقط.

فمثال وقوع ذلك لكونها اتفاقية قولك: إن كان زيد في السماء لم ينج من الموت.

فالشرط الذي هو كونه في السماء باطل، والجزاء الذي هو كونه لم ينج من الموت صحيح.

وإنما صح هذا لكون هذه الشرطية اتفاقية.

ومعلوم أن الاتفاقية لا علاقة بين طرفيها أصلا، فلا يقتضي ثبوت أحدهما ولا نفيه ثبوت الآخر ولا نفيه، فلا ارتباط بين طرفيها في المعنى أصلا، وإنما هو في اللفظ فقط.

فكون زيد في السماء لا علاقة له بعدم نجاته من الموت أصلا، ولا ارتباط بينهما إلا في اللفظ، فهو كقولك: إن كان الإنسان ناطقا فالفرس صاهل.

وقد قدمنا إيضاح الفرق بين الشرطية اللزومية والشرطية الاتفاقية في سورة." (١)

"«الكهف» في الكلام على قوله - تعالى -: وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا [١٨ \ ٥٧] فراجعه.

ومعلوم أن قوله: قل إن كان للرحمن ولد لم يقل أحد إنها شرطية اتفاقية، ولم يدع أحد أنها لا علاقة بين طرفيها أصلا.

ومثال وقوع ذلك لأجل خصوص المادة فقط - ما مثل به الفخر الرازي لهذه الآية الكريمة، مع عدم انتباهه

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٥٤/٧

لشدة المنافاة بين الآية الكريمة وبين ما مثل لها به، فإنه لما قال: إن الشرط الذي هو إن كان للرحمن ولد باطل، والجزاء الذي هو: فأنا أول العابدين صحيح.

مثل لذلك بقوله: إن كان الإنسان حجرا فهو جسم، يعني أن قوله: إن كان الإنسان حجرا شرط باطل، فهو كقوله – تعالى –: قل إن كان للرحمن ولد فكون الإنسان حجرا، وكون الرحمن ذا ولد – كلاهما شرط باطل.

فلما صح الجزاء المرتب على الشرط الباطل في قوله: إن كان الإنسان حجرا فهو جسم – دل ذلك على أن الجزاء الصحيح في قوله: فأنا أول العابدين يصح ترتيبه على الشرط الباطل الذي هو إن كان للرحمن ولد.

وهذا **غلط** فاحش جدا، وتسوية بين المتنافيين غاية المنافاة ؛ لأن الجزاء المرتب على الشرط الباطل في قوله: إن كان الإنسان حجرا فهو جسم – إنما صدق لأجل خصوص المادة، لا لمعنى اقتضاه الربط البتة.

وإيضاح ذلك أن النسبة بين الجسم والحجر، والنسبة بين الإنسان والجسم – هي العموم والخصوص المطلق في كليهما.

فالجسم أعم مطلقا من الحجر، والحجر أخص مطلقا من الجسم، كما أن الجسم أعم من الإنسان أيضا عموما مطلقا، والإنسان أخص من الجسم أيضا خصوصا مطلقا ؛ فالجسم جنس قريب للحجر، وجنس بعيد للإنسان، وإن شئت قلت: جنس متوسط له.

وإيضاح ذلك أن تقول في التقسيم الأول: الجسم إما نام؛ أي يكبر تدريجا أو غير نام، فغير النامي كالحجر مثلا، ثم تقسم النامي تقسيما ثانيا، فتقول:." (١)

"إنسان جسم، وهذه النتيجة في غاية الصدق كما ترى.

مع أن المقدمة الصغرى من الدليل التي هي قولك: كل إنسان حجر في غاية الكذب كما ترى.

وإنما صدقت النتيجة لخصوص المادة كما أوضحنا، ولولا ذلك لكانت كاذبة ؛ لأن النتيجة لازم الدليل، والحق لا يكون لازما للباطل، فإن وقع شيء من ذلك فلخصوص المادة كما أوضحنا.

وبهذا التحقيق تعلم أن الشرط الباطل لا يلزم، وتطرد صحة ربطه، إلا بجزاء باطل مثله.

وما يظنه بعض أهل العلم من أن قوله – تعالى –: فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك [١٠ \ ٩٤] كقوله – تعالى –: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين – فهو **غلط**

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٧/٥٥١

فاحش، والفرق بين معنى الآيتين شاسع، فظن استوائها في المعنى باطل.

وإيضاح ذلك أن قوله – تعالى –: فإن كنت في شك الآية، معناه المقصود منه جار على الأسلوب العربي، لا إبهام فيه ؛ لأنا أوضحنا سابقا أن مدار صدق الشرطية على صحة الربط بين شرطها وجزائها، فهي صادقة ولو كذب طرفاها عند إزالة الربط كما تقدم إيضاحه قريبا.

فربط قوله: فإن كنت في شك بقوله: فاسأل الذين يقرءون الكتاب – ربط صحيح لا إشكال فيه ؛ لأن الشاك في الأمر شأنه أن يسأل العالم به عنه كما لا يخفى، فهي قضية صادقة، مع أن شرطها وجزاءها كلاهما باطل بانفراده، فهي كقوله: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا [٢١ \ ٢٢] فهي شرطية صادقة لصحة الربط بين طرفيها، وإن كان الطرفان باطلين عند إزالة الربط.

أما قوله – تعالى –: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين على القول بأن (إن) شرطية – لا تمكن صحة الربط بين شرطها وجزائها البتة ؛ لأن الربط بين المعبود وبين كونه والدا أو ولدا لا يصح بحال.

ولذا جاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «لا أشك، ولا أسأل أهل الكتاب» فنفى الطرفين." (١)

"[٤٧ \ ١٧] . وقوله: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده [٦ \ ٩٠] . إلى غير ذلك من الآيات.

وقد أوضحنا في سورة «فصلت» أن معرفة إطلاق الهدى المذكورين، يزول بها الإشكال الواقع في آيات من كتاب الله.

والهدى مصدر هداه على غير قياس، وهو هنا من جنس النعت بالمصدر، وبينا فيما مضى مرارا أن تنزيل المصدر منزلة الوصف إما على حذف مضاف، وإما على المبالغة.

وعلى الأول فالمعنى: هذا القرآن ذو هدى، أي يحصل بسببه الهدى لمن اتبعه، كقوله: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم [١٧ \ ٩] .

وعلى الثاني فالمعنى أن المراد المبالغة في اتصاف القرآن بالهدى حتى أطلق عليه أنه هو نفس الهدى.

وقوله في هذه الآية الكريمة: «لهم عذاب من رجز أليم» أصح القولين فيه أن المراد بالرجز العذاب، ولا تكرار في الآية ؛ لأن العذاب أنواع متفاوتة، والمعنى: لهم عذاب من جنس العذاب الأليم، والأليم معناه المؤلم. أي: الموصوف بشدة الألم وفظاعته.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي ، محمد الأمين ١٥٧/٧

والتحقيق إن شاء الله: أن العرب تطلق الفعيل وصفا بمعنى المفعل، فما يذكر عن الأصمعي من أنه أنكر ذلك إن صح عنه فهو **غلط** منه ؛ لأن إطلاق الفعيل بمعنى المفعل معروف في القرآن العظيم وفي كلام العرب، ومن إطلاقه في القرآن العظيم قوله تعالى عذاب أليم [٢ \ ١٠٤] أي مؤلم، وقوله - تعالى -: بديع السماوات والأرض [٢ \ ١١٧] أي مبدعهما، وقوله - تعالى -: إن هو إلا نذير لكم الآية [٣٤ \ ٤٦] أي منذر لكم، ونظير ذلك من كلام العرب قول عمرو بن معد يكرب:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

فقوله: الداعي السميع، يعني الداعي المسمع. وقوله أيضا:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع

أي موجع. وقول غيلان بن عقبة:." (١)

"قوله تعالى: فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون [٤١ \ ٧] .

قوله تعالى: والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون.

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة «ق» في الكلام على قوله تعالى: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها الآية [٥٠ \ ٦] .

تنبيه:

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: بنيناها بأيد، ليس من آيات الصفات المعروفة بهذا الاسم، لأن قوله: بأيد ليس جمع يد: وإنما الأيد القوة، فوزن قوله هنا بأيد فعل، ووزن الأيدي أفعل، فالهمزة في قوله: بأيد في مكان الفاء، والياء في مكان العين، والدال في مكان اللام، ولو كان قوله تعالى: بأيد جمع يد لكان وزنه أفعلا، فتكون الهمزة زائدة والياء في مكان الفاء، والدال في مكان العين، والياء المحذوفة لكونه منقوصا هي اللام.

والأيد، والآد في لغة العرب بمعنى القوة، ورجل أيد قوي، ومنه قوله تعالى: وأيدناه بروح القدس [٢ \ ٨٧] ، أي قويناه به، فمن ظن أنها جمع يد في هذه الآية فقد **غلط** غلطا فاحشا، والمعنى: والسماء بنيناها

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٧/١٩٦

بقوة.

قوله تعالى: كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون.
ذكر – جل وعلا – في هذه الآية الكريمة أنه ما أتى نبي قوما إلا قالوا ساحر أو مجنون، ثم قال: أتواصوا به، ثم أضرب عن تواصيهم بذلك إضراب إبطال، لأنهم لم يجمعوا في زمن حتى يتواصوا فقال: بل هم قوم طاغون أي الموجب الذي جمعهم على اتفاقهم جميعا على تكذيب الرسل ونسبتهم للسحر والجنون هو اتحاد في الطغيان الذي هو مجاوزة الحد في الكفر.." (١)

"وتعالى أنزل الحديد، أي: خلقه لبني آدم ليردع به المؤمنون الكافرين المعاندين، وهو قتلهم إياهم بالسيوف والرماح والسهام، وعلى هذا فقوله هنا: وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد [٥٧ \ ٢٥] ، توضحه آيات كثيرة، كقوله تعالى: قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم [٩ \ ١٤] ، وقوله تعالى: فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان [٨ \ ١٢] ، والآيات في مثل ذلك كثيرة معلومة.
وقوله: ومنافع للناس [٥٧ \ ٢٥] ، لا يخفى ما في الحديد من المنافع للناس، وقد أشار الله إلى ذلك في قوله: ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع [١٣ \ ١٧] ، لأن مما يوقد عليه في النار ابتغاء المتاع – الحديد.

قوله تعالى: فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون.
قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء الآية [٤٣ \ ٢٨ – ٢٩] .

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم.
قد قدمنا أن التحقيق أن هذه الآية الكريمة من سورة الحديد في المؤمنين من هذه الأمة، وأن سياقها واضح في ذلك، وأن من زعم من أهل العلم أنها في أهل الكتاب فقد غلط، وأن ما وعد الله به المؤمنين من هذه الأمة أعظم مما وعد به مؤمني أهل الكتاب وإتيانهم أجرهم مرتين كما قال تعالى فيهم: الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٤٢/٧

أجرهم مرتين الآية [٢٨ \ ٥٢ - ٥٤] .

وكون ما وعد به المؤمنين من هذه الأمة أعظم، أن إيتاء أهل الكتاب أجرهم مرتين أعطى المؤمنين من هذه الأمة مثله كما بينه بقوله: يؤتكم كفلين من رحمته [٥٧ \ ٢٨] ، وزادهم بقوله: ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم [٥٧ \ ٢٨] .

قوله تعالى: وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الفضل بيد الله وحده وأنه يؤتيه من يشاء - جاء." [١]

"تنصيص مالك على خصوص الجمعة، وفي مختصر خليل عند المالكية، ما نصه: ولزمت المكلف الحر الذكر بلا عذر، قال شارحه الخرشي: لزمت ووجب إثم تاركها وعقوبته، فهذه أقوال المالكية وحقيقة مذهب مالك رحمه الله.

أما الشافعية فقال صاحب المهذب، ما نصه: صلاة الجمعة واجبة لما روى جابر وساق حديثه، وقال النووي في المجموع شرح المهذب: إنما تتعين على كل مكلف حر ذكر مقيم بلا مرض ونحوه، إلى أن قال: أما حكم المسألة فالجمعة فرض عين على كل مكلف غير أصحاب الأعذار، والنقص المذكور بين هذا هو المذهب، وهو المنصوص للشافعي في كتبه، وقطع به الأصحاب في جميع الطرق إلا ما حكاه القاضي أبو الطيب في تعليقه وصاحب الشامل وغيرهما من بعض الأصحاب أنه غلط، فقال: هي فرض كفاية، قالوا: وسبب غلطه أن الشافعي قال: من وجبت عليه الجمعة وجبت عليه صلاة العيدين، وغلط من فهمه ؛ لأن مراد الشافعي من خوطب بالجمعة وجوبا خوطب بالعيدين متأكدا، واتفق القاضي أبو الطيب وسائر من حكى هذا الوجه على غلط قائله، قال القاضي أبو إسحاق المروزي: لا يحل أن يحكى هذا عن الشافعي ولا يختلف أن مذهب الشافعي: أن الجمعة فرض عين، ونقل ابن المنذر في كتابيه كتاب الإجماع والإشراق: إجماع المسلمين على وجوب الجمعة. اهـ من المجموع للنووي، وهذا الذي حكاه النووي وابن المنذر والمروزي عن الشافعي هو المنصوص عنه في كتاب الأم للشافعي نفسه، قال مجلد (١) ص ٨٨١ تحت عنوان: إيجاب الجمعة بعدما ذكر الآية إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، قال: ودلت السنة من فرض الجمعة على ما دل عليه كتاب الله تبارك وتعالى وساق حديث: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم يعني

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٧/٥٥٠

الجمعة فاختلفوا فيه، فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع» إلى أن قال: والتنزيل ثم السنة يدلان على إيجاب الجمعة، وقال: ومن كان مقيما ببلد تجب فيه الجمعة من بالغ حر لا عذر له وجبت عليه الجمعة، فهذه نصوص الشافعي عامة في الوجوب وخاصة في الأعيان، وهذا بيان كاف لمذهب الشافعي – رحمه الله – من نص كتابه الأم. اهـ.

الحديث الذي استدل به الشافعي رحمه الله: «نحن الآخرون السابقون» هو عين الحديث الذي بوب عليه البخاري وجوب الجمعة، ووجه الاستدلال منه قوله صلى الله عليه وسلم: «ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم» ففيه التنصيص على الفرضية.." (١)

"وهذا كان القياس وذلك أن المعبر عن المثنى بالمثنى، لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع بأن التثنية جمع في المعنى والإفراد، لا يجوز عند أصحابنا إلا في الشعر.

كقوله:

حمامة بطن الواديين ترنمي

يريد بطني، **وغلط** ابن مالك في التسهيل إذ قال: ونختار الإفراد على لفظ التثنية، فتراه **غلط** ابن مالك في اختياره جواز إضافة الجمع إلى المفرد، كما أنه قال: ولا يجوز ذلك إلا في الشعر، وأنه مع المثنى لكراهية اجتماع التثنيتين، فظهر بطلان قول أبي السعود.

أما الراجح في الوجهين في معنى الناس المتقدم ذكرهما. فهو الوجه الأول، وهو أنهم الإنس، وأن قوله تعالى: من الجنة والناس [١١٤ \ ٦] ، بيان لمن يقوم بالوسوسة، أي: بيان للوسواس الخناس وأنه من كل من وسواس الجنة ووسواس الناس.

ويظهر ذلك من أمور: منها: أن الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولأمته تبعا له فهو في حق الناس أظهر.

ومنها: أننا لو جعلنا الناس الأولى عامة لمن يوسوس إليه كان من الجنة والناس مصدر الوسوسة، فيكون من وسواس الناس من يوسوس في صدور الجن. وهذا بعيد.

ومنها: أنه لو كان لفظ الناس يشمل الجن والإنس، لما احتيج إلى هذا التقسيم «الجنة والناس» ، واكتفى في الثانية بما اكتفى به في الأولى، وكان يكون الذي يوسوس في صدور الناس من الناس، ولكن جاء بيان محل الوسوسة «صدور الناس» ، ثم جاء مصدر الوسوسة «الجنة والناس» ، والله تعالى أعلم.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٧٢/٨

تنبيه

ذكر أبو حيان في آخر تفسيره مقارنة لطيفة بين سورتي المعوذتين، فقال: ولما كانت مضرة الدين، وهي آفة الوسوسة أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت، جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث: الرب، والملك، والإله، وإن اتحد المطلوب.." (١)

"فريا: عجيبا، مختلقا. يا اخت هارون: يا شبيهة هارون في التقوى والصلاح. المهد: الموضع يهيأ للصبي. الكتاب: الإنجيل. يمترون: يشكون يوتنازعون.

بعد ان وضعت مريم وليدها أقبلت على أهلها تحمل عيسى، فقالوا لها مستنكرين: يا مريم، لقد جئت أمرا عظيما منكرا!! . يا أخت هارون، يا من انت شبيهة بهارون النبي في التقوى والصلاح، كيف يصدر عنك هذا العمل المنكر، وما كان أبوك بالفاجر، ولم تكن أمك من البغايا! فمن أين لك هذا الولد؟

روى أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وعبد بن حميد وغيرهم عن المغيرة بن شعبة قال: «بعثني رسول الله A إلى أهل نجران فقالوا: أرأيت ما تقرأون: ﴿ياأخت هارون﴾ وموسى وهارون قبل عيسى بزمن بعيد. قال فرجعت، فذكرت ذلك لرسول الله فقال: ألا اخبركم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم! يعني يشبهون بهم»

وفي دائرة المعارف البريطانية: ان القرآن **غلط** تاريخيا حين قال: ﴿ياأخت هارون﴾ في سورة مريم مع أن بين مريم وهارون أخ موسى مئات السنين.

وهذا طبعا من الافتراءات المبنية على الجهل الفاضح، والحديث المذكور يفسر ذلك.

﴿فأشارت إليه. . . .﴾ .

فأشارت الى ولدها عيسى ليكلموه، فقالوا: كيف نكلم طفلا لا يزال في المهد، وهم يظنون انها تزدري بهم. فلما سمع عيسى كلامهم أنطقه الله:

﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا﴾ .

يعني انه سيؤتيه الإنجيل، ويجعله نبيا، ويكون مباركا في كل أوقاته، وأين ما كان، معلما للخير، وأوصاني بالصلاة وأداء الزكاة مدة حياتي، كما أمرني ان اكون بارا بوالدتي مطيعا محسنا لها ولم يجعلني متجبرا في الناس ولا شقيا بمعصيته.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٩/١٨٢

﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ .

وهذه الآية مثل الآية التي وردت في يحيى في نفس السورة رقم ١٥.

ذلك الذي ذكرت مناقبه واوصافه هو عيسى بن مريم، وهذا هو القول الحق في شأنه الذي يجادل فيه المبطلون، ويشك في امر نبوته الشاكون، لا ما يقوله الذين ألهوه، او المتهمون لأمه في مولده.

﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه. . .﴾ .

تعالى الله وتنزه عن ان يتخذ ولدا. والولد إنما يتخذه الفانون والضعاف، والله باق قادر لا يحتاج معينا. والكائنات كلها توجد بكلمة منه، فهو إذا قضى أمرا من الأمور نفذت إرادته بكلمة – فما يريد تحقيقه يحققه بتوجه الإرادة لا بالولد المعين.

جاء ذكر عيسى بلفظ المسيح تارة وبلفظ عيسى بن مريم في القرآن في ثلاث عشرة سورة، وفي ثلاث وثلاثين آية منه.

قراءات:

قرأ الكسائي: آتاني واوصاني بالامالة. وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب: قول الحق، بنصب قول على انه مصدر. والباقون: قول الحق على انه خبر المبتدأ.." (١)

"أسماؤها

(٨) – عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «(الحمد لله رب العالمين) أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني (١)) – (١/ ٩)

(٩) – عن أبي هريرة، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال لأم القرآن: «هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم (٢)) – (١/ ٩)

(١٠) – عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إذا قرأتم (الحمد لله) فاقرؤوا (بسم الله الرحمن الرحيم)، إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، و (بسم الله الرحمن الرحيم) إحدى آياتها (٣)) – (١/ ٨)

(١١) – عن أبي هريرة – من طريق ابن لبيبة – أنه قال عن الفاتحة: هذه السبع

== (٣) – أن القائلين بمكيتها معهم زيادة علم – قاله ابن تيمية ((١) / (٥٩)

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٢/٣٩٥

) – وانتقد ابن تيمية ((١) / (٥٩)) القول بكونها لم تنزل إلا بالمدينة بقوله: «وهو **غلط** بلا ريب» – .

.١

---

(١) أخرجه أبو داود (٢) / (٥٨٦) ((١٤٥٧)) واللفظ له – وأخرجه البخاري (٦) / (٨١) ((٤٧٠٤))، بلفظ: «أم القرآن هي السبع المثاني، والقرآن العظيم» – .

(٢) أخرجه أحمد (١٥) / (٤٨٩) ((٩٧٨٨))، (١٥) / (٤٩١) ((٩٧٩٠))، وابن جرير (١) / (١٠٧) – ورجال إسناده رجال الصحيح – .

(٣) أخرجه الدارقطني (٢) / (٨٦) ((١١٩٠))، والبيهقي في الكبرى (٢) / (٦٧) ((٢٣٩٠)) – قال الدارقطني في العلل (٨) / (١٤٨) ((١٤٦٨)): «عن أبي هريرة موقوفا، وهو أشبهها بالصواب» – وقال ابن الجوزي في التحقيق في مسائل الخلاف (١) / (٣٤٧): «يرويه أبو بكر الحنفي، عن عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، وكان يحيى بن سعيد والثوري يضعفان عبد الحميد – قال أبو بكر الحنفي: لقيت نوحا فحدثني به موقوفا على أبي هريرة» – وقال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٥) / (١٤٠) ((٢٣٨٤)): «ثم قال – أي: عبد الحق الإشبيلي –: رفع هذا الحديث عبد الحميد بن جعفر، وعبد الحميد هذا وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن سعيد، وابن معين – وأبو حاتم يقول فيه: محله الصدق – وكان سفيان الثوري يضعفه، ويحمل عليه، ونوح بن أبي بلال ثقة مشهور – هذا نص ما ذكره به، وهو بهذا القول صححه، وهو لا يصح» – وقال النووي في خلاصة الأحكام (١) / (٣٦٨) ((١١٣١)): «رواه الدارقطني، وقال: رجال إسناده ثقات كلهم – وروي موقوفا» – وقال الذهبي في تنقيح التحقيق (١) / (١٤٤): «الصحيح وقفه إن صح» – وقال الزيلعي في نصب الراية (١) / (٣٤٣): «الصواب فيه الوقف» – وقال ابن الملقن في البدر المنير (٣) / (٥٥٨): «هذا الحديث صحيح» – وقال ابن حجر في إتحاف المهرة (١٤) / (٦٦٤) ((١٨٤٤١)): «والموقوف أصح» – وقال في التلخيص الحبير (١) / (٥٧٣) ((٣٤٧)): «وهذا الإسناد رجاله ثقات، وصحح غير واحد من الأئمة وقفه على رفعه» – وأورده الألباني في الصحيحة (٣) / (١٧٩) ((١١٨٣)) – .." [1]

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣/١

"(١١٠٢) – عن عبد الله بن عباس – من طريق أبي روق، عن الضحاك – قال: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة، يقال لهم: الجن، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة، قال: وكان اسمه: الحارث – قال: وكان خازنا من خزان الجنة – قال: وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي – قال: وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار – وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت – – قال:

» – ثم انتقد ابن جرير ((١) / (٤٨٩) – (٤٩١) بتصرف) هذا الخبر بدلالة العقل بقوله: «هذا إذا تدبره ذو الفهم علم أن أوله يفسد آخره، وأن آخره يبطل معنى أوله؛ وذلك أن الله – جل ثناؤه – إن كان أخبر الملائكة أن ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض تفسد فيها، فقالت الملائكة لربها: (أتجعل فيها من يفسد فيها)؛ فلا وجه لتوبيخها على أن أخبرت عمن أخبرها الله عنه أنه يفسد في الأرض، فيجوز أن يقال لها فيما طوي عنها من العلوم: أخبرونا بالذي قد طوى الله عنكم علمه، كما قد أخبرتمونا بالذي قد أطلعكم الله عليه – بل ذلك خلف من التأويل، ودعوى على الله ما لا يجوز أن يكون له صفة، وأخشى أن يكون بعض نقلة هذا الخبر هو الذي **غلط** على من رواه عنه من الصحابة، وأن يكون التأويل منهم كان على ذلك: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فيما ظننتم أنكم أدركتموه من العلم بخبري إياكم أن بني آدم يفسدون في الأرض، ويسفكون الدماء، حتى استجزتم أن تقولوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء – فيكون التوبيخ حينئذ واقعا على ما ظنوا أنهم قد أدركوا بقول الله لهم: إنه يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء – لا على إخبارهم بما أخبرهم الله به أنه كائن؛ وذلك أن الله – جل ثناؤه – وإن كان أخبرهم عما يكون من بعض ذرية خليفته في الأرض ما يكون منه فيها من الفساد وسفك الدماء، فقد كان طوى عنهم الخبر عما يكون من كثير منهم بما يكون من طاعتهم ربهم، وإصلاحهم في أرضه، وحقن الدماء، ورفعه منزلتهم، وكرامتهم عليه، فلم يخبرهم بذلك – فقالت الملائكة: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) على ظن منها – على تأويل هذين الخبرين اللذين ذكرت وظاهرهما – أن جميع ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض يفسدون فيها، ويسفكون فيها الدماء – فقال الله لهم: (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أنكم تعلمون أن جميع بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، على ما ظننتم في أنفسكم – إنكارا منه – جل ثناؤه – لقيلهم ما قالوا من ذلك على الجميع والعموم، وهو من صفة خاص ذرية الخليفة منهم» – وعلق ابن كثير ((١) / (٢٣٠)) على هذه الرواية بقوله: «هذا الإسناد إلى

هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة» - .." (١)

"(وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة) - ثم إن الله - جل ثناؤه - أحياهم، فقاموا، وعاشوا رجلا رجلا، ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون، فقالوا: يا موسى، أنت تدعو الله فلا تسأله شيئا إلا أعطاك، فادعه يجعلنا أنبياء - فدعا الله تعالى، فجعلهم أنبياء، فذلك قوله: (ثم بعثناكم من بعد موتكم)، ولكنه قدم حرفا وأخر حرفا (١) [٢٣٣] - (ز)

(١٨٢٠) - قال مقاتل بن سليمان: - قال السبعون لموسى: نحن أصحابك، جئنا معك، ولم نخالفك في أمر، ولنا عليك حق؛ فأرنا الله جهرة - يعني: معاينة - كما رأيته - فقال موسى: والله، ما رأيته، ولقد أردته على ذلك، فأبى، وتجلى للجبل فجعله دكا - يعني: فصار دكا - ، وكان أشد مني وأقوى - فقالوا: إنا لا نؤمن بك ولا نقبل ما جئت به حتى تريناه معاينة - فلما قالوا ذلك أخذتهم الصاعقة، يعني: الموت عقوبة - ثم أنعم الله عليهم، فبعثهم، وذلك أنهم لما صعقوا قام موسى يبكي، وظن أنهم إنما صعقوا بخطيئة أصحاب العجل، فقال في سورة الأعراف [(١٥٥)]: (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) - وقال: يا رب، ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقد أهلكت أحبارهم؟! فبعثهم الله لما وجد موسى من أمرهم، فذلك قوله سبحانه: (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) ذكر محققه أن هذه الآية في إحدى النسخ، لكن أثبت بدلا عنها قوله تعالى: (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ((٥٢))) بناء على نسخ أخرى!، والصحيح خلاف ذلك؛ لأن الآية التي أثبتها قد تقدمت، وهي في سياق اتخاذ بني إسرائيل العجل.، يقول: لكي تشكروا ربكم في هذه النعمة، فبعثوا يوم ماتوا، ثم

---

٢٣٣ علق ابن كثير ((١) / (٤٠٥) - (٤٠٦)) على هذا الأثر بقوله: «وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه إلى بني إسرائيل في قوله: (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)، والمراد السبعون المختارون منهم، ولم يحك كثير من المفسرين سواه، وقد أغرب فخر الدين الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين: أنهم بعد إحيائهم قالوا: يا موسى، إنك لا تطلب من الله شيئا إلا أعطاك، فادعه أن يجعلنا أنبياء، فدعا بذلك فأجاب الله دعوته - وهذا غريب جدا، إذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هارون، ثم يوشع بن نون - وقد **غلط** أهل الكتاب أيضا في دعواهم أن هؤلاء رأوا الله ، فإن موسى الكليم

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١/٢٠٣

قد سأل ذلك فمنع منه، فكيف يناله هؤلاء السبعون؟!» - .

---

(١) أخرجه ابن جرير (١) / (٦٩٥)، وابن أبي حاتم (١) / (١١٣)." [١]

"(لتقرأه على الناس على مكث) [الإسراء: ١٠٩] قال: «التفسير الذي قال الله: (رتل القرآن ترتيلا) [المزمل: ٤] تفسيره» (١).

ومن أمثلته عند الأئمة الخمسة قول ابن عطية (ت: ٥٤١ هـ) موجها بعض المعاني - مستندا إلى النظائر -: «وقوله تعالى: (سيطوقون) [آل عمران: ١٨٠] على هذا التأويل معناه: سيحملون عقاب ما بخلوا به. فهو من الطاقة؛ كما قال تعالى: (وعلى الذين يطيقونه) (البقرة: ١٨٤)، وليس من التطويق (٢) ورجح ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) عموم قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) [آل عمران: ١١٠]؛ مستندا إلى النظائر، فقال: «والصحيح أن الأمة كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما قال في الآية الأخرى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)؛ أي: خيارا. (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (البقرة: ١٤٣]» (٣).

١٠ - السياق:

وهو مجموع المعنى المتصل بالآية مما قبلها وبعدها (سباق الآية ولحاقها).

والأخذ به لازم، ودلالته معتبرة، ولا يصح الخروج عنه إلا بمقتضى دليل، إذ به يتبين مراد المتكلم، وتكشف مشكلات المعاني، قال ابن جرير (ت: ٣١٠ هـ): «غير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها؛ من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة، فأما الدعاوي فلا تتعذر على أحد (٤)، وقال ابن دقيق العيد (ت: ٧٠٢ هـ): «يجب اعتبار ما دل عليه السياق والقرائن؛ لأن بذلك يتبين مقصود الكلام، (٥) وقال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ): «السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد .. ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في

---

(١) جامع البيان ١٥/ ١١٧.

---

[١] موسوعة التفسير المأثور ١/٣٥٨

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٣١٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٢.

(٤) جامع البيان ٦٧٥/ ٧.

(٥) البحر المحيط في الأصول ٣٦٧/ ٢، وينظر: سلاسل الذهب ص ٢٧١.." [١]

"النقدية للأئمة في كل رواية دون تحقيق مناطات تلك الأوصاف وتنقحبها والخبرة بكيفيات تطبيقها؟

قال الخليلي: «وإذا أسند لك الحديث عن الزهري وعن غيره من الأئمة فلا تحكم بصحته بمجرد الإسناد؛ فقد يخطئ الثقة (١).

وقال أبو الوليد الباجي: «وقد يكون الحديث يرويه الثقة عن الثقة ولا يكون صحيحا؛ لعلة دخلته من جهة **غلط** الثقة فيه، وهذه الوجوه كلها لا يعرفها إلا من كان من أهل العلم بهذا الشأن وتتبع طرق الحديث واختلاف الرواة فيه، وعرف الأسماء والكني (٢).

فكلامهم ظاهر جدا في أن نظر الناقد للخطأ من حيث تسربه للخبر أو انتفائه عنه لا لذات الثقة ولا لذات الضعيف؛ لكون الحكم النقدي لا بد أن يكون مؤسسا على شيء ثابت؛ وهو الجزم بانتفاء الخطأ أو الجزم بوقوعه، وهذا لا يكفي فيه مجرد كون الراوي من حيث الأصل ثقة أو ضعيفا لما يلي:

أ- أن التوثيق لا يعني العصمة من الخطأ، والتضعيف لا يمنع من إصابة متجه الصواب.

ب - أن الرواة بشر تعتريهم مجموعة من العوامل والعوارض الزمانية والمكانية والعلمية وغيرها، التي تجعل رواياتهم تتفاوت صعودا ونزولا، قوة وضعفا، ضبا ووهما؛ فمنهم من يعتريه الخطأ لكبر سنه أو لمرض لحقه أو لاختلاط عقله أو الضياع كتبه أو لتميزه في حديث بلد دون بلد أو شيخ دون شيخ أو لروايته عن شيخ في وقت أو حال لم يقبل أهل العلم فيه رواية شيخه، أو لغير ذلك من العوامل والعوارض.

ولما كان الحكم على الرواة يكتنفه جانبا العدالة والضبط؛ نظر النقاد إلى جانب العدالة فردوا أحاديث كل من سقطت عدالته؛ وكان على رأس هؤلاء

من عرف بالكذب في روايته؛ فردوا روايته ولم يعتبروها في شيء من أمور الدين، قال البيهقي في معرض تصنيفه للرواة مقررا ذلك: «. وضرب رواه من كان معروفا بوضع الحديث والكذب فيه؛ فهذا الضرب لا يكون مستعملا في شيء

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٦٦/١

(١) الإرشاد للخليلي ٢٠١/ ١.

(٢) التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ١/ ٢٩٧.." [١]

"من أمور الدين إلا على وجه التليين (١)

المتمادي في غلطه الذي به النقاد على خطئه فلم يرجع؛ فقد اقيل لشعبة: من الذي يترك الرواية عنه؟ قال: إذا أكثر عن المعروفين ما لم يعرف من المعروفين من الرواية، أو أكثر الغلط، أو تمادى في **غلط** مجتمع عليه؛ فلم يتهم نفسه عند اجتماعهم على خلافه، أو يتهم بكذب. أما سوي من وصفت فأروي عنهم (٢)

وقال حمزة بن يوسف السهمي في سؤالاته للدارقطني: «وسألته عمن يكون كثير الخطأ؟ قال: إن نبهوه عليه ورجع عنه فلا يسقط، سقط» (٣)

ولما نظر القاد إلى جانب الضبط قسموا الرواة إلى أصناف بحسب تفاوتهم في الضبط؛ قال عبد الرحمن بن مهدي: «المحدثون ثلاثة: رجل حافظ متقن؛ فهذا لا يختلف فيه، وآخر يوهم والغالب على حديثه الصحة؛ فهذا لا يترك حديثه، والآخر يوهم والغالب على حديثه الوهم؛ فهذا متروك الحديث (٤)، والنقاد وإن اعتمدوا ذلك التصنيف في جملته إلا أنهم لم يجعلوه تصنيفا مطردا للرواة في كل رواية وفي كل حال؛ بل عرفوا أن هذا الإجمال يكتنز بداخله كثيرا من التفاصيل الدقيقة والأحوال الجزئية والقرائن الخفية التي تفتقر إليها عملية قبول الحديث أو رده، وذلك ما عبر عنه ابن رجب بعبارته الرائقة التي أصابت المحز: «ولهم في كل حديث نقد خاص، وليس عندهم لذلك ضابط يضبطه (٥) ولذا رد أهل العلم ونقاد الحديث بعض أحاديث الثقات وحكموا ببطلانها؛ لأنهم تيقنوا من وقوع الخطأ فيها من قبل الثقات؛ فمن ذلك ما رواه الخطيب بسنده عن محمد بن علي بن حمزة المروزي؛ أنه سأل ابن معين عن حديث رواه نعيم بن حماد، فقال ابن معين: «ليس له أصل. قل: فنعيم بن حماد؟ قال: نعيم ثقة! قلت: كيف يحدث ثقه بباطل؟! قال: شبه له»؛ فتوثيق ابن معين لنعيم بن حماد لم يمنعه من تضعيف الخبر، وهو كاف وصريح فيما نحن بصدده والأمثلة على ذلك كثيرة (٧).

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٤.

(٢) الضعفاء للعقيلي ١٣/ ١.

(٣) سؤالات حمزة للدارقطني ص ٧٢.

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٩١/١

(٤) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي ص ٤٠٦.

(٥) شرح علل الترمذي ٢/ ٥٨٢.

(٦) تاريخ بغداد (٣٠٩/ ١٣.

(٧) ينظر: الإرشادات في تقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات ص ٨٢ – ١٠٢، فقد حشد كثيرا من الأمثلة على ذلك.." [١]

"الصفحة ٥ المدخل إلى قتالية منهج المحدثين في نقد مرويات التفسير وكما رد النقاد بعض أحاديث الثقات قبلوا بعض أحاديث الضعفاء لاعتبارات و قرائن قامت عندهم على صحتها؛ ولذا كان من أجوبة ابن حجر على من انتقدوا على البخاري روايته لبعض الضعفاء قوله: وقد تقرر أن البخاري حيث يخرج لبعض من فيه مقال لا يخرج شيئا مما أنكر عليه» (١).

وقال ابن رشيد البتي مخاطبا الإمام مسلما: « ... وكذلك أيضا كم أهل الصناعة فيما أخرجتما من أحاديث الثقات الذين قد اختلطوا؛ فحملوا ذلك على أنه مما ژوي عنهم قبل الاختلاط، أو مما سلموا فيه عند التحديث» (٢).

ونقل ابن القيم اعتراضا على مسلم كذلك في إخراجه لبعض الضعفاء في صحيحه، ثم أجاب بقوله: «ولا عيب على مسلم في إخراج حديثه؛ لأنه ينتقي من أحاديث هذا الضرب ما يعلم أنه حفظه، كما يطرح من أحاديث الثقة ما يعلم أنه **غلط** فيه (٣)؛ وإذا فليس الخوف الذي يعتري ،الناقد من ذات الراوي؛ بل هو فيما يمكن أن يكون الراوي فعله في الرواية فأفسدها، فإن غاية ما يمكن أن يصنعه الراوي المتروك أو الضعيف جدا، بل والكذاب في الرواية، هو أن يقلب إسنادا أو يركب متنا، وهذا قد يقع فيه هين الضعف، بل والثقة أحيانا إذا ما أخطأ؛ فقد يدخل عليه حديث في حديث، وقد يقلب فيبدل كذابا كان في الإسناد، فيضع مكانه ثقة، خطأ لا عمدا، وقد يأتي إلى حديث معروف بإسناد ضعيف، فيبدل إسناده بإسناد آخر صحيح، وقد يسقط من الإسناد كذابا أو متروكا كان فيه، ويسوي الحديث ثقة عن ثقة، وهما لا عمدا؛ غاية ما هنالك، أن الثقة قلما بخلاف الضعيف والمتروك؛ فإنه كثيرا ما يقع منه ذلك، ولهذا ضعفوا الضعيف، ولم يضعفوا الثقة، وإن كانوا لم يترددوا في الحكم على هذا القليل الذي أخطأ فيه الثقة بالنكارة والبطلان» (٤)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١/٤٩٢

(١) مقدمة الفتح ١٨٩/ ١.

(٢) السنن الأبين ص ١٥٨.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ٣٥٣.

(٤) الإرشادات في تقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات ص ١٠٢، ١٠٣، بتصرف.." [1]

"وقول سفيان الثوري: الا تأخذوا هذا العلم في الحلال والحرام إلا من الرؤساء المشهورين بالعلم الذين يعرفون الزيادة والنقصان، ولا بأس بما سوى ذلك من المشايخ (١)

وقوله: «خذوا هذه الرغائب وهذه الفضائل من المشيخة؛ فأما الحلال والحرام فلا تأخذوه إلا عمن يعرف الزيادة فيه من النقص» (٢). وقول ابن عيينة: «لا تسمعوا من بقية ما كان في شئة، واسمعوا منه ما كان في ثواب وغيره (٣)

وقول الإمام أحمد: «إذا روينا عن رسول الله في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الأعمال وما لا يضع حكما ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد (٤).

وقوله في محمد بن إسحاق: «أما في المغازي وأشباهه فيكتب، وأما في الحلال والحرام فيحتاج إلى مثل هذا. ومد يده وضم أصابعه» (٥)

وقال ابن أبي حاتم بعد ذكره لأوصاف أهل العدالة من الرواة: « ... هؤلاء أهل العدالة؛ فيتمسك بالذي رووه، ويعتمد عليه، ويحكم به، وتجري أمور الدين عليه، وليعرف أهل الكذب تخرضا، وأهل الكذب وهما، وأهل الغفلة والنسيان والغلط ورداءة الحفظ؛ فيكشف عن حالهم وينبأ عن الوجوه التي كان مجرى روايتهم عليها، إن كذب فكذب، وإن وهم فوهم، وان غلط فغلط، وهؤلاء هم أهل الجرح، فيسقط حديث من وجب منهم أن يسقط حديثه ولا يعبأ به ولا يعمل عليه، ويكتب حديث من وجب كتب حديثه منهم على معنى الاعتبار، ومن حديث بعضهم الآداب الجميلة والمواعظ الحسنة والرقائق والترغيب والترهيب هذا أو نحوه (٦).

وقال أيضا عند الكلام عن مراتب الرواة: «فمنهم الثبت الحافظ الورع المتقن الجهبذ الناقد للحديث؛ فهذا الذي لا يختلف فيه، ويعتمد على جرحه وتعديله،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٩٣/١

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ١/ ١٣٤.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٩١/ ٢

(٣) الجرح والتعديل ٢/ ٤٣٥.

(٤) الكفاية للخطيب البغدادي ١٣٤/ ١.

(٥) الجرح والتعديل ١٩٣/ ٧، وبنحوه الدوري في تاريخ ابن معين ٣/ ٦٠.

(٦) الجرح والتعديل ٦/ ١..." [1]

"(والمقيمين الصلاة)

(٢١٠٢٠) - عن عروة، قال: سألت عائشة عن لحن القرآن: (إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصائبون) [المائدة: (٦٩)]، و(والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة)، و " إن هذان لساحران " [طه: (٦٣)] - فقالت: يا ابن أختي، هذا عمل الكتاب، أخطئوا في الكتاب أخرجه أبو عبيد في فضائله ص (١٦٠) - (١٦١)، وسعيد بن منصور ((٧٦٩) - تفسير)، وابن جرير (٧) / (٦٨٠) - (٦٨١)، وابن أبي داود ص (٣٤).وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي شيبة - .

(٢١٠٢١) - عن الزبير بن خالد، قال: قلت لأبان بن عثمان بن عفان: ما شأنها كتبت: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة)، ما بين يديها وما خلفها رفع، وهي نصب؟ قال: إن الكاتب لما كتب: (لكن الراسخون) حتى إذا بلغ قال: ما أكتب؟ قيل له: اكتب: (والمقيمين الصلاة) - فكتب ما قيل له أخرجه ابن جرير (٧) / (٦٨٠)، وابن أبي داود في المصاحف ص (٣٣) - (٣٤) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - نقل ابن جرير ((٧) / (٦٨٠) - (٦٨٣)) اختلاف المفسرين في المقيمين الصلاة، أهم الراسخون في العلم أم غيرهم؟ على قولين: الأول: أن المقيمين الصلاة هم الراسخون في العلم - وهؤلاء اختلفوا في سبب مخالفة إعرابهم إعراب الراسخين في العلم، على قولين: أحدها: أن ذلك **غلط** من الكاتب، وإنما هو: لكن الراسخون في العلم منهم والمقيمون الصلاة، وذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود: (والمقيمون الصلاة) - ثانيها: أن المقيمين الصلاة من صفة الراسخين في العلم، لكن لما طال الكلام المعترض بينهما نصب على وجه المدح - الثاني: المقيمون الصلاة من صفة غير الراسخين في العلم في هذا الموضع، وإن كان الراسخون في العلم من المقيمين الصلاة - وهؤلاء كلهم قالوا: موضع المقيمين في الإعراب خفض، ثم اختلفوا في

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٩٥/١

معنى الكلام على أقوال: أحدها: «معنى ذلك:
." (١)

"والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبإقام الصلاة – قالوا: ثم ارتفع قوله: (والمؤتون الزكاة) عطفا على ما في (يؤمنون) من ذكر المؤمنين، كأنه قيل: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك هم والمؤتون الزكاة» – ثانيها: «المقيمون الصلاة: الملائكة – قالوا: وإقامتهم الصلاة تسبيحهم ربهم، واستغفارهم لمن في الأرض – قالوا: ومعنى الكلام: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالملائكة» – ثالثها: «بل معنى ذلك: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ويؤمنون بالمقيمين الصلاة، هم والمؤتون الزكاة، كما قال – جل ثناؤه – : (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) [التوبة: (٦١)]» – رابعها: «معنى ذلك: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة – وقالوا: موضع (والمقيمين) خفض» – خامسها: «معناه: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة» – ورجح ابن جرير ((٧ / (٦٨٣)) مستندا إلى القراءات أن يكون (والمقيمين) في موضع خفض عطفا على (وما) التي في قوله: (وما أنزل من قبلك)، «وأن يوجه معنى المقيمين الصلاة إلى الملائكة، فيكون تأويل الكلام: والمؤمنون منهم يؤمنون بما أنزل إليك يا محمد من الكتاب، وبما أنزل من قبلك من كتبي، وبالملائكة الذين يقيمون الصلاة؛ ثم يرجع إلى صفة الراسخين في العلم، فيقول: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بالكتب والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر»، وقال معللا: "لأنه قد ذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب: (والمقيمين)، وكذلك هو في مصحفه فيما ذكروا – ثم انتقد ((٧) / (٦٨٤)) مستندا إلى رسم المصحف، وقراءة المسلمين قول عائشة، وأبان بن عثمان أن ذلك **غلط** من الكاتب؛ بأنه لو «كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابته، بخلاف ما هو في مصحفنا، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ، مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بألسنتهم، ولقنوه الأمة تعليما على وجه الصواب – وفي نقل المسلمين جميعا ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوما أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنع في ذلك للكاتب» – وانتقد ((٧) / (٦٨٤) – (٦٨٥)) باقي الأقوال مستندا إلى الأفصح في لغة العرب، وعدم الدليل على

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤٤/١١

صحة بعضها قائلا: «وأما من وجه ذلك إلى النصب على وجه المدح للراسخين في العلم، وإن كان ذلك قد يحتمل على بعد من كلام العرب؛ لما قد ذكرت قبل من العلة، وهو أن العرب لا تعدل عن إعراب الاسم المنعوت بنعت في نعته إلا بعد تمام خبره، وكلام الله أفصح الكلام؛ فغير جائز توجيهه إلا إلى الذي هو به من الفصاحة - وأما توجيه من وجه ذلك إلى العطف به على الهاء والميم في قوله: (لكن الراسخون في العلم منهم)، أو إلى العطف على الكاف من قوله: (بما أنزل إليك)، أو إلى الكاف من قوله: (وما أنزل من قبلك) فإنه أبعد من الفصاحة من نصبه على المدح؛ لما قد ذكرت قبل من قبح رد الظاهر على المكني في الخفض - وأما توجيه من وجه المقيمين إلى الإقامة، فإنه دعوى لا برهان عليها من دلالة ظاهر التنزيل، ولا خبر تثبت حجته، وغير جائز نقل ظاهر التنزيل إلى باطن بغير برهان» - وفي هذا المعنى ذكر ابن تيمية ((٢) / (٣٦٥)) ما روي عن عثمان أنه قال: إن في القرآن لحنا ستقيمه العرب بألستنها - ثم انتقده مستندا إلى الدلالة العقلية قائلا: «ومما يبين كذب ذلك: أن عثمان لو قدر ذلك فيه، فإنما رأى ذلك في نسخة واحدة، فأما أن تكون جميع المصاحف اتفقت على الغلط، وعثمان قد رآه في جميعها، وسكت: فهذا ممتنع عادة وشرعا من الذين كتبوا، ومن عثمان، ثم من المسلمين الذين وصلت إليهم المصاحف ورأوا ما فيها، وهم يحفظون القرآن، ويعلمون أن فيه لحنا لا يجوز في اللغة، فضلا عن التلاوة، وكلهم يقر هذا المنكر لا يغيره أحد، فهذا مما يعلم بطلانه عادة، ويعلم من دين القوم الذين لا يجتمعون على ضلالة؛ بل يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر أن يدعوا في كتاب الله منكرا لا يغيره أحد منهم، مع أنهم لا غرض لأحد منهم في ذلك، ولو قيل لعثمان: مر الكاتب أن يغيره لكان تغييره من أسهل الأشياء عليه - فهذا ونحوه مما يوجب القطع بخطأ من زعم أن في المصحف لحنا أو غلطا، وإن نقل ذلك عن بعض الناس ممن ليس قوله حجة، فالخطأ جائز عليه فيما قاله؛ بخلاف الذين نقلوا ما في المصحف وكتبوه وقرأوه، فإن الغلط ممتنع عليهم في ذلك، وكما قال عثمان: إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش - وكذلك قال عمر لابن مسعود: أقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل؛ فإن القرآن لم ينزل بلغة هذيل» - وانتقد ابن كثير ((٤) / (٣٦٩)) اختيار ابن جرير بأن المراد بالمقيمين الصلاة: الملائكة، قائلا: «وفي هذا نظر» - .

(٢١٠٢٢) - عن سعيد بن جبير، قال: في القرآن أربعة أحرف: (الصائبون)، (والمقيمين)، (فأصدق وأكن من الصالحين) [المنافقون: (١٠)]، و " إن هذان لساحران " [طه: (٦٣)] أخرجه ابن أبي داود ص (٣٣)

- .

." (١)

"(٢٢٠٩٧) - عن عتبة بن عبد السلمي، قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: «ألا تقاتلون!» - قالوا: نعم، ولا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون - ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون أخرجه أحمد (٢٩) / (١٩٠) ((١٧٦٤١))، (٢٩) / (١٩٣) - (١٩٤) ((١٧٦٤٥)، (١٧٦٤٦)) - وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (٣) / (٧٨) - واللفظ له - قال الهيثمي في المجمع (٦) / (٧٤) - (٧٥) ((٩٩٥٢)): «رواه أحمد، ورجاله ثقات» - .

(٢٢٠٩٨) - عن طارق بن شهاب: أن المقداد قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر: يا رسول الله، إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون - ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون أخرجه أحمد (٣١) / (١٢٤) ((١٨٨٢٧))، وابن جرير (٨) / (٣٠٣) - قال ابن كثير في جامع المسانيد (٤ ، / (٣٨٥) ((٥٤٥٣)): «إسناد صحيح، ولم يخرجوه» - وقال في البداية والنهاية (٢) / (١٢٩): «وهذا إسناد جيد من هذا الوجه، وله طرق أخرى» - .

(٢٢٠٩٩) - عن ابن مسعود، قال: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا، لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا - ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك وخلفك - فرأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - أشرق وجهه، وسره، يعني: قوله أخرجه البخاري (٥) / (٧٣) ((٣٩٥٢)) - .

(٢٢١٠٠) - عن قتادة: ذكر: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه يوم الحديبية حين صد المشركون الهدي وحيل بينهم وبين مناسكهم: «إني ذاهب بالهدي فناحره عند البيت» - فقال المقداد بن الأسود: أما والله، لا نكون كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم: اذهب أنت وربك فقاتلا إن ا ها هنا قاعدون - ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون أخرجه ابن جرير (٨) / (٣٠٤) - وأورده الثعلبي (٤) / (٤٣) - قال ابن كثير في تفسيره (٣) / (٧٩): «وهذا إن كان محفوظا يوم الحديبية، فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر» - وقال الألباني في الصحيحة (٧) / (١٠٢٢) عن

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤٥/١١

إسناد ابن جرير: «وهذا إسناد مرسل صحيح» - انتقد ابن عطية ((٣) / (١٤٠)) قول قتادة مستندا إلى التاريخ، فقال: «غلط قتادة في وقت النازلة، والكلام إنما وقع في غزوة بدر حين نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذفران، فكلم الناس وقال لهم: «أشيروا علي، أيها الناس» - فقال له المقداد هذه المقالة في كلام طويل» - .

(قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين (٢٥))

قراءات

(٢٢١٠١) - عن عبيد بن عمير - من طريق عمرو بن دينار - قرأ: (فافرق) بكسر الراء أخرجه سعيد بن منصور في سننه (ت: سعد آل حميد) (٤) / (١٤٥٢) ((٧٢٧)) - وهي قراءة شاذة - انظر: مختصر ابن خالويه ص (٣٨) - .

تفسير الآية

(قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي)

(٢٢١٠٢) - قال محمد بن السائب الكلبي - من طريق يحيى بن سلام - في قوله: (لا أملك إلا نفسي وأخي)، أي: وأخي لا يملك إلا نفسه أخرجه أبو عمرو الداني في المكتفى ص (٥٩) ((٦)) - .

(٢٢١٠٣) - قال مقاتل بن سليمان: (قال رب إني لا أملك) من الطاعة (إلا نفسي وأخي) هارون تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٤٦٧) - .

(فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين (٢٥))

(٢٢١٠٤) - عن عبد الله بن عباس - من طريق العوفي - في قوله: (فافرق)، يقول: اقض أخرجه ابن جرير (٨) / (٣٠٦) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٢٢١٠٥) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - في قوله: (فافرق بيننا وبين

". [1]

"(٢٨٧٩٠) - عن نوف البكالي - من طريق أبي عمران الجوني - قال: أوحى الله إلى الجبال: إني نازل على جبل منكم - قال: فشمخت الجبال كلها إلا جبل الطور، فإنه تواضع، قال: أرضى بما قسم لي - فكان الأمر عليه - وفي لفظ: قال: إن قدر لي شيء فسيأتيني - فأوحى الله إليه: إني سأنزل عليك بتواضعك لي، ورضاك بقدرتي أخرجه أحمد في الزهد ص (٦٦)، وأبي نعيم في الحلية (٦) / (٤٩) دون

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٦٤/١١

آخره - .

(٢٨٧٩١) - عن قتادة بن دعامة، قال: لما قيل للجبال: إنه يريد أن يتجلى - تطاولت الجبال كلها، وتواضع الجبل الذي تجلى له عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(فإن استقر مكانه فسوف تراني)

(٢٨٧٩٢) - عن عبد الله بن عباس، قال: تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية: (رب أرني أنظر إليك) - قال: «قال الله: يا موسى، إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده أي: تدحرج وسقط - النهاية (دأدأ).، ولا رطب إلا تفرق. وإنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم، ولا تبلى أجسادهم» أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٣) / (٢٣٥)، وأبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ص (١٧٥) - (١٧٦)، من طريق الحكيم الترمذي، عن محمد بن رزام الأيلي، قال: حدثنا محمد بن عطاء الهجيمي، حدثنا محمد بن نصير، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس به -كذا سياق الإسناد في طبقات الصوفية، وفي الحلية: محمد بن عطاء، عن الهجيمي - وكلاهما غلط، والصواب: أحمد بن عطاء الهجيمي - ففي لسان الميزان لابن حجر (١) / (٥٣٧): «قال الدارقطني:» متروك « - والراوي عنه - وهو محمد بن رزام الأيلي - إن كان هو السليطي فقد قال عنه ابن حجر في لسان الميزان (٧) / (١٣٣):» متهم بوضع الحديث، يكنى أبا عبد الملك، قال الأزدي: تركوه - وقال الدارقطني: يحدث بأباطيل" - .

(٢٨٧٩٣) - عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لما أوحى الله إلى موسى بن عمران: إني مكلمك على جبل طور سيناء - صار من مقام موسى إلى جبل طور سيناء أربع فراسخ في أربع فراسخ رعد وبرق وصواعق، فكانت ليلة قر القر: البرد - النهاية (قرر).، فجاء موسى حتى وقف بين يدي صخرة جبل طور سيناء، فإذا هو بشجرة خضراء، الماء يقطر منها، وتكاد النار تلفح من جوفها، فوقف موسى متعجبا، فنودي من جوف الشجرة:

." (١)

"ولا صدقت ولا علمت، فإن هذا مكابرة؛ إذ أقل أحواله الاتصاف، وهو ثابت - وأيضا فإن هذا لم يأت في شيء من الأفعال المأمور بها إلا في القتل والرمي ببدر، ولو كان هذا لعموم خلق الله أفعال العباد لم يختص ببدر - الثالث: أن الله سبحانه خرق العادة في ذلك، فصارت رءوس المشركين تطير قبل وصول السلاح إليها بالإشارة، وصارت الجريدة تصير سيفا يقتل به - وكذلك رمية رسول الله - صلى الله عليه

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٢٣/١٥

وسلم - أصابت من لم يكن في قدرته أن يصيبه، فكان ما وجد من القتل وإصابة الرمية خارجا عن قدرتهم المعهودة؛ فسلبوه لانتفاء قدرتهم عليه - وهذا أصح، وبه يصح الجمع بين النفي والإثبات (وما رميت) أي: ما أصبت (إذ رميت) إذ طرحت (ولكن الله رمى) أصاب - وهكذا كل ما فعله الله من الأفعال الخارجة عن القدرة المعتادة بسبب ضعيف كإنباع الماء، وغيره من خوارق العادات، أو الأمور الخارجة عن قدرة الفاعل - وهذا ظاهر، فلا حجة فيه لا على الجبر، ولا على نفي التولد» - وقال ابن القيم ((١) / (٤٣٩)): «اعتقد جماعة أن المراد بالآية سلب فعل الرسول عنه، وإضافته إلى الرب تعالى، وجعلوا ذلك أصلا في الجبر وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد، وتحقيق نسبتها إلى الرب وحده، وهذا غلط منهم في فهم القرآن، فلو صح ذلك لوجب طرده في جميع الأعمال، فيقال: ما صليت إذ صليت، وما صمت إذ صمت، وما ضحيت إذ ضحيت، ولا فعلت كل فعل إذ فعلته، ولكن الله فعل ذلك، فإن طردوا ذلك لزمهم في جميع أفعال العباد طاعتهم ومعاصيهم؛ إذ لا فرق، فإن خصوه بالرسول وحده وأفعاله جميعها أو رميه وحده تناقضوا، فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية - وبعد، فهذه الآية نزلت في شأن رميه المشركين يوم بدر بقبصة من الحصباء، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته، ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ، فكان منه مبدأ الرمي، وهو الحذف، ومن الله نهايته، وهو الإيصال، فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه، ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته، ونظير هذا قوله في الآية نفسها: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم)، ثم قال: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)، فأخبره أنه هو وحده هو الذي تفرد بقتلهم، ولم يكن ذلك بكم أنتم، كما تفرد بإيصال الحصى إلى أعينهم، ولم يكن ذلك من رسوله، ولكن وجه الإشارة بالآية أنه سبحانه أقام أسبابا ظاهرة؛ كدفع المشركين، وتولى دفعهم وإهلاكهم بأسباب باطنة غير الأسباب التي تظهر للناس، فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافا إليه به، وهو خير الناصرين» - وبنحوه قال ابن جرير ((١١) / (٨٢) - (٨٣))، وكذا ابن عطية ((٤) / (١٥٦) - (١٥٧)) - وذكر ابن عطية أن قوله: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) يحتمل احتمالات: الأول: أن يكون مرادا به ما أيضا ما في قوله: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) - الثاني: أن يريد، وما رميت الرعب في قلوبهم إذ رميت حصياتك، ولكن الله رماه، وذكر أنه منصوص في المهدوي وغيره - الثالث: أن يريد: وما أغنيت إذ رميت حصياتك، ولكن الله رمى، أي أعانك وأظفرك، والعرب تقول في الدعاء: رمى الله لك، أي: أعانك وصنع لك - وذكر أن أبا عبيدة حكاه في كتاب المجاز - .

(وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم (١٧))
". (١)

"(٣١٧٠٣) - قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هي شهور العهد تفسير الثعلبي (٥) / (١٢) - أفادت الآثار اختلاف المفسرين في تعيين الأشهر الحرم في هذه الآية على قولين: الأول: هي ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب - والثاني: أنها الأربعة التي قال الله فيها: (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر)، وهي: عشرون من ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وربيع أول، وعشر من ربيع الآخر - ورجح ابن كثير ((٧) / (١٤٨)) مستندا إلى السياق، وإلى لغة العرب القول الثاني، فقال: «والذي يظهر من حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس في رواية العوفي عنه، وبه قال مجاهد، وعمرو بن شعيب، ومحمد بن إسحاق، وقتادة، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها في قوله: (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر)، ثم قال: (فإذا انسلخ الأشهر الحرم)، أي: إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم فيها قتالهم، وأجلناهم فيها، فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم؛ لأن عود العهد على مذكور أولى من مقدر؛ ثم إن الأشهر الأربعة المحرمة سيأتي بيان حكمها في آية أخرى بعد في هذه السورة الكريمة» - وانتقد ابن تيمية ((٨) / (٥١٤) منهاج السنة النبوية) القول الأول قائلا: «وهذه الحرم المذكورة في قوله: (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الآية ليس المراد الحرم المذكورة في قوله: (منها أربعة حرم) [التوبة: (٣٦)]، ومن قال ذلك فقد **غلط** غلطا معروفا عند أهل العلم» - .
(فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد)
(٣١٧٠٤) - قال علي بن أبي طالب - من طريق سفيان بن عيينة - : بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - بأربعة أسياف: سيف في المشركين من العرب، قال الله تعالى: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (١٧٥٢) - علق ابن كثير ((٧) / (١٥٠)) على قول عليٍ بن أبي طالب قائلا: «هكذا رواه مختصرا، وأظن أن السيف الثاني: هو قتال أهل الكتاب، في قوله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) [التوبة: (٢٩)]، والسيف الثالث: قتال المنافقين في قوله: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) [التوبة: (٧٣)، والتحريم: (٩)]، والرابع: قتال الباغين في قوله: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٦/١٨١

الله) [الحجرات: (٩)]» - .
." (١)

"(٣٢٥٠٥) - قال مقاتل بن سليمان: (لا يستأذنك) في القعود (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني: الذين يصدقون بتوحيد الله، وبالبعث الذي فيه جزاء الأعمال؛ أنه كائن، (أن يجاهدوا) العدو من غير عذر (بأموالهم وأنفسهم) كراهية الجهاد تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (١٧٢) - .

النسخ في الآيات

(٣٢٥٠٦) - عن عبد الله بن عباس - من طريق الضحاك - في قوله: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) الآيات الثلاث، قال: نسخها: (فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم) [النور: (٦٢)] أخرجه النحاس في ناسخه ص (٥٠٥) - .

(٣٢٥٠٧) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطاء الخراساني - في قوله: (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله) الآيتين، قال: نسختها الآية التي في سورة النور: (إنما المؤمنون الذي آمنوا بالله ورسوله) إلى (إن الله غفور رحيم) [النور: (٦٢)] فجعل الله النبي - صلى الله عليه وسلم - بأعلى النظرين النظرين: الأمرين - النهاية (٥) / (٧٧) - في ذلك؛ من غزا غزا في فضيلة، ومن قعد قعد في غير حرج إن شاء أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص (٢٧٤)، وابن أبي حاتم (٦) / (١٨٠٦)، وعنده عن عطاء الخراساني من قوله كما سيأتي - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في سننه - .

(٣٢٥٠٨) - عن عكرمة مولى ابن عباس=

(٣٢٥٠٩) - والحسن البصري - من طريق يزيد - قالا: قوله: (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله) إلى قوله: (فهم في ريبهم يترددون) نسختهما الآية التي في النور: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله) إلى (إن الله غفور رحيم) [النور: (٦٢)] أخرجه ابن جرير (١١) / (٤٨١) - .

(٣٢٥١٠) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) الآية، قال: ثم أنزل الله التي في سورة النور، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء، فقال: (فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم) [النور: (٦٢)]، فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك أخرجه ابن جرير (١١) / (٤٧٨)، وابن أبي حاتم (٦) / (١٨٠٥) بنحوه من طريق همام، والنحاس ص (٥٠٥) - وذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين (٢) / (٢٠٨) - - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ -

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤٤/١٧

انتقد ابن عطية ((٤) / (٣٢٣)) قول قتادة هذا مستندا إلى دلالة زمن النزول، فقال: «هذا غلط؛ لأن آية النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق في استئذان بعض المؤمنين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في بعض شأنهم في بيوتهم في بعض الأوقات، فأباح الله له أن يأذن، فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى» – .
." (١)

"(٣٢٥٤٧) – عن قتادة بن دعامة – من طريق سعيد – قال: (وفيكم سماعون لهم): وفيكم من يسمع كلامهم أخرجه ابن جرير (١١) / (٤٨٦) – .
(٣٢٥٤٨) – عن زيد بن أسلم – من طريق محمد بن أبان – في قوله: (وفيكم سماعون لهم)، قال: مبلغون أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (١٨٠٩) – .
(٣٢٥٤٩) – عن محمد بن إسحاق – من طريق سلمة – قال: كان الذين استأذنوا – فيما بلغني – من ذوي الشرف منهم: عبد الله بن أبي بن سلول، والجد بن قيس، وكانوا أشرافا في قومهم، فثبطهم الله؛ لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم، وطاعة فيما يدعونهم إليه؛ لشرفهم فيهم، فقال: (وفيكم سماعون لهم) أخرجه ابن جرير (١١) / (٤٨٦) – .
(٣٢٥٥٠) – قال مقاتل بن سليمان: (وفيكم) معشر المؤمنين (سماعون لهم) من غير المنافقين، اتخذهم المنافقون عيونا لهم يحدثونهم، (والله عليم بالظالمين) منهم عبد الله بن أبي، وعبد الله بن نبتل، وجد بن قيس، ورفاعة بن التابوت، وأوس بن قيظي تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (١٧٣) – .
(٣٢٥٥١) – قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم – من طريق ابن وهب – في قوله: (وفيكم سماعون لهم): يسمعون ما يؤدونه لعدوكم أخرجه ابن جرير (١١) / (٤٨٦)، وابن أبي حاتم (٦) / (١٨٠٩) من طريق أصبغ بن الفرج بلفظ: يسمعون ما تأتون به لعدوكم – أفادت الآثار اختلاف المفسرين في معنى قوله تعالى: (وفيكم سماعون لهم) على قولين: الأول: وفيكم عيون ينقلون إليهم أخباركم – وهو قول مجاهد، والحسن، وابن زيد – والثاني: وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم – وهو قول قتادة، وابن إسحاق – وعلق ابن جرير ((١١) / (٤٨٧)) على القول الأول بأن المعنى: «(وفيكم) منهم (سماعون) يسمعون حديثكم لهم، فيبلغونهم ويؤدونه إليهم، عيون لهم عليكم» – ووجه المعنى على القول الثاني قائلا: «فعلى هذا التأويل: وفيكم أهل سمع وطاعة منكم، لو صحبوكم أفسدوهم عليكم بتثبيطهم إياهم عن السير معكم» – ووجه ابن

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤١٠/١٧

القيم ((٢) / (١١)) المعنى على القول الثاني قائلا: «وفيكم أهل سمع وطاعة لهم، لو صحبهم هؤلاء المنافقون أفسدوهم عليكم» - ورجح ابن جرير القول الأول مستندا إلى الأغلب في لغة العرب بقوله: «لأن الأغلب من كلام العرب في قولهم: سماع، وصف من وصف به أنه سماع للكلام، كما قال الله - جل ثناؤه - في غير موضع من كتابه: (سماعون للكذب) [المائدة: (٤١)، (٤٢)]، واصفا بذلك قوما بسماع الكذب من الحديث - وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه إليه فإنما يصفه له بأنه له سامع ومطيع، ولا يكاد يقول: هو له سماع مطيع» - وانتقد ابن تيمية القول الأول مستندا إلى دلالة العقل بقوله: «وأما من ظن أن المراد بقوله: (سماعون لهم): أنهم جواسيس لمن غاب، وأخذ حكم الجاسوس من هذه الآية؛ فقد غلط، فإن ما كان يظهره النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى يسمعه المنافقون واليهود لم يكن مما يكتمه حتى يكون نقله جسا عليه» - وكذا انتقده ابن القيم مستندا إلى دلالة العقل بقوله: «ولم يكن في المؤمنين جواسيس للمنافقين؛ فإن المنافقين كانوا مختلطين بالمؤمنين، ينزلون معهم، ويرحلون، ويصلون معهم، ويجالسونهم، ولم يكونوا متحيزين عنهم، قد أرسلوا فيهم العيون ينقلون إليهم أخبارهم، فإن هذا إنما يفعله من انحاز عن طائفة ولم يخالطها، وأرصد بينهم عيونا له، فالقول قول قتادة وابن إسحاق» - وانتقده ابن كثير أيضا مستندا إلى دلالة العقل بقوله: «وهذا لا يبقى له اختصاص بخروجهم معهم، بل هذا عام في جميع الأحوال» - ورجح ابن كثير ((٧) / (٢١٢)) مستندا إلى السياق، وكذا ابن القيم ((٢) / (١٢))، وقبلهما ابن تيمية ((٣) / (٣٧٤) - (٣٧٥)) القول الثاني - .

(لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)

نزول الآية

." (١)

"لو شآء الله ما تلوته عليكم ولآ أنذرتكم به) أخرجه سعيد بن منصور ((١٠٥٦) - تفسير)، وابن جرير (١٢) / (١٤١) - وهي قراءة شاذة - انظر: مختصر ابن خالويه ص (٦١) - ساق ابن جرير ((١٢) / (١٤١)) قراءة عبد الله بن عباس، ثم قال: «والقراءة التي لا أستجيز أن تعدوها هي القراءة التي عليها قراء الأمصار: (لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به)، بمعنى: ولا أعلمكم به، ولا أشعركم» - .

(٣٤٢٧٧) - عن الحسن البصري - من طريق معمر - أنه قرأ: (ولآ أدرأتكم به) - يعني: بالهمز أخرجه ابن جرير (١٢) / (١٣٨) - (١٣٩) - وعزاه السيوطي إلى أبي عبيد، وابن المنذر - وعقب عليه السيوطي

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤١٦/١٧

بقول الفراء: لا أعلم هذا يجوز من دريت ولا أدريت، إلا أن يكون الحسن البصري همزها على طبيعته، فإن العرب ربما غلطت فهمزت ما لا يهمز - ينظر: معاني القرآن للفراء (١) / (٤٥٩) - وهي قراءة شاذة - انظر مختصر ابن خالويه ص (٦١)، والمحتسب (١) / (٣٠٩) - انتقد ابن جرير ((١٢) / (١٣٩)) قراءة الحسن البصري مستندا لمخالفتها اللغة، فقال: «وهذه القراءة التي حكيت عن الحسن البصري عند أهل العربية غلط» - .

- تفسير الآية

(قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به)

(٣٤٢٧٨) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - في قوله: (ولا أدراكم به)، يقول: أعلمكم به أخرجه ابن جرير (١٢) / (١٣٧) - (١٣٨)، وابن أبي حاتم (٦) / (١٩٣٤) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ - .

(٣٤٢٧٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق ابن جريج - (ولا أنذرتكم به)، قال: ما حذرتكم به أخرجه ابن جرير (١٢) / (١٣٨) - وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - .

(٣٤٢٨٠) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق عبيد - يقول في قوله: (ولا أدراكم به)، يقول: ولا أشعركم الله به أخرجه ابن جرير (١٢) / (١٣٩) - .

(٣٤٢٨١) - عن الحسن البصري - من طريق معمر - أنه كان يقرأ: ﴿ولآ أدرأتكم
." (١)

"يوسف تفسير مجاهد ص (٤٠٠)، وأخرجه ابن جرير (١٣) / (٢٩٩)، (٣٠٢)، (٣٠٤)، وابن أبي حاتم (٧) / (٢١٨٧) - (٢١٨٨) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر - ذكر ابن جرير ((١٣) / (٢٩٨)) قول مجاهد من طريق الحسن بن محمد، عن شبابة، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: (تفتأ): ما تفتر من حبه، ثم علق قائلا: «كذا قال الحسن في حديثه، وهو غلط، إنما هو: تفتر من حبه، تزال تذكر يوسف» - .

(٣٨٠٠٦) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد، ومعمر - في قوله: (تفتؤا تذكر يوسف)، قال: لا تزال تذكر يوسف أخرجه عبد الرزاق (١) / (٣٢٧)، وابن جرير (١٣) / (٢٩٩)، (٣٠٢)، (٣٠٥) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٠/١٩

(٣٨٠٠٧) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - قال: (قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف)، قال: لا تزال تذكر يوسف أخرجه ابن أبي حاتم (٧) / (٢١٨٧) - وعزاه السيوطي إلى ابن جرير - .

(٣٨٠٠٨) - قال مقاتل بن سليمان: (قالوا) أي: قال بنوه يعيرونه: (تالله تفتؤا) يعني: والله، ما تزال تذكر (يوسف) تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٣٤٨) - .

(حتى تكون حرضا)

(٣٨٠٠٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عكرمة - في قوله: (حتى تكون حرضا)، قال: دنفا رجل دنف ودنف ومدنف ومدنف: براه المرض حتى أشفى على الموت - لسان العرب (دنف) - من المرض أخرجه ابن أبي حاتم (٧) / (٢١٨٧) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن جرير، وأبي الشيخ - .

(٣٨٠١٠) - عن عبد الله بن عباس - من طريق العوفي - قوله: (حتى تكون حرضا)، يعني: الجهد في المرض البالي أخرجه ابن جرير (١٣) / (٣٠١) - .

(٣٨٠١١) - عن عبد الله بن عباس: أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله: (حتى تكون حرضا) - قال: الحرض: المدنف الهالك من شدة الوجع - قال: وهل

". (١)

"قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين)» أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٤) / (٨٦) - (٨٧) - وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه - .

(٤٢٢٥١) - عن عبد الله بن مسعود - من طريق أبي العبيدين - أنه سئل: ما الأمة؟ قال: الذي يعلم الناس الخير - قالوا: فما القانت؟ قال: الذي يطيع الله ورسوله أخرجه عبد الرزاق (١) / (٣٦٠) - (٣٦١)، وابن جرير (١٤) / (٣٩٣) - (٣٩٤)، والطبراني ((٩٩٤٣)، (٩٩٤٤)، (٩٩٤٧))، والحاكم (٢) / (٣٥٨)، (٣) / (٢٧١) - (٢٧٢) - وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه - .

(٤٢٢٥٢) - عن عبد الله بن مسعود - من طريق فروة بن نوفل الأشجعي - قال: إن معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا - فقلت في نفسي: **غلط** أبو عبد الرحمن، إنما قال الله تعالى: (إن إبراهيم) - فقال: تدري ما الأمة، وما القانت؟ قلت: الله أعلم - قال: الأمة الذي يعلم الخير - والقانت: المطيع لله ولرسوله -

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢١٥/٢٠

وكذلك كان معاذ بن جبل يعلم الخير، وكان مطيعا لله ولرسوله أخرجه يحيى بن سلام (١) / (٩٧) مختصرا من طريق سيار بن سلامة، وابن جرير (١٤) / (٣٩٤) - .

(٤٢٢٥٣) - قال مسروق بن الأجدع: قرأت عند عبد الله بن مسعود هذه الآية: (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله) - فقال: كان معاذ أمة قانتا - قال: هل تدري ما الأمة؟ الأمة: الذي يعلم الناس الخير - والقانت: الذي يطيع الله ورسوله أخرجه ابن جرير (١٤) / (٣٩٤) - .

(٤٢٢٥٤) - عن عبد الله بن عباس، في قوله: (إن إبراهيم كان أمة قانتا)، قال: كان على الإسلام، ولم يكن في زمانه من قومه أحد على الإسلام غيره؛ فلذلك قال الله: (كان أمة قانتا) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٤٢٢٥٥) - عن عبد الله بن عباس، في قوله: (إن إبراهيم كان أمة) قال: إماما في الخير، (قانتا) قال: مطيعا عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٤٢٢٥٦) - عن سعيد بن جبير - من طريق ابن عويمر - قال: (قانتا): مطيعا أخرجه ابن جرير (١٤) / (٣٩٦) - .

(٤٢٢٥٧) - عن مجاهد بن جبر - من طريق أبي يحيى - في قوله: (إن إبراهيم كان أمة)، قال: كان مؤمنا وحده، والناس كفار كلهم أخرجه يحيى بن سلام (١) / (٩٧) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٤٢٢٥٨) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (إن إبراهيم
." [(١)]

"(٥٠٨٦٤) - عن عبد الله بن عباس: (الذين أخرجوا من ديارهم) أي: من مكة إلى المدينة، (بغير حق) يعني: محمدا - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه - .

(٥٠٨٦٥) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق عبيد - في قوله: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق): يعني: محمدا - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، أخرجوا من مكة بغير حق أخرجه إسحاق البستي في تفسيره ص (٣٧٣) - .

(٥٠٨٦٦) - قال يحيى بن سلام: قال الحسن البصري: ما سفكوا لهم من دم، ولا أخذوا لهم من مال، ولا قطعوا لهم من رحم، وإنما أخرجوهم لأنهم قالوا: ربنا الله، كقوله: (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٩٦/٢٢

العزيز الحميد) [البروج: (٨)] علقه يحيى بن سلام (١) / (٣٨٠) - .

(٥٠٨٦٧) - قال قتادة بن دعامة: قوله: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله)، لما قال المسلمون: لا إله إلا الله - أنكرها المشركون، وضاقها في تفسير القرطبي (١٦) / (١١): ضاق بها - وفي تفسير ابن جرير (٢٠) / (٤٨٢): فصادمها - إبليس وجنوده علقه يحيى بن سلام (١) / (٣٨٠) - .

(٥٠٨٦٨) - قال مقاتل بن سليمان: ثم أخبر عن ظلم كفار مكة، فقال سبحانه: (الذين أخرجوا من ديارهم) وذلك أنهم عذبوا منهم طائفة، وآذوا بعضهم بالألسن، حتى هربوا من مكة إلى المدينة (بغير حق إلا أن يقولوا) يقول: لم يخرج كفار مكة المؤمنين من ديارهم، إلا أن يقولوا: (ربنا الله) فعرفوه ووحدوه تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (١٢٩) - ذكر ابن كثير ((١٠) / (٧٣)) أن البعض استدل بهذه الآية على مدنية السورة - وذكر ابن القيم ((٢) / (٢١٦)) أن هناك من قال بمكية السورة؛ لأن الإذن بالقتال كان بمكة - وانتقده ((٢) / (٢١٦) - (٢١٧)) مستندا إلى الواقع، والسياق، وأحوال النزول، فقال: «وهذا غلط لوجوه: أحدها: أن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال، ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة - الثاني: أن سياق الآية يدل على أن الإذن بعد الهجرة، وإخراجهم من ديارهم، فإنه قال: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله)، وهؤلاء هم المهاجرون - الثالث: قوله تعالى: (هذان خصمان اختصموا في ربهم) [الحج: (١٩)] نزلت في الذين تبارزوا يوم بدر من الفريقين - الرابع: أنه قد خاطبهم في آخرها بقوله: (يا أيها الذين آمنوا)، والخطاب بذلك كله مدني، فأما الخطاب بـ (يا أيها الناس) فمشترك - الخامس: أنه أمر فيها بالجهاد الذي يعم الجهاد باليد وغيره، ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة، فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله: (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به) [الفرقان: (٥٢)]، أي: بالقرآن جهادا كبيرا، فهذه سورة مكية، والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة، وأما الجهاد المأمور به في سورة الحج فيدخل فيه الجهاد بالسيف - السادس: أن الحاكم روى في مستدركه من حديث الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن - فأنزل الله : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) - وهي أول آية نزلت في القتال - وإسناده على شرط الصحيحين - وسياق السورة يدل على أن فيها المكي والمدني؛ فإن قصة إلقاء الشيطان في أمنية الرسول مكية» - .

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض)

قراءات

". (١)

"بالمتاع: الجهاز، ولكن ما سواه من الحاجة؛ إما منزل ينزله قوم من ليل أو نهار، أو خربة يدخلها الرجل لقضاء حاجة، أو دار ينظر إليها؛ فهذا متاع، وكل منافع الدنيا متاع أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (ت: اللاحم) (٢) / (٥٤٩) - .

(٥٢٨٩١) - قال إبراهيم النخعي: ليس على حوانيت السوق إذن تفسير البغوي (٦) / (٣٢) - انتقد ابن جرير ((١٧) / (٢٥٢)) هذا القول الذي قاله ابن زيد، والنخعي مستندا لدلالة العقل، فقال: «وأما بيوت التجار فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها - فإن ظن ظان أن التاجر إذا فتح دكانه، وقعد للناس، فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن؛ وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة ألجأته إليه، أو بغير سبب أباح له دخوله إلا بإذن ربه، لا سيما إذا كان فيه متاع، فإن كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته إذن منه لمن أراد دخوله في الدخول، فذلك بعد راجع إلى ما قلنا من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه» - وانتقده كذلك ابن عطية ((٦) / (٣٧٢)) مستندا للإجماع، فقال: «هذا قول **غلط** قائله، وذلك أن بيوت القيسارية محظورة بأموال الناس، غير مباحة لكل من أراد دخولها بإجماع، ولا يدخلها إلا من أذن له بها، بل أربابها موكلون بدفع الناس عنها» - .

(٥٢٨٩٢) - عن سعيد بن جبير - من طريق عطاء بن دينار - في قوله: (ليس عليكم جناح): يعني: لا حرج عليكم (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) يعني: ليس بها ساكن، وهي الخانات التي على طرق الناس للمسافر، لا جناح عليكم أن تدخلوها بغير استئذان ولا تسليم، (فيها متاع لكم) يعني: منافع لكم من البرد والحر أخرجه ابن أبي حاتم (٨) / (٢٥٦٩) - (٢٥٧٠) - .

(٥٢٨٩٣) - عن مجاهد بن جبر=

(٥٢٨٩٤) - وإسماعيل السدي، نحو ذلك علقه ابن أبي حاتم (٨) / (٢٥٦٩) - .

(٥٢٨٩٥) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (ليس عليكم جناح)، قال: كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا الأقتاب: جمع قتب، وهو رحل صغير على قدر السنام - اللسان (قتب) - وأمتعات في بيوت ليس فيها أحد، فأحلت لهم أن يدخلوها بغير إذن أخرجه ابن جرير (١٧) / (٢٤٩)، (٢٥٠)، وابن أبي حاتم (٨) / (٢٥٦٩)، وأخرجه يحيى بن سلام (١) / (٤٣٩) من طريق عاصم بن

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٥٦/٢٧

حكيم - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .
." (١)

"الأسباط أخرجه ابن جرير (٢) / (٥٩٨) - وعلقه ابن أبي حاتم (١) / (٢٤٣) - .
(٤٠٧٨) - قال مقاتل بن سليمان: (والأسباط) وهم بنو يعقوب؛ يوسف وإخوته، فنزل على هؤلاء صحف إبراهيم تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (١٤١) - .
(٤٠٧٩) - عن محمد بن إسحاق - من طريق سلمة - قال: نكح يعقوب بن إسحاق - وهو إسرائيل - ابنة خاله ليا ابنة ليان بن تبويل بن إلياس، فولدت له روبيل بن يعقوب، وكان أكبر ولده، وشمعون بن يعقوب، ولاوي بن يعقوب، ويهوذا بن يعقوب، وربالون بن يعقوب، ويشجر بن يعقوب، ودينة بنت يعقوب، ثم توفيت ليا بنت ليان، فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت ليان بن تبويل بن إلياس، فولدت له يوسف بن يعقوب، وبنيامين بن يعقوب، وهو بالعربية شداد، وولد له من سريتين له - اسم إحداهما زلفة، واسم الأخرى بلهة - أربعة نفر: دان بن يعقوب، ونفثالي بن يعقوب، وجاد بن يعقوب، وأشر بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا، نشر الله منهم اثني عشر سبطا، لا يحصي عددهم ولا يعلم أنسابهم إلا الله، يقول الله تعالى: (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما) [الأعراف: (١٦٠)] أخرجه ابن جرير (٢) / (٥٩٨) - قال ابن تيمية ((١) / (٣٦٠) - (٣٦١) بتصرف): «وفسر الأسباط بأنهم أولاد يعقوب، والصواب أنه ليس المراد بهم أولاده لصلبه، بل ذريته، ومن قال: الأسباط أولاد يعقوب - لم يرد أنهم أولاده لصلبه، بل أراد ذريته، كما يقال: بنو إسرائيل وبنو آدم - فتخصيص الآية ببنيه لصلبه غلط، لا يدل عليه اللفظ ولا المعنى، ومن ادعاه فقد أخطأ خطأ بينا» - .
وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم

(٤٠٨٠) - عن قتادة بن دعامة - من طريق شيبان النحوي - (ما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم)، قال: أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به، ويصدقوا بكتبه كلها، وبرسله أخرجه ابن أبي حاتم (١) / (٢٤٣) - .

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٤/٢٨

(٤٠٨١) - عن سليمان بن حبيب المحاربي - من طريق كلثوم بن زياد - يقول: إنما
". [1]

"(٦٤٧٩٥) - عن إسماعيل السدي: (فاليوم) يعني: في الآخرة، يقوله يومئذ علقه يحيى بن سلام (٢) / (٨١٤) - .

(٦٤٧٩٦) - قال مقاتل بن سليمان: (فاليوم) في الآخرة (لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) من الكفر، جزاء الكافر النار تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٥٨٢) - .

(إن أصحاب الجنة اليوم في شغل)

(٦٤٧٩٧) - عن عبد الله بن مسعود - من طريق شقيق بن سلمة - في قوله: (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)، قال: شغلهم افتضاض العذارى أخرجه ابن جرير (١٩) / (٤٦٠)، وابن أبي الدنيا ((٢٧٦))، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد -كما في حادي الأرواح ص (١٨٢) - - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٦٤٧٩٨) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عكرمة - في قوله: (في شغل فاكهون)، قال: في افتضاض الأبكار أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ((٢٧٧))، وابن جرير (١٩) / (٤٦٠) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه -كما أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع - تفسير القرآن (٢) / (٢٢) ((٣٣)) من طريق الأوزاعي - .

(٦٤٧٩٩) - عن عكرمة مولى ابن عباس=

(٦٤٨٠٠) - وقتادة بن دعامة - من طريق سعيد - ، مثله أخرجه يحيى بن سلام (٢) / (٨١٤) عن قتادة، وإسحاق البستي ص (١٩٢) عن عكرمة من طريق أبي عمرو الكوفي - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٦٤٨٠١) - عن عبد الله بن عباس، في قوله: (في شغل فاكهون)، قال: ضرب الأوتار عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وذكر عن أبي حاتم أنه قال: «هذا خطأ من السمع، إنما هو: افتضاض الأبكار» - وقال ابن كثير في تفسيره (٦) / (٥٦٩): «وقال أبو حاتم: لعله **غلط** من المستمع، وإنما هو: افتضاض الأبكار» - .

(٦٤٨٠٢) - عن سعيد بن المسيب - من طريق وائل بن داود - في قوله: (إن أصحاب الجنة اليوم في

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٨٨/٣

شغل فاكهون)، قال: في افتضاض العذارى أخرجه سفيان الثوري ((٢٥٠))، وابن جرير (١٩) / (٤٦٠) - .
." (١)

"صورة - أحسبه قال: في المنام - فقال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا - فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال: في نحري - ، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، ثم قال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات، والكفارات: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه - وقل - يا محمد - إذا صليت: اللهم، إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون - قال: والدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام» أخرجه أحمد (٥) / (٤٣٧) - (٤٣٨) ((٣٤٨٤))، والترمذي (٥) / (٤٤٢) - (٤٤٣) ((٣٥١٤))، وعبد الرزاق بنحوه (٣) / (١٢٦) ((٢٦١٢)) - قال الترمذي: «وقد ذكروا بين أبي قلابة وبين ابن عباس في هذا الحديث رجلا، وقد رواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس» - وقال محمد بن نصر في قيام الليل ص (٥٥): «هذا حديث قد اضطربت الرواة في إسناده على ما بينا، وليس يثبت إسناده عند أهل المعرفة بالحديث» - وقال الألباني في الإرواء (٣) / (١٤٧) - (١٤٨) ((٦٨٤)): «صحيح» - ذكر ابن كثير ((١٢) / (١٠٧)) هذا الأثر، ثم علق عليه: «فهو حديث المنام المشهور، ومن جعله يقظة فقد غلط، وهو في السنن من طرق - وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به - وقال:» حسن صحيح «وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن، فإن هذا قد فسر، وأما الاختصام الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا، وهو قوله تعالى: (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - -) الآيات» - هذا وقد أورد السيوطي (١٢) / (٦١٧) - (٦٢٣) مرويات أخرى كثيرة عن حديث اختصام الملأ الأعلى - .

(إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين (٧٠))

(٦٧٠٣٤) - قال مقاتل بن سليمان: (إن) يعني: إذ (يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين) يعني: رسول بين

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٨٠/٣٣

تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٦٥٣) - ذكر ابن جرير ((٢٠) / (١٤٢) - (١٤٣) بتصرف) في قوله: (إن يوحى إلي أنما انا نذير مبين) وجهين من التأويل، فقال: «وقوله: (إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين) يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - : قل - يا محمد - لمشركي قريش: ما يوحي الله إلي علم ما لا علم لي به، من نحو العلم بالملأ الأعلى واختصامهم في أمر آدم إذا أراد خلقه، إلا لأني إنما أنا نذير مبين - ف (أنما) على هذا التأويل في موضع خفض على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذي ذكرنا لا بد له من حرف خافض، فسواء إسقاط خافضه منه وإثباته - وإما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب إذا أسقط منه الخافض، فإنه على مذهبه نصب - وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر، وهو أن يكون معناه: ما يوحي الله إلي إنذاركم - وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى كانت (أنما) في موضع رفع؛ لأن الكلام يصير حينئذ بمعنى: ما يوحى إلي إلا الإنذار» - .

(إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين (٧١) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٧٢))

(٦٧٠٣٥) - ." [1]

"يؤاخذون بها في الآخرة أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٥١٤) - .

(٦٩٠٦٣) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق ابن أبي رواد - قال: ما تعلم أحد القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه - ثم قرأ هذه الآية: (وما أصابكم مصيبة فبما كسبت أيديكم) - وقال: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن؟! أخرجه ابن المبارك ((٨٥))، وابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) (١٥) / (٤٥٧) ((٣٠٦١٨))، وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٧) / (١٩٦) - ، والبيهقي في الشعب ((١٩٦٥)) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - وعزاه ابن حجر في الفتح (٩) / (٨٦) إلى أبي عبيد - .

(٦٩٠٦٤) - قال عكرمة مولى ابن عباس: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها، أو درجة لم يكن الله ليبلغه إلا بها تفسير البغوي (٧) / (١٩٦)، وتفسير الثعلبي (٨) / (٣٢٠) - .

(٦٩٠٦٥) - عن الحسن البصري - من طريق قتادة - في قوله: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)، قال: الحدود أخرجه عبد الرزاق (٢) / (١٩٢)، وابن جرير (٢٠) / (٥١٤) من طريق معمر -

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٥١/٣٥

وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .
(٦٩٠٦٦) - عن الحسن البصري - من طريق قتادة - (فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)، قال: بلغنا: أنه ليس من أحد تصيبه عثرة قدم، أو خدش عود، أو كذا إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر أخرجه عبد الرزاق (٢) / (١٩٢) - .
(٦٩٠٦٧) - عن أيوب، قال: قرأت في كتاب أبي قلابة، قال: نزلت: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) [الزلزلة: (٧) - (٨)] وأبو بكر يأكل، فأمسك، فقال: يا رسول الله، إني لراء ما عملت من خير أو شر؟ فقال: «أرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر، وتدخر مثاقيل الخير، حتى تعطاه يوم القيامة» - قال: قال أبو إدريس: فأرى مصداقها في كتاب الله - قال: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٥١٣)، (٢٤) / (٥٦٥) - (٥٦٦)، من طريق أيوب السختياني، عن أبي قلابة به - وسنده ضعيف؛ لانقطاعه، فأبو قلابة لم يسمع من أبي بكر - انظر: جامع التحصيل ص (٢١١) - ذكر ابن جرير ((٢٠) / (٥١٣)) هذا الأثر، ثم علق قائلا: «حدث هذا الحديث الهيثم بن الربيع، فقال: فيه أيوب عن أبي قلابة، عن أنس، أن أبا بكر كان جالسا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فذكر الحديث، وهو غلط، والصواب عن أبي إدريس» - .
." (١)

"(٧٢٨٣٢) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - في قوله: (وكتاب مسطور)، قال: مكتوب أخرجه عبد الرزاق (٢) / (٢٤٦)، والبخاري في خلق أفعال العباد ((٩٨)) من طريق سعيد، وابن جرير (٢١) / (٥٦١) من طريقي معمر وسعيد، والبيهقي في الأسماء والصفات ((٥٧٠)) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .
(٧٢٨٣٣) - قال مقاتل بن سليمان: (وكتاب مسطور)، يعني: أعمال بني آدم مكتوبة، يقول: أعمالهم تخرج إليهم يومئذ، يعني: يوم القيامة تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (١٤٣) - .
(٧٢٨٣٤) - عن عبد الملك ابن جريج، في قوله: (وكتاب) قال: الذكر، (مسطور) قال: مكتوب عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - ذكر ابن عطية ((٨) / (٨٥) - (٨٦)) أن الكتاب المسطور معناه بإجماع: المكتوب أسطارا - وذكر ابن القيم ((٣) / (٥١)) قولا بأن الكتاب هو اللوح المحفوظ، وانتقده مستندا لظاهر الآيات، فقال: «وهذا غلط؛ لأنه ليس برق» - وبين أن قول مقاتل أصح منه، ثم رجح القول بأنه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٥٣/٣٦

الكتاب المنزل من عند الله، فقال: «الظاهر أن المراد به: الكتاب المنزل من عند الله، وأقسم الله به لعظمته وجلالته، وما تضمنه من آيات ربوبيته، وأدلة توحيده، وهداية خلقه» - .

(في رق منشور (٣))

(٧٢٨٣٥) - عن عبد الله بن عباس، (في رق منشور)، قال: في الكتاب عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٧٢٨٣٦) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - (في رق منشور)، قال: الصحيفة أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق (٤) / (٣٢٠) -، وابن جرير (٢١) / (٥٦٢) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٧٢٨٣٧) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (في رق منشور)، قال: في صحف تفسير مجاهد ص (٦٢٢)، وأخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق (٤) / (٣٢٠) - بلفظ: صحف ورق، والبخاري في خلق أفعال العباد ((٩٩))، وابن جرير (٢١) / (٥٦٢) بنحوه، والبيهقي ((٥٧٠) - (٥٧٣)) - .

". [1]

" - عن أنس بن مالك، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ألظوا بـ: يا ذا الجلال والإكرام» أخرجه الترمذي (٦) / (١٢٧) ((٣٨٣٤))، من طريق محمد بن حاتم المكتب، عن أبي بدر شجاع بن الوليد، عن الرحيل بن معاوية، عن الرقاشي، عن أنس بن مالك به - وأخرجه أيضا (٦) / (١٢٩) ((٣٨٣٥))، والبزار (١٣) / (١٨٠) ((٦٦٢٥))، من طريق المؤمل، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن أنس به - قال الترمذي: «هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن أنس من غير هذا الوجه» - وقال في الموضع الثاني: «هذا حديث غريب، وليس بمحفوظ، وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن البصري، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا أصح - والمؤمل **غلط** فيه، فقال: عن حميد، عن أنس، ولا يتابع فيه» - وأورده الدارقطني في العلل (١٢) / (٢٦) ((٢٣٦٥)) - وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٦٢) ((٧٧)): «يزيد ضعيف» - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٩٥/٣٨

(تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام (٧٨))
(٧٤٧٠٥) ." [١]

"أنهم رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٤٢٨) - وعزاه السيوطي آخره إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - وأخرجه عبد الرزاق مختصرا من طريق معمر (٢) / (٢٧٦)، وكذلك ابن جرير (٢٢) / (٤٢٨) - اختلف في قوله تعالى: (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) على قولين: الأول: أن المعنى: أن الله كتبها عليهم ابتغاء رضوان الله - الثاني: أن المعنى: أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله - وذكر ابن عطية ((٨) / (٢٤٠)) أن مجاهدا قال: المعنى: كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله - وعلق عليه بقوله: «ف» كتب « - على هذا - بمعنى: قضى» - وانتقد ابن القيم القول الأول مستندا للغة، وظاهر لفظ الآية، فقال: «وهذا فاسد، فإنه لم يكتبها عليهم سبحانه، كيف وقد أخبر: أنهم هم ابتدعوها؟ فهي مبتدعة غير مكتوبة» - وبين أن قوله تعالى: (إلا ابتغاء -) على هذا يكون مفعولا لأجله - وعرق عليه بقوله: «المفعول لأجله يجب أن يكون علة لفعل الفاعل المذكور معه - فيتحد السبب والغاية، نحو: قمت إكراما - فالقائم هو المكرم - وفعل الفاعل هاهنا هو» الكتابة «، و(ابتغاء رضوان الله) فعلهم لا فعل الله؛ فلا يصلح أن يكون علة لفعل الله، لاختلاف الفاعل» - وبنحوه ابن تيمية ((٦) / (٢٣٤) - (٢٣٥))، وزاد فقال: «تخصيص الرهبانية بأنه كتبها ابتغاء رضوان الله دون غيرها تخصيص بغير موجب، فإن ما كتبه ابتداء لم يذكر أنه كتبه ابتغاء رضوانه؛ فكيف بالرهبانية؟!» - وانتقد ابن تيمية ((٦) / (٢٣٥)) القول الثاني مستندا لظاهر الآية، واللغة، فقال: «وأما قول من قال: ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله - فهذا المعنى لو دل عليه الكلام لم يكن في ذلك مدح للرهبانية، فإن من فعل ما لم يأمر الله به بل نهاه عنه مع حسن مقصده غايته أن يثاب على قصده، لا يثاب على ما نهي عنه، ولا على ما ليس بواجب ولا مستحب، فكيف والكلام لا يدل عليه، فإن الله قال: (ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) ولم يقل: ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله، ولا قال: ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله - ولو كان المراد: ما فعلوها أو ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله؛ لكان
منصوبا على المفعولية، ولم يتقدم لفظ الفعل ليعمل فيه، ولا نفى الابتداع، بل أثبته لهم، وإنما تقدم لفظ الكتابة» - وذكر ابن القيم ((٣) / (١٣٣)) أنه على هذا القول فقوله: (إلا ابتغاء رضوان الله) منصوب على أنه بدل من مفعول (ما كتبناها)، وانتقده مستندا إلى اللغة، فقال: «وهو فاسد؛ إذ ليس ابتغاء رضوان

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٦٧/٣٩

الله عين الرهبانية، فتكون بدل الشيء من الشيء - ولا بعضها، فتكون بدل بعض من كل، ولا أحدهما مشتمل على الآخر؛ فتكون بدل اشتمال، وليس بدل غلط» - وذكر ابن تيمية ((٦) / (٢٣٣)) أن البعض قال: قوله تعالى: (ورهبانية ابتدعوها) عطف على (رأفة)، ›ورحمة)، وأن المعنى: أن الله جعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية أيضا ابتدعوها، وجعلوا الجعل شرعيا ممدوحا « - وانتقده مستندا للدلالة العقلية، والواقع، فقال:» هذا **غلط** لوجوه - منها: أن الرهبانية لم تكن في كل من اتبعه، بل الذين صحبوه كالحواريين لم يكن فيهم راهب وإنما ابتدعت الرهبانية بعد ذلك بخلاف الرأفة والرحمة، فإنها جعلت في قلب كل من اتبعه - ومنها: أنه أخبر أنهم ابتدعوا الرهبانية بخلاف الرأفة والرحمة، فإنهم لم يبتدعوها وإذا كانوا ابتدعوها لم يكن قد شرعها لهم، فإن كان المراد هو الجعل الشرعي الديني لا الجعل الكوني القدري فلم تدخل الرهبانية في ذلك، وإن كان المراد الجعل الخلقي الكوني فلا مدح للرهبانية في ذلك - ومنها: أن الرأفة والرحمة جعلها في القلوب والرهبانية لا تختص بالقلوب، بل الرهبانية ترك المباحات من النكاح واللحم وغير ذلك « - وساق ابن عطية احتمال، آخر، فقال:» ويحتمل اللفظ أن يكون المعنى: ما كتبناها عليهم إلا في عموم المندوبات؛ لأن ابتغاء مرضاة الله بالقرب والنوافل مكتوب على كل أمة « - وعلق عليه بقوله:» فالاستثناء - على هذا الاحتمال - متصل" - ورجح ابن تيمية ((٦) / (٢٣٥)) مستندا إلى الدلالة العقلية - أن قوله تعالى: (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا رضوان الله) منصوب نصب الاستثناء المنقطع، أي: وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم، لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله - فقال: «فإن إرضاء الله واجب مكتوب على الخلق، وذلك يكون بفعل المأمور وبترك المحظور، لا بفعل ما لم يأمر بفعله وبترك ما لم ينه عن تركه، والرهبانية فيها فعل ما لم يؤمر به وترك ما لم ينه عنه» - ورجحه ابن القيم ((٣) / (١٣٣) - (١٣٤)) مستندا إلى السياق، فقال: «فالصواب: أنه منصوب نصب الاستثناء المنقطع - ودل على هذا قول: (ابتدعوها)» - .

(٧٥٧٦٨) - ق١ل مقاتل بن سليمان: (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) يعني: اتبعوا عيسى (رأفة ورحمة) يعني: المودة، كقوله: (رحماء بينهم) [الفتح: (٢٩)] يقول: متوادين بعضهم لبعض، جعل الله ذلك في قلوب المؤمنين بعضهم لبعض، ثم استأنف الكلام، فقال: (ورهبانية ابتدعوها) وذلك أنه لما كثر المشركون وهزموا المؤمنين وأذلوهم بعد عيسى ابن مريم، واعتزلوا واتخذوا الصوامع، فطال عليهم ذلك، فرجع بعضهم عن دين عيسى ، وابتدعوا النصرانية، فقال الله : (ورهبانية ابتدعوها) تبتلوا فيها للعبادة في التقديم، (ما

كتبناها عليهم) ولم نأمرهم بها (إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) يقول: لم يرعوا ما أمروا به. ". [1]

"إلى ذكر الله) أخرجه آدم بن أبي إياس - كما في تفسير مجاهد ص (٦٥٩) - - وذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين (٤) / (٣٩٢) - عن ابن مسعود - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٧٦٨٥٩) - عن عبد الله بن مسعود - من طريق إبراهيم - أنه كان يقرأ: (فامضوا إلى ذكر الله)، قال: ولو كانت (فاسعوا) لسعيت حتى يسقط ردائي أخرجه عبد الرزاق ((٥٣٤٩))، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص (١٨٦)، وسعيد بن منصور - كما في فتح الباري (٨) / (٦٤٢) - ، وابن أبي شيبة (٢) / (١٥٧)، وابن جرير (٢٢) / (٦٣٩) - (٦٤٠)، وابن الأنباري - كما في تفسير القرطبي (١٨) / (١٠٢) - ، والطبراني ((٩٥٣٩)) - وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر - ذكر ابن تيمية ((٦) / (٣٠٤) - (٣٠٥)) أن لفظ «السعي» في الأصل اسم جنس، وأن من شأن أهل العرف إذا كان الاسم عاما لنوعين، فإنهم يفردون أحد نوعيه باسم، ويبقى الاسم العام مختصا بالنوع الآخر، كما في لفظ «ذوي الأرحام» فإنه يعم جميع الأقارب من يرث بفرض وتعصيب، ومن لا فرض له ولا تعصيب، فلما ميز ذو الفرض والعصبة، صار في عرف الفقهاء ذوو الأرحام مختصا بمن لا فرض له ولا تعصيب - ثم بين أنه بسبب هذا الاشتراك الحادث غلط كثير من الناس في فهم الخطاب بلفظ السعي من هذا الباب، فإنه في الأصل عام في كل ذهاب ومضي، وهو السعي المأمور به في القرآن، وقد يخص أحد النوعين باسم المشي، فيبقى لفظ السعي مختصا بالنوع الآخر، وهذا هو السعي الذي نهى عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون» - ونقل عن عمر أنه قال بنحو قول ابن مسعود، وعلق عليه بقوله: «وهذا إن صح عنه فيكون قد اعتقد أن لفظ السعي هو الخاص» - ثم قال: «ومما يشبه هذا: السعي بين الصفا والمروة؛ فإنه إنما يهرول في بطن الوادي بين الميلين - ثم لفظ السعي يخص بهذا، وقد يجعل لفظ السعي عاما لجميع الطواف بين الصفا والمروة، لكن هذا كأنه باعتبار أن بعضه سعي خاص» - .

(٧٦٨٦٠) - عن قتادة بن دعامة، قال: في حرف ابن مسعود: (فامضوا إلى ذكر الله) - وهو كقوله: (إن سعيكم لشتى) [الليل: (٤)] أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢) / (٢٩١)، وفي المصنف ((٥٣٤٦))،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٦٣/٣٩

والطبراني ((٩٥٤٠)) - .

(٧٦٨٦١) - عن عبد الله بن الزبير أنه كان يقرؤها: (فامضوا إلى ذكر الله) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٧٦٨٦٢) - عن أبي العالية الرياحي - من طريق الربيع - أنه كان يقرؤها: (فامضوا إلى ." (١)

"خلقه قدرته، ثم نسخها وهون على خلقه بقوله - تبارك وتعالى - : (فاتقوا الله ما استطعتم)، فلم يدع لهم مقالا، ولو قلت لرجل: اتق الله حق تقاته - رأى أنك قد كلفته بغيا من أمره، فإذا قلت له: اتق الله ما استطعت - رأى أنك لم تكلفه شططا أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص (٢٢٦) - ذكر ابن جرير ((٢٣) / (٢٠)) النسخ في الآية، وانتقده مرجحا عدم النسخ فيها مستندا إلى عدم الدليل عليه، فقال: «وليس في قوله: (فاتقوا الله ما استطعتم) دلالة واضحة على أنه لقوله: (اتقوا الله حق تقاته) [آل عمران: (١٠٢)] ناسخ، إذ كان محتملا قوله: (اتقوا الله حق تقاته) فيما استطعتم، ولم يكن بأنه له ناسخ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإذا كان ذلك كذلك فالواجب استعمالهما جميعا على ما يحتملان من وجوه الصحة» - وذكر ابن عطية ((٨) / (٣٢٤)) القول بعدم النسخ، ووجهه بقوله: «فهذه على هذا التأويل مبينة لتلك» - ثم علق عقب ذكره القولين، فقال: «وتحتمل هذه الآية أن يكون: فاتقوا الله مدة استطاعتكم التقوى - وتكون (ما) ظرفا للزمان كله، كأنه يقول: حياتكم وما دام العمل ممكنا» - ورجح ابن تيمية ((٦) / (٣١٩)) عدم النسخ في الآية، ثم وجه قول من قال من السلف بالنسخ فيها، فقال: «وقال: (فاتقوا الله ما استطعتم) وهي مفسرة لتلك، ومن قال من السلف: ناسخة - فمعناه: رافعة لما يظن أن المراد يعجز عنه، فإن الله لم يأمر بهذا قط، ومن قال: إن الله أمر به - فقد غلط، والنسخ في عرف السلف يدخل فيه كل ما فيه نوع رفع لحكم، أو ظاهر، أو ظن دلالة، حتى إنهم يسمون تخصيص العام نسخا، ومنهم من يسمي الاستثناء نسخا إذا تأخر نزوله، وقد قال تعالى: (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) [الحج: (٥٢)]، فهذا رفع لما ألقاه الشيطان، ولم ينزله الله، لكن غايته أن يظن أن الله أنزله» - .

تفسير الآية

(فاتقوا الله ما استطعتم)

(٧٧١٢٧) - عن عمارة المعولي، قال: قلت للحسن [البصري]: قوله : (فاتقوا الله ما استطعتم)؟ قال:

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٢١/٤٠

تأتي أجهد جهدك أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص (٢٢٧) - .
." (١)

"عبدا جر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هرما في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولود أنه رد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب أخرجه أحمد (٢٩) / (١٩٧) ((١٧٦٥٠)) بنحوه - .
(فيومئذ لا يعذب عذابه أحد (٢٥) ولا يوثق وثاقه أحد (٢٦))
قراءات
(٨٣١٧٠) - عن زيد بن ثابت، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ: " فيومئذ لا يعذب عذابه أحد* ولا يوثق وثاقه أحد " أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥) / (٣٦٢) - قال أبو نعيم: «غريب من حديث عمر، لم نكتبه إلا من هذا الوجه» - وهي قراءة متواترة، قرأ بها يعقوب، والكسائي، وقرأ بقية العشرة (لا يعذب)، و (ولا يوثق) بكسر الذال، والثاء - انظر: النشر (٢) / (٤٠٠)، والإتحاف ص (٥٨٤) - .
(٨٣١٧١) - عن أبي قلابة، عمن أقرأه النبي - صلى الله عليه وسلم -، وفي رواية: عن مالك بن الحويرث، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقرأه - وفي لفظ: أقرأ إياه -: " فيومئذ لا يعذب عذابه أحد * ولا يوثق وثاقه أحد " منصوبة الذال والثاء أخرجه أحمد (٣٤) / (٢٩٢) ((٢٠٦٩١))، وأبو داود (٦) / (١١٩) - (١٢٠) ((٣٩٩٦)، (٣٩٩٧))، والحاكم (٢) / (٢٨٠) ((٣٠٠٩))، وابن جرير (٢٤) / (٣٩١) - (٣٩٢)، والثعلبي (١٠) / (٢٠٢) من حديث أبي قلابة عمن أقرأه النبي - صلى الله عليه وسلم - - وأخرجه الحاكم (٣) / (٧٢٧) ((٦٦٣٥)) من حديث مالك بن الحويرث - قال الحاكم في الموضع الأول: «هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين، والصحابي الذي لم يسمه في إسناده قد سماه غيره: مالك بن الحويرث» - وذكر الدارقطني في العلل (١٤) / (٦٦) ((٣٤٢٤)) الاختلاف في إسناده، ورجح أنه من رواية أبي قلابة عمن أقرأه - وقال ابن منده في معرفة الصحابة ص (٤٢٢): «رواه غير واحد عن خالد، عن أبي قلابة، عمن سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ، وهو الصواب» - وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢) / (٨١٩) ((٢١٤٨)): «رواه غير واحد، عن خالد، عن أبي قلابة، عمن سمع النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولم يذكر مالك بن الحويرث ولا أباه، وهو المشهور» - اختلفت القرأة في قراءة قوله تعالى: (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) على قراءتين: الأولى: (يعذب - يوثق) بكسر الذال والثاء - الثانية: " يعذب - يوثق " بفتح الذال والثاء - ووجه ابن جرير ((٢٤) / (٣٩٣)) المعنى

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٧٨/٤٠

على القراءة الثانية بقوله: «وأما الذي قرأ ذلك بالفتح فإنه وجه تأويله إلى: فيومئذ لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ، ولا يوثق أحد في الدنيا كوثاقه يومئذ - وقد تأول ذلك بعض من قرأ ذلك كذلك بالفتح من المتأخرين: فيومئذ لا يعذب عذاب الكافر أحد، ولا يوثق وثاق الكافر أحد - وقال: كيف يجوز الكسر، ولا معذب يومئذ سوى الله؟!» - ووجه ابن عطية ((٥) / (٤٨١) ط: دار الكتب العلمية) القراءة الأولى بقوله: «وعلى هذه القراءة، فالضمير عائد في ›عذابه) و (وثاقه) لله تعالى، والمصدر مضاف إلى الفاعل، ولذلك معنيان: أحدهما: أن الله تعالى لا يكل عذاب الكفار يومئذ إلى أحد - والآخر: أن عذابه من الشدة في حيز لم يعذب قط أحد بمثله في الدنيا، ويحتمل أن يكون الضمير للكافر والمصدر مضاف إلى المفعول» - ووجه القراءة الثانية بقوله: «فالضميران - على هذا - للكافر الذي هو بمنزلة جنسه كله، والمصدر مضاف إلى المفعول، ووضع» عذاب «موضع» تعذيب « - ويحتمل أن يكون الضميران في هذه القراءة لله تعالى، كأنه قال: لا يعذب أحد قط في الدنيا عذاب الله للكفار، فالمصدر مضاف إلى الفاعل، وفي هذا التأويل تحامل» - ورجح ابن جرير ((٢٤) / (٣٩٢)) القراءة الأولى مستندا إلى إجماع الحجة من القرأة عليها، وأشار ((٢٤) / (٣٩١)) إلى أن القراءة الثانية واهية الإسناد، ثم انتقدها - مستندا إلى أقوال السلف - قائلا: «وهذا من التأويل غلط؛ لأن أهل التأويل تأولوه بخلاف ذلك، مع إجماع الحجة من القرأة على قراءته بالمعنى الذي جاء به تأويل أهل التأويل، وما أحسبه دعاه إلى قراءة ذلك كذلك إلا ذهابه عن وجه صحته في التأويل» - .

تفسير الآية

." (١)

"(٨٥٣٤٦) - عن سعيد بن مينا مولى البختري - من طريق محمد بن إسحاق - قال: لقي الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمية بن خلف؛ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقالوا: يا محمد، هلم فلتعبد ما نعبد، ونعبد ما تعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فإن كان الذي نحن عليه أصح من الذي أنت عليه كنت قد أخذت منه حظا، وإن كان الذي أنت عليه أصح من الذي نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظا - فأنزل الله: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) حتى انقضت السورة أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٧٠٣) - (٧٠٤) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٢٤/٤٣

(٨٥٣٤٧) - قال مقاتل بن سليمان: (قل يا أيها الكافرون) نزلت في المستهزئين من قريش، وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ بمكة: (والنجم إذا هوى) فلما قرأ: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) [النجم: (١٩) - (٢٠)] ألقى الشيطان على لسانه في وسنه، فقال: تلك الغرانيق العلا، عندها الشفاعة ترتجى - فقال أبو جهل بن هشام، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والمستهزؤون من قريش عشيا في دبر الكعبة: لا تفارقنا يا محمد إلا على أحد الأمرين؛ ندخل معك في بعض دينك ونعبد إلهك، وتدخل معنا في بعض ديننا وتعبد آلهتنا، أو تتبرأ من آلهتنا ونتبرأ من إلهك - فأنزل الله فيهم تلك الساعة: (قل يا أيها الكافرون) إلى آخر السورة، فأتاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد، فقال: (قل يا أيها الكافرون) [السورة]، ثم انصرف عنهم، فقال بعضهم: تبرأ هذا منكم فشتموه وآذوه تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٨٨٧) - (٨٨٨) - انتقد ابن تيمية ((٧) / (٢١٦)) مستندا إلى أقوال السلف، والدلالة العقلية - من جعل الخطاب في السورة لمعينين، قائلا: «وهذا غلط، فإن قوله: (قل يا أيها الكافرون) خطاب لكل كافر، وكان يقرأ بها في المدينة بعد موت أولئك المعينين، ويأمر بها ويقول: هي براءة من الشرك، فلو كانت خطابا لأولئك المعينين، أو لمن علم منهم أنه يموت كافرا، لم يخاطب بها من لم يعلم ذلك منه - وأيضا فأولئك المعينون إن صح أنه إنما خاطبهم فلم يكن إذ ذاك علم أنهم يموتون على الكفر - والقول بأنه إنما خاطب بها معينين قول لم يقله من يعتمد عليه، ولكن قد قال مقاتل بن سليمان: إنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد - ونقل مقاتل وحده مما لا يعتمد عليه باتفاق أهل الحديث، كنقل الكلبي، ولهذا كان المصنفون في التفسير من أهل النقل لا يذكرون عن واحد منهما شيئا كمحمد بن جرير، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبي بكر بن المنذر فضلا عن مثل أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وقد ذكر غيره هذا عن قريش مطلقا» - ثم ذكر الأثر الثاني في سبب نزول السورة الوارد عن ابن عباس، والأثر الذي يليه عن وهب بن منبه، ثم ذكر الحديث الوارد في الآثار المتعلقة بالسورة من رواية نوفل بن معاوية الأشجعي في أن سورة الكافرون براءة من الشرك، ثم علق عليه بقوله: «فقد أمر رسول الله واحدا من المسلمين أن يقرأها، وأخبره أنها براءة من الشرك، فلو كان الخطاب لمن يموت على الشرك كانت براءة من دين أولئك فقط، لم تكن براءة من الشرك الذي يسلم صاحبه فيما بعد، ومعلوم أن المقصود منها أن تكون براءة من كل شرك اعتقادي وعملي» - .

". (١)

"بغير دين الإسلام، وهو الذي بعث الله به محمدا لم يرض الله ولا رسوله من أحد من الخلق بغير هذا الدين قط، وإن كان لم يأمر بجهادهم في أول الأمر لعجز المسلمين وقلتهم» - وانتقد ابن القيم ((٣) / (٣٧٩)) قول مقاتل - مستندا إلى الدلالة العقلية - قائلا: «وقد **غلط** في السورة خلائق، وظنوا أنها منسوخة بآية السيف؛ لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم، وظن آخرون أنها مخصوصة بمن يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب، وكلا القولين **غلط** محض، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص، بل هي محكمة، وعمومها نص محفوظ، وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها، فإن أحكام التوحيد التي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه، وهذه السورة أخلصت التوحيد، ولهذا تسمى سورة الإخلاص كما تقدم - ومنشأ الغلط: ظنهم أن الآية اقتضت إقرارهم على دينهم، ثم رأوا أن هذا الإقرار زال بالسيف، فقالوا: منسوخ - وقالت طائفة: زال عن بعض الكفار، وهم من لا كتاب لهم، فقالوا: هذا مخصوص بأهل الكتاب - ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريرا لهم أو إقرارا على دينهم أبدا، بل لم يزل رسول الله من أول الأمر وأشده عليه وعلى أصحابه أشد في الإنكار عليهم، وعيب دينهم، وتقبيحه والنهي عنه، والتهديد والوعيد كل وقت، وفي كل ناد، وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم، وعيب دينهم، ويتركونه وشأنه، فأبى إلا مضيا على الإنكار عليهم وعيب دينهم، فكيف يقال: إن الآية اقتضت تقريره لهم؟ معاذ الله من هذا الزعم الباطل، إنما الآية اقتضت البراءة المحضة كما تقدم، وأن ما هم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبدا، فإنه دين باطل، فهو مختص بكم، لا نشرككم فيه، ولا أنتم تشركوننا في ديننا الحق، فهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم، فأين الإقرار حتى يدعوا النسخ أو التخصيص؟! أفترى إذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح أن يقال: (لكم دينكم ولي دين)؟! بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يطهر الله منهم عباده وبلاده» - .

* * *

سورة النصر

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٤/١١٤

". (١)

"يغفر له - أوهم وهم - بكسر الهاء - **غلط** وسها، وعن ابن الأعرابي: أوهم ووهم ووهم سواء - مادة (وهم) - ولكن الإمام الخطابي في معالم السنن (٣) / (٢٢٧) خطأ رواية (أوهم) بالألف، وصوب أنه (وهم) بغير ألف.، إنما كان هذا الحي من الأنصار - وهم أهل وثن - مع هذا الحي من اليهود - وهم أهل كتاب - ، كانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، فكان من أمر أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف أي: على جانب - لسان العرب (حرف).، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون شرح امرأته: إذا وطئها نائمة على قفاها - لسان العرب (شرح) - النساء شرحا، ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرته عليه، وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف، فاصنع ذلك، وإلا فاجتنبني - فشري أي: عظم وتفاقم ولجوا فيه - لسان العرب (شرى) - أمرهما، فبلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ فأنزل الله: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) - يقول: مقبلات ومدبرات، بعد أن يكون في الفرج، وإنما كانت من قبل دبرها في قبلها - زاد الطبراني: قال ابن عباس: قال ابن عمر: في دبرها - فأوهم ابن عمر - والله يغفر له - ، وإنما كان الحديث على هذا أخرجه أبو داود (٣) / (٤٩٢) - (٤٩٣) ((٢١٦٤))، والحاكم (٢) / (٢١٢) - (٢١٤) ((٢٧٩١)) - قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، على شرط مسلم» - وقال ابن كثير في تفسيره (١) / (٥٩١): «تفرد به أبو داود، ويشهد له بالصحة ما تقدم من الأحاديث، ولا سيما رواية أم سلمة؛ فإنها مشابهة لهذا السياق» - وقال في التلخيص الحبير (٣) / (٣٩٦): «وله شاهد من حديث أم سلمة» - وقال الألباني في صحيح أبي داود (٦) / (٣٧٦) - (٣٧٧، ((١٨٨٠)): «حديث حسن» - .

(٧٩٨٣) - عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، قال: كان عبد الله بن عمر يحدثنا: أن النساء كن يؤتين في أقبالهن وهن موليات، فقالت اليهود: من جاء امرأته وهي مولية جاء ولده أحول - فأنزل الله: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٤) / (١٥٩)، وابن عساكر في

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١٩/٤٤

تاريخه (٦١) / (٤٣٨) عن محمد، عن نافع، عن ابن عمر، من طريق موسى بن عبد الله بن حسن، عن أبيه، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان به - قال العقيلي: «قال البخاري: فيه نظر»، ثم أسند الحديث مختصرا من طريقه - .

(٧٩٨٤) - عن أبي النضر، أنه قال لنافع مولى ابن عمر: أنه قد أكثر عليك القول أنك ." (١)

"تقول عن ابن عمر أنه أفتى أن يؤتى النساء في أدبارهن - قال: كذبوا علي، ولكن سأحدثك كيف كان الأمر، إن ابن عمر عرض المصحف يوما وأنا عنده، حتى بلغ: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)، فقال: يا نافع، هل تعلم من أمر هذه الآية؟ قلت: لا - قال: إنا كنا معشر قريش نجبي النساء، فلما دخلنا المدينة، ونكحنا نساء الأنصار؛ أردنا منهن مثل ما كنا نريده، فإذا هن قد كرهن ذلك وأعظمنه، وكانت نساء الأنصار قد أخذت بحال اليهود، إنما يؤتين على جنوبهن؛ فأنزل الله: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أخرجه النسائي في الكبرى (٨) / (١٩٠) ((٨٩٢٩))، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥) / (٤٢٣) - (٤٢٤) - قال ابن كثير في تفسيره (١) / (٥٩٢): «هذا إسناد صحيح» - وقال ابن القيم في تهذيب السنن (٦) / (١٤١): «فهذا هو الثابت عن ابن عمر، ولم يفهم عنه من نقل عنه غير ذلك» - .

(٧٩٨٥) - عن عبد الله بن عمر: أن رجلا أصاب امرأته في دبرها زمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأنكر ذلك الناس، وقالوا: أثفرها أثفر الدابة: عمل لها ثفرا أو شدها به، والثفر السير الذي في مؤخر السرج - لسان العرب (ثفر) - قال الحافظ ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب معلقا على هذا الأثر ونحوه (١) / (٥٧٥): لأنه إذا أولج وهي باركة صار ذكره كالثفر للدابة، سواء كان الإيلاج في القبل أم الدبر، فحمله على القبل موافق للروايات الأولى وهي أصح وأشهر - - فأنزل الله: (نساؤكم حرث لكم الآية) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦) / (٢٤٢) ((٦٢٩٨))، وابن جرير (٣) / (٧٥٣) - قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن ابن أبي ذئب إلا أبو صفوان» - وقال الهيثمي في المجمع (٦) / (٣١٩) ((١٠٨٦٢)): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب، وثقه ابن حبان، وضعفه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧١/٥

الأكثرون، وبقية رجاله ثقات» - وقال السيوطي: «بسند حسن» - .

(٦٩٨٧) - عن عبد الله بن عمر - من طريق نافع - قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تشكو زوجها؛ فأنزل الله: (نساؤكم حرث لكم) الآية أخرجه الخطيب في رواة مالك - كما في التلخيص الحبير (٣) / (٣٩٤) - ، من طريق أحمد بن الحكم العبدي، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر به - إسناده ضعيف؛ فيه أحمد بن الحكم العبدي، ضعفه الدارقطني، وقال مرة: «متروك» - كما في لسان الميزان لابن حجر (٢) / (٦٠٩) ((٤٧٦)) - .

(٧٩٨٧) - عن عبد الله بن عمر - من طريق زيد بن أسلم - : أن رجلا أتى امرأته في دبرها، فوجد في نفسه من ذلك وجدا شديدا؛ فأنزل الله: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أخرجه النسائي في الكبرى (٨) / (١٩١) ((٨٩٣٢))، والطحاوي في مشكل الآثار (١٥) / (٤١٠) ((٦١١٧))، وابن جرير (٣) / (٧٥٣) - قال ابن كثير في تفسيره (١) / (٥٩٢): «قال أبو حاتم الرازي: لو كان هذا عند زيد بن أسلم عن ابن عمر لما أولع الناس بنافع - قلت - أي: ابن كثير - : وهذا تعليل منه لهذا الحديث» - وقال ابن حجر في العجاب (١) / (٥٧٣): «قال ابن عبد البر: الرواية عن ابن عمر بهذا المعنى صحيحة معروفة عنه مشهورة من رواية نافع، فغير نكير أن يرويها زيد بن أسلم أيضا» - وقال محمد صديق خان في الروضة الندية (٢) / (٤٤): «صح عن ابن عمر من طرق» - وقال العظيم آبادي في عون المعبود (٦) / (١٤٢): «هذا غلط بلا شك، غلط فيه سليمان بن بلال أو ابن أبي أويس راويه عنه، وانقلبت عليه لفظة» من «بلفظة» في «، وإنما هو: أتى امرأة من دبرها» - .

(٧٩٨٨) - ." [1]

"عن طاووس، قال: سئل ابن عباس عن الذي يأتي امرأته في دبرها - فقال: هذا يسألني عن الكفر أخرجه عبد الرزاق في جامعه ((٢٠٩٥٣)) عن معمر، وعبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير (١) / (٣٨٤) - ، والنسائي في الكبرى ((٩٠٠٤))، والبيهقي في الشعب ((٥٣٧٨)) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧٢/٥

(٨٠٧٧) – عن عبد الله بن عباس – من طريق عكرمة – : أنه كان يعيب النكاح في الدبر عيبا شديدا أخرجه البيهقي في سننه (٧) / (١٩٩) – .

(٨٠٧٨) – عن سعيد بن يسار أبي الحباب، قال: قلت لابن عمر: ما تقول في الجواري نحمض لهن؟ قال: وما التحميض؟ فذكر الدبر، فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟! أخرجه الدارمي (١) / (٢٦٠) – .

(٨٠٧٩) – عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر: أن عبد الله بن عمر كان لا يرى بأسا أن يأتي الرجل المرأة في دبرها أخرجه النسائي في الكبرى ((٨٩٨٠)) – وجه ابن عطية ((١) / (٥٤٦)) ما ورد عن ابن عمر، فقال بعدما ذكر قول من يبيح إتيان المرأة في الدبر: «روي ذلك عن عبد الله بن عمر، وروي عنه خلافه وتكفير من فعله، وهذا هو اللائق به» – وبين ابن تيمية ((١) / (٥١٤) بتصرف) أن ما نقله نافع عن ابن عمر اختلفت أنظار الناس فيه، فقال: «فمن الناس من يقول: **غلط** نافع على ابن عمر، أو لم يفهم مراده، وكان مراده: أنها نزلت في إتيان النساء من جهة الدبر في القبل؛ فإن الآية نزلت في ذلك باتفاق العلماء، وكانت اليهود تنهى عن ذلك، وتقول: إذا أتى الرجل المرأة في قبلها من دبرها جاء الولد أحول – فأنزل الله هذه الآية – وكان سالم بن عبد الله بن عمر يقول: كذب العبد على أبي – وهذا مما يقوي **غلط** نافع على ابن عمر؛ فإن الكذب كانوا يطلقونه بإزاء الخطأ – ومن الناس من يقول: ابن عمر هو الذي **غلط** في فهم الآية – والله أعلم أي ذلك كان؛ لكن نقل عن ابن عمر أنه قال: أو يفعل هذا مسلم؟!» – وأما ابن كثير ((١) / (٥٩٧)) فذكر قول ابن عمر لما سئل عن تحميض الجواري: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟!، ثم قال: «وهذا إسناد صحيح، ونص صريح منه بتحريم ذلك، فكل ما ورد عنه مما يحتمل ويحتمل فهو مردود إلى هذا المحكم» – يقول ابن عطية ((١) / (٥٤٦) – (٥٤٧) بتصرف) بعد توجيهه السابق لما ورد عن ابن عمر: «وقد ورد عن رسول – صلى الله عليه وسلم – – أنه قال: «إتيان النساء في أدبارهن حرام» – وهذا هو الحق المتبع، ولا ينبغي لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج في هذه النازلة على زلة عالم بعد أن تصح عنه» – وقال ابن تيمية ((١) / (٥١٥)) أيضا: «لكن بكل حال معنى الآية هو ما فسرها به الصحابة والتابعون، وسبب النزول يدل على ذلك؛ فإن الله قال في كتابه: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) – وقد ثبت في الصحيح: أن اليهود كانوا يقولون إذا أتى الرجل امرأته في قبلها من

دبرها: جاء الولد أحول - فسأل المسلمون عن ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ فأنزل الله هذه الآية: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)، والحرث: موضع الزرع، والولد إنما يزرع في الفرج لا في الدبر، (فأتوا حرثكم) وهو موضع الولد (أنى شئتم) أي: من أين شئتم؛ من قبلها، ومن دبرها، وعن يمينها، وعن شمالها - فالله تعالى سمى النساء حرثا؛ وإنما رخص في إتيان الحروث، والحرث إنما يكون في الفرج - وقد جاء في غير أثر: أن الوطء في الدبر هو اللوطية الصغرى - وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن الله لا يستحيي من الحق؛ لا تأتوا النساء في حشوشهن» - والحش هو: الدبر، وهو موضع القذر - والله سبحانه حرم إتيان الحائض مع أن النجاسة عارضة في فرجها، فكيف بالموضع الذي تكون فيه النجاسة المغلظة؟!» - وذكر ابن القيم ((١) / (١٧٦)) أن من نسب إلى بعض السلف جواز وطء الزوجة في دبرها، فقد **غلط** عليه - .

(٨٠٨٠) - ". [١]

"(وما خلفهم): ما يكون بعدهم من الدنيا والآخرة أخرجه ابن جرير (٤) / (٥٣٦) - ذكر ابن جرير ((٤) / (٥٣٥) - (٥٣٦)) أن معنى الآية: إحاطة علم الله تعالى بكل ما كان، وبكل ما هو كائن، مستدلا بآثار السلف - .

(ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)

(١٠٢٠٤) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - (ولا يحيطون بشيء من علمه) يقول: لا يعلمون بشيء من علمه (إلا بما شاء) هو أن يعلمهم أخرجه ابن جرير (٤) / (٥٣٧)، وابن أبي حاتم (٢) / (٤٩٠) - .

(١٠٢٠٥) - قال مقاتل بن سليمان: (ولا يحيطون) يعني: الملائكة (بشيء من علمه إلا بما شاء) الرب، فيعلمهم تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢١٣) - .

(١٠٢٠٦) - عن سفيان - من طريق محمد بن يوسف الفريابي - في قوله: (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)، قال: لا يقدر أحد على شيء من علمه إلا بما شاء أخرجه ابن أبي حاتم (٢) / (٤٩٠) - .

(وسع كرسيه السماوات والأرض)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٥/٩٠

(٠٢٠٧١) - عن ابن عباس، قال: سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن قول الله: (وسع كرسيه السماوات والأرض)، قال: «كرسيه موضع قدمه، والعرش لا يقدر قدره» أخرجه الخطيب في تاريخه (١٠) / (٣٤٨) ((٣٠٨٧))، والدارقطني في الصفات ص (٣٠) ((٣٦)) بنحوه - قال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١) / (٧): «هذا الحديث وهم شجاع بن مخلد في رفعه؛ فقد رواه أبو مسلم الكجي وأحمد بن منصور الرمادي، كلاهما عن أبي عاصم، فلم يرفعاه، ورواه عبد الرحمن بن مهدي ووكيع، كلاهما عن سفيان، فلم يرفعاه، بل وقفاه على ابن عباس، وهو الصحيح» - وقال ابن كثير في تفسيره (١) / (٦٨٠): «كذا أورد هذا الحديث الحافظ أبو بكر ابن مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس، فذكره، وهو غلط، وقد رواه وكيع في تفسيره: حدثنا سفيان عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره - وقد رواه الحاكم في مستدركه عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي، عن محمد بن معاذ، عن أبي عاصم، عن سفيان، وهو الثوري، بإسناده عن ابن عباس موقوفا مثله، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه - وقد رواه ابن مردويه من طريق الحاكم بن ظهير الفزاري الكوفي، وهو متروك، عن السدي، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعا، ولا يصح أيضا» - وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢) / (٢٦٥) ((٣٦٦٩)) ترجمة شجاع بن مخلد الفلاس: «أخطأ شجاع في رفعه، رواه الرمادي والكجي عن أبي عاصم موقوفا، وكذا رواه ابن مهدي ووكيع عن سفيان» - وقال الألباني في الضعيفة (٢) / (٣٠٦) ((٩٠٦)): «ضعيف» - .
." (١)

"الأعمش، فلما كان ليلة أردت أن أنحدر قام فتهجد من الليل، فمر بهذه الآية: (شهد الله أنه لا إله إلا هو) إلى قوله: (إن الدين عند الله الإسلام)، فقال: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهي لي وديعة عند الله - قالها مرارا، فقلت: لقد سمع فيها شيئا، فسألته، فقال: حدثني أبو وائل، عن عبد الله، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله: عبدي عهد إلي، وأنا أحق من وفى بالعهد؛ أدخلوا عبدي الجنة» أخرجه الطبراني في الكبير (١٠) / (١٩٩) ((١٠٤٥٣))، والبيهقي في الشعب (٤) / (٧٠) ((٢١٩٠)) - قال ابن عدي في الكامل (٦) / (٦٧) ((١٢٠٦)): «عمر بن المختار بصري يحدث بالبواطيل» - وأورد له هذا الحديث - وقال البيهقي: «عمار بن المختار عن أبيه، ضعيفان، وهذا لم يأت به غيرهما» - وقال ابن الجوزي في العلل

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٤٢/٥

المتناهية (١) / (١٠٢) - (١٠٣) ((٤٦١) - (١٤٨)): «هذا حديث لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، تفرد به عمر بن المختار، وعمر يحدث بالأباطيل، وفي الطريق الأول عمران، وهو غلط، إنما هو عمار بن عمر، قال العقيلي: لا يتابع عمار على حديثه، ولا يعرف إلا به» - وقال الهيثمي في المجمع (٦) / (٣٢٥) - (٣٢٦) ((١٠٨٩٠)): «رواه الطبراني، وفيه عمر بن المختار، وهو ضعيف» - وقال السيوطي: «والبيهقي في شعب الإيمان، وضعفه» - وقال الألباني في الضعيفة (١٣) / (٥١٤) ((٦٢٣٩)): «منكر» - .

(١٢٣٠٥) - عن حمزة الزيات، قال: خرجت ذات ليلة أريد الكوفة، فآواني الليل إلى خربة، فدخلتها، فبينا أنا فيها دخل علي عفريتان من الجن، فقال أحدهما لصاحبه: هذا حمزة بن حبيب الزيات الذي يقرئ الناس بالكوفة؟ قال: نعم، والله، لأقتلنه - قال: دعه المسكين يعيش - قال: لأقتلنه - فلما أزمع على قتلي قلت: بسم الله الرحمن الرحيم (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)، وأنا على ذلك من الشاهدين - فقال له صاحبه: دونك الآن، فاحفظه راغما إلى الصباح أخرجه أبو الشيخ في العظمة ((١١٠٧)) - .

(إن الدين عند الله الإسلام)

قراءات

(١٢٣٠٦) - عن الأعمش، قال: في قراءة عبد الله [بن مسعود]: (شهد الله أن لا إله إلا هو)، وفي قراءته: " أن الدين عند الله الإسلام " أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص (٥٩) - القراءة الأولى شاذة، أما الثانية فقرأ بها الكسائي - ينظر: البحر المحيط (٢) / (٤٢٠)، والنشر (٢) / (٢٣٨) - .

تفسير الآية

." (١)

"يقول: مع الله أخرجه ابن جرير (٥) / (٤٣٧)، وابن المنذر (١) / (٢١٥) من طريق أبي قرة - .

(١٣٠٥٣) - قال مقاتل بن سليمان: مر عيسى - صلى الله عليه وسلم - على الحواريين، يعني: على القصارين القصار: محور الثياب ومغسلها - تاج العروس (قصر) - غسالي الثياب، (قال من أنصاري إلى الله) يعني: من يتبعني مع الله، كقوله: (فأرسل إلى هارون) [الشعراء: (١٣)]، يعني: معي هارون، وكقوله

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٨٧/٧

سبحانه: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) [النساء: (٢)]، يعني: مع أموالكم تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢٧٨) - .

(١٣٠٥٤) - عن سفيان - من طريق الفريابي - في قوله: (من أنصاري إلى الله)، قال: من أنصاري مع الله أخرجه ابن أبي حاتم (٢) / (٦٥٩) - لم يذكر ابن جرير ((٥) / (٤٣٦)) إلا ما جاء في هذا القول من أن (إلى) بمعنى: مع، ووجهه مستندا إلى لغة العرب بقوله: «وإنما حسن أن يقال: (إلى الله) بمعنى: مع الله؛ لأن من شأن العرب إذا ضموا الشيء إلى غيره، ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما مع الآخر إذا ضم إليه؛ جعلوا مكان» مع «:» إلى «أحيانا» - وخالف ابن عطية ((٢) / (٢٣٤)) ابن جرير، حيث ذهب إلى أن (إلى) في الآية ليست بمعنى: مع، وإنما هي للدلالة على الغاية، فقال معلقا على قول من جعلها بمعنى: مع: «نعم، إن» مع «تسد في هذه المعاني مسد» إلى «، لكن ليس يباح من هذا أن يقال: إن» إلى «بمعنى» مع «، حتى غلط في ذلك بعض الفقهاء في تأويل قوله تعالى: (وأيديكم إلى المرافق) [المائدة: (٦)]، فقال: (إلى) بمعنى» مع «، وهذه عجمة، بل (إلى) في هذه الآية غاية مجردة، وينظر هل يدخل ما بعد (إلى) فيما قبلها من طريق آخر» - وبنحوه قال ابن كثير ((٣) / (٦٧)) - ويكون معنى قوله: (من أنصاري إلى الله) عندهما، أي: من يتبعني أو من ينصرني في السبيل إلى الله - .
سورة آل عمران - (قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالرله واشهد بأنا مسلمون)
قراءات
(١٣٠٥٥) - عن أسيد بن يزيد، قال: (واشهد بأننا مسلمون) في مصحف عثمان ثلاثة ". (١)

"يعني: ظلما بغير حق، فيمت على ذلك أخرجه ابن أبي حاتم (٣) / (٩٢٩) - .

(١٧٦٠٨) - عن عطاء بن أبي رباح - من طريق ابن جريج - (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما) قال: من يقتل عدوانا وظلما (فسوف نصليه نارا) أخرجه ابن المنذر (٢) / (٦٦٣) - .

(١٧٦٠٩) - عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء [بن أبي رباح]: أرأيت قوله تعالى: (ومن يفعل ذلك عدوانا

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧/٢١٨

وظلما فسوف نصليه نارا)، في كل ذلك، أم في قوله: (ولا تقتلوا أنفسكم)؟ قال: بل في قوله: (ولا تقتلوا أنفسكم) أخرجه ابن جرير (٦) / (٦٣٨)، وابن المنذر (٢) / (٦٦٢) - .

(١٧٦١٠) - قال مقاتل بن سليمان: (ومن يفعل ذلك) يعني: الدماء والأموال جميعا (عدوانا وظلما) يعني: اعتداء بغير حق، وظلما لأخيه؛ (فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) يقول: كان عذابه على الله هينا تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٦٩) - .

(١٧٦١١) - عن يحيى بن المغيرة، قال: ذكر جرير [بن عبد الحميد الضبي]: أن هذه الآية فيمن يؤدي الميراث: (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما) أخرجه ابن أبي حاتم (٣) / (٩٢٨) - اختلف في المشار إليه بـ (ذلك) على ثلاثة أقوال: أولها: أنه متوجه إلى القتل؛ لأنه أقرب مذكور - وهذا قول عطاء - وثانيها: أنه متوجه إلى أكل المال بالباطل، وقتل النفس بغير حق؛ لأن النهي عنهما جاء متسقا مسرودا، ثم ورد الوعيد حسب النهي - وثالثها: أنه متوجه إلى كل ما نهى عنه من القضايا من أول السورة، إلى قوله تعالى: (ومن يفعل ذلك) - وذهب ابن جرير ((٦) / (٦٣٩)) مستندا إلى دلالة العقل، والسياق إلى أنه متوجه إلى ما نهى عنه من آخر وعيد؛ وذلك قوله تعالى: (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها)؛ لأن كل ما نهي عنه من أول السورة قرن به وعيد إلا من قوله: (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها)، فإنه والنواهي بعده لا وعيد معها إلا قوله: (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما) - .
آثار متعلقة بـالآية
(١٧٦١٢) - عن ثابت بن الضحاك، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة» أخرجه البخاري (٨) / (١٥) ((٦٠٤٧))، (٨) / (٢٦) ((٦١٠٥))، (٨) / (١٣٣) ((٦٦٥٢))، ومسلم (١) / (١٠٤) - (١٠٥) ((١١٠)) - .

(١٧٦١٣) - عن جندب بن عبد الله، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينا، فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة» أخرجه البخاري (٤) / (١٧٠) ((٣٤٦٣))، (٢) / (٩٦) ((١٣٦٤))، ومسلم (١) / (١٠٧) ((١١٣)) بلفظ مقارب - .

(١٧٦١٤) – عن جابر بن سمرة، قال: أتي النبي – صلى الله عليه وسلم – برجل قتل نفسه بمشاقص؛ فلم يصل عليه أخرجه مسلم (٢) / (٦٧٢) ((٩٧٨)) – وأورده الثعلبي (٣) / (٢٩٣) – .

(إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم)

قر ا ءات

(١٧٦١٥) – عن عبد الله بن عباس أنه قرأ: (تكفر) بالتاء، ونصب الفاء ذكره عبد بن حميد كما في قطعة من تفسيره ص (٨٦) – ويترتب عليها ضم التاء من (سيئاتكم)، وهي قراءة شاذة؛ لخروجها عن قراءات العشرة – .

تفسير الآية

(١٧٦١٦) – عن عبد الله بن مسعود، قال: سألت النبي – صلى الله عليه وسلم – : ما الكبائر؟ قال: «أن تدعو لله ندا وهو خلقك، وأن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك، وأن تزني بحليلة جارك» – وقرأ علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) [الفرقان: (٦٨)] أخرجه الحميدي في مسنده (١) / (٢١١) ((١٠٣))، وابن جرير (٦) / (٦٥٦)، (١٧) / (٥٠٦) – (٥٠٧) واللفظ له – قال ابن جرير (٦) / (٦٥٨): «أما خبر ابن مسعود الذي حدثني به الفريابي على ما ذكرت فإنه عندي **غلط** من عبيد الله بن محمد؛ لأن الأخبار المتظاهرة من الأوجه الصحاح عن ابن مسعود عن النبي – صلى الله عليه وسلم – بنحو الرواية التي رواها الزهري عن ابن عيينة، ولم يقل أحد منهم في حديثه عن ابن مسعود: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سئل عن الكبائر – فنقلهم ما نقلوا من ذلك عن ابن مسعود عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أولى بالصحة من نقل الفريابي» – .

(١٧٦١٧) – عن عبد الله، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذه الآية: (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) إلى آخر الآية، ثم قال: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) [النساء: (٢٣)]، قال: «هو من الكبائر» أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص (٧٥) – (٧٦) ((١٦))، من طريق مسلم بن إبراهيم قال حدثنا هشام بن أبي عبد الله قال حدثنا حماد عن إبراهيم عن عبد الله به – إسناده ضعيف؛ لانقطاعه، فقد أرسله إبراهيم عن ابن مسعود، وهشام في الإسناد هو الدستوائي، وحماد هو ابن أبي سليمان، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي، قال عنه ابن حجر في التقريب ((٢٧٠)): «ثقة إلا أنه يرسل

كثيرا»، وقال إبراهيم: إذا حدثتكم عن رجل عن عبدالله فهو الذي سمعت، وإذا قلت: قال عبدالله: فهو عن غير واحد عن عبدالله" - .

(١٧٦١٨) - ". "[1]

"الشيخ: والله لو أشير إليهم أن ينصرفوا إلى مكان مناسب لهم، ولا يقطعون على الناس أذكارهم من غير نهر، يعني لا نخرج من مخالفة ونقع في مخالفة.

طالب: بعضهم يقول: (وأما السائل فلا تنهر) إطلاقا يعني، ما دام أنه يسأل لن أقول له؟

الشيخ: هو إذا وجد من يتكلم غيرك فالسلامة لا يعدلها شيء لئلا تقع في النهي.

وكذا جاء مفسرا من حديث أنس قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: مه مه، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لا تزرموه دعوه)) فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دعاه فقال له: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن)) أو كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه، خرجه مسلم، ومما يدل على هذا من الكتاب قوله الحق: ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ [(٣٦) سورة النور] وقوله -صلى الله عليه وسلم- لمعاوية بن الحكم السلمي: ((إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)).

طالب: حديث معاوية إن هذه الصلاة، وهنا يقول: إن هذه المساجد.

الشيخ: لا، **غلط** غلط، هذا **غلط** من المؤلف نفسه، المؤلف نفسه؛ لأن الكلام في المساجد فأدرج هذا الحديث وهما، والحديث في الصلاة.

أو كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحديث بطوله خرجه مسلم في صحيحه وحسبك!.

وسمع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- صوت رجل في المسجد فقال: ما هذا الصوت؟! أتدري أين أنت؟ وكان خلف بن أيوب جالسا في مسجده فأتاه غلامه يسأله عن شيء فقام وخرج من المسجد وأجابه فقيل له في ذلك فقال: ما تكلمت في المسجد بكلام الدنيا منذ كذا وكذا فكرهت أن أتكلم اليوم.

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٧١/٩

يكفي.

اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه.." (١)

"الشيخ: ما في شك الأمن وإن أمن أمن البهائم وسلمت نفسه وروحه وماله وعرضه، لكن أين الأمن التام المطلق الذي يتدين الإنسان كما يشاء، ويقول ما يشاء، إذا كان مرضيا لله -جل وعلا-، فعلى كل حال كل شيء بقدره.

﴿وليبدلنهم﴾ [(٥٥) سورة النور] قرأ ابن محيصن وابن كثير ويعقوب وأبو بكر بالتخفيف من أبدل، وهي قراءة الحسن، واختيار أبي حاتم الباقون بالتشديد من بدل، وهي اختيار أبي عبيد؛ لأنها أكثر ما في القرآن، قال الله تعالى: ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ [(٦٤) سورة يونس] وقال: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ [(١٠١) سورة النحل] ونحوه وهما لغتان، قال النحاس: وحكى محمد بن الجهم عن الفراء قال: قرأ عاصم والأعمش ﴿وليبدلنهم﴾ مشددة، وهذا **غلط** عن عاصم، وقد ذكر بعده غلطا أشد منه، وهو أنه حكى عن سائر الناس التخفيف، قال النحاس: وزعم أحمد بن يحيى أن بين التثقيل والتخفيف فرقا، وأنه يقال: بدلته: أي غيرته، وأبدلته: أزلته وجعلت غيره، قال النحاس: وهذا القول صحيح كما تقول: أبدل لي هذا الدرهم أي أزله، وأعطني غيره، وتقول: قد بدلت بعدنا: أي غيرت، غير أنه قد يستعمل أحدهما موضع الآخر، والذي ذكره أكثر، وقد مضى هذا في (النساء) والحمد لله.

وقد وذكرنا في سورة إبراهيم الدليل من السنة على أن بدل معناه إزالة العين، فتأمله هناك وقرئ ﴿عسى ربنا أن يبدلنا﴾ [(٣٢) سورة القلم] مخففا ومثقلا، ﴿يعبدونني﴾ هي في موضع الحال، أي في حال عبادتهم الله بالإخلاص، ويجوز أن يكون استئنافا، على طريق الثناء عليهم.

﴿لا يشركون بي شيئا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا يعبدون إلها غيري، حكاه النقاش.

الثاني: لا يراءون بعبادتي أحدا، الثالث: لا يخافون غيري، قاله ابن عباس. الرابع: لا يحبون غيري قاله مجاهد ..

معناه أنهم لا يعبدون أحدا غير الله -جل وعلا- لا عبادة تامة، ولا يصرفون له شيئا من حقوق الرب -جل وعلا-.." (٢)

---

(١) التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٢٩/١٠

(٢) التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٢٣/١٢

"وكون الكلام يستقيم بدونها لا يعني أنها لا فائدة لها، وإنما فائدتها: تأكيد النفي.

﴿ذكرى﴾ [(٢٠٩) سورة الشعراء] قال الكسائي: ﴿ذكرى﴾ في موضع نصب على الحال، قال النحاس وهذا لا يحصل، والقول فيه قول الفراء وأبي إسحاق أنها في موضع نصب على المصدر، قال الفراء: أي يذكرون ذكرى، وهذا قول صحيح؛ لأن معنى ﴿إلا لها منذرون﴾ إلا لها مذكرون، و ﴿ذكرى﴾ لا يتبين فيه الإعراب؛ لأن فيها ألفا مقصورة.

يتعذر ظهور حركة الإعراب، يعني يمتنع.

ويجوز ﴿ذكرى﴾ بالتنوين، ويجوز أن يكون ﴿ذكرى﴾ في موضع رفع على إضمار مبتدأ، قال أبو إسحاق: أي إنذارنا ذكرى، وقال الفراء: أي ذلك ذكرى وتلك ذكرى، وقال ابن الأنباري: قال بعض المفسرين: ليس في (الشعراء) وقف تام إلا قوله: ﴿إلا لها منذرون﴾ وهذا عندنا وقف حسن، ثم يبتدئ ﴿ذكرى﴾ على معنى: هي ذكرى: أي يذكرهم ذكرى، والوقف على ﴿ذكرى﴾ أجود، ﴿وما كنا ظالمين﴾ في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.

قوله تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ [(٢١٠) سورة الشعراء] يعني القرآن، بل ينزل به الروح الأمين، ﴿وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون﴾ [(٢١١ - ٢١٢) سورة الشعراء] أي برمي الشهب كما مضى في سورة (الحجر) بيانه، وقرأ الحسن ومحمد بن السميقع: (وما تنزلت به الشياطون)، قال المهدوي: وهو غير جائز في العربية ومخالف للخط، وقال النحاس: وهذا **غلط** عند جميع النحويين، وسمعت علي ين سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: هذا **غلط** عند العلماء، إنما يكون بدخول شبهة، لما رأى الحسن في آخره ياء ونونا وهو في موضع رفع اشتبه عليه بالجمع المسلم فغلط.

يعني كأنه عامله معاملة الجمع المذكر السالم، وجمع شيطان جمع تكسير، فيلازم الياء.." [(١)]

"وفي الحديث: ((احذروا زلة العالم))، وقد قرأ هو مع الناس: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ [(١٤) سورة البقرة] ولو كان هذا بالواو في موضع رفع؛ لوجب حذف النون للإضافة، وقال الثعلبي: قال الفراء: **غلط** الشيخ -يعني الحسن- فقيل ذلك للنضر بن شميل فقال: إن جاز أن يحتج بقول رؤبة والعجاج وذويهما، جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه مع أنا نعلم أنهما لم يقرأ بذلك إلا وقد سمعا في ذلك شيئا، وقال المؤرج: إن كان الشيطان من شاط يشيط كان لقراءتهما وجه.

---

(١) التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٢٢/١٩

شاط يشيط إذا احترق، وإن كان من شطن أي: بعد، فليس لقراءتهم وجه؛ لأن النون أصلية، وإن كان من شاط كان له وجه؛ لأن النون مع الياء أو الواو مزيدة.

وقال يونس بن حبيب: سمعت أعرابيا يقول: دخلنا بساتين من ورائها بساتون، فقلت: ما أشبه هذا بقراءة الحسن، قوله تعالى: ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾ [(٢١٣) سورة الشعراء] قيل: المعنى: قل لمن كفر هذا، وقيل: هو مخاطبة له -عليه السلام-، وإن كان لا يفعل هذا؛ لأنه معصوم مختار، ولكنه خوطب بهذا والمقصود غيره، ودل على هذا قوله: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [(٢١٤) سورة الشعراء] أي: لا يتكلون على نسبهم وقرابتهم فيدعون ما يجب عليهم.

يعني مثل ما جاء في قول الله -جل وعلا-: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [(٦٥) سورة الزمر] وهو معصوم مما دون الشرك فكيف بالشرك؟ لكن المراد غيره.

قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [(٢١٤) سورة الشعراء] فيه مسألتان:." [(١)]

"وقوله: ففزع من في السماوات، ماض وينفخ مستقبل، فيقال: كيف عطف ماض على مستقبل، فزعم الفراء أن هذا محمول المعنى، لأن المعنى إذا نفخ في الصور ففزع إلا من شاء الله، نصب على الاستثناء، وكل أتوه داخرين: قرأ أبو عمرو وعاصم والكسائي ونافع وابن عامر وابن كثير، ﴿آتوه﴾: جعلوه فعلا مستقبلا، وقرأ الأعمش ويحيى وحمزة وحفص عن عاصم: ﴿وكل أتوه﴾ مقصورا على الفعل الماضي، وكذلك قرأه ابن مسعود. وعن قتادة: ﴿وكل أتاه داخرين﴾، قال النحاس: وفي كتابي عن أبي إسحاق في القراءات، من قرأ: وكل ﴿أتوه﴾، وحده على لفظ: كل، ومن قرأ: ﴿آتوه﴾: جمع على معناها، وهذا القول **غلط** قبيح؛ لأنه إذا قال: وكل أتوه، فلم يوحد وإنما جمع، ولو وحد لقال: أتاه، ولكن من قال: أتوه، جمع على المعنى وجاء به ماضيا؛ لأنه رده إلى ﴿ففزع﴾ ومن قرأ: وكل أتوه، حمله على المعنى أيضا، وقال: ﴿آتوه﴾: لأنها جملة منقطعة من الأول.

آتوه: يعني جائين إليهم، كل الناس، وكل من يبعث آت إلى الله جل وعلا، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.

قال ابن نصر: قد حكي عن أبي إسحاق رحمه الله ما لم يقله، ونص أبي إسحاق: ﴿وكل أتوه داخرين﴾، ويقرأ آتوه، فمن وحد فلفظ (كل) ومن جمع فلمعناها، يريد ما أتى في القرآن.

أبو إسحاق، الزجاج، علق عليه، لعل أبي إسحاق الزجاج في معاني القرآن، لكن قال في كتابي القراءات.

طالب: مكتوب في ...

---

(١) التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٢٣/١٩

مكتوب في الأول في الصفحة التي قبلها في القرآت، على كل حال الذي يغلب على الظن أنه الزجاج.
يريد ما أتى في القرآن أو غيره من توحيد خبر (كل) فعلى اللفظ أو جمع فعلى المعنى فلم يأخذ أبو جعفر هذا المعنى.
قال المهدوي: ومن قرأ: ﴿وكل أتوه داخرين﴾، فهو فعل من الإتيان، وحمل على معنى (كل) دون لفظها، ومن قرأ: ﴿كل آتوه داخرين﴾. فهو اسم الفاعل من أتى يدلك على ذلك قوله تعالى: ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ [(٩٥) سورة مريم]. ومن قرأ: ﴿وكل آتاه﴾، حمله على لفظ (كل) دون معناها، وحمل (داخرين) على المعنى ومعناه: صاغرين، عن ابن عباس وقتادة وقد مضى في النحل.
الجبال ومرورها:." (١)

"موقف الشرع من المحاكمات العسكرية

Q ما رأي الشرع في المحاكمات العسكرية؟
A المحاكم العسكرية الظاهر أنها لا تحكم بالكتاب ولا بالسنة، فما دامت لا تحكم بالكتاب ولا بالسنة فأي محكمة عسكرية أو وضعية أو أي محكمة لا تحكم بالكتاب والسنة فأحكامها شرعا باطلة، وهي كما قال القائل: حكوا باطلا وانتظوا صارما فقالوا: صدقنا فقلنا: نعم أمسكوا بسيف ظالم، وتكلموا كلاما غليظا ثم قالوا: هل نحن صح أو غلط؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.
إن الله هو الذي يكشف الغم، واعلم تمام العلم أن الذي يسلط قوما على قوم هو الله، فاطلب من ربك سبحانه وتعالى أن يفرج الهم، هو الذي يكف أذى قوم عن آخرين، فلو جئت بالأمثلة من الناحية العقلية، ما الذي يمنع أمريكا أن تحتل مصر؟ وما الذي يمنع إسرائيل أن تدخل علينا بالصواريخ والقنابل الذرية التي موجودة عندها الآن؟ هو الله، ليست قوتنا ولا شيء، فادع الله سبحانه وتعالى أن يزيل ما بك من هم وغم.
والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.." (٢)

"تفسير قوله تعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات.)
قال تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [النساء:١٢٢]

---

(١) التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١٦/٢١
(٢) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٩/٥

، تكرر مرارا أن القرآن سمي مثاني لهذا، وهو أنه يأتي بحال أهل الشقاوة، ثم يعقب بذكر حال أهل السعادة، وأيضا نكرر أن (عملوا الصالحات) تثبت أن المؤمن العاقل الذي يعمل الصالحات أفضل من المجنون؛ لأن المجنون لم يعمل الصالحات، فعلى هذا من يتمسحون بالمجانين جهلة، وهذا الفعل غلط. فالتقييد بـ (عملوا الصالحات) يبين أن المؤمن العاقل أفضل من المجنون؛ لأن المجنون أمامه اختبار عند الله يوم القيامة ينجح فيه أو لا ينجح.

وفي قوله: (عملوا الصالحات) رد على المرجئة القائلين بأن العمل لا تأثير له.

(سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار) ، قال فريق من العلماء (من تحتها) .

أي: من تحت أشجارها، ومن تحت بيوتها وكذلك عند فريق آخر، ﴿تجري مِن تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا﴾ [النساء:١٢٢] وهذا وعد الله في مقابل وعد الشيطان، ووعد الشيطان قال عنه تعالى: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ [النساء:١٢٠] ، فهنا في المقابل: ﴿وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا﴾ [النساء:١٢٢] .." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته)

قال تعالى: ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما﴾ [النساء:١٣٠] .

أحيانا يكون في الفرقة خير، فإذا استحالت الحياة الزوجة بين الزوجين وحدث كل يوم سباب وشتائم، وعدم إقامة لحدود الله سبحانه وتعالى، وعدم تعاون على إقامة سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم بينهما، ففي هذه الحالة إن يتفرقا يبدل الله الزوج خيرا من زوجته، ويبدل الله الزوجة خيرا من زوجها، وهذا هو معنى: (يغن الله كلا من سعته) .

فالطلاق ليس في كل الأحيان شرا، بل قد يكون في بعض الأحيان خروجا من المشاكل، ومن السباب، ومن مخالفة أمر الله ومخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد شرعه الله سبحانه وتعالى.

تأيمت حفصة رضي الله عنها فعرضها عمر على عثمان فرفضها عثمان، وقد تزوج عثمان بنت رسول الله بعد ذلك، وهي خير له من بنت عمر من ناحية النسب، وحفصة تزوجت رسول الله خير لها من عثمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته﴾ [النساء:١٣٠] وهذه الفرقة إذا وقعت فيجب أن تكون بإحسان، فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ [البقرة:٢٢٩] أي: الطلاق

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٢٢/١٩

الرجعي الذي للزوج حق الرجعة فيه على زوجته مرتان، فإذا طلقها المرة الأولى وراجعها والثانية وراجعها؛ فإنه بعد الثانية إما أن يمسك بمعروف، بأن يردها إليه ويرجعها بالمعروف، أو يسرحها بإحسان.

ما معنى التسريح بإحسان؟ قال بعض أهل العلم إن التسريح بإحسان هو الطلاق، لكنه قول مرجوح؛ لأنك إذا قلت: إن التسريح بإحسان هو الطلاق ورد عليك في الآية نفسها ﴿فإن طلقها﴾ [البقرة:٢٣٠] فعلى هذا تكون طلقة رابعة، ولا يجوز ذلك بالإجماع.

فالتسريح بإحسان من العلماء من قال: إنه الطلاق، لكن الأكثرين على أن التسريح بإحسان معناه: أن تترك الزوجة بعد أن تطلقها التطليقة الثانية بدون أن ترجعها إليك، حتى تنقضي عدتها، وهذا القول أفضل من ناحية النظر؛ لأنك إذا غدرت بعد أن تركتها حتى انتهت عدتها وذهبت إلى أهلها، فإذا بدا لك أن تتزوجها فإنه يجوز؛ لأنه بقي لك طلقة، فإذا قلنا: التسريح بإحسان، فإن الآية: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ [البقرة:٢٢٩] فإذا قلنا لك: طلقها ثالثة فهو غلط، لأنه ما أمر بالطلاق، بل يفهم من الآية أن يسرحها بإحسان، فكأنك تقول له: طلقها مرة ثالثة، والآية لا تتحمل هذا المعنى.

وإن قال بعض أهل العلم: إن التسريح بإحسان هو الطلاق، وأورد فيه حديثا فيه ضعف، لكن التسريح بإحسان هو أن تتركها سارحة حتى تنقضي عدتها فتبتعد عنك بدون طلاق، فيكون محفوظا لك عندها طلقة.

قد يقال: جاء في الآية قوله: ﴿أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا﴾ فقوله: (أسرحكن) أي: أطلقكن.

وA أن التسريح في قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا﴾ [الأحزاب:٢٨] معناه أعم من التطليق، كما يقال: يغدو عليهم بسارحة لهم، ويقال: سرحت البهيمة، أي: تركتها وأرسلتها؛ لأن الفلاحين يقولون: نحن سنروح في الصباح بالبهائم لترعى، إذا: فالتسريح أعم من التطليق.

ولذلك قال أهل العلم في باب ألفاظ الطلاق: ألفاظ الطلاق ثلاثة: طلقتك، وهذا لا يحتاج إلى نية عند التلفظ به، ولا يحتاج إلى سؤال عن النية، كأن تقول: طلقتك، أو أنت طالق، لكن هناك لفظان يحتاجان إلى نية وهما: سرحتك، وفارقتك؛ لأن فارقتك تحتمل الطلاق، وتحتمل غير الطلاق، كذلك التسريح يحتمل الطلاق ويحتمل غير الطلاق، فالتسريح من الكلمات التي تعددت معانيها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما﴾ [النساء:١٣٠] فأتى بقوله: (واسعا) من جنس (يغن الله كلا من سعته) فالآيات في الغالب تختم باسم من أسماء الله سبحانه

أو صفة من صفاته موافقة للأحكام التي فيها، ولما يريده الله سبحانه وتعالى منك.

أي: إذا كنت يا أيتها المرأة التي تزوجت من زوج مؤذ لا يراقب الله ولا يراقب رسول الله، ولا يقيم حدود الله فيك، ويمنعك من إقامة حدود الله في نفسك، فلا تترددي في مسألة الطلاق ولا تخافي، ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته﴾ [النساء: ١٣٠] .

ويا أيها الرجل يا من تزوجت بامرأة شريرة لا تساعدك على إقامة حدود الله، وتخونك إذا خرجت، إن الله لم يضيق عليك، فإن تفارقها يغنك الله سبحانه وتعالى.

فالطلاق ليس في كل الأحوال شرا، وليس في كل الأحوال أيضا خيرا؛ لما فيه من تشتيت للأولاد وتشريد لهم، والله أعلم.." (١)

"عين المسمى ويقول: إن هذا هو مرادهم، مرادهم أن الحروف هي ذات المسمى، هي عينه، يقول: ويشنع عليهم وهذا **غلط** عليهم، بل هؤلاء يقولون: اللفظ هو التسمية، والاسم ليس هو اللفظ، بل هو المراد باللفظ، يقول: فإنك إذا قلت: يا زيد، يا عمرو، فليس مرادك دعاء اللفظ، يعني إذا قلت: يا زيد هل مرادك أن هذه الحروف تحضر عندك؟ أو أن الشخص المسمى بهذا الاسم هو المدعو والمنادى؟ فليس مرادك دعاء اللفظ، بل مرادك دعاء المسمى باللفظ، وذكرت الاسم فصار المراد بالاسم هو المسمى، إذا عرف هذا فقد ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام وهو من أئمة أهل السنة إلا أن اسم الشيء هو عينه وذاته، واسم الله هو الله، وتقدير قول القائل: باسم الله أفعل، أي بالله أفعل، واستدل بقول لبيد.

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

ثم اسم السلام، يعني ثم السلام عليكم، حقيقة النصوص جاء فيها ما يدل على أن الاسم لفظ الاسم مراد أحيانا وما يدل على أن لفظ الاسم غير مراد، فمثلا ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [(١) سورة الأعلى] ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ [(٧٤) سورة الواقعة] جاء في الأولى: ((اجعلوها في سجودكم)) وفي الثانية: ((اجعلوها في ركوعكم)) هل الساجد يقول: سبحان اسم ربي الأعلى أو يقول: سبحان ربي الأعلى؟ كما بينت السنة؟ سبحان ربي الأعلى، هل الراكع يقول: سبحان اسم ربي العظيم أو يقول: سبحان ربي العظيم؟ ...." (٢)

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ١١/٢٠

(٢) التعليق على تفسير الجلالين - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٣٧/١

"تفسير الجلالين - سورة (ق) (٣)

من آية: (١٥ - ٣٥)

الشيخ/ عبد الكريم بن عبد الله الخضير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فيقول المؤلف -رحمه الله تعالى- في قوله -جل وعلا-: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [(١٦) سورة ق].

يقول: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ [(١٦) سورة ق]، والمراد به الجنس، جنس الإنسان من لدن آدم إلى قيام الساعة، ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم﴾ [(١٦) سورة ق] الواو هذه واو الحال، ونعلم: خبر لمبتدأ مقدر تقديره نحن، ولذا قال: "حال بتقدير نحن" الآن إذا قلت: جاء زيد قارئا، أو راكبا، يعني حال كونه قارئا أو راكبا، وإذا قلت: رأيت زيدا يضحك حال، لا نحتاج إلى تقدير نحن كما هنا، يقول: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم﴾ [(١٦) سورة ق] "حال بتقدير نحن" لماذا نحتاج إلى تقدير نحن؟ لأن الحال إذا جاء مبدوءا بمضارع لا بد أن يخلو عن الواو.

وذات بدء بمضارع ثبت ... حوت ضميرا ومن الواو خلت

. . . . جملة الحال المبدوءة بمضارع لا بد أن تخلو من الواو، هنا في واو، ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم﴾ [(١٦) سورة ق] هل نقول: إن القاعدة **غلط** لأن القرآن جاء بخلافها؟ أن جملة المضارع تقترن بالواو لا ما قرروه.

وذات بدء بمضارع ثبت ... حوت ضميرا ومن الواو خلت

وهنا يقول: "حال بتقدير نحن" لأن جملة المضارع إذا وقعت حالا لا بد أن تخلو من الواو، لكن إذا اقترنت بالواو لا بد من التقدير لتكون الجملة اسمية.

وذات واو بعدها انو مبتدأ ... له المضارع اجعلن مسندا." (١)

---

(١) التعليق على تفسير الجلالين - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١/٧

